عبدالله القصيمي

العَرَبُ ظاهِرَةٌ صَوتيَة

" إنه لا أضيع أو أخسر أو أردأ حظاً ومجداً
من كتاب عظيم أو جيد بيت كلم اللغة العربيَّة
ويكتب بها مخاطِباً الإنسانَ العربي .. إن
اللغة العربيَّة لن تكونَ إلا كفناً غير مجيد
أو نظيف لكل فكر أو معنى عظيم أو حر أو صادق
أو شجاع أو مبدع يكتب بها أي لو كتب بها
.. وهل حدث أن كتب بها ؟..."

الفهرس

صفحة

عبدالله القصيمي

العَرَب ظاهِرة صَوتية

" إنه لا أضيع أو أخسر أو أردأ حظاً ومجداً
من كتاب عظيم أو جيد بيت كلم اللغة العربيّة
ويكتب بها مخاطِباً الإنسانَ العربي .. إن
اللغة العربيّة لن تكونَ إلّا كفناً غير مجيد
أو نظيف لكل فكر أو معنى عظيم أو حرّ أو صادِق
أو شجاع أو مبدع يكتب بها أي لو كتبَ بها
.. وهل حدث أن كتبَ بها ؟ ... "

.. الشمس بصمت ..

أم القمر بصراخ ؟

ان العربي ليرفض الصعود الى الشمس ممتلكا لها ان كان ذلك بصمت ليختار التحدث بصراخ ومباهاة وعن صعوده الى القمر وامتلاكه له اي بلا صعود ولا امتلاك ٠

ان العرب ليظلون يتحدثون بضجيج وادعاء عن امجادهم وانتصاراتهم الخطابية حتى ليذهبون يحسبون ان ما قالوه قد فعلوه ، وانه لم يبق شيء عظيم او جيد لم يفعلوه لكي يفعلوه ٠٠

ان من آصل وارسخ واشهر مواهبهم أن يعتقدوا انهم قد فعلوا الشيء لانهم قد تحدثوا عنه ٠ اليسوا قد فعلوا امجاد وانتصارات حرب اكتوبر لانهم قد قالوا انــهم فعلوها ؟ اليسوا قد اعتقدوا ذلك لانهم قد تحدثوا عن فعلهم له ؟ أليسوا قــد فعلوا كل امجاد وحضارات وانسانيات التاريخ لانهم قد قالوا ذلك ؟ أليسوا قد قالوا ذلك لكي يعتقدوا انهم قد فعلوه ؟ اليسوا قد قالوه ليكون بديلا عن أن يفعلوه ؟

انه لن يقاسي من الضياع والاغتراب مثل من يتحدث الى الآذان والعقول والاخلاق والاصالة العربية بغير الصهيل والتهاويل والاختراق لكــل حــواجز وشروط واوامر المنطق والذكاء والتهذيب والوقار والصدق والحب والتواضع والرؤية بعيــون غير كاذبة او منافقة او جبانة او بليدة او عمياء اي بعيون غير عربية اي بعيون ليست امية الرؤية والقراءة والتفسير والتفكير والحوار والاخلاق ٠

انه في كل التاريخ العربي ، في كل الوطن العربي لم يحدث ولن يحدث ان يعلو ان يسمع ، بكل الجراة والقوة والحرية ومشاعر الامن والمباهاة والكبرياء ، من فوق كل منبر الا الصوت الجاهل او المنافق الكاذب او الدجـــال او الابله او الفاجـر !

لهذا اتمنى بل واطالب ان يكتب فوق كل منبر عربي وعلى غلاف كل كتـاب عربي وعلى الصفحة الاولى من كل صحيفة عربية وعلى كل قلم وفم عربي هذا الهتاف او الانشاد او التمجيد :

« ايها الكذب البليد ، ايها النفاق الفضاح المفضوح ، ايها الغباء الجاهل ، ايها الجهل الغبي ، ايها الصهيل العقيم البذيء ، ايها السقـوط ، ايهـا العـار الفكـري والنفسي والاخلاقي والفني والتعبيري ٠٠ ان كل المجد والسلطان لك ٠٠ » ٠

ان التفسير الدائم الشامل الصادق للانسان العربي انه الكائن الذي لا توجد اية علاقة محاكمة او محاسبة او محاورة او مساءلة او غضب او رفض او احتجاج او حتى عتاب بين لسانه وعينيه او تفكيره او ضميره او ارادته او قدرتـه او حقيقتـه او كينونته او نيته او اي شيء من حياته او مواجهاته ٠٠

حين وصل وفد من السماء الى القاهرة

« .. ما اصغر الافواه التي تتحول فيها اصغر الاشياء واكذبها الى اكبر الاشياء واصدقها. لهذا ما اصغر افواه النبوات والقيادات والزعامات العربية !.. اننا صغار صغار لهذا تصبح اصغر الاعمال والامجاد بل واكذبها في رؤانا ومزاعمنا كبارا ، كبـارا . فمتى نصبح كبارا ، كبـارا لتصبح اكبـر الاعمال والامجـاد في افواهنـا وحساباتنا صغارا ، صغارا ؟ » .

بعد المواجهة العربية الاسرائيلية الاخيرة ، اي مواجهة شهر اكتوبر المعتدى عليه ، تفجرت آبار الايمان والتقوى المخزونة في النفوس العربية منافسة لتفجر آبار نفطهم ، وتصاعدت ارواحهم واصواتهم وصلواتهم الى الله ، الى السموات يؤمنون ويهتفون ويشكرون ويمجدون ٠٠ نعم، لقد اعتدينا على شهر اكتوبر وحولناه الى شهر ذليل حزين مهان ٠٠!! كيف لا يفعل الاخرون شيئا لانقاذ شهر اكتوبر من تحقيرنا له وكذبنا واستفراغنا عليه ؟

والعربي دائما لا يفخر أو يجدد تقواه وايمانه وتدينه الا الكوارث والهزائم والفضائح والهوان ٠ انه لا يتذكر الله الا مهزوما مفضوحا مهانا مذعورا ٠ انه قويا ومنتصرا وسعيدا يتكبر ويطغى حتى على أعظم ما يراه أعظم قيمة ٠ انه قويا ومنتصرا ٠ وسعيدا ينسى ويهزم كل تفاسيره الانسانية ٠٠ انه لا يستطيع ان يرى جمال الاله او اشراقه الا في دمامات وظلمات هزائمه وفضائحه وآلامه وعجزه وقبحه ٠٠

انه اذن لعدل ومنطقي ان يكون ثواب ومجد تقواه-اي تقوى الانسان العربي ومجد وثواب ايمانه-محسوبين ومنسوبين ومردودين لمن أوقعوا به الهزائم والكوارث والآلام والضعف والعجز ٠٠

اذن افرحي يا اسرائيل فان مجدك وثوابك عظيمان ٠٠ ان الاله سوف يبالغ ويتأنق ويتعب جدا في حسابات وتقدير مجدك وثوابك يا مجددة ومفجرة آبار الايمان والتقوى المخزونة في الارواح العربية ٠٠ يا من سوف تظلين تفجرين وتجددين هذه الآبار لانك سوف تظلين طويلا تصنعين اسباب ذلك ، يا اسرائيل المحظوظة ٠٠ المحظوظة بأعدائك ، بكون العرب هم اعداءك ٠٠

وانه لاحتمال أليم أن يكون الاله قد فطن الى ذلك ، وانه لهذا سوف يظل يصنع ويدبر الهزائم والفضائح والهوان والضعف للعرب ويساعد على ذلك لكي يتجدد ويقوي ايمانهم به ورجوعهم اليه وتذكرهم له ٠ ولعله اي الاله لم يفطن الى

شيء مثلما فطن الى هذه الدسيسة والخدعة والمكر . ومهما عجز أي الالــه عن أن يخدع فلن يعجز عن ان يخدع العرب !!

وهل يمكن وجود او تصور انتهازية او انانية مثل انتهازية او انانية الالــه ؟ كيف والالــه هنا الــه عربي ، عربي بكل تفاسيره وصيغه ؟ والــه العرب لن يجيء مثل آلهة غيرهم لانهم اي العرب لم يجيئوا مثل غيرهم اي في المزايا والنماذج ..

والعربي لم يفطن الى انه بهذا السلوك والمنطق لا بد ان يحرض الهــه على ان يظل يتقصده بالهزائم والكوارث والآلام لكي يزداد رجوعا اليه وايمانا به وشكرا وحبا له . والالــه العربي كالسلطان العربي ، كالانسان العربي ، يجزي على الهوان والاستسلام له بالمزيد من الاسباب الصانعة لذلك .

وقدكان المفروض ان يتمرد ويخرج عليه ويجازيه بالعصيان والاستنكار كلمـا اصابه باية هزيمة او اذلال او هوان أو ضعف لكي لا يصيبه بشيء من ذلك او يعرضه له بل ولكي يحميه من ذلك . اليس كل كائن حتى الالــه ينبغي أن يجازي ويعامل بما ينفع ويداوي ؟ اليس كل احد حتى الالــه يجب ان يجزى خيرا او شرا بما يجعله افضل وانبل واعقل ؟

كيف لم يفطن الى هذا المكر البسيط السهل الذي فطن اليه الالــه .. اي كيف لم يفطن اليه الانسان العربي ؟

كيف لم يفطن الى شيء فطن اليه الالــه العربي ؟

اكـل شيء وكل احد اذكى من الانسان العربي حتى الالــه العربي اذكى مـن الانسان العربي ؟ ايمكن ان يوجد مـن يتفـوق بغبائـه علـى الالــه العربي سوى الانسان العربـي ؟

نعم ، بعد حرب اكتوبر المهان المحتقر بمزاعمنـا عنــه ولــه وبانتمـاء امجادنا وانتصاراتنا اليه هجم العرب على الله ايمانا وتمجيدا وتعبدا وقراءة وتفسيرا لاخلاقه وعبقرياته النفسية والفكرية والسلوكية والتخطيطية .. لقد فضحوه وارهقوه وعروه حبا وتقبيلا ومعانقة ومغازلة ووصالا وانتظارا ..

لقد اصابتهم نوبة حادة ضاجة شاملة من الدروشة الدينية المتخطية لكل حدود الوقار والرصانة والذكاء ، والتقوى والصدق العقلي .. حتى لقد جن سكان السماء سرورا واعجابا بهذه الهجمة الدينية العربية على الله . والتاريخ لا يعرف للعرب اية هجمات قوية من اي نوع سوى هجماتهم الدينية على الله . ان الله لا يفتضح أو

يصغر أو يحرج مثل افتضاحه وحرجه وصغره حينما يهجم العرب عليه ايمانا وتعبدا وامتداحا ودعاء وتأميلا وتفسيرا ...

لقد اجتمعوا أي سكان السماء بالاله ليسعدوا ويغنوا ويرقصوا فرحا بهذه العودة العربية الى الله ، ولكي يتذاكروا ويتشاوروا فيما ينبغي ان يفعلوه ويقدموه للعرب من شكر وحب وتأييد وحماية وتحذير من جميع الاحتمالات الغادرة الخسيسة التي يدبرها ويتآمر بها دائما كل العالم وكل الكون وكل من فيهما ليوقعوا بالعرب كل الوان الخراب والعذاب والاذلال ، غيرة وخوفا من تفوق عبقرياتهم وحضاراتهم ومواجهاتهم واصالاتهم وتقواهم ونفطهم .. آه يا كرامة وشجاعة وعبقريات العالم. كم يجب الرثاء لك من اذلال وفضح وارهاب النفط العربي لك .

لقد تكررت وتكررت اجتماعاتهم اي اجتماعات سكان السماء برئاسة الاله . لقد قرروا في خاتمة اجتماعاتهم قرارا خطيرا قد يكون بلا شبيه .. حتما انه بلا شبيه ..

قرروا أن يؤلفوا وفدا سماويا ليهبط الى الارض ليرفع شكر واعجاب وآراء ونصائح وولاء السماء وسكانها الى العرب .

انها بعض نتائج حرب اكتوبر المعوضة المغنية للعرب عن اي مجد اخر ..!

تألف الوفد .. نزل الى القاهرة لانها عاصمة الدنيا ، عاصمة للعروبة ، عاصمة الحضارات ووالدتها ومصدرتها ..

طالب بأن يؤلف وفد عربي من كل الاوطان العربية ليكون اللقاء والحوار معه .

تألف الوفد العربي الموحد متجمعا من الرؤساء والملوك والقادة العسكريين والسياسيين ومن المفكرين والشعراء والاساتذة والكتاب وغيرهم برئاسة مصر لان مصر هي ابدا البداية لكل الكينونات العظيمة ..

تواجه الوفدان وتعانقا .. والعربي لا يعانق أو يقبل بقلبه مهما عانق وقبل بفمه وبكل جسده . انه لا بد أن يهب القبلات والمعانقات بجسده وفمه وثيابه مهما جهلت اخلاقه وقلبه وفكره وضميره ونياته وحبه كل معاني المعانقة والتقبيل والشوق والصدق . ان العربي لا يهب احر قبلات جسده الا حين يهب احر لعنات قلبه ونياته.

ان للجسد العربي لغات خارجة على كل لغات وتفاسير عواطفه وحوافزه وافعاله. انه ليس للانسان العربي لغات تفسره أو يفسر بها .. انه لن يوجد من يستطيع أن يتعامل مع الانسان العربي أو يفهمه باللغة ، بأية لغة .

تتكلم طويلا ، طويلا وفد السماء ، مثنيا وشاكرا ومعجبا ومحبا ٠٠ ثم انتقل الى القضايا الحادة الخطيرة بكل الحماس واللهفة ٠٠

قال بارتجاف ورهبة ومودة مملوءة بالاخلاص والصدق :

ان لدينا نحن وفد السماء معلومات واستنتاجات خطيرة ، مخيفة ٠ ولن الالــه ، اعظم واصدق واوفى صديق لكم أيها العرب ، ليشاركنا بكل التخوف والارتجاف في هذه المعلومات والاستنتاجات ٠

تقول هذه المعلومات والاستنتاجات السماوية :

ان اسرائيل الغادرة قد تحتل القاهرة ٠٠

نعم ، تحتل القاهرة ٠ كلمة تخرج الكواكب عن مداراتها عند سماعها ٠٠ فرد الوفد العربى بصوت واحد مشحون بالكبرياء والثقة :

لا باس ، لا يهم لان لنا مجد العبور ٠٠٠ رد هذا الرد بكل السرعة قالها الوفد العربي بنبرات ارتجفت لها كل اعصاب واخلاق التاريخ ٠٠

قال وفد السماء : وتحتل الارض المصرية كلها ٠٠

فرد الوفد العربي بالصوت الواحد : لا باس ، لا يهم لان لنا مجد العبور ٠

قال اي وفد السماء : وتاخذ اي اسرائيل كــل الشعب المصري ليكــون اسرى وارقاء واشياء اخرى ٠٠!

فرد الوفد العربي بضجر واستنكار : لا ، لا ، لا تنزعجوا ، لا تنزعجوا فان لنـــا مجد العبور ٠٠ ان لنا وحدنا مجد العبور ٠٠

قال اي وفد السماء : وتزيل القناة شرقها وغربها ٠٠ وتحتل الكعبة والمدينة والنجف وكربلاء والازهر وكل الاماكن المقدسة وكل العالــم العربــي والاسلامــي ، وتسرق كل المصاحف وكتب الحديث ليصبح العرب والمسلمون بــلا قرآن أو احاديث نبوية ٠٠ وايضا تشرب اي اسرائيل كل النفط العربي الذي هو كل التاريخ العربي ، وتحكم كل العالم والكون وتاسر الالــه وكل سكان السماء ٠٠٠ تحذيرات تصنع كل الذعر والهول ٠٠٠

وعند كل تحذير من هذه التحذيرات السماوية الرهيبة كان الوفد العربي كلــه يكرر نفس الرد متصاعدا في ضجره واستنكاره وتعجبه بل وفي سخريته واشمئزازه من الجاهلين بامجاد عبوره ٠

سمعنا ، سمعنا ، اجل ، اجل . لا باس ، ابدا ، ابدا لا باس .. الم تسمعوا ، الم تسمعوا ما قلناه لكم ؟

لقد قلنا لكم : ان لنا مجد العبور ..

هل انتم صم ؟ هل انتم لا تعرفون اللغات ، لا تعرفون اللغة العربية ؟ هل يمكن ان يجهل سكان السماء اللغة العربية ؟ ولو جهلوها فبأية لغة يمكن حينئذ ان يتكلموا ويقبل الاله ان يخاطبوه بها ؟ هل انتم يا سكان السماء لا تقراون التاريخ العربي ، لهذا لا تعرفون امجاده وانتصاراته ، لهذا لا تعرفون امجاد عبوره ؟

كم يجب أن نأسى ونرثي لكم يا سكان السماء لانكم لم تسمعوا عن عبورنا ، لم تعلموا ان لنا مجد العبور ، ولانه ليس لكم مجد مثل مجد عبورنا ، لانه ليس لكم عبور مثل عبورنا ؟

آه .. كم يجب أن نحزن ونتعذب من اجلكم لو انكم يا سكان السماء قراتم تاريخنا وعرفتم مجد عبورنا ثم حاولتم أن تجدوا لكم تاريخا مثل تاريخنا او مجدا مثل مجد عبورنا ؟ آه .. ان كل امجاد التاريخ لا تساوي امجاد تاريخنا ، وان كل امجاد تاريخنا لا تساوي شيئا من امجاد عبورنا ..!

ذهل وانبهر وارتاع وفد السماء وقاسى من مشاعر الهوان والحيرة والاستحياء والانكسار مما سمع لانه لم يسمع عن هذا العبور ومجده ..

وبتادب وتضرع وتشوق هائل تجرا وفد السماء وسأل :

ما مجد العبور هذا .. ما هذا العبور الذي صنع مجدا استطاع ويستطيع ان يستر ويغفر ويهزم كل الهزائم والمهانات والعيوب والذنوب والعار والقبح الكوني ، ويعوض ويغني عن كل مجد مطلوب مفقود ؟ ما هذا العبور الذي لم تعرفه او تتعلمه لغات السماء ولا امجادها ؟!! حتى سكان السماء لا يعرفون كل امجادكم ايها العرب ! آه . كم انتم معجزون ومحيرون ايها العرب . نعم ، اذن كيف جاءت اسرائيل ؟

فسروا لنا ايها القادة العرب ذلك .. اننا نحن سكان السماء ومثلنا مولانا الاله الحزين المنبوذ البائس الحظوظ لمحتاجون جدا الى ان يكون لنا شيء ولو قليلا من هذا المجد ، من هذا العبور ، من مجدكم وعبوركم هذا . نعم ، ولكن كيف امكن ان تجيء اسرائيل ايها العرب ؟ نعم ، سوف نظل نسأل ويسأل كل معجب بالعرب ورافض لهم : اذن كيف جاءت اسرائيل .

انا لنسترحمكم ايها العرب الكرام ‥ نستجديكم ، نصلي لكم ، نمد ايدينا وامالنا اليكم ايها العرب الرحماء ٠ جودوا علينا ، تصدقوا على الاله وعلينا بشيء من هذا المجد ‥ علمونا ، هبونا شيئا منه ‥ اليس الكرم كله هو دائما كرما عربيا ؟ اليس العرب هم وحدهم الذين علموا التاريخ وقرأوا على التاريخ وفسروا للتاريخ كل لغات الكرم واخلاقه ؟ الستم تقولون هذا وتصدقونه وتلقنونه لابنائكم ؟ الستم تعلمون ابناءكم ان العالم لم يتعلم شيئًا من الكرم الا من العرب ؟

آه ايها العرب ٠ لقد ارهبتمونا واذللتمونا واخجلتمونا بل لقد سحقتمونا بحديثكم عن مجدكم هذا ، عن عبوركم هذا ‥

كل رثائنا لالهنا المسترخي هناك فوق عرشه حين يسمع عن عبوركم هذا و يحاسب مجده بمجدكم هذا ‥

العبور ‥ العبور ‥ العبور ‥ مجد العبور ٠ مجده ٠ مجده ٠! لقد نسينا نحن سكان السماء كل شيء وهان في حسابنا كل شيء غير العبور ومجده ، غير عبوركم ومجدكم اللذين سمعنا منكم الحديث عنهما ٠ لقد هان وصغر كل مجد وكل شيء امام حديثكم عن عبوركم وعن مجده ‥ هل هذا العبور نوع من الالوهيات الجديدة المتفوقة جدا التي تحتاج الالوهيات القديمة ، الوهيات السماء والوهيات الكون ان تتعلم منها القوة والمجد او ان تتنازل لها عن وظائفها ؟

ان حديثكم ايها العرب عن عبوركم هذا ليفرض علينا هذا التصور اي ليفرض علينا ان نتصور ان هذا العبور ليس الا الوهية جديدة متفوقة جدا على كل الالوهيات٠

ايها العرب ، يا اكرم واعظم وامجد من مجد وكرم وافرح الاله نفسه وتاريخه وعبقريته بان خلقهم ‥ يا من لم يجرب الاله الابتسام ولا النظر الى وجهه او الى مرآته الا بعد ان خلقهم فرآهم ‥ يا من لم يحب الاله نفسه وعبقريته ووجوده وبقاءه الا لانه خلقهم وعاشرهم وعاملهم وفهمهم وحدق في عبترياتهم ‥ يا من لم يرغب الاله في ان يكون الها ومعبودا الا لكي يكون الهكم ومعبودكم ‥

يا هؤلاء العرب فسروا لنا هذا العبور ، اورنا اياه ، هبونا وهبوا الهنا المحروم المهزوم الجائع ابدا شيئا منه ٠ علمونا اياه ‥

نرجوكم ، نرجوكم ايها العرب يا من لم يرج اجود او انبل منهم ‥٠ لقد هبطنا من السماء اليكم محبين وشاكرين وناصحين ومفاوضين ‥٠ هبطنا اليكم ضيوفا

فتقبلتمونا في ضيافتكم ولا زلنا فيها ،بعيدين كثيرا عن مكاننا في سمواتنا مع الهنا العاجز الضائع الحزين المهجور ابدا ٠٠ من اجل هذا وباسم هذا نرجوكم ، نرجوكم ٠ اليس تركنا الالـه نحن سكان السماء لنكون معكم يستحق كل جزاء نطلبه منكم ايها العرب ؟ فكروا ، فكروا ايها العرب ٠ لقد تركنا الهنا الحزين جدا وحده لكي نلقاكم ونتحدث معكم ٠٠

كان وفد السماء مصابا بغفلة اليمة او بصفاء نفسي واخلاقي وفكري عجيب ٠ لهذا كان يفترض ان الانسان العربي قد يفسر او يفهم من اقواله ، وانها قد توجد علاقة بين لغته وواقعه او بين لغته ونيته او قدرته او رغبته او رؤيته او معرفته او تاريخه ٠ انه اي وفد السماء لم يكن قد قرأ شيئا من شعر العرب او من تعاليمهم او صهيلهم او شرائعهم او كتبهم او قوانينهم واقام مقارنة بين ذلك وبين كـل صيغ وجودهم في كل تاريخهم ليعرف انهـا لا توجـد اية علاقـة بين مـا يقولـون ومـا يستطيعون او يفعلون او يعنون او يريدون او يحترمون او يحبون او يعلمون او حتى يتمنون ٠ وكما انه اي وفد السماء لم يكن يعرف ان العربي لا يقول شيئا ولم يقل في كل تاريخه شيئا مهما قال ، كذلك لم يكن يعرف ان العربي لا يقال له شيء مهما قيل له كل شيء ، اي ان كل ما يقال له ويعلمه وينزل عليه ويوجه اليه ويكتب من اجله يمر به بعيدا عنه بعيدا عن فـكره وقلبه وضـميره واخلاقه وفهمه واهتمامه وحساباته وعن كل حياته بل وبعيدا عن اذنيه ٠ ان كل ما يقال له يمر به خارج كل حدوده ٠٠

ان قول وتعليم كل شيء للانسان العربي يساوي الا يقال له شيء والا يعلم شيئا اي في العجز عن صياغة حياته او نياته او اخلاقه او عقلـه او ضميره او قوتـه او ضعفه ، في صياغة اي معنى من معانيه ٠٠ ان كل النبوات والافكار والتعاليم لا بد ان تدحر وتموت على ابواب اذني الانسان العربي ٠

لقد ضاع وتاه ومات بلا ثمن او اجر او جزاء او تاثير كل الانبيـاء والعلمـاء والدعاة والمعلمين والقادة والمفكرين والمرشدين في التيه الواسع الفاصل بينهم وبيـن الانسان العربي حينما جاءوا وتوجهوا اليه ، ليحدثوا في حدوده وحصونه واسواره المغلقة اية شروخ او صدوع لينفذوا منها الى ذاته المعقمة ضد الاصابـة بايـة قيمة حضارية او انسانية او فكرية او نفسية او اخلاقية ٠٠ ان ذات الانسان العربـي محصنة تحصينا لا تستطيع اختراقه اية قوة من قوى الفكر او الحضارة او الذكاء او الجمال او الحب او النقاء او الصفاء ٠٠ انها لا توجد اية علاقات بين ذات العربـي وبين ما يقال له ويقول ٠٠

لقد ذهب كل هؤلاء الذين جاءوا الى الانسان العربي دون ان ياخذوا منه شيئا او

يهبوه شيئا ٠ اي دون ان يسحبوا منه او يضعفوا فيه اية نقيصة ، او يضعموا او يضخموا فيه اية مزية ٠٠ وهذا لان الانسان العربي لا يكون شيئا مما يقال له كما لا يكون شيئا مما يقول هو كما لا يعني او يحترم او يعرف شيئا مما يقول لنفسه او عنها او للاخرين او عنهم ٠ انه يقول بالتفاسير والنيات التي بها يعطس ويسعل ويتثاءب ويجيء ويتوالد ويمرض ويموت ويحقد ويكره ٠

ولان وفد السماء لا يعرف هذا عن الانسان العربي فقد حسب انه يقول ويعني شيئا حينما حدثه عن عبوره وعن مجد عبوره ٠٠ لقد حسب انه يتحدث عن شيء هو اكبر واعظم من كل امجاد السماء التي عرفها وعاشرها وهبط بها ومنها ٠ انه لم يعرف ان الانسان العربي تصويت فقط ٠

هذه سطور اعتراضية تفسيرية لم يكن بد منها هنا ٠٠ ولنعد بعدها الى اكمال رواية هذا الحدث الاعظم ٠٠

بعد كل هذا التضرع والتوسل اللذين صلى بهما وفد السماء لكبرياء الوفد العربي تحركت الشهامة وموهبة السخاء والعطاء والرحمة في النفس العربية ٠

تحركت ولكن بكبرياء وفظاظة وعروبة تهون وتصغر وتهزم امام وقاحتها وقبحها كل الوقاحات والقبح ٠٠

آه ما اصغر واقبح كل الاشياء حين تتحرك النخوة العربية ، عارضة نفسها ، معلنة عنها ، متحدية كل شيء عظيم وايضا كل شيء تافه ، بكل لغات واساليب الصراخ والادعاء والادلال ٠٠ آه يا نخوة العروبة كم انت ضخمة وقهارة ولكن في الشعر وفوق المنابر وفي افواه القادة والزعماء وكل الصارخين ٠٠

قال وفد العروبة لوفد السماء : نعم ، نعم ، لقد رققنا لكم واشفقنا عليكم ، لهذا قررنا بالاجماع ان نعلمكم بل ونهبكم شيئا من عبورنا ، من مجدنا هذا ، لكي تصبحوا بعض رعايانا وتلامذتنا وبعض مجدنا انتم والهكم الحزين المنبوذ المسترخي بعيدا ، بعيدا فوق عرشه يتغذى بالضياع والاهمال الدائمين الاليمين ٠٠

نعم ، ادعوا الهكم البائس ليحضر سريعا ، سريعا ٠٠

ادعوا الهكم الذي لا مثيل لجوعه الى المجد ولا مثيل لقسوة ودوام حرمانه من المجد ٠ نعم ، انه لا احد يتعذب بالحرمان من المجد مثل اله العرب بل وبالحرمان من الحب والاحترام والوفاء والصداقة والخوف منه ٠٠

حضر الاله وانضم الى وفده ، وفد السماء ٠٠

قاد وفد العروبة الالــه ووفده الى القناة وكانت قوارب وجسور العبور قد اعدت لكي يصبح للالــه ووفده عبور ومجد مثل عبور العرب ومجدهم ٠٠٠

عبر الالــه ووفده الى الجانب الشرقي من القناة ٠ عبروا الــى الجيش العربي المصري الثالث ٠٠١

آه ٠ لتفجع ، لتتوقف عن الحركة ايها الكون المفجوع ٠٠ لتتحول كل انهارك وبحارك وسحاباتك الى دموع ، لتكون بعض دموعك ، تعبيرا عن بعض احزانك ٠٠ لتنطفىء الشموس وتتساقط المجرات ٠٠ ليتحول كل شيء فيك ايها الكون الى ماتم لتتلقى العزاء من كل الحزانى لك وبك ٠٠ هل تموت ايها الكون ٠٠ هل تستطيع ان تموت ؟ هل قبيح ان تموت ايها الكون ؟ اليس شيئا رائعا ان تجرب الموت ؟ هــل تقبل ان تحيا لو جربت الموت :

واهولاه ، واعاراه ٠٠ لقد اصبح الالــه ووفده السماوي الذين جاءوا ليكون لهــم عبور ومجد مثل عبور العروبة ومجدها ٠٠ لقد اصبحوا محاصرين مع الجيش العربي المصري الثالث ٠٠

ايتها الارض لا تخبري النجوم ٠٠ ايتها النجوم لا تخبري الشموس ٠٠ ايتها الشموس لا تخبري المجرات ، لا تخبري الشموس الاخرى ٠٠٠ ايها الكون لا يخبــر بعضك بعضا بأن الالــه ومعه وفده قد اصبح محاصرا وبان العرب هم الذين جروه الى هذه الفاجعة ٠٠

انها الفاجعة الكونيــة الاولــى ٠

انها المرة الكونية الاولى التي يحاصرها الالــه واعوانه وكل مستشاريــه وكــل اجهزته الكونية السماويــة ٠

اذن كم انت مذنب وفاجع وخائب يا مجــد العبــور ؟ هــل يوجــد اذن صانــع للخسران والفواجع والاسى مثلك يا مجد العرب ، يا مجد عبورهم ؟ هل يمكن تصور جريمة تساوي أو تشبه جريمة من خدعوا وقادوا الالــه وجميع حراس ومنفذي جميع اعماله الكونية والسماوية ليصبحوا محاصرين مع جيش عربي محاصر ؟

اذن هل يمكن تصور جريمة تساوي او تشبه جريمة العرب حينما صنعوا عبورهم ومجده وحينما تحدثوا الى وفد السماء عن عبورهم وعــن مجــده بالاساليب التــي يتحدثون بها الى قطعانهم العربية ؟ معذور أنت ومعذور وفــدك ايهــا الالــه حيــن

عجزتم عن تصور ماذا تعني او تساوي الكلمة عند الانسان العربي ، قائلا لها ومقولة له ٠٠ هل يستطيع غير العربي ان يعرف ماذا يعني أن يقول العربي اي شيء وان يقال لـــه ؟٠٠

علمت المنظمات والقيادات العالمية بذلك ٠ ذعرت ذعرا يتكافأ مـع ضخامـــة الحدث ٠٠ رات وقررت كتمان الحدث الرهيب الفريد عن جماهير كل العالـم حتـى تتدبر القضية لعلها تجد لها حلا ما من نوع ما قبل ان تعلم بما حدث شعوب العالم٠ ان ما لا بد ان يصيب الشعوب وما قد تفعله لن يستطاع حساب نتائجه لو علمت ٠٠ آه ٠ لقد اصبح الالــه محاصرا ومعه اعوانه الكونيين ٠ ماذا يمكن ان يحدث لو عرفت الشعوب ذلـك ؟

جيد ، جيد ٠٠ ليطمئن العالم ويفرح لان الاله ومعه وفـده ، سـيصبح طليقـــا ليذهب ويظل يمارس العابه وحماقاته في هذا الكون الضخم البليد العقيم الخـارج على جميع النماذج والشروط والحدود الفنية والمنطقية والاخلاقية والجمالية ٠٠
ليظل اي الالــه يمارس ذنوبه والعابه وتوتراته في هذا الكون بلا اي وقـار أو تقوى أو حب أو شهامة او توبة ٠٠

آه ٠ هل يوجد احوج الى التوبة واحق بها من الالــه ؟

نعم ، لقد وجد الحل ٠ لقد كان حلا امريكيا ، الهمته وخططته واخرجته العبقرية اليهودية الامريكية او اليهودية التي زعمت وقرئت امريكية ٠!! نعم ، ايها الذكاء ، ايها الذكاء المبدع المسيطر على كل العالم هل لك من خالق غير اليهود في مزاعـــم ورؤى كل الزعامات والقيادات والنبوات العربية ؟

السنا نرى ونظن ان كل شيء قوي او ذكي او ماكر يقع في هذا العالم بل في هذا الكون انما هو تعبير وتخطيط واخراج ومكر يهودي ؟ السنا نرى ان الله لـم يتخلق بالغضب ولم يخلق الجحيم الا لان اليهود قد وجدوا ؟

اجل « الدنيا لعبة اسرائيل » ، اي لعبة اليهود ٠٠! اليس هذا اسم كتاب صدر باللغة العربية وآمن به الانسان العربي بل آمن به الحاكم والقائـد والكاتب والمفكر العربي وجوزي كاتبه او معربه كما زعم وطابعه وناشره بالثناء والاعجاب وبالنفط والحب ؟ السنا نؤمن ونقول دائما على السنة كل ذوي الالسنة فينـا ان كـل مـا يصيبنا او يصيب سوانا ليس الا بعض تدبير وتخطيط ومكر وعمل اليهود الحاكمين بدهائهم لكل العالم ؟

لقد جاء الحل الامريكي اليهودي أو اليهودي فقط الذي زعم امريكيا ليصاغ هكذا:

تعلن الزعامة العربية المصابة دائما بالغرور الخطابي وبالوقاحة الاستعراضية الصوتية ، تعلن باسلوب طيب وودي وصادق ومقبول جدا توبتها الى امريكا من كل ما كان ٠٠ من كل الذنوب والعيوب والنشوز ومن الحديث عن طلب الطلاق والتفكير فيه ، ومن العصيان اللفظي الخطابي العاجز عن التنفيذ الذي هو موهبة اصيلة وشهوة خالدة لا تداوى ، في كل زعامة وقيادة ونبوة عربية ٠٠

تعلن توبتها من هذا العصيان اللفظي المنبري اليعربي العاجز ابدا عن ان يكون عصيانا ميدانيا ٠٠٠ ءنان يكون عصيانا اكثر من صوتي ٠٠ اليس العصيان العربي يجيء دائما عصيانا صوتيا خطابيا حينما يجب او يراد او ينبغي او يطلب او يفترض ان يكون عصيانا ميدانيا ؟ هل يستطيع او استطاع العربي ان يعصي هذا العصيان الميداني حينما وجب ان يعصيه ، مهما اراد ان يعصيه ومهما زعم او حسب انه يعصيه ؟ هل استطاع العربي في اية مرحلة من تاريخه ان يعصي حين وجب ان يعصي او الا يعصي حين وجب الا يعصي ؟

انها لموهبة عربية اصيلة : ان يظلوا يفعلون بالقول ما يجب ان يفعلوه بالفعل وما يعجزون او يهابون او لا يعرفون ان يفعلوه بالفعل ٠ انهم بقدر ما يعجزون عن الفعل بالفعل يذهبون يبالغون جدا في الفعل بالقول ٠ ان اصواتهم لتعلو بقدر ما تصمت قدراتهم ٠٠ ان اسلحة كل العالم لا تستطيع ان تصنع شيئا من الانتصارات التي تصنعها السنة العرب ٠٠

انها لا توجد قوة تساوي قوة العرب في فعلهم بالصوت لكل ما يجب وينبغي فعله بالفكر والتخطيط والاراده والقدرة والجسارة والقلب ٠٠ انهم حينما يفعلون بالقول ليشعرون بالرضا والزهو وبانهم قد انتصروا اكثر مما يشعر بذلك من يفعلون بالفعل ٠٠

ان افواه العرب هي البديل الجيد الدائم المرضي عن كل المواهب والالتزامات الاخرى المطلوبة من الانسان والمفترضة فيه ٠ ان العرب في كل تاريخهم لم يحملوا او يرفعوا سلاحا لينتصروا به على الاعداء او على الطبيعة مثل افواههم ٠٠

اجل ان العربي لينتصر بالقول اقوى مما ينتصر المنتصرون بالفعل ٠

نعم ، جاء الحل هكذا او اريد ان يجيء او يبدو هكذا :

العرب يتوبون هذه التوبة الى اميركا لكن لا كما يتوبون الى الله ٠٠ يتوبون الى اميركا توبة تقنع اميركا بانها ليست مثل توبتهم الى الله ٠

أمـــا امريكا فتعلـن باسلــوب يهــودي أمريكـــي هــو في غايــة البراعــة والعمــق والاسترضاء والتلطف والتدليل ومحاولة الســتر علــى الضعفــاء المهزومين المفضوحين المحتاجين الى الانقاذ والستر ـ تعلن عن خطة للفصل بين الجيوش العربية والاسرائيلية ..

انــه لحــل يبدو فــوق قمّــة الذكاء والدهاء وروعة التخطيط . انــه يعنــي ان يفــك الحصار عــن الآله ووفده بهذا الاسلوب المتلطف المتخفي الذي قــد تعجــز كــل العقول والاخــلاق غير العقول والاخــلاق اليهودية الاميركية ان تعرفه أو تستطيعه . حــل يرفع الحصار عن الآله ووفده دون ان تشعر جماهير العالم بما حدث . اذن اليس محتوما الا يكون الا حــلا يهوديا امريكيا ؟

لقــد كانت شعوب العالم ولا زالت وقــد تظل ابدا تحسب ان الذي ينقذ من هذا الحصار ويدبر لانقاذه هــو الجيش العربي وليس الآله ووفده السماوي الذي قــاده استماعه الى الصهيل العربي وتصديقه له الى السقوط في هذه الكارثة ..

لهذا لــم تستطع الشعوب ولا سيما العربية التصديق بــان كــل هذه الشهامــة الاميركية اليهودية هـــي فقــط من اجــل انقاذ الجيش العربي من الحصار والدمار . اذن لا بــد من ان يكون وراء هذه الشهامة وفي احشائها ونياتها الوان الاتهامــات واشتات الاغراض الماكرة اللئيمة . أنــه لا بــد من الاقتناع بذلك . ان الشعـــوب العربية لا تقبل او تستطيع ان تخدع . لهذا لــن تصدق اي خير او جمال أو نبــل يفعــله الاخــرون .

ان العربي لا يستطيع ان يصدق ان احـدا غيــره وغيــر آبائه وخلفائه وسلاطينه ومعلميه قــد يفعل شيئا جميلا أو نبيلا بدون ان يكون مدفوعا باغراض دميمــة او لئيمة او شريرة . ان كــل الناس غيــر العرب لــن يكونوا في اقتناع العربــي الا اشرارا و لئامــا واعداء وخبثاء وانذالا ومحاربين مهــما فعلــوا الحب والصداقــات والســلام والجمــال والخيــر كلــه ..

وقــد صنع هذا الحدث مشكلة صعبة جدا ، هــي :

هل يمكن ان يغفر الله للعـــــرب او ينسى لهم في اي طــور من اطوار حياتـــه انهــم هــم الذين قادوه الى هذا الحصار ، الى هذا الهوان والاذلال والافتضاح ؟ اليس المفروض ان الاله هو اقسى الكائنات انتقاما لكرامته ؟

اذن هــل يتصور من يستحقون كــل غضب الآلــه مثل مــن اوقعوه فــي هــذا الحصـــار اي مثــل العــرب ؟

نعم ، اذا لــم يستطع اي الآله ان ينسى أو يغفر للعرب ذلك فمــا الذي يحتمل ان يوقع بهم ؟ العرب يوقعون الاله في الحصار واليهود ينقذونـه ..

ينقذونه باذكى واستر والطف الاساليب ۰ اذن كم هو رهيب ان نتصـور لو نتوقع او ننتظر مـا يحتمل ان يفعله بهم ، ان يفعله بالعرب الذين سمعهم يتحدثون عن عبورهم وعن أمجاده فصدقهم واراد ان يكون لـه شيء من عبورهم وامجاده فوقـع فـي الكارثـة ۰۰

اذن يـا مجـد العبور ، ليتـك كنت شهما او مهذبا او رحيما فلـم تات الـى العرب لتكون احـد امجادهم ، لتكون اعظم امجادهم ، لتكون التدليل الاليم علـى قيمـة امجادهم القديمة المروية ، والتفسير الفاجع لمـا تعنيه تلك الامجاد التاريخية۰ لقـد عرفت تلك الامجاد من حديثهم عنها ۰ وقـد عرف الان ماذا يساوي حديثهم عـن امجادهـــم ۰

وبعد فهل هذه رواية لحدث قـد وقـع أم هـي تصور هـو اذكى واصدق واقوى واقعيـة ممـا وقـع ؟

اليس التصور ولـو احيانا هـو اذكي واقوى واعمق منطقا وتفسيرا وتخطيطـا مـن الواقع ؟ اليس التصور اتقي وارحم من الواقع ؟

اليس كـل واقع بـلا تصور ومتصور سفها مهما عايشه وعاش بـه العقل ؟

اليس الكون وكـل شيء يجيء حقـا وعدلا وجمالا ومقبولا ومعقولا بالتصـــور اكثر ممـا جاء او يجيء كذلـك بالواقـع ؟

اليس الكون قـد جـاء بكـل هذا القبح والغباء لانـه قـد جـاء بـلا تصور لـه او منـه ؟ اليس التصور أو المتصور واقعا باسلوب وتفسير ومنطـق آخـر ؟ والان ماذا يجب علي ان اقول أو ماذا اريد ان اقول ؟

اولا :

اعتذر اصدق واقوى الاعتذار لاني تحدثت عنهذه الفاجعة الكونية الاولى منوعها وقـد تكـون الاخيـرة ۰۰

وقـد يكون من اسباب الغفران لـي اني قـد كشفت عنها بعد أن رفع اخطارها عن العالم والكون الذكاء اليهودي الامريكي ۰۰۰

ثانيـــا :

متى يشفى او هـل يمكن ان يشفى او اليس واجبا ان يشفى الانسان العربـي والاعلام العربي والزعامات والقيادات العربية من هوس العبور او من مجد العبور او مرض العبور ؟ لقـد اصبح العبور ومجده والتحدث عنـه والتباهي بـه جنونـا ومرضا وسخفا وافتضاحا عربيا يجب ان يداووا ويفرغوا منـه كل اساليب التفريغ۰۰

ان اخطر واقبح امراض العرب حديثهم الدائم عن امجادهم التي لم يروها او يعرفوها او يريدوها او يستطيعوها ٠

وهـم محتاجون دائما الى ان يصدر اليهم الطـب والشفاء من خارج انفسهـم لمواجهة كـل امراضهم وآلامهم ٠ انهـم المرضي الذين لا يلدون الاطباء او يتحولـون الـى اطبـاء ٠٠٠

ما اخس وانذل واقسى وابلد العالم اذا لـم يفعل كل شيء ويسخـر كل عبقرياته لشفاء العرب من عبورهم ومجده ومن حديثهم عنـه ومباهاتهم بـه وهـم كمـا فسر وثبت لا يملكون احتمالات ان يشفوا انفسهم الا بقدر مـا كانوا يملكـون من احتمالات تكافؤ عبقرياتهم واخلاقهم مـع عبقريات واخلاق نفطهم ٠٠

بـل ان العرب لمحتاجون الى من يشفيهم من كـل امجادهم ومن الحديث عنـها والمفاخرة والتحدي والاعجاب بهـا والتحديق الدائم الاعمى فيها مثل احتياجهـم الى ان يكون لهـم مجـد فـوق الارض ، فوق النجوم والاقمار والسحاب وليس فقط فوق المنابر والسطور والشفاه وتحت شواهد القبور ٠ انـه لا مرض كمرض العربي متحدثا عن امجاده ، مصليا لها ، منشدا فيها وعنها وفوق مقابرها كـل اشعاره الامية فـي اخلاقهـا وموهبتهـا ولغتهـا ٠٠

ثالثـا :

قـد يظل العـرب يتحدثون عن عبورهم وعن مجده ويظلون يسترون ويـكفرون بـه كـل هزائمهم وضعفهم وذنوبهم وفضائحهم حتى يصبح العالم لا يعرف عنـهم الا انهم شعب العبور او الشعب العابر ٠٠ وحينئذ قـد تنسى او تطرد وتهزم كلمـة « الشعـب العربي » ليصبح البديل « الشعب العبوري » ، ليصبح العرب هم «الشعب العبوري» لا «الشعب العربي» ٠ ويجب الا ننزعج او نخجل او نغضب من هذا الاحتمال فقـد يكون ربحا لنـا دون اي خسران ٠ واي خسران في الهرب من كلمة « عرب » ؟

قـد يكون لهذا الاسم الجديد العديد من المزايا ٠ منها ان كلمة «الشعب العبري» تصبح حينئذ بعض كلمة «الشعب العبوري» اي اقل منها اي يصبح «العبوري» اكثر من «العبري» اي يصبح الانسان العربي اي الذي كان عربيا اكبر منالانسان اليهودي٠

اليس العرب قوما صوتيين وقـد اصبح التصويت بهم اكبر مـن التصويـت باليهـود اذن هـ ماكبـر منـهم ؟

ان معنى هذا ان تصبح الامـة العبرية اي اسرائيل وكـل اليهود في العالم احـد

معانينا نحن العرب واحد تفاسيرنا واملاكنا وقوانا وامجادنا وانتصاراتنا ، لا معنى مضادا او عاصيا او معاديا او هازما او مذلا او متحديا لنا او خارجا علينا او آخذا منا او فاضحا لماضينا ومستقبلنا بالقسوة التي فضح بها حاضرنا ٠٠ نعم ، انه لم يفضح او يهج او يهن ماضي اي شعب او مستقبله بحاضره مثلما فضحت وهجت واهانت اسرائيل ماضي العرب ومستقبلهم بحاضرهم اي بما فعلت بحاضرهم أي بكشفها عنه وتفسيرها له ٠

اذن اليس هذا كسبا ومجدا لا يرتفع اليه اي مجد من امجادنا حتى ولا كل ما في قبور كل انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا ودراويشنا وآبائنا من امجاد مخطوب بها مكتوبة مقروءة مروية دون ان تكون مرئية او تستطيع ان تكون مرئية ؟ نعم ، اليس ذلك كذلك ؟ اي اليست كل امجاد العروبة هي امجادا مروية لا مرئية ، امجادا صوتية ؟

اليست كل امجادنا امجادا قبورية لا تراها العين او تمسك بها اليد او تحيا بها الحياة ، وانما يستمرغها الفم على الآذان والاقلام والصفحات والتاريخ ؟

اليست كل الامجاد المرئية هي امجادا غير عربية ؟

اليس العرب مرضى جدا بالوقار والتقوى الاخلاقية لهذا يرفضون ان تكون امجادهم مرئية ؟

اليست الامجاد العربية مصابة باقصى حالات الخجل والتواضع لهذا لا تستطيع او تريد او تقبل ان تكون مرئية،لهذا هي ابدا مروية قبورية منبرية ، تروى ويخطب بها وترقد في مقابرنا مع تاريخنا الراقد في مقابره دون ان ترى او ان تستطيع او يستطاع ان ترى او ان تحيا او ان يحيا بها احد ؟ اليست كل الامجاد العربية امجادا غيبية اي كالامجاد الالهية ، كالذات الالهية ؟

لماذا لا ترى الامجاد العربية ؟ ان الجواب عن هذا السؤال هو الجواب عن : لماذا لا ترى الذات الآلهية ٠

رابعا :

هذه محاولة لمعاتبة الذات انها محاولة مبتدئة ومع انها مبتدئة فانها تكاد تكون الاولى في معاتبتنا لانفسنا ولتاريخنا بكل هذا الجهر والرؤية ٠٠ انه عتاب للنفس لا يرتفع الى محاكمتها بل لعله لا يصل الى نقدها بالاسلوب المطلوب المفروض٠

اليس المفروض ان تجيء قسوة او قوة النقد متكافئة مع بشاعة الخطا او

الذنب او التقصير او العار او التدليل للنفس او الاعجاب بضعفها وتفاهتها مع سماجة وقبح الغرور بها والادعاء لها ؟

اذن هل هنالك من يستحقون ان يعاقبوا ويعذبوا باقسى النقد واشمله وادومه غير العرب او مثلهم ؟

هل تستطيع موهبة النقد في كل تاريخها ، في كل البشر ان تكون كافية لنقد العروبة وتاريخها او قادرة على ذلك ان كان محتوما ان يكون النقد متكافئا مع الاستحقاق له ؟ ان النقد القاسي الصحيح لعيوب الذات وضعفها ليست قيمته في انه نقد ولكن في انه رؤية وشجاعة وصدق ورغبة في الانتقال الى الافضل وتطلع الى ذلك وشوق اليه ٠ لهذا كم يجب ان نتعود نحن الشعب العربي او « الشعب العبوري » ما لم نتعود شيئا منه في كل تاريخنا، اي ان نتعود تقبل وغفران هذا العتاب او النقد للنفس الذي لم نتعود قط ان نقوله او نكتبه او نقراه او نسمعه، بل الذي لم يصبح يوما ما حلما او املا اوتصورا من احلامنا او آمالنا او تصوراتنا ، اعني النقد الذي يعني الرؤية والجراة والصدق والشوق الى الاقتحام والتغيير والاصرار على التنفيذ ٠٠

انها لقضية حضارية وانسانية واخلاقية ، بل وطنية قومية ٠

انها حروف اولى من لغة يجب ان تتعلم العروبة الجراة على النطق الجاهر بها وعلى الاستماع المتوثب اليها بكل معاني الاستقبال المستجيب المتلهف المتوقد ٠٠

انها لغة انسانية قد تخلفنا كثيرا عن بلوغ طورها ٠٠

ان اللغة الانسانية ليست للتفاهم او التخاطب او للتحدث عما هو موجود او للتعريف به او لامتداحه والدفاع عنه او لتفسير مزاياه الدينية او الاخلاقية او التاريخية او القومية او المذهبية كما نفعل نحن باللغة ٠ ولكنها اي اللغة الانسانية جهاز انساني هائل وشامل للتغيير والتخطي والخلق والابداع والرفض والرؤية المخترقة بلا حدود او حواجز ٠٠ حين يقال : الانسان كائن متكلم او لغوي يجب أن يعني ذلك انه كائن مخطط مقتحم مغير متغير رافض لذاته التي كانت بالامس ٠٠

ان اللغة عند الانسان الآخر لا تعني الا اقوى واعظم الوسائل للخروج والارتحال والصعود والطموح والرؤية البعيدة انها تطلع وزحف دائم الى الآتي البعيد الاعظم ، واحتلام به وحداء له ليجيء ٠٠

اما عندنا نحن الشعب العربي او « الشعب العبوري » فلا تعني اي اللغة الا

الاعتقال في التاريخ والخيمة والصحراء والبداوة الاولى والحراسة الدائمة على ذلك مهما اختلفت الاسماء والازياء والالوان ٠٠ اما النقد عندنا اي لو وجد فلا يعني ارادة التخطي او القدرة عليه اي على التخطي او دفع تكاليفه وانما يعني التلذذ بالجهر به ٠

ولهذا فاننا لا نعرف او نتكلم اية لغة انسانية مهما حسبنا وبدونا كائنات لغوية ٠٠ اننا غير لغويين مهما كانت السنتنا اطول من كل الالسنة ومهما تفوقنا على كل البشر بكثرة الكلام وبلاغته اللغوية وطنينه المفرغ من كل التفاسير والالتزامات والقيم الانسانية واللغوية ٠٠

ان من اعظم ما تعنيه اللغة لدينا ان تتحول الى جيوش حراسة لتمنعنا من ان نفهم او نفكر او نرى او نحاور او نحاسب او حتى نتكلم او نحتج و نغضب او نتألم او نئن او نصرخ مهما تهاوت علينا الآلام ٠٠ اي لتمنعنا من ان نغادر طفولتنا التاريخية والانسانية او نفكر في مغادرتها ٠ انها اي اللغة ليست الا سدودا وحدودا وقيودا نضربها على انفسنا ويضربها علينا كل قادتنا ومعلمينا وانبيائنا لئلا نغادر او نتجاوز او نكون او نعرف ٠٠

انها اي لغتنا لتمنعنا من كل ذلك لانها تحدد لنا كل شيء تحديدا مطلقا ، تحدده لنا كلما وجب علينا او اردنا او طولبنا ان نرى او نفكر او نفسر او نقرا او نسمع او نحاور او نحب او نبغض او نعجب او ننكر او نؤمن او نكفر او نريد او نعمل او نمدح او نذم ٠٠ انها تضعنا في ولادة واحدة وثوب وكفن وقبر وتاريخ واحد ٠

انها اذن اي لغتنا توقف او تقتل او تخيف وتهدد كل وظائف وتفاسيز وقوى وطموح الانسان فينا او تحاول أن تفعل ذلك بنا ٠ انه لذلك لحق ان يقال : ان اي عربي في كل التاريخ لم يتكلم قط وانه لا يوجد اليوم عربي واحد يتكلم او يستطيع ان يتكلم ٠٠!

ان العربي ليبعد عن ان يكون متكلما كلما تكلم او بدا مثل من يتكلم ٠٠

اذن كم يجب ان نتخطى لغتنا هذه صاعدين الى طور اللغة الاخرى ، لغة الانسان التي تعني التخطي لكل اطوار التاريخ وبداياته وتعني تعليم الارتحال والخروج الدائمين ، وتعني الرؤية والقراءة البعيدة المطلقة المتجددة الدائمة ٠٠ تعني انه لا يوجد تاريخ وانما يوجد خطو دائم يسمى تاريخا ؟ نعم كم يجب أن نصعد الى اللغة التي تعني الارتحال الدائم من الذات والتاريخ ومن كل موقع قديم ؟

كـم اتمنى ان نفارق كـل اطوار طفولاتنا التاريخية المستعصية على كـل معاني وصيغ النمو والنضج والتمرد وارادة الارتحال من التاريخ الى الحياة ·

كـم اتمنى ان نكبر في التاريخ ويكبر التاريخ فينـا ··

لقـد ظللنا طويلا ، طويلا بلادة وعجزا في التاريخ وظـل التاريخ فينـا كذلـك بـلادة وعجـزا ، طويـلا ، طويـلا ··

لقـد صغر التاريخ بنـا حتى كاد يفقد او ينسى او ينكر ضخامته بغيرنا ··

لقـد تحولنا طويلا ، طويلا الى هجاء للتاريخ كمـا تحول التاريخ الى هجاء لنا· فمتى يعتذر احدنا الى الآخر ويعوض عليه ويكفر عن هجائهلـه ؟ أينا يجب عليه اكثر ان يعتذر الى الآخر ويعـوض عليـه ؟

هـل اذنبنا الى التاريخ اكثر ام اذنب الينا اكثر ؟ ان ذنبنا اليـه اننا هبطنـا بـه وذنبه الينا انـه حفظ وروى هبوطنا · فاي الذنبين اعظم ؟

آه · مـا اقوى واعمق واشمل وادوم كـل صيـغ ومعانـي الطفولات الذاتيـة والنفسية واللغوية والانسانية والاخلاقية والتاريخية فينا نحن الشعب العربـي او « الشعب العبوري » ، نحن اصحاب « مجـد العبور » · لهذا فمـا احوجنا الى كـل الجسور والمصاعد والى كـل وسائل العبور لكـي نعبر عليـها كـل طفولاتنا هـذه لنتجاوزها ونرتفع فوقها وبعيدا عنها ·· ان كـل جسور ومصاعد الحضارات ووسائل عبورها عجزت عن أن تعبر بنا شيئا من طفولاتنا هذه ··

آه ·· اننا صغار ، صغار · لهذا تصبح أصغر الاعمال والامجاد بـل اكذبـها كبارا ، كبارا في مزاعمنا ورؤانا · فمتى نصبح كبارا ، كبارا لتصبح اكبر الامجاد والاعمال واصدقها واشهرها صغارا ، صغارا فـي افواهـنا وحساباتنا وتحديقاتنـا وطموحنا ؟ ان شموعنا الصغيرة او المنطفئة او التي لـم توجد لنراها ونزعمها اكبر مـن كـل شمـوس الآخريـن ··

آه · ما اصغر الافواه التي تتحول فيها أصغر الاشياء وأكذبها الى اكبر الاشـياء واصدقها · لهذا فمـا أصغر افواه النبوات والقيادات والزعامات العربية ؟ هـل كبرت او تكبر اتفـه التفاهات مثلما كبرت وتكبر في اكبر الافواه العربية ؟·

هـل كـان مستحيلا ان نصبح كبارا لا نصاب بشيء من الغرور حينما يصبح لنـا عبور ، يبدأ عبورا ويزحف عبورا وينتهي عبورا ويظـل عبـورا ؟ هـل كـان مستحيلا ان نصبح كبارا على ان نصاب باي شيء من الغرور حينما نفعل مـا يصبح معقولا ومقبولا ومغفورا ومنتظرا ان يصيبنا بكل نماذج الغرور ؟

هـل كان محتوما ان نظـل أصغر من كـل الاحجام ، نملأ الدنيا غرورا يصنـع الغثيان للكائنات التي لا تصاب بالغثيان حين ندبر عبـورا ليقرأ ويسمع عبـورا ، وينتهي ثبورا ، ليظل ثبورا وغرورا ، أي لنكتبه ونقراه ونسمعه ونعلنه نحن عبورا، عبورا ٠٠ اما العالم كله فيكتبه ويقرؤه ويسمعه ويعرفه ويفسره ثبورا ، ثبورا ٠٠

هـل كان محتوما ان نصبح ونظل صغارا لنصاب بكـل لغات الغرور وتفاسيره حينما نصبح هوانا وافتضاحا وعارا في كـل العيون والعقول والقراءات والتفاسير، في كل المقاييس والحسابات والنماذج ؟ وهل نحن نصبح كل هذا حينا دون حيـن لا دائما ؟ السنا كذلك كل الاحيان ؟ هل نستطيع أن نـكون حينا شـيئا وحينـا شـيئا آخـر ؟

هـل كان محتوما ان نصاب بموهبة غرور لـم تصب ولـن تصاب بشيء منها اقـل الحشرات وقارا واستحياء ؟ لماذا نحن وحدنا ؟. هـل تستطيع أو تقبل أدنـى الحشرات ان تصاب باي غرور لـو انه او لانه قد أصبح لها عبور مثل عبورنا ؟

أن قبـح غرورنا ليس في غرورنا فقط بـل وفي قبح اساليبنا في التعبير عنه ٠ وفي أيهما نحن أوقح وأقبح : في غرورنا أمفي تعبيرنا عن غرورنا ؟

انـه لا شبيه لقبح غرورنا الا قبح تعبيرنا وحديثنا عن غرورنا ٠٠ آه ايـها الغرور البليد السخيف المتحول الى استهزاء وسخرية وانفجاع ورثاء لكـل العالم وفي كل العالم لماذا وهبت كل صيغك وتفاسيرك لابناء العروبة ؟

كيف تتقبل ايـة مرآة ان يقف امامها أي عربي ليقرأ فيها وعنها باعلى وأقبـح الاصوات كـل لغات وتفاسير غروره متجمعا فيـه كـل غرور تاريخه ؟ ان العربـي ليرى في المرآة كـل غرور تاريخه حين يقف امامها ٠ ليرى خيول ونياق آبائه محلقة فوق النجوم لتمطر الارض بالحضارات والنبوات ٠٠

اذن كيف لا ترفض ايـة مرآة ان يقف امامها اي عربي ، رفضا لوقاحة وسذاجة غـروره واشمئـزازا مـن ذلـك ؟

من علم المرآة البلادة والهوان لتتقبل ان يقف امامها اي عربي ليرى فيها ويقـرأ عليها غروره ؟ كيف تتقبل ايـة مرآة ان يحدق فيها أي عربي ليقرأ عليها وفيها وليروي لها ويرى فيها كـل امجاد عبوره ٠٠ ليستفرغ عليها كـل امجاد عبوره ؟ كيف يقبل اي نجم ان ينظر اليه او يعيش تحته اي عربي بعد عبوره وبعد حديثه عن امجـاد عبوره وبعد اعجابه ومباهاته بعبوره ؟

نعم ، ايهـا « العبور » كـم انـت فاضح او آثـم او نـافع او مصحح للاخطـاء

لانـك قـد صنعت شكا او احتمالا بـل او يقينا بـان جميع امجاد العروبة المروية هـي من نوع مجدك قـوة وصدقا وضخامة وروعة وتعبيرا باللغـة او بالصوت ٠٠ اذن اي ذنب وفضح مثل ذنبك وفضحك ايها العبور اذا اثبت ذلك عن كـل امجادنا المدفونة في القبور والمروية عن القبور ؟ اي هاج ومكذب ومفسر بكـل القسوة لامجادنا الميتـة مثلـك ايهـا العبـور ؟

نعم، ان السفر والطيران الدائمين الى الآفاق الاخري القصوى على اجنحة الكلمات وبتخطيطها همـا التفسير الشامل الدائم لكـل لغـة انسانية ٠ ان اللغة الانسانية او الحضارية في تفاسيرها كلها ليست الا تحليقا وارتحالا الـى الاشواق والاهداف البعيـــدة ٠

اذن هـل يستطيع الانسان العربي ان يكون كائنا لغويا ، ان تكون لـه لغة ؟ نعم ، ان الانسان اي غيـر العربي باللغة يتعلم ويحلق ويسير ٠

اما الانسان العربي فانه باللغة يرفض ويقاوم ان يتعلـم او يعرف او يتخطـى او يتحـرك او حتـى يتكلـم ٠٠!

هل يستطيع صاحب « العبور » ٠٠ الذي تحدث عن عبوره كمـا تحدث ويتحدث ان يتكلم اية لغة انسانية اي ان يكون انسانا لغويا ؟ هل يمكن ان يحسب العـرب او ان يكونوا لغويين او متكلمين بعد ان تحدثوا عن عبورهم بالاساليب التـي بهـا تحدثـــوا ؟

لقـد تحول حديثنا عن عبورنا وعن امجاده الى هجاء لكـل الآذان الاخرى التي استطاعت وتقبلت ان تستمع الينا ، والى هجاء لكـل اللغات اي في حساب من يروننا كائنات لغوية ٠ وهل يوجد من يروننا كذلك اي كائنات لغوية ؟

لقـد تحولنا بذلك الى شماتة ونشوة لئيمة لكـل الشامتين والمعادين والساخرين والمتلذذين بعار وهوان وافتضاح الاخرين ٠٠ والى تعذيب وترويع وانفجاع لـــكل الاصدقـاء والرحمـاء والانسانييـن ٠٠

لقـد اسعدنا الاعداء واللؤماء وروعنا الاصدقاء والنبلاء ٠٠

اننا بعبورنا وباحاديثنا عنه وعن امجاده وانتصاراته قـد اصبحنا اعظم فنانين في تاليف واخراج وصناعة المأساة الواهبة كـل الفرح والسعادة النشوى لبعـــض المشاهدين ، والصانعة ، كـل العذاب والخـجل والاسى للمشاهدين الآخريـن ، اي للقارئين والسامعين والمفسرين من الفريقين بالاسلوبين والاحساسين المختلفين ٠٠

بل السنا دائما عباقرة في صناعة المأساة الصانعة للسخرية والفرح والصانعة للاسى والخجل لاننا ابدا نحن شعب « العبور » ! والان لتسمعوا وتعرفوا وتعترفوا ! .

هل يوجد عباقرة مثل من يحولون اقسى الهزائم بالفعل والرؤية الى اعظم الانتصارات بالقول والسماع .. اي لتصبح اعظم الانتصارات بالتصديق والايمان والاقتناع والوطنية الثورية ؟

هل وجد او يمكن ان يوجد هؤلاء ؟

نعم ، لقد وجدوا ويوجدون دائما ، انهم العرب ، انهم اصحاب العبور .. لقد دللوا بعبورهم وباعلانهم عن عبورهم انهم اعظم المحولين لافدح الهزائم المفعولة المرئية الى اضخم الانتصارات المسموعة المقروءة المخطوب بها .

إذن هل توجد عبقرية مثل عبقرية العرب ؟

بهذا التفسير لا ، لا توجد ولن توجد ويجب الا توجد .. ان العرب دائما اضخم العبقريات اي العبقريات المضادة للعبقريات .. !

آه يا عبورنا البائس الحزين . ليتنا بلا اقدام ولا اجنحة ولا حركة لئلا نعبرك أو نحاولك ، او ليتنا بلا السنة لئلا نتحدث عنك ، اي لكي لا يسمع العالم زعماءنا وقادتنا وفلاسفتنا ومفكرينا وشعراءنا وفنانينا وقديسينا وعلماءنا وكتابنا العظام ، العظام وهم يتحدثون عنك ، وهم يرهبون بامجادك وكبريائك الشموس والنجوم وكل امجاد التاريخ وكبريائه وهم يخجلون ويفضحون كبرياء الآله بزعمهم انك اكبر هداياه وعطاياه لهم .. !

انني لو كنت آلها راضيا عن الوهيتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا والاعجاب والايمان ـ أو لو كنت عبقريا راضيا عن عبقريتي معجبا مؤمنا بها كل الرضا والاعجاب والايمان ثم سمعت العرب يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن عظمة الوهيتي أو عبقريتي لكان محتوما أن اشك في اني آله او عبقري بل ولرفضت وخجلت ان اكون هذا أو هذا اي ان كنت قد سمعتهم وهم يتحدثون ويخطبون ويكتبون عن « عبورهم » وعن امجاده ! .

اذن اليس محتوما ان يكون الآله قد وقع في ازمة او ورطة في علاقاته بذاته وفي اقتناعه واعجابه بها ؟

لقد كان راضيا عن نفسه مؤمنا بها رضا وايمانا مطلقين بلا حدود .. وكان من أقوى أسباب رضاه عنها وايمانه بها طوفان المدائح والتعظيمات والصلوات والهتافات التي كانت تغرقه بها وتصبها عليه كل الافواه العربية من فوق كل المنابر،

بكل الاقلام ، بل بكل الاصوات واللغات ، كل الاوقات ، حتى غرق في رضـــاه عـن نفسه وفي ايمانه واعجابه بها ٠٠ حتى اصبح عاجزا عن ان يقرأ نفسه أو يراهـا او بفسرها او يحاسبها او يشك في اي موقف و عمل و قيمة من مواقفه واعماله وقيمه ٠ لقـد اقنعه في نفسه مـا قاله ويقوله العرب فيـه ٠ لقـد سحروه وبهروه وقهـروه وخدروه واغنوه بمدائحهم عن كـل التصادم والحوار مـع ذاته والتفكير فيها والرؤية لهـا بـل وعن نقدها وتقويمها وعن محاولة تغييرها والسمو بها وعن ان يكون ايــة صيغــة اخــرى ٠٠

لقـد كان يصدق العرب جدا ، او لقـد اصبح يصدقهم لانـه يريد ويشتهي ان يصدق مـا يقولونه فيـه ولـه وعنـه ٠ لقـد مدحوه ومجدوه وزعموا فيـه ولـه حتى صار عاجزا ومستحييا ان يكذبهم او يرتاب في صدقهم ٠٠ لقـد افسدوه اي افسدوا الآله بمدائحهم كمـا افسدوا بهـا كـل سلاطينـهم وحكامهـم وانبيائهـم ودراويشهم ولصوصهم ودجاليهم في كـل تاريخهم ٠٠ ان من اعظم مواهب العـرب افسادهم لآلهتهم وكبرائهم وطغاتهم بمدائحهم لهـم ٠٠٠

نعم ، لعـل العرب مسؤولون عن مواقف الآله واعماله واخلاقه لانهم بمدائحهم وتمجيدهم لـه في كـل مـا يفعل ويرى ويريد ويكون جعلوه يتوقف ويكف عن ان يتغير ويتطور الى الافضل /والاذكى او الاعقل او الاجمل او الاعدل او الاقوى ٠ ان كـل العالم في كل التاريخ يتغير ويتبدل حكامه وطغاته الا الكون فان آلهه او طاغيته واحد ثابت لا يتغير او يتبدل ٠ اذن كم هو بائس هذا الكون ؟

ان مسؤولية العرب هذه لمسؤولية تهون وتغفر وتنسى امامها جميع المسؤوليات في كـل العالم بـــل في كل الكــون ٠٠

لقـد منعوا الآله او صرفوه او خدعوه او اغنوه او خدروه عن ان يحاول تغييـر وتطوير نفسه بتمجيدهم لـه كيفما كان وفعل وبزعمهم ان ذلك هـو الكمال المطلق ٠ لقد ظل كل الارباب يتغيرون الى الافضل الا رب هذا الـكون ٠٠

ولكن الآله الان لابـد ان يكون قـد سقط في ازمة او ورطة او قـد يسقط فـي ذلك وصانع هذه الازمة او الورطة هـو « العبور » والحديث عن امجاده ٠

لقـد كانت مدائح العرب لـه هـي التي خلقت فيـه رضاه عن نفسه واعجابـه وايمانه بها ورسخت فيـه هذا الرضا والاعجاب والايمان لانه كان يصدق العـرب جـدا فيمـا يقولون او كان يريد ان يصدقهم ٠٠٠

ولكن لقد سمع العرب يتحدثون عن عبورهم وعن انتصارات وامجاد عبورهم بالاساليب التي بها تحدثوا ويتحدثون ·· وهو يعرف كل هوان وعار عبورهم ·· لقد راى ذلك رؤية ··!!

فهل يستطيع بعد اليوم ان يصدقهم في اي شيء يقولونه عنه او عن اي شيء آخر ؟

لقد كان ايمانه بنفسه مساويا لايمانه بالانسان العربي مادحا واعيا صادقا اي مساويا لايمانه بالمدائح العربية · ولكن لقد سقط او المفروض ان يكون قد سقط ايمانه بالانسان العربي قائلا وصامتا ، مادحا وذاما بعد ان سمعه متحدثا عن « عبوره » وعن امجاد عبوره ·· اذن ما الذي يستطيع ان يبقي له ايمانه بنفسه اي بكونه آلها جيدا كاملا بلا اي نقص أو عيب ؟ اذن لا بد أن يتراجع عن ايمانه واعجابه بنفسه وان يتحول الى ناقد ومحاسب وقارىء لنفسه ولاخلاقه واعماله وحينئذ لا بد أن يصوغ أو يحاول ان يصوغ ذاته وتصرفاته صياغات اخرى افضل واقوى واكثر جمالا وحبا ورحمة وصداقة وفنا وشعرا وذكاء كونيا ·· نعم ، هل يمكن ان يرضى عن نفسه آله وخالق هذا الكون لولا مدائح العرب له ؟ هل قبل نفسه أو عمله الا مخدوعا بهذه المدائح العربية ؟

اذن لقد اعطى حديث العرب عن امجاد عبورهم اعظم النتائج لقد جعل ذلك الآله يغير ويصحح نفسه · وهل يوجد شيء يساوي في نفعه وعظمته ما يجعل الآله يغير ويصحح نفسه ؟

اذن ايها « العبور » الهزيل ان لك وللحديث عنك كما تحدثوا لمزية ، مزية عظمى ··! اذن اليس كل شكر يعجز عن شكرك ايها العبور الهزيل ؟ لقد جعلت الآله ايها العبور يرفض العربي مادحا ومتكلما لانه سمعه مادحا لك · اذن لا بد ان يرفض مدحه له · اذن لا بد أن يقرأ ويرى نفسه من جديد ··

ولكن اليس محتوما او محتملا جدا انيكون استماعه اي استماع الآله الى العرب متحدثين، مادحين وممجدين ومؤمنين ومصلين ومعاشرته ومعايشته ومصادقته ومحاورته ومعاملته لهم كل هذا التاريخ الطويل قد قتلت او اخمدت فيه أو سحبت منه كل القدرة على الرؤية والنقد والرفض والغضب والاستقباح وعلى التمييز بين الجمال والصدق والذكاء والشجاعة والشهامة وبين نقيض ذلك ، اي قد افسدت وشوهت فيه كل اخلاق ومواهب الآله المفترضة او المزعومة او المطلوبة ؟

واذا كان قد اصيب بذلك فلن يستطيع بل ولن يريد او حتى يقبل ان يكتشف قيمة المدائح العربية بل الكلمة العربية بعد ان جرحت واهينت وشتمت اثناء

طويلا ، طويلا بالمدائح التي قيلت والتي سوف تظل تقال عن امجاد « العبور » وعن معجزاته التي سوف يظل التاريخ في كل التاريخ يهاب ويرهب ويستحيي ويجبن عن ان يذكر اي مجد من امجاده لانه اي كل التاريخ في كل التاريخ سوف يظل مشغولا ومسحورا مبهورا مقهورا بامجاد العبور العربي ومعجزاته ، متصاغرا مصغرا محقرا لكل ما يفعله وينجزه محاسبا منافسا بامجاد ومعجزات هذا العبور العربي٠ هذا العبور العربي الذي لا بد ان يصبح ويظل نبوة وبطولة وقيادة وتاجا لكل التاريخ بل تاريخا لكل التاريخ ٠٠ بل صلاة ومعبدا ودينا لكل عقل التاريخ وقلبه وضميره واخلاقه وشهامته وتقواه ٠ !

وهل يمكن الا يكون الانسان العربي قد فعل كل ذلك بالآله بمدائحه له ؟ انه لا حدود لقدرة المدائح العربية على الاغواء والافساد والتشويه ٠٠

اذن لا خوف على الآله من ان يصاب بهذه الازمة او الورطة او الصدمة التي لابد ان تجعله يرى نفسه ويفقد ايمانه واعجابه بها ، ويرى انه لا بد ان يدخل عليها وفيها الكثير من التغيير والتصحيح بل كل التغيير والتصحيح ٠ انه اي الاله لم يكن يرى نفسه وانما كان مشغولا باستماعه الى المدائح العربية له ٠ ومن لا يرى نفسه كيف يريد تغييرها او تجميلها ؟

لقد تملق ونافق الانسان العربي اذنيه اي اذني الآله وانشد وغنى وصلى وهتف لهما واستفرغ فيها كل قبائح مدائحه واعتقاداته البدوية الجاهلة الحمقاء ــ نعم ، لقد فعل الانسان العربي كل ذلك في اذني الآله وباذنيه طويلا ، طويلا حتى نسي واهمل واسكت وامات اي الآله كل وظائفه ومعانيه الاخرى غير اذنيه ٠٠ كل وظائفه ومعانيه العقلية والنفسية والفنية والاخلاقية اي المفترضة المزعومة فيه وله

لقد تجمعت كل معانيه اي معاني الآله في اذنيه ، لقد تحول الى اذنين فقط تستقبلان وتطربان وتتنسمان لكل ما يستفرغ فيهما من الاكاذيب والبلادات والبذاءات ومن المستحيل ٠

لقد اصبح اذنين فقط لا تقرآن او تحاسبان او تحاوران شيئا مما يلقى فيهما٠ نعم ، لقد اصبح اذنين فقط كالانسان العربي ٠٠

لقد صاغه استماعه الى الانسان العربي ومعاملته وصداقته له الى كائن يسمع المديح والهتاف الغبي السخيف المنافق فيصدق ويطرب ويفرح ويرضى بلا اية تفاسير او مواهب او شروط اخرى كما صاغ الانسان العربي نفسه او كما صيغ الانسان العربي او كما صاغ الآله الانسان العربي ٠ لقد مرض الآله بحب

المديح وتصديقه وبالاستغناء به عن كل عمل جيد ٠ لقد اصاب مديح الانسان العربي بهذا المــرض العـــربــي ٠٠

لقــد فعــل الانسان العربي بالآله مــا فعله الآله بالانسان العربي ٠٠ لقد جمع الالــه كل طاقات وعبقريات وفروسيات وشاعريــات الانسان العربــي وكــل رؤاه واشواقه وامجاده وانتصاراته واديانه وتقواه وفنونه وكبريائه في فمه وفي أذنيه ، فعاد الانســــان العربي وفعل بالاله نفس الشيء ٠ لقــد جــزى الاله او عاقبه جزاء أو عقابا ملائما ٠ لقــد اصبحت كــل مواهب وعبقريات الآله في فمه واذنيه كما أراد للانسان العربي ان يكون كذلك، اي كما صاغ الانسان العربي كذلك٠ ولماذا صاغه كذلك هــل هــي خطة ام غلطة أم عجز ؟ أو لعلها شهوة شاذة ٠ لعله اشتهى ان يصــوغ الانســان العربــي كذلــك ٠٠

ولكنه بهذا العقاب الذي عاقب بــه الآله قــد عاقب نفسه وعاقب العالم بــل وعاقب الكون كله لانــه قــد جمد الآله في صيغته الاولى الواحدة فلــم يتغير او يتطور الى الافضل أو الاعظم كمــا تتغير وتتطور كــل الاشياء ٠ وهــل يوجد عقاب للكون والناس والكائنات مثل ان يظل المريد المدبر المخطط الخالق لكــل شيء والمسؤول عــن كــل شيء متجمدا في صيغة واحدة ابتدائية بدوية راضيا عنها معجبا مؤمنــا بهــا لا يريد أو لا يستطيع او لا يعرف تغييرها أو تصحيحها بــل او نقدها اي لان عقائد وهتافات ومدائح الانسان العربي لــه ، مهما كان وفعل ، ومهما كــف عن ان يكــون أو يفعل ، جعلته يرى نفسه في كــل كينوناته وتصرفاته هــو الكمال والجمال المطلق الابدي الذي لا يجوز التفكير في تغييره أو تبديله ، كما جعلته يزداد اصرارا على ان يظــل يريد ويفعل مــا لا يراد او يقبل أو يريح او يعقل او يغفر اي لأن الانســان العربي يزداد ايمانا واعجابا بــه وتمجيدا وصلاة وثناء عليه كلما أراد وفعل مــا لا يراد او يعقل او يقبل او يغفر او يريح ؟ أليس الانسان العربي يرى الله جميلا ورحيما وحكيما ومحبا حين يفعل كــل التشوهات والآفات اكثر من ان يراه كذلك اذا لــم يفعــل ذلــك ؟

لقد وجد الآله ان الانسان العربي يزداد ايمانا واعجابا بــه وحبا وتمجيدا لــه كلما فعل اي الآله الاخطاء والآلام والتشوهات والبلادات والنقائص ، وكلما عجــز أو رفض او جهل ان يفعل الحب والجمال والسرور والسعادة والمنطق والذكاء والعبقرية والانسانية ٠٠

اذن اليس محتوما ان يخشى فقدان هذا الايمان والاعجاب والحب والتمجيد لــو

انـه غيـر أو بدل شيئا من سلوكه هذا اي لـو انـه اصبح افضل او انبل او اعقل او اعدل او انكى او اتقى او اقوى مما كان اي مما وجده الانسان العربي ؟

نعم ، لقـد وجد الله ان الانسان العربي يتذكره ويمجده ويتضرع اليه ويصلي لـه ، ويري جماله وحبه وعبقريته ويعلن عن ذلك ويفسره ويزداد ثناء عليه وعلـى حكمته ورحمته ومحبته ويتصاعد ايمانه بـه كلما اوقع بـه كل التشوهات والامراض والآلام والمظالم وكـل فنون السوء اكثر ممـا يفعل لـه ذلك اذا لـم يوقع بـه ذلـك او اذا فعـل نقيض ذلك بـه ولـه ٠

اذن اليس المفروض او المعقول الا يكون الآله غيـر مـا كان لئلا يفقد هذه الامجاد والمدائح التي يهبه اياها الانسان العربي ، اي لـو انـه اي الآله تحول الى صيغـة افضل او اعظم او اقل قبحا ووحشية وبداوة ؟ لقد وجد اي الآله كـل مجده وسروره في ان يكون كما كان فما الذي يجعله يغامر ويخاطر بمجده وسروره اي بان يكون غير ما كان ؟ لقد اقنعه العرب بانه في صيغته هذه هو كل الجمال والكمال ٠ فكيف اذن يفكر في تغيير صيغته او يقبل تغييرها ؟

ولكن ماذا لو ان العالم عرف ان العرب بعقائدهم وهتافاتهم ومدائحهم للالـه بقدر ما يكون رديئا ومسيئا وخارجا على كل ما ينبغي ويراد ويعقل ويقبل هـم الذين قتلوا وافسدوا فيه كل معانيه ما عدا اذنيه ، وهم الذين قتلوا وافسدوا فيه كل القدرة على الرؤية والنقد والرفض والتغيير والتطوير والتصحيح لذاته ولسلوكه وكل الرغبة في ذلك ؟ وهل العالم لا يعرف ذلك ؟

نعم ، ماذا لو ان العالم عرف ذلك ؟

ان العرب في حساب العالم عربان : عرب قبل النفط ، وعرب بعد النفط اي بعد وجود النفط ٠ اذن لو ان العالم عرف هذه الحقيقة عن العرب وهم بلا نفط لكانت الاحتمالات والتفاسير قاسية جدا بل لعل الاحتمالات والتفاسير والنتائج تكـون جيدة جدا حينئذ ٠٠ فقد يكون من نتائج ذلك ان يبدل ويطور ويصحح الالـه نفسه وسلوكه ليصبح الـها بمواهب واخلاق الـه لا الـها بمواهب واخلاق حاكم أو زعيم او شيخ عربي ٠ لان العالم حينئذ لا بد ان يحمي الالـه من تضليل وتخدير وخداع العرب له بايمانهم وهتافاتهم ومدائحهم الذليلة الجبانة الجاهلة المنافقة المفسدة لن يستمعون اليها موجهة اليهم حتى ولو كان المستمع اليها هو الالـه ٠ وهذا لا بـد ان يعني احتمالا او حتما ان يصبح اي الالـه الـها بتفاسير ونمـاذج حضاريـة انسانية لا الـها بتفاسير ونماذج عربية بدوية جاءت على مقاييس المدائح والعقائد العربية ٠٠

أما بعد ان اذل واهان وافسد وروض النفط العربي كل عقول وقلوب وضمائر واخلاق ومواهب وحضارات وكرامات وعبقريات وانسانيات كل الشعوب فقد اصبح العرب مغفورة لهم كل ذنوبهم ووقاحاتهم وبداواتهم واهاناتهم وجهالاتهم ، بل لقد اصبحوا كل الجمال والذكاء والحب والعبقرية والشهامة في كل العيون والعقول والقلوب واللغات والمؤتمرات والهيئات والمنظمات حتى حينما يحولون الاله الى اذنين فقط تستمعان الى المدائح والتضرعات والهتافات والصلوات الكاذبة المنافقة الغبية البدوية فتصدقان وترضيان وتطربان كانهما اذنا نبي او سلطان او قائد او فيلسوف أو شاعر عربي • وهل يوجد مثل اذني الانسان العربي في استماعهما للمدائح السخيفة البليدة المهينة وفي طربهما وتقبلهما لها الا اذنا الاله المتخاطب المتعامل مع فم الانسان العربي ؟

اذن لا خطر أو امل او نفع في ان يعرف العالم هذه الحقيقة الان ••

نعم ، العرب قد افسدوا وشوهوا اخلاق الاله وضميره وقدراته ومواهبه بمدائحهم وهتافاتهم وصلواتهم وحولوه الى عاشق نفاق ، وايضا اذلوا وقهروا وارهبوا كل العالم بنفطهم ••!

اذن اي مجد او قوة مثل مجد العرب وقوتهم ؟

ولكن ماذا لو عرف العالم ان العرب هم الذين فعلوا بالاله ذلك ، اي لو عرف بعد ان تكون قدرة العرب على الاغواء والافساد قد ماتت اي مات نفطهم ؟ قد يقال انه لا خوف حينئذ لان العرب لا بد ان يكونوا قد فرغوا من افساد وتشويه واضعاف وقهر كل مواهب وقيم وفروسيات وقدرات واخلاق كل العالم باذلالهم اي باذلال نفطهم الطويل الاليم له اي للعالم • لا بد ان يكونوا قد فرغوا من تعريب وتطويع كل طاقات وطموح ورؤى ومعاني العالم ليكون مثيلا للعرب لا معطيا او معلما او مصححا لهم • وحينئذ لن يستطيع أو يريد او يعرف ان يحمي الاله منهم أو يطوره عن الصيغة التي صاغوه بها • انه اي العالم لا بد ان يكون حينئذ مساعدا للعرب على افساد الاله وخداعه لا منقذا أو مطورا او مصححا له ••

قد يرى القارىء هنا اني امزح واتالم ولست أجد • فاذا راى ذلك فاني عاذره حتما ••

نعم ، ان للعرب غزوتين أو هجمتين روعتا وصدمتا واهانتا العالم وفجعتا رؤاه وتفاسيره لنفسه وافكاره عنها واذلتا حضاراته وتفوقه •

الغزوة او الهجمة الاولى كانت بسلاح الاله والاسلام وباسمهما •

اما الثانية فبالنفط .. هذا السلاح العجيب الذي يهدد ويقاتل وينتصر دون ان يكون اصحابه مقاتلين او قادرين على القتال او مريدين للقتال او عارفين شيئا من فنون القتال أو قادرين على اي انتصار لو قاتلوا . انه لم يوجد سلاح يصنع النصر لاصحابه دون ان يقاتلوا او يستطيعوا او يعرفوا القتال غير النفط العربي .. ولـكن اي الهجمتين او الغزوتين ستكون اقسى أو اعظم النتـــائج تاثيرا في العالم وعـــلى العـــالم ؟

ان اعجب واقسى ما في الهجمة الثانية انها هجمة هجمها العالم بقوته وارادته وتدبيره ، على نفسه باسم العرب أو لمصلحة العرب ، تحت راية العرب ، دون ان يكون للعرب فيها سيف او رمح او خنجر او حتى مصحف ..

تعليم غير الموهوبين
أضخم عمليّة تزوير

« ٠٠ ان اسوأ فاقدي المواهب هم المتعلمون تعليما عاليا وان افضلهم أو اقلهم سوءا هم الذين لم يتعلموا هذا التعليم ٠ ان أردأ الناس هم الفاقدون للمواهب الذاتية اذا علموا تعليما عاليا وان اقل من هؤلاء رداءة هم الفاقدون لهذه المواهب اذا لم يعلموا هـذا التعليم ٠٠ انه لا عقاب ولا تشويه ولا افساد لاي انسان أو مجتمع مثل ان يعطى العاجز عجزا ذاتيا شهادة بانه قد اصبح نبيا أو عبقريا أو مبدعا أو خبيرا أو عالما أو مفكرا أو شيئا آخر عظيما ٠٠ أليس التعليم العالي لفاقد الموهبة يعني اعطاءه هذه الشهادة ، اي يعني تزوير الانبياء والعباقرة والعلماء والقادة والعظماء والخبراء في كل شيء ، أي يعني اعطـاء النبوة بلا وحي أو مجيء النبي بلا نبوة ؟ » ٠

هل تعرفون هذا ؟ كم هو واجب ان تعرفوه وقبيح واليم الا تعرفوه ؟ وهل يمكن الا تعرفوه ؟ وكيف تطيقون ان تعرفوه دون ان تقاوموه او ترفضوه او تنكروه ؟

اسمعوا ، اسمعوا اذن ..

ان تعليم المتخلفين ذاتيا يحولهم الى معوقين معطلين عالة .. الى ظاهرة عجز وتعجيز لهم ، والى موظفين بلا وظائف والى وظائف بلا موظفين ، دون ان يصنع منهم اي تعليمهم نبوغا او اخلاقا او اية قيمة او حتى تفوقا على الاميين في اي معنى انساني او اخلاقي او فكري او فني او حتى لغوي تعبيري . ان تعليم فاقدي المواهب في المجتمعات المتخلفة لن يكون الا عملية خصاء لكل عضلات ومعاني الانسان فيهم . بل ان تعليمهم لا بد ان يشوههم ويفسدهم ويحولهم الى عاهات انسانية وتعبيرية شاملة ضاجة بالقبح والعجز والسخف والفضح . انه اسلوب مثير من اساليب قطع الايدي والارجل والعضلات والرؤوس وكل الاعضاء وفقء العيون ليصبحوا عاجزين عن ان يعملوا أو يخطوا أو يصعدوا أو يفكروا أو يفهموا أو يروا أو يفعلوا اي شيء أو أن يكون لهم أي تفسير أو وظيفة في الحياة غير أن يكون مجتمعهم ملزما ملتزما بأن يصنع منهم ويجد فيهم موظفين بلا وظائف ، وانبياء بلا نبوات ، ونبوات بلا انبياء ، وعباقرة وفلاسفة وقادة بلا أية قدرة او فهم لاي شيء او على اي شيء ، مع الجراة على كل شيء والادعاء لكل شيء .. ليصبحوا عروشا وقيادات وجامعات ومعابد بكل تكاليفها ومظاهرها وطقوسها وضجيجها وبغرور وادعاء اكثر واغبى ، ولكن بلا ملوك او قادة او اساتذة او مؤمنين او مصلين .. ليصبحوا فرسانا وشعراء ومفكرين ومعلمين ومتكلمين ، ولكن بلا اية فروسية او فكر او شعر او كلام او معرفة ، ولكن بغرور وكبرياء لا تستطيع شيئا منهما او تجرؤ على شيء منهما كل الفروسيات والاشعار والافكار والمعارف والكلمات ، ولا كل الفرسان والمفكرين والمتكلمين والعلماء والشعراء ..

ان المجتمعات المتخلفة لتذهب تعاقب وتشوه نفسها وحياتها بكل الاساليب والقسوة البليدة حين تذهب بضجيج ودعاية وكبرياء تعلم غير الموهوبين الذين هم

كل من يتعلمون فيها ، لانهم فيما يرى ويبدو كل من فيها ، او لان كل من فيها متواضعون ومهذبون حتى ليرفضون من تواضعهم وتهذيبهم وتوادهم ان يكون فيهم موهوبون خشية ان يهينوا او يحرجوا غير الموهوبين ـ وحين تذهب اي هذه المجتمعات ترى وتعلن او تعلن دون ان ترى انها بتعليم هؤلاء تسرق من الشموس والالهة كل اضوائها وامجادها وكبريائها وسلطانها ·

انها اي هذه المجتمعات المتخلفة لتذهب تعاقب وتشوه نفسها وحياتها بكل الصيغ والتفاسير والضجيج دون ان يفعل العالم شيئا لمنعها من ذلك او لوعظها ونهيها او ياسى من اجلها · بل انه ليذهب يحرضها ويساعدها على ان تفعل ذلك بنفسها وحياتها بتعليم هؤلاء الفاقدين لكل المواهب القوية التي لا بد منها لكي يكون التعليم مشروعا ونافعا وغير متحول الى تعجيز وتشويه ·

ان غير الموهوبين في المجتمعات التي لا تلد الموهوبين يجب ان تعلم ايديهم وعضلاتهم وارجلهم لاعقولهم اوافواههم او عيونهم ·· ان يحشدوا في المصانع والمزارع والمناجم، لا في المدارس او المعاهد او الجامعات·· ان تدرب ايديهم وعضلاتهم وارجلهم على الحفر والرفع والتحطيم والعمل والخطو والقفز واخلاقهم على الفداء والعطاء والصبر والحب ، لا ان تدرب ايديهم او عيونهم او افواههم وذاكرتهم على القراءة والكتابة والمذاكرة والاستذكار والحفظ ، لا ان تدرب على ما لن يصنع منهم حفظا او مذاكرة أو تذكرا أو استذكارا أو قراءة أو كتابة فيها أو فيه اي نفع او مجد أو قوة او قيمة من اي نوع ، لا لهم ولا لمجتمعاتهم ·· ان يدربوا على الكينونة القوية المتفوقة لا ان تشحن ذاكراتهم وافواههم واهتماماتهم وأوقاتهم بقراءة وكتابة وحفظ ما لن يفهموا أو يحترموا أو يحبوا أو يسمو بأي شيء فيهم أو في الحياة ··

······ وقد تختار هنا المبالغة في التسامح والاعتدال فيقال : نعم ، ان هذا الراي جيد وصحيح اذا اريد التعليم الجامعي او العالي بكل مستوياته · اما التعليم المبتدىء والمتوسط فقد يكون غير نافع حرمان غير الموهوبين منه كما قد يكون غير ضار أن يتعلموه ، بل قد يكون نافعا ومجملا وجميلا ومطلوبا بل وزلاما ان يتعلموه بل وذنبا وظلما الا يتعلموه ··

قد يقال هذا وقد يصبح الراي فيه مختلفا ويصبح اختلاف الراي فيه وعليه محتملا ··

اما التعليم الجامعي او العالي فلا ينبغي ان يوجد راي ، مهما كانت الرغبة في التسامح والاعتدال ، يقول انه قد يكون نافعا أو مطلوبا او مغفورا تحت اي حساب

او منطق ان يتعلمه غير الموهوبين او يقبل ان يتعلموه او يعلموه · ان الذين يدعون الى تعليم هؤلاء هذا التعليم أو ينفذون هذه الدعوة لا يفعلون ذلك عن حساب او تفكير محسوب مدروس بل يفعلونه تاثرا بشعارات مطلقة خاضعة لحوافز الدعاية ·

انه لا يمكن تصور افساد او تشويه او خسران او عبث او بحث عن كل الاضرار والاخطاء والخطايا لايقاعها ومقاساتها مثل ان يعلم هؤلاء هذا التعليم اي الجامعي او العالـي ·

ولكن هل هذا هو فقط كل الخطر والضرر في تعليم غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة اي تعليمهم بالقلم والورق والكتاب وبالعقل او الفكر الذي لن يفهموه او يحترموه أو يستطيعوا معايشته او محاورته او حمله او تمجيده او حتى الاستحياء او الرهبة منه وامامه او حتى الاحساس به أو رؤيته أو معرفته أو الاعتراف بانسانيته اي بانتمائه الانساني ؟ ان الخطر والضرر حتما اكبر واكثر من كل هذا ·

ذلك ان تعليم هؤلاء غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة لن يتحول الى تشويه وتعجيز ، لهم فقط ، بل لا بد ان يحـولهم الى مشوهين ومعجزين لغيرهم اي الى ان يفعلوا بغيرهم ما فعله غيرهم بهم من تشويه وتعجيز ، اي بتعليم غيرهم ما علموا بنفس الاسلوب والتوظيف والنية والنتائج والتفاسير · اي انهم يتحولون الـى اجهزة تشويه وتعجيز وتعويق وتعطيل في مجتمعهم ، اي الى اجهزة خصاء لطاقة العمل وارادته وظروفه ونياته في من يعلمون · اي كانهم ينوون معاقبة مجتمعهم بما فعل بهم وجزاء ما فعله بهم · اليس اغلب التعليم في كل المجتمعات وكل التعليـم في كل المجتمعات المتخلفة خصاء لمعاني الانسان في الانسان ؟ أليس خصاء الانسـان سلوكا دوليا ؟

ان الذين لا يعملون لا بد ان يعملوا ضد العمل · فلن يوجد من يستطيعـون ان يجمعوا بين العجز عن العمل والعجز عن العمل ضد العمل الا بقدر مـا يستطيع اي كائن ان يجمع بين كونه غير حي وكونه غير ميت او بين كونه غير ذكي وكونه غير غبي ·

ا نجميع وسائل البشر وعبقرياتهم لا تستطيع ان تجعل من لا يصنعون التقدم والابداع والرخاء والذكاء والحضارة والخير والحب والجمال يكفون عن صنع نقيض ذلك ، عجزا او تعففا او شهامة او كرامة او حياء او طاعة واحتراما للالهة او للاديان او للمذاهب او للحياة او الجمال ···

ان جميع هذه الوسائل والعبقريات لا تستطيع ان تجعل من لا يستطيعون ولا يعرفون ولا يريدون ان يعلموا ما ينبغي ويحرك ويحيي ويبني ويقوي ويعز تعليمه

يكفون عن تعليم ما يفسد ويؤخر ويهدم ويميت ويضعف ويذل تعليمه ٠٠ لا تستطيع ان تجعل من لا يعلمون المعرفة والفهم والنشاط والحماس والاقتحام يهابون او يتاثمون او يستحيون او يتكبرون عن ان يعلموا ما يناقض وينافي وينفي كل ذلك ٠

بل اليس المجتمع يفرض على هؤلاء الذين تعلموا أو علموا ليتحولوا الى عجز وتشوه ، يفرض عليهم ان يصيبوا غيرهم بهذا العجز والتشوه ، يفرض عليهم ذلك باسم الفناء والشقاء فداء للوطن أو الدين أو المذهب أو الحضارة أو الحب أو الانسانية او فداء لكل ذلك او باسم كل ذلك ، دون ان يكون أي شيء من ذلك مقصودا أو مذكورا أو محسوبا في الفكر او الضمير ؟

ان المجتمعات المتخلفة لا تصيب بالعجز والتشوه فقط حين تعلم غير الموهوبين بل تلزم هؤلا الذين اصابتهم بالتشوه والعجز ان يصيبوا الاخرين بالعجز والتشوه٠ نعم ، ان عملية الخصاء لمعاني الانسان لا بد أن تصبح في المجتمعات المتخلفة وظيفة اجتماعية دعائية تؤدى باساليب متنوعة عديدة ضاجة ، والتعليم هو اقوى واشمل هذه الاساليب ٠

ان كل ما عند البشر من حضارات ومواهب وتقوي وطهارة نفسية ودينية ومذهبية لا تستطيع ان تحميهم أو تزجرهم عن ان يكونوا مستفرغين للالهة والنبوات والاديان والمذاهب وكل الوان المعتقدات والاحقاد والعداوات والسفاهات ومستفرغة عليهم ، ليحسبوا ويزعموا هذا الاستفراغ المتبادل قمة الذكاء والاقتناع والطهارة والتقوي والايمان والتدين والحب والاحترام للجمال والصدق ، وقمة التمجيد للالهة والاديان والاوطان والانسان ولكل القيم الحضارية والانسانية ٠ هل وجد أو يمكن أن يوجد على مستوى شعبي أو جماهيري اي اله أو نبي أو دين أو مذهب أو نظام أو زعامة بأيةوسيلة غير وسيلة الاستفراغ في اذان ونفوس الجماهير والالقاء المتكرر فيها وعليها؟

وقد يكون صوابا كل الصواب القول بأن تعليم فاقدي المواهب الذاتية القوية هذا التعليم لن تكون له اية قيمة باي تفسير الا بقدر ما يمكن ان يكون من ذلك للاستفراغ او القذف أو الالقاء المسمى والمحسوب « ايمانا » اي الا بقدر ما يمكن ان يكون في استفراغ الالهة والاديان والمذاهب والتعاليم والعداوات والخصومات التاريخية في نفوس الجماهير ، من قيم دينية ومذهبية وفكرية واخلاقية وحضارية وانسانية. لانه اي هذا الاستفراغ قد حسب وزعم ايمانا ورؤية روحية ونفسية وعقلية ، كشفية استكشافية كونية ٠

ان كليهما اي هذا التعليم وهذا الايمان القاء او استفراغ في الحفرة او في المكان غير الملائم ، وبصق او كتابة او وطء على الورق ، وليسا اي هذا التعليم وهذا الايمان استقبالا او حوارا او تفاهما او تعاملا او تحديا او مصارعة او تلاؤما وتوافقا وتعاونا او حتى ترائيا بين ذات وذات او فكر وفكر او قلب وقلب او ضمير وضمير او خلق وخلق او حتى بين شهوة وشهوة او هوى وهوى او مصلحة ومصلحة ، او حتى بين نذالة ونذالة · انه ليس في هـذا التعليم او هـذا الايمان اي تعبير أو نية تعبير من التخاطب او نياته الا مثل ما بين الانسان والحجر او بين الحجر والحجر من ذلك ··

ان المعارف او العلوم او الثقافات او الافكار او الحضارات او المجتمعات او الحياة لن تسعد او تمجد او تتقدم او تكبر او تقوي أو تفرح بتعليم هؤلاء الفاقدين للمواهب الذاتية القوية الا بقدر مـا تمجد وتسعد وتعظم وترضى وتفرح وتظهر وتنتصر وتجمل وترى الالهة والاديان والنبوات والمعتقدات والمذاهب ، ويتاكد وجودها وصدقها وخلودها وجمالها ، بايمان هؤلاء المؤمنين الذين آمنوا بالاستفراغ عليهم وفيهم ··· بايمان هؤلاء المؤمنين الذين لم يروا او يسمعوا او يحسوا او يفكروا او يفهموا او حتى يخبروا او يلقنوا ويعلموا ، وانما قذف فيهم قذفا ··· بايمان هؤلاء المؤمنين الذين لم يؤمنوا أو يريدوا ان يؤمنوا او يعرفوا انهم قد آمنوا او يعرفوا او يسالوا : ما هو الايمان او من هو المؤمن ، وانما اسقط فيهم اسقاطا ··· بايمان هؤلاء المؤمنين الذين تحولوا الى اقسى تحقير وتعيير للايمان وللمؤمنين لانهم آمنوا اي لانهم حسبوا وزعموا مؤمنين ، كما تحولوا الى اسقاط لكل احتمالات الذكاء او الصدق او النظام او الشرف عن اللغة لانها قد تقبلت ان يسمى الاستفراغ ايمانا والمستفرغ فيه وعليه مؤمنا بل لانها اي اللغة قـد فعلت ذلك وتعاملت عليه راضية عن عبقريتها معجبة بها مغنية لها ، حتى ليتصاعد بها اي باللغة الغرور الى أن تدعى وترى انها هي كل ادوات ووسائل كل الالهة لتوصيل وتبليغ وتفسير نفسها الى كل من تتعامل بهـم وعليهم وفيهم ومعهم ·

انه لحق ان يحسب هذا الاستفراغ المزعوم ايمانا عدوانا يجب رفضه ومعاقبته· اذن اليس حقا ان يحسب ويحاسب تعليم غير الموهوبين كذلك ؟ بل لا بد أن يكون تعليم هؤلاء هو اقسى عدوانا واثما لانه اشمل واقسى في أضراره وافساده وتشويهه وفي خصائه لطاقات وارادات ونيات وظروف العمل في الانسان ، من هذا الاستفراغ المحسوب المزعوم ايمانا ·

اجل ، ان التعليم الجامعي او العالي لفاقدي المواهب الذاتية القوية يشبه أن يعد من فقدوا ايديهم وارجلهم وعيونهم وحاسة السمع وكل الحواس والاحاسيس الاخري ، ان يعدوا لكي يضع مجتمعهم في ايديهم كل اجهزة القيادة ,اجهزة الاطلاق والتوجيه والتسديد والتحريك والتشغيل والاشعال والتحرك والسير والتوقف، مقودة مامورة اي هذه الاجهزة التي هي كل اجهزة حياة مجتمعهم بأيديهم وارجلهم وعيونهم وآذانهم وحواسهم واحاسيسهم التي هي غير موجودة او التي لم توجد قط ولن توجد ابدا ٠٠

لهذا فانه لم يوجد ولن يوجد اردأ أو أعجز أو أقبح أو أكثر ضلالا وسفها وخطايا من المجتمعات المتخلفة التي يقودها ويحكمها رجال فاقدون للمواهب الذاتية القوية قد علموا تعليما جامعيا عاليا ٠٠

وانه لصواب القول بان المجتمعات التي يقودها ويحكمها رجال لم يتعلموا اي تعليم ولكنهم موهوبون لا بد ان تكون افضل واذكى واعقل من هذه المجتمعات التي يقودها المتعلمون التعليم العالي الفاقدون للمواهب الذاتية القوية ٠٠ بل انه لافضل واذكى واعقل من هذه المجتمعات مجتمع يقوده ويحكمه رجال غير موهوبين ولكنهم لم يفسدوا ويشوهوا ويعقدوا بالتعليم الذي لن يكون الا ارهاقا وتشتيتا واحراجا واخجالا وتحديا مهينا معجزا لمواهبهم ومزاياهم الضئيلة او المفقودة ، لكي يكونوا محكوما عليهم بالتحركات والخطوات والمبارزات والادعاءات والتظاهرات العشوائية البليدة السفيهة المغرورة القتالة الصانعة لاقسى السخرية ولكل السخرية ، لانهم متعلمون تعليما عاليا وهم قادة وحكام وهم ايضا فاقدون لجميع المواهب الذاتية القوية ٠ اذن اليس محتوما ان يتحركوا على جميع جبهات وآفاق الحماقات والسفه والجنون والمخاطر ؟ هل يمكن ان يوجد من يساوي هؤلاء في قيادتهم المحتومة الى الخراب والاخطاء والافتضاح ؟

انه ليجرؤ المنطق والتقوى الدينيان والمذهبيان والحضاريان والفكريان والانسانيان ، في كل مستوياتهما واخلاقهما ومواقعهما ، ان يريا ويعلنا انه خير لاي مجتمع ان يحكمه ويقوده حاكم او قائد أمي موهوب أو غير موهوب من أن يقوده ويحكمه قائد أو حاكم متعلم اعلى تعليم ان كان بلا مواهب ذاتية قوية ٠٠ قائد أو حاكم بلا اية موهبة ذاتية قد علم تعليما عاليا ٠ هل تجد الاخطاء أو الغباء أو الالام والفضائح مجدا لها مثله؟ هل تجد مثله ضاجا زاحفا الى كل الوان الحماقات والجنون في مواكب من الضجيج والغرور ؟

ان العالم اليوم ولا سيما المتخلف منه ليواجه آفة رهيبة ، تلك هي انه يريد ان يعلم كل العاجزين في كل مزاياهم وطاقاتهم الذاتية كل انواع ومراحل التعليم ٠٠ ان ذلك يعني اعداد هؤلاء العاجزين عجزا تكوينيا لكي يكونوا بالالزام والحتم والمنطق والوطنية والانسانية هم كل عيون وآذان واخلاق وعقول وطموح ومنطق وعضلات وطاقات وعبقريات كل مجتمعاتهم ، او كل الحاكمين والموجهين والمعلمين لكل ذلك والمعبرين عنه والمتحكمين فيه بل وكل الصائغين المفسرين له ٠٠٠

اليست نتائج مثل هذا على مجتمعاتهم وفيها لا بد أن تكون اكثر خطرا وضررا وتعويقا وتشويها من كل غزو خارجي مدمر ، ومن كل هرب من كل تقدم علمي وحضاري وانساني وفكري واخلاقى ، بل اشد خطرا وضررا وتعويقا وتشويها من كل الاعمال التخريبية التدميرية التجهيلية المدبرة ؟

اليس ذلك اسوأ من وضع كل الايدي والارجل في يد ورجل مصابتين بالشلل المستعصي ، ووضع كل العيون في عين ولدت بالكمه المولود الذي لا يداوى ؟

ان الظروف الحضارية والانسانية والدعائية الدولية الجديدة هي التي هيات لهذه الافة ومجدتها ودعت اليها بل وفعلتها زاعمة لها اضخم واجمل المزاعم الحضارية والانسانية بل والكونية ٠ ولعله من المحتوم الدائم ان تلد وتعلم وتصنع كل حضارة ما يناقضها ويعاقبها ويشوهها ٠ بل لعل كل شيء جيد لا بد أن يفعل ذلك دون ان يريد او يدري ٠٠

واضرار هذه الافة على المجتمعات متفاوتة كثيرا ٠ فاضرارها على المجتمعات المتخلفة فادحة وشاملة رهيبة ٠ ان هذه المجتمعات لتهبها اي لتهب هذه الافة كل الظروف والاسباب والمقويات والمحرضات لكي تكون شرورها وآلامها متالقة مهيمنة حاسمة ٠ اذ لا يوجد في هذه المجتمعات زاجر او مقاوم أو فاضح أو فاهم أو مستنكر لها ، كما لا يوجد فيها بديل عنها او منافس مزاحم ٠٠٠

ان كل ما في هذه المجتمعات لا بد أن يتحول الى عون وهتاف واغراء لها ٠

وجميع المجتمعات المتخلفة تعيش وتقاسي اليوم شرور وآلام وفضائح هذه الافة اي آفة ان يصبح المتعلمون العاجزون عجزا تكوينيا ذاتيا هم كل عيونها وآذانها وعقولها وضمائرها واخلاقها ومنطقها وطموحها وعبقرياتها وطاقاتها واصواتها ولغاتها ، وكل الحاكمين الموجهين المعلمين الصائغين المفسرين لها المعبرين عنها المتحدثين باسمها المتحكمين فيها المساومين عليها المتاجرين المبارزين بها المشاتمين المعادين نيابة عنها وعن اخلاقها ومصالحها وكرامتها ٠٠

لهذا فان التحديق والتفكير في هذه المجتمعات لن يعنيا الا كل الغيظ والغضب والاشمئزاز والانفجاع ، واحيانا لن يعنيا الا كل الشماتة والنشوة اللئيمة والفرح البذيء الآثم ٠ اجل ، هل يصنع الغيظ والاسى أو الشماتة والفرح البذيء مثل مجتمع متخلف يحكمه قادة بلا اية مواهب قد علموا تعليما عاليا اي جامعيا ليواجهوا هذا العصر بكل تحدياته وتعقيداته ، قوته وضعفه ؟

نعم ، ان تعليم الموهوب يسلح موهبته ويشحذها ويسددها ويطلقها ويفجرها منتشرة على كل الافاق والجهات والاعماق والاهداف واليها ٠ ان الموهبة بلا تعليم تظل مثل النظرية العبقرية بلا تطبيق والكتاب المبدع بلا قراءة جيدة منفذة والعين المبصرة تعيش في الظلمة الدائمة ٠

اما تعليم فاقد الموهبة الذاتية فلن يجد فيه شيئا يخاطبه او يعامله او يطلقه سوى أن يهبه الجراة والقدرة والشرعية على ان يعبر عن عجزه المولود الطبيعي بكل الاصوات والاساليب الاعلانية ، وعلى ان يفرضه على كل القيم الحضارية والثقافية والانسانية ، وان يجعله النموذج والتفسير الشامل الدائم لها ، وسوى ان يشحنه بالتشوهات المتولدة من العقد المتولدة من عجزه عن المواجهات المفروضة عليه ومن رهبته منها مع التزامه والزامه بها ومع اضطراره الى أن يخطو ويفعل ويقول دون ان يرى او يستطيع او يفهم أو يستطيع أن يفهم ٠ بل ان تعليم غير الموهوب لا بد ان يزيد ضعفه وبلادته ضعفا وبلادة لانه اي تعليمه لا بد أن يرهقه ويحرجه لانه يلزمه بما لا يستطيع وبما لا يعرف ٠٠

اما المجتمعات المتقدمة فانها لن تقاسي كثيرا او لن تقاسي البتة من اضرار هذه الآفة أو لن ترى أو تدرك مقاساتها منها ٠

تفسير ذلك ان اصحاب المواهب الذاتية المتفوقة لا بد ان يتخلقوا بتتابع وديمومة وبروز ودوي وقوة في هذه المجتمعات ٠ وهم فيها لا بد ان يتعلموا كل مراحل والوان التعليم موزعين على كل ذلك ، وحينئذ سيكون من المحتوم ان يستولوا على اغلب أو على كل مراكز ومواقع القيادة والتوجيه والتحريك والتسيير والخلق والمواجهات الصعبة ٠ ولن ينافس أو يمانع أو يعارض فى ذلك اصحاب المواهب المفقودة أو الضعيفة ٠ بل انهم لا بد ان يتنحوا لهم برضا وسعادة وصدق واعجاب وتاييد ٠ وسوف يكونون عونا لهم وتثبيتا لا منافسة أو مزاحمة أو مناقضة ٠ ان فاقدي المواهب وضعافها في المجتمعات المتقدمة اي فى المجتمعات التى تلد وتخلق وتصوغ اصحاب المواهب

المتفوقة ، لا يستطيعون أو لا يريدون أو يعرفون أو يتقبلون ان يجيئوا في نذالة أو حقد او غباء او وقاحة او انانية فاقدي المواهب في المجتمعات المتخلفة فاصحاب المواهب الضعيفة أو المفقودة في المجتمعات المتقدمة لا بد أن يكونوا متقدمين في صيغة واسلوب ومستوى فقدهم للمواهب المتفوقة وضعفهم فيها ، ان يكونوا سلوكا ونيات وانفعالات متلائمين متكافئين مع مجتمعاتهم المحكومة المقودة المسيرة الموجهة بذوي المواهب الذاتية القوية. ان فقد الموهبة في المجتمع الموهوب لن يكون الاصيغا واساليب موهوبة ان هذا الفقد في مثل هذا المجتمع لن يكون الا تعبيرا موهوبا والا فقدا موهوبا ان المجتمعات التي تلد اكبر الكبار لن تلد اصغر الصغار ان صغارها لا بد أن يكونوا كبارا لان كبارها كبار ، لكي يكون التفاهم وكذا التعامل بين الفريقين موصولا ومستطاعا ونافعا بل وخلاقا . ان كينونة الموهوب الكبيرة المنتصرة لدليل على انه يتعامل مع موهوبين في قدرتهم على التعامل مع الموهوبين وعلى فهمهم لهم ..

..ان ضعاف واغبياء الاذكياء الاقوياء لن يكونوا في غباء او ضعف اغبياء وضعفاء الاغبياء الضعفاء ، كما ان ضعاف الحيوانات او الطيور القوية لن تكون في ضعف ضعاف الحيوانات او الطيور الضعيفة ...

ان اكبر الرؤوس لن تنبت فوق اصغر الاجسام ، وان اضخم الاجسام لن تنمو فوق اضعف السيقان والاقدام ..

ان ضخامة الثمرة وجودتها لدليل على قوة وجودة الشجرة التي حملتها وصاغتها واعطتها .

ان اذكى الافكار لن تتفجر بها اغبى الرؤوس او اصغر الرؤوس ...

ان اعظم العباقرة لن يتكونوا في ارحام اردا او اجهل او افسد المجتمعات او السلالات . ان ارحام المجتمعات الضعيفة لن تحبل بالمواهب القوية .. والمجتمعات المتقدمة بممارساتها الحرة القوية الذكية لكل اساليب والوان حياتها واشواطها الحضارية والانسانية قد تمنع بلا قمع او حجر او اكراه او تشريع او اهانة او اشعار بالاهانة او نية اهانة ، قد تمنع فاقدي المواهب الذاتية القوية من ان يتعلموا تعليما عاليا اي تعليما لا يحتاجون اليه ولا يحتاج اليهم ولا يتلاءم معهم أو يتلاءمون معه ولا ينفعهم أو يسعدهم ان يتعلموه او يضرهم الا يتعلموه ، ولا يشعرون بالنقص او الهوان الا يتعلموه بل ولا يحتاجون الى ان يتعلموه . لانها اي المجتمعات المتقدمة تضع امامهم كل مجالات الحياة والتقدم الاخرى الملائمة المريحة النافعة لهم وبهم ، كما تضعهم في هذه المجالات الواسعة المتعددة المتنوعة الكثيرة النافعة الكريمة المطموح اليها ..

اي ان هذه المجتمعات لا تعطي شهادات بالنبوة او بالعبقرية او بالشاعرية او بالاستاذية أو بالفنية أو بالانسانية أو بالفكرية او بالقيادة والزعامة لكل احـد او لكل من يريد او يطلب هذه الشهادات المعطاة ، موقعة من جامعاتها ومعاهدها ...

اليس التعليم العالي اي الجامعي لغير الموهوبين يعني اعطاء هذه الشهـادات بهذه التفاسير لكل احـد ولكل من يريدها او يطلبها ؟

اليس ذلك يعني اعطاء النبوة بالشهادة لا بالوحي او الالهام او بالعروج الى السماء ؟

نعم ، اليس تعليم فاقد الموهبة في اي مجتمع متخلف تعليما جامعيا انما يعني جعله وزعمه نبيا او عبقريا او خبيرا او مخططا او مكتشفا او مبدعا او مفكرا او فيلسوفا او شاعرا او فنانا او قائدا باعطائه شهادة بذلك اي بالتوقيع لـه بانـه كل ذلك أو بعض ذلك ؟

اي أليس تعليمه هذا التعليم يعني حتما وضعه في مكان ومكانة هؤلاء او في مكان ومكانة بعض هؤلاء مع اقتناعه وتظاهره بانه قد اصبح كذلك ومع محاولته ان يثبت بالسلوك والادعاء انـه قد اصبح كذلك ؟ كانت المجتمعات البدوية تلد الانبياء بالرؤيا او بالادعاء واليوم تلدهم وتلد العباقرة بالشهادة ..

انت مواطن في مجتمع متخلف ، وانت بلا اية موهبة ذاتية قوية بل وانت بلا اية مزية من اي نوع ، باي مقدار ، ولكنك متعلم تعليما عاليا اي تحمل شهادة من جامعة ما محلية أو خارجية . اذن انت حتما نبي أو عبقري أو خبير أو مخطط مبتكر او فيلسوف او شاعر او فنان او ناقد او قائد او زعيم او انت كل هؤلاء ، اي انك مفترض ومزعوم وموضوع ومقروء ومفسر كذلك ومحكوم عليك ، مطالب بان تكـون ذلك وبان تزعمه وتقتنع به لنفسك وبان تلبس كل ازيائه وصيغه ، وبان تتكلم وتقف وتواجه كل لغاته ومواقفه ومواجهاته بل وبان تفعل كل افعاله . ومجتمعك المتخلف هـذا مجتمع مريح ومستريح . انـه لن يفهم او يتصور الفرق حينئذ بينك وبين من هو كذلك حقيقة اي بالموهبة . انه لا يعرف ان الموهبة اكبر واصعب من التعليم او انها غيره .. انه لمحتوم ألا يوجد أردا او أضعف او اغبى او أوقح كينونة مـن مجتمع كل انبيائه وعباقرته واساتذته ومبتكريه ومخططيه ومفكريه وفنانيه وشعرائه وزعمائه وقادته هم كذلك بالشهادات الجامعية الموهوبة الموقعة لا بالموهبة الذاتية . ان مثل هذا المجتمع لا بد ان يكون أسوأ في كل شيء من المجتمع المماثل الذي ليس فيه احد من

هؤلاء لا بالموهبة ولا بالشهادة الموهوبة . ان الاعمى لاذكى رؤية من الاعمى الذي ركبت فيه عينان مزورتان وحسب نفسه وحسبه الاخرون مبصرا .

نعم ، اليس المجتمع الذي ليس فيه احد من الانبياء او العباقرة او الفلاسفة او المبتكرين افضل او اقل سوءا وقبحا من المجتمع المشحون بالانبياء والعباقرة والمبتكرين والفلاسفة والاساتذة الذين اصبحوا كذلك بالشهادة اي بالعطاء الموقع من مكان يسمى جامعة ، ولم يصبحوا كذلك بأية مزية ذاتية او استحقاق ذاتي ؟ كما ان الغبي لا بد ان يكون اكثر ذكاء من الغبي الذي اعطاه المجتمع شهادة بأنه اذكى الاذكياء ثم الزمه بأن يعمل فيه وله ومعه على انه كذلك فصدق هو ذلك والتزم به ..

اليس اي جيش بلا اي قائد اعظم حظا او ابعد عن احتمالات الدمار والهزائم عن اي جيش له عديد القادة الناقضين لكل اوصاف وشروط القيادة ؟ انه لشيء مخيف جدا . انت عالم ويجب ان تعمل وتعامل كعالم لان معك شهادة من جامعة ، ايه جامعة .. ! أليس ذلك شيئا مخيفا جدا ؟

وهؤلاء المتعلمون في المجتمعات المتقدمة المحرومون من المواهب الذاتية المتفوقة المولودة معهم لو انهم ارادوا وحاولوا أن يصبحوا منافسين مزاحمين أو حتى مشاركين لاصحاب المواهب المتفوقة في قيادة مجتمعاتهم ، وأعني بالقيادة هنا معناها الشامل المطلق اي قيادة الحياة بكل قضاياها وميادينها وتفاسيرها ، لما استطاعوا ذلك . ان مجتمعاتهم لن تجعلهم يستطيعونه ، وان المتفوقين فيها لن يجعلوهم يستطيعونه انهم اي المتفوقين لن يتركوا أي مركز من مراكز القيادة اي قيادة الحياة والتقدم ، فراغا لكي يستطيعوا اي فاقدو المواهب القفز اليه ..

انهم لا يفعلون ذلك منافسة او انانية او غرورا بل استجابة لاملاء مواهبهم واحتياجات مجتمعهم ..

ان السباق في المجتمعات المتقدمة سباق مفتوح معروض تحت اقوى وأقسى الاضواء والتحديق والمراقبة والمحاسبة والنقد والاشتراط والمساءلة . انه لن ينتصر او يلمع فيه الا المتفوقون جدا . بل ان المتفوقين جدا ليقاسون ويرهبون من خوض هذا السباق لانهم يعرفون ويحسبون صعوبة الفوز فيه بل صعوبة ان يظل عجزهم عجزا مستترا او محترما او حتى مغفورا او معذورا ...

انه سباق لا تستطيع او تجرؤ ان تتدخل فيه مشاعر الرثاء او الحب او الاشفاق او المحاباة او الغباء او التسامح او العجز عن الرؤية او التحديد ..

انه سباق لن يفسده او يضلله الاختلاف في التقديرات او التفاسير او المواقف او العجز عن الذكاء او عن الصدق ..

ان احدا في هذه المجتمعات المتقدمة لن يضل في حساب او محاسبة نتائج هذا السباق اي السباق على قيادة الحياة وقيادة التقدم فيها .

ان الاميين ليقرؤونها اي نتائج وعطايا هذا السباق ، وان العميان ليبصرونها ، وان الاغبياء ليفهمونها ، وان الجهال ليعرفونها . انهم لن يختلفوا فيها مثل اختلاف المؤمنين في تفاسير كتبهم المقدسة أو ينتظروها مثل انتظار هؤلاء المؤمنين لصدق وعود انبيائهم الاسطورية الجميلة لهم ..

انها ليست تحدثا عما بعد الموت او عن احكام الزواج والطلاق وتعدد الزوجات في الجنة ، ولا عما في ضمير الآله وقلبه ونياته من حب وتمجيد وتدبير عظيم للعروبة والاسلام ومن تصميم على تحكيمهما في كل المستقبل على كل العالم والكون ، ولا عما في نفوس ومواهب الزعامات والقيادات العربية من عبقريات وصفاء وطهر وتقوى وقدرة على الانتصار والتفوق والصعود ، لولا دسائس ومكايد وتآمر كل خبث الشيطان والاعداء والاشرار ضدهم وعليهم . نعم ، انها ليست شيئا من هذا التحدث عن شيء من ذلك . انها ليست وعودا في جنة او تفاسير لنصوص او تحديقا في كرم ورحمة السماء وانتظارا لهذا الكرم والرحمة . ولكنها نزلوا فوق القمر او لم ينزلوا ، عاد رواد الفضاء او لم يعودوا ، انطلق الصاروخ او لم ينطلق ، بلغ الهدف او لم يبلغه، سقط فوق المريخ او لم يسقط ، اخطأ مسيره او لم يخطىء . انها ليست تفسيرا للنبوات ولكنها رؤية وقراءة وحساب ومحاسبة واحصاءات بالعيون والعقول الكونية.

انهم في هذه المجتمعات المتقدمة لا يقرؤون عن نتائج هذا السباق ولا عن تفاسيرها واحتمالاتها ومعوقاتها وظروفها ومتى تكون وكيف تكون حين تكون ، ولكنهم يجدونها ويعيشونها او لا يجدونها ولا يعيشونها اي يجدون نقيضها ويعيشونه اي نقيض النتائج المزعومة المطلوبة المنتظرة ..

انهم ليسوا عربا يظلون ابدا بلا رؤية او محاسبة او غضب او حتى مساءلة او تعجب او رثاء للذات ، يقرأون ويسمعون ويفسرون ويصدقون ويروون خطب ووعود ونبوات انبيائهم وسلاطينهم وخلفائهم دون ان يصدقوا او يكذبوا ، اي دون ان يصدق شيء مما قالوا او يكتشفوا هم كذبهم فيصبحوا في رؤيتهم كاذبين .

ان هذا السباق في هذه المجتمعات سباق لن ينتصر فيه من يستحق الهزيمة أو ينهزم فيه من يستحق الانتصار . وحتما سيكون اعظم المجتمعات هو المجتمع الذي

لا ينتصر فيه احد يجب ويستحق ان ينهزم ، ولا ينهزم فيه احد يستحق ويجب ان ينتصر .. وحتما سيكون اردأ واقبح المجتمعات هو المجتمع الذي يحدث فيه نقيض ذلك . وهل وجد مثل هذا وهذا من المجتمعات كينونة لا تمنيا وتصورا فقط ؟

قد يقال انهما قد وجدا بكل قسوة وقبح هذا التباعد والتضاد . أليس من الصدق ان يقال ولكن بصيغة اخرى : انه لم يحدث ولن يحدث ان انتصر او ان ينتصر في مجتمعاتنا العربية كل من يجب وينبغي ان ينتصروا او حتى احد منهم ، أو ان انهزم أو ان ينهزم كل من يستحقون الانهزام ؟ أليس جميع المنتصرين والمتفوقين والمتصدرين بل وجميع العباقرة الكونيين الذين قد كانوا والذين هم كائنون اي مي مجتمعاتنا العربية هم من الذين يستحقون ان يوضعوا في المكان الاخر المناقض ؟

وقد تكون المبالغة في الورع مطلوبة هنا ، فيقال : اكثر هؤلاء لا كلهم ..

• قد يقال ان من صعدوا فوق رأس التاريخ من عباقرة وابطال العرب قد يستحقون الصعود الى قدميه فقط . وهذا كثير ..

أما المتقدمون في المجتمعات المتقدمة فلن تجهل او تخطيء او تكذب او تنافق عيونهم او عقولهم او اخلاقهم او حساباتهم او احاسيسهم او معارفهم او اجهزتهم ليروا او يزعموا القمر اكبر حجما او اعلى مكانا او اكثر اضاءة او حرارة من الشمس ، او ليسمعوا ويتعلموا تفاسير القمر من تفاسير مفسريه بآياتهم واناجيلهم لا من تفاسير الهابطين فوقه ، المحطمين لصخوره ومجده ، القارئين لاحشائه ، المسقطين الماحين من فوق جسمه اي جسم القمر ووجهه وثيابه وبراءته وطهارته كل صور وآثار وكتابات واخلاق الالهة والمتحدثين عنها وباسمها وبحثا عن بصماتها ومجدها المتوحش . ان سطوع القمر في هذه المجتمعات لن يبهر اكثر من سطوع الشمس او ان يسرق سطوعه من سطوعها كل العيون او بعض العيون .

ان اصحاب اعلى القامات شموخا لمطالبون في المجتمعات المتقدمة بان تكون قاماتهم اعظم شموخا . وقد يتهمون بقصر القامات ، وقد يرون كذلك .

اذن كيف يمكن ان يبدو في هذه المجتمعات اقــزام القامات ؟ كيف يخشى ان يسرقوا فيها السماء ، ان يسرقوا فيها النجوم من ذوي اعلى القامات والهامات شموخا ؟ كيف يخشى ان يصبح الاميون المباهون بأميتهم الابدية انبياء ومفسرين لمجد الآله وذكائه ومحبته ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته المخزونة في ضمائر وقلوب واخلاق الحشرات والعاهات والامراض والموت ـ انيصبحوا كذلك في المجتمعات التي حلقت شموسها ونجومها واقمارها فوق شموس واقمار ونجوم هذا الآله الامي

الواضع الخازن حبه ومجده ورحمته وحكمته وكل عبقرياته وفنونه وشاعرياته في ضمائر وقلوب واخلاق واجنحة الحشرات والتشوهات وكل الوان العذاب والرعب والخراب ..

ان انهزام من يستحقون الانهزام هو افضل واقوى معاني الانتصار وانبل واتقى معاني الانهزام ، كما ان انتصارهم هو اقبح وافدح معاني الانهزام واوقح وافجر معاني الانتصار ...

وايهما افجع واقسى ايلاما : أن ينتصر من يجب ان ينهزموا ويستحقون الانهزام أم ان ينهزم من يجب ان ينتصروا ويستحقون الانتصار ؟

نعم ، انها لكثيرة هي المجتمعات التي ينتصر فيها من يستحقون الانهزام ومن يجب وينبغي أن ينهزموا او ألا ينتصروا . ولعل هذه المجتمعات هي اكثر المجتمعات او كل المجتمعات مع الاستثناءات القليلة المحتومة المعروف مكانها . ولكن كم هي المجتمعات التي ينهزم فيها من يستحقون الانتصار ومن يجب وينبغي ان ينتصروا ؟ وهل وجدت او يمكن ان توجد امثال هذه المجتمعات ؟ واذا وجدت فهل توجد الا شذوذا والا اختراقا للديمومة والثبات والشمول ، بل وللمنطق بكل تفاسيره ؟

اليس وجود ذوي المزايا الذاتية القوية في اي مجتمع انما يعني ان هذا المجتمع الذي وجدوا او ولدوا وتخلقوا فيه مجتمع قوي متقدم موهوب ، لهذا يلد ويهب ذوي المزايا والمواهب القوية ؟ وهل يلد او يهب ذوي المواهب المتفوقة الا المجتمعات الموهوبة المتفوقة ؟ اليس المولود والولادة هما ابدا صفات وتفاسير الوالد ؟ أليست قوة الولادة والمولود وضعفهما تعبيرا محتوما عن قوة الوالد وضعفه ؟ هل يحدث ان يجيء مولود قوي عن ولادة ضعيفة او عن والد ضعيف ؟ اذن فوجود ذوي المزايا الذاتية القوية لا بد ان يعني ان المجتمع الذي وجدوا وجاءوا منه مجتمع ذو مزايا قوية . ومثل هذا المجتمع هل يمكن ان يهزم فيه من يجب ان ينتصروا ومن يستحقون الانتصار ؟ ولو وقع مثل هذا فهل يقع الا شذوذا لا بد ان يعاب ويرفض ويزال ؟

أليس التفوق في ولادة المواهب لا بد أن يعني تفوقا مماثلا في فهم هذه المواهب وفي استقبالها والتعامل معها وبها وفي الانتصار لها ؟

هل يمكن تصور مجتمع يلد العباقرة والاسود والصقور ثم يظل يحكمه ويقوده ويخضعه وينتصر ويتألق فيه التافهون والارانب والغربان ، ويظل يتلاءم ويتفاهم ويتعادل مع التافهين والارانب والغربان ، تاركا رافضا مهملا ما في داخله من اسود وصقور وعباقرة ؟

اذن فحيث يوجد مجتمع كل المنتصرين فيه هم ممن يجب ان يهزموا وممن يستحقون ان يهزموا فلن يكون التفسير الا ان ذلك المجتمع لا يلد او يهب او يتخلق فيه من يستحقون ان ينتصروا او من يجب او ينبغي ان ينتصروا ·

بل حيث يوجد مجتمع يتقبل او يأذن او يرضى او يستطيع ان ينتصر او يتألق فيه ولو احيانا هؤلاء الذين يستحقون النقيض ويجب ألا ينالوا الا النقيض اي نقيض التالق والانتصار فلن يكون التفسير الا أن هـذا المجتمع مجتمع غير موهوب اي لا يلد الموهوبين ولا يتخلقون او ينبتون فيه لهذا لا يفهمهم او يلتزم بالتعامل معهم أو يبحث او يسال عنهم اذا اختفوا او غابوا او أبعدوا بل ولا يشعر بفقدهم اذا فقدهم · وهل يمكن أن يشعر الفاقـدون للموهوبين بانهم فاقـدون لهم ؟ هل يمكن أن يعرف صفات الموهوبين من لا يلدونهم ؟

اذن فكل من يبكون على مجتمع من المجتمعات لان الضعفاء والاغبياء والتافهين والفاسدين قد انتصروا وسادوا وتالقـوا فيـه بينما ظـل الاقوياء والاتقيـاء والعباقرة فيه مهزومين مسحوقين عاجزين مغمورين تابعين - نعم ، ان كل مـن يبكون هـذا البكاء لن تكون دموعهم مشكورة او مغفورة او مقبولة او معقولة أو ذكية· اي لانها دموع ذرفت على غير شيء وفي غير مكانها ·· ذرفت على مصاب غير مصابها ··

انه لا بد ان يكون السؤال عن مثل هذا المجتمع : لماذا لا يلد او يخلق الا العاجزين والتافهين والفاسدين ·· ولا يصح او ينبغي ان يكون السؤال : لماذا ينتصر ويتألق فيه العاجزون والتافهون والفاسدون وحدهم ويهزم ويخمد وينطفيء فيه كل مـن سواهم · لان مثل هذا السؤال هو حتما بلا موضوع او قضية · لانه لن يوجد مجتمع يحدث فيه مثل ذلك اي تحلق فيه النمال والصراصير وتزحف فيه النسور ··

وهكذا ينبغي ان يكون تفسير كل اسى وبكاء على مثل هذا المجتمع ··

ان مـن آفات الشعوب العربية او مـن خصائصها او مـن مزاياها ان تفاهاتها وزواحفها وآثامها اقدر على الانتصار والتحليق والقيادة والتألق من عبقرياتها وصقورها وقداساتها · ان هذه تظل في قاع حضيضها وهوانها وظلامها بينما تصعد تلك لتحتل وتسرق كل سمواتها واضوائها وامجادها ·

ان من اصالات الانسان العربي الخالـدة ان يجيء اغبياؤه وتافهوه وفاسدوه وأوغاده اجرأ واقدر على النضال والاقتحام والسيطرة من اذكيائه وعبقرييه وصالحيه واهل الشهامة والفروسية فيه ·· ان يجيء النبي الكاذب الفاجر الغبي اقدر على ان

يصبح نبيا فيه من النبي الصادق الذكي التقي ·· اي هكذا يرى ويزعم دعاته ومعلموه ·· وهكذا يفسرون عجزه واخطاءه وآثامه وضعفه وتخلفه وجميع نقائصه · ان معلمي العرب ودعاتهم ليرون انهم قد صعدوا الى اعلى سموات الذكاء والرؤية والصدق حين يعلنون هذا الراي ··

اذن فالعالم العربي معجز وخارق في كل شيء حتى في كون زواحفه اقدر على الطيران والتحليق من صقوره · بل في كون زواحفه هي القادرة على الطيران والتحليق دون صقوره ··

وايضا هو خارق ومعجز في كون اغبيائه وضعفائه ومشوهيه اشجع واجرا واذكى واقوى وانشط واعظم حماسا ومغامرة ومخاطرة من عباقرته واقويائه واسويائه· بل في كون اولئك هم وحدهم الجراء الاذكياء الاقوياء الشجعان الحماسيين النشطين المغامرين المخاطرين ، دون هؤلاء ·· في كون دجاليه اقدر من انبيائه على ان يصبحوا انبياء ، ويحسبوا ويروا انبياء ، ويعلنوا انفسهم انبياء ، ويؤدوا وظائف النبوة ·· في كون دجاجه أقدر وأجرأ على اقتحام سمواته من نسوره وصقوره · نعم ، الزواحف أقدر واجرأ على الطيران والتحليق من النسور والصقور في سموات العروبة ·· هكذا يقول معلمو العرب ودعاتهم ··!

ان في هذه القضية لمسؤولية أو خطيئة أو جريرة كبرى · انها مسؤولية أو خطيئة او جريرة الدول المتقدمة ··

أليست هذه الدول المتقدمة تصنع للدول والشعوب المتخلفة انبياء وعباقرة وخبراء في كل شيء ، تصنعهم من فاقدي المواهب الذاتية بكل انواعها ومستوياتها ··· تصنعهم او تزورهم باعطائهم الشهادات ، باعطائهم النبوات والعبقريات وكل الخبرات بالشهادات ، لكي تصنع منهم شهادات زور كبري عالمية حضارية ، لتعاقب وتشوه وتفسد بها الدول والشعوب المتخلفة باساليب شمولية ودعائية دولية ··· لكي يذهب هؤلاء العباقرة والانبياء والخبراء المزورون يتعاملون مع شعوبهم وبها ومع العالم وبه ومع الحضارات والعبقريات والنبوات والخبرات وبها بلا اي قدر من ذكاء او قدرة او رؤية او خلق او وحي او الهام او حياء اية عبقرية او نبوة او خبرة ، بل بكل الخروج على كل ذلك ، بل بكل التشويه والتحقير والتعيير والغيظ لكل نبوة وعبقرية وخبرة ؟ أليس هذا يساوي ان تصنع اخطر الاجهزة الكاذبة الفاسدة لتكون هي كل الاجهزة الموجودة والمستعملة والموثوق بها في حياة وتقدم هذه الدول والشعوب المتخلفة؟ أليس هذا ما يعنيه تعليم غير الموهوبين ؟

هل وجد او يحتمل ان يوجد تزييف او تزوير مثل هـذا ، اي مثل ان تعطي جامعات الدول المتقدمة شهادات لكل من يتقدم اليها بلا اية موهبة او احتمال موهبة من رعايا الشعوب المتخلفة ، تعلن وتشهد اي هذه الشهادات المعطاة بانه اي هـذا المتخلف ذاتيا المتقدم اليها قد اصبح نبيا او عبقريا او خبيرا خلاقا او فيلسوفا او مفكرا او ناقدا او فنانا او شاعرا او مؤرخا او قائدا عسكريا او اي شيء يريده ويطلبه. او بانه قد اصبح كل ذلك ، لكي يعتقد ويعتقد فيه ويتصرف وكانه قد اصبح كذلك ؟

اليست جميع الدول المتقدمة تفعل هذا بكل الدول المتخلفة وتفعله لها ؟ نعم . اليست جميع الدول المتقدمـة اصبحت مزورة ، تزور الانبيـاء والعباقرة والخبراء والمفكرين والفنيين لتصدرهم الى المجتمعات المتخلفة ؟

اليست جميع الدول المتحضرة تهب التحضر لمن لا يستطيعون ان يتحضروا وتزعمهم وتعلنهم متحضرين اي باعطائهم شهادات بذلك ؟ اليست هذه أبشع واخطر عملية تزوير في العالم بل في الكون ؟

وهل هذه الدول المتحضرة تصنع ذلك خبثا وتآمرا ، أم حبا ورثاء ومجاملة ، أم متاجرة وبيعا ، ام اضطرارا ام حياء ، ام املا وتوقعا ، ام غفلة وانخداعا ، ام شهامة تحولت الى اعتداء على التفكير والرؤية والاخلاق والرصانة ، بل الى اعتداء على التحضر وعلى منطقه واخلاقه وشرفه وايمانه وكبريائه ؟

وأيهما اقسى نتائج واكثر خروجا على الذكاء والامان والامانة ان يوضع قـادة عسكريون لا يعرفون ولا يمكن ان يعرفوا اي عمل او فن من اعمال وفنون الحـرب والعسكرية ليقودوا جيشا الى حرب رهيبة ام ان يوضع على القيادة الى الفكر والعلم والعقل والتقدم والاخلاق والى كل فنون التطور والتحضر والحياة الجميلة الفنانة الذكية القوية النظيفة قادة لا يعرفون ولا يستطيعون مهما تعلموا وعلموا ان يعرفوا او يحسنوا شيئا من ذلك ، ولكن باعطائهم شهادات تقول انهم قد اصبحوا اهلا لذلك ؟ ولا بد ان يتعاظم جدا قبح واثم هذا حين تكون جامعات الدول المتحضرة المتقدمة جدا هي التي تعطي هذه الشهادات ..

ما الذي اصاب ضمائر أساتذة الجامعات في العالم المتقدم حتى امكن ان تاذن لهم اي ضمائرهم بان يعطوا بكل الاناقة والسهولة اعلى الشهادات لفاقدي المواهب مـن ابناء المجتمعات المتخلفة ؟

نعم ، انه لا يمكن تصور شيء ينبغي او يستحق او يجب ان تضرب وتفرض عليه اقسى واذكى الشروط الذاتية مثل الذين يراد تعليمهم تعليما عاليا اي قبل ان يعلموا ويسمح بان يعلموا هذا التعليم ٠

انه لو كانت جميع الاشياء بلا اية شروط لظل شيء واحد محتاجا الى اقسى واكثر الشروط ، ولكان هذا الشيء الواحد هو الانسان الذي يراد ان يعلم تعليما عاليا ٠

انها شروط ذاتية وليست شروطا اخرى ٠ انها ليست شروطا عقلية او نفسية او اخلاقية او انسانية او حضارية او عاطفية او تعبيرية فقط بل انها كل ذلك اي انها كل هذه الشروط الذاتية مجتمعة ٠

ان الانسان يولد ماشيا على قدمين ويولد لغويا اي متكلما قبل ان يستطيع المشي او الكلام ٠ كذلك يولد اخلاقيا وانسانيا وحضاريا وعاطفيا وشجاعا ومهذبا شهما نبيلا وفيا وكذلك يولد عبقريا وشاعرا وفنانا ومفكرا ، او يولد نقيض ذلك اي قبل ان يستطيع هذا او نقيضه اي قبل ان يستطيع التعبير عن هذا او عن هذا ، تحت الظروف الملائمة والمشترطة ٠ ان كل انسان يولد نبيا او عبقريا او يولد نقيض ذلك بالاسلوب الذي به يولد اي كائن ليكون انسانا او ذئبا او غرابا او ذبابا دون ان يستطيع اي شيء ان يسحب منه يوم ولادته ٠

ان كل ما يفعله اي انسان في كل حياته تحت جميع الظروف المتفاوتة والمتناقضة سواء افعل كل العبقرية والشهامة والنظافة والتقوى ام فعل نقيض ذلك ـ نعم ، ان كل ما يفعله لن يكون الا تفسيرا ليوم ولادته والا تعبيرا عما جاء مختزنا في ذاته يوم ولادته ، والا توزيعا واخراجا لذلك باشتات الصيغ ٠٠ فالانسان بكل طاقاته وتفاسيره ومنجزاته ليس الا موهبة تتخلق ايام تخلقه ومع تخلقه ٠ وجميع التعاليم والتعليم والظروف لن تكون الا تحاورا وتخاطبا مع هذه الموهبة واخراجا وتفسيرا لها ٠ ولكنها لن تخلقها او تزيدها او تنقصها ٠ بل ان الانسان يولد قارئا وكاتبا لهذا فان الكائنات الاخرى لا تصبح قارئة او كاتبة لانها لا تولد كذلك ٠ فالكائن يساوي ولادتــه ٠٠

اذن فالانسانية والاخلاقية والحضارية والعاطفية وجميع النوعيات البشرية ليست الا موهبة تولد مع الانسان يوم ولادته كما تولد معه موهبة المشي والكلام واللغة والقراءة والكتابة ٠ وكما تولد مع اي حيوان او نبات موهبته اي قدرة واحتمالات كينوناته التي لن يستطيع غيرها او اكبر او اذكى او اصغر او اغبى منها ٠٠ متى

تتخلق او تنبت اسنان الانسان وشعرات وجهه ؟ تنبت او تتخلق يوم ولادته بل وقبل ذلك . ومتى تولد او تتخلق مواهبه الانسانية المختلفة ؟ تتخلق او تولد يوم تتخلق او تولد اسنانه وشعر وجهه اي ساعة ودلاته بل قبل ذلك ...

ان تعليم اي كائن ـ الانسان او غيره لن يستطيع ان يكون الا حوارا وتعاملا مع موهبته التي تخلقت وولدت معه وفيه والا تعبيرا عنها وتفسيرا واخراجا وتحريكا وايقاظا لها اي ان كانت موجودة . أما اذا لم تكن اي الموهبة موجودة فلن يكون تعليمه اي تعليم الانسان او غيره الا فضحا وافسادا وتشويها وتعذيبا له واعلانا عن قحطه الذاتي ..

ولن يستطيع اي كائن ان يتخطى يوم ولادته الا بأن تضاف الى ذاته طاقات ونوات وولادات اخرى متفوقة ان كان ذلك ممكنا لا بأن يعلم اي تعليم او كل تعليم . فالتعليم اي تعليم لن يكون اضافة للذات المعلمة ، لن يكون الا تفاهما وتخاطبا معها والا توصيلا وارشادا لها الى نفسها وتعريفا لها بها وقراءة لها عليها اي على نفسها ، وسقيا وغرسا واستثمارا لبذورها وجذورها . ان اي تعليم لن يكون عطاء للذات ، لن يكون الا تفجيرا واطلاقا وتفسيرا وصياغة لها او اندحارا ووقوفا على بابها وحروفا على ثيابها لانه لا يجد فيها شيئا يفجره أو يطلقه أو يفسره أو يصوغه أو يخاطبه او يتعامل معه ..

اذن فكل من يراد لــه ان يعلم تعليما عاليا يجب ان تفرض على موهبته الاخلاقية والانسانية والحضارية والنفسية والعاطفية كل الشروط واقسى واذكى الشروط التي يجب ان تفرض على موهبة الذكاء والعقل فيه لان كل هذه مواهب ذاتية تولد مع الذات اي تولد طاقاتها ومقاديرها ونشاطها وحراراتها وضميرها وبسالتها ورفضها وعفتها ومقاومتها ، لا صيغها او لغاتها او اقتناعاتها او مذاهبها او شعاراتها او مذاهبها أو محاريبها ومنابرها واربابها ..

فهذه الاخيرة تكتسب او تجيء بالتعليم او الاستمرار او من التاريخ او الظروف او مكان الولادة دون الاولى اي دون الموهبة التي لا بد ان تولد ولادة مع الذات كما يولد اللون والنوع والجنس . ان الانسان يتعلم ويعلم اللغة ولكنه لا يعلم القدرة على تكلم اللغة . لهذا فان التعليم العالي لفاقد الموهبة الحضارية او الاخلاقية او النفسية او العاطفية أو الاحتجاجية الباسلة المقاومة المعجبة والمشمئزة قد يكون اكثر عبثا أو عقما او افسادا وضررا وتشويها من ان يعلم هذا التعليم العالي فاقد الموهبة العقلية والفكرية والابداعية . قد يكون التعليم العالي لفاقد الموهبة اقل ذكاء من محاولة تعليم الحشرة ان تتحول الى انسان يتحول الى نبي يفسر ما في خلق الحشرات من نظافة الاله وحبه

ورحمته وحكمته وعبقريته وشاعريته وجماله وعشقه للجمال كما يفعل انبياء الانسان ! ٠٠ انها لاقسى واخطر نماذج الغفلة والتقصير ٠ ان التعليم لا يساءل او يحاكم ، لا يقال له : لماذا ، او ماذا ، او كيف ، او متى ، او لمن ، او من ٠٠ لا يوضع تحت الحساب والمحاسبة والمراقبة والقراءة المفسرة، بحثا عن النتائج والاهداف المنتظرة والمطلوبة منه ٠٠

انه لا شروط له او عليه او فيه ، لهذا لا شروط فيمن يتعلمون ولا شروط عليهم اي من حيث القدرة على الصعود او الهبوط به والقدرة على تحويله الى قوة وجمال وذكاء وعلاج للمشكلات او الى عجز وقبح وبلادة وتعويق وغرور وقح مخرب معطل ٠ لهذا فان كل الناس فيه سواء ، لا انتقاء ولا تمييز ٠ مباح للجميع ان يعتدوا عليه وان يهينوه ويشوهوه ويهبطوا به الى كل حضيض ، مباح لكل الانذال والاوغاد والمشوهين والمعتوهين والساقطين والمقعدين والمرضى والادعياء والاغبياء ولكل المصابين بكل تفاسير ونماذج ومستويات العجز الذاتي ان يتزوجوه ويخادنوه وينزلوه الى حضيض مستوياتهم ، وبأن تعقد وتسجل لهم عليه عقود الزواج والمخادنة وشرعية الهبوط به الى حضيض نماذجهم ومواهبهم ، ويوهبوا بذلك وعليه الشهادات المكتوبة والموقعة بكل توقيعات وشروط واساليب الاعتراف والشرعية الدولية والمحلية ، ليحملوها في حقائبهم وجيوبهم وايديهم وعلى جلودهم وثيابهم والسنتهم ومقاعدهم ، وليعلقوها مصلوبة مهانة مشتومة مبصوقا عليها فوق جدران مكاتبهم المسروقة باسمها وفوق جدران غرف نومهم المسكونة بأردأ وأوقح وأقبح الحشرات العقلية والنفسية والاخلاقية والتاريخية الاصيلة الموروثة والمروية عن كل الاباء والانبياء والعباقرة الذين هم كل الماضي وكل امجاد التاريخ المجيد ٠٠

نعم وفوق جدران غرف نومهم المسكونة المشحونة بكل ألوان وتفاسير الجهل الذاتي العريق الاصيل الذي لا يستطيع اي علم او تعليم ان يشفي منه ، بل الذي يتعاظم ويتوقح ويزداد رسوخا وقبحا وغرورا وبذاءة واستعصاء على العلاج والتهذيب والفهم والتواضع كلما كبرت وعظمت الشهادة التي يحملها والتي تزعم انه قد تعلم اي تزعم انه قد اصبح نبيا او عبقريا ، والتي لا بد أن يعاقب ويشوه ويفسد ويحقر بها كل القيم الحضارية والانسانية والعلمية والفكرية والاخلاقية بل واللغوية ، بل التي كأنما اعطيها وحملها اي الشهادات لكي يصنع بها ذلك ، بل التي لا تفسير ولا وظيفة لها غير ذلك اي غير ان يعاقب ويشوه ويفسد ويحقر بها كل القيم الانسانية العظيمة ، لانها اي هذه الشهادات تبيح له ان يصنع ذلك وتساعده اي تعطيه الجرأة

والقدرة على ان يصنعه ٠٠ اذن هل توجد شهادات هي تحقير وتشويه لكل القيم الحضارية والانسانية مثل الشهادات العلمية التي تعطى لفاقدي المواهب ؟

اجل ، لقد اصبح التعليم بلا اي قدر من الكرامة او المجد لانه بلا اي قدر من الحراسة او الحماية او الشروط ، من الشروط الذاتية التي يجب ان تكون هي كل شروطه وشرط شروطه ٠ وهل للتعليم ، لاي تعليم شروط غير الشروط الذاتية في ذات من يراد له ان يتعلم ؟ وهل يجوز التعليم ، اي تعليم بدون هذه الشروط الذاتية ؟

وهل يجب ان تشترط اية شروط مثل ما يجب ان تشترط هذه الشروط ؟

ولكن اليس قد اصبح اي التعليم مباحا لكل من لا يستطيعون او يتقنون او يريدون غير ان يفسقوا بكل قيمه واخلاقه وتفاسيره كل الوان الفسق ؟

اليس قد اصبح مباحا لكل هؤلاء ان يوهبوا ويحملوا عنه وفيه وباسمه كل انواع الشهادات لكي تصبح تسويغا بل وتشريعا ليفعلوا به كل ذلك وليفعلوا كل قبحهم وجهلهم وضعفهم وبلادتهم ونذالتهم وكل فسادهم وشرورهم باسمها ؟ بل اليس ذلك قد اصبح واجبا لهم وجوبا حضاريا وانسانيا وقوميا وطنيا ؟ حدقي ايتها الحضارة فيما تفعلين ٠٠ حدقوا ايها المتحضرون ٠ هل فقدتم كل معاني التحديق ؟

انهم بكل مشاعر ولغات المباهاة والرضا عن الذات يقولون ، « ان التعليم للجميع ٠٠ انه كالماء والهواء والغذاء ٠٠ » اي يجب ان يكون كذلك ٠ اليس هذا يساوي ان يقولوا : ان النبوة والعبقرية والقيادة والزعامة حق للجميع مثل الماء والغذاء والهواء ؟ اذن هم بقولهم هذا لا يعرفون وظيفة التعليم ولا موضوعاته ٠

انهم يرونه تعاملا وعملا مع الذات وفي الذات داخل حدودها من اجلها ولحسابها فقط مثل الماء والغذاء وتنفس الهواء ووضع الزخارف والاصباغ والصور والورود وكل انواع الزينات على الثياب والوجوه وفي المكاتب وغرف النوم والصالونات وفوق ابواب وجدران البيوت ٠٠

انهم اذن لا يرونه اي التعليم تعاملا وعملا فقط مع المجتمع والحضارة وفيهما ومن اجلهما ، اي انه لا ينبغي او يراد او يستطاع ان يكون الا كذلك ٠٠ واذا كان اي التعليم ليس الا تعاملا وعملا مع الحضارة والمجتمع وفيهما ومن اجلهما فهو اذن لن يكون في اي تفسير من تفاسيره مثل الماء او الهواء او الغذاء او وضع الزهور فوق الصدور والمكاتب تجملا او تشهيا او عرضا للذات او اتباعا وتقليدا لسابقين كانوا مقلدين ايضا لسابقين كانوا قبلهم ٠ انه لا شيء يحقر التعليم ويهبط بوظيفته مثل

ان يقال ان لكل الناس ان يتعلموا كما ان لهم جميعا ان ياكلوا ويشربوا ويتنفسوا وينامول ويعشقوا ٠

ان التعليم ليس كشرب الماء او التغذي بالطعام او لبس الثياب الجديدة او العشق او النوم او الضحك او الغناء ، وانما هو مخاطرة كبرى في المجتمع وبه وضده احيانا بل كثيرا من الاحيان ـ اعني التعليم العالي الذي يبيح ويشرع لمتعلميه ولحاملي شهاداته ان يزعموا ويعلنوا وينصبوا فوق المجتمعات لنبياء وعباقرة ومبدعين خالقين صاعدين بها اي بالمجتمعات الى الشموس والنجوم والى الافاق البعيدة المجهولة المطلقة مهما كانت اعضاؤهم ومواهبهم واشواقهم اعضاء ومواهب واشواق زواحف وحشرات سامة ٠٠٠ ان القول بان التعليم العالي حق للجميع او فرض على الجميع قد يكون اكبر اثما وبلادة وبحثا عن التخريب والافساد والضلال من القول بانه حق للجميع او فرض على الجميع ان يعلموا ويدربوا ويحرضوا ويوهبوا القدرة والجراة والاقدام والشرعية على القتال والسرقة والغدر والخيانة والكذب والجبن والنذالة والوقاحة والجنون والضلال والتدمير والقيادة الى العجز الشامل الضاج المغرور البليد ٠

اليس كل هذا هو بعض ما يفعله ويتعلمه غير الموهوبين حين يعلمون تعليما عاليا لينصبوا فوق مجتمعاتهم انبياء وعباقرة وقادة وخبراء وعلماء ومخططين وفنانين ؟

نعم ، التعليم لا يراد به ولا يستطاع ان يكون تعاملا مع الذات او فيها او بها او تجميلا او مجاملة او انصافا او تعظيما وتضخيما لها او ارضاء لاشواقها وطموحها او مساواة لها بغيرها او استجابة لشعارات العصر وآماله وهتافاته او لحوافز التقليد والتشبه وضروراتهما ٠٠

انه ليس وضعا للاصباغ والالوان على الثياب والخدود والاظافر ٠ انه ليس تعلما للصلاة او للتضرع الى الاله ٠٠ انه اكبر واصعب واخطر كثيرا من كل ذلك ٠ انه اي التعليم وضع لقيادة سفينة الكون أو سفينة الحياة أو سفينة الحضارة أو سفينة يعيش في داخلها كل المجتمع بكل مشاكله واحتياجاته واشواقه ومخاطره وعبقرياته وتفاهاته في قبضة انسان ما بلا أية شروط ذاتية فيه بل وضد كل الشروط الذاتية ولكن لانه فقط قد اصبح يملك شهادة تزعم أنه قد اصبح متعلما ٠ وهذه السفينة الموضوعة قيادتها في قبضة هذا الانسان المزعوم متعلما تتحرك في كون لا حدود لحدوده ، كون مشحون بالظلام والضياع والاخطار وبالكواكب والنيازك والشهب والسفن المتناقضة المتصادمة المتعادية بل المتحاربة المقودة بلا قيادة وقادة او المقودة بقادة متناقضين

متعادين متخاصمين متلاعنين متحاسدين متفاوتين جدا في كل مواهبهم واخلاقهم واهوائهم ورؤاهم واتجاهاتهم وقدراتهم ومذاهبهم وانتماءاتهم العرقية والوطنيه والتاريخية ٠٠ اي ان تعليم غير الموهوبين تعليما عاليا يساوي وضع مثل هذه السفينة في قيادة ويد مثل هذا الانسان !!

اذن اليس محتوما ان يكون تعليم غير الموهوبين عقليا واخلاقيا ونفسيا اي غير المالكين للمواهب الذاتية القوية اخلاقية وعقلية ونفسية هو اي تعليمهم اخطر واردا في جميع نتائجه من تعليم القتل والسرقة والخيانة والغدر والغش والكذب والغباء والنذالة وكل انواع الفساد والسقوط مع تعليم القدرة والجرأة على كل ذلك ، بل ومع تسويغ وتشريع كل ذلك بكل مذاهب ووسائل ومنطق التسويغ والتشريع ؟

اليس هذا التعليم تعليما للهزائم والافتضاح والعجز وتعليما للجراة على ذلك ؟

اليس اخطر من وضع السلاح في يد القاتل المخرب ، ومن وضع الخزائن الثمينة الممتلئة في حماية يد وضمير اللص ، ومن وضع حراسة الحدود الوطنية والقومية تحت حماية قوات العدو المحارب الحاقد ، ومن وضع هاتك العرض والشرف حارسا للعرض والشرف ، ومن وضع برنامج التخطيط للصعود الى القمر في مسؤولية عقول وذكاء ومواهب واهتمامات من يفاخر أنبياؤهم كل العالمين بأنهم اميون لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون اي ولا يخجلون حين يفتضحون أي ولا يفتضحون حين يفتضحون أي ولا يدرون انهم يفتضحون حين يفتضحون ، اي ولا يتألمون او يستحيون لانهم يفتضحون لو عرفوا انهم يفتضحون ، اي ولا يدركون انهم يفتضحون حين يظلون يقرأون ويعلمون ويروون ويفسرون مباهاة انبيائهم للعالمين بكونهم أميين لا يقرأون ولا يكتبون ولا يحسبون ، اي ولا يتألمون او يحزنون او يخجلون حين يظلون اتباعا ورعايا لانبياء يعلنون بكل النخوة البدوية بانهم هم واتباعهم وأقوامهم خلقوا وصيغوا ليظلوا ابدا أميين لا يقرؤون ولا يكتبون ولا يحسبون ليظلوا أميين في عقولهم وتفكيرهم ومواهبهم ورؤاهم واخلاقهم وفي كل تفاسيرهم وصيغهم مهما قرأوا وحسبوا وكتبوا ، ليظلوا معلمين لكل العالم وافضل من كل العالم اي لانهم بالطبيعة والديمومة والموهبة الخالدة اميون بكل هذه التفاسير للامية ؟ ولكن هل حدث او يمكن ان يحدث ان يعلن نبي بكل المباهاة بأنه امي لا يقرأ ولا يكتب ولا يحسب لا هو ولا قومه ، ثم يظل قومه يقرأون ويكتبون ويروون ويفسرون قوله هذا بل ثم يظلون يؤمنون بنبيهم هذا ؟ هل حدث او يمكن ان يحدث هذا ؟

نعم ، ان هنالك اميين لا يقراون ولا يكتبون ولا يحسبون مهما تعلموا القراءة والكتابة والحساب واعطوا كل الشهادات من كل الجامعات واعظم الجامعات بل ان اميتهم الحضارية والانسانية لتزداد قسوة ورسوخا وافتضاحا حين يخرجون من أمية القراءة والكتابة · ان اغلب البشر لمحكوم عليهم بهذه الامية ، بهذه الامية الانسانية والمأساة ان الحضارة بكل انجازاتها وعبقرياتها لا تستطيع الانقاذ من هذه الامية العالمية العريقة ··

ولن يحكم على اي انسان او مجتمع باقسى او اقبح من هذه الامية لانها امية لا يستطاع الخروج او التخفيف منها باية وسيلة مهما كانت عبقرية هذه الوسيلة وقوتها الانقاذية · انت امي هذه الامية · اذن لا انقاذ لك مهما تعلمت ! · هل يوجد اقسى من هذا ؟ هل يوجد اقسى او اقبح من ألا يستطيع كل العالم بكل علمه وتعليمه أن يشفيك من اميتك الانسانية ؟

وانه لمحتوم وكما تقدم ان من حكم عليهم بهذه الامية لا بد ان يزدادوا قبحا وتشوها وافسادا وايجاعا ونذالة حين يعالجون من أمية القراءة والكتابة اي حين يصبحون متعلمين تعليما عاليا او جامعيا كما ان القتل والسرقة والغش والفسوق وكل الوان الفساد لا بد ان تزداد انتشارا وجراة حين يعطى المريدون لذلك والمستعدون له والمدربون عليه السلاح والقدرة ويسوغ ويشرع لهم ان يفعلوه ·· فكيف حين يوظفون لفعله بالاسلوب الذي يوظف به فاقدو المواهب المتعلمون ليفعلوا بلاداتهم وتشوهاتهم وكل ضعفهم ضد المجتمعات والحياة ؟

اغلقي ايتها النجوم عيونك لئلا تري ما يفعله ويوقعه المتعلمون غير الموهوبين بالحياة والمجتمعات وبكل قيمها حين يصبحون فيها وفوقها انبياء وخبراء وعباقرة وقادة وفنانين بل حدقي فيهم وفيها لكي تفعلوا شيئا ملائما منقذا ، اي لعلك تفعلين ذلك · كيف ، وهل يوجد ابلد من عيونك ايتها النجوم ، ابلد ممن صاغك وارادك بلا عيون ؟ ولماذا ينبغي او يطلب ان يكون للنجوم عيون ؟ هل للعيون في اي كائن وظيفة جمالية او اخلاقية او منطقية او حتى عاطفية ؟

ولكن هل هذا هو كل ذنوب وعيوب تعليم غير الموهوبين ؟ ليت ذلك كذلك · ان الخسران اذن ليس فادحا · ولكن كلا ··

ان المجتمعات الضعيفة المتخلفة لتذهب تقاسي اعنف المأساة واطولها انفاقا واهتماما وهموما وتدبيرا وتدريبا لكي تجعل من هؤلاء متعلمين ، لكي تصبح ملزمة ملتزمة بأن تدفع لهم الاجر بلا عمل بل لانهم ضد العمل ومفسدون لكل عمل ، وبأن

تدفع لهم الثمن بلا اية سلعة يصنعونها او يعرضونها ، بل لانهم معوقون ومفسدون مضللون لكل الاعمال والهمم التي تعرض وتبدع وتنتج السلع ...

ان تعليم فاقدي المواهب الذاتية .. العقلية والنفسية والاخلاقية ليس اذن تعويقا وتعطيلا وتشويها وافسادا وتجهيلا فقط ولكنه كل ذلك واكثر من كل ذلك مدفوعا ثمنه غاليا فادحا مرهقا .

اذن فتعليم غير الموهوبين ليس فقط تخريبا وتشويها وتعويقا وتشريعا وتسويغا للتخريب والتشويه والتعويق ولكنه ايضا اي تعليم غير الموهوبين مقاساة باهظة شاملة من الانفاق عليه ، من انفاق الموارد والاموال والطاقات والاهتمام والهموم بلا اي ناتج يقبض او ينتظر غير هذا التخريب والتشويه والتعويق وغير هذا التسويغ والتشريع لذلك .

***

لماذا نتعلم ؟ ان لهذا السؤال جوابا دوليا لن يصاب باي اختلاف . هذا الجواب الدولي : نتعلم لكي نصنع ونطور ونهب الحياة ونحولها الى قوة وجمال وفرح وحب وسعادة وفنون .. لكي نفعل كل ذلك لحياتنا ولحياة كل الاخرين . ولكن هل هذا الجواب الذي لن يصاب باي اختلاف عليه موجود في حساب كل من يتعلمون وكل من يصنعون وسائل التعليم للجميع وكل من يطالبون بذلك ؟ ان هذا الجواب محذوف من حساب ونيات اكثر من يتعلمون وحساب ونيات اكثر من يصنعون التعليم او يدعون اليه . بل أن حسابات ونيات اكثر هؤلاء وهؤلاء مناقضة كل المناقضة لهذا الجواب العالمي ..

ان اكثر هؤلاء وهؤلاء ليعرفون ان التعليم اي بأساليبه الحاضرة لا يراد به او منه الا ان يكون تشريعا وتسويغا وتأهيلا لاكثر من يتعلمون بالا يصنعوا او يهبوا للحياة شيئا وبالا يكونوا مطالبين بذلك او ملومين او مقصرين اذا هم لم يصنعوا او يهبوا شيئا من ذلك ..

لا يراد به او منه الا ان يتحول الى تشريع وتسويغ وتأهيل يفعله المجتمع باسم كل قيمه وشعاراته ليجعل من اكثر من يتعلمون هذا التعليم آخذين فقط ، آخذين من الحياة ومن المجتمع دون اي عطاء او انتظار اي عطاء او مطالبتهم باي عطاء . وهذا التشريع والتسويغ والتاهيل هو كل ما في حساب ونيات إكثر من يتعلمون . اي انهم يعرفونه ويتقبلونه ويطبقونه بفرح غير شهم .. أو هم يعرفون انه لن يكون الا كذلك مهما كانت الشعارات والدعاوي ..

ولان هذا العطاء ليس في حساب هذه المجتمعات فانها تضع كل من يراد تعليمهم في حجم وبعد وارتفاع واحد كما تضعهم جميعا في هذا الحجم والبعد والارتفاع الواحد ، كما تفترضهم جميعا هذا الحجم والبعد والارتفاع الواحد بل كما تصوءهم هذا الحجم والبعد والارتفاع ·

انها تضع لكل العيون والاذان والعضلات والقامات والبدانات مقاسات ذات درجات وحدود موحدة ، كما تضعها في هذه المقاسات حتى المصابة منها بالعمى والصمم والنحالة والقزامة · لانه ليس المطلوب او المفروض ان ترى او تسمع او تصعد او تقفز او تعمل او تبدع او تتلاءم او تبدو جميلة او مريحة او فنية بل ان يتحمل المجتمع والحياة كل التكاليف وان يتحول من يتحمل المجتمع والحياة الانفاق على وضعهم في هذه المقاسات ذات التكاليف الغالية الى معفين من ان يهبوا الحياة او المجتمعات اي شيء جميل او ذكي او نافع · انها تفعل مثل من يضعون لكل العيون الضعيفة والفاقدة الرؤية نظارات طبية للقراءة والرؤية موحدة الدرجة ·

ان كل المطلوب والمرجو والمنتظر ان يعطوا شهادات ، شهادات اعفاء لهم من كل عمل ومسؤولية ، وشهادات الزام والتزام للحياة والمجتمع باعفائهم من كل عطاء للحياة أو للمجتمع ، وشهادات الزام والتزام بالانفاق عليهم وبتوظيفهم بلا وظيفة بل وضد كل وظيفة · ان كل الحساب ان يضعوا على عيونهم نظارات طبية وليس في الحساب ان تكون النظارات رائية او مريحة او جميلة او نافعة او الا تكون نقيض ذلك ·

ولا ينبغي ان تحسب الامتحانات باساليبها المطبقة وضعا لمقابسات مختلفة لان الاحجام مختلفة · ان الامتحانات القائمة ولا سيما في المجتمعات المتخلفة او النامية لهي اردأ اساليب الهزل والعبث والخداع والتزوير القانوني الرسمي الجماعي لاعظم القضايا التي لا يستطيع كل الصدق والجد والاهتمام والاتقان والذكاء ان يكون كافيا لاحتياجاتها ·

انه لن يكون الا كل الصدق والصواب ان يقال :

ان التعليم باساليبه المنفذة في المجتمعات المتخلفة او التي تسمى نامية ليس الا نقلا او تقليدا عقيما هازلا ·· ليس الا ورطة او ماساة تحتاج الى المداوين المنقذين الشجعان · نعم ، انه قد يكون الاحتياج الى الانقاذ من هذا التعليم اعظم واصدق من الاحتياج الى الانقاذ من الجهل الامي ··

ان هذا التعليم ليس الا هتكا للبكارة باسلوب غير شرعي او صحي ، باسلوب ليس فيه شيء من النشوة او الفرح او الجمال او الحب او الانجاب · انه ازالة للبكارة بلا أية قيمة شهوانية او اجتماعية او اخلاقية ·

نعم ، ايها الامي البسيط الراعي المسمن الحالب لحيواناتك ، الزارع الساقي لحقولك ، العامل في مصانعك ، المؤدي بسذاجه وأميه صادقة مخلصة متواضعة لحرفتك البسيطة ، في مجتمعك المتخلف المسمى احيانا ناميا • نعم ، كم انت جميل ورائع ومريح ونافع ومعقول وفني وذكي وعبقري خلاق ، مقارنا محاسبا بك او بمثيلك حاملا واضعا في بيتك او مكتبك او جيبك او في بيته او مكتبه او جيبه اكبر الشهادات لتجعل منك او منه مغرورا مشوها عاطلا متعطلا وقحا معوقا فادح التكاليف كاذبا منافقا جبانا انتهازيا جاهلا بكل شيء الا في ممارساته للجهالات ، مناقضا لكل ما تعنيه الشهادة التي يحملها ، هاجيا محقرا بكل الاساليب والتفاسير لها اي للشهادة المسكينة المحمولة الموضوعة في البيت او المكتب او الجيب لتكون اقبح وأفدح شهاده زور وتزوير • نعم ، انها لبائسة ومسكينة ومهانة هي اكثر الشهادات الدراسية العليا الموضوعة المدسوسة في اكثر المكاتب والادراج والخزائن والحقائب ••

اجل ، ايها الامي البسيط العادي •• كم انت حياة وعطاء وذكاء وفداء ووقار واحترام وتهذيب ، في مثل هذه المجتمعات ، محاسبا مقارنا بنفسك او بمثيلك ، حاملا مثل هذه الشهادة لتصنع منك او منه مثل هذه الشخصية المزورة المشوهة المفضوحة باعطائها مثل هذه الشهادة ؟

انك في مثل هذه المجتمعات انت كل مجد وفرح وعزاء وشوق الانهار والسحاب والحقول وطلعة الشمس ايها الامى البسيط المتواضع القارىء الكاتب بذراعيك وعضلاتك وعملك وعرقك وحبك وصدقك •••

انك انت كل بسمات وعطور الحقول والورود ، وتغريد كل الطيور ، ونبضات كل قلوب الحياة ••

انك اي في المجتمعات المتخلفة او النامية في التعبير الاخر انت كل كبرياء وقوة وطعام وملابس وبيوت وحياة مواطنيك من حاملي اعلى الشهادات المتحولة الى تزوير وتشويه وتعويق وتعجيز والى التزام بالانفاق ودفع الاجر والثمن بلا عمل او سلعة او خدمة والمتحولة كذلك الى تشريع وتبرير وتسويغ لكل هذا اي لكل هذا التشويه والتزوير والتعويق والتعجيز والالتزام بهذا الانفاق وبهذا الدفع للاجر والثمن بلا اي عمل او سلعة او خدمة • ايها الامي البسيط العامل في المجتمعات المتخلفة انت وحدك الاعتذار والتكفير عن ذنب وورطة أن يكون الانسان مواطنا في احد هذه المجتمعات • انت وحدك التفسير لمعنى الحياة لو كان لها معنى ، والقيمة لوجود الآله لو كان لوجوده ايــة قيمة •

اجل ، لمن تجيء الانهار والسحاب ، وعلى من تشرق الشمس ، ومن اجل من تخضر الحقول وتزهر الزهور اي في المجتمعات المتخلفة او النامية لولاك ايها الامي البسيط الطيب الذي لم تتعلم يده او عيناه قراءة او كتابة الحروف الملونة بكل الوان الكذب والنفاق والغباء والهوان والخداع والوثنية المتبدلة المتنوعة الالوان ، المصلية الهاتفة لكل الارباب والمذاهب والمعتقدات والمعسكرات المتعاقبة المتناقضة المتشاتمة المتحاربة ؟ نعم ، هل نشر الوثنيات المتعددة الجنسيات والالوان ، او فسرها وسوغها واقنع بها وصلى وهتف لها مثل الحروف الملونة بكل الوان الاحقاد والبلادات والاهواء والوجوه المختلفة المتبدلة الالوان الفاجرة الالوان ؟

حشود هائلة من البشر المخلوقين بلا عناية او مهارة او اناقة او دراية او حاجة او شهامة يذهبون يقاسون وتذهب المجتمعات تقاسي اقسى المقاساة وكل الوان واساليب المقاساة لكي تعلمهم او تهبهم صكوكا تسميها شهادات تزعم انهم قد تعلموا ، ولكي يتعلموا او يزعم ويعتقد انهم قد تعلموا ، تعاموا وعلموا ما لا يشعرون باي شوق او احتياج اليه او بأية رغبة فيه ، او بأي حب او احترام أو فهم له او لاية قيمة من قيمه ، او بانه سوف او قد يهبهم اي معنى جمالي او اخلاقي او نفسي او انساني او حتى لغوي بل وهم لا يريدون او يتصورون او يفكرون ان يهبهم شيئا من ذلك ، او بأنه سوف او قد يهب المجتمع او الحياة شيئا يحتاج اليه المجتمع او الحياة كما لا يريدون او يتصورون او يفكرون او يظنون او يحاولون او يتمنون ان يكون واهبا هذا الشيء او انه مطلوب او مفروض او منتظر أن يهبه ٠٠ اي ان يكون اى شيء جيد او جميل او ذكي او نافع في انفسهم او حياتهم او مجتمعهم ٠ بل وهم يعرفون انه اي هذا الذي يتعلمون او تعليمهم بالاساليب القائمة سوف او لا بد أن يحولهم ، بالتشريع والقانون وبالسلوك والالتزام الاجتماعي ، الى عاطلين معطلين مغرورين بل والى مجزيين ماجورين على عطلهم وتعطلهم وتعطيلهم وغرورهم ، بل وهم يريدون ان يكون ذلك كذلك اي ان يحولوا الى ذلك ٠٠

نعم ، سوف او لا بد أن يحولهم الى انبياء وخبراء وعلماء وقادة ومعلمين بلا أية نبوة او خبرة او علم وبلا اي قدر من اوصاف او اخلاق او مواهب القادة والمعلمين ، مدفوعة لهم مسلمة اليهم كل اجور وتكاليف والقاب ومراكز ووظائف الانبياء والخبراء والعلماء والقادة والمعلمين ٠٠

ان هذا هو كل التفسير للتعليم والمتعلمين بالاساليب المطبقة في المجتمعات النامية او المتخلفة ، وفي غير هذه المجتمعات احيانا ٠٠

حتى الشوق والحب والاحترام والاعجاب لا يجدون شيئا منه لما يتعلمون او لما يزعمون او يزعم انـه يتعلمونه ، كما لا يشترطون شيئا من هذا الشوق او الحب او الاحترام او الاعجاب او يبحثون عن شيء منه او ينتظرون او يتمنون ان يجدوا في انفسهم شيئا منه ، او يخجلون او يستنكرون لانهم لا يقاسون او يحيون اي قدر منه . انهم كالذين يتزوجون بلا حب او صداقة او لقاء او توافق او فرح او تعارف، والمجتمع يدفع تكاليف الزواج واستمراره .

ان كل تفاسير هذه القضية انهم حين جاءوا دون ان يعرفوا او يسالوا من اين او لماذا جاءوا ، وجدوا الناس او بعضهم او امثالهم يفعلون شيئا يسمونه او يسمى تعليما فيعطون صكوكا او اوراقا مكتوبة فيها اسماؤهم تسمى شهادات ، ويعطون وظائف ، ويسمون متعلمين ، وتصبح لهم امتيازات وحقوق ملزمة على المجتمع . فذهبوا يفعلون هذا الذي وجدوا ، دون ان تكون لهم اية نيات او حوافز او تفاسير او حسابات اخرى .

دون ان يسالوا او يفكروا لماذا يفعل الاخرون ولماذا نفعل مثلهم ومن المبتكر المدبر للعملية او الرابح منها . كما لم يسالوا او يفكروا لماذا جاءوا ومن المدبر لمجيئهم ، المستفيد منه ، وهل يستفيد منه احد .

ان هذه هي كل التفاسير لقضية التعليم في حسابات وحياة المجتمعات المتخلفة او النامية التي المجتمعات العربية هي بعضها او هي قمتها في تفاسيرها البائسة . اجل ، ان المجتمعات العربية هي دائما القمة في جميع التفاسير البائسة .. ان الانسان العربي لا يقبل ولا يستطيع التنازل أو النزول عن القمة في كل موقف رديء او سخيف .

اذن هل توجد قضية حزينة فاضحة فادحة التفاسير والنتائج مثل قضية التعليم في المجتمعات العربية وفي كل المجتمعات الاخرى المشابهة ؟ نعم ، قبيح ان تكون عربيا لانه قبيح حينئذ الا تتعلم ولانه اقبح من هذا القبح حينئذ أن تتعلم .. واقسى بل وارذل واقبح ما في هذه القضية هذا التسابق المتزايد المشهود على استعطاء او شراء او نشل ارقى الشهادات اي اسماء التي لا تعني الا المزيد من هذه التفاسير والنتائج الحزينة البائسة الفاضحة .. نعم ، انهم اليوم في العالم العربي وفي غيره يشترون ويستجدون وينشلون اكبر الشهادات باسلوب سباق .. انه سباق يتعاظم في العالم العربي وفي انداده من العوالم الاخرى المشابهة ، تحرض عليه وتيسره وتمكن منه الظروف المالية والدولية المجنونة المحابية الواهبة بلا صدق او

كرامة او حب او استحقاق · كما يحرض عليه وييسره ويمكن منه ان العالم العربي وانداده لا يحاسب او يفسر او يثمن الناس او الاشياء بما يعطون وتعطي من قيم عملية او انتاجية او فكرية او جمالية او اخلاقية او حضارية ··

بل انه اي العالم العربي ، وكذا انداده ، لا يستطيع ان يعي هذه القيم او يحددها او يميز بينها وبين نقيضها او يجعلها شرطا او التزاما في اي انسان او اي شيء ·· بل ان النقيض اتوقح لكل القيم هو اعلى القيم في حسابات وتفاسير العالم العربي وانداده من المجتمعات اي ان كان له انداد ··

ان الشهادة الدراسية لا تساوي في كل حساباته وشروطه الا نفس الشهادة ودرجتها · انها لا تساوي اي شيء اخر ··

فالشهادات لها قيم ذاتية ثابتة · وحامل الشهادة يساوي الشهادة التي يحمل انه لا يساوي ذاته او ما يفعل او يعطي او يعرف او يستطيع ··

اذن فلتكن الشهادة اكبر شهادة ليكون حاملها اكبر انسان لان الانسان العربي لا يستطيع ان يعرف ان الانسان كبير او صغير بحدوده او احجامه الذاتية ·· نعم ، انت انسان عربي ، اذن فانك تستطيع وانه لحق لك ان تشتري او تستجدي او تنشل او تستعير او تغتصب بالاكراه وبتهديد واغراء المال العربي الاسطوري الجبروت ، اكبر شهادة من اي بلد او مكان تريد ، عربي او غير عربي ، لتكون اكبر انسان ، اكبر عالم او خبير او مفكر او فيلسوف او نبي او ناقد او مطلق صواريخ واقمار كونية ·· لانك في مجتمع لا يفرق بين من يفعل ومن لن يفعل اذا كان يحمل شهادة قد يحملها من يفعل كما لا يفرق بين الافعال ·

ان الطبيعة قد وهبتك ووهبتك قدرة مالية قد اذلت وهزمت واهانت كل العالم وجعلتك قادرا بالاشارة او التمنى او التشهي ان تشتري او تستعطي او تنشل او تستعير او تأخذ بالضغط والاملاء والارهاب ما تشاء ممن تشاء حتى اكبر الشهادات ، دون ان تجد او تسمع من يقول « لا او انتظر او سوف افكر وارى ·· » · ان كل الشروط والقيود الاخلاقية والعقلية والحضارية والانسانية لتهزم وتسقط وتنسى امام رغبتك ايها العربي الاسطوري الحظوظ والمواهب ··

ايها العربي الذي لم تفتضح الآلهة مثل افتضاحها حينما صادقته وصادقها ، حينما تعاملت به وتعامل بها ··

اخي وصديقي الانسان العربي · انك لتستطيع ان تكون وتظل اميا لا تقرأ ولا تكتب ، ولو قرأت وكتبت لكنت اسوأ وأردأ ممن لا يقرأ ولا يكتب ـ نعم ، ان تكون وتظل اميا لا تقرأ ولا تكتب وتفخر بانك لا تقرأ ولا تكتب مثل نبيك الذي لم يكن يقرأ او يكتب والذي كان يفخر بانه لا يقرأ ولا يكتب ـ نعم ، انك لتستطيع ان تكون كذلك ثم تستطيع ا نتحمل اكبر شهادة علمية او فنية من اي مكان تريد ··

انك ايها العربي لتستطيع ان تعطى اكبر شهادة لك بالنبوة وانت لا تقرا ولا تكتب كما اعطت الملائكة نبيك ···

لقد حدث هذا ، لقد حدث ، وان حدوثه ليتزايد ، متحولا الى اذلال وتعيير وعار لكل العالم ·

نعم ، ايها الانسان العربي لقد تحولت شهاداتك العالية التي تحملها والتي سوف تحملها الى فضح وسباب واتهام وتهوين لكل جامعات العالم ولكل اساتذة الجامعات في كل العالم ·

ايها العربي · ا · لاتخشى ان يرفض العالم ، كل العالم يوما ما ان يحمل اية شهادة عليا او ان يدرس اية دراسات عليا اذا كانت تعني ان يحمل شهادات عليا لانه وجدك انت تحمل شهادات عليا ؟

الا تستطيع ان تكون شهما او تقيا اذا لم تستطع ان تكون موهوبا او عبقريا ؟

الا تستطيع ان تظل اميا طيبا مستورا ان كان البديل ا نتصبح متعلما فاضحا مفضوحـا ؟

أليست الامية سترا جيدا ونبيلا لاكثر من يتعلمون من مواطنيك ؟ اليست رفقا بالمشاهدين ؟

الا تستطيع أن تكون كريما أو رحيما اذ لم تستطع أن تكون عظيما ؟
الا تستطيع الا تكون شيئا حيث لم تستطع ان تكون شيئا كبيرا أو لو في ذنوبك وتفاهاتك ؟

لماذا ايها العربي جئت كما جئت ولم تجيء شيئا اخر ؟

هل خططتك الآلهة او الطبيعة بتدبير أم استفرغتك استفراغا ؟

نعم ، ايها الانسان العربي ·· هل جئت تدبيرا أم جئت استفراغا ؟ لماذا تجيء ابدا كما تجيء ؟

لماذا لا تجيء سلاما او هدنة او مصالحة او تهذيبا او وقارا او صمتا بلا ادعاء او غرور او وعيد او زئير حين لم تستطع ان تجيء خصومة او عداوة او حربا منتصرة

او حتى منهزمة ولكن بكرامة ؟ لماذا لا تجيء في حروبك وعداواتك ومخاصماتك هزيمة بلا افتضاح ان لم يكن بد من ان تجيء هزيمة في كل حروبك وعداواتك ومخاصماتك ؟

لماذا لاتجيء شيئا معذورا او مغفورا او مفسرا او محتملا حين لم تستطع ان تجيء شيئا معقولا او محترما ؟

لماذا لا تجيء لا هدما ولا بناء ، لا جمالا ولا دمامة ، لا حبا ولا بغضا حين لم تستطيع ان تجيء بناء أو جمالا أو حبا ؟

من النحات الذي نحتك ايها الانسان العربي ؟

لماذا جاء نحاتك بكل هذا الضعف او الجهل او القبح او الوقاحة او البداوة او بكل ذلك ؟ لماذا اختارك او اختير لك نحاتك ؟ لماذا لم تجيء موهبة نحات آخر ؟

لماذا ايها الانسان العربي لم ترفض ان يكون نحاتك هو نحاتك ؟

ايكما المعتدي على الاخر ، ايكما المتهم : انت ام نحاتك ؟

ايهما المتهم : الفنان ام التمثال ؟ ولكن هل انت من اعمال اي فنان ؟

هل يقبل اي فنان مهما كان تواضع موهبته وتواضعه ان تكون من اعماله ؟

انت ايها العربي ترى وتعلن ان التمثال الرديء هو المتهم وليس النحات ·· انت ترى وتعلن ان قبح ورداءة المخلوق هما قبحه ورداءته وذنبه وليسا قبح او رداءة او ذنب من اراده وخلقه كذلك ·

انت ترى وتعلن ان المقتول هو القاتل وان القاتل هو المقتول · انت ترى كل من لا يرى هذا الرأي زنديقا ·· انك ترى ان كل امجاد ومسرات الهك لا يصنعها او يهبها له سوى آرائك هذه فيه ··

لهذا انت ترى ايها الانسان العربي ان الانسان المخلوق هو المذنب والضعيف والبليد والجاهل والدميم والمريض والميت والمسؤول والمعاقب ، وليس الآلة الذي اراده وخططه وخلقه واخرجه كذلك او الذي لم يفهم أو يستطع ان يريده او يدبره أو يخلقه او يخرجه الا كذلك ·· انك لم تستطع ان تعرف ان المخلوق الخاطىء الضعيف القبيح الذميم ان كان قد جاء كما يريد خالقه فهو هجاء واتهام حاد لاخلاق ونماذج خالقه ، وان كان قد جاء نقيضا وخروجا على ما يريد خالقه فهو هجاء واتهام حاد لموهبة وقدرة ومعرفة خالقه ···

ايها الانسان العربي ·· انت اعظم معذب وفاجع لمعاني الانسان في الانسان ، وانا اعظم من يتلقى ويقاسي منك هذا التعذيب والتفجيع ·

ان كل معنى من معانيك ليعذب ويفجع كل معنى من معاني ·· انك لتعذب وتفجع بكل القسوة والديمومة وبكل الاساليب كل حواسي واحاسيسي ورؤاي

ونماذجي وشروطي وتطلعاتي الفكرية والاخلاقية والانسانية بل والتعبيرية ، لانك انت كل ما ارى واسمع واقرأ واحاور واواجه واعايش واعامل واجد . آه . هل يطيق هذا احد ؟

اذن ارثوا لعذابي وانسوا عذابكم بل واغفروا لعذابكم ايها المعذبون .. يا كل المعذبين .

اذن ايتها الكائنات الكونية الكبرى المطلة علينا من فوق ، من بعيد ، ببلادة واسترخاء وكبرياء وضخامة جوفاء ، احترقي ، انتحري ، اهربي لئلا تصابي بشيء من عذابي وفجائعي ، لئلا تقاسي الانسان العربي بكل صيغه وتفاسيره كما اقاسيه . كما اقاسيه انا وحدي ...

لماذا انا وحدي اقاسي كل الانفجاع بكل الانسان العربي ؟ لماذا لا أجد من يحملون عني بعض مقاساتي ؟

لماذا لا يوجد من يتقاسمون مقاساة الانفجاع بالانسان العربي ؟

هل يوجد تفرد أليم فاجع مثل التفرد بمقاساة الانفجاع بالانسان العربي ، الانفجاع به مرئيا ومسموعا ومقروءا ومحاورا ومحاسبا ومطالبا بأية قيمة من قيم الانسان الحضارية او الابداعية او الفكرية او الاخلاقية او النفسية او التاريخية او حتى الدينية او اللغوية ؟ إن من المسلمات الدائمة ان مزايا الانسان العربي الدينية هي اعظم واشهر مزاياه بل وانه يتفوق على جميع العالمين في مزية التدين وقوته . ولكن هل يوجد ضعف مثل ضعفه في هذه المزية المحسوبة له باسلوب كأنه لا يقع عليه اي اختلاف ؟

نعم ، انت تواجه الانسان العربي مواجهة حادة شاملة دائمة بمنطق وضمير وقلب وعيون وآذان وشروط اخلاقية وانسانية ونفسية وحضارية غير عربية اي انا افترضك كذلك ..

اذن هل يوجد عذاب مثل عذابك ، مثل عذاب مقاساتك اي لو انك كنت كذلك وواجهت الانسان العربي هذه المواجهة ؟

ولكن ألست متوحشا وعدوانيا جدا حين افترضك كذلك او لو اني افترضتك كذلك اي لو اني افترضتك ذا مواهب غير عربية ثم افترضتك تواجه الانسان العربي هذه المواجهة وهو يؤدي بكل الاساليب مواهبه العربية ؟

أليس الافتراض المتوحش وحشية وعدوانا على من افترض كذلك ؟ أليس افتراض الشيء او تصوره جيدا او رديئا نوعا من الحكم عليه ؟ أليس افتراضك او تصورك لوجه لم تره وقاحة وقسوة وعدوانا اي لو تصورته دميما ؟ لهذا ، أليس افتراض الآله مدبرا ومريدا وفاعلا للامراض والتشوهات والموت

والاخطاء والكوارث وجميع النقائص اسلوبا قبيحا وقحا بليدا بذيئا من الوحشية والعدوان عليه ؟ لهذا لن توجد وحشية او عدوان على الاله مثل افتراضه المخرج لهذا الكون ..

انت انسان غير عربي النماذج والشروط والتفاسير ، تواجه وتعايش الانسان العربي بكل الديمومة والشمول والاساليب ..

نعم ، لنفترضك كذلك ، فهل انت حينئذ اقسى مقاساة وعذابا ام الاله المفترض في مواجهة ازلية ابدية متفردة شاملة لكل ما في هذا الكون من شرور واخطاء وآلام وقبائح وقبح ونزق وعبث؟ هل يمكن تصور جثة او كينونة خارجة على كل النماذج والاشتراطات المنطقية والذهنية والجمالية والاخلاقية مثل هذا الكون الخارج على كل القيم المعروفة والمتمناة ؟

لهذا نعتذر اليك ايها الاله البائس المسكين المعتدى عليه. نعتذر اليك عن وحشيتنا ونذالتنا حينما افترضناك مواجها مواجهة ازلية ابدية متفردة شاملة لهذا الكون الذي لا مثيل لقبحه اي لو حوسب باية قيمة من القيم ..

اغفر لنا ايها الاله الطيب الذي لم يفعل او ير شيئا قط والذي لم يره ولن يراه احد او شيء . اغفر لنا نذالتنا ووحشيتنا ..

ان الاعلان والاعتقاد بانك ايها الآله الطيب لم تفعل او تر شيئا او احدا وبان شيئا او احدا لم يرك ولن يراك هما انبل وانقى دفاع واعتذار عنك ..

ان اعظم مزاياك وحظوظك بل كل مزاياك وحظوظك ايها الآله انك لم تر او تفعل شيئا وانك لن تفعل او ترى شيئا ، وان احدا او شيئا لم يرك ولن يراك. انك ايها الآله انت الكائن المتفرد في ان كل تقواك ومجدك وبراءتك ونظافتك وسعادتك وراحتك في ان تكون عاجزا عجزا مطلقا عن ان ترى او تسمع او تفعل .

انك ايها الآله لست طفلا مصابا بكل حالات الشذوذ والنزق والبذاءة لكي تسعد وتفرح وترضى وتتلذذ بان تكون مشاهدا لهذا الوجود ، متفرجا على الآمه وتفاهاته ونقائصه وعبثه الدائم المكرر بلا اناقة او نظافة او جمال او فن او تفسير مفهوم او معقول او محترم أو مجيد او مريح ، او لكي تتجرأ عيناك على أن تظلا تريان كل هذه التشوهات والدمامات والآلام والاوحال والاخطاء والذنوب والفحش.

لهذا نتضرع اليك ان تغفر لنا جهلنا ووقاحتنا حينما افترضنا هذا الكون يفعل كل وجوده وكينوناته داخل عينيك واذنيك وقلبك وضميرك وتفكيرك وكل حواسك واحاسيسك وأنت تغني لنفسك اعجابا ومرحا وتدليلا .

انــه لا تعذيب ولا تشويه ولا تقبيح ولا ترويع ولا تفجيع لاي كائن مثــل أن يعيش كــل هذا الوجود بكل صيغه وتفاسيره داخل ذاته اي ان كانت تملك اي قــدر من الموهبة التي تعني ان تكون ذاتا رائية أو سامعة أو محاسبة أو محاكمة أو ناقدة أو مشترطــة أو حتــى قارئــة ٠٠

ان معنى هذا ان تحشد كــل العفونات والدمامات والتشوهات والآلام والاخطاء والفسوق والفحش والظلم والعبث والسفه حشدا ابديا داخل نفس أو ذات متوقــدة بالحب والتقوى والجمال والرفــض والاحتــجاج والاشتراط وبالاشــواق الجماليــة المنطقيــة الاخلاقيــة ٠

ان الذيــــن يرون كــــل هــذا الوجــود يعيش داخــــل كــــل رؤى الالـــه ثــم يـــرون انهــم بهـــذا يقدسونـــه اي الالـــه ويرضونـــه ويفرحونه هـــم قـــوم لن يستطـــاع تفسيــر بلادتهـم بأي نموذج او حــد مـن حدود ونماذج البلادة ٠ انــه لــن يمكن تصور قبح أو تعذيب مثل أن يعيش أو يوضع كــل القبح والبلادة والبغضاء والقسوة داخل ذات لا تتقبل الا الجمال والذكاء والحــب والخيــر الصداقـــة ٠

انهم بهذا بحولونه اي الآله نفسيا واخلاقيا وفكريا وفنيا وجماليا الى كائــن لا تستطيع كــل نماذج وتفاسير القبح ان تحتويه أو تقترب منـــه أو تنافس قبحه ان كــل عقائد المؤمن وصلواته وتصوراته وتفاسيره ومناشداته للآله وهتافاته بــه لا بــد ان تحوله اي تحول الآله الى قبح شامل بــلا منافس او مشابه ٠ ان الايمــان بالآله لــن يكون الا فسقا بـــه ، بكــل تفاسيره ونماذجه وتصوراته ، بكــل أنواع الفسق وتفاسيره ونماذجه ٠

وانـــه لشيء قبيح ورهيب الا يعرف المؤمنون ذلك ٠ من يصوغ غبـــاء المؤمنين ؟ كيف امكن ان يوجد من يستطيع ان يخطط ويصنع في المؤمنين ولهم غباءهم ؟

اذن فمهزلة هذا التعليم أو مأساته أو قصته تؤلف وتفسر هكذا :

انهم يتعلمون هذا التعليم لكي يشغلوا ويستغنوا بــه عن أن يعلموا أو يعملوا أو يفهموا وعن ان يتعلموا الحياة او اي شيء نافـــع فـــي الحيـــاة ولهـــا وعــن ان يتعلمـــوا ما يعنيـــه التعليـــم او يلزم بـــه او يدعـــو اليـــه او مـــا يزعـــم انـــه هـــو كــل غاياته ونياته ٠ انهم يتعلمون ليكونوا علميا وعقليا وفكريا ونفسيا وثقافيــا نقيضا لما يزعمون ويزعم لهم انهم يتعلمونه ٠

انهم يتعلمون لكـي يشغلوا بالتعليم ويستغنوا بـه عن أن يعرفوا أو يعملوا اي شيء تطالب بـه الحيـاة ويصنع الحياة ويهبها القوة والجمـال ، وعن ان يكونوا ملزمين او ملتزمين او مطالبين بشيء من ذلك ٠٠

لكي يصبحوا نقيضا لما يتعلمون ، نقيضا لكل تفاسيره واهدافه وشعاراته ٠ اي انهم يتعلمون لئلا يعلموا او يعرفوا او يعملوا أو يحاولوا او يطالبوا أو يشعروا بان عليهم أن يعلموا او يعرفوا او يعملوا ، او بـان للتعليم ايـة وظيفة أو تفسير غيـر أن يتعلموا هذا التعليم لتصبح كـل علاقاتهم بالحـياة ان يستهلكوها ويسرقوهـا ويعوقوها ويشوهوها ويضعفوا نبضها وحماسها واشواقها واندفاعها ٠٠

اذن أفرحوا وارقصوا وتبلدوا وارقدوا ايها المتعلمون في المجتمعات العربية وفـي كـل المجتمعات المماثلة لانكم تتعلمون لئلا تعلموا أو تعرفوا أو تفهموا أو تعملوا أو تلزموا بشيء من ذلك أو ينتظر منكم شيء منه ٠٠٠

بـل لكـي تصبحوا في كـل قدراتكم واهوائكم وظروفكم ومواقعكم واشواقكم نقيضا لكل ذلك وخروجا عليه ٠ بـل ان كـل مزاياكم وكـل اساليب الانقاذ منكم ان تتحولوا الى متعطلين تاخذون ولا تعطون او تفعلون شيئا مما اعددتم لـه اي مما اعددتم لتكونوا له وفيه انبياء وعلماء وخبراء وعباقرة ٠٠

نعم ، انهم لكثيرون اولئك الذين يتعلمون ويراد لهم ان يتعلموا لكي لا يعلموا أو يفهموا أو يعملوا أو يحاولوا أو يلزموا أو يطالبوا بشيء من ذلك ٠ أليست كثيـرة هـي انواع التعليم وكثيرة هـي المؤسسات والمعاهد التعليمية التي لا تعني والتـي لا يراد بها أو منها الا ان تكون كذلك اي الا ان تكون ضـد العلم والفهـم والعمـل والمحاولة والمسؤولية ، ومانعة من ذلك ومغنية شاغلة عنه ، وبديلا مقبولا معترفا بـه عنـــه ؟

أليست كـل أنواع التعليم الديني والغيبي والروحي والتاريخي وكـل معاهـد ومؤسسات هذا التعليم لا تعني ولا يراد بها أو منها الا ان تكون كذلك والا ان تنتهي اليـه اي الا ان تكون قتـلا لوظيفة الانسان في الحياة وقتـلا لوظيفة الحـياة فـي الانســان ؟

ان اي انسان يدخل ايـة مؤسسة أو معهد من هذه المؤسسات والمعاهد التي تعلم كـل انواع هذا التعليم فليس الا انسانا قـد حكـم عليه بالاعدام أي في حسابات العطاء للحياة ولمجتمعه وحكم عليه بـان يكون لصا وغرما وخسرانا أي في حسابات الاخـذ من الحيـاة ومن مجتمعـه ٠٠

ان من يشيدون معهدا أو جامعا أو مؤسسة من هذه المعاهد والجوامع والمؤسسات التعليمية أنما يشيدون قبورا ، يشيدون أماكن وبيوتا لقتل كل من يدخلونها ولتعليمهم القتل لغيرهم أي قتل معاني الحياة فيهم وقتل معانيهم في الحياة ، ولكي يتعلموا فيها كيف يصبحون لصوصا ، يأخذون من الحياة والمجتمعات كل شيء دون أن يعطوا او يطالبوا بان يعطوا الحياة أو المجتمعات أي شيء ، أو أن تأخذ منهم الحياة أو المجتمعات أي شيء لانها لن تجد فيهم أي شيء يؤخذ أو يعطى ، بل ولكي يصبحوا عدوانا على الحياة والمجتمع وتشويها وفضحا وتضليلا لهما ، وتزييفا والهاء واستهلاكا وتخديرا لاشواقهما وحماسهما . كم هم المعلمون والمتعلمون الذين كل علمهم أن يحاولوا سرقة وامتصاص طاقات ونبضات وأشواق الحياة من الحياة ومن مجتمعاتهم ؟ أليس كل معلمي العرب ومتعلميهم هم من هؤلاء السارقين المتصين للطاقات والنبضات والاشواق ؟ أي من المحاولين لذلك ولكن الحياة لا تستجيب لهم الا بقدر ما تعجز عن عصيانهم ..

نعم ، اذا تعلم غير الموهوبين في المجتمعات المتخلفة تعليما عاليا فما افضل أساليب التعامل بهم ومعهم أو ما أقل هذه الاساليب ضررا ؟

أفضل أساليب التعامل بهم ومعهم وأقلها ضررا هي أن يمنعوا من أن يعملوا فيما تعلموه مع دفع الاجر لهم ان لم يكن من ذلك بد .. لان دفع الاجر لهم بلا عمل أفضل أو أقل أيذاء من أن يدفع لهم الاجر مع الاذن لهم بأن يتحولوا الى معوقين ومشوهين ومخربين ومفتضحين فاضحين قائدين الى الهزائم والبلادات والعجز والعار لانهم قد أصبحوا انبياء وخبراء وعلماء وعباقرة وقادة أي وضعوا على عروش هؤلاء وفي وظائفهم مع أن كل معانيهم وتفاسيرهم نقيض حاد شامل لكل معاني هؤلاء وتفاسيرهم بل هجاء بذيء لها .

كما ان الافضل والاقل ضررا بل والواجب ان يسحب من الميدان ويسحب السلاح من يده بكل عاماته العسكرية ، ولو مع دفع الاجر له ، كل جندي لا بد أن يصنع أو قد يصنع الهزيمة والضعف والعار لجيشه وشعبه ولسلاحه وتعليمه ورتبه العسكرية أي حينما يكون مطلوبا ومنتظرا منه وواجبا عليه أن يصنع النصر والقوة والمجد لشعبه وجيشه وتعليمه وسلاحه ورتبه .

أن مثل هذا الجندي لو ترك في الميدان قائدا أو مقاتلا لن يكون اكثر اضرارا بمجتمعه وقومه من غير الموهوب الذي علم تعليما عاليا لو ترك يعمل فيما علم وتعلم .

أنت مبصوق في رأسك ولست مؤمناً

« ٠٠ اتمنى لكل انسان أن يصبح حبا وصدقا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا ايمان او مذاهب او تعاليم ، وارفض له ان يصبح ايمانا ومذاهب وتعاليم بلا جمال ولا حب ولا صدق ولا نبوة ولا فن ولا شعر ٠٠ اتمنى لكل انسان ان يكون انسانا لا ايمانا ولا عقيدة ٠٠ أليست العقائد تزويرا وتشويها للانسان وعدوانا على طهارته وبراءته وبكارته وصفائه وحبه ؟ أليست عدوانا على جميع تفاسيره وصيغه الانسانية ؟ أليست تعلمه كيف يعادي ويبغض ويحقد ويقبح ويذنب ويضل ويسفه ويقاتل ويقتل بل وتشرع له ذلك ؟ أليست العقائد أسلحة يبتكرها ويعدها ويشحذها ويحملها ويرفعها القادة والزعماء والمعلمون الماكرون الخبثاء والجهلاء ليضربوا ويخدعوا ويذلوا ويخيفوا ويحاربوا ويحكموا ويشوهوا بها الانسان ؟

هل ابتكر هؤلاء الخبثاء سلاحا مثل سلاح الايمان والاعتقاد والمذاهب والتعاليم لقهر الانسان واذلاله ولافساد ذكائه وضميره وحبه وبراءته واخلاقه ولسوقه الى كل حماقاتهم وعداواتهم وأكاذيبهم تحت أعلى الاناشيد نزقا ودويا وقبحا ؟

هل في عبقريات الشيطان ما يساوي عبقريته التي الهمت القادة والزعماء والمعلمين الماكرين ابتكار المذاهب والعقائد والتعاليم ؟ وهل ساعد الشيطان اصدقاءه ومساعديه بشيء، مثلما ساعدهم بابتكاره لهم سلاح الايمان والتكتلات الدينية والمذهبية وغيرها وغيرها ؟٠٠ »

٠٠ الانسان كائن لغوي ٠ وكينونته اللغوية هي أشمل كينوناتـه الانسانيـة ٠٠ انها اشمل من كونه كائنا مفكرا أو متدينا أو أخلاقـيا أو مذهبـيا أو عاطفيـا او غير ذلك من مزايا الانسان أو من حصائصه التي هـي ليسـت مزايا وان كـان قد تفرد بها دون سواه ٠ والتفرد ليس دائما مزية بل قد يكون نقيصـة أو عذابـا ٠٠ والانسان يرى تفرده مزية ولكن اليس ذلك يساوي أن يـرى الوحـش قدرته علـى الافتـراس مزيـة علـى مـن دونـه ؟

٠٠ ان كل البشر لغويون حتى الذين لا يتصـورون أن لرؤوسهم أو انه قـد يكون لها اي معنـى اكثر من المعنى الـذي لرؤوس الكائنات الاخرى التـي هي دون الانسان ، او اكثر من ان تكون اي رؤوسهم قد وضعت فوق اجسامهم ليحملوا فوقهـا بعض احمالهم ، ولكي تزرع فيها عيونهم وآذانهم التي لا وظيفة لها غيـر ان تـكون مباصق يلقى فيها لتتقبل وترضى وتشكر وتستسلم مبهورة مصدقة مصلية هاتفـة لقاتليها وآمريها وقاهريها وخادعيها ومستعبديها ، دون أن ترى أو تسمع ٠٠ وكـم هم الذين يرون او يريدون ان يكون لرؤوسهم اي معنى اكثر من ان تـكون حـدودا لاجسامهم فقط ؟

والذين قالوا ، يعرفون الانسان ، إنـه « حيوان ناطـق » هـم مصيبون لـو كانوا يعنون بكلمة « ناطق » انه كائن او حيـوان لغوي او متكلم أو مصـوت لا « مفكـر » ٠ وقـد قيـل انهم يعنون انـه مفكر لا لغوي أو مصوت فقط ٠

وقد يقال اعتذارا ودفاعا عن هؤلاء المعرفين للانسان بالحيوان المفكر لنهم يعنون بذلك انه الكائن الذي قد يستطيع ان يكون مفكرا او الذي يطلب منه ويفترض فيه ان يفكر ، او الذي قد يتخلق فيه ومنه من يفكرون كالعصاة والخوارج والشذوذ بـل كالالـم فيـه والتعذيـب لـه !!

نعم ، كل من يفكرون هم عصاة وخوارج وشذوذ وتمرد وآلام في مجتمعهم وله٠٠

ولا يعنون اي هؤلاء المعرفون للانسان ان النطق اي التفكير فيه ظاهرة شاملة او غالبة مثـل ظاهرة التصديق والتدين والانخـداع والخـوف والحب والكره والحقـد والسقوط والنذالة والعجز عن الرؤية والفهم والشهامة والصدق ..

لا يعنون الا ان الانسان هو الحيوان العاجز عن التفكير الخـائف منـه المعاقب عليه المطالب بان يكون مفكرا .. ان الانسان في تفسيره أو تعريفه العام أو العلمي ليس هو فقط العاجز عن التفكير بل والخائف منه المعاقب عليه .

ولأن كينونة الانسان اللغوية كينونة شاملة بل لانها وحدها الكينونة الشاملة المطلقة اصبح محتوما ان يكون اي الانسان مؤمنا ومتدينا ومقتنعا ومحبا ومبغضا ومعاديا ومصادقا ومعجبا ومحتقرا بـل ورائيا واجدا فاعـلا محاربا مقاومـا مسالما باللغة .. أي أنه باللغة يتعلم ويعلم كـل ذلك ويوصله ويقتنع ويقنع بـه بل ويراه ويجده ويفعله ويعتقده بها أي باللغة . أن الانسان ليرى باللغة أكثر وأعمق واقـوى مما يرى بعينيه ... اي ان اذن الانسان وفمه هما حاسة الرؤية فيه لا عيناه . ان عينيه تتعلمان الرؤية من أذنيه وفمه .

انه باللغة رأى الـهه ونبيه وبطله وزعيمه وقديسه ودينه ومذهبـه ونظامـه وتاريخه ووطنه ، واحبه واعجب بـه وصدقـه ووجده جميـلا وعبقريـا وحقـا ومتفوقا على كل نقيض ومخالف ومنافس ومعاد ، وقاتل وعادى معه ودفاعا عنـه وباسمـه .. أي انه فعل كل ذلك وأعلن اقتناعه والتزامه به لانه قـد تعلمه وعلمه وصب فيـه باللغة ، أي لانـه كائن لغوي . لقد كانت اللغة هي كل الانابيب والانهار التي تصب في الانسان كـل الهته وانبيائه وأديانه واقتناعاته وعقائده بـل وكـل رؤاه ومرئياته ..

لو لم يكن الانسان كائنا لغويا فهل كان محتملا أو مستطاعا ان يرى الهتـه أو انبياءه أو مذاهبه أو اديانه أو زعاماته أو أيـة عقيدة أو قداسة من معتقداته وقداساته أو أن يقتنع بها أو حتى يجدها أو يتصورها أو يفهمها ويفسرها بكل هذه الضخامة والجمال والذكاء والتفوق والخلود ؟ هل كان محتملا ان يحدث ذلك مهما كان ذكاؤه وصدقه ورغبته وقوة وديمومة ونفاذ تحديقه في الاشياء واختراقه لـها ولحصونها واغطيتها ؟ ان اللغة هي التي تقتنع بمزايا المعتقد وبنقائصه ، بل هي التي ترى وتخلق وتصوغ هذه المزايا والنقائص . انها اي اللغة لا تعلم أو توصل أو توحي أو تسمع فقط بل انها ايضا تخلق وتصوغ وترى مزايا الاشياء أو نقائصها ، كذبها وصدقها .

نعم ، أن اللغة هـي اعظم وأشهر واشمل اجهـزة الاستفراغ وانابيب الصـب لاستفراغ وصب الآلهـة والانبياء والاديان والمذاهب والاحقاد والعداوات وجميع الوان

الاوحال والبذاءات والبلادات والاكاذيب والاحزان والاخطاء في رؤوس وقلوب وضمائر واخلاق وعلاقات الناس · لهذا كان محتوما أن تجيء هذه المستفرغات والمصبوبات مختلفة أو متضادة لاختلاف أو تضاد من يستفرغونها ويصبونها لا لاختلاف أو تضاد فيمن يستفرغ ويصب فيهم ·

انت كائن لغوي ، اذن انت حتما مستفرغ وقاذف ملق في غيرك، وغيرك مستفرغ قاذف ملق فيك ·· انت حتما مستفرغة فيك الآلهة والانبياء والتاريخ والاديان والمذاهب ومستفرغها على غيرك لانك كائن لغوي ·

هل تعرف ذلك ؟ هل انت راض عن نفسك أو معجب بها لانك كذلك اي لانك تستفرغ الآلهة والانبياء والملائكة والابالسة والاديان والمذاهب والنظريات والعداوات والاحقاد والبغضاء وتقذفها في نفوس الاخرين لتكون لهم عقائد وضمائر وشعارات ومواقف واخلاقا ليقاتلوا ويعادوا ويخاصموا ويفاخروا ويتحدوا ويلعنوا كل من عداهم بها وباسمها ومن أجلها ، ولان الاخرين يستفرغون ويقذفون كل ذلك في نفسك ، لانهم يفعلون بك مثلما تفعل بهم ، اي لانك انت وهم تفعلون ذلك باللغة اي لانكم كائنون لغويون ، اي لأن جميع معتقداتكم توضع فيكم وتصوغونها وتصاغ لكم باللغة ، قذفا واستفراغا والقاء دون ان تستشاروا أو تختاروا أو تروا أو تجدوا أو تفهموا أو تفكروا أو تقاوموا ، لكي تحسبوا وتحسبوا انفسكم مؤمنين اذكياء أتقياء صادقين مخلصين عاشقين للحق والحقائق ، رائين مدركين للبراهين الماثلة عليكم كل آفاق منطقكم ورؤاكم الروحية والعقلية والانسانية ·

نعم ، لكي تحسبوا أنفسكم ويحسبكم غيركم مؤمنين بالاسلوب أو المنطق الذي يؤمن به المكان أو الوعاء بقيمة وجمال ونظافة كل ما يلقى فيه وعليه ؟

هل فكرت يوما في انك لست الا وعاء يلقى فيه ؟ كيف لم تفكر ؟ انت حتما وعاء لان الوعاء لا يفكر ، لهذا لا تفكر ·

اجل ، انت ملقى فيك ، ملقاة فيك جميع اعتقاداتك المختلفة القيمة والنسب والانتساب · اذن انت « مؤمن » تستحق كل الثناء والمجد ، ترفعها الى نفسك ، ويرفعها اليك كل ما في التاريخ والحياة والكون من ذكاء ورؤية ومنطق واريحية والتزام بالصدق والاعتراف بالواجب وبالحب ··

كذلك المكان والاناء يلقى فيهما فيتقبلان ما يلقى فيهما مثلما تتقبل انت المعتقدات التي تلقى فيك بل والاوحال النفسية والاخلاقية التي تلقى فيك · اذن لماذا لا يكون المكان والوعاء « مؤمنين » مثل ايمانك بل اقوى من ايمانك لان قدرتهما على استقبال وتقبل ما يلقى فيهما اعظم واتقى من قدرتك ؟

هل يستطاع الزعم بانك قد حاسبت أو فهمت ما القي ويلقى فيك من المعتقدات والعفونات النفسية والاخلاقية اكثر أو اذكى مما حاسب وفهم المكان والوعاء ما القي ويلقى فيهما ـ أو الزعم بأن ما القي ويلقى فيك اذكى أو أنظف أو اشرف أو انفع مما القي ويلقى فيهما ـ أو الزعم بأن الملقين فيك اعظم فهما او صدقا أو اخلاصا او شهامة من الملقين فيهما ؟ اذن هل يستطيع اي شاهد عدل ان يشهد لك بانك مؤمن ايها « المؤمن » ما لم يشهد للوعاء والمكان الملقى فيهما بانهما مؤمنان ايمانا اذكى واتقى وانظف من ايمانك ؟

لعل كل الفرق أو اعظم الفرق بينك وبينهما هو الاختلاف في وسيلة الالقاء فأنت قد القي فيك بواسطة اللغة ، ثم ذهبت تتحدث عن مزايا ما القي فيك لانك كائن لغوي · بل ذهبت تفاخر وتلاعن وتخاصم من القي فيهم غير ما القي فيك اي لانك كائن لغوي لا لانك اكثر وعيا او رؤية او محاسبة لما القي فيك من وعي ورؤية ومحاسبة المكان والوعاء لما يلقى فيهما · اما هما اي المكان والوعاء فان الالقاء فيهما يكون بوسائل اخرى غير اللغة · وهما ايضا لا يذهبان يتحدثان عن مزايا وتفوق وعبقرية ما يلقى فيهما ، كما لا يذهبان يلاعنان او يكرهان او يحقران أو يباهيان الاماكن والاوعية الاخرى التي القي ويلقى فيها غير ما القي ويلقى فيهما ، لانهما اي المكان والوعاء كائنان غير لغويين · اذن فتفوقك باللغة على المكان والوعاء قد تحول الى نقيصة وذنب قد برىء منهما المكان والوعاء ·

هل تجرؤ ايها المؤمن على أن تباهي أو تمجد نفسك بأنك مؤمن أو لانك مؤمن بالاستفراغ عليك وفيك ان كنت قد وعيت هذا ؟

هل تسر أو ترى من مجدك أو تفوقك ان اصبحت كائنا لغويا حين تعي ان لغتك قد تحولت ومحتوم ان تتحول الى جهاز استفراغ يستفرغ به عليك وفيك كل لصوصك وغزاتك وجهالك وخادعيك الذين تدعوهم بأنبيائك وخلفائك ومعلميك ووعاظك وزعمائك ـ يستفرغون فيك وعليك كل بداواتهم وبذاءاتهم وبلاداتهم واحقادهم وبغضائهم وجميع رذائلهم النفسية والعقلية والتاريخية والاخلاقية والتآمرية التسلطية ، لكي يصبح كل ما يستفرغونه عليك وفيك هو كل امجادك الاعتقادية الايمانية ؟

نعم ، هل تقبل ان تكون الها أو نبيا أو زعيما مقدسا او دينا او مذهبا أو اي معتقد لو علمت انك لست الا استفراغا لغويا ؟

ولكن كيف يمكن الا تعرف وتعي ذلك ؟ كيف يستطيع أو استطاع احد ان يجهله ؟ انت ترى الايمان شيئا عظيما ، تراه كل الذكاء والخير وكل الرؤية والاخلاص

للحقيقة ، وترى انك انت مؤمن ، لهذا انت راض عن نفسك معجب بها ، تراها النموذج الذي يجب ان تصاغ عليه جميع النماذج ، ان تخضع له جميع النماذج ٠

ترى انك انت مؤمن دون ان تعرف أو تسأل : كيف عرفت انك مؤمن او ما هو الايمان ٠

وايضا انت ترى ان كل من لم يؤمن ايمانك فهو ملحد جاحد زنديق ، اعمى شرير خبيث فاسد كذاب ٠٠ كل جسم الشمس داخل عينيه ولا يراها أو تصعد به الوقاحة الى ان يزعم انه لا يراها ٠٠ لهذا فان كل طاقات وقوانين واخلاق ونيات جميع الاشياء يجب ان تتحول الى اساليب وعضلات واجهزة تعذيب لكي توظف كل الآلهة كل وقتها وحماسها لتعذيبه بها ٠٠

وبعد الاعتذار عن جرح كبريائك وعن الاساءة الى رضاك عن نفسك وعن احتمالات شكك في مجد ايمانك نتقدم اليك باستحياء وتواضع وحذر شديد لنسأل بل لنسأل بغضب وانفجاع وتحد :

من هو « المؤمن » ؟ هل المؤمن هو المؤمن ام الملحد أو من تزعمه وتراه ملحدا هو المؤمن ؟ وقد ننتظر ان يتحول هذا التساؤل الى صدمة لك ولكثيرين ممن قد يقرأونه او يسمعونه ٠ انه تساؤل لم يكن يعيش في ضمير أي مريض بالتساؤل ٠٠

انه ليس من الممكن او المقبول معرفة من هو المؤمن ، هل هو من يحسب ويدعى مؤمنا ام هو من يحسب ويدعى ملحدا ، قبل ان يعرف ما هو الايمان ٠ ان اغلب الناس أو كلهم قد عرفوا المؤمن واعترفوا به مؤمنا ودعوه مؤمنا قبل ان يعرفوا ما هو الايمان بل ودون ان يتساءلوا هذا التساؤل أو يفكروا فيه ٠ حتى المفكرون والمتوقرون والمحاسبون جدا لأنفسهم قد فعلوا ذلك دون ان يتخاصموا مع افكارهم او صدقهم أو تقواهم ٠٠٠ هل معرفة من هو المؤمن دون معرفة ما هو الايمان تعني التهوين من شأن القضية ام تعني الغباء ؟

ومهما كان الرأي أو الحقيقة في تفسير الايمان فليس محتملا ان يكون أو أن يعد « ايمانا » ايمان هؤلاء الذين يحسبون انفسهم ويحسبهم الاخرون « مؤمنين » ٠٠ ليس احتمالا ان يكون ايمان هؤلاء المؤمنين بالآلهة والانبياء والخلفاء وبالتاريخ والاديان والآراء والنظريات والمذاهب المحفوظة المعبأة المخزونة المروية المطروحة المستفرغة باللغة ٠

اجل ، ليس احتمالا ان يكون ايمان هؤلاء ايمانا ، اي ليس احتمالا ان يكونوا أو ان يحسبوا مؤمنين مهما كان الاختلاف على تفسير الايمان الا اذا كان محتملا أو

مقبولا ان تحسب كل ورقة يكتب عليها وكل حفرة يلقى فيها مؤمنة لانها قد ألقي فيها أو كتب عليها أي شيء دون ان تعارض أو تقاوم أو ترفض أو تحاسب أو تحاور أو تفهم أو تطلب الفهم أو تشترطه أو تشترط أي شيء ٠ وهل يجاور أو يحاسب أو يرفض أو يقاوم أو يشترط أو يفهم أو يطلب الفهم هؤلاء المؤمنون لما يلقى فيهم أكثر مما تفعل الحفرة لما يلقى فيها أو الورقة لما يكتب عليها ؟

وحتى « التلقين » فان ايمان هؤلاء أو ما يسمى ايمانهم لا يرتفع الى أن يكون « تلقينا » ٠ انه اقل من ذلك ، فالاستفراغ أو الالقاء أو القذف أو الوضع او الخزن للشيء في المكان أو الاناء أو الحفرة أو الصندوق لا يمكن أن يكون او يسمى تلقينا ٠ فالتلقين لا بد أن يكون فيه شيء من المخاطبة أو المحاورة أو المعاملة أو حتى شيء من التشاور أو التفاهم أو الاستئذان والاختيار ٠٠

وهؤلاء « المؤمنون » اي المزعومون مؤمنين لم يصعدوا في ايمانهم الى اي شيء من ذلك ، لم يخاطبوا أو يحاوروا أو يعاملوا أو يشاوروا أو يستأذنوا أو يخيروا أو يفهموا أو يتفاهم معهم حينما القيت أو وضعت او استفرغت فيهم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب وكل معتقداتهم الشاملة الراسخة ، ليكونوا مؤمنين او ليزعموا ويحسبوا كذلك ٠٠٠ ان الاستفراغ في الشيء أو عليه أو الاسقاط فيه لن يعد تلقينا٠ انه اقل مجدا واحتراما من التلقين ٠

اذن انت ايها « المؤمن » جدا اقل كينونة وقيمة ومعنى من اي ملقن ، لأنك موضوع ومسقط فيك ولست ملقنا ٠٠

ان التلقين تعامل مع الانسان أو مع كائن اخر يلقن ٠ وانت في ايمانك لست انسانا أو كائنا يلقن بل وعاء ٠

ان من أول واشمل معاني الايمان إنه لا بد ان يكون ممارسة ذاتية بل مقاساة فكرية ونفسية واخلاقية وحوارية مع الذات ومع القضية ومع أوعيتها وظروفها ومنطقها واخلاقها ومع من يوهب الايمان به أو من يعاقب ويورط ويشوه ويلزم بالايمان به ٠ انه اي الايمان محاسبة ذاتية بكل اجهزة الذات بكل القسوة والشمول لكل الاشياء والمواجهات ، لكل ذواتها واخلاقها وتفاسيرها ٠

انه اي الايمان بدء من الذات لا من الذوات الاخرى ولا من التاريخ أو الكتب المحفوظة التي لا يمكن أو لا يقبل تبديلها أو محاكمتها أو محاورتها أو التصحيح لها أو التحديق في ضمير أو عقل أو نيات أو اخلاق أو عيون قائلها أو راويها أو كاتبها أو حافظها أو مفسرها ٠ نعم ، ايها المؤمن جدا ، انت محرم عليك التحديق في ثياب

آلهتك وانبيائك أوفي ثيـاب من يفسرونهم لـك ويعلمونـك اخلاقهـم وشهواتهـم ويحدثونك عن جمال ثيابهم ‥ انه اي الايمان ولادة وليس تبنيا ٠ انه حبل وولادة تصنعهما علاقات الذات بنفسها وبموضوعات ايمانها لا علاقاتها بأشخاص اخرين ! انه حبل ذاتي لا حبل زواج أو معاشرة ٠ انه ليس تلقيحا بالقذف من الخارج ٠

انه اي الايمان بدء رحلة ورؤية وكينونة وموقف ، بدء من الفراغ ، فراغ الذات من كل موقف ورحلة ورؤية وكينونة سابقة معلمة أو مفروضة أو منزلة أو مستفرغة ‥ انه خلق من البدء اي بدء خلق ٠

انه اي الايمان هو التفريغ للذات من كل الذوات الاخرى ، من كل رؤاها ورواياتها وقراءاتها وتفاسيرها ومن كل اشواقها ورهبوتها وذكرياتها واطلالها المسكونة بكل جنسيات الاشباح الخارقة الكينونة والاخلاق ، لكي تبدأ اي الذات من الفراغ ، مـن البدء ، لتصنع وتصوغ رؤاها ورواياتها وقراءاتها وتفاسيرها واشواقها ورهبوتهـا وذكرياتها واطلالها ، بادئة من البدء اي من الفراغ ، اي بادئة الـذات مـن الذات ٠

اجل ، ان الايمان في اي تفسير من تفاسيره لن يكون الا بـدء الذات مـن الذات بقيادة الذات ‥

ان الايمان هو أن تـرى القمر بعينيك لا بأذنيك ، لا بأفـواه الاخرين ‥ لا ان تراه بأذنيك من افواه الاخرين ٠وهل يوجد من يرون بآذانهم بواسطة افواه الاخرين ؟ نعم ، ان كل الناس لكذلك الا من يحسبون خوارج متمردين مرتدين ٠

ان المؤمن الذي يرى نفسه والذي يراه الاخرون ويحسبونه بكل حساباتهم مؤمنا هوالذي يرى القمر بأذنيه، متخلقا وبازغا منأفواه المعلمين‥ هل رأيت القمر طالعا من افواه المعلمين الدراويش الدجالين ؟ نعم ، لقد رأيته ان كنت مؤمنا هذا المزعوم ايمانا٠

ان هذا الايمان اي المحسوب والمزعوم عالميا وتاريخيا ايمانا ليس رؤية حتى ولا بعيون الاخرين لان الاخرين الذين استفرغوا هذا الايمان في نفوس من بعدهم لـم يروا بعيونهم ٠ لقد رأوا بحواس أو بأدوات أو بوسائل اخرى ليست العيـون منها حتما ٠ استيقظ أيها المؤمن انك لم تر جمال الهـك أو ذاته بعينيك ولا بعيون معلميك اذ ليست لهم عيون ترى ، بل رأيته اي الهـك وجماله بأذنيك ‥

واين هي الرؤية بالعيون ؟ هل وجدت أو يمكن ان توجد في أي مكـان أو عصر هذه الرؤية ؟ هل وجد من يرون بعيونهم أو يرون بها فقط ؟

انه اذا وجد أو لو وجد من يرون بعيونهم لكانت رؤيتهـم بعيونهم هـي اقـل واضعف واخفت واعمى رؤاهم ٠ انه لا يوجد عمى مثل عمى رؤية العيون ‥ انـه لا يوجد مصاب بكل تفاسير العمى مثل العيون المبصرة اي المبصرة حسيا ٠

ان العيون اذا رأت أو لو رأت فلن ترى الا مأمورة محكومة خاضعة لطغيان طغاة كثيرين شرسين هم ضد العيون الرائية وضد الرؤية ونافون مقاتلون فاقئون لها بل مفسدون مضللون لها ، يحولونها الى نقيض معناها ••• هل وجدت أو يمكن ان توجد عين واحدة مبصرة ليست معتدى عليها ومأمورة مهزومة مضللة ؟

انك لن تستطيع ان تحب الا بقلبك او ترى الا بعينيك او تسمع الا باذنيك ، أو تشتهي وتمارس شهواتك الا بأعضائك وجسدك ، أو تضرب وتحطم الا بعضلاتك ، كذلك لن تستطيع ان تؤمن الا بفكرك واخلاقك ومحاسباتك ومحاوراتك وتحديقاتك •• الا بتفجر وتزاحم الاشواق الفنية الشاعرية الانسانية في نفسك ومن نفسك الى نفسك ••

اي انك لن تصبح مؤمنا الا بذلك مهما حسبت او حسبت نفسك مؤمنا ••

انك اذا آمنت بأية وسيلة او حيلة اخرى فلست مؤمنا ولكنك مستفرغ عليك وفيك •• انك حينئذ لست مؤمنا حتى ولو صبت فيك أو كتبت وصورت ونقشت على جلدك كل الكتب المقدسة المنزلة والتعاليم المعلمة ، وكل الالوهيات والنبوات والقداسات وكل المنابر والمحاريب وكل أوصاف وفصاحات التهاويل عن أهوال الجحيم وكل الوعود الخرافية البلهاء المعدة المنتظرة لك في جنات النعيم التي زخرفتها آياتنا واساطيرنا واقنعتنا بها مجاعاتنا وخيالاتنا البدوية المصابة بالقحط الابدي •• هل يستطيع اي شيء ان يتحول الى فضح وهجاء مثل موهبة الخيال والتصور والشعر والتأميل فينا ؟

انه اي الايمان هو أن تقيم اقوى واذكى الحراسات على حدود ذاتك وعلى اذنيك ، فلا تترك اي اله أو نبي أو قديس أو زعيم أو مذهب أو دين أو رأي او صوت يمر ليستقر في عقلك أو ضميرك أو تقواك او حبك أو تصديقك أو احترامك او اخلاقك أو اية معاملة من معاملاتك الا بعد أن تقفه طويلا عند حدود ذاتك واذنيك لتحاسبه بكل اجهزتك الذاتية اطول واشمل واقسى وابرع المحاسبات •• اقسى واطول وابرع وأشمل مما تحاسب كل اجهزة الكون اي متهم كوني بكل ذنوب وعاهات وبلادات كل الكائنات والاشياء ••

ولكن هل يوجد مباح لكل اللصوص والاعداء والمتسللين ولكل الوان وجنسيات المهاجمين دون اية حراسة أو نية حراسة أو مطالبة باية حراسة مثل حدود اذنيك وحدود ذاتك الانسانية اي الادبية المعنوية اي ذاتك الفكرية الاقتناعية الفنية الاخلاقية الانتمائية النفسية ؟ هل شكوت أو بكيت ذات مرة لان اذنيك وذاتك هذه بلا اية حراسة ؟ هل طالبت ولو مرة بهذه الحراسة ؟

ان ذات الانسان اي الادبية المعنوية هي فـي كـل الاوقات والمجتمعـات اشهر واشهى واكبر واغلى هدف لكل اللصوص والغزاة والمتسللين والاعـداء المزعوميـن المحسوبين آلهة وانبياء ودعاة وقادة وزعماء ومعلمين ، دون ان يواجهوا بأية حراسة او حدود أو مقاومة ..

واعني دائما بالحراسة والمقاومة هنا حراسة الذات لنفسها ومقاومتهـا هـي دفاعا عن نفسها ..

انه اي الايمان لن يكون ايمانا ما لم يتعامل ويتفاهم مع اقوى واذكى الحراسات على كل حدود الذات ، وما لم يستأذن هذه الحراسات فتأذن له بالدخول الى الذات ليخطو اليها خائفا مترددا متواضعا مؤدبا مستحييا مقاسيا لكـل مشاعر الغربـة والحرج ، بعد ان تحاكمه اي اجهزة الحراسات الذاتية بكل القسوة والجرأة والصدق والحزم . ان كل الحراسات المطلوبة هنا والتي الحديث عنها يجب ان تكون جميعا من الذات ضد كل من يريدون الاقتحام لها أو التعامل والتخاطب معها .. انه لا شيء اغلى من ذات الانسان الادبية ولكن هل وجد مثل هذه الذات متروكا مباحـا لكـل المهاجمين بلا اية حراسة منها عليها ؟

اجل . ان انبل الحراسات واتقاها واوجبها هي الحراسات التي تقيمها الذات على كل حدودها لتحقق وتتحاور بكل القسوة والصدق مع كل الآلهة والانبياء والدعاة والقادة والمعلمين الذين يريدون الدخول اليها والسكن فيها ، لكي تقرأهم وتفهمهم وتراهم بكل التحديق والتعرية والارهاب لهم قبل ان تقبل التعامل معهم أو التفكير في الاذن لهم بالدخول اليها ..

انه ليجب الا تكون هناك اية محاسبات امام اية حدود اقسى أو اذكـى مـن المحاسبات التي يجب ان تحاسب بها الآلهة والانبياء والاديان والزعامات والقيادات وكل المعتقدات والملقنات امام حدود الذات ...

ان هؤلاء ليجب ان يحاسبوا ويفتشوا ويقرأوا ويوقفوا بكل نيـات ومنطـق ومشاعر الاتهام والتوجس والريب قبل ان تفتح لهم الذات أي باب أو نافـذة مـن ابوابها ونوافذها اقسى واطول مما يجب ان يحاسب ويفتش ويقرأ ويوقف اي متهم بل اخطر متهم محكوم عليه عالميا بل وكونيا بالادمان على العدوان والتزوير والتضليل لكـل العالـم وعلـى كـل العالـم ...

وهـل عومل بكـل التسامح والغفران بـل بكـل أساليب وتفاسير ونيات الحب والايمان والتمجيد والاستسلام ، متهمون بابشع واضخم وأشمل التهم بـل فاعلون

لهـا ، مثلما عومل بكـل ذلك الآلهة والانبياء والزعماء والقادة والاديان وكـل ألـوان المعتقدات والمأثورات والمرويات المطروحة فـي كـل الاسواق المفتوحة المباحـة لكـل اللصوص والغزاة ولكـل الفجار والكذبة والجهال الاغبياء؟ هل وجد اعـداء مغفور لهـم بـل مشكورون معبودون مثـل هـؤلاء ؟

أجـل ، أليس أخطر وأردأ وأوقح وأقبح اللصوص والمتسللين الى الذات الانسانية يسرقوا منها ويفسدوا ويشوهوا فيها كـل ذكائها وكبريائها وصفائها وشرفها وحبها وصدقها وشجاعتها بل وكل رؤيتها وحسها وحدسها هم الآلهة والانبياء والقادة وكل ألـوان وأفـواج المعلميـن ؟

***

اذن هـل ينبغي أن توجد قسوة في المحاسبة أو فـي الحراسة مثـل القسـوة التي يجب أن تكون في محاسبة هؤلاء وفي الحراسة التي يجب أن توضع لاتقائهم ، لاتقاء تسللهم الى الذات الانسانية مبصوقين وباصقين من الافواه التي لا تستطيع ولا تعرف ولا تريد أن تكون صادقة أو ذكية أو نظيفة أو مهذبة أو محبة ؟

نعم ، هـل الآلهة والانبياء وكـل أنواع المعلمين والمذهبيين تحت كل ازيائهم الا أفواه باصقة أو أفواه مبصوقة ؟

اذن لقد كانت غلطة أو أكذوبة أو بلادة أو خدعة عالمية ضخمة أعني بذلك حسبان وزعم من تلقى فيهم الآلهة والانبياء والاديان والمذاهب وكـل ألوان التعاليم الموروثـة المحفوظة ألقاء « مؤمنين » ٠٠ ولا يزال العالم يتعامل بهذه الغلطة أو الاكذوبة أو البلادة أو الخدعة ـ يتعامل بها اقتناعا أو تغابيا أو غيبوبة أو لغة فقط ، أو لا يزال ساكتا على من يتعاملون بها وعنهم ، غافرا لهم تعاملهم هذا أو مشغولا عنها وعنهم ٠

***

والان ٠٠ اذا لـم يكن من يحسبون « مؤمنين » مؤمنين بأي تفسير من تفاسير الايمان ، وكان الايمان شيئا محتوما أو مفروضا أو مطلوبا أو نافعا، اي وكان مستحيلا أن يكون الانسان دون ان يكون الايمان بقدر مـا هـو مستحيل أن يكون الانسان ثـم لا يكون التفكير والنقد والقبول والرفض والغضب والاحتجاج والاعجاب والاشمئزاز والحب والبغض والشعر والغناء والموسيقى والفرح والبكاء والغباء والنذالة والوقاحة ـ نعم ، اذا كان ذلك كذلك فمن هـم اذن المؤمنون الذين لا بد أن يكونهم الانسان أو الذين لا بـد أن يكونوا بعض الانسان أو ظاهرة أو شيئا في الانسان أو مجـدا وقـوة لـه أو اعتذار عن بلاداته وهوانه ٠٠ عن كونه في كـل تاريخه أشهر وأرخص

واوسع وعاء في الكون لاستقبال بصاق واستفراغ كل الباصقين والمستفرغين عليه وفيه ، أي باصقي ومستفرغي الآلهة والانبياء والاديان وجميع الوان المذاهب والتعاليم ، اي باصقي ومستفرغي الاكاذيب والاوهام والتهاويل الرهيبة الكئيبة المذلة المحقرة المشوهة لكل ما يزعم للانسان من ذكاء وكبرياء وحصانة منطقية واخلاقية ونفسية ودينية ومذهبية ؟

اذا لم يكن المؤمنون مؤمنين أو هم المؤمنين فمن هم اذن المؤمنون ان كان محتوما أن يوجد مؤمنون ؟

بلا تفوق في الذكاء أو الشجاعة وبلا ادعاء شيء من ذلك لا بد أن يقال أن الملحدين ، أي من يزعمون ويحسبون ملحدين ، هم هؤلاء المؤمنون بكل تفاسير الايمان وشروطه وصيغه ٠

« الملحدون هم المؤمنون » انها قضية لا يستطيع أي منطق تخلق عن منطق أو تخلق باساليب منطقية ، أن ينكرها أو حتى يشك فيها ٠٠٠

اذن فان كل المجد والنجاة والحب للملحدين أن كان الايمان هو الطريق الى المجد والنجاة والحب اعني الملحدين الذين فعلوا الحادهم لا الذين لقنوه أو بصق فيهم ٠٠

ان « الايمان » فعل والمؤمن فاعل أي فاعل للايمان وليس مفعولا به الايمان أو مستفرغا فيه وعليه ، أي هكذا يجب أن يفهم ويفسر ٠

ان فعل «آمن» مثل أفعال أحسن واتقن ورأى وسمع وأحب ونطق ومشى وكذب وقتل وسرق ونافق ٠ أي أن هذه الافعال أو الكلمات تعني أن من أسندت اليه قد فعل الشيء وأوجده ولا تعني أنه قد فعل أو صب أو ألقي فيه الشيء ٠ اذن فالمؤمن هو فاعل ايمانه ٠ أنه لن يكون مؤمنا الا اذا كان هو الفاعل لايمانه كما أن السارق أو القاتل أو المحب أو المعجب أو الكاره أو الرائي أو السامع أو المغني أو المصلي هو الذي يفعل فعله وتفاسيره وأوصافه بذاته ، باعضائه وأحاسيسه وممارساته ، وليس هو الذي يفعل به أو فيه ذلك ٠ أليس الحزين أو العاشق هو الذي تصوغ ذاته ومشاعره وطاقاته وظروفه ومجاعاته ورؤاه أحزانه أو عشقه ، وليس هو الذي يسقط فيه الحزن أو العشق، أو الذي يعلم الحزن أو العشق أو يؤمر به أو ينزل عليه في كتب مقدسة محفوظة ، أو الذي يحزن ويعشق له الاخرون ، كما أن القارىء والرائي والسامع والكاتب هو الذي يرى ويقرأ ويسمع ويكتب بعينيه واذنيه ويده ، وليس هو الذي يقرأ ويرى ويسمع ويكتب له الاخرون ، ولا هو الذي يفعل ذلك بعيون وآذان وأيدي الاخرين ؟ هل يمكن ان يرى أو يسمع انسان بالتعليم ؟ ولو رأى أو سمع بالتعليم فهل يمكن أن يكون أو يحسب رائيا أو سامعا ؟

أجـل ، أنــه لــن يكون مؤمنا الا من صنع هـو ايمانه لا من صب أو استفرغ فيــه أيمانه أو صنع لــه أو أوحي اليــه أو علمه أو امر بــه أو روي له أو ورثه أو وصـل أليــه تقليـدا واستمـرارا ٠

والملحد أعني بـه غيـر المقلد قـد فعل الحاده اي ايمانه ، فعله برؤيته وتفكيره ومحاكماته ومحاسباته وباشتراطاته الحادة على عقله واخلاقه ونماذجـه المختلفـة باشتراطاتها عليه ٠ ولا بـد من الاعتراف بأنـه ليس كـل ملحد ملحدا ٠

ان كثيرا من الملحدين ليسوا ملحدين وانما صـب فيهـم الالحاد صبـا ، لهـذا فـهم ليسـوا مؤمنيـن ٠٠

أن الملحد أنسان قـد خرج من كل أكواخ وخيام وعباءات آبائه وأنبيائه وتاريخه لانــه لـم يجـد في هذه الاكواخ والخيام والعباءات الجمال أو الفن أو المنطق أو الراحة أو الابداع أو الشروط التي يفهمها ويشترطها ويطالب بها ٠٠ لقد وجدها خروجا على كـل نماذجه ورؤاه وأخلاقه ، على كـل اشتراطاته الفنية والعقلية والجمالية ٠٠

انه انسان قـد هاجر من عيون وعقول وقلوب وضمائر واخلاق وسطور ومحاريب مجتمعه وتاريخه وصحرائه الى عينيه هـو والى عقله وقلبه وضميره وأخلاقه ووجوده وحياته والى جميع اشتراطاته الخاصة المتعددة ٠

لقـد ألقى بيـن يديـه بكـل مـا استفرغ وبصق في راسه وهجم عليه يـراه ويقرؤه ويفسره ويحاسبه ويحاكمه ويحاوره ، بكـل الشراسة والجراة والحمـاس والصدق ، بعينيه وفكره وشروطه وتجاربه وأخلاقه وبكـل أمانيه واشواقه ولهفاته٠ لقـد القى أمامه على الارض بكـل البصاق والاستفراغ الذي صب في راسه دون أن يفهم أو يريد او يرفض ودون أن يكون خصما أو عدوا لمن بصقوا او استفرغوا عليه وفيه٠

لقـد أقتحم رأسه ، متخطيا متحديا هازما لكل أنواع الحراسات والحصون المقامة حوله والمضروبة عليه ليخضع كـل مـا القي وتجمع فيــه لاقسى عمليات التفتيش والاختبار ، ليرى ويعرف ويقتنع ويختار فيؤمن ، يؤمن بمـا رأى وعـرف واقتنـع وأختار ٠ أليس أنبل الاقتحامات هـو اقتحام المـرء لرأسه لمحاورة ومحاسبة ما إلقي وتجمع فيه ؟ وهل يكون انسانا من لم يقتحم رأسه لتطهيره من الجثث الملوثة لــه ؟

اذن فمن يزعم ويحسب ملحدا ليس الا انسانا قد رفض ان يكـون او أن يظـل مبصوقا مستفرغا في رأسه ليكون رائيا عارفا مختارا مقتنعا مؤمنا ٠

لقـد تخطى طـور من يبصق ويستفرغ فيــه الى طـور من يؤمن ، الى طور من يفعل رافضا طور من يفعل به، رافضا ان يظل رأسه مقبرة تاريخية للعفونات المبصوقة٠

لقد رفض ان يظل شيئا يستقبل الاشياء ملقاة فيه كما تلقى فيه ليصبح انسانا يستقبل الاشياء بالرؤية والفهم والاختبار والاختيار والاقتناع ثم بالايمان المفهوم منطقه واسبابه ، ثم بالايمان الرافض المتقبل • وهل يكون الايمان الا رفضا وتقبلا ؟ ان الايمان مؤلف دائما من شيئين : الرفض والتقبل أي الذاتيين المفعولين المفهومين المختارين ذاتيا لا المستفرغين المبصوقين •

ان من يؤمن دائما وفقط لن يكون مؤمنا وكذلك من يرفض دائما وفقط • أن الذين يؤمنون بشيء ما دائما في كل اطوار ومراحل حياتهم بدرجة واحدة واقتناع واحد من قوة الايمان ، واصفين ورائين لما او لمن آمنوا به رؤية وأوصافا واحدة لا تتغير ان هؤلاء لن يكونوا مؤمنين •

ان الايمان لا بد أن يكون متحركا قوةوضعفا ، صعودا وهبوطا ، ولا بد أن يكون مرتجفا رضا وغضبا ، فرحا وخوفا ، تقبلا ورفضا ، اعجابا واشمئزازا ، رؤية للجمال ورؤية للدمامة ، والا فلن يكون ايمانا • ان الذي يرى آلهه أو معلمه أو دينه او مذهبه في صورة واحدة دائمة ثابتة من الجمال أو القوة أو الذكاء أو النظافة لن يكون مؤمنا •

ان الآله او النبي او المعلم او الدين او المذهب الذي تراه دائما رؤية واحدة في اقناعها وجمالها واعجابها وقوتها وثباتها ، لن يكون أي هذا الآله أو النبي أو المعلم او الدين او المذهب الا حجرا وانك انت أيها المؤمن الرائي لن تكون لك تفاسير او عيون او ايمان اكثر او افضل او اذكى مما للحجر من ذلك ••

ان الايمان ليس الا تعاملا وتحاورا مع ما نؤمن به ، تحاورا وتعاملا بالرؤية والفكر والقلب والضمير والاخلاق وبالشروط القاسية الملتزمة • واي آله أو نبي او قائد او دين او مذهب يحكم عليه بهذا الايمان به أليس محتوما الا تكون احتمالات نجاته من الرعب والضياع والتمزق والتشوه واحتمالات بقائه فيمكانه وذاته وصورته الدائمة افضل من احتمالات أن ينجو من كل ذلك من يوضع تحت اعصار هائل دائم او فوق مركز زلزال هائل دائم النشاط والعمل ؟

انه لا شيء يستحق اقسى المحاسبة والمساءلة الشاملة الدائمة الحازمة مثل الآله او الدين او المذهب الذي نؤمن به أو نريد أن نؤمن به او نجد أننا قد آمنا به مستفرغا مبصوقا في رؤوسنا •• اذن هل يمكن تصور ما يستحق كل الرثاء والاشفاق مثل ما نؤمن به او من نؤمن به حين يكون ايماننا ايمان محاورة ومساءلة ومحاسبة وتحديق شجاع صادق ؟ ولكن كم هي محظوظة الالوهيات والنبوات والزعامات والمعتقدات لان الناس لا يؤمنون بها هذا الايمان ••

انــه أي من يحسب ويدعى ملحدا ليس ألا أنسانا رفض منطقه وضميره وصدقه وشجاعته وكرامته وأخلاقه وشرفه الانساني أن تكون آلهته أو انبياؤه أو عقائــده أو مذاهبه أو انتماءاته جثـثا تاريخية تلقى القاء ، أو أن يكون رأسه مقبرة للجثـث المكفنة بكـل العفونات والعاهات والجراثيم التي حبل بها وحملها كـل جسد التاريخ المصاب بكـل الاوبئة والآفات والتشوهات المعروفة وغير المعروفة ··

وهــل كان رجالنا التاريخيون الخالدون العظام الذين جاءوا ليعلمونا الايمان بهم وبأربابهم وأشباحهم وأديانهم وكتبهم المقدسة وبمذاهبهم بكـل تعاليمهم ·

هــل كانوا جميعا الا ناقلين الينا كـل مـا كان في جسد التاريخ من قبح وتلوث وعجز ووباء وأخطاء ؟ بـل هـل كانت لهـم قضية أو رسالة او نفع أو تفسير غير ذلك ؟ لقــد كانوا أقوى الاجهزة وأغلاها ثمنا لتوصيل اردأ الاشياء الينا ··

تذكر ايها المؤمن · أن نبيك أو معلمك أو دينك أو مذهبك ليس ألا ناقل عدوى تاريخية شاملة اليك · تنبه ايها المؤمن !!·

**
*

اذن لقــد فصل في قضية الايمان وجــاء الحكم فيها أن من يحسب ويدعى ملحدا هــو المؤمن ، أمــا من يحسب ويدعى «مؤمنا» فليس الا مبصوقا في رأسه · وهنــا وبتكرار لا بــد من القول بأنــه ليس كـل الملحدين ملحدين بهـذه التفاسيـر بـل الكثيرون ممــن يحسبون ملحدين ليسوا ألا مبصوقا في رؤوسهم مثل من يحسبون مؤمنيـــن ··

ولكن مــا الرأي أو الحكم في قضية الاخلاق بعد قضية الايمان ؟ ايهما ، اي من يحسب مؤمنا ومن يحسب ملحدا ، أقوى وأذكى حســا واشتراطا اخلاقيــا ورؤيــة وأشواقــا أخلاقيــة ؟

ايهما ينتظر منــه ويفترض فيــه أن يكون أتقى وأقوى أخلاقا وأقدر علــى أن يكون كذلك وأبعد عن المنطق وعن التوافق مــع الذات اذا لم يكن كذلك ؟

أنــه لمـن الصعب أو المستحيل أن يوجد من يتقبل أو يتحمل حتى الاستماع الى هــذا التساؤل ، اذ لــم يوجد من يتعلم ويعلم ويقتنــع بــأن الايــمان أي المزعــوم ايمانا هــو المبتكر والواهب والمعلم والمؤكد لكـل الاخلاق ، وأن الالحاد أي الخروج على هذا الايمان المبصوق هــو الخروج الشامل البذيء على جميــع الاخلاق ، علــى جميــع القيــم الانسانيــة العظيمــة ··

ولكن لـو حوسبت هذه القضية ووضعت تحت التفكير من جديد فماذا يمكن أن تكون الرؤية والرأي لـها وفيـها ؟

أريد ان أحكم هنا قبل أن أذكر الاسباب والادلة فاقول أن الالحاد أي مـا يحسب ويزعم الحادا ليس الا رؤية وموقفا أخلاقيين أو لا بـد من أفتراضه وتفسيره كذلك. امـا الايمان أي البصق في الرؤوس المزعوم أيمانا فلـن يكون الا عجزا عن كل الرؤى والمحاسبات والاشتراطات الاخلاقية ، لـن يكون الا فقدا لكـل الحس الاخلاقي ، أو لـن يفسـر أو يفتـرض أو يفهـم الا بأنـه كذلـك ٠

ان من يدعى ملحدا قـد قـرأ وحاكم وحاسب وفسر هذا الكـون الذي هـو كـل عبقرية الآله وفنـه وحبه وضميره وأخلاقه وقدرته.فوجده فضيحة أخلاقية لا تنافسها او تشبهها أيـة فضيحة أخرى واقعة أو متصورة ٠ وهـو أي المزعوم ملحدا يفـرض على كـل الاشياء حتى على الآلهة ويفترض فيهـا أقسى الشروط والنماذج الاخلاقية لان في داخله حسا وأشتراطا أخلاقيين ٠٠ والانسان اي أنسان لا يمكـن أن يـرى الاشياء او يحاسبها خارجا من كـل ذاتـه ٠

لهذا أصرخ قائلا : كـلا ، ايها الكون السخيف الاليم الوقح ، انـت لسـت عطية آلـه ، وليس فوقك أو حولك أو معـك أو فيك أي آلـه لان الآلـه لا بـد أن يكون اخلاقا ٠ أنـي لـن أتصوره أو أفهمه أو أقبله او افسره الا كذلك ٠

أنـك اذن ايها الكون القبيح لنفي حاسم شامل قاسي لكـل احتمالات أي آلـه ٠ ان أي آلـه بـل ان اي كائن مهما كان هبوطه وضعفه لـن يقبل أن يكون عقـله أو موهبته أو خلقه أو فنه أو شاعريته أوحتى عبثه أو لعبه أو مسلاته ٠٠

اني لا املك الوقاحة الاخلاقية التي تجعلني أجد في هذا الكون أي تفسير أخلاقي او ايـة صيغة اخلاقية أو تجعلني أتصور أو أتقبل الآله خارجا على كـل التفاسيـر والصيـغ والمستويـات الاخلاقيـة ٠٠٠

اني لا استطيع الهبوط الى هذا للحضيض في اخلاقي أو تصوراتي أو تفكيـري او فـي تفسيـر مـن تفاسيـري ٠

امـا المؤمن أي المحسوب مؤمنا لانـه قـد بصق في رأسه فـلا بـد من تفسيره باحـد هذه التفاسير الثلاثة : أمـا أنـه قـد وجد كـل مـا في الكون قمة اخلاقيـة او انـه وحده خروجا على كـل التفاسير والقيم الاخلاقية ولكنه لا يشترط أو يفترض في الآله او لـه ايـة شروط أخلاقية من أي نوع ولا بـأي قـدر ، أو أنـه لا يـرى الاشياء أو يقرؤها أو يحاسبها قراءة أو رؤية أو محاسبة أخلاقية لانـه هـو فاقـد لكـل الاحاسيس والتطلعات والاشتراطات والاشواق الاخلاقية ٠ اذن كيف يكـون

الشيء أو يلتزم بالشيء أو يخاطر ويقاسي ليكون الشيء الذي لا يحسه أو يشترطه أو ينطاع ويشتاق اليـه ؟ كيف يمكن أن يحدث هذا أو ينتظر ؟

الذي لا يشترط أو يفترض في الكون أو في أي شيء بـل أو في الآلـه بـل او ينتظر منـه أو يطالبه أن يكون اخلاقيا ، وكذلك الذي لا يري أو يقرأ أي شيء رؤية أو قراءة أخلاقية لانـه هـو فاقد كـل الاحاسيس والاشواق والتمنيات الاخلاقيـة ـ مثـل هـذا الانسان كيف ينتظر منـه أن يكون اخلاقيا ؟

نعم ، انسان يرى الكون كلـه قمـة أخلاقية في جميع صيغه وتفاسيره كيـف يمكن أن يكون هبوط وفساد وعيـه وتفاسيره وتصوراته للاخلاق ، أو يرى كمـال الآله ومجده وحبه ومسراته وشهواته في أن يكون بـلا أي قدر من الاخلاق كيف يمكن أن يتصور أو يعتقد أنـه هـو ملزم بـأي قدر أو أسلوب من الاخلاق أي بأن يكـون هـو ملزما بكمال لا يلتزم بـه الآله بـل ولا يفترض فيه أو يراد منه ؟

كيف ينتظر ممن يرى الآله خروجا شاملا على كـل الاخلاق ، بـل ممن يرى أن كـل كمال الآله ومجده وعظمته وحبه وفنه وبراهين وجوده ومسوغات الايمان بـه والعبادة لـه في أن يكون خروجا شاملا على الاخلاق كلها ·

نعم ، كيف ينتظر ممن يرى ذلك أن يكون هـو أخلاقيا أو الا يكون عدوا للاخلاق أو أن يكون محكوما بأي احساس اخلاقي أو رؤية اخلاقية ؟

كيف حدث أو يمكن أن يحدث هذا ؟ هـل فقـد كـل الناس كـل المنطـق ، فـي هذه القضية بـل وفي قضايا أخرى بـل في جميع القضايا ؟

كيف أمكن أن يخطىء أي منطق في هذا أو في أي شيء منه ؟

كيف أمكن أن يخطىء في أن هذا الكون خروج شامل وقـح على كـل الاخلاق ، أو في أن مريد هذا الكون وصانعه وحاكمه خارج بكـل الوقاحة والوحشية على جميع التفاسير الاخلاقية ، أو في أن من يري فيـه أي فـي الكون أيـة صيغـة اخلاقيـة لا بـد أن يكون فاقدا لكـل أحساس أخلاقي ولكـل رؤية أخلاقية ، وكذلك مـن يرى أنـه من المقبول أو المغفور أو المحتمل أن يكون الآله بـلا أيـة اخلاق ، أو في أن من يرى هذه الرؤية للكون والآله ويفقد كـل الاحاسيس والرؤى الاخلاقية لـن ينتظـر منـه أن يكون أخلاقيا بأيـة صيغـة أو تفسيـر ؟

كيف أمكن أن يخطىء فيأي شيء من هذا إي أنسان مهما كان فاقدا للرؤية والمحاسبة؟

أن أفتراض الكون اخلاقيا مستحيل ، وكـذا مستحيل افتراضه غير اخلاقي مع افتراض صانعه وحاكمه الآله اخلاقيا ، وكـذا افتراضه أي الآله غيـر اخلاقي وغيـر

مطالب بـان يكون اخلاقيا ، وكـذا مستحيل أن يكون ذا حس اخلاقي أو رؤية أخلاقية من يرى للكون اخلاقيا أو يراه غيـر اخلاقي مـع رؤيته للآله أخلاقيا ، أو يراه أي يرى الآلـه معفى من أن يكون أخلاقيا ومغفورا لـه ألا يكون ذلك بـل ويرى كـل عبقريته ومجده في ألا يكون ذلك ٠٠

كـذا مستحيل أن يكون اخلاقيا من فقـد كـل الرؤية والحس الاخلاقيين ٠٠

اذن مستحيل أن يكون المؤمن اخلاقيا أعني المؤمن باخلاقية الكون أو بخروجـه على الاخلاقية مـع اخلاقية الآله أو باعفاء الآلـه من أن يكون أخلاقيا ٠ أي أعنـي المؤمن بتفاسير الانبياء والاديان للمؤمن والايمان ٠ أن هذا المؤمن لـن يستطيع أن يكون أخلاقيا الا اذا كان خارجا على أيمانه هذا ٠ ان سلوكه الاخلاقي اتهام وتجهيل لايمانـــه ٠٠

نعم ، كـل هذا مستحيل أن يكون فيـه شيء من الصدق أو الذكاء أو المنطق أو الصـواب أو الرؤيـة او المحاسبـة ٠٠

انها لقمة البلادة والعمى ان ترى الكون اخلاقيا أو أن تراه غيـر اخلاقي ثـم ترى الآلـه اخلاقيا ، أو أن ترى الآله غيـر اخلاقي ثـم ترى أنـك أنـت تستطيع أن تكون أخلاقيا أو أن عليك أو أن من الافضل والاكرم والاجدر بـك ولك أن تكون اخلاقيا ٠ وانها لقمة الزندقة والهجاء للآله أن ترى اخلاقيته في أن يكون غيـر اخلاقي ، أو أن ترى ان عليك أن تكون انبل اخلاقا من الآله ٠٠

نعم ، أنـه لاقسى سبابـ لـ كأو لآلهك أو لكما معـا أن يكون أي آلهك غيـر اخلاقي ثـم تكون أنـت أخلاقيا أو ترى أن عليك ان تكون كذلك ٠ وانـه لاقسـى سباب لذكائك ولاخلاقك أن ترى الكون أو الآله اخلاقيا ٠ انها لورطة لـن يستطيع المؤمن الخروج منها الا بـان يفقد كـل الرؤية والذكاء والصدق والحس والمحاسبـة لاي شـــيء ٠

أليس المفروض عليك والاتقى لـك أن تخرج على كـل الاخلاق بـل ان تعـادي وتقاوم كـل الاخلاق ان كان الهك بـلا ايـة اخلاق او ان كنت تراه كذلك لئلا تكون أو ترى نفسك أفضل أو اتقى منه ؟ نعم ، أليس أيمانك يفرض عليك ألا تكون أتقى أو أنبل من آلهك ؟ ثـم أليس هذا يعني ألا يوجد مثلك أحتياجا الى معاداة الاخلاق والـى الخـروج عليهـا ؟

نعم ، أنـه ليجب عليك أن تعتقدان الآله لـن يعادي أحدا أو شيئا مثلما يعاديك أو مثلما يجب أن يعاديك حين تحسب أن عليك أن تلتزم وتفعل من جيد الاخلاق مـا

لا يلتزم أو يفعل هو أو أن تجتنب وترفض من سيء الاخلاق ما لا يرفض أو يجتنب هو • أنك لن تستطيع أن تنجو من هذا وهذا : من أن ترى الكون قمة المجد الاخلاقي أو أن ترى الآله قمة الفجور الاخلاقي •

ولكن هل تستطيع أن ترى شيئا من هاتين الرؤيتين ؟

كيف ترى أنه خروج على كل الاخلاق والتقوى والرحمة والنبل أن تؤذي أو تحقر أو تشوه أو تمرض أو تقتل أو تعذب أو تخيف أو تجيع أي كائن ، أي كائن بريء أو أن تكون مستطيعا لانقاذه ثم لا تنقذه ، وترى أنك فاجر ونذل ووحش لئيم لو أنك فعلت ذلك أو شيئا منه ، أو لو أنك لم تفعل هذا الانقاذ وأنت تستطيعه ـ ثم ترى ان الآله هو كل الاخلاق والحب والنبل والرحمة مع أنه أو لانه يفعل كل هذه القباحات والجرائم ولا يفعل هذا الانقاذ الذي يستطيع أن يفعله بلا أية مقاساة أو خطأ أو زمن أو تخطيط بل بالمشيئة والكلمة السريعة غير المختارة أو الانيقة ؟

نعم ، وأنك لترى هذا وهذا •

كيف ترى أنك لا بد أن تكون وأن ترى نفسك ويرلك الاخرون نذلا ودميما وعابثا وسفيها وجائرا لو أنك أردت أو دبرت أو صنعت الدمامات والعبث والسفه أو لو أن متألما أو مكروبا أو خائفا أو مظلوما أو جائعا او ضالا دعاك وتضرع اليك وهتف واستغاثه بك ثم لم تستمع اليه أو تستجب له أو حتى ترث أو ترق له وأنت قادر أن تفعل له كل ما يريد دون أن تقاسي أو يؤخذ منك ، او لو أنك فرقت وميزت بين متساويين بأن أردت ودبرت وأشتهيت وجعلت أحدهما سويا ذكيا قويا جميلا سعيدا مجيدا كريما ثم فعلت بالاخر وأردت ودبرت واشتهيت له نقيض ذلك ؟

نعم ، كيف ترى نفسك وترى كل الاخرين أمثالك هذه الرؤية بكل محاسباتها ومحاكماتها ولحكامها ولكنك لا ترى الآله شيئا من هذه الرؤية ولا تحاكمه أو تحاسبه أو تحكم عليه بشيء من محاكماتها أو محاسباتها او احكامها ؟

نعم ، انك لترى نفسك وكل أحد هذه الرؤية دون ان ترى الآله بها ••

لقد رأيت الآله وتراه دائما يريد ويدبر ويشتهي ويفعل كل الدمامات والتشوهات والعبث والسفه ويفرق بين المثلين بكل القسوة والفظاظة والقبح بادئا مخططا ، ورأيت وترى دائما جميع المتألمين والخائفين والمكروبين والمظلومين والضالين والضائعين يدعونه ويستغيثون ويهتفون به بكل مشاعر اللهفة والامل والايمان والحرارة والصدق والخنوع والهوان والسقوط والتمزق والذلة والتذلل والافتضاح

والتنازل عن كـل مستويات الكرامة والكبرياء والذكاء والاستحياء والشجاعة والرؤية للذات ٠٠ دون أن يسمع أو يستجيب أو يرق أو يرثي أو يبقي أو يهرب أو يختفي أو ينتحر خجلا واشمئزازا من صممه أو عجزه أو قسوته او نذالته ٠ كيف أمكـن أن يقبل الآله نفسه أو أخلاقه أو أفعاله او ان يغفرها او يغفر لـها أو يصبر عليها أو ألا يتخطاها ويخرج عليها ولـو بالانتحار أو بالهرب من كـل هذا الكون ؟

انـه لشيء مهين أن يكون قـد بقي انسان واحد يرى أو يعتقد أن للآلـه سمعا أو قلبا أو ضميرا أو رؤية او قدرة أو وظيفة او اي قدر من الاخلاق أو العواطف وهـو يرى كـل أفواج وطوابير كـل المكروبين والخائفين والمتعذبين والمظلومين المسحوقين المتألمين يئنون ويصرخون ويهتفون ويدعون ويصلون وينتظرون ويؤملون ويؤمنون دون أن يسمع أو يستجاب لواحد منهم تحت أي ظرف أو في أي وقت ٠ هـل يوجد من يحقر الآله ويحقر نماذجه مثل من يراه أو يعتقده يرى ويسمع ويستطيع ثـم لا يستجيب ولا لواحد من الهاتفين الضارعين المستنجدين الغرقى في كـل بحار الذعر والعـــذاب ؟

ان على من يشك في ذلك أن يجرب ، أن يدعـو ويتضرع ويهتـف ويستغيث ويصرخ ويئـن بكـل قلوب وضمائر وتقوى ولغات وصدق كـل الانبياء والقديسين متوجها الى ذلك الجالس بكـل استرخاء وخمول فـوق السماء ثـم لينظر هل يمكن أن يسمع أو يستجيب . ثـم لينظر هـل يمكن أن يجد مستمعا أو مستجيبا ؟

اني أطلب من كـل المؤمنين بـل من كـل العالمين أن يجربوا هذه التجربة المكررة ابدا ، أن يجرّبوها على هذا الانسان الذي أتصوره وأفترضه وأصف آلامـه ٠٠

هذا الانسان مصاب بعاهة او تشوهات او اخطاء بدنية خطيرة وأليمة وقبيحـة بكـل القبح ، عجـز كـل الطب والعلم عن علاجها ويئس من شفائها أو رفض علاجها وشفاءها أو لـم يحاول أن يعالجها ويشفي منها ، أو لانـه لـم يجدها أو تجده

ليذهب هذا الانسان ومعـه كـل المؤمنين بـل كـل العالمين يحملون كل الكتب المقدسة ، الى كـل المعابد ، ليدعـوا ويهتفوا ويستنجدوا ويئنـوا ويصرخوا بكـل الاصوات واللغـات والقلوب والضمائر ، طالبين ومنتظرين ومؤملين الشفـاء لهـذا الانسان ، يصنعه لـه ذلك الكائن المتهيء المتفرغ المنتـظر لمـن يطلبون منـه لكـي يستجيب ويفعل لهـم بكـل السرعة والنخوة والشهوة والقـوة والنشـوة والفـرح

ثـم أطلب منهم أن يحاسبوا ويحاكموا ويقرأوا ويحاكموا ويقـرأوا ويفسـروا انفسهم وايمانهم وذلك الكائن المدعو المرجو ـ أطلب منهم أن يفعلوا كـل ذلـك بكـل الصـدق والعـدل والشجاعـة ٠٠٠

ثـم أطلب منهم أن يسائلوا كـل مـا فيهم من احتمالات الذكاء وللصدق والرؤية ليقـول لهـم مـاذا وجـدوا ..

عجبا !.. هـل الانسان بليد أو متبلد أو متبالد أو عاشق مريد للبلادة أو اعمى او باحث عن الغواية والضلال والعبث الى كـل هذا الحضيض ؟
اذن كيف صنع عبقرياته وانجازاته المذهلة ؟

انــه لا يوجد شيء لـم يكن يجوز أو يقبل أو يحتمل أن يخطىء فيه أنسان واحد ومـع هذا اخطـأ فيــه كـل البشر في كـل التاريخ ، ولا يزالون يخطئون فيه، مثل الاعتقاد بأنــه يوجد كائن أعلى مطلق فوق وخارج الاسباب والقوى المرئية ، يسمع ويستجيب ويستطيع ويفعل كـل مـا يراد ويؤمل منــه ويشكى منــه اليه ، بالصلاة والدعاء والبكاء والتخضع والتذلل والمسكنة وبالسقوط الى الارض ركوعـا وسجـودا وانهيارا بـل وبكراهة وسـب الاخرين المخالفين ، لان المؤمنين بهذا الكائن الاعلـى المزعوم يرون أنــه يفعل مـا يطلب منــه بارضائه وهـم يرون أن كراهـة الاخريـن المخالفيــن وسبـهم يرضيانــه .

أنــه لـو جـاز أن تغفر أو تعذر أو تسامح كـل الاخطاء أو حتى تفسر لما كان ممكنا أو جائزا أن يغفر أو يعذر أو يسامح أو يفسر هذا الخطأ اي الاعتقاد بأن فوق هذا الكون كائنا أعلى مطلق يفعل ويهب وينقذ بالدعاء والبكاء والتذلل وبالطلب منه .
أنـت تدعو وترجو لكـل مشاكلك وآلامك واحتياجاتك وشكاياتك مـن دعوت ورجوت كـل حياتك دون أن يسمعك أو يرد عليك أو يستجيب أو يفعل لـك أي شيء دعوته ورجوته لفعله . ومن رأيته وعلمته يفعل مـع كـل من يدعونه ويرجونه مثـل الـذي فـعل معـك وبـك ..

نعم ، أنـت تفعل ذلك .. أصحيح أنـك تفعله ؟ حـدق فـي نفسك بقسوة !! وهـل تستطيع أن تحدق في نفسك ؟ هل يوجد من يستطيعون التحديق في انفسهم ؟
اذن هـل يوجد مثلك سخفا وغفلة وبلاهة وعبثا وضياعا بـل وعمى وبلادة وهزلا وسخرية ؟ هـل يوجد مثلك ساخرا بكل القسوة من نفسه ؟

اذن لماذا لا تدعو الحجارة لتفعل لـك مـا تريد وتدفع عنك مـا تكره وترفـض وتخاف ؟ هـل جربت فوجدت ان هذا الكائن الاعلى المزعوم يسمعك ويستجيب لـك أكثر أو أقدر مما تفعل الحجارة ؟ حاول أن تجرب ذلـك مرات أخرى واشهـد علـى تجاربك كـل من شئت من كـل العالم ، ثـم أحكم بصدق وشجاعة وليحكم معك كذلـك كـل شـهودك .

احكموا هـل هذا الكائن الاعلى المزعوم يسمع أو يستطيع أو يفعل أكثـر مـن أي حجـر ؟ أليس الفرق بينهما أن الحجر حجر مرئي أمـا ذلك الكائن الاعلى المزعوم فحجر غير مرئي ولا يستطيع ان يكون مرئيا ؟

اليست دعوة المرئي الذي لا يستجيب معذورة أو مغفورة أو فنية شاعرية أكثر من دعوة من لا يمكن ان يستجيب او أن يكون مرئيا ؟ ألست تظل معقولا او مقبولا حين تهتف بالنجوم او الاطلال المرئية ولكن هـل تظل كذلك لو خاطبت الاشباح الاسطورية غيـــر المرئيـــة ؟

وكـم كان مفروضا بـل ومحتوما أن تنشأ الجمعيات وتعقد الندوات والمؤتمرات العالمية والمحلية الدائمة المؤلفة من كـل الوان العلماء والمفكرين والنفسانيين ، ليدرسوا ويعرفوا ويفسروا هذه البلاهة أو الآفـة أو الظاهرة التاريخية العالميـة ٠٠ ليدرسوا ويعرفوا ويفسروا كيف أمكن أن يحدث هذا ، أي أن يظل كـل البشر في كل التاريخ يدعون ويرجون وينتظرون من يعرفون بكـل تجاربهم الدائمة الاليمة أنـه لم يسمع أو يستجب لواحد منهم في أي وقت ، في أي طلب ، تحت أي ظرف ، وأنه لن يسمع او يستجيب في المستقبل لاي واحد منهم لانـه لـم يسمع أو يستجب في كل الماضي والحاضر لهذا الواحد منهم ؟ نعم ، أنهم جميعا ليعرفون أنـه لا يسمع ولا يستجيب ولا يستطيع بـل ولا يرى ٠ لهذا أمكن أن يحيوا ويتصرفوا كما يحيون ويتصرفون وأن يتعروا ويتلوثوا داخل عينيه وضميره دون خشية أن يفقأوا عينيـه أو يحرقوا ضميـره أو يفجـروا غضبـه أو يثيـروا أحزانـه ٠

اذن كيف لـم يحدث مـا كان مفروضا ومحتوما أن يحدث ؟

هـل هـي غفلة عالمية ؟ هـل هـو تآمر يتآمره الانسان ضـد ذكائه ومنطقـه وجده وصدقه ، ضـد كرامته الانسانية وضد حضاراته وعبقرياته ؟

هل هـو جمال أو حاجة أو ضرورة أو فن أو شاعرية في الحياة ولها وفي الانسان ولـه أن يكون أي الانسان ممارسا بكـل الافتضاح والديمومة والعالميـة للبـلادات والبلاهات والآفات والسخافات والعبث والجنون ؟ هـل الانسان لا يستطيع أن ينام أو ياكل أو يفرح أو يمارس الجنس ببذاءة أو يحب ابناءه الا بأن يكون بليدا وعابثا وسخيفـــا ؟

نعم ، افواج هائلة متتابعة متكررة من البشر العقلاء أو المفروضين عقلاء وجادين، تذهب بديمومة ومهابة الى المعابد لتقيم الاحتفالات والصلوات طالبة مؤملة منتظـرة كـل شيء ، كـل المستحيلات ، بالدعاء والبكاء والمناشدة الذليلة البائسة ، من كائن

يعلمون جميعا بالتجارب القاسية المستمرة انــه لــن يسمع او يفعل شيئا مما يطلب ويؤمل وينتظر منــه ٠٠ لتحول هذا الهزل السخيف العقيم الى طقوس مهيبة مقدسة، مفسرة بكــل تفاسير التقوى والعقل والجـد والوقار ٠ هــل في سلوك الحشــرات من الافتضاح مثل مــا في هــذه الطقــوس ؟

ان كــل مــا في الحياة والاشياء والانسان من احتمالات الذكاء والمنطق والجـد والصدق ليتحدى كــل من قــد يزعم ان لذلك تفسيرا مقبولا او معقولا او مغفورا الا ان يكون بحثا عن العبث والضياع والضلال والاستفراغ للذات بــاي اسلــوب وبكــل اسلوب بــل وبــلا اي اسلوب ٠٠ هــل لاي شيء هدف او تفسير او وظيفة غير ان يتحــول الــى استفراغ ؟ اليس الاستفراغ للــذات بــاي اسلوب وبكــل اسلــوب وبــلا اي اسلوب هــو المنطق الشامل للحيــاة ؟

نعم ، هــل وقعت على الانسان اعجب واخطر واقوى عملية سحرية كونية فــي هذه القضية ؟ نعم ، هــل يمكن تفسير هذه القضية بغيــر الاقتناع بــان البشــر لا بد ان يكونوا مسحورين في كل قضاياهم او في بعضها والا فلن يقبلوا انفسهم ؟

ان مما يضخم قبــح هذا العبث او البلــه او الجنون او من بشاعة هذه العملية السحرية المفترضة ان جميع من يدعون ويرجون هذا الكائن الاعلى المزعوم يتصرفون جميعا تصرف من لا يشكون في ان هذا الكائن لــن يسمع او يستجيب ولا مرة واحدة لشيء ممــا يدعونه ويرجونــه لــه ٠٠ انهــم جمــيعا بكــل اعماقــهم وتوقعاتهــم واحساساتهم المتنوعة وسلوكهم في كــل اتجاهاتهم المؤملة واليائســة ، الراجيــة والخائفة لا يختلفون عمــن لــم يتعاملوا او يتحــاوروا او يتخاطبــوا بعقولهــم او صلواتهم او نياتهم او دعواتهم وتاميلاتهم مــع هذا الكائن قــط ٠٠ ان اي نبــي ليهرب بكل الذعر من الخطر المشهود المناشد لآلهه بالحماية منه اكثر مما يهرب من ذلك اي صرصــــار ٠٠

ان أقوى الناس ايمانا لــن يكون خوفه او فراره من الخطر او الالم المرئــي او المتوقع او توقعه لهذا الخطر او الالــم الذي يناشد آلهــه لحمايته منــه اقــل او اعقل من خوف او فرار او توقع من لا يؤمن ولا يدعو ٠ كمــا ان اي مؤمن يدعو ويناشـد آلهــه طالبا منــه ان يضرب هذا الكون بكــل الزلازل والبراكين والاعاصير والاوبئة وبكــل صيغ ومعاني الدمار ، لــن يكون خوفه وتوقعه الاليم واستعداده للفرار اعظم أو اعمق من خوف وفرار وتوقع اي مؤمن يدعو ويناشد آلهه بكــل اللهفة والتضرع والحــب ، طالبا منــه ان يحمي كــل شيء وكــل احـد من كــل الــم وخطر وخراب

وترويع وايذاء . ان وجود الآله المدعو السامع المستجيب الفعال لسواء في كل النفوس أي لمفقود منها كلها .. انه مدعوا وسامعا ومغيثا وفاعلا لا وجود له في سلوك او حسابات او حياة أي انسان .

ان أي مؤمن يدعو ويقول : آلهي اغرقنا بالطوفان لن يكون انتظاره واستعداده لمجيء الطوفان وللاحتماء منه اكثر من استعداد وانتظار واحتماء أي مؤمن آخر يدعو ويناشد آلهه طالبا منه ان يحمي من كل طوفان ، وان هذا المؤمن الضارع الداعي طالبا الحماية من الطوفان لن يتوقع الا يحدث أي الطوفان الامثل توقعه لو أنه صمت عن كل دعاء ومناشدة وتضرع ..

ان اي مؤمن اسود الجلد أو قصير القامة يظل كل حياته يناشد كل الآلهة بكل لهفاته وضراعاته طالبا ومؤملا منها ان تطيل قامته او تصبغ جلده باللون الابيض لن يكون توقعه أو امله او انتظاره او استعداده لابيضاض جلده وتطاول قامته اقوى من توقعه او امله أو انتظاره أو استعداده لهذا الابيضاض والتطاول في القامة لو انه ظل كل حياته يناشد آلهته بكل لهفاته وتضرعاته طالبا منها ان تزيد لونه سوادا وقامته قصرا .. ان جميع المؤمنين ليعرفون ان دعاء الآله بأن يزيد عدد النجوم لا يساوي الا ما يساويه دعاؤه بأن ينقص عدد النجوم أي في الاستجابة ..

ان دعاء الآله للنجوم او ضدها لا يساوي الا ما يساويه دعاؤه لاي شيء أو ضده.

ان اي مؤمن ، نبي أو قديس ، لن يقيم حساباته على أن عدوه قد يموت أو لا بد أن يموت موتا عاجلا لانه يطلب له من آلهه هذا الموت العاجل اكثر مما يقيم حساباته على هذا الموت العاجل لعدوه لانه يطالبله الهه بطول العمر او لانه لا يطالب له لا بهذا ولا بهذا ، ان دعاء أي نبي أو قديس لا يساوي في توقعاته غير نفس الدعاء ..

في البدء ، بدء الدين الاسلامي كانت المحاورات المتحولة الى اقسى التحديات تتصارع بكل العنف بينه وبين مخالفيه ورافضيه .

كان الاسلام يحاورهم بل يتحداهم بأقوى ما يعرف ويستطيع من المنطق ومن وسائل الاقناع بل والقهر لهم اي لمنطقهم وعقائدهم أي فيما يحسب .

كان يناضل بكل طاقاته ولهفاته لابطال أوثانهم وللتدليل على انها أي أوثانهم زائفة مخجلة ..

كان لكي يقتل اقتناعهم بها بل لكي يقتلها هي، يلجا الى اساليب التحدي المباشر المنازل الراضي كل الرضا عن نفسه وعن قدرته على ان يهزم وينتصر ويسكت ويقنع.

كان يرى انــه قــد وضع كــل رقابهم في اقوى المشانق وتحت كــل شفرات كل السيوف حينما كان يقول لهــم باسلوب ونيات التحدي القاهر ـ يقول لهم كما حكى القرآن : « أدعوهم فليستجيبوا لكــم أن كنتم صادقين » ٠٠ أي أدعوا أربابكــم ٠٠ ويقول : « اسالوهم ان كانوا ينطقون » ٠ ويقول : « ان تدعوهم لا يسمعوا دعاءكم ولــو سمعوا مــا استجابوا لكــم » ٠ ويقول : « ومن اضل ممن يدعو من لا يستجيب لــه الى القيامة » ٠٠ نعم ، انــه لا أضل ممن يفعلون ذلك ٠٠ ولا اضل ممن يرى هذا الضلال في الاخرين ولا يراه في نفســه ٠

اذن فالقرآن يرى بكــل الحسم واليقين والانبهار برؤيته أن من لايستجيب للدعاء او يسمعه أو ينطق ردا على السؤال الموجه اليــه فهــو باطل وعاجز وخاسر الايمان والاقتناع بــه وكذا دعاؤه أو مخاطبته ٠ انــه لاختبار معقول ومنصف أو يجب أن يكون كذلك ٠ ولكن بأيــة وسيلة يعرف أنــه لا يستجيب أو يسمع أو ينطق او يرد على السؤال ؟ يعرف ذلك كمــا يرى القرآن بالاختبار والتجربة المتحدية ٠٠ أي بــان توجه اليــه عديد الطلبات والاسئلة المحددة ليستجيب للطلبات كمــا حــددت وينــرد نطــقا علــى الاسئلــة المحــددة أيضــا ، فــان لــم يستجــب ويــنرد بالفعل والنطق فهــو حتما لا يقدر ولا يسمع ، اي فالتوجه بالادعية او الاسئلــة او الصلوات او الآمال اليه باطل ولغــو وعبث وجهالة جاهلية ووثنية بدوية ٠

والمؤمنون ، الحاضرون والسالفون والمقبلون يرون ولا بــد أن هذا المنطق القرآني المصوغ بأسلوب ونيات التحدي والتعجيز منطق تركــع لــه كــل العقول حتى اكثرها شراسة وغرورا وعصيانا وعنادا ٠٠ يرون ولا بــد انــه منطــق لا بــد أن يؤمــن ويلتــزم بــه كــل مؤمــن وصــادق ومخلــص ٠٠

اذن اليس محتوما عليهم ومطلوبا منهم أن يحاكموا ويحاسبوا بــه الآله الاعلى المزعوم الذي يعتقدون انــه يسمع من يدعونه ويستجيب لهــم فــي كــل لحظاتــه وحالاته دون ان يغفل او ينسى أو ينام او يهمل أو يعجــز او يصــاب بالصمــم او يستهلك ويلهي اذنيه او قدرته او شهامته صوت عن صوت او طلب أو استغاثة عن اي طلب آخر أو استغاثة أخرى مهما تزاحمت وتجمعت وتكاثرت على اذنيه وقدرتــه وشهامته ورحمته الاصوات والطلبات والاستغاثات ؟ انــه الكائن العجيب الذي لا تزدحم أو تمتلىء اذناه مهما تجمعت فيهما الاصوات والطلبات ٠٠ وهــل يمكــن ان يبقى شيء من هذه الآله الاعلى المزعوم لــو انهم او لــو أن اخرين حاكموه او حاسبوه أو تحدوه بالمنطق الذي حاسب وحاكم وتحدى بــه القرآن والنبي اربــاب واوثــان المخالفين والرافضين ؟ بــل هــل يمكن ان يبقى اى شيء من هذا الآله لــو انــه رئي

او قرئ او فسر او حوكم أو طولب بأي عقل أو عين او تفسير او شرط او مستوى ؟

وهـل يمكن أن يرى هؤلاء المؤمنون أن ارباب ومعتقدات الجاهلية ملزمة بـأن تحاكم وتحاسب بالمنطق والواقع والتجربة وبما تفعل أو ما لا تفعل ، دون أن يكون رب القرآن ورب النبي ملزما بشيء من ذلك ، أو أن يكون أهـل الجاهلية ملزمين بذلـك دون أن يكون القرآن أو النبي ملزما بـه أو بشيء منـه ؟

كيف يكون عجز الوثن عن أن يسمع أو يستجيب أو يرد السؤال أو امتناعه عـن أن يفعل ذلك دليلا حاسما على عجزه وبطلانه وعلى سخف وضـلال مـن يدعونه أو يؤملونفيه أو يؤمنونبه، ثملا يكون عجز الاله الاعلى، اله محمد والقرآنعن أنيسمع أو يستجيب أو يرد على أي سؤال ، أو امتناعه عن أن يفعل شيئا من ذلك دليلا أقـوى واقتل على عجزه وبطلانه وفقدانه وعلى جهل وبلادة وسفه من يظلون يدعونه ويؤملونه ويصلون لـه ويؤمنون بـه وينتظرون منـه أن ينصر أو يشفي أو ينقـذ أو يفعل أي شيء بـل ويزحمون مدنهم وقواهم باضخم وأغلى المعابد ليتوجهوا منـها اليـه داعين شاكين بكـل الهوان والافتضاح ليعطي ويحمي ؟

كيف يشترط على العاجز وفي العاجز عن أن يسمع أو يفعل أو يرد على مخاطبته ـ كيف يشترط عليه وفيه أن يسمع ويفعل ويرد على مخاطبه ثـم لا يشترط شـيء من ذلك على من لا حدود لقدرته المطلقة الشاملة ولا يشترط فيـه ؟ كيف يطالب الاصم الابكم بـأن يسمع وينطق ويشترط لجواز مخاطبته أن يسمع وينطق ثـم لا يطالب من لـه كـل السمع والنطق بـأن يسمع أو ينطق أو يشترط لمخاطبته أن يسمع أو ينطـق ؟

كيف يكون عجز الوثن عجزا ونفيا لـه ثـم لا يكون عجز الآله عجزا ولا نفنا له؟ أو كيف يكون صمت الوثن عن الرد أو الجواب أو الفعل دليلا على عجزه وصممه وبكمه ثـم لا يكون صمت الآله عن ذلك دليلا على عجزه أو على بكمه أو صممه ؟ وهـل جرب البشر مصابا بكـل الصمم والبكم والعجز عن الاستجابة مثل الاله ؟ وهـل هزمت أو عبثت تجربة مثلما هزمت وعبثت تجربة البشر للآله ؟

كيف أمكن أن يهبط منطق المؤمنين أو منطق القـرآن أو النبـي الـى كـل هذا الحضيض من الضعف أو من التجاوز للعدل أو من المغالطة ؟

كيف أمكن أن يكون القرآن والنبي والمؤمنون مبصرين ومنطقيين فـي رؤيتهـم لمخالفيهم وفي محاكمتهم لهـم ، وأن يكونوا عميانا وبـلا أي قدر من المنطق أو الذكاء في رؤيتهم لانفسهم ومحاكمتهم لها ؟ كيف استطاع ان يهبط بالآله ويحقره بكـل هذه القسوة من صاغوا لـه وركبوا فيه عيونه وعقله وأخلاقه ؟

هـل المعلمون الذين يجيئون الينا من السماء ، من وراء السحاب وفوق النجـوم ليعلمونا منطق الآله وليروعونا بشمول وحدة وقسوة رؤيته لا بد أن يكونوا عميانـا وخارجين على كـل منطق بـلا مثيل أو شبيه في عماهم وفي خروجهم هذا ؟

العرب مشهورون بتقبل المبارزة بـل وبطلبها والبحث عنها واختلاق اسبابها ٠٠ انهم صانعوا ومعلنو كـل الوان المبارزات والتحديات مهما كان عجزهم عنها وجهلهم بكـــل فنونهـــا ٠

مهمـا كان محتوما أن يهزموا ويفتضحوا فيها ٠ ان الانتصار ليس هـو المطلوب بل الصهيل ٠ انهم صاهلون ، صاهلون وان لم يكن الجواد موجودا أو حتى مخلوقا !

اذن حينما تحداهم القرآن هذا التحدي الداعي الى المبارزة ماذا فعلوا ؟ هل نزلوا الى الميدان وقالوا لمـن وجـه أليهم هذا التحدي : نعم ، نتقبل التحدي المبارز ونوجه نفس السلاح الى آلهك ونقول لـك : « أدعه فليستجب لـك أن كنت صادقا » ٠٠٠ « اسأله ان كان ينطق أو يرد جوابا أو سؤالا » ٠

« أطلب منـه أي شيء محدد معين٠٠تحدده أنت أو نحدده نحن ، وتضرع اليه ان يسمع ويستجيب لكـي يهزمنا ويقنعنا وينقلنا الى أن نكون عبيدا لـه واتباعا وانصارا لـك ٠٠ لكـي يحسم المعركة الشرسة الاليمة الكريهة ٠٠ » ؟

« ان سلاح الانتصار علينا بسيط جـدا ، وأنت وهـو حريصان جدا على هـذا الانتصـــار ٠٠ »

هـل قالوا لـه : « هـا أنـت تدعو من لا يسمع أو يستجيب أو يرد أو ينطق ٠٠ ومن اضـل ممـن يدعو من لا يستجيب لـه ٠٠ ان تدعه لا يسمع دعاءك ولـو سمع مـا استجاب لـك ٠٠؟ اذن ادعه ليفعل ضدك ولا تخشى أن يفعل ٠٠ » ؟

هـل تساوي دعوة الآله الى أن ينصر الا ما تساويه دعوته الى أن يهزم ؟ ليجرب ذلـــك المرتابـــون ٠٠

نعم ، هـل أدرك العرب الرافضون لمحمد والمخالفون لـه مـا فـي هذا التحدي الموجه أليهم من سلاح يوضع في أيديهم ويقتل من وجهه اليهم ؟

هـل ادركوا مـا في هذا التحدي من ضعف أو مغالطة أو بلادة او عجز عن كـل رؤية أو من مخادعة لـن يخدع بهـا أحـد الا أن يكون عربيا ، عربيا جـدا في كـل طاقاته ورؤاه ومستوياته وتفاسيره ؟ نعم ، العربي يخدع حيث يجب الا يخدع ، ولا يخدع أو لا يثـق ويصدق حيث يجب وينبغي أن يخدع أو أن يثق ويصدق ٠٠

ان من يقرأ ويعرف ويفهم الانسان العربي الموجود اليوم فـي كـل مستوياته

وصيغه ومكاناته فـلا بـد أن يكون من الصعب عليه جـدا أن يقول أو يحسب أن أولئك العرب الآباء قـد ادركوا ذلك او أنـه قـد كان من الممكن أن يدركوه أي أن يدركوا مـا في هذا التحدي من سلاح قاتل لموجهه اليهم ··

كـم في عربي اليوم من الفضح والتهوين لعربي الامس ، لكل عربي قد كان ؟

فظيع واليـم جـدا أن نحدق في الانسان العربي الموجود اليوم محاوزا أو قارئـا أو رائيـا لنفسه أو للاحداث أو للاخرين ·· الاعداء أو الاصدقاء ، أو متحدثـا عـن نفسه أو عن الاحداث أو عن الاخرين أو متحدثا اليهم أو اليها ···

انـه ليستحق العزاء والرثاء بـل والبكاء من وهب القدرة أو الجرأة أو الصبـر على التحديق في الانسان العربي المعاصر ···

ان عربي اليوم ليذهب بكـل الجرأة والجهر والمباهاة يتحدى الاخرين ويتهمهم بالاظلام لانهم هـم يملكون الشمس ولانـه هـو يملك القمر او يدعي امتلاكه ··· انـه لا يستطيع أن يرى الشمس الساطعة في سماء الاخرين لان عيونـه مبهـورة مسحورة مشغولة بالتحديق في شمعته المزعومة أو المنطفئة ··

ان الشمعة العربية الغائبة لتخفي وتلعن الشمس غيـر العربية الساطعة ··

ان الشمعة العربية المنطفئة ، الموجودة أو المزعومة او التي يزعمون أنهـا كانت موجودة لتذهب تبارز وتتحدى شموس الاخرين ، الاعداء والاصدقاء ، بكـل الكبرياء والاستعلاء ، متهمة وشاتمة لهـا بأنها او لانها بـلا حرارة أو ضوء ، ولانها او بأنها قـد سرقـت ضوءها وحرارتها منها اي من الشمعة العربية المنطفئة ، الموجـودة أو المزعومة أو المزعوم أنها كانت موجودة ··!! انهم ليصيبون الدنيا كلها بالغثيان فـي حديثهم عـن أمجادهم في حرب أكتوبر لان فيلهم جرؤ على الخطو الى النملة لكـي تضعـه تحـت احـدى قدميهـا ··

انـه أي عربي اليوم ليتحدى ويباهي ويبارز الاخرين الذين مشوا فـوق القمر وتساقطت سهامهم فوق هامات النجوم ، زاعما تفوقه وكبرياءه عليهم وهزيمة مجده لكـل امجادهم لان لـه قبورا ومغارات في الصحراء ، تعلمه كيف يظـل اميا ، امية ابجدية وامية انسانية وايمانية شاملة ··

وامية الايمان هـي آصل وأشمل وأقوى أميات الانسان العربي ··

ان امية الانسان العربي هـي امية ذاتية تكوينية لهـذا لا يمكـن التـداوي أو الشـفاء منهـا ·

انـه ليزعم جهرا أو همساصراحة أو ايحاء أن الذين مشوا فـوق القمـر انمـا

مشوا فوقه على أقدام آبائه وفوق خيولهم وابلهم ، وانهم انما عرفوا الطريق اليه واستطاعوا صعوده والخطو فوقه وقرأوا اسراره وتفاسيره واخلاقه ···

انما فعلوا كل ذلك آخذيه ومتعلميه من نبواته وتراثه وحضاراته ومن كتابه المقدس الموجود فيه كل شيء كان أو سوف يكون والمختزن في حروفه كل علوم الكون وغير الكون أي ما فوق الكون وخارجه !!

انه ليرى ويعلن أن كل ما يحدث فلن يكون الا تفسيرا وتطبيقا لبعض ما في نبواته وتعاليمه ··

اذن هنا اكتشاف مثير · ·هنا منطق يقول به القرآن والنبي ويفرضان التزامه ويتحديان به، ويريان انه لا يوجد اضل ممن لا يؤمنون ويعملون به ، وهذا يعني حتما أن على جميع المؤمنين والقرآن أن يؤمنوا ويلتزموا به ، أي بهذا المنطق ·
يقول هذا المنطق أن كل من يدعى فلا يستجيب فهو باطل ، باطلة دعوته والايمان به والانتظار منه والرجوع اليه في أي شيء ···

أنه منطق سهل وواضح وبسيط · وأن تطبيقه وتجربته لكذلك · أنه منطق لا يحتاج الى منطق أو الى عقل خارق أو حتى قوي بل لا يحتاج الى أي قدر من العقل لكي يفهمه ويقتنع ويتعامل به · أنه فقط تجربة بسيطة ··

اطلب من آلهك أو وثنك او نبيك أو قديسك أن يفعل لك شيئا تريده أو أن يدفع عنك شيئا تخشاه فان لم يرد عليك ويستجب لك فاعلا الشيء المحدد الذي تريده وتطلبه منه ، وحاميا من الشيء المحدد الذي تخشاه وتطلب منه ان يحميك منه فانك ملزم حينئذ بأن تعرف أنه هباء وكذب وملزم بأن تفارقه ·· ولننظر الى النماذج والامثال ··

أنت مواطن في صحراء مزروعة ومحروسة بالقحط والجبال ، لا تلد الانهار ولا يزورها السحاب ، ولا تتقاطر دموع الالهة فوقها استحياء أو اعتذارا عن شحها وقسوتها ·

وأنت اسود الجلد او ابيضه ·· وأنت لم يتخلق فيك أو يبق لك الا يد أو رجل أو عين أو اذن او رئة واحدة ، أو قد تخلق فيك كثر من اثنتين من هذه الاعضاء والحواس ·

وأنت قد فارقك الفراق الابدي أحب الناس اليك أو أعظمهم لديك ··

وأنت قد أبيض شعر رأسك أو عجز رأسك عن أنبات الشعر ، أو قد سقط أو تلف أحد اضراسك او اسنانك ·· وأنت قد جئت أحد الجنسين وتريد أن

تكون الجنس الاخر ، وجئت انسانا وتريد أن تكون كائنا اخر أو انسانا اخر. وأنت عربي المواهب وتريد أن تكون حضاري المواهب ..

أنـت كـل هذا أو بعضه بالتصور والافتراض لا بالتمني بـل وضـد التمني لـك .. وانـت محترق ذابل مريض من قسوة ايمانك بالآله الاعلى المزعوم المفترض .. الصديق الحبيب الرحيم الواهب كـل نفسه لـك حبا وطاعة واستجابة .

اذن مطلوب منك كمـا يفرض عليك قرآنك ونبيك وايمانك ان تضع آلهك هـذا تحت التجربة بالمنطق الذي دعـا اليـه وآمن بـه قرآنك ونبيك .. تحـت التجربة التي وضع قرآنك ونبيك تحتها أرباب وأوثان المخالفين ..

أي مطلوب منك أن تتوجه بكـل تضرعاتك ودعواتك الى آلهك الاعلى المزعوم ليفعل لك نقيض مـا أنت مصاب بـه ، ولتنظر هل يمكن ان يسمعك أو أن يستجيب لـك او أن يزول شيء ممـا تعاني وتشكو منـه ..

الست قـد جربته طويلا وكثيرا هذه التجربة الخاسرة البلهاء دون أن تقبض منه شيئا ؟ الست قـد رأيت كـل الاخرين قـد جربوه هذه التجربة دون قبض أي شـيء ودون أن يأتي هـو ولـو مرة واحدة ليعتذر أو ليتوب من عجزه أو تقصيره أو كسلـه أو قسوته أو بخله ودون أن يموت أو يمرض عقابا لنفسه ؟

اليس توجهك الى الهك الاعلى المزعوم ليفعل لـك نقيض هذه الآفات والآلام التي انـت بهـا مصاب يساوي تماما أن تتوجه هذا التوجه لهذا الغرض والامل الى أي وثن أو حجر أو حشرة ـ يساويه في جميع النتائج والتوقعات مـع الفروق الهائلة لمصلحـة الوثـن والحجـر والحشـرة ؟

ان كـل مدعو قـد يسمع وقـد يستجيب حتى الحيوان والحشرة والطير قـد يسمع ويستجيب ولكن المدعو الوحيد الذي لـن يسمـع أو يستجيب هـو الكائـن الاعلى المزعوم ، هـو الآلـه ...

ولنضع تحت التجربة هذا الآله وأي كائن آخر ، حشرة أو طير أو حيوان لنجد الفـرق بينهمـا ..

اذن اليست كـل مقاساة البشر العقلية والكلامية والتعليمية ، كـل مـا كتبوا وقالوا وكـل مـا سوف يقولون ويكتبون ليدللوا على وجود وحضور هذا الكائن الاعلى المزعوم ـ اليس كـل ذلك يذهب هباء سخيفا اليما أمام هذه التجربة البسيطة ، أمام هذا المنطق الذي جاء وتحدى وآمن بـه القرآن والنبي ؟

ان هذه التجربة السهلة التي يستطيع أبسط أنسان وكـل انسان أن يجربـها

ويعيها لهدم وفضح واسكات وتكذيب لكل ما قيل وزعم ولكل ما قد يقال ويزعم في هذه القضية ٠

انه لشيء مخيف ومذهل أن يوجد انسان واحد مهما كان عماه وغباؤه وجراته على الكذب ، يجرؤ على التحدث عن هذا الكائن الاعلى المزعوم ٠٠ كيف أمكن ان يوجد انسان واحد يستمع اليه أو يقتنع بحديثه مع وجود ومواجهة هذه التجربة الدائمة البسيطة التي تستطيع أن تراها وتقرأها وتفسرها وتفهمها أكثر العيون والعقول عمى وأمية وبلادة ؟

أنه لشيء من الاعجاز الخارق أن وجد انسان واحد استطاع ألا يرى هذه التجربة والا يفطن اليها ويقتنع بها ٠٠

لقد حكم وأعلن وعلم النبي والقرآن أن كل من يدعون من لا يستجيب لهم فلا أجهل أو أضل منهم ٠ اذن لا أجهل ولا أضل ممن يدعون الآله الاعلى المزعوم بحكم وأعلان وتعليم القرآن والنبي ، أي لا أضل ولا أجهل ممن يؤمنون به لانهم أي المؤمنين به يدعون من لا يمكن أن يستجيب لهم ابدا ومن يشك في ذلك فليحتكم الى هذه التجربة السهلة الواضحة البسيطة الدائمة ٠

اذن ايها المؤمن بالآله الاعلى المزعوم الداعي له ، أن عليك أن تؤمن بان قرآنك ونبيك يريانك أضل الناس وأجهلهم ٠٠

اذن ايها المؤمن لا تؤمن بهذا الآله ولا تدعه لئلا يراك قرآنك ونبيك اضل الناس

أجل ، أيها المؤمن بهذا الآله ، ان آلهك هذا هو الكائن العجيب الذي لا يساوي دعاؤك له ليفعل لك الا ما يساويه دعاؤك له ليفعل بك أي ليفعل ضدك ٠ أن قولك له : يا آلهي أعطني أو أنصرني أو أشفني لا يساوي الا ما يساويه قولك له : يا آلهي أحرمني أو أمرضني أو اهزمني ٠

فان كنت في ريب من ذلك فان عليك أن تزيل ريبك هذا بالتجربة ٠٠

نعم ، لتقل له : أشفني فورا ، وأنت مريض مرضا مستعصيا ، أو لتقل له : أمرضني فورا ، وأنت في أكمل صحة ثم لا تخشى البتة أن يستجيب لك في هذا أو هذا ٠ والان لتجرب دعاءه ليفعل لك أو ليفعل بك

انه لن يفعل بك أي ضدك مهما طلبت منه ذلك ومهما سكت عن دعوته بل ومهما كنت مستحقا أن يفعل ضدك ٠ أليست هذه هي أعظم مزايا كل آله أي الا يفعل لك أو بك ؟

ولكن كيف ؟ أليس الآله يسمع ويستجيب بالمشاهدة الدائمة ، يسمع ويستجيب لاضخم وأصعب الدعوات والمطالب ؟

لندعه طالبين منه ان تاتي الاشياء في اوقاتها كما لا بد ان تأتي ٠٠ أن تاتي الشمس والقمر والليل والنهار وفصول السنة وتاتي الانهار والامطار والرياح والاعاصير والموت والشيخوخة والامراض والآلام والاحزان والاحقاد والطغاة والدجالون والاغبياء والثوار والمتآمرون واللصوص ٠

لندعه طالبين منه ان ياتي كل هذا وكل هؤلاء كما لا بد ان ياتي ويأتوا في الزمان والمكان اللذين لا بد أن ياتي ويأتوا فيهما ٠

لندعه ان تاتي الشمس من المشرق وأن تذهب الى المغرب ٠٠٠

كذلك لنطلب منه أي من الآله الا تأتي الاشياء التي لن تاتي أو ألا تاتي ألا في الاوقات والصيغ التي لن تاتي الا فيها أو التي لا بد أن تاتي فيها ٠

الا تاتي الزلازل والبراكين والاوبئة والمجاعات والحروب والانقلابات والثورات والمشاكل والهموم وفناء الانسان وعجزه أو توقفه عن التوالد وموت الشمس والاقمار والنجوم وكل الكون ٠٠ الا ياتي شيء من هذا الذي لن ياتي أو ألا ياتي ألا في الاوقات والصيغ التي لن ياتي الا فيها أو التي لابد أن ياتي فيها ٠٠ لنطلب منه أي من الآله الا يصبح الانسان العربي حضاري أو انساني العقل أو القلب أو الضمير أو الاخلاق أو الحب أو البغض أو اللغة او العداوة والخصومة ٠

نعم ، لنطلب منه اي من الكائن الاعلى المزعوم ان يفعل هذا وهذا وسنجد انه لا بد أن يسمع ويستجيب بكل الوفاء والشهامة والحسم ٠٠٠

ولكنه لن يتفرد حينئذ بهذا المجد والسخاء والقوة والاستجابة ٠٠

ان الحشرات والاحجار والاوثان وكل الاشياء العاجزة والرديئة والخرساء والصماء بل وغير الموجودة لا بد أن تسمع وتستجيب لو طلب منها أن تفعل هذا وهذا ، بالاسلوب الذي به يسمع ويستجيب ويفعل الكائن الاعلى المزعوم ٠ نعم ، ان الحشرات لا بد ان تستجيب لو طلبنا منها أن يظل العربي بدوي المواهب والاخلاق ، نعم ، لنجرب دعوة الحشرات بأن يظل المفكر العربي أميا في جميع تفاسيره الانسانية لنجد انها لا بد أن تستجيب ٠

اذن أي فضل لهذا الكائن أي للآله على هذه في سماع الدعاء والاستجابة المحتومة له أي للدعاء ؟

اجل ٠٠ اهتف ايها المؤمن طالبا من آلهك أن تشرق الشمس غدا في الوقت والاسلوب اللذين لا بد أن تشرق فيهما وطالبا منه ألا يموت القمر هذا العام ٠ انه لا بد أن يسمع ويستجيب مثلما يفعل الوثن ولا بدلو طلب منه عابده ذلك ٠٠

ولكن ان كنت مريضا أو مشوها أو دميما او مقعدا أو أعمى أو ناقص التكوين فحذار أن تطلب منه الانقاذ لئلا تفضحه وتفضح ذكاءك وايمانك ٠٠

نعم ، ان عليك اذا أردت أن تستتر على آلهك الا تطلب منه الا ما لا بد أن يحدث والا تناشده أن يحميك الا مما انت منه محمي ٠ ولعلك ترى أن غفلتك كافية للستر عليه ٠

اذن أيها المؤمن ، ليجرب كلاكما نخوة آلهه ، أي أنت وعابد الوثن ٠ ولكن لا تحاولا أن تتفاخرا أو تتبارزا ، فان احدكما لن يكون أعظم حظا أو مجدا أو أقوى أو انبل آلها من الاخر ٠٠

انه لا يوجد متساويان في كل مزاياهما الذاتيةمثلما يتساوى الآله والوثن ٠٠

ان كل ما يستطيعه ويفعله الآله لا بد أن يستطيعه ويفعله الوثن ، وكل ما لا يستطيعه ولا يفعله الوثن لن يفعله أو يستطيع فعله الآله ٠٠

اذن ليفرح الآله بمجده الذي لن يكون أعظم من مجد الوثن ٠٠

واذن ليفرح الوثن لان مجده لن يكون أقل من مجد الآله ٠ اذن ليتواضع الآله والوثن لان كليهما بلا مجد ٠ لان مجد كليهما لا يساوي الا جهل عابده ٠ ان الجهل هو أعظم صانع للامجاد ٠

نعم ، ايها الآله المزعوم ٠٠ أرجوك ، أرجوك بكل التضرع والمسكنة والصدق والاخلاص وبكل الرغبة في معرفة الحق والصواب ٠

أرجوك أن تصيب يدي في هذه اللحظة بالعجز عن العمل والحركة والكتابة لاعجز عن كتابة هذا الكلام الذي لا يرضيك ٠٠

نعم ، أرجوك ، أرجوك أن تفعل ذلك لكي اقتنع بك ولكي تحميني من الزلل والهلاك ومن الاساءة اليك والاغضاب لك ٠ اليس تعجيز المخطىء عن أن يخطىء وتعجيز المدمر لنفسه عن تدميرها نبلا وتقوى وحبا ؟ اذن لا تبخل على نفسك بهذا النبل والحبوالتقوى ٠ ولا تبخل علي بهذا الاقتناع والايمان بك وبهذه الحماية من الزلل والهلاك ايها الآله الطيب ٠

نعم ، أرجوك ان تفعل ذلك فان لم تفعل استجابة لرجائي واشفاقا علي فاني اتحداك ان تفعله كما تحديت أنت على لسان النبي محمد مخالفيه ورافضيه ٠٠ هل ترفض أو تغضب ايها الاله الكبير الوقور أن اتعلم منك فن التحدي ؟ هل ترفض ان تكون معلما ؟

أما أن كان التحدي نزقا وسفها يجب ان يرفضا فلماذا اذن فعلت انت وقرآنك ونبيك هذا النزق والسفه ؟ وهل يحتمل ايها الاله الشهم العادل ان تكون قد نسيت

انك قد تحديت خصوم نبيك هذا التحدي الذكي الوقور الحاسم ؟ نعم ، أصب يدي بالعجز ايها الالــه في هذه اللحظة لانك رحيم وحكيم تحمــي من الخطــأ والضلال والهلاك ، ولانك ايضا فارس شجاع تقبل التحدي وتواجه بكــل اخلاق الفروسيــة وكبريائها وشهامتها ٠٠ اليست اصابة يدي بالعجز في هذه اللحظة كما اطلب منك وارجوك تنقذني من الضلال والهلاك وتنقذ شرفك وكبرياءك من الهزيمة والتبلــد ؟ اذن اصبها ، اصب يدي بالعجز في هذه اللحظة ٠ ارجوك واتحداك ان تصبها ٠٠

انه احد عبيدك وعبادك الباحثين عن الحقيقة وعنك يطلب منك طلبا سهلا جدا عليك هو ان تصيب يده بالعجز في هذه اللحظة ٠ هل تبخل عليه بالاستجابة لطلبه هــــذا ؟

اما ان كانت رحمتك وحنانك يمنعانك ويزجرانك عن اصابة يدي بالعجز فانك تستطيع بكل السرعة والرحمة ان تشفيها بعد اصابتها بل وتستطيع ان تعوضها عن اصابتها بصيغ كثيرة وقوية من صيغ التعويض ٠٠

الست كما يقول انبياؤك تصيب الابرياء بكل الالام والوان العدوان لكي تعوضهم هناك بعيدا ، بعيــدا ؟

وهل انت رحمة وحنان بكل هذا القدر من الرحمة والحنان ؟ كيف امكن أن يوجد من يجرؤ على اتهامك بالرحمة أو الحنان ، أو كيف تجرؤ انت على تقبل هــذا الاتهام ؟ الست تصيب الاطفال والشيوخ وكل الناس والكائنات بكل انواع الاصابات والتعجيز والتشويه بكل القسوة والفظاعة بلا سبب أو تفسير مقبول أو مفهوم وبــلا ضرورة أو حاجة بك لو بمن تصيب الى شيء من ذلــك ؟ أليس اتهامــك بالرحمــة والحنان تزويرا بذيئا وبليدا لاخلاقك وشخصيتك ولكل تاريخك ؟

وأما ان كانت الكبرياء هي التي تمنعك من الاستجابة لهذا التحدي أو الاهتمام به فهل الذي يخطط ويدبر ويريد ويصنع هــذا الكون بكــل حشراتــه وحيواناتــه وتفاهاته وبذاءاته وعاهاته ونقائصه وصغائره يملك شيئا من الكبرياء يزجره عن ان يفعل اي شيء مهين لكل تفاسير الكبرياء ؟٠ ان فقد الكبرياء الذاتية هو الشرط الاول والدائم لكــل آلــه لكي يقبل نفسه ووجوده وعمله واخلاقه وشهواته ٠٠ كذلك فقدان الرحمة بل وفقدان الرؤية ٠٠٠

تنبه ايها الالــه الاعلى المسكين ٠٠ تنبه ، انك محاصر من كل جهاتك ٠٠٠ ان محاصرك ليسالك : هل الذي يصنع الزعامات والقيادات العربية يملك اي قدر أو نوع من الكبريــاء ؟

ان محاصرك ليرثي ويحزن لك كل الحزن وكل الرثاء . ان رثاءه لك وحزنه من اجلك ليعذبانه كل العذاب واقساه ..

انه لا احد يستحق أن تتفجر كل العواطف أسى عليه وله مثلك ايها الآله الاعلى المزعوم ..

انه لا شبيه لضعفك امام كل محاور ومسائل ومحاسب محاكم محدق .

ان كل قوتك ومجدك لا يساويان الا حمايتك من كل محاورة ومساءلة ومحاسبة ومحاكمة وتحديق .. لا يساويان الا الصمت والاغضاء عنك والتصويت الدائم لك . ان الرؤية المحدقة هي العدو القاتل لك ايها الاله الذي لا يرى جماله أو حتى ذاته الا العميان ..

ان كل مزاياك وخوارقك ايها الاله الاعلى المزعوم لا تساوي الا الصمت الدائم الشامل عن ان تقرأ أو تفسر أو ترى أو يشترط عليك أو فيك او تطالب باي شيء أو ينتظر منك ان تفعل أو تستجيب او تسمع او ترد أو تحاسب باي نموذج عقلي أو اخلاقي أو فني أو انساني او الهي . انك الموجود الذي ترفض وجوده تفاسير كل موجود . انك الموجود الذي ترفض اخلاق وتفاسير كل وجود وجوده .

انك ايها الاله الاعظم لن تستطيع ان تكون مرئيا او معقولا أو مفهوما أو جميلا أو سامعا أو مسموعا او مجيبا أو مفسرا أو فعالا أو موجودا الا بالصمت عن محاولة رؤيتك وفهمك ومخاطبتك وقراءتك ومطالبتك والانتظار منكوالاستماع اليك والاعتماد عليك والاشتراط لك أو فيك أو عليك . انك الموجود الخالق العادل الذكي الجميل الخارج على كل نماذج وصيغ وشروط واخلاق وصفات الوجود والخلق والعدل والذكاء والجمال وعلى كل تفاسير واحتمالات أن تكون موجودا .. انك الموجود الذي يرفض وجود كل موجود ان تكون موجودا ..

ايها الاله الاعظم .. ان كل جمالك وذكائك وظهورك وحضورك ونشاطك وعبقرياتك وخالقياتك لا تساوي الا بلادة ودمامة وتبلد وعجز وعمى من يرونك ويقرأونك ويجدونك ويخاطبونك وينتظرونك ..

انظر ، هل تستطيع ان تفهمهم : انهم جميعا يخاطبونك ولكن هل فيهم من ينتظرونك ؟

انك حاضر جدا لان من انت حاضر لديهم وفيهم غائبون جدا ومصابون باشمل وأقسى أنواع الغيبوبة المصابة بالديمومة .. ان كل حضورك وظهورك لا يساويان الا عمى وغيبوبة من يرونك ويجدونك ويخاطبونك .

انك الكائن الذي لا يجدك أو يتعامل معك الا الغائبون جدا عن ذواتهم وعنك وعما يواجهون ويعاملون ويفعلون ويرون ٠٠ المصابون بالغيبوبة الدائمة الشاملة ٠ انك الكائن الذي لا يراك الا العيون التي لا ترى ولا تريد أن ترى ولا تستطيع ان ترى ٠ انك الكائن الذي تراه في كل شيء عيون من لا يستطيعون ان يروا شيئا ٠

ان كل عظمة كتابك لا تساوي الا امية قارئيه ومفسريه ٠٠ انك الكتاب العجيب الذي ليس فيه اي معنى من معاني اي كتاب ٠٠ انك الكتاب الذي لا يقرؤه الا الذين لم يقرأوا ولا يستطيعون ان يقرأوا اي كتاب ٠ انك الكتاب الذي لا يرى حروفه الا العيون الفاقدة لكل الرؤية ٠ انك الكتاب الذي ألف وكتب قبل عصر الكتابة والقراءة والذي لا يقرؤه الا من يعيشون في ذلك العصر ويعيش فيهم ذلك العصر ٠!!

***

وللعلاقة بين الايمان والاخلاق حساب أو تفسير اخر ٠٠٠

ان المؤمن يرى الاخلاق مساومات ومزايدات واخذا وعطاء بينه وبين الاله ، يراها بيعا للاله باسلوب وثمن ما ٠ ان الاله في حساب المؤمن ليس الا تاجرا ومساوما باسلوب فظ شحيح يأخذ اشياء ليعطي شيئا أو ليعد به ٠٠

انها اي الاخلاق سلوك معين محدد مأمور به امرا غيبيا باهواء وشهوات غيبية، مقصود بها أن تصنع الفرح والمجد والرضا والكبرياء للاله ٠٠٠

انها اذن ليست جمالا أو أشواقا أو تجارب أو ظروفا أو ضرورات أو مستويات أو حسابات انسانية أو قيما أو تغيرات ذاتية ، بل هي نصوص واملاءات منزلة محفوظة لكي تصنع السعادة والقوة لكائن مطلق لا يمكن تفسيره كما لا يمكن ان تكون شهواته أو املاءاته أو مجاعاته اخلاقية أو منطقية ٠

اذن فالمؤمن لا بد ان يخرج على الاخلاق الانسانية ، ان يرفضها ويعاديها لكي يكون مؤمنا او لكي يكون اخلاقيا بالتفاسير والمقاييس الدينية ٠ انه لمستحيل ان تكون مؤمنا ايمانا دينيا وملتزما بايمانك وبالاخلاق الدينية التي يطالبك بها ايمانك ثم لا تكون خصما ونقيضا للاخلاق الانسانية وللحب والتسامح وللجمال الانساني ٠٠ انك حينئذ لا بد أن ترى ان الهك ونبيك ودينك وايمانك وتفكيرك واخلاقك وتعاليمك وكل نماذجك المعلمة المنزلة الابدية الازلية هي كل الحق والصدق والجمال والاخلاق المطلقة في شمولها وخلودها وذكائها ، وان كل ما عداها لن يكون الا فقئا لعيون الاشياء والا استفراغا على وجوهها واخلاقها ٠

انك حينئذ لا بد ان تكون متعصبا كالحا مغلقا حاقدا مبغضا معاديا للاخلاق والانسان والجمال والصدق والحب باسم الاخلاق والانسان والجمال والصدق والحب· انك بقدر ما تكون مؤمنا تكون مغلقا دون كل شيء غير ايمانك ·

انك لن تكون غير ذلك الا بقدر ما تتخطى ايمانك أو تتراخى فيه أو تتناساه أو تخرج عليه وتغيره بالتفاسير الاخرى التي ليست هي تفاسيره بل تفاسيرك انت وتفاسير ظروفك واحتياجاتك وشهواتك وضروراتك ·· انك لن تستطيع ان تؤمن أو أن تظل مؤمنا ما لم تفسر الهك باحتياجات حياتك لا بصفات الهك ·

ان اجمل وافضل ما في المؤمن أنه لا بد ان يتخطى ايمانه ويخرج عليه بأحد الاساليب والتفاسير أو بكل الاساليب والتفاسير مهما كان مصمما عليه اي على ايمانه ومقتنعا به وبأنه هو كل ما كان وما سوف يكون ، منطقا وجمالا وخلودا وحقا وقوة · انه لن يوجد أو يبقى اي وفاق بين المؤمن وايمانه لو لم يفسر ايمانه تفاسير فيها كل الخروج على ايمانه ·· لهذا امكنت معايشة المؤمنين وتعايشهم اي لكونهم لا بد ان يتخطوا الالتزام بايمانهم وباخلاقه وتعاليمه وايحاءاته ورؤاه واحقاده · ان الانسان لن يستطيع ان يكون انسانا الا بقدر ما يعصي ايمانه وتعاليمه ويخرج على ما يأمرانه به ·

ان المؤمن ليس الا كهفا رهيبا كئيبا يثوي ويعيش ويجوع ويعوي في داخله وحش لا تستطيع كل وحوش الكون ان تساوي نابا أو ظفرا من انيابه أو اظفاره ، يتحول اي هذا الوحش الساكن المحتل لنفس المؤمن الى تعاليم واخلاق ومشاعر وعلاقات وكآبات ولعنات وقراءات وصلوات · ان كل ما يدعى ايمانا وتعبدا ليس الا لغات لعواء هذا الوحش الساكن في نفس المؤمن ولغات للعواء له ·

اتمنى لكل نبي ومعلم وشاعر وفنان وانسان ان يكون حبا وصدقا وجمالا ونبوة وشعرا وفنا بلا مذهب أو انتماء أو ايمان أو تعاليم ، وارفض له ان يكون مذهبا أو ايمانا أو انتماء أو تعاليم بلا حب أو صدق أو جمال أو نبوة أو فن أو شعر ··

اتمنى له أن يكون انسانا لا ايمانا أو عقيدة ·· أليست العقائد تشويها وتزويرا للانسان وعدوانا على طهارته وبكارته وبراءته وحبه وصفائه ؟ اليست فسوقا بعفة الضمير واخلاقه ؟ اليست تعلمه كيف يعادي ويكره ويحقد ويقبح ويذنب ويضل ؟ اليست سلاحا يبتكره ويشحذه ويرفعه القادة والزعماء والمعلمون الدجالون لكي يضربوا ويخدعوا ويحكموا ويقهروا ويحاربوا ويشوهوا به الانسان ؟ هل للعقائد في

حساب ونيات الاقوياء والمتسلطين والطامحين اي تفسير غير أن تتحول الى سلاح لارهاب قهر وسوق الجماهير الضالة العمياء الجبانة ؟

هل ابتكر الزعماء والقادة والمعلمون الماكرون سلاحا لاذلال الانسان وخداعه وتشويهه ولافساد ذكائه وضميره واخلاقه وحبه وطهارته الانسانية وللسيطرة عليه ، مثل سلاح الايمان والتعاليم والمذاهب ؟ وهل ابتكروا هذه الا ليفعلوا بالانسان كل هذا ؟ وهل ابتكر سلاح لمحاربة الانسان ولقيادته الى كل الحماقات والعداوات والاكاذيب تحت اعلى الهتافات والاناشيد مثل هذا السلاح ؟ وهل في عبقريات الشيطان ما يساوي عبقريته حينما ألهم الزعماء والقادة والدعاة الماكرين ابتكار العقائد والتعاليم والمذاهب ؟ وهل ساعد الشيطان اصدقاءه ومساعديه بشيء مثلما ساعدهم بابتكاره لهم سلاح الايمان والشعارات والانتماءات ؟

ان الانسان لا يكون حياة أو ابداعا أو ذكاء أو قوة أو نظاما أو جمالا أو حبا أو اخلاقا أو سعادة أو فرحا أو صحة بالايمان أو التعاليم أو باي انتماء مذهبي أو ديني أو قومي ، ولكنه يكون كل ذلك بالخبرة والمعرفة والقدرة والحاجة والضرورة وبالحوافز والاسباب الاخرى التي ليس منها الايمان أو التعاليم أو الانتماءات المختلفة . كما انه لا يكون بالايمان او التعاليم أو بالانتماءات خبيرا وذكيا في ابتكار وصناعة الازياء الجيدة أو في ابتكار واصلاح وتشغيل الاجهزة العلمية الدقيقة أو في زراعة الصحاري المجدبة أو في اختراع وانتاج الصواريخ الكونية أو في اعداد وقيادة الحروب المنتصرة ، كما لا يكون وسيما أو قوي العضلات بشيء من ذلك . انه يكون لانه يريد ويستطيع ان يكون لا لانه يؤمن .. لقد تكون انسانا لانه استطاع ان يتكون لا لانه قد آمن بشيء أو بمجده ، اذا تكون انسانا .

نعم ، انه محتاج الى ارادة الشيء والى الاقتناع بقيمته ونفعه وجماله ومجده او الى الاقتناع بكون الشيء ضرورة أو مواجهة محتومة أو موقفا ينبغي الالتزام به . انه محتاج الى التعامل نفسيا وعقليا مع الاشياء . ولا بد من هذا التعامل مع الاشياء. ولكن الفرق عظيم بين الاقتناع والارادة والموقف وبين الايمان والتعاليم والانتماء المذهبي وغير المذهبي .. الفرق عظيم بين ان نفعل بالاقتناع والارادة والمواجهة وبالاختيار للموقف وبين ان نفعل تحت املاء وضغوط واوامر الايمان والتعاليم والانتماءات المختلفة ..

ان الفرق لعظيم بين ان نفعل لاننا نعرف ونريد ونختار وبين ان نفعل لاننا نؤمن او نلقن ونؤمر .. بل ان الايمان والتعاليم والانتماءات لا بد ان تكون هزيمة أو اضعافا او تضليلا او افسادا للاقتناع والارادة والمواجهة وللاختيار للمواقف وللحماس

لها ٠٠ انها تفسد وتخدع وتشوه الذكاء والمنطق والرؤية والصدق ٠ انها تخيف وتسترق كل تفاسير الانسان ٠

ان جميع الاشياء والكائنات من حيوانات ونباتات ومواد طبيعية تكون جميلة وعظيمة ومفيدة وشامخة وذكية وذات قيمة أو تكون نقيض ذلك بالخصائص الذاتية وبالظروف الاخرى المشابهة بلا تعاليم أو أيمان أو انتماءات ، وكذلك يكون البشر مهما قيل وظن غير ذلك ٠

ان هذه الكائنات الحيوانية والنباتية والجمادية والمعدنية لو كانت تكون او لا تكون بالايمان والتعاليم والانتماءات اي لو كانت تحكم وتتكون وتعمل بها لكان محتوما ان تتشوه وتضل وتفسد وتقبح وتفقد كل خصائصها النبيلة الجميلة المهذبة ان لم تعجز وتمت ، ولكان محتوما ان يخدعها ويفجر باخلاقها ومزاياها الزعماء والقادة والوعاظ والمعلمون الجاهلون الماكرون كما خدعوا الانسان وفسقوا بعقله واخلاقه ولا يزالون وسوف يظلون يفعلون ذلك به دون امل في النجاة أو الانقاذ أو التمرد أو الرفض ٠٠

لنتصور ، لكي نسقط ذعرا وانفجاعا ، لنتصور الشمس او الارض او السحاب أو الانهار أو البحار أو الحقول محكومة بتعاليم ومذاهب واحقاد وعداوات الزعماء والقادة والانبياء وكل افواج المعلمين ٠٠ لنتصورها تتعادى وتتباغض وتتشاتم وتتقاتل بالزعامات والنبوات والنظريات والمذاهب والاديان كالبشر ٠٠

لنتصورها لا تتكون أو تعمل أو تعطي أو تجيء أو تذهب أو تصادق أو تعادي الا بالايمان والمذاهب والتعاليم والانتماءات لكي نكف عن كل تصور ، روعا وهربا من وحشية التصور لقبح ووحشية هذا التصور ٠

ولكن هل يمكن ان نكون حينئذ موجودين اي لو ان هذا التصور كان واقعا لنذهب نتصور ، لنراع ونهرب من كل تصور ؟ لقد وجدنا وظللنا موجودين لان الكون ليس مؤمنا ولا مذهبيا ، ليس تابعا لنبوة أو زعامة أو لاية تعاليم ولا يستطيع ان يكون كذلك ، لهذا امكن ان نوجد ونبقى والا لامره ايمانه بنبوته أو زعامته بتدميرنا وتدمير كل شيء ٠

انها لاعظم واسذج خدعة تلك هي القول والاقتناع بان الانسان لا يستطيع ان يصنع حياته جيدة وجميلة وعظيمة ومتطورة الا بالايمان والمذاهب والتعاليم ، او بان حياته محتاجة الى ذلك لكي تكون كذلك ٠٠

ان هذا يساوي القول أو الاقتناع بان البشر لن يستطيعوا أو يعرفوا أن يصنعوا ملابسهم ويلبسوها أو أن يبنوا بيوتهم ويسكنوها أو أن يشقوا الطرق ويسيروا

فيها أو أن يشتهوا الطعام ويقيموا موائده ويجلسوا اليها أو أن يحبوا الجنس ويمارسوه أو أن يتعاونوا ويتصافحوا ويتعانقوا ويتصادقوا ويتحابوا ويتلاقوا ويتحاوروا ويتعلموا القراءة والكتابة واللغات الا بالايمان والتعاليم والشعارات وبالتحول الى قبائل وعشائر مذهبية أو دينية أو قومية ٠٠٠ نعم ، اليست الانقسامات بالايمان والمذاهب مثل الانقسامات بالقبيلة والعشيرة ؟ اليس الانتماء الى هذا والتعصب والولاء له مثل الانتماء الى هذه والتعصب والولاء لها ؟ اليس الحب والبغض طاعة واحتراما للقبيلة مثل الحب والبغض طاعة واحتراما للاله أو للنبي أو للمذهب أو للايمان أو للزعيم أو للمعلم ؟ أليس الموقفان بداوة ؟

اليست الدولة التي تعادي لاختلاف العقيدة أو المذهب أو النبي أو الاله أو المعلم مثل الذين يعادون لاختلاف الانتماء الى القبيلة أو العشيرة ؟

اليست هذه الدولة قبيلة أو عشيرة مذهبية ولكن بوحشية وبداوة وخبثوجاهلية اقسى ؟ اذن اليس البشر جميعا قبائل ويظلون قبائل مهما اختلفتالاسباب والتفاسير المعلنة ؟ اليسوا جميعا بدوا في اعماقهم مهما كانت ازياؤهم وبيوتهم ومدنهم؟ اليست البداوة هي التفسير الدائم لكل صيغ الانسان الحضارية ؟

نعم ، حينما نجد انسانا متفوقا في شيء أو اشياء ، في ابداعه أو نجاحه أو نشاطه أو في حدة ذكائه ونفاذ رؤيته وسرعة بديهته أو في قدرته على ان يعطي الحب ويأخذه وعلى ان يكون ساحرا قاهرا في علاقاته ولقاءاته ومعاملاته ومحاوراته فهل نفكر في قوة ونوع ايمانه أم في قوة ونوع مواهبه الذاتية ؟ هل نقول حينئذ : ما اقوى واعظم ايمانه أو مذهبه أو تعاليمه أو الهه أو نبيه أم نقول : ما اقوى واعظم الانسان الذي في داخل ذاته ؟ هل نسأله حينئذ عن ايمانه أو ننتقل الى ايمانه أو نستعير حينئذ منه كتابه المقدس لنقرأه ونؤمن به لكي ينتقل الينا تفوقه من حروف كتابه المقدس ؟

ان التفاوت بين البشر فيقدراتهم واعمالهم وتقواهم النفسية والاخلاقية لا يمكن ان يكون تفاوتا بين ايمان وايمان أو بين ايمان وفقد ايمان ، ولكنه ولا بد تفاوت بين مواهب ذات ومواهب ذات متعاملة مع ظروفها لا مع ايمانها ٠ انه لا يمكن ان يكون تفاوتا بين اله واله أو بين نبي ونبي أو بين دين ودين أو بين مذهب ومذهب٠

ان اي انسان لن يساوي الا ضخامة أو تفاهة ذاته ، لن يساوي الا حدود ذاته مهما كانت ضخامة أو حدود الاله أو النبي أو المعلم أو المذهب أو الدين الذي يؤمن به اي في تصوره له او في حقيقته ٠

انه لو آمن بالــه أو نبي أو زعيم أو دين أو مذهب له كل ضوء وحرارة وارتفاع الشمس لما ساوى في نفسه اي المؤمن به الا ما كانت تستطيع ان تطلق وتعطي ذاته من ضوء وحرارة وارتفاع قبل ان يؤمن به وبعد ان يكفر به لو كفر به او لو لم يؤمن بـــه .

لهذا فان الفروق بين ضخامات وتفاهات وقامـات وهامـات البشر لا تساوي الفروق بين آلهتهم وانبيائهم وايمانهم وتعاليمهم في الضخامات والتفاهات والهامات والقامات . ان احدا لا يعظم بعظمة الهه أو مذهبه .. ان ذات المؤمن هي التي تخرج وتحدد وتفسر ذات الهــه ومعلمه وليس العكس .. لهذا فان اصحاب الالــه أو النبي أو الدين أو المذهب أو الزعيم الواحد يتفاوتون جدا في مواهبهم . ان اي الــه أو دين أو مذهب أو عقيدة أو انتماء من اي نوع لا يحيا في ذاته بل في ذات المؤمن والمنتمي. ان المؤمن هــو القــوي أو الضعيــف لا الألــه .

ما ارخص واسهل التقدم والعظمة والتقوى الاخلاقية والنفسية لو كان الانسان يستطيع ان يصبح متقدما وعظيما وتقيا هذه التقوى أذا آمن بالــه أو نبي أو مذهب عظيم ومتقدم وتقي أو يدعو الى ذلك أو يزعم كذلك .. لو كان يساوي ايمانه الذي تصوره أو أعلنه أو علمه أو اعتقده ..

اذن لتسعد وتفرح عيون وضمائر النجوم وكل الاشياء .. لتسعد وتفرح جدا لان جميع هؤلاء التافهين والعاجزين والاغبياء والانذال المالئين لكل الاتجاهات يستطيعون ان يصبحوا نقيضا حادا شاملا لنقائصهم اذا هم آمنوا بالــه أو مذهب يرفض ويلعن نقائصهم هذه أو ينهي عنها ويدعو الى نقيضها ويعلم نقيضها .

نعم ، لتفرح وتسعد عيون وضمائر النجوم وكل الاشياء ، ولتسترح من عـذاب الرؤية والمواجهة والتفكير والاستفظاع والانفجاع .. لتسترح من الوان العذاب الذي تصبه فيها التفاهات والبلادات والنذالات والذنوب المالئة لكل الافاق .

ايتها النجوم ، نتضرع اليك ان تصابي بالشهامة ، ان تصبحي الهــة لكي يؤمن بك الساكنون في اعماق الحضيض ، لكي يرتفعوا الى سمواتك ، لان المؤمن يصعد الى مكان الهــه ، الى المكان الذي يتصوره ويؤمن به لالهــه .. لان المؤمـن يصعـد صعود ايمانه لا صعود انسانه ، لا صعود هامته وقامته وطاقاته الذاتية .. لان المؤمن لا يحلق بأجنحته بل بأجنحة اربابه كما لا يجوع أو يتالم أو يرقص باعضائه وشهواتــه بــل بأعضــاء وشهــوات أربابــه .

ايهـــا المتخلفـــون جـــدا فـــي كـــل مستوياتهـم العلميـــة والعقليـــة .. المتقدمـون جـــدا فـــي كـــل مستويـات الجهالـــة والجـــهل والغـباء ..

لا تحزنوا ، بل أفرحوا وتكبروا لانكم ستصبحون الهة في العلم والعقل والذكاء ، ستصبحون كل الالهة للعلم والعقل والذكاء ، لانكم تؤمنون باله هو كل ذلك وتؤمنون بكتاب مقدس يمتدح العلم والعقل والذكاء والعلماء والاذكياء والعقلاء ويهجو النقيض ويوعده بالعذاب والهوان ٠ والانسان يخلقه ويصوغه ايمانه ، كما تخلقه وتصوغه اخلاق وصفات ومواهب الاله أو النبي أو الزعيم أو الدين أو المذهب الذي يؤمن به ٠ اذن ضخموا ، ضخموا جدا صور وتصوراتكم للاله أو النبي أو الدين أو المذهب الذي به تؤمنون !!

اذن ليزدد ايمانكم بهذا الاله وبهذا الكتاب المقدس لكي يصنع منكم ايمانكم هذا الذي لا بد أن يصنعه ٠ ولماذا لم يصنعكم حتى اليوم ؟ هل التفسير ضعف ايمانكم او فقده ؟ هل انتم كاذبون في ايمانكم بهذا الاله وبهذا الكتاب المقدس ؟ اذن اصدقوا في ايمانكم لكي تصبحوا كل آلهة العلم والعقل والذكاء ٠٠٠ أليس صدقكم يحولكم كما تقولون وتؤمنون الى كل ما تريدون من قوة وعظمة ومجد وتفوق وجمال ؟ لماذا انتم دائما كاذبون في ايمانكم ايها المؤمنون بأعظم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب ؟ هل عظمة الدين أو الاله أو النبي أو المذهب تعني حتما كذب المؤمن ؟

ولكن يا قومنا ، يا مالكي هذا الاله وهذا الكتاب المقدس ، يا محتكري الايمان بهما ، كونوا نبلاء ووهابين ، علموا كل العالم الايمان بهما لكي لا تبقى فوق الارض ولا في احشائها اية جهالة أو بلادة أو سفه أو خطأ أو بله لان الايمان يصوغ المؤمن على مقاساته هو لا على مقاسات المؤمن ٠٠

لان من يكون الايمان به يصوغ الايمان، يصوغ قوته وضعفه، جماله وقبحه، ٠٠

ان اله العرب وكتابهم المقدس هما اعظم الالهة والكتب المقدسة ٠ اذن أليس محتوما أن يصنع الايمان بهما اعظم الشعوب لان الناس يجيئون مساوين لايمانهم ، ولان ايمانهم يجيء مساويا لما ولمن يؤمنون به ؟

اما اذا لم يصنع الايمان بهما ذلك فهل يوجد تفسير غير التفسير القائل بان الانسان لا يساوي الا ذاته ، لا يساوي ايمانه أو آلهه أو نبيه أو معلمه أو دينه أو مذهبه ـ غير التفسير القائل بان الايمان لا يعني أي شيء جيد أو يقود الى اي شيء جيد ٠٠ بان الايمان لن يكون الا لغة يطلقها المؤمن أو تطلق عليه ولكنه لن يكون خالقا أو واهبا أو محرضا أو منشطا لاي معنى من معاني المؤمن ٠

اما التفسير الاخر البديل فهو القول بان آله العرب وكتابهم المقدس ليسا شيئا عظيما ، لهذا فالايمان بهما لن يصنع عظمة أو مجدا أو قوة أو تقوى أو جمالا

انسانيا بـل لا بـد أن يصنع أي الايمان بهمـا نقيض هذه المزايا ٠٠ لان الانسـان يساوي ايمانه فقـط ، وايمانه لا يساوي الا مـا يساويه مـا يؤمن بـه من آلهـة وانبيـاء ومعلميـن وقـادة ومذاهـب وتعاليـم ٠٠

فقيمة مـا نؤمن بـه ، عظيمة أو رديئة ، تنتقل الى ايماننا وتصوغه بعظمتها أو رداءتها ، وايماننا ، باعثا أو معوقا ، ينتقل الينا ليصوغ قوتنا وضعفنا ، مزايانا ورذائلنا ٠٠ لهذا انتقل آلهنا ونبينا وكتابنا المقدس الضعيف في كـل شـيء الـى ايماننا ليصبح ضعيفا في كـل شيء ، ثـم انتقل ايماننا الضعيف فـي كـل شـيء الينا ليجعلنا ضعفاء في كـل شيء ، ليجعلنا في ضعفنا بلا نموذج ٠٠

فهـل يمكن القول بهذا التفسير البديل ؟ أمـا تفسيرنا الدائم لهـذه القضية فهو الزعم اننا لـم نؤمن الايمان الكافي دون أن نسأل : لماذا نظل دائما عاجزين عن هذا الايمان ، أو لماذا يشترط علينا ايمان لا نستطيعه أو لا نريده ٠ لماذا آلهتنا عاجزة أن تصنع لنا الايمان بها ؟

أيهـا المؤمن ، انـت خارق في جودة حظوظك ٠ انـك تستطيع أن تكون فـي سلوكك ونياتك واهوائك كـل النذالات والفجور والتلوث والعصيان والقبح الانساني ثـم تظـل التقي المرضي المحمي المرعي الاول في منطق الآله ورؤيته ومحاسبته لـك وفوق مائدة محبه ٠ وذلك بأحد شرطين أو أسلوبين ، أو عملين سهلين تافهين بـل نذلين فاضحين مخجلين في حوافزهما ونطقهما وتفاسيرهما ٠٠

أحدهما أن تقول باسلوب الاعلان والشعار والتوكيد والاعتقاد : انـك تؤمن بان لا اله الا الله وبـأن لا معبود بحـق سواه ، وبانه هـو وحده الخالق الواحد القادر الواهب الآخذ المانع المحيي القاتل المسوي المشوه المضل الهادي الكاسر الجابر المحـب المبغض المعـز المذل المرض الشافي المغني المفقر المقوي المضعف الهادم الباني المضحك المبكي الخادع الماكر الفعال لما يريد لا لما يريد المحتاجون والمتالمون المنتظرون المؤملون الضارعون المخلوقون المحكومون ٠٠ الفعال لما يريد لانـه يريد لا لانـه نبـل أو حـق أو جمال أو واجب أن يريد ٠٠ المريد لانـه يريد لا لانـه يعرف أو يحترم أو يريـد مـا يريد ٠٠ الفعال لانـه فعال قادر لا يستطيع أن يكف عن الفعل لا لانـه يفعل مـا يعقل أو ينفع أو يطلب منـه أو يجدر بـه أو يصنع لـه المجد أو الفرح أو الراحة أو يصنع ذلك لمـن يفعلهم ويفعل لهم ويفعل بهم أو يفعل فيهم ٠٠٠

فاذا آمنت هذا الايمان تحولت كل خطاياك وذنوبك ونذالاتك وشرورك واوحالك الى تقوى وقداسة وطهارة ونبل والى غفران ورضوان ومحبة ٠٠

نعم ، لقد آمنت بالسلطان الاعظم ووحدته ومجدته وأرضيت انانيته الهمجيـة والقيت على عتباته بكـل قصائد المديح والهوان والافتضاح ···

انـه سلطان · انها اخلاق وشهوات وطموح اي سلطان بدوي همجي ··

اذن فلتمح سيئاتك من كـل صفحات الكون · بـل لتتحول جميع سيئاتك الى اعظم واتقى الحسنات ، تكتبها لـك دواوين الآلهةبكـل اقلامها على كل صفحاتها ·

انها اخلاق الهك العربي البدوي الذي نحت ذاته علىصيغة ذات سلطانك البدوي·

نعم ، انـه سلطان عربي بدوي المواهب والحسابات والشهوات والمشاعـر ·· اليس السلطان العربي يغفر لمادحه وموحده وممجده ولـو نفاقا وخداعا كـل اخطائه وخطاياه ونقائصه ؟ بـل اليس يهبه كـل الرضا والعطاء والعطف والتقريب منـه والحـب لـه ؟

اجـل ، الست ايها المؤمن تحول الآله الذي تؤمن بـه الى سلطان عربي همجي، لا يحاسبك او يراك او يقرؤك الا بمقدار ولائك لـه واعلانك لهذا الولاء ؟ الست تقول بكـل الجهر والفخر ، راويا عن آلهك ونبيك وايمانك : « من شهد الا اله الا اللـه وان محمدا رسول الله حرمه الله على النار » ··

« مـا من عبد قال : لا الـه الا الله ثـم مات على ذلك الا دخل الجنة »

« ان الله لا يغفر ان يشرك بـه ويغفر مـا دون ذلـك »

« من قال لا آله الا الله دخل الجنة وان زنى وسرق وقتل »

«من كان آخر كلامه: لا اله الا الله غفرت ذنوبه ولو كانت ملء السموات والارض» اي ان اي انسان يقول هذه الكلمة في آخر لحظات حياته تمحى كـل الآثام والاوحال التي مـلأ بهـا اعوامه المائة او الاكثر من المائة التي عاشها !

هـل يستطيع سخاء جميع سلاطين العرب البدو ان يساوي شيئا من سخـاء هـذا الآلـه علـى مـادحيه وموحديـه ؟ .

هـل يستطيع جميع سلاطين العرب الهمج ان يكونوا احـد التفاسير الهمجية لهذا الآله الهمجي في محاباته لمادحيه وعابديه ومنافقيه ، في فقده لوقاره وذكائه ، في حبه وعطائه لهـم ؟ هـل يستطيعون ان يكونوا في سخائهم على الشعراء المداحين الكذابين الضالين منافسين لهذا الآله في سخائه السفيه على مؤلهيه ؟

كائن يغرق في حبه لـك ورضاه عنك واعجابه بـك ، غافرا لـك كـل قباحاتك ورذائلك وفحشك وفحشائك اذا أنـت اعلنت انـه وحده في كل شيء دون اي شريك، ولكنه اي هذا الكائن يوقع بـك كـل عقابه وبغضائه وغيظه ، رافضا منكرا لاعنـا محقرا كـل مزاياك وطهاراتك وعبقرياتك لـو انـك قلت انـه ليس وحده في كـل

شيء أو لـو أنـك شككت في ذلك أو لـو أنـك آمنت بغيره أو أحترمته أو صليـت لـه أو هتفت بـه أو لـه أو حدقت في مزاياه ليتحول تحديقك في مزاياه الـى غيـرة مجنونة في ذلك الكائن ٠٠ أو لـو انـك ظننت أو تمنيت أن يكـون لـه أمثال أو أبناء ليساعدوه اذا شاخ أو مرض أو تعب أو اخطأ أو سئم ٠

ولكن من هـو هذا الكائن العجيب الكئيب ؟ وهـل وجد أو يوجد حقا ؟

انـه الهك ايها المؤمن ، وانه سلطانك ايها العربي ٠ !

اذن كـم يفضحك ايمانك بآلهك ايها المؤمن ، وكـم يفضحك سلطانك ورئيسك وزعيمك ونبيك وذكاؤك واباؤك ايها العربي ؟!!

كـم يفضحك آباؤك ايها العربي ؟ انهم هم الذين صاغوا لك الهك ٠٠

لقـد صاغوه من اخلاقهم ، من أخلاق انبيائهم وسلاطينهم البدو ٠٠

أما الامر أو الشرط أو العمل أو الاسلوب الاخر الذي يحول كـل سيئاتك وذنوبك الى أبـر الحسنات والصالحات فهـو التوبة الى الهك ايها المؤمن ٠٠ والتوبة شـيء خـارق فـي مزاياهـا وقدرتهـا ٠

انها الطاقة العجيبة التي تستطيع أن تغسل وتطهر مـا لا تستطيع جميع البحار والانهار أن تغسله أو تطهره ٠٠ انها تحول النذل والخسيس والفاجر والملوث جـدا في كـل تاريخه ونياته ومواهبه وقدراته الى أعظم شهـم وقديس وطاهر يتحـدث الآله في كتبه المقدسة وبالسنة انبيائه عن شهامته وقداسته وطهارته وعن احتراق قلبه أي قلب الآله حبا لـه وشوقا اليه وخوفا من العجز عن مجازاته وتكريمه ٠ انها القدرة الخارقة التي تحول الانسان الى نقيض طبيعته وقدرته لانه غيـر أسلوبـه أو مكانه أو لغته ، خوفا أو عجزا أو تعبا أو خديعة ٠٠

انها اي التوبة هـي أن تظل كـل حياتك تقارف كـل ذنوب ونذالات ودمامـات وشرور الكون والاشياء ، ثـم في آخـر لحظات حياتك تعلن ، خوفا أو عجزا أو مكرا أو متاجرة أو سأما ، أنـك قـد تبـت الـى الهك لكـي يصرخ الهك بكـل جنـون الفرح قائلا لـك : تعال الـي لكـي اصافحك واعانقك واقبلـك واعايشك وافـرح وأفاخر بـك يـا أنبل وأقدس وأتقى وأطهر واصدق كائن تمناه وتخيله واحتلم بـه فكري وضميري وحبي وفني وخيالي وصنعته و أخرجته يدا يوقدرتي واطوار ومعجزات تاريخي أنـا الآله ، انـا الآله !!٠٠ تعال الي يـا أسعد وأنظف واجمل من سـوف أجعل منـه نديمي وجليسي وأنيسي في أعلى أعالي جناتي ليكون دوائي وشفائي أنا الآله ، انـا الآله من عذاب وقبح وكآبة ووحشة وحدتي وغربتي انـا الآله ، انا الآله ٠

آه · وهــل يوجد مــا يمكن أن يداوي أو يشفي وحشتي وغربتي ووحدتي أنــا الآلــه ، انــا الآلــه ؟

ان من نماذج ذلك أن توقع بانسان مــا كــل ألوان القتــل والتعذيب والسرقــة والتحقير والاهانات والوقاحات واللعنات والعدوان ، أي أن تفعل بــه وبابنائه وأهله وأمواله وقومه ووطنه وقيمه وبكــل مــا يحب ويحترم يريد كــل ذلك ، بكل نيــات وأساليب وأخلاق النذالة والخبث والبذاءة والعدوانية ، ثــم تحت عدد من الاسباب والحوافز غيــر التقية أو النظيفة أو النبيلة أو الشجاعة تعلن توبتك الى ذلك الانسان اي تعلن أنــك لــن تفعل بــه شيئا ممــا فعلت بــه أي مستقبلا ·، ولكن دون أن ترد اليــه شيئا ممــا أخذت منــه أو تشفيه من شيء أوقعته أو لوثتــه أو أوجعتــه أو أحزنته أو أغضبته بــه ، ودون أن تتحول من خصائص وأخلاق ونيات وطبع النذل الوقح الخبيث الكريه الى نقيض ذلك ، لكــي يجــن أي ذلك الانسان الذي فعلت به كــل ذلك وأعلنت أنــك سوف تتوقف عن ان تفعل بــه مــا فعلت ـ نعم ، لكي يجن فرحا واعجابا بك ورضا عنك وحبا لــــك ، لكــي يراك ويعلنــك اعظم وانبل وانفع واتقــى اصدقائــه واحبائــه وخلصائــه ··!!

لكــي يراك كــل تفاسير النبوات والقداسات والصفاء والوفاء والحب والطهر ··

ان هذا لــن اصغر النماذج لتفاسير وقيــم توبة المؤمن الى الهه وتقبل الهــه لتوبتــه وفرحــه المجنــون بهــا وبــه !

ان هذا النموذج لــن أصغر التفاسير لمجــد التوبة والتائب والمتوب اليــه ··

اذن هــل يمكن ان يوجد أو يتصور أرخص أو أردأ قيمة وتفسيرا وجهدا ونتيجة من التوبة والتائب والمتوب اليــه المتقبل الفرح بالتوبة اليــه المطالب بها المتحدث عنهــا بابتهــاج وفــرح معــلن ؟

هــل يوجد أصغر تفسيرا ممن يفرح بــأن يتوب اليــه الصغار الانذال الملوثون لانهــم قــد خافــوا أو عجــزوا أو شبعــوا ؟

هــل يوجد مخادع وقــح هــاج مهين مثل التائب ، أو مخدوع مهجو مهان متوقح عليــه متقبل لذلك فرح بــه مثل المتوب اليــه اذا تقبل التائب أو فرح به أو جازاه وشكــره علــى توبتــه ؟

اذن هــل يوجد مثل الآلهة سذاجة وضآلة حينما تطالب بالتوبة وتفــرح بهــا وتجــزي عليــها ؟

ان من يتوب لا يغير ذاتــه أو يصوغهاصياغة جديدة وانما يزيفها ·· أنه ليس انسانا يكبر او يتطهر أو يشفى من ضعفه أو غبائه أو دماماته أو وقاحاته أو نذالاته

أو من أي مقاس من مقاساته الانسانية ، ولكنه انسان يضعف ويهون ويتضرع ويصلي بلا ايمان أو جمال أو حب أو صدق أو بايمان ليس فيه شيء من المجد أو العظمة أو البسالة أو القوة العقلية أو النفسية او الاخلاقية .

ان التائب ليس انسانا يتخطى ذاته ولكنه انسان يخفي أو يشوه ذاته بوضعها في مقاسات وأعضاء غير أعضائها ومقاساتها ..

ان الصرصار حينما يتوب أو لو تاب فلن يكون أكبر من صرصار أو غير صرصار ، كذلك الانسان حينما يتوب أو الذي يتوب ، لن يكون اكبر مما كان أو غير ما كان قبل أن يتوب .

والذين يجدون في التائب تفاسير أفضل مما كان فيه أو غير ما كان فيه قبل أن يتوب ، أو يتوقعون أن يجدوا فيه شيئا من ذلك هم قوم يجدون في الصرصار غير الصرصار أو يتوقعون أن يجدوا فيه غيره . ولكن اليس كل الناس يجدون في الصرصار ويتوقعون أن يجدوا فيه بل ويريدون أن يجدوا فيه أكثر واجمل من صرصار ، من كل صرصار ؟

ان أي اله أو نبي أو انسان يطلب التوبه من الملوثين المذنبين المتوقحين المفتضحين الهابطين الى كل أعماق كل الاوحال والتشوهات الانسانية ، لن يكون الها او نبيا أو أنسانا يبحث عن الكمال أو الجمال أو السمو أو النظافة أو التقوى او الحب ، وأنما يبحث عن القبح والضعف والفحش والهوان والنفاق الراكم المطيع له . انه آله أو نبي أو انسان يبحث عن الطاعة والاستسلام لا عن العظمة . وهل في الآلهة أو الانبياء أو القادة من يبحث في الاخرين عن العظمة لا عن الطاعة ؟

ان من يطالب بالتوبة ليس كائنا يغازل أو يعشق أو يخاطب النجوم أو يصعد اليها أو يلقي بالتائبين فوقها ، ولكنه كائن يحدق في الحضيض ويهوي اليه ويعظه أو يهدده أو يرشوه ويعده ليكون حضيضا مطيعا خاضعا له متلائما معه ، ليكون حضيضا كما يريده هو ، بالصيغة والتفسير اللذين يريحانه ويتوافقان مع اهوائه وأوضاعه وطموحه . أليس كل ما تريده الآلهة والانبياء والاتقياء والاقوياء من الاخرين هو الحضيض مطيعا مستسلما مريحا ملائما لهم ؟

والتوبة لا تعني كل هذا فقط بل تعني أقبح وأفظع . ان التوبة كما يقول الايمان والاديان تسعد الآله وترضيه وتفرحه . اذن لا بد من فعل ما يجعل التوبة مطلوبة ومفهومة ، أي لا بد من العصيان والفساد لكي يتاب منهما الى الآله بكل التضرع والانكسار والاستغفار لكي يتقبل ويغفر وهو في أعلى نشوات الفرح والرضا والاعجاب بالنفس ..!

أنــه يريد أن يفرح لانــه قــد أصبح نبيلا وشهما لانــه يتقبل ويغفر ويسامح مــن يطلــب منــه ذلــك !

وهل يتوب أو يستغفر من لم يذنب أو يفعل الفساد ؟ وهل لتوبته أو استغفاره معنى ؟ وهل يسعد الآله بتقبل أو باستقبال التوبة أو الاستغفار ممن لم يفعل شيئا يوجـب التوبـة والاستغفـار ؟

أجـل ، هـل يمكن أن يسعد الآله بتوبة التائب وبتقبل واستقبال توبته مـا لم يكن أي التائب مثقلا بكـل الاوحال والخطايا ؟ أليس مجد الاله وسروره فـي لعـق الذنـــوب والاوحـــال ؟

اذن فالمؤمن مطالب بـان يفعل المعاصي والفساد ليتوب ويستغفر ، ليسعد الآله بتقبل توبته وبالغفران لـه ٠٠ أنـه مطالب بـأن يظـل أبـدا بالتكرار والديمومة يعصي ويتلوث ، لكـي يظل أبـدا بالتكرار والديمومة يستغفر وينوب ، لكي يظـل الآله أبـدا بالتكرار والديمومة يتقبل ويغفر ، لكـي يظـل اي الآلـه أبـدا بالتكرار والديمومة فرحا سعيدا راضيا عن نفسه ، عن مجده وقوته وأخلاقه وكبريائه ٠٠!٠ وهـل للمؤمن من ثمن أو معنى أو قيمة غيـر أن يصنع الفرح والسعادة والنشـوة الراقصة للآله ، لقلب الاله وعينيه ؟

اذن فالايمان بـلا فساد وعصيان متكرر لا يساوي أو يعني شيئا فـي حســاب الاله ، في حساب فرحه ونشوته وسعادته الجائعة الى النزق أبدا ٠

اذن فالمؤمن النظيف المستقيم أبـدا هـو اردأ وأقبح المؤمنين في حساب الالـه ومعاملاته وأمانيه لانــه لـن يهبه أي يهب الاله الفرح المتجدد وهـل لاي شيء قيمة في حساب الاله غيـر أن يصنع لـه الفرح المتجدد ؟

وائمـة رجال الدين والمحدثين يروون عديدا من الاحاديث النبوية في تفسيـر وتقريـر هـذه القضيـة ٠٠٠

انهم يروون أن النبي قال : « لـو لـم تذنبوا لذهب الله بكم ولجاء بقوم يذنبون ويستغفرون فيغفر الله لهم ٠٠ » ٠ كما يروون أنــه قال : « ان الله لا يفرح بشيء مثلما يفرح بتوبة العاصي يجيء اليه تائبا مستغفرا » ٠٠ والاحاديث والآراء فـي تاكيد هذا المعنى كثيرة معروفة ٠٠ انهم يدركون ان الله لـم يرد مـن الناس الا ان يراقصوا عواطفه بالاقبال عليه والادبار عنــه ٠٠

وهـم يرون بكـل للقـوة والحسم أن شيئا من صفات الله لا يجوز أن يتعطل أو يتوقف عن العمل أو يستغنى عنــه أو يكون بــلا تفسير أو بـلا وظيفة ٠ وهل يوجد تحقير للآله مثل أن يصبح شيء فيــه بـلا عمـل ؟

ومـن أشهر صفاته وأحبها أليـه وأفرحه بهـا : أنـه غفار وغفور وتواب وقابل للتوبة وفرح بالتائب والتوبة ، وباسط كفيه ليستقبل بهما كـل الخطايا والاخطاء والاوحال ليلقي بهـا في محيطات كرمه وعفوه وتسامحه وشهامته · أنـه يريد أن يكون شهما · وهذا هـو طريقه الى الشهامـة · اذن فالمؤمنـون الذيـن يتطهـرون ويستقيمون ويطيعون كـل التعاليم الى أن تصبح صفات الاله هذه بـلا وظيفـة أو عمل لا بـد أن يتحولوا الى أعداء وغيظ وأغضاب وتهوين وأضعاف للآله ولفرحه بنفسه ورضاه عنها · انهم يحرمونه من أن يكون غافرا متقبلا محسنا غاسلا للادران · انهم يحرمونـه من أن يقول بكـل الفرح والكبرياء : لقد غفرت وعفوت وسامحت وتقبلـت ··

أن هؤلاء المؤمنين لـو وجدوا لـن يكونوا الا أخمادا واسكاتـا لعينـي الالـه ولاشواقه عن الابتهاج المتحرك النابض المتجدد ·· انهـم يعطلـون بعـض صفاتـه ويجعلونـها بـلا وظيفـة أو تفسيـر ··

وهـل يسعد أو يفرح أو يحيا الاله الا بالانفعالات المتصادمة المتناقضة المتفائلة المتشائمة الراجية الخائفة المطاعة المعصية المواجهة لكـل القبح والتلوث ولكل الجمال والنظافة ؟ وهـل يصنع لـه هذه الانفعالات الا من يتلوثون ويذنبون ثـم يتضرعون ويستغفرون ويتوبون ، ليستمـروا يتلوثـون ويذنـبون ، ليستمـروا يتضرعـون ويستغفرون ويتوبون ، لكـي تستمر عواطفه أي عواطف الاله متنقلة بحماس متوهج بيـن الشيء ونقيضه ·· بيـن الفرح والاكتئاب ، بيـن الانتصار والانهزام ، بين التشاؤم والتفاؤل ؟ ان الحماس المتوهج المتناقض هـو أعظم عـزاء وتعويض لمـن حكم عليهم بـأن يكونوا موجودين وأحياء ··

ان كـل الاحياء محتاجون الى التداوي والى التخفيف من قسوة ودمامة مواجهتهم ومعايشتهم لحياتهم ولذواتهم وأعضائهم ·· والانفعالات المتضادة هي أحد اساليب هذا التداوي والتخفيف من قسوة ودمامات هذه المواجهة والمعايشة · وهـل يمكـن تصور محتاج الى أن يتداوى ويخفف من عذاب وتفاهـة ودمامـة وسخافة وجـوده وحياته ، ومن عذاب وتفاهة وسخافة وقبح مواجهته ومعايشته لوجوده وحياتـه ، مثـل الالـه ؟

اذن هـل يمكن تصور محتاج الى الانفعالات المتناقضة مثل الاله ؟

اذن هـل يمكن تصور كائن يحتاج الى أن يطاع ويعصى ، الى أن يعصى ثـم يسترضى ويرشى بالاستغفار والدعاء وبالوعد بالتوبة لـه وبالرجوع اليـه ، بـلا توقـف أو نهايـة ، مثـل الالـه ؟

وهـل يمكـن ان يفعل الاله الا مـا يحسب انـه يهبـه الفرح والمجـد والراحة والقوة والاعجاب بالنفس والرضا عنها ؟ فلـو كان يرى أن الهبوط الاخلاقي والنفسي والعقلي والانساني بكـل اساليبه لا يهبه ذلك لكان محتوما بـل وواجبا عليه جـدا ان يخلق الناس ضخاما كبارا جـدا ، لا يستطيعون أو يريدون أو يرضون أو يحتاجون أن يهبطوا الى أي مستوى من مستويات الفسوق والعصيان أو التلوث أو الغباء أو النذالة أو القبـح بايـة صورة من صوره ٠٠ هـل يمكن أن يكون هبـوط الانسان بكـل تفاسيره الا تعبيرا عن صيغة تكوينه ؟ هـل يهبط أو يضعف الا مـن خلـق ضعيفا هابطا ؟ هـل يخلق الضعيف الهابط الا من يسعد بالضعف والهبوط ؟ هـل يمكن أن يخلق الاله الانسان بصيغة من لا يراد لـه أو منـه أن يهبـط أو يضعـف ثـم يستطيع أن يهبط أو يضعف ؟

هـل يستطيع أي مؤمن أو عاقل أن يعتقد أو يظن أن الله قـد يتعمد أن يفعـل او يخطىء فيفعل مـا يصنع لـه الاكتئـاب أو الغيظ أو الغضب أو الهزيمة أو الانفجاع أو المرارة ؟ هـل يستطيع أحـد أن يشك في أي شيء من هذا ؟

اذن فالدعاة الذين يحاولون أن يصوغوا الانسان صيغة تقوى وطهارة اخلاقيـة ودينية ونفسية هـم قوم يحاولون أن يحرموا الاله من فرحه وسعادته ولذته ٠٠٠

اذن انـت أيـها المؤمن محمي ، بتوحيدك الاله وبتوبتك اليه واستغفارك اياه ، من ان تكون مستقيما اخلاقيا أو دينيا أو انسانيا بـل ومن أن تكون مطالبا بذلـك بـل انـت مطالب بـان تكون نقيض ذلك بـل ومرفوض لـو لـم تكن هذا النقيض ، بـل ومعاقب ٠ ولكن هـل تستطيع ألا تكون هـذا النقيـض ؟ هـل تستطيع ألا تكونه مهما فرض عليك وطولبت بـل وأردت ألا تكونـه ؟

نعم ، توبتك واستغفارك بالتكرار والديمومة يصنعان أيها المؤمن ، للاله الفرح والمجـد ٠ اذن انـت مطالب بـان تكون آثمـا وملوثا بالتكرار والديمومة لكـي لا تحرم الاله من فرحه ومجده ، بـل لكي تصنع له الفرح والمجد ٠٠٠

انك بفسادك وتلوثك لست مؤذيا أو محزنا للالـه أو فاعـلا مـا لا يحب بـل صانـع لـه السـرور والحـب والمجـد ٠

اذن فالايمان ليس طريقا الى الاستقامة او الطهارة الاخلاقية بـل هـو طريق الى الخـروج علـى هـذه الاستقامـة والطهـارة ٠٠

ان المؤمن الذي لا يكون ملتزما بهذا الخروج على هذه الطهارة والاستقامة فلـن يكون صانعا للاله مـا يريده ويسعى لـه أي فلن يكون المؤمن المثالي المرجو المطالب بـه ، أي الذي جاءت النبوات والاديان لتصوغه وتعلمه وتبشر بـه ٠

هذه حقيقة حزينة ومثيرة يجب أن يعلمها ويتعلمها مفسرو الاخلاق ومعلموهـا ودعاتها ٠٠ وشيء اخر أعجب وأكثر جدا من كل هذا ٠ ذلك ان فاعل المعاصي والخطايا الكثيرة تتحول معاصيه وخطاياه الى حسنات اذا تـاب ٠٠

يقول القرآن : « اولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات » ٠ اذن لتتعاظم وتتكاثـر آثامك وذنوبك ايها المؤمن لكـي تتعاظم وتتكاثر حسناتك عند الله ٠٠

بايمانك بالاله وتوحيدك لـه تغفر وتغسل كـل ذنوبك وعاهاتك واوحالـك ، وبحاجتك الى ان تتوب اليـه وتستغفره وتبكي بيـن يديه ، بـل بالزامك بذلك ، وبحاجته أي الاله واشواقه الى أن تفعل لـه ذلك أي التوبة والاستغفار والصلاة ، تطالب وتلزم بـأن تكون بالتكرار والديمومة عاصيا خسيسا وقحا ملوثا فاعـلا كـل الرذائل والنقائص ٠ وايمانك هذا بكـل هذا لا بـد أن يحرضك على ألا تكون قاسيا في الزامك لنفسك بـأن تكون أخلاقيا في سلوكك أو نياتك أو تقواك ٠

اذن ايها المؤمن كيف يمكن او كيف تستطيع أو تجرؤ أو يقبل منك أو يغفر لـك أن تكون نظيفا أو تقيا أو اخلاقيا أو عظيما ؟

انك لو كنت ، أو لـو استطعت ، أن تكون كذلك ، أي نظيفا أو تقيا ، أو عظيما، لفقـدت أنـت والالـه كـل هـذه المزايـا ٠

نعم ، الاله لا يكون الها سعيدا فرحا مجيدا ألا بـان يكون بالديمومة منظفا غافرا متقبلا ٠٠ اذن أنـت ايها المؤمن مأمور بـان تكون بالديمومة ملوثا آثما نذلا لكـي يستطيع أي الاله أنيكون منظفا غافرا متقبلا، لكييستطيع أن يجد منيجعله كذلك ٠٠!! اليس المحتوم أن يكون الاله أعظم منظف غافر متقبل ؟ اذن أليس المطلوب أن تكون أعظـم ملـوث مذنـب ؟

هل يستطيع أي مفسر للايمان ولاخلاق الاله وشهواته ورغباته وأشواقه وأوصافه أن يخالف في شيء من هذه التفاسير لهذه القضية ؟ وهـل يسعد الاله أو يفرحـه أو يريحه أو يمجده أن يفسر بغير هذه التفاسير ؟

ان الاله متواضع جدا في تفاسيره وفي اشتراطه لتفاسيره ٠ انـه يريـد ان يفسـر كمـا هـو لا كمـا ينبغـي ٠

ولكن مـا أعظم حظوظ الاله في هذه القضية ٠ لقـد كان المؤمنون بـه في جميع العصور والمجتمعات اسخياء واتقياء جـدا في فعلهم لكـل مـا يريده ويريحه ويفرحه ويطمح اليـه من فجور وسقوط وضعف وهوان ونذالة وكذب وغـباء ودمامات ومـن تلويث لـه وكذب عليه وبـه ومن عبادة للطغيان والاوثان الفاجرة وتسويغ لكل الظلم

والمظالم والسرقات باسم الايمان بـه وتوحيده وطاعته وعبادته · لقد كان المؤمنون دائما نبلاء وشرفاء وكرماء في خروجهم على الاله · لقد كانوا دائما خارجين عليه بكل الاساليب التي تصنع لـه كـل الفرح والرضا والاستمتاع ·

حتى الوثنية ·· ان دعاة الايمان بالاله ودعاة توحيده وكـل المؤمنين بـه وحده هـم وثنيون بـلا منافس ، هـم عابدون بكـل الحماس والهوان لافجر واقبح الاوثان دون أن يستطيع أي وثني منافستهم في كثافة وشمول وتنوع وهوان وثنيتهم ان اوثانهم اوثان فاجرة ظالمة سارقة ضاجة بالخبث والشر والفحش وليست اوثانا عاجزة صامتة بريئة مهذبة وهمية كالاوثان التاريخية ·

ان شيوخ وائمة دعاة الايمان بالاله الواحد الاحد لا تستطاع منافستهم فـي عبادتهم لكـل الاوثان المتعددة المتعاقبة ، لكـل الحكـام والسلاطين ولكـل ألـوان الطغاة والاقوياء والمتسلطين المتعاقبين الوثنيين ، وفي تعبدهم وهوانهم لكـل مـا يبتكره أو يعلنه هؤلاء الوثنيون من وثنيات متبدلة متعادية متلاعنة باسم المذهـب أو العقيدة أو الثورة أو الوطنية أو حتى باسم الدين أو الاخلاق أو النظام · حتـى الدين والايمان ، انهمـا يتحولان الى أقبح الوثنيات ويتحول دعاتهما الى أقبـح واوقح الدعـاة الـى الوثنيـة ··

اليست كل الوثنيات تصغر وتهون وتتواضع لو حوسبت بوثنية الايمان والدين؟

ان اكبر شيوخ وائمة الدعوة الى الايمان والتوحيد ليحولون شهـوات وأهـواء وحماقات وبلادات وبذاءات وأكاذيب ومظالم وأوامر وأخطاء طغاة مجتمعاتهم المتعددين المتناقضين المتعاقبين الى أقسى وأقبح الوثنيات ، يفسرونها ويعلمونها ويمجدونها ويصلون لهـا وبهـا · ويحولون كـل الالهـة والانبياء والاديان والكتـب المقدسـة والتاريخ وكـل شيء حتى أخلاق النجوم والبحار والانهار والاعاصير والزلازل الـى تسويغ وتفسير وتبشير لها وبها والى تنناء عليها وتدليل علـى صدقـها وتقواهـا ونزاهتها وشهامتها وعبقريتها بل انهم ليحاولون أن يدللوا على أن التعاليم والشرائع والكتب المنزلة لـم تنزل ألا لتكون دفاعا ونبوءة عن العاهات والهزائم والهموم التي يصاب بها من يحكمون ويتسلطون ·

نعم ، ان أكبر شيوخ وائمة الدين والتوحيد بـل كلهم هـم في كـل العصـور والمجتمعات اقبح واكثف من كـل الوثنيين والمشركين وثنية واشراكا بالاله ، ايمانا وسلوكا ودعوة وتعليما وتوظيفا · انهم عبدة اوثان وصانعو معلمو أوثان ·

نعم ، ان شيوخ الدين وائمته هم دائما عبدة أوثان وصانعو معلمو أوثـان ·

هل يجهـل ذلك احـد ؟ بـل هـل يعرفـه احد ؟ كيف لا يعرفـه كـل احـــد ؟

أليس يراه ويعيشه كل احد ؟ هل الناس لا يعرفون الشيء لانهم يرونه ويعيشونه ؟

انــه ان كانت الوثنية أو الاشراك بالاله الواحد طريقا الى الجحيم فــلا بــد أن يكون شيوخ وأئمة الدين والتوحيد هــم أول من يسيرون في هذا الطريق ٠٠ هــم أسمن الحيوانات التي سوف تمتلىء بها الجحيم ويمتلىء بها الطريق الى الجحيم ٠٠ أنــه قــد يندر حينئذ الاقبال على الجحيم لانــه يندر من يقبل مساكنة هؤلاء الشيوخ والائمة ولــو في الجحيم لضعف معاني الانسان القوية الشامخة الشجاعــة فيــهم ولعنف كآبــة ضمائرهم وقلوبهم واخلاقهم ٠

ان أردأ وأفسق وأقسى الاوثان في كــل التاريخ هــم الطغاة في المجتمعات المتخلفة المتدينة ، وأن أفسق واردأ وأبذأ وأذل المفسرين والمسوغين والمشرعين المجدين لهذه الاوثان اي لهؤلاء الطغاة الاوثان هم شيوخ وأئمة الدعوة الى الايمانوالدين والتوحيد هم معلمو الاديان وحماتها ومفسروها وموظفوها ٠

لنتذكر ، نعم ، لنتذكر هــذا جيــدا ٠٠

لنتذكر أن الشيخ أو الداعية الديني الكبير لا بــد أن يصب علينا كــل اللعنات ويعد لنــا أفظع مكان في الجحيم لــو أننا أعتقدنا في حجر أو شجر أو شمس أو قمر أو في حيوان نافع بريء نبيل بينما يتحول هــوالى افجر وأذل عابد وحارس ومفسر وممجد معلم لاغبى وأقسى وأردأ الوثنيات التي يفرضها الطغــاة اللصوص القتلــة الجهلــة الانــذال المخربــون علــى المجتمعــات ٠٠٠

على عقول المجتمعات وأفكارها وعقائدها وتصوراتها وطموحها وتمنياتها واخلاقها وعلى فنونها وآدابها ولغاتها وعلى مذاهبها وأديانها بــل وعلى صداقاتها وعداواتها وهمومها ومسراتها ٠٠٠ أي يفرضون عليها أن يتحولوا فيها الى أقوى وأشرس الالهة المطلقة المرئية الحاضرة ، أي أن يكون كــل شيء فيها كمــا يريدون ويامرون حتــى الالهة والنبوات والاديان والكتب المقدسة يجب أن تكون في كــل نصوصها وتفاسيرها كمــا يريدون ويامرون ٠ أن الالوهيات والنبوات والاديان والكتب المقدسة لا تهــون أو تتشوه في مكان مثل هوانها وتشوهها في المجتمعات المؤمنه المتدينة لانها فــي هذه المجتمعات لا بــد أن تؤدب وتزور وتحتقر لئلا يكون لها اي معنى غير ان تكون كما يهوى ويطلب الحكام المتخلفون الفاسدون المتسلطون ٠

نعم ، حتى الايمان بالله وحده وعبادته يتحولان الى اذل واوقح وأزدأ إنــواع الوثنيات ، لان شيوخ الدين وأئمته يذهبون يعلمونهما اي يعلمون الايمان باللــه وعبادته ، ويفسرونهما ويلقنونهما ويؤدونهما كما يريد ويامر ويرى الطغاة المتسلطون٠

انه لا شيء يهان ويشوه مثلما يهان ويشوه الاله والدين في المجتمعات المؤمنة المتدينة ، مثلما يشوههما ويهينهما شيوخ الدين ليكونا على مقاسات حكام هذه المجتمعات ٠

انهما اذن اي عبادة الله والايمان به يتحولان الى ايمان بالطغاة الحاكمين والى عبادة لهم مهما زعما عبادة للأله الواحد وايمانا به وحده ٠ ان ائمة الدين وشيوخه يحولونهما الى ذلك في كل العصور والمجتمعات ٠٠ ولهذا فان صيغ الاله واخلاقه ورغباته وتعاليمه وتفاسير كتبه المنزلة تتبدل وتتغير بقدر ما يتبدل ويتغير الطغاة الحاكمون ، وبقدر ما تتبدل وتتغير اهواؤهم وظروفهم ومصالحهم ومواقفهم ٠ انه اذا تحول طاغية المجتمع المؤمن المتدين من ملك الى رئيس فلا بد ان تتحول كل تفاسير الاله الى اخرى تلائم التحول الجديد ٠٠

ان مقاسات شخصية الاله في أي مجتمع متدين مصنوعة ومستلهمة دائما من مقاسات شخصية الحاكم القوي المتسلط ، أي لا بد أن تصاغ وتفسر كذلك ٠ أن قبح وجه أو صحة أو نسب هذا الحاكم لابد ان يتحول الى قبح في تفاسير شخصية الاله٠

اذن هل توجد وثنية مثل وثنية المؤمنين المتدينين الموحدين ؟ او هل يوجد صناع للوثنية مثل ائمة الدين وشيوخه المعلمين للايمان والتوحيد ؟ هل يوجد متروك لشيوخ الدين الجهال المنافقين الاغبياء مثل الاله ، ينحتون ذاته وجميع نماذجه من نفاقهم وغبائهم وجهلهم ليكون تفسير الاثام ونقائص طغاتهم ؟

اذن هل وجدت او يمكن ان توجد ذات معبوث ملعوب مهزوء مفجور بها ، مباحة معروضة لكل انواع التحريف والتسخير والتزوير ، مثل ذات الاله ؟

اذن لتحزن وتبك وتتعذب كل القلوب والعيون والضمائر رثاء له اي للاله واشفاقا عليه ومجاملة لهوانه ومأساته وضعفه ولاستسلامه وصبره وصمته الذليل البليد الطويل ٠٠ وهل يوجد مثل صبر الاله وصمته على كل من يشوهونه ويلوثونه ويعبثون به ويكذبون عليه وبه بلا اي رفض او مقاومة ؟

نعم ، ها هنا حقيقة يجب الا تكون مفاجئة مهما كانت فاجعة وصادقة ٠٠ تلك هي ان الاله والدين في المجتمعات المؤمنة المتدينة لا يحولان المؤمنين بهما الى تفاسير لهما ، ولكن المؤمنين بهما هم الذين يحولونهما الى تفاسير مستسلمة طيعة لكل تفاهاتهم ونفاقهم وهوانهم واهوائهم وبلاداتهم وآثامهم ، ولكل طغيان وحماقات ونذالات واكاذيب وسرقات طغاتهم المتعاقبين المتبدلين عليهم ٠٠٠

أي ان الاله والدين لايصوغان المؤمنين بهما ولكن المؤمنين بهما هم الذين يصوغونهما ٠ انهما يطيعان المؤمنين بهما دون أن يطيعهما المؤمنون بهما ٠ انهما ابدا تفاسير لاجساد المؤمنين بهما لا تخطيط او تعليم او صياغة لاجسادهم ٠٠ ليس المؤمن انسانا يعبد او يطيع او يحترم الها او دينا بل انسان يعبد ويطيع اخلاق وتعاليم جسده ٠

ان الناس لا بد ان يفعلوا شهواتهم ونقائصهم واخطائهم وخطاياهم الملائمة الشهية ، مؤمنين بالاله والدين وغير مؤمنين بهما ، ولكنهم حينما يكونون مؤمنين بهما فلا بد ان يفسروا ويسوغوا ما يفعلون ويدافعوا عنه بهما اي بالاله والدين ، او يفعلونه عصيانا وفسوقا متعمدا فوق سرير الاله والدين ، وداخل تحديقاتهما الغاضبة المتوعدة ، واختراقا لتهديداتهما واغراءاتهما وتضرعاتهما الحزينة الباكية ، دون أن يموتوا او يمرضوا او يفقدوا الشهية من الحياء والرهبة او التادب ٠ وهل وجد او يمكن ان يوجد عصاة أجرأ على العصيان واكثر شعورا بالامن من عصاة الاله والدين ؟

هل غير الاله والدين شيء يستطيع عصيانه ويجرؤ على عصيانه كل احد كل الوقت بلا اية مقاساة ؟

ان لهذه القضية منطقا او تفسيرا آخربائسا ٠٠٠

ذلك أن المؤمنين الايمان الديني الغيبي قد يحولون ما يوجد أو ما يفترض فيهم او ما يطالبون به او ما يشعر به او ما يشعرون انهم ملزمون به ومحتاجون اليه من حماس وطاقات وتعبيرات اخلاقية وانسانية وفكرية وفنية وعاطفية وحضارية ـ نعم، قد يحولون ذلك الى اساليب استفراغية استنزافية ايمانية دينية تعبدية ٠ قد يستفرغون كل معاني الانسان فيهم استفراغا دينيا ٠ ان لاستفراغ انسانية الانسان استفراغا دينيا لتاريخا طويلا أليما بائسا ٠

نعم ، ان ممارساتهم للطقوس والشعارات والاهتمامات والعداوات الايمانية والتعبدية والدينية قد تسحب منهم او تضعف فيهم كل الاقتحامات والكينونات والاحتمالات والاشواق الانسانية الاخرى ٠٠٠ أليست الاتجاهات المختلفة والمتعارضة تتنافس على سرقة حماس واشواق وطاقات الذات ؟

ان هذه الممارسات قد تعوضهم وتلهيهم عن كل احتمالاتهم الاخرى اي الفكرية والاخلاقية والانسانية ٠٠ انهم قد يشعرون ويقتنعون بهذا التعويض ويتلهون به ويستفرغون كل حماسهم ونشاطهم الانساني فيه ٠ ان الالهة والاديان مهما كان عجزها عن صباغة الانسان اية صياغة قد تستطيع أن تسرق منه حماسه الانساني ٠

ان هتافهم وصلواتهم وامتداحهم ودعاءهم لاشباح آلهتهم وانبيائهم واشباح كل اصنامهم المقدسة الخارقة في كل تفاسيرها وتصوراتها وقدراتها ومزاياها ، وان ايمانهم واعجابهم بهم وبها وتحديقهم فيهم وفيها ، ان ذلك قد يقتل او يضعف او يخمد او يشغل فيهم كل شوق وحنين والتفات الى اي معني انساني او اخلاقي او فدائي أو جمالي آخر ٠٠٠ ألا يتحول الايمان بالاله والصلاة له الى صلاة ضد الانسان والى زندقة بقيمه ؟

اليس التحديق والتفكير الحادان الدائمان في الاشباح والارواح غير المرئيـــة الرهيبة القوية الحاضرة المحاصرة المتربصة المطلقة التصرف ، مع التحدث الدائم الساخن التعبدي الارهابي عن هذه الاشباح والارواح ...

... نعم ، اليس ذلك يضعف الرؤية للوجود المنظور والرؤية للذات ويضعـف الشخصية والتفكير والمنطق والقدرة على ضبط السلوك والانفعالات وعلى اخراجهما اي اخراج السلوك والانفعالات اخراجا ذكيا قويا جيدا محترما وايضا يضعف كـل الاهتمامات والحسابات الاخرى المطلوبة ؟

اليس معايشة الاشباح بالايمان والاحساس والرهبة عدوانا على معايشة الحياة ؟

اذن اليس محتوما او محتملا او مفترضا ان يجيء المؤمنون بالآلهة والاديان هم أضعف الناس في قيمهم وتفاسيرهم الاخلاقية والانسانية والحضارية اي بقدر ما يكون ايمانهم هذا قويا وحماسيا وحيا اي ولو باللفظ والوعظ والاسلوب اعني ولو كانت قوة وحماس وحياة ايمانهم بالخطابة والتحدي والادعاء والشكل فقط ؟

وقد تكون المشاهدة الدائمة اقوى تدليلا على ذلك من كل تفكير ومحاولـــة اثبات . وهل يهجو الايمان بالآلهة والاديان مثل التحديق في المؤمنين هذا الايمان ومثل مشاهدتهم وقراءتهم بمساءلة ومحاسبة ومحاكمة في كل عصورهم واوطانهم ؟

نعم ، قوم يعيشون مع الشمس وتعيش الشمس معهم ، تعيش في بيوتهم وعيونهم وافكارهم واحاسيسهم ولغاتهم وصلواتهم وفي اناشيدهم ، بكل الجهر والقوة والاحراق والاشراق والديمومة والشمول ..

هؤلاء القوم هل ينتظر منهم ان يصنعوا او يوقدوا الشموع او أية اجهزة اضاءة اخـــرى ؟

اليس محتوما أن يحطم ويطفىء هؤلاء القوم كل الشموع أن كانت لديهم شموع ، او ان يتركوها تتحطم وتنطفىء ؟ انسان يعيش شبح الاله في كل معانيـــه واحاسيسه الانسانية كيف يمكن او يستطيع ان يعي اي شيء سواه او يهتم به او يـــراه ؟

نعم ، انه لا مكان ولا سرير فعلت فوقه كل الخطايا وأوقح الخطايا مثلما فعلت وتفعل فوق سرير الاله ، فعلها ويفعلها المؤمنون به التائبون المستغفرون الباحثون عن رضاه اي رضا الاله وعما يصنع له الفرح والابتسام والمجد والكبرياء ..

نعم ، وان كل التفاسير لاي داعية دين وتوحيد كبير هي انه داعية ومفســر ومسوغ ومشرع وناشر وعابد لاقبح واثقل وأرسخ الوثنيات .

ان اي نبي كبير ليس الا داعية كبيرا ومشيدا كبيرا لوثنية كبيرة ، اكبر من كل الوثنيات التي جاء ، في دعواه ، ليلعنها ويلغيها .

نعم ، ان البشر لا يتخلصون او يتداوون من الوثنيات • انهم لا يستطيعون ذلك ولا يريدونه ، ولكنهم ينتقلون من وثنية الى اخرى ويعلنون كفرهم بوثنية ليؤمنوا بوثنية قد تكون اطغى وأقبح ••

ولم تتعاظم كما لن تتعاظم حظوظ البشر من الوثنيات مثلما تعاظمت وتتعاظم في مجتمعات وعصور النبوات والديانات الكبرى المعلمة للتوحيد والداعية اليه واللاعنة الملغية للوثنيات •

في مجتمعات وعصور الايمان والديانات القوية التوحيدية تتحول ويراد ان تتحول كل الاشياء الى اوثان فادحة خالدة ••

تتحول الى اوثان تحرسها وتعلمها وتعيشها النبوات ••

ان ذات النبي الذي يجيء ليعلم التوحيد والايمان بالاله الواحد ، كذلك ولادته ومكان عصر ولادته وموته وقبره وكل اقواله وافعاله واوصافه وتشوهاته وآلامه البدنية والنفسية والفكرية ، وحتى قيئه وبصاقه وهزائمه واناته وضحكاته وملابسه وشعر لحيته وبياض شعره ، وحتى اقاربه وقبيلته وزوجاته واصدقاؤه ، وحتى حروبه ولعناته وبغضاؤه واحقاده وخصوماته وحساسياته وحتى مخاصماته لزوجاته ••

•• حتى علاقاته الجسدية بزوجاته ••

نعم ، ان كل ذلك يتحول الى اوثان معبوده مقدسة لا تحاسب او تناقش •

كذلك في مجتمعات الايمان والتوحيد والتدين القوي تتحول شهوات ومغامرات وحماقات وبذاءات واخطاء واهواء واكاذيب وسرقات الحاكم القائم ، ملكا أو أماما أو خليفة او رئيسا ، الى اوثان ووثنيات مخربة قاتلة جاهلة مفسدة فاسدة وقحة •••

كذلك تتحول جهالات وخرافات ونفاق وضعف وتعاليم ومواعظ وفتاوي من يزعمون ويسمون شيوخا وأئمة ودعاة واقطابا واولياء وعارفين وواصلين ــ تتحول الى اوثان غبية باسم الايمان والتوحيد الذي يعلمونه ••

بل ان الاوبئة والامراض والمجاعات والقحط والحشرات وجميع الكوارث والاخطاء الطبيعية تتحول وتحول في مثل هذه المجتمعات المؤمنة المتدينة الموحدة الى اوثان مسحوبة ومصنوعة ومنحوتة من ذات الاله ، من حكمته ورحمته وعقله وحبه واخلاقه وفنونه وجماله •• لهذا يجب الشكر والصلاة لها ومن اجلها ، كما يجب التحدث عن حكمتها ورحمتها وجمالها ، كما يجب تفسير كل ذلك واعلانه والاعتراف به لها وفيها • أليس يجب الايمان بانها اي الحشرات والاوبئة وكل حماقات الطبيعة جزء من ذات الاله ، من تدبيره وارادته ونظافته وشهامته وعبقريته ؟

اذن ايها الايمان ، ايها التوحيد ، ايتها الديانة القوية الكبرى •• لا تجيئي ، لا تجيئا لئلا يتحول كل شيء في المجتمعات المؤمنة الموحدة الى اقسى الاوثان والوثنيات •

لئلا يتحول بصاق وقيء ودمامات وبذاءات وعداوات انبيائك ومعلميك الى اقسوى وارسخ الاوثان والوثنيات ..

اما ان كنتما قد جئتما ايها الايمان ، ايها التوحيد ، وجئت ايتها الديانة القوية الكبرى فموتا وموتي لكي تموت اقسى الاوثان والوثنيات ...

ان شعيرة واحدة من شعائر اية ديانة توحيدية جاء بها نبي من انبياء السماء لهي اثقل واشمل وثنية من جميع الوثنيات ..

هل عبدت الحجارة والاماكن او الازمنة او التاريخ او التعاليم او ذوات البشر مثلما عبدت وتعبد في تعاليم الديانات السماوية الكبرى التي جاءت لتعلن التوحيد وتفرضه على كل العالم ؟

هل عبد التراب والقبور والاكفان البدوية التاريخية مثلما عبدت في اديان التوحيد ؟

ان في احشاء واستار كعبة واحدة من كعبات ديانات التوحيد من صيغ وتفاسير الوثنيات ما لا تستطيع جميع الوثنيات أن تماثله أو تنافسه في كل صيغها وتفاسيرها ، في كل تاريخها واوطانها واوثانها .. أن في ذات نبي واحد جاء معلما للتوحيد من معاني الوثنية ما ليس في كل اوثان الجاهلية ...

لهذا فان مجيء وانتصار دين توحيد قوي في اي مجتمع من المجتمعات لا يمكن ان يعني الا الانتقال من وثنية صغرى الى وثنية كبرى .. منوثنية متسامحة متواضعة فنانة شاعرية انسانية جمالية غنائية باسمة الى وثنية قوية كئيبة متعصبة كالحة حاقدة عدوانية محروسة بكل اسباب واساليب وجيوش الارهاب والتهديد والبطش والالغاء لكل معاني الانسان .

محروسة بالزبانية والملائكة الغلاظ الشداد وباهوال الجحيم وبكل افواج والوان الطغاة ، من الحكام الانذال ومن الشيوخ والمعلمين الجهلاء الاغبياء الاذلاء المنافقين الدجالين المحولين للاله والنبي والدين والكتاب المقدس ولكل الاشياء التي يزعمون الايمان بها .

وللتاريخ والحياة وكل شيء الى عباءات وقمصان وجلابيب ، مفصلين لها على كل المقاسات والاحجام ، لتكون على مقاسات احجام جميع الوثنيات والاوثان المتعاقبة المختلفة فياحجام ومقاساتاجسامها واهوائهاوقباحاتها وتشوهاتهاونذالاتها وآثامها .

نعم ، هل حدث ان حكم وتسلط اي وثن دون ان يجد هؤلاء الشيوخ الله والنبي والدين والسماء والتاريخ والكتب المنزلة وكل شيء طبق جميع احجامه ، في كل تفاسيره ، بكل تفاسيرها اي دون ان يصبح الله والنبي والدين والسماء والتاريخ والكتاب المنزل وكل شيء عباءات وقمصانا وجلابيب وتفاسير مفصلة على مقاسات واحجام هذا الوثن الحاكم المتسلط مهما كانت مقاساته واحجامه ، اي في تعاليم

وتفاسير ومواعظ وآراء وفقه هؤلاء الشيوخ المتحدثين باسم الازل والابد٠٠ باسم السماء والارض٠٠ باسم الابالسة والملائكة، باسم الجحيم والفردوس ، باسم الانسان في كل اجياله واطواره واعراقه واجناسه وتاريخه وحضاراته اي هؤلاء الشيوخ الذين يتحدثون كلما تحدثوا ومتى وحيث تحدثوا بضمائر وقلوب وأخلاق ونيات ونظافة وشموخ وشجاعة وذكاء اردأ وأصغر وأذل الحشرات ؟

ولا بد من الاعتذار هنا الى الحشرات ، من الاعتذار اليها عن المبالغة في تحقيرها وفي العدوان عليها بهذا التشبيه والتمثيل بها ٠

***

أجل أعلموا وتذكروا ايها المؤمنون بأديان التوحيد السماوية الكبرى انكم لستم الا عبيد وثنية ، وثنية هي أطغى وأقبح وأشمل وأكثر بداوة وجاهلية من جميع الوثنيات ٠٠

أنكم لستم مؤمنين ولا موحدين ولكنكم عباد قبور وأحجار ومزارات وكعبات ومغارات ونصوص ورجال من البدو تحولت احقادهم وعداواتهم وبداواتهم وضعفهم وتشوهاتهم واحزانهم ومجاعاتهم وآهاتهم وجميع عاهاتهم وتفاهاتهم ونقائصهم الشخصية الى تعاليم وتعاويذ وتسابيح وصلوات وأخلاق وشعارات وكتب منزلة تتعلمونها وتعلمونها وتحفظونها وترووتها وتفسرونها وتصلون لها وبها وترون وتجدون وتشرحون بها جمال وذكاء وروعة ورحمة وحكمة الدمامة والعاهة والوباء والمرض والكارثة والظلم والموت والقحط والذباب متنقلا بكل الكبرياء والمرح ومشاعر الامز والثقة بين العيون والانوف والموائد والاوحال ومتربعا مغنيا باصقا مستفرغا فوق سطور الكتاب المنزل ٠٠ فوق الجباه الراكعة الساجدة المصلية ٠٠

أجل ، أعرفوا هذا وتذكروه يا أصحاب الاديان والنبوات والكتب المنزلة الموحدة ٠٠ يا أصحاب الاله الواحد الغيور الاناني المطالب بالا يكون له أي شريك في حبكم أو أشواقكم أو ايمانكم ، أو صلواتكم أو توجهاتكم او مغازلاتكم حتى ولا الحجر أو الشجر الطيب الجميل البريء ٠٠

أذكروا أن جميع وثنيات التاريخ تتصاغر وتهون وتموت وتغفر أمام وثنية نبي واحد من انبيائكم الذين جاءوا اليكم ليعلموكم التوحيد وليهدموا كل الاوثان والوثنيات الصغيرة البريئة المتواضعة المسالمة الصديقة الانسانية الغنائية الفنية التي لا تصنع أو تعد أو تتقبل أو تبارك شيئا من النيران أو المخاوف أو العقاب أو الحساب أو الاحقاد أو العداوات أو الحروب أو الخصومات او التصورات الكئيبة

الرهيبة المتوحشة التي يعدها ويصنعها ويوعد بها ويتقبلها ويباركها بل ويصلي لها وبها جميع انبيائكم القادمين اليكم من وراء الكون ليعلموكم التوحيد والايمان والحب والجمال والحنان والرحمة ٠٠!

**

ونعود الى قضية الدين والاخلاق و الايمان والاخلاق ٠٠ وهل الدين أو الايمان يحرض ويساعد على أن تكون الاخلاق قوية وملتزمة او على ان تكون ضعيفة ومتحللة٠ يقول القرآن مبشرا وميسرا ومتسامحا وغافرا بسخاء لا حدود ولا مثل له٠ يقول:
« قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ٠ ان الله يغفر الذنوب جميعا » ٠٠

هل يوجد تحريض على التحلل من الالتزام الاخلاقي والديني أو تهوين من قيمة هذا الالتزام بل أو الغاء لكل القيم الاخلاقية والدينية والانسانية مثل هذا ؟
انه أسلوب عجيب فريد من أساليب المبايعة والمعاهدة والوعود القاطعة لكل الآثام والعفونات بالتسامح والغفران بل بالمصافحة والمعانقة والحب والتقبل والرضا الصادق الحار ٠

كن صهيلاً بلا جواد .. لا جواداً بلا صهيل

ايها الصديق ٠٠ تحدثت في رسالتك الاخيرة وفي الكثير من رسائلك السابقة عن موهبة العرب الكلامية أو عن علتهم القديمة الحديثة المستعصية الدائمة التي معناها : انهم يتكلمون بلا حساب او محاسبة او محاكمة او ضبط لاية كلمة يقولونها ، في اي موقف وامام اية قضية ، وانهم يهبونه الى الكلام كل اهتمامهم واعجابهم وحماسهم وحبهم وايمانهم ، وانهم يجدون فيه كل معاني ومستويات النضال والمقاومة والشجاعة والموهبة والانتصار والمداواة والارتواء ٠٠٠

وقد رايت في رسائلك ان في موهبة العرب ، هذه او في آفتهم هذه استنزافا او تفريغا بليدا وخطيرا لطاقاتهم ولاحتمال النضال والابداع والعمل القوي المجدي فيهم ٠٠

انك ترى انهم جميعا : زعماءهم وحكامهم وقادتهم ومعلميهم وكتابهم وجماهيرهم يزحفون على جميع القضايا والمشاكل والمخاطر والاحتياجات التي تواجههم وتفرض عليهم اعمالا ومواجهات وافكارا وتحركات ومواقف قوية وصعبة وشجاعة ـ نعم ، يزحفون عليها بجيوش متتابعة من الكلام الشاتم المهدد الصارخ البليغ المتدين المغرور القبيح البذيء ٠٠٠ وحينئذ ينفدون ويسترخون ويشعرون بكل مشاعر الراحة والانتصار والمجد والقوة ٠٠ بكل مشاعر المناضل المعطى المتفوق الظافر على جميع الخصوم والانداد والمواجهات ٠ ان كل غضب الحياة وحماسها يموتان فيهم بلا ثمن ٠

انك ترى انهم لو لم يتكلموا لفعلوا ٠٠ لقد جاء الكلام الكثير بديلا عن الفعل العظيم ٠٠ لقد سرق الكلام من أنفسهم كل طاقاتها واحتمالاتها وغضبها وحماسها . بل كل ذكائها ٠ لقد استنزفها من الاعماق ٠٠

ان العرب قد عاقبوا تاريخهم ويعاقبون حياتهم بالكلام وسحبوا من تاريخهم ويسحبون من حياتهم بالكلام ايضا كل خصوبتهما وثرائهما وعبقريتهما وكل ما فيهما من احتمالات الولادة الجيدة ٠٠ انهم يبالغون جدا في سب وتهديد وتحقير الاعداء والمشاكل والاخطار وحينئذ يشعرون بالارتواء والشفاء ٠٠ انهم بذلك يستفرغون انفسهم ٠٠

وهذا الراي الذي رايت وقلت ايها الصديق يراه اليوم ويقوله كثير من متحدثي العرب ومفسريهم بل ومفكريهم ٠ انهم يعتقدون كما اعتقدت ان العرب لو لم يوهبوا هذه الموهبة او لو انهم شفوا منها لتفجرت فيهم المواهب الانسانية الاخرى التي تأخر

تفجرها كثيرا حتى ملت عيون الاشياء من انتظارها ، بل حتى صارت تخجل من انتظارها ·· لهذا فان هؤلاء المتحدثين والمفسرين بل والمفكرين قد هبوا في نوبات من الحماس الصادق المتصاعد ينصحون ويحرضون ويعلمون الاقلال من الكلام ومن كل فنون البلاغة والمبالغة والخطابة ، من كل فنون الصوت والتصويت ·· لكي يجيء في زعمهم ما طال انتظاره من الاعمال والقفزات العظيمة المفقودة حتى الافتضاح واليأس ·· انهم يرون ان كل عبقريات العرب تتحول الى اجهاض بلا اية ولادة بسبب كثرة الكلام والتصويت ·

اجل ، ان العرب ظاهرة كلامية · وقد يقال انهم ظاهرة صوتية اي اقل من كلامية ·· ان للكلام او للتصويت او الصوت في حياة العرب وفي تاريخهم شأنا بل تاريخا بل مجدا ضخما ، ضخما ·· ان مجد الكلام في حساب العرب ليس في قوله او في الاستماع اليه فقط او في المقاتلة والتهديد والانتصار او في التداوي ومحاولة حل جميع المشكلات به فقط · بل ان مجد الكلام وقوته في كل ذلك ، بل وفي اكثر من ذلك جدا · ان الكلام في حساب العرب وتفكيرهم وايمانهم بل وفي تاريخهم هو كل المجد والقوة · حتى الاله الذي يؤمن به العرب ويصلون له هل له مجد او قوة غير الكلام المنزل البليغ ؟

ان منشورا او خطابا او قصيدة ضاجة بالشتائم والتهديد والادعاء والمفاخرة والمبارزة وبالتحدث عن الامجاد والانتصارات التي كانت يوما ما او التي زعمتها الكتب والحكايات أو التي زعمت الكتب والحكايات انها سوف تكون ، انها من علامات الساعة واخر الزمان ·· حتى التحدث عن علامات الساعة وعن عجائب اخر الزمان هو موهبة خطابية عربية ··

ـ نعم ، ان منشورا او خطابا او قصيدة من هذا الطراز يقولها او يقوله ، يلقيها او يلقيه زعيم او خطيب او شاعر مهتاج صارخ قافز من النزق والاعجاب فوق جمهور هاتف صائح من الايمان والغفلة والبلادة والهوان ، يوجهه او يوجهها اي المنشور او الخطاب او القصيدة الى عدو مذل قاهر ، او الى ضعف او فساد لا مثيل له في فضحه وافتضاحه ، او الى هزيمة هي في قسوتها اعتذار عن عار كل الهزائم ، تبدو كل الهزائم محاسبة ومحسوبة بها كأمجد الانتصارات لقسوتها ·

ـ نعم ، ان مثل هذا المنشور او الخطاب او القصيدة ليتحول في مشاعر وحسابات القائل والسامع ، في حسابات ومشاعر القادة والحكام والجماهير بل وفي حسابات ومشاعر التاريخ والمنابر والمحاريب الى اعظم واشمل تعويض عن كل ما فقد من انتصار وكرامة وقوة واستقامة ومجد وذكاء ، بل والى اشمل واعظم تكفير عن كل ما حدث وعن كل ما هو حادث ومستقر من هزائم وعار ونذالات وحقارات وضعف وتلوث وسقوط في جميع الحفر وفي أعماق كل الاوحال ·· بل ان ذلك ليصنع من مشاعر الانتصار والابتهاج والتباهي والكبرياء والرضا ومن الحماس والنزق اكثر واقوى مما يصنع الواقع المجيد جدا · بل ان ذلك ليوهمهم جميعا : يوهم القائل والسامع ،

القادة والحكام والجماهير والتاريخ والمنابر والمحاريب بان ذلك الواقع المجيد جدا قد جاء ، اروع مجيء لان ذلك المنشور او الخطاب او الشعر قد أنشد باحتفال ضاج قافز مائج · ان العربي ليجد الشيء المستحيل الذي يتحدث عنه باهتياج اكثر مما يجد الشيء الواقع الذي يراه بصمت ووقار ··

حقا ·· ان العرب ظاهرة كلامية او لغوية · وقد يكون الصدق انهم ظاهرة صوتية او تصويتية ، اي انهم لم يبلغوا طور ان يكونوا ظاهرة كلامية او لغوية ···

ان الفرق كبير بين الكلام او اللغة وبين الصوت او التصويت ·· الكلام تخطيط او تعبير عن تخطيط او عن خطة او فكرة او تفكير ·· ان فيه معنى الهدف والتحديد والتسديد الى شيء معين مراد معروف او مظنون ··

اما الصوت او التصويت فانه لا يصعد الى هـذا الطور · انه ليس الا تعبيرا عن الذات او عن الحالة ، تعبيرا ليس فيه معنى التحديد او التسديد او الهدف المراد او المعروف او المظنون · ليس فيه اي معنى من معاني الضبط او القصد · انه ليس الا افرازا او اطلاقا مثل البكاء والانين والتوتر وارتجاف العضلات ·· مثل كل الانفعالات الذاتية التي تطلق او تنطلق دون اية حسابات او انضباط او تحديد او بحث عن شيء معين معروف او مظنون ··

وتحت هذه الفروق بين الكلام او اللغة وبين الصوت او التصويت هل العـرب ظاهرة كلامية لغوية ام هم دون ذلك ؟ ام هم فقط ظاهرة صوتية او تصويتية ؟ ان الجواب على هذا التساؤل يحتاج الى تفكير فيه كل مخاوف وتكاليف الشجاعة والصدق والاخلاص والمغامرة · وهل يوجد اثقل من هذه المخاوف والتكاليف ؟ ولعل نفس هذا التساؤل اقسى واخطر من الجواب عليه او من محاولة الجواب عليه ··

ولعله تساؤل لم يسمع او يطرح بل او يتعامل مع الخيال او التصور او التفكير قبل اليوم ·· اذن كم يمكن ان يكون في طرحه وفي الاستماع اليه وتقبل محاكمته والتفكير فيه من المعاناة والرهبة والمخاطرة ! ·· وكم هي الكائنات المصوتة التي لا تستطيع ان تكون متكلمة ! ماذا يمكن ان يكون جواب من يتساءل او يساءل : هل العرب امام اية قضية يتكلمون ام يصوتون ؟ هل جربت هذا التساؤل ؟

ولان العرب ظاهرة كلامية او صوتية تصويتية فقط فانهم بالكلام او بالصـوت والتصويت مرفوعا بلا اي ضبط او حساب يعالجـون ويكفرون ويغفرون ويمجـدون ويجملون ويقاومون كل شيء وينتصرون على كل شيء ، على كل عدو وعلى كل خطر وتخلف وفساد وعجز وهزيمة ·· انهم يجدون في الكلام شفاء من كل داء وعزاء عن كل هوان وانتصارا على كل عدو وغطاء لكل قبح وتشوه ··

انهم لو واجهوا ابشع هزيمة او اهانة قومية لا نموذج لها في قسوتها وفي ضعف تفاسيرها فقام صاهل وانشد قصيدة غراء من قصائد الجاهلية الاولى او مما بعـد الجاهلية ، او قصيدة من ابتكاره هو يمجد فيها آباء العروبة وبطولاتهم وفتوحاتهم

وقهرهم لكل العالمين ، او يمجد فيها الابناء الذين انتقلت اليهم بطولات وعبقريات آبائهم ، ويمجد ما سوف يصنع هؤلاء الابناء من معجزات مثلما فعل آباؤهم ، او يمجد نبوات العروبة او تعاليمها او اخلاقها او ما في قدرتها وقدرها ان تصنعه وتهبه ، ما لا بد ان تصنعه وتهبه ، بل او يمجد خلفاءها وسلاطينها الغابرين المدفونين في مقابر جواريهم ..

ـ اليس تمجيد السلاطين والخلفاء الغابرين هو في حساب الانسان العربي تداويا من كل هوان وضعف وفساد وهزيمة ، وصعودا فوق كل قمة ومجد منافس او محارب ؟ بل وايقاعا بكل الغيظ والحسرة على كل عدو ؟

ـ اجل ، انه لو حدث ذلك وهو يحدث كثيرا بل دائما ، بل وهو وحده الذي يحدث ولا شيء سواه لنسيت تلك الهزيمة والاهانة ولتحول الموقف موقف انتصار ومجد وكبرياء وابتهاج صائح ، صائح من الاعجاب والايمان والحماس والرضا . ان كل المواقف والمواجهات والاشياء الرديئة والدميمة جدا لتتحول الى النقيض بالكلام او بالتصويت .. بالخطبة او بالمنشور او بالقصيدة او بتلاوة بعض النصوص من الكتاب المنزل الموحى به ..

انظر ، ان العرب لا يقاسون اي شعور بالعار او الافتضاح او الهجاء والتعيير للنفس او بالحاجة الى الاستتار او الاعتذار حينما يعلنون بتكرار واصرار وايمان ان اعظم ما وهبوا الحياة والحضارة ، واعظم ما تفوقوا بـه على العالمين ، واعظم ما تحدوا واعجزوا به الجن والانس وكل الكون المنظور وغير المنظور ، واعظم ما سوف يشفى كل شيء من آلامه وادوائه وما يختزن في ذاته او ضميره او عقله ونياته كل المعارف والعلوم والحقائق فيما كان وما سوف يكون ، ازلا وابدا ..

ـ ان اعظم كل ذلك هو كتاب اي كلام ، وان قيمة هذا الكتاب ليست الا في تركيبه الكلامي اي اللغوي اي الصوتي ، او ليست الا في اسلوب تصويته ..

انه كتاب ، اي كلام ، كلمات ، اصوات ، قد زعم آباء العرب ولا يزال ابناؤهم يزعمون وسوف يظلون يزعمون انه اي هـذا الكتاب المعين الذي تقرؤه بتحقير وابتذال اردأ وأضعف واصغر الافواه ، وتحفظه وتفسره أرخص الضمائر واغبى واجهل العقول، لتبيعه بأبخس الاثمان على اكذب واظلم واطغى المشترين ، المتعاملين في اقبح الاسواق اخلاقا وسلعا ووجوها .. وهل يوجد كتاب يباع كذبا ونفاقا ويشترى كذبا ونفاقا في اكثر الاسواق جهلا وغباء وفسادا ، مثل هـذا الكتاب ؟

ـ نعم ، قد زعموا ولا يزالون يزعمون انـه اي ذلك الكتاب الذي هو كلمات واصوات وقد يكون اصواتا فقط ، هو كـل شيء واكبر من كل شيء !!.. انه حتى لو كان اي هـذا الكتاب يختزن في حروفه كل العبقريات والمداواة لكل الآلام لما كان مجده وقيمته عند العرب اكثر من استماعهم اليه مصوتا .. ويلي عليك وويلي لك ايها الانسان العربي . ويلي على آبائك وتاريخك ولآبائك وتاريخك .. ابك ايها الانسان

العربي لآبائك وتاريخك ، وعلى آبائك وتاريخك ٠٠ ابك بكل وجودك ، بكـل اعضائك ومعانيك رثاء لقومك ولتاريخ قومك ولعبقرية قومك كلما تصورت هذهالقصة، قصة هذا الكتاب الذي هو كلمات واصوات او الذى هو أصوات فقط ، اصوات من أي نوع ٠٠ نعم ، من اي نوع !!

نعم ، انه اصوات ولكن ما نوع هذه الاصوات ومن اين جاءت ومتى جـاءت وكيف جاءت ؟ هل فكرت في ذلك ؟ انظر بانفجاع ٠٠ ان قومك العرب بكل الجسـارة النفسية والعقلية والاخلاقية والتاريخية بل والحضارية ٠٠ انهم بكل هذه الجسارات يقرؤون هذا الكتاب بكل مستوياتهم ، جماهير وقادة ، قمما وحضيضا ، يقرؤونه اصواتا وتفاسير على جميع هزائمهم ومشاكلهم وهمومهم ومخاوفهم وضعفهم وعلى جميع اعدائهم واندادهم ٠٠ يقرؤونه ويقرؤونه لكي يحدث النقيض ، لكي يجيء كل ما يريدون ويذهب كل ما لا يريدون ٠٠

انه كلام قديم ، قديم ، او اصوات قديمة ، قديمة لا يزال قومك العرب يقاتلون بها كل الاحداث ، يقرؤونها بالتصويت والتفسير لينتصروا بها على جميع مواجهاتهم الاليمة لان قومك ظاهرة كلامية او ظاهرة صوتية او تصويتية اي اقل من كلامية ٠٠

انه كلام ، كلام قديم يقرؤونه على جميع ذنوبهم وتلوثاتهم لكي تتحول الى طاعة ونظافة ٠ ان قومك اعجب معجزة في جميع نماذجهم ونقاشاتهم وتفاسيرهم البشرية ٠ هل توجد معجزة تساوي قومك ايها العربي ؟ وماذا يعني القول بان العرب ظاهرة كلامية او صوتية ؟

انه لا يعني انهم هم وحدهم الذين يتكلمون ويصوتون ، او انهم هم اكثـر الناس او اكثر من كل الناس كلاما او اصواتا وتصويتا او اعلى اصواتا وتصويتا ٠ انه ليس محتوما ان يكونوا كذلك ٠ انه لمحتمل ان يكون ذلك كذلك ٠ ولكن ليست هذه هي القضية ٠٠

ان المراد بذلك انه ليس في البشر جميعا او ليس في البشر المتحضرين او ليس في البشر الذين نعرفهم ، او ليس في البشر الذين هم نموذج البشر او النموذج الاعلى والمنطق الاعلى للبشر ٠

ـ نعم ، ليس في هؤلاء من يعولون على الكلام او على التصويت ، من يتداوون من كل شيء ويداوون او يحاولون ان يداووا كل شيء بالكلام والتصويت ، مثل العرب او غير العرب او باسلوب العرب او بايمانهم واقتناعهم ، ليس فيهم اصحاب معلقات مثلما كان للعرب حول كعبتهم ٠ لقد كان تعليق المعلقات حول الكعبة يعني عند الانسان العربي اضخم عرض لكل القوة والمجد والانتصار والعبقرية والحضارة والتفوق على كل شيء ٠٠

اجل ، ليس في هؤلاء غير العرب او مثل العرب او باسلوب العرب وبايمانهم واقتناعهم من يحاولون ان يقاوموا كل شيء وينتصروا على كل شيء وان يحولوا كل

شيء الى النقيض بالكلام او بالاصوات السابة الغاضبة الصاهلة المهددة المتهمة المتطاولة المغرورة المباهية المبارزة المتحدية المتحولة الى نبوات والى كتب مقدسة منزلة ٠٠ هل وجد غير العرب من حولوا اصوات آبائهم السابة المهينة المهددة الى نبوات والى كتب أوحت بها السماء ؟

لقد رأوا من مبالغتهم في قيمة الكلام ان الله قد اراد ذات مرة ، مرة واحدة ان يصنع اعظم شيء لاعظم شعب ٠ فماذا فعل ؟

لقد استنجد بكل قدرته وعبقريته وبكل رحمته وكرمه لكي يصنع هذا الشيء الذي هو اعظم شيء لهذا الشعب الذي هو اعظم شعب ، كما شاور وفاوض وحاور طويلا ، طويلا جميع مستشاريه وملائكته واعوانه المخلصين الاذكياء جدا ، جدا ، ضاغطا مقسما عليهم وبهم وبحبه لهم وبخوفهم منه ان يمنحوه كل نصحهم وصدقهم واخلاصهم وذكائهم ٠ وبعد أهوال المعاناة العظمى استطاع ان يصنع هذا الشيء الاعظم للشعب الاعظم ٠ لقد صنع للعرب كتابا اي صنع لهم كلاما او اصواتا !

لقد كان هذا الكتاب الذي هو اصوات كل عطايا هذا الاله لشعبه العربي الذي وهبه كل حبه ٠ ولكن استغفرك ايها الاله ٠٠ اليس النفط هو اعظم شيء وهبته لقومك العرب الذين وهبتهم كل قدرتك على المحاباة ؟

لقد آمنوا واعلنوا ان الله قد مجدهم تمجيدا لم يمجده اي شعب من الشعوب، وانه حينما اراد ان يمجدهم هذا التمجيد الذي لم يجد أعظم منه ولم يرد أن يمجده شعبا آخر أعطاهم كتابا اي انزل عليهم كلاما ٠ لقد آمنوا بذلك ولا يزالون يؤمنون به واعلنوا عن ايمانهم هذا اعلانا عالميا وانهم لا يزالون يعلنون عنه هذا الاعلان العالمي٠ لقد وجدوا في الاعلان العالمي الدائم عنه مجدا بقدر ما اعتقدوه هو مجدا ٠

انهم يرون ان الله قد اختار أن يجعل معجزات كل الامم معجزات علمية لانه لم يرد أن يصعد كثيرا بمكانة هذه الامم ، ولم يرد او يقدر أن تكون معجزاتها ونبواتها وقيادتها للعالم وللضمير الانساني وللمسيرة الانسانية خالدة او شاملة ٠٠ ان الله لا يستطيع ولا يريد ان يعدد في اختياره او في تفضيله ٠ انه موحد في اختياره وفي تفضيله للعرب بقدر ما هو واحد في ذاته ٠٠

أما هم اي العرب فقد اختار بعد تفكير طويل وحسابات حادة دقيقة متفانية في الاخلاص والحب والولاء والشهامه ان يجعل معجزاتهم معجزات كلامية اي صوتية ، اي ان يجعل هذه المعجزات كتابا يقرأ ويغنى ويفسر وتشغل جميع المنابر والمحاريب والاقلام والدجالين واللصوص بتلاوته وتغنيه وتفسيره ، كتابا يكذب ويسرق ويظلم ويقتل ويشتم ويعادي باسمه وباسم تفسيره والاستمساك به والدفاع عنه والغضب له ، الاقوياء والضعفاء ، الاذكياء والاغبياء ، القادة والجماهير ٠ ألم تكن معجزات نبي العرب كلاما ومعجزات انبياء الامم الاخرى علوما تغير الطبيعة والاشياء وتنتصر عليها وتحكمها وتسخرها ؟ ألم يفاخر العرب بأن ذلك كذلك ؟

لقد اراد الله ان تكون امجاد العرب وحضارتهم وعبقريتهم كلاما لانه يريد ان يحبهم وأن يكرمهم جدا وان يؤبد ويخلد قيادتهم للبشرية وسيادتهم عليها · أما الاخرون فلم يرد الله لهم هـذا الحب او التكريم ولا هذه القيادة او السيادة · لهذا جعل أمجادهم وحضاراتهم وعبقرياتهم علمية ·· لقد كانت كل امجاد الاله امجادا كلامية لهذا اختار ان تكون كل امجاد العرب المشابهين لـه في كل شيء امجادا كلاميـة اي صوتية ··

هكذا رأى العرب وقالوا واعلنوا وتباهوا واصروا ، ولا يزالون يفعلون ذلك · لهذا فانهم لن يصدموا او يغاروا اذا غزا مجد الاخرين الشموس لان مجد العروبة لن يطاول او يمس · انه مجد الكلام ، مجد الكتاب المنزل المعجز ·· اذن ارث ·· ابك ايها الانسان العربي ان لـم تستطع شيئا افضل واعظم من الرثاء والبكاء ·· اذن ابك وارث مهما استطعت وفعلت اشياء افضل واعظم من البكاء والرثاء ··

ارث وابك على امجاد آبائك وتاريخك ولامجاد آبائك وتاريخك · ارث وابك لقوم كل مجدهم في كل التاريخ كتاب منزل اي اصوات ، وكل مجدهم في عصر غزو السماء هو النفط ·

اجل ايها الصديق ··

ان العرب مصابون بموهبة الكلام · ولعلهم لم يصابوا بشيء مثلما اصيبوا بذلك مهما كانت اصاباتهم في كل معانيهم وتفاسيرهم جيدة جدا ، جودة يعترف بها ولها كل العالم · ولو أن العالم اراد ان يختار ابلغ الناس او اقسى الناس اصابة بموهبة الكلام لكي ينصبهم شيئا ما او على شيء ما لما استطاع ان يجد من يتفوقون على العرب في ذلك · ولو ان الاله جمع البشر في مكان واحد ثم نادى : ليقم ويتقدم الي أردأ الناس كلاما واكثرهم كلاما امام كل المشاكل وفي كل المواقف ولمعالجة كل الآلام والاخطاء والهزائم بل والذنوب لكان العرب هم في اول من يقومون ويتقدمون او هم كل من يقومون ويتقدمون · ان البشر لو لم يكونوا قد ابتكروا الكلام او لو انهم قبل ان يبتكروا الكلام قد سمعوا العرب يتكلمون او يؤدون ما يسمونه كلاما بالاساليب والتفاسير التي بها يؤدونه ويعيشونه ، لكان من الهجاء لهم اي للبشر ومن القسوة المتوحشة عليهم الافتراض بأنهم قد يقبلون ان يصبحوا متكلمين او أن يطالبوا او ينتظر منهم بأن يصبحوا متكلمين ،اي لو فهموا كلام العرب واقتنعوا بأن كل مـن يتكلمون لن يتكلموا الا كما يتكلم العرب · ان العرب لا بد أن يتحولوا الى اقسى هجاء لكل من يسمعهم يتكلمون ثم يحاول ان يكون متكلما · أليس احتمالا ان يتعلم الناس العجز عن الكلام خوفا من ان يتكلموا كما يتكلم العرب ؟

ولو ان الكائنات الاخرى التي لا تستطيع ان تكون متكلمة ، ان تكون شاعرة او خطيبة او واعظة او معلمة او مفكرة او مذيعة او كاتبة او صحفية او قائدا عسكريـا يتحدث عن معاركه المقبلة والماضية والحاضرة ، او زعيما يتحدث مهددا الاعـداء

والخصوم والانداد او واعدا مبشرا بالخيرات والانتصارات والعبقريات التي صنعها ووهبها في الماضي والتي سوف يصنعها ويهبها في الآتي ، كما يتكلم ابناء العروبة ، كما يتكلم اساتذة اللغة التي تعلمت عليها الالهة كيف تصعد الى منابرها ٠٠

ـ نعم ، لو أن هذه الكائنات الاخرى التي لا تستطيع ان تصبح متكلمة سمعت شاعرا او خطيبا او واعظا او مفكرا او معلما او مذيعا او كاتبا او صحفيا او قائدا عسكريا او زعيما عربيا يقول نفسه وفنه ويعبر بالكلام عن موهبته او عن ارادته وشهوته ، ثم عرض على هذه الكائنات ان تصبح مستطيعة ما لا تستطيع ، اي ان تصبح متكلمة كالانسان العربي ، كالشعراء والخطباء والوعاظ والمفكرين والمعلمين والصحفيين والمذيعين والكتاب والعسكريين والزعماء العرب ، لكان من الاحترام لهذه الكائنات ومن التأدب معها والرفق في تفسيرها والحكم عليها الاقتناع بانها لا بد أن ترفض هذا العرض وان تحتج بكل الغضب والعنف على ما في العرض من معاني الاهانة والتحقير لها ٠٠ أليس مجرد التفكير في هذا العرض على هذه الكائنات البريئة لا بد ان يحسب اهانة قاسية لها ؟

بل اننا لو افترضنا الالهة تحترم نفسها ثم افترضنا انها اي الالهة تعرف منذ بدء الاشياء وقبل بدئها ان العرب سوف يتكلمون ، اذا تعلموا الكلام ، معها اي مع الالهة وعنها وفيها وباسمها ، ومع انفسهم ومع الاخرين ، والى انفسهم والى الاخرين وعن انفسهم وعن الاخرين، وعن الاشياء وفيها ومعها وباسمها وتفسيرا لها، بالاسلوب الذي به تكلموا ويتكلمون ٠

ـ نعم ، انهم سوف يتكلمون كذلك اذا تعلموا الكلام لكان من المحتوم ان نفترض بأنها اي الالهة لن تأذن بان يتعلموا اي العرب الكلام ، بل ولن تأذن بأن يتعلم الاخرون اي غير العرب التكلم او القدرة على الكلام لئلا يتكلموا اي اولئك الاخرون بالاسلوب الذي يتكلم به العرب او خيفة ان يتكلموا باللغة العربية بالاسلوب الذي يتكلمها به العرب ـ بل لكان من المحتوم ان نفترض بان الالهة نفسها لن تأذن لنفسها بأن تتعلم التكلم بأية لغة او بمعرفة اية لغة لئلا تتورط بأن تتكلم باللغة العربية او بأية لغة اخرى كما يتكلم العرب او لئلا تعرف كلام العرب حينما يتكلمون ـ بل لكان من المحتوم ان ترفض اي الالهة بأن تتخلق فيها ولها حاسة السمع خيفة ان تسمع العرب يتكلمون حتى ولو لم تفهم ما تسمع ، بل وأن ترفض اي الالهة أن تكون مبصرة خيفة أن تراهم يتكلمون ٠٠٠ ان رؤيتهم وسماعهم ، مجرد سماعهم ورؤيتهم وهم يتكلمون لشيء بائس مرهق حتى بلا فهم او سماع لما يقولون ٠

اننا هنا نفترض الالهة حيية وذكية ومهذبة ومالكة لموهبة النقد والاحتجاج والاستقباح والاشمئزاز ٠٠ اننا نفترض مستواها الحضاري والاخلاقي والشعوري أعلى من مستويات الانسان العربي ٠٠ ولكن كيف نفترض الالهة اعظم موهبة من الانسان العربي ؟ اذن من صاغ للانسان العربي موهبته ؟ ولماذا تصادقه وتعامله

وتختاره ان كانت افضل او اعظم منه ؟ أليس محتوما ان تفترض جميع المستويات الحضارية والاخلاقية والشعورية لجميع الكائنات حتى للالهة اعلى من مستويات الانسان العربي ؟ بلى ولكن قد تستثنى الالهة من ذلك ٠

انه لو كانت توجد مخلوقات اخرى غير متكلمة تخوض معارك منافسة او مخاصمة ضد الانسان العربي لكان من الحري او من المنطقي جدا ان تجد سلاحا جيدا في تعييره بانه كائن متكلم او كائن مصوت اي انــه لم يبلغ طور التكلم ٠ ولعــل هذه المخلوقات غير المتكلمه موجودة ، ولعلها ظلت غير متكلمة لانها ترفض ان تتعلم الكلام لانها تخشى ان تتكلم كما يتكلم الانسان العربي ٠٠

ان القوة او القوانين التي تصوغ الكائنات والاشياء لم تكن حفية ولا رحيمة او كريمة في صياغتها للانسان العربي حينما صاغته متكلما او مصوتا ولم تصغــه صامتا ، صامتا ٠ هل صاغته كذلك عن بلادة وجهل ام عن عداوة ؟ هل قصدت هذه القوة او القوانين تشويهه وتعييره حينما صاغته متكلما او مصوتا ام هي في موهبة النقد والرؤية للاشياء ليست افضل من الانسان العربي ، لهذا لــم تدرك كما لم يدرك هو أن صياغته او مجيئه متكلما او مصوتا اقسى اساليب التشويه والتعيير له ؟

انه لصعب جدا ان يكون هناك اي خلاف او شك في ان مجيء الانسان العربي متكلما فضح وهجاء لــه ، وانــه كان من الرفق به والاحترام لــه والستر عليه ان يجيء مصابا بالخرس الطبيعي الشامل الذي لا يمكن الشفاء منــه ولا العلاج لــه ، بل الذي لا يراد لــه هذا الشفاء او هــذا العلاج ٠٠

اذن كيف لــم يفطن عربي واحد بل ولا غير عربي لهذه الحقيقة او كيف لم يبــال او يتعذب بها ولها ؟ لهذا لــم ترتفع اية دعوة باي اسلوب في اي وقت تنادي بأن يحرم على الانسان العربي ان يتعلم الكلام ليظل ضعفه اخرس ، لتظل تشوهاتــه ومواهبه المفقودة غير ناطقة او غير متذاوق بها ٠ أليس الخرس احيانا هو اجمل الازياء واتقى وسائل الاستتار؟ أليست اضخم الذنوب ان تتحول التشوهات والمواهب المفقودة الى نبوات تخطب ويخطب بها ولها من فوق كل منابر الدنيا كل الاوقات بأعلى الاصوات ؟

كيف لم يفطن والد عربي واحد الى أن من القسوة المتوحشة أو من الاهمال البذىء ان يترك ابناءه يتعلمون الكلام دون ان يحاول اية محاولة لحمايتهم من ذلك ٠ أليست حمايتهم من ذلك حماية لهم من السقوط في كل الاوحال ومن التعري والتشوه في كل العيون والاذان بواسطة الفم ٠

هل الموقف هنا موقف قسوة ام تقصير واسترخاء ام بلادة وجهل ام رغبة في مشاركة الاخرين والانداد والامثال وللجيران من المواطنين في عارهم وافتضاحهم ، ام رفض للخروج على الجماعة والاجماع ، ام عجز عن هذا الخروج وخوف منه ، ام ان الانسان العربي هو دائما اكبر او اصغر من كل التفاسير والمقاييس والمحاصرات

المنطقية ، هو دائما فوقها جدا او تحتها جدا حتى انه لا يخضع لها ابدا ولا تحاول اخضاعه ابدا ؟ هل جنى الآباء العرب على ابنائهم مثلما جنايتهم عليهم حينما تركوهم يتعلمون التكلم ليتكلموا كما يتكلم الذين يتكلمون اللغة العربية ، اي كما يتكلمون هم اي الاباء ، اي اباؤهم ٠

كيف لم توجد حتى اليوم في اية فترة من التاريخ مدارس ولا اساتذة في العالم العربي لتعليم المواطنين العرب الخرس او العجز عن تعلم الكلام او عن حمل ادوات الفضح واجهزة التعبير والتحقير للنفس وللموهبة ؟ الا يمكن في يوم من الايام ان توجد هذه المدارس وهؤلاء الاساتذة ؟

كيف يستطيع انسان ما ان يسمع او يقرأ للزعماء او القادة او المفكرين او المعلمين او الشعراء العرب ثم لا يرى واجبا ان يعلم كل العرب الخرس ؟

أليست دعوتك ايها الصديق انت واخرين الى ان يقلل العرب من الكلام او الى ان يكفوا عن الكلام ، لان الكلام فيما رأيتم وذكرتم قد امتص من العرب او هزم فيهم كل المواهب الاخرى القوية الطيبة التي قد تفرد بها الاخرون ـ لان كل احتمالات العرب القوية قد حولها الكلام الى اجهاض ٠

نعم اليست دعوتكم هذه ايها الصديق وشكواكم من موهبة العرب الكلامية احساسا قويا بالحاجة الى مثل هذه المدارس وهؤلاء الاساتذة لتعليم الانسان العربي الخرس او لتعليمه العجز عن الكلام اي عن ان يكون فضاحا لنفسه ولكل شيء بما يسميه نبوات او تعاليم او فنونا او ادابا او كتبا او خطبا او مواعظ او صلوات او اديانا او افكارا أو فلسفات وتخاطبا مع النفس ومع الاخرين او عن النفس وعن الاخرين او تهديدا او انذارا او سبا او مدحا او ثناء او هجاء او فتخارا ، او بما يسميه اي شيء اخر ، زاعما انه كما يسميه ويدعيه ، او بما يسميه هتافا وايمانا بالالهة وتمجيدا او تكريما لها ، واستنصارا بها على الاعداء وتحريضا لها عليهم ، وتحدثا عنها وتحدثا اليها اي عن الالهة والى الالهة ؟

نعم ، أليس ذلك كذلك ايها الصديق ؟

وكم كان ذلك رائعا لو ان الانسان العربي قد علم بوسيلة ما العجز عن فنونه هذه كلها فلم يتكلمها ، لم يتكلم واحدا منها ، فلم يكن لواحد منها اي من فنونه هذه اي تاريخ في تاريخه ؟ كم كان ذلك رائعا لو انه حدث من البداية ، من قبل البداية ، فلم توجد اية بداية ! كم كان رائعا او استنتارا جيدا لو ان الانسان العربي في كل تاريخه لم يقل كلمة واحدة مما يسميه ويحسبه افكارا او اشعارا او حكمة او فلسفة او تعاليم او صلوات او نبوات او كتبا منزلة او فنونا او سياسة او دعاية ؟

اجل ، أليس محتوما ان التاريخ العربي سيكون اكرم وانظف او اقل تشوها او عارا لو انه قد حذف من جميع ما يحسبه ويسميه نبوات وتعاليم واديانا وصلوات وافكارا وادابا وفلسفات وخطبا واشعارا ومخاصمات وملاعنات ومجادلات ومخاطبات

ومحاريب ومنابر ونصوصا وكتبا مقدسة وتضرعات وهتافات بالالهة وتهديدا وانذارا وشتما للاعداء ، اي جميع ما يسميه كلاما او جميع ما انتجه الكلام او اعلن عنه لانه قد تعلم الكلام ، او جميع ما تعلمه وعلمه بالكلام ؟

هل اعتدى على التاريخ العربي شيء مثلما اعتدى عليه الكلام او ما عبر عنه بالكلام او ما اكتشفه عنه وفيه الاخرون بالكلام ؟ وهل اعتدى الكلام على قوم مثلما اعتدى على العرب او اكثر مما اعتدى على العرب ؟ او هل اعتدى قوم على الكلام او على ما يسمى كلاما مثلما اعتدى عليه العرب او اكثر مما اعتدوا عليه ؟

***

اي صديقي ..

نعم ، ولكن ليست هذه هي القضية هنا . ليست القضية هنا : ان ظاهرة العرب الكلامية فضيحة عقلية واخلاقية وحضارية وتاريخية اي فضيحة انسانية شاملة . هذه قضية ينبغي الا تحاور ..

ولكن القضية ايها الصديق هنا هي ما رأيت انت ورأى اخرون من ان هذه الظاهرة العربية الكلامية هي التي جعلت العرب عاجزين عن ان يكونوا اقوى او افضل او اعظم مما كانوا او عاجزين عن ان يكونوا كما يجب ان يكونوا . اي ان موهبتهم الكلامية قد اعتدت على عبقريتهم الابداعية والحضارية والاخلاقية والهجومية فسلبتها كل طاقاتها وكل قدرتها على المحاورات والانتصارات اي انها قد عطلت فيها كل اجهزة التفجير والاطلاق ..

لقد رايتم ان كون الانسان العربي متكلما بالاسلوب الذي به يتكلم هو الذي جعله غير عظيم ولا كبير ولا قوي في اية كينونة من كينوناته ولا في اية صيغة او نموذج من صيغه ونماذجه الانسانية او الحضارية ، بل ولا في اية مبارزة او مواجهة او مخاصمة من مبارزاته ومواجهاته ومخاصماته ، وانه لو صمت او لو اقل الكلام او لو تكلم باسلوب اخر لاصبح عظيما وقويا وكبيرا في جميع ممارساته وانطلاقاته ، فـ جميع الاشياء التي تتحداه أو يتحداها . تبارزه او يبارزها ..

كلا ، ليس ذلك كذلك ، ولا ينبغي الاقتناع او الحوار على احتمال انه كذلك ..

ان الكلام ليس هو الذي جعل الانسان العربي ضعيفا ومهزوما ومتخلفا . الانسان ، كل الانسان ليس تعبيرا عن الكلام ولا صياغة الكلام ، ولكن الكلام تعبير عن الانسان وصياغة الانسان .. الانسان يكون ضعيفا ومهزوما ومتخلفا لانه ضعيف ومهزوم ومتخلف لا لانه يتكلم كثيرا او رديئا او بلا ذكاء او صدق او وقار او براعة او منطق او حساب او محاسبة من اي نوع . ولماذا يتكلم كذلك ؟ لماذا لا يتكلم باسلوب اخر ؟ من وهبه هذا الضعف الكلامي او جعله ضعيفا حين يتكلم ؟ هل الكلام الضعيف الرديء البليد السفيه هو الذي وهب نفسه ضعفه ورداءته وبلادته وسفاهته ، ام الذي وهبه ذلك هو الانسان ، هو موهبة الانسان ، كما ان الموهبة الاخرى المناقضة

او موهبة الانسان الاخر المناقض في مزاياه هي التي تهب الكلام الذكي القوي الجيد المحكوم بالمنطق وبالحسابات الصادقة البارعة ، هي التي تصوغه اي تصوغ الكلام ذكيا قويا منطقيا محسوبا باذكى الحسابات العقلية والاخلاقية او بأدق الحسابات التجارية والانسانية ؟ ان الانسان هو الذي يخلق كلامه ، يجعله عظيما او رديئا ، وليس الكلام هو الذي خلق او يخلق الانسان ٠٠ الانسان يلد غباءه وضعفه دون العكس ٠٠٠

ان الكلام الجيد او الرديء قد يجعلنا نعرف مستوى الانسان المتكلم ولكنه لا يجعلنا ننتظر ان يبنيه او يهدمه ، ان يسلبه او يهبه ٠ اننا لن ننتظر ذلك ولن نعتقده ٠٠

الكلام كيفما كان لا يستطيع ان يسحب الموهبة او القوة من ذات المتكلم ولا ان يضعفها ، كما انه لا يستطيع ان يهبها او يزيدها او يعلمها ٠ هل يمكن ان يكون تصويت الطفل او اي كائن اقل من الانسان قد سحب شيئا من موهبته او من قدرته ؟ وهل يمكن ان يكون شيئا اعظم او اقوى او اذكى لو ترك التصويت ؟

ان اجهزة الطبيب وتحليلاته قد تدل على حالة الجسم ولكنها لا تعطيه ولا تأخذ منه ٠ وان المرآة قد تدل الناظر فيها على مستوى جمال وصحة وجهه ولكنها لا تصوغه اية صياغة ٠ كذلك الكلام الجيد والرديء ، الغبي والذكي بالنسبة للموهبة او للذات التي تطلقه ٠٠ ان اصوات السحاب او الاعاصير او الانهار المتحدرة او اصوات الحيوانات قد تدل عليها ولكنها لا تصنعها او تهدمها ٠٠

الفاقد للموهبة او للقدرة او للذكاء هل يمكن ان يصبح موهوبا او ذكيا او ذا قدرة لو انه صمت نهائيا بل لو انه اصيب بالخرس التام ، او لو انه اقل من الكلام جدا او لو انه لقن الكلام الجيد فذهب يقرؤه قراءة اذا تكلم عن اي شيء وفي اي شيء ، فذهب يحفظه حفظا ليقرأه على الناس وعلى الاشياء قراءة ؟

والموهوب القوي الذكي لو انه ذهب يتكلم كلاما كثيرا او كلاما غبيا همجيا او بلا صدق او وقار او حسابات صحيحة ذكية ، او لو انه ذهب يقرأ كلاما او كتبا غبية او رديئة او كاذبة او بذيئة وسفيهة ، هل يمكن ان يفقد موهبته او قوته او ذكاءه او ان تضعف موهبته او قوته او ذكاؤه ؟ لو ان هذا الموهوب الذكي قرأ او حفظ كل ما قاله وكتبه العرب في كل تاريخهم وفي كل حاضرهم وايتهم فهل يحتمل ان يسلبه ذلك شيئا من موهبته وذكائه او ان يضعف او يفسد اي معنى من معانيه المتفوقة ٠

ولكن هل يمكن ان يتكلم الموهوب والقوي والذكي بغباء او بغوغائية او ببذاءة او بلا وقار او بلا ضبط او حسابات ومحاكمات اخلاقية وعقلية وانسانية لكل كلماته ؟

هل يمكن ان يعبر الشيء الجيد جدا عن نفسه تعبيرا رديئا جدا ؟

وهل يمكن ان يعبر الشيء الرديء جدا عن نفسه تعبيرا جيدا جدا ؟

هل يمكن هذا او هذا مهما كان ممكنا بل مهما كان محتوما ان يعبر الشيء الجيد عن نفسه تعبيرا جيدا ، وان يعبر الشيء الرديء عن نفسه تعبيرا رديئا ؟

ليت الانسان يستطيع ان يكون اكبر او اعظم من نفسه او من احتمالاته بالتحكم فيه متكلما اي بجعله يتكلم اقل او بمنعه البتة من الكلام او بتلقينه كلاما اقل غباء وصياحا وبذاءة وافتضاحا وغرورا ٠

ليت ذلك كذلك ٠ اذن لكان ممكنا او محتملا ان يكون ممكنا ان يصبح قادة العرب وحكامهم وزعماؤهم ومعلموهم ومفكروهم وادباؤهم وشعراؤهم وكتابهم بل وعامتهم اعظم واكبر واذكى بجعلهم كذلك ، اي بجعلهم اقل كلاما او بمنعهم من الكلام البتة او بتلقينهم وتحفيظهم الكلام المطلوب العاقل ٠٠

ليت الالهة او الطبيعة كانت خيرة او سخية فجعلت هذا الامكان قانونا او خلقا من قوانينها او من اخلاقها ٠٠

ولكن هل يمكن ان توجد اية قوة او قانون او اي شيء يستطيع ان يمنع هؤلاء من الكلام او يلزمهم بان يقلوا منه ، او بان يعوا ما يلقنون ويدرسون من الكلام المطلوب منهم انْ يقولوه فقط والا يقولوا سواه وان يلتزموا بذلك ، او يستطيع منعهم نهائيا من ان يتكلموا ؟

هل يمكن ان يوجد مثل هذا المانع ؟

لو انهم منعوا البتة من الكلام او قللوا منه فماذا يبقى لهم من المجد والقوة والكبرياء ومن اساليب الثناء على انفسهم واساليب الاستعراض لها ؟ أليس الكلام هو كل مجدهم وقوتهم وكبريائهم وثنائهم على انفسهم وكل اجهزة وادوات العرض والاستعراض لها ؟ ان منعهم من الكلام او اقلالهم منه هو كل الهزيمة والسقوط والموت لهم ٠ انه نفي واجلاء وحذف لهم من السوق والتاريخ ومن كل مكان ٠ انه لا تفسير حينئذ لمجيئهم ولا لبقائهم ٠ ان الشمس حينئذ لن تجد لهم عملا او تفسيرا ٠٠

بل انها اي الشمس حينئذ لن تجدهم او تعلم بوجودهم ٠٠

اما تلقينهم وتحفيظهم الكلام المحسوب المحكوم بالذكاء والادب والصدق والوقار والنظافة لكي يقولوه فقط فهذا اشد اساليب التعذيب والقتل والحرمان لهم ٠ ان قيمة الكلام عندهم باسلوبه اي بخروجه على جميع حسابات ومقاسات وشروط الذكاء والعقل والتهذيب والصدق والشرف والوقار والاستتار ٠٠ ان كل قيمة الكلام ومجده عندهم وكل النشوة والسعادة التي يصنعها لهم في ان يكون بذيئا وقحا مغرورا كذابا بليدا سخيفا متطاولا مهددا شاتما متهما مهتاجا صائحا بلا اي قيد من الذكاء او الصدق او الشرف او الاعتدال او الحياء او الاحترام او الرؤية او المحاكمة او المحاسبة لاي شيء ٠ آه ٠٠ هل رأيتهم وهم يتكلمون كذلك اي بهذه الاساليب ؟ هل استطعت حينئذ ان تستبطن اعماق نشوتهم وكبريائهم ونزقهم البهيج ؟

ان اي قائد او حاكم عربي لو انه وضع امام خيار بين صفقتين : بين ان ينال اعظم نصر وطني او قومي او مذهبي على اشرس واقوى واخبث عدو – ان ينال هذا النصر بتهذيب وهدوء ووقار اي بلا ضجيج من الخطاب والتحقير والشتائم والتباهي والادعاء والشماتة والمفاخرات المهينة لكبرياء وضياء ومجد الشمس ، وبين ان يحرم من هـذا النصر على ان يتحول وتتحول كل اجهزته الى صراخ دائم شامل تهديدا ووعيدا ووعودا وسبابا وانذارا ومزاعم مملوءة بالصلف والادعاء والمفاخرات والبذاءات والاكاذيب وبكل اساليب التقيوء اللغوي والروحي والاخلاقي ··

– اجل ، ان اي قائد او حاكم عربي لو انه وضع في خيار امام هاتين الصفقتين بالاسلوبين المذكورين لكان محتوما ان يشعر انـه قد وقع في ورطـة وانه عاجز عن ان يختار احدى الصفقتين ، ان لـم يكن محتوما ان يختار الصفقة الثانية · وقـد يكون القول بانـه سوف يصاب بالحيرة او بالتردد بين الصفقتين اهانـة كبرى له ، لاخلاقه وذكائه واصالته وعروبته ·· اذ هل يمكن ان يحتار في الاختيار بين موقفين : موقف ضاج مفتضح وموقف صامت مستتر ؟ هل يمكن ان يشترى الاستتار والوقار بأي ثمن يدفع له ·· ان يتقبل الشمس ثمنا لصمته او لوقاره واستتاره وتهذيبه اذا تكلم ؟ ان الصياح الشاتم المهدد المتوقح المتكبر المفاخر المبارز المتطاول بلا اي قيد من الصدق أو النزاهة أو التهذيب أو المحاسبة أو الاحترام أو التوقير لاي معنى انساني او اخلاقي ··

– نعم ، ان ذلـك بلا اي شيء لافضل من كل شيء مع الصمت وتقييد النفس او اللسان باي قيد فكري او اخلاقي او انساني او ديني او مذهبي او من اي نوع ··

ان هـذا هو الشعار المنطوق او المفهوم لكل زعيم وقائد وحاكم عربي · بل ان هـذا هو التفسير العالي لكل التاريخ العربى ، لكل ما فيه من عبقريات ومعارك وانتصارات، ولكل من فيـه من زعماء وقادة وحكام وشعراء ومفكرين وفنانين ، من كبار وصغار ، خاصة وعامة ·· هل احب العرب الهتهم وانبياءهم وامنوا بهم الا لانهم يتحولون الى شتائم وبذاءات صارخة في افواههم وضمائرهم ؟

ان الكـلام البـذيء البليـد الشـاتم النـزق الصـاف الصـارخ المتهور ، عن كـل شيء وفي كل شيء ومع كل احـد وعن كل احـد هو اعظم واشهر موسيقى في تاريـخ العروبة ، في روحانية العروبة ·· ان كل موسيقى الطبيعـة لعاجزة ان تصنع للانسان العربي النشوة التي يصنعها له الكلام الضاج البليد البذيء الفضاح المهدد ··

ان العرب لم يبتكروا او يحملوا سلاحا أو يضربوا بسلاح في كل تاريخهم اشهر او اقوى من هـذا السلاح او مثل هذا السلاح · انهم لا يقبلون ان يشتروا كل مجد الدنيا وكل مجد الاخرين بمجدهم هذا · لن يقبلوا ان يتنازلوا عن اي شيء من مجدهم هذا حتى ولو كان الجزاء ان يعطوا كل مجد السماء ، كل مجد الشموس والنجوم ··

ان قصيدة خرقاء تسب وتحقر الاعداء او الاخرين او المنافسين بلا صدق او شرف او حياء ، وتمتدح وتمجد النفس والاباء ايضا بلا صدق او شرف او حياء ، يلقيها شاعر يتعرى ويتساقط من النزق والاعجاب والرضا عن النفس ، لهي في حساب الشاعر وفي حساب قومه العرب المستمعين اليه اعظم مجدا واقدر على اعطاء النشوة الروحية والقومية والوطنية والدينية والمذهبية من كل مجد كل من حولوا كل صحارى السماء الى مروج ، وكل كهوفها الى مصانع للحضارات ، وكل صخورها الى رجوم للبداوة والجهالة والفقر ، وكل قحطها الى انهار تروى منها الالهة ظمأها وتبرد بها لهيبها وتنظف بفيضانها ادرانها الازلية المستعصية على التنظيف والطهارة والاغتسال ...

بل ان قصيدة بدوية الثياب والذات ، بدوية اللغة والروح والاخلاق والتفكير ، تمجد عبقرية البراغيث ونظافتها ، وتلعن وتحقر عبقرية من زرعوا الحضارات فوق بداوة القمر ، يلقيها شاعر بدوي الصوت والحركة والطلعة والسذاجة يلقيها فوق قوم ولد تاريخهم كل ما في التاريخ من بداوة، وعجزت حياتهم عن ان تستقبل بل او ان ترى شيئا مما في الحياة من حضارة ..

ـ نعم ، ان مثل هـذه القصيدة مقروءة ومسموعة ومحشودة لها المنابر والمحاريب والافواه والاذان وكل الاكف والطبول ، لتتحول في اي مجتمع عربي يلقيها وتلقى عليه الى اقصى درجات الارتواء والامتلاء والشبع من مشاعر النشوة والبهجة والتفوق والانتصار والقوة والكبرياء والاسترخاء والرضا عن كل ما يقاسى من الالام والمظالم والاهانات والهزائم والتخلف والتضليل ، حتى ليعجز اي مجد او تفوق او انتصار او تقدم او اخذ حقيقي مهما كان حجمه ان يهبهم مثل ذلك او اكثر من ذلك ، اي من المشاعر السعيدة الملائمة . ان اعظم وأشهر وأصدق أمجاد وانتصارات ومباهج الانسان العربي هي التي تجيء اليه من اذنيه . ان كل تاريخه او اجمل واروع ما في تاريخه انما صنعته لـه اذناه . انه لا توجد آذان لها من التاريخ والمجد والقوة والاقناع بل والابتكار مثل الذي لآذان الانسان العربي .. ان العرب ليرفضون ان يبيعوا آذانهم بكل ما في التاريخ والحياة والمستقبل من حضارات وامجاد وانتصارات وعقول ومواهب وطاقات ..

ان كل الضجيج الكلامي الخطابي ، مهما اختلفت موضوعاته او بداواته ، ليحدث نفس التفجرات الانفعالية الاستفراغية في نفس الانسان العربي . فالقصيدة والخطبة والبيان الرسمي والتلاوة من الكتاب المقدس او من اي كتاب ديني ـ كل ذلك سواء في احداث الانفجارات النفسية الاستفراغية المصابة بكل تعبيرات ومعاني الهوس . والفرق فقط في قوة واسلوب الصوت وفي حجم ونوع البذاءة والافتضاح . وهذا الفرق هـو الذي يصنع الفرق في اسلوب ومستوى الاستقبال .. ان اسلوب المؤذن وقارىء القرآن في اخراج صوته هو كل القيمة والجمال والتأثير والقوة ..

ولا شروط لتأثير ما يقال ويسمع غير ان يقال ويسمع باسلوب ما ، بالاسلوب الملائم ٠٠ لا شروط لذلك عند الانسان العربي ٠٠ لا يشترط بان يكون مفهوما بل او بان يكون له اي يمكن فهمه ٠٠ ان الاذن العربية لا تشترط للكلمات أو للاصوات التي تطلق عليها بأن تكون مفهومة ولا بأن تكون لها أية معان كما ان الحنجرة العربية التي تطلقها اي تطلق الكلمات او الاصوات لا تشترط ذلك ، اي لا تشترط الفهم او المعنى لما تطلق ولا على ما تطلق ٠ بل لعله لو وجد المعنى والفهم لما يقوله ويسمعه الانسان العربي لفقد كل سحره وكل قوة الاقناع فيه ٠ بل لعل الانسان العربي حينئذ يرفض أن يقول ويرفض ان يسمع ، او لعله حينئذ يفقد ، قائلا وسامعا كل حماسه وايمانه واعجابه وتفجراته حين يقول ويسمع وبان يقول ويسمع ولان يقول ويسمع ٠ لعل كل القوة والجمال في ان يقول ويسمع حيث لا معنى ولا فهم ٠ وحيث لا بحث عن ذلك ٠

انه لا مثيل للاذن العربية ولا للحنجرة العربية في تسامحهما وتنازلهما عن اي اشتراط في تعاملهما مع الاشياء ومع الاخرين ومع نفسيهما ٠٠ وعن اي اشتـــراط لكرامتهما او لاخلاقهما او للاعلان عنهما أو للغرض لهما ٠ انهما اي الاذن والحنجرة العربيتين معروضتان دائما بلا اية شروط من اي نوع ٠٠

وانه كذلك لا مثيل للانسان العربي في تسامحه مع اذنيه ومع حنجرته مهما كان عدوانهما عليه وعلى كرامته وكبريائه وذكائه وتهذيبه ٠ ان علاقات الانسان العربي بأذنيه وحنجرته لا مثيل لها في تنازلها عن جميع الشروط المعروفة وغير المعروفة ٠٠

وايهما المعتدى على الاخر : اذنا الانسان العربي وحنجرته هما المعتديتان عليه أمهو المعتدىعليهما؟ وهليوجد هنا معتد ومعتدىعليه؟هلالمعتدىغيرالمعتدىعليه؟ هل يوجد عدوان ؟ هل الانسان جسما ومعاني أو الكون او اي شيء ينقسم الى معتد والى معتدى عليه او كله معتد او كله معتدى عليه او كله معتد معتدى عليه او كله لا معتد ولا معتدى عليه ؟ هل الشمس معتدية على توابعها او توابعها معتدية عليها بعملية التجاذب والدوران والاتباع ؟ هل الجسم الساقط على الارض معتد عليها بسقوطه فوقها او هل هي معتدية عليه بجذبها له ؟

هل الموت هو الذي يبحث عن الكائن الحي ليقتله شهوة وعدوانا ام الكائن الحي هو الذي يصطاد الموت ليقع عليه وليوقعه في ذاته مظلوما مشتوما مهانا متهما بالقسوة والوقاحة والغدر اللئيم ؟ أليس الموت دائما مهجوما عليه لا هاجما ؟ أليس الموتى هم الذين يموتون اي هم الذين يصنعون الموت دائما دون ان يكون الموت هو الذي يصنعهم موتى ؟ اذن فالموت مصنوع لا صانع اي مظلوم لا ظالم ٠

هل هذه اسئلة ام هي بكاء ورثاء ، عجز واحتجاج واستفظاع وغضب ؟

ولكن اي غضب هذا ؟ انه غضب بلا مغضوب عليه ٠ وهل يوجد مغضوب عليه مهما وجد الغضب ؟ أليس كل مغضوب عليه هو كائن يستحق أن يغضب لــه لا عليه

في التفسير البعيد الممتد الرؤية والشامل الرؤية الذي يرى ان السلاح الذي يضرب هو اليد التي تقبض عليه ، وان اليد التي تقبض عليه هي الذات التي تحرك اليد ، وان الذات التي تحرك اليد هي الضرورات والارادات والاحتياجات التي تحكم الذات ، وان الضرورات والارادات والاحتياجات هي القوانين والاشياء الاخرى الكثيرة ، الكثيره التي تصوغ وتخلق وتسير الارادات والضرورات والاحتياجات ، وان القوانين والاشياء الاخرى الكثيرة هي ايضا القوانين والاشياء الاخرى المتماسكة المتصاعدة المتعاقبة التي ليس واحد منها مسؤولا او محكوما او حاكما او تابعا او متبوعا اكثر من آحادها الاخرى ؟ اي هذه هو المسؤول او المذنب او ايها احق بذلك حينما يحدث الغرق والدمار : البحر ام السحاب ام النهر ؟ او ايها هو الذي صنع الغرق والدمار هل احدها فعل ذلك دون الاخر ؟ ايها صنع الفيضان ، او ايها صنعه اكثر ؟

ان هذا التفسير البعيد الرؤية والشامل الرؤية لا بد ان يرى بأن الاله ـ لو وجد ـ ليس هو المذنب المسؤول الذي يجب ان يوجه اليه الغضب والعقاب ، ولكن المسؤول الذي يجب ان يوجه اليه ذلك هو الذي جعله موجودا وموجودا كما هو موجود بكل اخلاقه ومواهبه وشهواته واحتياجاته وضروراته ومجاعاته المختلفة الرهيبة التي تصوغه وتقوده ٠ وهل يوجد من جعله كذلك ؟ ومن هو هذا الذي جعله كما جعله ؟ ولماذا جعله وجعله كما جعله . هل ذلك هو الافضل له ؟

اذن من المسؤول ؟ من الذي يستحق الغضب والعقاب والمحاكمة في هذه السلسلة الشريرة الطويلة الضالة الكئيبة ؟ من الضارب ، ومن المضروب ؟ من الذي يستحق الرثاء اكثر ؟ اي هذه احق بالغضب والعقاب : عقل الانسان ام تدبيره ام عيناه ام اذناه ام يداه ام رجلاه ام ضروراته وخدواته المشتركة كلها في التنفيذ ؟

ان الاله حينما يمرض ويقتل ويصيب بالشيخوخة والتشوهات والعاهات لمحكوم عليه بان يفعل ذلك بقدر ما حكم على من امرض وقتل واصاب بالشيخوخة والعاهة والتشوه بأن يكون مريضا وقتيلا ومصابا بالشيخوخة والعاهات والتشوهات ٠٠ ان احدهما ليس احق من الاخر بالغضب والعقاب ٠٠

ان الاله محكوم عليه بأن يكون وجوده وذاته واخلاقه وشهواته وضرباته ونزواته بقدر ما حكم على المريض الضعيف بأن يكون ضعفه ومرضه وآلامه ٠٠

ان الحاقد والبليد المحكوم عليهما بان يعيشا حقدهما وبلادتهما كما حكم على المحب والعبقري بأن يعيشا حبهما وعبقريتهما ٠

لماذا جاء الاله كما جاء بكل صيغته الذاتية والنفسية والمنطقية والاخلاقية ؟

اليس شيئا محيرا وعجيبا بل ومذهلا مؤلما شاذا جدا ان يجيء كذلك ؟ هل فرضت عليه هذه الصيغة فرضا ؟ ولماذا فرضت كما فرضت ؟ هل كان يستطيع او يمكن ان يجيء بصيغة اخرى ؟ ولماذا لم يجيء بتلك الصيغة الاخرى ان كان ذلك ممكنا او كان يستطيعه ؟ واذا لم يكن ممكنا واذا لم يكن يستطيعه فاي شيء او اي قدر هذا ؟

هل يوجد مشوه او مظلوم او محكوم عليه مثل الاله الذي لا يستطيع ان يجيء او ان يكون غير ما جاء وكان ؟

اذن من فرض عليه اي على الاله صيغته ؟ هل فرضها هو على نفسه ؟ اذن من فرض عليه ان يفرض على نفسه ويفرض عليها كما فرض ؟ من فرض عليه او من اعطاه القدرة او الموهبة او الحاجة او الضرورة أو الرؤية او الارادة التي فرضت عليه ان يفرض على نفسه كما فرض عليها والتي جعلته يستطيع ذلك ؟ لا بد من الافتراض بأنه يعمل بالقدرة والمشيئة والحاجة والضرورة والرؤية · ولكن كيف جاء بهذه القدرة والمشيئة والحاجة والضرورة والرؤية ومن وهبه اياها او وضعها فيه ؟ كيف لم يجيء بدونها أو كيف لم تجيء فيه باسلوب آخر ؟ هل يمكن ان يوجد مخطط اول ؟ ولو وجد هذا المخطط الاول فمن خططه هو وعلى اي قياس او نموذج يذهب يخطط وهو لا شيء امامه او معه ؟

ان اي شيء لا يمكن ان يكون بدء نفسه او سبب نفسه او مخطط او مدبر او حاكم او خالق نفسه · انك اذا كنت هبة موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك فان موهبتك وقدرتك وارادتك وحاجتك لن تكون هبة نفسها ولا بدء نفسها ·

ان اي شيء يبدأ لا بد ان يبدأ من او عن بداية سابقة او بدء سابق او عن حالة سابقة لا بد ان تكون مسبوقة ··

اجل ، ان الكلام ليس هو البدء · انه في البدء لم تكن الكلمة · لقد كان الانسان هو البدء ، كانت موهبته وطاقاته هي البدء · كلا ، بل لقد كانت ذاته هي البدء، هي البدء لمواهبه وطاقاته ولكل كينوناته ·· كانت ذاته هي البدء النسبي لا البدء المطلق · ان كل بدء ليس الا بدء نسبيا لانه لا يوجد بدء مطلق · لقد كان الانسان بدءا نسبيا لا بدءا مطلقا ، كذلك كان البرغوث والصرصار · ولو كانت الكلمة هي البدء لجاء هذا السؤال الصارم : ومن اين جاءت الكلمة التي لا شيء قبلها او معها في البدء وكيف بدأت بدءها ·· نعم ، ان اي بدء ليس الا ولادة · وهل تحدث ولادة بلا اي شيء تتولد منه ؟

اذن ليس صحيحا ولا يحتمل ان يكون صحيحا ان الانسان العربي ضعيف ومتخلف وعاجز في جميع مستوياته ومحاولاته لانه يتكلم كثيرا ويتكلم بلا ذكاء ولا منطق ولا وقار ولا تهذيب ولا انضباط ··

ان اسلوبه الضعيف في الكلام هو احد اساليب ضعفه واحد معاني ضعفه ولكنه ليس سبب ضعفه ولا احد اسباب ضعفه ·· ان عقله وقلبه وضميره وعضلاته ومواهبه لن تعالج بعلاج لسانه او بتغيير عمامته او بتغيير اخشاب منابره او بتغيير الجهاز الذي يصوت منه ويصوت فيه ··

انه ضعيف في ذكائه واخلاقه ومعانيه الاخرى · لماذا هو ضعيف في كل ذلك ؟ وانه لضعيف حينما يتكلم · ما اسباب ضعفه في هذا وهذا ؟ ان اسبابها ضعف ذاته

او ضعف مواهبه ٠ ان ذاته او موهبته التي صنعت ضعفه المنطقي او الاخلاقي او الحربي او الابداعي او الفني او النفسي هي ايضا التي صنعت ضعفه الكلامي او الصوتي ٠ ان ضعفه الكلامي قد يكون سببه ضعفه المنطقي والاخلاقي والابداعي والحربي والفني والنفسي ، ولكن العكس لا يكون صحيحا ٠ ان قبح الصورة او جمالها قد يكون سببه قبح الذات او جمالها ٠ ولكن قبح الذات او جمالها لن يكون سببه جمال الصورة او قبحها؟ ٠٠ ان صوت الذباب او الوحش او الغراب يدل عليه اي على صاحب الصوت ولكنه لن يكون هو الذي يصوغ ذاته ٠٠

ان الكلام الكثير الضعيف الرديء الصارخ البذيء المغرور الشاتم الحاقد المبارز المملوء بالمزاعم المملوءة بالكبرياء والتهديد والوعيد والاكاذيب وبالهوس والبلادات وبكل فنون السفاهات والتطاول والغفلة ٠

ـ نعم ، ان مثل هذا الكلام الذي نموذجه الجيد جدا كلام الانسان العربي لا يستطيع ان يسرق من قائله او سامعه او منشده او ناسخه او حتى من المؤمن به والحافظ الدارس لـه اية موهبة من مواهبه بل ولا ان يأخذ منها شيئا او ان يضعف او يخمد حماسها الا بمقدار ما استطاعت او تستطيع اصوات الحيوانات : زئيرها أو ثغاؤها او رغاؤها او صهيلها او نهيقها او عواؤها او أنينها ان تصنع بها ذلك ، ان تصنعه بأية موهبة من مواهبها او بأية قدرة او طاقة من قدراتها وطاقاتها ، بأظفارها او بأنيابها او بعضلاتها او بظهورها او بايديها او بأرجلها ، بسرعتها او بجرأتها او باقتحامها او بصبرها او بوفائها او بحبها او بصدقها او بكرامتها او بشرفها ٠ انه لن يكون احتمالا بأن تصويت الانسان العربي او بأن اصواته التي يسميها كلاما هي التي سحبت منه العبقرية الا بقدر ما يكون احتمالا بأن تصويت الحيوانات او بان اصواتها هي التي جعلتها بلا عبقرية او اقل من الانسان عبقرية ٠٠

نعم ، ان مثل هـذا الكلام قد يكون جهاز تفجير واطلاق للالام والضياع والعجز والتفاهة والهزائم وللاحتقار للذات ولشتمها وتعييرها وللاحتجاج الهمجي عليها ، ولاطلاق وتفجير سائر الشحنات النفسية الضالة المتآكلة ، وجهاز تنفيس وتعبير واعلان عن كـل ذلك ، باكثر الاساليب بداوة وقبحا وفضحا وغباء ، كما قد يكون عواء الذئب او رغاء الجمل تنفيسا عن جوعه او عن عذابه وعجزه وحيرته وبلادته ٠٠

قد يكون مثل هـذا الكلام بمثل هذه الاساليب هو اعظم فنون وموسيقى من لا يعرفون او يستطيعون او يتقبلون او يستسيغون فنا او موسيقى افضل او اجمل من ذلـك ٠

ان لكل الناس بل لكل الكائنات الحية المصوتة فنونا وموسيقى ٠٠ كل الناس وكل هذه الكائنات لا بد ان تكون منشدة وسامعة لنوع ما من الفنون والموسيقى ٠

لماذا يجد الاخرون النشوة والجمال والحب في الموسيقى والفنون ولا يجد العرب ايضا هذه النشوة والجمال والحب في كلامهم مقولا ومسموعا اي فيما يحسبونه كلاما

وفيما يحسبه الاخرون عليهم اشمل اساليب الافتضاح ؟ ان طربنا لاي موسيقى او فن لا يستأذن طرب الاخرين ، ولا ينتظر اي طربنا من طرب الاخرين ان يتحول الى تشريع او الى تزكية له كما لم يطلب طرب الاخرين من طربنا شيئا من ذلك ··

ما هي الموسيقى وما الفنون ؟ لماذا لا يكون ما يسمى او يحسب كلاما عربيا هو ارقى واجمل الموسيقى والفنون ؟ هل توجد حدود دولية تمنع او ترفض ذلك ؟ أليست الموسيقى والفنون هي ما رآه وزعمه وأعلنه الانسان كذلك ؟ اذن لا اعتراض على الانسان العربي حينما يرى ويزعم ويعلن موسيقاه وفنونه بالاسلوب والمستوى اللذين يستطيعهما ويعرفهما ويسعد بهما ··

لماذا لا يعد العرب حينما يتكلمون ويسمعون انفسهم يتكلمون هم اعظم صانعي الموسيقى والفنون والمستمتعين بالاستماع الى الموسيقى والفنون ؟

او لعل الانسان العربي ليس الا كائنا يتألم ويبكي ويشاتم نفسه ويخاصمها ويعيرها ويحقرها حينما يبدو او حينما يظن او يزعم انه يتكلم ، حينما يظن ويزعم ويعلن انه شاعر ينشد ، او نبي يبلغ نبوته ووحيه ، او مفكر يصوغ افكاره ، او معلم يفرض تعاليمه ، او واعظ يهدد بمواعظه ويلعن الخارجين عليها ، او حاكم او زعيم يطالب كل العالم بالاستسلام والمبايعة وينذره اذا لم يستسلم ويبايع بصغار · لعل الانسان العربي ليس الا كائنا يقذف بآلامه واحزانه باكثر الاساليب بذاءة وبداوة حينما يظن انـــه يكلم الالهة ويدربها على حب الموسيقى والجمال ·

اذن ليس الخطر والخسران في استعمال العرب للكلام بالاساليب التي يستعملونه بها انه يسحب منهم عبقريتهم أو يؤخر مجيئها أو يصيبها بالاعياء أو الاسترخاء أو التشوه ، ولكن الخطر والخسران في استمرارهم يتكلمون ، يتكلمون بالاساليب التي بها يتكلمون · أنهم بذلك يتحولون الى فضائح وعار والى صانعي خصومات وعداوات واحقاد ، والى عدوان على مسامع الناس وعلى أخلاقهم وحيائهم وآدابهم ، والى هجاء للغات ولمن ابتكروها ولمن يريدون ان يتعلموها ، والى اشمئزاز وغثيان في روحانيات وشاعريات جميع الاشياء ، والى غضب في كرامة واعصاب كل مـا عرف البشر وابدعوا واحترموا من قيم فنية وانسانية وكونية بل ومن قيـم صوتية · ان للتصويت لقيما ، وانه ليوجد دائما من يسلبون التصويت قيمه كما يوجد كذلك من شادوا ويشيدون قيمه حتى الكائنات التي هي دون الانسان منها كائنات تسلب التصويت قيمه واخرى تصنع وتؤكد هذه القيم · ولكن أليس في استمرار العرب يتكلمون كما يتكلمون مغانـم ومزايا كثيرة منوعـة ؟ أليسوا بذلك يصنعون السعادة والراحة والكبرياء والرضا عن النفس لاعدائهم وخصومهم ؟ اذن أليسوا بذلك مفيدين ووهابين ؟ ما انبل واتقى ان تكون نافعا وسارا حتى ولو لمن يعاديك او يكرهك او يحقد عليك ! ·

الكائن الحي الذي يقاسي التألم والحزن والخوف والحب والبغض والاشمئزاز والحسد والغيرة ، مهما كانت مقادير هـذه المقاساة ، هل يستطيع اي هـذا الكائن الحي ان يكون بلا تصويت او بلا أصوات ؟ انه قد يستطيع ان يكون بلا كلام كما يستطيع ان يكون بلا عبقرية . ولكن هل يستطيع او يمكن ان يكون بلا تصويت واصوات اي بلا تعبيرات مسموعة ... ان يكون بلا زئير او جئير او نهيق او نباح او صهيل او تغريد او نعيب ، او بلا طنين او نقيق ؟

ان الكائن الحي في تصاعده الذاتي او التطوري يبدأ بالصوت او يصل الى طور التصويت ليصبح كائنا مصوتا . وهـذا الطور قـد يكون الفاصل بينه وبين طور الكلام او طور الكائن المتكلم فاصلا خياليا في طوله ، وقد يكون فاصلا ابديـا لا يمكن اقتحامه ولا تخطيه . ثم يوجد الفاصل التالي بين طور الكلام اي بعـد بلوغه ان حدث بلوغه وطور العبقرية او الخلق او الابداع او التأثير في الطبيعـة والاشياء والتغيير لها وفيها . وهـذا الفاصل بين الطورين لا بد ايضا ان يكون طويلا جدا . وهل محتوم تخطي هذا الطور اي طور الكلام الى الطور الذي بعده مهما طال الفاصل بينهما ؟ الا يمكن ان يظل الكائن متكلما دون ان يصـل الى طور المبدع ؟ ولكن اليس طور الكلام هو طور الابداع بلا عازل بينهما ؟

والانتقال من طور الى طور خاضع لقوانينه ولا يمكن تحقيقه او الاسراع بـه بالمواعظ والتعاليم والتحريضات ، بل ولا حتى بالاحتياج اليه او بالشعور بالاحتياج . حتى الاحتياج الحاد جدا . انه لا يصنع القدرة ولا يزيد فيها ولكنه قد يحرضها ويطلقها أو لا بد أن يفعل ذلك .

ولماذا وصل هذا الكائن الى طور التصويت فقط او الى طور الكلام فقط دون وصول الى الطور الذي بعده ؟ هذا سؤال لا جواب له او عنه غير ان يقال : هكذا حدث . كما يكون الجواب حينما يوجه او ينطلق في ضمير العقل هذا السؤال : لماذا حدث هـذا الشيء ولم يحدث ذلك الشيء او لماذا تحدث الاشياء ، او لماذا تحـدث بالصيغ والاعداد التي تحدث بها وفي الاوقات والاماكن التي تحدث فيها .. وانا هنا افترض ان طور الكلام غير طور الابداع وان الكائن قد يكون متكلما دون ان يكون مبدعـا ..

وكما لم يكن ممكنا منع حدوث الاشياء وحدوثها كما حدثت كذلك لم يكن ممكنا ولن يكون ممكنا ان تمنع الكائنات التي بلغت طور التصويت او طور الكلام او طور الابداع من بلوغها ما بلغت .. او ان يصعد بها الى طور اعلى من طورها ...

والانسان العربي قد بلغ طور التصويت اي قـد اصبح كائنا مصوتا بلا تدبير او تخطيط صنعـه هو او اي كائن اخر فوقه . أليس قد بلغ هذا الطور ؟ هل يمكن ان يوجد من قـد يخالف في هذا ؟ هل يمكن ان يوجد من ينزل او يحاول ان يريد ان ينزل به عن هـذا الطور ؟ انه لارجو ألا يوجد هـذا ..

وانا لنرجو الا نصاب بالكبرياء والغرور والمبالغة الوقحة لنذهب نزعم انــه قد ارتفع على هـذا الطور وصعد الى الطور الذي بعده ٠٠ لاننا لا نريد ان يهزأ بنا ولا ان نهزأ بانفسنا ٠٠

لهذا لعلنا نستطيع ان نقول بكل الجرأة او بشيء من الجرأة :

ان الانسان العربي قد بلغ الطور الذى جعله كائنا مصوتا دون ان نملك اي قدر من الجراة لنقول : انــه قد تخطى هذا الطور بل ولا انه نزل عنه او دونه ٠

ولسنا هنا نريد الامتداح او التمجيد له ، اذ لا يمكن ان نزعم ان طور التصويت مزية على اي تفسير من التفاسير ٠ لا يمكن ان نزعم ان هـذا الطور افضل او اعظم من الدور الذي قبله او من الطور الذي دونه ٠ وقد نزعم ان الطور الذي قبله اي الذي هو اقل منه اكثر سترا للعار والضعف ٠ انه ان لم يكن اعظم او افضل فانه حتمـا استر ٠ أليس الستر لما يجب ستره شيئا طيبا ؟ اليس الخرس ولو احيانا اسلوبا جيدا من اساليب الستر ؟

اليس هذا الطور طور قبح وفضح وعدوان وبذاءة واستفراغ فقط ما لم ينتقل الى الطور الذي بعده ؟ ان طور التصويت هو طور متطور في اخلاق وقوانين الطبيعـه عن الطور الذي قبله اي عن طور الصمت الطبيعي ٠ ولكنه طور لا مزية له في ذاته ٠ ان كل مزيته في ان يكون جسرا او معرجا الى الطور الذي فوقه والا ظل طور قبح وفضح وعدوان وبذاءة واستفراغ على الذات وعلى الاشياء وعلى الاخرين ، ولا شيء غير ذلك ٠ قـد يكون شيئا غير قبيح او قد يكون شيئا جميلا أن تصبح الكائنات التي هي دون الانسان مصوتة فقط ٠ اما الانسان الذي يظل مصوتا فقط فلن يكون الا قبحا ضاجا شاملا فضاحا ٠٠

وهل توجد اية علامات على ان الانسان العربي قد يتخطى هذا الطور او انــه لا بد ان يتخطاه ؟ وهل يوجد في اخلاق الطبيعة وقوانينها ما يحتم هذا التخطي او ما يجعله احتمالا او املا ؟

الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان والتي هي كائنات قد بلغت طور التصويت او الطور الذي جعلها مصوتة هل مرجو او محتوم ان تتجاوز طورها هذا الى الطـور الافضل ؟ واذا لم يكن ذلك مرجوا او محتوما فهل يوجد ما ياذن لنا او يفرض علينا أو ما يقنعنا بان نقول ان هذا التجـاوز مرجو او محتوم للانسان العربي ؟ كيف نستطيع ان نقتنع او يستطيع اي انسان ان يقتنع ان العصفور او الذئب او الغراب او الجمل لن يتخطى طور الكائن المصوت الى طور الكائن المتكلم ثم نستطيع ان نقتنع بأن اي زعيم او قائد او نبي او مفكر عربي قد يستطيع ان يصبح متكلما ؟ أليس تصور القائد او النبي او المفكر العربي متكلما ابعد من تصور البرغوث متكلما ؟ بـأي منطق او تقوى او اخلاقية نجرؤ على ان نقتنع ونقول ونعلن ان جميع الكائنات المصوتة لن تتحول الى كائنات متكلمة او محتمل ألا تتحول الى ذلك ثم نقتنع ونعلن بان

الانسان العربي وهو كائن مصوت فقط ، لا بد أن يتحول الى كائن متكلم او محتمل تحوله الى ذلك ؟

أليست العدالة والذكاء والتقوى النفسية والعقلية والاخلاقية تفرض علينا التسوية في هذه القضية ؟ هل يجوز ان تحكم علينا رغبتنا وامانينا واهواؤنا المنحازة بلا وقار او رحمة او شهامة بأن نفرق بين متساويين لا فرق بينهما غير أن هوانا مع احدهما دون الاخر ؟ أليس الانسان العربي بنماذجه وممارساته الصوتية هو ابعد من جميع الكائنات عن طور الكائن المتكلم ؟

ومع ان الفروق بين التصويت والكلام فروق كبيرة والمسافات الفاصلة بينهما مسافات بعيدة فانه قد يكون من الصعب جدا تحديد هذه الفروق والمسافات . وفي سطور سابقة جاء ذكر شيء من هذه الفروق . ولعل الكثيرين من الناس لم يتصوروا انه توجد فروق بين التصويت والكلام . انهم لم يتصوروا ان للكلام اخلاقا او شروطا او التزامات او تفاسير . لهذا لم يتصوروا ان بينه وبين التصويت اية فروق .

ان الفرق بين دقات الساعة الدقاقة وبين صوتها اي صوت الساعة الدقاقة ساقطة متحطمة على الارض قد يساوي او يشبه الفرق بين التصويت او الاصوات وبين الكلام .

وان الفرق بين أصوات الالات العاملة في المصانع وبين اصوات الرياح متصادمة بالاشجار وبالبيوت وبأي شيء ليساوى او يشبه الفرق بين التصويت والكلام ..

وان الفرق بين اصدار الامر الى الاجهزة العلمية لتعمل وبين شتم هذه الاجهزة والدعاء ضدها يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام ..

وان محاورة المخالف او الخصم او العدو او التفاوض والتفاهم معه وبين لعنه يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام ..

وان التفكير في الشيء او في القضية او في المشكلة او في الانسان وبين الحقد عليها او عليه يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام ..

وان فهم الطبيعة والعمل فيها وضدها لتهب ودعاء الاله والصلاة له ليهب ـ نعم، ان الفرق بين هذا وهذا يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام ..

وان الفرق بين المصافحة والاستفراغ او بين المعانقة والاستفراغ او بين القاء التحية والاستفراغ يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام .. وان الفرق بين خطاب يلقيه زعيم عربي وخطاب يلقيه زعيم لم يستطع او لم يرد أن يكون عربيا يساوي او يشبه الفرق بين التصويت والكلام ..

ان الكلام تفكير واخلاق وتخطيط ومعالجة ووضع حلول او بحث عن حلول . أما التصويت فانه استفراغ وقذف . انه حالة وليس عملا . أما الكلام فانه عمل وليس حالة .. الكلام سير او صعود او نزول . اما التصويت فانه تدحرج او انزلاق او

سقوط • انــه ليس سيرا ولا صعودا ولا نزولا ، اي ليس حركة مدبرة محسوبة بأية حسابات •

ان المتكلم كائن يتعامل ويتفاوض ويتفاهم ويتحاور مع الاخرين ومع الاشياء • اما المصوت فانــه كائن يتصادم ويتشاتم ويتخاصم مع الاخرين ومع الاشياء ومع نفسه •••

المتكلم يسير الى الاحداث والاشياء ويسير معها وبينها وبها وفيها وفوقها • أما المصوت فهو يقذفها وينبحها ويلوثها ويعيرها ويهددها ••

المتكلم يفكر باسلوب مسموع ، والمصوت يرتجف باسلوب مسموع أيضا •

المتكلم يخلق الاحداث والاشياء ، يصوغها • اما المصــوت فينشدها وقاحات وسفاهاته ، همومه أو مسراته باسلوب صغير ••

واذا كانت هذه بعض الفروق بين التصويت والكلام ، وكانت هذه التفاسير هي بعض التفاسير لكل منهما أي من التصويت والكلام فالى أيهما يمكن ان يكون انتماء العرب وبتفاسير أي منهما يجب أو يمكن ان يفسروا ؟ وهل يمكن أن يخطىء أحد في اي الكائنين أو الطورين ينبغي أن يوضعوا ؟ بل هل يمكن أن يقبلوا هم حسبانهم متكلمين لا مصوتين فقط اذا عرفوا أو لو عرفوا خصائص وتفاسير المتكلم وخصائص وتفاسير المصوت ، أو هل يقبلون حينئذ أن يتحولوا من مصوتين الى متكلمين ؟ هل يتقبلون دفع ثمن التكلم أو الكلام ، أو هل يستطيعون حمل موهبته ومقاساتها أو الالتزام بشروطه ومعانيه اي شروط ومعاني التكلم والكلام ؟ أليس المتكلم يقاسي ويدفع ويحاكم نفسه اكثر واقسى من المصوت ؟• أليس الانسان يدفع ثمنا لكلامه اكثر واغلى مما يدفع الحيوان ثمنا لصوته او لتصويته ؟

وهل ظل العرب في كل تاريخهم مصوتين لا متكلمين عجزا عن الانتقال وجهلا به وبمزاياه ام خوفا من الانتقال ورفضا لمقاساة ولشروط وتكاليف الطــور الذي يكون الانتقال اليه ؟

هل رفضوا وخافوا ام عجزوا ؟ وايهما أردأ : ان تخاف من ان تكون وترفض ام ان تعجز ؟ومهما كان ممكنا ان يتطور او ينتقل الكائن من مصوت الى متكلم فليس ممكنا ان يعود اي الكائن من متكلم الى مصوت • معنى هذا ان اي كائن مصوت فقط في هذه اللحظة لا يحتمل انه قد كان متكلما في اية لحظة من التاريخ الذي قد كان •• أليس ذلك كذلك ؟ نعم ، ليس محتملا ان شعبا من الشعوب في تاريخ ماض كان متكلما ثم انحدر ليصبح شعبا مصوتا فقط ••

لهذا فلقد كان العرب في كل تاريخهم مصوتين فقط ولم يحدث ان كانوا متكلمين ، لم يجربوا او يقاسوا الكلام في اي طور من اطوار التاريخ • انهم الان مصوتون فقط ، اذن لا يحتمل انهم كانوا يوما ما متكلمين •• لقد كانوا يجهلون الفرق بين الكلام والتصويت لهذا كانوا يحسبون انفسهم متكلمين •••

انه ليقنع جدا بهذا الحكم عليهم او بهذا الحكم لهم مراجعة كل ما يسمونه تراثهم المكتوب والمحفوظ ٠٠ كل تراثهم حتى ما يرونه ويزعمونه منزلا مقدسا ٠ لقد ظل كل تراثهم في كل التاريخ وحتى اليوم مستوى واحدا لا يتفاوت مع تعاقب الحضارات وتفاوت اطوار التاريخ الغازي لهم والمحيط بهم والمتنقل المتصادم الضاج المتفاعل فوقهم وحولهم ٠ ان الزمن والتاريخ لم يستطيعا ان يتجددا او يتغيرا او يتحركا او ينتفعا بخصائصهما او بقوانينهما داخل مواهب وطاقات الانسان العربي ٠٠

لقد توقف التاريخ والزمن عن الحركة وعن التأثير حينما تعاملا مع الانسان العربي ٠ لقد تنازلا عن معانيهما وتفاسيرهما ٠٠ لقد هزما ، هزما ٠٠ لقد هزمت حتمية القوانين الطبيعية حينما تعاملت مع الانسان العربي ٠٠ لقد خرج الانسان العربي بالتاريخ وبالزمن عن قانونيتهما ثم لم يهبهما اية قانونية لا افضل ولا اردأ ، لا اذكى ولا اغبى ٠٠

هل وجد من هزم التاريخ والزمن واذلهما مثلما هزمهما وأذلهما الانسان العربي ؟

هل وجد من افسد عليهما مجدهما وسلبهما موهبتهما وقدرتهما مثلما صنع بهما وضدهما الانسان العربي ؟

ان الانسان العربي الذي صوت « المعلقات » وصوت العنتريات والفرزدقيات والجريريات والحمدانيات والحاتميات والحسانيات وكل تلك الجاهليات والاسلاميات ٠٠ والذي صوت تلك السور والايات والروايات والنبوات ٠

ـ نعم ، ان الانسان العربي الذي صوت وورث كل ذلك التراث في ذلك الزمن البعيد العقيم هو نفس الانسان العربي الذي يطل علينا اليوم بتصويته واصواته من جميع اجهزة ووسائل ما يسمونه الاعلام العربي او الكتاب العربي او الصحافة او الاذاعة او القصيدة العربية ٠ ان الصوت والمصوت لم يتغيرا ٠٠ لم يتغير فيهما شيء ٠٠ لا المنطق ولا الذكاء ولا التصور ولا الاخلاق ولا التهذيب ولا الصدق ولا الرؤية بل ولا اسلوب أو مستوى الوقاحة والقباحة والغرور ، بل ولا مستوى واسلوب الصوت او الحركة التي توقحه وتقبحه ، او اساوب التهييج ، التهييج الصوري بلا اي حماس نفسي او اخلاقي ٠٠

نعم ، ان الانسان العربي اسلوب او صوت انفعال ولكنه ليس انفعالا ٠ ليس عاطفيا كما يتهم دائما ولكنه صيغة عاطفي ٠٠

عد الى الماضي وانشر جميع توابيت اربابك وانبيائك وآبائك وآبائك ووعاظك وشعرائك لتقرأ فيها كل معلقاتهم وجاهلياتهم واسلامياتهم وكل حماسياتهم ومصاهلاتهم ، ولتقرأ ايضا فيها كل آياتهم وكل سورهم ونبواتهم ورواياتهم ، كل عدنانياتهم وقحطانياتهم ٠ ثم عد من ذلك الماضي ان استطعت ٠ عد من ذلك الماضي لتستمع وتقرأ اليوم كل ما تقوله وتكتبه وتذيعه جميع صحفك واذاعاتك وكتبك وجميع

اجهزة اعلامك ودعاياتك وجميع منابرك ومحاريبك ثم لا تحاول ان تجد أن الزمن او التاريخ قد تحرك او فعل شيئا بل او انه قد وجد ليصنع اي فرق بين ما كان وما هو كائن ..

لا تحاول ان تجد ان التاريخ او الزمن قد وجد في تاريخك . ان الزمن والتاريخ خطوات متعاقبة متغيرة . ولكن هذه الخطوات لم توجد في تاريخك ولا بين تاريخك الذي تقرؤه وترويه وحياتك التي تراها وتحياها او التي تقاسيك وتقاسي منك دون ان تحياها او تراها . ان الزمن والتاريخ لم يتحركا بل لم يوجدا في كل المسافة الممتدة بينك وبين ابائك . لقد حذف الزمن والتاريخ من حساباتك ..

انك لو وضعت اعظم ما ترويه عن الهتك وانبيائك على السنة اصغر كتابك ووعاظك وشعرائك ، ووضعت اتفه ما يقوله ويكتبه اصغر شعرائك ووعاظك وكتابك في اعظم ما ترويه عن آلهتك وانبيائك ، ناسبا الى كل فريق ما للفريق الاخر او ما ترويه او تعتقده للفريق الآخر ، او ناسبا الى فريق واحد كل ذلك ، او معلنا عجزك عن التمييز بين ما لكل فريق لشدة التماثل ..

- نعم ، انك لو فعلت ذلك لما شعر احد انه قد حدث خطأ او تزوير او اتهام لاحد بما لا يستحق او بما هو دونه ، دون اخلاقه او دون عبقريته او دون ما يريد ويرى لنفسه .. حتى آلهتك ، انها لن تكون مظلومة او مهانة ولن تشعر انها كذلك لو نسبت اليها أردأ ما يقوله ويكتبه اصغر كتابك وخطبائك لانه لا فرق ولا تفاوت .

ان الكلام لا بد ان تختلف تفاسيره ولا بد ان تتفاوت مستوياته الاخلاقية والفكرية والنفسية . اما التصويت أو الاصوات فلا يمكن أن تختلف او تتفاوت هذا الاختلاف والتفاوت . ان الطنين والنقيق والصهيل والنباح والزئير لا يختلف او يتفاوت في تفسيره او في مستوياته النفسية أو الفكرية أو الاخلاقية مهما اختلفت وتفاوتت مخارجه وضجاته . لهذا فان جميع الخطب والبيانات والنبوات والروايات والآيات والتعاليم والقصائد والكتب والمواعظ والافكار والشرائع التي قالها وكتبها واوحى بها وانشدها جميع حكام العرب وجميع انبيائهم وشعرائهم وحكمائهم وقادتهم ومعلميهم ومفكريهم ومشرعيهم بل وأربابهم في جميع عصورهم لا تختلف ولا تتفاوت هذا الاختلاف والتفاوت ..

اجل ، ان كل ذلك لا يمكن ان يختلف او يتفاوت بهذا التفسير للاختلاف والتفاوت لانه تصويت او أصوات وهي لا تختلف او تتفاوت بهذا التفسير ..

ان الفرق بين كلام وكلام او بين متكلم ومتكلم قد يكون في تفاسيره اكبر وابعد واعمق من كل ما في الطبيعة من تفاسير وضخامة وعمق وبعد ، من كل ما في الطبيعة من فروق في ذلك .

ولكن الفرق بين صوت وصوت او بين مصوت ومصوت ماذا يساوي في جميع تفاسيره ؟ وهل توجد فروق في تفاسيره ؟ أليس كل صوت مثل اي صوت او مثل كل

صوت في معانيه مهما اختلفت او تفاوتت الابواق او اجهزة التصويت ؟ هل يمكن أن يكون صوت العندليب او الجواد اعمق او اذكى تفسيرا او تفكيرا من صوت الغراب او الاتان مهما اختلفت الموسيقى ؟

اذن هل ندري اننا نمارس عبثا حزينا حينما نطالب اي متكلم عربي اي مصوت عربي ان يكون اذكى او اتقى او اكثر وقارا او تهذيبا او صدقا حينما يتكلم اي حينما يصوت ، وحينما نطالبه او نرجوه وننتظر منه ان يتخطى نفسه او يتخطى تاريخه وآباءه ليكون اعظم واقوى اي حينما يتكلم أي يصوت ؟

نعم ، هل ندري اننا نعبث عبثا اليما حينما نذهب نطالب هذه المطالبة او نرجو هذا الرجاء ؟ ذلك لان الكائن الذي هو في طور التصويت فقط لا يستطيع كما ذكر ان يتفاوت ولا ان يتجاوز نفسه او تاريخه او آباءه ، ولا ان يكون اذكى او اتقى او اكثر وقارا او تهذيبا او صدقا ما لم ينتقل من طور المصوت الى طور المتكلم · والانسان العربي وكما سبق هو كائن مصوت لا متكلم · اذن كيف يمكن او كيف يستطيع ان يكون افضل في تصويته ، افضل من نفسه او من تاريخه او من آبائه ، او ان يتخطى ما كان ؟ كيف يمكن ان يتفاوت في مستوياته ؟

انه مهما اراد واريد منه بل ومهما علم او تعلم ان يصنع ذلك فلن يصنعه او يستطيع ان يصنعه حتى يصعد من طور المصوت الى طور المتكلم · انه يمكن ويستطاع ان يجعل المصوت يغير صوته ولكن لا يمكن نقله بالتعليم من مصوت الى متكلم ولا رفع مستوى موهبته بذلك ··

وتراث العرب الثقيل المكتوب الضخم جدا في حجمه لن يكون ضارا او معوقا ان يبقى وان يقرأ ويحتفل به وان يوهب كل الايمان والاقتناع بقيمته وبتفوقه وعبقريته، كما ان زواله او فقده او هجرانه او نسيانه او حتى الكفر به لن يكون منقذا او خالقا او صائغا صياغات افضل او اذكى للانسان العربي · ان اجتناب قراءة الغباء لن يجعل الغبي ذكيا كما ان اجتناب رؤية الدمامة والضعف لن يجعل الدميم او الضعيف جميلا او قويا ·

ذلك لان الانسان العربي ما دام في طور المصوت فلن يضيره ان يقرأ اصوات تاريخه او اصوات اربابه وانبيائه وشعرائه ومعلميه وآبائه الذين كانوا في التاريخ ، او أن يؤمن ويحتفل ويجن اعجابا بهذه الاصوات ودراسة لها وصلاة بها · لن يضيره او يعوقه او يؤخره ذلك كما لن يضير او يعوق او يؤخر اي كائن مصوت ان يسمع اصوات نفسه او أصوات آبائه او تاريخه أو أصوات مصوتين اخرين ·· اي كما لن يضير او يؤخر او يعوق الحصان او الجمل او الذئب او الذباب ان يسمع صوت نفسه او اصوات آبائه او تاريخه ·· والعربي اذا قرأ تراثه او مهما قرأ تراثه فليس الا قارئا وسامعا ومتعلما اصواتا ، انه مصوت يقرأ عن مصوت آخر ، عن مصوت يعيش في قبور آبائه وفي نفسه ··

أما اذا تخطى الانسان العربي طور المصوت الى طور المتكلم فان قراءته لتراثه هذا وحفظه له واستماعه اليه لن يؤثر فيه تأثيرا رديئا او معوقا الا بقدر ما يؤثر في الانسان مثل هذا التأثير ان يستمع الى أصوات الكائنات المصوتة التي هي دون طور الانسان ، او الا بقدر ما يمكن ان يؤثر هذا التأثير في الانسان المتحضر البالغ طور الكلام أن يقرأ هذا التراث العربي بل وان يتدارسه ويقيم له المتاحف والمعارض ويوظف له الدارسين المتخصصين ...

هل يمكن ان يفقد العبقري عبقريته اذا قرأ لمن لا عبقرية لهم او ان يتراجع المتكلم عن طور المتكلم اذا قرأ لمن هو في طور المصوت ؟

واذا ظل الانسان العربي طويلا في طور المصوت دون ان يصعد الى طور المتكلم فليس السبب ولا بعض السبب ولا احد الاسباب قراءته لتراثه الصوتي او حفظه لـه او استماعه اليه او ايمانه واعجابه به ، بل كل اسباب بقائه في طور المصوت هـو عجزه الذاتي عن تخطي هـذا الطور الى طور المتكلم . كما ان اسباب بقاء الكائنات الاخرى المصوتة في طور التصويت هي عجزها الذاتي عن تجاوز هـذا الطور . وليست الاسباب انها تقرأ او تسمع او تحفظ او تقتني تراثـا صوتيا هو التراث الصوتي العربي او تراثا صوتيا يشبه التراث العربي ورثته هذه الكائنات عن آبائها وتاريخها كما ورث العرب تراثهم عن آبائهم وتاريخهم ..

ان قراءة الاصوات او الاشياء الرديئة لا تمنع ولا تعوق الصعود الى طور الكلام ولا تهبط بالموهبة كما ان رؤية الكائنات المصوتة او الدميمة او الرديئة لن تجعل ذات الرائي لها ذاتا مصوتة فقط أو ذاتا رديئة او دميمة ما لم تكن هي كذلك . ان الدميم ليس دميما لانـه رأى كائنا دميما كما ان الغبي ليس غبيا لانه قرأ لغبي او لانـه رأى او عايش غبيا . ان الهة هـذا الكون لم تصبح فظة وعدوانية وعابثة لانها قرأت او رأت او سمعت من هم كذلك ...

كذلك فان قراءة المصوت للكلام وللاشياء الجيدة لن تنقله الى طـور الكلام وطور المتكلم ولن تجعله شيئا جيدا ، كما ان الرؤية للكائنات المتكلمة او للكائنات الجيدة والجميلة لن تصوغ ذات الرائي لها ذاتا متكلمة او ذاتا جيدة او جميلة اي لم تكن هي كذلك . ليت الرؤية للاشياء الجميلة والجيدة تجعل الرائي لها جميلا وجيدا . ولكن لا ، لان الرؤية حينئذ للاشياء الدميمة والرديئة ستجعل الرائي لها رديئا ودميما . ان الخسائر حينئذ ستكون اعظم من الارباح ..

ان الكائنات التي انتقلت الى طور المتكلم او طور المنتج للعبقرية ليس لانها قرأت كلام كائنات متكلمة وكائنات عبقرية ، ولا لانها رأت مثل هذه الكائنات . ان الاعضاء والنيات التي تعلمت القدرة على التعامل مع الشيطان والرغبة في هذا التعامل لم تتعلم هذه القدرة والرغبة لانها رأت او قرأت لاعضاء ونيات اخرى قد تعلمت ذلك قبلها ...

وان الكائنات التي لم تبلغ طور الكلام او طور المنتج للعبقرية ليس لانها لم تقرأ لكائنات متكلمة او لكائنات عبقرية ، وليس لانها لم تر مثل هذه الكائنات ، وليس كذلك لانها قد قرأت لكائنات لـم تبلغ طور الكلام او طور انتاج العبقرية ٠٠ ان الاعضاء العاجزة عن الاشتهاء او عن الاقتحام ليست عاجزة لانها قرأت عن اعضاء عاجزة او لاعضاء عاجزة ولا لانها رأت مثل هذه الاعضاء ٠٠

ان الانسان لم يصبح انسانا لانه قد قرأ لانسان قبله او لانه رأى انسانا اخر كان قبله ٠٠ وان الذئب او الجمل او البرغوث لم يظل ذئبا او جملا او برغوثا لانـه قد قرأ لذئب او لجمل او لبرغوث كان قبله ، او لانه قد رأى ذئبا او جملا او برغوثا كان قد جاء قبله ، ولا لانه لم يقرأ للانسان او ير الانسان ٠٠ ان الانسان لم يصبح انسانا بالتعليم او التقليد او القراءة او السماع او الرؤية ، وان الفأرة لم تصبح فأرة او تبقى فارة بشيء من ذلك ٠٠ ان نموذج الكائن وطاقته لا تصوغهما عيناه او اذناه ولكن نموذجه وطاقته هما اللذان يصوغان عينيه واذنيه ٠ ان شخصية الكائن او كينونته مختبئة فيه قبل ان يرى ويسمع ويعامل ٠

لن التراث العربي مهما كان تخلفه لن يكون مسؤولا عن تخلف الانسان العربي الا بقدر ما يمكن ان تكون آباء الجمل مسؤولة عن بقاء الجمل جملا ومصوتا كما يصوت الجمل لانه رأى آباءه الجمال وسمعها تصوت فقط ولم يسمعها تتكلم كالانسان ، ولم يرها كذلك في صورة الانسان ٠

ان المسؤول عن الانسان العربي وعن الجمل وعن كينونتهما هي خصائص ومواهب آبائهما لا رؤية هؤلاء الاباء ولا سماع أصواتهم ولا القراءة لهم ٠ لقد بقي الانسان العربي والجمل مصوتين فقط غير متكلمين ، لان خصائص ومواهب آبائهما انتقلت اليهما لا لانهما سمعا او رأيا آباءهما أو قرآ لهم او عنهم ٠٠

والخصائص او المواهب لا تكون ولا تعمل بالرؤية ولا بالقراءة ولا بالسماع ولكن تفعل ذلك بالقدرة وبالقوانين الذاتية والطبيعية ٠ وكذلك ايضا تورث وتنتقل اي المواهب والخصائص ٠٠

ان الكائنات تأخذ عن آبائها مواهبهم وقدراتهم وكل احتمالاتهم الذاتية حتى ولو لم ترهم او تسمعهم ، ولكنها لا تأخذ عنهم شيئا من ذلك بالرؤية ولا بالسماع ولا بالقراءة او التعليم ٠٠ انها اي الكائنات تأخذ عنهم اي عن آبائها التعبير عن القدرة والموهبة والاحتمال بالتعليم والسماع والرؤية ولكنها لا تأخذ عنهم بذلك نفس الموهبة او القدرة او الاحتمال ٠٠ ان الموهبة والاحتمال والقدرة تؤخذ بالاسلوب او بالقانون الذي ياخذ به الغصن او البذرة من الشجرة او الثمرة او النبتة اشكالها وألوانها وطعومها وانتماءاتها النسبية ٠٠

ان الانسان يتعلم اللغة وللكلام وانواع التعبير بالسماع والرؤية والتعليـم ولكنه لا يمكن ان يتعلم نفس القدرة او الموهبة التي تجعله قادرا على انيتكلم ويستعمل

اللغات ـ لا يمكن ان يتعلم ذلك بالرؤية ولا بالسماع ولا بالقراءة ولا بأي شيء اخر • لا يمكن ذلك الا بقدر ما يمكن ان تتعلم الشجرة لونها وشكلها وحجمها وجنسيتها وكل خصائصها من ابائها بالرؤية أو القراءة أو السماع •••

والا بقدر ما يمكن ان يملك البرغوث موهبة القدرة على ان يكون كائنا متكلما بالتعليم او بالتحريض او بمعايشته لمن يملكون هذه الموهبة ••

لو أن انسانا ما او اي انسان عزل عن جميع البشر ساعة مجيئه فماذا يمكن ان يكـون ؟

انه حتما سيكون حينئذ بلا لغة ولا تعاليم ولا عقائد ، لا دينية ولا مذهبيـة ولا اخلاقية • اي سيكون بلا اي اسلوب من اساليب التلقين والتعبير • سيكون لغـة خرساء •• سيكون كتابا مكتوبا بلغة لم تقرأ ، مكتوبا بحروف صامتة • سيكون لغة لم تتعلم التعبير • ستعيش فيه مختبئة جميع مواهبه واحتمالاته الذاتية التي كان محتوما او ممكنا ان تتفجر تحت الظروف الملائمة او الملزمة او المحرضة • حتما ستعيش فيه جميع طاقاته صامتة • أليست اكثر الطاقات طاقات صامتة ؟ اليس كل شيء مهما كان لا بد ان تعيش فيه طاقات صامتة ؟

ستعيش فيه بلا اي نقصان موهبة اللغة واية موهبة اخرى كانت في ذاته •• فنية او فكرية او اخلاقية او انسانية او من اي نوع • انــه سيكون لغويا وان لم ينطق بأية لغة • وسيكون شاعرا او رساما او قصاصا او مفكرا او مخترعا وان لم يقل او يكتب او يفعل او يعط اي شيء •• سيكون ايضا مؤمنا ومذهبيا ومصليا ومعتقـدا ومخدوعا وخادعا وكاذبا ومكذوبا عليه ومقتنعا بالخرافات والاشاعات وهاتفا للطغاة والقتلة والغزاة والدجالين ـ اي سيكون كل ذلك بالاحتمال والامكان وبالقـدرة والانتظار • سيكون كالسلاح المغمد او كالمنجم المتوقف عن العمل • سيكون كالحبل الذي لم يولد او كالحبلى التي لم تجد مكان الولادة او اجهزة التوليد • اليس اكثر انواع الحبل هو الحبل الذي لا يتحول الى ولادة ؟

ولكن هذه الاحتمالات والقدرات والمواهب قد تفقد او تعجز • لانها قد تصاب بالاسترخاء او بالشلل او الضمور او الشيخوخة او الهزيمة الحادة او بالتعود الطويل على الصمت او بفساد مكانها او عضوها او جهازها او بفقدانها للحماس وللرغبة في المقاومة والانطلاق والاقتحام ••

نعم ، ان هذه الامكانات والاستعدادات الذاتية قد تفقد نفسها او تصاب بالضعف الشديد وبالعجز عن ان تتحول الى ولادة ، ليس لانها لم توجد او تورث او تتخلق ، وليس كذلك لانها لم تر او تسمع او تقرأ او تعلم او تحرض ، بل لانها لـم تعمل ولم تتعامل حتى ماتت او وهنت او ضمرت جدا بالتقادم والشيخوخة وبفوات الاوان وبضعف الجهاز ، كما تضعف او تعقم او تموت او تتوقف عن العطاء جميع الكائنات الحية بالتقادم وبتخطي السن الملائمة او الموسم الملائم • هل يوجد شيء لا يؤثر فيه

تقادم السن او اختلاف السن ؟ او هل يمكن ان يوجد شيء يعيش كل حياته في عمر واحد لا تتفاوت فصوله ولا هطول امطاره ؟

الا تكون هناك اعمار مختلفة او فصول متفاوتة في قدرة موهبة الانسان وقواه واحتمالاته ، في قدرتها على التفجر والنشاط والتحدي والانتصار ، كالاعمار والفصول المختلفة والمتفاوتة في قدرة كل الكائنات على الكينونة وعلى الحياة وعلى الولادة ؟

اليس لانبعاث المواهب أعمار محسوبة ومحكومة بأعمار الموهوبين ؟

الا يكون هناك عمر او فصل هو اكثر الاعمار او الفصول ملاءمة لانطلاق موهبة التفكير او الرسم او الشعر او الغناء او الابتكار والاكتشاف والرؤية ·· فاذا مر هذا العمر او الفصل دون ان تجد هذه الموهبة الظروف التي تأذن لها بالانطلاق والعمل او تلائم انطلاقها وعملها ضعفت قدرتها على ان تنطلق وتعمل ، بل وضعف ايضا حماسها وتطلعها وكل معاني الطموح فيها ؟

الا تكون السنة الثانية وما حولها من عمر الانسان اكثر ملاءمة له من السنة الثلاثين من عمره لكي يلتقط اللغة من اهله ومجتمعه بالسماع والمحاكاة ؟ اذن فلو عزل اي انسان ساعة ولادته عن كل الناس فبقي بلا لغة الى سنه الثلاثين لكان في هذه السن وما بعدها اعجز عن اخذه اللغة بالسماع والمحاكاة ــ اعجز منه لو انه استطاع اخذها في سنيه الاولى ؟ ·

قد يكون ذلك كذلك · انه احتمال ، احتمال فقط ولا اقوله عن تجربة · كذلك قد يكتشف انسان نظرية جديدة او يبتكر شيئا جيدا في العشرينات او الثلاثينات من عمره ولكنه قد يعجز عن ذلك في الخمسينات او الستينات من عمره · ومعنى هذا ان الظروف والاحداث لو انها منعت هذا الانسان ان يحاول في الفترة الاولى من عمره ثم واتته اي الظروف والاحداث في الفترة الثانية لما اكتشف اكتشافه ولما انجز ابتكاره ولبدا وكأنه عاجز بموهبته عن ان يفعل ما فعل · انها افتراضات ، افتراضات فقط · اليست جميع الولادات تخضع لاوقات معينة وهذه ولادة ؟

اذن فموهبة الانسان وقدرته وكل امكاناته تكون او لا تكون ، تكون هذا او هذا ، هذا المستوى او ذاك بالقوانين الذاتية والطبيعية لا بالسماع ولا بالرؤية ولا بالقراءة ولا بالتحريض ··

ان مواهبه وكل طاقاته وخصائصه تتخلق فيه وتنتقل اليه وتظل مختبئة او متفجرة مقتحمة بالاسلوب او القانون الذي به تتخلق وتنتقل وتبقى وتختبىء وتتفجر وتقتحم طاقة حبة القمح او غير القمح ··

فهل طاقة الحبة تكون او لا تكون ، تتفجر او تظل خاملة خامدة لانها قرأت او رأت او سمعت شيئا جيدا او شيئا رديئا مناقضا او لانها لم تقرأ او تر او تسمع شيئا ؟ هل القراءة او السماع او الرؤية او الحرمان من القراءة او السماع او الرؤية مهما كان نوعها يهب الحبة شيئا او يأخذ منها شيئا ؟

ولو تحولت حبة القمح الى قارئة وسامعة ورائية بل ومؤمنة فرأت وقرأت وسمعت اي شيء وكل شيء فهل يمكن ان تتغير طاقتها قوة او ضعفا ؟

أليس الانسان مثل الحبة حتما في ذلك ؟ انه يأخذ من ظروفه وعنها بقدر طاقته، وكذلك تفعل حبة القمح ويفعل كل شيء حي وغير حي ٠٠

اذن فعزل الانسان عن ظروفه يعني شيئين : يعني وجود وبقاء طاقاته فيه ، ثم يعني بقاءها حبلا لا ولادة وصمتا لا تعبيرا ٠ أليست جميع اللغات مثلا موجودة في كل انسان ولكن وجودها فيه قد يكون وجودا صامتا ؟ وليس كذلك من هو دون الانسان ٠

اما وضع الكائن في ظروف اكبر من موهبته فلن تصنع له هذه الظروف موهبة متكافئة معها اي لن تهبه او تعيره او تزور له موهبة اكبر من موهبته ليكون ندا لها اي للظروف التي هي اكبر منه بالامكان والاستعداد ٠ انها لن تستطيع ذلك ولعلها ايضا لن تريده ٠ ولعلها لن تقاسي او تحزن لانها لن تستطيعه ٠٠ اذا عاش الصرصار او الذباب مثلا بين البشر ومعهم ، يراهم ويسمعهم ويمارسهم كل انواع واساليب الممارسات ، ويمارسونه هم كل هذه الممارسات ويقرؤون ويصوتون ويصلون ويتكلمون ويؤمنون وينافقون ويكذبون ويتخادعون امامه وفوقه وفي اذنيه وعينيه فهل يمكن ان يصبح مثلهم : يتكلم لغة ويؤمن بآلهة وبانبياء وبطغاة وزعماء ودجالين ، وبمذاهب وعقائد ونظريات وقوميات ، يتعصب ويعادي ويبغض ويحقد ويشتم ويكذب ويزور ويسرق ويخدع ويقتل ويقاتل باسمها وبإسمهم وبحجة الدفاع عنها وعنهم والانتصار لها ولهم ، ويشيد من اجلها المنابر والمحاريب ويكتب وينزل على السنتها الالواح والاسفار والسور والايات ليزداد جنونا وعارا وافتضاحا وصراخا كما يصنعون هم ؟ لو ان اي ذباب او صرصار ظل يسمع ويقرأ ويحفظ في كل حياته جميع قصائد النفاق التي قالها العرب في كل تاريخهم فهل يمكن ان يتحول ذلك الذباب او الصرصار الى منافق وان ينشد قصيدة واحدة من امثال هذه القصائد العربية الخالدة ؟

اذن لا خوف على الانسان العربي من ان يظل يقرأ ويسمع ويحفظ تراثه الصوتي الا بمقدار ما يمكن الخوف على الذباب او الصرصار ان يصبح متعصبا وحاقدا ومعاديا وشاتما ومهددا ومعيرا ومبارزا ومباهيا وقاتلا مقاتلا باسم الالهة والانبياء والاديان والمذاهب والنظريات والقوميات والاوطان وباسم الحق والصدق والغيرة والإخلاص والمحافظة على الكرامة ، او ان يصبح اي الذباب او الصرصار يتكلم لغة من اللغات ليحولها الى اسلحة من السباب والبذاءات والوقاحات ومن العدوان على الحياء والتهذيب والحب والرصانة والذكاء ، أو أن يصبح شاعرا منافقا مفتضحا فضاحا كاحد شعراء العروبة العظام ، أو يصبح اي الذباب او الصرصار زعيما عربيا يخطب واعدا متوعدا محاربا منتصرا متفوقا على جميع السفهاء والاغبياء في سفاهاته وغباواته ودعاواه ٠

نعم ، الا بمقدار ما يمكن الخوف على الذباب او الصرصار ان يصبح كذلك لو انه عايش البشر وساكنهم وضاجعهم وتعذب طويلا برؤيتهم وبالاستماع اليهم وهم يقرؤون ويصلون ويهتفون ويخطبون ويصرخون وينافقون لاربابهم وانبيائهم ولطغاتهم ولقادتهم القتلة الاغبياء ، ولاكاذيبهم وبلاداتهم واحقادهم ولحروبهم وخصوماتهم وعداواتهم التاريخية والدينية والمذهبية والوطنية والقومية ومن كل جنسية وبلا اية جنسية ٠ ولكن الا يستحق الرثاء ، الرثاء لعينيه ولاذنيه ولذكائه وكرامته ولوقاره اي كائن اخر يعايش البشر او يطل من بعيد عليهم فيراهم ويسمعهم ويمارسون كل ذلك بالاسلوب الذي يمارسونه به ؟ أليس في ذلك اشد التعذيب والترويع لذلك الكائن بل والعدوان عليه ؟

**
*

اجل ، انه لا خوف على الانسان العربي من ان يظل يقرأ ويحفظ بل ويقدس تراثه ، ولكن الخوف عليه من ان يظل عاجزا عن امتلاك الطاقة او الموهبة التي تجعله يتخطى هذا التراث كما انه لا خوف على الكائن النابح أو الناهق أو الراغي من ان يظل يسمع ويرى ويعايش النابحات او الناهقات او الراغيات لافتراض ان ذلك سوفه يجعله دائما في طور النابح او الناهق او الراغي ، عاجزا عن تجاوز هذا الطور ٠٠ ولكن الخوف عليه من ان يظل بلا موهبة تجعله يتخطى هذا الطور ، طور النباح والنهيق والرغاء ٠٠

ولا بد ان يتخطى الانسان العربي تراثه حينما تتخلق فيه الموهبة والطاقة التي تجعله يستطيع تخطيه ، لا حينما يمنع او يمتنع من قراءة هذا التراث ومن الاستماع اليه او الاحترام والتمجيد له ٠ كما ان الكائن الناهق او النابح او الراغي سيتخطى حتما طوره هذا حينما تتكون فيه الطاقة التي تهبه القدرة على هذا التخطي ، لا حينما يحال بينه وبين الكائنات المصوتات مثل تصويته ٠

وهذه الموهبة او الطاقة التي تصنع التخطي او القدرة عليه تتخلق في الانسان وفي الكائن الذي هو دون الانسان كما يتخلق فيه جسمه واعضاؤه ولونه وحدوده الذاتية ، ولا يتعلمها اي لا يتعلم هذه الطاقة او الموهبة كما يتعلم اللغة او الدين او المذهب او القومية او التعصب او السباب والبغضاء للمخالفين او للاخرين او الهتاف للطغاة وللقادة القتلة المجانين ، او الايمان بالمحتلمين المهددين بالالهة وبالابالسة والملائكة وباوقح الاشباح وحشية وتشوها وقبحا وطلعة ووجوها ، وبالجحيم عقابا او ثوابا او اصلاحا او تصحيحا لمن لم يستطع ان يجد في اعتى واقبح وانذل العاهات والتشوهات والالام والدمامات والتفاهات والحشرات انبل واتقى وارحم واجمل واذكى الالهة واعمقها شاعرية وموسيقية واخلاقية وفنية وانسانية وعبقرية ٠

هل وجد او هل يمكن ان يوجد ابشع احلاما واحتلاما ممن احتلموا ويحتلمون بمثل هذه الالهة المحتلمة بكل هذه الدمامات والوحشيات ؟

ان الذين يحسبون ان الموهبة او القدرة تخلق او تتخلق بالرؤية او السماع او القراءة او التلقين او التعليم هم كالذين يرون ان الاعضاء وصفاتها وصفات ابدانها تكون او تصاغ بمثل ذلك اي بالرؤية والسماع والقراءة والتعليم والتلقين ..

وان الذين يحسبون ان القراءة او السماع او الرؤية للاشياء الجيدة او للاشياء الرديئة تحول او تغير الى الافضل او الى الاردأ ، هم كالذين يحسبون أن الاعضاء والابدان والالوان انما تخلق أو تتخلق بذلك اي بالقراءة والرؤية والسماع والتلقين والتعليم .

والظروف المواتية ويراد بها كل اساليب التعليم والتلقين والتحريض والتوظيف والالزام والاعجاب وكذلك الرؤية والسماع والمعايشة والمواطنة وكذا الاثابة والتمكين والتسهيل والاقتداء .

نعم ، الظروف المواتية وهي هذه البيئة النفسية والعقلية والحضارية والاجتماعية الواسعة ، قيمتها انها تأذن للموهبة او للطاقة الموجودة الساكنة الصامتة بان تتفجر وتتحرك وتتحول الى نشاط والى تعبيرات مختلفة ومتفاوتة ، وتساعدها على ان تكون كل احتمالاتها وصيغها التي تقدر وتريد ان تكونها ، ولكنها اي الظروف المواتية لا تخلق او تحدد الموهبة او الطاقة في الذات ، بل ولا تهبها شيئا من المقادير او الجودة .. انها تفجر الشيء الموجود وتستخرجه او تسمح له وتساعده على ان يفعل ذلك ، ولكنها لا توجده . ان هذا ، اي تفجير الشيء الموجود واخراجه وصياغته هو كل عمل الحضارة والتحضير .. ان الحضارة لا توجد ولكنها تخرج وتصوغ وتفجر وتحول . انها كالصائغ او الحداد أو النجار الذي يصوغ الموجود ولا يوجده .

ان مثيل ذلك الطاقات والمعادن المدفونة في الطبيعة . ان الانسان يستخرج النفط وغيره ثم يحول الطاقة المخزونة فيه الى حياة ورخاء وقوة . ولكنه اي الانسان لا يستطيع ان يوجد النفط او ان يزيد من مقاديره ، ولو اوجده لاوجده من طاقة اخرى ، من طاقة موجودة ايضا لا يستطيع ان يوجدها هو اي من غير شيء او من غير طاقة اخرى . وهو في تحويله لطاقة النفط المخبوءة فيه لايستطيع ان يزيد في مقادير هذه الطاقة وانما يستطيع ان يستغلها استغلالا كاملا أو غير كامل بالمستوى الذي تستطيعه اساليبه ووسائله واجهزته . لقد فجر الانسان المتحضر طاقات النفط العربي وحوله الى مجد للحضارة ، فلماذا لم يفعل بالانسان العربي كذلك . هل عجز أو لم يرد ، أو لم يجد فيه شيئا يفجره ويحوله .

ان اية حبة او بذرة أو جذع شجرة او نبتة حينما تستنب في بيئتها وتحت ظروفها الملائمة لن تستطيع ان تكون او تعطي اكثر من طاقتها الذاتية والنوعية والسلالية او غير هذه الطاقة المحبوسة في ذاتها ونوعها وسلالتها . نعم ، لا غيرها ولا اكثر منها ..

نعم ، انها قد تعطي بل انها حتما تعطي غير ذلك واكثر من ذلك ولكن بان تضاف اليها وتدخل فيها باسلوب علمي مادي طاقات اخرى مادية ٠٠ ان اي تغيير في الطبيعة او في الاشياء نوعا او مقدارا لا يمكن ان يكون الابتغيير مادي باسلوب مادي ٠ بإضافات مادية تؤدي بوسائل مادية ٠

وقد يشبه ذلك بالنسبة للانسان ان ينقل مخ او عضو او قلب عبقري او ذات عبقرية الى ذات انسان اخر ، او ان يحدث فيها اي في ذات الانسان اية تغييرات ذاتية ومادية اخرى لتتحول فيها الى طاقات ومواهب ذاتية مادية ٠

وهل يمكن ان تحدث اية تغييرات مادية في ذات الانسان حتى في طاقته العقليــة أو العصبية أو الروحية الا بوسائل مادية ؟

انه لو جمعت جميع المخصبات قي الطبيعة ثم وضعت باقوى اساليب الاغراء امام شجرة او نبتة أو أمام أحد المروج ثم حدث بكل اللغات وبكل اساليب البلاغة عن قيمة هذه المخصبات وعن منافعها الاسطورية لهذه الشجرة ولهذه النبتة ولهذا المرج ثم وعظت وهددت هذه الشجرة وهذا المرج وهذه النبتة بكل مواعظ وتهديدات كل الانبياء والقديسين والواعظين في كلّ التاريخ بان عليها اي على هذه الشجرة والمرج والنبتة ان تكون قوية ومثمرة وجميلة وكبيرة بقدر ما في هذه المخصبات من قدرة على ان تصنع لها وفيها ذلك والا فلا بد أن تعاقب اي الشجرة والمرج والنبتة بكل العقوبات التي اعدها واوعد بها الالهة والانبياء كل من لم يروا جمال الاله ورحمته وعدلــه وحبه وشاعريته وذكاءه وعبقريته كلما رأوا تشويها او عاهة او شيخوخة او مرضا او موتا او جوعا او ظلما او طغيانا أو خرابا أو حربا أو وباء أو حاكما عربيا يخطب ويهدد او مفكرا عربيا يفكر ٠

اليس المفكر العربي حينما يفكر والحاكم العربي حينما يخطب ويهدد يتحــولان الى افظع أساليب التشويه والتقبيح لكل ما في الحياة من قيم وأشياء ؟

نعم ، انْ كل ذلك لو حدث ولكن بدون ان تدخل هذه المخصبات بوسيلة مادية في ذات الشجرة او المرج أو النبتة لما كان ممكنا ان يتغير النماء او الجمال او اللون او الحجم الا بقدر ما هو محتوم او ممكن ان يصبح اغبى الناس واتفههم هو اذكي الناس واعظمهم عبقرية بدون اي تغيير مادي في ذاته ، في اجهزة الذكاء والغباء والتفاهة والعبقرية ٠٠ في اعضاء العقل والنفس والانفعال والقبول والرفض والتحدي والعصيان والاستسلام والقدرة والعجز فيه ٠

نعم ، بدون اي تغيير مادي بوسائل مادية في هذه الاجهزة الذاتية الماديــــه ، بل يصبح أي أغبى الناس واتفههم هو أذكاهم وأعظمهم عبقرية لانه فقط سمع أو آمن أن الاديان أو المذاهب أو الاخلاق أو الوطنية أو الانسانية أو الحضارة توجب بان يكون الانسان كذلك ، اي اذكى الناس واعظمهم عبقرية ، وتلعن وتحتقر وتعاقب من لم يكن كذلك ٠٠

ـ او لانه قد جمع في بيته كل الكتب الذكية والعبقرية ··

ـ او لانه قد قرأ كل الكتب الذكية والعبقرية اوسمعها تقرأ ··

ـ او لان جميع العباقرة والاذكياء قد زاروه في بيته وسمعهم يتحدثون بكل اساليب الذكاء والعبقرية ، وكتبوا اهداءهم له على جميع كتبهم ··

ـ او لان جميع هؤلاء الاذكياء والعباقرة قد صافحوه او صافحهم او لمسهم ولمسوه او لانه وضع يده على مكان الذكاء والعبقرية فيهم ، او لانهم قد وضعوا ايديهم على مكان الغباء والتفاهة فيه ·

نعم ، أو الا بقدر ما هو ممكن أو محتوم أن يصبح اي حاكم أو زعيم عربي حكيما او فيلسوفا او عالما او مهذبا او متحضرا او صادقا او مخلصا او شجاعا او نظيف النية واللغة أو بريئا من الغيرة أو الحسد أو الانانية الهمجية ، أو أن يصبح منتصرا على الاعداء والتخلف والفساد او قائدا الى هذا الانتصار ـ نعم ، الا بقدر ما هو ممكن او محتوم ان يصبح اي زعيم او حاكم او قائد عربي كذلك لانه قد قرأ لكل زعماء وحكام وقادة العالم المخالفين المتجاوزين له بكل مزاياهم ، او لانه سمعهم يخطبون او يتكلمون ورآهم يفعلون بمستويات واساليب اخرى ، او لانهم جميعا زاروه او زارهم، أو لانهم استضافوه أو استضافهم، أو لانه اراد أن يتفوق عليهم وإن يتفرد دونهم بكل مجد التاريخ، أو لانه أي حاكم أو زعيم أو قائد عربي قد وجد كل أجهزة بلده، لانه قد فرض عليها ، وكل مفكري ومعلمي وكتاب وشعراء ووعاظ ومغني بلده ، بل وكل الكتب المقدسة في بلده وكل تفاسيرها وكل مفسريها ومعلميها وحفاظها ـ لانه وجد كل ذلك ليس الا تحديثا عن مجده وعبقريته وانتصاراته وعن عصمة ملابسه الداخلية من ان تصاب بالدرن أو بالعرق ، أو أن تصاب اي ملابسه الداخلية بأية حساسية أو باي شبق الى غير النبل والشهامة والتقوى او الى غير الحب للصدق والعدل والنظافة والحكمة والفلسفة والحقيقة والحضارة والتفكير الشجاع المقتحم ·· نعم ، ان هذه النبتة او المرج او الشجرة لن تستطيع ان تستفيد من هذه المخصبات بالنصائح والزواجر حتى ولو عرفت جميع اللغات الا اذا كان ممكنا ان يحدث ما لا يمكن ان يحدث ··

لو ان جميع نصوص وتفاسير العبقرية والحكمة والمنطق والحضارة قد كتبت على جلود وثياب حكام العرب وقادتهم وزعمائهم ومفكريهم وكتابهم ، او لو انهم ولدوا او عاشوا في كفالة وحضانة وبيوت جميع عباقرة وحكماء ومفكري ومنطقي وكتاب كل العالم الحضاري فهل يمكن ان يصاغوا اية صياغة افضل او اعظم ، اية صياغة جديدة غير صياغة التعبير ؟ اي هل يمكن ان تصبح طاقة عبقريتهم او حكمتهم او منطقهم او تفكيرهم او تحضرهم او مواجهتهم اكبر او انبل او اقوى او أتقى ؟

ان جميع حضارات البشر في كل التاريخ لو نقشت وطبعت على أكف وجباه وهامات حكام العرب وزعمائهم وقادتهم لما صنعت منهم متحضرين فكريا او اخلاقيا او عاطفيا او حتى لغويا او حتى في تحركات عضلاتهم ٠

حتى تحرك العضلات منها المتحضر ومنها الهمجي البدوي ٠ ما اوقح واقبح همجية العضلات حينما تعبر عن نفسها بالحركة او بالصمت ٠

ان الموهبة مستوى مادي مستوى اعضاء واجهزة مادية ٠ وانها لا يمكن تغييرها الا بعمليات مادية ، كالطبيعة وكالاجهزة العلمية ٠ ان الانسان العبقري هو انسان ذاته عبقرية لا لانه اراد ان يكون عبقريا ، واذا اراد ان يكون عبقريا فلانه عبقري الارادة لا لانه عبقري العظات والتعاليم ٠

ان الصوت في الطبيعة وفي الاشياء ليس الا تعبيرا عن مستوى مادي ، وهكذا صوت الانسان وهكذا تفكيره وذكاؤه وعبقريته ، بل وهكذا جميع انفعالاته واحاسيسه واستجاباته ٠ ان مستوى الرفض والتقبل والاحتجاج والاشمئزاز والحب والبغضاء والغضبوالتوتر والاسترخاء والاعجاب ـ ان مستوىكل ذلك ليسالا تعبيرا عن مستويات مادية ذاتية عضوية وكيمائية ٠

حتى القدرة على النوم والعجز عنه ، انها حالات مادية او تعبير عن حالات مادية ، بقدر ما نمو الشجرة وعجزها عن النمو ، وبقدر ما حالة الفيضان والزلزال والرعد والبرق والرياح حالات مادية وتعبير عن هذه الحالات المادية ٠٠ لماذا صوت هذا الانسان وانفعاله وتفكيره هكذا ٠٠٠ انه سؤال يساوي : لماذا صوت هذا الزلزال أو الرعد أو الفيضان وقوته هكذا ٠ أو لماذا جمال هذا الوجه او الجسم هكذا ٠

حتى ما يسمى بالامراض والانحرافات النفسية وكذا الصحة النفسية ، هل يمكن ان يكون ذلك الا مستوى ذات ، مستوى اعضاء واجهزة ذاتية ، تصنع حالات مادية ، تتحول الى تعبيرات نسميها مرضا او انحرافا نفسيا ، ونسميها في حالة اخرى صحة نفسية ؟

أليس الفرق بين حالة هذا الانسان النفسية والحالة النفسية لانسان اخر يساوي الفرق بين ذاتيهما ، بين ما في ذاتيهما من فروق عضوية وكيمائية وتكوينية ، اي من فروق مادية ؟ أليس اختلاف ذاتيهما في التعبير وفي الاستجابة ، او فيما يسمى حالة نفسية جيدة ومريحة وسوية او رديئة ومتعبة وشاذة ـ نعم ، أليس اختلاف ذاتيهما في هذا يساوي الاختلاف بين جهازين او بين اي وجودين ماديين من اي نوع ، من الكائنات الحية أو الجمادية ، في كينوناتهما المختلفة والمتفاوتة ، تعبيرا ومستوى ، جودة ورداءة ؟ أليست الفروق بين حالتيهما النفسية تساوي في اسبابها الفروق بين حالتيهما البدنية ؟

ان تورد الزهرة وشحوبها ، وان جودة الثمرة ورداءتها ، استواءها وتشوهها ليساوي منطقا وقانونا وتفسيرا ما ندعوه بحالة نفسية صحية سوية او د ـئة نفسية

مرضية • انه لا يمكن ان تكون حالة الانسان النفسية غير حالته البدنية او منفصلة عنها او محكومة بغيرها الا بقدر ما يمكن ان يكون توهج الزهرة او كآبتها ، واكتمال الثمرة أو نقصانها ، صحتها أو مرضها شيئا غير حالتها المادية ••

انه بقدر ما السرور والكآبة حالة عضويه وكيمائية اي حالة مادية فكذلك ما يدعي بالامراض النفسية او بالصحة النفسية ••

ان الانسان يكون ذكيا او غبيا ، قويا او ضعيفا ، نشيطا ومتوقدا ورافضا ومحتجا او خامدا مسترخيا مستسلما بالقانون والتفسير الذي تكون به الزهرة او الثمرة او الشجرة او النجمة او اللؤلؤة كبيرة وجميلة ومشرقة وجيدة او نقيض ذلك • ليس الانسان الا صيغا مادية تجيء تعبيرات مختلفة ومتفاوتة تساوي في اختلافهــا وتفاوتها تفاوت واختلاف صيغه المادية ••

ان موهبة الانسان العقلية او الفنية او الاخلاقية او العاطفية او النفسية لن تكون شيئا غير صيغة وجوده المادي او غير موهبة وجوده المادي ، وكذلك موهبته اللغوية او الصوتية الا بقدر ما يمكن ان يكون طعم الثمرة وحجمها او لون الزهرة وشذاها شيئا غير صيغة وجودها المادي • وان محاولة علاج الانسان مما ندعوه امراضا نفسية بوسائل غير مادية ليساوي محاولة علاج الثمرة او الشجرة الضعيفة او المريضة بوسائل ليست مادية اي بوسائل نفسية وايحائية ان الذين يحاولون معالجة البشر مما يدعونه بالامراض النفسية بالايحاء والتحليل النفسي او باي علاج غير مادي هم كالذين يحاولون ان يعالجوا الثمر او الشجر بنفس هذا العلاج ••

أليست معالجة ما يدعي امراضا نفسية بالايحاء والتطبيب النفسي تساوي معالجة مرض السرطان او القلب او السل بذلك ؟

اعني ان الانسان كسائر الكون الذي تخلق منه ليس الا حالة مادية تتحول الى تعبيرات مختلفة ، تتحول بقدر احتمالاتها وطاقاتها فقط •• تتحول الى ذكاء وعبقرية ونشاط وحماس وتفكير وفنون جيدة او تتحول الى نقيض ذلك اي الى غباء وتفاهة وخمول وتبلد والى عجز نفسي شامل • كما تتحول الى لغات واصوات ••

نعم ، ان اللغة ليست الا حالة مادية اي حالة مادية لذات ما • ان هذه الحالة المادية لهذه الذات اللغوية او الصوتية هي التي جعلت الذات تريد ان تكون ذاتا لغوية او صوتية وتستطيع ذلك • ان ارادة اللغة واستطاعتها لن تكونا الا حالة مادية •

ان اللغة ليست الا مستوى ذات تحولت الى ارادة والى قدرة • ان احدا ما لم يعلم الانسان ان يكون لغويا كما ان احدا لم يعلمه ان يكون ذاته ونموذجه •

ان الكائن دون الانسان لا يستطيع بكينونته الذاتية ان يكون لغويا ولم يــرد ان يكون ذلك • انه حتما لم تجتمع له القدرة على ذلك والارادة له كما اجتمعتا للانسان ••

ولا يمكن ان يجتمع له ذلك الا بكينونة ذاتية اخرى ملائمة · لماذا اصبح الانسان كائنا لغويا او عاطفيا او اخلاقيا او مفكرا دون الكائنات الاخرى حوله ؟ هل يمكن ان يكون لهذا تفسير غير الاختلاف في كينونة الذات ، ذات الانسان وذوات الكائنات الاخرى ؟ اي كينونة الذات المادية ؟

***

ولكن لو ان الانسان العربي فهم انه يوجد فرق بين التصويت والكلام او بين المصوت والمتكلم وفهم هذا الفرق ، ثم فهم انه هو في طور المصوت لا المتكلم وان تراثه كله ليس الا اصواتا حسبت كلاما بل حسبت اعظم كلام ، حسبت كلام الهة وانبياء وسموات وكائنات تسكن السماء ـ لو ان الانسان العربي فهم كل ذلك فهل ينفعه فهمه هذا شيئا ؟ هل يجعله ينتقل من طوره الادنى الى الطور الاعلى اي من طور المصوت الى طور المتكلم ؟ هل يستطع ذلك ويتقبل دفع تكاليف الانتقال ويعرف كيف يفعل ذلك ؟ هل الذين يعرفون يفعلون ما يعرفون ؟ هل كل من يعرف يفعل كل ما يعرف ؟ هل يستطيع ذلك ويريده وينفذه ويعرف كيف ينفذه ويتقبل تحمل كل الام المقاساة ، مقاساة التنفيذ ؟

اليست مشكلة التنفيذ ، ارادته والقدرة عليه وتقبل دفع الثمن هي دائما اعصى واصعب من مشكلة المعرفة ؟

هل الذي يعرف انه سخيف او بليد او مشوه او مذنب او لص او ظالم او جاهل او عاجز او قصير القامة أو اسود اللون محتوم ان يتحول الى نقيض ذلك ، اي محتوم ان يريد هذا التحول وان يستطيعه وان يعرف كيف ينفذه وان يقدم على دفع كل الثمن المطلوب لعملية التحول هذه ؟

هل يمكن ان يوجد اي انسان أو اي مجتمع أو أن يوجد كما وجد أو أن يوجد أو يبقى اي شيء لو كانت المعرفة تعني التنفيذ والالتزام ·

اليس طور الكينونة الاعلى اكثر تعذيبا واقسى تكاليف ؟ أليس الطور الاقل او الادنى اقل اشتراطا والزاما وتكليفا واكثر اعفاء ومحاباة وصفحا ؟

اليس طور الكلام اقسى من طور التصويت ؟ اليس المتكلم يقاسي ويلتزم ويحاذر ويحاكم نفسه اكثر واعنف ؟ أليس طور الكلام توريطا وتكليفا وليس محاباة وتدليلا؟ المتكلم يواجه ويحدق ويسائل ويحاسب ويخطط ويقاضي ويحكم اما المصوت فيستفرغ ويبصق · فأيهما اشد مقاساة او ايهما الذي يقاسي ؟

اذن هل يقبل الكائن المصوت ان يصبح كائنا متكلما اي اذا كان الموقف خيارا ؟ هل يتقبل النابح او الراغي او الثاغي او الناهق ان يصبح متكلما لو وضع في موقف المخير وعرف معنى ان يكون متكلما اي وعرف التزامات ذلك وشروطه ومقاساته ومخاطره وهمومه ؟

اذن هل يقبل الانسان العربي وهو كائن مصوت ان يتحول الى كائن متكلم ، اي لو انه كان في موقف من يختار وعرف كل الالتزامات والشروط التي تفرض او التي تقع على من اصبح كائنا متكلما ؟

هل يمكن ان يكون الانسان العربي معاديا لنفسه أو هاويا للعذاب وللالتزامات والشروط الباهظة، او ان يكون فاديا او بطلا بلا نموذج او قياس لكي يتقبل ان ينتقل من طور التصويت ، من الطور الذي يهبه القدرة والجرأة بل والمباهاة والنشوة على ان يقف فوق اي منبر وكل منبر واعلى منبر ، وفي كل ناد واي ناد واكبر واصغر ناد ، وفوق كل جبل وداخل كل مغارة من جبال ومغارات الوحي وتلقي الالواح وانتظار الملاك الزائر القادم من فوق ومن تحت عروش الالهة ومجالس الالهة ٠

نعم ، من الطور الذي يهبه القدرة والجرأة على ان يقف فوق كل هذه المنابر والنوادي والجبال والمغارات وفيها وداخلها لكي يصوت ويصرخ ، فقط يصوت ويصرخ بكل موهبة وشهوة التصويت والصراخ فيه ، يصوت ويصرخ على كل الاتجاهات، وعلى كل الاشياء والقضايا والمواقف ، وعلى كل الاعداء والاصدقاء ، بلا اي قيد او شرط من قيود او شروط الكلام او من محاذره او مخاطره او وقاره ، ثم ليتحول تصويته وصراخه الى اعظم واخلد واذكى واتقى النبوات والاديان والكتب المقدسة المنزلة المعجزة ، والى اعظم واخلد واقوى التعاليم والبلاغة والفنون والشعر والمواهب الانسانية التي يجب ان تركع لها وتتعلم منها كل مواهب الانسان في كل اطواره وتاريخه ومجتمعاته ؟ اجل ، اليس الانسان العربي ، لانه مصوت لا متكلم ، يفعل كل ذلك بكل البرود النفسي والاخلاقي والعقلي بل بكل حماس ونزق النشوة والغرور والمباهاة وبكل الرغبة الاعلانية ؟

هل يتقبل الانسان العربي ان يتخطى هذا الطور الذي يملك فيه كل النشوة والقدرة والجرأة على ان يذهب يستفرغ ويبصق تفاهاته وبداواته وجهالاته واحقاده وهمومه وعجزه وجوعه ووقاحته على كل شيء وعلى كل احد بصراخ واعلان وتطاول وكبرياء ومبارزة وغرور بذيء ، بذيء ليصبح اعظم اله أو أعظم نبي أو أعظم حكيم او اعظم فيلسوف او اعظم شاعر او اعظم كاتب ؟

نعم ، هل يقبل الانسان العربي ان يتخطى هذا الطور الذي يهبه كل هذه المكانة الضخمة وكل هذه الحظوظ الاسطورية بلا اي ثمن او نضال او موهبة غير ان يستفرغ ويبصق عفوناته بلا اي حسابات او قيود او شروط ـ ان يتخطاه الى طور الكلام الذي معناه كل القيود واقسى القيود العقلية والفكرية والعلمية والثقافية والاخلاقية والانسانية والنفسية والتاريخية ٠

الذي معناه كل الرؤية والمواجهة والمحاسبة والمحاكمة والمحاذرة والمخاطرة ، وكل الفهم والعمق والصدق والتهذيب والاخلاص ونبل الاخلاق والالتزام بل وكل الموهبة والقدرة والاحساس بالمسؤولية ـ الذي معناه كل ذلك ولو افتراضا واملا وتعليما

ومحاولة ، دون ان تكون الحظوظ او المكانــة اسطورية كحظوظ ومكانة التصويت والمصوت ، بل ودون ان تكون الحظوظ او المكانة مضمونة ؟ نعم ، ان طور الكلام ضخامة تكاليف والتزامات وضآلة حظوظ ٠ اما طور التصويت فأعظم واكثر الحظوظ دون اي التزامات او تكاليف ٠

اذن هل كانت الطبيعة او الاقدار او الالهة محابية للانسان العربي ام معاقبة له متحاملة عليه حينما جعلته مصوتا لا متكلما ؟ هل الذي يختارنا للاقسى الاقوى الاكبر لا للاسهل لاضعف الاصغر يحابينا ويحبنا ام هو يعادينا ويكرهنا ؟ هــل الافضل والانفع او الاتقي لك ان تكون الها في ضخامة الاله وضخامة تكاليفه والتزاماته ام ان تكون ذبابا ، في ضآلة الذباب وضآلة تكاليفه والتزاماته بل ومع ضخامة حظوظه ؟ اليست حظوظ الذباب ضخمة ؟

اذن فالانسان العربي لن ينتقل من طور المصوت الى طور المتكلم لو انه فهم ان بين التصويت والكلام فروقا وفهم هذه الفروق ، ثم فهم انه هو مصوت لا متكلم ٠٠ لن ينتقل لانه لن يستطيع ، ولانه غالبا او حتما لن يقبل دفع ثمن الانتقال ، ولانه غالبا او حتما لن يريد ان يتحقق هذا الانتقال من الراحة العظمى ومن الحظوظ والمكانة العظمى الى المقاساة العظمى دون حظوظ او مكانة عظمى ٠ كيف يقبل ان ينتقل من مصوت يستفرغ نفسه على كل شيء بلا اي قيد الى متكلم مقيد بكل قيود العقل والذكاء والصدق والرؤية والمحاسبة والقراءة لكل شيء ؟

لكن لو انه اي الانسان العربي فهم ذلك اي فهم أن بين التصويت والكلام فروقا وفهم هذه الفروق ، وفهم انه هو مصوت لا متكلم ، الا يحتمل ان يكون ذلك نافعا باسلوب ما او بتفسير ما ؟

ألا يكون فهمه هذا نافعا مع انه لن يجعله ينتقل من مصوت الى متكلم ؟

وكيف يمكن حينئذ ان يكون هذا النفع ؟ انه لن يستطيع ان يصمت وان يصبح اخرس حتى ولو اراد او تمنى وحاول ان يصبح كذلك لن يستطيع ان يكف عــن استفراغ او عن افراز الفضلات والعفونات ٠ وهل يوجد من لا تزدحم ذاته بالفضلات وللعفونات المحتاجة الى ان تستفرغ ويلقي بها ؟

ان كل النفوس حتى ازكاها واسماها لمحتاجة الى اجهزة تفريغ واستفــراغ والى عمليات استفراغية تفريغية مثل النفوس الاخرى ٠

ان الحياة بكل اساليبها ومستوياتها ليست الا عمليات استفراغية ٠ ان الاختلاف ليس الا في اساليب هذه العمليات الاستفراغية لا في الحاجة اليها ولا في الالتزام بها ٠

انه لا شيء في الانسان بلا استفراغ بل لا شيء فيه ليس استفراغا حتى النضال والعمل والعبقرية والتفكير والحرب والانتصار والموت والقتل والتغذي وممارســة المسرات واللذات ، حتى ذلك كله ليس الا عمليات استفراغية كالصلاة وسائر العبادات المختلفة وكالسباب والحقد والغضب والبكاء وكالتقايؤ وكانفجار الخراج وكالذهاب

الى المعبد العالمي الموجود في كل بيت متحضر والموجود حول كل بيت غير متحضر وحول كل خيمة غير متحضرة أو متحضرة هل عرفت هذا المعبد ؟ انه لا يوجد معبد لتفريغ الذات من شحناتها الاليمة البذيئة انفع ولا اتقى من هذا. المعبد الموجود في كل بيت متحضر بل وغير متحضر من هذا المعبد الذي لا بد ان يصلي ويستفرغ كل انسان فيه حتى من لا يؤمن بأي اله أو دين ٠

ان الانسان لا يستطيع ان يعيش على اسلوب واحد من اساليب الاستفراغ ولا على اساليب محددة معدودة ٠ انه مهما استغنى عن بعض الاساليب الاستفراغية او مهما استبدل اساليب باساليب فان هنالك اساليب لا يمكن الاستغناء عنها ولا الاستبدال بها ٠٠٠

ان الاستفراغ او القذف او الافراز او التقيؤ بالتصويت هو اكثر الاساليب الاستفراغية عالمية وشمولا ٠ انه اسلوب اكثر من عالمي ٠ انه اكثر من بشري ٠

ان الاستفراغ بالتصويت او بالاصوات ليس اسلوب البشر وحدهم ٠٠ ان الحيوانات والحشرات تشارك البشر في هذه الموهبة الاستفراغية ٠ وليست الحيوانات والحشرات والبشر هم وهي وحدهم ووحدها المستفرغين والمستفرغة بالاصوات والتصويت بل والطبيعة الجمادية تشارك في ذلك ، بل ولعلها احيانا تتفوق في هذه الموهبة او الضرورة ٠٠٠

هل في الطبيعة الجامدة والميتة شيء لا يصوت ؟ وهل تصويت الطبيعة الا اسلوب من اساليب الاستفراغ والتفريغ ؟

حتى الذين يمارسون ويجيدون اعظم الاساليب الاستفراغية لا يستطيعون الكف عن الاستفراغ او عن التفريغ بالتصويت ٠ فالذين يفكرون ويفهمون ويبدعون ويبتكرون ويناضلون وينتصرون ويعملون الاعمال العظيمة القوية ويعيشون كل اللذات والمسرات ويحلقون في كل الافاق باقوى الاجنحة والمحركات ـ وهذه كلها اساليب استفراغية وتفريغية ٠

نعم ، فالذين يفعلون كل ذلك بتجويد وتفوق يظلون ايضا محتاجين الى عمليات التفريغ والاستفراغ بالتصويت مهما اختلفت اساليب وصيغ التصويت ٠ لانه لا شيء يستطيع ان يصبح بديلا كاملا عن التصويت ، عن هذه الضرورة والموهبة او الخطة الكونية ٠٠

لانه لا شيء ولا احد يستطيع ان يكون غير مصوت ، يستطيع ان يعيش حياته او وجوده بصمت شامل ابدي ٠٠

ان الكثير من الفنون العالمية كالغناء والموسيقى وكل اساليب العزف ، وكذا الكثير من الممارسات والطقوس الدينية ، كالهتاف بالالهة والمناشدة لها ، وكذا الكثير من المظاهرات الوطنية او القومية او التاريخية كالاناشيد والهتاف للوطن او للامة او

للشعب أو للزعيم أو للذكريات أو للتاريخ ، وكذا الكثير من الاحاديث والمحاورات والملاعنات والتهديدات والمصاهلات ·

نعم ، ان الكثير ، الكثير جدا من ذلك ليس سوى اساليب استفراغية وتفريغية بالتصويت· لان الكثير من ذلك لا يراد به معناه اللغوي البتة وانما يراد به الصوت فقط ، اي يراد به تفريغ النفس او استفراغها بهذه الوسيلة الصوتية · والذي يسمع الصوت هو احيانا مثل الذي يصوته · ان السماع تصويت بفم اخر ، او هو تصويت بالاذن · والناس يصوتون بآذانهم كما يفكرون ويقتنعون ويرون ويؤمنون بآذانهم · بل انهم يفعلون كل ذلك بآذانهم اكثر مما يفعلونه بعقولهم او بعيونهم ، بل وهل يفعلونه الا باذانهم ؟ ان الاذان المحولة الى اجهزة تفكير واقناع وايمان ورؤية هي اكثر العيون والعقول عالمية اي بعد افتراضها عيونا وعقولا · ان البشر لم يفكروا او يقتنعوا او يروا مثلما فكروا واقتنعوا ورأوا باذانهم · لقد رأوا كل الهتهم وانبيائهم وتاريخهم ومذاهبهم واديانهم وامنوا بهم وبها وابصروا جمالهم وجمالها باذانهم لا بأي شيء اخر ··

هل يوجد اي احتمال ان الذي يناشد الاله او يخاطبه او يطالبه او ان الذي يهتف للوطن او للشعباو للتاريخ او للزعيم او للمذهب او للقضية او للحرب او للسلام ، او ان الذي يغني او يعزف او يسمع ذلك ، او ان كل من يتحدث او يحاور او يلاعن او يهدد او كلما فعل ذلك ·

نعم ، هل يوجد اي احتمال ان من يفعل ذلك يقصد اي معنى غير ان يصوت ، غير انيؤديعملية استفراغية تفريغية بالتصويت؟ هليحتملانه بذلكيتكلم أو يريد ان يتكلم او يعتقد انه يتكلم او يستمع اليه احد وكأنه تكلم ؟ هل يمكن ان يحاسب وكانه بتكلم ما لم يحسب مجنونا او ما لم يكن محاسبه مجنونا ؟ هل يحتمل ان من يتحدث الى الديار والاطلال أو مع النفس أو أن من يهتف بالنجوم يعني شيئا غير الاستفراغ والتفريغ او غير القذف بما في النفس خارجها باسلوب التخاطب ؟

نعم ، ان الذين بلغوا طور الكلام ، بل الذين بلغوا طور عبقرية الكلام لن يستطيعوا الكف عن التصويت ، أي لن يستطيعوا الكف أو الاستغناء عن كل أساليب الاستفراغ والتفريغ بالاصوات التي هي ليست كلاما والتي لا يراد منها ولا بها ان تكون كلاما انهم لا بد ان يظلوا مصوتين مهما كانوا قمة المتكلمين · ولكن تصويتهم لن يكون في اخلاقه ولا في ذكائه ولا في همجياته بل ولا في اي شيء من تفاسيره بل او في اي شيء من موسيقاه او في اي شيء من صيغ ادائه ، مثل تصويت المصوتين فقط ···

ان تصويت من هم في طور المتكلمين قد يكون فيه من الجمال والذكاء والمنطق والتخاطب المحسوب مثل ما في كلامهم ··

ماذا لو استطاع الانسان التعبير عن كل نفسه وعن كل ما في نفسه ، عن كل افكاره وا ماله والامه واحتياجاته ومشاكله وتعاليمه وعن كل خزائنه النفسية والجسدية ٠ لو استطاع التعبير عنها باي اسلوب علمي شامل او باية وسيلة شاملة اخرى علمية ٠

نعم ، ماذا لو استطاع الانسان ذلك ؟

هل يستطيع حينئذ الاستغناء عن الصوت بكل اساليبه وصيغه واستعمالاته وفي كل موضوعاته ، او عن الكلام الذي يعني به التصويت لا الكلام ؟ هل يستطيع الانسان او يقبل ان يغلق فمه او عينيه او اذنيه لو انه استغنى عن هذه الاعضاء كأجهزة وظيفية متخصصة ؟

بل، هل يستطيع ان يصمت من اصبح كلامه او تصويته فضولا او عبثا او نزقا او ضياعا او خسرانا او ايلاما او افتضاحا واتهاما وهجاء له ؟ او هل يستطيع ان يكف عن الاستماع من اصبح استماعه اهانة او ايذاء او تصغيرا له او اخذا من كبريائه وذكائه ووقاره ؟

انه لاحتمال جيد جدا ان يستطيع البشر في المستقبل ابتكار اجهزة ووسائل علمية دقيقة جدا يستطيعون التعبير بها عن كل ما يريدون التعبير عنه باسلوب اشمل وافضل واذكى ـ اي يستطيعون بها الكلام بغير الكلام او بغير الاصوات وبغير استعمال اللغات المعروفة ، بغير الافواه ، بغير الاحتياج الى اي شيء من فنون البلاغة ، من البيان او البديع ٠٠ بغير الاحتياج الى اي شيء من ذلك التراث الضخم المثقل بكل تلك الفنون البلاغية اللفظية التي انفق الانسان وقاسى على وضعها وتعليمها والدعاية لها وعلى الاعجاب والايمان بها دون ان تهبه اي مجد او قيمة من اي نوع ٠ انه الاحتمال ان يتوصل الى التخاطب والحوار بالاجهزة بدل الكلمات والافواه ٠

واذا تحقق هذا الاحتمال أو لو تحقق فهل تموت اللغات والاصوات وتصبح تاريخا يروى ، او هل يقل استعمال الناس للكلام وللتصويت ٠

ان الجواب يجب ان يكون : كلا ، اي عن احتمال موت اللغات والاصوات ٠ أما عن احتمال تقليل الناس من استعمال اللغات والاصوات فالجواب ينبغي أن يكون : قد يحدث ذلك ٠ انه احتمال قد يكون قويا وقد يكون ضعيفا ٠ وقد يكون الصواب ان الناس كلما تقدموا احتاجوا الى التصويت اكثر لان شحناتهم الانفعالية لا بد ان تكون حينئذ اكثر ٠ وهذا يعني احتياجا اكثر الى عمليات التفريغ والاستفراغ النفسي بالتصويت ٠

وايضا فان البشر وكما سبق لا يستعملون اللغات او الكلام او الاصوات للتخاطب او للتفاهم او للحوار او للتفسير او للابانة فقط بل وللاستفراغ والتفريغ النفسي بل والذاتي الجسدي ، اي لتفريغ الذات او الجسد والاعضاء من شحناتها

او من عفوناتها بل او من قداساتها ونظافاتها وصداقاتها وحبها وجمالها اي لتوزيع ذلك واحيانا لتحويله الى عطايا ٠

ان الاستفراغ أو التفريغ النفسي ليس الا استفراغا او تفريغا للجسد او للاعضاء من طاقاتها والامها ومن تنافضاتها وتصادماتها واحتجاجاتها ٠

ولايهما يستعمل البشر اللغات او الاصوات اكثر : للتخاطب والتفاهم والمحاورة والتفسير اكثر ام للتفريغ والاستفراغ النفسي والذاتي اكثر ؟ انه سؤال قد يختلف الجواب عليه ٠ والاختلافعلى الجواب لا يعني احيانا او دائما ان الاتجاهين او الجوابين المختلفين سواء في القوة أو في الصحة أو في الوضوح ،٠كما لا يعني احيانا او دائما ان في القضية غموضا ٠ ان لاختلاف الاجوبة اسبابا اخرى اكثر واقوى جدا من الاسباب الموضوعية او المنطقية ٠ ان الاسباب الموضوعية والمنطقية هي اقل واضعف الاسباب التي تصنع اختلاف الاجوبة ٠٠

والانسان حينما اخترع اللغة او حينما حبل باللغة وولدها او حينما نبتت فيه اللغة هل حدث ذلك له او هل فعله بحوافز الرغبة في التفاهم والتخاطب والحوار والتفسير لما يراد ام بحوافز الرغبة في التفريغ والاستفراغ ؟ اي هل حدث ذلك من اجل التصويت ام من اجل الكلام ، اي لانه يريد ان يتكلم ام لانه يريد ان يصوت ؟

لقد كان الانسان في البدء مصوتا فقط ٠ فهل كان في البدء يصوت لانه يريد ان يصوت ام لانه يريد ان يتكلم ؟ هل كان يظن انه يتكلم حينما كان يصوت ؟ او هل كان يصوت لانه يريد ان يصل الى متكلم ولانه يعرف انه بذلك لا بد ان يصل او قد يصل الى متكلم ؟ وهل كان يعرف الفرق بين الكلام والتصويت ؟ وهل كان يعرف ان طور الكلام اعلى من طور التصويت ، وان عليه ان يناضل لكي يبلغ طور الكلام ؟

هل الكائنات التي هي ادنى من الانسان والتي هي مصوتة فقط ، هل هي تظن انها تتكلم او هل هي تريد ان تتكلم او تعرف ان استمرارها في التصويت وسيلة لتحولها الى متكلمة ؟ وهل تعرف هذه الكائنات ان هناك شيئا اسمه الكلام او طور الكلام وانها هي لم تبلغ هذا الشيء الذي هو الكلام او طور الكلام وانه ارقى واعظم واصعب من التصويت ومن طور التصويت ؟ وهل هي تعرف ان الانسان الذي تعايشه ويعايشها هو كائن متكلم ، وانه لهذا هو اسمى منها ، وانه مناجل هذا يسخرها ويطغى عليها ، وان له الحق ان يصنع بها ذلك ، وانها تطيعه لانها تعرف انه واجب عليها ان تطيعه مهما طغى وظلم واذى لانه متفوق ، فهو يفعل ذلك بها بحق التفوق عليها ، وهي تطيع وتتقبل وترضى بحق التخلف عنه ؟

اذن هل هذه الكائنات تتقبل معايشة الانسان المذلة المرهقة لها وتصبر عليها بل وتستمسك بها لانها تريد ان تكون قريبة منه لتتعلم منه الكلام والانتقال الى طور المتكلم بالاستماع اليه وبسماعه يتكلم ؟

لعلها فاضلة ولبيبة وفدائية الى كل هذا المدى · لعل هوانها ليس هوانا ولكنه تدبير وشجاعة ودهاء ·

هل هي تريد ان تتعلم منه اللغة كما ترى ان الابناء منه يتعلمونها اي يتعلمون اللغة من الاباء ؟ ثم هل هي اذ تقاسي الغيرة منه والحسد له ؟ هل تعلمت الغيرة والحسد من البشر ؟ هل يمكن ان تصبح الغيرة والحسد والحقد تعلما او تعليما ؟ وهل يمكن ان اي كائن غير الانسان يستطيع ان يصبح مصابا بالحسد او الغيرة أو الحقد أو البغضاء ؟ وهل يستطيع أو يقبل أي كائن غير الانسان أن يعيش مستويات الانسان النفسية أو الشعورية او الاخلاقية ؟ بل هل يقبل أو يستطيع اي كائن غير الانسان ان يعيش مستويات الانسان اللغوية او الفكرية حينما يجده اي يجد الانسان ويستمع اليه ويحدق فيه وهو يستعمل لغاته وافكاره كما يستعملها وفيما يستعملها ، وهو يحولها الى عداوات ومخاصمات وبذاءات وحماقات ومشاتمات ومبارزات ومفاخرات وتحديات ، والى اكاذيب وحروب ، والى تقسيمات متعادية للبشر ، والى حدود فاصلة بينهم محروسة باشرس الالهة والابالسة والاديان والمذاهب وباشرس واغبى الجيوش ؟ ولعل الانسان نفسه لو رأى نفسه من خارج نفسه ، يعيش لغاته وافكاره ، ويتعامل بها بالاساليب التي يعيشها بها ويتعامل عليها وبها لرفض بكل الغضب والخوف ان تكون له لغة او افكار ···

لعل الكائنات الاخرى لم تصل الى طور الكلام والتفكير لانها رأت وسمعت الانسان يتكلم ويفكر فرفضت واشمأزت أن تكون كذلك ·

ولكن كيف يمكن الافتراض بان الكائنات التي هي في طور التصويت والتي هي دون الانسان تعلم تفوقه عليها بالكلام وتحاول ان تتعلم هذا التفوق منه ، وبانها ايضا تعرف ان هناك تصويتا او اصواتا وان هناك كلاما هو اسمى من التصويت ومن الاصوات التي ليست كلاما ، وبان بين الكلام والتصويت فروقا يمكن ان تعرف او لا بد ان تعرف ·

نعم ، كيف يمكن افتراض كل هذا في هذه الكائنات الدنيا ؟ هل يمكن افتراض هذه الكائنات اسمى او اذكى او اكثر رؤية لما تواجه ومعرفة به وتطلعا الى الافضل وتمييزا بين الافضل والاردأ أو بين الكلام والتصويت ونقدا لعجزها من الانسان العربي ؟

هل يمكن تصور هذا الافتراض او حتى التحدث عن تصوره وعن احتمال تصوره ؟

ذلك ان الانسان العربي وهو كائن مصوت لا متكلم يعايش او يواجه او يرى بقسوة واذلال الانسان المتكلم ·· يواجه كل عبقرياته الكلامية ، تحيط به وتحاصره بكل اساليب التحدي والقهر والجبروت والديمومة والشمول ، ومع ذلك فهل ادرك اي الانسان العربي ان التصويت ليس حتما ان يكون كلاما وانه توجد فروق كبيرة بين التصويت والكلام ، بل توجد مسافات شاسعة بينهما ، او ادرك أنه هو مصوت

وليس متكلما ، وان عليه ان ينتقل الى طور المتكلم لان المتكلم اسمى كينونة من المصوت ، بل او هل ادرك ان عليه ان يعيش بفكره او بمشاعره او بتعبيره شيئا ولو قليلا جدا من التواضع او التهذيب حينما يذهب يفاخر بل يبارز بل يقاتل كل الاخرين المتكلمين باصواته المصابة بكل ما في البلاغة العربية من عنجهية وعدوانية وهجائية وصحراوية ومن أمية عقلية واخلاقية ونفسية وانسانية وتاريخية وحضارية بل وأمية دينية ؟ نعم ، دينية • ان امية البلاغة العربية لامية لا شبيه لها في شمولها وديمومتها وكبريائها •• انه لشبيه لالهة العرب وانبيائهم وقادتهم وحكمائهم وبلغائهم في اميتهم البلاغية •

ان الانسان العربي لم يدرك شيئا من ذلك ، ولا يبدو انه سوف يدرك • وهل يرى ان من الافضل او من الواجب ان يدرك ؟ وهل يمكن ان يدرك انه لم يدرك ؟ ولو ادرك انه لم يدرك فأراد ان يدرك فهل يمكن ان يعرف كيف يدرك وهل يريد حتما حينئذ ان يدرك ؟

اذن الانسان العربي لا يستطيع ان يصمت عن التصويت لا يستطيع ذلك ولا يريده ولا يستطيع ان يريده حتى ولو اراد ان يريده • انه لا يختار ارادته •• ان الانسان لا يريد ارادته ولكن ارادته تهجم عليه باسلوب عدواني كما تهجم عليه الامه واحزانه وامراضه وموته ••

ولكن لو كان ممكنا ان يفرض عليه الصمت باسلوب من اساليب القهر فهل يقبل اخلاقيا او انسانيا ان يفرض عليه ذلك ؟ ان تركه يصوت كما يصوت اليوم وكما كان يصوت في كل تاريخه وكما سوف يظل يصوت في المستقبل القريب او المستقبل القريب والبعيد ايضا ـ نعم ، ان تركه كذلك شيء رديء ومسيء اليه بل عدوان عليه وعلى قضاياه ومواقفه وتفاسيره ، بل وقد يكون فيه عدوان على كل من يواجهونه ويتعاملون معه بل وعلى تفاسير الانسان وتقويمه لنفسه • بل قد يكون في ذلك اهانة عالمية لكل البشر • نعم قد يكون ترك الانسان العربي يصوت كما يصوت اهانة لكل البشر وليس له وحده •

ان تركهم له اي ترك البشر للانسان العربي يصوت كما يصوت واستماعهم الى تصويته ، وتعاملهم مع تصويته ، ومخاطبتهم لتصويته وقراءتهم له كما يتخاطبون مع الكلام العبقري وكما يقرؤون الكلام العبقري ، واعلانهم عن تصويته مع اعلانهم الاعجاب نفاقا ومتاجرة وانتهازية بتصويته ، وتقبلهم ان يتلو عليهم تصويته من فوق اعلى المنابر الدولية ومن كل المنابر الدولية ، مع اعطائهم لتصويته كل ما فيهم من مواهب الاصغاء المتحضر المخادع المحابي اما بحوافز المتاجرة او بحوافز السخرية او بحوافز الاشفاق او الرثاء ، او بحوافز الكبرياء والشماتة ، او بمشاعر المتحضر المتفوق ازاء البدوي المتخلف ، او بمشاعر الكائن المتكلم ازاء الكائن المصوت •

نعم ، ان تركهم له كذلك بهذا الاسلوب وبهذه الحوافز والتفاسير لهو اهانة عالمية قاسية لكل البشر ، بل انه لهجاء لكل قيم البشر الحضارية والاخلاقية

والنفسية .. انظر كيف يأذن العالم للحكام والزعماء العرب باعتلاء كل منابره ليستمع اليهم ويهتف ويصفق لهم مبهورا بما يسمع منهم . هل يوجد هوان او نذالة أو خداع أو كذب كهذا ؟ او لعله نبل ورحمة .. انه لشيء رهيب وظالم وبذيء وقبيح جدا ان يترك الانسان العربي يصوت باصواته فوق كل العالم وفوق كل قضاياه وحضاراته وقيمه وفوق كل منابره ومجامعه ومؤسساته، لكي تستقبل اصواته هذه وتعامل وتخاطب وتحاور وتسجل وتفسر كما يصنع باعظم العبقريات ولاعظم العبقريات ..

انه لاقسى تعذيب لك وعدوان عليك واهانة لانسانيتك ان تكون واقعا كل اوقاتك تحت اصوات الانسان العربي ..

اجل ان ترك الانسان العربي كذلك شيء يجب الا يطاق . ولكن ما العمل ؟

ليكن مستطاعا فرض الصمت او الخرس عليه بوسيلة قهرية ، فهل يجوز حينئذ از تنفذ فيه هذه الوسيلة القهرية ؟ هل تاذن الاخلاق او الانسانية بذلك ؟

ان الموقف موقف خيار أو اضطرار بين الالتزام باحد أمرين أو تقبل أحد أمرين كلاهما رديء بلا حدود في رداءته . فكيف يكون الاختيار او كيف يكون تنفيذ هذا الاضطرار ومواجهته ؟

كائن يحمل في داخله شحنات بذيئة ورديئة جدا ، هو محتاج الى استفراغها والقذف بها . انه لا يستطيع استبقاءها داخل ذاته . أنه ليعذبه عذابا رهيبا استبقاؤها كذلك لو فرض عليه باسلوب ما ان يستبقيها . ولكن استفراغه او تفريغه لها لا بد ان يكون قبيحا ومؤذيا وفضاحا جدا . فكيف ينبغي ان يكون التصرف دون انقطاع كامل عن الالتزامات الاخلاقية والانسانية . ان الموقف هنا موقف تصادم بين ما ينبغي وما يستطاع . وهل الحياة الا تصادم دائم بين ما ينبغي وما يستطاع ؟ او هل فيها ما ليس فيه تصادم بين ما ينبغي وما يستطاع ؟ ولكن التصادم هنا تصادم بذيء ورديء وقبيح جدا . انه تصادم قليل المثال والشبيه ..

ان مجتمعا من المجتمعات قد وضع في مكان المضطر بين احد سلوكين لا ثالث لهما ولا مهرب من احدهما .. احد السلوكين ان ياذن لاطفاله بان يقذفوا بفضلاتهم الجوفية في الطرقات العامة وحول البيوت بل وفوق المنابر والرؤوس وفي الاماكن المحترمة وغير المخصصة لذلك ، بل وفوق منابر النوادي الدولية بكل الجهر والاعلان ، بل وداخل المعابد وفوق ثياب المصلين .. اي بالاسلوب الذي اذن به لحكام وزعماء العرب ان يقذفوا بعفوناتهم العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية فوق منابر العالم ورؤوسه واخلاقه ومثله ..

لانه لا توجد في هذا المجتمع اماكن اخرى غير هذه الاماكن ليستفرغ فيها الاطفال وقاحات الطبيعة الوقحة التي قاءتها بكل عفونة وجمعتها داخل ذواتهم ، ثم لم توجد اي الطبيعة اية وسيلة اخرى لامتصاص هذه الوقاحات أو الفضلات الرهيبة جدا في عفونتها او لافرازها او لابتلاعها او لتحويلها الى شيء افضل او اقل سوءا او الى

بناء أو طاقة في اجسام حامليها . انه لا وسيلة اذن غير القذف بها اي بهذه الفضلات الشهيرة العالمية بالاسلوب الشهير العالمي الذي تقذف به ..

وهل توجد عالمية تتفوق في عالميتها على عالمية اسلوب القذف بهذه العفونات ؟

ان الطبيعة لم ترد او لم تستطع او لم ترد وتستطع ان تكون هنا ، في هذه القضية كريمة او نبيلة او رحيمة او نظيفة او عبقرية او عادلة او رفيقة في تلويثها واحراجهـــا وتعذيبهـــا لمن حكمت عليهم بان تصنع في داخلهـم هذه العفونـات الوبيلة الكريهة ، ثم حكمت عليهم بالا يجدوا اية وسيلة للتخلص منها غير هذه الوسيلة المؤذية المحرجة المخلة الفضاحة لكل العالم بلا تفريق او محاباة او رفق . هذا الاسلوب العالمي للقذف بهذه الفضلات كيف يأذن للانسان بان يزعم انه فكرة اله او شهوة اله او صيغة اله او كبرياء اله . كيف يجرؤ الانسان وهو محكوم عليه بهذا القذف ان يصعد فوق اي منبر ليتحدث باية لغة عن اي شموخ ؟

ان الطبيعة لو كانت تحول الى بناء في الاجسام ما تحوله الى عفونات فيهـا لكان في هذا خلاص منها اي من هذه العفونات ومن توريطاتها واذاها واحراجها وافتضاحها واضرارها ، ولكان فيه ايضا اغناء رائع عن الاماكن التي تخصص لها واستفادة كبيرة من تحويلها الى بناء وطاقة في الاجسام . وهذا اسلوب لا تخفى منافعه الاقتصادية والفنية والنفسية على احد الا ان يكون هذا الاحد هو الاله او من في مستواه كيف لم تعرف او تفعل الطبيعة او من صاغها ان كان احد صاغها هذا الذي لا تخفي منافعه حتى ولا على اي اله بدائي الالوهية ؟ هل موقف الطبيعة هذا أو موقف من وراءها عن عجز أو عن جهل او عن نذالة او عن رغبة في العدوان أو السخف او التبذير او القذارة ؟

ان هذه القضية وحدها ، قضية تحويل مقادير كبيرة من الطعام الذي يشقى الانسان ويكافح اعنف الكفاح لكي يوجده ، والذي يشعر دائما انه مهدد بنقصه ، والذي يخاف أو يخاف الكثيرون منـــه دائما الا يجـــدوه ، والذي يواجهون كـــل المهانات والمخاوف والعذاب لكي يجدوه او يعطوه .

نعم ، ان قضية تحويل مقادير كبيرة من هذا الطعام الذي هذه بعض قيمته الى فضلات عفنة ضارة يقاسي ويهون ويصغر البشر لكي يتخلصوا منها ولكـــي يجدوا ويوجدوا اماكن للتخلص منها كذنب او كعار او كعاهة يجب التخلص منهـا باستتار وباسلوب سري ، دون تحويلها الى حياة وقوة وعضلات في الابـــدان التي تشقى في البحث عنه اي عن الطعام وتشقى لانتاجه ولاعداده لكي يصبح صالحا وسائغا ومفيدا .

نعم ، ان هذه القضية لاعظم هجاء للطبيعة ولواضع الطبيعة لو كان يوجد لها واضع ، وانها لاعظم نقد بل وتاثيم وتجهيل لمن يفترضون في الطبيعة أو في أي كائن فوقها أي مستوى من الذكاء أو الشهامة أو الصداقة أو المعرفة أو من أي شيء طيب أو جيـــد ...

ان ذات الانسان التي هي مخزن هذه العفونات هي ايضا مخزن الحب للاله في هذا الكون · انهم هكذا يؤمنون ويقولون ··

ولكن هل فعلت الطبيعة اوقح او اقبح من انها قد وضعت العضو الذي يستفرغ هذه العفونات في هذا المكان من جسم الانسان ، في هذا المكان الذي لم يعبد البشر مثله ولم يصنع لهم الغواية والنشوة والارتجاف والجنون مثله ؟ كيف وضعت الطبيعة العضو الذي يعبده كل العالم في المكان الذي يستقذره كل العالم ؟ كيف وضعت اقوى لذات الانسان في المكان الذي يستفرغ اقوى وافظع قاذوراته ؟ مسكين المحب · ان مجد وجمال وجبروت حبه هنا ·· هنا ، هنا !!

ان اعظم فنان قد وهب اعظم خيال لو طلب منه او لو اراد أن يتخيل كائنا ضخما لا مثيل له في بلادته ودمامته ووقاحته وسفهه وفي عبوطه تحت جميع مقاييس الذكاء والاخلاق والحكمة والصداقة والجمال والعدل والرحمة والمنطقية لما استطاع ان يجد افضل من هذا الكون او من هذه الطبيعة نموذجا اعلى لهذا الكائن الضخم الذي طلب منه أو الذي أراد أن يتخيله ، حتى ولو لم يشهد أو يعلم أو يقاس من الكون او من الطبيعة الا هذه القضية او هذا المشهد او هذه الوقاحة ، وقاحة الطعام الذي يتحول الى عفونات لكي يكون محكوما على البشر بان يقذفوها بهذا الاسلوب العالمي البذيء المهين الوقح الفضاح ـ بدل ان يتحول اي الطعام تحولا كاملا الى كينونة جيدة ونافعة في ابدان وحياة منتجيه وآكليه · ما اوقحك ايتها الطبيعة · كيف استطاعت وقاحتك ان تصعد بك او ان تهبط بك الى ان تحكمي على كل انسان بان يكون محكوما عليه بهذا القذف مهما كانت عبقريته ومكانته ونظافته وقسامته ؟

ولكن هل الطبيعة محتاجة الى التدليل على انها كل نماذج القبح والغباء والسفه والقسوة والعداوة والنذالة والهوان ؟ وهل يوجد قبح او غباء او سفه او قسوة او عداوة او نذالة غير قبحها وغبائها وسفاهتها وقسوتها ونذالتها وهوانها ؟ أليست هي كل ذلك وصانعته ومعلمته كله وحدها بلا شريك او معين ؟ كيف استطاعت الوقاحة او البلادة ان تصعد او تهبط ولو بانسان واحد ليزعم ان هناك كائنا اخر اعلى او غير اعلى هو الذي وهب الطبيعة كل وقاحاتها وتلوثاتها وتلويثاتها ؟

***

اجل ، لقد كان احد السلوكين المفروض احدهما حتما على هذا المجتمع العجيب ان يأذن لاطفاله بان يرموا بفضلاتهم الجوفية بهذا الاسلوب ، في هذه الاماكن اذ لا اماكن اخرى · لقد كان سلوكا او اختيارا رهيبا لئيما في قسوته ··

اما السلوك الاخر او البديل الذي لا بديل سواه فهو ان يفرضوا على اطفالهم بوسيلة قهرية ان يختزنوا في داخلهم وقاحات الطبيعة هذه دون اي تفريغ او تصريف ···

ان تصور هذا ، تصوره فقط شيء لا يطاق ، ويجب الا يطاق ·· وايهما اكثر واقسى فجيعة للجمال او الذكاء وخروجا عليهما : ما نتصوره ام ما نجده ؟

لقد كان الموقف من تصويت الانسان العربي الذي يحسبه كلاما يشبه موقف هذا المجتمع من قضية عفونات اطفاله الطبيعية وقضية تصريف هذه العفونات ..

الانسان العربي يصوت على نفسه وعلى كل العالم كما يصوت على كل القضايا والمواقف والمشاكل من فوق كل المنابر والنوادي بكل جرأة وبكل اساليب التباهي والاعلان والمبارزة ، في كل الاوقات ، تحت جميع الظروف . وتصويته هذا الذي يظنه ويزعمه كلاما بل عبقري الكلام يؤذي ويجرح ويفضح ويهين ويلوث ويصنع كل مشاعر الغضب والحنق والحزن والرثاء والاشمئزاز والخجل ... انه يصوت باسم الانسان المتحضر جدا وباسم الالهة والانبياء والاديان وباسم كل القيم الجمالية والانسانية . واهولاه اذن .

انه تصويت لا يمكن تحويله الى كلام او جمال او الى اي فن من الفنون . انه لا بد ان يظل اطلاقه او الاستماع اليه او التخاطب به مع الاخرين ، من فوق كل النوادي الدولية والمحلية يشبه تذف اولئك الاطفال في المجتمع الذي ذكرت قصته بفضلاتهم البذيئة فوق عيون الناس ووجوههم وخطواتهم وثيابهم وفوق منابرهم ونواديهم ومعابدهم وفوق كل ما يحترمون ويحبون ..

ولكن اليس كل الاطفال في كل المجتمعات كل الاوقات يفعلون ذلك واقعا لا افتراضا ؟ اذن المراد بالاطفال هنا من كانوا اطفالا ..

ان على العالم ان يتحمل بتجلد وشهامة تصويت الانسان العربي والا يمنعه من التصويت بوسيلة قهرية حتى ولو استطاع ذلك . ان عليه تحمل ذلك بالالتزام الاخلاقي والانساني . كما ان على ذلك المجتمع الذي فرضه الخيال ان يتحمل ايضا بتجلد وشهامة ما يروي من ان كل وجوهه ورؤاه ومواقع اقدامه وكل مراكز الكبرياء والجمال والحياء والنظافة والتدين فيه قد تحولت الى اماكن لكي يستفرغ فيها اطفاله العفونات التي خلقتها الطبيعة الوقحة العفنة فيهم من الطعام الذي يكدح البشر اقسى واشرس الكدح لكي يجدوه ويوجدوه ويعدوه وياكلوه ، ثم لكي تحوله الطبيعة المريضة بعشق الوقاحات والعفونات الى هجاء بل الى استهزاء بنظافته وكبريائه وبوضوئه وتطهره لمقابلة الاله وللصلاة له ، بل لتحوله ، اي الطعام الى هجاء بل الى استهزاء بموهبة التكوين والخلق في ذات الانسان ، او بموهبة من اراد ودبر وخطط وصاغ ذات الانسان لتكون اي ذات الانسان جمالا في عينيه اي في عيني مخطط ذات الانسان وفرحا في قلبه ونظافة في اخلاقه وثناء على فنونه وطموحا لطموحه وعبقرية في عبقريته ومحاباة لكبريائه ولاعجابه بنفسه ـ بدل أن تحوله تحويلا كاملا اي الطعام الى كينونة عقلية واخلاقية وعضلية وجمالية ونفسية في ذات الانسان . كيف لم تعرف الطبيعة او يعرف الخالقون للطبيعة او المجدون لها ان تحويل اي شيء من الطعام الى هذه العفونات اسلوب لا مثيل له في هجاء منطق واخلاق وكرامة كل الاشياء ؟

ان الانسان العاجز المتخلف اشد احتياجا من القادر على استفراغ ذاته بالتصويت ..

نعم، ان المتفوق القادر اكثر واقوى شحنات نفسية بل وغير نفسية . ولكن وسائل التفريغ الاخرى الافضل والاذكى والاكثر تقدما عنده كثيرة جدا . وبها يفرغ شحناته الذاتية المختلفة فيصبح احتياجه الى التفريغ بالصوت اقل ...

اما العاجز المتخلف فان وسائل التفريغ الاخرى الذكية القوية الحضارية قليلة عنده او ليست موجودة اذن لا بد ان تشتد حاجته الى وسيلة التفريغ الاولى المتخلفة العاجزة البذيئة وهي التصويت لكي يقاوم ويعالج ويواجه بها كل المشاكل والمواقف والقضايا والاعداء .

انه لا بد من العلاج والمواجهة والمقاومة أو من زعم ذلك اما بهذا او بهذا او باي شيء اخر . انه لا صمت عن كل شيء .

قد يكون ممكنا قول هذا كما قد يكون صحيحا او محتملة صحته كما قد يكون ممكنا قول غيره ..

لهذا فقد يكون الانسان العربي محتاجا اكثر من الاقوياء المتفوقين الى التصويت لكي يستفرغ ويفرغ به اي بالتصويت كل ما في نفسه بل كل ما في ذاته واعضائه ومواهبه من عجز واحزان وتفاهات وآفات ومن هموم واحقاد وغيرة ونقائص وعفونات اخرى ...

حتى الاعضاء انها تفرغ حمولاتها الاليمة والبذيئة بالتصويت المختلف التعبيرات والجنسيات واللهجات .

ان شحناته النفسية والعقلية والانسانية والاخلاقية اقل جدا . ولعله لا توجد فيه شحنات عقلية او اخلاقية او انسانية واية شحنات اخرى سوى شحناته النفسية والجسدية والعضوية ـ اعني الانسان العربي .. حتى الحزن . هل يحزن الانسان العربي ؟ انه يحقد ويحسد ويبغض ويخاف . ولكن هل يحزن ؟ ان الحزن مستوى انساني .. فهل بلغ الانسان العربي مستوى من يحزن ؟ ليته بلغه ..

نعم ، ان شحناته اقل جدا ولكن وسائل التفريغ والتصريف عنده تكاد تكون وسيلة واحدة وهى الصوت . لهذا فقد يكون احتياجه الى الصوت احد واكثر من احتياج جميع الاقوياء المتفوقين المتحضرين الذين تتجمع وتتوقد وتتزاحم وتتصادم فيهم اغزر واضخم واقوى الشحنات المختلفة الجنسيات والمستويات والاتجاهات والافاق .

ان ضخامة الحياة وتجددها وتنوعها تعني حتما ضخامة الانفعالات وتجددها وتنوعها ..

ان الضربة او الخصومة او الحرب او البغضاء او الارادة او الشهوة او الخطة أو الاحقاد بل أو اليد أو الرجل أو الانامل العاجزة المهزومة لتتحول الى اصوات

اي لتتحول الى احتياج الى الاصوات ، اي لتستبدل الاصوات بها اي يعوض عنها بالاصوات والتصويت ..

اي تستبدل الاصوات والتصويت بانتصارها وقدرتها ، اي يعوض بالاصوات عن انتصارها وقدرتها أي عن انتصار وقدرة الضربة والخصومة والحرب والخطة والبغضاء والاحقاد والايدي والارجل والانامل التي لم تستطع ان تكون قادرة او منتصرة حيث كان يجب ان تكون كذلك وحيث كان ينتظر منه ذلك ...

اي انك اذا كنت محتاجا الى ان تضرب او تخاصم او تحارب او تبغض ، او اردت ان تفعل ذلك فلم تستطع ، او فعلته فلم تنتصر ، او كنت في موقف من يجبعليه ان يفعله فلم يفعله .

نعم ، انك اذا كنت كذلك فلا بد ان تحتاج حينئذ الى التصويت لكي تعوض عن عجزك وهزيمتك ، ولكي تستفرغ وتفرغ مشاعرك الاليمة المحرورة . انه اسلوب حزين وسخيف من اساليب الاستبدال والتحويل ولكنه اسلوب طبيعي . اي انك حينئذ تذهب تحارب وتتداوي بالتصويت ، وان عجزك عن ان تفعل وتنتصر حيث يجب ان تفعل وتنتصر لا بد ان يزيد من شحناتك الانفعالية والاليمة المحتاجة الى التفريغ والتوزيع .

ان معنى هذا ان الضربة او الخطة او المحاولة العاجزة تتحول الى اصوات او الى احتياج الى الاصوات ، بل ان اليد او الرجل او الاصابع الضعيفة او العيون المريضة او العاجزة عن الرؤية او الضعيفة الرؤية لتتحول الى تصويت او الى احتياج الى التصويت ، اي الى تفريغ للذات وللنفس بهذه الوسيلة . لقد كانت الضربة او الخطة او المحاولة او اليد او الرجل او العين خليقة بان تنفذ عملية التفريغ هذه لو كانت اي الضربة او الخطة او المحاولة او اليد أو الرجل أو العين قوية ومنتصرة ، كما لم يكن مفروضا حينئذ ان تتحول الى شحنات نفسية أليمة تبحث عن التفريغ والتصريف . ان الاصوات ليست الا عملا قد هزم او عملا لم يؤد او عملا لم تخلق أدواته . انها عمل قد جاء بصيغة اخرى ، رديئة متخلفة عاجزة ..

نعم ، ان الضربة او المحاولة او الارادة او الحاجة العاجزة تتحول الى تصويت او مفروض أن تفعل ذلك . ولكن الاصوات القادرة أو العاجزة هل يمكن ان تتحول الى اي شيء قوي او جيد أي الى أي بديل قوي أو جيد ؟ أي هل يمكن ان يتحول الامتناع عن التصويت او التقليل منه او الزجر عنه الى اية قوة أو موهبة أو الى اي مستوى أعلى أو أقوى او افضل ؟

ان الشيء قد يعبر تعبيرا أقل منه ويفعل ما هو دون قدرته واحتمالاته ، ولكنه لن يكون كينونة اكبر من كل قدرته . ان من يستطيع ان يضرب وينتصر ويفعل فعلا جيدا وقويا قد يشتم او يحقد او يحسد او يصرخ او يبكي او يصنع كل ذلك . ولكن من لا يستطيع الا ان يشتم ويحقد ويحسد ويصرخ ويبكي لن يستطيع ان

يضرب او ينتصر او يفعل ما هو جيد او قوي او عظيم . ان القوي القادر اذا عجز او هزم او ذل او اهين فقد يتحول الى تعبيرات صوتية . ولكن المصوت اذا عجز عن التصويت او منع منه فلن يصبح اكثر او افضل من مصوت .

ان المتكلم يستطيع ان يصوت ولكن الكائن المصوت اي الذي في طور التصويت فقط لن يستطيع ان يتكلم او ان يتحول الى متكلم . ان الانسان يصنع الصوت ولكن الصوت لن يصنع الانسان ، وان المصنع يحدث الصوت ولكن الصوت لن يبني المصنع ...

ان الشيء او الانسان قد يكون اصغر او أقل من ذاته أو موهبته ولكنه لن يكون اكبر أو أكثر منها .

اذن فالانسان المصوت اي الذي هو في طور التصويت لن يتحول الى موهبة او عبقرية او الى ذكاء او انتصار او قدرة او تفوق حتى ولو منع من التصويت او قلل منه .. ذلك لان الطور الاعلى قد يفعل فعل الطور الادنى ، دون ان يفعل الطور الادنى فعل الطور الاعلى ان في العظيم ضآلة ولكن هل في الضئيل عظمة ؟

اذن فالنصائح الموجهة الى الانسان العربي لكي يمتنع عن التصويت او عن الكلام او لكي يقلل منه هي نصائح لن تهبه شيئا اكثر او افضل من أن يسمعها ويعجز عن احترامها او التزامها دون ان يدري ان احترامها والتزامها ـ لو كان ممكنا ـ لن يهبه اي شيء مما يقال له ويوعد به . انه يعجز عن الامتثال لما يقال له عجزا لا معرفة بانه اي الامتثال لا جدوى منه .

انه يعصي معصية لا ذكاء . يعصي لانه يعصي او لانه محكــوم بارادة العصيان وبظروف العصيان ، ولا يعصي لانه يعرف انه لا نفع في أن يطيع .

ان نضالنا الطويل الدائم الذي نحسبه اعلى مستويات الذكاء والتقدم لكـي نجعل الانسان العربي يكف عن الكلام او يقلل منه لعبث وبلادة سخيفان ومثيران ، وان تأميلنا بان يهبه الكف عن الكلام أو الاقلال منه ـ أي لو أمكن هذا ـ ذكاء او عبقرية او قدرة او انتصارا أو مستوى اخر افضل او أتقى لبلادة وعبث اخران سخيفان ومثيران . كذلك ان هـذا التأميل يساوي التأميل بان امتناع العين او الاذن عن الرؤية او السماع قد يتحول الى ذكاء في العقل او الى جمال في الوجـه او الى بياض في الجلد او الى قوة في العضلات .

والكائن المصوت اي الذي هو في طور التصويت لا يستطيع ان يقرأ او يسمع او يفهم او يفسر اي كلام الا بانه تصويت مثل تصويته . انه لن يتعامل مع اي متكلم الا باسلوب من يتعامل مع مصوت .

انه ـ وكما سلف ـ لايعرف انه يوجد مصوتون ومتكلمون كما يوجد عباقـرة ومجانين ، ومتحضرون وبدو ، ومهذبون ووقحون ، بل وكما يوجد بشر وكائنات اخرى ، وكما يوجد صاعدون فوق القمر ومتحدثون عما في خسوف القمر من تعبير عن دموع الاله واحزانه وغضبه وغيرته لانتصار جميع اعدائه عليه في جميـع

معارك الذكاء والعضلات ، وايضا من تعبير عن وحدته وضياعه وهجرانه وهزائمه التي لا نموذج لها ولا شبيه في جميع الهزائم وجميع اساليب ومستويات الضياع والوحدة والهجران ٠

نعم ، أليس جميع المؤمنين لا يرون في خسوف القمر الا احزان الاله وهزائمه الغاضبة وعظاته الضائعة ؟

وانه ايضا اي الكائن المصوت لن يفهم الفرق بين التصويت والكلام وانه هو مصوت لا متكلم اي لو فهم ان بين هذا وهذا فرقا او فروقا ٠ وهذا ايضا قد سلف الحديث عنه ٠ هل يمكن انيفهم الجمل او الصرصار ان بين الصوت والكلام فرق أو ان يفهم هذا الفرق أو أن يفهم انه هو مصوت لا متكلم، او أن يسمع او يفسر اي صوت بغير ما يفسر به او يسمع به اي كلام ؟ هل يمكن ان يفهم ان الانسان متكلم اكثر مما هو متكلم ، او انه هو مصوت اردأ او ابلد مما الانسان مصوت ؟ او هل يمكن ان يتعذب اي الجمل او الصرصار غيرة وحسدا حينما يسمع الانسان يتكلم لانه حينئذ يدرك الفرق بين كلام الانسان وتصويته هو ، او هل ان يمكن ان يقاسي لكي يصبح متكلما مثل الانسان ؟

هل يمكن ان يفسر الكائن الادنى او اي كائن اعلى او اي كائن بتفاسير هي اذكى او اعظم مما يفسر به نفسه ؟ هل يمكن ان يختار اي كائن لغيره الها او دينا او مذهبا او منطقا افضل مما يختار لنفسه ؟

هل يمكن ان تفسر الهك أو دينك أو مذهبك تفسيرا هو أردأ من تفسيرك لاله او لمذهب أو لدين جارك او خصمك ؟

لقد آمن الانسان بالاله مبهورا مقهورا ، فهل استطاع او احب ان يفسر هذا الاله الذي آمن به بانقهار وانبهار ، بل آمن به فاقدا كل الاتزان والذكاء والكرامة والشجاعة بل آمن به ليكون اصغر واهون من صرصار ـ نعم ، فهل استطاع او احب ان يفسر هذا الاله الذي آمن به تفاسير افضل او اعظم او اقل ضآلة او حقارة من تفاسيره لنفسه ، بل من تفاسيره لاصغر وانذل واجهل صغاره وانذاله وجهاله ؟ بل الم يهبط بآلهه في جميع تفاسيره له عن جميع مستوياته هو ؟ ألم يهبط بجميع مستويات الهه حينما فسره عن مستويات جميع طغاته واشراره وقتلته ولصوصه وفساقه ومجانينه ؟ هل هبط الانسان في تفسيره لاي شيء مثل هبوطه او قريبا من هبوطه في تفسيره للاله ؟

هل وصف احدا او جماعة او طائفة منه بالحقد والخسة والنذالة والبخل والعدوانية والقسوة والبغض والانتقام والنزق والشره والانانية وحب النفس بل وبالغباء والجهل والجنون مثلما وصف الاله بذلك ؟ بل هل وصف اي كائن بأوصاف تقرب في قبحها وخستها من اوصافه للاله ؟

نعم ، ان الكائن لا يستطيع ولا يقبل ان يفسر اي كائن بافضل او اعظم مما يفسر به نفسه ٠ لهذا لم يكن ممكنا ان يفسر الكائن المصوت اي كائن اخر بانه

كائن غير مصوت اي كائن افضل من مصوت · ولهذا ايضا فان الانسان العربي لانه كائن مصوت لن يستطيع التعامل مع اي كلام او مع اي متكلم مهما كانت عبقريته الكلامية الا على انه ليس متكلما وانما هو مصوت مثله · وكيف يمكن ان تعامل مع شيء لا يتصور وجوده وهو الكلام والمتكلم ؟ والتعامل مع الكلام مختلف جد الاختلاف عن التعامل مع الصوت كاختلاف المتكلم عن المصوت ·

انه اي الانسان العربي لن يحاول ان يقرأ او يسمع او يفهم ذلك الكلام الذي وجه اليه او قيل عنه او فيه او الذي يتصل بكل قضاياه او بكل القضايا التي تتصل بكل قضاياه ، او الذي يتصل بكل انسان ·· انه اي الانسان العربي لن يحاول ان يقرأ او يسمع او يفهم اي كلام على انه كلام لكي يتعامل معه اي مع الكلام بمنطق وبموقف وبذكاء سريع متحرك ملائم متكافىء قاريء مفسر محاسب متسائل · ما اصعب التعامل مع الكلام بالكلام ، وما اسهل التعامل مع الصوت بالصوت او مع الكلام بالصوت · ما اصعب ان تكون متكلما وما اسهل ان تكون مصوتا ··

انه اي الانسان العربي لن يخوض اية معركة حوار او ذكاء او فهم او منطق او تفسير او اخلاق ·· انه لن يدخل اية مبارزة عقلية او انسانية او حسابية مع اي كلام او مع اي متكلم لانه ليس متكلما ، لانه مصوت ·

انه لا بد ان يتعامل مع اي كلام على انه اصوات فقط مثل اصواته هو · اذن لا امل في المواجهة الفكرية او الحسابية او النفسية او الكلامية او السلوكية او الحركية المساوية او الملائمة المتغيرة ·

اذن ما اقل وأضأل همومه وتكاليفه ومقاساته الحضارية والانسانية بل والاخلاقية بل ما اقل احزانه الانسانية · وهل له احزان انسانية · انها اصوات تتفجر وتظل تتفجر بلا اي تغيير في الصيغة أو التفسير او في مستوى الذكاء ·

انها اصوات تواجه اصواتا · نعم ، لان كلام الاخرين والخصوم لن يكون الا اصواتا · اذن لا بد ان يظل الانسان العربي يواجهها باصوات ، باصوات اعلى واكثر صوتية منها ···

انها حجارة تواجه حجارة او تلقى على حجارة · هكذا يفهم ويتصور الانسان العربي القضية حينما يواجه اي كلام بأصواته ، او حينما يفعل ما يحسبه كلاما او تفكيرا او منطقا او حوارا او ذكاء يواجه او يقاتل به كلاما او تفكيرا او منطقا او حوارا او ذكاء ··· حينما يواجه ويتعامل مع كل الحضارة والمتحضرين ومع كل الاشياء وكل المواقف ومع كل الاصدقاء والاعداء والانداد بالتصويت · ان التصويت هو كل عبقريته وقوته وحضارته بل وكل تاريخه · انه اي الانسان العربي لا يتغير او يتفاوت في اسلوبه او في مشاعر المقاومة او المواجهة فيه مهما اختلفت وتفاوتت القضايا والمشاكل والمواقف والافكار والتحديات والتبعات والاخطار المطروحة عليه

او حوله او المطروح عليها او حولها ·· ان كل تغيره او تفاوته في كل هذه المواجهات ان يشتد صوته ويزداد نزقه وارتجافه عنفا وافتضاحا وتجريحا لمسامع من يسمعون ·· كم يجب الرثاء لمسامع الاله ان كان يسمع كل تصويت الانسان العربي الذي يحسبه كلاما اي ان كان الاله متكلما لا مصوتا فقط ··

انه ليواجه اعلى مستويات الذكاء والتفكير والتخطيط العقلي الذي يدبر ضده لسحقه ولهزيمته او لمخاطبته والتحاور معه بالاسلوب الذي يواجه به اعلى مستويات البلادة الفكرية والحضارية والنفسية والانسانية · انه يواجه كل الاشياء المختلفة والمتفاوتة اشد الاختلاف والتفاوت باسلوب واحد هو التصويت الذي قد يختلف ويتفاوت شدة ونزقا وارتجافا دون ان يختلف او يتفاوت تفسيرا او منطقا او في فهمه وتفسيره لما امامه او حوله من منطق ومن تفاسير ···

انه مصوت ·· وهل يختلف او يتفاوت المصوت فاهما ومفسرا وقارئا او مفهوما مفسرا مقروءا ؟ ان هتافا او تصفيقا متعاليا في موقف خطابي متصايح لهو في حساب الانسان العربي كل الذكاء والتفكير والمقاومة والانتصار على كل الاخطار والاعداء ، بل انه لاقوى من كل ذلك ، بل واذكى واتقى ·

لهذا فان الانسان العربي لا يحتاج الى اية عبقرية فكرية او تفسيرية او علمية او حضارية لكي يقرأ ويفهم ويفسر بها الاشياء كل الاشياء ، انه فقط يصوت عليها · وهذا هو اعلى مستويات قراءته وفهمه وتفسيره لكل الاشياء ، واعلى مستويات تصوره لاذكى القراءات والفهم والتفاسير، بل واعلى مستويات مقاومته لكل الاشياء واستجابته لها وتعامله معها ·

انه حينما يصوت على الاشياء او في مواجهة الاشياء يعتقد انه لا احد يناضل او يواجه او يستجيب او يتعامل او ينتصر ويتفوق مثله · كما انه اي الانسان العربي لن يحوجك الى اية عبقرية فكرية او علمية او ثقافية او اخلاقية او حضارية او فنية لكي تقراه او تفهمه او تفسره او تتعامل معه او تخاطبه · انه تصويت فقط في تصوره ومحاسبته على انه تصويت فقط هو كل القراءة والفهم والتفسير لـه ، وكل التعامل والتخاطب معه ، بل وكل الاحترام والتمجيد والفهم له ·· انه لا يريد ان يفهم او يقرا او يفسر الا بأنـه تصويت ، بأنه بلاغة صوتية او ظاهرة صوتية وكم في هذا من المجد في حسابات الانسان العربي ··

اذن هل يحتاج الى اية عبقرية من اي نوع أو هل يحوج الى مثل هذه العبقرية ؟ إ نه اذن اي الانسان العربي لمريح جدا بقدر ما هو مستريح · انـه لمريح لمن يريد ان يفهمه او يفسره او يقرأه · انه ليس معقدا او بعيدا او عميقا ، ليس تفكيرا او تفسيرا او منطقا معقدا او محيرا او متعبا او بعيدا · انه فقط تصويت · اذن كـم هو مريح ومحاب لمن طرح امامهم او عليهم ليفهموه ويفسروه ويخاطبوه ويتعاملوا معه او به ، او لمن ارادوا ان يتسلوا بقراءته او بفهمه او بتفسيره او برؤيته معروضا بكل

فضائحه وتشوهاته بل عارضا لكل فضائحه وتشوهاته ·· انك قد تتحول الى مجد وسعادة للاخرين حينما يستعرضونك او تعرض نفسك امامهم مثقلا بالفضائح والتشوهات والضعف ·

ان في الانسان العربي اذن لنفعا ومجاملة لمن يريدون او لمن يراد منهم او يفرض عليهم ان يفهموه او يفسروه او يخاطبوه او يقوموه ويحسبوه ويحدقوا فيه او يتعاملوا معه او يخدعوه ويهزموه ويعروه ويفضحوه ويتسلوا بضعفه وباستعراض ضعفه · انه لن يرهقهم او يحرجهم او يذل كبرياءهم او يهدد تفوقهم او يجعلهم يخطئون او يعجزون او يتضاءلون · انه ليس لغات او تفاسير او اجهزة متعددة متغيرة تصنع الخطأ والحيرة والرهبة والعجز عن الفهم · انه لغة واحدة وتفسير وجهاز واحد لا يتطور ··

ان فيه اذن لمزية ونفعا ولو لاعدائه ، اي ولو الشامتين الماكرين الصيادين الخبثاء ·· لان الانسان العربي لا يوجد لـه اعداء · لان الاعداء ليسوا الا تفسيرا كبيرا لمن يعادون · ان الاعداء مستوى قوة وذكاء وموهبة فيمن يطلقون عداوتهم عليـه · وانهم ايضا اسلوب تمجيد له وخوف منه · اذن هل يمكن ان يكون للانسان العربي اعداء ؟ ليته يملك هذا المجد او يوهب هذا التمجيد ·· انك اذا عاديت انسانا فلست الا واهبا لـه مجدا او معترفا له بمجد · انك لن تعاديه بلا ثمن او بلا قيمة فيه ، اي اذا لفترضنا عداوتك عداوة انسان وعداوة حساب وتدبير وتفكير وليست عداوة حشرة ···

ان الانسان العربي في كل تاريخه لم يتعامل مع اي كلام او يفسر او يحاسب او يتصور اي كلام على انه كلام ، فيه صدق الكلام وتفسيره ومعناه وعمقه وكل التزاماته الفكرية والنفسية والاخلاقية والحضارية والنفسية بل والدينية والمذهبية · اجل ، ان كل هـذه الالتزامات هي بعض التزامات الكلام في مطامحه واخلاقـه وتطلعاته الحضارية والانسانية · ان الكلام في مستوياته الحضارية والانسانية باهظ الشروط والالتزامات ··

انه اي الانسان العربي ليس فظا او وحشا بلا نموذج لكي يذهب تصـوره الى انه قد يوجد كلام بهذا التفسير اي يحاسب او يطالب بكل هذه الالتزامات العنيفة او حتى ببعضها او يلتزم بها ·

ان هذه الالتزامات القاسية والصعبة جدا المطروحة على الكلام او المحاسب بها الكلام او التي لا يكون الكلام كلاما الا بها ـ نعم ، ان هذه الالتزامات التي لا تفسير ولا مجد للكلام الا بها هي مستوى حضاري وبشري لا تذهب قسوة الانسان العربي او كبرياؤه او عناده او اشتراطاته او رؤاه لنفسه او للاشياء ، لا تذهب به الى تصوره اي الى تصور هـذا المستوى الحضاري المرهق تصوره · ان الكلام هو اعلى مـا في الكينونة والحياة من طموح واعلى ما في الطموح من احتمالات الحياة والكينونة متحولا الى التزام فكري واخلاقي وانساني معلن ···

ان الكلام في حساب الانسان العربي مستوى متواضع جدا · ان نموذجه الاعلى والاصعب في تصوره هو صوت الرعد والزلزال والاعصار المدمدم · ان هذا الصوت اي صوت الزلزال والاعصار والرعد لا يراه الانسان العربي كلاما فقط او كلاما جيدا جدا فقط · بل انه ليراه كلام الاله في اقوى واروع مواقفه الكلامية · أليس هذا الصوت هو كل كلام الاله ؟ هل يعرف الاله اية لغة غير لغة الرعد والزلزال والاعصار ؟ وهل تكلم في كل تاريخه بغير هذه اللغة ؟ وهل سمع احد من البشر الاله يتكلم بغير هذه اللغة ، او هل عرف احد ان الاله يتكلم او يعرف اية لغة لولا أصوات الزلازل والرعود والاعاصير ؟

ان هذا الصوت المنطلق عن الطبيعة بكل خشوع ورهبة ووقار هو كلام الاله ، قد وضع فيه اي الاله كل تقواه وذكاءه واخلاقه وحماسته وكل التزامات الطبيعة والكون والحياة والبشر والحضارات والالهة ، وكل التزاماته هو ازاء الكون والطبيعة والحياة والحضارات والبشر وازاء نفسه ، اي كل التزامات الاله ازاء كل ذلك · وهل توجد التزامات اقسى واكبر من التزامات الاله ازاء الطبيعة والحياة وكل شيء ؟ ولكن هل يعرف الاله ذلك او يلتزم به ؟

ان هذا الصوت هو كلام الاله يوجهه وهو في اعلى مستويات الجد والحماس والحسم والتقوى والذكاء والمنطقية اي وهو في اعلى مستوياته الالهية ، في اعلى مستويات الاله فيه ـ يوجهه اي الاله الى الانسان والى كل شيء لكي يهبه كل المعرفة والايمان والتدين والفهم وكل الكينونات الكبيرة العظيمة ·· ان الاله بكلامه هذا اي بصوت الطبيعة هذا يعتقد انه لا احد يتكلم مثله او يفهم او يبدع او يناضل او يخاطب او يتفاهم مثله ··

ان الانسان العربي هكذا يفهم ويفسر صوت الرعد والزلزال والاعاصير الحمقاء وانه هكذا يفهم ويتصور الكلام في اعلى واذكى نماذجه · انه لا شيء يفسر قيمة الكلام عند الانسان العربي مثل اعتقاده بان صوت الرعد والزلزال والاعصار ليس الا كلام الاله في اعلى نماذجه المنطقية والبلاغية والتعليمية والجدلية ··

وهل يطمع او يستطيع او يريد الانسان العربي ان يكون كلامه او اي كلام أعلى او اذكى من كلام الاله اي اعلى او اذكى من اصوات الرعد او الزلزال او الاعصار ؟

ولانه اي الانسان العربي لا يطمع في ذلك ولا يريده او يستطيعه فقد ظل ابدا وكانه لا يريد ان يتعلم او يعرف او يتكلم غير لغة الاله هذه ، كأنه يريد ان يظل ابدا يتعلمها ويتكلمها ولا يتخطاها ابدا ، اي يتعلم ويتكلم ابدا كلام الاله الذي يتكلمه الرعد والزلزال والاعصار · لقد ظلت هذه اللغة اي اصوات الرعود والزلازل والاعاصير هي النموذج الاعلى للكلام في حساب الانسان العربي ، لان هذه الاصوات في ايمان الانسان العربي وفي موهبته هي الاله متحدثا بأعلى مستوياته اللغوية

والبلاغية والفكرية والاخلاقية والتعليمية والخالقية ، بل باعلى مستوياته النفسية والانسانية ٠

نعم ، ان الاله لا يتحدث الا بمستويات الانسان فيه ٠ ولكن هل يتحدث باعلى هذه المستويات ام بادناها ؟

انه لم يحاول اي الانسان العربي ان يتكلم او يتعلم اية لغة اخرى لكي يتعلمها منه الاله او لكي يعلمها هو الاله ٠ والاله دائما يتعلم جميع لغاته ومواهبه واخلاقه بل وذاته من الانسان العربي ٠ وهل لـه معلم سواه ؟ وهل استطاع الاله ان يتعلم ذاته بل نفس ذاته الا من الانسان ؟ ٠٠٠

وهل يتعلم الاله اي شيء الا من الانسان ؟ وهل يتعلم الانسان اي شيء الا من الانسان العربي ؟ اذن هل يتعلم الاله اي شيء الا من الانسان العربي ؟ اذن فالانسان هو معلم الاله ، والانسان العربي هو معلم الانسان ، كل الانسان ٠٠ اذن فالانسان العربي هو المعلم للاله وللانسان ، لكل الانسان ولكل احد كل شيء ٠٠

انه اي الانسان العربي هو الذي علم الاله ان يتكلم او هو الذي جعله يتكلم بصوت الرعد والزلزال والاعصار ، كما انه اي الانسان العربي هو الذي علم الاله كل ذاته و كل نماذجها وحدودها وصفاتها وشهواتها ومجاعاتها وهمومها وكل تشوهاتها وقسوتها وانانيتها ٠٠ لقد علمها اي علم ذات الاله او صاغها بقسوة وهمجية لا نموذج لهما ٠ لقد صاغ ذات الاله باسلوب من يعاقبها ويسبها ٠

وهو ايضا اي الانسان العربي هو الذي علم الطبيعة ان تتكلم او جعلها او زعمها تتكلم بلغة الاله وباخلاقه وشهواته واحزانه وبجميع مستوياته العقلية والنفسية والشخصية ٠٠

اذن فالانسان العربي هو المسؤول عن جميع اخلاق الاله وعن جميع مستوياته ونماذجه النفسية والعقلية واللغوية بل والذاتية ، لانه اي الانسان العربي هو الذي علمه اياها او هو الذي صاغه بها او هو الذي وهبه اياها او خلعها عليه او اتهمه بها ٠ نعم ، انه هو الذي اتهمه بها ٠٠

ان احدا لم يتهم احدا او شيئا او يشوهه مثلما اتهم الانسان العربي الالـه وشوهه حينما وضع او صاغ او رأى له كل نماذجه العقلية والنفسية والاخلاقية بل واللغوية والصوتية ٠٠ لقد كان الاله صامتا باستتار وتواضع وظل كذلك لا يزعم لنفسه ولا عنها شيئا حتى جاء الانسان العربي والقى عليه بكل اوصافه وبكل ملابسه ٠٠

اذن هل يوجد مذنب او مسؤول مثل الانسان العربي ؟ هل توجد ذنوب مثل ذنوب من وهب او علم الاله جميع نماذجه الذاتية والعقلية والنفسية والاخلاقية والفنية واللغوية ، او مثل ذنوب من اتهمه بذلك او تصوره كذلك ، او مثل ذنوب من خـاط

للاله ملابسه وصاغ لـه اوصافه ؟٠٠ ان من تصورك او فسرك تصورات وتفاسير رديئة ومشوهة فقد اعتدى عليك واساء اليك ٠٠

هل يوجد مذنب مثل من جعل او افترض اصوات الزلازل والاعاصير والبراكين واصوات كل التفجرات الطبيعية المخربة هي اعلى واتقى النماذج للاله ، متحدثا بكل بلاغته وعبقريته وبكل تدينه ووقاره وتقواه ومحبته الى نفسه والى كل عباده واكوانه؟ انه لا توجد تصورات مذنبة ومشوهة وظالمة مثل التصورات التي تصورت او تقبلت نماذج الاله وصوره ٠٠ انه لم يوجد من ظلم وأذنب اليه مفسرا ومتصورا مثل الاله ٠ ان التصورات والتفاسير المذنبة هي سلوك مذنب ٠

**

ان العرب ، وكذا جميع من هم في مستواهم يشوهون كل شيء يتعاملون به او يفرض عليهم التعامل به ٠ وايضا يشوهون كل شيء يؤمنون به او يفسرونه او يتصورونه أو ينحازون اليه ويدافعون عنه٠ أليس الشيء يشوه بالايمان به وبتفسيره وتصوره وبالانحياز اليه والدفاع عنه ؟ ألست قد تشوه المذهب أو النظام أو الزعيم أو النبي الجيد لانك قد آمنت به ووقفت معه وانتصرت له ودافعت عنه ؟

ان الاشياء ، جميع الاشياء لا يمكن ان تكون في جمالها او دمامتها او قوتها او ضعفها معزولة عمن يتعاملون عليها او بها ولا عمن يعرضونها او ينادون بهـا او يؤمنون بها بل ولا عمن يفسرونها او يقرؤونها او يتصورونها ٠ أليس لابس الثوب قد يتحول الى عدوان عليه والى تشويه له ؟ بل اليست صداقتك لانسان قد تشوه ذلك الانسان وتحوله الى متهم ونذل ؟

نعم ، ان جمال الثوب والجهاز وجودتهما ليسا مستقلين او منفصلين عن اللابس وعن المشغل او المحرك او الموجه المسير ٠ حتى الاله والمذهب والدين والنظام ، ليست اوصافه غير اوصاف من يؤمن به وينفذه ٠ ان عبقرية الشيء في عبقرية المتعاملين به وعليه ومعه ٠

ان العرب وكل من لهم مثل موهبتهم ليهبطون بجميع الاشياء التي يضعون عليها ايديهم او افواههم او عقولهم او اخلاقهم او تفاسيرهم او تصوراتهم او قلوبهم وتقواهم ، او التي يضعونها في ذلك منهم ، حتى الاشياء التي يضعون عليها عيونهم او يضعونها في عيونهم ، انها لا بد أن تصاب بالهبوط والتشوه ٠ حتى عيونهم ورؤاهم ، انها تشوه الاشياء ٠ انها لا تراها فقط بل تفعلها ٠٠ اننا لا نرى الاشياء فقط بل ونصوغها برؤيتنا لها ، كما نصوغها بايماننا بها وبتصورنـا وتفسيرنا لها وبتفكيرنا فيها ٠٠

نعم ، اي شيء تعاملوا عليه باي اسلوب من اساليب التعامل ولو حتى بالرؤية واللغة ثم لم يهبطوا به ويشوهوه ؟ اي شيء تعامل عليه العرب او آمنوا بـه ثم لم يهبطوا بكل مستوياته واخلاقه وتفاسيره ؟

ألم يتحولوا الى تشوهات في وجوه الحضارة التي قدمت اليهم غير معشوقة ولا مفهومة ولا مرحب بها ؟ هل تركوا وجها من وجوه الحضارة بلا تشويه ؟ ‥ لقد رأينا كيف هبطوا بالكلام واللغات ‥ لقد جعلوا الكلام واللغات اصواتا ، وجعلوا الاصوات هي اعلى ما في الكلام واللغات من عبقريات وفصاحات ‥ حتى الاصوات، لقد هبطوا بها ‥ ورأينا كيف هبطوا بالصحافة ـ هذا الفن الحضاري المخيف العظيم ‥ كيف حولوها الى استفراغ بذيء بليد وقح على كل معاني الانسان والحياة ‥

الم يحولوا هذا الفن الحضاري الضخم الى عار يملأ كل الزمان والمكان والحياة ؟ ألم يحولوها الى توبيخ وتأنيب وتأثيم لمن وهبوا المطبعة والورق والوسائل الاخرى الميسرة لها الانتشار والسرعة ؟ ‥ ألم يحول العرب الصحافة ، هـذه الظاهـرة الحضارية الرهيبة الى حشود هائلة من الاكاذيب والنفاق والبلادات والصلـوات والنبوات والعبادات لكل الاوثان والوثنيات ولكل الطغاة الجاهلين ولكل الطغيان البدوي الشرير المدمر الجاهل في جميع المحاريب وتحت جميع الاعلام والشعارات ؟

ألم يحولوا الصحافة الى لعنات يشتمون بها كل طلعة نهار ، والى تشوهات يغطون بها وجه الشمس كل إشراقة صباح ؟ ألم يجعلوا مجيء الصباح ذنبا وعارا ، لان مجيئه يعني مجيء الصحافة العربية ؟ قبيح مجيئك ايها الصباح لان الصحافة العربية تجيء مع مجيئك ايها الصباح المبصوق عليه ‥

ألم توزع الصحافة العربية نفسها على جميع الاوثان والوثنيات وعلى جميع المتسلطين وعلى جميع اللصوص القادرين باسلوب قد تخجل منه وتعف عنه صغار الحشرات ؟ هل وجد متسلط واحد في العالم العربي لم تركع تحت قدميه اكبر واصغر الصحف العربية مهما كان جهله وغباؤه وعاره وفساده ، لتصنع من مزاياه وعبقرياته وتقواه ونظافته أئمة وخلفاء وانبياء بل وآلهة ـ لتصنع من عاره مجدا لمجد التاريخ ومن هبوطه الانساني تيجانا لهامات الشموس ؟؟

هل وجدت معارض متجددة كل صباح ومساء ـ معارض للجهل والكذب والنفاق والهوان والسخف والتفاهـة وللتعبد الخاضع الذليـل ، ولبيع الاخـلاق والمذاهب والشعارات ، بل ولبيع الاديان والانبياء والالهة بلا اية شروط بل وبأثمان قد ترفض الحشرات ان تبيع بها شيئا من كبريائها او نظافتها او ذكائها ، واحيانا بلا ايـة اثمان ‥ ؟

نعم ، هل وجدت او توجد معارض لذلك مثل الصحافة العربية بكل أحجامها ومستوياتها ، بكل ارتفاعاتها وانخفاضاتها ، بكل آفاقها وسمواتها ؟ الم تتوزع الصحافة العربية على جميع الاكاذيب والبلادات والجهالات والوقاحات والمغامرات والمظالم ، زاعمة لها كل انساب الانبياء والالهة ، زاعمة انتساب كل الانبياء والالهة الى انسابها ؟

الم تصبح كلمة « هذا صحفي عربي » كلمة هجاء وتحقير ، يصغر عما فيها من هجاء وتحقير كل ما في الدنيا من كلمات الهجاء والتحقير ؟ أليس محتوما او مظنونا انه لو وجد من يحترم الاذان ويرفض تعذيبها وتحقيرها لما جرؤ ان ينطق بكلمة « صحفي عربي » او بكلمة « صحافة عربية » ؟ أليس محتوما ان تقتل كل الاذان كلمة صحافة عربية او صحفي عربي لو أن في قدرة اية كلمة ان تقتل او تجرح اية اذن ؟

كم يجب الرثاء للفم الذي ينطق بهاتين الكلمتين وللاذن التي تسمعهما ·· كم يجب الاعتذار الى الافواه والاذان الناطقة بهما والسامعة لهما ··

اليست فاجرة جدا او جاهلة جدا تلك الافواه التي تجرؤ على النطق بكلمة « صحفي عربي » او بكلمة « صحافة عربية » وتلك الاذان التي تستطيع الاستماع الى هاتين الكلمتين ؟

ان التاريخ لو جمع كل عاره في كل شعوبه وآحاده ليفاخر ويكاثر به اي عار آخر لكان من المظنون جدا ألا يجرؤ على ان يفاخر او يكاثر به عار الصحافة العربية · كم يجب الهجاء او الرثاء لوقاحتك او بلادتك او لصبرك وتواضع كرامتك حين تقبل ان يقال عنك : « صحفي عربي » ؟

ايتها الصحافة العربية · ما اضخم عارك · ما اقسى هجاءك واهانتك للحاجة او للفكرة التي ابتكرت الصحافة او التي ابتكرت الصحافة استجابة لضغوطها · كيف تتجاسرين على ان تكتبي او تقرئي او تطرحي نفسك في الايدي او الاسواق في عصر سحب فيه الانسان الاخر من صدر الاله كل شموسه واقماره ومن قدميه كل أرضه ومن فوق رأسه كل سمواته ومن غرفه الداخلية كل كراسيه وسرره ومن فوق جسده كل ملابسه واغطيته الداخلية ؟ ·· ان الفروق بين الصحافة في مستواها الحضاري والصحافة في مستواها العربي لاقسى واضخم من كل الفروق بين احدث واجمل مدينة عصرية وبين اشرس الصحاري بداوة وجهالة وكآبة ودمامة وقحطا · ان المسافة الفاصلة بين الصحافتين لاوسع انساعا من المسافة الفاصلة بين التاريخ قبل التاريخ وبين العصر الذي صلى فيه الانسان ضد الاله فوق القمر ···

نعم ، ان صلاة الانسان فوق القمر لهي صلاة ضد جميع الالهة ، ضد جميع الصلوات في جميع تفاسيرها الدينية ، وتفاسيرها العربية ·

انه لو كان امام المنطق وامام قوانين الاشياء املان : ان تصلح الصحافة العربية او ان تزال ، ان تداوى او ان يتداوى من وجودها لكان الامل الثاني هو الذي لا بد ان يقع عليه الخيار ، لكان هو الامل وحده · ومع انه امل مستحيل فانه يصبح ويظل مع ذلك املا محتملا محاسبا بالامل الاول ··

وهل وجد او يمكن ان يوجد من امل او من يؤمل ان تصبح الصحافة العربية شريفة او ذكية او نقية او صادقة او رسالة حضارية او انسانية او اخلاقية ، بل او شيئا لا يضر ولا ينفع ، لا يعطي ولا يأخذ او لا يلوث ولا يحقر كما لا يطهر ولا يمجد ؟

ان التأميل بأن تصبح الصحافة العربية صادقة او ذكية او عارفة او شجاعة او نزيهة او في مستوى الفكرة او الحاجة التي ابتكرت الصحافة او التي ابتكرت الصحافة تحت حساباتها ٠

– نعم ، ان هـذا التأميل لو وجد من يؤمله هجاء واهانة لكل استعمالات الامل ولكل تفاسيره ولكل المتحدثين عنه والمتعاملين معه وبه نفسيا وفكريا واخلاقيا ٠ ان الامل حينئذ ليس الا اقصى حالات اليأس ، وان اللغة حينئذ لم ترد ان يكون هناك فرق بين كلمة محال وكلمة امل او واقع ٠٠

ولكن هل اللغة تقية او ذكية لكي لا تقول نقيض ما تريد ونقيض ما يحدث ونقيض تفاسيرها ؟ وقضايا وعطايا ألحضارة الاخرى غير الصحافة والكلام واللغاتوالاصوات، ماذا صنع الانسان العربي بها حينما واجهها وعاملها وتحدث عنها وفسرها وآمن بها وادعاهـا ؟

هل عامل الانسان العربي شيئا بأذكى او اتقى مما عامل به اي شيء اخر ؟ هل خص شيئا بتشويهه له دون شيء اخر ؟

ماذا صنع بالديمقراطية والاشتراكية والراسمالية والحرية والحقوق الانسانية والوطنية والقـومية والانسانية والعالمية وبالانحيازيـة والحياديـة والانتمائية والاستقلالية ؟

ماذا صنع بها ممارسة ومفسرة ومقروءة ومدعاة ومعاقبة ومعاقبا بها ومخطوبا بها ومشتومة شاتمة ؟

وماذا صنع بالتعليم والمدارس والجامعات والشهادات والدراسة والقراءة والثقافة والتفكير والاعلام والدعاية والفنون والاداب والنقد وبكلمة عالم وخبير ومتخصص وزعيم وقائد وحاكم وشعب وولاء واخلاص وطاعة ووحدة واتحاد ؟ بل ماذا صنع بالحرب الحديثة والاسلحة الحديثة ؟ حتى الحرب الحديثة والاسلحة الحـديثة ، ماذا صنع بهما ؟ آه ماذا صنع بهما حينما فرض عليه ان يجربهما ؟ آه كيف أهانهما ؟ كيف بصق عليهما ضعفه وبداوته ؟ وكيف رفضا ان يكونا صديقين ليديه او لفكـره او لاخلاقـه ؟ ٠٠٠

اجل ، ماذا صنع الانسان العربي بكل ذلك حينما واجهه واستعمله وفسره ونطقه وقرأه وتصوره واقتنع بـه وتعلمه وعلمه والتزمه ، وحين امتدحه وادعاه وخطب بـه وله وبشربه وعنه ، وحينما وجده في بلده وحينما شعر انه يستطيع ان يأمره وينهاه ويقرره ويغيره ويصوغه ويخرجه ويصنع نماذجه ويتحكم فيها ؟

كيف شوه كل ذلك وهبط بـه وسحب منه كل قيمه ومعانيه ومستوياتهالحضارية والانسانية وحوله الى عار وبداوة والى سباب وغباء وغرور وكبرياء وعجز والى افتضاح شامل ؟

كيف سحب من كل عطايا الحضارة ومن كل انجازاتها كل منطقها وذكائها واخلاقها وجمالها وقوتها وعبقريتها ؟ كيف سحب من جسمها عضلاتها ، ومن عضلاتها قدرتها ، ومن رأسها عقلها ، ومن عقلها منطقها وفكرها ، ومن ضميرها براءتها ونظافتها، ومن اخلاقها نبلها وشهامتها ، ومن قلبها حبها وصداقتها ، ومن لسانها صدقها وتهذيبها ، ومن وجهها حياءها وسماحتها وابتسامتها وترحيبها ، ومن منابرها تواضعها ، ومن حركاتها توازنها ووقارها ؟

كيف سحب من الحضارة كل تحضرها ومن السماء كل معاني الارتفاع فيها ؟

كيف افسد وشوه كل شيء بالتعامل والمواجهة والتفكير والتفسير والتحدث والقراءة وبالتصور والانتماء والاقتناع وبالايمان والحب والصداقة والادعاء له ؟

كيف سحب من كل شيء جيد اخلاقه وخصائصه وحوله الى هجاء لنفسه ؟

كيف نقل خصائصه الى كل شيء يعيشه او يواجهه او يدعيه فهوى به اي بكل شيء متحضر يعيشه او يواجهه او يدعيه او يؤمن به - فهوى به من قمة التحضر والتهذيب والقوة والذكاء والصدق والجمال الى حضيض البداوة والضعف والدمامة والكذب والفحش والغباء ؟

كيف هبط بكل شيء ذكي وقوي الى ذاته ليكون في مستواها بدل ان يصعد بذاته الى اي شيء عظيم وذكي يحكم عليه بمعايشته ومعاملته لكي تكون اي ذاته في مستوى ذلك الشيء العظيم الذكي ؟

كيف حول كل قيمة العلم الذي قرأ او لقن او سمع عنه الى تسويغ وتفسير لبداوته الدينية والفكرية والتاريخية ؟

كيف حول كل مقاسات الحضارة الى مقاسات خصائصه ، ولم يحول اي شيء من خصائصه الى مقاس اي شيء من مقاسات اي شيء من الحضارة ؟

كيف هبط بكل السماوات الى حضيض ارضه ولم يرتفع بشيء من حضيض ارضه الى اي مستوى من مستويات اي سماء من السموات ؟

حتى السلاح الحديث وحتى الحرب الحديثة ، لقد تعامل بهما بمواهبه هو وبمواهب تاريخه لا بمواهب من فكروهما وابتكروهما وتعاملوا بهما بمستوياتهما الحضارية ؟

لقد نقل اي الانسان العربي مواهبه الى السلاح الحديث والى الحرب الحديثة اللذين تعامل بهما وحينما اراد او فرض عليه التعامل بهما ولم ينقل مواهب السلاح الحديث او الحرب الحديثة الى مواهبه هو ، لم ينقل مواهبهما الى عضلاته او عقله او ارادته او شجاعته او الى اي معنى من معانيه او تفسير من تفاسيره او الى اية لغة من لغاته او ضربة من ضرباته ...

لقد عرب كل شيء تعامل به ولم يحضر اي شيء عربي فيه اضطر الى التعامل بالحضارة · لقد استعربت كل الحضارة في عقل واخلاق ومشاعر ولغة وعضلات الانسان العربي ··

لقد تحول السلاح الحديث والحرب الحديثة في يديه وعقله وتدبيره وبسالته الى كائنين غريبين بعيدين جـدا عن نفسيهما · لقـــد فقـــدا ونسيا نسبهما ووطنهما وقوميتهما · لقد أنكرا ذلك وجهلاه ، لقد فقدا ونسيا اخلاقهما ومواهبهما ··

لقد اصبحا اي السلاح الحديث والحرب الحديثة عربيين ملتزمين بكل مواهب واخلاق العروبة وبكل عجزها اي عجز العروبة عن ان تكون متحضرة او قوية او ذكية او منتصرة ···

فليعاقبك الله يا اسرائيل فلقد كشفت ان كل شيء جيد يصبح شيئا رديئا في يد الانسان العربي حتى الحرب الحديثة والسلاح الحديث ·

ايتها الحرب العلمية الحديثة ·· ايها السلاح العلمي الحديث ، ماساتكما قاسية وعالمية حينما فرضتما على الانسان العربي ان يتعامل بكما ، ان يجـــرب عليكما مواهبه وكل تاريخه المعلوم المجهول ··

نعم ، ان التاريخ العربي معلوم جدا لانه مكتوب ومروى باسهاب ولكنه مجهول جدا لانه لم يكتب او يرو بصدق او بذكاء او معرفة او شجاعة ·

هل تستطيعان ان تنسيا ، او يستطيع العالم ان ينسى تجربتكما هذه او ماساتكما هذه حينما ذهب الانسان العربي يجرب عليكما عضلاته وفكره وارادته ، يجرب كل تاريخه ، او حينما ذهبتما تفسران وتقرآن للعالم كل تفاسير آبائه وكل عبقرياتهم الحضارية المقبورة معهم في مقابرهم المنقوشة عليها اجمل الآيات القرآنية وأروع الاشعار الجاهلية والاسلامية ؟

أيتها الحرب الحديثة والسلاح الحديث هل تستطيعان ان تنسيا او يستطيع العالم ان ينسى تجربتكما او مأساتكما هذه ؟ هل تقبلان ان تجيئا لو كنتما مخيرين اي لو علمتما ان الانسان العربي سوف يجرب عليكما نفسه كما جربها ؟

اذن ليس الكلام او اللغة او الصحافة هي وحدها التي هبط الانسان العـربي بمستواها او التي فرغها من كل معانيها والتزاماتها الحضارية والانسانية ، بل لقـد فعل ذلك بكل انجازات الحضارة وعطاياها ، بل وبكل قيم الانسان وتفاسيره · انني لو اردت ان اختار اقوى دعاية ضد الشيوعية او الديمقراطية الراسمالية او اية مذهبية لاخترت ان يأخذ بها العرب ليكونوا هذه الدعاية التي هي اقوى دعاية ··

ان للعرب اذن لمجدا · أليس مجدا ان يهبطوا بالاشياء العظيمة والقوية ويشوهوها؟

ايهم أقوى وآصل مجدا : الذين يصنعون الحضارة ام الذين يستطيعون تشويهها والهبوط بها ؟ أليست القدرة على تدمير الاشياء القوية عبقرية كعبقرية القدرة على ابداعها ؟ أليس العبقري في الهبوط الى الحضيض عبقريا ؟

كان يوجد دائما من يخطئون في فهم الانسان العربي خطأ نبيلا او خطأ حوافزه النبل او الاشفاق · كان يوجد دائما من يخطئون هذا الخطأ الذي كأنما كانوا يتعمدونه ويريدونه بحوافز الشهامة ·· أليس الخطأ المتعمد بحوافز الشهامة افضل من الصواب الذي تهدى اليه حوافز النذالة ؟

نعم ، انه ليوجد من يخطئون ولو احيانا بتعمد شهامة ونبلا واشفاقا ، لان اجتناب مثل هذا الخطأ يصبح اجتنابا للشهامة والنبل والاشفاق ، ويصبح ايضا قسوة وتعذيبا ، اي احيانا ··

لقد كان يوجد دائما هؤلاء الذين يخطئون بهذا الاسلوب وبهذه النيات في فهمهم للانسان العربي ·· ومهما كانت وحشية البشر فهل يمكن الا يوجد من يشفقون على الانسان العربي ويرثون لـه ثم يستجيبون لاشفاقهم ورثائهم ؟

لقد وجد ولا يزال يوجد من حسبوا ومن يحسبون ان الانسان العربي كائن متكلم وليس كائنا مصوتا فقط · وهنا ألا يحتمل ان هـذا الحسبان ليس الا خطأ متعمدا حوافزه الشهامة والنبل والاشفاق ، لان الذين حسبوا هذا الحسبان واخطأوا هذا الخطأ لم يستطيعوا او يريدوا ان يفهموا الانسان العربي بانه دون ذلك رفضا للقسوة والتحقير ؟ أليس احتمالا جيدا ونبيلا انهم رفضوا فهمه دون ذلك لانهم يرفضون ان يحقروه ويقسوا عليه بهذا الاسلوب ؟

وحين اخطأوا هذا الخطأ ذهبوا يفسرون اصوات الانسان العربي ويقرؤونها ويتخاطبون ويتعاملون معها ويكتبونها ويروونها ويتحدثون عنها ويستنبطون منها ويقيمون المقارنات الجادة بينها وبين اي كلام اخر باسلوب غاية في القدرة والصبر على اخفاء الحوافز ···

ـ نعم ، ذهبوا يفعلون كل ذلك وكأنهم امام اعظم الكلام عبقرية وآصله كلامية ··· انهم يقرؤون التراث العربي القديم ويتعمقونه ويكتبون عنه الدراسات الكثيرة ويقاسون في محاولة فهمه والفهم منه والحكم عليه والحكم به بل وفي محاولة تمجيده وتفضيله على كل تراث اخر ولو احيانا ·· ان الاشفاق قد يتحول احيانا الى مغالاة في الحب والتمجيد والعطاء ··

لقد توجهوا الى التراث العربي القديم وراحوا يبحثونه ويتعمقون فيه بروح الرهبانية والايمان والتعبد والتصوف العميق · كانوا كأتقى المؤمنين ايمانا حينما يتوجهون الى كتب العرب المقدسة ليستلهموها ويسائلوها عن جميع الاسرار والتفاسير والحلول ·· هل يمكن ان تفسر مغالاة المتحضرين في تمجيد التراث العربي القـديم بغير هذه التفاسير تحت هذه الحوافز النبيلة الرحيمة المسرفة في نبلها ورحمتها وسخائها ؟

انهم لم يروا في هذا التراث كلاما فقط مثل اي كلام ، بل لقد رأوا فيه اذكى الكلام واكثره اصالة كلامية او من أذكى الكلام ومن اكثره اصالة وعمقا في تفسير

الكلام • انهم لم يروه اي التراث العربي ولم يحاسبوه على انه ليس سوى اصوات كتبت بحروف كحروف الكلام ونطقت باسلوب يشبه النطق بالكلام وخوطب بها كما يقع التخاطب بالكلام • انهم لم يستطيعوا افتراض هـذا التراث كما هو اصواتا فقط ليس فيها اي تفسير او قصد او خلق من تفاسير الكلام او مقاصده او اخلاقه • ان اخلاقهم لم تجرؤ على الهبوط الى هذا الواقع •••

انك قد ترفض او تهاب تصديق الواقع لان فيك شهامة لا لان فيك غباء !

وهم اليوم اي هؤلاء الذين اخطأوا هـذا الخطأ الشهم النبيل في فهم الانسان العربي ـ نعم ، وهم اليوم ولا بد ان يظلوا زمنا طويلا ايضا لا يزالون يعيشون هـذا الخطأ ويتعاملون به ، كأن كل شيء واي شيء لا يستطيع ان يجعلهم يـرون خطأهم أو يريدون اويستطيعون رؤيته ، او يجعلهم يريدون الكف عنه حتى ولو راوه واستطاعوا الاقتناع بكونه خطأ لا يستطيع ان يخطئه احد لافتضاح كونه خطـأ اي لا يستطيع ان يخطئه لشدة وقبح خطئه أشد الباحثين عن الخطأ او ان يهتدى اليه اقدر الناس اهتداء الى الخطأ لهبوطه تحت جميع درجات ومستويات الخطأ •

اجل ، ان هنالك لاخطاء تقبح وتهبط وتعجز عن التزيي بأي زي من ازياء الخطأ وتصغر عن ان تحمل او تملك اي اغراء او جمال او قوة من اغراءات الاخطاء ومـن قوتها وجمالها حتى ليعجز عن ان يخطئها اصغر الناس اخطاء واشدهم بحثا عـن الاخطاء واقدرهم على ان يخطئوا كل الاخطاء ، أقدرهم على ارادة الاخطاء وعلى الاهتداء اليها • نعم ، ان كثيرا من الناس يخطئون لانهم يريدون ان يخطئوا لا لانهم عاجزون عن ان يعرفوا • ولكن أليست ارادة الخطأ تتحول الى عجز عن المعرفة ؟

انك مهما كنت موهوبا في قدرتك على الاخطاء وفي ارادتك لها وجراتك النفسية والعقلية والاخلاقية عليها ، على اعلانها وممارستها والاقتناع بها •

ـ نعم ، انك مهما كنت كذلك فانك لن تستطيع ان تخطىء كل الاخطاء •ان اخطاء لا بد ان تظل عذراء بلا ازواج او عشاق او اصدقاء لبشاعتها او لافتضاح عارهـا او لفقدها اسباب واساليب الاغراء والخداع • انها لهذا لن تجد من يعشقها او يتزوجها او يتهم بها او من يتبناها او يدعيها او يصادقها او يتداوى بها او يخاصم او يقاتل او ينافس او يتاجر او يخادع او يسرق ويكذب ويستغل باسمها ، كما يفعل كل الناس حينما يؤمنون او يعلنون ايمانهم بالاخطاء الدينية او المذهبية او القومية او الوطنية او التاريخية او الاخلاقية اي حينما يؤمنون هذا الايمانباحد هذه الاخطاء او بها كلها ويعلنون ايمانهم هـذا وحوافزهم المضمرة هي المخاصمة او المقاتلة او المتاجرة او المنافسة او الخداع او الاستغلال او شبه ذلك من الحوافز التي تضمر بل وتنكر بينما هي اقوى في جهرها من كل جهر وتشهير واعتراف •• ان اقوى وآصل الاخطاء الاعتقادية بل اقوى وآصل كل الاعتقادات هي التي نؤمن بها او ندعيها لكي نحارب ونعادي ونخاصم ونشاتم بها •

اجل ، ان من الاخطاء اخطاء لا بد ان تظل عاجزة عن ان تجد من يقبل ان يتعامل بها او يعطف عليها او يدعيها ولو بحوافز الرثاء والاشفاق او باملاء الشهامة والنبل · حتى هذه الحوافز والاملاءات تعجز عن ان تجعل كل الاخطاء مقبولة او متعاملا بها او عليها · مع ان الاخطاء هي اكثر الاشياء واقواها اصدقاء وعشاقا وانصارا واتباعا ··

حتى الاخطاء والاكاذيب والاوهام المختلفة الجنسيات تحتاج ولو احيانا ، اي يحتاج بعضها الى المعاملة بحوافز الرثاء والاشفاق وباملاء النبل والشهامة لئلا تكون مرفوضة رفضا ليس فيه اي قدر من العزاء · ولكن اخطاء واكاذيب واوهاما اخرى لن يوجد ما يجعلها غير مرفوضة ومهجورة كل الرفض والهجر · ان جميع حوافز الرثاء واملاءات الشهامة لن تنقذها من هذا الرفض والهجران ·

اجل ، انه اذا كان بعض البشر لن يجدوا من يتعاملون معهم او من يتحدثون اليهم او يفكرون او يحدقون فيهم الا بحوافز الاشفاق والرحمة او باملاء الشهامة او النبل فان بعض الاخطاء والاوهام والاقتناعات المختلفة لكذلك ايضا ، اي تحتاج الى مثل هذه الحوافز والاملاءات الاخلاقية والنفسية لكي يستطاع الايمان بها والتعامل معها ويستطاع التحدث عنها والتحديق والتفكير فيها ، اي مع الاستثناء السابق الذي معناه ان اخطاء واوهاما واقتناعات اخرى لن تجد من يجرؤ على ان يخطئها او يريد ان يخطئها او يهتدى الى ان يخطئها أو يستطيع ان يخطئها مهما كانت موهبة العطف والاشفاق فيه ومهما كانت املاءات الشهامة والنبل عليه · ولعل من الصعب ان يفطن الانسان الى انه لا يؤمن او يلتزم بالكثير من معتقداته المذهبية او الدينية او الاخلاقية الا بحوافز الرثاء والشفقة او باملاءات النبل والشهامة ··

ولقد كان من المفروض الذي كان يجب ان يكون محتوما الا يوجد من يمكن ان يعتقدوا او يتصوروا ان التراث العربي القديم كلام يجوز او يمكن ان يناقش او يحاسب او توضع عنه وفيه الدراسات ، الا يوجد من يحسبه غير أصوات لا تفهم او تفسر او تحاسب باي مستوى من مستويات الكلام ، ولا تلتزم او تطالب بان تلتزم باي التزام من التزامات الكلام · اشعار المديح والهجاء والمفاخرة في تراثنا ، واوصاف الجحيم والجنة والثواب والعقاب في كتابنا المنزل هل يمكن ان تحاسب محاسبة الكلام او ان تفسر تفاسيره ؟ هل يمكن ان يخطىء احد في ذلك ؟ لقد كان الاقتناع بان التراث العربي القديم كلام وليس تصويتا فقط هو من الاخطاء التي كان من المفروض بل المحتوم الا يوجد من يجرؤون او يريدون او يستطيعون ان يخطئوها تحت اي حوافز او املاءات من اي نوع · لقد كان المفروض ان يكون هذا الخطأ خارج جميع الحوافز والاملاءات النفسية والاخلاقية بل والمذهبية والدينية · اذن كيف امكن ان يوجد من يخطئون هذا الخطأ ؟

وهؤلاء الذين ذهبوا بايمان وبراءة وسخاء نفسي وحضاري يهبون التراث العربي القديم كل هذا التقدير والتمجيد بحسبانهم ومحاسبتهم له بأنه كلام ،

توجهوا بنفس الايمان والبراءة والصدق والحماس وبنفس السخاء النفسي والحضاري الى اصوات الانسان العربي المعاصر يقرؤونها ويحاورونها ويفسرونها ويخاطبونها ويحاكمونها مثلما يفعلون مع الكلام، بل مثلما يفعلون مع اجود الكلام ٠٠ انهم يهبون قدرا كبيرا وجيدا من طاقاتهم الذهنية والنفسية لتعاملهم مع اصوات العرب المعاصرين٠ لقد ارتفع هؤلاء الذين يعاملون اصوات العرب هذه المعاملة فوق جميع مقاييس الشهامة والنبل والشفقة والمجاملة٠

ما اصغر وأردأ هـذا الذي يحدث دون ان يصنع اي تعجب او اشمئزاز او استنكار كأنه شيء يمكن ان يكون معقولا او مقبولا او مغفورا او معذورا ٠ كأنه ليس شيئا خارجا على جميع المقاييس والتفاسير وعلى جميع مستويات السخاء الانسـاني والحضاري ٠ كأنه ليس سخاء نفسيا لا بد ان يتحول الى هجاء لكل تفاسير السخاء ٠٠

ما اصغر وأردأ وأفظع ان يصوت زعيم او حاكم او مسؤول عربي او ان تصوت اذاعة أو صحيفة أو دعاية عربية ٠أو أن يصدر مؤتمر اقطاب عربي تصويتا ما أو اصواتا ما يسميها ويحسبها بيانا عبقريا حربيا كونيا يوجهه الى كل العالم ،٠الى كل شعوب وقيادات ومذاهب ونظم واديان وجيوش ومواهب كل العالم ، يوجهه باسلوب ونيات الانذار والتهديد والقتال بكل معانيه وتفاسيره ورعوده وكبريائـه وشتائمه ٠

ـ نعم ، ما أردأ وأصغر وأفظع ان يحدث هذا التصويت العربي أو هذه الاصوات العربية فينهض باهتمام وجد ناس من الناس ، فينهض اي ناس باسلوب من يصنعون شيئا من الجد او المنطق او الذكاء او الواجب او الاهتمام او الحماس المعقول او المعذور او المشكور ٠

ـ نعم ، فينهض قوم من المتحضرين جدا بل ينهض قوم لا حضارة لولا حضارتهم ولا مجد لاية حضارة لولا مجد حضارتهم ليصوغوا من كل مواهبهم العقلية والحضارية والخيالية طاقة فكرية واحدة ليجادلوا ويحاسبوا ويفسروا ويفهموا بها هذه الاصوات العربية التي يطلقها ويصوتها الحكام والزعماء والخطباء وجميع المتحدثين العرب اي جميع المصوتين العرب ـ التي يصوتونها ويطلقونها على كل القضايا، على اصغر القضايا واكبرها ٠٠ يطلقونها ويصوتونها دون ان يقرأوا او يروا او يتصوروا او يخاطبوا او حتى يعنوا القضية التي يطلقون أصواتهم عليها ، بل ودون ان يعرفوا ان هناك قضية او ان لهم قضية او ان من الخير ان تكون لهم قضية ٠٠

نعم ينهض قوم قد وهبوا الحياة والتاريخ كل ما فيهما من حضارات ووهبوا هذه للحضارات التي وهبوها كل مجدها واخلاقها وذكائها وكل تفاسيرها الجميلة ـ ينهضون لكي يقاسوا ويقاسوا بعقولهم واخلاقهم وبكل مواهبهم الحضارية والانسانية والنفسية ، لكي يستطيعوا التعامل مع هذه الاصوات العربية تفسيرا وتثمينا وفهما واستنتاجا ومحاسبة ومحاورة، كأنها اي هـذه الاصوات كلام حقا يعني شيئا او يمكن

ان يفسر بشيء وانه قد قاله قوم قد يقصدون به شيئا او يخططون به لشيء او يفسرون به شيئا او يلتزمون به اي معنى من معاني الالتزام ، او يفهمون معنى الكلام او الفرق بينه وبين التصويت او انه يوجد بينهما اي فرق • نعم ، ان قوما قد صنعوا كل الحضارة ليذهبون يقاسون كل المقاساة لكي يقرأوا ويفهموا ويفسروا اصواتا من الاصوات ••

كيف يحدث هذا ؟ انه لمذهل ومرهق للعقل ان يحدث هذا ويستمر يحدث دون ان يذعر او يفجع او يصدم احدا ••

كيف لم يدرك هـؤلاء بالتجارب الطويلة ان العرب يصوتون ولا يتكلمون ؟ هـل جربوا عليهم ولو مرة واحدة انهم يتكلمون ؟ ألم يجربوا عليهم دائما وفي جميع المواقف والقضايا انهم فقط يصوتون ؟

هل وجدوا او عرفوا ولو في موقف واحد ان الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يصرخ ويعلن : سأحارب •• سأنتصر على كل الاعداء والانداد •• ساحول شعبي الى معجزة كونية •• سأجعله اول شعب يزرع القمر ويسكن الشمس ويبطل الزلازل والبراكين والاعاصير •• سأهبه كل ما في مواهب الطبيعة وعضلاتها من قوة ورخاء وذكاء وكرامة ومجد وحب وجمال ••• سأكون ذكيا وقويا ومهذبـا وصادقا ومتحضرا ومعافى من الحقد والخبث والخداع والكبرياء والطغيان والضآلة والغباء والوقاحة ومن قصر القامة وضيق الهامة •• سأجعل بلدي اول بلد ينزل اليه الاله ضيفا او زائرا او لاجئا او مواطنا لاني لا بد ان اجعله اي اجعل بلدي ساحرا لعيني الاله ولقلبه بتقدمه وجماله وتدينه ونظافته وبمستوياته الانسانية الضخمة •

ـ نعم ، هل وجدوا او عرفوا ولو في موقف واحد ان الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يخطب ويعلن ويصرخ هكذا ـ انه يتكلم او يعني اي معنى من معاني الكلام بل او يفهم او يتصور اي معنى من المعاني التي يفهمها ويتصورها من يتكلمون ؟ بل ان هـذا المسؤول العربي حينما يصرخ هكذا لا يتصور ان احدا يتوقع منه انه يعني شيئا او انه ملزم بشيء او يستمع اليه ليفهم منه شيئا ••

نعم ، هل وجدوا او عرفـوا بالتجارب الطويلة المكررة ان هـذا الرئيس او الزعيم او القائد او المسؤول العربي حينما يصرخ ويعلن ويخطب هكذا يتكلم اكثر او اعمق مما عرفوا ووجدوا ان الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب يتكلم حينما يصوت ، وانه يريد اي الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب ان يعلن بكلامه : ان القيادات العربية هي التي علمت الطبيعة قوانينها وقياداتها لنفسها ولكل وحداتها الاخرى ، وانها هي التي وهبت الشمس قوتها وذكاءها في قيادتها لتوابعها ولرعاياها ، ويعلن ايضا اي الذباب او البرغوث او الجمل او الذئب انه لم يتعلم موهبة الكلام بكل عبقرياته والتزاماته وتفاسيره الا من الانسان العربي ، وان الانسان العربي سيكون اول من

يررع الشمس بالذوج وبالمناخ الصانع لاعلى واجمل واضخم حقول الحياة وانواعها ؟

هل الاصوات العربية أقدر على أن تخدع بنفسها وعلى أن تفسر بأنها كلام، هل هي أقدر على ذلك من أصوات الكائنات التي هي دون الانسان ؟ هل يمكن أن يخدع أي كائن فيعتقد بأن في خطب أي زعيم أو مسؤول عربي من معاني الكلام وتفاسيره أكثر مما في طنين أية ذبابة ؟

كيف يمكن الاعتقاد بأن أصوات الزعماء والحكام والدعاة والمعلمين والقادة العرب بل وأصوات أي أنسان عربي ـ كيف امكن أو يمكن الاعتقاد بأن أصوات العرب كلام دون الاعتقاد بأن أصوات الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان كلام أيضا ، بل مع الاعتقاد بأن أصوات هذه الكائنات ليست كلاما ؟ كيف لا تقتنع بأن أي صوت يطلقه أي كائن هو أعظم كلام اذا كنت قد أقتنعت بأن نبوات وتعاليم وشرائع وخطب أنبياء ومعلمي وزعماء العرب نوع من الكلام ؟..

أن أصوات هذه الكائنات أصوات فقط أي ليست كلاما وليست كذلك ضد الكلام أو نفيا للكلام أو لمعاني الكلام .. أما أصوات العرب ولا سيما أصوات زعمائهم ورؤسائهم ودعاتهم وقادتهم ومعلميهم فانها ليست أصواتا فقط ، انها أردأ جدا من ذلك . أن أصواتهم ضد الكلام ونفي لجميع معاني الكلام وتفاسيره . أن الكائنات دون الانسان تصوت وكأنها تعلن بتواضع أنها لا تستطيع أن تتكلم ، أما الانسان العربي فيصوت ليقتل أو ينفي أو يسكت كل من يستطيع أن يتكلم أو كأنه يريد أن يفعل ذلك ..

أن أي عربي يتكلم أي يصوت سواء أكان رئيسا أو زعيما أو قائدا أم كان معلما أو مفكرا أو شاعرا أو دون ذلك انما يعني بقصد أو بغير قصد أن يطارد ويقاتل ويهزم ويرهب ويسكت ويفسد ويشوه كل كلام قد وجد أو قد يوجد وكل من يستطيعون أن يتكلموا ..

أن الانسان العربي ليس فقط كائنا لم يبلغ طور الكائن المتكلم ، ولكنه أي الانسان العربي كائن يرفض ويخاف وينافي أن يكون هناك متكلم أو كلام .. أن الانسان أما متكلم وأما مناقض محارب للكلام . أنه لا يكون صمتا بين الحالتين أو عن الحالتين . ولما لم يكن الانسان العربي متكلما كان محتوما أن يكون الحالة الاخرى ..

ان كل ما قاله وكتبه العرب في كل تاريخهم ، وكل ما يقولونه ويكتبونه، ليس الا مقاومة للكلام بمعانيه الحضارية بل وبمعانيه الانسانية والاخلاقية .. ان

الزعيم أو النبي او المعلم المفكر العربي لا يكون عظيما أو شهيرا جهيرا أو محققا لمعناه بصيغة عالية الا بقدر ما يكون مقاوما للكلام بكل معانيه الحضارية والانسانية٠

ان اي زعيم عربي بل ان اي عربي يتكلم أو يريد أن يتكلم أي يصوت انما يقاوم الكلام ويريد مقاومته ، وانه ليقاومه ويريد مقاومته بقدر ما يتكلم أو يريد أن يتكلم ٠ انه بذلك يقاوم الكلام الذي تحول الى كينونة أو قد يتحول الى كينونة أو يطالب بالتحول الى كينونة ٠ لان الكلام بمعناه الحضاري بل وبمعناه الانساني والاخلاقي ليس الا حالة أو كينونة قد كانت أو سوف تكون أو يطالب لها بأن تكون ٠ لهذا كان يوجد دائما في جميع العصور والمجتمعات على مستويات متفاوتة من يقاومون الكلام ، أي يقاومون كينونات واقعة يرفضونها ويخافونها أو يقاومون كينونات يخافون أن تقع وقد تقع ٠ أن الطاغية أو النبي اذا بطش بسلوك ما أو بوضع اجتماعي معين أو بمذهب ما فانما يبطش بشيء كان يوما ما كلاما ولا بد أن يتحول ايضا كلاما ٠ واذا بطش بكلام فانما يبطش بشيء لا بد أن يتحول أو قد يتحول الى وضع أو سلوك أو مذهب ما ٠

ان الكلام لا يقاوم لانه كلام ولكن لانه كينونة أو حالة واقعة أو محتملة الوقوع اذن فالذين يقاومون كينونة أو حالة ما انما يقاومون كلاما ما لان هذه الحالة أو الكينونة التي يقاومون انما هي كلام قد تحول الى كينونة أو الى حالة ، كما أن الذين يقاومون كلاما ما انما يقاومون كينونة أو حالة قد تكون أو يناضل في سبيلها لكي تكون ٠٠ أن كل كلام هو كينونة قد وجدت أو يراد لها أن توجد ، ويطالب لها بالوجود ، وان كل كينونة ليست ألا كلاما قد تحول الى تفسير أي قد بلغ اقصى مداه ٠

اذن اليس الذين يقاومون حرية الكلام أو حرية التفكير والتعبير بل أو حرية البكاء والانين بل أو حرية النظر في المرآة الى الوجه الحزين أو المريض أو الهزيل أو الجائع أو المتالم المقهور المذعور ٠

نعم ، اليس الذين يقاومون هذه الحرية ـ والمقاومون لها موجودون دائما في كل العصور والمجتمعات وتحت جميع المذاهب والنظم والعهود والسلاطين ـ انما يقاومون كينونة قد وقعت أو يخشون وقوعها ؟ أن جميع الطغاة والمعلمين ليقاومون أن ينظر الوجه الحزين أو المريض أو المهزول أو المتالم المقهور الى نفسه في المرآة بقدر ما يقاومون أن ينظر اليهم هم بأية مرآة عقلية أو أخلاقية أو أنسانية بل أو مذهبية أو دينية أو كلامية ٠٠

وبهذا التفسير للكلام هل يمكن أن يكون في أصوات العرب التي كانت في التاريخ أو في أصواتهم التي تشتم بها الحضارة اليوم نفسها لانها تطلقها وتذيعها باجهزتها ووسائلها الحضارية الشاملة ـ نعم ، بهذا التفسير والتقويم للكلام هل

يمكن أن يكون في أصوات العرب تلك أو في أصواتهم هذه ما ليس مقاومة شاملة للكـــلام ؟

وهل يقبل العرب ، انبياؤهم أو خلفاؤهم او قادتهم تفسيرا لانفسهم غير تفسيرهم بانهم المقاومون العتاة للكلام ، اي بمعناه الحضاري ٠٠

هل وجد صوت عربي واحد ليس مقاومة لكينونة أو لحالة جديدة أو لوجود جديد أو لمستوى من الحياة جديد، أو ليس مقاومة لنظام أو لمذهب أو لفكر أو لشوق أو لتعبير جديد أو لرؤية جديدة ، أي ليس مقاومة للكلام في أحد معانيه أو في جميع معانيه ؟ ان اتهام أي عربي بأنه ليس مقاوما للكلام لا يعني في حساباته الا اتهامه بانه ليس مقاوما للفساد ولا للخيانة ولا للضلال ولا للزندقة ولا للتآمر ٠٠

ماذا تعني أو تريد النبوات والتعاليم والعظـات والشرائـع والفنـون والآداب العربية ؟ بـل ماذا تعني وتريد الكتب العربية المنزلة أو المقدسة ؟

بماذا جاءت نبوات العرب ولماذا جاءت وماذا قالت ولماذا قالت وبماذا يمكن أن تفسر ـ ماذا أعطت وصنعت وأرادت ؟

أليست جميع نياتها ونتائجها وتفاسيرها أن تقاوم الكـلام بجميـع معانيـه الحضارية والانسانية ، أي أن تقاوم جميع الكينونات والحالات والمستويات والرؤى والافكار والمذاهب والاشـواق والامـال والارادات والتعبـيرات والاسـفار الكونـية والانسانية وجميع التخطيات والتحديات الجديدة التي ليست موجودة في معابـد التاريخ ولا في مقابره ؟ أن موهبة كـل نبوات العروبة موهوبة كلـها لمقاومة كـل الكلام لان كـل تقوى كـل العروبة ليست غيـر الرفض الدائم لكـل معاني التخطي والتحـدي لمقابـر الاربـاب الشائخـة جـدا ٠

هل يمكن أن تكون مقاوما للتخطي أو للتحدي أو للرفض أو للاشمئزاز أو الغضب العقلي والاخلاقي واللغوي ثـم لا تكون مقاوما للكلام ؟ أو هـل يمكن أن تكون مقاوما للكلام دون أن تكون قاصدا مقاومة ذلك كله بـل دون أن تكـون مقاومتك للكـلام مقاومـة لكـل ذلـك ؟

ألست بقدر مـا تكون مقاوما رافضا لكـل كينونة أو صيغة للحياة لـم يعشهـا الاباء أو التاريخ أو لا تعيشها حياتك الحاضرة تكون مقاوما رافضا للكلام بتفاسيره السابقة ، وأنـك بقدر مـا تكون مقاوما رافضا للكلام أي بمعانيه التـي شرحـت تكون حتما مقاوما ورافضا لتلك الكينونة وتلك الصيغة للحياة التي لـم يعشـها آباؤك أو تاريخك ولا تعيشها حياتك الحاضرة ؟ أنـه لمستحيل أن يوجد من يخشى كـل كينونة جديدة ثـم يقبل أن يكون كلام ، أو من يقبل أن يكون كلام ثم يرفض أن تكـون كينونـة جديـدة ٠٠

أنـه لهذا لا أمل في أن يسمح بالكلام أي مجتمع يرفض ويقاوم جميع الكينونات والامـال الجديـدة ٠

اذن فالعرب ليسوا تصويتا أو أصواتا فقط مثل الكائنات المصوتة التي هي دون الانسان · أنهم لو كانوا كذلك لكانوا حينئذ كائنات خيرة · أنهم حينئذ عاجزون عن الكلام ، عن ان يكونوا بشرا متكلمين وليسوا أعداء أو نقيضا للكلام · ليتهم بكل هذا النبل والفضل ·· نبي أو زعيم أو شاعر أو مفكر عربي يصوت فقط دون أن يعني شيئا ·· كم في هذا من النفع والخير والتقوى !! وهل الانسان العربي صالح وطيب وشهم وبريء وعبقري وورع بكل هذه الضخامة والشمول ؟

شيء رائع جدا لو أن جميع أنبياء العرب وقادتهم وحكمائهم وشعرائهم ومفكرين ومعلمين كانوا في كل التاريخ مصوتين فقط مثلما يصوت البعوض والديك وليسوا مصوتين أو متكلمين ضد الكلام ومقاومين لكل كلام بأصواتهم · ليت ذلك كذلك ·

نعم ، رائع جدا أن تكون كل أصوات معلمي العرب وقادتهم المحسوبة كلاما مثل نقيق الضفادع لا شيئا أردأ وأخطر ··

هل السذاجة العقلية والتفسيرية والنفسية بل والاخلاقية موهبة حضارية؟ هل اكثر الناس تحضرا هم أكثرهم غفلة وخطأ في تفسيرهم وفي قراءتهم ورؤيتهم وتصديقهم لاقل الناس تحضرا وصدقا وموهبة ولاكثرهم افتضاحا وتشوها وخبثا نفسيا ؟

هل الموهوب يفقد موهبته حين مواجهته لفاقد الموهبة ، حين تعامله نفسيا معه ؟

هل من مجد القوى والمتحضر أن يصاب بالانخداع للضعيف المتخلف وأن يبالغ في تمجيده وتضخيمه ؟ هل هي ضريبة على الحضارة وعلى القوة أن تريا الضعف والبداوة أكبر من حجمهما واذكى من تفاسيرهما وأجمل من ذاتيهما ؟

هل هي قوة في الموهبة والتفوق أن يضعف الموهوب المتفوق أمام فاقد الموهبة وفاقد التفوق وأن يخطىء ويبالغ في تفسيره له ؟

هل مفروض على المتفوق أن يكفر عن تفوقه بالاعجاب بالمتخلف ؟

هل الاعجاب بالمتخلف صدقة أو جزية يفرضها التفوق على المتفوق ، كما يفرض التخلف على المتخلف أن يكون نذلا ؟

هل التفوق ذنب لا يغفره الا تفسير المتخلف بأجمل وأذكى التفاسير مهما كان محتوما ألا يفسر المتخلف المتفوق الا بأغبى وأردأ التفاسير ؟···

هل الانسان المتكلم لا يستطيع أن يقتنع بأنه متكلم الا اذا أقتنع بأن الانسان المصوت هو كائن متكلم ، بل الا اذا فسر تصويته وأصواته بأنها أكثر الكلام عبقرية وأصلها كلامية ؟

هل من قوانين الحياه المحتومة ان يهب المتفوق كل تواضعه وتهذيبه للمتخلف لكي يذهب المتخلف يطلق كل وقاحاته وكبريائه على المتفوق بكل نيات وأساليب البذاءة والعدوان ؟

هل الاكثر حضارة وتقدما محتوم بأن يكون أكثر براءة نفسية وفكرية واخلاقية؟ وهل هذه البراءة تعني الاعجاب والانخداع بمن لا يملكون هذه البراءة والانخداع لهم ؟ هل التفوق يفرض على المتفوق أن يرى المتخلف متفوقا ويرى الكذاب والنذل والملوث صادقـا وشهمـا ونظيفـا ؟

هـل الطبيعة تعاقب المتفوقين حضاريا وانسانيا وعلميا بـأن تجعلهم مصابين بموهبة الانخداع والغفلة في تعاملهم مع المتفوقين جدا في خبثهم وعفنهم النفسـي والفكـري والاخلاقـي ؟

هـل قضت الطبيعة بـأن تكون هباتها وتوزيعها لعبقريتها هكذا : تهب قومـا الغفلة والتصديق الساذج لانها قـد وهبتهم كـل الوان العبقرية والقـوة ووهبتهـم البراءة والطهارة والسماحة النفسية والانسانية وشهامة الرؤية والتفسير للاخرين ، لكـي تهب أي الطبيعة قومـا اخرين كـل الخبث والمكر والعفونة النفسية وهمجيـة بـل وعدوانية الرؤية والتفسير للاخرين لانها قـد وهبتهم كـل العجز عن كـل قوة وعن كـل عبقرية حضارية أو أنسانية أو اخلاقية ؟ هـل قوانين واخلاق الطبيعـة قضت بأن تجعل الانسان مخدوعا وساذجا ومكذوبا عليه بقدر ما يكون متفوقا وتجعله نذلا وخداعا وعدوانيا وخبيثا متوقحا بقدر ما تجعله متخلفا عاجزا ؟

هـل العبقرية والبراءة همـا دائما خطـأ وعجز فـي رؤيتهما وفـي تفسيرهمـا للتفاهة وللمكـر والخبث ؟ هـل العبقرية طفولة نفسية وتصديقية بقدر مـا التخلف أوحال وأكاذيب نفسية ولغوية ؟ هـل كـل ذلك كذلك ؟ لننظر الى معاملتنا للمتفوقين والى معاملة المتفوقين لنـا لنعرف جواب هذه التساؤلات ·

كيف رآنا ويرانا الاخرون اي المتفوقون ؟ وكيف راينا ونرى هؤلاء الاخرين ؟

قبيحة هـي رؤيتنا للاخرين ، في نذالتها وكذبها ووقاحتها وعدوانيتها بقـدر مـا هـي كريمة رؤية هؤلاء الاخرين لنـا ، في سخائها وتفضلها وحبها وانخداعها ومحاباتها · مـا انذل همجية عيوننا في نظرها الى المتفوقين ، ومـا أعظم تهذيـب عيونـهم فـي نظرهـا الينـا ؟·

كيف يفسروننا ويتصوروننا ويصوغوننا أي بأفكارهم وأمانيهم ؟ كيف يضخمون احجامنا جدا ؟ كيف يزورون لنا احجاما لم توجد في ذواتنا او تاريخنا بل فـي سخائهـم وشهامتهـم فقـط ؟

كيف يهبوننا ويريدون أن يهبونا بـل ويقاسون لكـي يهبونا ويثبتـوا لنـا أمجادا وتفوقا وتقوى وطهارة وسبقا وحضارات لا نعرف عنها شيئا ، بـل لا تستطيع مقاساتنا ونماذجنا البشرية واحتمالاتنا الحضارية أن تعيشها أو تتكافأ او تتفاهـم معها لـو قدمت الينا صناعة جاهزة ، بـل لـو فرضت علينا فرضا ، او لـو جـاء انبياؤنا ليعاقبونا بنيرانهم الهمجية أن لـم نعشها ونتكافأ معها ؟

كيف يتحدثون عن امجاد لنا لا تستطيع كـل قبور آبائنا ولا عبقريات آلهتنا أن تتسـع لـها أو تطمـح الـى تصورهـا ؟

كيف نريد هؤلاء الاخرون المتفوقون ويحاولون أن يهبونا كل مجدهم الحضاري والانساني والاخلاقي ؟ كيف يريدون ويحاولون أن ينسبوا الينا مجدهم هذا بل وكل مجد وأن يجعلونا نحن السباقين الوهابين لكل شيء جيد ومبتكر وجميل ٠٠ أن يجعلونا السباقين الوهابين لهم ولكل احد كل شيء جيد ومبتكر وجميل ؟ كيف يريدون أن يقتنعوا بانهم قد تعلموا منا ، من مقابرنا جميع ما وهبونا ؟ كيف يحاولون أن يقرؤوا ويكتبوا تاريخنا بلغة لم نتكلمها ولا نستطيع أن نتكلمها ؟

كيف ينحازون الينا ضد أنفسهم وضد من هم في مستواهم الحضاري اذا وقع بيننا وبينهم خلاف أو خصومة أو تصادم ؟ كيف يحاولون أن يجعلوا الصواب والعدل معنا دائما وأن يجعلوا الخطأ والظلم دائما فيهم وفي من هم في مستواهم الحضاري ؟

كيف يرون كل الارباب جاهلية وهمجية ولكن اربابنا هي وحدها التي يرونها حضارية وعلمية ؟

كيف يجندون لنا دائما أصواتهم وآرائهم وعواطفهم مسحوبة من حساباتهم هم ومن حسابات اندادهم وامثالهم في الحضارة والقوة ؟ كيف يروننا بل يجدوننا دائما على مقاسات امانيهم وطموحهم ويرون انفسهم بل ويعلنونها خارجة على هذه المقاسات بل نقيضها ؟

كيف يحاولون دائما أن يخلعوا علينا جميع أثوابهم الجديدة والجميلة والنظيفة وأن يخلعوا عنا جميع أثوابنا القديمة والرديئة والمتسخة ؟ كيف يريدون دائما أن يروا كعبتنا هي أقدم وأصل وأتقى وأنظف وأجمل وأعلى الكعبات وأقربها الى جبهة الاله والى ضميره واشواقه ، مصليا وساكنا ومتوجها ٠٠

كيف يريدون أن يرونا ويجدونا كما يريدون أن يكونوا أي أكبر وافضل وأجمل مما نريد أن نكون ؟ كيف يروننا كما يريدون أن يرونا لا كما يجدوننا ويروننا ؟ كيف يصرون على أن يكرهوا عيونهم لترانا أجمل وأضخم وأنظف وأقوى مما ترانا ؟ كيف يريدون أن يؤلفوا عيونهم وأن يصوغوها لكي ترانا كما يريدون لنا لا كما نحن ؟ كيف يعاقبون عيونهم وعقولهم لكي تتحول الى تزوير والى زور في رؤيتها وفي تفسيرها لنا ؟

لكي ترانا اي عيونهم وعقولهم جمالا وضخامة مكذوبين مزورين ؟
كيف يفعلون كل ذلك أو يفعله فريق منهم بنا ولنا ومن أجلنا ؟

كيف لا يرهقنا الحرج والخجل من محاباتهم لضعفنا وتخلفنا ، ومن تدليلهم لنا وتحديقهم في مواهبنا ومزايانا التي لم توجد ؟

أجل ، انه ليوجد دائما فريق منهم يصر على ان يفعل كل ذلك لنا وبنا ومن أجلنا بكل الصدق والبراءة والشهامة والحب ، وأيضا بكل الغفلة والسذاجة والانخداع ٠٠

انهما سذاجة وانخداع المتفوق ‥ ما انبـــل واتقى واذكى سذاجة وانخـداع المتفوقين ‥

نعم ، أنه لتوجد دائما طائفة في هؤلاء الاخرين المتفوقين ترانا وتجدنا وتحسبنا وتعلن عنا وتعلننا أكبر وأجمل وأعظم وأصدق مما كنا ومما نكون ومما نستطيع ونريد أن نكون ومما نعرف أننا قد كنا ، بل أكبر وأجمل وأعظم مما نتمناء لانفسنا ولحياتنا ولتاريخنـــا ‥

كيف يتصوروننا ويريدون لنا أكثر وأجمل مما تصورتنا وأرادت لنا جميع آلهتنا ونبواتنـــا ؟

بـــل كيف تحدثوا عنـــا وقرأوناوقرأوا لنـــا اذكى وأروع مما تحدث عنا وقرانا وقــرأ لنـــا جميـــع اربابنـــا وانبيائنـــا ؟

كيف هبطوا تحت جميع مقاييس الذكاء وتحت جميع مهابط الغفلة والاخطاء لكي يرتفعوا بنا ، لكي يفسروا أصواتنا بأنها كلام ولكي يفسرونا بأننا كائنات متكلمة بـــل عبقريـــة الكـــلام ؟

كيف ذهبوا بغفلة مذهلة يقرؤون أصواتنا ويحاورونها ويحاسبونها ويضعون عنها وفيها للدراسات ويتخاطبون معها وفيها وعنها ، ويستمعون اليها بل ويتحدثون عنها بعقولهم ونفوسهم ولخلاقهم وبكل مستوياتهم الحضارية والثقافية والانسانية ؟

كيف حولوا الاهتمام بأصواتنا وبنا نحن الكائنات المصوتة الى قضية حضارية وانسانية يفرضونها على جميع مواهبهم وقضاياهم ؟

كيف تحولت محاباتهم لنـــا وتصميمهم على أن يرونا ويجدونا وعلى أن نكون أكبر وأعظم ممـــا كنـــا وممـــا نكون وممـــا نستطيع ونريد أن نكون ، بـــل أكبـــر وأعظم ممـــا تريد لنـــا آلهتنا ونبواتنا ومما تستطيعه لنا وبنا ٠

نعم ، كيف تحولت محاباتهم هذه وتصميمهم هذا الى فضح لذكائهم وكبريائهـم وقدرتهم على رؤية الاشياء وقراءتها ولضعفهم النفسي والفكري في مواجهتهم لنا وفي تعاملهـــم معنـــا ؟

أجـــل ، أنـــهم ليتحولون الى ضعف شامل يستحق كـــل الرثاء كلمـــا واجهونا أو قرأونا أو فسرونا أو أحبونا أو خاصمونا ‥

كيف تحولنا الى قهارين ومذلين لتفوقهم ؟ كيف حولونا الى قهارين وفضاحين مذلين لهم بضعفنا وتخلفنا ؟ كيف ذلل تفوقهم تخلفنا وذلت مواهبهم وحضارتهم لبداوتنا حتى لاصبح حقـــا علينا أن نرثى لهم ، أن نحزن من أجلهم ؟ نعم ، كيـــف خلقونا ورأونا وفسرونا أعظم وأكرم وأذكى مما خلقتنا ووهبتنا وفسرتنا جميـــع الهتنـــا وأنبيائنـــا ؟

ولكن نحن ماذا نريد أن نهـــب هؤلاء المتفوقين ، وماذا وهبناهم وماذا نستطيـــع أن نهبهـــم ؟ كيف رأيناهم ونراهم ، وفسرناهم ونفسرهم ، وماذا قلنا ونقول عنهـــم

وفيهم ؟ وماذا تمنينا ونتمنى لهـم ؟ وبماذا اعترفنا لهم ، وروينا لهـم وعنـهم ؟ هل رأينا لهم سبقا أو مزية ؟ هل تقبلنا أن تنسب اليهم اية موهبة أو فضيلة أو شيء لا نحسبه عارا أو فجورا أو غواية أو سقوطا ؟

هل وهبناهم غير الشتائم والبغضاء والتحقير ؟ وهل قلنا فيهـم الا الاكاذيب والاتهامـــات ؟

هل سعدنا بشيء مثل سعادتنا بسبهم واتهامهم وقذفهم وتحقيرهم بل وتجهيلهم؟

هـل تحدثنا عن أي ذنب من ذنوبنا أو عن أي تخلف أو هوان أو عجز أو بلادة أو هزيمة أو طغيان أو ظلم او جهالة نعيشها من قبل ان يعيشها آباؤنا ، ويعيشـها آباؤنا من قبل أن تعيشها آلهتنا ونبواتنا ، وتعيشها آلهتنا ونبواتنا قبل أن تتعلمها الاشياء والحشرات منها أي من آلهتنا ونبواتنا ٠

نعم ، هـل تحدثنا عن ايـة عاهة أو رذيلة من عاهاتنا ورذائلنا هـذه دون أن نعلن بكـل الغرور والجراة والوقاحة والفحش بأنهم اي هؤلاء المتفوقين هـم الذيـن علمونا اياهـا بـل هـم الذين زرعوها واستنبتوها في اخلاقنا وشهواتنا واعضائنا وارضنا ، بـل هـم الذين اكرهونا عليها ، بـل هـم الذين دسوها بحيلهم وأساليبهم الاستعمارية الامبريالية الصليبية الصهيونية ـ دسوها في نيات واخلاق وتعاليـم اربابنا وانبيائنا وخلفائنا ـ بـل دسوها في آيات قرآننا وفـي بلاغـة احاديـث نبواتنا ؟ الـم نجعلهم هـم الجانين والمعلمين حتى لبداوات وجهالات انبيائنا ؟ الـم نجعلهم هم الذين قالوا وكتبوا ورووا وفسروا وحي انبيائنا ليجعلوه هزيمة وهجاء لنـا ولانبيائنـــا ؟

الـم نزعم ولا نزال نزعم أنـه لولاهم لمـا وجـد الشيطان ، ولـو وجـد لمـا وجدت الشرور والآلام ، ولـو وجدت لمـا وجدها أي الشيطان ولمـا عرفها ، ولـو وجدها وعرفها لمـا اشتهى التحريض عليها ، ولـو أشتهى التحريض عليها لما عرف كيف يحرض عليها ، ولـو عرف ذلك لمـا جرؤ عليه ، ولـو جرؤ عليه لما وجد مـن يطيعه أو يثـق بـه أو يفهم منـه ؟ حتى الشيطان لقد كان محتاجا الى من يعلمـه فنونه ٠ من علـم الشيطان فنونه ومن جعله يريدها ويريد تنفيذها ويسعد بتنفيذها ؟ هل يوجد متعلمون بلا معلمين ؟ هل يولد الكائن متعلما ؟ كيف ولد الشيطان متعلما ؟

بـل الـم نزعم انـه لولاهم أي لـولا هؤلاء المتفوقون لمـا استطاع الاله بـل ولمـا عرف او اشتهى تشويه الاطفال والشيوخ ولا ابتكار العاهات والآلام والاحزان والامراض والموت والشيوخة ، بـل لمـا تعلم أو عرف أو أحب أي الاله أي خلق مـن اخلاقه أو شهوة من شهواته او أي فـن من فنونـه التي لـن يقبل أي فنان مهما كانت مواهبه واخلاقه وعاره وفحش ضميره وأنانيته ان يتهم بها ، بل التي لن يستطيع أي فنان أن يهبط الى مستواها مهما كان هبوط مستوياته الفنية والنفسية والاخلاقية والاجتماعية ؟ هل سأل المؤمن ايمانه : من جعل الاله يعرف ويشتهي ويمارس اخلاقه وموهبته الفظـة العدوانية الشاذة بـلا نموذج أو قياس أو تفسير ؟ هل يمكن

أن يكون أي الاله قد علم نفسه أو أحب نفسه أو رضى عن نفسه بدون ان يكون له معلم أو ملزم لا شبيه له في وحشيته ونذالته وقبحه ؟ ..

بل ألسنا نزعم نصا أو تفسيرا أن هؤلاء هم الذين حرضوا الطبيعة بنية المؤامرة والكيد لنا ـ حرضوها على ان تجمع فينا ولنا وحدنا كل العبقريات المختلفة التي كان المفروض أو العدل أن تقسم على كل البشر أو ان يوهبوها جميعا بلا تمييز أو يوهبوا منها مقادير متساوية عادلة .

أجل السنا نزعم أن هؤلاء قد دبروا مع الطبيعة أن نخص وحدنا بجميع العبقريات البشرية ولادة وقدرا وأن يحرم منها أي من هذه العبقريات جميع البشر لكي يغاروا ويخافوا منا ، ولكي يعادونا ويحسدونا ، ولكي يذهبوا حينئذ أي كل البشر الى آلهتهم المعادية لنا الحاقدة علينا لكي يطالبوها بأن تسحب كل اساليب الحركة والنشاط والذكاء من عبقرياتنا التي خصصنا بها دون كل البشر ، لكي تظل اي عبقرياتنا فينا خمودا ومواتا ، لكي نصبح حاملي عبقريات دون أي عمل أو عقل أو تدبير أو أي شيء عبقري ، لكي تتحول هذه العبقريات فينا الى جثث ونتحول نحن للى مقابر وتوابيت للجثث ، لجثث العبقريات ، لكي نصبح أعظم الناس وأتفه الناس ، أعظمهم كمدافن وتوابيت ، وأتفههم كحياة ووجود وتفكير وعمل ، لكي نصبح أعجب شيء في هذا الكون : خزائن فيها كل الاشياء واعظم الاشياء دون أن تعطى أي شيء عظيم ، أو تخرج أي شيء عظيم ، أو يوجد فيها أي شيء عظيم ، أو ينتظر منها أي شيء عظيم ، بل ودون أن تتململ أو تتقاسى من أحتوائها لكل الاشياء العظيمة دون ولادة أو تفريغ أو عطاء أو تعبير ملائم مريح ؟

نعم ، ألسنا نحن كل المخازن لكل العبقريات دون ان نعطي أية عبقرية أو تتفجر فينا لية عبقرية ؟ ألسنا الحبالى الذين لا يلدون ولا ينتظر منهم أن يلدوا؟

أجل ، ألسنا نزعم كل هذه المزاعم عن هؤلاء المتفوقين ، نزعمها بالنص أو بالتفسير أو بالنص والتفسير ؟ نعم ، أننا أن لم نزعم هذه المزاعم أو أن لم نزعم بعضها بالنطق والاعلان فاننا نزعمها كلها بل وأكثر منها بالنية والمعنى والتفسير . ولكن هل نخاف نحن من أي عار لكي نلجأ الى الاخفاء والنية ؟

كم هي هائلة وفظيعة شتائمنا واتهاماتنا لهؤلاء المتفوقين . كم هي عظيمة وكثيرة وكريمة هدايانا أليهم .. هل وجد أو هل يمكن أن يوجد شاتمون متهمون مثلنا ، أو مشتومون متهمون مثلهم ؟ هل وجد غافرون واهبون متسامحون محابون منكرون لانفسهم ولتفوقهم ولعطاياهم مثل هؤلاء ، أو وجد جاحدون معتدون متوقحون مسيئون مغرورون مثلنا ؟ ولكن هل غرورنا غرور ، أم هو فضح لعجزنا وتخلفنا وفحشنا وأعلان عن عدوانيتنا قد جاء باسلوب الغرور ؟ أليس الغرور شيئا اسمى وأنقى من الوقاحة والبغضاء والتفاهة والحقد والتطاول على المتفوقين ؟ هل الصرصار مغرور مهما كانت بذاءاته ؟

هـل وجدت علاقة بيـن سخاء وعطاء وصداقة وتواضع وضخامة وإحسان بيـن نكران ونذالة وإساءة وسباب وادعاء وكبرياء وضآلة مثـل العلاقة التي بيننا وبيـن هؤلاء المتفوقين الذين وهبونا واحبونا وحابونا بـلا حـدود أو مثال ، حتى لقـد بالغوا وبالغوا في ذلك حتى زعمونا كائنات متكلمة لا مصوتة فقط كما نحن ، وحتى زعموا أصواتنا كلاما يقرا ويكتب ويسمع ويحاور ويدرس ويحاسب كمـا يحاسـب الكلام بـل كمـا يحاسب الكلام الجيـد بـل العبقـري ..

كيف تطيق عيون الاشياء وضمائرها أن تحدق في هذه العلاقة بيننا وبين هؤلاء ؟ كيـف تطيـق الاشيـاء رؤيتنـا والصمـت عنـا ؟

هـل ضمائر الاشياء وعيونها بليدة أو وقحة أو عمياء أو عدوانية الى هذا المدى ؟

كيف تطيق عيون الالهة او ضمائرها أو شهوتها للعدل وللشهامة والوفاء ذلك ؟

هـل يمكن ان تكون قـد بقيت للالهة عيون أو ضمائر أن كانت قد وجدت لهـا عيون أو ضمائر ـ هـل يمكن أن تكون قـد بقيت لهـا عيون أو ضمائر وهـي تواجه وتعايش كـل هذا الذي يحدث ، هذا الذي يواجهه كـل من لهم عيون وضمائر ؟ هل يمكن تصور سباب للالهة مثل الزعم بان لها أي للالهة عيونا أو ضمائر أو مثـل الزعم بان عيونها وضمائرها لم تتفجر ذعرا وهربا واستحياء ؟

وهـل يمكن ان يوجد أو يبقى في مواجهة هذا الكون من خلقت فيهم أو بقيـت لهم عيون او ضمائر ؟ اليس كـل مـا يحسب عيونا وضمائر انما هـو جثث عيون وضمائر مفرغة من كـل معانيها ؟

اليس محتوما أن تقتل مواجهة هذا الكون أقسى واقوى وأفجر العيون والضمائر حتى ولـو كانت في قسوتها وبذاءتها وفجورها مثل عيون وضمائر الالهة والملائكـة والانبياء الذين جاءوا ليتحدثوا عن رحمة ورقة وكرامة وشهامة وحب عيون وضمائر الالهة والملائكة ، الملائكة الذين كـل عملهم وتقواهم أن يقرؤوا ويفسروا كـل عيون وضمائر الالهة ـ ان يقرؤوها ويفسروها باعداد الجحيم وصياغته وحراسته وبجمع الوقود والطعام لـه أي للجحيم ، وبانزال الموت والعذاب والدمار بالمدن النائمـة ، وبايقاع العاهات والتشوهات بالشيوخ والاطفال والضعفاء والابرياء ، وبالتجسس والكتابة والاحصاء على خفقات القلوب وهمسات الشهوات ، وعلى قراءة العيون للعيون يفسرون ويقرؤون بذلك عيون الالهة وضمائرهم وحبهم وتقواهم ورحمتهم ؟

ولكن هـل توجد قسوة أو عدوانية مثل قسوة وعدوانية من يفترضون للالهـة أو للملائكة أو للانبياء عيونا او ضمائر ؟ وهل يمكن أن يغفروا أي الالهة أو الملائكة أو الانبياء لمـن يفترضون لهم عيونا أو ضمائر ؟

أن احتمال وجود عيون أو ضمائر مواجهة لهذا الكون ليس أفضل من أحتمال وجود زهرة حية داخل جسم الشمس ..

كيف امكن أن نصوغ علاقتنا بهؤلاء كمـا صغناها ؟ أو كيف أمكن أن نعامل بكل هذا العداء والبغضاء والجحود هؤلاء الذين عاملونا بكل هذا الحب والصداقة والعطاء

والسخاء والمحاباة ؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير أو سبب يمكن أن يفهم أو يقبل ؟

نعم ، اننا نملك موهبة لعل أحدا غيرنا لا يملكها ولا يستطيع امتلاكها ·· نملك موهبة العدوانية ، عدوانية النفس والاخلاق واللغة · اننا نملك هذه العدوانية بعبقرية لن ينافسنا أو يبارزنا فيها أحد أو شيء ··

اننا نعادي ونبغض كل شيء وكل احد · ولكن هل نصعد او نهبط في عداوتنا وعدواننا وبغضنا مثلما نصعد او نهبط حينما نهب عداوتنا وعدواننا وبغضاءنا للتفوق والذكاء والعظمة والعبقرية والبطولة والصدق والحب والجمال ولكل شيء ولكل احد جيد او نظيف او كريم او عظيم ؟

نعم ، ان لنا اذن لعبقرية دون اي منافس او مبارز فيها او عليها ··

هل وجد من يملكون اية عبقرية دون ان يكون لهم منافسون او مبارزون ودون احتمال وجود منافسين او مبارزين كثيرين ودائمين ومخيفين جدا ؟

نعم ، لقد وجد هؤلاء المالكون للعبقرية دون وجود او احتمال وجود اي منافسين او مبارزين · لقد وجدنا نحن مالكين لهذه العدوانية ، لهذه العبقرية في العدوانية دون لن نخشى وجود اي مبارز او منافس ··

لقد تفردنا دون كل البشر في لنه لا مبارز ولا منافس لنا على عبقريتنا هذه ، على اعظم واشهر عبقرياتنا ··

ان عبقريتنا او موهبتنا او عدوانيتنا هذه بلا نموذج مي قوتها وشمولها ووحشيتها واصالتها وفي عمايتها ونذالتها ايضا · وهل عار او ذنب ان تكون عبقرية قوم بلا شبيه في نذالتها او في عمايتها وخستها ؟ أليست العبقرية في الخسة والنذالة والعماية عبقرية ايضا ؟

ان اي قوم سوانا لا يستطيعون امتلاكها كما لا يستطيعون مقاساتها او تنفيذها بالاسلوب الذي ننفذها به ·· اننا اذن مخصوصون او متفوقون مرتين : مرة لاننا نملك عبقرية لا يستطيع احد سوانا ان يملكها ، ومرة اخرى لان احدا سوانا لا يستطيع ان يقاسيها او ينفذها مثلما نستطيع نحن ·

ان هذه العبقرية تعني الكره والحقد والاتهام والسباب والتحقير بالنفس والنية والشهوة وبالاخلاق واللغة وبكل اساليب التعبير ، لكل احد في كل المواقف · ان احدا ما لا يستطيع ان ينجو او يعفى من معاملتنا له بكل ذلك · ولكننا حتما نوزع خبائثنا هذه على جميع البشر الذين نشعر بهم او نواجههم او نتعامل معهم او حتى نعلم بوجودهم ، توزيعا مختلفا ومتفاوتا ·· اننا عالميون في عدواننا النفسي والاخلاقي واللغوي · انه لا مثيل لنا في عالميتنا هذه ، في عدوانيتنا العالمية ··

ان افضل البشر وانظفهم واتقاهم وأعظمهم واكثرهم عطاء للحضارة وللانسانية ولنا ايضا لا بد ان نخصهم بالاكثر والاقسى من عطايانا الشريرة هذه ·

اننا لا بد ان نهب الزهرة الاكثر عطرا من عدواننا وبغضائنا اكثر مما نهب الزهرة الاقل عطرا او مما نهب النبتة الشريرة ٠

ان التفاوت في توزيعنا لشرورنا هذه ليس عن تدبير او تفكير او عن اي حسابات ، بل عن طبيعة وموهبة ذاتية كالبلادة وكقصر القامة وضعف العضلات ٠٠ ان تخصيصنا للافضل او للانظف او للاعظم بالكره او العدوان عليه ليس عن تدبير او تفكير بل عن موهبة وغريزة ٠

ان احدا لا يستطيع ان يعالجنا من عدوانيتنا هذه عليه بأن يكون عظيما او نظيفا او فاضلا او مهذبا او انسانيا او صديقا او معطيا او محبا او محابيا لنا ، بل انه بذلك يحرض ويؤجج عدوانيتنا عليه اكثر واقسى ٠ اننا نكره الشيطان كراهة خطابية لا نفسية لاننا علمنا انه ليس عظيما ولا يفعل شيئا جيدا من اجلنا ٠ ولو انه اصبح عظيما وصديقا لنا ويفعل من اجلنا وعرفنا ذلك لكرهناه كراهة واقعية لا خطابية ٠٠٠ ساذج جدا هو ذلك المتفوق او اولئك المتفوقون في حضارتهم او قوتهم او رخائهم او في انجازاتهم العلمية والفنية او في تسامحهم وحرياتهم او في اي اسلوب من اساليب حياتهم ٠٠

ـ نعم ، ساذجون اولئك المتفوقون في اي شيء من ذلك حينما يحاولون ان يصدوا عدواننا النفسي والاخلاقي واللغوي عليهم ـ ان يصدوه عنهم او ان يشفونا منه بان يهبونا ويفعلوا من اجلنا ما لم يستطع جميع آلهتنا وانبيائنا وآبائنا ان يهبونا او ان يفعلوا من اجلنا شيئا منه ٠ ويصبح هؤلاء ساذجين ومصابين بالغفلة اكثر لو انهم ارادوا او فكروا ان يصدوا عدواننا هـذا اكثر بأن يكونوا شرفاء واتقياء واصدقاء ومحبين محابين لنا بلا حساب ، وانسانيين ومتواضعين ومنكرين لانفسهم ولمزاياهم، اي مع اعطائهم لنا ما لم يستطع جميع آلهتنا وانبيائنا وآبائنا ان يعطونا شيئا منه ٠٠ احذر ايها الذكي او القوي او الابي او المنتصر او النافع للحياة احذر فاننا لا بد ان نعاديك ونشتمك ونتهمك بقدر ما تكون ذكيا او قويا او ابيا او منتصرا او نافعا ٠

انه لا شيء يستطيع ان يشفينا من عدوانيتنا هذه ٠ ان اكثر واقوى ما يمرضنا بموهبتنا هذه ، موهبة العدوان النفسي والاخلاقي واللغوي ـ ان اكثر واقوى ما يمرضنا بذلك هو ما يحسبه كل العالم شفاء لكل امراض هـذا العدوان ٠ ان محاولة مداواتنا بهـذا الدواء الذي يحسبه جميع البشر علاجا لكل داء ليست الا احداثا للداء وتضخيما وتاجيجا له ٠٠

ان ما يداوى به الناس لا ينبغي ان نداوى به نحن ٠٠ ان امراضنا ليست كأمراض الناس لهذا فان ادويتهم ليست لنا ادوية ٠

اننا نعادي هذا العداء بقدر ما نجد من مزايا وعطاء وصداقة وحب ومحاباة لنا فيمن نعادي ٠٠ اننا نكره بقدر ما نجد من حب ونفع لنا فيمن نكره ٠٠ نكره ونعادي

بموهبة لا تستطيع ان تهبط اليها الوحوش او الحشرات ·· ان الحقد والبغضاء فيئا موهبة ، موهبة معادية ومضادة لكل موهبة ··

اننا نبغض القمر ونشتمه ونتهمه بقدر ما يهبنا من نوره وهدايته وحنانه حينما نسير في صحارى الضلال والظلام والضياع والحيرة والبداوة ·

اننا لنعادي القمر ونراه دميما وعدوا ومتآمرا علينا وسارقا منا النور والجمال والحب بقدر ما يريد ان يضع كل النور والحب والجمال والتقوى في عيوننا وقلوبنا واخلاقنا وفي جميع آفاقنا · هل الشمس والقمر الا متآمران ليسرقا منا النور حينما يبدوان وكأنما يريدان ان يحابيانا بكل نورهما ؟

اننا لنتهم القمر بالظلام والدمامة بقدر ما نجد فيه وبقدر ما يكون فيه من اشراق ووسامة · اننا لنسبه ونذمه بقدر ما يفعل لنا ما يوجب ان نحبه ونمتدحه ··

اننا لنبغض ونذم ونتهم دائما حينما يجب انفحب ونمدح ونشكر ونثق ونعجب·

اننا لنبغض السحاب ونلعنه ونتهمه بسرقتنا وبمعاداتنا وبالتآمر والكيد لنا بقدر ما يسقي ويحيي ارضنا ، وبقدر ما يجن في محاباته لنا حتى ليهبنا كل غيثه ومائه الذي فرض عليه وطلب منه ان يوزعه على كل المروج والصحاري الجائعة اليه المنتظرة لـه ··

اننا لننكر الطبيب ونشنع عليه ونصليه بأوقح تهمنا ولعناتنا بقدر ما يكون ماهرا شافيا مخلصا حفيا بنا ·· ان اعظم واتقى طبيب لن يستطيع ان يشفي او يحمي نفسه او ان يلقحها ضد شتائمنا واتهاماتنا واحقادنا وبغضائنا بل او ضد غرورنا وكبريائنا وتحقيرنا له ··

نعم ، ألسنا اليوم ودائما نعادي ونبغض ونلعن ونحقر كل مجتمع وشعب بقدر ما يكون حرا ومتسامحا وصانعا للحضارة والتقدم والرخاء ، وبقدر ما يكون شافيا لنا وللبشر جميعا من التخلف ومن الجاهلية والبداوة ، بل وبقدر ما يكون منقذا لنا من الاستعباد ومن الاحتلال ومن الغزاة ومن تاريخنا الذليل الجاهلي المهين ، وبقدر ما يكون مبالغا بجنون في حبه وتمجيده لنا حتى ليذهب يعلن اصواتنا كلاما بل كلاما عبقريا يقرأ ويفسر ويدرس ويحفظ ويحاور ويخاطب وتقام المقارنات بينه وبين اي كلام بل بينه وبين اعظم كلام ـ بل حتى ليبالغ في حبه وتمجيده لنا الى ان يذهب يعلم ويتعلم اصواتنا معلنا انـه انما يتعلم ويعلم كلاما لا اصواتا لا تحمل براءة الاصوات ولا جمالها ولا تواضعها ولا حبها او صداقتها او روحانيتها او استحياءها او موسيقاها او شاعريتها ؟ كم هي مظلومة ومساء اليها جميع اصوات الكائنات الاخرى التي هي دون الانسان حينما نتواضع او حينما نتكبر ونقول ان كلامنا ليس الا اصواتا مثل اصوات الكائنات الاخرى ··

اذن أليس هـذا يعني اننا نعادي ونكره ونلعن ونتهم ونحقر الشيء والانسان بقدر ما يكون مستحقا للنقيض ؟

ولكن اذا كنا نقسو كل هذه القسوة المبغضة الشاتمة المتهمة المحقرة على من يهبوننا كل الحب والصداقة والتمجيد والمحاباة ، وعلى من اخرجونا ويخرجوننا من جميع صحارنا المتوحشة المجدية الكئيبة البليدة الجاهلية ـ صحارنا التاريخيـــة والحضارية والعقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية بل وصحارانا الدينية ، او يحاولون ان يفعلوا لنا وبنا ذلك ، اي يخرجونا من كل تلك الصحاري ٠

نعم ، اذا كنا نقسو كل هذه القسوة بعداوتنا وبغضائنا وشتائمنا وتحقيرنا على كل من يفعلون شيئا جيدا لنا وللبشر جميعا فلماذا اذن جاء موقفنا من الاله خارجا على اخلاقنا هـذه ؟

اجل ، اننا فيما نعلن نؤمن بان الاله كائن عظيم وجميل ومحب وصديق وانه ذكي ونظيف وخير ورحيم ووهاب وخادم مخلص لنا ، وانه لا يفعل او يريد او يجبر الا الاشياء الجيدة والنافعة والعظيمة بل وانه هو وحده الفاعل لكل الاشياء الجيدة والعظيمة والنافعة ٠٠٠

اننا في اعجابنا بالاله وثنائنا عليه لخارجون على جميع صيغ وشروط الوقـار وللذكاء والصدق والرؤية ٠

السنا نعتقد فيما نقول ان الاله يساوي في مزاياه الذاتية الشخصية وفي مزاياه المتعدية الفاعلة للاخرين ولنا ولكل احد ولكل شيء يساوي اي الاله في مزاياه هـذه وهذه هؤلاء المتفوقين الذين نهبهم كل عدوانيتنا النفسية والاخلاقية واللغوية ؟

نعم اننا نزعم للاله كل المزايا التي هي بعض مزايا هؤلاء المتفوقين الذين كل مجدنا وتقوانا ان نبغضهم ونشتمهم ونتهمهم ٠٠

اذن فلماذا لم نعاده هذا العداء كما عادينا هؤلاء الاخرين المتفوقين ؟ لقد عادينا هؤلاء المتفوقين لمزاياهم التي تحولت الى مزايا وعطاء وانقاذ وتحرير وتكريم ورخاء لنا ٠ فكان منطق عدائنا هذا يوجب ان نعاديه اي الاله بكل هذه القسوة والشمول كما عاديناهم لانه هو ايضا له كل هذه المزايا التي لهم كما نؤمن ونعلن ، او له ـ اذا اردنا ان نكون حذرين وصادقين ـ بعض هذه المزايا ٠ لان كل مزايانا هي ان نعادي اصحاب المزايا ، لانه محتوم علينا ان نسب ونبغض ونتهم جميع المتفوقين ولا سيما اذا تحول تفوقهم الى محاباة والى عطاء لنا ٠

لا بد من البحث عن تفاسير لهذا ٠

قد يكون التفسير اننا لا نؤمن بوجود هذا الاله المزعوم البتة ولهذا نحبه ونمجده وننسب اليه كل شيء بنية الامتداح والتعظيم والعبادة ٠ وقد يرضي شهامتنا ان نفعل هذا ونهب كل هذه المزايا والامجاد والصلوات لكائن ليس موجودا ٠ ان ما ليس موجودا وما لا يمكن او يحتمل ان يكون موجودا لن يصنع فينا حقدا او حسدا او بغضا مهما كانت مزاياه المقروءة والمكتوبة والمطلقة ٠٠

اننا نبلاء وكرماء جدا لهذا لا نغار من ضخامة مزايا كائن ليس موجودا ولن يكون موجودا ، كما لا نعادي مثل هذا الكائن · بل اننا لاننا كرماء ونبلاء بلا قياس نذهب نبالغ جدا الى حد الافتضاح في تمجيد وحب هذا الكائن الذي لم يوجد ولن يوجد وفي تجميع كل الامجاد والمزايا والعظمة في ذاته وتحت سلطانه · اننا شجعان وشامخو النفوس والاخلاق جدا ، لهذا لا نخاف اي كائن ليس موجودا كما لا نغار منه او نحقد عليه او نهاب منافسته وتفوقه ··

اننا لن نقاسي كثيرا ولا قليلا لكي نقتنع بهذا التفسير ، اي لكي نقتنع باننا لا نؤمن بوجود بل ولا باحتمال وجود هذا الكائن المسمى الها · بل ان كل المقاساة في ان نحاول الاقتناع بوجوده او باحتمال وجوده او الاقتناع باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده ··

اننا حتما لسنا ملحدين لان الالحاد مستوى صعب ومعقد من التفكير والتفسير والبسالة والاشتراط والغضب الانساني والاخلاقي ومن الرؤية الشاملة البعيدة المحاكمة المحصية · وهل نستطيع كل هذا ؟ ولكننا حتما لسنا مؤمنين بهذا الاله ، باوصافه التي نزعمها كما نعلم ونعلن وندعي ··

هل يوجد اي احتمال باننا نؤمن بوجوده او باحتمال وجوده ثم نحيا كما نحيا ، بل ثم نبقى دون ان نحترق ونذوب او نموت او ننتحر أو نصاب بكل اساليب الجنون ومعانيه ؟ ان وجودنا كما نحن موجودون لا يترك اي احتمال لايماننا بوجود هذا الكائن المسمى الها أو باحتمال وجوده · ان حياتنا وسلوكنا لا يدلان على نفي شيء مثلما يدلان على نفي هذا الاله الذي لا نتحدث عن شيء مثل تحدثنا عن الايمان به ·

كذلك هل يوجد اي احتمال لان يكون هذا الكائن المسمى الها موجودا ثم يصمت على ما هو كائن وعلى جميع مواجهاته دون ان يغير او يصلح او يعاقب او يموت او ينتحر يأسا وغضبا وحزنا وخجلا وحقدا وكرامة ، ودون ان يخرج من احتجابه او يقدم من اغترابه او يهبط من فوق سحابه عاريا صارخا لاطما نادبا تائبا مستغيثا مستغفرا ؟ ان صمت الاله وصبره على نفسه وعلى مواجهاته صمت وصبر لا يمكن ان يوجد من يستطيع فهمهما وتفسيرهما او غفرانهما بل او تصورهما او اقترافهما ··

ان الاله لو كان موجودا وموجودا بالصفات التي ندعيها له ثم كنا حقا نؤمن به او ثم آمنا به ، ثم عشنا حياتنا ووجودنا وانفسنا كما نعيشها وكما عشناها دائما لكان غضبه علينا اقسى من غضبه علينا لو اننا لم نؤمن بوجوده بل لغضب علينا لاننا كنا مؤمنين به ومع ايماننا هذا بقينا كما بقينا وواجهنا انفسنا والاشياء كما واجهناها ، ولم يغضب علينا لاننا لم نؤمن به · ان ايماننا حينئذ به لن يكون الا اوقح اساليب التحقير والاهمال والاستهزاء والتطاول ·· ان ايمانك بالاله موصوفا

باوصافه التي تحفظها يجب ان يقتل فيك كل شهواتك وصفاتك والا كنت اوقح ساخر منه معير له كاذب عليه ٠

ولكن اذا كان هذا التفسير صحيحا ، اي اذا لم نكن نؤمن بوجود هذا الاله ولا باحتمال وجوده فلماذا اذن نتحدث بكل هذا الشمول والديمومة والترويع وبكل هذه الاهوال والتهاويل وبكل هذا النزق والافتضاح عنه ؟ بل لماذا حينئذ نتحدث عنه اي حديث ؟ هل نبيع الحديث الى كائن لا وجود له ؟ هل يوجد من يبيعون نفاقهم وملقهم وهوانهم لمثل هذا الكائن الذي لا وجود له ؟ هل ينافق غير الموجود السامع الحاضر المتقبل ؟

لعلنا نتحدث عنه كذلك لاننا لا بد ان نتحدث عن شيء موجود ومعقول وجيد باسلوب معقول جيد ، او عن شيء غير موجود وغير معقول وغير جيد باسلوب ليس معقولا ولا جيدا ٠ لعلنا لا بد ان نتحدث بتضخيم وتهويل عن انفسنا او عن غيرنا بصدق وذكاء او بلا صدق وبلا ذكاء ٠ لعل الاله لم يكن معنيا بحديثنا ، ولعل اوصافه لم تكن معنية او مرادة او مفهومة او مفهوما او مقصودا ان تكون امتداحا او ذما ٠ لعل المعنى بالحديث عن الاله هو نفس الحديث لا الاله ٠٠

لعلنا لا بد ان نتحدث عن شيء مثير وكبير نجده او نتصوره ، نصنعه او يصنع لنا ومن لجلنا ، نملكه او ندعي امتلاكه او احتمال امتلاكه ٠ ونحن لم نجد او نصنع او نملك هذا الشيء المثير الكبير فذهبنا نتصوره وندعي امتلاكه وصنعه من اجلنا ولنا ، وذهبنا نتحدث عنه بهذا الجنون الذي لا جنون يساويه او ينافسه ٠٠ نعم ، ان كل جنون لا يستطيع ان ينافس جنون البشر في حديثهم عن الاله وفي تعاليمهم عنه وفي فرضهم له على انفسنا وعلى الاخرين ٠٠

لعل التحدث عن المحالات والبشاعات وعن أقبح القبحات والحماقات بلا صدق ولا ذكاء ولا وقار او محبة او معرفة او اقتناع وبلا منطق بل بالخروج على احتمالات المنطق كلها ٠

نعم ، لعل التحدث كذلك هو كل موهبة المتخلفين والعاجزين والتافهين وكل حضاراتهم ونشيدهم وعزائهم وأمجادهم ٠٠ وهل يمكن ان يقبل اي قوم انفسهم او ان يتصوروا انفسهم بلا اية موهبة او حضارة او عزاء او نشيد او امجاد اي في حساباتهم وتفاسيرهم لذلك ولانفسهم ؟

وقد كان التحدث عن الكائن المسمى الها بالاساليب التي نتحدث بها عنه هو قمة التحدث عن اقبح المحالات والبشاعات والسخافات والدمامات وعن اقبح اساليب الخروج على الذكاء والمنطق والصدق والوقار والمعرفة والرؤية والاقتناع ٠ لهذا كان الافتتان بالحديث عنه بهذا الاسلوب هو قمة الافتتان البشري لانه قمة الافتتان بالحديث عن البشاعات والمحالات والقبح ٠

لعل شيئا ما لا يساوي في همجيته اللغوية والحضارية والانسانية تحدثنا عن الاله بالاساليب التي نتحدث بها عنه · لعل الانسان في كل تاريخه لم يهبط في اي مهبط من مهابطه مثل هبوطه في رؤيته للاله وفي تصوره له اعني في لغته عنه اي في تحدثه عن صوره ونماذجه وعن مطامحه واهوائه واحتياجاته وانانياته وعن ممارساته لمنطقه ولاخلاقه ولرضاه وغضبه وحبه وبغضه ··

هل يوجد نموذج لاي كائن تشبه بشاعته بشاعة نموذج الاله في حديث الانسان عنه وفي تحدثه اليه ؟

ان البشر لم يفضحوا شيئا ولم يفتضحوا بشيء مثلما فضحوا الاله وافتضحوا به اي في حديثهم عنه واليه وفي حديثهم عن تصورهم ورؤيتهم وتفاسيرهم له ولنماذجه النفسية والمنطقية والاخلاقية والسلوكية وللتاريخية · هل يوجد قبح كقبح نماذج الاله الاخلاقية والنفسية والمنطقية والسلوكية والتاريخية في تصور للبشر له ؟ هل يوجد صغير وشاذ جدا في حبه لنفسه وفي رؤيته لها وفي عرضه وتحليله لها مثل الاله في تصور المؤمنين به له ؟

هل يمكن ان يصغر اي طفل في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه هذا مثلما يصغر الاله في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه هذا مثلما يصغر الاله في حبه لنفسه وفي تعبيره عن حبه لها ؟

ومن الممكن ايضا ان يكون التفسير لذلك اي لكوننا لم نعاد او نبغض أو نشتم الاله الذي نصفه بكل المزايا وبكل معاني التفوق بالاساليب التي نعادي ونبغض ونشتم بها اليوم ودائما كل اصحاب المزايا والتفوق ولا سيما اذا حولوا مزاياهم وتفوقهم الى انقاذ وتحرير لنا من صحرائنا الانسانية والمكانية بل والروحية ·

نعم ، قد يكون التفسير لذلك اننا لا نؤمن بالمزايا التي ندعيها للاله ، بل نؤمن له بنقيض كل المزايا ، بنقيض كل مزايا هؤلاء المتفوقين الذين وهبونا كل شيء جيد عندهم ووهبناهم نحن كل شيء رديء وبذيء عندنا ، اي وهبناهم كل ما عندنا اذ لا شيء عندنا غير ما وهبناهم اي غير الشتائم والبغضاء والحقد والاتهـــام والـــزور والادعاء ·

قد يكون هذا هو التفسير في اعماقنا العدوانية البذيئة ويكون التفسير لثنائنا على الاله ولادعائنا حبه وتمجيده انه نقيض لهؤلاء المتفوقين ، نقيض لجميع مزاياهم··

نعم قد يفسر ولاؤنا للاله او اعلاننا الولاء له بكونه لا يملك اية مزية من مزايا هؤلاء المتفوقين ، بكونه نقيضا حادا لهم في مزاياهم ··

لقد وجدنا بدون ان نعرف ان ثناءنا عليه وتمجيدنا له هو سباب وتحقير واتهام وهجاء لهؤلاء المالكين للمزايا التي لا يملك منها شيئا بل التي يملك نقيضها · ولعل منطقنا في هذا يعني ان الثناء على الشي والحب له لن يكونا الا بغضا وسبا لنقيضه··

قد يكون من المنطق ان امتداح الكذب والغباء والجبن والبداوة لا بد ان يعني ذم الصدق والذكاء والبسالة والحضارة · كما ان امتداح الاله المناقض في كل اخلاقـــه

وكينوناته وقدراته لكل مزايا هؤلاء المتحضرين المتفوقين قد يعني - في حسابنا ومنطقنا - هجاء هؤلاء المتحضرين المتفوقين وهجاء تفوقهم وحضاراتهم وجميع مزاياهم · لهذا نمدحه اي نمدح الاله لاننا لا بد ان نهجو ونسب ونبغض هؤلاء المتفوقين الذين حررونا وانقذونا من صحراواتنا الانسانية والمكانية والذين وهبونا كل الاشياء الجيدة - اعني ان كانت عندنا اشياء جيدة واعني ان كنا قد حررنا او تحررنا من صحارانا تلك · اعني ان كان شيء ما او احد ما او خارق او ساحر ما يستطيع ان يجعلنا نستطيع تقبل الاشياء الجيدة او ارادتها او الاستجابة لها أو التكافؤ معها أو القدرة عليها وعلى معايشتها ، او يستطيع ان يجعلنا نتقبل التحرر من صحارانا الارضية او التاريخية او نستطيع هذا التحرر او التحرير او نستجيب لمن يريدون ان يفعلوا بنا ولنا ذلك ··

ان وفاءنا لصحرائنا الانسانية والمكانية قد يعجز جميع المحاولات لاخراجنا منها ··

ان قدرة بعض الناس او بعض الشعوب او بعض المجتمعات او بعض السلالات على ان تصنع بها ولها الحضارة والتقدم قد تكون اصعب واعجز من قدرة شعوب او مجتمعات او سلالات اخرى على ان تبتكر الحضارة والتقدم مبتدئة · ان صنع الحضارة لك او بك او توقيعها عليك اي ان جعلك متحضرا بالاكراه او بالحيلة والاغراء قد يكون اصعب من ان يبتكر غيرك الحضارة ابتكارا ··

نعم ، ان بعض الشعوب او السلالات أو المجتمعات لتستطيع أن تبتكر الحضارة التي لم تكن حتى ولا خيالا في تصورات وحسابات غيرها اكثر مما تستطيع شعوب أو مجتمعات أو سلالات أخرى ان تتقبل هذه الحضارة أو تفهمها أو تستطيع أو تعرف أو تريد معايشتها ، مقدمة اليها باسلوب الاهداء ، بل مرفوعة اليها بكل اساليب ونيات التدليل والاغراء والمحاباة والمغازلة بل بكل اساليب التضرع والتخضع والحب والصداقة ، بل واحيانا بكل اساليب الاحراج والاضطرار والالزام ، لكي تتفضل بالقبول مشكورة ممجدة ··

اجل ، لقد صنع هؤلاء المتفوقون الذين كل مجدنا وعبقريتنا وتديننا ان نكرههم ونشتمهم ونعاديهم ونتهمهم - صنعوا لنا كل ذلك لكي نتقبل الحضارة التي ابتكروها ، لكي نتقبلها مرفوعة الينا بكل هذه الاساليب والنيات ، اساليب ونيات التدليل والاغراء والمحاباة والمغازلة بل والتضرع والتخضع والحب والصداقة ، بل وبكل اساليب ونيات الاحراج والاضطرار والالزام · فهل استطعنا او اردنا تقبلها او فهمنا كيف نتقبلها او كيف نعايشها او نتكافأ معها ؟ أليس العجز عن ابتكار الحضارة معنى من معاني العجز عن تقبلها وعن معايشتها اي احيانا لا دائما كما ان القدرة على ابتكارها تعني حتما القدرة على تقبلها وعلى معايشتها ؟

وقد يكون هذا التفسير لادعائنا حب الاله وتمجيده والامتداح له تفسيرا محتملا جدا بل قد يكون تفسيرا مختارا وممتازا ··

ذلك ان التفسير البديل لهذا التفسير - وهو اننا حقا وصدقا نؤمن للاله بالمزايا التي نزعمها له - تفسير يصعب تقبله بل يصعب تصوره بل قد يكون محالا تقبله مهما كان ممكنا تصوره . ان تقبل التفسير الحزين او الاليم او الكريه او القاسي افضل من تقبل التفسير المستحيل او البليد - افضل لعقل المفسر والمفسر له ، وافضل لاخلاقهما ولكرامتهما الانسانية ..

على جميع المستويات العقلية والمنطقية والاخلاقية والتصورية كيف يستطاع الافتراض او الاقتناع او التقبل بان اله هذا الكون وهؤلاء البشر - ان كان يوجد او لو كان يوجد اله - يملك اية مزية من المزايا النفسية او الفكرية او المنطقية او الفنية او التصورية او العلمية او الاقتصادية او الاخلاقية او حتى العاطفية ؟ أليس كل شيء في هذا الكون وفي هؤلاء البشر ينافي بكل القسوة والشمول اي احتمال لوجود مثل هذه المزية ؟

كيف يستطاع الافتراض او الاقتناع او التقبل ان كائنا ما يصنع ويواجه ويعايش ويدبر كل هذه الالام والاحزان والعاهات والصرخات والانين والتضرع دون اي مجيب ، وكل هذه المظالم والطغيان والعدوان والفساد والعبث والنقائص والفوضى والتناقضات والاسراف والشح والضخامة والضآلة والايجاد والاعدام والحب والبغض والضحكات والمناحات ، وكل ما هنا وهناك وكل ما قد كان وما هو كائن وما قد يكون وما لا بد ان يكون وما لن يكون .

نعم ، كيف يمكن الافتراض او الاقتناع او التقبل ان كائنا يدبر ويريد ويصنع ويواجه ويعايش كل ذلك بالصمت والوقار والهدوء البليد ، بل المميت في بلادته - كيف يمكن الافتراض اوالاقتناع او التقبل ان مثل هذا الكائن يملك او يعيش اي قدر من الرحمة او الحب او العدل او الشهامة او الكرامة او الكرم او الذكاء او المنطق أو البراعة أو الشجاعة أو الحضارة أو العلم أو الرؤية أو الحياء أو أي معنى من المعاني التي عرفتها أو مجدتها أو علمتها أو طمحت اليها الحضارة بل أو البداوة؟ حتى البداوة انها في جميع مستوياتها ونماذجها أعظم من هذا الكائن الاعلى الذي دبر وخطط وصاغ هذا الوجود . ان جميع مثل البداوة لاسمى من جميع مثل هذا الكائن ..

ان الاقتناع بان الصرصار او البرغوث او جرثومة السل او اي وحش يملك ويعيش كل الرحمة والحب والنظافة والكرامة والذكاء والعلم والعقل والحكمة والحياء والشجاعة وكل العبقريات الاقتصادية والفنية والشعرية ، وانه هو الذي علم الانسان كل مستوياته وفنونه الحضارية والانسانية والاخلاقية ، وعلمه جمال ممارسة الجنس وكيف يمارسه بعبقرية ، ولنه هو الذي علمه ابتكار الارباب والنبوات والمذاهب والاخلاق التعليمية والايمان بها دون ان يعلمه القدرة على الالتزام بها او الرغبة في هذا الالتزام ، وعلمه ان ينظر ومنعه من ان يرى او يبصر ، وضع فيه جهاز النظر وسحب منه جهاز الرؤية والابصار ، وعلمه الشهوة ولم يعلمه الحب ، ووضع

فيه الفهم ولم يضع فيه المنطق ، جعله يفهم ولم يجعله قادرا على ان يحول فهمه الى منطق اي الى سلوك منطقي اي جعله يفهم ولم يجعله يطيع فهمه ، وعلم قامته الانتصاب ولم يعلمها الشموخ ، علمها الانخفاض اكثر مما علمها الارتفاع ، وعلم قلبه الخفقان خوفا او شهوة او حقدا او تعبدا ولم يعلمه الرجفان اشمئزازا أو رفضا أو احتقارا للحقارات والتفاهات وللصغائر والذنوب والقبائح التي يعيشها الصغار والكبار ، الالهة والحشرات ٠

التي يفعلها ويباركها ويعلنها ويباهي بها الاحرار والعبيد ، الثوار والمحافظون ، الرجعيون والتقدميون ، المذهبيون والمتاقضون ، المؤمنون والزنادقة ، الانبياء واتباعهم ، الانبياء وخصومهم ٠٠ التي يحياها المتفوقون بعمق وضخامة وشمول وجهر اكثر مما يحياها المتخلفون كذلك ٠

نعم ، ان الاقتناع بان الصرصار او البرغوث او الذباب او جرثومة السل او اي وحش يعيش ويملك كل هذه المزايا ، وانه هو الذي علم الانسان كل ذلك وانه هو الذي صاغه جميع صياغاته الادبية المعنوية والمادية الذاتية ـ نعم ، ان الاقتناع بذلك لاكثر اقناعا ومنطقية من الاقتناع بان الاله الجالس فوق هذا الكون وفوق هؤلاء البشر والكائنات الاخرى يملك او يعيش اية مزية فكرية او منطقية او فنية او اقتصادية او اخلاقية او نفسية او شعورية او حتى عضلية ٠ هل يوجد فقء للعيون والعقول مثل الاقتناع بان هذا الاله يملك او يعيش شيئا من اية مزية ؟

ان البشر لم يسخروا من انفسهم ومن مواهبهم مثلما سخروا منها حينما امنوا او حينما اعلنوا دون ان يؤمنوا ان اله هذا الوجود العبقري في سخفه وبلادته وهمجيته التكوينية يملك اية مزية او موهبة من اي نوع ، باي قدر وعلى اي مستوى ـ بل حين لم يعلنوا ويؤمنوا بانه اي اله هذا الوجود الفاضح في حماقاته وذنوبه وجهالاته لا يحتمل انه يملك او يعيش اي مستوى او نوع من مستويات او انواع الذكاء او الحب او الرحمة أو العدل او الفنون أو النظام أو الشهامة أو الاستحياء أو الرؤية بل أو القدرة أو المعرفة أو احترام النفس أو حتى مساءلة النفس او معاتبتها ٠ ان الصمت عن نفي ذلك ، مجرد الصمت عن هذا النفي لهو صمت لا مثيل له في البلادة والخمول والهوان والعجز الفكري والنفسي والاخلاقي واللغوي ٠

ان جميع المستحيلات لو تحولت الى ممكنات بل الى واقع لبقى شيء واحد هو المستحيل وحده ، والمستحيل ان يكون غير مستحيل ، ولكان هذا الشيء الواحد المستحيل والمستحيل ان يكون غير مستحيل ، هو ان يفترض او ان يعد احتمالا ان اله هذا الكون وهؤلاء البشر قد يكون طيبا او ذكيا او رحيما او صديقا او فنانا وحتى قويا ، او ان يفترض او ان يعد احتمالا انه ليس خارجا على كل ذلك ومحروم منه ، بكل مقاديره وصيغه وتفاسيره ٠٠ أن كل منطق ولغة نطقا بكلمة مستحيل يجب ان يفترض انهما قد تعلماها بدءا من هذا المستحيل ٠

اذن كيف حدث ان اشمل المستحيلات استحالة وابعدها عن ان يخطأ في الاقتناع بكونه مستحيلا ـ كيف حدث ان اصبح هذا المستحيل والمستحيل ان يصبح غير مستحيل هو اشمل وأقوى الواقعيات اليقينيات التي لا بد ان يكون بعض العقاب لمن يشك في واقعيتها ويقينيتها الموت والنبذ والمطاردة وغضب جميع الارباب ؟

اية حيلة شيطانية أو خدعة كونية جعلت البشر أو بعضهم يخطئون في رؤية هذا المستحيل أو يكذبون في رؤيتهم له وفي اعلانهم عن رؤيتهم له ، أو يخافون فيرون هذه الرؤية المخطئة أو يعلنون عنها ، أو يشتهون ان يخطئوا فيها اي في رؤيتهم هذه ، أو يشتهون الاعلان عنها وعن الخطأ فيها ؟

نعم ، ان الخطأ قد يكون شهوة وقد يكون خوفا وقد يكون عن رغبة في الاعلان او في التحدي والمخاصمة ٠

كيف أمكن ان يصغر البشر او بعضهمالى هذا الحجم ؟ كيف امكن ان يخرجوا على ذكائهم او ان يخرج عليهم ذكاؤهم ، او ان يعاقبوا ذكاؤهم او ان يعاقبهم ذكاؤهم بهذا الاسلوب والى هذا المستوى ؟ كيف ؟ أليس لغباء الانسان وضآلته حدود ؟

أليست توجد مستويات من الغباء والفماءة لا يستطيع الانسان ان يبلغها او لا يجرؤ على بلوغها ؟

ان جميع مواهب الانسان وعبقرياته وحضاراته وجميع انجازاته الرائعة لن تستطيع ان تكون اعتذارا او كفارة عن اقتناعه او عن اعلانه الاقتناع بان اله هذا الوجود المذهل في عقمه جيد او صديق او ذكي او أخلاقي او محترم محاسب لنفسه أو انه جواد او صاحب موهبة أو مزية من أي نوع ، بأي حجم ٠ هل استطاع الانسان ان يحقر مواهبه مثلما استطاع ان يحقرها حينما اعتقد او اعلن أن لباصق هذا الكون أية مزية من أي نوع ؟

ان جميع مواهبه لتصغر وتهون ويرهقها الاستحياء والتواضع امام اقتناعه هذا أو امام اعلانه هذا الاقتناع ٠٠ هل غار الكون من مواهب الانسان المتفوقة فدبر له هذا الاقتناع بهذا الاله بالاسلوب الذي اقتنع به او الذي اعلن اقتناعه به لكي يبذل مواهبه ؟ هل دبرت مؤامرة كونية ضد الانسان لكي يؤمن بان لاله هذا الكون مزية ما ؟

اذن فلعلها محاولة من محاولات الرفق بنا ومن محاولات الابقاء على شيء من كرامتنا الفكرية والاخلاقية والانسانية ان يزعم بل ان يقتنع باننا كاذبون لا معتقدون باننا متعمدون للكذب لا مخطئون حينما جئنا بالتحدث عن مزايا مدبر وصانع هذا الكون وهذه الكائنات ، وحينما جئت عقولنا وعقائدنا ومنابرنا ولغاتنا وكتبنا المنزلة تحدثنا عن هذه المزايا واعلانا عن الايمان بها وعن مقاتلة واعدام كل من يشكون فيها او يحاورون او يحدقون فيها ، بل ويسائلونها اية مساءلة ٠٠

هل جئت جميع مواهبنا وتفاسيرنا مثلما جئت حينما نصبنا فوق هذا الكون ، فوق هذه الدمامة او السخافة او البذاءة او البلادة العظمى كائنا انتحرت جميع عقولنا

وعقائدنا ومحاريبنا ومنابرنا ولغاتنا واخلاقنا وكتبنا اعلانا عن مزاياه وتفسيرا وتعديدا لها وارهابا وترويعا بها ودعوة اليها وقتلا وطردا وبغضا وسبا لمن يجادلون فيها او يسائلون عن اي تفاسير لها او عن اي شبيه محمود يشبهها ؟ كيف لم تنتحر جميع عقولنا وقلوبنا وضمائرنا وفنوننا وعيوننا واخلاقنا استقباحا لمستفرغ هذا الكون ؟

وقد يكون من التفاسير المحتملة جدا او الجيدة المطلوبة جدا ـ قد يكون من هذه التفاسير لادعائنا واعلاننا الحب والتمجيد والولاء والحمد للاله اننا باسلوب لئيم صغير عفن انما نريد ان نذمه ونحقره ونشتمه ، وان نجعل ذمنا وشتمنا وتحقيرنا له مثيرا حادا في تجريحه وايذائه وفي اعلانه والتذكير به والتحريض على الاقتناع به ٠

وقد تكون نيتنا هذه في الذم والشتم والتحقير ونحن نعلن الحمد والحب والولاء والتمجيد ، واضحة ومفهومة او يجب ان تكون واضحة ومفهومة من معاني وتفاسير الصفات التي نلقي بها عليه ، ومن اساليبنا في تمجيده اي تمجيد الاله وفي اعلان حبنا وحمدنا وعبادتنا له ، ومن المسوغات والاسباب التي نسوغ ونفسر بها جنوننا في هذا الحب والحمد والعبادة لهذا الاله ٠ ان في نماذج امتداحنا للاله وفي اساليب اعلاننا لهذا الامتداح ما قد يفسر بقسوة نياتنا غير الجيدة او البريئة او الصادقة ٠٠

اننا نقاسي ونقاسي لكي نجد ونختار اكثر الاوصاف والاخلاق جهالة ونذالة وسخافة وهمجية وضعفا لكي نجعلها ونعلنها اسمى واتقى واشمل وانبل اوصافه واخلاقه اي اوصاف الاله واخلاقه ٠ ان البشر لم يجيدوا في تحقيرهم لشي مثلما اجادوا في تحقيرهم للاله حينما صاغوا اوصافه وتخيلوها واختاروها واعلنوها ٠

اننا في سباحة دائمة داخل مغارات انفسنا وضمائرنا المشحونة بالعفونات والصغائر ، ننقب فيها عن اقبح واوقح النماذج والصيغ لنجعل منها اجمل ملابس الاله واجمل زيناته وازكى عطوره ٠

اننا نتخيل أو نصنع ملابس في قبح الملابس التي تخيلناها وصنعناها والبسناها للاله ٠

ان لنا لعبقرية لا تزاحمها عبقرية اخرى ، تلك هي عبقريتنا في اختيارنا لصور الاله التي لن يصعد اي خيال الى تصور مثلها في دمامتها وفظاظتها وكآبتها ٠ اننا لن نجد لنا عبقرية تساوي عبقريتنا هذه . عبقريتنا في رؤيتنا لذات الاله بكل هذه البشاعة التي لن تستطيع جميع بشاعات الطبيعة والاشياء متجمعه ان تصوغ مثلها ٠٠

ألسنا نصفه اي نصف الاله الذي نزعم اننا لا نحيا ولا نتعامل او نتعانق او نتصافح او نحب ابناءنا او نتعصب لهم ، ولا نكره او نخاف المتفوقين والصادقين والمفكرين والرافضين للنفاق وللصلاة في المحاريب التي يصلي لنا فيها وللاوثان التي نصلي لها ، الا لاننا نحبه ونمجده ونؤمن به ونطيعه ونستجيب لخفقات قلبه وضميره ـ وهل يخفق قلب او ضمير احد مثلما يخفق قلب الاله وضميره ؟

نعم ، ألسنا نصف الاله الذي نزعم له ومن اجله كل هذه المزاعم ، نصفه بانه يحقد ويحسد ويمكر ويخدع ويكيد ويبغض ويشتم ويفسد ويضل ويغوي بالتدبير والارادة والتصميم ٠٠ وبانه يغلق ويعمي العقول والقلوب والعيون والاذان وكل الحواس والاحاسيس ويختم عليها ويضع فوقها الاقفال والحراسات لئلا ترى او تسمع او تحب او تفهم او تتقبل الحق او النور او الجمال او الطريق اليه هو ، اي لئلا تراه هو اي الاله ، ولئلا تسمعه او تحبه او تفهمه او تتقبله او ترى جماله وجاذبيته ولئلا تهتدي اليه ٠٠ بل وبأنه يتآمر مع الاعداء والاشرار والابالسة على عباده وابنائه وانبيائه ، وانه يهب هؤلاء الاعداء والاشرار والابالسة كل الاسلحة والخبث والمكر والدهاء والقوة بل والتخليد في الحياة لكي يضلوا ويخلوا عباده وابناءه وانبياءه الذين نزعم انه يريدهم ويطالبهم بان يكونوا له وحده ، وانه لم يتعذب في خلقه لهم الا لكي يكونوا له وحده ، وانه قد اعد لهم كل العذاب اذا لم يكونوا له وحده ، وانه يجن غيرة وغضبا ويأسا اذا لم يكونوا له وحده ؟ نعم ، ألسنا نزعم انه يريد ويدبر وينفذ بشهوة مجنونة هذه الشرور والمكايد والمؤامرات اي ضد نفسه باسلوب لا ينافسه فيه اي منافس ؟

ثم ألسنا نصفه بانه لا شبيه له في انانيته وفي حبه لنفسه وغضبه لها حتى انه ليخرج على كل مستويات ونماذج وحدود الوقار والتهذيب والتعقل في انانيته وفي حبه لذاته وغضبه لها ٠٠ حتى ان جميع الحكام الطغاة المرضى بالانانية وبحب النفس والغضب لها ، وحتى ان جميع الاطفال المصابين بالتوتر والشذوذ والعقد النفسية المختلفة المتحولة الى صيغ بذيئة فضاحة من جنون الانانية وحب الذات والغضب لها ٠

نعم ، حتى ان هؤلاء الطغاة والاطفال ليبدون في غاية الوقار والتعقل والتهذيب لو حوسبوا بانانية هذا الاله وبحبه لذاته وغضبه لها ؟ انه ليحب نفسه حبا لا مثيل له في افتضاحه وهبوط تفاسيره ، وانه ليدبر ضد نفسه باساليب لا مثيل لها في جنونها وعدوانيتها ٠٠

انه اي الاله كما نقول عنه ونصفه ، ثناء وتمجيدا واقتناعا ليغفر باغضاء ونبل وتسامح مهيب ، كل التلوثات والسرقات والجرائم والخيانات والظلم والطغيان والعدوان والقتل والسقوط والفسوق واغتصاب الاعراض ، وكل ما عرف البشر والاديان والنبوات والمذاهب والقوانين والتعاليم وكل ما لم يعرفوا من ذنوب ونذالات وحقارات ٠

نعم ، انه كما نصفه ونقول عنه بذية الثناء والتمجيد والعبادة ليغفر كل ذلك بكل الاريحية والكرم ، بل انه كما نصفه ونقول عنه ليهاب ويتحرج من النظر الى اي ذنب من هذه الذنوب خوفا على اريحيته وكرمه بل وعلى تسامحه من ان تظن به الظنون ٠

ان عيني الاله لا ترييان اي ذنب ولا اية وقاحة حتى ولو ماتت عيون الحشرات من كثرة ما ترى من الذنوب والوقاحة ·

ولكن الشيء الواحد الذي لا يغفره ويموت حياء وتأثما من ان يتهم بانه قد يغفره هو الخلاف عليه او الاختلاف معه في العقل أو التفكير او المذهب او الرأي او الرؤية ، هو الخطأ في الرأي ، اي في الرأي الذي يحسبه او يراه هو خطأ حتى ولو كان غير ذلك في رأي غيره ، في رأي رائيه ·· انه ليغفر ان تبصق عليه كل العفونات والخبائث ، وانه ليموت رفضا لان يفكر في الغفران لاي فكر يريد ان يحاوره او يراه او يحدق فيه محاسبا او مسائلا أو معاتبا ··

انه لا يغفر ان يشرك به غيره ، ان يجعل معه غيره ، او يحب غيره او يعتقد في غيره ، او يعظم غيره ، او يهتف بغيره ، او يؤخذ بمنطق غيره ، او ان يكون اي شيء او اي احد غيره واهبا المعرفة او الحق او النور أو الجمال ، أو ان يشك في انه هو كل الجمال والمعرفة والصواب والخير والحب وكل المنطق والذكاء والقوانين والاخلاق والشرائع والتعاليم والخلود، او ان يشك في ان له كل التمجيد والعبادة والشكر والرهبة والخنوع والسؤال والتذلل والتملق ··· حتى التذلل والتملق خوفا وطمعا ، انه يرفض ان يشاركه فيهما احد · انه يريدهما له وحده ·

انه لا يغفر لمن يجرؤ على النظر اليه بعقله او بمثله او بتعاليمه او بطموحه واحتياجاته واخلاقه ليحاكمه او ليحاسبه بها او ليطالبه بالالتزام بها ، او ليتمناه وليتمنى له ان يكون ملتزما بها ·· هل يوجد مثل ضمير الاله وعينيه اتساعا وتسامحا للنذالات والقبائح والعفونات والشرور ، ومثل عقله ضيقا وتعصبا ضد التفكير والرؤية والصدق العقلي والاخلاقي !

انه لا يغفر اي رأي فيه ولا اية رؤية له ولا اي تفكير غير تفكيره المكتوب الدائم ، ولكنه بعد ذلك مستعد ان يبتلع ضميره وكبرياؤه ونظافته كل الاوحال والعاهات والصغائر والنذالات دون ان تصاب كبرياؤه او نظافته او ضميره بالغصة او القيء او حتى بالغثيان، أو حتى بفقدان الشهية او حتى برداءة المذاق، او حتى بالتشبع، أو التسبع، او حتى بالتظاهر بالشبع او بالتشبع، او حتى بالغيرة والحسد من قدرته الخارقة على هذا الابتلاع لكل الاوحال والعاهات والخطايا والصغائر ·· انه لا مثيل للاله في عجزه عن ان يصاب بالقيء او بالغثيان أو حتى بالاشمئزاز الفكري او الاخلاقي او النفسي مما يرى او يواجه او يفعل او يريد ··

انه لا شبيه له في معاداته للفكر والعقل ولحرية الرأي كما لا شبيه له في صداقته للاوحال والفسوق والسقوط والتلوث الاخلاقي والنفسي والعقلي والجسدي ـ اي في وصفنا له ورأينا فيه ·· ان الاله ليقاوم الرؤية له والتحديق فيه حتى الموت ، انه ليختار ان يموت او ينتحر على ان تراه اية عين او تحدق فيه ·

ثم أليس ـ كما نصفه ونروي عنه معجبين بنبل اخلاقه وعمق ذكائه ـ يخص عباده المؤمنين به المخلصين له باشد العذاب والبلاء ، وانه يتصاعد في تخصيصهم بأشد واشمل اساليب والوان التعذيب والابتلاء بقدر ما يشتد حبه لهم وبقدر ما يتفانون في حبهم وعبادتهم واخلاصهم وتوحيدهم له ؟

أليس اسلوبه في التكريم ان يؤذي ويؤلم اي ليختبر ويرى ويجرب ؟

أليس اقوى واذكى واتقى اساليبه في تعبيره عن حبه رضاه ان يؤذي ويضرب ويصيب ويبتلي بالاحزان والاهوال وبكل انواع المصائب ؟ أليس هذا الاسلوب كما نقول ونعلن ونؤمن ـ هو ابرع فنونه واشعر شاعرياته في اعلانه عن رضاه وحبه وعن شكره واعجابه ؟

أليس ـ كما نرى ونروي ـ يوقع باحبابه وابنائه والاقربين اليه جدا كل العاهات والالام والاهوال واشد العاهات والالام والاهوال ـ تدبيرا وتخطيطا وقصدا وتعمدا لا يهاب الاعلان عنه ، ليجربهم : هل يصبرون ويشكرون ويحمدون بل ويفرحون ويغنون طربا وترحيبا ام يغضبون ويتألمون ويشكون ويئنون ويتساءلون : من فعل هذا ، ولماذا فعله ، وما قصده ونيته ومنطقه وحكمنه ومصلحته ..

أليس يميت الطفل او يفقأ عينه او يصيبه بأية عاهة وبيلة او باي تشويه رهيب لكي يجرب صبر ابويه وايمانهما وماذا يمكن ان يفعلا ويقولا ويفكرا ويفهما ـ ليرى هو ويسمع ويشاهد ويتفرج ؟

ألسنا نقول ذلك عنه في مدحنا له وفي اعجابنا بدهائه وذكائه وحكمته ؟

ألسنا نرى افظع الالام المنزلة بالاطفال والشيوخ والحيوانات وبالابرياء فنشير اليها بايماننا وتقوانا ونصرخ هاتفين : ما ارحمك ايها الاله ، ونرى افدح المظالم فنهتف : ما اعدلك ايها الاله ، ونرى اقبح الدمامات والتشوهات فنهتف : ما اجملك ايها الاله ، ونرى اشمل اساليب العبث والفوضى والخراب واعلى مستويات الجنون فنهتف : ما اعظم شجاعتك وقيادتك وانتصاراتك في جميع المعارك والميادين ايها هزائم المؤمنين الاتقياء الدائمة وهوانهم العالمي الدائم فنهتف : ما اقوى حمايتك ومحالفتك لعبادك المؤمنين الاتقياء ايها الاله ، ما اعظم وادوم مجدهم وانتصاراتهم لانك حليفهم ايها الاله ، ونرى الشيطان قائدا منتصرا دائما في جميع الميادين والمعارك فنهتف : ما اعظم شجاعتك وقيادتك وانتصاراتك في جميع المعارك والميادين ايها الاله .. ؟؟ ألسنا نهتف دائما لمجد الاله ولانتصاراته ولذكائه كلما رأينا كل المجد وكل الانتصارات والذكاء للشيطان وحده ؟ ألسنا نعلن تشييعنا للشيطان كلما شيعنا الاله ؟ ألسناكلمارأينا أو عرفنا أو تذكرنا شيئا رديئا أو أليما أو لئيما أو ظالما أو عابثا أو وقحا أو قبيحا او بليدا في هذا الكون شكرنا ومجدنا اله هذا الكون ، مدبره ومريده وصانعه ومخرجه وواضع كل تفاسيره، وافكاره واخلاقه وقيمه ونماذجه ، بل وذهبنا نصفه بنقيض ما نرى ونجد ونعرف ونتذكر ؟

السنا كلما رأينا الاله عاريا تحدثنا عن جمال ملابسه وعن جودتها وجدتها وكثافتها ؟

اننا بهذه المدائح والاوصاف والمسوغات والاسباب نمتدح الاله ونعلن حبنا وتمجيدنا وشكرنا له · السنا نحول كل ما نراه ونجده ونحبه ونكرهه ونعجب به ونشمئز منه ونمجده ونحتقره الى ثناء على الاله والى حب له ؟

اذن هل يحتمل اننا صادقون في هذا الامتداح والحب والتمجيد والشكر ؟ ألسنا انما نريد ان نذم ونبغض ونسب ونحقر ونشهر ولكن باسلوب وبنيات اكثر تخلفا وتوقحا وجبنا ؟

اذا اشرت الى ذباب يتنقل بين العفونات وبين وجه حسناء غيور غضبى متأنقة متكبرة ليخطف منه لمسة او قبلة ، او يتنقل بين العفونات وبين الاسترخاء على وجه طفل نظيف نائم او على طعام انسان اعمى ، او اشرت اليه اي الى الذباب مشاركا باطمئنان وامان طبيب امراض معدية في طبق طعامه ومجالسا مصاحبا له في غرفة اعماله وعملياته دون ان ينظر اي الطبيب في المرآة ليرى اي كائن هو قد اصبح بعد ان تحول الى كائن غير الانسان ، او ثم استطاع هذا الطبيب ان ينظر في المرآة لكي يعجب بجمال وجهه او بجمال ملابسه او ليطمئن على صحته الغالية ··

نعم ، اذا اشرت الى هذا الذي ترى، الى الذباب والى الطبيب المصاحب المجالس المستضيف للذباب بكل هذا التسامح والكرم والاغضاء وبكل هذا العمى العقلي والعلمي والنفسي والاخلاقي والانساني وبكل هذه البلادة الحسية الاعضائية الذاتية التاريخية اي بكل هذا العمى العربي وبكل هذه البلادة الذاتية العربية ، اذ هل يمكن ان تطمئن الى انك واجد حتما مثل هذه العلاقة بين طبيب وذباب في غير العالم العربي ؟

نعم ، اذا رأيت ذلك واشرت اليه وقلت :

يالله ·· يا للروعة والجمال والتهذيب والنظافة والكبرياء ، فهل يمكن ان يقع اي خلاف على ماذا تعني او على انك حتما لست مادحا ؟ هل يمكن ان تعني بذلك غير اقسى اساليب الهجاء والاشمئزاز ؟

ولو انك تحدثت عن المواجهة العربية الاسرائيلية منذ سنة ٤٨ حتى اليوم وقلت ان مجدكم العسكري والحضاري والانساني ايها العرب في هذه المدة القصيرة من التاريخ قد ارهب وانسى بضخامته كل امجاد التاريخ الماضية ، وانه لا بد ان يرعب ويخيف ايضا كل امجاد التاريخ الاتية اي لضخامته ، وانه قد يمنعها اي يمنع امجاد التاريخ الاتية من ان تجيء رهبة واستحياء وحرجا من مواجهة مجدكم العسكري والحضاري والانساني الذي صنعته لكم مواجهتكم لاسرائيل ايها العرب ، يا من لا مجد الا مجدكم. يا من لا مجد في مجدكم يساوي مجدكم الذي صنعته لكم مواجهتكم لاسرائيل ، يا من لم تعجب الحشرات بمجدها ولم تجرؤ على التحدث عن مجدها الا بعد ان رأت مجدكم ·

نعم ، لو انك قلت هذا فهل يمكن ان يشك احد فيما تعني ؟

هل يمكن ان يوجد من يحسبك مادحا ؟

ولو انك قلت ان مواجهة العرب لاسرائيل قد صدقت كل ما حكاه ورواه العرب عن انفسهم ولانفسهم من شجاعات وبطولات وانتصارات كانت لهم وحدهم ، فهل يمكن ان يفسرك اي مفسر ربانك مادح او بانك لا تعني النقيض ؟

اذن كيف يمكن ان يعد مادحا وشاكرا وممجدا للاله من رأى الالام والاحزان والعاهات والتشوهات والمظالم والبلادات والعبث والموت والامراض والجنون والخراب والدمار والفساد ، فقال :ما اعدلك وارحمك واذكاك واعقلك واسخاك وانبلك واعظم حبك وصداقتك للناس وللاشياء ايها الاله ·

نعم ، كيف يمكن ان يعد مادحا للاله من رأى ذلك فقال مثل هذا القول ، ولم يعد هاجيا حادا في هجائه ؟ حتى الاله هل يمكن ان يعتقد انه يمدح او يشكر حقا حينما يسمع انسانا قد انزل به كل العاهات والالام والمحن يقول له : شكرا ومجدا لك ايها الاله الرحيم الحبيب الشهم ؟

أليس هذا اسلوبا بذيئا متوقحا من اساليب الهجاء والتحقير يعجب به المتخلفون المتوقحون امثالنا ويتعاملون به ويجدونه قمة البلاغة والجمال والعبقرية والذكاء والتظرف ؟نعم ، حتى الاله هل يمكن ان يهبط به ذكاؤه وانخداعه الى الاعتقاد بانه يمدح حينما يسمع من اوقع بهم كل المآسي يمتدحونه ويتحدثون عن نعمائه ؟

قديكون الكثير مما نعده عبقرية في البلاغة والجمال الفني ليس الا عبقرية في العجز والتخلف والوقاحة وبذاء النفس والضمير والنية ·

ان احكامنا على البلاغة واراءنا فيها لم تكن سوى احكام وآراء بدوية ، قد ابتكرها وحددها واعلنها ورآها كذلك ثم اغلقها واغلق عليها قوم من البدو ، واننا لا نزال خاضعين وتابعين لاولئك القوم من البدو في ابتكارهم واعلانهم وتحديدهم وارائهم بل وفي اغلاقهم · بل اننا لنناضل لكي نستطيع ان نتعلم منهم كل ممارساتهم للبلاغة ولكل فنون القول وكل ارائهم في ذلك ، ولكي لا ننحرف اي انحراف عما رأوا او عما فعلوا في ذلك ··

اننا لنهاب الخروج علىبلاغة ابائنا البدو بقدر مانهاب الخروج على تعاليمنبواتنا البدوية · بل اننا لنرى ان كل العبقرية والانتصار والاستقامة القومية والوطنية والتاريخية بل والدينية في ان نستطيع الالتزام ببلاغتهم استعمالا ورأيا ، كما نرى ان كل الغدر والزندقة والضلال والانهزام في ان نعجز عن هذا الالتزام ··

حتى البلاغة انها نوع من النبوة في اقتناعنا لهذا فالخارج على تعاليمها لا بد ان يكون زنديقا ··

· ان تخلفنا البلاغي ليس اقل من تخلفنا الفكري او العلمي او الصناعي او الفني بكل معانيه · وان التزامنا ببلاغة ابائنا او محاولتنا لهذا الالتزام ليس اقل خطأ من

التزامنا او من محاولتنا الالتزام بحضارة ابائنا العلمية او الصناعية او الفكرية او المذهبية او التطبيقية او حتى العسكرية والحربية . وان اعجابنا بهذه ليس أبعد عن الذكاء من اعجابنا بتلك . وانه كما ماتت او كما يجب ان تموت اساليب المواصلات التي ورثناها عن ابائنا كذلك يجب ان تموت الاساليب البلاغية التي تعلمناها من اولئك الاباء .

ان الاسلوب البلاغي او الرأي في البلاغة ليس الا تعبيرا او محاولة للتعبير عن حالتنا النفسية والاخلاقية والفكرية والحضارية ، او عن مستوانا في ذلك . ان الصيغة البلاغية او اللغوية او التعبيرية او الصوتية ليست الا مستوى نفسيا او فكريا او اخلاقيا او حضاريا .

اننا باسلوبنا الكلامي او بما نسميه بلاغة او فنونا بلاغية قد نقصد ان نسب ونهين ونهجو ونقذف بذاءة وقبحا بل نتقذف قيحا ، وقد نقصد بذلك فقط ان نفسر او نخاطب او نعلن او نقنع . وان قصدنا هذا او هذا لا بد ان يكون محكوما بمستوياتنا الحضارية والانسانية المختلفة .

والمتحضرون يكونون او يحاولون ان يكونوا مهذبين ، او يفترض فيهم ان يكونوا كذلك في بلاغتهم اي في فنونهم الكلامية والتعبيرية ، حتى حينما يعارضون وينكرون ويرفضون ، بل حتى حينما يقاومون ويقاتلون ، بل وحتى حينما يريدون ان يشنعوا ويهجوا ويسبوا .. حتى السباب والهجاء والتشنيع منه المهذب المتحضر ومنه المتوقح البذيء . وهل يمكن ان يخفي اي الاسلوبين اقوى واقدر على الانتصار واكثر توصيلا الى الاغراض او النتائج المطلوبة أو الى احتمالات الشفاء مما يشكي منه او مما يراد الشفاء منه ؟ ان بلاغة المتحضر ليست مضاربة او مشاتمة مهما كان الموقف موقف مضاربة ومشاتمة ، ولكن بلاغته مصافحة ومصالحة او محاولة لذلك .

اما المتخلفون فان مستوى بلاغتهم لا يساوي في حسابهم ومشاعرهم الا مستوى بذاءتها ووقاحتها . ان البذاءة والوقاحة مطلب وحاجة عند المتخلفين .

انهما اي البذاءة والوقاحة بلا ثمن بل وضد كل ثمن لافضل عندهم من كل ثمن بدونهما .

ان المطلوب او الحافز عند المتخلفين ليس هو ان يفسروا او يقنعوا او يعلنوا او ان يعالجوا او يصنعوا نتائج مفهومة ومقصودة ، بل الحافز او المطلوب عندهم بل وكل القيمة والقوة لبلاغتهم ان تكون اي بلاغتهم قمة البذاءة والتوقح والقدرة على الاساءة والتحقير . انهم لا يعنون ببلاغتهم ان يعالجوا موقفا او ان يخلقوا وضعا جيدا ، أو مريحا او ملائما او محددا ولكن ان يستفرغوا انفسهم استفراغا بذيئا .

ان كل حوافز واثمان البلاغة عند جميع المتخلفين ان تكون مثيرة ، مثيرة اثاره مؤذية ومؤلمة او اثارة منافقة متملقة . ان كل قيمة البلاغة عند هؤلاء ان تكون هجاء

مثيرا في بذاءته وايلامه او مديحا مثيرا في تملقه ونفاقه ٠ ان قمة البلاغة عندهم هي قمة التهويل في الوقاحة والايذاء او في التملق والكذب المنافق ٠٠

ان المطلوب هو الاثارة في السب والهجاء او الاثارة في الامتداح والتقرب ، وليس المطلوب البتة المخالفة او المعارضة او الرفض باسلوب ملائم ، ولا المطلوب كذلك الولاء او التأييد او الموافقة او حتى الحب باسلوب ايضا ملائم ٠ ان هذا وهذا ليسا في حساب بلاغة المتخلفين وليسا في اهتماماتها ٠ وحتى كونها مؤذية او مؤلمة ومقنعة بمديحها اي البلاغة ليس شرطا فيها عندهم ولكن شرطها الدائمة ان تكون مثيرة في بذاءتها وقبحها وفي خروجها على كل ادب ووقار ٠

حينما يوجد انسان سمرف وجهه في الدمامة او قامته في القصر او لونه في السواد فيقول لهقائل : وجهك اقل جمالا مما ينبغي او قامتك اقصر مما يلزم او لونك اشد سوادا من المألوف ، ويقول له قائل اخر : يا من تعلم كل وجه جميل من وجهه الجمال ، او يا من استعارت المسافات بين المجرات من طول قامته ابعادها ، او يا من وهب اشراق وجهه الشموس كل اشراقها ـ وكان الموقف موقفا خطابيا استعراضيا جادا فأي القائلين اكثر بذاءة او ايذاء او هجاء وسبابا ، او ايهما البذيء المؤلم او الساب الهاجي ؟ واي الاسلوبين سيكون اسلوب المهذب المتحضر ان لم يكن بد من ممارسة احد الاسلوبين؟ ان المتخلفين ليتحولون الى اردأ واوقح هجائين ومعيرين حينما يذهبون يمتدحون او يتعبدون او يؤمنون او يصلون بكل طاقاتهم وفنونهم البلاغية ٠ ان الشعر العربي والصلاة العربية للاله لنموذجان لهذا الهجاء والتعبير ٠٠٠

اذن حينما يشاهد المؤمن الالام والاحزان والامراض والتشوهات والمظالم وكل الوان العبث والبلادات والحماقات والجنون والخراب والفساد والنهايات الاليمة العقيمة ـ حينما يشاهد كل ذلك يسد كل طرقه واتجاهاته ، ويغطي كل افاقه وتصوراته وتجاربه وتوقعاته بلا منفذ او منقذ ، فأراد ان يتحدث عن ذلك مفرغا مشاعره واحتجاجاته واستنكاره باسلوب قد يكون مبهما او مزجورا ، وحينئذ اما ان يختار الاسلوب المهذب المتحضر او الاسلوب الوقح البذيء في بلاغته البدوية ٠٠ اذا اختار الاسلوب الاول فسيقول : عجبا ايها الاله ٠٠ أمن الرحمة او العدل او الذكاء او المنطق أو الوقار أو الوفاء أو الحياء أن تفعل هذا او ترضاه أو تتقبل ان يحدث ؟ وكيف تطيق عيناك او ضميرك ان يحدث ؟ كيف تطيق ايها الاله العجيب ان ترى او تواجه او تفهم او تسمع الصرخات والانات والتضرعات دون ان تموت خجلا ؟

اني لا استطيع ان افهمك او اعقلك او افسرك او اصمت عنك او اصبر عليك ايها الاله ٠ فهل تستطيع انت ان تفهم او تعقل او تفسر او تتقبل نفسك او ان تصمت عنها او تصبر عليها ؟ كيف لا تعاقب نفسك او تعاقبك نفسك ؟ كيف لا يقتل احدكما الاخر او يفارقه ؟ من علمكما هذا التقبل الذي لا يمكن تقبله ؟

اما اذا اختار اي المؤمن الاسلوب البذيء المتوقح البليغ جدا في وقاحته وبذاءته فسيقول هاتفا مصليا كلما رأى شيئا من هذه الخطايا والقباحات أو كلما رآها كلها في منظر واحد ـ اي لو كان المؤمن يستطيع ان يرى شيئا ما دام مؤمنا ـ لان المؤمن لن يظل مؤمنا ما لم يظل اعمى عمى شاملا ودائما ـ نعم سيقول حينئذ اي المؤمن : ما ارحمك واعدلك واعقلك وانبلك ·· وما اعظم واصدق واعمق حبك وذكاءك ومنطقك واخلاصك وتدبيرك وتخطيطك ايها الاله ·· انت ايها الاله معجز ، معجز في كل تفاسيرك الرحيمة والذكية والمنطقية والانسانية · اقرأ ايها الاله نفسك ··

انك تصيب عيوننا بالعمي لانك تريد لنا ان نرى ، وتصيب اذاننا بالصمم لانك تريد لنا ان نسمع ، وتصيب عقولنا بالبلادة وبالجنون لانك تريد لنا ان نفهم ونعقل ، وتصيب ابداننا بالامراض والعاهات والشيخوخة والضعف لانك تريد ان نسعد ونستمتع بالحياة ، وترسل علينا الابالسة والشياطين وتهبهم كل العبقرية والقدرة على افسادنا واضلالنا لانك تريد لنا الهداية والاستقامة ··· انك تفعل لنا وبنا كل ذلك لانك تحبنا جدا ولانك صديق لنا جدا وطيب جدا · آه ايها الاله ، اذا كانت هذه هي عطاياك لنا لانك تحبنا ولانك صديق لنا ، اذن ماذا يمكن ان تكون عطاياك لنا لو كنت لنا عدوا مبغضا ؟

او لعل الالهة عاجزة ان تعبر عن حبها وبغضها ، بل لعلها عاجزة ان تعرف الفرق بين حبها وبغضها ··

آه ايها الاله العجيب ·· من صاغك هذه الصياغة العنيفة الفاضحة في جمالها ونبلها واعجازها الشاذ المتفرد ؟ هل صاغتك نفسك ام صاغك كائن اخر ؟

وصائغك من صاغه هذه الصياغة ؟ من علمه اياها او جعله قادرا عليها ؟ من علم صائغك القدرة والمنطق لكي يصوغك كما صاغك ؟ وهل صاغك صائغك كما اردت ام صاغك ظالما مشوها لك ؟ وهل تقبلت صياغتك مقهورا ومضطرا ام راضيا ؟

من وهبك هذه العبقرية الاخلاقية والنفسية والعقلية والفنية والتخطيطية ؟

وواهبك من واهبه ؟ الواهب ان كان يوجد واهب على اي قياس او نموذج وبأي حسابات او منطق يهب ؟ من علمه او حدد له كيف يهب ؟

كيف استطاع اي خيال ان يتصور نموذجك ايها الاله العجيب او استطاعت اية قدرة أو عضلات ان تصوغ قدرتك وعضلاتك ، او استطاع اي منطق ان يصنع منطقك ، او استطاعت اية شهامة او رحمة ان تضع فيك شهامتك ورحمتك ، او استطاعت اية موهبة اقتصادية او صناعية او فنية او تطبيقية ان تريد لك وتبتكر فيك موهبتك الاقتصادية والصناعية والفنية والتطبيقية ؟ من وهبك ضميرك ايها الاله ؟ كيف استطاع واهبك ضميرك ان يتصور نموذجه وان يبتكر هذا النموذج الذي استطاع ان يتصوره ضميرا لك ؟

كيف اهتديت ايها الاله الى هذا الدهاء والذكاء والى هذه العبقرية الوعظية التعليمية الاصلاحية ؟ ان كل العيون والعقول والاخلاق لتفقأ وتتفجر وتخسأ لو همت بفهمك او برؤيتك او برؤية مثال لك او لو همت بالاعجاب بك او بالتعلم منك ؟ ان اي عقل او عين او ضمير لم ينج من الاصابة بالجنون او بالزندقة او بالعمى الا لانه لم يجرؤ على التحديق او التفكير فيك او على محاسبتك او مساءلتك ..

الست ايها الاله تهجم بكل تقواك وبكل اظفارك وانيابك وحيلك واختفائك وبكل جنودك وكبريائك على غلام جميل بريء يؤمن بك ويهتف لك ويحفظ كتابك ووصاياك ويتحدث بطهارة وعمق وتصديق عن رحمتك وحبك وصداقتك وحكمتك وعن وضعك له في عينك وضميرك حماية له من الوحوش ومن الاحداث النزقة الطائشة المهاجمة ابدا باعلان وجهر او بتسلل ، حماية له من هجماتك الغادرة المتخفية في جسد ذبابة او بعوضة او زلزال او فيضان .

اجل ، الست ايها الاله العجيب تهجم على مثل هذا الغلام لكي تصيبه على غفلة منه ومن النجوم الناظرة اليك بكل الذهول والترويع ، باحدى العاهات او بعديد من العاهات الرهيبة ، لكي تحميه من الشيطان ومن الخروج عليك ، ولكي تجعله يرى جمالك وعبقريتك ورحمتك ويؤمن بك ويشكرك اكثر واكثر ، وايضا لكي تجعل الغلمان الاخرين يعجبون بانفسهم وبك ويشكرونك ويؤمنون بك وبعدلك وبشهامتك اكثر لانك لم تصبهم بما اصبت به الغلام المصاب الذي قد تعده محظوظا جدا لانك قد خصصته بهبتك الجيدة جدا دون من سواه من الغلمان امثاله ، وايضا لكي تجعل ابويه اي ابوي الغلام المصاب واهله يتعظون ويؤمنون بك وبقدرتك اكثر ، ولكي تجربهم وترى هل يصبرون ويسلمون لك ويحمدونك ويرضون عنك وعن ذكائك وحكمتك وعن اهتمامك بهم باختيارك ابنهم لاصابته بالعاهة الباهظة ، ام يجزعون ويفجعون ويرتاعون ويصرخون من فظاعة ووقاحة ما يواجهون ويرون ويقاسون ، وايضا لكي تزداد رضا عن نفسك وعن قدرتك واقتناعا بانك فعال لما تريد ، وبانك كما استطعت اصابة هذا الغلام بعاهته الوبيلة دون ان يستطيع احد مقاومتك تستطيع ايضا ان تصيب كل شيء وكل احد بما تشاء دون ان يوجد من يستطيع ان يحول بينك وبين ذلك ؟ نعم ، لتثبت لنفسك وللاخرين انك فعال لما تريد . كم انت فخور بمجدك لانك اصبت هذا الغلام ، لانك فعال لما تريد ..

نعم ، ايها الاله العجيب ، ألست تهجم دائما على مثل هذا الغلام بهذا الاسلوب من الهجوم لكي تصيبه بمثل هذه الاهة مدفوعا بمثل هذه التفاسير والحوافز .. ألست تهجم دائما على مثل هذا الغلام بمثل هذه الجرأة والقسوة التي تستحق ان تهنئك عليها كل الوحوش .

ألسنا بهذا الاسلوب نراك ونمجدك ونصلي لك ، وبهذه المزايا والمدائح والتفاسير نمتدحك ونفسرك ونحشد لك كل ما في احتمالات الاشياء وخيالها وكل ما في احتمالات البشر وخيالهم وامانيهم وطموحهم من مزايا وامجاد ؟ او لسنا نعلن ذلك ونزعمه

ونتظاهر به ؟ عجبا ! كيف لم يقتلك الاستحياء من كثرة وسوء المدائح التي نوجهها اليك ؟ هل الاستحياء لا يصيب الالهة لهذا لم تقتلك مدائحنا ؟

اذن هل يحتمل اننا نمتدحك ايها الاله العجيب او ننوي مديحك ام اننا باسلوب لئيم صغير نذل متخلف نهجوك ونحقرك ونسبك باوقح واقبح الاساليب والنيات واللغات ... باكثر اساليب البلاغة بداوة ونذالة وخبثا ؟ هل يهجى شيء مثلما يهجى الاله بمدائح البشر له ؟ كيف لم يعرف الاله ذلك ؟ هل الاله لا يعرف اللغات لهذا لم يعرف الهجاء الذي يرفع اليه باسم الامتداح ؟

ام هو اي الاله لا يعرف المديح من الهجاء لهذا يتقبل اقبح الهجاء ظانا انه اعظم المديح ؟

ان تفسيرنا باننا نؤمن بالاله ، وتفسيرنا باننا نحبه ونصلي له ونمجده حينما نوجه اليه هذه المدائح ونتهمه بهذه المزايا ، وان في نيتنا هذا التمجيد والحب والصلاة ـ نعم ، ان تفسيرنا بهذا وهذا تفسير قد رواه وكتبه التاريخ وروته وكتبته جميع الكتب المقدسة وخطبت به جميع المنابر والمحاريب ونقش فوق جميع هامات القبور . ان افجع ما في هذا ان من فسرونا ويفسروننا هذه التفاسير لم يفجعوا بنا ، لم يفجعوا بان فهمونا وبان يفهمونا كما فسرونا ويفسروننا .. !

ولكن الا يمكن ان نفسر تفسيرا اخر او ان يفسر تفسيرنا هذا بتفسير اخر ؟

نعم ، الا يحتمل ان يكون ايماننا بهذا الاله ، بهذا الاسلوب ، تحت هذه التفاسير ايمانا حقا وقويا ، او ليكن كذلك او انه حتما لكذلك . ولكن الا يحتمل او الا يجب الاقتناع ان اسباب وحوافز ايماننا هذا هي ضد الايمان وضد الحب والتمجيد وضد من وقع عليه الايمان ومن وجه اليه الحب والتمجيد ؟

قد يكون التفسير لذلك اننا مشحونون بشحنات هائلة من الالم والضياع والحقد والغيرة ومن الهزائم والتجارب الاليمة ومن العجز والخبث والتفاهة .

بل اننا حتما لمشحونون بكل ذلك . انه لا يوجد كائن في هذا الكون تعيش فيه شحنات اليمة وبذيئة مثلنا .

ونحن لا نستطيع الا ان نطلق ونفرغ هذه الشحنات بكل القسوة والشمول على اي كائن ملائم او في اي فراغ يتسع لذلك . اننا بقدر ما نكون مشحونين بالالام والبذاءات لمحتاجون الى تفريغها بنفس الاسلوب ، اي باسلوب اليم بذيء .

ولكن كيف واين ومن هذا الكائن الملائم لتفريغ هذه الشحنات البذيئة الحزينة عليه ؟ لا بد ان يكون هذا الكائن هو اردأ الكائنات حظا واعجزها دفاعا عن نفسه واكثرها اتساعا وتقبلا لاطلاق بل لالقاء اخطر واقبح العفونات فوقه . لقد كانت رحلة عجيبة ولكنها حتما لم تكن رحلة شائقة ، اعني بها رحلتنا بحثا عن هذا الكائن الرديء المحظوظ الذي نريده لنستفرغ عليه شحناتنا هذه ..

اين انت ايها الكائن العجيب البائس ؟ اين انت لكي نختارك لهذه الوظيفة التي لن تكون فيها سعيدا ولا كريما مهما كنت فيها عالميا شهيرا ..

مسكين انت ايها الكائن البائس . انك لن تستطيع او تعرف الهرب منا ؟ مسكين انت اذن حتما .

نعم ، لقد وجدنا هذا الكائن المبحوث عنه ، اي لقد اوجدناه .انه لم يرفض ان نوجده اي انه لم يستطع ان يرفض ايجادنا له . وهل يستطيع اي كائن ان يرفض او يمنع ايجاده اي ان يوجده موجده مهما كره ذلك ومهما خسر أو تعذب أو افتضح به اي بايجاد موجده له ؟ هل خسر اي كائن بان يوجده موجدوه مثلما خسر الاله بايجادنا له ؟ لقد اوجدناه لنبصق عليه اوحالنا ولم نوجده لنكرمه ..

نعم ، لقد كان هذا الكائن المأساوي الحظوظ بلا شبيه هو الاله .

آه لو علم اي الاله الاسباب التي اوجدناه من اجلها . ان من الرفق به الا يعلم ذلك . اه . لعله لم يعلم . لعله .

اجل ، لقد اوجدنا هذا الاله بكل نماذجه وصيغه واخلاقه وتفاسيره البليدة المستسلمة لكي نفرغ فيه ونطلق عليه ونغرقه تلويثا ، لكي نفجر فيه دون ان نخشى رفضه او غضبه او احتجاجه او مقاومته ، نفجر فيه كل شحناتنا هذه محولة الى سباب وبغضاء واتهام وتحقير وتعيير واستهزاء وصراخ وتحد وتقريع وتجهيل ، ولكن باساليب ولغات كأنها التمجيد والحب والتكريم والتعظيم ، وكأنها الايمان والدفاع والاقتناع والصلاة والتضرع ، بل مع اعلان ذلك كذلك وزعمه كذلك ، اي مع ان القصد والنية هو النقيض ، اي مع ان التفاسير المنوية هي نقيض اللغة المنطوقة ، والموقف لا يمكن ان يعني غير التفاسير المنوية ، اي لا يمكن ان يعني الا نقيض اللغة المنطوقة .

اي لكي نقول حينما نرى كل القبائح والالام والمظالم والبلادات والتفاهات والعبث والقسوة والجنون : ما ارحمك واعدلك واذكاك واعقلك وابرك واعرق صداقتك وحبك وحنانك ونظامك ايها الاله ، ونحن لا نعني الا اقسى واقصى النقيض ، اي ونحن لا ننوي او نعني الا افتك أساليب الهجاء والسخرية والرفض .. وهل يمكن ان يأذن الموقف لنا بان نعني غير ذلك اي غير افتك اساليب الرفض والهجاء والسخرية ؟

وايضا لكي نوجه اليه اي الى الاله المدائح ونطلق عليه المزايا التي لا يمكن ان تعني في اي تفسير من تفاسيرها الا كل معنى من معاني الذم . ان من حظوظ الاله المأساوية ان اي مدح يوجه اليه لن يكون في كل تفاسيره الا كل الذم في اقسى تفاسيره وكل تفاسيره . هل يمكن ان يكون في اي اسلوب من اساليب امتداحنا للاله او في اي موقف نمتدحه فيه او أمام اية مواجهة او تجربة نمتدحه امامها وتحت املائها وايحائها ونعلن امامها او تحت املاءاتها وايحاءاتها حبنا له واعجابنا به .

نعم ، هل يمكن ان يكون في اي شيء من ذلك الا كل احتمالات بل كل حتميات ارادة الذم والهجاء والبغضاء والتعيير والتحقير والسخرية والرفض قد جاءت اي

ارادة ذلك بالاسلوب المناقض اي جاءت ارادة اقسى واقصى الذم والهجاء والجحود والتحدي والزندقة بارداً واخبث وانذل اساليب الايمان والحب والاقتناع والصلاة والطاعة ٠ ما اوقح ان تمتدح بالسخاء او بالرحمة غمامة مستلقية في السماء وتحتها مروج تموت ظما ٠٠ ما اوقح ان تمتدح الاله بالحب او بالحياء وانت ترى او تسمع دمعة أو أنة أو صرخةيطلقها مريض أو مقهور أو مهان أو جائع أو حزين أو مطارد بالعار ٠٠

اجل ، لقد امنا بالاله بالصيغة التي تصورناها وزعمناها له لكي نفرغ فيه ونطلق عليه كل موهبتنا في العدوان والخبث والبغضاء واللؤم والحقد بكل الشمول والقسوة اللذين يتكافآن مع موهبتنا هذه ، لكي نصب عليه وفيه كل افرازاتنا اللئيمة القبيحة ٠ اذن نعتذر الى موهبة الذكاء فينا ٠ فان ذكاءنا لم يهبط ولن يقبل ان يهبط الى ان نؤمن بالاله اعجابا به وحبا له لا لكي نعاقبه ونعتدي عليه ، لا لكي نجعله يمتص من انفسنا واخلاقنا وحياتنا كل ادوائها وعرقها وعدوانيتها ٠٠

نعم ، لقد آمنا بالاله لكي نصب عليه ونفرغ فيه كل عداوتنا وحقدنا وخبثنا وبغضائنا والامنا وهجائنا بحجة الايمان والاحترام والحب والتمجيد والتعظيم والشكر والصلاة له ، اي باسلوب من يفعل له ذلك ٠٠ اذن نعتذر اليك يا اخلاقنا او اعتذري انت الينا فقد هبطت بنا او هبطنا بك بلا قرار وان كان ذلك تحت اقسى اضطرار ٠٠

هل يوجد ساخر من الاله وهاجمهين معير محقر له مثل مريض مشوه ضال مصاب بقصر القامة وصغر الهامة حينما يذهب بتضرع وبكاء يطلب منه ان يهبه الشفاء والجمال والهداية وان يهب قامته الطول وهامته الضخامة وهو يعلم انه هو الذي فعل به كل ذلك ، فعله به بتدبير وتخطيط واصرار وبحكمة ومنطق ايضا ؟

هل سمعت ايها الاله من فعلت به ذلك يطلب منك انقاذه ؟ هل رثيت لنفسك او له وانت تسمعه ؟ هل حمدت اذنيك ؟

أليس الذي يفعل ذلك هو اكثر استهزاء وقبحا وسفها وبلادة وسخفا وغواية من انسان تنقل اليه ذبابة او بعوضة او اية حشرة اخرى جرثومة وباء فيصاب بالوباء فيذهب يتضرع الى تلك الذبابة او البعوضة او الحشرة طالبا اليها ان تهبه الشفاء من نفس الداء الذي نقلت اليه بل ومن كل داء اخر ؟ هل سمعت من يتضرع الى مثل هذه الذبابة او البعوضة ؟ لقد سمعته كثيرا لانك قد سمعت من يتضرع الى الاله لينقذه مما اصابه هو به ٠٠

ان الذي يطلب من الحشرة ان تشفيه مما اصابته به لافضل من الذي يطلب من الاله ان يشفيه مما اصابه به لان الحشرة تصيب بلا تدبير او تخطيط او منطق او اصرار ٠ اذن فلا مانع ان تفعل نقيض ما فعلت متراجعة عن الاردأ الى الافضل ٠

اما الاله فقد اصاب بما اصاب به بتدبير وارادة وحكمة ومنطق وتفكير ومحاسبة ومحاكمة للموقف كله فكيف يرجع عنه ، كيف يشفي مما اصاب به ؟ كيف يهدم ما شيده بعلم وفن ووعي وبحسابات مدروسة ومعلومة لا يمكن ان تخطيء او ان يوجد

ما هو انكى او ادق او اصدق منها في حساباتها ـ نعم ، كيف يهدم بناء شيده بهذا الاسلوب وتحت هذه الحسابات لانه قد طلب منه ان يهدمه ؟ أليس الذي يطلب منه ان يهدم مثل هذا البناء هو اقبح هاج متهم له ؟

أليست مطالبتك بان تهدم ما صنعت هي مطالبة لك بان تهدم نفسك ؟ اليس ذلك اذلالا وهجاء لك ؟

اذن أليس المريض او المشوه او المصاب او الضال الذي يطلب من الاله ان ينقذه من ذلك هو اقبح هاج متهم له اي اذا كان يؤمن بان الاله هو الذي اصابه بذلك وهو الذي يحكم هذا الكون ويدبره ويريده ويصوغه ؟ أليس الذي يقول يا الهي اشفني مما اصبتني به هو كالذي يقول : يا الهي اقطع يديك اللتين صاغتا عذابي وآفتي ؟

ان كلمة « رحيم » موصوفا بها الاله لن تكون الا استهزاء فظيعا ٠ ان كلمة رحيم موصوفا بها الاله لاوقح من كلمة « نظيف » موصوفا بها الذباب او الصرصار ٠٠

كيف يمكن ان تكون المواجهة بين عيني الاله واذنيه حينما يسمع باذنيه او حينما تسمع اذناه من يصفونه بالرحمة ، بكل الرحمة ، ثم يرى بعينيه او ثم ترى عيناه الالام الوحشية الشاملة التي يوقعها بتدبير وتعمد واصرار بمن يصفونه بهذه الرحمة ، بل التي يوقعها بكل احد وبكل شيء ؟

كيف امكن ان يوجد اي تعايش او تجاور بين عيني الاله واذنيه ؟

كيف امكن ان يخدع او يتقبل او يرضى او يفرح اي الاله حينما يسمع من يصفونه بنقيض ما يفعل ونقيض ما يرى ونقيض ما يحدث بل ونقيض ما يريد ويدبر ـ بنقيض ما يصيبهم به وبنقيض ما يدبر ويريد لهم ؟

كيف يصدق انهم حتما يمدحونه ويشكرونه ويحبونه ؟ كيف لم يفكر او يظن او يوقن ان في الامر خدعة ، وانه امتداح لا يمكن ان يعني به الامتداح ؟

واذا كان يفترض ان امتداحه امتداح وليس استهزاء فظيعا فكيف يتقبل القاتل امتداح المقتول له ؟ كيف ؟

اذن هو احتمال جيد اننا لم نؤمن بالاله الا بنيات شريرة عدوانية اي لكي نبصق عليه كل شحناتنا الخبيثة محولة الى شتائم واتهامات واستهزاء وهجاء ولكن باساليب ولغات الامتداح والثناء والحب والشكر والصلوات ٠

انه الذم باسلوب المدح او بحجة المدح وبادعاء المدح وهو اوقح اخلاق الذم ٠ انه لا يوجد كائن يواجه كل اساليب ولغات وتفاسير ونيات الذم باساليب ولغات ودعاوي كل المدح مثل الاله ٠ انه اذن لا احد يقسى عليه مثلما يقسى على الاله في صياغة الذم له وفيه وفي اساليب ذمه واساليب توجيه الذم اليه وفي الظروف التي يوجه فيها هذا الذم اليه وفي التفاسير التي يفسر بها هذا الذم ٠٠

انه لا يوجد ولم يوجد مدح او شكر او اعجاب او حب يعنى به او يجب ان يعنى به اقسى الذم والجحود والاشمئزاز والبغضاء مثل امتداح الاله وشكره وحبه ومثل الاعجاب به ٠ انه اذن لا يوجد ولم يوجد مستهزأ به مكذوب عليه مثل الاله ٠٠

ولكن هل عرفنا او هل يمكن ان نعرف اننا لم نؤمن بالاله الا تحت املاء هذه النية الشريرة العدوانية ـ نية البصق عليه ، نية ان نبصق عليه كل شحناتنا غير النظيفة او الكريمة او الثمينة ؟

هل عرفنا اننا لم نؤمن بهذا الاله الا لكي يكون مبصوقا عليه ولكي نكون نحن الباصقين ، او هل عرف ذلك انبياؤه ودعاته الذين يجيئون لكي يقاتلونا ويلعنونا ويهددونا ويوعدونا اذا لم نؤمن به ، اي اذا لم نبصق عليه كل شحناتنا البذيئة الوبيلة ؟ هل عرف اكبر الدعاة الى الاله ان دعوتهم لا تعني الا الدعوة الى ان يستفرغ الناس كل شحناتهم الوبيلة البذيئة هذه على الاله وباسمه ؟

هل عرفنا او عرف هؤلاء الانبياء والدعاة الذين يجيئون لكي يمتصوا من انفسنا وحياتنا وتاريخنا كل العفن ليلقوا بـه على الاله الذي يزعمون او يحسبون انهم لم يجيئوا الا لكي يصنعوا لـه المجـد والنظافة والكبرياء والمسرات ٠٠

ـ نعم هل عرفنا او عرف هؤلاء ذلك ؟

ولكن هل شيء جيد او مفيد او محتوم او مشروط ان نعرف ذلك ؟

او هل هو قاتل او مضعف او زاجر لحماقاتنا او لنزقنا او لافتضاحنا او لرغبتنا في ذلك ان نعرف او الا نعرف ؟ هل المعرفة بخطأ الاقتناع تمنع من الاقتناع او تمنع من ارادة او من ممارسة ما المعرفة ضده ؟ هل المعرفة شرط في ان نفعل او نكون او في ان نحيا ؟ هل اشترطت قلوبنا الا تخفق او اعضاؤنا الا تجوع وتشتهي وتتوقح وتفتضح الا بان تعرف ؟ بل هل اشترطت عقولنا بألا تعرف الا بعد ان تعرف بأن عليها ان تعرف او بانها مطالبة بأن تعرف او بأن من الخير لها او من التقـوى والشهامة ان تعرف وبان ما تعرف هو الذي يجب عليها ان تعرف وكل ما يمكن ان يعرفه كل من يستطيع ان يعرف ؟

هل الذي يعرف يقتنع او يقدم اكثر او اقوى واذكى من الذي لا يعرف ؟ هل المعرفة شرط في اي شيء ؟ هل نحن لا نقتنع ولا نتحمس ولا نرى ولا نعجب بل ولا نكـره او نحقد او نصغر الا لاننا نعرف او بقدر ما نعرف ؟

وهل نحن لا نعرف الا لاننا نعرف ؟ وهل نعرف اكثر لاننا نعرف ام لاننا نجهل ؟

هل يموت حماسنا لاوهامنا وشهواتنا ورغباتنا ومصالحنا لو لم نعـرف لماذا نجن حماسا لها ؟ هل يموت حقدنا على الاخرين وغيرتنا منهم وحبنا لانفسنا اكثر من حبنا لهم ، او تموت اهواؤنا المتوجهة الى قوم اخرين ؟٠٠

نعم ، هل يموت شيء من هـذا او حتى يضعف او يصاب بالاستحياء لو عرفنا اننا لا نعرف لماذا نحقد ونغار ونهوى ونحب انفسنا بكل هذا النزق والعدوانية ، او

لو عرفنا انـنا يجب أن نكف عن ذلك ، وان من الغباء واللؤم والنذالة والفجور والهجاء لانفسنا ولاربابنا ومذاهبنا واديانـنا الا نكف عنه ؟

هل الذباب يهاجمنا بقدر ما يعرف بأن عليه ان يهاجمنا او بان من الانسانية او الاخلاقية ان يفعل بنا ذلك او من النافع لـه ، او الا بقدر ما يعرف كيف يهاجمنا وينتصر علينا ؟ وهل يكف عن مهاجمتنا لو عرف ان من النذالة ان يستمر في مهاجمتنا وان من الشهامة ان يتوقف عن ذلك ؟ او لو لم يعرف اذكى وافضل الاساليب لمهاجمتنا او لو لم يقتنع بشرعية مهاجمتنا ؟

هل عرفنا او عرفنا ان علينا ان نعرف الاسباب او المسوغات او الحوافز او الافكار التي جعلتنا نقتنع بما نحن به مقتنعون ، وجعلتنا نجرؤ على الجهر باقتناعنا هذا بل وعلى مباهاة ومبارزة ومقاتلة كل الاخرين باسمه ودفاعا عنه ؟

ولو عرفنا اننا لم نعرف هذه الاسباب والمسوغات والحوافز والافكار ولم نحاول معرفتها او محاسبتها فهل يمكن ان يصاب اقتناعنا هذا بالموت او بالوهن ؟ هل نحن نقتنع بقدر ما نقتنع ام بقدر ما نريد الاقتناع ونحتاج اليه ونلقنه ؟

اذن لو عرفنا اننا لم نؤمن بالاله الا تحت املاء ومشورة هذه النية العدوانية فهل يمكن ان يضعف ايماننا هـذا او ان تضعف رغبتنا العدوانية هذه او تضعف ممارستنا لها بكل هذه القسوة والشمول والاعلانية ؟

هل يمكن ان نصاب حينئذ بالحياء والتهذيب ونكف عن الايمان بهـذا الاله المظلوم المهان ؟

هل الذي يصنع الايمان هو المنطق ام الاحتياج الى الايمان والممارسة ؟ وهل الذي يصنع الاقناع بالمنطق هو المنطق وقوته ام الذي يصنع ذلك هو الاحتياج الى الشيء الذي اقتنع ويقتنع به المنطق ؟ هل الاقتناع عملية عقلية منطقية ام هو عملية اخلاقية ونفسية وعضوية واجتماعية وسلوكية ؟ هل اعضاؤنا اقدر على اقناعنا ام عقولنا ؟

هل اي منطق يساوي قوته وصحته ام يساوي الاحتياج اليه واساليب تلقينه واملائه وظروف الاقتناع به وظروف مجيئه وتلقينه واملائه ؟

هل المنطق رؤية وتجربة ووجود ام شهوة وحاجة وتعليم وفرض ومجتمع وتاريخ وقبور ؟

هل المرئي يساوي نفس المرئي ام يساوي العيون التي تراه ؟ وهل العيون التي تراه تساوي نفس العيون ام تساوي الشهوات والاهواء والاحتياجات التى ترى بها ؟ وهل الشهوات والاهواء والاحتياجات تساوي نفسها ام تساوي ما يعقل او ما ينبغي او ما يتحول الى وقار واتزان لا الى افتضاح وعار ؟

هل الشهوات والاحتياجات والاهواء تكون كما يراد لها وكما يجب ان تكـون ام تكون لانها هكذا تكون ؟

وهل الافتضاح والعار يساويان نفس الافتضاح والعار ام يساويان حكمنا عليهما، ولكن حكمنا عليهما ماذا يساوي ؟ ان حكمنا يساوينا . اذن نحن ماذا نساوي ؟ اننا نساوي مجيئنا . ومجيئنا ماذا يساوي ؟ انه يساوي الكون الذي جئنا منه وفيه . والكون ماذا يساوي ؟ انه السؤال الذي يجب الانتظار الى ان يجيء اي اله من آلهة القدماء لكي يجيب عليه ..

**

ولكن هل تستطيع ان تتقبل هذا ؟ هل تتقبل اننا قد نؤمن بكائن لا وجود له ولا يمكن ان يوجد لكي نعتدي عليه ، اي لكي نفرز عليه آلامنا وخبثنا ؟

وهل يمكن ان يوجد ما يجعلك تعجز عن تقبل هذا او عن تقبل اي شيء ؟ هل وجدت او هل يمكن ان توجد حدود او حواجز او علامات تفصل بين ما يمكن تقبله وما لا يمكن تقبله ؟ هل تستطيع كل حضارات البشر وعبقرياتهم ان تصنع هذه الحدود والحواجز والعلامات او ان تعرفها ؟ ولو وجد من يريد ويستطيع ان يصنعها فعلى اي قياس او نموذج يصنعها ؟ وحينئذ لو صنعها من يصدقه او يقبل منه او يلتزم به ؟

ان جميع البشر لو تحولوا الى عباقرة في مواهبهم العقلية والى انبياء في تقواهم واخلاصهم وفي حدسهم الغيبي ثم تحولوا الى ندوة عالمية علمية لكي يعرفوا ويحددوا ما يستطيع الانسان بعقله وبارادته وقدرته وضميره واخلاقه وباقتناعه ان يقبله او يفعله او يرضاه وما لا يستطيع ان يقبله او يفعله او يرضاه اي بعقله وضميره وباخلاقه واقتناعه وبارادته وقدرته ، لما استطاعوا ان يتوصلوا الى هذه المعرفة ولا الى هذا التحديد .. ان احتمالات الانسان العقلية والنفسية والاخلاقية والاعتقادية والعاطفية لا يمكن ان تضبط بأي حسابات مهما ضبطت جميع الاشياء بهذه الحسابات.

ولو انهم اي جميع البشر استطاعوا بوسائلهم العلمية والفنية ان يعرفوا ما يستطيع ان يفعله ويتحمله ويقدر عليه قلب انسان ما او رئتاه او كبده او اي عضو من اعضائه او غدة من غدده لما استطاعوا ان يعرفوا ما يمكن ان يتقبله او يتحمله او يؤمن به او يعرفه او يستسيغه عقل ذلك الانسان او اخلاقه او ضميره او عقائده ، وكذلك اي انسان اخر . انه قد يمكن ان تعرف الاحتمالات الصحية لاي طفل يوم ولادته ولكن هل يمكن ان يعرف ان هذا الطفل لن يكون نبيا ولا قديسا ولا مؤمنا او انه لابد ان يكون ذلك ؟

انها لا توجد اية حراسة من اي نوع على افكار الانسان او على ضميره او على اخلاقه او على عقائده واقتناعاته ، متقبلة او رافضة ، مستطيعة او عاجزة ، مستحسنة او مقبحة . ان جميع العلماء والانبياء والمصلحين والمعلمين لا يستطيعون ان يصنعوا هذه الحراسة ولا ان يكونوها . انها لا توجد داخل هؤلاء الانبياء والمعلمين والعلماء ولا حولهم حراسة مهما حاولوا ان يصنعوا اشمل الحراسات ..

وان البشر مهما تعلموا وعرفوا كل شيء فانهم لن يستطيعوا ان يعرفوا او يتعلموا ما يجوز او ما يجب ان تتقبله وتستطيعه وتستسيغه عقولهم او ضمائرهم او اخلاقهم او عقائدهم واقتناعاتهم ، وانه لن يوجد من يعلمونهم ذلك مهما وجد من يعلمونهم كل شيء ، وكذلك ما يجب او ما لا بد ان ترفضه وتنكره وتعجز عنه عقولهم او ضمائرهم او اخلاقهم او عقائدهم او اقتناعاتهم او كرامتهم وشهامتهم وكبرياؤهم .

ان موهبة التقبل والرفض ، الاستساغة والاستنكار ، الاحجام والاقدام ، الاعجاب والاشمئزاز بالفكر او الضمير أو الاخلاق أو العقائد أو الاقتناعات ، ان هذه الموهبة ليست طاقة تحسب وتحدد كما تحسب وتحدد الطاقات . انها ليست كطاقة العين او الاذن او القلب او العضلة او اليد ، تستطيع ان ترى او تسمع او تحمل وترفع وتتحمل او لا تستطيع . ولكنها اي هذه الموهبة فوضى وضياع واطلاق بلا حسابات او مسوغات او قوانين مضبوطة او معروفة او مظنونة او محتملة ... ان اي معلم لاي شيء من ذلك لا يوجد من يعلمه ما يريد ان يتحول الى معلم له .. انه بلا معلم ..

انهم ليسوا اقوى او اكبر الناس عقولا او اخلاقا او ضمائر هم اقدرهم على التقبل والاقتناع والاستساغة بالفكر او الضمير او الاخلاق او بالاعتقاد للاشياء وللمواقف وللتفاسير وللدعاوي وللاستعراضات والدعايات المختلفة الموضوعات والجنسيات ، وللتنقل بينها وللاستعداد الدئم لهذا التنقل السريع الدائم الذي لا توجد له او حوله اية حراسة .

ان ذلك ليس كالعضلات والاعضاء والاجسام التي تجيء اقواها اقدرها على حمل ورفع الاثقال وعلى تحمل الضربات والمصادمات والتحديات والمبارزات ...

اجل ، انها لا حدود ولا قوانين ولا ضوابط ولا علامات ولا نبوات لما يمكن ان تقبله او ترفضه عقولنا وعقائدنا واخلاقنا وضمائرنا وشهامتنا وشرفنا وكبرياؤنا وذكاؤنا وتقوانا .

ثم كيف يمكن ان يكون شيئا شاذا او مستغربا او شيئا يصنع التساؤل والحوار ان نؤمن بكائن لا وجود له ولم نجد او نر او نعلم شيئا يجعل وجوده شيئا محتملا لكي نبصق عليه اي على ذلك الكائن الذي لا وجود له ، لكي نبصق عليه شحناتنا الاليمة اللئيمة ، لكي نبصقها ، لئلا تحرقنا وتخنقنا وتغرقنا ، سبابا وبغضا واتهاما وتحقيرا وصراخا وبذاءات ونذالات ، نؤديها وكأننا انما نؤمن ونصلي ونحب ونتطهر من كل تفاسير ونيات الخبث واللؤم والخسة وننشد السماء كل اناشيد التمجيد والصداقة .

- اجل ، كيف يكون ذلك شيئا شاذا او صانعا للتساؤل والحوار والحيرة او الاستغراب ونحن نفعل ذلك باشمل الاساليب واكثرها عالمية واعلانية ، بل ونحن نحول ذلك ، وهكذا كنا في كل تاريخنا نفعل ، نحوله الى طقوس وشعارات وعقائد دينية

ومذهبية ووطنية وقومية ، يكون الخارج عليها بل او الناقد او المحاور لها زنديقا وشريرا وعدوا يجب الالقاء به الى الموت والجحيم ؟

لقد آمنا بان الشيطان والابالسة والقوى الغيبية الاخرى الرهيبة موجودة بل ومالئة لكل الكون ولكل اماكننا وطرقنا وبيوتنا بل وانها داخل ذواتنا وملابسنا وعيوننا وقلوبنا وسررنا تملؤها وتملؤها حتى ان غيرها ، الالهة والانبياء والملائكة والقديسين وسائر المعلمين لا يجدون لهم فيها اي مكان ٠٠ لقد آمنا بوجود هؤلاء الذين لا وجود لهم ونحن نعرف مهما كان غباؤنا انهم لا وجود لهم ٠ لقد آمنا بهم اي بوجودهم لكي نفرغ عليهم وفيهم كل ما في ذواتنا وحياتنا وتاريخنا من احتشادات بذيئة قبيحة تبحث عن التفريغ والتصريف ـ لكي نفرغها عليهم وفيهم بأساليب سباب وبغضاء وصلوات وتضرعات ومواعظ وخطب وتعليم ضدهم وتطاول ظالم عدواني عليهم ، لنحولهم الى مظلومين ومعتدى عليهم بلا نموذج مع انهم في براءتهم وكرم اخلاقهم وصبرهم بلا نموذج ٠ ان الشيطان واخوانه من الابالسة لم يدبروا او ينفذوا اية خديعة او دعاية لكي نؤمن بهم ونتصورهم بكل هذه الشرور لكي نصب عليهم كل احقادنا ونذالاتنا وشتائمنا بكل هذه الاساليب التي نمارسها ضدهم ٠ لقد كان ايماننا بهؤلاء الابرياء ظلما لا نموذج له لكائنات لا نموذج لها في براءتها وشهامتها ٠

واننا ايضا لنؤمن دائما بأننا محاصرون ومحاطون باعداء لا عداد لهم ولا مثيل لرغبتهم في العدوان علينا كما لا مثيل لمشاعرهم العدوانية التآمرية المبغضة الحاقدة نحونا ، بل وان كل من حولنا او كل الاخرين اعداء ومبغضون ومحاربون لنا ومخططون مدبرون متآمرون ضدنا ، حتى الطبيعة انها لا تعمل الا لانها تكيد لنا وتحاربنا ٠

لقد آمنا هذا الايمان لكي نستطيع ان نستفرغ كل شحناتنا الرديئة القبيحة على اعداء وخصوم لا وجود لهم ٠٠

اننا لن نتصور لانفسنا اي مجد ولا اي تفسير حضاري او انساني بل او اخلاقي او ديني ٠٠ كما لن نعيش اية سعادة او شاعرية نفسية وقومية الا بقدر ما نجد او نتصور لنا من اعداء متآمرين ٠٠

اننا لا بد ان نجد هؤلاء الاعداء والخصوم هابطين علينا من السماء متصدقة علينا بهم النجوم والكائنات السماوية الطيبة ، والا وجب علينا ان نفترضهم افتراضا او نخلقهم خلقا ٠ انهم انقاذ لنا ٠ انهم قد يكونون نافعين ومنقذين ومريحين لنا اكثر من الاصدقاء والانصار والمحبين ٠ بل انهم قد يكونون اعظم نفعا لنا وامجد وجودا وظيفيا في حياتنا من جميع الانبياء والقديسين وسائر المعلمين المذهبيين والانسانيين ٠ ان قيمة الانبياء والقديسين وسائر المعلمين ، ان كل قيمتهم ونفعهم لنا انهم يحرضوننا على الايمان بوجود هؤلاء الاعداء والخصوم وعلى ان نستفرغ فوقهم كل شحناتنا البذيئة ٠٠

وايضا ألسنا نصنع المنابر والمحاريب والتعاليم واللغات والكتب المقدسة والانبياء والزعماء وكل المعلمين والواعظين لكي نستفرغ عليها وعليهم كل عفوناتنا وآلامنا بشتى الاساليب والتعبيرات ؟ ان جميع علاقاتنا بهؤلاء الانبياء والزعماء والمعلمين وبالمحاريب والمنابر واللغات والكتب المقدسة ليست سوى اساليب استفراغية عليهم وعليها ..

وايضا ألسنا نصنع الابناء ونتخذ الاصدقاء وامثالهم لكي نعتدي عليهم بكل اساليب الاعتداء وبكل تفاسير العدوان ونياته ولغاته وارتجافاته ـ لكي نقذف عليهم ونفجر فيهم كل خزائننا النفسية والاخلاقية والتاريخية والبدوية الاليمة ـ لكي نقذفها عليهم ونقذفهم بها بشتى الاساليب وبكل الاساليب ، باسلوب الشكوى والحب والالقاء بالاسرار، وايضا باسلوب الحوار ومحاسبة الاحداث والقضايا والاقدار والايام، وايضا باسلوب نقد المذاهب المخالفة والاخرين المخالفين وباسلوب لعنها ولعنهم وايضا باسلوب الغضب للحق والحقائق وللاخلاق المهجورة المهانة المكذوب عليها والمكذوب بها ، وباسلوب الغيرة عليها والموت فداء لها ، وايضا باساليب اخرى كثيرة مختلفة . ان الاصدقاء وكل من هم في معناهم لهم من اجود الاساليب الاستفراغية التي هدتنا اليها موهبتنا العدوانية وضروراتنا الحمقاء البائسة .

هل يمكن ان نصادق انسانا او ان نبحث عن صديق لو لم نكن محتاجين ومريدين ان نلقي بآلامنا وهمومنا ومتاعبنا ومخاوفنا وضياعنا وهزائمنا عليه وبين يديه بأية لغة وأي تعبير او بكل لغة وكل تعبير ؟ فالصداقة لا تكون الا عدوانا ولكنها في الاكثر عدوان متبادل ، عدوان منك وعدوان عليك . كذلك ايضا صناعة للابناء .. هل يمكن ان تفسر الصداقة بغير فعل الاعتداء او بغير تقبل الاعتداء ؟

ولكن هل كل عدوان تحاسبه او تحاكمه او ترفضه الاخلاق او المذاهب او الشهامة او الحب او الاديان ؟ بل اليست هذه كلها اساليب وصيغا مختلفة من اساليب العدوان وصيغه ؟ هل يمكن ان يكون الدين او الاخلاق او الحب او الشهامة او المذهب او اي سلوك او موقف جيد الا عدوانا ما باسلوب او تعبير ما ؟ لو اننا عرفنا نماسيير الصداقة وحوافزها فهل يمكن ان ننزل في الثناء عليها الكتب المقدسة كما فعلنا ؟

ولننظر الى هذا التفسير او التقسيم او الى هذه الوظائف الجيدة المريحة لنا .. لننظر الى هذه الاتهامات او الدعاوى او الحقائق الفاجعة ..

الالهة والانبياء والمعلمون والزعماء وكل من هم في معناهم ، باسمهم وبتعاليمهم وتحريضاتهم وبحجة الدفاع عنهم والغضب لهم والايمان بهم نستفرغ آلامنا وعفوناتنا النفسية والاخلاقية واللغوية ، وأيضا نستفرغها عليهم بشهية اكثر حماسة واصالة وشمولا وضجيجا . ولكن أليس هؤلاء يفعلون لنا وبنا وبحجة الدفاع عنا والعمل من اجلنا والحب لنا نفس الشيء وان كان باساليب اطغى واقوى ؟

اما الشيطان واخوانه واقاربه وكل مجتمع الغائبين الغيبيين الرهيب فاننا نستفرغ عليهم هذه الالام والعفونات • ولكن هؤلاء هم فوق كل جدود الشهامة والكرم والصفح • انهم لا يفعلون ولا ينوون ان يفعلوا بنا شيئا ممانفعله بهم •

اما المنابر والمحاريب والكتب المقدسة واللغات والصداقات والاخوات وجميع ما في معناها من علاقات ولقاءات ، وكذلك المذاهب والقوميات والوطنيات وكل ما يعني معناها من تجمعات وانتماءات ، فاننا نستفرغ هذه الالام والعفونات من فوقها وبلغتها وبواسطتها ومن طريقها وبين يديها ، وايضا قد نستفرغها عليها بل حتما نفعل بها ذلك • آه لو استطعنا ان نبصر ما فوق هذه المنابر والمحاريب والصداقات واللغات والقوميات والمذاهب وكل هذه العلاقات والانتماءات من عفونات تتراكم وتتهاوى • اذن ما اعظم حظوظنا او ما اعظم عبقرياتنا وابتكاراتنا • لقد وجدنا او ابتكرنا الكائنات التي نستفرغ عليها آلامنا ووقاحاتنا واوحالنا ، ووجدنا او ابتكرنا الاماكن التي نستفرغ فيها ومن فوقها ذلك ، ووجدنا او ابتكرنا لغات واساليب استفراغنا لذلك ، ووجدنا او ابتكرنا المسوغات والاسباب والتشريعات التي نفسر ونحلل بها ذلك بل التي نجعل بها ذلك واجبا حضاريا او انسانيا او اخلاقيا او وطنيا او ثوريا او دينيا او منطقيا او كل هذه المسوغات والمحللات والمفسرات والموجبات والواجبات •• هل في حظوظنا او فنوننا او ابتكاراتنا في كل تاريخنا ما يساوي موهبتنا الاستفراغية ؟

كيف كان يمكن ان نتعامل مع انفسنا وعفوناتنا وخبائثنا هذه لو لم نجد او نبتكر هذه الكائنات والاماكن واللغات والاساليب والمسوغات والاسباب والتشريعات التي بها استطعنا ان نؤدي بها عملياتنا الاستفراغية هذه بكل هذه الروعة والبسالة والشمول والاعلانية بل وبكل هـذا الافتضاح والتعري والوقاحة والجبن والعدوانية ؟ لماذا جئنا محكوما علينا بالاستفراغ الجسدي والاستفراغ النفسي والاخلاقي واللغوي والديني والمذهبي ؟ لماذا جئنا محكوما علينا بكل هذا التلوث والتلويث ؟

ايها الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون ، ايها الشيطان وجميع الابالسة •• ايتها الصداقات والاخوات وجميع العلاقات والتجمعات والانتماءات والقوميات والوطنيات والمذهبيات والاديان وجميع الاعتقادات •• ايتها المنابر والمحاريب واللغات والكتب المقدسة المنزلة ••

ايتها الصحافة والاقلام والفنون والبلاغات والثورات ••

ـ يا كل هذه وكل هؤلاء ، كم انتم نبلاء واسخياء وفدائيون ، او كم انتم جبناء وانذال ومهينون ومحقرون وفاقدون لكل هموم وهمم واهتمامات الكرامة والرفض والتطهر اذ تقبلتم بكل هـذا الصبر والاستسلام والصمت والطاعة ان تكونوا أهدافا وتفاسير ومنابر ومحاريب وعروشا واسواقا وتعبيرات واساليب وتسويغا وتشريعا وتحليلا ومنطقا ونبوات لكل المشحونين بكل القبائح والوقاحات والنذالات والبذاءات وبكل العفونات النفسية والاخلاقية واللغوية والتاريخية لكي يستفرغوا ويصبوا كل

شحناتهم الوبيلة البذيئة هذه باوقح واشمل الاساليب عليكم ومن فوقكم وبكم وبافواهكم واخلاقكم وتعاليمكم ولغاتكم واصواتكم وباسم الدفاع عنكم والغضب من اجلكم والحب لكم والشكوى اليكم والحوار معكم والتعلم منكم والصلاة بين ايديكم والهتاف لكم ـ لكي يصبوها ويستفرغوها سبابا وطعنا وذما وتحقيرا وتشنيعا وبغضا واتهاما وبذاءة وتوقحا وفحشا !!

ماذا لو أن اي نبي او زعيم او معلم او الــه علم انــه انما يجيء او يبتكر او يدعى الى المجيء او يفرض عليه المجيء لكي يكون هذا فقط اي لكي يكون عملا مـن اعمال هـذا الاستفراغ ، اي ليكون ذاته او مكانه او منبره او لغته او منطقه او اسلوبه او ثوبه او اسمه او معلمه او مشرعه، وعلم ان المؤمنين به والهاتفين المستقبلين المتبعين المجدين المخلصين لــه والمقاتلين دونه او معه لا يريدون منه الا ان يكون ذلك ولا يفهمون لــه اي تفسير او اية وظيفة سوى هذا التفسير وهذه الوظيفة ـ لو علم اي الــه او نبي او زعيم او معلم ان اي مؤمن به حينما يهتف لــه او يتضرع اليه انما يريد بذلك ان يستفرغ عليه آلامه واوحاله وجميع شحناته البذيئة ٠٠

ـ نعم ، لو ان اي الــه او نبي او معلم او زعيم علم ذلك هــل يقبل حينئذ المجيء تحت اي ظرف او حافز او نية من الظروف او الحوافز او النيات المختلفة والمتفاوتة القيم والتفاسير ؟ بل هل يمكن ان يقبل حينئذ الاعلان عن نفسه او الدعاية لها او التعريف بها او ان يعترف على نفسه بانه قـد اصبح الها او نبيا او زعيما او معلما ؟ ما أوقح وقاحة من جرؤ على ان يزعم لاول مرة انه قد اصبح الها او نبيا او زعيما او معلما ؟ كيف وهب هذه الوقاحة ؟

ولكن هل يستطيع الالهة او الانبياء او الزعماء او المعلمون ان يعلموا مـا لا يستطاع جهله او ان يرفضوا ما لا يستطاع تقبله او ان يقاسوا اية مقاساة من اي عار تقتل قسوة مقاساته كلَ احـد حتى ابلد الحشرات وآصلها هوانا وتقبلا ؟

هل يوجد مثل هؤلاء تبلدا او توقحا ، عجزا عن الفهم او عجزا عن الشهامـة والحياء ؟

ايها الزعماء والانبياء والالهة والمعلمون ٠٠ ارثي لذكائكم ان كنتم لا تستطيعون ان تعرفوا هـذا ، وارثي لاخلاقكم ولكبريائكم ان كنتم لا تجدون في هذا عارا بل كل العار ، او ان كنتم تجدون في وجودكم اي مجد او متعة او سعادة او عزاء ٠٠

ارثي لكائنات كل مجدها واستمتاعها ونفعها ووظيفتها ان تتحول الى اجهـزة وأمكنة لكل انواع الاستفراغ ٠٠ اي ارثي للالهة والانبياء والزعماء والمعلمين ٠٠

يا هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء وسائر المعلمين ، ان كل مجدكم وجاهكم عندنا وكل نفعكم لنا وكل تعاملنا معكم وكل ما نريده منكم ونجده فيكم ـ ان كل ذلكم في ان تتحولوا الى اجهزة والى اساليب ولغات وامكنة وتسويغ وتفسير ومنطق لكـل عملياتنا الاستفراغية ٠ وحقا لقد تحولتم الى كل هـذا الذي اردناه واملناه بكل السخاء

والشهامة والاستجابة والنبل بل وبكل ضروب الكفاءة · فهل تستطيعون ان تغضبوا او تفهموا او تنكروا ··

ان كل مزاياكم وعبقرياتكم في رؤيتنا وتفسيرنا لكم ، وكل ما نطلبه ونؤمله من ايماننا بكم ان نذهب بكل اصالتنا في الوقاحة والفحش نسب ونبغض ونعادي ونتهم ونحقر وننفث كل حقدنا وخبثنا وعدوانيتنا على كل سماء وارض واتجاه ، وعلى كل احد وكل شيء حتى عليكم انتم ·

ــ ان نفعل كل ذلك بكل الجهر والاعلان والشمول والديمومة ، باسمكم وبتعاليمكم وتحريضاتكم ولغاتكم وفوق منابركم ومحاريبكم وبحجة الايمان بكم والحب والولاء والاخلاص لكم والدفاع عنكم ومقاتلة اعدائكم وانداذكم ومنافسيكم على المجد وعلى قيادة التاريخ وخديعته وتلويثه وعلى سوق البشر المخدوعين المطيعين الاغبياء ابدا الى الموت والخراب والعداوات والمخاصمات والحروب وايضا بحجة مقاتلة وبغض منافسيكم على الالوهية والنبوة والزعامة وعلى كل الوان ومعاني القيادة والسلطان · اواه ما اطيب مذاق هذا واعظم سعادتنا به ··

ان كل ما رجوناه من هباتكم لنا ان تتحولوا الى مشرعين ومحللين لكل قبحنا لكي نعبر عنه بكل بذاءتنا ، بكل مواهب الهمجية والعدوانية فينا · ان اعظم ما حللتم وشرعتم لنا هي العداوات والسفاهات والبذاءات والشتائم باسم الايمان بكم والحب لكم ، باسم الاخلاق والتقوى ··

انا هنا لنعترف لكم بذلك لاول مرة · بل ان هذا هو اول اعتراف نعترف به لانفسنا في هذه القضية · هل كنا في كل تاريخنا نجهل هذه الحقيقة ، نمارسها اقسى واشمل واجهر ممارسة ومع هذا ظللنا نجهلها ؟ ام كنا نهاب الاعتراف بها لكم او لانفسنا خوفا عليكم وعلى انفسنا من العلم بها واستمساكا بسلوك أو بكتمان حسبنا الاستمساك به هو أول مراحل التهذيب ؟

والان هل نخشى عليكم ان تصدقوا هذا الاعتراف وان تصعقكم تفاسيره وأن تسحب منكم كل اسرائكم الى المجيء ؟ هل نخشى بعد هذا الاعتراف على من جاءوا منكم انيسافروا الى حيث لا يوجدون ، وعلى من لم يجيئوا منكم ان يغرقوا كل السفن الكونية ويعقروا كل الجياد التاريخية المعدة لنقلهم الينا ؟ هل نخشى حينئذ اغلاق كل الطرق التي تجيء بكم الينا ؟

آه · هل يستطيع البشر في اي تاريخ آت ان يغرقوا جميع السفن ويعقروا جميع الجياد التي تنقل اليهم انبياءهم وقادتهم وزعماءهم من اقصى غابات الكون وحشية وعدوانية وسفها؟

اني لافزع ان اتصور كيف يمكن ان يجيء الالهة او الانبياء او الزعماء او المعلمون او كيف يمكن ان يقبلوا انفسهم او يواجهوها أو ان يقرأوا عنها او يعرفوا او يظهروا للبعون او ان يهتف لهم او ان يصعدوا فوق أي منبر أو أن ينسب اليهم أي كتاب أو

مذهب أو تعاليم أو أن يكون لهم اتباع او رعايا أو مؤمنون او ان يعرضوا في اي سوق او يعلن عنهم تحت اي شعار او قضية او في اية معركة او موقف ٠

ـ نعم ، اني لافزع واعجب بل واعجز ان اتصور ذلك او شيئا منه لو استطاعوا اي الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون ان يعلموا انه لا يوجد في هذا العالم ٠ بل ولا في هـذا الكون مكان او كائنات يلقى عليه او عليها ، فيه او فيها ، باسمه او باسمها من الاوحال والبذاءات والعاهات مثلما يلقى عليهم اي على الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين ومثلما يلقى فيهم وباسمهم ٠ انـه لشيء رهيب ان يحدقوا فيما يلقى ويتجمع فوق ذواتهم وضمائرهم واخلاقهم وتعاليمهم واسمائهم من ذلك اي من الاوحال والبذاءات والعاهات والعداوات المستفرغة ٠

انه ليبدو احيانا كأن هـذا الكون انما تحكمه وتضع فيه قوانينه وتفاسيره واخلاقه ومنطقه قوة شريرة تتغذى وتسعد بالعار والقبائح والحقارات ، لهذا فانها اي هذه القوة الشريرة المفترضة تبدع وتهيء جميع الظروف الجيدة المواتية التي تحرض العار والقبائح والحقارات على المجيء والتكاثر والانتصار بل وعلى ان يكون لها كل المجد والتفوق والرسوخ ، كما انها اي هذه القوة الشريرة المفترضة تطارد بـل تخنق جميع الظروف الاخرى الرافضة لاستنبات العار والقبائح والحقـارات او التي لا تنمو فيها بكل القوة والافتضاح والديمومة ٠ ان كل شيء ليبدو وكأن في داخله قوة رهيبة في قدرتها وشرورها تخطط لجعل كل شيء يعيش العار والقبح والنذالة والبلادة والفضائح ٠٠

لو لم تكن هذه القوة الشريرة المفترضة هي التي تدبر وتصوغ الكون وجميع الاشياء فمن الذي اذن دبر هـذا التدبير الهائل للقوي جدا لكي يظل الالهة والانبياء والزعماء والمعلمون عاجزين ابدا عن معرفة هذه الحقيقة اي عن معرفة العلاقة بينهم وبين الجماهير المؤمنين بهم الصارخين لهم ، وعن معرفة الاسباب التي جعلتهم يطيعونهم ويسيرون وراءهم ويتعصبون لهم وعن معرفـــة التفاسير لهتافهم لهم وتضرعهـم اليهم واستماعهم لما يقولون ويعلمون ، وحفظهم وقراءتهم وتفسيرهم لما ينزلـون ويخلفون من آيات واناجيل واسفار والواح وكتب تعليمية ومذهبية وكتب اخرى ٠٠ وايضا لكي يظل الاتباع والمؤمنون عاجزين هـذا العجز عن معرفة اي شيء من ذلك ، اي لكي يظل المجد والسلطان والانتصار الدائم للعار ولكل الوان القبائح والحقارات ٠ لقد منعت معرفة ذلك ليظل كل شيء كما تريد وتخطط هذه القوة الشريرة ٠٠

أليس مظنونا او محتوما جدا ان الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين لا بد انيرفضوا القدوم الينا لو عرفوا ذلك فرارا من هـذا العار وهذا الاستفراغ فوقهم مهما كـان مستوى كبريائهم وتنظفهم ، وان يرفض ايضا الاتباع والمؤمنون ان يؤمنوا ويتبعوا اي ان يرفضوا ممارسة هـذه العمليات الاستفراغية او ان يفكروا في الرفض وان يهابوا ممارسة هـ ذاالاستفراغ ، ولو حياء او استقذارا او تحت زجر الضمير او عتابه او

استفزازه او خوفه او توقعا واحتسابا لاحتمال ان تكون هناك اية قوة غيبية تحاكم وتعاقب ، اي لو انهم اي الاتباع والمؤمنين عرفوا تفاسير ايمانهم وتفاسير ما يفعلون اي تفاسير علاقاتهم بالالهة والانبياء والزعماء والمعلمين • وايضا قد يرفضون ذلك او يهابونه استقباحا للاستفراغ الدائم • اليس الاستفراغ حتى على الالهة والانبياء والزعماء شيئا مؤذيا ومحقرا لفاعله ؟

اذن لقد دبرت هذه القوة الشريرة التي تحكم الكون وتصوغه وتضع لـه اخلاقه وتفاسيره وذكاءه وكبرياءه ، لقد دبرت بدهاء شرير ان يظل الجميع ، الارباب والعبيد يجهلون هذه الحقيقة لكي يظل الجميع يمارسون العار والقبائح والحقارات بكل الشهوة والاعجاب والشمول والاعلانية بلا توقف او تردد ••

انه لن يوجد اي تفسير لما حدث ويحدث في هذه القضية بل وفي كل قضية لولا افتراض هذه القوة الشريرة • ولكن اي عزاء او مجد او سعادة او لذة او اية مصلحة لهذه القوة الشريرة المفترضة في ان يحدث هـذا الذي يحدث ؟ أليس لفعل الشر ثمن ما؟

انه لو لم يكن بد من ان يكون فوق هـذا الكون كائن ما لكان اقرب التصورات لنموذجه ان يكون شريرا جدا وذكيا جدا • انه لصعب جدا ان يكون شريرا فقط او ذكيا فقط • كما انه صعب ايضا ان يفترض طيبا غبيا او طيبا فقط او غبيا فقط • أما افتراضه طيبا ذكيا فذاك هو اقصى نماذج الاستحالة • ولكن هـذا الذي هو اقصى نماذج المستحيلات قـد اصبح في احـد اطوار التاريخ هو منطق كل العقول والمحاريب، كل العباقرة والزنادقة وكل التافهين والمؤمنين •

ان هـذا الكون اذا افترض وحده بلا كائن اخر يدبره ويصوغه ويحكمه فلا بد من افتراضه اي الكون وجودا مغلقا دون ان يكون خيرا او شريرا ودون ان يكون ذكيا او غبيا • ولقد كان مذهلا ان يكون هناك اي افتراض غير هذا الافتراض في قضية الكون • لقد كان مذهلا ان يتقبل اي عقل في اي طور من التاريخ افتراض هـذا الكون ليس وحده •••

اما الكائن الذي فوقه ــ اي اذا افترض هذا الكائن او اذا كان موجودا حقا ــ فصعب جدا او مستحيل جدا ان يفترض نموذجه أو ان يكون نموذجه كذلك اي لا خيرا ولا شريرا ، لا ذكيا ولا غبيا • هل يمكن ان يكون اي مستحيل يساوي في استحالته ان يفترض فوق هذا الوجود اي كائن مهما كان افتراض صيغه ونماذجه ؟

اما الذين آمنوا بان فوق هـذا الوجود كائنا شاملا في كل تفاسيره وقواه وانه كائن خير وذكي بلا حدود فهؤلاء الذين آمنوا هـذا الايمان كما انهم لن يكونوا او يفترضوا عقلاء فانهم كذلـك لن يكونوا مجانين ولن يفترضوا كذلك • انهم بكل التفاسير للجنون وللمجانين هم اقل جدا من مجانين • ان اي مجنون لن يستطيع ان يتصور او انيـؤلف او يركب مثل هذا الجنون • ان كل الجنون ليس بكل هـذا

المستوى من الجنون ·· ان جنون من ليسوا مجانين هو احيانا اعلى مراحل الجنون او اعلى من كل جنون ··

« هذا الكون قد اراده ودبره وخططه وأخرجه ويحكمه وينفذه ابر وانبل واذكى واقوى كائن · وقد وجد اي هذا الكائن ان هذا الكون بكل صيغه وتفاسيره هو كل الذكاء والرحمة والبر والنظام الذي يستطيعه ويعرفه ويتخيله ويتمناه مجدا لمجده وفنا لفنه ·· ان هذا الكائن لم يستطع ان يتصور اويتمنى او يعرف او يقدر ان يصنع كونا اكثر جمالا او عدلا او رحمة او حبا او ذكاء او فنا من هذا الكون ·· »

هذا المنطق لا يستطيع تأليفه او تصوره اي مجنون ··

انه ليجدر بالخيال ان يذهب ليفترض ولو احيانا ان هناك شيئا ما ، شيئا غامضا غموضا لا يساويه او يشبهه اي غموض ، وليفترض مرة اخرى ان هذا الشيء الغامض هذا الغموض هو الذي استطاع ان يمتص من الانسان كل طاقته المنطقية والعقلية بل والاخلاقية والانسانية بل وكل طاقاته الدينية والاعتقادية لكي يستطيع أن يجد ويرى فوق هذا الكون مريدا مدبراً مخططا مخرجا حاكما منفذا له هو اعلى نماذج الذكاء والحب والرحمة والخير ·· هل يمكن ان احدا قد قال مثل هذا القول او تقبل ان يسمعه يقال من فوق اي منبر او في آيات اي كتاب منزل او في همسات اي خيال ؟

كيف لم يفكر العالم بكل هيئاته ومؤسساته ومؤتمراته في هذا الشيء الغامض الذي امتص طاقة الانسان المنطقية في هذه القضية ، او كيف لم يفكر في احتمال وجود او في افتراض وجود مثل هذا الشيء ؟ كيف يصاب كل العالم احيانا او دائما امام بعض القضايا بغفلة لا يستطيع اي منطق ان يتصور كيف امكن ان يصاب بها ؟

هل هذا الشيء الغامض الذي امتص او الذي يحتمل انه قد امتص طاقة الانسان هذه قد امتص منه اي من الانسان ايضا قدرته على ان يفكر في هذه القضية، في قضية الامتصاص هذه ؟ هل في هذا الكون كائنات خفية او متخفية طيبة او شريرة تمارس احيانا أو دائما لمصلحتها او لمصلحة الانسان عملية الامتصاص هذه لطاقة الانسان المنطقية ؟

ان الانسان يتحرك بين حدين لا يوجد بعد يساوي البعد الذي بينهما ·· ان هذين الحدين هما قمة ذكائه وحضيض غبائه · وهل يوجد في هذا الكون بعد كالبعد الفاصل بين اعلى مستويات ذكاء الانسان وادنى مستويات غبائه ؟

او هل يوجد تناقض او تفاوت كالذي بين الانسان في كل ذكائه والانسان في كل غبائه ؟

ان لذات الانسان طرفين : طرفا هو كل ما فيه من ذكاء ، وطرفا هو كل ما فيه من غباء · اذن هل يوجد كون ينافس طوله طول ذات الانسان ؟ ان جميع ذوات واجساد كل هذا الكون · لو حولت لتكون طولا واحدا لما استطاع طولها الواحد ان يكون في طول ذات الانسان التي طرفاها قمة ذكائه وحضيض غبائه ··

ولكن لماذا خصصنا بهذه الموهبة بكل هذا الكرم ، موهبة البغضاء والحقد والسباب والاتهام والبذاءة وموهبة العدوان النفسي والاخلاقي واللغوي بل والعدوان القومي والوطني والمذهبي والديني ؟ لماذا خصصنا بكل هذا الخبث في علاقاتنا ومعاملاتنا مع كل شيء وكل احد حتى مع الاله نفسه ، وفي مشاعرنا واحاسيسنا نحو كل احد وكل شيء حتى نحو الاله نفسه ؟

هل خصصنا بهذه الموهبة العدوانية المشحونة بكل الخبث والشرور الحادة لاننا حرمنا من المواهب الانسانية الجيدة الاخرى ٠ مواهب الحضارة والابداع والقوة والتفوق والعلم والذكاء ٠

هل جاءت هذه المواهب الرديئة تعويضا عن هذه المواهب الجيدة ، او منافسة ومزاحمة لها أو أغتصابا لمكانها ، أو رثاء لمن فقدوا المواهب العظيمة ، رثاء لهم من أن يعيشوا بلا مواهب لا جيدة ولا رديئة ، ام جاءت هذه المواهب الرديئة احتجاجا على فقد المواهب الجيدة وتأميلا في اثارة غضبها وغيرتها لعلها حينئذ تجيء أو لكي تجيء تحت ضغوط الغيرة والغضب والمنافسة ؟

هل أرادت الطبيعة أن تجعل أنفسنا مصنعا للدمامة لانها لم تستطع أن تجعلها مصنعا للجمال والعبقرية ؟

هل شيء من هذا يمكن أن يكون هو التفسير لتخصيصنا بقبح وبذاءة كينونتنا النفسية والاخلاقية واللغوية والعاطفية ؟

هل هذا يعني اذن أننا لو كنا قد وهبنا المواهب الجيدة لما وهبنا هذه المواهب الخسيسة أو لما ولدت وتخلقت فينا ، ويعني ايضا ان كل من فقدوا المواهب الجيدة فلا بد أن يعيشوا المواهب الرديئة الخسيسة بالاسلوب الذي نعيشها به ، وان كل من ملكوا المواهب الجيدة فلن يملكوا المواهب الرديئة ؟ هل الانسان لا بد أن يكون عبقرية ونبلا وتخلفا وخبثا ولن يكون عبقرية وخبثا أو تخلفا ونبلا كما لن يكون شيئا واحدا فقط من ذلك ؟

هل هذا هو التفسير ؟ أم التفسير أن أنواع المواهب منفصل بعضها عن بعض في مجيئها وتخلقها وفي اجتماعها وافتراقها وتفرقها ؟

أليس ممكنا أن يجيء هذا النوع من المواهب مع مجيء النوع الاخر ومع فقده وأن يفقدا معا دون أن يكون أحدهما جاذبا ومحضرا للاخر أو طاردا له أو أن يكونا متواعدين على الا يجيء منهما أحد ؟

أليست الدمامة تجيء في صحبة الذكاء وأيضا في صحبة الغباء ، وكذا الجمال دون ان يكون أحد الشيئين تعويضا عن الاخر أو أحتجاجا على فقده أو على مجيئه أو منافسة ومزاحمة له أو شوقا أليه أو هربا منه او احتراما له او انقاذا له من الوحدة والتفرد الموحش ؟ هل توجد بين وحدات المزايا أو بين وحدات الرذائل او بين وحدات المزايا ووحدات الرذائل صداقة أو صحبة أو تحالف على المعايشة في ذات واحدة ؟

أليس بعض الناس أو بعض المجتمعات أو الشعوب أو الاجناس يوهب الخبث والنذالة الروحية أو يصاب بذلك كما يصاب بعض الناس أو بعض الشعوب أو المجتمعات أو الاجناس بسواد الجلد أو باصفرار اللون أو بقصر القامة وضآلة التكوين أو بأي عيوب ذاتية وجسدية مثيرة وأليمة ؟ أليست الدمامة النفسية ، والاخلاقية واللغوية تجيء وتتوزع كما تجيء وتتوزع الدمامة الجسمية ؟

اذن أليس احتمالا جيدا جدا اننا قد خصصنا بهذا اللؤم الروحاني أو وهبنا ذلك كما وهبنا صفات اجسامنا والوانها وتخطيطاتها ، وكما وهبنا صفاتنا وظروفنا الاخرى وكما وهبت أرضنا عيوبها ومزاياها وفضائح نفطها أي دون أن يكون ذلك تعويضا أو تعبيرا عن شيء أو احتجاجا عليه أو مجاملة أو تحية أو استقبالا له أو فرحا وأعجابا به ؟

لعلنا فاقدون للجمال الروحي وللطهارة النفسية والاخلاقية واللغوية كما أننا فاقدون للموهبة الحضارية والابداعية ، أي فاقدون هذه وهذه ، ولسنا فاقدين هذه لاننا فاقدون لهذه .

... ولعل الاخرين مالكون لهذه وهذه أو مالكون لهذه كما انهم مالكون لهذه ، وليسوا مالكين لهذه لانهم مالكون لهذه .

ولعله يوجد اخرون أيضا مالكون لهذه دون هذه ، مالكون للبراءة أو التقوى الروحية دون الموهبة الحضارية أو مالكون للموهبة الحضارية دون الجمال او الصفاء او النبل الروحي او التقوى الروحية . لعل ذلك كذلك بالمنطق والاسلوب الذي به يكون الانسان ذكي العقل دون انيكون جميل الوجه، أوجميل الوجه دون أنيكون ذكي العقل .

ولكن ، أليس من الصعب جدا بل ومن المخاطرة العقلية الاقتناع بأن العلاقات بين أنواع مواهب الانسان أو أنواع مواهب المجتمع أو بين مواهبه المبدعة القوية وبين استجاباته أو صيغه أو مستوياته النفسية والاخلاقية واللغوية بل والدينية والمذهبية والقومية والوطنية .

– نعم ، أليس من الصعب جدا بل من المجازفة الفكرية الاقتناع أو الزعم بأن العلاقات بين هذه وهذه ليست متأثرة مؤثرة ؟ أليس من اخلاق المواهب الانسانية أن تهاجم وتناصر ، ان تهاجم نقيضها محاولة اضعافه أو طرده أو هزيمته ، وان تناصر مثيلها محاولة تقويته وأجتذابه ؟ هل تكون موهبة بلا مقاومة ومناقضة وبلا مناصرة ؟

وسواء أكان التفسير هذا أو هذا أو اي شيء اخر ، أم كان التفسير لهذه القضية أنه لا تفسير لها فان هنا حقيقة لا يجوز الاختلاف فيها ولا عليها مهما وجد هذا الاختلاف بل مهما كانت هذه الحقيقة غير معروفة بل وغير مطروحة بل وغير معروف انها يمكن أن تكون معروفة أو مطروحة أو أنه ينبغي أو يجوز أن تكون معروفة أو حتى مطروحة أو معروضة أو مسؤولا عنها ..

هذه الحقيقة هي أننا موهوبون بسخاء واصرار عدوانية نفسية واخلاقية وتعبيرية قد تكون في بشاعتها وشمولها وحدتها اسلوبا قاسيا من التخصيص لنا حتى ليصعب أن يوجد منافسون أو مشابهون لنا في ذلك ، بل حتى ليبدو وكأنه من القسوة والتعجيز والاحراج للطبيعة أن تطالب أو تؤمل أن تكرر نموذجنا في هذه العدوانية ٠ نعم ، أنه قد يكون من التكليف للطبيعة بما لا تستطيع أو بما لا يسعدها أن تطالب بان تصوغ نفوس أي قوم كما صاغت نفوسنا شائهة ومشوهة ٠

ان نفوسنا وضمائرنا واخلاقنا ولغاتنا بل وتعاليمنا ومذاهبنا واديائنا وكل نصوصنا وتفاسيرنا وكل آياتنا وتراثنا ومنابرنا بل ومقابرنا ونقوش مقابرنا مشحونة بالعفن ، بكل العفن وبالعفن وحده ٠٠ ان كل شيء تعايشه ويعايشها وتتعامل به ويتعامل بها لمحكوم عليه بأن يتحول الى كل ألوان وجنسيات وتعبيرات العفن ٠ أن كل شيء نؤمن به وندعيه وننحاز اليه ونتحول الى شعار له ويتحول الى شعار لنا ، ان كل شيء تعامله نفوسنا او اخلاقنا او لغاتنا أو يعاملها ، من الآلهة والمعتقدات والانبياء والمذاهب ، لا بد أن يصاب بكل ما في نفوسنا وأخلاقنا ولغاتنا من عفونة وعدوانية ، لا بد أن يتحول أي يتحول الانبياء والآلهة والاديان والمذاهب التي نؤمن بها وندعيها الى بغضاء وحقد وسباب واتهامات وتشنيع وبذاءة والى قبح شامل ضاج معبر ٠٠٠

ان علاقاتنا بأي شيء لن تتحول الا الى تشوه وتشويه ٠ اننا قد نشوه الشيء الذي نحبه أكثر مما نشوه الشيء الذي نكرهه ٠٠ أن أي نوع أو مستوى من الجمال أو الصفاء أو الحب او البراءة أو من الصداقة والاحترام لا يستطيع أن ينبت في نفوسنا أو ياوى اليها أو يتعامل معها أو يجرؤ على الاقتراب منها أو على مخاطبتها ومحاورتها ٠ أنه لعدوان على انفسنا وتعذيب لها أن يحاول أي معنى من معاني الجمال أو النظافة أو الصفاء الدنو منها أو التحدث اليها ٠٠

انـي لاشفق على الآلهة التي تعيش في نفوسنا أو التي نضعها أو نلقي بها في نفوسنا ٠ وهل يوجد أردأ منها حظا ؟ هل يوجد أردأ مكانا من الآلهة أو الانبياء أو المذاهب أو التعاليم التي توجد في نفوسنا ؟ كم يمكن أن تقاسي وتواجه وتعايش من العفن والقبح هذه الآلهة والانبياء والمذاهب والتعاليم التي توجد في نفوسنا أو التي نظنها أو نزعمها في نفوسنا ؟ هل يمكن أن يوجد شر منها مكانا وحظا ومواجهة ومعايشة ومقاساة ؟ أو هل يوجد أفظع منا عدوانا واساءة حينما نحاول أن نضع في انفسنا الها أو نبيا أو مذهبا أو معتقدا أو دينا ؟ هل يمكن تصور من يواجه ويقاسي من العفن والقبح مثل الاله أو النبى أو المذهب أو المعتقد أو الدين الذي نضعه في انفسنا ثم نتعامل به وعليه فوق منابرنا وفي اخلاقنا ولغاتنا ومشاعرنا وفي علاقاتنا مع الناس ومع الاشياء ومع انفسنا ايضا ؟ هل يوجد أردأ من الالهة سكنا أو من يساويها في رداءة سكنها ؟ انها لا تسكن الا في النفوس الملوثة أو الجاهلة أو البدوية أو الغبية أو الضئيلة ٠٠

هــل يوجد محقر معتدى عليه مثل القيم التي نضعها في ضمائرنا وفي ايماننــا ولغاتنا ومحاريبنا وفوق منابرنا وفي تعاملنا مع خصوماتنا وصداقاتنا ومع اعدائنا وحلفائنا ؟ هل يوجد من يستطيع ان يعتذر عنا اليك ايتها القيم التي يقع عليها تعاملنا ٠٠ التي تعاقب بتعاملنا بها ؟ أليست جميع القيم التي نتعامل بها تصبح نقيضا للقيــم ؟

كيف لــم يوجد قــوم يملكون أي قدر من الشهامة أو من رفض العدوان والظلم لكــي يمنعونا أو يحاولوا منعنا من الايمان بأيــة قيمة من القيم الانسانية أي مــن الايمان بأي الــه أو نبــي او مذهب او معتقد أو نظام او بــأي انتماء ، اي لئلا نتعامل بــه ونعامله بنفوسنا أو باخلاقنا أو بلغاتنا أو بصداقاتنا وعداواتنا وتعاليمنا أو من فوق منابرنا وداخل محاريبنا ، أي لئلا يلطخ بكــل مــا فينا من عفونة وقبح ؟ هــل يعتدى على شيء مثلما يعتدى على أيــة قيمة نتعامل بهــا أو عليها باخلاقنا أو عقولنا أو ضمائرنا أو لغاتنا أو حتى بكتبنــا المقدســة ؟

هــل يمكن أن يلطخ أي شيء بكــلألوان وجنسيات العفونة والقبح مثلما تلطخ أيــة قيمة لنسانية نؤمن بهــا أو ندعيها أو ننحاز اليها أو نصادقها أو حتى نزعــم مصادقتها ؟ أليست الاشياء يساء اليها وتشوه أو تحترم وتجمل بنــوع الاوعــية والاماكن التي توضع فيها ؟ تــم أليست المذاهب والاديان والتعاليم والانبياء والالهة تمجد أو تحقر بالعقول والاخلاق والنفوس والالسنة التي تتعامل بهــا ؟

ان الشيء القبيح والذي يبدو شاذا جدا اننا نجمــع بين النقيضين الحاديــن جــدا ٠٠ نجمع بيــن موهبة الخبث وسوء الظن والشك والتوجس والتخوف والاتهام ونيات الذم والهجاء والغدر والاقتنــاع بأننا لا نواجه الا الغدر حينما نواجه أو نعامل أي انسان أو أي قوم أو مجتمع ـ نعم ، نجمع بين كــل هذا وبين موهبة الانخداع والغفلة والتصديق والتساقط في جميع الحفر والمصايد المفتوحــة المكشوفة المرئيــة المتكررة الاسلوب والصورة والتفسير والنتيجة ٠

نجمع بين التكذيب بلا أية نية للتصديق بــلا أيــة نيــة للتكذيب ٠٠

نجمــع بيــن الرؤية الحادة الضاجة لمــا لا تستطاع رؤيته بــل لما ليس موجودا وبين العجز الشامل المثير عن رؤية مــا تراه كــل العيون الاخرى ٠

اننا نرى حين لا يمكن أن يرى ولا نرى حين لا يمكن الا أن يرى ٠٠

اننا نرى تحت أغطية كــل الظلمات ومــا تحت كــل أغطيتها ونعجز عن الرؤيــة تحت كــل أشعة الشمس ومــا تحت كــل أشعتها ٠ أننــا نرى تحت كــل أجنحــة الظلام مــا لا تستطاع رؤيته تحت كــل عيون الشمس ، ونعجز عن أن نرى تحــت كــل عيون الشمس ما تستطيع العيون الاخرى رؤيته تحت كل اجنحة الظلمة ٠٠

اننا نرى الشمس غائبة ولكننا لا نستطيع رؤيتها طالعة ٠٠

اننا لا نرى أي شيء ، أكبر أو أجهر أي شيء بعيوننا أو عقولنا أو تفكيرنا أو بذكائنا أو بتجاربنا مهما رأينا كــل شيء واصغر واخفى شــيء ومــا ليس شيــئا

بحقدنا وبغضنا وبسوء ظننا وبموهبتنا في الاتهام والعدوان والذم والخبث النفسي والاخلاقي ·· اننا نصدق بعقولنا وكأن كل العبقرية في أن نكون مصدقين ، ونكذب بسلوكنا ونياتنا وكأن كل التقوى والمجد والانتصار والشرف والنجاة في أن نكون كاذبين ··

اننا لا نرى أو نفهم أو نحاكم أونفسر بعقولنا أو بعيوننا أو بتجاربنا بل بكرهنا وحقدنا وبضعفنا وخوفنا ونقائصنا وبعدوانيتنا الشاملة · اننا نصدق اكذب الاكاذيب وكل الاكاذيب بكل النشوة والسذاجة ونكذب أصدق الصدق وكل الصدق بكل الانغلاق والخبث والشراسة ·

اننا مهما عايشنا الاخرين أو رأيناهم أو جربناهم أو صادقناهم أو حالفناهم فاننا لن نراهم أو نفهمهم أو نحبهم أو نصادقهم أو نصوغ أية تجربة واعية أو عادلة أو تقية بريئة انسانية عنهم ··

اننا مهما حذرنا أو خفنا من الاعداء أو من الاخرين أو من كل أحد حذرا أو خوفا نفسيا أو عدوانيا فاننا لن نحذرهم أو نخافهمحذرا أو خوفا عقليا أو منطقيا ···

ان عقولنا وافكارنا لم تتعلم الخوف ، حتى انبياؤنا لم يكن في نبواتهم أن يعلموها هذا الخوف ··

انه لاشد العقاب لاي انسان والعدوان عليه أن نضعه في تصوراتنا أو نياتنا أو معاملاتنا او حساباتنا النفسية ·· أننا حينئذ لا بد أن نحوله الى نموذج بشع للدمامة والنذالة والفجور والعدوانية · لا بد ان نحوله الى أفظع عاهة بفهمنا ورؤيتنا وقراءتنا وتفسيرنا واتهامنا له وبتحدثنا عنه وباحساسنا به وضده · انه لشيء جيد جدا أن نخرج جميع اصدقائنا وجميع من نريد تكريمهم واحترامهم من جميع تصوراتنا ونياتنا ولغاتنا وتذكرنا لهم وحديثنا عنهم لئلا نحولهم الى عار وتشوهات ، لئلا نغطي وجوههم بالعار والتشوهات ·

اننا لن نستطيع أن نصوغ أو نتصور أي أحد أو شيء في انفسنا صياغة جميلة أو نظيفة أو عظيمة ··

نحن عقليا ومنطقيا مستسلمون دائما ، لا نريد ولا نستطيع أو ننوي أن نحمل اي سلاح ضد اي عدو ، ولا في أية معركة ، ولا تحت اي سبب أو تفسير ··

نحن لا نهاجم بل ولا ندافع، بل ولا نخاف أو نتوجس أو نشك أو نحذر أو نشيد الحصون أو الخنادق أو الخطوط الدفاعية· اننا لا نعرف العداوات أو الخصومات او المؤامرات أو المكايد العقلية أو المنطقية ·· ان عقولنا وافكارنا ليس لها عضلات او اعضاء تضرب أو تخيف أو تصارع ، تهدم أو تبني · ان أي عدو لم يعان من عضلاتنا العقلية ·

اننا دائما مفتوحون ومباحون لكل الغزاة واللصوص والغادرين ··

ان كل غزاة عقولنا وافكارنا لن يرهبوا ، أو يقاسوا من احتمال هزيمتهم أو احتمال مقاومتنا ·

أمـا نفسيا وانسانيا فاننا لا نستطيع كمـا لا نريـد أن نسالـم أو نهادن أو نصـادق أو نحالـف ٠

اننا دائما محاربون أي مهاجمون ، محاربون من جانب واحد ٠ أي اننا دائمـا محاربون عدوانا ، أي محاربون لمـن لا يمكن أن يصبحوا محاربين أو معادين لنا ٠٠

اننا أبـدا معادون وكارهون ومتهمون ولاعنون ومتربصون ومهددون ورافضون لكـل الوجوه والايدي والقلوب والنيات المصادقة الصادقة المصافحة المستقبلة المرحبة البريئة النظيفة المتسامحة الجميلة الذكية الواهبة ٠٠

اننا نفسيا لا نسالم ولا نصادق أحدا ٠ أن كـل الناس اعـداء ، لا موهـبة ولا نضـال لهـم الا معاداتنـا والكيـد لنـا ٠

اننا نحمل السلاح أي نفسيا وانسانيا دائما ٠ أننا لا نلقي بالسلاح ولا نغمده في أيـة لحظة ولا في أي موقف ولا أمام أي صديق أو حليف أو نصير ٠٠

وهل يمكن أن يكون الحليف أو النصير أوالصديق لنا ألا عدوا رهيبا شريرا متنكرا؟

اننا عقليا وفكريا مؤمنون بكـل الدجالين والاعداء ، واثقون بهم بـلا ريبـة أو حذر أو شروط ، بـلا أيـة معجزة أو كرامة يعرضونها أو يبصقونها وبلا أية عبقرية أو قـوة يرهبون بهـا وبـلا أي ذكاء يخدعون أو يتزينون بـه ٠ اننا نهبهم أيماننـا وثقتنـا بـلا ثمـن ٠٠

أمـا نفسيا وانسانيا فاننا كافرون بكـل القديسين والصديقين والاصدقـاء والشهداء بـلا أيـة عاطفة أو مراجعة أو محاسبة أو شهامة أو استحياء ٠٠

اننا لـم نؤمن بانبيائنا ورجالنا المقدسين ونهبهم احترامنا الا لانهـم جاءوا شاتمين وكارهين ومحقرين لكـل العالـم ٠٠

ان افكارنا لـم تجرب حمل السلاح أو استعماله ، وأن ضمائرنـا واخلاقنا لـم تجرب الالقاء بالسلاح أو الاغماد لـه أو الشـك في تقواه أو ذكائه أو مجده ٠٠

ان افكارنا لا تشك ولا تعادي بـل ولا تخاف ٠ أمـا أخلاقنا وضمائرنا فانها لا تصادق ولا تحب ولا تثق أو تطمئن أو تأمن ٠ أنه لا نموذج لخبثنا النفسي والاخلاقي واللغوي ٠ أما تفكيرنا فانه لا يصاب بهذا الخبث أيـة أصابـة ٠٠

أن كثيرا من مواقفنا لتبدو وكأنها مواقف فكرية أو عقلية أو جدلية ، واننا كذلك لنتحدث كثيرا أو دائما عن مواقفنا الفكرية والعقلية ، وعـن خصوماتنا وعداواتنـا وحروبنا الفكرية والعقلية والمذهبية وكذلك عن صداقاتنا ومحالفاتنا وانحيازاتنا التي ليست هـي والتي لا يمكن أن تكون الا فكرية وعقلية ومنطقيـة ٠٠ هـل يمكـن أن نفترض أن أي موقف من مواقفنا قـد يكون غير فكري أو غير منطقي حتى شتمنا لمن مشوا فوق القمر وحقدنا عليهم بحجة انهم قد سرقوا منا ، من مقابر آبائنا القدرة على غـزو القمـر ؟

ولكـن كـلا ٠ أن جميـع ذلـك ليـس الا مواقـف نفسيـة ٠٠

. ان عقولنا لا تفكر لتصنع مواقفنا النفسية أو لتقود تحركاتنا النفسية أو لتنقاد بها ، ولكن تحركاتنا النفسية هي التي تقود وتصنع مواقفنا وتحركاتنا النفسية ·· ان اعضاءنا ومجاعاتها هي التي تصوغ وتحرك حالاتنا النفسية محولة الى تعبيرات انسانية ··

ان افكارنا ليست موجودة لا قائدة ولا مقودة · حتى تحركاتنا النفسية واهواؤنا النفسية لا تستطيع أن تصنع لنا تفكيرا أو مواقف فكرية لان شيئا ما أي لان أي شيء لا يستطيع أن يجعلنا نفكر أو يهبنا القدرةعلى أن نفكر ، أو الرغبة في ان نفكر ·

ان الاهواء النفسية تجعل من يحمل تفكيرا يفكر ، ولكن من لا يحمل أي تفكير كيف يستطيع أي شيء أن يجعله يفكر ؟

ان نبواتنا وكتبنا المنزلة هي أشمل وأصدق واقسى النماذج لدمامتنا وعدوانيتنا النفسية والاخلاقية واللغوية · أن كتبنا الموحاة ونبواتنا لا مثيل لها أو لا شيء يتفوق عليها في حقدها وبغضها وسبها وقسوتها واتهامها وعدوانها في رؤيتها لكل الناس ولكل الاخرين والمخالفين ، وفي تفسيرها لهم ، وفي حديثها عنهم ، وفي نياتها نحوهم ، وفي امانيها وتوعدها وتحقيرها لهم وتشنيعها عليهم ، وفي أوصافها وتصنيفها للعذاب والاهوال التي لا بد أن تنزل بهم وأن تكون هي كل مستقبلهم ومصيرهم وجزائهم ·· شيء رهيب أن نتصور الدمامة والوحشية النفسية والاخلاقية التي كانت وراء نبواتنا ووراء كتبنا المنزلة ، التي صاغت وتصورت كل هذه العداوات والاحقاد والاهوال ··

انه لن يكون زعما ظالما أو بعيدا لو زعم أن نبواتنا وكتبنا المقدسة لم تجيء أو تنزل الا لكي تشتم وتكره وتحقر وتتهم وتعادي وتهدد وتقسو وتتحدث عن الاهوال والويلات المدخرة المعدة بكل الاناقة والحماس والنشوة لكل الخصوم والمخالفين والاعداء بل لكل الناس · اليس كل الناس في زعمها اعداء وخصوما ومخالفين ؟ اي شيء في النبوات العربية أو في الكتب المنزلة على العرب غير العداوة والسباب والبغض والاتهام والذم والتهديد واعداد العذاب وتصوره والتحدث عنه لكل احد ؟

لقد تصورت كتبنا ونبواتنا هذه الها لا يستطيع أي خيال سوى ان يتصور وحشيته وغيرته وطموحه وانانيته ومطالبه واحتياجاته وغضبه وشروطه لنفسه وكبرياءه · ما اوقح الخيال الذي استطاعت ان تتخلق وتعيش فيه كل هذه الصور والنماذج لمثل هذا الاله الذي لو وجد بكل هذه الصور والنماذج لما جرؤ ان ينظر الى نفسه في المرآة ولا أن تراه اية عين !!

لقد تصورته هذه الكتب والنبوات كذلك لكي يكون محالا ارضاؤه أو الاستجابة لكل مطالبه وامانيه ، ولكي يكون كذلك محالا حبه أو الاعجاب به أو الفهم له أو الفهم عنه أو الاطمئنان اليه أو مصادقته أو الاشتهاء لصحبته أو القدرة على صحبته · كن يقظا وفاهما لنفسك · انك لم تحب أو تفهم أو تصادق الهك أو تطمئن اليه أو تشته صحبته أو صداقته مهما حسبت أنك فعلت كل ذلك

ولـن تستطيع وأن تفعل ٠٠ لقـد تصورته بكـل هذه الشروط والحدود والصفات لكي تجعل عصيانه محتوما وغضبه محتوما لكي يكون عقابه للجميع محتوما ـ عقابه الذي يعجـز كل خيـال سوي أو ذكي أو تقي أو شهم أو رحيم أو متحضر عن تصوره ٠٠
لانها أي هذه النبوات والكتب المنزلة هي التعبير الاقسى والاصدق عـن موهبة القسـوة والبغضـاء والعدوانيـة الشاملـة ٠٠٠

هل توجد انهار أو أعاصير كونية تستطيع ان تصنع شيئا من التطهير لنفوسنا واخلاقنا ولغاتنا وعلاقاتنا او شيئا من الفيضان او الحركة او القوة او من القدرة علـى التخطي في عقولنا ؟ هل يوجد شيء يستطيع ان يصيب نفوسنا والسنتنا بشيء من التقوى والتدين ، ويصيب افكارنا ومعتقداتنا واقتناعاتنا بشيء من الفجور والتمرد والعصيان ؟؟ ان فجور الافكار والعقائد هو اتقى فجور ٠

***

نعم الانسان العربي كائن مصوت لا متكلم ٠ انه لم يتكلم قط ٠ انه في كل تاريخه ، بكل انبيائه وشعرائه وحكمائه وخطبائه وبكل شرائعه وتعاليمه وكتبـه المنزلة ، وبكل صهيله وضجيجه وبكل بلاغته وفنون بديعه ٠
نعم ، ان الانسان العربي في كل تاريخه بكل ذلك لم يتكلم قط ، لقد كان في كل ذلك مصوتا لا متكلما ٠ انه لم يقل كلمة واحدة منذ وجد ٠٠ كيف؟ انها لدعوى رهيبة؟
الانسان العربي لم يقل في كل تاريخه كلمة واحدة ٠ هل توجد دعوى اكبر واعجب من هذه الدعوى ؟

نعم ، ولكن لا يزال هذا السؤال يطاردنا او نطارده :

ما هو التصويت الذي هو طور الانسان العربي ، وكيف يمكن ان يعرف ان هذا الكائن مصوت وليس متكلما ٠٠ وقد تكرر هذا السؤال في الصفحات الماضية وتكررت محاولات الاجابة عليه ٠ ومن المفروض ان الاجابة لم تكن حاسمة ، بل انها مهما كانت حاسمة وكافية لان تكون مقنعة فلا بد ان تظل وكانها غير حاسمة وغير مقنعة لما فـي القضية او النظرية من كل معاني المفاجأة المذهلة بل الصادمة ٠٠

نعم ، ان مجرد عرض التساؤل : هل الانسان العربي مصوت فقط وليس متكلما ، نعم ، ان مجرد هذا التساؤل ليتحول الى اقسى الصدمات والمفاجآت ٠ كيف ؟ كـل هذا التراث والتاريخ والمجد من المنابر والتعاليم والشرائع والكتب والنبوات والكتـب المنزلة والتخاطب مع الالهة ومع سكان النجوم ، في كل الماضي وكل الحاضر ـ كـل هذا ليس شيء منه كلاما ؟

كيف لا يكون هذا القول او هذا الرأي هو أقسى المفاجآت والصدمات ، او كيف يمكن ان يكون الاقتناع به ، بل كيف يمكن ان يكون التحدث به او الاستماع اليه او طرحه كرأي ، شيئا سهلا او شيئا مغفورا ؟٠

هل كان احد يتصور ان هذا الموضوع قد يصبح رأيا بل قد يصبح تساؤلا يوجد من يطرحــه ؟

ان محاولة الاقناع بهذا الرأي بل محاولة عرضه قد تكون غفلة تستحق كــل الرثاء ، بل قد تكون مخاطرة لا وقار ولا ذكاء فيها ٠٠

ولكن هل يمكن ان يكون هناك كائن واحد لا يعيش اي نوع من المخاطرة حتى ولو لم يعش اي مستوى من مستويات الشجاعة ، او من لا يعيش كل انواع الغفلة مهما كان وقاره وحذره ومحاسباته لمواقفه ولمنطقه ؟

أليس كل الناس يعيشون كل انواع المخاطرات والغفلات حتى اكثرهم جبنا ودهاء؟ أليست كل الكائنات كذلك ؟

ولاني عاجز عن تجنب هذه المخاطرة وهذه الغفلة ، ولاني مقتنع بهذه القضية او بهذه الدعوى فأني مدفوع الى طرحها كما اقتنعت بها والى محاولة الاقناع بها ٠ لماذا افعل ذلك ؟ لعلها حوافز التحدي او الرغبة في القتال والمبارزة والاثارة ٠٠ اننا جميعا محكوم علينا بان نبارز ونتحدى ونقاتل باسلوب ما وسلاح ما ٠٠ لا بد ان نفعل ذلك مهما كنا بلا اية قضية وبلا اي امل في الانتصار ٠٠ !

او لعله الغضب والاشمئزاز او لعله العجز عن الابتلاع والصمت ، او لعلـــه الاحتياج الى التنفيس ، او لعلها قوة الاقتناع وشهوة الاقناع ، او لعله البحث عن اهتمام الاخرين وعن جذب مشاعرهم الى الذات ٠ او لعلها الرغبة في التحول الى صوت ٠٠ الى طلقات مزعجة ٠٠ او لعله الرفض للوقار والاستقرار والعيش في سلام ٠ هل السلام الدائم الشامل مع كل شيء شيء مريح او مطلوب ؟ أليس ذلك خمولا وكآبة وقبحا ؟ أليس الخوف والتصادم ولو احيانا جما لاونشوة وتداويا من الجمود والملل ؟

***

ليواجه العالم العربي احدى المواجهات الصعبة ٠٠ هزيمة او فضيحة او ازمـة او ورطة ما كبرى ، او احدى المشاكل التي لا يمكن الهرب منها ولا الصمت عنها ٠٠ ثم لنستمع اليه في جميع اجهزته ، كيف يتحدث عنها اي عن هذه المواجهة الصعبة ٠٠ كيف يفسرها ويفهمها ويفكر لها ويفكر بها ، وكيف يعالجها ويتوقعها ويشتمهـــا ويهددها ويقف منها وفيها ، وكيف يخطب عنها ويخاطبها ٠٠ كيف يصهل ويزأر وينبح عليها ٠ كيف يشتم ويدعي ويتوعد ويتعالي ٠

كيف يتحول الى اعاصير من السباب والصراخ والدعاوى المفرغة من كل منطق ورؤية وذكاء ووقار ٠٠

ليصعد اي حاكم او زعيم عربي فوق اي منبر ليتحدث عن اي شيء ، عن الحــب والصداقة والسلام او عن البغض والعداوة والحرب ٠٠ عن الاديان او المذاهب والنظريات والنظم ٠٠ عن الالهة والتاريخ أو عن الانسان والحياة ٠٠ عن النفس والاباء او عن

الاخرين ٠٠ ليتحدث عن كل شيء واعدا او متوعدا ٠٠ مفسرا او مقررا ، قابلا مؤيدا او رافضا مناقضا ٠٠

لنستمع الى اي شاعر او مفكر او فنان او معلم او كاتب او اديب او واعظ عربي ، او لنقرأ له ، يصوغ الكون صياغته النهائية الابدية الكاملة او يفسره او يراه أو يقرؤه كذلك ٠ أليس كل عربي يصوغ الكون ويصوغ كل شيء باسم الهه أو نبيه أو باسم ابائه وتاريخه صياغة نهائية ابدية كاملة ؟

لنستمع الى اي كتاب عربي منزل والى اية نبوة عربية ـ لنستمع اليهما من فوق جميع المنابر ومن داخل جميع المحاريب ومن جميع الافواه يفسران ويعالجان ويفهمان ويشتمان ويهددان ويعدان ويتوعدان كل شيء وكل أحد ، ويخبران عن كل شيء قد كان او لم يكن وكأنه قد كان ، وعن كل شيء قد يكون او لا بد ان يكون او لن يكون وكأنه لا بد ان يكون ، بل وكأنه قد كان ٠ كم هي عظيمة بطولة او بلادة اذنيك ان استطاعتا الاستماع الى النبوة العربية أو الى الكتاب المنزل على الموهبة العربيـة ٠٠

لنستمع الىكل العرب قدماء ومحدثين، الهة وانبياء وحكماء وشعراء وخطباء، قادة وجماهير ، جهالا ومتعلمين ـ لنستمع اليهم يخطبون وينشدون ويتحدثون ويعلمون ويأمرون ويفسرون ويفكرون ويوحون ويكتبون الايات والسور ويرتلونها ويتلونها ، ولنستمع اليهم ولنرهم ايضا يسمعون ويهتفون ويصلون ويؤمنون ويؤمـرون ويطيعون ٠٠٠

لنستمع الى كل العرب في كل نماذجهم ومراكزهم ومستوياتهم ومواقفهم ، في كل ماضيهم وحاضرهم بل ومستقبلهم في جميع مواجهاتهم ، امام جميع الاشيـاء والاحداث ـ لنستمع ليهم متحدثين ومستمعين هاتفين معجبين مصفقين ٠٠ وهل تطيق الاستماع الى الانسان العربي او تطيق رؤيته هاتفا معجبا مصليا لالهه او لنبيه او لحاكمه ؟

لنستمع اليهم في كل ماقالوه وانشدوه وكتبوه وعلموه لنعلم انهم منذ وجـدوا لم يقولوا كلمة واحدة ، وان كل من استمعوا اليهم او قرأوا لهم او تعلموا منهم لم يسمعوا او يقرأوا او يتعلموا كلمة واحدة في كل تاريخهم ، وان كل من هتفوا أو صفقوا لم يهتفوا او يصفقوا لكلمة لانهم لم يسمعوا او يقرأوا او يفهموا اية كلمة ٠

مسكينة هي الاذان العربية ٠ ماذا تسمع وماذا سمعت منذ ركبت في الانسـان العربي اذانه ؟

ولكن أليست الاذان العربية عبقرية في صبرهـاوتحملها ؟ هل قاسى شيء في هذا الكون مثلما قاست الاذان العربية ؟ هل تنـازل شيء عن كرامته وشهامته وحيائه وعن شرفه مثلما تنازلت عن ذلك اذان الانسان العربي ؟

كيف اطاقت وتطيق كل هذا الذي يصب فيها ؟ كيف تحملت في كل هذا التاريخ الطويل ان ترمى بكل هذه الاصوات المنطلقة والمسددة اليها من الكتب المنزلة العربية، من الايات والسور المنزلة على الموهبة العربية ·· المنطلقة المسددة اليها من النبوات العربية ·· والموجهة المسددة اليها من المعلقات ، من كل الاشعار والروايات والاناشيد والتواريخ والمنابر والحناجر العربية في كل تاريخها الطويل الكئيب ؟

كيف امكن ان يتفجر فيها كل هذا كل هذا الزمن ؟ كيف لم ترفض او تمتلىء او تمت أو تتمزق او تعجز عن الاستقبال والاحتواء والتعامل ؟

هل تطيق اذن كل الكون ولو تحول كله الى اذان ان تنفجر فيها فقط اصوات النبوات العربية او اصوات الايات والسور العربية ·· الايات والسور المنزلة على العبقرية العربية ؟ هل يطيق الكون كله متحولا الى اذان تحمل الاهانات والبذاءات التي تتحملها الاذان العربية مستقبلة لافواه النبوات والعبقريات العربية ؟

العلاقة بين فم النبي وآذان السوق

ولكن كيف ؟ هل الآذان العربية تقاسي وتتعذب في استماعها الى الاصوات العربية ؟ اليس محتوما أو محتملا انها تستمتع وتنتشي بذلك ؟ أليست العلاقة بين الآذان والافواه العربية علاقة مودة وتوافق وتناغم وليست علاقة تنافر او تنابذ او مخاصمة ؟ أليس الجوار بينهما جوار متحالفين متشابهين لا متعاديين او متباعدين؟

هل الافواه او الاصوات او الآيات والسور العربية تهاجم الآذان العربية وتشاتمها ام هي تنافقها وتتودد اليها وتبحث عن رضاها واعجابها بأساليب ونيات كلها تملق وهوان ؟ اليست الآذان العربية هي التي تصوغ وتعلم الافواه العربية وتضع لها اخلاقها وذكاءها ،؟او هي تحاول ذلك ، او هي في مكان من يفعل ذلك أو من يظن انه يفعل ذلك ؟ اليست الآذان تقول للافواه : اريد هذا وارفض هذا وحينئذ تصبح هي المعلمة للافواه الملية عليها الواضعة لها اخلاقها ومستواها ؟

هل الافواه العربية ، وكذا النبوات والآيات والسور العربية اي المنزلة على الموهبة العربية ، تعرض على الآذان العربية ما تريده وتشتهيه او ما تظن انها تريده وتشتهيه لم تعرض عليها ما يغضبها او ما ترفضه وتكرهه ؟

هل الافواه والنبوات العربية تعلم وتؤدب الآذان العربية أم تخادعها وتتملقها ؟ اليس موقف الافواه العربية من الآذان العربية هو دائما موقف المتاجر البائع المغازل الملقى بنفسه تحت الاقدام دون اية كرامة او وقار او استحياء ؟

أليست العلاقة بين الآذان والافواه العربية هي دائما علاقة بين فاسق ومفسوق به ، وان الفاسق هي الآذان العربية والمفسوق به هي الافواه العربية ؟

ان الآذان العربية موهوبة في قدرتها على الفسوق بمن يتعاملون معها ٠٠ أليست موهبة الفسوق في الآذان العربية هي التي فسقت بالآيات والسور والنبوات العربية حتى هوت بأخلاقها وكرامتها وشرفها الى كل هذا الحضيض ؟ أليست الافواه والنبوات والايات والسور العربية هي دائما المهانة المعتدى عليها ، والاذان العربية هي المعتدية المهينة ؟

أليس الذي يهتف لك حينما تكذب وتسقط محرضا لك على أن تكذب وتسقط ، اذن أليس معتديا عليك ؟

أليست الآذان العربية تشترط على الافواه العربية ان تكون بلا ذكاء ولا صدق ولا اخلاق ولا موهبة ، بل تشترط عليها ان تكون خروجا على الذكاء والصدق والاخلاق والموهبة بل ورفضا ومعاداة لها ؟ أليس تعامل الافواه العربية مع الآذان العربية كتعامل الشاعر العربي المداح مع السلطان العربي الممدوح ؟ اليس الفم العربي شاعرا والاذن العربية سلطانا عربيا ؟

هل يوجد خارج على كل القيم بكل حدودها ومستوياتها بل محرض على هـذا الخروج بل وآمر ملزم به مثل الاذان العربية ؟ نعم ، اليست الاذان العربية قـد افسدت ذكاء واخلاق الالهة والنبوات العربية لانها قد فرضت عليهـا ان تجـيء علـى مقاساتها فقط ؟

ماذا لو ان الاذان العربية قد جاءت او صيغت بنماذج اخلاقية وعقلية افضـل ؟ هل كان محتملا حينئذ ان تجيء الافواه العربية كما جاءت ، ان تجيء الايات والسور والنبوات العربية كما جاءت ، أو أن يجيء أي شيء من التراث العربي كما جاء ؟ ألم يكن من المحتوم حينئذ ان يصاغ جميع التراث العربي ؟ تراث الهة العرب وتراث انبيائهم وتراث جميع جماعاتهم وآحادهم بكل انتماءاتهم صياغة ملائمة لصياغـة اذانهم اي صياغة افضل ، اتقى واذكى واصدق واعظم في كل شيء ؟ أليست موهبة الاذان العربية هي التي صاغت موهبة افواه الالهة والنبوات العربية ؟ أليست الالهة والنبوات والايات والسور العربية اي المنزلة على العرب انما جاءت في هذه المستويات الحزينة أو صيغت هذه الصياغات الاليمة في ذكائها ، وكبريائها وفي جميع مواهبها واخلاقها لانها كانت تخاطب وتساوم بتملق الاذان العربية ؟ ألم تكن تناضل وتناضل لكي تكون صغيرة ، صغيرة ، اي لكي تجيء على مقاسات الاذان العربية ؟

اذن هل يوجد مذنب او مفسد مثل الاذان العربية التي افسدت كل شيء حتى الهة وانبياء العرب ؟

ثم ماذا لو ان اذان العرب اليوم سحبت منهم ووضعت لهم مكانها اذان اخـرى لها شروط واخلاق ومواهب اخرى اكبر واصعب ـ او لو ان اذانهم الحاضرة فرغت من نفسها وألفت تأليفا جديدا فيه رفض واشتراط وذكاء وكبرياء ؟ أليست افواههم حينئذ لا بد ان تقع في ورطة يصعب الخروج او التداوي منها ؟ مع من حينئذ تتعامل افواههم ؟ هل تجد اذانا اخرى لها موهبة الاذان العربية لكي تتعامل معها وتصب نفسها فيها ؟ هل يحتمل ان توجد الاذان العربية أو أن يوجد نموذجها مرة اخرى ؟ أليست صيغـة الاذان العربية معجزة لا تتكرر ؟

أليس الاله الذي صاغ الاذان العربية الها لن يجيء الا مرة واحدة ؟ وكيف استطاع المجيء هذه المرة الواحدة ؟

اذن ماذا يمكن ان تصنع الافواه العربية حينئذ ؟

هل تتوقف عن العمل لانها لا تجد اذانها الملائمة ؟ هل تستطيع التوقف ؟ او هل تصر على ان تعمل مع اذان رافضة مناقضة لا امل في ان ترضى او تتقبل او تسكت أو تهادن ، هل تجرؤ على أن تلقي بنفسها فوق وبين اعداء واضداد لن يغفروا لها شيئا من قبحها أو من هبوط مستوياتها ، فوق وبين اعداء واضداد لا بد ان يردوها بكل قسوة الاشمئزاز والاستقباح والغضب ؟ ما اعجب هذه الصورة أو هذا التصور : الافواه العربية لا تجد اذانا تأذن لها بأن تصب فيها أوحالها ·

هل يوجد من يستطيع ان يعمل ويستمر يعمل مع من يرفضونه ويناقضونه رفضا ومناقضة شاملين ؟ هل توجد ورطة اقسى من ورطة من لم يجد اذانا ملائمة ليستفرغ فيها فمه ؟ هل يوجد من لا يحتاجون الى استفراغ افواههم ؟ هل النبوة الا استفراغ فم ؟

هل تستطيع الافواه العربية التعامل مع اذان ليست عربية ، او ان تستطيع الاذان التي هي ليست عربية التعامل مع الافواه العربية ؟

هل تجرؤ هذه او تقبل تلك ان يكون هذا التعامل بينهما مهما كان وقاحة تلك وتواضع الاخرى ؟

نعم ، كيف يمكن ان تتصرف حينئذ الافواه العربية اي لو انها واجهت الورطة التي ذكرت في السطور السابقة ؟ هل تحاول حينئذ اي الافواه العربية ان تصوغ نفسها صياغة جديدة افضل لتكون في مستوى الاذان الجديدة التي لا بد ان تتعامل معها لانها لن تجد سواها ، لن تجد اقل منها في ذكائها واخلاقها وشروطها ؟ وهل تستطيع ان تفعل ذلك لو حاولته ؟ هل تستطيع الافواه العربية ان تكون شيئا افضل واقوى لو حاولت ذلك او مهما حاولت ذلك ؟ هل يستطيع الشيء ، اي شيء او اي احد ان يكون اكبر أو أعظم أو أغلى من نفسه أو من قدرته أو من موهبته أو من احتمالاته لو حاول ان يكون ذلك او مهما حاول ان يكونه ؟ هل عيب الشيء الرديء او الضعيف في قدرته وموهبته ام في ارادته ومحاولته ؟

هل الغبي غبي لانه لم يستطع ان يكون ذكيا ام لانه لم يرد او يعرف او يحاول ان يكون ذلك ؟

والارادة والمحاولة الرديئتان او الضعيفتان من صانع ذنبهما او رداءتهما او ضعفهما ؟ ومن الذي يستطيع ان يصنع جودتهما وقوتهما ؟ من اين تجيء الارادة والمحاولة الضعيفتان او الرديئتان ؟ ولماذا يختاران هذا الكائن دون الكائن الاخر ؟

لماذا لا يحاول الشيء الضعيف او الرديء الذي تعيش فيه ساكنة صامتة القوة والجودة ان يكون قويا وجيدا كما حاول القوي الجيد ان يكون قويا وجيدا حتى كان ذلك ؟ اليست المحاولة والارادة القويتان الجيدتان هما التعبيرين او التفسيرين للقدرة وللموهبة ، او اليستا جزءا منهما ؟

هل يمكن ان يكون كائن ما مخزنا للقدرة وللموهبة ، او ان يكون قادرا وموهوبا ثم لا يريد ولا يحاول بقدرة وموهبة ؟ أليس فقد الارادة والمحاولة أو ضعفهما فقـدا للقدرة وللموهبة او ضعفا فيهما اي في القدرة والموهبة ؟

أليست الارادات والمحاولات منها الموهوبة وغير الموهوبة كالعضلات والعقول منها القوي والضعيف ؟

ولكن أليس هذا التفسير للعلاقة بين الافواه والاذان فيه الكثير من الظلم للاذان والمحاباة للافواه ؟ أليس العدل ان يحكم على الافواه بما حكم به على الاذان ، وان يحكم للاذان بما حكم به للافواه ، وان توصف هذه بما وصفت به هذه ؟ أليست الافواه هي المعتدية بكل معاني واساليب الاعتداء على الاذان وليس العكس ، او اليست هذه اكثر اعتداء على تلك ، اي نقيض ما ذكر وزعم في التفاسير السابقة للعلاقات بينهما ؟

أليست الافواه هي التي تبدأ العلاقات بينها وبين الاذان ؟ أي اليست هي التي تبدأ الهجوم ؟ أليس العدوان بدءا ؟ هل الذي لا يبدأ او الذي يقع عليه البدء يكـون معتديا ؟ هل حدث او هل يمكن ان يحدث هذا اي ان تكون الاذان هي التي تبدأ الاتصال بالافواه او حتى ان تعرض عليها هذا الاتصال او ان تحرضها عليه او ان تفسر لهنا مزاياه ؟

أليست الاذان تظل صامتة وبريئة وعفيفة قديسة ، لا تفعل شيئا ولا تطالب بشيء ولا تقترح او تشترط او تعرف شيئا حتى تهاجم وتغزى دون ان تفعل او تقول بل او تعتقد شيئا يثير او يغضب او يخيف او حتى يؤذي مهاجميها وغزاتها ؟ أليست اي الاذان مكانا فقط ، مكانا مهذبا متواضعا كريما نبيلا يظل من كرمـه ونبله مفتح الابواب امام كل المهاجمين ؟ ولانه كذلك يأتي جميع اللصوص والمحتالين والغزاة والسفهاء والملوثين وجميع الضالين والمهرجين والمتوقحين ليقتحموه ويحتلوه ويسقطوا فيه وعليه كل ذنوبهم واوحالهم واكاذيبهم وحماقاتهم وعاهاتهم والامهم وخصوماتهم واحقادهم وغباواتهم ، متعاقبين متجمعيـن متزاحمين متنافسيـن متقاتلين ، دون ان يرد احدا منهم او يضع اية حراسة على حدوده او على ابوابـه او على اية نافذة من نوافذه • انهم يهجمون عليه جميعا جماعات واحادا دون ان يستأذنوه او يسألوه او حتى يخبروه او يفهموا شيئا من رغبته او مصلحته •

هل يوجد شيء او مكان او هدف مفتوح ومباح لجميع الغزاة والمهاجمين بكـل نياتهم ومستوياتهم وجنسياتهم دون اي دفاع ودون ان يفعل او يقول او يعتقد مـا يثير او يحرض الغزاة والمهاجمين عليه ، مثل الاذان ؟ هل يوجد غزو بكل هذه القسوة والظلم والشمول والوقاحة مثل غزو الافواه للاذان ؟

اجل ، هل وجد او يمكن ان يوجد من يفعل به كل احد كل شيء دون ان يفعل هو باحد اي شيء مثل الاذان ! او غير الاذان ؟ هل يوجد صامت مستقبل مرحب مهذب ،

متواضع مجامل مظلوم مثلها ؟ هل يوجد صمت وتهذيب وتواضع واستسلام ملوم ومنكر ومهان مثل صمت وتهذيب وتواضع واستسلام الاذان لكل من يهاجمونها ويبصقون عليها ؟

ان الاذان لا تصوغ غزاتها اية صياغة . انها لا تصوغ شيئا من اخلاقهم او ذكائهم او نظافتهم او مذاهبهم وافكارهم او من اهوائهم وتشوهاتهم .. وانها لا تعلمهم او تختار لهم شيئا من ذلك او تحرضهم عليه . انها فقط تستقبلهم وتستقبل ما يلقون فيها بكل الصمت والوقار والاستحياء وبكل واجبات ومستحبات الضيافة النبيلة الكريمة جدا ، والمهينة المذمومة الجبانة المحقرة جدا ..

لقد جمعت الاذان ولا سيما العربية بين اضخم كرم في الضيافة واشمل هوان في الكرامة .

نعم ، ان الاذان مكان فقط ، مكان لا نموذج لانفتاحه واستقباله .. فهل المكان يعتدي ام يعتدى عليه ؟

بل أليست الافواه هي التي تصوغ الاذان أو تعودها أو تعلمها ؟ أليست بالقائها فيها وبنوع ما تلقى فيها وباسلوب القائها فيها تصوغها او تعودها او تعلمها أو تفرض أو تشترط عليها أو تفعل بها كل ذلك ؟ أليست الاذان تعلم ، ثم أليس الذي يعلم يصاغ صياغة جيدة او رديئة ؟ اليس الفرق بين الاذان يساوي الفرق بين معلميها ولو أحيانا أو نظريا ؟

أليس جميع الالهة والانبياء والجبارين والطغاة المتوحشين بقوتهم وارهابهم وتواعداتهم وجيوشهم يهاجمونها ويتفجرون فيها منطلقين من الافواه ليصوغوها ويعودوها ويعلموها ويفرضوا عليها لتكون النموذج الذي يريدون ويطلبون ؟

اليس جميع وحوش الانسان يهاجمون اذنيه مندفعين من فمه ؟

اجل ، من فمك ايها الانسان ينطلق جميع وحوشك ليفترسوا اذنيك ! هل عرفت ذلك ، هل رثيت لاذنيك ؟ هل طلبت منهما الغفران ؟

كل الهتك وانبيائك وطغاتك وجهالك ومهرجيك وكذابيك واغبيائك ، كل هؤلاء يغزون اذنيك متفجرين من فمك ! هل فكرت في هذا ؟ هل حدثك عنه أحد من محدثيك ؟ هل جاء اليك نبي من انبيائك ليقول لك ذلك ؟

والان لقد جاءك من يقول لك هذا الذي لم يقله لك احد من قبل . فماذا انت صانع؟

ماذا انت صانع بعد أن عرفت ان جميع غزاتك ينطلقون من فمك مهاجمين لك من أوسع واسهل وآمن الطرق الى احتلالك اي من أذنيك ؟

هل تعاقب فمك ، أو هل تغلقه ؟ هل تسد اذنيك أم تقتلهما أم تستسلم لما هو حادث ؟ لعلك راض عما هو حادث ؟ لعلك متآمر مع فمك على اذنيك .. لعلك متآمر مع آلهتك وانبيائك ومع كل غزاتك على اذنيك ؟ لعل كل الناس في كل التاريخ متآمرون مع انبيائهم وطغاتهم وآلهتهم ومع كل غزاتهم على انفسهم !!

ولكن هل هذا هو كل العدل في تفسير العلاقات بين الآذان والافواه ؟ بل هل في هذا التفسير اي قدر من العدل او الصدق او الصواب ؟

هل يحتمل ان الافواه العربية قد وهبت الآذان العربية اخلاقها او ذكاءها او كبرياءها او اية صياغة من صياغاتها ؟ بل هل يحتمل انها علمتها شيئا او عودتها او روضتها او حرضتها او خلقت فيها الجرأة على شيء ؟ وحتى مهما حاولت ان تفعل بها او لها ذلك فهل هي التي فعلته او هل تستطيع فعله ؟

من الذي علم الافواه العربية مستوياتها وصاغها صياغاتها ؟ ان الذي علمها وصاغها هو الذي علم الآذان العربية مستوياتها وصاغها صياغاتها ٠ اذا اتهمت الافواه العربية بانها هي التي علمت الاذان العربية اخلاقها ومستوياتها فمن المتهم بانه المعلم للافواه العربية موهبتها التعليمية ؟

ان الفريقين او الجارين اي الآذان والافواه العربية لم يعلم او يصنع احدهما الآخر ، بل لم يختر او يدبر احدهما للاخر ٠ لقد وجدا نفسيهما متجاورين ومتواجهين ومتشابهين متوافقين في مواهبهما واحتياجاتهما ، فذهبا يتعاملان باحثين عن الراحة والاستمتاع ومستجيبين لذاتيهما ولكل ما في ذاتيهما من احتمالات وخصائص وشهوات ٠ لقد عامل كل منهما الاخر بما يريحه او بما يريده او بما يستطيعه ويعرفه او بما يتوافق مع مواهبه ٠٠٠ ان احدهما لم يعامل الاخر بنية او بموهبة او بوظيفة النبي ولا بنية او بموهبة او بوظيفة الشيطان ٠٠٠

ان الافواه لم تأت الآذان بما لا تريد او بما تنكر وترفض حتى خلقت فيها الارادة والتقبل والاستحسان لهذا الذي جاءتها به واسقطته فيها وهي لاتريده بل وهي ترفضه وتنكره ٠ وكذلك فان الآذان لم تذهب تتضرع وتتوسل الى الافواه طالبة اليها ان تسقط فيها وان تعلمها ما لا تريده اي ما لا تريده الافواه وما لا تعرفه او تقبله او ما لا تستطيعه ، حتى رقت اي الافواه لتضرعات الآذان ولتوسلاتها وحتى غلبتها الرحمة والنخوة والشهامة امام هذه التضرعات والتوسلات ، فتعلمت اي الافواه وتقبلت وعرفت وارادت هذا الذي لم تكن تريده او تتقبله او تعرفه او تستطيعه ، ثم ذهبت بكل الرحمة والحنان والكرم والفداء تصبه في الآذان المتضرعة السائلة المتوسلة ٠ ان الآذان لم تكن مستجدية وان الافواه لم تكن متصدقة ٠

اجل ، ان القضية لم تكن كذلك واحتمال تفسيرها بانها كذلك اي احتمال تفسير العلاقات بين الاذان والافواه بانها علاقات بين معتد غاز مفسد وبين مغزو مفسد معتدى عليه ، هو اي هذا الاحتمال خطأ قد يكون الاقتناع بكونه صوابا اقتناعا سهلا بل ومغريا ومثيرا للحماس الفكري ٠٠ ولكن أليس الاقتناع بالخطأ هو دائما اقتناعا سهلا ومغريا وصانعا للحماس الفكري بل والانساني ؟

ان العلاقة بين الآذان والافواه تشبه العلاقة بين فاسقين او بين كائنين يمارس احدهما مع الاخر او بالاخر ما يعد شهوة محرمة او سلوكا رديئا او مؤذيا او صانعا

للغضب او للاشمئزاز او للانكار ، او خروجا على المقرر او على المألوف او على الاذكى، والاقوى · وفي هذه الممارسة او في هذا الفسوق أليس كلا الكائنين قد استجاب لنفسه او لرغبته او لقدرته او لموهبته ومعرفته وكينونته ؟

أليس كلاهما قد استجاب او خضع لما حكم عليه به دون ان يكون الحكم على احدهما اخف من الحكم على الاخر ؟

فمن الفاسق في هذين الكائنين ومن المفسوق به ، او من المعتدي ومن المعتدى عليه ، او من الصائغ للاخر المعلم الواهب لـه اخلاقه وشهواته ورغباته ؟

هل فيهما فاعل ومفعول بـه ، وخالق ومخلوق ، مذنب وبريء ؟

اليس كلاهما اما أن يكون هـذا وهذا او هـذا فقط او لا هذا ولا هذا ؟ اذا مـا عينان واجهتا وعاملتا عينين اخريين بالاسلوب الذي يعـد خطيئة او بذاءة او وقاحة او طريقا الى ذلـك ، فأي هذه العيون الاربع هما العينان الآثمتان المعتديتان ؟ وهل فيها اي في العيون الاربع معتد ومعتدى عليه وآثم وبريء ؟ أليست كلها اما هـذا وهذا او هـذا فقط او لا هذا ولا هذا ؟

وهل فيها اي في العيون الاربع صائغ ومصوغ معلم ومتعلم واهب وموهوب ؟ هل يمكن ان تكون العيون المشتهاة قد علمت القلب ان يشتهي او صاغته كذلك ؟

هل يدا الانسان علمتا رجليه المشي او هل رجلاه علمتا يديه الامساك بالقلم ؟ وهل عيناه علمتا قلبه الحب والشهوة والخوف أو هل قلبه علم عينيه الرؤية والبلادة ؟ واذا كان هـذا قد علم هـذا فمن الذي علم المعلم ؟

اذا كانت الآذان العربية مستوى افضل مما يلقى فيها او اذا كانت ترفض مـا يلقى فيها او تستنكره وتعجز عن تقبله وعن الاستمتاع والتغذي به فلماذا ظلت ابـدا تستقبل ما تصبه فيها الافواه العربية وترحب به وتهتف وتغني له ؟ لماذا لم تصب اي الاذان العربية ولا مرة واحدة ولا في موقف واحد بالغضب او بالاستحياء او بالصمم عما تلقيه فيها الافواه العربية ؟

لماذا لم تعارض او ترفض او تضرب او تهرب او حتى تصرخ او تغلق الحدود بينها وبين الافواه العربية في اية فترة من تاريخها ؟ ان المناقض باخلاقه او بمواهبه او بارادته ومستوياته لا يمكن ان يظل كل التاريخ بلا اي تمرد او عصيان وبلا اي شيء يشبه التمرد او العصيان ·

كيف لم تمرض الاذان العربية او تفقد شهيتها من كثرة الالقاء المناقض فيها ان كان مناقضا ؟ ان الاذان العربية لن تكون بريئة الا بقدر ما يجب ان تكون الافواه العربية بريئة · ان احدى الطائفتين أي الاذان والافواه العربية لـن تكون بريئة أو مذنبة الا بقدر ما يجب ان تكون الاخرى كذلك ·

هل يمكن ان تصبح الاذان العربية شيئا افضل ، اذكى او اتقى لو انها تعاملت مع افواه غير عربية اي مع افواه افضل واعظم موهبة من الافواه العربية ؟ او هل كان ممكنا او محتوما ان تجيء اي الاذان العربية افضل مما جاءت لو أنها تعاملت منذ وجدت مع هذه الافواه التي هي غير عربية والتي هي افضل من الافواه العربية ؟

والافواه العربية لو أنها ركبت على آذان غير عربية اي على آذان تشترط للتعامل معها شروطا اقسى واذكى من الشروط التي تشترطها الاذان العربية ـ على آذان ترفض كل ما تهتف وتغني له الاذان العربية لانها تملك وتعيش مواهب ومثلا لا تملك ولا تعيش منها شيئا الآذان العربية ٠

ـ نعم ، لو ان الافواه العربية ركبت على مثل هذه الاذان الصعبة في اخلاقها ومواهبها واشتراطاتها فماذا يمكن ان يحدث حينئذ ؟ هل يمكن ان تصبح اي الافواه العربية خلقا جديدا عظيما لتكون متكافئة مع الاذان التي ركبت عليها والتي اصبح محتوما عليها ان تتعامل معها وحدها ؟ ان مثل هـذا او قريبا منه ان تركب الاذان العربية تحت افواه غير عربية لتتلقى عنها ٠٠ كم هي تجربة محزنة او فاضحة او معلمة او مسلية لو ان هـذا جرب اي لو أن الذات او الشخصية او الموهبة العربية ركبت تحت موهبة غير عربية لتتعامل عليها وبها ومعها وفيها !

ماذا لو ركب قلب ضعيف او يد او رجل ضعيفة في جسد قوي ، او لو ركب قلب قوي او يد او رجل قوية في جسد ضعيف ؟

او ماذا لو ركب عقل ضعيف في رجل كبير اي كبير المنصب والموقع في المجتمع او لو ركب او وضع رجل ضعيف في عمل او في موقع كبير من المواقع الاجتماعية ؟

لقد جرب هـذا الافتراض او هـذا الذي وضع في صيغة تساؤل ، بل لقد كان هو الواقع الدائم المشاهـد دائما في كل مكان او في الكثير جدا من الاماكن ٠ وقـد جاءت النتيجة كما لا بد أن تجيء ، اي جاءت معقولة جدا ومؤلمة جدا ٠

اي لقد كان الواقع المشاهد دائما ان يركب العقل الضعيف او الموهبة الانسانية الضعيفة في الرجال الواقفين فوق المناصب ذات المسؤوليات الكبيرة جدا ، وأن يركـب او يوضع الرجال الضعاف جدا في جميع مستوياتهم ومواهبهم فوق اكبر المواقـع الاجتماعية واخطرها ٠ فما الذي حدث او ما الذي كان يحدث نتيجة لهذا التركيب اي لتركيب الضعف في موقع او في انسان يطالب بأن يكون قويا وبأن يعمل شيئا قويا ويفرض عليه ان يواجـه مواقف ومواجهات قوية ؟ نعم ، ما الذي يحدث او مـا الذي يمكن ان يحدث حينما تكون المسؤولية كبيرة جدا والمسؤول صغيرا جدا ؟

ان الذي كان يحدث دائما ان الرجـل الضعيف في تفاسيره ومواهبه البشرية حينما يوضع في موقع كبير من مواقع الحياة لا يوهب قوة او موهبة قوية او كبيرة لكي يجيء ندا او كفأ لمواجهاته ، بـل ولا يظل في مستوى ضعفه ، بل انه يذهب يزداد ضعفا وعجزا ٠ وهـذا شيء معقول ومحتوم ٠ انـه لا بد أن يقاسي من الاحـراج

والحيرة والارتباك والشعور بالعجز والافتضاح · وهذه المقاساة لا بد ان تمتص قواه ومواهبه الضئيلة وان تصيبه بالمزيد من الهزائم والخيبة والانهاك ومن ضياع الصواب · ان ذكاءه وعزمه المحدودين لا بد ان يستنزفا وان يضلا ويتبددا ويهابا ويرهبا ويمرضا امام المواجهات والمواقف الصعبة الكبيرة المتحدية المحتاجة الى ذكاء وعزم شامخين بل الى مواهب عديدة متفوقة · انه لشيء مهين ومضيع للصواب ان تكون النبوة كبيرة ويكون النبي صغيرا ·· أليس هذا هو الذي يحدث دائما أي تكون النبوة كبيرة والنبي صغيرا ؟ انه لـم يأت نبي مساويا لنبوته ··

اذا وضع زعيم او حاكم او قائد يملك مواهب بشرية معينة هي اقل مما يجب ·· اذا وضع او وضع نفسه في موقع كبير اي اكبر من مواهبه ـ وهـذا يقع كثيرا بل دائما ـ فان مواهب هـذا الزعيم او الحاكم او القائد مع استمرار مواجهاته الصعبة لن تظل في مستواها ومقاديرها للسابقة المحددة المحسوبة ، بل لا بد أن تأكلها هذه المواجهات وأن تهبط بها الى حدود ومقادير اكثر ضيقا وضآلة وافتضاحا · ان المواجهات لن تكون مسالمة لمواجهيها ولا محايدة منهم · انها لا بد أن تكون معهم او ضدهم ·

ان النموذج الجيد والقوي لتصديق هذه القضية هم زعماء وقادة وحكام العالم الذي يسمى العالم الثالث · ان هؤلاء الزعماء والقادة والحكام قد واجهوا ويواجهون ظروفا وقضايا ومشاكل واحتياجات والتزامات هي اكبر واصعب جدا من جميع مواهبهم وقدراتهم العقلية والاخلاقية والنفسية لانهذه الظروف والقضايا والمشاكلوالاحتياجات والالتزامات التي واجهوها قد صنعتها حضارة كبيرة جدا · وهذه الحضارة الكبيرة جدا قـد ابدعتها ووهبتها مواهب كبيرة وعديدة جدا · ولقد كان محكوما على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا مواجهاتهم هذه الصعبة لانه كان محكوما عليهم ان يكونوا في هذا العصر ، ومحكوم على هـذا العصر ان يعيش هذه الحضارة المحكوم عليها اي على هـذه الحضارة بأن تتوزع وتفرض نفسها بلا رحمة او كرامة او خيار أو تدبير ذكي أو أبي على كل احد وكل مجتمع ، على الاكفاء وغير الاكفـــاء بل وعلى الاضداد والمناقضين والعاجزين الذين لا بد ان يحولوها الى تشوهـات وعاهات وعار بل والى هموم وتحقير لها وعدوان عليها لا مثيل لنذالاته ووقاحاته · ان هـذه الحضارة بقدر ما هي عظيمة وقوية فهي بلا كرامة او كبرياء · انها لا تختار او تشترط لنفسها · انها تعاشر وتهب نفسها باسلوب اباحي رخيص جدا ·

نعم ، وما الذي حدث حينما فرض على هؤلاء القادة والزعماء والحكام ان يواجهوا هذه الحضارة التي ليست حضارتهم والتي ابدعتها مواهب ليست مواهبهم وليست في مستوى او حجم مواهبهم ؟ والمأساة ان هؤلاء القادة والحكام والزعماء لـم يعرفوا ذلك اي لـم يعرفوا انهم قـد فرضت عليهم مواجهات هي اكبر واذكى جدا من جميع مواهبهم ··

اجل ، هل تعاظمت او تعلمت مواهبهم العقلية او الاخلاقية او حتى اللغوية والتعبيرية او النفسية لكي يستطيعوا التعامل مع ما فرض عليهم التعامل معه دون ان يتحولوا الى افتضاح لانفسهم ولتاريخهم ولابائهم المزعومة المروية امجادهم ، والى عقاب للحضارة التي اقتحمت بوقاحة ومهانة وتضرع عليهم حدودهم المحروسة بكل معاني ومستويات التخلف والبداوة ، دون ان يعشقوها او يخطبوها او يطلبوها او يراسلوها او حتى يعرفوها ، بل ودون ان يعرفوا لغة من لغاتها او يستطيعوا تعلم اية لغة من لغاتها . انهم لا يعرفون ولا يستطيعون ان يعرفوا لغات هذهالحضارة مهما تكلموها ..

نعم ، لقد اقتحمت عليهم هذه الحضارة مخادعهم الملوءة بالحشرات والعاهات والعفونات وبالروائح الكريهة دون ان تشترط لنفسها اي قدر من الاحترام او التقبل او التلاؤم . وحينئذ ألم يتحولوا في ضعفهم وعجزهم الى مأساة ؟ لقد فرض عليهم نقيض متفوق بلا حدود ان يواجهوه ويعاملوه ويعيشوه ويباروه ، وان يتعلموه ويفهموه ويتحدثوه ويتحدثوا باسمه وبلغاته وشعاراته وبمذاهبه واخلاقه فأنهك كل قواهم المتخلفة ، قواهم الذهنية والنفسية والاخلاقية والتعبيرية ، حتى تحول اي هذا النقيض المتفوق الى عقاب وفضح رهيب حزين لهم . انه لم يعطهم شيئا من مواهبه وتفوقه ، أنه لم يزرع فيهم أو ينقل اليهم شيئا من مزاياه ، بل أنه لم يترك لهم موهبتهم الضئيلة بل لقد فتك بها . لقد ذهب يخيفها ويحرجها ويخجلها ويورطها ويتحداها ويطالبها ويعجزها ويذلها حتى سلبها كل ما كان يحتمل انه قد قسم لها من مقادير ضئيلة من الذكاء او القدرة او الاخلاق او الوقار او الاتزان او الاستحياء او من اي معنى اخر جيد لا بد أن يقسم منه شيء ولو قليلا جدا لاي انسان حكم عليه بالمجيء هنا ..

وانه لمحتوم ان يزداد هؤلاء القادة والزعماء والحكام ضعفا وافتضاحا باستمرار مواجهاتهم لهذا النقيض او الخصم الرهيب المتفوق ، اي باستمرار مواجهاتهم لهذه الحضارة ، لهذه الحضارة الوقحة في ركوعها تحت كل الاقدام البدوية وامام كل الابواب بكل تعابير وتفاسير التضرع والهيام والاستسلام الذليل .

وقد يكون من الوفاء والحماية والاحترام للحضارة وللمواهب التي ابتكرتها ان يمنع هؤلاء الزعماء والقادة والحكام من معايشتها والتعامل بها بل ومن مواجهتها والحياة داخلها . كما ان منعهم من ذلك قد يعد أسلوبا نبيلا من اساليب الرفق بهم والستر لهم والحماية لمواهبهم من التعذيب والتعجيز والاذلال لها ولهم ، أي لو كان هذا المنع مستطاعا .. انهم لا يحقرون ويشوهون الحضارة فقط بتعاملهم بها وبمواجهتهم لها بل انهم ليتعذبون ويقاسون بذلك ..

فهل يحدث ان تتحرك النخوة او الكرامة او الشفقة في العالم فيفعل شيئا اي شيء لكي يقيم حواجز وحدودا منيعة من أي نوع وبأي اسلوب لتعزل هؤلاء القادة

والزعماء والحكام ، اي حكام وزعماء وقادة العالم الثالث ، لتعزلهم عن مواجهة هذه الحضارة المناقضة لهم وعن التعامل بها ومعها وفيها ، حماية لكرامتها ورفقا بمواهبهم ؟ كم هو رائع ونبيل وشهامة ان يفعل العالم ذلك ؟ كم فيه من الرحمة بهؤلاء القادة والزعماء ومن الستر لهم ٠

هل يحدث ان يفعل العالم ذلك وفاء وحماية لهذه الحضارة من العدوان عليها والتشويه لها والهبوط بها ، وايضا رحمة ورفقا بهؤلاء القادة والزعماء والحكام الذين لا بد ان يقاسوا كل العذاب والهوان والافتضاح والعار والارهاق في مواجهتهم لها وتعاملهم بها ومعها ؟ آه لو ندرك عذاب وافتضاح وعجز هؤلاء القادة والزعماء والحكام في مواجهاتهم لعطايا وقضايا هذه الحضارة ٠ آه لو يدركون هم ذلك ٠٠

ماذا يمكن ان نتصور من التحقير والعدوان والفضح والتعذيب والارهاق حينما نتصور او لو تصورنا ان الافواه العربية قد ركبت على آذان غير عربية اي على آذان حضارية وفرض عليها اي على الافواه العربية ان تتعامل مع هذه الآذان الحضارية فقط دون اية آذان عربية ودون اية آذان في مستوى الآذان العربية دون ان تكون عربية ؟ نعم ، يجب ألا ننكر جدا او ألا ننكر باسلوب حاسم انه قد توجد آذان غير عربية ولكنها ليست افضل كثيرا أو حتما من الاذان العربية ٠ عجبا ! أواثقون نحن انه قد توجد اذان غير عربية ولكنها في مستوى الاذان العربية ؟ أواثقون نحن من ذلك ؟ أنجرؤ على اعلان ثقتنا هذه ؟

نعم ، ماذا يمكن ان نتصور من العدوان على الآذان التي هي ليست عربية ومن التحقير لها ، وكذلك ماذا يمكن ان نتصور من الفضح والارهاق والتعذيب للافواه العربية ، اعني لو تصورنا ان الافواه العربية قد ركبت على آذان غير عربية اي على آذان حضارية ؟

كيف يمكن ان تجرؤ حينئذ الافواه العربية على التعامل والتخاطب مع الآذان التي هي ليست عربية والتي لا تملك مواهب واخلاق الآذان العربية ؟ أي نحن هنا نفترض ان الافواه العربية قد تدرك او لا بد ان تدرك حينئذ معنى كونها تتخاطب مع آذان غير عربية ٠٠

بل كيف تجرؤ اي الافواه العربية ان تكون مجاورة ومواجهة لهذه الاذان التي هي ليست عربية وليست في مستوى الاذان العربية غفلة وسذاجة وبداوة وتصديقا واستقبالا للاكاذيب والقباحات والبلادات والوقاحات واستمتاعا وترحيبا بها ؟ اكرر اننا هنا نفترض أن الافواه العربية ستدرك الفرق بين الاذان العربية والاذان غير العربية ٠٠

كيف يمكن حينئذ ان يكون الاستقبال لها اي للافواه العربية ؟ هل يستطيع اي شيء غير الاذان العربية ان يستقبل الافواه العربية ؟٠٠

أنه لتخيل مثير : أن نتخيل استقبال اذان غير عربية لافواه عربية قد فرض على هذه ان تكون مستقبلة لهذه ٠ انــه لتخيل مثير حتما ولكن هل يمكن ان يكون سعيدا ؟ وهل يستطيع اي خيال ان يجرؤ على تخيل مثل هذه البشاعة ؟ أليس تخيل مثل هـذا الخيال يحتاج الى وحشية قد يكون من الصعب وجود نموذج لها ٠٠٠

ولكن العكس ماذا يصنع ؟ أي ماذا يحدث لو ان الاذان العربية ركبت عليها أفواه غير عربية ؟ هل تشعر حينئذ الاذان العربية بورطتها وماساتها ؟ هل تقاسي حينئذ من العجز والحرج والاستحياء ؟ هل تتعذب وتدرك عجزها ، وهل تحاول ان تفهم او تفهم بأن عليها ان تفهم او ان تدرك الفرق بين ان تفهم وان تعجز عن الفهم ، بل هل يمكن ان تدرك حينئذ انه يوجد اي فرق بين الافواه او بين ما تصبه الافواه في الاذان؟

هل تشعر حينئذ أنها محرجة وملزمة بما لا تستطيع ، اي بالتعامل مع متفوق لا تستطيع التعامل معه ويفضحها ان تتعامل معه لضخامة الفرق بين المتعاملين ؟ أو لعلها حينئذ لن تعاني شيئا من ذلك لانها لا بد أن تقتنع بأن القضية ليست الا أصواتا ، اي ان جميع الافواه ليست الا اصواتا فقط وأنه لا فرق بين صوت وصوت وبين فم وفم الا بأسلوب الاداء ٠ وحينئذ لن تدرك بأن هذه الافواه التي ركبت عليها والتي هي ليست افواها عربية ليست في تفاسيرها او في قيمها الاخلاقية او الفكرية او الانسانية او الحضارية مخالفة للافواه العربية او متفوقة عليها ٠

أليست جميع الاذان الصوتية او جميع آذان الكائنات المصوتة اي غير المتكلمة لا بد ان تواجــه وتعامل وتفسر جميع الافواه بأنها اصوات فقط وانها حينئذ لا فروق بينها في تفاسيرها او مواهبها او مستوياتها ؟ هل تستطيع اذنا الحصان او الجمل ان تفهما الفرق بين صوت الواعظ شاتما كاذبا وكلمات العالم خالقا واهبا ؟

ولكن ما شأن تلك الافواه غير العربية التي ركبت افتراضا على الاذان العربية ؟ ماذا يمكن ان تفترض فاعلة حينئذ ؟ هل تتقبل حينئذ التعامل مع الاذان العربية ؟ هل تستطيع التنازل عن كرامتها وكبريائها وذكائها والتزامها ووظيفتها الحضارية الابداعية ؟ هل تستطيع التعود على الهوان وعلى معاشرته ومعايشته وعلى التخلي عن التفوق بحثا عن التخلق بالتواضع وعن مسايرة ومجاملة العجز والتخلف والرداءة ، وهربا من احراج او اذلال هـذا العجز والتخلف وهذه الرداءة ؟

هل يوجد من يريد ان يكون عاجزا ومتخلفا ورديئا لكي لا يشعر العاجز والمتخلف والرديء بالاحراج او الاذلال او التعجيز ؟ هل يوجد من يريد ذلك ويستطيعه ويفعله ؟ هل توجد تقوى او شهامة بهـذا المستوى ؟

هل يوجد عبقري او نبي يتخلى عن عبقريته او عن نبوته لئلا يعـذب فاقدي العبقرية والنبوة بالغيرة والحسد ؟

هل توجد غربة مثل غربة افواه غير عربية ركبت على آذان عربية ؟

هل يوجد من يستحق الرثاء مثل هذه الافواه التي جرؤ الخيال على ان يضعها في هذا المكان ؟

تعذيب لا تطيق مشاهدته النجوم ان توضع افواه غير عربية فوق آذان عربية ٠٠ سخرية لا مثيل لفحشها وهزئها ان تقرأ اعظم الكتب العبقرية على اذني جمل او ذئب او على اذني قراد ٠ أليس تركيب الافواه غير العربية على الاذان العربية هو كل التفاسير لقراءة الكتب العبقرية على اذني الجمل او الذئب او القراد ؟٠٠٠

ولكن لماذا لم يحدث هذا؟ لماذا لم يحدث ان ركبت الافواه والاذان العربية على آذان وافواه غير عربية ، او ركبت غير العربية على العربية ؟ لماذا لم يحدث هـذا الشيء الفظيع الرديء ؟ هل توجد قوة خيرة من الالهة او الطبيعة قاومت ومنعت أن يقع هـذا الرديء المنكر ؟ أليست الاشياء الرديئة والدميمة والمنكرة تغطي كل وجوه واحداث هـذا الكون ؟ انه لا يوجد في قوانين هـذا الكون ولا في احداثه اي تدبير او نية من نيات الشهامة او التقوى او من تدبيرها ٠٠

اذن لا يمكن الافتراض بان قوة ذكية او ابية او خيرة او غيورة هي التي قاومت ورفضت ان يحدث هذا الشيء الرديء القبيح المهين ، اي ان تركب المواهب غير العربية على الانسان العربي أو أن يركب الانسان العربي على مواهب غير عربية ٠

ولكن هذا لم يحدث لان آذان البشر وافواههم ليست هي مواهبهم ٠٠ ان مواهبهم هي دائما وراء آذانهم وافواههم وآذانهم وافواههم ليست الا ممرا او مكانا ٠ ان الانسان العبقري لا بد ان يكون فمه واذناه عبقرية ، وغير العبقري لا بد ان تكون اذناه وفمه كذلك ٠٠ ولو انتزعت اذنا وفم اتفه واجهل انسان وركبت على انسان عبقري لكان محتوما ان تصاب اذناه وفمه بالعبقرية ، وان العكس ايضا صحيـــح بنفس النسبة ، اي لو انتزعت اذنا وفم اعظم عبقري لتركب على انسان غير عبقري او على انسان تافه لاصيبت اذنا هذا العبقري وفمه بالتفاهة ٠٠

ولكن أليس هـذا التركيب واقعا ومشاهدا دائما ؟

اي اليس الانسان العربي مركبا دائما على كل الناس بل على كل العباقرة ، وكل الناس ، بل كل العباقرة مركبين على الانسان العربي بل على اتفه انسان عربي ؟

اليس هذا يحدث دائما ولكن باسلوب اخر ؟ أليست الافواه غير العربية تتحدث دائما الى الاذان العربية ؟ وأيضا أليست الافواه العربية تتحدث الى الاذان التي هي ليست عربية ؟ أليست الاذان غير العربية تستمع الى الافواه العربية ، والاذان العربية أليست تستمع الى الافواه غير العربية ؟ أليست الافواه العربية تتحدث بكل كبرياء الالوهية والنبوة الى كل الاذان الحضارية ؟ أليست تتقاسي من التواضع حينما تتحدث اليها ؟

أليس هذا يحدث دائما او يبدو وكأنه يحدث دائما ؟

هل وجدت اية حماية دولية أو محلية لتحمى من هذا التداخل أو التركيب العدواني الاليم ؟

أليس هذا اسلوبا من اساليب التركيب اي تركيب الاذان والافواه العربية على آذان وافواه غير عربية ، وتركيب الافواه والاذان غير العربية على الاذان والافواه العربية ؟ أليس هذا مثل هذا او قريبا منه او مذكرا به او حاملا لمعانيه وتفاسيره ؟ أليست الاذان غير العربية لا تخشع او تتنصت مثلما تفعل حينما تخاطبها الافواه العربية ، كذلك الافواه غير العربية لا تذل مثلما تذل حينما تتخاطب بكل التضرع مع الاذان العربية ؟

ولكن هل يحتمل ان يكون في هذا شيء من الجد او الصدق ؟

هل يحتمل ان هذه الافواه غير العربية الموجهة الى الاذان العربية تعني حقا المخاطبة لها والتعامل معها حوارا وفهما ، او ان هذه الاذان غير العربية حينما تتسمع باسلوب اللهفة والايمان والتعلم والتوقع الجيد لاشياء جيدة ، حينما تفعل ذلك باسلوب الراكع المريد المبايع المتلقى للنبوة والوحي ٠

ـ نعم ، هل يحتمل ان هذه الاذان غير العربية حينما تفعل ذلك مستقبلة للافواه العربية متلقية عنها ، تقصد حقا ما يبدو وكأنه تقصده ؟ هل البراءة الى حد الغباء معنى من معاني التفوق ؟ هل التفوق لا ينافي ان يكون المتفوق مصدقا ومحبا ومتواضعا ومجاملا الى حد الافتضاح العقلي ؟

او هل يحتمل ان الاذان العربية حينما تبدو وكأنها تستقبل الافواه غير العربية وتستمع اليها باسلوب المحاور الباحث عن الفهم وعن المحاكمة لما عنده والاختبار لما عند الاخرين ـ نعم ، هل يحتمل ان الاذان العربية حينما تفعل ذلك تعني ما تفعله وتنوي ما يبدو انها تنويه ؟

وهل تستطيع ان تفعل ذلك وتعرف ان تفعله مهما نوت ان تفعله او ظنت انها تفعلـه ؟

وايضا ، الافواه العربية حينما تتوجه الى الاذان غير العربية هل يحتمل انهـا تعني ان تخاطبها وتكلمها وتهبها او تعلمها شيئا او ان تفاوضها وتحاورها على شيء او في شيء ام تعني فقط اي الافواه العربية ان تتحول الى اصوات ؟

أليس التحـــول الى اصوات هو عبقريـــة افـــواه كثيرة ، عبقريـــة نبوات كبيرة شهيرة ؟

أليست الافواه العربية هي دائما اصواتا فقط حتى حينما تتوجه الى اذان المتكلمين الذين يصوغون الكون ويحكمونه بكلامهم اي يصوغونه ويحكمونه لانهم متكلمون اي لانهم خالقون لان الخلق طور من اطوار الكلام ٠ لان الكائن الذي يبلغ طور المتكلم لا بد أن يبلغ طور الخالق ٠ ان كل متكلم لا بد ان يكون خالقا ، وان كل خالق لا بد ان يكون متكلما ٠٠ ان المتكلم الذي لا يكون خالقا ليس الا مصوتا فقط حسب

متكلما ٠ ان الكلام ليس هو الذي يخلق ولكن طور الكلام هو الطور الذي لا بد ان يكون خالقا ٠ والمصوتون لا يخلقون ليس لانهم يصوتون ولكن لان طور الكائن المصوت ليس طور الكائن الخالق ٠ ان الكلام والصوت علامتان مختلفتان على كائنين متفاوتين جدا في مستوياتهما التكوينية والحضارية ٠٠

اذن لماذا تتعامل الاذان والافواه العربية مع الافواه والاذان غير العربية بهذه الاساليب التي تجعلها تبدو وكأنه لا مثيل لها في صدقها وجدها واخلاصها وبراءتها وقيمة تعاملها ؟ لماذا تصر على ان تكون وقحة وبذيئة ومصابة بالسماجة والسخف مع انــه يبدو انه لا ثمن لذلك ولا مجد فيه لا مقبوض ولا منتظر ؟٠٠

هل ممارسة الوقاحة والكذب والسخف والسماجة والتزوير معنى او شرط او موهبة او صلاة او نشيد من معاني التخلف والعجز ومن شروطهما ومواهبهمـــا وصلواتهما واناشيدهما ؟ هل التخلف والعجز ليسا فقط تخلفا وعجزا ولكنهما علامتان على كون هائل من النقائص والاثام والقبائح والدمامات النفسية والاخلاقية ٠٠

هل مستحيل ان يكون العاجز او المتخلف مهذبا او صادقا او كريما او شهما او بريئا او صديقا او محبا او محترما لنفسه او لمواقفه او لاخلاقه او لاي تعبير مـن تعبيراته ؟ هل النذالة في المتخلفين كينونة ذاتية مثل كينونة الاعضاء ؟ هل هي التزام طبيعي ؟

هل يوجد قبح او تحقير او هزل او ضياع او عبث مثل ان يتعامل الصادق البريء المهذب الكريم الجاد مع الكاذب الملوث المتوقح اللئيم الهازل ، أو أن يتعامل المتفوق المتحضر مع المتخلف الذي لا يستطيع ولا يريد ان يكون متحضرا ، او مثل ان يكون الكائن المتكلم محكوما عليه بأن يتخاطب ويتحاور مع الكائن المصوت ، بأن يتوجه اليه بكل منطقه وافكاره وقضاياه ، وبكل عبقريته وجده وصدقه ، وبكل همومه ومشاكله ومطامحه الحضارية والانسانية ، بكل التهذيب والتواضع والتعبـد مثلما يتوجه الى مثيله او نده ، بل مثلما يتوجه عبد الى الهه او تابع مؤمن الى نبيه؟ اذن هل يوجد هوان او قبح مثل ان يتحاور الزعماء والمفكرون المتحضرون مع الزعماء والمفكرين العرب بنيات واسلوب الجد والحسم ؟

او هل توجد وقاحــة او بذاءة او سماجة او عدوان او اثارة للغثيان والاشمئزاز مثل ان يستطيع ويجرؤ الكائن المصوت ان يتوجه بأصواته الى الكائن المتكلم كأنه يكلمه ويعلمه ويجادله ويفاوضه ، بل كأنه اله او نبي صحراوي ولد وعاش وتخلق وتعلم في الصحراء ، يتوجه الى عبيده او اتباعه البدو الصحراويين ، يتوجه اليهم باوامره ونواهيه وزواجره وبتعاليمه وشرائعه وبكتابه المنزل المقدس وبتفاسيره النهائية لكل الاحداث والاشياء ولكل المشاكل والقضايا ؟

هل تطيق ان ترى او تعلم ؟ الكائن المصوت يتوجه الى الكائن المتكلم ليعلمه ويكلمه ٠ هل تطيق أن ترى او تعلم ؟

اذن هل توجد بشاعات ، اكوان وحشود من البشاعات مثل ان يوجد متكلمون خالقون بكل هـذا التهذيب والتواضع والصدق والبراءة والحب يواجهون ويعاملون ويجاملون ويهبون ويخاطبون كائنات مصوتة بكل هذه الوقاحة والبذاءة والعدوانية والسماجة والتلوث والخداع والكذب والضعف والعجز ، كائنات تسمى بشرا وتظن بشرا وتزعم لنفسها انها ارقى من كل البشر ـ كائنات تزعم ان الالهة والانبياء لـم يخلقوا أو يتعلموا الكلام أو يهبطوا الى الارض ويعيشوا في حضيض الارض وأوحال الارض الا لكي يتكلموا معها ، بل الا لكي يصنعوا اي الالهة والانبياء لانفسهم مجدا وتاريخا بالتكلم معها اي مع هذه الكائنات المصوتة ؟ نعم ، ألست زنديقا ونـذلا حقودا حسودا بليدا لو لم تعتقد ان الالهة والانبياء لم يتعلموا الكلام الا لكي يصنعوا لانفسهم كل المجد وكل التاريخ بالتكلم مع الانسان العربي وبالتكلم باللغة العربية ؟ نعم ، هل لاي شيء اي مجد الا ان يتحاور مع الانسان العربي ؟ .

يوم يحاكم العرب البشر أمام الآله

اي قومنا ، ابناء العروبة ٠٠ يا مجد الالهة والنبوات ٠٠ يا ضمير الانسانية والاديان ٠٠ يا عبقرية التاريخ ٠٠ يا منطق وموكب الحضارات ٠٠ يا عيون الشموس والنجوم التي ترى بها مجد الانسان ٠٠ يا انهارا تتفجر من السماء لتغتسل بها انهار الارض متطهرة من أدرانها وذنوبها مروية بها ظمأها ٠٠ يا مرايا ترى الطبيعة بها وجوهها لتحميها وتعالجها من العاهات والدمامات وتصوغ لها جمالها ، وتضع لجمالها نماذجه ومقاساته ٠ يا كل الموازين والمقاييس والنماذج للجمال والعدل والحق والذكاء والاخلاق والعبقريات ٠

ايها الموازين والمقاييس والقوانين التي تزن وتقيس وتضبط بها وحدات الكون احجامها واوزانها وحدودها وقوانينها وحركاتها ومساراتها لئلا تتصادم او تتناقض او تتنافر او تتقاتل او تتعادى او تتيه وتضل ٠٠

يا نشاطا ودأبا يهبان كل شيء نشاطه ودأبه واستمراره ٠٠

يا ايمانا متفجرا متوقدا متوهجا يشفى ويحمى كل شيء من الخمول والاسترخاء ومن التجمد والظلمة والبلادة ٠

يا بسالة وانتصارات تتداوى بها كل الشعوب في كل التاريخ من كل هوانها وجبنها وهزائمها ٠ يا تاريخا يتداوى بـه كل التاريخ من كل هوانه وآثامه وهزائمه ٠

يا قيمة اخلاقية ودينية وانسانية تتعالج بها كل القيم من ضعفها وانحرافها واخطائها ، وتتعلم منها كل مستوياتها ونماذجها العظيمة الشامخة ٠٠

يا ضميرا كونيا تتعلم منه وتفسر به الالهة كل شرائعها وأخلاقها ونياتها وتقواها ٠٠

يا نبوة تسجد لمعجزاتها كل النبوات والعبقريات ٠٠

يا كتابا مقدسا منزلا تتعلم منه الالهة كيف تؤلف الكتب المنزلة المقدسة ٠٠

يا دموعا وآهات مؤمنة تقية تداوى الالهة من غضبها واحزانها وهزائمها وضياعها ووحدتها ٠٠

يا كل هذه ، يا قومي ، يا ابناء العروبة ، يا اباء كل مجد وعبقرية ٠٠ اعتذر اليكم يا قومي ، يا مجدي ٠ اعتذر اليكم لاني قد فسرتكم بأنكم كائنات مصوتة لا متكلمة ٠ لا تراعوا من تفسيري هذا ٠ لا تراعوا ٠ يا قومي ، يا مجدي ٠٠ أليست

القضية هنا هي ان انسانا عربيا قد حكم على قومه العرب بانهم مصوتـون فقط وانهم لم يبلغوا الطور الذي يجعلهم يريدون ان يتكلموا ويستطيعون ذلك ؟ اجل هذي هي القضية • انها قضية لا يمكن ان تصنع خوفا او خطرا ••

ذلك ان العرب ان كانوا كائنات متكلمة فتفسيرهم بغير ذلك لا يغير ولا يعني شيئا ، ولن يخيف ايضا لانهم حينئذ لن يهبطوا او يتأخروا عن طورهـم ومستواهم ليكونوا مصدقين او مجاملين او مرضين للتفسير الخاطىء الذي فسروا به ، او لانهم لا يجرؤون على ان يجعلوا من فسروهم التفاسير المخطئة يدركون انهم مخطئـون وظالمون ، لان جعلهم هؤلاء المخطئين يدركون انهم مخطئـون يعـذب ضمائرهـم ويعاتب او يعاقب تقواهم • نعم • ان العربي لتقي وشهم ولو أحيانا الى ألا يجرؤ على ان يكون قويا او ذكيا او شجاعا في مواجهته لعدوه لئلا يخيفه او يهزمه او يحرجه او يصده عن العدوان عليه •

انه لم يحدث ولن يحدث ان تفسير اي شيء تفسيرا اقل او اردأ من معانيـه قد اخـذ لو انتقص من معانيه اي قدر او اي شيء • ان كل شيء يكون كما يستطيع وكما يلائمه ويريحه ان يكون ، لا كما يفسر او كما يقال عنه وفيه وله ، وكما يطلب ويراد منه ••

بل انه لإحتمال جيد ان تفسير الكائن المفكر الشاعر الغاضب الخائف الرافض اي الكائن الذي هو في مستوى من يعيش ذلك ويقاسيه ولو احيانا •

ـ نعم ، ان تفسير الكائن الذي هذا طوره بتفاسير هي اقل او اردأ من معانيـه قد يطلق قواه ويحرضها على ان تكون قوية ورائعة ومكذبة للتفاسير المخطئة او الظالمة الكاذبة التي فسر بها •• ان من فسرك تفسيرا ظالما فلن يستطيع ان يسرق او يرهب أو يعتقل قدرتك أو ذكائك ، انه ان لم ينفعك فلن يقتلك أو يضرك ••

ان التحدي ، تحدي التحقير والتصغير والاستهانة والاهانة والخوف والعدوان والهزيمة والضعف والعجز ـ ان تحدي كل ذلك هو احدى مواهب الانسان العظيمة الباعثة المبدعة •• ان تحدي التفاسير المصغرة المهينة المحقرة الكاذبة الظالمة المخطئة ـ ان تحدي هذه التفاسير بالتفوق عليها والتخطي لها لهو من اقوى المحركـات المحرضات لطاقات الانسان • لقد كان العرب دائما يفسرون انفسهم ويفسرهم الاخرون تفاسير تبالغ في تدليلهم • فماذا صنعت لهم هذه التفاسير المدللة ؟ ليتهم يجربون التفاسير الاخرى •

لعل جميع ابداعات الانسان وتخطياته لم تكن الا حاصـل تحدياته للطبيعة وللاخرين وللنفس والذات ولصراعاتها وللتفاسير والتعاليم التي قيلت له وقيلت عنه وفيه • ان اعداءنا والقساة علينا بمواقفهم منا وبتفسيرهم لنا تفاسير صغيرة ومهينة وظالمة كاذبة قد يهبوننا ويصنعوننا • وانهم حتما لن ياكلوا قوتنا •

انه ليس الانسان هو وحده الذي يملك موهبة التحدي ويتحرك بها ٠ ان غيره ايضا ، الحيوان والنبات وكل كائن حي بل وغير حي يتحدى مواجهاته واعداءه وقيوده وآلامه ويخرج عليها ويتجاوزها ، اي انه يحاول ذلك ٠ ولكن الاساليب والتعبيرات والقدرات مختلفة ومتفاوتة اي بين الانسان وبين ما سواه اي في امتلاك موهبة التحدي وفي ممارستها وارادتها ووعيها وتعمدها وصياغتها واخراجها ٠

لهذا فان الذين يفسروننا تفاسير مغضبة وجارحة قد ينفعوننا اكثر من الذين يفسروننا تفاسير محابية مرضية لغرورنا ولعشقنا لانفسنا ٠٠

أما ان كان العرب كائنات مصوتة فقط كما فسروا واتهموا وليسوا بشرا يتكلمون فلا شيء ايضا هنا يخيف او يعني شيئا ٠ لا شيء يؤذي او يهين او يصنع شيئا في هذا التفسير او الاتهام ٠٠

ذلك ان المتهم المفسر هو انسان عربي ٠ وقد افترض ان العرب مصوتون فقط ٠ اذن هـذا التفسير او الاتهام للعرب هو تصويت فقط وليس كلاما لان المفسر المتهـم هو مصوت وليس متكلما لانه واحد من العرب المصوتين لا المتكلمين ٠

اذن فانها لم تقل كلمة واحدة في اتهام العرب او في تفسيرهم ، وانما صوت مصوت منهم عليهم كما يصوتون هم على انفسهم وعلى الاخرين وعلى كل شيء دون ان يكون في تصويتهم اي تفسير او اي اتهام لاي شيء او لاي احد ٠ ان المصوت اذا قال ان العرب ليسوا الا أصواتا لا يعني الا ما يعنيه لو أنه قال ان العرب ليسوا الا عبقرية وليست العبقرية الا عربا ٠

اذا صهل او رغا او عوى او طن عليك حصان او جمل او ذئب او ذباب فهل يمكن ان يكون مفسرا او متهما لك ؟ هل يمكن ان يكون مادحا او ذاما الا بقدر ما يكون العربي مادحا اذا قال مديحا وذاما اذا قال ذما ؟ هل العربي يقول مهما قال ام يصوت فقط ؟

وايضا اذا كان العرب مصوتين فان اي كلام يفسرهم تفسيرا رديئا ومهينا لن يفهموا منه شيئا رديئا او مهينا بـل لن يفهموا منه اي شيء ، مهما اتهمهم وتوجه اليهم ، لانهم اي العرب لا يعتقدون انه يوجد تصويت وكلام وانه يوجد اي فرق بين التصويت والكلام ٠ ان اي كلام في اقتناعهم ليس الا أصواتا مثل اصواتهم ليست لـه اية دلالة او تفاسير ٠ وان جميع المتكلمين في حسابهم ليسوا الا مصوتين مثلهم ٠٠ انهم لن يفهموا الاخرين او يفسروهم افضل مما يفهمون ويفسرون انفسهم٠ انهم لن يفهموا انفسهم مصوتين ثم يفهمون الاخرين اعظم من مصوتين ٠٠

اذن فان العرب لن يفهموا ان احدا قد فسرهم او اتهمهم مهما فسروا واتهموا ٠ انهم لن يفهموا الا انه قد صوت عليهم دون ان يعني التصويت عليهم اية فكرة او كلام او تفسير او اي شيء ٠ انه استفراغ فقط ٠ انهم هكذا يفهمون انفسهم ويفهمون اصواتهم المسماة كلاما ، وانهم هكذا لا بد ان يفهموا كل الاخرين ٠ ان من فسرهم

اضخم واكبر التفاسير هو في حسابهم مثل من فسرهم اردأ واصغر التفاسير ، كما ان من امتدح الحاكم اقوى امتداح هو في رأيهم مثل من هجاه اقسى هجاء ، اي كلاهما المادح والهاجي لا يعني شيئا لا مدحا ولا هجاء . انهما ليسا الا مصوتين اي مستفرغين لاوحالهما وضآلتهما النفسية والاخلاقية واللغوية . وهم اذا رضوا عن المادح وجزوه وغضبوا من الذام او الهاجي وكرهوه او عاقبوه فليس لانهم يعتقدون ان المادح او الذام يعني شيئا او ان بين الامتداح والهجاء اية فروق او اية نيات او تفاسير مختلفة . انهم لا يعتقدون ان المادح اكثر صداقة لهم او اعرف بمزاياهم من الذام . ان قول الامتداح عند العرب معزول عن الواقع وعن نيات المادح وعن تصديق السامعين بل وعن تصديق الممدوح ..

ان اي سلطان او خليفة او نبي عربي يجزى مادحا له اسخى الجزاء لا يعتقد ان هـذا المادح لـه يرى او يجد فيه او يريد له او يفهمه او ينوي ان يقول او يثبت او يعلن من امجاده ومزاياه اكثر او افضل مما يريد ان يفعل اقسى هاج له . انه لا يعتقد ان عيون المادح أقوى رؤية وانها لهذا رأت وأحبت فيه ما لم تر وتحب عيون الذام الهاجي فيه .

اذن لماذا او كيف يجزيه ، بل كيف لا يعاقبه اقسى عقاب ، اقسى مما يعاقب هاجيه ؟ أليس هذا المادح بهذا الاسلوب وبهذه النية والتفسير هو اعنف واوقح هجاء من الهاجي تصريحا ونطقا ؟

أليس الذي يقول لاقبح الناس وجها : انت اجمل الناس وجها هو اكثر هجاء وبذاءة ووقاحة وعدوانا وايذاء من الذي يقول لصاحب الوجه الدميم ما يراه ، وكذلك من الذي يسكت عما يرى فلا يقول شيئا ؟

أليس المادح لك بنقيض ما فيك ، بنقيض ما تراه كل العيون فيك هو اوقح واقسى هاج لك ؟

ان السلطان او الخليفة او النبي او الحاكم العربي اي حاكم عربي يجزى مثل هذا المادح ويرضى عنه ويستنشده ويستمع اليه باسلوب جماهيري استعراضي فضاح لان العربي لا يمكن ان يفهم او يفسر بالمنطق الذي يفهم ويفسر به الناس والاشياء ، كما لا يمكن ان يفكر او يفهم او يفعل او يتحرك بمثل هذا المنطق .

ان الانسان العربي خروج على كل التفاسير والقوانين والمقاييس البشرية . انه خروج تاريخي .. خروج ليس فيه شيء من التمرد او التجاوز ، خروج عجز وتخلف عن المستوى والنموذج والقانون ، لا اختراق له . ان الانسان العربي في كل نماذجه ومستوياته تعجيز لكل التفاسير التي لا بد أن يفسر بها كلها او ببعضها كل انسان وكل كائن .

بل ان في تفسير الانسان العربي بانه كائن مصوت لا متكلم شيئا جيدا ونبيلا ورحيما بل وذكيا · ان تفسيره هـذا التفسير اسلوب قوي وشهم وخير من اساليب الدفاع عنه ·

نعم ، ان القول بان الانسان العربي مصوت لا متكلم دفاع جيد جدا عنه ·· كيف كان ذلك ؟

نعم ، لقد سبق ان المصوت هو كائن يستفرغ نفسه ولا يقول شيئا ، لا يقول رأيا ولا ينطق حكما ولا يحدد تفسيرا او تفكيرا · انه لا يلتزم بشيء لا عقلي ولا اخلاقي· لا يرى ولا يفكر ولا يقول · ليس الا باصقا شحناته الذاتية القبيحة الكريهة بصوت عال بلا تدبير او قصد او فهم او رؤية لشيء او لاحد ، مثل من يحزن او يحقد او يكره او يبكي او يشتم او يصلي او يهتف بالالهة وبالسماء طالبا مناشدا ، ومثل من يصفع ذقنه او ينتف او يشد شعره او يقضم اظافره · ان كل من يفعل ذلك لا يعني الا ان يبصق انفعالاته او ان يعبر عنها او ان تحركه بلا تدبير او غرض محدد او معروف او مقصود كما يصنع المصوت بلا فرق · انظر · هل الذي يقضم اظافره يكلمها او يعلمها ام يبصق مشاعره ؟ ان مثله من يصوت ··

حتى الصلاة ومناشدة الاله انها ليست الا تصويتا اي ليست الا بصقا للانفعالات وللشحنات النفسية والذاتية · انها اي الصلاة والمناشدة للاله ليست تكليما للالـه ولا حوارا او تفاهما وتخاطبا معه ، بل ليست اسماعا لـه ولا تأميلا فيه بل ولا ملقا او خداعا او تدليلا لكبريائه او لضميره وعقله او لانانيته وطموحه العنيف الاليم · انهما اي الصلاة والمناشدة للاله ليستا الا استفراغا للذات مثل البكاء والانين والحقد وشتم الاعداء والطعن فيهم من بعيد · نعم ، ان المصلي المنادي للاله بكل التضرع والصدق لا يساوي في جميع التفاسير الدينية والنفسية والاخلاقية اكثر من الباكي او الشاتم او الباصق ·

اما الكلام فانه تفكير وخلق ومقاومة وعطاء ومجادلة ومفاوضة وتقبل ورفض · انه التزام شامل بكل معاني وتفاسير وطاقات الالتزام ، وبكل ما يعني الالتزام مـن تخطيط وتدبير وتعهد وصدق ومخاطرة وحذر ومعاناة ومن هدم وبناء · انـه قراءة وتفسير شاملان للطبيعة وللاحداث وللناس· انه يعني كل الكينونة السابقة والحاضرة والمقبلة ·· ان الكلام هو كل الكينونات الحضارية والانسانية والاخلاقية والفكرية بل والكونية قد جاءت بصيغة اخرى ··

انه اذن لرفق كريم بالانسان العربي الا يفسر متكلما بهذه التفاسير للمتكلم وللكلام · ان تفسيره بأنه كائن متكلم فضح لـه لا رحمة ولا مجاملة فيه · ان تفسير الانسان العربي بانه متكلم لاقسى في قسوته من تفسير من يضع اصبعه في انفه بانه يعلم جمال التفكير والشعر والفنون ·

انه لو كان الانسان العربي متكلما لما وجد حضيض يكفي لكي تهبط اليه مستوياته العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية . انه لن يوجد حينئذ من يستطيع ان يقرأه اي يقرأ الانسان العربي او من يستطيع ان يفسره او يحدق فيه اشفاقا واشمئزازا ..

لو كان الانسان العربي متكلما اي لو كان يحكم او يفكر او يرى او يلتزم او يحدد او يفسر او يعني اي شيء حين يستعمل فمه ويمارس الالفاظ اللغوية لما كان ممكنا حينئذ ان تفهم مستوياته البشرية ؟ كيف يمكن ان يكون مستواه العقلي او النفسي او الاخلاقي او الانساني حينئذ ؟ اي حضيض حينئذ يستطيع ان يكون مستقرا لهبوطه ولاحتياجه الى الهبوط ؟

كيف يمكن حينئذ ان يفسر حين يقول اي لو كان يقول ، وليس يستفرغ ذاته فقط استفراغا لا يعني به شيئا غير نفس الاستفراغ ؟

– اجل ، كيف يمكن حينئذ ان يفسر حين يقول او حين يصوت وكانه يقول :

لنا الدنيا ومن امسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا
طغاة ظالمون وما ظلمنا ونظلم حين نظلم بادئينا
ملأنا البر حتى ضاق عنا وماء البحر نملؤه سفينا
اذا بلغ الفطام لنا رضيع تخر له الجبابر ساجدينا

**
*

وانا اناس لا توسط بيننا لنا الصدر دون العالمين او القبر

**
*

ترى الناس ان سرنا يسيرون خلفنا وان نحن اومانا اليهم توقفوا

**
*

واني لمن قوم كأن نفوسهم بها انف ان تسكن اللحم والعظما

**
*

ونحن وهبنا الناس كل مزية وهبناهمو كل الحضارات والربا

**
*

اذا ما غضبنا غضبة مضرية هتكنا عفاف الشمس بل سقطت ذعرا

وحين يقول : « كنتم خير امة اخرجت للناس » . في اي عصر كنا خير امة اخرجت للناس ؟ في عصر البداوة والجاهلية حينما كنا نمجد انفسنا ونفخر على العالم بكوننا اميين ونمجد الاله لانه خصنا بذلك ؟ ام في عصر ملوك بني امية ؟ ام في عصر ملوك بني العباس ام في عصر الايوبيين او الفاطميين او المماليك او المغول والتتر او الصليبيين او الغزوة الاوربية الشاملة ، ام في عصر المواجهة الكئيبة الرهيبة بين اسرائيل وبين عشرين دولة عربية ، ام في عصر الثورات العربية المتساقطة علينا حينما اصبح للعروبة كل شهر واحيانا كل لسبوع ثورة ، وقد يصبح لها كل يوم ثورة ، ام في عصر النفط .. النفط العربي ؟ نعم ، ام في عصر النفط العربي ، هذا الاله النذل الشرير المتآمر الذي جاء الى العرب هذا المجيء الضخم الجهير المثير العالمي لكي يعلن اعلانا عالميا كونيا عن مواهبهم ، لكي يرفع كل اقنعة وحجب وسدود وروايات وجثث ومحاريب ومنابر وقبور التاريخ عن مزاياهم الاخلاقية والعقلية والانسانية والحضارية .. لكي يفرغ قبور آبائهم من كل امجادهم المدفونة معهم .. لكي يقرأهم على كل العالم قراءة دولية بكل لغات العالم ؟ نعم ، لقد قرأ النفط العربي، العرب قراءة عالمية وترجمهم الى كل لغات العالم وفسرهم الى كل مذاهب كل العالم وفي محاريب كل العالم ..

نعم ، في اي هذه العصور والعهود كنا خير أمة اخرجت للناس ؟ وفي اي مواهبنا وصفاتنا وتفاسيرنا نحن خير امة اخرجت للناس ؟ في ذكائنا ام في اخلاقنا ام في جمالنا واجسادنا ام في قوتنا ام في حضارتنا ومعارفنا وابتكاراتنا .. في زعمائنا وحكامنا وقادتنا وعسكريينا ام في علمائنا وشعرائنا وفنانينا ومفكرينا ، ام في جماهيرنا .. في تهذيبنا وحبنا وصداقاتنا وعبقرية علاقاتنا بالاصدقاء والاعداء .. ام في مزايا آلهتنا وانبيائنا وادياننا ، ام في تفوق الشموس والاقمار التي تعيش فوقنا على كل الشموس والنجوم التي تعيش فوق الاخرين .. ؟

في اي هذه نحن خير الامم ؟ كيف جرؤنا على ان ننزل على انفسنا وفي انفسنا مثل هـذا التمجيد ؟ هل حدقنا في انفسنا قبل ان ننزل هذا النص في تفضيلها على كل العالم والكون ؟ كيف نجرؤ على قراءة او كتابة هذا النص ، او على الاستمرار في قراءته وكتابته ؟ هل فكرنا في تفاسيره ؟ ألم نخف ان يسمعنا او يرانا العالم ونحن نكتبه ونقرؤه ؟ ألا نخشى ان يرانا او يعرفنا ويفهمنا ويفسرنا اي العالم بعد ان يسمعنا ويرانا نقرأ ونكتب ونتلو هـذا النص في تمجيدنا لانفسنا ، بعد ان يعلم اننا نتلو هـذا النص في صلواتنا واننا نؤمن به بل واننا نعلن ايماننا به على كل العالمين بزهو اعنف من زهو من صعدوا فوق القمر حين يعلنون خطوهم فوق جبينه ، فوق اعضائه المحجبة المحرمة المحروسة باقوى الالهة واشرسها ؟ كيف نسمح لمطابعنا بأن تطبع هـذا الكتاب الذي فيه هذه الاية ؟ كيف لا نخاف ان يقرأه احفادنا القادمون او يقرأه العالم الاخر ؟

اذن حينما انزلنا هذه الاية في تمجيدنا وتفسيرنا ورؤيتنا لانفسنا وحينما ذهبنا باستمرار وديمومة وايمان نقرؤها ونكتبها ونعلنها ٠

ـ نعم ، حينما فعلنا ذلك هل الافضل والاستر والاذكى لنا ان نكون متكلمين يعنون ما يقولون ام ان نكون مصوتين فقط اي باصقين لانفسنا ولاصواتنا ولوقاحاتنا وبذاءاتنا وبلاداتنا وقبحنا بلا اي قصد او معنى أو التزام بشيء مما يعنيه ويلتزم به من يتكلمون ؟

اجل ، أليس الاذكى والافضل والاستر لنا ان نكون مستفرغين لانفسنا لامتكلمين؟ أليس الذي يفسرنا مصوتين فقط اي مستفرغين حينما نزعم متكلمين يدافع عنا ويحمينا ويرفق بنا دون الذي يفسرنا متكلمين ؟ اذن فلنعلنهم اعداء ومحقرين لنا كل من يزعموننا متكلمين وكل من يحاسبوننا كما يحاسب المتكلمون ٠٠

اننا نقول في انفسنا وعن انفسنا : « وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ٠ شيء رائع جدا بقدر ما هو فاجع وفاضح جدا ٠ اننا لم نزل نتلو هذا على انفسنا في جميع محاريبنا ٠ وقد نظل طويلا نفعل ذلك ٠٠ جرأة لا مثيل لها على الافتضاح ٠ بل موهبة في البلادة والسماجة والوقاحة لا تطاول ٠٠

اذا افترضنا مصوتين فقط فلا عيب في هذا القول والادعاء ٠ انه لا يعني شيئا ولا يفسر بشيء ولا يعرض قائله او مدعيه اي عرض ٠ انه تصويت فقط اي استفراغ وبصق فقط بلا دلالة على شيء او قصد لشيء ٠٠ ولكن لا بد من الاسلوب المؤدب في البصق والاستفراغ ٠ فهل تأدبنا هذا التأدب ؟

اذن لقد نجا قائله من أن يفسر او يفهم او يؤاخذ او يقاس بما زعم او ادعى ٠ لقد نجا من اقسى اتهام ، من ان يتهم بانه متكلم يعني شيئا بما يزعم ويدعي وليس مصوتا فقط ، اي ليس مستفرغا فقط ٠٠

ان في افتراضنا مصوتين لا متكلمين لمجاملة كريمة لعارنا وافتضاحنا ٠ ان في هذا الافتراض لعزاء لنا ٠

انه لا نجاة لقائل هذا من اقسى اتهام الا بأن يكون مستفرغا لا متكلما ٠٠ أليس محتوما او مفروضا ان يحاسب المتكلم ؟ ولكن هل يمكن محاسبة المستفرغ ؟ ان المستفرغ لا يحاسب مهما كان مستقذرا ٠ المستفرغ قد يحاسب على اسلوب استفراغه ٠ ولكن هل يحاسب على تفاسير او معاني استفراغه ؟

أليس المستقذر لانه مارس شيئا اضطراريا كالاستفراغ اقل قبحا او ذنبا او افتضاحا او عارا او هوانا او استحقاقا للاحتقار من الهابط في جميع مستوياته العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية والحضارية والتعبيرية تحت جميع مهابط الحضيض ٠ اذن أليس افضل لك او اقل هجاء ولو احيانا ان تكون مستقذرا

من ان تكون مفتضحا او محتقرا او فاقدا لكل مستويات العقل والاتزان والاحترام للنفس ؟ أليس الافضل لك ان تكون مستفرغا وباصقا لا متكلما اذا كان هذا قولك ؟

لنفترض انفسنا متكلمين هنا لحظات ٠ اذن لنحاسب انفسنا في هذه اللحظات التي نحن فيها متكلمون اي افتراضا ٠٠ لنحاسبها على هذه الدعوى التي لا يتسع لها كل ما في الكون والاشياء من وقاحة وبذاءة وسماجة ومن غرور وغباء ٠٠

لنحاسبها على قولها لنا او على قولنا لها ، على هـذا الاعلام او الاعلان الكوني : «وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا»٠ أصحيح ان هـذا قول قد قاله احد ، قد قلناه نحن ؟ أصحيح اننا قد قلنا هـذا بألسنة آلهتنا وانبيائنا ؟ أيمكن اذن ان يكون هناك آلهة وأنبياء مثل آلهتنا وانبيائنا ؟

من هم نحن الذين سيكونون شهداء ؟ هل هم مشيخات الخليج الثائر ، أقبل النفط ام وقت النفط ام بعد النفط ؟ وهل هم كذلك من اجل النفط وتمجيدا للنفط ام مع الاغضاء عن فضائح النفط ومع تناسيه وغفران ذنوبه وتشويهاته واساءاته ؟ هل اعطى مشايخ الخليج هـذا المجد من اجل نفطهم ام من اجل عبقرياتهم الحضارية والانسانية والدينية ؟

أم هؤلاء الذين سيكونون شهدائهم المجتمعات الثورية المواجهة لاسرائيل أي الفاضحة المذلة القاهرة لاسرائيل بانطراحها الذليل الباكي الدائم ، اي بانطراح هذه المجتمعات الثورية العربية امام كل الابواب الدولية وغير الدولية ، المرجوة والميؤوس منها ، امام كل الابواب المرجوة والراجية ، المبكى امامها والباكية امام الابواب الاخرى٠

ـ بانطراحها الذليل المهين الدائم المتحول الى صلاة وتعبد، بل المتحول الى وطنية ومذهبية وعبقرية كونية والى حضارة ونضال وبسالة تدق وتنشد لمجدها الأجراس والاناشيد ، وتقام لتحيتها وللاعلان عنها المهرجانات والمؤتمرات ، وتنزل لتكريمهـا وللتحدث عنها خاتمة النبوات ٠

ـ بانطراحها امام كل الابواب تدق وتشكو وترجو وتلقي بكل ملابسها عـن عارها وهوانها وتشوهاتها ، وتزرع الشماتة والمسرات في قلوب جميع الاعداء وتضـع الدموع والاحزان في قلوب وعيون جميع الاصدقاء ، وتضع التعجب والحيرة في عقول وتساؤلات جميع الناس ؟؟

هل الذين سيكونون شهداء منا هم الذين جاءوا وذهبوا ام هم الذين جاءوا ولم يذهبوا ام هم الذين لا بد أن يجيئوا بالاسلوب الذي به جئنا ليكونوا مثلما كنا كما كنا مثلما كان آباؤنا ، ام هم كل هؤلاء ؟

هل الذين سيكونون منا شهداء هم حكامنا وزعماؤنا ام هم علماؤنا ومفكرونا وادباؤنا وشعراؤنا وفنانونا ومبتكرونا ، ام هم مشايخنا ومعلمونا ووعاظنا واتقياؤنا وجماهيرنا الذكية العبقرية التقية المؤمنة ، ام هم كل هؤلاء ؟ او لعل هؤلاء الذين سيكونون منا شهداء هم قادتنا العسكريين وجنودنا المحاربين اي دعد مواجهاتهم

الطويلة لاسرائيل ! نعم ، لعل الالهة لن تجد مجدا يعوضها عن فقدها لكل مجد ويهبها أضخم وأشهر مجد سوى مجدنا الذي صنعته لنا مواجهاتنا لاسرائيل ٠٠

ولعل آلهتنا وأنبياءنا وملهمينا شاهدوا من فوق اسوار الازل مواجهة قادتنا العسكريين وجنودنا المحاربين لاسرائيل فاستخف وقارهم الاعجاب بجيوشنا فحولوا اعجابهم هـذا الى وحي منزل يتلى ويصلى به الى نهاية الابد ! لعل آلهتنا وانبياءنا لم يجدوا سرورهم وعزاءهم في شيء مثلما وجدوهما في مواجهة جيوشنا لاسرائيل ٠٠

ولكن أية محكمة أو هيئة قضائية سوف نتقدم اليها شهداء ؟ وكيف قبلتنا او اختارتنا هذه المحكمة او الهيئة القضائية لنكون هؤلاء الشهداء او الشهود ؟ وهل محتوم ان تقبلنا ؟ هل عرفنا ذلك ؟ ولماذا اختارتنا لذلك او لماذا وقع الاختيار علينا ؟ هل هو تكريم لنا ام تحقير وتعذيب وفضح ؟

واين مكان هذه المحكمة ؟ اهي في عالمنا هذا ام في عوالم اخرى ؟

ومتى عقدت او متى تعقد ؟ هل عقدت وانفضت وادينا الشهادة أمامها ام انها سوف تعقد وسوف نؤدي الشهادة بين يديها ؟ وهل محتوم ان تعقد هذه المحكمة ؟ ألا يحتمل ان يحدث ما يجعلها لن تعقد ؟

ولماذا قبلنا دورنا هذا وهل قبلناه ، وهل قبلنا برضا ام بغضب ؟

وهل استمعت او سوف تستمع الينا المحكمة ومن شهدنا او من سوف نشهد عليهم باعجاب وتوافق ام باشمئزاز واستقباح ؟

هل ارضينا المحكمة ومن شهدنا عليهم او لهم بشهادتنا ام رفض كل من كـان هناك شهادتنا ؟

وما هي اللغة التي سوف نؤدي بها الشهادة ؟ لعل المكان او العالم الذي سوف تعقد فيه هذه المحكمة ويؤلف من سكانه اعضاؤها لا يوجد فيه من يتكلمون اللغـة العربية ، ولعلنا نحن لن نعرف اية لغة من لغات اهل ذلك المكان او العالم ٠ لعل اهل ذلك العالم الذي سوف تؤلف منه وفيه المحكمة قد عرفوا اننا مصوتون لا متكلمون ، وعرفوا قيمة الكلمة عندنا مسموعة ومنطوقة ومفسرة ٠ وهل يمكن حينئذ ان يستمعوا الينـا ؟

ولا بد ان يكون هنا سؤال كبير وحاد التفسير والجواب ٠٠ هو : هل اقتنعنا باننا اهل لهذه الشهادة ، وان مواهبنا العقلية والاخلاقية والنفسية والانسانية والحضارية تجعلنا اهلا لها ؟ وهل وثقنا باننا احق بها من كل العالم ؟ وهل اطمأننا الى اننا لم نختر لذلك محاباة لنا تحابينا بها الالهة او احدى القوى الغيبية المبثوثة المتسترة داخـل هـذا العالم ؟ أليست المحاباة هي اشهر اخلاق الالهة ؟

أليست اشهر واعظم مواهبنا افسادنا لضمائر الالهة ولاخلاقها بتعليمها المحاباة لنا ؟ هل افسد قلوب الالهة شيء مثلما افسدها حبها لنا ؟

ولكن هل علم ان شهاداتنا هذه سوف تكون امام اية محكمة او اية هيئة قضائية؟ لعلها لن تكون كذلك ، اي لعلنا سوف نؤديها امام اشمل واقسى الطغاة الجبارين ، نؤديها أمامه كما يريد ويأمر لا كما نعرف ونجد ونصدق ..

السنا دائما مامورين مطيعين لا محاورين ولا محاكمين ولا مقتنعين او صادقين او مبصرين ؟

لعلها ليست شهادة ولكنها وشاية .وتآمر وتحريض وخيانة وتكتل في اجهزة ومخابرات اوقح الطغاة .. أليس اغلب الشهود والشهداء ليسوا شهودا ولا شهداء ولكنهم قتلة وجواسيس في جيوش وحرس ومخابرات الطغاة ؟

لعل هذه الشهادة ليست الا اسلوبا رهيبا نذلا من اساليب التزوير والاتهام استجابة لشهوة وجبروت طاغية ما كما يشهد الاذلاء والعملاء ضد الناس لمصلحة ولاهواء طغاتهم القتلة .. هل الحب او الصدق او الشهامة او الغيرة هي التي اخترعت الشهادة والشهود ام هو البغض والنذالة والعداوة واللؤم والتسخير ؟

وهل الشهادة مهما كان صدقها فن جميل او كريم ؟ وهل يمكن ان تكون الشهادة امام الطغاة او بأمر الطغاة واجهزتهم وفي اجهزتهم حتى امام الالهة محمودة او مغفورة ؟ وقد قيل ان هذه الشهادة سوف تكون امام الاله لمصلحة الاله استجابة لرغبته . هل الشهادة امام الطاغية او بامر الطاغية ومع اجهزته عمل طيب حتى ولو كان هذا الطاغية هو الاله ؟

هل يمكن ان يكون تكريما لك ان تكون شاهدا على الناس او ضد الناس حتى ولو كانت شهادتك امام الاله ، لمصلحته ، استجابة لاهوائه ؟

هل توجد نذالة او معصية كنذالة ومعصية من يشهد امام الاله لمصلحة الاله بامر الاله ؟

وهنا مشكلة صعبة جدا لم يفطن اليها اولئك الذين فرضوا علينا او اختارونا ان نكون شهداء او شهودا ، او لم نفطن لها نحن حينما اخترنا او التزمنا ان نكون هؤلاء الشهداء او الشهود .

اليس محتوما ان نختلف في شهادتنا هذه اختلافا لا يستطاع ضبطه ولا التوفيق او التقريب بين تفاسيره واتجاهاته ، كما اختلفنا في كل شيء ؟ لكن اختلافنا لن يكون اختلافا في الرأي مهما زعم او بدا انه لا شيء غير الرأي . ان الرأي بريء من جميع اختلافاتنا في كل تاريخنا .

واذا وقع هذا الاختلاف المحتوم في شهادتنا فكيف يكون التصرف ؟ كيف تصنع حينئذ هذه المحكمة ؟ ورطتك ايتها المحكمة العجيبة المجهولة الشخصية والمكان والتاريخ والقضاة ورطة صعبة يستحيل الخروج منها . لقد ضاع عليك شهودك وشهداؤك وضاعت عليك مقاساتك ، بل لقد ضاعت او مست هيبتك ووقارك وثقتك بنفسك وبكل اعمالك . لقد ضاعت الامال على اولئك الذين كانت لهم مصلحة او حكمة في ان تنشئي وتعقدي ويعلن عنك وفي ان نكون نحن شهداءك او شهودك ، او ضاعت

على ذلك الواحد العجيب الذي اراد ودبر ان تكون تلك المحاكمة او المحاسبة، وان نكون نحن شهوده وشهداءه ثم استراحت اماله الى النتائج الجيدة التي كان يريدها ويخطط لها ويتوقعها آتية كالمضمونة بكل الضمانات الكونية والغيبية ٠ كيف امكن ان يقتنع احد ان شهادة العرب متفقين ومختلفين قد تعني اي معنى من معاني الشهادة ؟

كيف امكن ان يقع الجهل بهذا، اي باننا لا بد ان نختلف في شهادتنا ، واننا اذا اختلفنا سقطت شهادتنا واصبحت القضية محتاجة الى ادلة وشهادات اخرى بل واصيبت هيئة المحكمة بورطتها المحتومة التي تستحقها ؟ بل كيف امكن الجهل بأن شهادتنا لا تستطيع ان ترقى الى معنى الشهادة حتى ولو اتفقنا عليها ؟

هل الذين هم وراء هذه القضية والذين لهم مصلحة وحكمة ومجد ومسرات في انشاء هذه المحكمة وفي تدبيرنا شهودا فيها وفي الاستماع الى شهادتنا وفي الاعلان عنها والثقة بها ـ هل هؤلاء مصابون بكل هذه الغفلة وضيق الخيال ؟

حزني لكم ايها المنتظرون لشهادتنا لكي تشفيكم من احقادكم وغضبكم وضلالكم ومن جميع آلامكم وعقدكم النفسية والاخلاقية والتاريخية ٠٠ اجل ، وحتى بلا اختلاف في شهادتنا لو كان ذلك ممكنا كيف كان محتملا ان يكون هناك من يحترم شهادتنا او من يحولها الى التزام قضائي او اخلاقي او منطقي او الى التزام من اي نوع ؟ بل كيف كان ممكنا ان يوجد من يتقبل ان يستمع الى شهادتنا او حتى ان يتحدث عنها او حتى ان تتعامل اي شهادتنا مع تصوره او مع اهوائه وتحليقاته في الفراغ والهباء ؟ ان هذا نوع من المبالغة في محاباة ذكائنا وتقوانا لم يكن غرورنا ولا اعجابنا باربابنا وتاريخنا يستطيع الطموح اليه ٠٠

هل نستطيع ان نصدق ان كائنا ما يتقبل او يتمنى او يدبر او يأمر ان نكون شهداء او شهودا لـه او معه في قضية لها اي شأن أو احترام او خطورة او اي تأثير في حساباته او معاملاته او منطقه او حتى في احاديثه وانتماءاته ؟

أنحن كائنات يحتمل ان نكون او ان نقبل شهودا على اي شيء او في اي شيء ؟

كيف امكن ان يخدع بنا احد ؟ كيف امكن ان تكون الخديعة بنا بهذه الضخامة ؟

كيف حدث هذا ؟ اننا نعرف انفسنا ، نعرف مستوياتنا الاخلاقية والنفسية والعقلية بل والدينية ٠ نعرف جيدا وبالتكرار ماذا تساوي شهادتنا في تفاسيرها الاخلاقية والفكرية والعاطفية والدينية والتاريخية والانسانية ٠

لا نعرف لاننا اذكياء او صادقون او مبصرون بل لاننا لا نستطيع بل ولا نريد أن نجهل ذلك ٠

هل نحن نعرف انفسنا معرفة ظالمة لها؟ هل هناك من عرفونا ومن سوف يعرفوننا معرفة فيها تصحيح لمعرفتنا الظالمة لانفسنا وفيها اعتذار وتكفير عن هذه المعرفة الظالمة ؟ لعل ذلك كذلك ٠ ليته كذلك !٠٠ هل مستوياتنا العقلية والنفسية والاخلاقية اعظم وانظف واتقى مما عرفنا ورأينا وقاسينا ؟

اذن لنرفض معرفتنا ورؤيتنا لانفسنا ، ولنؤمن برؤية ومعرفة اولئك الاخرين لنا ، اولئك الاخرين الذين يرون انهم يعلنون عن مجدهم وعن تقواهم وذكائهم حينما يعلنون انهم سوف يرجوننا ان نكون شهودا لهم ومعهم ، تدليلا على عدلهم وشهامتهم ٠٠

هؤلاء الذين يعلنون عن مجدهم باسلوب من يعلنون عن مجدنا حينما اعلنونا شهداء او شهودا ٠٠

اذن ايها الغرور لتتغير حدودك اتساعا وصعودا فان جميع حدودك القديمة لا تستطيع ان تكون حدودا لتحليقاتنا وتحديقاتنا والتفاتاتنا ، ولتتكاثر تفاسيرك ومفسروك ، ولتتعدد ويتعددوا ، فان جميع تفاسيرك القديمة لا تستطيع ان تكون تفسيرا واحدا من تفاسيرنا لانفسنا ولابائنا وتاريخنا وارباننا ٠٠

انك يا غرورنا لصغير ، صغير اذا حوكمت بما يجب لنا وبما نستحق من غرور ٠٠

ولكن هل نقبل هذه الرؤية والتفسير الجيدين لنا ؟ ألا نخشى ان تتحول الرؤية والتفسير الجيدان لنا الى نوع من الالزام لنا بأن نكون كذلك؟ أليست الرؤية والتفسير الجيدان لك عدوانا عليك اذا كانا يلزمانك بأن تكون في سلوكك كذلك ؟ ألست لهذا ترفض ولو أحيانا ان ترى وتفسر هـذه الرؤية وهذا التفسير الجيدين ، اي خيفة ان تصبح انسانا جيدا وانت لا تريد ان تصبح كذلك لانه لا يريحك ولا يسعدك ان تكونه ، او لا تستطيع ؟

انه ليس ربحا لك دائما ان تكون انسانا جيدا ٠ بل قد يكون خسرانا لك دائما ان تكون ذلك بالاسلوب الذي تقوله لك وتطالبك به اديانك ومذاهبك وتعاليمك وخطبك بالاسلوب الذي يطالبك به اربابك وانبياؤك وزعماؤك ٠

نعم ، انهم يطالبونك ان تكون شيئا هم لا يريدون ولا يستطيعون ان يكونوه ٠٠ ثم ما هو الموضوع الذي سوف نكون شهداء عليه او فيه او ضده او له او معه ؟ هل هو موضوع الحضارة والتقدم والتغييرات العلمية والفنية والانتاجية الكبرى ؟ ام هو موضوع الفنون والاداب والتفكير والشعر ؟ ام موضوع الاخلاق والتهذيب والحب والصداقات وشهامة العلاقات بالناس وبكل شيء ؟ ام موضوع التقوى والتدين وبسالة الضمير وبراءة النيات ؟ ام موضوع القوة والشجاعة والانتصارات وعبقرية الممارسة للحروب والاخطار والتحديات ؟ ام موضوع الكرامة والاباء والرفض والتوهج الروحي والعاطفي والذهني والانساني ؟ ام موضوع القدرة على التغير والتخطي والتصحيح وعلى القراءة والرؤية والتحديق ؟ ام موضوع الجمال والنظافة، كينونتهما وعشقهما وممارستهما ومعرفتهما وابتكارهما وحمايتهما واجتذابهما ورؤيتهما والاحساس بهما ؟ ام هو موضوع قيادة العالم وتعليمه واعطائه المجد والرخاء والمذاهب والتفاسير والمستويات والصيغ الجديدة الدائمة ؟

ام هو موضوع حريات الانسان وحقوقه وحمايته ، حماية كرامته ونكائه وتمرده ورفضه وعصيانه ورؤيته من طغيان وجهالة وبداوة آلهته وانبيائه وطغاته وزعمائه وتاريخه وقبور آبائه ؟ وهل وجد من حمى الانسان من جبروت واغلال اربابه وانبيائه وطغاته وتاريخه وقبور آبائه مثلما حميناه نحن ؟ نعم ، هل وجد ؟ ·· في اية قضية من هذه القضايا سوف نكون شهداء وشهودا ؟ او لعلنا سنكون كذلك في جميع هذه القضايا ··

هل يحتمل ان تساؤلا واحدا من هذه التساؤلات قد بزغ في خيال هؤلاء الذين اختارونا او امرونا او الزمونا ان نكون هؤلاء الشهداء والشهود او في خيال واحد منا يجرؤ على ان يقرأ او يسمع اعلاننا لانفسنا شهداء وشهودا ؟ هل تستطيع اذن ان تسمع تساؤلا واحدا من هذه التساؤلات ثم تقبل ان تظل اذنا لها وظيفة الاذن ؟

ايها الاخرون ، كيف تقبلون ان نكون مواطنين لكم في هـذا العالم ان كنتـم تسمعون او تعلمون اننا نعلن انفسنا شهداء وشهودا اي ان كان تساؤل واحد من هذه التساؤلات قد جرؤ على ان يقتحم اي موقع من تصوراتكم؟ كيف لا ترجموننا بكل ما في الكون من حجارة وتراب واشمئزاز ؟ كيف تقبلون ان نصبح ارقاما مقروءة او محسوبة حينما تحصون تعداد سكان هـذا العالم ؟

أليس غفرانكم لنا وصمتكم عنا وتقبلكم لمعايشتنا هو اقسى اساليب التحقير والتصغير لنا ولكم اي ان كنتم قد علمتم او سمعتم اننا قد اعلنا على ألسنة انبيائنا وكتبنا المنزلة المقدسة باننا سوف نكون شهودا على كل العالم في كل شيء ؟

أليس الذي يغفر لك ويستمع منك ويتقبل فيك ما لا يمكن غفرانه ولا سماعه ولا تقبله انما هو انسان يبالغ كثيرا في تهوين شأنك وتصغير قيمتك ؟ أليس الذي يبالغ في الاشتراط فيك ولك يحترمك دون من لا يشترط فيك او لك اي شرط ؟

**
*

« وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » ·· من هم الناس الذين سنكون شهداء اي شهودا عليهم ؟ هل هم نـاس امريكا واوربا وسائر القارات بل وناس الاكوان الاخرى التي قد نجد نحن فيها ناسا؟ هل هم الذين حولوا القمر الذي كانت آلهتنا تفقأ عيونها خوفا من ان تجرؤ على النظر اليه ، والذي كانت اي آلهتنا تمرض بالكبرياء وبالاعجاب بنفسها حينما تجرؤ على التحدث عن جماله وعلو مكانه وعن عبقرية تكوينه وجهارة وسطوع نوره ·

ـ نعم ، هل هم الذين حولوا هـذا القمر الى حذاء لاحذيتهم ؟

هل هم الذين فرغوا هذا الكون من كل مجد الالهة ومن كل منطقها اي منطق الالهة ومن كل تفاسيرها وعيونها وارهابها ولغاتها وسلطانها ؟

هل هم الذين سرقوا منا كل مجدنا وانتصاراتنا وعبقرياتنا وكبريائها التـي حابانا بها تاريخنا وروايات واشعار وقبور آبائنا ، بل التي حابتنا بها نبواتنـا

وكتبنا المقدسة ؟ نعم ، ان كل امجادنا وانتصاراتنا وعبقرياتنا ليست الا روايات روتها لنا اشعارنا ونبواتنا وكتبنا المنزلة ٠

هل هم الذين علمونا انه توجد لغات غير لغاتنا ، غير لغات محاريبنا ومنابرنا ومعلقاتنا داخل الكعبة وخارجها وغير لغات سلاطيننا وخلفائنا ، وعلمونا ان لغاتنا هذه ليست احدى لغات الانسان ولا احدى لغات الطبيعة ، بل وانها اي لغات محاريبنا ومنابرنا ومعلقاتنا وخلفائنا وسلاطيننا ليست لغات لشيء ولا تعبيرا عن اي شيء ، وانما هي اصوات وشتائم وهجاء لكل لغات الانسان ولغات الطبيعة ولغات الحياة والحضارة والتقدم والانسان ؟ نعم ؟ ان لغات محاريبنا وانبيائنا وخلفائنا ومعلقاتنا ليست هجاء فقط للغات الانسان بل وللغات الحياة والطبيعة وكل الاشياء ٠

ام هم الذين قرأوا علينا ولنا آلهتنا وانبياءنا وآباءنا وتاريخنا وانفسنا وفسروهم وفسروها لنا بمنطق ولغات ولهجات وتفاسير وصدق وذكاء ورؤية جعلتنا نخجل ونهاب ان نقرأهم ونقرأها ونفسرهم ونفسرها ونراهم ونراها كما كنا نفعل ؟ نعم ، لقد أصبحنا نخجل ونهاب ان نقرأ او نفسر آلهتنا او انبياءنا او آباءنا كما كنا نقرؤهم ونفسرهم ٠ لقد اصبح عارا ان نراهم كما كنا نراهم ٠٠

نعم ، من هم الناس الذين سوف نكون شهداء وشهودا عليهم ؟ هل يحتمل ان يكونوا هؤلاء ، بل هل يحتمل ان يكونوا ناسا اي ناس ؟

هل عرفنا نحن هؤلاء الناس الذين سوف نحاكمهم امام الاله اي نشهد لهم او عليهم ؟

ألا يحتمل ان هؤلاء الناس الذين سوف نكون شهودا عليهم ليسوا ناسا ولكنهم كائنات اخرى تسمى ناسا ؟ أليس هـذا معقولا اكثر من الاحتمال باننا نحن سوف نكون شهداء اي شهودا على الناس ، على اي ناس ؟ أليس هذا الخلط او الخطأ في اللغة افضل او اقل تعبيرا وقبحا من الجنون في العقل او الاخلاق او التمني او التصور ؟ ان الموقف هنا لن يكون الا خطأ في اللغة او جنونا لا شبيه له في وقاحته وسخفه ٠٠

واذا كان هؤلاء الناس الذين سوف نكون شهودا عليهم هم الناس حقا اي هم اناس اوربا وامريكا واناس القارات الاخرى فبأي اسلوب او صيغة سوف نكون كذلك؟ هل نشهد كلنا عليهم كلهم ام نقسم نحن شاهدين ويقسمون هم مشهودا عليهم ؟

مثلا ٠٠ عرب الخليج وعرب الجزيرة ومن هم في مثل مستواهم وظروفهم ونظمهم يشهدون على شعوب امريكا واوربا الغربية وعلى كل من هم في مستوياتهم الحضارية والانسانية والتاريخية والاخلاقية ٠ اما عرب افريقيا وهم في الاكثر مزعومون ثوريين اشتراكيين فيتحولون الى شهود على شعوب الكتلة الشرقية وعلى شعوب ما يسمى بالعالم الثالث ٠ ولا بد ان تكون الصين واليابان داخلتين تحت هذا التقسيم اما في هؤلاء او في هؤلاء او في هؤلاء وهؤلاء ٠ ومحتوم ان تكون هنا تبادلات لا مفر منها بين تقسيمات الشاهدين وكذلك بين تقسيمات المشهود عليهم

واي الاحتمالين نتوقع ونتمنى ان يكون هــو الذي يكون ؟ ان الذي يعطي العرب المجد والقوة والسيادة اكثر هــو الاحتمال الذي يجب ان يكون هو الذي لا بد ان يكون · أليس كل التفسير لجعل العرب شهودا على كل العالم هو اعطاءهم اي اعطاء العرب كل صيغ المجـد والسيادة والقوة لا اعطاء العدل او الحقيقة كل نماذجهما وتفاسيرهما ؟

نعم ، سكان الخليج العربي النفطي وسكان الجزيرة العربية سوف يشهدون على شعوب امريكا وشعوب اوربا الغربية · هل يمكن ان توجد صيغ للمجد او للقوة او للسيادة والقيادة والتفوق مثل هذا؟ وسكان البلدان العربية الافريقية الثورية سوف يكونون شهداء وشهودا على بقية العالم · وفي بقية العالم هذا روسيا واليابان والصين واسرائيل ايضا !·· هل يوجد تمجيد وتزكية واسعاد لضمائر الالهة والطبيعة وكل الاشياء ولذكائها واخلاقها وقوانينها وعدلها مثل هذا ؟

هل رأت او يمكن ان ترى عيون النجوم منظرا أجمل من ان ترى سكان الخليج العربي يشهدون على شعوب امريكا واروبا او من ان ترى الشعوب العربية المواجهة لاسرائيل تشهد على بقية شعوب العالم ؟ انه لمجد نرفض ان نساوم او نفاوض عليه كل ما في الكون من ضخامة واغراء او ان نستبدل به كل ما في السماء من صعود وشموس وكل ما في الشموس من جهارة وضياء ·

انهم يشهدون عليهم او لهم بانهم موجودون او بانهم احياء او بانهم بشر او بانهم يستحقون ان يبعثوا ليقابلوا الاله وليحاسبهم وليخاطبوه ويسائلوه ويخاطبهم ويسائلهم ، او بانهم متحضرون واذكياء واقوياء ومبدعون ومهذبون وطيبونوصادقون ومخلصون وانسانيون ، وانهم يستطيعون ان يتعلموا ويفهموا ويتطوروا ويكبروا وان يغتسلوا ويغسلوا ثيابهم بالمياه المطهرة من الادران والجراثيم ·· وانهم ايضا يستطيعون ان يتعاملوا ويتحدثوا مع العرب وان يتعلموا عنهم ويتحدثوا بلغتهم اي باللغة العربية ، وانهم يستحقون ان يسمح لهم بذلك ·· او بانهم يستحقون ان يستدفئوا او يستضيئوا او يتعاملوا اي تعامل بالنفط العربي ، بل او ان يعاقبوا بحرمانهم منه · أليست المعاقبة بالنفط العربي تمجيدا وتكريما لمن ينزل به العقاب ؟

نعم ، انهم يشهدون عليهم او لهم بانهم كذلك او بانهم ليسوا كذلك بـل ولا يستطيعون او يريدون ان يكونوا كذلك · اي انهم يحاكمونهم بالشهادة عليهـم فيحكمون لهم او ضدهم ، اي انهم هم وثائق وادلة المحكمة التي ستحكم عليهم او لهم· انهم اي اننا نحن الشهود الذين هم القضاة او الذين يحكمون على القضاة بالحكم الذي يصدرونه · اي اننا يومذاك سوف نكون قضاة امام الاله لمصلحة الاله او قضاة على الاله · ان شهادتنا الزام له ··

اي ان عرب الخليج وعرب الجزيرة وعرب الدول العربية المواجهة لاسرائيـــل والمهـــددة المحـــاربة لهـــا من بعيد هـــم الشهود الذين معنـــاهم كل معنـــى القضاة الذين سوف يحكمون على كل العالم · اي انهم هم الشهود الذين يصدرون الحكم أو يأمرون ويلزمون به · اي انهم الشهود الذين يحكمـون علـى القضاة ·

ان الشهادة هنا ليست شهادة ولكنها حكم ، على الحكمة وعلى المتهمين بل وعلى الدولة • ان شهادة العرب على الناس ليست شهادة ولكنها اصدار للحكم مع التنفيذ•

ايها الناس وغير الناس في هذا الكون وفي كل كون اخر اسمعوا وصدقوا وتأدبوا وجاملوا ـ اسمعوا ولا تموتوا غيرة وحسدا أو موتوا غضبا واشمئزازا ورثاء ـ اسمعوا :

« وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا » • هل سمعتم ، وهل بقيت لكم اذان ان كنتم قد سمعتم ؟ وهل صدقتم اذانكم ان كنتم قد سمعتم أو رضيتم ان تكون لكم اذان ان اقنعتكم بانكم قد سمعتم؟

هل سمعتم هذا أو هل تستطيعون أو تتقبلون ان تسمعوه ؟ وان كنتم قد سمعتموه ووعيتموه وفسرتموه فماذا اصابكم وماذا ظننتم بنا وهل قبلتم ان تبقى لكم اذان ؟

اسمعوه ونحن لن نرفض ان نعتذر بكل الصدق والتعذب والتضرع الى كرامة وكبرياء وذكاء اذانكم • وهل توجد اذان قد بقي لها شيء من الكرامة أو الكبرياء ؟ هل يتلقى شيء من العدوان على كرامته وكبريائه مثلما تتلقى الاذان ؟

نعم ، اسمعوه ونحن لن نخشى اذا سمعتموه ان تحاولوا اصابة مسامعكم بالصمم أو أن تتمنوا انكم قد خلقتم صما لانكم قد عودتم وروضتم اخلاقكم وعقولكم واذانكم وكل معانيكم ومواهبكم طويلا طويلا على أن تتقبلوا وتسمعوا وتروا وتعرفوا منا وعنا ما يستطيع ان يجعل موهبة الغفران والتقبل فيكم موهبة لا يستطيع اي شيء ان يزعجها أو يصدمها أو يثير اشمئزازها بل أو ان يتحول الى مفاجأة لها • إنه لا يوجد ترويض وتعويد على تقبل وغفران كل شيء مثل الترويض والتعويد على معايشتنا ورؤيتنا والاستماع الينا •

ان لنا اذن لمزية كبرى ، هي اننا نروض ونعود من يتعاملون معنا أو فينا أو علينا أو يواجهوننا ويعرفوننا ويقرأوننا بألا يصدموا أو يفجعوا أو يفاجأوا أو يثاروا باي شيء مهما كان قبحه وبلادته ودمامته ونذالته وخروجه على جميع المقاييس والنماذج والشروط والمستويات والقيم •• اننا نسحب من العقول ومن العيون والضمائر والمواهب نموذجيتها وايمانها بالنموذجية في الذات وفي الاشياء •

اجل ، ان لنا وفينا لنفعا ، ولكن هذا النفع قد تكون له اضرار مخيفة •• اليس محتملا ان من يشاهدوننا ويعرفوننا قد يتحولون الى متقبلين لكل شيء رديء وبليد والى متلائمين ومتعاملين معه وسعداء به • وحينئذ قد يتخلون عن موهبة الابداع والتغيير والرفض والغضب والاشمئزاز فيهم ، أو قد تصاب موهبتهم هذه بالضعف والتهاون والخمول والتسامح مع القباحات والقبائح • وحينئذ قد تتباطأ فيهم عبقرية وشهوة الخلق والابداع •• وقد تكون آلهة هذا الكون هي اكبر واشهر ضحايا مشاهدتنا ورؤيتنا ومعرفتنا بالعين وبالضمير • لعلنا بهبوطنا تحت جميع النماذج والشروط الجمالية والاخلاقية والعقلية والفنية قد روضنا وعودنا عيون وضمائر

واخلاق وعقول الالهة على الا تستقبح أو تستنكر أو ترفض أي شيء تصنعه وتدبره وتريده هي، أو تراه وتعلمه يدبره ويريده ويصنعه غيرها ٠ نعم، أليست الالهة تروض وتعود ؟ وهل يحتاج الى الترويض والتعويد على الصغائر والقبائح والبلادات مواجهة ومفعولة مثل الالهة ؟ كيف تطيق وجودها لولا ذلك ؟

كيف يمكن تفسير تنازل الاله عن كل الشروط الجمالية والاخلاقية والفنيــة والمنطقية على اي شيء يصنعه ويخططه ويدبره ويشاؤه هو بل ويعجب به ، وعلى اي شيء يشاهده ويقرؤه ويعلمه ويعامله ويتعامل به صانعا ومدبرا ومريدا له سواه ٠

نعم ، كيف يمكن ان يفسر تنازل الالــه عن كل الشروط على كل الاشياء التي يخلقها أو التي يواجهها بغير تأثر مواهبه واخلاقه ونماذجه الفنية والجمالية بادمانه المواجهة والرؤية لنا ؟ ان الالــه لا يشترط اية شروط من اي نوع على اي شيء يخلقه أو يواجهه ويعامله أو يراه ٠ فكيف حدث هذا ؟ ما التفسير ؟٠٠

أليس محتملا جدا ان مشاهدته ومواجهته الطويلة لنا بكل حواسه واحاسيسه قد افسدت قلبه وضميره ومنطقه وجميع حواسه بل وجميع صوره ومطامحه الذهنية والنفسية والخالقية ؟

ألسنا قادرين على ان نسحب من قلب الالــه وعقله وضميره ومن كل مواهبه كل معانــي الالــه ؟

أليس احتمالا جيدا اننـــا نحن الـــذين صغنا عيني الالـــه وضميره وجميع مستوياته المختلفة بتعوده الطويل على مواجهتنا وقراءتنا وعلى مساكنتنا في هذا الكون ؟ اليس محتوما ان من يعايشنا طويلا لا بد ان نقتله تعذيبــا أو ان نروضه على الهبوط الى مستوياتنا ؟

أليست الرؤية القبيحة الاليمة الدائمة ، أو أليست المرئيات القبيحــة الاليمــة الرديئة الدائمة تصوغ عيني وضمير واخلاق ومنطق الرائي الدائم لها ؟

أليس الالــه محكوما بموهبة التلاؤم بضميره وعينيه واخلاقه مع ما يرى ويسمع ويعايش ؟

هل يجرؤ اي زاعم ان يزعم انه من الممكن ان يظل كائن ما يشاهدنا طويلا ، طويلا بكل حواسه وتحديقاته المختلفة ـ وليكن هذا المشاهد هو الالــه ـ ثم تظـل موهبة الاستقباح والاشمئزاز والاشتراط والرفض فيه سوية أو قوية ، او يظل عاشقا للجمال أو للذكاء او للنظافة والتهذيب والقوة والجودة والحب ، أو كارها للدمامــة أو للغباء أو للتلوث والبذاءة والضعف والرداءة والبغضاء أو مميزا بين هذا ونقيضه، بين الشيء ونقيضه ؟

أليست معايشتنا ومشاهدتنا بل ومعرفتنا بكل مستوياتنا وتصرفاتنا عدوانا على العيون والضمائر والاخلاق والمواهب وافسادا لها واخمادا لحماسها ولتوقدهــا وذكائها ولغضبها على القبح والرداءة والتشوه والعجز ؟

ألسنا نسحب من عيون وضمائر وعقول وآذان واخلاق كل من يروننا ويسمعوننا أو يقرأوننا أو يفسروننا أو يعاشروننا وظائفها ؟ ألسنا نقتل ونفسد في كل العيون

والعقول والاذان والضمائر والاخلاق وظائفها ونماذجها برؤيتنا والاستماع الينا ؟
ان كل العالم في كل العصور قد شاهد وقاسى ضعف وقبح مستويات الاله ٠ ولكن هل فطن أو فطن أحد منا الى هذا الاحتمال الذي قد يكون قويا ، أي الى احتمال أن يكون استمرار معايشته أي معايشة الاله لنا وادمانه التحديق في مستوياتنا وتعوده الطويل عليها هو الذي هبط بمستوياته ؟

أليس التحديق الطويل في مستوياتنا قادرا على أن يهبط بكل المستويات حتى بمستويات الاله ؟

هل فطن العالم أو أحد منه أو فطنا نحن أو أحد منا ولو على مستوى الاحتمال الى أن تسمع الاله الدائم والحاد الينا ونحن ننشد معلقاتنا ونحكي رواياتنا ونتلو صلواتنا ونصوت كل أصواتنا بنيات واساليب منيعلمون ويفكرون ويتكلمون٠

ـ نعم ، هل فطن أحد من العالم أو منا الى أن استماع الاله الدائم الينا ونحن نفعل ذلك هو الذي جعل كتبه المنزلة المقدسة تجيء كما جاءت أي بالمستويات التي جاءت بها ، أي بمستوياتنا نحن الصوتية ؟ ألم تجيء هذه الكتب المقدسة التي ألفها الاله أصواتا مثل أصواتنا ؟ أليس ممكنا بل محتوما وحادثا أن يحسب كلام الاله كلامنا وأن يحسب كلامنا كلام الاله دون أن يستطيع أحد الفصل بين الكلامين ؟

أليس أحتمالا جيدا أن الاله لو كان معزولا عن الاستماع الينا لجاءت كتبه المقدسة أذكى وأصدق وأكثر وقارا وتهذيبا وحبا وصداقة وتعقلا ؟ بل أليس محتوما اننا لو لم نكن قد جئنا أو لو كنا خرسا أو لو جئنا متكلمين افضل مما جئنا لجاءت كتب الاله المقدسة المنزلة باللغة العربية شيئا أعظم واذكى مما جاءت ؟

كيف لم يفطن احد منا أو من العالم الى ذلك ؟

أما نحن فلا عجب في الا نفطن الى ذلك ٠ ولكن الاخرون كيف لم يفطنوا ؟ هل سحبنا منهم الفطنة ؟

لعل الاله حينما سمعنا نتكلم أي نصوت اقتنع أن البشر لا يستطيعون أولا يريدون أو لا يفيدهم أو يصلحهم أفضل من ذلك أي من تصويتنا المحسوب كلاما وعبقرية أي أقتنع بأن ما يسمعه منا هو أعلى مستويات البشر وأقصى احتياجاتهم٠ نعم وهو يرانا نحن قمة البشر ونبواتهم وانبياءهم ٠٠

أليست أقل مستوياتنا في رؤية الاله الدائمة لنا اننا نحن ضمير الانسانية وكل فنونها ونبواتها وعبقرياتها ؟

اذن لعل استماعه الينا تحول الى حدعة كبرى ، أي الى أن يقتنع أي الاله بأن عليه أن يتعلم منا كيف يعلمنا ويعلم العالمكله لاننا نحن النموذج الاسمى للعالم بل لقيادة العالم ولتعليمه كما رآنا واقتنع بنا وتحدث عنا دائما باننا كذلك ٠

لعله حينما اراد ان يخاطب البشر وان يتوجه اليهم بتعاليمه ومطالبه وهو يفترضنا حتما قمة البشر ، فكر كيف يخاطبهم ويتوجه اليهم ٠ لقد أحاطت به الحيرة ٠ وبعد معاناة فكرية ونفسية واخلاقية طويلة وفادحة عذبته كثيرا أي عذبت

الاله رأى أن يخاطبهم ويتوجه اليهم بالاسلوب الذي به نخاطب ونتخاطب لانه هو الاسلوب الذي يستطيع البشر أن يفهموه ويعقلوه ويتوافقوا معه وأن يصنع حماسهم واعجابهم وهتافهم ، لاننا في اقتناع الاله نحن دائما النموذج الانفع والاعلى والاقوى والاذكى ، كما اننا دائما أي في اقتناع الاله نحن التعبير الشامل عن الانسان في أفضل وأقوى صيغه · فالفهم لنا والتعامل معنا هما فهم وتعامل للانسان ومع الانسان في أعلى وأصدق أطواره ·

ان الاله لم يستطع أن يتصور صيغة مثل صيغتنا في ذكائها ومنطقها وجودتها وقوتها ، كما لم يستطع ان يتصور للبشر مستوى مثل مستوانا في تحضره وتهذبه وفي معرفته بالانفع والاصلح وفي الالتزام بهما ··

اذن فعليه أي على الاله ألا يتعامل مع البشر أو يفهمهم أو يخاطبهم الا بالاسلوب الذي به نتعامل ونعامل ونفهم ونتفاهم ونخاطب ونتخاطب ، كما أن عليه أي على الاله أن يقتنع أن هذا الاسلوب أي أسلوبنا الذي تحول الى أسلوب له هو كل الذكاء والمنطق والمستطاع · وأن هنا لاحتمالا قويا وممتازا و عجيبا ، هو أن الاله لا يعرف من اللغات سوى اللغة العربية · اذنفانه لن يفهم البشر الا من العرب الذين يعرف لغتهم ·

اذن فان على الاله أن يتعلم منا كل اخلاقه ونماذجه ومنطقه ومستوياته ··

ان يتعلم منا أن يكون مصوتا حينما يريد أن يتكلم أو حينما يفترض متكلما ، وأن ينزل كتبه المقدسة أصواتا لا كلام فيها وأن يصوغ انبياءه جميعا مصوتين وأن يختارهم من المصوتين وأن يأمرهم بألا يكونوا الا مصوتين وألا يكون وحيه اليهم وتشريعه لهم وعليهم ألا تصويتا ·· ان يتعلم منا كيف يفهم الناس وكيف يقرؤهم وبفسرهم ويخاطبهم ويراهم ويعاملهم ويتعامل معهم وبهم ··

اذن غفرانك يا اخلاق الاله ويا عينيه ويا ضميره ونماذجه ومشاعره ويا ذكاءه وصوته ·· غفرانك فلقد نكون نحن الذين صغناك وعلمناك · قد نكون نحن الذين وضعنا فيك كل تشوهاتك ··

غفرانك وصفحك ايها الاله فلقد نكون قد جنينا عليك جناية لا نموذج لها في بشاعتها وتشويهها · وهل يمكن تصور جناية في حجم وقبح جناية من علم الاله أو من صاغ له نماذجه التي يعامل بها مخلوقاته والتي يتعامل بها مع مخلوقاته ؟ هل يوجد صائغ أو معلم للدمامات والالام وللعدوان والعبث والغباء مثل من صاغ للاله وعلمه نماذجه التي يتعامل بها مع مخلوقاته ومع نفسه ؟

اذن أليس شيئا جيدا لو أن العالم استطاع أن يدبر وينفذ أية خطة لعزل الاله عزلا شاملا بكل رؤاه ومعاملاته وعواطفه ولغاته ومسامعه عن الانسان العربي ، أو لاخفاء الانسان العربي عن الاله حتى عن علمه بوجوده ؟ أليس أحتمالا جيدا جدا أن هذا أو هذا لو حدث لكان محتوما أن تتغير اخلاق الاله ومستوياته الى الافضل والاقوى ؟ اذن الا يحتمل أن يحدث هذا أو هذا في وقت من الاوقات ؟ ولكن لقد كانت توجد أمنية أفضل وانفع كثيرا من هذه الامنية ·

هذه الامنية التي هي أذكى وأفضل هي افتراض الاله وتمنيه معزولا منذ البداية عن الانسان العربي ، معزولا ليس فقط عن التعامل معه وبه وعليه ، ولا فقط عن الاستماع اليه وعن رؤيته وعن الاحساس به وعن مخاطبته ومقاساته ، بل وعن العلم بوجوده وعن السماع به وعنه لقد كان حظ الاله عظيما لو أنه عزل منذ البداية هذا العزل الشامل عن الانسان العربي ..

أليس معنى هذا العزل أن يكون الاله في كل تاريخه معصوما أو محروما من أن يتعلم من الانسان العربي اي شيء او تتأثر اخلاقه او مستوياته اي تأثر باخلاقه أو بمستوياته ، أو أن تتعلم منها أية صيغة أو تفسير من صيغها وتفاسيرها ؟

أنه لشيء رهيب ان يكون الاله او أي كائن اخر معرضا لان تتعلم اخلاقه او رؤاه أو عقله أو ضميره أو لغته من الانسان العربي ..

أليس معنى هذا اي معنى عصمة الاله او حرمانه من ان يتعلم من الانسان العربي اي شيء أو أن يتعود على نماذجه ويألفها فتروض مواهبه وطاقاته واشواقه وكل حواسه وانفعالاته على التقبل والغفران والتنازل عن كل طموح واشتراط وتحليق وعن كل غضب على الدمامات والقبائح .

ـ نعم ، أليس معنى هذا أن يكون الاله شيئا أكبر وأحكم وأعقل وأعظم مجدا وفنا وأبداعا واحتجاجا بل وغضبا على العاهات والبلادات والنقائص والالام ، ورفضا بل ومقاومة لها ؟ واذا كان الاله شيئا أفضل أليس محتوما حينئذ أن تكون حظوظ كل شيء وحظوظ كل البشر شيئا أفضل ؟ هل يوجد شيء أفضل من أن تكون نماذج الاله جيدة ، أو شيء اردأ من أن تكون نماذج الاله رديئة ؟

اذن أليس احتمالا قويا اننا نحن الذين أفسدنا ضمير الاله وعينيه واذنيه وكل مواهبه واخلاقه واشواقه ، بل ولغاته ونبواته وشرائعه وكتبه المنزلة لاننا جعلناه يصوغ ذلك على مقاساتنا ونماذجنا ، ولان مواجهته الطويلة لنا سحبت منه كل الاشتراطات الصعبة والجيدة التي كان يجب او يفترض ان يشترطها على ذاته وعلى اراداته وممارساته وعلى جميع مواجهاته والتزاماته وتخطيطاته ، فاعلا ومفكرا ومريدا ومعبرا ومصمما ؟ هل يوجد مذنبون واعداء لكل شيء ولكل احد مثل من صاغوا ذات الاله صياغاتها التي ترى وتريد وتصوغ بها الاشياء ؟

كيف كان ممكنا ان يهتدي الاله الى نماذجه الرديئة والضعيفة او ان يجرؤ او يتقبل أن تكون هذه النماذج هي نماذجه وهي مجده وعبقريته والاعلان عنه لولا اننا قد افسدنا كل شيء فيه ؟ أنه لصعب ان يهتدي الاله الى نماذجه التي يعاملنا بها ويعامل بها نفسه والتي يحياها لو لم نهده اليها ..

من كان يستطيع أن يفسد نماذج الاله بنماذجه وان يهبط بنماذجه أي بنماذج الاله بهبوط نماذجه هو ، أو من كان يستطيع أن تكون نماذج الاله تقليدا لنماذجه ـ نعم ، من كان يستطيع ان يكون هذا أو هذا لولانا أو غيرنا ؟

نعم ، من كان يستطيع ان يهبط بنماذج الاله مثلما استطعنا نحن الهبوط بها ؟ هل يوجد مجد يساوي مجد من هبطوا بنماذج الاله ؟ اذن هل يوجد مجد مثل مجدنا ؟ والمأساة في القضية أن علاقات الاله بنا رؤية وسماعا واهتماما وتفكيرا واعجابا هي أدوم وأشمل العلاقات ٠

بماذا يمكن أن نعاقب انفسنا أو نعتذر به الى الاله والى جميع الاخرين ، أو ماذا يمكن أن نفعل لكي نحرر الاله من صياغة وتعليم نماذجنا لنماذجه ٠

ـ نعم ، ماذا يمكن أن نفعل لهذا أو هذا لو أننا استطعنا الاقتناع ولو احتمالا باننا نحن الذين جعلنا الاله يكون كما كانوعلمناه صيغ كينوناته ؟

وماذا يمكن أن يفعل لنا أو بنا العالم لو عرف هذه الحقيقة ، لو عرف اننا نحن الذين وضعنا للاله صفاته ، أو بأنه أي الاله هو الذي وضع واراد صفاته تقليدا لصفاتنا ؟ أليس هبوط صفات الاله ونماذجه هبوطا في صفات ونماذج كل العالم وتعذيبا وتشويها لها وعدوانا عليها وعلى كل شيء ؟

وهل يمكن أن يعرف العالم ذلك ؟ وهل من الافضل أو الانفع أن يعرفه ؟ أليس احتمالا ان العالم قد عرف ذلك كما عرف اننا قد هبطنا باخلاقه اذ جعلناه يركع نفاقا لنفطنا ؟

واذا كانت نماذجنا قد صاغت أو علمت نماذج الاله أو سحبت منها كل الاشتراطات القوية والجيدة أو المفترضة على الذات وعلى الاشياء ، قد صاغتها او علمتها أو سحبت منها كل هذه الاشتراطات بالمواجهة والمعايشة والتقليد والالف الطويل فان هاهنا احتمالا كبيرا مخيفا ٠٠

هذا الاحتمال الكبير المخيف هو أن تفعل نماذجنا بنماذج الاخرين الذين قد يعايشوننا ويواجهوننا مثلما فعلت اي نماذجنا بنماذج الاله الذي عايشنا وواجهنا ، أو لانه عايشنا وواجهنا ٠٠

اذن يوجد حتما احتمال رهيب وقبيح النتائج جدا ٠ أليس الذين استطاعوا أن يصوغوا ويعلموا بالمواجهة والمعايشة والتقليد والالف نماذج الاله وصفاته ومستوياته واخلاقه يستطيعون حتما أن يفعلوا ذلك بنفس الاسلوب والتفسير والمنطق في نماذج وصفات ومستويات واخلاق الاخرين المواجهين المعايشين المساكنين المعاملين ؟ أليس محكوما على كل العالم أن يستمع الينا وأن يتعلم منا بكل الهوان والمسكنة الحضارية والوطنية والا فلا بد أن يعاقبه نفطنا بالموت ؟

اذن أليس احتمالا مزعجا جدا أن تهبط مواهبنا ومستوياتنا بمستويات وبمواهب الاخرين المتفوقين في مستوياتهم ومواهبهم والذين وهبوا العالم كله هذه الحضارة والمعرفة والانتصارات الانسانية الضخمة بالاسلوب والتفسير اللذين بهما هبطنا بمستويات الاله وبمواهبه ؟ لقد أصبح مفروضا على هؤلاء الاخرين المتفوقين ان يواجهونا ويعايشونا بالاسلوب الذي فرض به ذلك على الاله ٠

في التاريخ الماضي كان هؤلاء الاخرون المتفوقون معزولين عـنا فابتكروا هـذه الحضارة الضخمة ٠ كانت الحواجز بيننا وبينهم عاتية وعالية ، فلـم يكن ممكنا أن تفسد او تضعف او تروض نماذجنا نماذجهم بالمعايشة والمواجهة او بالتقليد او الالف الطويل أو بمحاولة التوافق والتلاؤم مع الاضعف والاردأ او بارادة المجاملة له اي للاضعف الاردأ والرفق بـه واجتناب اذلاله أو أرهاقه أو أحراجه ٠ أليس الكائن القوي أو الذكي أو الجيد قـد يحاول أن يكون نقيض نفسه ولـو تظاهرا رحمة أو رفقـا أو مجاملة الضعـفاء والاغبيـاء والتافهيـن ؟

أمـا اليوم فقـد زالت بـل ذابت هذه الحواجز ، فلم يكن ممكنا أن نظل معزولين عنهم أو أن يظلوا معزولين عنا ٠ لقـد أصـجنا مفروضين عليهم ، وعلـى عيونهـم وآذانهم وافكارهم ولغاتهم وانفعالاتهم ومعاملاتهم وعلى جميع مواجهاتهم واهتماماتهم وحساباتهـم وتفاسيرهـم ٠٠

لقـد أصبـح مفروضا عليـهم أن يروضوا مواهبهم وطاقاتهم وطموحهم لكـي يتوافقوا معنا ويفهمونا ويجاملونا ويرضونا ، بـل ولكـي لا يزعجونا أو يذلونا أو يرهقونـا بتفوقهم أو بقوتهم أو بذكائهم ٠٠ أي لقـد أصبـح مفروضا عليهـم أن يتعاطوا البلـه والغباء والغفلة بـل والنذالة والضآلة بـل والنفاق والكذب والسقوط والخبث والسخف ، أو أن يتظاهروا بذلك ويتعودوه ولـو أحيانا لكي يكون التعامل بيننا وبينهم مريحا أو حتى ممكنا ، بـل ولكي يكون مفيدا ومتاجرة رابحة ٠ أليس مفروضا على المتعاملين المتعايشين أن يوجـدوا تقاربـا وتشابـها بيـن نماذجـهم ومستوياتهـم ولغاتهـم وتفكيرهـم ؟

لقـد أصبح مفروضا على كـل تفوقهم أن يواجه ويعايش ويعامل تخلفنا وأن يتعامل به وعليه، ويتخاطب معه وباسمه ويعرض نفسه عليه عرضا دائما شاملا كـل الاوقات في كـل الاماكن ٠ كـل المجد والحمد لـك يـا نفطنا ، ايهـا النفـط العربي ٠ كـل الحمـد والمجد لـك لانك قـد فرضت على جميع الحضارات والمواهب ان تهـون وتصغـر لترضـى عنـها ٠

فهـل يفعل أي تفوقهم ذلك بموهبته وقوته أم بموهبة تخلفنا وضعفه أي ضعف تخلفنا ؟ انـه أي تفوقهم لـو أتخذ الاسلوب الاول لمـا كـان ممكنا أن يتعاملوا أو يتفاهموا معنـا أو أن يرضـونا ويجـاملونا ويتاجروا بنـــا ، أو أن يكونوا إنسانيين أو رحماء أو أهـل شهامة ونخوة وتواضع وتهذيب وتقاليد حضارية كريمة٠ أن المتفوق لن يكون رحيما او شهما او مهذبا بل أو ذكيا أو ناجحا لو انه عامل المتخلف بكـل تفوقه ٠ ان الطويل لن يستطيع معانقة القصير بدون انحناء ٠

اذن لا بد أن يتخذوا الاسلوب الثاني في مواجهتهم ومعاملتهم لنا٠ وهذا أسلوب قوي وشامل ومستمر من أساليب الترويض والتعويد لتفوقهم لكـي يتعلم ويأخذ عن تخلفنا ولكـي يذهب يقلد مستوياته وصيغه شيئا فشيئا ٠

انه اسلوب جيد لتحويل القامة المنتصبة الى قامة منحنية٠ ان الترويض و التعويد الطويـل يتحـول الـى ذاتـي ٠٠

وهذه المعايشة التي قد تحولت الى محتومة لا بد أن تفرض على كل حواس وأحاسيس هؤلاء الاخرين المتفوقين أن تحدق دائما في ضعفنا وتخلفنا وخمولنا الانساني والحضاري ٠ وهنا لا بد أن يوجد احتمال قوي بأن يألف تفوقهم مستوياتنا ونماذجنا الضعيفة والرديئة ويفقد أي تفوقهم طموحه وتوقده ونشاطه ويتنازل عن نماذجه ومستوياته واشتراطاته على نفسه وعلى الاشياء ٠٠ أليس التحديق الدائم في الاشياء الرديئة والضعيفة والبليدة يضعف موهبة الاشمئزاز منها وينمي موهبة التوافق معها والالف لها والعطف عليها ؟

أليس هذا يعني أن يتحول تخلفنا الى معلم ومروض لتفوقهم ، الى مفسد ومضعف ومضلل له ؟٠ أليس هذا احتمالا قويا أو احتمالا ضعيفا ؟ أليس احتمالا حتما احتمالا كريها رهيبا كئيبا ؟

أنه لحساب محتمل أن يهبط تخلفنا بتفوق هؤلاء المتفوقين وان يتحول الى معلم له ٠ ولكن ليس احتمالا البتة أن يصعد تفوقهم بتخلفنا وأن يتحول أي تفوقهم الى معلم لتخلفنا ٠ ان المرضى والضعفاء والملوثين قد ينقلون أمراضهم وضعفهم وتلوثاتهم الى الاصحاء والاقوياء والمتطهرين ، ولكن هل يحدث العكس ؟

أليس ممكنا أن يخمد أو يهزم أو يضعف أو يسكت أو يشوه أو يخاف أو يفسد أو يضلل او يروض أو يحكم ذكاء الذكي وقوة القوي وجمال الجميل واستواء السوي ؟ بل هل أمكن أو هل يمكن أن يحيا أي ذكاء أو جمال أو قوة أو أن يظل دون تشويه أو تضليل أو تحطيم أو انخداع أو اذلال أو أي معنى من معاني الافساد ؟

ولكن هل يمكن ان يتحول او يحول الدميم او المشوه او الضعيف أو البليد الى جميل أو سوي أو قوي أو ذكي بالمواجهة أو المعايشة أو الارادة أو بالتقليد أو حتى بالاحتياج والاضطرار ؟ أليس ممكنا ان تخفيأو تنيم أو ترهب موهبتك القوية ولكن هل يمكن ان تحول موهبتك الضعيفة الى موهبة قوية ؟

اذن أليس احتمالا أن نهبط بهؤلاء المتفوقين دون أن يوجد أي احتمال بأن يصعدوا بنا ٠٠ ان نهبط بذكائهم أو بقوتهم أو بشجاعتهم أو بصدقهم أو بنظافتهم ولو تظاهرا نفاقا أو رثاء أو اشفاقا أو تهذيبا أو تواضعا ؟

ولكن ما الذي يمكن أن يفعل العالم لو وعى هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة ؟ وما الذي يمكن أن نفعل نحن لكي لا نجني على العالم هذه الجناية لو وعينا هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة ؟ وهل في موهبتنا الاخلاقية أو الدينية أو الانسانية أن نرفض ونهاب الجناية على الاخرين أو على العالم كله لو استطعنا أن نفعل ذلك ؟

وقد يكون هذا الاحتمال أو هذه الحقيقة لا تزال محتاجة الى الكثير من التفسير ومحاولة الاقناع بها ٠ أن المفروض بل والمعتقد المصدق دائما هو العكس ، أي أن المتفوق لا بد أن يصعد بالمتخلف وأن يعلمه دون أن يهبط المتخلف بالمتفوق أو أن يعلمه ، أي حينما يتواجهان ويتعايشان ٠٠٠

ولكن الحقيقة الاخرى أو الحقيقة المناقضة أو الحقيقة الدائمة الواحدة هي : أن الاقوى والاذكى والاكثر تقدما وتحضرا ومواهب قد ينتصر أو لا بد أن ينتصر على الاضعف والاغبى والاكثر تخلفا وبداوة وجهالة ، وقد يحكمه ويقوده ويذله ويعلمه ايضا ، أو لا بد أن يفعل به وله ذلك ..

لقد حدث هذا في كل التاريخ ومحتمل أن يظل يحدث دائما . وأنه لجيد أن يحدث وأن يظل يحدث دائما .

غير أن هذا الاضعف الاعظم بلادة وجهلا وبداوة وتخلفا قد يثار لنفسه بلا تدبير أو حساب أو وعي ، وقد يتحول من متأثر الى مؤثر أو لا بد أن يفعل ذلك، أي قد يفسد هذا الاقوى الاذكى الاعظم خلقا وعبقرية ، وقد يعلمه ويحكمه ويذله ويفرض عليه ويشوه مواهبه ونماذجه وأخلاقه ويتدخل في صياغة ضميره ومثله ورضاه وغضبه واعجابه واشمئزازه وتقبله ورفضه ، أو لا بد أن يفعل به وله ذلك، يفعله بالتعويد والترويض والمواجهة الطويلة ، وبالاحتياج الى التوافق والمعايشة والرضا عن النفس والى التظاهر بالشهامة والتهذيب والتحضر وبالقدرة على التكيف وعلى الاقناع والتأثير . ان المتفوق قد يتناسى تفوقه أو يخفيه أو يضعفه أو يذله أو يشوهه استجابة او احتراما او تهذيبا لتفوقه او حياء منه او توددا الى نفط المتخلف..

ان ذكاء أي أنسان بل أو أي كائن ومنطقه ومواهبه واخلاقه لن تكون معزولة عن احاسيسه وحواسه ، عن عينيه أو اذنيه أو حبه وبغضه ورضاه وغضبه وعن لقاءاته وعلاقاته . ان هذه لن تكون معزولة عن هذه في أي انسان ولا في أي كائن اخر .. لن تكون معزولة عن التأثر بها وعن ايحاءاتها وضغوطها وعن أوامرها واتجاهاتها ..

وان هذه أي أحاسيسه وحواسه لن تكون معزولة عن مواجهاتها ومعايشاتها ومصادماتها وقراءاتها وتحديقاتها وممارساتها ، أي لن تكون معزولة عن الوجود المواجه المعامل المخاطب المناقض أو الموافق لها .

اذن فان ذكاء أي أنسان أو أي كائن ومنطقه ومواهبه واخلاقه لن تكون معزولة عن هذا الوجود المواجه المعامل المخاطب المحاور المناقض أو الموافق أي لن تكون معزولة عن الكون والاشياء وعن الناس المواجهين والمعايشين والمعاملين المناقضين المعادين او الملائمين المصادقين ..

ان معنى هذا أن ذكاء ومنطق وأخلاق ومواهب المتفوق لن تكون معزولة أو معصومة من تاثير واملاء وضغوط وتعليم ذكاء ومنطق واخلاق ومواهب المتخلف المواجه المعايش المعامل المخاطب المتعامل عليه وبه . وأيضا فان طموح المتفوق الى المزيد من التفوق قد يتراخى حينما يكون المواجهون له متخلفين لا متفوقين يخيفونه ويتحدون تفوقه .

اذن اليس معنى هذا اننا نحن لا بد أن نصوغ ونفسد ونعلم ونقود ونحكم ونشوه باسلوب ما مواهب واخلاق وأفكار ولغات وعيون وآذان وضمائر ونماذج

وطموح هؤلاء المتفوقين بمعايشتهم ومواجهتهم ومعاملتهم لنا ، وبكينونتهم معنا أو حتى فوقنا ، وبتحدثهم واستماعهم الينا ، وبتحديقهم الدائم فينا ، وبرغبتهم في أن يوجد بيننا وبينهم تلاؤم وتوافق ، وبرغبتهم ايضا في ان يكونوا انسانيين ومهذبين ورحماء وأهل شهامة ونخوة ونبل وتواضع وبساطة واريحية في لقاءاتهم وعلاقاتهم بنا وفي تحدي واذلال تفوقهم لتخلفنا ؟

وايضا برغبتهم في أن تكون علاقاتهم بنفطنا علاقات يرضى عنها تخلفنا بل تهبه الكبرياء والغرور ٠

أي أليس هذا يعني اننا لابد ان نتحول الى عدوان على جميع مستوياتهم الحضارية والانسانية والنفسية لاننا لا بد أن نتحول الى عدوان على جميع احاسيسهم وحواسهم ، بل الى تشويه وتضليل لها ؟ كيف وقد دخل نفطنا الرهيب المعركة ليفرض كل نماذجنا الحضارية والانسانية بل واللغوية على كل نماذج المتفوقين ؟

ماذا لو أن أشد الناس ايمانا والتزاما بالنظافة المادية والمعنوية واعنفهم اشمئزازا وغثيانا من الذباب والصرصار او أية حشرة تتحدى وتهين وتكذب ما تزعمه الالهة لنفسها أو ما يزعمه الزاعمون للطبيعة وللالهة من كبرياء وذكاء وطهارة ومنطق ورحمة ورعاية لصحة الناس وحماية لها وأهتمام بها ومن رفض للعبث وللسخف والضآلة ولتحقير الذات ٠

ـ نعم ، ماذا لو أن مثل هذا الانسان قد عاش طويلا في مجتمع من الذباب والصراصير وسائر الحشرات ، وكان محكوما عليه بأن يواجه ويساكن ويعامل ويخاطب ويحاور ويجامل ويحابي ويرضى هذا المجتمع الذبابي الصرصاري الحشري بل ويتلاءم ويتوافق معه ويتواضع له ويكون مهذبا كل التهذيب معه وفيه وانسانيا بكل معاني وصيغ الانسانية ، وبأن يكون ممتنعا ومحرما عليه أن يشعره أي أن يشعر هذا المجتمع من الذباب والصراصير والحشرات بأي معنى أو ايماءة من معاني أو ايماءات الاحراج أو الاذلال أو التصغير أو التفوق عليه أو تشكيكه أي تشكيك هذا المجتمع في أنه هو أكثر وأعظم المجتمعات حضارة ونظافة وتدينا وذكاء وقوة ، وكان ايضا محكوما عليه أي على مثل هذا الانسان أن يحدق دائما في مزايا وعبقريات هذا المجتمع وأنيقرأها ويفسرها ويعلنها ويكتب عنها ويضع الاناشيد في تمجيدها ، وأن يستمع دائما اليه ويتحدث دائما معه بل وان يعاشره معاشرة مواكلة ومعانقة ومصافحة بل ومزاوجة فيها كل العشق والهيام وتلاوة المغازلات الفضاحة ، بل وأن يزعمه أي يزعم مجتمع الذباب والصراصير والحشرات بأنه هو الواهب للشموس نظافتها وصعودها ٠

ـ نعم ، ماذا يمكن أن يكون أو يجيء أو يظل مثل هذا الانسان تحت مثل كل هذه الظروف والضغوط والالتزامات لو أمكن أن يقع مثل هذا ؟ ثم كيف لو كان هذا

المجتمع من الحشرات يملك نفطا مثلما نملك ليهدد به هذا الانسان مثلما نهدد بنفطنا كـل العالـم المتفـوق ؟

هـل يوجد أي احتمال أن يظـل على مستوى نظافته سلوكا أو ايمانا أو أن تظل فيـه موهبة الغثيان والاشمئزاز والاستقباح والرفض لاخلاق ومستويات الذبـاب والصراصير والحشرات كمـا هـي ، دون ان تصاب أي موهبة الغثيان والاشمئزاز والاستقباح والرفض فيـه ، بالموت أو الهزيمة أو الضعـف أو بالاستحياء والتخفي والتراجـع الشامـل ، دون أن تصاب بالفسـاد الشامـل ؟

بـل أليس محتملا أو محتوما جـدا أن يتحول مثل هذا الانسان الى معلم أو الى نبي يبشر ويعلم ويخطب عن مزايا وكرامات ونظافة الذباب والصراصير والحشرات ؟ أليس محتوما أو محتملا أن تتركب في مثل هذا الانسان عينا واذنا وضمير ومنطـق وكبرياء ذباب أو صرصار أو أية حشرة أخرى مماثلة ؟ وهـل يستطيع أي انسـان أن يعيش حياته أو نفسه أو عالمه ما لم تركب فيه عين حشرة واذن وضمير ومنطق واخلاق حشرة ؟

هل يستطيع إي عبقري أو متفوق أو عادي أو أي كائن اخر تفرض عليه معايشتنا الشاملة بكل لغاتها وتفاسيرها وصيغها وضغوطها وضروراتها ان يكون افضل حظا أو اقدر على الاحتفاظ بتفوقه وبخصائصه وعلى التعبير عن كل قدراته بكل احتمالاتها من مثل هذا الانسان الذي فرض عليه احتمالا معايشة مثل هذا المجتمـع الذبابـي الصرصاري الحشري بالاسلوب الذي افترض هنا مفروضا عليه ؟

نعم ، كيف وهذا المجتمع الذبابي الحشري يملك ان يهدد هذا الانسان بسلاح نفطنا ان لم يتخلق باخلاقه ؟

لو ان عددا كبيرا من العباقرة الحكماء المهذبين المتفوقين في جميع نماذجهـم النفسية واللغوية والاخلاقية والانسانية خاضوا منافسة عنيفة على معايشة أو امتلاك امرأة واحدة لا يوجد سواها ، جاهلة بليدة بذيئة حمقاء مستبـدة مغرورة شريـرة جدا ، فظفر بها واحد منهم ، وكان حريصا جدا على ان يرضيها ويعجبها ويتـلاءم معها ، مع كل ضعفها ونقائصها واهوائها ، وحريصا علـى الا يثير أو يـؤذي أيـة حساسية من حساسياتها أو بلادة من بلاداتها أو سفاهة من سفاهاتها وعلى ألا يرفض مطلبا او رغبة من مطالبها ورغباتها ، اي لئلا تتركه الى سواه الكثيرين المرحبين العاشقين المعذبين بعشقهم لها ، فهل يحتمل ألا تتحول هذه المرأة الى عدوان فادح على مزايا هذا الرجل الذي ظفر بها والى تشويه اجميع مزاياه والى افساد باهظ لها والى انزال له عن جميع قممه وقيمه ؟ كيف اذا كان مع ذلك مضطرا الى ان يقنعها بانه يراها كل الجمال والتهذيب والعبقرية والاصالة والقوة في كل اهوائها وتصرفاتها ونماذجها وتعبيراتها ؟

وهؤلاء المتفوقون المتنافسون بل المتقاتلون بوحشية ونذالة ومهانة على معايشتنا وعلى الافتضاح في عشقنا وفي استجداء اعجابنا وتقبلنا لهم ، لصلواتهم المتضرعة الباكية ولاكفهم الممدودة الينا بكل لغات الاسترحام والتوبة ، هل يمكن ان يكونوا اقدر على حماية مواهبهم واخلاقهم ونماذجهم الحضارية من افسادنا وتشويهنا لها ومن فتكنا بها وبشرفها ٠

ـ نعم ، هل يمكن ان يكونوا اقدر على ذلك من ذلك العبقري المتعامل مع تلك المراة المحكوم عليه بمعاشرتها وبالالتزام بارضائها واسعادها ، حينما يريد ان يحمي عبقريته ومستوياته الجيدة من الاذلال والافساد والتصغير والتحقير ومن تعليمها وترويضها على المستويات والتعبيرات المضادة ؟

كيف وتلك المرأة لا تملك السلاح المذل لكل ذوي المزايا الذي نملكه ؟ اي لا تملك سلاح النفط الذي فلقنا به كل الهامات ٠ هل يمكن ان تكون قدرة هذه المرأة على الاساءة الى شخصية هذا الرجل المتفوق العبقري وعلى تشويهها وعلى انزال جميع العاهات فيها اعظم من قدرتنا نحن على الهبوط بجميع مستويات هؤلاء المتفوقين الذين فرضنا عليهم أو الذين فرضونا على أنفسهم ـ على الهبوط بجميع مستوياتهم الحضارية والاخلاقية والنفسية والانسانية بل واللغوية ؟ كنا نزعم اننا نحن الذين ابتكرنا كل الحضارات ٠ ليتنا نتواضع لئلا تكون الحقيقة اننا نحن الذين علمنا المتحضرين الاساءة الى حضاراتهم ٠ قد يكون كل مجدنا ان نكره المتفوقين على الهبوط بتفوقهم تملقا ومحاباة ومعايشة لتخلفنا ٠

آه يا مبدعي الحضارات ٠ استعدوا لسحب كل معاني الكرامة منكم ٠ لقد دخل نفطنا المعركة ٠ اذن ويلي لكم يا مبدعي الحضارات ٠

اسمعوا .. كل الناس رعايا لنا

ايها الاصدقاء ، بل ايها الاعداء ايضا ·· هبونا شيئا من اشفاقكم ومن كرمكم ، ان اعظم وانبل اساليب اشفاقكم وتفضلكم الكريم علينا ان تعتقدونا وتفسرونا مصوتين لا يعنون شيئا أو يفكرون في شيء أو يلتزمون بشيء حينما يصوتون ·· لا ان تعتقدونا او تفسرونا متكلمين · رحمتكم ايها الاعداء والاصدقاء ، لا تعتقدونا متكلمين ولا تفسرونا كما يفسر المتكلمون لتعاملونا بشيء من رحمتكم وفسرونا اي تفسير اخر ··

هل يمكن ان تقسوا علينا مثل قسوتكم لو أنكم فسرتمونا أو أعتقدتمونا نتكلم حينما تسمعوننا وتجدوننا وتقرؤوننا نقول لانفسنا وعن أنفسنا وتقول لنا وعنا نبواتنا الخالدة الخاتمة ـ نبواتنا التي هي كل عبقريتنا ومجدنا وذكائنا وكبريائنا ، والتي هي كل عطائنا للحضارة والحياة والانسانية وكل مكاننا وجمالنا في التاريخ ·

نعم حينما تسمعون أو تقرؤون أو تجدون نبواتنا هذه تقول عنا ولنا بل تقول للعالم كله وللتاريخ كله من فوق كل منابر السماء ، بذكاء كل الالهة واذكى الالهة :

« الناس تبع لقريش في هذا الامر ·· كافر الناس تبع لكافر قريش ، ومسلم الناس تبع لمسلم قريش ·· » و « الناس تبع لقريش في الخير وفي الشر ·· » و « هذا الامر في قريش الى يوم القيامة · لا ينازعهم فيه منازع الا كبه الله في النار على وجهه ·· » · أواه · نعتذر اليك ايتها الكائنات ، ايتها الديدان الصغيرة ان كنت قد سمعتنا نتلو مجدنا هذا ·· نعتذر الى كبريائك وذكائك والى حيائك ··

اشفاقا ورحمة بنا وسترا لنا ايها السامعون والقارئون ·· نستنجد بكرمكم ونخوتكم وتهذيبكم ،اعتقدونا مصوتين أو مجانين محتملا شفاؤهم أو أي شيء اخر ، ولكن ـ عطفا ونبلا منكم ـ لا تعتقدونا متكلمين يفسرون ويحاسبون بما يقولون · لا تكونوا وحوشا وتحاولوا ان تفهمونا او تفسرونا حينما تسمعوننا نعلم او نشرع او نفكر أو نحاور أو نصلي او نتحدث الى النجوم ·

كيف يمكن ان ترونا او تجدونا او تقدرونا لو أنكم اعتقدتمونا متكلمين يفسرون ويحاسبون ويتمنون بما يقولون حينما تسمعون او تقرؤون عنا ومنا هذا الذي سمعتموه او قرأتموه الان ؟ ولكن مهما قرأتم او سمعتم هذا الذي سمعتموه الان هل تستطيعون الاقتناع بانكم قد قرأتموه او سمعتموه ؟ هل تجرؤون على ذلك ؟

واهولاه ·· واعاراه ! هل يوجد مكان بعيد جدا لا يوجد ابعد منه او مثل بعده لكي نهرب اليه فرارا من تحديقاتكم في جهالاتنا ووقاحاتنا ؟ أو هل يستطيع كل ما

في الطبيعة من تراب وأشياء ـ لو تحول الى أغطية وحجب مكثفة ـ ان يخفينا عن عيونكم ومشاعركم وعقولكم لئلا تقرأنا أو تفسرنا أو حتى ترانا ، أو حتى تعلم بوجودنا ؟

كيف نستطيع حينئذ مواجهة هجوم العيون والعقول والاخلاق والمشاعر والضمائر علينا اي لو حسبنا متكلمين لامصوتين فقط ؟ كيف تستطيع حينئذ جلودنا او وجوهنا أو عيوننا أو اعراضنا أو ضمائرنا ان تتحمل كل هجمات الاشمئزاز والتقبيح والتعيير والتحقير والرثاء والانفجاع التي لا بد ان تتهاوى علينا بكل القسوة والشمول والديمومة ؟

لو كان ممكنا ان نفسر متكلمين ، اي لو عوملنا بكل الوحشية وبكل ارادة التشويه والتحقير فزعمنا متكلمين فبماذا يمكن ان يفسر زعمنا واقتناعنا بأن الناس جميعا وفي جميع العصور وتحت جميع الظروف الحضارية والتاريخية لا بد أن يظلوا اتباعا ورعايا لقبيلة قريش ، لسلطانها وخلافتها ولايمانها وكفرها ولتقواها وفجورها ولذكائها وغبائها ولحضارتها وبداوتها ، ولعلمها وجهلها ـ ان يظلوا رعايا وأتباعاً لها بالرضا او بالاكراه ، في كل ذلك ، ما ظلت الشمس مصلوبة في مكانها ، مستجيبة ببلاهة وهوان لاوامر ورغبات قبيلة قريش ، الآمرة لها بأن تظل أبدا في مكانها ضيفا محتقرا مهانا في صحاراها وبين خيامها ؟ أليست الشمس وكل شيء ملكا للبشر ومن أجلهم وتبعا لهم ، ثم أليس كل الناس تبعا لقريش ومن أجلهم وملكا لهم ؟ اذن اليست الشمس وكل شيء ملكا لقريش وتبعا لهم ومن اجلهم ؟

هل يمكن ان يفسر زعمنا هذا بانه اسلوب لا نموذج له من اساليب العنصرية أو العرقية ؟ هل هذا تمجيد فيه كل الجنون والبذاءة لقبيلة قريش ام هجاء لها ولكل الناس ؟ هل التفسير ان قبيلة قريش لا بد ان تسود وتحكم العالم في كل التاريخ ام التفسير أنها لا بد أن تعلم وتحضر العالم ؟ هل المعنى انها سوف تظل قائدة كل الشعوب ، ابد الدهر ام انها سوف تظل معلمة لكل الشعوب كل حضاراتها ومعارفها واخلاقها في كل عصورها ؟

هل هو تشريع وأمر يعني المطالبة بالالتزام به ام هو رواية تعني الانباء الذي يعني النبوة أو النبوءة ؟ اي هل نحن بقولنا هذا نطالب العالم ونفرض عليه ان يكون تابعاً ورعية لقبيلة قريش يتعلم منها الخير والشر والتقوى والفسوق والايمان والكفر، ويطيعها حاكمة حامية له الى يوم الدين ، ويتعلم منها أيضا الحضارات وكل العلوم والفنون ، والا أي وان لم يطع هذه المطالبة والفرض عليه فلا بد ان نصدر الاوامر الى الاله اي الى الـه قبيلة قريش ليصنع ويوقع كل غضبه وعذابه وعقابه به أي بالعالم الذي لم يطع الامر المطالب له والفارض عليه ان يتعلم كل شيء من قبيلة قريش والا يكون له حاكم أو سيد مطاع سواها ، أم نحن هنا لا نواجه أوامر وانما نحن نبوات وانبياء نخبر عن واقع مقبل قد تكذب وتتخلف وتتأخر قوانين الطبيعة وأخلاقها ومجيئها في مواعيدها وفي اماكنها وبأساليبها المتقررة المحتومة ولا يكذب أو يتخلف أو يتأخر هو أي الواقع المقبل الذي نخبر والذي أخبرنا عنه ؟

نعم ، هل نحن بقولنا هذا نشرع ونلزم ام نخبر ونروي ام نحن هذا وهذا ؟ واي هذه الاحتمالات الثلاثة اكثر احتواء للتمجيد ولارادة التمجيد ، اي ان نكون مشرعين ام مخبرين ام ان نكون الاثنين معا ؟

وهل من المجد أو الثناء على اي قوم أو لاي قوم ان يكونوا معلمي كـل البشر الخير والشر ، الكفر والايمان ، الذكاء والغباء ، الحضارة والبداوة ، التقوى والفجور ، وان يكونوا قادة كل البشر الى كل ذلك ، وأن يكون كل البشر اتباعا لهم في هذا كله ؟ هل يمكن ان يستحق اي ثناء او اي مجد معلم أو واهب أو خالق كل شيء لو وجد مثل هذا الكائن الخرافي ؟ بل ألا يستحق كل الذم والغضب والاحتقار ؟

أليس الذين يعلموننا كل ذلك ـ لو وجد مثل هؤلاء ـ ويقودوننا اليه هم جناة وظلمة ومعتدون ومسيئون وأشرار ، وليسوا محسنين أو واهبين أو عادلين أو خيرين أو محمودين أو بناة لان النقيض الرديء في هذه العطايا والاشياء المتناقضة هو اكثر واقوى وأشمل من النقيض الجيد ؟ أليس كل شيء جيد لا بد أن ينتهي نهاية غير جيـدة ؟

أليس الذي يهبنا أو الذي يفعل اشياء جيدة اقل واشياء رديئة اكثر هو مسيئا ومعتديا وشريرا وليس محسنا او معطيا أو طيبا ؟

ماذا لو أن كائنا ما وهبك كل الامك واحزانـك ومشاكلـك وعـارك وبلاداتـك وهزائمك وفضائحك وكل عجزك وجهلك واخطائك وكل عاهاتك وأناتك ، ثم وهبك كل ما عندك وكل تعاني وما لا بد أن تعاني نقيضا لذلك ؟ هل يمكن ان يكون لهذا الكائن الا تفسير واحد ، هو أنه شرير ورديء ونذل وعدواني بلا شبيه ؟ هل يمكن ان يعد كريما أو حكيما أو صديقا من وهب الحياة كل شرورها وكل صالحاتها ووهب الوجوه كل جمالها وابتساماتها وكل قبحها وعبوسها ونهايتها وشيخوختها ؟ أو ماذا لو أن كل ما لدى البشر من حضارات وصناعات وفنون وتقدم ومعارف ورخاء كان هبة واهب واحد ، وكان كل ما لديهم وكل ما يقاسون ومـا لا بـد ان يقاسوا ومـا قاسوا من نقائض ذلك كان ايضا هبة هذا الواهب الواحد ؟ هل يمكن حينئذ ان توجد موازين تستطيع ان تزن ذنوب وشرور ونـذالات وعدوانيات هـذا الواهب الواحـد العجيب ؟

هل يمكن تصور متبوع او معلم أو قائد اوقح واقبح واكثر شرورا من كائن قد تبعه كل الاشرار والكفار والضالين وكل الاخيار والمؤمنين والمهتدين في مسيرتهم الى طريقهم ، وعلمهم كل ما فعلوا واعتقدوا واعلنوا ونووا وامتدحوا وباركوا ، وقادهم الى كل ذلك ؟هل يمكن تصور اردأ وأضل من نبي قد قاد بنبوته كل الاشرار والزنادقة والفسقة ، وأيضا كل الاخيار وكل اهل التقوى والايمان ، وايضا علمهم بنبوته كل مسيراتهم المختلفة المتناقضة ، وأيضا قادهم بنبوته الى كل مسيراتهم هذه ، وايضا اصبح متبوعا لهم في كل هذه المسيرات ؟

هل يمكن تصور ذنوب او جرائم مثل ذنوب وجرائم مثل هذه النبوة ؟ هل يمكن ان تكون مشكورا أو شهما أو محسنا لو أنك وهبت انسانا عينين جميلتين ثم خلقته بلا اذنين او بلا انف ، او لو أنك قبلته مئة قبلة صداقة ثم بصقت عليه بصقة وقاحة واحدة ؟ او هل يمكن ان تكون طبيبا جيدا لو أنك عالجت احدى عيني مريض ما ولكنك امرضت عينه الاخرى التي كانت سليمة وزدت على ذلك بأن شوهت انفه وقطعت احدى اذنيه ؟ وهل استطاع حاكم أو قائد أو نبي واحد في التاريخ ان يعالج احدى العينين دون ان يعمي الاخرى ويقطع الاذنين ايضا ؟

اما الحكم على قوم او اختيارهم ليكونوا حكام وخلفاء وسلاطين وقادة كل الناس في كل التاريخ الذي كان والذي سوف يكون فلن يكون هناك تصور للعقاب والتوريط والاتهام والتشويه مثل هذا الاختيار او هذا الحكم على مثل هؤلاء القوم ·· ان هذا الحكم أو الاختيار يساوي في قبحه وقسوته الحكم على كائن ما او اختياره ليكون هو الخالق والمريد والمدبر لكل هذا الكون ولكل ما فيه ومن فيه المسؤول عنه ··

لو أن حكام وقادة كل البشر في كل العصور الماضية والحاضرة والآتية قد حوسبوا جميعا على جميع ما فعلوا ودبروا وخططوا ونووا واوقعوا ، وايضا على جميع ما قاسوا وواجهوا ، اي لو حوسبوا وحسبوا كائنا واحدا مسؤولا عن كل ذنوبهم وشرورهم واخطائهم ومقاسيا لكل الامهم واحزانهم ومواجهاتهم الرهيبة فهل يمكن تصور جناة اشرار وخاسرين معذبين مثلهم او مثل هذا الكائن الواحد بالافتراض ؟

ان جميع ذوي المزايا والحظوظ الجيدة منهم لا بد حينئذ ان يذوبوا ويغيبوا عن كل الرؤية والتفكير والحساب في زحام ومواكب الاخرين المناقضين الذين لا بد أن يصبحوا هم كل الرؤية والمشهد والتاريخ والتفسير ··· انه لو خلط القادة والحكام والمعلمون الطيبون والنافعون والمعطون والسعداء بنقيضهم من القادة والحكام والمعلمين لما امكنت رؤيتهم ··

لنفترض للبشر جميعا منذ وجدوا الى نهايتهم ان كانت لهم نهاية لنفترض لهم حاكما قائدا واحدا ، ثم لنفترض ان هذا الحاكم القائد الواحد قد حكم وقاد جميع البشر مثلما حكمهم وقادهم جميع حكامهم وقادتهم في كل عصورهم ، وانه اي الحاكم القائد الواحد قد قاسى وواجه من الآلام والهزائم والهموم والمخاوف والموت كل ما قاسى وواجه جميع هؤلاء الحكام والقادة في كل العصور أيضا ·

لو اننا قد جرؤنا على ان نفترض هذا الافتراض فهل يمكن ان نتصور كائنا قبيحا وسفيها وشريرا وجانيا وبليدا جاهلا ، وايضا خاسرا ومظلوما معاقبا معذبا مثل هذا الحاكم القائد ؟ لقد كانت الام الحكام والقادة والانبياء وهزائمهم وهمومهم وعارهم وجنونهم وكذا كانت شرورهم وأخطاؤهم وبلاداتهم وحماقاتهم ومغامراتهم موزعة عليهم جميعا لهذا لم تر أو تحاسب بكل بشاعاتها · آه لو انها تجمعت في ذات واحدة ، لو أن الحكام والقادة والانبياء تجمعوا في واحد منهم ! ··

اذن فالقوم الذين يفرض عليهم ان يكونوا قادة وحكاما وخلفاء بل وانبياء لكل الناس في كل العصور ، أو يختارون لذلك ليكونوا مسؤولين عن كل تفاسير ومنطق اختيارهم ، وليقاسوا ويواجهوا كل ما قاسى وواجه وما سوف يقاسي ويواجه كل الحكام والقادة والخلفاء والانبياء في كل العصور ٠

نعم ، مثل هؤلاء القوم المفترضين لو امكن افتراضهم هل يحتمل انه قد اريد تمجيدهم أو تكريمهم أو الثناء عليهم او اسعادهم أو تخصيصهم بكل اسباب وشروط الراحة والمسرات والرضا عن النفس وعن الناس وعن الحياة وعن الالهة وعن الاقدار ؟ بل هل يمكن انه قد أريد بهم أو لهم غير اقصى اساليب التحقير والذم واقسى اساليب التعذيب والترويع والتشويه ؟ انه لا يمكن ان يحسب الحكام والقادة بل والانبياء حالة من حالات المجد لانفسهم ولا حالة من حالات السعادة أو المسرة لانفسهم ايضا ،انهم خروج على مجد انفسهم بقدر ما هم خروج على سعادة ومسرات انفسهم٠

لماذا يختار الناس لانفسهم ان يكونوا قادة وحكاما بل وأنبياء ؟ لماذا يقاسون كل الافتضاح والعار والنذالات والمخاطر بل والهوان والمذلات والهزائم والعذاب والشتائم والاتهامات لكي يكونوا قادة وحكاما بل وانبياء حتى ولو على اضعف واردأ المقاسات والشروط وتحت اقبح واسوأ الظروف وفوق اصغر واجهل وافقر المجتمعات ؟ هل هو أسلوب من اساليب العطاء والرحمة والشهامة والموت من اجل اعطاء الاخرين الحياة والرخاء والحضارة والتقدم والمعرفة والذكاء والامن والسلام ؟ هل هو نموذج من الحب والفداء يموت كل خيال عجزا عن التحليق الى سمائهما وعن التصور لهما ؟

ان هذا التفسير لنيات وحوافز الحكام والقادة بل والانبياء لهو تفسير يجب الا يجرؤ احد على وضعه حتى ولا بين اضعف واكذب التفاسير للناس وللاشياء ٠ واذا جرؤ اي حاكم أو زعيم بل أو نبي على أن يفسر نياته وحوافزه ـ ولو بأسلوب الاحتمال والظن ـ هذا التفسير فلن يكون له ند في وقاحته وبذاءته أو في بلادته وغفلته او في كل ذلك ٠ ولكن اليس محتوما ان كل من يقاسي المقاساة البذيئة الكئيبة التي يقاسيها كل من أراد أن يكون حاكما أو قائدا أو نبيا فلن يكون له ند في بذاءته ووقاحته وأحيانا في بلادته وغفلته ؟

هل التفسير اذن هو البحث عن المجد للذات وللاسم ؟ هل تستطيع اية محاسبة او محاكمة لجميع الحكام والقادة بل والانبياء مجتمعين او لكل حاكم وقائد منفردا ان تكون اي هذه المحاكمة والمحاسبة لمصلحة المجد ولارباحه لا لمصلحة وارباح العار والهوان والخزي والسقوط والمسبات ؟

اذا كان هذا هو حساب من يقاسون الى حد الجنون والموت والافتضاح ليكونوا قادة وحكاما بل وانبياء فهل يوجد حساب اغبى واجهل واخسر من هذا الحساب اي من حساب من يريدون ان يكونوا حكاما وقادة وانبياء ؟ ان اعظم الانبياء والقادة لو حوسبوا وفسروا بكل كينوناتهم وتفاسيرهم ونياتهم ونتائج مجيئهم لما وجد أو بقي لهم أو في حسابهم اي مجد أو ربح أو سعادة ٠

نعم ، ان كان الحكام والقادة بل والانبياء ايضا يجيئون بحثا عن المجد والشرف لذواتهم ولاسمائهم فلن يوجد من يساويهم في جهلهم وغبائهم وخسرانهم وعجزهم في الحساب والتوقع وفي فنون التنبؤات وقراءة النجوم ‥ ان اعظم مواهب الحكام والقادة والانبياء هي قراءة النجوم مع انهم هم اجهل الطوائف بقراءتها ‥

اذن هل التفسير انهم يجيئون بحثا عن النشوة واللذة والراحة وعن كل احاسيس البهجة والسرور لانفسهم ، بحثا عن كل ذلك فى حشود المخاطر والمخاوف والاحزان والمتاعب والالتزامات المؤرقة المعقدة ، وتحت تهاوي الشتائم والاتهامات والاشاعات ، وأيضا تحت كل احتمالات الشنق والصلب والطرد وكل الاحتمالات الاخرى التي تحابي أو تظلم وتستضعف حينما تسمى وتحسب احتمالات فقط لا واقعا محتوما ؟

ان كان ذلك كذلك فليس هنالك عبقرية تساوي عبقريتهم في قدرتهم على تحويل الجحيم الى فردوس ، وتحويل الموت والخوف والخطر والسباب والاتهام والعجز والضياع والهزائم والهموم والعار والوقاحة والافتضاح وكل اصناف العذاب والورطات والمشاكل والمتاعب التي لا علاج لها الى لذة وبهجة وراحة ، أو رؤية أو تصور أو اعتقاد ذلك كذلك ٠ نعم ، هل يوجد مثل الحكام والقادة والانبياء في رؤية الشيء في نقيضه وفي حسبان الاشياء وزعمها نقيضا لنفسها ؟

انه لا مثيل لاعضائهم ومشاعرهم وخيالاتهم ورؤاهم في ضلالها وبلادتها وهوانها وفي عجزها عن التمييز بين اللذة والالم وبين الراحة والتعب وبين الابتسام والعبوس ٠ ان اعضاءهم ومشاعرهم وخيالاتهم ورؤاهم لاشد ضلالا وبلادة وغواية من عقولهم وأفكارهم ومذاهبهم ونظرياتهم ومن تعاليمهم ‥

ان ضمائرهم واحاسيسهم واجسامهم معطلة الوظيفة ٠ انها لا تستطيع ان تذوق الاشياء أو تذوق مواجهاتها ومعاملاتها مع مواجهاتها ٠ انها لا بد أن تكون فاقدة التذوق ، بل ضالة التذوق ، معكوسا تذوقها ٠

ان ضلال الاجساد والاعضاء والضمائر والاحاسيس والتصورات وبلادتها وفقدها لوظيفة التذوق ولذكاء التذوق وضلال تذوقها هو اقبح ضلال وبلادة وفقد ٠ انه اقبح من ضلال العقول والافكار والمذاهب والحواس والتعاليم ومن بلادتها وفقدها ٠ نعم ، هل يوجد ضلال يساوي ضلال اجساد وضمائر ومشاعر وتصورات ونشوات الانبياء والقادة والزعماء والحكام ؟

ان اكثر اخطاء البشر في التفكير والايمان والرؤية والحكم ليست الا تعبيرا عن الخطأ فى الاحساس والتذوق والتصور والاشتهاء ‥

انه يبقى تفسير واحد لمجيء الحكام والقادة والانبياء ولمقاساتهم لكي يصبحوا حكاما وقادة وانبياء ٠ انه تفسير لا يخشى عليه من أية مواجهة أو مهاجمة أو منافسة أو مناقضة ٠ نعم ، ان التفسير لمجيء النبي هو نفس التفسير لمجيء القائد والحاكم ٠ وان التفسير لرغبة هذا وسعادته في ان يصبح نبيا هو نفس التفسير لرغبة وسعادة ذاك في ان يصبح قائدا أو حاكما ‥ ان مجيئهم وكفاحهم البذيء المهين لكي يصبحوا حكاما وقادة وانبياء ليس الا بحثا عن أسلوب شامل حاد جهير من

اساليب الرغبة في توقيع اقسى الوان التعذيب والارهاب والاقلاق بالذات وبالاخرين بل وبالطبيعة وبكل الاشياء ايضا ٠ ان شهوة توقيع كل ذلك بالنفس وبالطبيعة وبكل شيء وبالاخرين شهوة كشهوة الجنس والمجد والقوة والانتصار والتفوق ٠

انه ليس محتوما ان يعي هذه الرغبة من يقاسونها ويدينون لها وينفذونها بل قد يكون محتوما ألا يعوها ٠ ولو أنهم وعوها لما تحول وعيهم لها الى خروج عليها او الى تعجيز لهم عن تنفيذها او الى تزهيد لهم فيها ٠ ان هذه الرغبة لن تموت أو تضعف او تتوارى أو تهرب لو عرفتها كل الاسواق والمحاريب والمنابر ٠ان الرغبات لا يهزمها أو يضعفها بل أو يخجلها وعي تفاسيرها ٠٠

ان الحب لا يموت ولا يكره نفسه بمعرفة اسبابه أو أخلاقه ٠٠

ان الرغبة في تعذيب وترويع واقلاق وفي اثارة وفجيعة الذات والاخرين بل والطبيعة وكل الكائنات والاشياء لا تحتاج الى تحديق طويل أو حاد أو ذكي جدا لكي تصبح مرئية مقروءة مفسرة بكل اللغات والمذاهب والاخلاق والشعارات ، بل مسوغة مزكاة مدعوا اليها بكل ذلك ٠

تعالوا لنقرأ ونفسر ونحاسب اي سلوك يأتيه وينويه اي كائن لنعرف صدق هذا التفسير وشموله ٠٠

مثلا ٠٠ الاله لماذا جاء وعاش وجوده كما عاشه ويعيشه ؟ ولماذا خلق الكون والناس كما خلقه وخلقهم ، ولماذا طالبهم كما طالبهم وبما طالبهم وبالاسلوب الذي به طالبهم ؟

هل يحتمل ان يكون لهذا اي تفسير سوى ارادة الترويع والازعاج والاثارة والاقلاق والتعذيب لذاته وللناس ولكل كائن اخر ولكل شيء ؟ حتى الملائكة ، هل يمكن ان يكون الاله قد أراد بما فعل ودبر شيئا لهم سوى ان يزعجهم ويخيفهم ويثيرهم ويقلقهم ويعذبهم حتى ولو باحصائهم على البشر وبمواجهتهم لهم وبتعاملهم معهم وفيهم وبهم ؟ هل يمكن ان يكون في وظائف الملائكة هذه غير اقسى اساليب التعذيب والارهاق والاغضاب لهم ؟

والشيطان ٠٠ لماذا خلقه الله وخلده وكلفه بما كلفه ؟ هل يحتمل ان يكون لهذا النبأ او لهذه القصة المروعة او الرائعة تفسير غير رغبة الاله في ان يوقع كل الاهوال والشرور بنفسه وبالشيطان وبالبشر ؟ ابحثوا ايها المرضى بالتفاسير المروية عن القبور ٠ ابحثوا كثيرا ولكن لا تنتظروا ان تجدوا اي تفسير لهذه المأساة الالهية الشيطانية الانسانية غير هذا التفسير ٠٠ان كل عبقرية البشر لو تحولت الى عبقرية تفسيرية لما استطاعت ان تجد اي تفسير لخلق الشيطان غير هذا التفسير ٠

ثم الشيطان نفسه لماذا طالب الاله بأن يكلفه بافساد البشر واشقائهم وبأن يهبه الانتصار والتفوق عليه اي على الاله ، وايضا بأن يهبه الخلود لكي يظل ابدا مفسدا مشقيا للبشر منتصرا متفوقا عليه اي على الاله ؟ هل يمكن ان يوجد في جميع خزائن التفاسير او في جميع التفاسير المدفونة داخل احشاء المقابر ، في توابيت

المعلمين والمفسرين والقديسين ـ هل يمكن أن يوجد في جميع ذلك أي تفسير لهذا غير رغبة الشيطان في أن يوقع كل اساليب وصيغ التنكيل بنفسه وبالاله وبالملائكة وبالبشر؟ لعله لا يوجد من ينافس الشيطان في هذه الرغبة اي في رغبة التعذيب للنفس وللاخرين ولكل شيء الا الاله ٠ لعل الاله هو بطل الابطال في هذه الرغبة ٠

نعم ، هذه القضية أو القصة ان كانت واقعا فلماذا جاءت هكذا ، وان كانت تصورا فلماذا جاء تصورها هكذا او لماذا تصورناها هكذا ؟ وايهما اقوى هجاء وتعذيبا وتحقيرا للانسان : ان تكون واقعا ام ان تكون تصورا ؟ أليس التصور البليد انذل واقبح من الواقع الاليم البليد ؟

أليس تصورنا لها هكذا يعني حتما انه مغروس في منطقنا وضمائرنا وفي كل معاني حياتنا وضروراتنا واحتياجاتنا ان كل سلوك وتدبير حتى سلوك وتدبير الآلهة والكائنات الغيبية السماوية وكل الكائنات الموجودة والمتصورة الطيبة والرديئة، محكومان اي كل سلوك وتدبير بارادة التعذيب والتخويف والازعاج والاثارة والاقلاق للنفس وللاخرين ولكل شيء وكل احد ؟

لهذا لم نستطع ان نتصور اي كائن ليس محكوما بهذه الرغبة وهذا السلوك والتدبير حتى ولا الاله ، حتى ولا الشيطان ،اشهر واعظم نموذج للمأساة وللاضطهاد وللمتهم الصابر الكريم البريء ٠ أليس محتوما ان نتصور هذه القصة تصورا اخر لو كنا نتصور ان اي كائن قد يستطيع ان يكون بسلوكه ونياته خارجا على رغبة التعذيب والعدوان هذه ؟

ولكن البشر ٠٠ ماذا ؟ ماذا يمكن ان تكون تفاسيرهم ؟

هل يمكن ان يفسر اي شيء فيهم أو منهم بغير هذه الرغبة العدوانية على النفس وعلى الاخرين وعلى كل شيء ، حتى على الالهة والابالسة والملائكة وعلى الحيوانات والحشرات ؟ وهل للبشر رغبة عدوانية مثل رغبتهم في العدوان على الالهة ؟

لماذا يجيئون ويريدون المجيء والبقاء ويصنعون المجيء للاخرين المسمين ابناء واحفادا وقطع اكباد ؟ لماذا يصر الشيوخ والمرضى والمعذبون والمشوهون جدا والذين هم كل التعذيب والترويع والاقلاق والخسران لانفسهم ولاقاربهم ولكل من حولهم بل ولضمائر الالهة وعيونها ولاعجابها بموهبتها وبرضاها عن نفسها وعن رحمتها وشهامتها وعن موهبة الحب والصداقة والكبرياء والكرامة والشرف فيها ـ نعم ، لماذا يصر هؤلاء على البقاء ؟ هل يوجد شيء لا يستطاع تقبله أو غفرانه مثل رغبة كل الناس في البقاء واصرارهم عليه مهما كانت آلامهم واحزانهم وتشوهاتهم وخسرانهم واليأس منهم ، ومهما كان تعذيبهم وترويعهم لكل من حولهم ، لكل من يحبون ؟

لماذا آمنوا بالالهة وبكل الكائنات الغيبية وتصوروها بكل هذا الجبروت والقسوة والقوة والشمول والكآبة والانانية والغضب، وبكل هذا الحب للذات والانتقام لها ، وبكل هذه الرغبة في العقاب وفي الاحصاء عليهم وفي محاسبتهم حتى على وظيفة الخفقان والرؤية والجوع والتحديق والتساؤل في قلوبهم وعيونهم واعضائهم

وضمائرهم وعقولهم ؟ انهم لم يتصوروا شيئا واحدا يعاقب اعضاءهم وحواسهم وأحاسيسهم على وظائف الحياة فيها مثلما تصوروا الالهة والكائنات الغيبية الاخرى.

ولماذا تصوروا هذه الكائنات والالهة تملك وتعد لهم كل هذه الاهوال ـ البعث والحشر والحساب والجحيم والزبانية الحراس لكل هذه الاهوال ـ هذه الاهوال التي تصورها ، التي مجرد تصورها والحديث عنها لن يبقي للالهة ولا لهذه الكائنات ولا للانسان ولا لاي شيء اية كرامة او كبرياء او وقار او ذكاء او ابتسامة أو محبة أو شهامة أو منطق أو أمل أو عزاء ـــ التي مجرد تصورها والحديث عنها والاستماع اليها والصلاة بها لن يترك لاي خيال ولا لاية أذن أو كلمة أو صلاة اي تفسير ذكي أو كريم أو محترم ؟

هل بقي للخيال اي شرف أو مجد أو كرامة أو كبرياء بعد أن تخيل اهوال البعث والحساب والجحيم بكل زبانيته ؟

نعم ، أي فم يتحدث عن الجحيم الذي خلقته واعدته آلهة الانبياء لتعاقب به ، او أي خيال يتصور هذا الجحيم ، او أية اذن تستمع الى الحديث عنه او أي قلب يصلي به هل يمكن ان يكون لها اي لهذه الاذن او الفم او القلب أو الخيال اي تفسير لا تصاب بالغثيان والاشمئزاز من قبحه وبلادته كل ضمائر واخلاق وانياب وأظافر كل الوحوش ؟ .. كيف أطاقت الافواه أو الاذان أو القلوب أو العقول أو التقوى أو التصورات أو الكرامة ان تتحدث عن هذا الجحيم أو تستمع الى الحديث عنه أو أن تتصوره أو تصلي به أو تفكر فيه ؟

وايضا لماذا تصوروا اي البشر هذه الكائنات الغيبية والالهة فارضة عليهم كل هذه التعاليم والعبادات والالزامات التي يستحيل الالتزامات بها والقدرة عليها ،واضعة عليهم اقسى واقصى اجهزة وزبانية الاحصاء والمراقبة والاستخبارات ، ملقية بهم تحت اقسى وادوم واشمل تحديقاتها البذيئة الرهيبة الوقحة بلا حدود أو نموذج أو خلاص من احاطتها ومحاصرتها ، مهددة لهم بتلك الاهوال التي لا بد أن تموت خوفا واستفظاعا وتدينا ضمائر وعيون وقلوب واظفار وانياب الوحوش لو تصورتها ـ مهددة لهم بكل تلك الاهوال لو أنهم عجزوا عن اقوى الالتزام سلوكا ونية ومنطقا وحديثا بكل تلك العبادات والتعاليم والتشريعات والاوامر والنواهي التي تعجز كل القدرة وكل النيات الصادقة المصدقة المؤمنة المقهورة بالخوف وبالايمان عن الالتزام باية واحدة منها ؟ ان افجر الناس لن يتفوق على الانبياء وعلى اتقى الناس بالعجز عن الالتزام بتلك التعاليم والعبادات والالزامات ..

ولماذا آمنوا بالزعماء والقادة والمعلمين والانبياء الحاقدين المتوترين المتعصبين الكارهين الشتامين المرضى بالطموح وبشهوات الاستعلاء والاستعراض للذات وللجنون ، الصانعين للحروب والعداوات والخصومات والثارات ، وللمذاهب والاديان والقوميات والوطنيات المتعادية المتقاتلة المتشاتمة ؟ بل ولماذا تصوروهم وتمنوهم كذلك بل والهموهم ان يكونوا كذلك ؟

ولماذا هتفوا وصلوا لهم وحرضوهم بهتافهم وايمانهم وطاعتهم على المضي الى جميع حماقاتهم ومغامراتهم القتالة تحت دقات وهتافات وصلوات جميع الطبــول والاجراس والمآذن ، وتحت أعلام وانشاد وتفاسير ومبايعة جميع الايات والاحاديث والاناجيل والاسفار والشعارات والمذاهب ؟ لماذا حولوا في جميع العصور جميع الايات والاحاديث والاناجيل والاسفار والمذاهب الى اناشيد وتفاسير وهتــاف لجنونهــم المقاتــل المخرب ؟

ولماذا يطيعونهم كلما جنوا أو توتروا أو حقدوا أو غضبوا أو مرضوا بالطموح او بشهوات العرض والاعلان والدوي والاثارة والصعود فوق الاعاصير والامواج والاهوال والآلام أو مرضت اعصابهم ونفوسهم وحساباتهم ورؤاهم ، فراحوا يتداوون من ذلك بكل ما في مقابر التاريخ من جثث وجنازات ودماء وهموم وخراب وضياع وتعاسات دفنوها فيها اي في مقابر التاريخ ٠

نعم ، فراحوا يتداوون من كل ذلك ويفعلون كل ذلك بسوقهم الى كل ما فــي مقابر التاريخ والى كل ما في ضمير واعصاب التاريخ وكل ما في نياته وخططه المقبلة من حروب وعداوات وخصومات وشتائم وويلات دينية أو مذهبية أو وطنية أو قومية أو أنسانية أو بلا انتماء ؟ لماذا تقبلوا دائما ان يكونوا هم الدواء القاتل الذي يتداوى به القادة والزعماء والمعلمون المرضى من الداء الذي زرعوه هم فيهم بهتافهم وطاعتهم لهم وبايمانهم بهم ؟

لماذا يلد الانسان الأنبياء والقادة

لماذا يلدون هؤلاء القادة والزعماء والمعلمين والانبياء الفادحين المخربين ؟ لماذا يستفرغونهم ويفرزونهم ويحتلمون بهم ، ويتضرعون الى ما في الطبيعة من اظفار وانياب ومن قدرة على التخريب والتقتيل والترويع والتفجيع ومن مواهب متوحشة عدوانية لكي تتأنق اي الطبيعة وتتقاسي في صياغة هؤلاء القادة والزعماء والانبياء والمعلمين وصياغة عبقريتهم في ابتكار الجنون وفي الاقدام عليه وفي تنفيذه بكل البسالة والوقاحة والضجيج ، ثم في اهدائهم اليهم؟ انهم يلدون ويستفرغون ويفرزون القادة والزعماء والمعلمين باسلوب فيه كل معاني العدوان عليهم هم وعلى كل شيء وعلى نفس القادة والزعماء والمعلمين ..

هل عرفت للبشر عبقرية تساوي عبقريتهم في قدرتهم على ولادة واستفراغ وافراز هؤلاء الانبياء والمعلمين والقادة والزعماء الفادحين المخربين ، وفي اشواقهم الى مجيئهم وفي هتافهم بهم ليجيئوا وفي تحريضهم لهم على المجيء وفي قدرة هتافهم على المجيء بهم ؟ وهل للجماهير عبقرية غير عبقرية ولادتها واستفراغها وافرازها وبصقها لهؤلاء القادة والزعماء والمعلمين ، اي لهؤلاء المعادين لها وللحياة ولكل شيء ؟

ان قدرة هتاف الناس على المجيء بالقادة والزعماء والمعلمين وعلى صياغتهم وصياغة حماقاتهم وذنوبهم ووحشيتهم وعاهاتهم لاعظم من قدرة الزعماء والقادة والمعلمين على المجيء ومن اشواقهم الى المجيء ومن قدرتهم على ان يصوغوا انفسهم او يصوغوا مواهبهم العدوانية الباهظة .

ايهما الزارع في القائد او في الزعيم المتوحش انيابه : هتاف الناس له ام هتاف شروره به ؟ وهل يمكن ان يسمع هتاف شروره به أو أن يستجيب لها لولا هتاف الناس به : بل هل يمكن ان يعرف ان في داخله شرورا جيدة قادرة على التدمير لولا هتاف الهاتفين بـه .

وايضا لماذا يحقدون ويحسدون ويغارون ويتشاتمون ويتعادون ويتخاصمون ويتنافسون ويتقاطعون ويتراشقون بالاتهامات والبذاءات ؟ ولماذا يتبارزون ويتفاخرون ويتبادلون التحديات والتهديدات والتذكير بالذكريات الاليمة المهينة وبالمعاملات والعلاقات الماضية الفاجعة المسيئة الرديئة ؟ ولماذا يقرؤون التاريخ بالامه واحزانه وعاداته وحروبه وكروبه وخصوماته ومشاتماته ، بل لماذا يقرؤون كتبهم المقدسة

ونبواتهم وانتصاراتهم وامجادهم ؟ هل يمكن ان يقرأ التاريخ والكتب المقدسة وتاريخ النبوات من لا يعشقون العذاب والعار ؟

بل لماذا يصادقون ويحبون ويمتدحون ويألفون ويعجبون ويحنون ويشتاقون ؟ حتى الحب والالف والاعجاب والحنين والامتداح والاشواق والصداقات ، أليست تعذيبا وتوريطا واقلاقا وارهاقا وتخويفا بل وعدوانا واغتصابا وهجوما فيه كل معاني ونتائج الغزو والقتال ؟ اجل ، لماذا يقرأ الناس تاريخهم او كتبهم المقدسة او نبواتهم وانتصاراتهم ؟ هل يمكن ان يكون في ذلك محبة او راحة او سعادة ؟

نعم ، ولماذا ايضا يؤمنون وينادون ويتضرعون الى الالهة ويتعبدون لها بالصلوات والصوم والحج والبكاء والهتاف وبالامل فيها وبالخوف منها وبكل انواع العبادات الاخرى ، وبتفسيرها اي تفسير الالهة وتصورها بالتفاسير والتصورات الرهيبة الكئيبة المروعة ؟

وايضا لماذا يئنون ويحزنون ويغضبون ويكرهون ويخافون ويتشاءمون ويفسرون ويتوقعون ويقرؤون ويرون انفسهم والاخرين والاحداث والمستقبل تفاسير وتوقعات وقراءات ورؤى اصعب واقسى واكثر ترويعا واقلاقا من الواقع ومما يمكن ان يحدث بل ومما يستطيع ان يقول المنطق والتاريخ والمستقبل ؟ هل وجد او يمكن ان يوجد من يستطيعون الا يفسروا الاحتمالات الاليمة والرديئة أو ألا يتوقعوها ويقاسوها الا بقدر ما تستطيع ان تكون ؟ هل وجد او يوجد من لا يعذبون ويخيفون انفسهم بلا خوف وبلا عذاب ؟ لماذا التهويل دائما في الحدس والتنبؤ والرؤية والتفسير والخوف والتشاؤم ؟ لماذا يخيفون ويقلقون ويزعجون دائما انفسهم اكثر مما يمكن ان يخافوا وينزعجوا ويقلقوا ، اي اكثر مما يمكن ان يواجهوا من اسباب الخوف والانزعاج والاقلاق ، او اكثر من كل الخوف والانزعاج والقلق ، اي اكثر مما في طبيعة الاشياء والحياة من قدرة على صنع الخوف والقلق والازعاج ؟ ان الناس جميعا يموتون ويتعذبون ويخافون بالتوقع والتعاليم والتفاسير اكثر واعنف جدا مما يموتون ويتعذبون ويخافون في الواقع او حتى الاحتمال ..

لماذا يخافون ويقلقون وينزعجون حيث لا ينفع الخوف او القلق أو الانزعاج اي نفع ، وحيث لا يرد اي خطر ، او حيث يكون الخوف والانزعاج والقلق موقعا في الخوف والقلق والانزعاج وصانعا لاسباب ذلك ؟

أليس كل الناس يفعلون ذلك أي يخافون ويقلقون حيث لا توجد اسباب لذلك وحيث لا ينفع الخوف أو القلق بل وحيث يوقع خوفهم وقلقهم في مزيد من الخوف والقلق ومن اسبابهما ؟

نعم ، لماذا يفعل الناس كل ذلك بالاساليب والنيات التي بها يفعلونها ؟ ان جميع مفسري الوثنيات والدمامات والعاهات والبلادات والالام اجمل واتقى التفاسير

لن يستطيعوا ان يجدوا للناس ، لجميع الناس في جميع تصرفاتهم ونياتهم اي تفسير غير خضوعهم لهذه الرغبة اي لرغبة التعذيب والارهاق والاقلاق والترويع والاثـارة للنفس وللاخرين ولكل شيء ··

انهم لن يستطيعوا ان يجدوا لذلك اي تفسير سوى هذا التفسير الا بقدر مـا يستطيع الانبياء والمعلمون بالاله ان يجدوا لوجوده اي لوجود الاله ولمنطقه وتدبيره ولنياته وتصرفاته ولجميع كينوناته واهوائه ومطالباته اي تفسير غير وقوعه اي وقوع الاله في قبضة هذه الشهوة شهوة التنكيل بالنفس وبكل احد وبكل شيء · انهم لن يستطيعوا ان يجدوا لذلك تفسيرا جميلا او نبيلا الا بقدر ما يستطيعون ان يجدوا للاله تفسيرا جميلا نبيلا حينما يصيب الجمال بالتشويه ·

اذن فالذين يختارون ويدبرون لانفسهم ان يكونوا قادة وزعماء وحكاما وانبياء ايضا لن يكون محتملا تفسيرهم بغير هذا التفسير · لن يكون ممكنا ان يفسروا فـي اختيارهم وتدبيرهم وفي جميع ممارساتهم ومواجهاتهم لانفسهم وللاخريـن ولجميع الاشياء والاحداث بغير التفسير الذي لا بد ان يفسر به الاله والذي لا بد ايضا ان يفسر به الشيطان في جميع تدابيرهما واختياراتهما وفي جميـع ممارساتهمـا ومواجهاتهما لذاتيهما وللاخرين ولجميع الاحداث والاشياء · هل يمكن ان يوجد للاله او للشيطان اي تفسير جيد مهما وجد لكل شيء تفسير جيد ؟

اما اذا كانت المجتمعات او الجماهير هي التي تختار وتدبر وتفرض على القـادة والزعماء والانبياء ايضا ان يجيئوا وان يكونوا قادة وحكاما وزعماء وانبياء فان التفسير ايضا لن يكون غير ذلك ، لن يكون التفسير غير ارادة الجماهير او المجتمعات ان توقع كل الوان التعذيب والترويع والتفجيع والتشويه والعقاب بهم اي بالقادة والزعماء والحكام والانبياء وبنفسها وبكل احد وكل شيء · وبأي هؤلاء ارادت الجماهير توقيع العقاب اكثر : بنفسها ام بكل احد وكل شيء ام بالزعماء والانبياء والقادة الذين هتفت وصلت لهم ليجيئوا ؟

ان الجماهير والمجتمعات لم تدع القادة والزعماء والانبياء والحكام الى المجيء ولم تفرض عليهم المجيء او ترد لهم المجيء لانها تحبهم او لانها تريد لهم السعادة او المجـد او الغرور والكبرياء ، ولا لانها قد رأت او عرفت او جربت او عشقت جمالهم او ذكاءهم او عدلهم او عبقريتهم او نبوتهم او تقواهم · انها تهتف بهم ليجيئوا بالاسلـوب الذي تهتف به الاجسام المحكوم عليها بان تمرض بالامراض لتصيبها !

ان المجتمعات لم تر او تعرف او تجرب او تحب من زعمائها وقادتها وحكامهـا وانبيائها الا مثلما رأت وعرفت وجربت واحبت الاغنام والحيوانات المسالمة من الذئاب وسائر الحيوانات المفترسة ـ او الا مثلما ذاقت الاجسام من ضربات الامـراض والعاهات ـ او الا مثلما شاهدت العيون من جمال ونظافة الحشرات ـ او الا مثلما قاست الضمائر والعيون والافكار العذراء من منطق الاله وعدله وحبه للناس وللجمال وللنظام!

وهل يمكن ان يقاسي اي شيء من العذاب والانفجاع مثلما يمكن ان تقاسي العيون والافكار والضمائر العذراء من مواجهة الاله ومن التحديق في تفكيره او في ضميره او في يديه ضاربتين او مصافحتين ، بانيتين او هادمتين ؟ حتى الاله لن يستطيع او يجرؤ على مواجهة نفسه او التحديق فيها لو كانت له عيون او افكار او اخلاق عذراء·

ولكن هل يمكن ان توجد افكار او ضمائر عذراء ، او هل يمكن ان تظل عذراء مهما وجدت او جاءت عذراء ؟ اليس محتوما ان تسحب الحياة والاحداث والمواجهات ، وان يسحب المعلمون والانبياء والزعماء والقادة والمحاريب والمنابر من جميع العقول والضمائر بكارتها ؟ والعيون ؟ هل يمكن ان تظل عين واحدة عذراء ؟ ان العيون غير المبصرة هي التي قد تستطيع ان تظل عذراء ··

ماذا يمكن ان تجد او ترى او تفهم او تقاسي لو انك واجهت الاله او الطبيعة او الحياة او الناس او اي شيء او حتى نفسك واعضاءك ومشاعرك بعقل وضمير لم يفتك ببكارتهما ؟ اذن ماذا يمكن ان تكون فجيعتك والترويع لك لو انك واجهت كل ذلك وقرأته بعين عذراء ؟

اذن لعل الذين اعتدوا على بكارة عقلك وضميرك كانوا بك رحماء او لعلهم كانوا لك نافعين ان لم يكونوا رحماء ! ·· ولعل الذي ينفعك دون ان يرحمك افضل لك من الذي يرحمك ولا ينفعك !

ولكن هل يوجد ارحم بك او انفع لك مثل من سلبوا عينيك عذرتهما ؟ وهل كائن ما او شيء ما يسلب عينيك عذرتهما دون كل الكائنات وكل الاشياء ؟

أليست كل الاشياء وكل الكائنات تحول كل العيون الى غير عذارى ؟ ان كل المرئيات حتى انقاها وانبلها واجملها وانظفها لا بد ان تفسق ببكارة العيون الرائية ·

ان توقيع العذاب بالنفس وبالاخرين وبالاشياء يخلص من عذاب اخر ويخلص ايضا من الكآبة والجمود والخمول ويهب الوانا من النشوات الحادة النزقة الراقصة··

ما اقسى مواجهة النفس والحياة والاشياء لولا الانهماك في توقيع العذاب بالذات وبالاخرين وبكل شيء ؟

اذن فالتدبير والاختيار لقبيلة قريش لتكون ، او الزامها بان تكون ، او الانباء بانها لا بد ان تكون هي وحدها القائدة والزعيمة والحاكمة والنبوة والنبية لكل البشر في كل العصور وتحت كل الاطوار الحضارية ، لن يكون تمجيدا او اسعادا لها اولقبيلة قريش ، ولا تخصيصا لها بأي شيء جيد او مريح او واهب للبهجة · بل لا بد ان يكون ذلك اسلوبا شاملا حاشدا من اساليب القسوة والتعذيب والتشويه والعدوان والفضح ··

نعم ، كيف لم تفطن الى ذلك النبوة العربية التي اخبرت بذلك او شرعته وارادته لقبيلة قريش ؟

اذن حينما قلنا ونستمر نقول :

« ان كل الناس سيظلون ابدا اتباعا ورعايا لقبيلة قريش في كل شيء ، في الخير وفي الشر ·· الكفار اتباع لكفار قريش ، والمؤمنون والمسلمون اتباع لمؤمني قريش ومسلميها » ·

نعم حينما نقول ذلك ونحوله الى نصوص خالدة مقدسة نقرؤها على الهتنا وانبيائنا وتقرؤها علينا ولنا الهتنا وانبياؤنا ، ونرتفع في تمجيدها الى ان نضعها في افواه الهتنا وانبيائنا ، والى ان نجعلها نزيف ضمائر وعبقريات الهتنا وانبيائنا ونشيد منابرهم ومحاربهم وصلواتهم المفروضة المضروبة على كرامة التاريخ وعلى مجده وذكائه ـ المؤداة فوق شرف التاريخ وكبريائه وفوق خطواته وتحديقاته ·

نعم حينما نفعل ونقول ذلك ، اي حينما تقوله وتفعله الهتنا وانبياؤنا بلغتنا وذكائنا وبوقارنا واستحيائنا ، فهل نحن نعبر عن عرقية عنصرية لا شبيه لافتضاحها ونزقها ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو التفسير ؟

نعم ، حينما نفسر ونحاسب كمتكلمين لا كمصوتين فقط لا يحاسبون على شيء ولا يفسرون بشيء فكيف يمكن ان يفهم أو يفسر قولنا هذا في قبيلة قريش ، وكيف يمكن ان تفهم او تفسر مستوياتنا الحضارية والاخلاقية والنفسية والعقلية بل والدينية والتاريخية ؟ هل يمكن حينئذ ان تحسب مستوياتنا مستويات بشرية مهما افترضت المستويات البشرية بلا حد ادنى تقف عنده ؟

ان هذا الوحي عن قريش منفذا او مطبقا قد مات وطال موته واصبح سطورا وحروفا ميتة في كتب لا يقرؤها الا قراء شواهد القبور ، ولا يقتنيها الا من يعيشون في ضمائر الموتى · وهل يوجد من لا يعيشون في ضمائر الموتى باسلوب ما ؟

ولكن كلا ·· ان هذا التمجيد او التشويه والتعذيب والتوريط لقبيلة قريش ، او هذا التصويت عنها موجود في كتب تنادي جميع اجهزتنا الدعائية والتبشيرية بالدعوة وبالرجوع اليها وبالافتخار بها وبزعمها هي اللغة والبشرى والحروف والقراءة والصلاة والتعاليم التاريخية الاولى للحضارة الانسانية الشاملة ·· بل ان هذا موجود في كتب تمجدها وتؤمن بها وتقاتل دفاعا عنها وتصلي بها ولها وتتعلمها وتعلمها جميع محاريبنا ومنابرنا ومدارسنا وجامعاتنا ، بل جميع عقولنا وعبقرياتنا وقياداتنا وزعاماتنا ، بل كل مطامحنا وأمانينا القومية والوطنية والدينية والحضارية والتحررية والانسانية ·· انه موجود في كتب لن يعد الا زنديقا من لم يجد ويقرأ فيها كل البداية والنهاية وكل التاريخ والمستقبل وكل الانسان والالهة ·

ان هذه النبوة المخبرة الراوية او المشرعة الملزمة عن قبيلة قريش موجودة في كتب نعدها كل مجدنا في التاريخ ونعدها كل رؤيتنا وطريقنا الى المجد في المستقبل· انها موجودة في كتب نعدها كل نبوتنا ، واننا نعد نبوتنا هي كل مجدنا الذي قد كان وكل مجدنا الذي سوف يكون · ونعدها ايضا اي نبوتنا هي كل طريقنا الى كل مجد وقوة وحضارة ، وكل رؤيتنا لكل ذلك وكل اساليبنا التحريضية عليه ··

اننا لا بد ان نحاسب ونفسر بنبواتنا القديمة جدا لان كل مجدنا وعبقريتنا ليسا الا مجد وعبقرية نبوات ، ولاننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى نبواتنا القديمة جدا أو نتخطى شيئا منها ، ان تخطينا لنبواتنا ، لاي شيء مما جاءت به ولادتها او يوم ولادتها ، ان تخطينا لذلك ليس محسوبا في اي شيء من حساباتنا ٠٠

واننا ايضا لا بد ان نفسر ونحاسب بمستوياتنا القديمة جدا وبارائنا ورواياتنا القديمة جدا لاننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى انفسنا ٠٠ اننا لا ننقسم في مستوياتنا الحضارية او الفكرية او الانسانية الى تاريخ والى حاضر ومستقبل ٠٠ اننا كينونة او صيغة واحدة او طور واحد ٠٠ اننا اذن لا بد ان نحاسب ونفسر ونقرأ بكل تاريخنا القديم ، القديم جدا ٠ اننا لا نستطيع كما لا نريد ان نتخطى تاريخنا ، ان نتخطى شيئا من ارائه او رواياته او مستوياته ٠ ان اي مقطع من مقاطع تاريخنا لن يكون الا كل تاريخنا ، وان كل حياتنا ومستقبلنا لن يكونا الا ذلك المقطع من تاريخنا ٠٠

اننا لو اردنا ان نعرف انفسنا الى التاريخ والى الحياة والى العالم او الى الابد اصدق واتقى تعريف لقلنا اننا نحن النبوة العجيبة التي لا تصاب بالتطور او التغير ، ولا بالقوة او الضعف ، ولا بالانتصار او الانهزام ، ولا بالشباب او الشيخوخة ، ولا بالموت او الحياة ، ولا بالتواضع او الكبرياء ، ولا باختلاف المناخ او الطقس ، بل ولا بالوجود والبقاء او بالفقد والذهاب ، بل ولا بالتحقير او التكريم ، ولا بالتقبل او الرفض ٠٠

نعم ، السنا نحن هذه النبوة العجيبة في كل ما كناه وما نحن كائنوه وفي ما سوف نكونه ؟

اذن هل يوجد اكثر غرابة وشذوذا من هذه النبوة التي هي نحن ؟ واذن هل يوجد اكثر غرابة وشذوذا منا ؟ هل يوجد اشد غرابة وشذوذا من كائنات لا تخضع لقوانين الكينونة ومن كينونة لا تتفاوت صيغها ، ومن وجود لا يتحرك في الزمان ولا يتحرك الزمان فيه ؟

كيف ؟ اننا لا نزال نبوة كالنبوة التي روت او امرت بان يكون كل الناس اتباعا ورعايا لقبيلة قريش الى يوم الدين ، أو لا نزال نحن هذه النبوة ٠

واننا ايضا لا نزال كتابا مقدسا كالكتاب المقدس الذي حكم ورأى وروى اننا نحن العرب ولا سيما عرب الخليج والجزيرة خير وافضل من كل البشر ، خير وافضل منهم في كل شيء ، في الايمان والتقوى والاخلاق بقدر ما نحن كذلك في الذكاء والعبقرية وفي ابتكار الحضارات ـ والذي ايضا حكم ورأى وروى اننا نحن العرب ولا سيما النائمين المصلين منا فوق ذلك الكائن الرهيب العجيب المهان الحزين المقاسي لاشد ظروف ومعاني ومشاعر الاغتراب في وطنه وبين اهله ، المسمى نفطا ، المسمى بلا صدق ولا حق نفطا عربيا مع ان كل عروبته هي ان العرب ظلوا منذ وجدوا يتثاءبون فوقه ، ممجدين لمجاعاتهم وقحطهم وبداوتهم ٠

نعم ، الذي حكم ورأى وروى اننا نحن العرب سوف نكون شهودا وشهـــداء وقضاة على كل العالم في كل العصور امام كل محاكم التاريخ وكل محاكم الارض ومحاكم السماء · بل اننا لا نزال نحن هذا الكتاب المقدس ، ولسنا مثله فقط ·· اننا لا نزال منطقه ونصوصه ، اياته وتفاسيره · اننا لا نزال الاله الذي قاله ، والملاك نقله ، والنبي الذي استقبله وسمعه ، وكاتب الوحي الذي كتبه ، والمفسرين الذين فسروه ، والحفاظ الذين حفظوه ··

اجل ، اننا نحن هؤلاء ولسنا فقط امثالهم ··

واننا ايضا لا نزال شعراء كالشعراء الذين علموا وجربوا ووجدوا اننا نحن العرب (لا توسط بيننا ·· لنا الصدر دون العالمين او القبر) · وانه (اذا بلغ الطفل منا الفطام خر له جميع الجبارين ساجدين) وان (لنا الدنيا ومن امسى عليها · ونبطش حيـن نبطش قادرينا) · واننا من كبريائنا وعزتنا (لتأنف نفوسنا ان تسكن اللحـــم والعظما) اي تأنف ان تسكن اجسامنا · (ونحن وهبنا الناس كل مزية ·· وهبناهمو كل الحضارات والربا) اي وهبناهم كل الدنيا وكل الاخرة أو كل الانسان وكل الالهة ، اي كل القيم الحضارية والانسانية وكل القيم الدينية والاخلاقية والالهية ··

حتى الرب او الارباب جميعا نحن واهبوها لجميع الناس (وان الناس لا يسيرون الا اذا سرنا لكي يسيروا وراءنا ، واننا اذا أومأنا اليهم بالتوقف عن السير والحركة توقفوا) · اي انهم لا يجرؤون على السير ولا يعرفون كما لا يستطيعون ان يسيروا او يتحركوا الا وراءنا · واذا نحن طلبنا منهم ان يقفوا ويتجمدوا سمعوا واطاعـوا اقتناعا واحتراما واتباعا ورهبة · حتى الاقدام · لقد علمناها ان وظيفتها السير عليها· هل كان يمكن ان تعرف اي الاقدام لماذا هي لو لم نعلمها نحن ذلك ؟

ان الناس جميعا في جميع العصور لا يقدرون او يجرؤون او يعرفون او يريـدون او يشتهون ان يسيروا او يتحركوا باقدامهم او بنياتهم او بعقولهم او باهوائهم او باي معنى او مستوى من معانيهم ومستوياتهم الا بارشادنا وتعاليمنا ورغبتنـــا واشارتنا وبمنطقنا واوامرنا ··

والا ايضا بعبقريات ونبوات وابداعات عباقرتنا وانبيائنا وخلفائنا الراشدين··

اننا كل انبياء الناس وسلاطينهم ومؤدبيهم وواهبيهم ·· اننا كل قرآنـــهم وتوراتهم واناجيلهم وتعاليمهم ومذاهبهم وسيوفهم · ان سيوفنا لانبياء لسيوف كل الناس بالمنطق الذي به عقولنا انبياء لعقول كل الناس وانبياؤنا انبياء لكل انبيائهم ·

نعم ، اننا لا نزال شعراء مثل هؤلاء الشعراء الذين هذه النبوات بعض نبواتهم · اننا دائما وجميعا شعراء ، اي شعراء عرب · وهل يستطيع اي عربي الا يكون شاعرا عربيا ؟ أو هل يستطيع اعظم شاعر عربي أو أي شاعر عربي ألا يكون اي انسان عربـــي ؟

بل اننا نحن هؤلاء الشعراء ولسنا مثلهم فقط ·· اننا هم قد جئنا في عصـر غير عصرنا وغير عصرهم · اننا غرباء عن هذا العصر الذي نوجد فيه وغرباء بيـن

اهله او حول اهلــه · اننا غرباء عــن هذا العصر وحول اهله مثــل غربــة ابائنا ومثل غربة هؤلاء الشعراء عن هـذا العصـر وعن اهله وحولهم · بل ان غربتنا هي نفس غربتهم اي هي نفس غربة ابائنا وغربة هؤلاء الشعراء ، وليست فقط متــل غربتهم ، لاننا نحن هم ولسنا فقط مثلهم · ان كل شاعر يتهم وكل ما فيها من عواء وصهيل وزئير وطنين وثغاء ورغاء ومن خروج على كل ذكاء ومنطق وحياء واتــزان وصدق وتهذيب ، ومن خروج على كل رؤية وتجربة حسية او فكريــة وعلى كل مواجهة للاشياء وللاحداث بقراءة او بتحديق او بتفاعل او تعامل نفسي او عقلي او اخلاقي ·

نعم ، ان كل شاعريتهم هذه بكل ما فيها من ذلك هي كل شاعريتنا بكل ما فيها من فنون النزق والافتضاح الفكري والنفسي والاخلاقي والاعلاني الاستعراضي ··

نعم ، هل استطاع واحد فقط من زعمائنا او قادتنا وحكامنا او مفكرينا ومعلمينا او شعرائنا وخطبائنا او من علمائنا العباقرة جدا الذين جعلنا اسماءهم عناويــن لكل طبعات التاريخ وذكراهم نشيدا لكل امجاد التاريخ وصورهم لوحات على كل ابواب التاريخ ، وجثثهم نياشين على كل هامات التاريخ وفهمهم تفسيرا لكــل منطق التاريخ ، وقراءتهم قراءة لكل تراث التاريــخ ، لكــل مــا فــي التاريخ من قرآن وتوراة واناجيل ومن مذاهب وتعاليم وفنون ، وبداواتهم تحضيرا لكــل حضارات التاريخ ، واخطاءهم واحقادهم وبغضاءهم ومخاصماتهم وجهالاتهم نبوات ومعارف وتقوى وصوابا لكل التاريخ ·

نعم ، هل استطاع واحد من هؤلاء ان ينتقل الينا أو يكوننا او أن ننتقل اليه او نكونه بصيغة اخرى ، اقوى وافضل او اضعف واردأ ؟ حتى الرداءة والضعــف ، ان هؤلاء لا يستطيعون ان يكونوا اردأ او اضعف منا ، كما لا يستطيعون ان يكونــوا اقوى او افضل منا · واننا كذلك لا نستطيع ان نكون افضل او اقوى منهم ، كما لا نستطيع ان نكون اردأ او اضعف منهم · انه التكرار المتماثل الذي لا نموذج له في اي شيء من اخلاق الطبيعة واخلاق الاشياء · انه التكرار المتماثل المتحول الى معجزة فيقوانينومنطق الاشياء· اننا مهما حاولنا بكل التصميموالايمانانننتخطاهم أو نهبط عنهم ، ان نسبقهم او نتخلف عنهم ، اعني لو حاولنا واردنا ان نفعل ذلك لمــا استطعنا · لاننا لا نستطيع ان نكون غيرهم او ان يكونوا غيرنا · اننا لا نستطيع ان نولد منهم او فيهم او ان يولدوا فينا ولادة اخرى او صيغة اخرى · انه التوالد الذي لا يحتمل فيه ان يكون المولود غير الوالد او ان يكون مختلفا في اية علامة من علاماته··

ان الابناء ليسوا أصغر من الاباء ولا يستطيعون ان يكونوا أصغر ، وان الاباء ليسوا اكبر من الابناء ولا يستطيعون ان يكونوا اكبر · هل توجد اعجوبة او معجزة مثل هذه الاعجوبة أو المعجزة ، اي كون الاباء والابناء ابدا في عمر واحد وطور واحد ؟ اذن هل توجد اعجوبة او معجزة مثلنا نحن ابناء العروبة ؟

نحن ابناء العروبة نعيش كل تاريخنا ووجودنا صيغة تاريخية واحدة هل يوجــد اذن مثلنا ؟

ان جميع زعمائنا وقادتنا ومفكرينا وشعرائنا وكتابنا ومعلمينا وجميع من يتحدثون منا اليوم من فوق جميع المنابر واعلى المنابر ، من فوق كل السحاب ليسوا شيئا غير ذلك الكتاب المقدس او تلك النبوة او اولئك الشعراء ..

لنسمع او لنقرأ كل ما تطلقه او تكتبه اليوم جميع افواهنا واقلامنا الكبيرة المسؤولة المتصدرة مخاطبة متحدثة الى جميع سكان الكون ، بل مهددة متحدية مفاخرة لهم .. اننا حينئذ لن نسمع او نقرأ او نجد الا عقل وذكاء ووقار واخلاق هذا الكتاب المقدس ، وهذه النبوة التي هي كل النبوات ونبية كل النبوات وخاتمة كل النبوات وهؤلاء الشعراء .. بل اننا حينئذ لن نسمع الا أصواتهم أي أصوات هذا الكتاب المقدس وهذه النبوة وهؤلاء الشعراء ، منطلقة بكل جهرها وبداوتها الحضارية والعقلية والنفسية واللغوية، عاوية صاهلة من تحت الخيام ومن فوق الاشجار والاطلال. نعم، لنقرأ ونسمع اليوم كل ما تكتبه وتذيعه اقلامنا وافواهنا المسؤولة وغير المسؤولة فاننا لن نجدالا ما كانت تطلقه تلك المواهب التي كانت تصهل تحت الخيام وفوق الربوع الخالية ...

***

ان هذا الذي روي عن نبواتنا وعن كتابنا المقدس وعن شعرائنا العظام ليس اختيارا لدمامة من جمال او لبلادة من ذكاء او لنزق من وقار او لسفاهة من حكمة او لبذاءة من تهذيب او لكبرياء من تواضع او لعمى من رؤية او لافتضاح من استتار او لبداوة من حضارة أو لتفاهة من عبقرية أو لتصويت من كلام وتفكير ..

ان هذا الذي رويناه ونقلناه ليس الا اخذا لشيء او اختيارا لشيء من امثاله ونماذجه . ان هذا الذي اخترنا نقله عن نبوتنا وعن كتابنا المقدس وعن شعرائنا الخالدين ليس شذوذا أو غريبا فيما كان ولا فيما هو كائن ولا فيما سوف يكون .. لقد روينا ونقلنا ما لن يستطيع اعقل عقلائنا واكثرهم تواضعا واتزانا ان يهاب روايته ونقله او يخجل من الخطابة والمفاخرة به ..

انه اذا كان محكوما عليك الا تصدق هذا او اذا كنت تهاب تصديقه فان عليك ان تغلق اذنيك وعينيك بكل ما في الدنيا من اجهزة الاغلاق، بل فان عليك حينئذ ان تفعل اي شيء لازالة عينيك واذنيك لكي لا تقرأ او تسمع اليوم ما يقوله ويكتبه جميع زعمائك وقادتك ومعلميك وكتابك وشعرائك وخطبائك. لانك ان قرأت لهم او استمعت اليهم اليوم وغدا وبعد غد فلن تجد فيهم الا كتابك المقدس ونبواتك القديمة وشعرائك العظام الذين سمعت ورأيت وقرأت كيف يتحدثون عن انفسهم وعنك وعن الاخرين . ولا بد انك قد صدمت او انه مفروض عليك ومنتظر منك وجيد لك ان تصدم حينما سمعت وقرأت ووعيت كيف يفهمون انفسهم ويفهمونك ويفهمون الاخرين ، وكيف يقرؤون التاريخ ويفسرونه ويعونه ، وكيف لا يرهبون ان يقرأوا أنفسهم على التاريخ وعلى الناس ، او ان يقرأهم التاريخ ويقراهم الناس ..

ألم تسمع وتقرأ لهم ؟ انك حتما قرأت لهم واستمعت اليهم . ولكن هل ساءلت عينيك واذنيك عما قرأت وسمعت ؟ وهل حاورت او حاسبت او حاكمت عيناك او اذناك ما قرأت او ما سمعت ؟

ضع لك عينين فيهما وظيفة العيون واخلاقها ، واذنين فيهما وظيفة الاذان واخلاقها بعد ان تضع لك موهبة تعرف وظائف العيون والاذان وتحاسب الاشياء على الالتزام بوظائفها وتفرض عليها هذا الالتزام .

نعم ، افعل ذلك ان كنت قادرا ان تفعله ثم اقرأ واسمع جميع ما يقوله ويكتبه جميع زعمائك وقادتك وشعرائك وخطبائك وايضا جميع مثقفيك ومفكريك ثم انظر هل تجد اي فرق من اي نوع بين ما يقولونه ويكتبونه ويفهمونه وبين ما قاله وأوحاه وخلده كتابك المقدس ونبوتك الخالدة وشعراؤك العظام الذين روينا لك واسمعناك من نماذجهم النفسية والعقلية والاخلاقية واللغوية في النصوص التي مررنا بها في الصفحات السالفة محزونين ومروعين ومجللين بكل الوان العار ومشاعر الضآلة ، بل ثم انظر هل تستطيع ان تعتقد او حتى تظن انك تسمع او تقرأ لغير اسلافك الذين كتبوا لك كتابك المقدس ، واوحوا لك واليك بنبوتك الخالدة الخاتمة المغلقة لكل النبوات ، وانشدوا وعلقوا لك معلقاتهم وجميع مصاهلاتهم ومزاءراتهم البدوية المسماة شعرا فوق كعبتك وتاريخك بل فوق كرامتك وكبريائك ووقارك .. بل فوق موهبتك البدوية التي يبدو انها لا تستطيع كما لا تريد ان تفارق صحراءها التاريخية والانسانية ..

نعم ، افعل ذلك ثم انظر هل تستطيع ان تجد اي دفاع عن نفسك وعن تاريخك وعن قومك الذين كانوا كتابا مقدسا ونبوة موحاة خالدة مغلقة لكل ابواب السماء لئلا تجيء نبوة اخرى قد تأخذ من مجدها المتفرد بالعلاقات والمصاهرات والمصادقات والمعانقات الاخيرة النهائية مع السماء ، والذين كانوا ايضا معلقات فوق الكعبة أو كانوا شعراء معلقة جثثهم فوق اركان الكعبة ـ وكذلك عن قومك الذين كل نضالهم ومجدهم اليوم ان يعرضوا بأصرخ واشمل الاساليب كل عارهم في اذان وعيون وعقول وضمائر واشمئزاز كل العالم ومن فوق جميع منابره ومحاريبه ومؤسساته واجهزته الفضاحة للباحثين عن الافتضاح ..

نعم ، ثم انظر هل تستطيع ان تجد اي دفاع عن نفسك او تاريخك او قومك الذين قد وجدوا ، والذين لا يزالون موجودين يصلون ويكذبون ، والذين قد يوجدون لكي يذهبوا يصلون ويكذبون غير ان تقول : اننا وانهم كائنات مصوتة ، اي كائنات باكية وآنة ومتاوهة ومغنية وشاتمة ومصلية متضرعة وكارهة متهمة اي ثاغية راغية صاهلة عاوية ، لا كائنات متكلمة اي مفكرة ومدبرة ومخططة وحاسبة وقاضية ورائية وقارئة وملتزمة ومحاكمة لنفسها حتى لعيونها ولاذانها وللغاتها ولقراءاتها ولصلواتها وهتافها ومنابرها . نعم ، ان المتكلم كائن محاكم حتى لحواسه ، لانه كائن مفكر مدبر مخطط ..

انك حينئذ لن تجد اكثر رفقا وبرا بنفسك وبتاريخك وقومك من ان تعلن هذا مقتنعا به داعيا اليه مدللا عليه اي على انك وقومك مصوتون فقط لا متكلمون اي لكي تصبحوا غير محاسبين او مسؤولين او ملومين او مفسرين الا بقدر ما يكون الصاهل او العاوي او الثاغي محاسبا او مسؤولا او ملوما او مفسرا ، او الابقدر ما يكون الباكي او الحزين او الان او الضارع المتضرع او الكاره او الشاتم الحاقد المتهم ، او للصارخ من الخوف او الهوان والعجز والبلادة والنزق محاسبا او مسؤولا او ملوما او مفهوما او مفسرا أو مقبولا التعامل والتحاور والتفاهم معه ..

ان كل املك حينئذ في ألا يكون قومك مسؤولين او مفسرين او مقروئين او مستمعا اليهم حينما يصوتون ..

بل قد ترى حينئذ ان من الوفاء والاخلاص لنفسك ولقومك وللصدق والعدالة والحقيقة المسكينة الحزينة الذليلة ابدا ان تدبر لحملة اعلامية دولية لكي تتثبت على مستوى عالمي شامل ان قومك العرب قد ظلموا ظلما طويلا رهيبا عالميا حينما حسبوا وزعموا متكلمين لا مصوتين فقط وحينما حوسبوا وقرئوا وفسروا وفهموا وجودلوا وسمعوا واستمع اليهم على انهم كذلك اي متكلمون او كانهم كذلك . وليعاقب الله حينئذ كل العالم بكل الوان عقابه اذا صدق وظل يصدق ان قومك قد يكونون متكلمين ولو احيانا وليسوا ابدا مصوتين فقط .

قد تدبر حينئذ لاضخم حملة ارشادية تصحيحية تغطي بها كل منطق العالم وكل افكاره ورؤاه ومعلوماته واذانه لتدلل على أن اي قوم لم يشوهوا ويحقروا ويعتدى عليهم مثلما شوه وحقر قومك ابناء العروبة ومثلما اعتدي عليهم حينما زعموا عن انفسهم وزعموا لانفسهم وللعالم انهم متكلمون ، فصدقهم العالم وراح اي العالم يراهم ويقرؤهم ويحاسبهم ويحاكمهم على انهم كذلك .. لقد كان العالم محتاجا الى ان يكون جلفا وقحا نزقا لكي يستطيع تصديقهم في زعمهم هذا .. !

لقد وجد العالم في زعم العرب لانفسهم وعن انفسهم انهم متكلمون يفسرون ويعاقبون ويحصى عليهم وينتظر منهم ويشترط فيهم وعليهم كما يفعل بمن يتكلمون ـ نعم ، لقد وجد العالم في هذا الزعم وفي الاسراع الى تصديقه اشباعا وارواء لجوعه الي لجوع العالم ولظمئه الى الشماتة والتحقير والاستهزاء والى الرضا عن النفس والى اعطائها مكانة التفوق والاستعلاء .

لقد كان العالم فاجرا وخسيسا وعدوانيا نذلا حينما استمع الى هذا الزعم وصدقه بكل النشوة والغبطة والرضا وبكل اساليب ومظاهر الاقتناع والحب والبراءة ، بل بكل اعراض الاصابة بالسذاجة والغفلة والضآلة والتواضع الكريم البليد . كم في حوافز التواضع ونتائجه احيانا من الوان العدوان والقسوة والكبرياء .

لقد كانت حسابات العالم انه لو فسر العرب مصوتين فقط كما تصوت نياقهم وخيولهم وذئابهم وضباعهم لما وجد شهوته في ان يشمت بذكائهم او بثقافتهم او بعلمهم او باخلاقهم او باي مستوى من مستوياتهم ، وفي ان يحتقر كل ذلك فيهم

ومنهم ... أليست الشماتة والاحتقار صلاة انسانية تصليها وقاحة الانسان النفسية راشية بها اخلاقه ، او تصليها اخلاقه راشية بها وقاحته النفسية والام كينونته ؟

انه اي العالم لا يستطيع ان يشمت او يحتقر او يشنع حينما يسمع الابل والخيول والذئاب والضباع ترغو وتصهل وتعوي . ولكنه اي العالم يريد ولو احيانا ان يشمت ويحتقر ويشنع، لهذا فانه لا يريد ان يفسر العربكما يفسر الابل والخيولوالذئاب.. لقد اختار ان يفسر العرب متكلمين لانه يجد سعادته ومسراته في ان يشمت ويحقر ويشنع وفي ان يصاببالكبرياء وبالرضا عنالنفسوبالاقتناعبمكانته المتفوقة على اخرين موجودين في صيغ ونماذج بشرية اي في صور بشرية .

لقد كان اقتناع العالم بان العرب متكلمون لا مصوتون فقط تعبيرا عن الاحتياج لا عن الاقتناع . لقد اراد الاقتناع واحتاج اليه ، فاقتنع .

ان الاحتياج الى الاقتناع أو الى ما هو موضوع الاقتناع ليصنع الاقتناع اكثر مما يصنع الاقتناع الاقتناع أو اكثر مما يصنع الواقع أو الرؤية أو التجربة أو الحقيقة أو المنطق الاقتناع ، او أكثر مما يصنع الاقناع الاقتناع .. وهل يستطيع الاقناع مهما كانت قوته ان يصنع الاقتناع ؟ هل حدث هذا في أية قضية أو موقف ؟

ان الاحتياج الى رؤية الشمس او القمر او الكون او اي شيء جميلا او الى ان يكون جميلا او الى الاقتناع بانه جميل هو الذي صنع الاقتناع بانه جميل اكثر مما صنع الاقتناعبجماله جماله أو رؤيته أو تجربته أو فهمه .. ان جمال الاله ليس هو الذيأقنع بانه جميل . ان احدا لم يره . اذن كيف رآه جميلا او اقتنع بانه جميل ؟

وهل يمكن ان نقتنع باية حقيقة او واقع ما لم نكن محتاجين الى الاقتناع بذلك باي اسلوب من اساليب الاحتياج ، او ان نرى اي شيء جميلا ما لم نكن محتاجين الى رؤيته كذلك والى الاقتناع بانه كذلك ؟ هل يمكن ان يقتنع بالاله من لا يحتاج الى الاقتناع به او ان يرى جمال المرأة او جمال الجنس من لا يجوع الى الجنس ؟

أليس الاقتناع هو دائما تابعا ولا يستطيع ان يكون متبوعا ؟ أليس تابعا حتى حينما يكون متبوعا او يبدو متبوعا ؟ اننا قد نفعل او نلتزم ، نتقبل او نرفض لاننا مقتنعون . ولكن لماذا نحن مقتنعون ، أو كيف اقتنعنا باقتناعنا ؟ ما الذي جعلنا نقتنع باقتناعنا ؟

انك حينئذ قد ترى ان العالم يجب ان يشكى وان يحاكم ويحاسب لتتخذ ضده قرارات بل ولتوقع عليه عقوبات لانه باقتناعه ان العرب متكلمون ، يحاسبون ويفسرون ويفهمون بكل القسوة والدقة التي يجب ان يحاسب ويفسر ويفهم بها المتكلمون ، قد جنى عليهم وأزدراهم وورطهم وعرضهم بكل الوحشية ، كما اشترط عليهم وفيهم وطالبهم والزمهم بما ليس حقا او عدلا او منطقا ان يطالبوا او يلزموا به او يشترط عليهم او فيهم . انه بذلك قد القى عليهم تكاليف واعباء ليسوا اهلها ،

كما القى بهم تحت اقسى واشمل وادوم الاتهامات والتفاسير الفضاحة المهينة · ان وضع الكائن تحت المسؤولية والمحاسبة وهو دون ذلك لعدوان ونذالة يستحقان العقاب والتاثيم ··

ولكن كيف ؟ الى من حينئذ يشكى او يحاسب ويحاكم العالم ؟ ومن هم حينئذ الذين يطلب منهم ويلجأ اليهم لكي يتخذوا القرارات الملائمة ضده ولكي يوقعوا عليه العقوبات المتكافئة مع جنايته هذه على العرب ؟

ان الجاني حينئذ ليس سوى من يرجى ان يكون قاضيا او منقذا ··

ولكن هل يمكن الافتراض ، مجرد الافتراض ، ان العالم قد اقتنع او حتى افترض ان العرب قد بلغوا او قاربوا ان يبلغوا او انهم قد يبلغون اي طور من التكلم ؟ أليس هذا الافتراض عدوانا وحشيا على ذكاء العالم وعلى اخلاقه وعلى تصور تعامله مع نفسه ومع حضارته ، بل وعلى تصوره متعاملا مع شماتاته وعداواته واحقاده وبذاءاته ، ومع انانياته ونشواته ومع جميع لذاته غير المهذبة او التقية او الذكية ؟

انه مهما كان قوة الاتهام وصدقه لتقوى العالم او لتهذيبه او لوقاره او لرحمته او لحبه وذكائه وعدله فانه لشيء ليس اقل من الاستحالة ان يصدق اتهامه اي اتهام العالم بانه قد هوت به جميع مستوياته الاخلاقية والنفسية ، والحضارية حتى جرؤ على هذا الاقتناع اي على الاقتناع بان العرب كائنات متكلمة او انهم بالتعلم او بالتدريب او بالتقليد والتلقين او بالتطور ، قد يصبحون متكلمين ·· لا · اننا لن نجرؤ على اتهام العالم بذلك ، اي على اتهامه بانه قد اقتنع او افترض بان العرب متكلمون · وهل يمكن ان يوجد قساة انذال يستطيعون ان يتهموا العالم بهذه التهمة ، اي يستطيعون ان يتهموه بانه قد اقتنع بان العرب قد بلغوا طور المتكلمين ؟ ان كل القساة الانذال لا تستطيع قسوتهم او نذالتهم ان تصعد بهم الى ان يتهموا العالم بانه يرى العرب متكلمين اي اكثر من مصوتين ·

ان اتهام العالم بهذا الاقتناع لاكثر قسوة وعدوانا على العالم وظلما له من قسوة العالم على العرب وعدوانه عليهم وظلمه لهم لو انه اقتنع بانهم متكلمون لا مصوتون فقط · ان اتهام العالم بهذا الاقتناع قسوة على العالم ، وان اقتناع العالم بهذا الاقتناع قسوة على العرب · ولكن اي القسوتين اكثر وحشية وظلما وتجريحا ؟

لقد سمع العالم العرب ولا يزال يسمعهم وسوف يظل يسمعهم ، وقرأهم او قرأ لهم ولا يزال يقرؤهم او يقرأ لهم وسوف يظل يقرؤهم او يقرأ لهم ··

لقد قرأهم وسمعهم تاريخا وحاضرا ، وسوف يظل يفعل ذلك بهم ومعهم ولهم مستقبلا وابدا · سمعهم وقرأهم بشرا كما قرأهم وسمعهم الهة وانبياء وخلفاء وكما قرأهم وسمعهم نبوات وكتبا مقدسة ···

فلو كان يراهم متكلمين ـ والمتكلم كائن يخطط ويدبر ويرى ويفكر ويحكم ويحاكم ويحاسب ويحسب ويفسر بل ويهاجم ويغزو ـ فماذا يمكن ان يصيبه اي يصيب العالم ، او ماذا يمكن ان يفعل او يكون حينما يسمعهم يتكلمون او حينما يقرؤهم او يقرأ لهم وهم يتكلمون ؟ هل يمكن ان يواجه هولا مثل الهول الذي يواجهه حينما يستمع اليهم او يقرأ لهم لو كانوا متكلمين لا كائنات مصوتة فقط ؟

ماذا يمكن ان يصيبه او كيف يمكن ان يكون او يتصرف او يعيش ـ لو كان يراهم متكلمين ـ حينما يسمعهم او يقرؤهم ويقرأ لهم وهم يهددون كل العالم بل كل الكون بانهم لا بد ان يحكموه ويملكوه ويهزموه ويذلوه ويغنموه ويصوغوه ، وان يفرضوا عليه كل مستوياتهم ونماذجهم النفسية والعقلية والاخلاقية والدينية والحضارية ، وان يلبسوه ويضعوه في كل ثيابهم وعباءاتهم وخيامهم واكفانهم ومقابرهم التاريخية ـ وانهم ايضا لا بد ان يكونوا كل انبيائه وقديسيه ومفكريه وقادته وعباقرته بل وكل الهته وكل كعبته وصلواته وكتبه المقدسة ؟ حتى كعبتهم انها لا بد ان تكون كل كعباته وكل قبلات صلواته ، وان حجارتها لا بد ان تكون كل مواقع قبلات شفاهه ·

انه اي العالم دائما يسمعهم ويقرؤهم يقولون كل ذلك ويهددون كل شيء وكل احد بكل ذلك · فلو كان يراهم متكلمين ، يعنون ما يقولون ، اي يقولون ويفكرون ويحسبون ويحكمون ويدبرون كما هو محتوم ان يفعل المتكلم وكما هو التفسير العالمي والعلمي للمتكلم ·

نعم ، لو كان يراهم متكلمين ثم سمعهم وقرأهم يقولون كل ذلك ويهددون به وهو دائما يسمعهم ويقرؤهم وهم يقولونه ويهددون به ، اليس محتوما حينئذ ان يصعقه ويذله ويهزمه ويرهقه ويعذبه الخوف والتوقع والاستعداد للمواجهة وللحذر والاتقاء لاقسى المخاطر والاحتمالات الرهيبة ؟ هل يستطيع حينئذ ان يضع في حساباته انه قد ينجو مهما كان حذره واتقاؤه ؟

كيف يستطيع ان يضع في حساباته انه قد ينجو من قوة لا مثيل لشمولها ولذكائها ولعبقرياتها ولعداواتها ؟

أليس محتوما حينئذ ان يقاسي العالم كل الوان الخوف من كل الوان المخاطر امام هذا المهدد الذي لا نموذج لقوته وقسوته ولطموحه وانانيته ولتخطيطاته الغازية والذي لا نموذج لشمول تهديداته ولصراحة هذه التهديدات ولقوة الايمان بها وللاصرار على تنفيذها وللاقتناع بالقدرة على تنفيذها ، والذي لا نموذج لاقتناعه بانه هو كل انبياء وعباقرة كل البشر وكل مفكريهم وقديسيهم وقادتهم ، بل وانه هو وحده كل الهة البشر وكل كعبتهم وكل صلواتهم وكتبهم المقدسة بل وكل ثيابهم واكفانهم ومقابرهم وتاريخهم ، حاضرا ومستقبلا وماضيا ؟

ان كل العالم يجب ان يعيش في مقابر واكفان العرب والا فلا علاج له الا ان يموت كما تموت الحشرات المريضة ·

ان العرب لو كانوا في اقتناع العالم متكلمين لكان محتوما ان يظل اي العالم مغشيا عليه ابدا تحت نوبات لا تنتهي من الذعر المجنون المدمر ···

ان العالم حينئذ لا بد ان يسمع ويجد في كل الاوقات وامام كل القضايا والمواقف والاختلافات زعيما او قائدا او نبيا او حاكما عربيا او الها عربيا او كتابا مقدسا عربيا يعلن بكل الاقتناع والثقة والكبرياء ان العبقريات العربية الشاملة المتنوعة لا بد ان تحكم وتقود وتهزم وتذل وتسترق وتغزو وتصوغ وتؤدب وتعلم وتعاقب كل البشر ، كل حضاراتهم وثقافاتهم وعقولهم واخلاقهم واديانهم ومذاهبهم والهتهم وانبيائهم وكل تعاليمهم وكتبهم المقدسة بل وكل جيوشهم في كل حاضرهم ومستقبلهم مثلما حدث في كل تاريخهم · اليسوا قد فعلوا كل ذلك فيما كان ، ثم اليست نبواتهم وكتبهم المقدسة تخبر انهم سوف يفعلونه فيما سوف يكون ويفعلونه ابدا ·

فكيف يستطيع اي العالم ان يواجه ذلك او يطمئن الى اية كينونة من كينوناته لو كان يرى ذلك كلاما اي لو كان يرى العرب متكلمين ، اي لو كان العرب يتكلمون ويفهمون ماذا يعني الكلام ويعنون ما يعني ويلتزمون به ويخططون للالتزام بما يعني ؟

لقد استطاع العالم ان يحيا حياته ، وان يبدع ويجدد حضاراته ، وان يشيد مدنه ومصانعه ودور معارفه وصلواته ، وان ينشيء ويدرب جيوشه ، وان يحدد ويعلن حدود بلاده ، وان يكتب اديانه ومذاهبه ونظرياته ، وان يقرأ اسماء الهته وانبيائه ، وان يستمر يصوغ ويطور جميع كينوناته ·

لقد استطاع العالم ان يفعل كل هذه ، كل الوان حياته مطمئنا الى بقائه وبقائها ، والى انه سيجدها في صباحه مثلما تركها حينما نام عنها وعليها في ليله لانه كان مقتنعا بان جميع ما تطلقه الافواه العربية ماضيها وحاضرها ومستقبلها ليس كلاما يقرأ ويفسر ويحسب ويفعل ولكنه اصوات تعوي وتستفرغ وتستنكر · ان الاصوات لا تقرأ ولا تفسر ولا تحاسب ولا تخيف مهما استنكرت او ازعجت او ألحت او عبدت بها الالهة والزعامات ·

لو ان العالم كان يعتقد ان العرب يتكلمون حينما يخطبون وينطقون ويعلنون ويكتبون ، مهددين او مبارزين او معلمين او مباهين او مشاتمين او مفكرين لكان محالا ان يطمئن الى انه سوف يجد في صباحه شيئا مما كان له في ليله ، مما امسى ونام وهو في يديه ، اي ان يجد في صباحه شيئا أو أحدا من مدنه او مصانعه او مدارسه او معابده او جيوشه واربابه وانبيائه ومذاهبه واديانه ، او من حضاراته واثاره وامجاده او اية كينونة من كينوناته ··

نعم ، لانه لا بد ان يقتنع حينئذ ان العرب قد شربوا كل تاريخه وحياته ووجوده بانتصاراتهم وعبقرياتهم وتهديداتهم ··

لكان محالا ان يطمئن الى انه قد يجد شيئا او احدا من ذلك في مكانه او في ذاته أو في نموذجه أو في اية صيغة او مستوى من صيغه ومستوياته اي حينما يصبح · كيف يطمئن الى ان اي شيء من ذلك لم يفتك به في ليله ؟

اذن لقد عاش العالم بكل كينوناته واشيائه وبكل ايمانه واطمئنانه ، وعاش ووجد في صباحه كل ما عاشه ووجده في ليله لان العربلم يكونوا متكلمين، ولانه كان اي العالم يعلم انهم ليسوا متكلمين بل مصوتون يستفرغون انفسهم استفراغا حينما يبدون كأنهم يتكلمون ··

ان العالم لو كان يرى العرب متكلمين لمات بالاستحياء وبالاحساس بالضآلة وبالخوف من معايشتهم او مواجهتهم او الاستماع لهم او من التحدث اليهم او من محاورتهم · انه لو كان يراهم متكلمين لصعقه الشعور بالفروق بينه وبينهم حينما يسمعهمويقرؤهم يتكلمون ـ حينما يسمع ويقرأ الهتهم وانبياءهموخلفاءهموشعراءهم يتكلمون ·· حينما يسمع ويقرأ نبواتهم ومعلقاتهم وكتبهم المقدسة ترى وتروى وتحكم وتحسب وتتوعد وتتكبر وتحقر وتشتم · ان العالم لو كان يرى العرب متكلمين يفهمون ويعنون ما يقولون لكان محتوما ان يصاب بنوبات متعاقبة من الذعر المدمر المهين القتال كلما خطب او تحدث زعيم أو قائد أو نبي عربي ·

نعم ، ان العالم ليس غبيا او همجيا او نذلا او متوحشا او بذيئا او فاجر الشماتة الى المستوى الذي يجعله يهبط في عدوانه وعداوته وفي تحقيره اي في شهوته المحقرة للاخرين الى ان يقتنع بان العرب يمكن ان يقرأوا او يسمعوا او يحاسبوا او يفهموا ويفسروا ويحاوروا ويساءلوا كما يفعل مع المتكلمين وبالمتكلمين · انهم اي العرب يسمعون فقط ثم يغفر لهم كل شيء بل ثم لا شيء غير ان يسمعوا ، لا شيء يفهم او ينتظر او يراد · انهم يسمعون دون ان يستمع اليهم ··

ان علينا انءنعرف هذا ·· ان نعرف ان العالم قد يقرأ لنا ويسمعنا ويحدثنا ويتحدث معنا ويحاورنا ويسائلنا ويقابلنا ويعاملنا ويخطب فينا · وقد يذرف دموعه واهاته ويصلي لنا بكثير من احزانه تفجعا وتأثرا بسماعه وقراءته لنا باسلوب المستمع الفاهم المتلهف · وقد تسيل دموعه على خدودنا ودموعنا على خدوده ، كما قد يذيب اكباده باحزاننا ، واكبادنا باحزانه علينا ولنا ·

ان العالم قد يفعل كل ذلك لنا وبنا ولكن دون ان يفهمنا او يفسرنا او ينتظرنا او ينتظر منا او لنا او يتوقعنا او يحاسبنا او يعاملنا كما يفعل مع من يتكلمون · انه يهبنا الصيغة دون ان يهبنا المعنى او التفسير ··

بل انه قد يهبنا الاسلوب دون معناه ودون نيتــه اكثر مما يهبه اي اكثر مما يهب الاسلوب ان يراهم متكلمين · انه تعويض او رثاء أو خوف من معرفة الحقيقة ومعرفة ما في النفس · انه قد يهبنا كل صيغ ونصوص عينيه واذنيه ومحاوراته بل انه حتما ليهبنا كل ذلك دون أن يهبنا شيئا من تفاسيره اي من تفاسير عينيه او اذنيه او محاوراته ··

**

العرب ظاهرة صوتية ·· نعم ، انه حكم لا يفرضه المنطق او التفسير للاشيـاء والتحديق فيها فقط ، كما لا تفرضه الاخلاق او الشهامة او ارادة العدل او الصدق فقط · بل وتفرضه ايضا الشفقة ورفض الوقاحة والهجاء والتحقير والعدوان · انه حكم يفرضه كل ما في الانسان من معاني قوية وناقدة ومفسرة ، وايضا من معان جيدة وصادقة ورحيمة ونبيلة مهذبة · انه حكم يفرضه الحب والاحترام للعرب ·
ولكن هذه القضية لا تزال تحتاج الى مزيد من التفسير والايضاح ··

الانسان العربي بالتصويت يفكر ويحاور ويقاوم ويقاتـــل وينتصر ويتحضـر ويتطور ويحل المشاكل ويجد ويرضي ويغضب ويحب ويبغض بل ويؤمن ويصلي ويقتنع بالالهة والاديان والمذاهب والانبياء والزعماء بل وقد يمارس الحب والجنـس بالتصويت كما يبتكر ويكتشف ويسبق كل العالم في افاق الابتكار والاكتشـاف وفي غزو الاكوان البعيدة بل وغير الموجودة بالتصويت ايضا · انه يبدع وينتصر ويملك ويتفوق بالتصويت اكثر واقوى واذكى مما يفعل ذلك غيره بالفعل ··

انه في جميع مواقفه ومواجهاته وفي كل تاريخه يفعل كل ذلـك باسلـوب ونيات وحماس واقتناع وجد وجهر من يفعله بكل قوة السلاح والبطش والتنظيـم والتفكير والذكاء والانتصار · انه لا يشعر انه يوجد اسلوب اخر اقوى او اذكى او افضل من اسلوبه اي من تصويته في مواجهة جميع الاشياء ليخلقها او ليهزمها ·· انه يصوت على كل الاشياء والمشاكل وعلى كل الاصدقاء والاعداء وامامها وامامهم وكأنه يضرب ويعالج ويفعل ويبدع وينقذ وينفذ ويفكر بكل الايدي والعضـلات والاسلحة والاساليب والادوات والعقاقير والعقول ·· بكل ايدي وعقول وعضلات وشهوات جميع الالهة والملائكة والابالسة ·· لكي ينتصر ويداوي ويحل ويفهم ، ولكي يقتل ويدمر ويزيل ويبني ايضا ··

ان تصويته ليعلو ويصاب اي تصويته بالحدة والجد والاقتناع والاهتمـام والحماس والاصرار والديمومة والاعلانية بقدر ما تكون المشكلة او القضية او المواجهة كبيرة او عظيمة او حادة او مخيفة ، كما ان الضرب والسلاح والتخطيط يجب ان يكون قويا وذكيا وحادا بقدر ما يكون العدو قويا ومخيفا وضاربا ، وكما ان التفكير

يجب ان يكون علميا وواعيا وشاملا وحذرا بقدر ما تكون المشكلة او العقدة او القضية صعبة او خطيرة او ذات حسابات ونتائج كبيرة وبعيدة ، وكما ان الطبيب يجب ان يكون طبيبا بقدر ما يكون المرض مرضا اي وبيلا وعنيدا ومجهولا ومنتصرا اوقع بالعالم العربي اقسى هزيمة او مأساة او ورطة ثم لا تشك فيما سوف يحدث ؟ انه التصويت ، التصويت ، بكل لغاته وافانينه وجنونه · ان اذان العالم لا بد ان تعاقب كلما واجه العرب موقفا صعبا ··

ان الانسان العربي ليكون قويا في صوته ويرى ان عليه ان يكون قويا في ذلك في المواقف والمواجهات والمشاكل التي يكون الاخرون او المتكلمون اقوياء فيها بضرباتهم وافعالهم وذكائهم وافكارهم ، والتي يرون ان عليهم ان يكونوا فيها اقوياء · اجل ، ان الانسان العربي ليرفع صوته ويحترم صوته ويؤمن بقيمه وبنفع صوته بقدر ما تكون المشكلة او القضية حادة او خطيرة او مستعصية ··

لهذا فان من الممكن ولو احيانا ان نفهم حدة او قسوة او خطورة القضية او المشكلة او التهديدات التي يواجهها الانسان العربي باسلوبه في التصويت ، كما ان من الممكن ايضا ولو احيانا ان نعرف قيمة القضية او المشكلة او الاخطار التي يواجهها الانسان الاخر اي الانسان المتكلم من اسلوبه في الصمت والوقار والتدبير والتفكير والاعداد · ان الانسان العربي ليصوت جدا حيث يجب او ينبغي ان يضرب ويفعل ويدبر ويفكر ويصمت جدا اي حيث يصنع الاخرون النقيض ··

ان الانسان العربي لا يشعر انه محتاج الى الاستتار او الاستحياء ، كما لا يشعر انه يفعل شيئا غير ذكي او قوي او منطقي او بطولي او مفيد او غير فعال ـ نعم ، انه لا يشعر بشيء من ذلك حينما يذهب بجرأة وبصيغة المناضل الجاد العبقري يجد في التصويت على كل شيء وكل احد كل القوة والسلاح والعلاج والمقاومة والانتصار ، وكل الذكاء والتفكير والتدبير ، بل وكل الايمان والمذهبية والتدين والتقوى ، وكل العطاء والفداء للوطنية والقومية ، بل وكل الثورية بكل معانيها وصيغها واطوارها · انه حينما يفعل ذلك وهو ما يفعله دائما لا يشعر ان كل العيون والعقول والاذان والاحداث والاشياء تهزأ به او تتعجب منه او تتعذب وتتعزى بسذاجته ومن سذاجته ، او تتقاسي من الرثاء له ، او تتغذى بالشماتة به ··

ان اردأ واقبح ما في هذا انه اي الانسان العربي يذهب ويظل حينئذ يتوقع بتفاؤل كبير ان تجيء النتائج كما يتحدث عنها وكما يريدها ويتمناها · وكيف لا تجيء الاشياء والاحداث كذلك وقد صوت عليها بكل عبقريته الصوتية ؟ وحين تجيء خارجة على جميع امانيه وتوقعاته وتفاسيره وكما لا بد ان تجيء، يصاب باقسى صدمات الذهول والتعجب من مجيئها كذلك ، من مجيئها كما يظن ويعلن خارجة دائما على

المنطق والواجب والحق وعلى النضال والتدبير القويين العبقريين الصادقين اللذين يجب ان يكونا منتصرين دائما في كل المواقف ٠٠ نعم ، لا بد ان تكون كل ابالسة الكون قد تآمرت لكي لا تأتي النتائج كما هو محتوم ان تجيء وكما يجب ان تجيء ٠٠

لقد صوت دائما على كل قضاياه ومشاكله ومع هذا لم ينتصر ولم تتحرك الاحداث كما يريدها ويطالبها ٠ كيف حدث هذا ؟ لا بد ان يكون في الامر خدعة او عقدة او مؤامرة بشرية او كونية طبيعية ٠٠

ان الصهيونية حتما ليست بريئة ٠ حتى تآمر الطبيعة ٠ انه بتدبير وتخطيط الصهيونية الكونية حتى الطبيعة انها قد تدبر وتصنع المؤامرات ضد الانسان العربي ، ضد الهته وانبيائه واديانه واوطانه وحضاراته وتفوقه بل وضد لغته ٠ اليست الطبيعة هي التي خلقت اعداء العرب ووهبتهم الذكاء والمكر والقوة لكي يستطيعوا ان ينتصروا في تدبير وصياغة المؤامرات ضد العرب ؟ أليست الطبيعة هي التي تهب الاقوياء الاذكياء قوتهم وذكاءهم ، وتهب الضعفاء الاغبياء ضعفهم وغباءهم؟ ولماذا وهبت اعداء العرب او الذين سوف يصبحون اعداء لهم ، القوة والذكاء ، ثم وهبت العرب نقيض ذلك ولو احيانا ؟ هل لهذا تفسير الا ان الطبيعة تدبر وتصوغ المؤامرات ضد العرب ؟ لماذا جاءت الصهيونية ذكية وقوية وماكرة بكل هذا الشمول ؟ اليس التفسير ان الطبيعة جعلتها كذلك لكي يكون فتكها بالعرب شديدا ؟

اذن حتى الطبيعة تتامر ضد العرب ٠ بل وهل يوجد متامر ضد العرب مثل الطبيعة ؟ اليس اقسى المتآمرين عليك هو من يصنعك ضعيفا بليدا ويصنع عدوك قويا ذكيا ؟

ولكن هل يمكن ان يقتنع الانسان العربي بان الاحداث قد جاءت على غير ما يتوقع ويشتهي ، او انه قد هزم او اذل او أهين ، او انه قد صغر او تضاءل او تحول الى عار وافتضاح ، في اي موقف من المواقف ؟ اجل ، ان الاحداث قد تتظاهر بانها قد جاءت على غير ما يريد الانسان العربي تظاهرا فقط خبثا وكيدا وتامرا منها عليه ٠

لو ان جميع هزائم الدنيا وعارها وفضائحها ومهاناتها وتحقيراتها قد تجمعت كلها بكل صيغها ولغاتها وتفاسيرها في ضربة واحدة على كل بلد وعلى كل احد وكل شيء في العالم العربي ، فقام خطيب عربي ، حاكم او زعيم او غير ذلك في حشد قد تجمع فيه كل ابناء العروبة الذين يعيشون كل هزائم الدنيا وكل عارها وفضائحها واهاناتها ومذلاتها وتحقيراتها ، فتلا ذلك الخطيب العربي على حشده العربي الجامع اية قديمة جدا من الكتاب المقدس ، او رواية من الروايات القديمة جدا عن النبي العربي ، او قصيدة عن شاعر عربي ، او قصة عن غزوة عربية في احد كهوف او جيوب التاريخ ، تعلن هذه الاية او الرواية او القصيدة او قصة الغزوة العربية بكل فصاحة

عربية ، بكل موهبة العرب الصوتية ، ان العرب هم دائما كل القوة والانتصارات والمجد والذكاء والعزة والكرامة والقيادة والعبقرية ، وكل التدين والايمان والتقوى والتهذيب ، بل وكل عقل الاله وضميره وحبه وهواه ومجده وسعادته وجماله وتاجه فوق هذ ه الارض وفي كل الاكوان ، في كل الزمان والمكان ٠٠ وتعلن ايضا ان جميع الالهة المختبئين في كل كهوف السماء المتوزعين على كل أطوار وبداوات التاريخ قد تعهدوا مقسمين بكل جبروتهم وتقواهم بان يجعلوا العرب دائما كل ذلك ٠٠ قد تعهدوا به والتزموه واقسموا عليه بوثائق وعهود مكتوبة قد جاء بها جميع انبيائهم منزلة في جميع كتبهم المحفورة حروفها على ظهور وجباه واكف جميع الاشياء بل على جميع اعضاء الاشياء المحرمة المخفاة ٠٠ المحفورة على ايدي واقدام واسلحة وطرق وافاق جميع الاعداء ٠٠

نعم ، لو ان ذلك حدث لكان محتوما ان يتحول جميع الحفل الجامع لجميع ابناء العروبة الى هتاف صارخ جدا وصلوات مجنونة من الاعجاب بامتلاكهم لجميع الانتصارات والامجاد والقوة والكرامة والشرف والكبرياء والذكاء والتفوق والحضارات ولكل الماضي والحاضر والمستقبل ، بكل ما في ذلك من الهة ونبوات واديان وايمان وتقوى وكتب منزلة ، ولما بقي انسان واحد في الحشد الجامع الرهيب يشعر بان عليه ان يتواضع او يخجل او يتوارى او يهاب تحديق العيون الاخرى فيه ، او ان ينظر غي المرآة بحثا عن اي غضب او حيرة او تساؤل في وجهه ، او ان يهرب من كل مرآة خوفا من مواجهة وجهه لعبنيه ، او ان يخفض شيئا من رأسه رحمة بالشموس والنجوم لئلا يحطمها باصطدامه بها ، او ان يضع رأسه مع اي رأس اخر في مباراة صعود كوني لا حدود له ولا توقف فيه ٠ نعم ان اي عربي لن يقبل حينئذ أن يضع رأسه مع اي رأس اخر في مباراة مناطحة للشموس بالرؤوس ٠٠

اجل ٠ ان آية مقدسة او رواية عن نبي او قافية من الشعر او قصة عن حدث تأريخي وقع او زعم وقوعه ، او خطبة مطلقة كل الرعود ـ اجل ، ان اية واحدة من هذه يسمعها او يقرؤها الانسان العربي بتصويت عربي جيد لتستطيع ان ترتفع به عن واقع يعيشه اليوم وكان يعيشه بالامس وسوف يعيشه غدا ويعيشه ابدا ، عن واقع لا مثيل لما فيه من الهوان والعجز والبلادة والعذاب والظلم والهزائم والطغيان ٠ بل ان سماعه او انشاده لذلك ليجعله لا يرى هذا الواقع او يذكره أو يخافه بل او يتصوره ان الانسان العربي سامعا ومنشدا لنفسه ليصعد فوق كل الاكوان ويتخطى كل الهزائم والمهانات والتفاهات ٠٠

ان تصويت الانسان العربي على نفسه ولنفسه وتصويت بعضه على بعض وبعضه لبعض لا يترك له او امامه او فيه اي واقع اليم او حزين او رديء ٠ ان هذا التصويت لا يترك لعينيه ان ترى ، ولا لعقله ان يعرف او يفكر او يحسب او يتوقع ، ولا لاخلاقه

او كرامته او كبريائه ان تشمئز او ترتجف او تعاف ، ولا لضميره ان يتعذب كما لا يترك لطموحه ان يطالب او يتلفت او ينتظر او يسافر ...

بل ان تصويته هذا لا يترك له شيئا من عينيه او عقله او ضميره او اخلاقه او كرامته وكبريائه · ان كل شيء فيه يتحول الى تصويت · انه لا يشعر ان هناك ما يفعل او ينتظر او يطلب غير التصويت ..

ان تصويت الانسان العربي لنفسه وعلى نفسه ليهبه دائما واقعا جميلا عظيما مجيدا · انه ليهبه ما لا وجود له ويقنعه بوجوده · بل ان تصويته باسم واقع جيد واعلانا عن واقع جيد لا وجود له لافضل واعظم في حساباته واحاسيسه وفي رضاه عن كينونته من وجود هذا الواقع · انه لا يعرف انه يوجد فرق ولا يحس بوجود فرق ولا يسائل نفسه عن وجود فرق بين التصويت للشيء الجيد الذي لا يوجد وبين وجود هذا الشيء الجيد ..

بل ان تصويته لنفسه ليهبه كل الواقع الجيد العظيم الجميل المفقود ..

ان نشوة التصويت مطلقا ومسموعا تسلبه القدرة على التمييز بين كون الشيء موجودا وكونه مستحيلا بل تسلبه القدرة على التمييز بين معنى وجود الشيء ومعنى فقده ..

انه لا يتصور ان الواقع الجيد والمريح مطلوب وجوده ، بل ان كل تصوره ان المطلوب هو فقط التصويت باسم ذلك الواقع الجيد والملائم الذي لا وجود له والذي لا يعني وجوده شيئا · ان كل المطلوب هو التصويت على الشيء وللشيء المحسوب والمتصور جيدا ومجيدا · ان الساب والمعير لا يعني الا ان يسب ويعير وهكذا المصوت· انه ليس في القضية وسيلة وغاية · ان الوسيلة هي الغاية ..

ان التصويت بمجد القبيلة وبشجاعتها وانتصاراتها وقوتها وبكرمها ـ ان التحدث عن ذلك واعلانه باصوات عالية لاعظم واكثر تمجيدا للقبيلة وثناء عليها من امتلاكها المجد والشجاعة والقوة والانتصارات والكرم .. ان اية قبيلة عربية لو خيرت بين ان تكون كل المجد بلا تصويت وبين الا تكون شيئا من المجد مع التصويت بانها كل المجد لما وجد شك في الذي سوف تختاره ·

ان كل عربي ليفضل التصويت له بالمجد بلا اي مجد على امتلاكه لكل المجد بلا تصويت !! ·

اجل ، ان الاستماع الى امتداح القبيلة وامتداح مجدها لاعظم دائما من نفس مجدها في احاسيس القبيلة نفسها وفي احاسيس المادح المنشد الصارخ المهتاج امام وفوق جماهيره الضاجة المهتاجة ..

ان المنابر العالية الضاجة بالاصوات والاناشيد هي كل سموات الانسان العربي ٠٠

ان اعظم احتياجات العرب هي احتياجات اذان ، وان اعظم امجادهم وانتصاراتهم ووقائعهم وتاريخهم ومعاركهم ونشواتهم هي امجاد وانتصارات ووقائع وتاريخ ومعارك ونشوات تهديها الافواه الى الاذان ، وان ميادينها هي المسافات الممتدة ما بين الاذان والافواه ٠ ليس هذا طاقتهم فقط بل وطموحهم ومعرفتهم وتمنيهم وشهوتهم وثقافتهم واشواقهم ٠٠

ان كل هذا الكون لو تحول الى هدية لجاءت اقل مما تهديه الافواه العربية للاذان العربية ٠

اجل ، ان جميع الامجاد العربية العظيمة لم تجد في كل تاريخها مكانا تولد وتحيا وتتحرك وتعمل وتخلد فيه غير المنطقة الواسعة جدا الواقعة بين الافواه العربية والاذان العربية ٠ انها لا توجد منطقة يتخلق فيها او يمر منها مثل الذي يتخلق ويمر في المنطقة الواقعة بين اذان العرب وافواههم ٠٠

ان جميع عبقريات العرب وطموحهم وتقواهم ولذاتهم هي عبقريات وطموح وتقوى ولذات اذان وافواه ٠ انهم لا يتعاملون مع شيء او يؤملون في شيء او ينتظرون من شيء مثلما يتعاملون مع افواههم واذانهم ومثلما يؤملون فيها وينتظرون منها وانهم لا يحترمون شيئا مثل احترامهم لأفواههم وآذانهم ٠٠ أو لعلهم لا يحتقرون أو يحقرون شيئا مثلما يحتقرون ويحقرون آذانهم وأفواههم ٠

انه لا توجد علاقات تعامل ومحبة وثقة وتلاؤم بين شيئين او اكثر مثل العلاقات التى بين افواه العرب واذانهم ٠٠ ليت كل العالم يتعلم نبل العلاقات بينه من نبل العلاقات بين الافواه والاذان العربية بل ليت العرب انفسهم يتعلمون ذلك من اذانهم وافواههم ٠

ان الافواه العربية مصبوبة في الاذان العربية هي كل مجد العرب التاريخي ٠ انها كل الهتهم وانبيائهم وحروبهم وانتصاراتهم وكل حبهم وتقواهم وايمانهم ومذاهبهم ، بل وكل عزائهم ومسراتهم ٠٠ نعم ، هل كانت كل الهة العرب وانبيائهم وجميع امجادهم الا عمليات قذف او الا قذائف تقذفها افواههم الى اذانهم وعلى اذانهم ٠

ان جميع طاقاتهم ومواهبهم البشرية تتجمع في افواههم لتزحف على اذانهم ٠٠

انهم لا يرون او يشعرون ان البشر قد وهبوا او انهم قد يوهبون شيئا غير الافواه مستفرغة في الاذان ٠ انهم يعتقدون ان مجد كل شيء وكل احد هو فمه واذنه ٠ حتى الالهة والانبياء ، ان كل مجدها في اعتقاد العرب هو افواهها واذانها ٠ ان مجد

الالهة ان تصرخ طالبة امرة ناهية شاتمة مهددة متوعدة ، وان تستمع بابتهاج ونزق طفولي الى الصراخ الموجه اليها باسلوب صلاة أو ابتهال او تضرع او شكاة او مطالبة او بكاء او باسلوب شتم للاخرين ودعاء واستعداء وتحريض عليهم ووشايات ضدهم ·· اجل ان الالهة تجد في الشتم والوشاية والتحريض والاستعداء والبغضاء باسمها ولديها مجدا لها وسرورا بل وكبرياء !

اما مجد الانبياء في اقتناع العرب فهو نقل صراخ الالهة وتعليمه ونشره والالزام به وتحويله الى اخلاق انسانية والى سلوك مجتمعات · انه لا احد له من المجد مثلما للالهة والانبياء من مجد الصراخ ومجد الاستماع الى الصراخ ومجد نقل الصراخ وتعليمه ··

ان كل شيء واي شيء ليس سوى فمه واذنه ، حتى الالهة والانبياء · هكذا قد اقتنع العرب وعاشوا وتصرفوا · ان اعظم امجاد العرب وتاريخهم هي امجاد اذان وافواه وتاريخ اذان وافواه · انهم لم يجدوا من يحابيهم او يهبهم بلا حدود او شروط غير اذانهم وافواههم ··

ان العرب لا يعظمون شيئا مثل تعظيمهم للاذن لان الاذن هي وحدها المستقبل للفم المصوت ، المرحب به ، المتعامل معه ، انه لا يوجد صديق او مستقبل مرحب هاتف للفم غير الاذن او مثل الاذن ··

لهذا يرى العرب ان الاذن هي انبل واعظم هبة تقدم لاي كائن حتى ولو كان هذا الكائن هو الاله · هل يسعد احد بشيء مثلما يسعد الاله باذنيه مستمعا الى الصلوات والتضرعات والاهات رافضا الاستجابة لها او عاجزا عن الاستجابة ؟

ان في تعامل العرب اللغوي وفي رواياتهم عن نبيهم بل وفي كتابهم المقدس ظاهرة مثيرة قد تكون تعبيرا عن مجد الاذن في اقتناعهم وفي تعاملهم ··

لماذا الأذن قبل العقل في بلاغة القرآن

العرب دائما او غالبا يذكرون الاذن او حاسة السمع اول الاوصاف الحميدة المطلوبة حينما يصفون احدا من البشر او من الكائنات الاخرى · وكذلك ايضا يذكرونها اول الاوصاف المسلوبة او المفقودة التي يجب او ينبغي ان توجد حينما يتحدثون بأسى او بشماتة او بتهديد او بغضب واستنكار عن فقدها ·· انهم مثلا يقولون : هذا يسمع ويرى ، او يسمع ويفهم ، او يسمع ويطيع ويعرف ـ حينما يريدون ان يمدحوا او يطمئنوا او يثقوا · أما حين يريدون الذم او التعبير عن الخيبة والتخوف وفقدان الامل او الثقة فانهم يقولون : هذا لا يسمع ولا يرى ولا يفهم ولا يعرف ولا يطيع ولا يستطيع ·

انهم دائما او غالبا لا يذكرون اية حاسة او صفة قبل الاذن او قبل الوصف بالسمع لا حينما ينفون ولا حينما يثبتون حتى ولا الوصف بالعقل او العلم او بالحكمة او الخبرة · اي ان الاذن هي البدء حتى حينما يكون العقل والعلم والحكمة والخبرة موجودة وحاضرة ·· واذا حدث غير ذلك فكأنه الخطأ والخروج على القانون ··

وهذا الاستعمال او الالتزام يكون ظاهرا في القرآن حينما يصف الاله او البشر او اي كائن ، مادحا او ذاما ، معجبا او مستنكرا · اننا نجده يقول أمثال هذه الصيغ: (ان الله سميع عليم) (وكان الله سميعا بصيرا) (وكان الله سميعا خبيرا) (وكان الله سميعا حكيما) (انني معكما اسمع وارى) (صم بكم عمى فهم لا يرجعون) (وقالوا لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير) · لست اذكر انه جاء في القرآن : (ان الله عليم سميع) او (حكيم سميع) أو (خبير سميع) او (بصير سميع) ··

وهذا يتكرر كثيرا في آيات القرآن الذي هو فن العرب ومنطقهم وبلاغتهم وموهبتهم ، او الذي هو فن ومنطق وبلاغة وموهبة بعضهم او واحد منهم وافقه وصدقه وآمن به كثيرون منهم ، او الذي هو أشهر مالهم من فن ومنطق وبلاغة وموهبة ،

او الذي زعموه او زعمه فريق منهم كذلك · او الذي هو اسى فنون ومنطق وبلاغة ومواهب الاله الذي صاغ نفسه او الذي صاغته نفسه على نموذج الانسان العربي وعلى مقاساته الذاتية والنفسية والفكرية والاخلاقية والبلاغية بل واللغوية · بل الذي كانت كل اشواقه وطموحه ومحاولاته ونضاله ان يكون تقليدا للانسان العربي في كل ظروفه ومستوياته وبداواته وجاهليته الاولى ـ ان يكون تقليدا شاملا ومتقنا للانسان العربي ، بل ان يكون نفس الانسان العربي حتى في حقده وكرهه وعداوته وخصومته وغروره وتفاخره وفي اعجابه بنفسه وبآبائه وبصحاريه وفي اقتناعه بتفوقه على كل كائن اخر ، بل وفي اعجابه وتباهيه بأميته الحضارية والفكرية والتاريخية بل وبأميته امام القلم والحرف والكتاب ، اي حتى بأميته المتكبرة على معرفة القراءة والكتابة · ألم يمدح اي الاله قومه او نموذجه الاعلى العرب بانهم لا يقرؤون ولا يكتبون لانه هو لا يقرأ ولا يكتب ؟ لو كان الاله يقرأ ويكتب فهل يمكن ان يمدح نموذجه اي الانسان العربي والنبي العربي بانه لا يقرأ ولا يكتب ؟

ولكن ماذا يعني هذا اي جعل الاذن هي اول الاعضاء او الاخلاق او المواهب حتى في الاله وللاله ، جعلها قبل العلم والحكمة والخبرة والرؤية وقبل كل شيء ؟ أليس هذا يعني القيمة والتفوق والتمجيد وضخامة الوظيفة ؟ وهل يمكن ان يكون للاذن اية قيمة او تفسير او وظيفة انسانية او تعليمية لولا الفم الذي يستفرغ فيها ، اي لولا الالهة والانبياء والطغاة وجميع اصناف المعلمين والمصوتين الذين يستفرغون بأفواههم ومن افواههم كل قبحهم وقيحهم وطغيانهم واكاذيبهم وخداعهم فيها اي في الاذن ؟

نعم ، أليس كل عمل الالهة والانبياء والطغاة والمعلمين الاستفراغ في الاذان ؟

ان الاذن ليست لها قيمة ذاتية · ان كل قيمتها انها تستقبل المستفرغين فيها الباصقين عليها الشاتمين لها · انه لا شيء يهتم بالاذن ويعرف قيمتها مثل الفم · ولا يراد بالفم هنا كل فم او اي فم ، بل الفم المراد هنا هو فم الالهة والانبياء والطغاة وجميع الوان المعلمين والغزاة لعقل الانسان ولذكائه وكرامته وشرفه ولاخلاقه من نوافذ اذنيه · انه لا يوجد اي ممر للالهة والانبياء والطغاة في هذا الكون غير اذني الانسان ليمروا منهما لا الى عقله او قلبه او ضميره بل الى كرامته وذكائه وكبريائه هازمين مذلين ساحقين ··

ولهذا فانه لا احد يرحب ويسعد بتخلق الاذان وبوجودها دائما واسعة وبلا حماية ، بل لا احد يسعد ويرحب ويطالب بتحول الانسان كله الى آذان اي الى آذان فقط مثل الالهة والانبياء وجميع اصناف الطغاة والغزاة للانسان ، مع احتمال وجود المنافسين والمزاحمين لهم ·· وهل وجد او يمكن ان يوجد اي مكان في هذا الكون للالهة او للانبياء او للطغاة والمعلمين غير آذان الانسان ؟

لو ان الفم اعني اللسان حينما جاء وجد الانسان بلا اذنين فيهما كل هذه الطاقة الاستقبالية ، فيهما فقط وظيفة الاستقبال ، فهل يقبل اي الفم اعني اللسان ان يركب نفسه في الانسان ؟ بل لو انه اي الفم حينما جاء وجد الاذن محروسة بالكرامة او بالكبرياء او بالذكاء او بالمساءلة او بشيء من ذلك فهل يقبل المجيء او التخاطب معها ؟

او لو أن الالهة والانبياء وسائر الطغاة والمعلمين حينما جاءوا لم يجدوا المجتمعات او لم يجدوا الانسان فهل يقبلون ان يجيئوا او ان يصبحوا آلهة او انبياء او طغاة او معلمين ؟ اذن فالتمجيد للاذن او للسمع ليس الا تمجيدا للسان اي تمجيدا للتصويت وليس الا تعبيرا عن الحاجة اليه اي الى التصويت ٠

لعل الفم اعني اللسان قد تقبل ان يركب في الانسان بدءا لان الصدفة العجيبة قد جعلت الانسان العربي هو اول انسان تعامل معه الفم اعني اللسان ، اي تعامل مع اذنيه حينما جاء مبتدئا مجيئه وعمله ٠ لقد كانت تجربته الاولى مع اذني الانسان العربي ، لهذا تقبل المجيء وسعد به واصر على البقاء ٠ وقد كان محتملا الا يقبل اي الفم المصوت ان يجيء او ان يبقى لو أن تجربته الاولى كانت مع آذان غير عربية ٠

انه لاحتمال قوي بان يصدم اي الفم لو كانت تجربته الاولى مع آذان غير عربية ٠ وقد يرفض المجيء حينئذ ٠٠ أليست الاذان اي غير العربية حراسة وشروطا صعبة مشددة على الافواه ؟

انهم يهبون الاذن كل هذا التمجيد والتثمين لانها في حساباتهم او في تجاربهم او في امالهم تستقبل الفم المستفرغ فيها استقبالا مباشرا وبلا شروط او استئذان لاي جهاز او عضو او كائن اخر ٠٠ تستقبله لتؤمن وتهتف وتطيع ، لا لتحاور او تحاسب او ترفض او تخجل او تستنكر او تعاقب ٠ انه لا كائن يحق له او يجب عليه ان يحاور ويحاسب ويغضب ويرفض وينكر بل ويعاقب ويعصى مثل الاذان ٠٠

ان الاذان لو كانت تفعل ذلك لما وهبوها شيئا من هـذا التقدير والتعويل عليها بل لخافوها وقاوموها كما يقاومون ويخافون الفكر المحدق في نياتهم وافكارهم واخطائهم ، والعيون المحدقة في عيونهم وعاهاتهم وخطاياهم ، والاضواء التي تعري ظلام ليلهم والتي تسلبهم مغانم ظلامهم ٠ ان جميع الطغاة والدجالين والالهة والانبياء يعشقون الاذان ويريدون ان يتحول كل شيء الى اذان ولكن كم يرهبون ويلعنون ويعاقبون التفكير ؟

انها اذان صوتية لا فكرية اي يصوت لها وعليها ولا يفكر لها او فيها ولا تفكر هي فيما يلقى فيها او لما يلقى فيها ٠ آه لو أن الاذان تحولت الى تفكير وتحديق ومحاورة ومحاسبة ٠٠ كم تصبح حينئذ مرهبة مكروهة مرفوضة مشتومة ؟

انها اي هذه الاذان لا تساوي الا السماع اي الا ان تسمع ، وان السماع لا يساوي او لا يعني عندها وعند المستفرغين فيها الا الطاعة ٠ ولكن الطاعة لمن ؟ لاصحاب اجهل

واوقح وأعلى الافواه والاصوات ـ ايللالهة والانبياء والطغاة وسائر المعلمين واللصوص باسم الاديان والمذاهب والاخلاق والانسانية ٠٠ انه لا يوجد شيء فيه من البذاءة والدمامة والسوء مثلما في افواه الالهة والانبياء والطغاة وسائر المعلمين ٠٠

انهم دائما يقولون « السمع والطاعة » انه لا فاصل ولا تصادم ولا اختلاف بينهما من اي نوع ٠ وان اي واحد منهما لا يكون بدون الاخر ٠ لا سمع بلا طاعة ولا طاعة بلا سمع ، حتى الطاعة بلا سمع مرفوضة ومستنكرة ، لانها اي الطاعة يجب ان تكون خضوعا للامر والنهي اي خضوعا لاصحاب الافواه الكبيرة العاتية الوقحة المستبدة الغاوية المخادعة ٠ انه ليس المطلوب هو السلوك المعين فقط بل السلوك المطيع اي الذي هو تنفيذ للامر الموجه من الاقوياء ٠

انهم يفرضون على كل البشر ان يقولوا : (سمعنا وأطعنا) ٠ ويرفضون بكل الاصرار والقسوة ان يقولوا : (سمعنا وفكرنا) او (سمعنا فلم نقتنع) أو (سمعنا فجادلنا او فلم نفهم او فرفضنا او فرفضنا شيئا واطعنا شيئا او اشياء او (سمعنا وسوف نرى) ٠ ان جميع الالهة والانبياء والطغاة والمعلمين في كل العصور ليرفضون ان يقال لهم : (سمعنا وسوف نفكر او ننظر او نعرف ٠٠)

ان كلمة (سمعنا) لا تعني في جميع افتراضاتهم وتعبيراتهم حتى حينما توضع على لسان الاله او حينما يضعها الاله على ألسنة انبيائه ـ نعم ، ان كلمة : (سمعنا) لا تعني في كل الاستعمالات والافتراضات الا : (أطعنا ، أطعنا) (غفرانك ربنا واليك المصير) ٠ ان احدا منهم لن يقف حينما يسمع كلمة سمعنا ليسألها : هل يمكن ان تعني غير : اطعنا ، اطعنا ٠٠

ان الاذن التي تسمع لتطيع فقط هي حتما اذن صوتية لا فكرية بل انها ليست اذنا ولكنها طغيان مهاجم ٠ انها طريق طغيان واستعباد مفتوح مباح ٠٠ انها طريق جميع اللصوص والغزاة الى عقولنا وضمائرنا وضعفنا النفسي والفكري والاخلاقي ٠٠ ان الاذن السامعة المطيعة هي أوقح هدية اهدتها الطبيعة الى الالهة والانبياء والطغاة واللصوص ٠٠

إن مثل هذه الاذن ليست الا حشودا متلاحقة من الغزاة البغاة المتوقحين القادمين من كل الاماكن والجنسيات وتحت كل الرايات والشعارات والمزاعم ٠ اما الفم الذي يأمر ليقال لــه سمعا وطاعة لا ليقال له : اعرض وفسر نفسك ، قف خاشعا متواضعا مؤدبا لكي نفهمك ونحاسبك ونقرأ معانيك ونياتك ، ونعرف من اين قدمت ولماذا قدمت ، والى اين انت ذاهب ومن مرسلك ولماذا ارسلك ، وهل جئت الينا من الباب بعد ان استأذنت واذنا لك بالدخول ، ام انك قد هجمت علينا من الشقـوق ، مــن شقوق التاريخ والاوهام والمذاهب والشعارات ، ومن شقوق ضعفنا وبلادتنا ومجاعاتنا النفسية والانسانية والتاريخية ، ومن شقوق تركيباتنا الاجتماعية المختلفة ٠

ـ نعم ، اما مثل هـذا الفم فانــه ليس فما فكريا او كلاميا ولكنه فم صوتي بل انـــه ليس فما ولكنه غزو وعدوان وقح ٠ وهل وجد في التاريـخ او هل يمكن ان يوجد غزاة للانسان مثل الافواه في كثرتها ونذالتها وعدوانها وديمومتها وشمولها وفي اعداد قتلاها وجرحاها واسراها ومشوهيها ؟

وقد يكون من التفاسير لجعل اول وافضل صفات الاله وحواسه هـي الاذن او هي قدرتـه على السماع والاستماع والتسمع ورغبته في ذلـك ٠

ـ نعم ، قـد يكون من تفاسير ذلـك شهوة الاله الحادة وغير المتوقرة او المعقولة لان يسمع هتاف وتضرعات وصلوات الهاتفين المتضرعين المصلين لـه واليه وبه ، وكذلك لان يسمع انات وآهات وصرخات المعذبين المسحوقين المقهورين المظلومين ، يئنون ويتأوهون ويستغيثون ، حيث لا مغيث بل حيث لا راحم ولا راث ولا متألم لهم او معهم او من اجلهم ٠٠

قف ايها الخيال ٠ هل تجد قبحا كقبح العلاقات بين عبد يئن ويستغيث والـه يسمع ولا يستجيب او لا يسمع ولا يستطيع ؟

ضاحكة راقصة مغنية هي نشوات الاله حينما يتحول الكون كلـه الى انات وآهات وصرخات واستغاثات يمزقها الالم والهول دون ان تجد مغيثا او مداويا او حتى مشفقا ، وكذلك حينما يتحول الكون كلـه الى معابد تتعالى وتتزاحم فيها الهتافات والصلوات والتضرعات التي لا مستقبل لها ولا جازي او شاكر عليها ولا معترف بها ٠ لعل الاله لا يستجيب ولا يعالج الالام المرفوعة المشكوة اليه لانه في ظنه لو عالجها لسكتت او ضعفت الشكوى والضراعات اليه ٠

آه يا مسامع الاله ٠٠ كم انت موهوبة من معاني القسوة والجفاء والجحـود والخمود !٠٠ من صاغ لك ايها الاله اذنيك ؟ كيف استطاع ان يصوغ اذنيك مـن صاغهما ايها الاله ؟ كيف لا تتفجران او كيف لا تهربان من كل هـذا الكون ٠٠ من كل المعابد والمستشفيات وعيادات الاطباء وميادين القتال ومن كل البيوت والاماكن ومن حول جميع السرر ٠٠ لئلا تسمعا ، لئلا تسمعا اية صلاة او مناجاة او انة أو صرخة او آهة فيها كل لغات وتفاسير الاحتقار والغضب والاحتجاج والسخط على الفاعـل الاعظم ٠٠ على صاحب الاذنين اللتين لا مثيل لهما في عجزهما عن ان تسمعا او تفهما او ترثيا او ترحما او تخجلا او تتهذبا ٠٠ !

آه يا اخلاق الاله كيف تتقبلين او تطيقين ان تكوني وتعيشي مع اذني الالـه في ذات واحدة ؟ كيف تستطيعين التعامل او التخاطب مع اذنيه او مجاورتهما ؟

ما اعظم الوقاحة والنذالة والوحشية والبلادة ان تسمع اذنا الاله !!

ما اعظم العار والجرم ان تكون للاله اذنان تسمعان !!

اذنا الاله تسمعان كل هـذا ثم تبقى لـه اذنان · كيف يقبل اي كائن ان تكون لـه اذنان ؟

اغلق او افسد ايها الكون اذني الاله رحمة بـه واشفاقا عليه واحتراما لـه وحماية لكرامته · هل يوجد مثل الاله عجزا عن حماية كرامته وشرفه ، وعجزا عن الغضب لكرامته وشرفه وعن معرفة الكرامة والشرف ؟

يا اذني الاله موتا اشفاقا علي وتأثما من تعذيبي فانه لعذاب لي تعجز عن تصوره جميع تصورات الالهة ان تكون للاله اذنان تسمعان !·· ويلتاه·· ، ويلتاه·· الاله له اذنان تسمعان كل هذا ، كل هذه الانات والاهات والصرخات والاستغاثات ··! هل يمكن هـذا ، هل يمكن ؟

اسمعوا ايها المؤمنون · ان جميع الانات والاهات والصرخات والتضرعات تسقط في اذني الاله دون ان تتفجرا او تموتا ·· اسمعوا !! ···

الاله يسمع كـل هـذا دون ان يستجيب او يموت او يمرض او يصاب بالصمم، استحياء او انفجاعا او اشفاقا ··!!

هل تصدقون ايها المؤمنون ذلك ؟ هل تقبلون حينئذ التعامل مع اذني الاله ؟ هل تقبلون او تتصورون ان للاله اذنين او ان تخلق لـه اذنان ؟

الا تقاتلون لكي لا تكون للاله اذنان او لكي لا تنبت فيه اذنان ان كنتم تحترمونه او تخافون عليه ؟

هل يمكن ان يوجد تفسير لاخلاق اذني الاله او لاهوائهما وشهواتهما ، او لذكائهما ومنطقهما او لاستجاباتهما الفنية ؟ هل هجيت او حقرت الاذان ، كل الاذان بشيء مثلما هجيت وحقرت بآذان الاله ·· بأن تكون للاله أذنان ؟

وقد يكون من التفاسير لجعل الاذن هي اول واعظم صفات الاله رغبة المؤمنين فى ان يكون اي الاله سامعا لدعواتهم وطلباتهم وشكاياتهم واحتياجاتهم المرفوعة اليه بالدموع والخضوع واللهفات ليتأثر ويحرج ويرضى ويفرح فيستجيب ويقضي الحاجات والطلبات ويتحرك ليفعل تحت ضغوط المناشدات والالحاح ·· انه لعذاب اكبر من كل العذاب ، التصور بانه لا يوجد في هذا الكون اله يسمع ويستجيب · رهيب تصور الاله اصم ··

لقد كان خوف المؤمنين حادا واصيلا من الا تكون للاله اذان يسمع بها ، يسمع بها كل شيء باحاطة وسرعة وحماس · ان كل صيحاتهم ولهفاتهم لا بد ان تذهب حينئذ في للفراغ الاصم الرهيب · يا لـه من ضلال وضياع حينئذ في التيه الحـزين الكئيب الموات · لقد كان تصورا لا مثيل لقسوته ان يتصور المؤمنون بأن الاله كبير وقوي وضخم جدا ولكنه لا يسمع ··

لقد كانت مخاوف المؤمنين من الا تكون للاله اذان تسمع اي شيء مخاوف مفهومة وسهلة التفاسير . ان جميع تجاربهم الدائمة الطويلة لتفسر وتسوغ مخاوفهم هذه بل لتؤكدها وتؤججها بل لتوشك ان تحولها الى يقين . كيف ؟ الاله يسمع ! . كيف ، متى حدث هذا ؟ من هو واين هو هذا الصارخ الذي سمع له الاله .. ؟

ألم يتعذبوا ويتمزقوا ويفتضحوا طويلا ، طويلا من الدعاء والهتاف والتضرع الذليل الحزين الصادق المؤمن المنتظر دون ان يجدوا مجيبا او راثيا او معتذرا ؟ هل يمكن ن يكون لهذا تفسير سوى انه لا يوجد لا هنا ولا هناك من يسمع ؟ جربوا ، جربوا ايها المخدوعون ، ايها المؤمنون جربوا وتحدوا طويلا ، طويلا ثم لا تخافوا ان تجدوا الاله يسمع .. راهنوا على كل ذكائكم وكرامتكم وتقواكم بان الاله لا يسمع ثم لا تخشوا ان تغلبوا في الرهان او تخطئوا او تندموا او تتراجعوا او تشكوا في ابجية رأيكم ..

حتما انه لا يوجد من يسمع او لا يوجد من يستطيع او لا يوجد من يريد او من فيه شيء من الشهامة او النخوة او الرحمة او الحب او الاستحياء ، او انه لا يوجد واحد من هؤلاء . انه لو كان كل شيء في هـذا الكون ممكنا لظل فيه شيء واحـد مستحيلا ، هو ان يكون الاله سامعا سماع فهم وقدرة ونخوة ومحبة ورحمة واستحياء.

نعم ، ان تركيز المؤمنين على التوكيد بأن للاله اذنين يسمع بهما لدليل على شكوكهم الحادة المقلقة في ان يكون الاله اصم صمما لا نموذج ولا شفاء لـه ولا دليل لل ولا شبهة على انه ليس كذلك . بل لعله من الصعب جدا ان يكون المؤمنون قـد اقتنعوا بشيء اقوى من اقتناعهم بأن الاله الذي يدعون ويسألون ويئنون ويبكون اليه ولـه بأساليب كلها افتضاح وهوان وسقوط شامل لا يسمع شيئا ولن يسمع يوما ما شيئا كما لم يسمع في اي يوم شيئا . ان البشر لم يقفوا موقفا فيه كـل الخسران والهوان والهزيمة والرفض والصد والبلادة مثل موقفهم من دعاء الالـــه والتضرع اليه ورجائهم ان يسمعهم او يستجيب لهم .

ان جميع المؤمنين في جميع العصور لقتنعون بان جميع آلهتهم صماء صمما خالدا . انهم لم يؤمنوا بآلهتهم ولم يعايشوها ويصادقوها ويحترموها الا لانهم مقتنعون بأنها صماء . بل انهم لم يناجوها ويسألوها ويتضرعوا اليها ويصلوا لهـا ويشتموا الاخرين ويحقروهم باسمها الا لاقتناعهم بصممها الابدي !.. ان احدا مـا لن يستطيع ولن يريد التعامل مع الالهة ما لم تكن صماء بل ما لم تكن فاقدة لجميع الحواس فقدا لا مخرج منه !..

ان كل مزايا الالهة عند المؤمنين بها الداعين المصلين لها هي انها صماء بل فاقدة لكل الحواس والقدرة ..

لقد ظل المؤمنون يتحدثون الى الهتهم بكل الاساليب وهي لا تستطيع ان تسمع ويعلمون انها لا تستطيع ان تسمع وهي ايضا لا تفعل اي شيء يدل على انها تسمع

او قد تسمع ـ نعم ، لقد ظلوا يتحدثون اليها كذلك لكي يدللوا تدليلا مستمرا ومقنعا جدا على انها لا تسمع ولا تستطيع ان تسمع ٠٠ انهم يعرفون بالتجارب الدائمة انها لا تسمع ٠ اذن لماذا يظلون يدعونها ؟ لعلهم يريدون التوكيد بانها لا يمكن ان تسمع ٠٠

لقد كانوا سعداء باقتناعهم الدائم بانها لا تسمع وبانها سوف تظل ابدا لا تسمع ، لهذا ظلوا دائما يتحدثون اليها لكي يظل اقتناعهم بانها لا تسمع قويا وراسخا ومتجددا ودائما ٠ أليست افضل الاساليب للاقتناع الدائم بأن الالهة لا تسمع هو التحدث الدائم اليها ومعها ؟ هل يمكن ان نتحدث الى الالهة ثم لا تقتنع بانها صماء بلا شفاء ؟

أليس اجمل وافضل نماذج وصيغ الالهة هي الالهة الفاقدة لجميع الحــواس ، وهي كذلك الالهة التي تفقدها جميع الحواس أي التي لا تستطيع جميع حــواس المؤمنين بها ان تجدها ؟ أليس افضل واعظم الالهة في حسابات ونيات المؤمنين بها هي الالهة التي يقع التعامل عليها ومعها دون ان تكون موجودة او قادرة او فاهمة ؟ هل يوجد اقسى او اقبح او اوقح من أن يكون فوقك اله جيد الحواس حاد الاحاسيس؟ نعم ، كل هذا بعض التفسير للحكم على الانسان العربي بانه مصوت وليس متكلما ،

ان الانسان العربي لا يقاتل او يعالج او يفعل او يخاطب او يفكر بالتصويت باسلوب او بنية المناورة او الخداع او الدعاية او الضغط او الكذب الذكي ، اي انــه لا يفعل ذلك تدبيرا وتخطيطا ، اي انــه في ذلك ليس كمن يرفع سلاحا كاذبا وهو يعلم انه كاذب ، محاولا ان يقنع الاخرين او الاعداء بانه سلاح لا مثيل له في صدقه وقوته وفتكه وبسالته ٠ انه لجيد ان يكون المرء مغفلا او كذابا او غبيا بالتدبير والتخطيط لا بالاصالة او الموهبة ان لم يكن بد من هذا او هذا ٠

ولكن لا ٠ ان الانسان العربي لا يعرف ان التصويت سلاح كاذب ٠ وهو اي الانسان العربي لا يدري انه يناور او يخادع او يكذب كذبا ذكيا دعائيا او اعلاميـا حينما يذهب يداوي ويحل ويفعل ويفسر كل شيء وينتصر على كل شيء بالتصويت ٠ انه لا يدري ذلك ولا ينويه ولا يتظاهر به ويتعمده ٠ بل انه جاد كل الجد ، وانه ليعتقد انــه بذلك يواجه مواقفه باقوى واذكى العبقريات والبطولات ٠ انه لا يدرك انه يفعل ضعفا ليقنع او بنية ان يقنع بانه يفعل قوة ٠ لا يدرك انه يعالج بالسحر مؤملا ان يصل الى ان يعالج بالطب ٠٠٠

وانه ايضا لا يعرف انه يوجد تصويت وكلام او تصويت وتفكير او تصويت وفعل ٠ لا يتصور انه يوجد فرق بين هــذا وهذه ٠ لا يعرف ان التصويت تصويت ، لهذا لا يمكن ان يعرف انه هو مصوت ، ولا يعرف انه يصوت حين يصوت ومهما صوت !!

انه لا يعرف ذلك ولا يعرف شيئا منه الا بقدر ما يعرف الصاهل او الزائر او النابح او الراغي انه صاهل او زائر او نابح او راغ وليس متكلما او مفكرا او شاعرا او فنانا عبقريا ..

ان اعظم قائد او زعيم او نبي او معلم او مفكر عربي لا يعرف انه مصوت فقط الا بقدر ما يعرف الحصان او الجمل او الصرصار انه مصوت فقط وليس اعظم الفنانين او الشعراء او المفكرين او اعظم الانبياء والمعلمين ! وهل نستطيع ان نعلم حتما ان هذه الكائنات لا ترى نفسها كذلك كما رأى الانسان العربي نفسه ؟
ان المصوت لا يستطيع أن يفسر نفسه مهما استطاع المتكلم والمفكر ان يفسر نفسه ويفسر غيره بل ويفسر كل شيء ..

نعم ، ألا يحتمل ان الصرصار او البرغوت او الجمل يعتقد ، حين يصوت ، انه يقول اعظم الشعر او اعظم الفنون او اعمق الافكار مثلما اعتقد الانسان العربي انه لا يقول الا ذلك حين لا يكون الا مصوتا اصواتا يرفض البرغوث والصرصار والجمل ان تكون اصواته ؟ ولماذا نفترض البراغيث والصراصير والابل وامثالها اكثر وقارا وتواضعا من الانسان العربي ؟ أليس هذا انحيازا يرفضه الدين والضمير والمنطق ؟

وهل من العدل ان يعد الصرصار او البرغوث او الجمل مذنبا او مغفلا او كذابا او حيوانا لو اعتقد ان اصواته ليست الا نبوات تخاطب بها السماء الارض ثم لا يعد الانسان العربي مذنبا او مغفلا او كذابا او شيئا أردأ وأقل من ذلك حينما يزعم ان اصوات من يحسبهم انبياءه ليست الا نبوات اعظم الانبياء ، الا نبوات انبياءهم زعماء جميع الانبياء ، هم الانبياء الذين اغلقوا جميع ابواب السماء واخفوا مفاتيحها لئلا ياتي بعدهم انبياء .. عجبا ! كيف يكون مجيء الانبياء دائما شيئا جيدا ثم يصبح مجيئهم شيئا رديئا بعد ان اصبح للعرب انبياء ؟ كيف اصبح المجد عارا ؟ لماذا العرب هم الذين اغلقوا ابواب السماء لئلا يجيء منها الانبياء ؟

هل من المحتمل ان ترضى السماء او ان يعجبها بان تعد او بأن تكون اصوات انبياء العرب هي اصواتها وتعاليمها ونبواتها الى الارض ثم لا يرضيها ولا يعجبها ان تكون او تعد اصوات البراغيث والصراصير والنياق والجياد الصاهلة هي اصواتها اي اصوات السماء وتعاليمها ونبواتها الى البشر جميعا اي والى العرب والى انبياء العرب ايضا ؟

ليت السماء تعلن عن رأيها في هذه القضية مترفعة عن كل مشاعر المحاباة ولغاتها!
هل يوجد شذوذ مثل ان يتحدث دائما كل الناس المتناقضين بل المتضاربين عن السماء دون ان تتحدث السماء عن نفسها ولو مرة واحدة ؟ هل يوجد صمت مستنكر مثل هذا الصمت ؟ ...

اذن فالانسان العربي لا يتداوى ويداوى بالسحر الذي يعرف انه سحر ، مؤملا ومحاولا ان يجد وان يصنع الطب ثم يتداوى ويداوى به ، بل انـه يتداوى ويداوى بالسحر الذي يعتقد بل الذي يعرف انه كل الطب · نعم ، يعرف ! لان الانسان العربي حين يعتقد لا يعتقد فقط بل ويعرف · ان عقائده ليست عقائد فقط · بل ومعارف اي علوم ··

كذلك فانه اي الانسان العربي لا يهدد او يضرب ويقاتل بالسيف الكذاب الذي يعرف انـه كذاب ، مؤملا ومحاولا ان يجد وان يصنع السيف الصادق ، ثـم لا يحتاج الى ان يهدد او أن يضرب ويقاتل بـه لان امتلاكه له يغني في منطق الاشياء عن استعماله · بل انـه اي الانسان العربي يهدد ويضرب ويقاتل بالسيف الكـذاب في جميع حروبه وخصوماته وميادينه مقتنعا بأن هذا السيف الكذاب هو اصـدق السيوف بل هو كل السيوف الصادقة ·· نعم ، ان كل الذين ضربوا بالسيف او اكثرهم انما ضربوا به لانهم لم يمتلكوه امتلاكا كاملا وقويا او لان الاخرين لم يعرفوا امتلاكهم له بهذه القوة ·· نعم ، انك لن تضرب بالسيف ولم تضرب به الا حينما تكون عاجزا عن امتلاكه امتلاكا قويا كافيا او عن ان تضرب به بقوة وبراعة كافيتين مقنعتين ، او الا حينما يكون الاخرون الذين تضربهم بالسيف عاجزين عن الاقتناع بانك تملك مثل هـذا السيف وتملك القدرة على الضرب به وعلى ارادة هـذا الضرب ، باسلوب قوي كاف مقنع · اجل ، ان اية حرب لم تقع ولن تقع الا عن عجز واقع او عن عجز محسوب او مقدر ·· عجز في احد الفريقين المتحاربين ··

في هذه الاوقات التي اكتب فيها هذه الصفحات يقول العرب بكل اجهزتهم المصوتة انهم يواجهون ظروفا واخطارا لـم يواجهوا او يواجه احـد من البشر قط مثلهـا في قسوتها وتعقيدها وتآمرها وفي خبث تدبيرها · انها في زعم جميع اجهزتهم ظروف واخطار لا تستطيع كـل طاقات وعقول وبسالات جميع البشر ان تكون ندا لها او قادرة على تحمل آلامها وتحدياتها لو حشدت لها جميع هذه الطاقات والعقول والبسالات ·· لان هذه الاخطار والظروف في اقتناعهم الذكي جدا قد تآمرت جميع قوى الشر والخبث والبغضاء في الطبيعة وفي البشر بل وفي الكائنات الغيبية الخفية لكي تصوغها اضخم واذكى الصياغات لكي تذل وتقهر بها الانسان العربي حسدا لـه على مزاياه وخوفا منه لقوته وتفوقه وبسالته · ولقد كانوا اي العرب يعرفون دائما ان جميع انياب واظفار الشر في هـذا الكون لـم تنبتها ضمائر وحوشه الا لكي تقهر وتذل بها الانسان العربي حسدا وخوفا وبغيا ·

لهذا رأوا اي العرب لكي يستطيعوا مواجهة هذه الظروف والاخطار بقوة وانتصار انه لا بد لهم ان يستعيروا من جميع الالهة ومن جميع قوى الكون كل عضلاتها وضرباتها وعقولها وكل دهـائها وتدبيرها وحماسها وغضبها وكبريائها ، ثم ان

يصوغوها صياغة اذكى واقوى واشجع ، ثم ان يزرعوها في عضلاتهم وضرباتهم وعقولهم وفي دهائهم وتدبيرهم وحماسهم وكبريائهم هم ، لكي يخلقوا ويركبوا منها قوة تساوي كل قوة الالهة وكل قوة كل الكون وكل من فيه وما فيه ، بعد أن يصوغوها الصياغة الجديدة التي هي اقوى واذكى ، كما تساوي ايضا كل قوتهم هم ·

اجل ، لقد فعلوا ذلك · لقد خلقوا وركبوا هذه القوة المؤلفة من عضلات وضربات وعقول ودهاء وحماس وغضب كل الالهة والطبيعة والبشر ، من كل عنف ومواهب كل الاشياء ··

والان · لنصعق انبهارا واعجابا بما يحدث · ماذا يحدث الان ؟ هل نطيق التحديق في ما يحدث ، او هل نجرؤ على التفكير فيه دون الرهبة من ان تقتلنا صدمة الاعجاب والانبهار او صدمة الفزع والذهول والاسى ؟

ولكن هل نحن ممن يصابون بالصدمات ؟ هل صعدنا الى هذا المستوى الحضاري والانساني ·· هل صعدنا اليه بالفكر او بالاخلاق او بالعاطفة ·

اجل ، ها هو احد الزعماء والقادة الكبار ، او لعله احد الشعراء او المفكرين الكبار أو لعله احد الوعاظ او الخطباء او الملقين او المذيعين الكبار او الصغار في احد المعابد أو النوادي أو الصحف أو الاذاعات ، او لعله احد الاساتذة في احدى الجامعات ··

اجل ها هو احد هؤلاء المقاتلين العرب بكل عضلات وضربات وعقول وكبرياء ودهاء وحماس وغضب وقوة جميع الالهة وجميع الكائنات الغائبة وجميع الكون وجميع البشر ، وبكل بطولات كل ذلك ··

ها هو احد هؤلاء يقاتل · انه يصرخ ويصرخ بانفعال او بصيغة انفعال لو تحول الى سلاح ذكي مقاتل لاستطاع ان يقتل كل الاعداء بل كل الاحياء ، بل لاستطاع ان يقتل او يهزم كل ما في النفوس والاخلاق من خور وخسة وكذب وتفاهة ·

انه يقول كاتبا او مذيعا او منشدا او خطيبا او متحدثا أو مجيبا أو محاورا :

« لا بد لن نقاتل · انه لا شيء غير القتال · لا شيء · ليعلم كل العالم ، الاصدقاء والاعداء اننا لا بد ان نقاتل ، وانه لا شيء غير القتال · ليعلم كل العالم ذلك ·· ليناج كل العالم كل الهته ان العرب لا بد ان يقاتلوا · ان العالم ان لم يناج الهته في كل صلواته ان العرب لا بد ان يقاتلوا فلا بد ان يندم ويخسر ويحزن اي كل العالم·· »

اذن لقد قاتلنا ، لقد قاتلنا ·· انه لا بد ان يكون شعوره واقتناعه كذلك ، وكذلك شعور واقتناع من حوله او من سمعوه · ان اي مقاتل في العالم لن يكون اقتناعه او شعوره بانه قد قاتل مثل شعور او اقتناع هذا الانسان العربي بانه قد قاتل لانه قد خطب او كتب او اذاع او تحدث صائحا ، صائحا : « لا بد ان نقاتل » ·· هل يوجد قتال اقوى او أنبل أو أحسم في مشاعر الانسان العربي من ان يقول : « لا بد ان نقاتل ·· لا بد ؟ »·

وها هو ايضا احدهم يصيح ويصيح بحماس او بصيغة حماس يستطيع بضربة من ضرباته ان يقتلع الشمس من مكانها ٠ انه يقول بضجيج يخيف الاعاصير ويحولها الى صمت وقور : « لا بد ان ننتصر ٠ لا بد ٠ انه لا خيار لنا في ان ننتصر والا ننتصر ٠ اننا لا نستطيع الا ان ننتصر حتى ولو رفضنا ان ننتصر ، حتى ولو هربنا من الانتصار تواضعا او اشفاقا على الاعداء او خيفة ان يحولنا الانتصار الى مغرورين او الى ظالمين ، لا بد ان ننتصر لان الانتصار قدر محكوم به على العرب في جميع معاركهم ٠٠ »

نعم ، لقد انتصرنا ، لقد انتصرنا لاننا قلنا : لا بد ان ننتصر وقلنا : لقد انتصرنا ٠ !

وايضا لا بد ان نكون قد قاتلنا لاننا قلنا لا بد ان نقاتل ولاننا قلنا اننا قد قاتلنا ٠ !! أليس التحدث عن الانتصار هو اعظم اساليب الانتصار في موهبة الانسان العربي ؟

بل أليس التحدث عن الانتصار هو كل الانتصار ، كل سلاحه وتفاسيره وقوته ولذته وكبريائه بل كل وجوده ؟

ان اي منتصرين لن يكونوا مقتنعين بانتصارهم او واجدين مشاهدين له او عائشين فيه او معجبين او مباهين به مثل اقتناع هذا الانسان العربي بانتصاره ومثل امساكه به ومشاهدته له ومثل عيشه فيه ، مثل معايشته له ومثل اعجابه ومباهاته به لانه قد خطب او كتب او اذاع او اعلن او سمع : « لا بد ان ننتصر ٠ لا بد من ذلك ٠٠ » انه لا احد غير الانسان العربي يتحول قوله الى كل الحقيقة والفعل والقوة والانتصار في احساسه ورؤيته واقتناعه وفي سلوكه وادعائه ايضا ٠٠

وهذا ايضا احدهم يعلن بزهو يتحول الى اقسى تعذيب لعيون ووقار وضمائر كل الاشياء ، يقول ناقلة عنه كل الاجهزة العربية والعالمية قوله : « لقد حشدنا لكل معاركنا ومواجهاتنا واعدائنا حشدا لا تستطيع جميع احتمالات الاشياء ان تحشد مثله ٠٠ لقد حشدنا من الطاقات والعقول والاخلاق والذكاء والدهاء والتخطيط والبسالة والصدق والحماس والاخلاص ومن كل اصناف الاسلحة والابتكارات والمواهب المختلفة حشودا لو رأت او علمت شيئا منها جميع مشاكلنا وهمومنا وظروفنا الصعبة والاليمة واعدائنا لجاءوا ولجاءت جميعا الينا تائبين وتائبة ، معتذرين ومعتذرة ، مبايعين ومبايعة ٠ لقد اعددنا لكل شيء اعدادا لو راته لو علمته الالهة لخفنا عليها ان يمرضها الحسد او يقتلها الخوف ٠٠ »

حتما لقد حدث وتم هذا الحشد والاعداد في ايمان ورؤية واحساس القائل والسامع العربيين ، انه لا يوجد اي حوار او حراسة او محاسبة بين فم الانسان العربي واذنيه ولا بين اذنيه واقتناعه ٠٠

اجل ، ها هم جميع الزعماء والقادة والعلماء والمفكرين والشعراء والخطباء والوعاظ والاساتذة والادباء والمذيعين والمعلقين الصغار والكبار العرب يقاتلون هذه الظروف والمخاطر التي تواجههم والتي يقولون ان اي قوم في الماضي لم يواجهوا مثلها وان اي قوم في الحاضر أو المستقبل لا يواجهون ولن يواجهوا مثلها ..

ها هم جميعا يقاتلون هذه الظروف والمخاطر بعضلات وعقول ودهاء وذكاء وحماس وتخطيط وشجاعة وغضب جميع الالهة والطبيعة والاشياء والبشر ..

اي لانهم قالوا ويقولون انهم يقاتلونها . لقد قالوا فاعتقدوا او اعتقدوا فقالوا ..

ما اردأ وأقسى ما يرى وما يحدث الان !! .. ما اردأ واقبح واقسى ان نرى ونجد الانسان العربي يقاتل الظروف والمخاطر التي تواجهه اليوم والتي يقول مصدقا قوله : انها ظروف ومخاطر لم يعش او يمر مثلها تحت الشمس قط في قسوتها وتعقيدها وتآمرها وفي ذكاء وخبث التدبير الذي ارادها وخططها وصاغها واعد لها لقهر واذلال الانسان العربي حسدا لمزاياه وعبقرياته وخوفا من قوته وتفوقه وبسالاته ..

ان المأساة هنا ان العرب في هذا القتال ليسوا ممثلين بل حقيقيون . ليت العرب كلما تحدثوا او خططوا أو فعلوا يمثلون ويرون انهم يمثلون ويفسرون بانهم يمثلون . اذن لكانوا حينئذ اقل بشاعة وبلادة وافتضاحا . ليت كل سخيف ودميم وبليد مزور لا حقيقي .

انهم في ايمانهم ومنطقهم يقاتلون وليسوا فقط يحرضون او يستعدون او يستثيرون او يتوعدون او يبكون ويئنون أو يتمنون ويؤملون ..

ان افواههم هي كل الاسلحة والقوة والضرب والتخطيط اي في اقتناعهم وسلوكهم وحياتهم ..

لننظر بجزع او بلا جزع الى ما يحدث في هذه الاوقات ..

لقد اعطت هذه الحضارة كل هذه الاجهزة الناقلة للاصوات المحابية للمصوتين المعلنة عنهم بسفه ونفاق خسيس ، المحولة لهم الى وقاحات وبذاءات ودمامات عالمية، تتساقط في كل الاوقات من كل الاجهزة على جميع الاذان حتى على الاذان البريئة والعفيفة والمصابة بالاستحياء وبموهبة الاشمئزاز والغثيان رفضا للقبح والسفه والوقاحة والغباء والخسة .. ما اقسى وأوقح عدوان هذه الاجهزة على جميع الاذان .. الاذان الجيدة والرديئة ، الذكية والغبية ..

لقد فعلت هذه الحضارة كل ذلك دون ان تصاب بالندم أو باحاسيس المذنب الخسيس المحتاج الىالاعتذار والاستغفار والتراجع والى اقامة الحراسات على شرفها وكرامتها والى تشديد هذه الحراسات ..

نعم ، لقد فعلت الحضارة كل هذا وكأنها انما تريد ان تدلل على ان الحضارات والعبقريات التي تبدعها ليست مستوى كرامة او شرف او نظافة او كبرياء او اختيار او اشتراط او استحياء او حتى مستوى ذكاء او ضمير او حب ، حتما هي مستوي قدرة وضرورة ٠٠

لقد فعلت الحضارة كل هذا وكأنها انما تنوي التدليل والاقناع بل والاعلان على ان اية حضارة ليست مستوى قلب او كرامة او تقوى او اخلاق ولكنها مستوى عضلاتواظافر وانياب٠٠ على أن أية حضارة ليست مستوى حضارة بل مستوى قدرة او ليست مستوى انسان متحضر يحب ويختار ويشترط ويقبل ويرفض ويعجب ويشمئز ولكنها مستوى كائن همجي قادر ذكي مبدع خلاق فاجر نذل يبيع ويعرض موهبته الخلاقة ويلقي بها دون اسف او تأثم او شعور بالحرج او النذالة والسقوط ، يلقي بها تحت كل الاقدام والاهواء وفي كل الحفر والزبالات والاوحال ٠٠ يلقي بها تحت اقدام الانذال والاخساء لتكون طعاما ومجدا وشهرة لنذالتهم وخستهم وشهواتهم الهمجية اكثر مما يضعها في ضمائر الاتقياء والشرفاء والاذكياء لتكون وقودا وتكريما وتحية وقوة لضمائرهم ولتقواهم وشرفهم وذكائهم ٠ كأنها اي الحضارة انما تريد ان تدلل على انها مهما صعدت فوق تحديقات كل النجوم فانها لن تكون بلا اقدام تمشي بها الى الهوان والنفاق والحضيض والنذالة وفوق ذلك ٠

نعم ، وماذا مما صنعت واعطت هذه الاجهزة الناقلة للاصوات المحابية للمصوتين المعلنة عنهم بلا وقار او حياء او ذكاء او كبرياء او تقوى ؟

لقد كان مما اعطت وصنعت هذه الاجهزة ان اصبح العرب يحلون جميع مشاكلهم، وينتصرون ويتفوقون على جميع الاعداء والمنافسين ، ويلدون ويهبون اكثر واضخم العبقريات ، ويرهبون بمزاياهم وقوتهم وخططهم كل العالم ، ويعرضون امجادهم وقبور ابائهم الواهبة للحياة كل امجادها ، اعني يثبتون هذه الامجاد ٠

نعم ، ان اصبح العرب يفعلون ويثبتون كل ذلك مجددا ومكررا ، كل الاوقات ، على طول امتداد الليل والنهار ٠

اذن في اليوم الواحد كم يثبتون ذلك ويهبونه ويجدونه ويقتنعون ويقنعون به ؟ انهم في اليوم الواحد يفعلون ذلك اثباتا واقتناعا واقناعا وعطاء بقدر ما يصوتون متحدثين عنه وعن انه كذلك ، اي كما تحدثوا وصوتوا عنه ٠ وفي اليوم الواحد كم يصوتون ويتحدثون ؟ عجبا ! ٠٠ العرب يلدون وجودهم وتاريخهم اللذين هما كل التاريخ والوجود كلما تحدثوا عنهما ٠ اذن كم يلدونهما في اليوم والليلة ؟

نعم ، في الليلة الواحدة واليوم الواحد بهذه الاجهزة النبيلة الخسيسة كم يبدع ويهب العرب من الحضارات والعبقريات والانتصار والامجاد والبطولات والنبوات ومن القبور الواهبة للحياة وللاشياء كل شرفها وتقواها وتفاسيرها وذكائها ؟ كم يلدون من

هذه القبور في اليوم الواحد والليلة الواحدة ؟ انهم يلدون ويشيدون ويبدعون ويهبون من ذلك في اليوم والليلة بواسطة هذه الاجهزة العزيزة الذليلة بقدر ما يتحدثون فيهما اي في اليوم والليلة ..

وكم يتحدثون في اليوم الواحد والليلة الواحدة لنعرف كم يعطون ويلدون ويشيدون ويبدعون من ذلك في مثل هذه المدة ؟

وكم يجب ان نشفق على خيالاتنا لو اننا تصورناها قد التزمت بان تحصي ما يعطيه ويلده ويبدعه العرب في اليوم الواحدة والليلة الواحدة مما لا يستطيع ان يبدعه او يعطيه او يفهمه او يحترمه او يلده سوى الانسان العربي ؟

اذن ما اعظم ما تهب هذه الاجهزة للانسان العربي من نشوات ومسرات وتذليل واستمتاع روحي ومنبري وقومي ومذهبي واخلاقي ومن محاباة لجوعه الدائم الى النزق والعرض للذات والاعلان عنها والى خوض المعارك والمخاصمات والمفاخرات والمبارزات بالشتائم والبذاءات والصهيل والمباهاة بالقبور وبالامجاد التي لم تخلق الا في القبور ولم ترو الا عن القبور والتي كل رواتها يعيشون في القبور . هل توجد قبور يعيش فيها من الامجاد مثل ما يعيش في القبور العربية ؟ أليست كل امجاد العرب أمجاد قبور اي امجادا تعيش في القبور اي تروي عنها .

نعم ، ما اعظم ما تهب هذه الاجهزة من ذلك القادة العرب ولزعمائهم وحكامهم وانبيائهم ولكل مصوتيهم وفضاحيهم ومفتضحيهم الكبار ولقبور ابائهم كذلك . انه لا يوجد مكان تعيش فيه كل الامجاد والعبقريات التي كانت والتي سوف تكون والتي لن تكون سوى القبور العربية .

لقد جعلت اي هذه الاجهزة حاجتهم الدائمة الى الافتضاح المحلي والدولي تعيش في مهرجانات دائمة ضاجة من الرقص والغناء والعرض والبصق على الذات وعلى الاخرين وعلى كل شيء، بكل اساليب جنون ونزق وكبرياء السعادة والفرح والانتصار . هل يوجد من يسعدون ويستمتعون بفعل الافتضاح معلنا وضاجا وعالميا مثل الزعماء والقادة العرب ؟ اذن هل كانت الحضارة حينما ابتكرت هذه الاجهزة تدبر لفضح الانسان العربي ؟

ان ها هنا لتفسيرا أليما وحزينا للبشر ، لهم جميعا أو لاقلهم أو لاكثرهم . انه لتفسير فادح وكالح في دلالاته ..

ان في البشر من يشعرون او يحسون او يعتقدون ان ادعاء الشيء او التحدث عنه او تهديده او مشاتمته ومخاصمته باصوات عالية وباساليب اعلانية مثيرة اعظم اعطاء للمجد والسعادة والقوة والشهرة والراحة والرضا من امتلاك الشيء او من تحقيقه او من كينونته كما يراد ويطالب به او من هزيمته والانتصار عليه ، اي اذا كان ذلك

اي امتلاكه او تحقيقه او تحققه او هزيمته والانتصار عليه بصمت ووقار ، او اذا كان ذلك يعني حتما الكف عن الادعاء والتهديد والمشاتمة والمخاصمة والمبارزة بصهيل ينزف نزقا وغرورا وتوترا وتوقحا • اليست الشتائم والوقاحات والبذاءات والمخاصمات والملاعنات الضاجة النزقة هي اكثر صلوات وفنون البشر عالمية واصالة وتقوى وصدقا وحماسا وروحانية ولسعادا ؟

اجل ، ولعل كثيرا من الناس يفضلون ان يكون لهم اعداء لكي يشاتموهم ويهددوهم ويكرهوهم وينذروهم وينذروا بهم باساليب اعلانية متهيجة ، على ان يكونوا بلا اعداء واحيانا على انيتحول الاعداء الى اصدقاء • أليس شيئا قاسيا بل مميتا ان يكون المرء بلا شيطان او عدو رجيم يصرخ بلعنه وذمه واتهامه وتوعده وكراهته ؟ أليس حتما ان اخرين يختارون ـ بحثا عن المجد والنشوة والسعادة النفسية ـ ان تكون لهم قضايا ومواقف يجدون من يخالفونهم فيها ليتهموهم بالضعف والضلال والغباء ومجانبة الحق والصواب وليزعموا لانفسهم التفوق في الفهم والذكاء والاهتداء الى الصواب باصوات عالية وعدوانية ومتكبرة وبذيئة •

نعم ، يختارون ذلك على ان يكون كل الناس رعايا عقليين ومذهبيين لهم وموفقين في كل ارائهم ورؤاهم ، اذا كان ذلك يعني صمتهم ووقارهم وحرمانهم من الادعاء والضجيج والمخاصمة والاتهام والتشنيع ؟ أليس في الناس من يتقبلون ان يحرموا من الحرية والكرامة والذكاء والسعادة ، ولكن هل فيهم من يقبلون حرمانهم من المخاصمة والمشاتمة والتشنيع ؟

نعم ، وقد يسعد بعض الناس ان يكون لهم حق او شيء يطالبون به ويدعونه بصياح وتهيج وتكرار وباساليب دعائية صارخة وبتوعد وباعجاب بالنفس وبما سوف يخططون ويفعلون للاستيلاء على ذلك الحق أو الشيء بضربة سوف تصيب كل العالم بالذهول وهول المفاجأة اكثر مما يسعدهم الا يكون لهم حق او شيء تشقيهم المطالبة به والخوف عليه ، او اكثر مما يسعدهم ان يجيء اليهم ذلك الحق أو الشيء مطيعا تائبا ليسقط في احضانهم وجيوبهم باستسلام ومحبة وشوق ، اي اذا كان ذلك يعني ان يصبحوا كراما في صمتهم وتهذيبهم وفي كفهم عن الضجيج والادعاء والبذاءات وعن مشاتمة ومخاصمة النجوم ••

نعم ، اليس الوقار والتهذيب اللغوي والاخلاقي والعاطفي هو اقسى اساليب التعذيب ؟ ••

وايضا قد يرضى قوما ان تكون لهم مشاكل وهموم والام واخطار ومواجهات صعبة ليشكوا منها وليتحدثوا بكل الجهر والاعلان والفصاحة عن صبرهم وتحملهم وعن قدرتهم على المقاومة والتحدي والانتصار ، وعن ان الاخطار والاحداث القاسية

الاليمة تخصهم بحقدها وعداواتها وبغضائها بقدر ما تعرف من ضخامتهم وقوتهم وتفوقهم واصالتهم في المقاومة والتحدي ...

نعم ، قد يرضى قوما ان تكون لهم كل هذه المشاكل والهموم والالام والاخطار ليواجهوها وليخاطبوها بهذا الاسلوب اكثر مما يرضيهم الا يكون لهم شيء من ذلك وحينئذ يتخاطبون مع انفسهم ومع الاخرين بصمت او بهمس او بجهر ولكن بلا ادعاء او غرور او اعجاب بالذات . هل يمكن ان يعاقب انسان باقسى من ان يفرض عليه ان يكون صامتا او هامسا في كل موقف يكون الصمت فيه هو المطلوب او المفروض أو الوقار أوالذكاء ؟

ايهما يختار رجال الدين ومحاربو الشيطان ومعلمو الاستقامة والتقوى : ان يكون هناك فساد حاد شامل لكي يضجوا بمقاومته وذمه ولعنه ،ولكي يعلنوا انهم هم جيش الانقاذ والحماية منه ام الا يكون هناك اي فساد ، وحينئذ يحكم عليهم بان يغمدوا السنتهم وسيوفهم الخشبية وينزلوا من فوق منابرهم ويحرقوا صحائف توراتهم واناجيلهم وقرآنهم الضاجة بالمواعظ والتعاليم المهددة ؟ بايهما يسعدون ويجدون مجدهم ورضاهم عن انفسهم : بهذا ام بهذا ؟ ايها الشيطان ، انه لمرجو منك بل انه لمظنون بك الا يصيبك الغرور والكبرياء والا تتراجع عن وجودك وبقائك او عن عملك حينما تسمع هذا الحديث عن مزاياك ونفعك .

اجل ، ايهما يختار محاربو الشيطان ولاعنوه والواعظون ضده : ان يكون موجودا ام الا يكون ، ان يكون مطاعا ام معصيا ؟ ايهما يهبهم السعادة والمسرة : وجود الشيطان مع لعنه والوعظ والتعليم والصياح خوفا وتحذيرا منه ، ام فقده مع الصمت عنه ؟ . ومرة اخرى ، حذار ايها الشيطان ان تنتحر او تتوقف عن رسالتك لكي تحرم السعداء بك من سعادتهم . ابق ايها الشيطان نبيلا كما كنت دائما .

لماذا رأى الله واختار ان يجيء الشيطان ويبقى ، ان يجيء بكل هذا السلطان والقوة والانتصار والمجد ؟ أليس التفسير لذلك او بعض التفسير ان الله قد رأى واختار ذلك لانه يريد ان يحقق السرور والرضا والمجد لنفسه بالاشتغال بسببه اي بسب الشيطان وذمه وبالتحذير منه والحديث عنه والتخويف به والتعليم ضده ، وبانه سوف ينتقم منه ومن اتباعه وسوف يعد له ولهم كل اساليب والوان العذاب ، وبانه في النهاية لا بد ان يكون هو المنتصر القهار ؟ هل يمكن تصور تعذيب وحرمان للاله مثل تصور حرمانه من متعته الوحيدة التي هي السب والذم والتحذير والتخويف بانتقامه وعذابه والاعلان عن قوته وانتصاره المحتوم ؟

اليس كل التفسير او بعض التفسير لتدبير الاله مجيء الشيطان بالجبروت الذي به جاء ان الاله يريد ان يكون شاتما مخاصما مهددا معاديا غاضبا مبغضا مخاطبا بكل اصوات البشر بل بكل اصوات الكون لان ذلك يسعده ويفرحه ويمجده

ويشهره ويستعرضه ، ولا . لا شيء يخفيه ويخمده ويحزنه ويذله بل ويقتله مثل الصمت والوقار والاتزان والتهذيب ومصالحة الاشياء والنفس ؟ هل يشقى احد بالصمت والوقار والتهذيب والاتزان والحب والصلح مع النفس ومع الكائنات ومع الاشياء مثل الاله لو امكن ان يفرض عليه او يفرض على نفسه ذلك ؟

الاله يصالح الاشياء ويصالح نفسه ويلتزم الوقار والتهذيب ويترفع عن البغضاء والبذاءة والسباب ؟ الاله يفعل ذلك ؟ هل يحدث هذا ؟ هل يوجد اقبح او اقسى من حدوث هذا ؟ هل يوجد خيال اردأ من الخيال الذي يتصور هذا ؟ في اي شيء حينئذ يجد الاله سروره او مجده او رضاه عن نفسه او اعجابه بها لو انه صالح الاشياء وصاغها كما يطلب وكما يقول انه يريدها فكف عن البغضاء والوعيد والسباب والاتهام والتعيير اي فحكم عليه بالصمت والوقار ؟

هل يمكن ان يوجد او يتصور اعظم قسوة وعدوانية من هذا التصور ؟ أليس يستطيع اي الاله ان يصالح الاشياء ؟ لماذا لم يفعل ذلك ؟ هل لهذا تفسير غير انه يسعد بالمخاصمة السابة الصائحة ؟

ماذا لو ان البشر ومعهم جميع الابالسة احبوا الاله او خافوه او احترموه او رثوا وتعذبوا لعذابه بعصيانهم له وخروجهم على اوامره وشهواته فتشاوروا وتفاوضوا فقرروا ان يطيعوه وان يكونوا جميعا كما يريد ويطالب ويعلم لكي يصبح غير محتاج الى ان يبغض ويلعن ويهدد وينذر ويذكر بقوته وجبروته وعقابه وانتقامه وبعبقريته في المكر والخداع والتدبير ، مؤكدا انه في النهاية ودائما هو المنتصر الاقوى الاسمى ـ لكي يصبح غير محتاج الى ان يفعل كل ذلك بكل اساليب الصراخ وافانينه ولغاته ، فوق كل منابره وفي كل محاريبه ، بل لكي يصبح محروما من كل ذلك ومحرما عليه كل ذلك ـ لكي يريحوه من عذاب ووقاحة الغضب والبغض والكيد والخداع والتدبير للعقاب والانتقام والصياح .. ؟

نعم ، ماذا لو ان جمع البشر وجميع الابالسة فعلوا ذلك ؟ أليس المحتوم حينئذ ان يكون الاله قد وقع في ورطة لا مثيل لها في القسوة والتعذيب والحرمان ، وان يكون غضبه وسخطه وهياجه واحتياجه الى الانتقام والتعذيب اشد واحد ؟

بل أليس محتوما حينئذ ان يدبر اي تدبير او يخلق اية قوى شريرة اخرى او اي ابالسة اخرين لكي يكون معصيا مخروجا عليه ، ولكي يجعل البشر والابالسة القدماء الذين استقاموا وتابوا عصاة من جديد كما كانوا ؟ هل يوجد في التصور متآمرون على الاله في قسوة من تآمروا عليه ليكون كل شيء كما يأمر ويريد ويطلب ويعلم ؟

اجل ، اليس محتوما حينئذ ان يذهب اي الاله يدبر هذا للتدبير لكي يصبح معصيا منبوذا ، لكي يصرخ غاضبا لاعنا مهددا متهما مبغضا معلنا عن تصميمه وعن قدرته على الانتقام والانتصار ، اي لكي لا يصبح محروما من سعادته الشاملة

العظمى ، اي من الصراخ بكل الاساليب واللغات والمفسر بكل الاسباب وللتفاسير وبكل المذاهب والاديـان ؟

الا يحتمل ان يفطن البشر الى ذلك فيحاولوا حينئذ باسلوب ماكر لئيم ان يعاقبوا الاله وان يوقعوا به ، ثأرا وغضبا وانتقاما لانفسهم منه ، اي استردادا لشيء من الحسابات والديون الثأرية الاليمة المتراكمة عليه لهم مما اوقع وفعل بهم ، اي بان يتحولوا جميعا ومعهم جميع الابالسة الى مستقيمين مطيعين له ، بالاسلوب والمستوى اللذين يطالب بهما بكل الصياح والاعلان والديمومة والشمول ٠

نعم ، الا يحتمل ان يفعل البشر والابالسة ذلك باسلوب ونية المكر والتوريط والانتقام الثاري لكي يحرموه اي يحرموا الاله من لذاته الكبرى في السباب والتهديد واللعنات وفي الغضب والبغضاء والادعاء والمبارزة الصوتية ، بكل اساليب الصياح من فوق جميع المنابر وفي داخل جميع المحاريب ، وفي طقوس كل الصلوات والعبادات وفي ايات كل توراة وانجيل وقرآن ؟

عجبا ! كيف لم يفطن للبشر والابالسة الى ذلك ؟ لو كيف لم يقدموا على هذا المكر العظيـم ؟

أليس حرمان الاله من هذا يتفوق في قسوته على حرمان كائن خارق في حدة احاسيسه وحدة الامه واشواقه وحبه واحتجاجه وغضبه واحزانه واحلامه ـ حرمانه من جميع حواسه، من جميع ادوات ولغات التعبير ومن جميع اساليبه وصيغه ؟ اذن كيف حدث هـذا ؟ كيف لم يفكر البشر في الاخذ بالثار ؟ هل عجزوا ام جهلوا ام اشفقوا ورحموا ام تأدبوا ؟ الا يمكن يوما ما ان يفطنوا اليها ويفعلوها ؟ كيف لم يعاقب البشر الاله بان يكونوا كما يريد منهم وكما يطالبهم لكي يحرموه من الغضب والتوعد وانزال اللعنات عليهم وبهم ؟

ولكن السؤال الحاد هو : هل الانبياء الذين يجيئون الى الارض رسلا للسماء ليطالبوا سكان الارض بان يكونوا كما تريد وتأمر السماء اي لكي يذهب غضبهـا اي غضب السماء وحقدها ووعيدها وبغضاؤها ومطالباتها ونواهيها وأوامرها المزمجرة المرعدة ـ نعم ، هل هؤلاء الانبياء يعرفون تفاسير هذه القضية ، اي يعرفون ان الناس لو استقاموا كما يطالبونهم ويعلمونهم لوقع الاله في الورطة التي فسرت جيدا ؟ هل الانبياء يعرفون او يستطيعون التحديق في داخل ذات الاله لكي يعرفوا تفاسير شهواته ورغباته ونياته واخلاقه واوامره ؟ هل احد من الانبياء جرؤ على قراءة ضمير الاله ؟

ان كانوا يعرفون ذلك فكيف يدعون الى ما فيه كل الهدم لمسرات الاله ولسعادته ؟ وان كانوا لا يعرفون فكيف يجهلون مثل هذا الذي يصعب جدا جهله ؟ هل الغباء شـرط

في النبوة ؟ هل من شروط اختيارك نبيا الا يكون فيك اي قدر من الذكاء ؟ هل درست او فهمت هذه القضية بل هل طرحت او نوقشت ؟

لكن لعل الانبياء لم يجهلوا هذا ولم يخشوا بدعوتهم ان يفعلوا او يحققوا شيئا يضر بمسرات الاله او ينقصها او يهددها لانهم اي الانبياء يعرفون انهم مهما دعوا وعلموا وجاءوا فلن يطاعوا ولن يقل الفساد او العصيان او الزندقات او ما يسمى ويحسب كذلك ٠ هل يحتمل ان اي نبي قد يهبط في مستوى ذكائه او مستوى غفلته الى ان يظن ان تعاليمه قد تطاع او ان تصوغ من توجه اليهم اية صياغة ؟

انه لا احد يهجو ذكاء الانبياء مثل من يظن انهم كانوا يتوقعون التأثير في اخلاق الناس او في نياتهم بمجيئهم ٠

اما الاحتمال بان يتآمر البشر والابالسة على الاله وعلى مسراته فيذهبوا باسلوب المكر والخداع وبنياتهما يطيعونه ويلتزمون بكل الصدق والصرامة والشمول بكل ما يأمرهم ويطالبهم به وبكل ما يتظاهر بانه يريده منهم ، فهو احتمال يجب ان يبعد عن جميع مناطق التفكير والتفسير ٠

لقد دبر واحتاط الاله لنفسه في هذه القضية ٠ لقد صاغ البشر والابالسة وجميع من يطالبهم بطاعته صياغة تجعل طاعتهم له مستحيلة ، مستحيلة بالامكان والقدرة والطبيعة والمنطق والاخلاق ٠٠ وطالبهم كذلك مطالبات غير مستطاعة تحت جميع الظروف والنيات والحوافز والوعيد والتهديد وتحت جميع اساليب الاغراء والرشوة ٠ انه لمستحيل ان يستطيع اي نبي او قديس طاعة الاله او التأثر بتعاليمه واوامره مثل استحالة ان يهبط القمر ليصافح او يقبل او يشكر من يتغزلون به ويرنون اليه ٠٠ اذن فلا خوف على الاله من احتمال هذا التآمر ٠٠

انه مهما كان الشك في موهبة الاله الفنية او الابداعية او العلمية او الاخلاقية فلا ينبغي ان يكون هناك اي شك في موهبته الكيدية او القتالية او العدوانية ٠٠ انه لو انكرت جميع مواهب الاله لما امكن انكار مواهبه في التدمير والتقتيل والتعذيب والعدوان وكل انواع التخريب والاذلال ان كان هو مخطط وصائغ وحاكم هذا الكون٠٠

***

نعم ، ان الانسان كائن مصوت اي كائن شاتم ومبغض ومتهم ومخاصم ومعاد ومطالب ومدع ومهدد اكثر واعمق واصدق من كونه كائنا مفكرا او متدينا او مؤمنا او محبا او صديقا او قارئا او منتميا او اخلاقيا او اجتماعيا ، بل اكثر واشمل واعمق واصدق من كونه كائنا جائعا او نائما او متناسلا ٠٠

ولكن الاساليب والمستويات محتوم ان تختلف وتتفاوت في ذلك ٠٠

انه لو كان محكوما على البشر ان يختاروا ـ ان يكون كل شيء كما يريـــدون ويطلبون ، اي ان تصاغ الاشياء والاحداث والكون والاخرون كما تريد احتياجاتهم ولكن بشرط ان يحرم عليهم التصويت بكل لغاته ، اي السباب والاتهام والمخاصمة والمبارزة بالكلمات ، وايضا الادعاء والتهديد والبغضاء الجاهرة المعلنة المفسرة بالاديان أو بالمذاهب أو بالاخلاق او بالتاريخ ، وكذلك تحويل المحاريب والمنابر الى مصاهلات متحدية متكبرة متفجرة غضبا وغيظا وحقدا ونزقا ـ او لا يكون ذلك كذلك لتبقى لهم كل اصواتهم بكل لغاتها وتفاسيرها واسبابها واساليبها واعلانيتها الاستعراضيـــة المتواقحة المتباهية ٠

نعم ، انه لو حكم على البشر ان يختاروا بهذا الاشتراط او بهذا التقييد لكان محتوما ان يحملوا السلاح بل ان يقاتلوا باسنانهم واظافرهم لئلا تكون الاشياء والاحداث والكون والاخرون كما يريدون ويطلبون ويتمنون ويحتاجون ٠

ولكن مرة اخرى : لا بد من الاختلاف والتفاوت بين البشر في ذلك ٠ وقـــد يكون الاختلاف والتفاوت حادين في الاساليب والمستويات وفنون التعبير ٠٠

اني لانتظر الصفح والغفران او التسامح ان كان محتوما اني سوف ابدو مكررا هنا ٠٠ وهل يعتذر عن التكرار ؟ هل الذي يكرر غضبه او احتجاجه او اشمئزازه أو حزنه او رفضه لو حبه او كرهه او هتافه لتكرر اسباب ذلك ـ هل الذي يفعل ذلك يحتاج الى اي اعتذار ؟

ان التصويت ليس وظيفة يراد بها ان تحقق شيئا ٠ انه اي التصويت ليس تخطيطا او تدبيرا لو تفسيرا او تفكيرا او توظيفا ، ليس عملية حسابية مـن اي نوع٠ ان الانسانيشتمويحقد ويبغض ويدعيويفاخر ويحقر ويخاصمويعادي بصوت مسموع ، وكذلك يئن ويبكي ويتاوه ويعظ ، انه يفعل ذلك بالنية والمنطق اللذيـــن يصوت بهما اي حيوان جيد او رديء ٠ ان صوت اي واعظ او معلم من فوق اي منبر لا يحمل من التاثير او الوعظ والهداية اكثر مما يحمل صوت اي حيوان يئن من الالم٠٠

لماذا يهتفالناسبآلهتهم وانبيائهم وقديسيهم طالبينمنهم ان يهبوهم او يهدوهم او يعلموهم أو يشفوهم ، أو ان يقهروا الاعداء والابالسة ويذلوهم وينصروهم عليهم؟

لماذا يتضرعون اليهم ببكاء وتوهج وارتجاف ونحيب طالبين اليهم ان يتحكموا في آلية الطبيعة او في حماقاتها وضرباتها الالية العمياء ـ ان ينزلوا المطر او يمنعوا او يزيلوا الاوبئة او يعافوا المرضى والمشوهين او ينصفوا المظلومين والمقهوريـــن والمهانين ـ طالبين الى الالهة ان تكون افضل مما ارادت ان تكون او اقدر مما استطاعت ان تستطيع ، طالبين الى زارعي القحط والبغضاء ان يزرعوا النجوم باللحـــوم والمحبـــة ؟ ٠٠

لماذا يفعلون ذلك وامثاله بكل هذا الاصرار والديمومة وبكل هذه الاساليب العالمية ؟ انهم بالتجارب الطويلة التي لا تختل ولا تختلف بل وبالاحاسيس المختلفة يعلمون ان هؤلاء الالهة والانبياء والقديسين لن يستجيبوا لاحد ولن يصنعوا او يستطيعوا ان يصنعوا شيئا مما يطلب منهم · ان تاريخهم الطويل بريء من كل معاني الاستجابة واحتمالاتها · انه لا احد يملك من البراءة مثلما تملك الالهة من براءة الاستجابة ··

ان المريض الذي يهتف بالالهة او الانبياء والقديسين او بالارواح الغيبية الخفية، طالبا منها الشفاء ليعرف بالتجربة الطويلة الممارسة او المشاهدة اي بالتجربة في الذات او في الاخرين ، انها لن تستجيب ولن تستطيع ان تستجيب الا بقدر ما يستطيع السرير او الكرسي الذي ينام او يجلس عليه ، او الا بقدر ما يستطيع المريض المجاور له ، ان يشفيه لو انه طلب منه ذلك · بل كلا · ان السرير او المريض المجاور ليستجيب للمريض المستغيث اكثر واقوى من الالهة وارواح الانبياء والقديسين استجابة لمَن يستغيثون بها ·

ان المريض الذي ينادي بانين ورهبانية : ايها الاله اشفني ليعرف بالتجربة والاحساس انه لن يجد من يسمعه او يستجيب له اكثر من ان يجد العاشق الملهوف من يسمعه او يستجيب له حينما ينادي باحتراق وجنون حبيبه الذي قد مات : تعال الي ، تعال ، اني في انتظارك ، او حينما ينادي القمر المتثائب من البلادة والكسل والضياع في الفراغ الكئيب : اهبط الي ، اهبط الي لابحث في وجهك وجيوبك وضميرك عن حبيبي الذي ضاع ! ··

نعم، انهم لكثيرون اولئك الذين يظنون ان وجوه احبابهم مخزونة في وجه القمر ·· لهذا يرونها حينما يرونه ··

والالهة والانبياء وسائر المعلمين لماذا يصرخون دائما من فوق جميع المنابر وداخل جميع المحاريب بكل اساليب التهديد والغضب والغيظ والسباب ، يطالبون البشر بان يكونوا كما يعلمونهم ؟ انهم يعلمون ان البشر لن يكونوا كذلك وان تعاليمهم لن تصيب الشيطان او المسمى شيطانا الساكن في اعضائهم وشهواتهم ومجاعاتهم وضعفهم وفي قوانين الحياة فيهم ، لن تصيبه بأي قدر من الضعف او الحياء او الهزيمة او الادب او من الاشفاق على ضحاياه او من الرغبة في الستر عليهم واخفاء نقائصهم وضعفهم ·· انه لا احد يهجو ذكاء الالهة والانبياء والمعلمين مثل من يعتقدون انهم اي الالهة والانبياء والمعلمين يظنون انهم قد يصيبون الشيطان بأية هزيمة بتعاليمهم ··

والاباء الذين ينهرون ابناءهم الاغبياء او المعتوهين او المصابين باي عجز عقلي او نفسي او بدني ويوجهون اليهم النصائح والاوامر ليكونوا اذكياء وعقلاء واصحاء واقوياء ٠ ماذا يريدون من هذا التوبيخ وهذه النصائح والاوامر ؟

هل هي سذاجة او وقاحة او قسوة او شماتة او اعلان ودعاية او استمتاع بالسلطة ؟

لن هؤلاء الاباء ليعلمون ان ابناءهم لن يكونوا كما يريدون لهم بصياحهم بهم نهرا وتوبيخا ونصحا ٠ ان صنيعهم هذا يساوي صنيع الاب الذي ينهر ابنه او يسبه لانه قصير القامة او اسود اللون ، ويذهب يطالبه بان يكون بالنصائح والامر والوعظ طويل القامة وابيض الجلد ٠٠

نعم ، أليس جميع الاباء يعلمون ويأمرون ابناءهم القصار السود البله بان يكونوا عمالقة وعباقرة وبيضا ؟

ان هؤلاء ليسوا موظفين أو مخططين أو مدبرين يريدون أن يحققوا شيئا مما ينادون به أو أي شيء اخر ٠ انهم ليسوا الا مصوتين ، لا يعنون او ينوون الا ان يصوتوا ٠ ان ما صوتوا عليه او له او به او باسمه ليس هو سبب تصويتهم او سبب حاجتهم الى التصويت ، ولكنه هو المصوب اليه والمسقط عليه تصويتهم والمفسر به والمعلن باسمه ٠ انه هو الذي وضع عليه الشيء وليس هو الذي له الشيء او من اجله الشيء او خالق الشيء ٠٠٠

أنه هو المكذوب به وليس المكذوب له والمبصوق عليه لا المبصوق من أجله ٠٠

ان ما يصوتون عليه أو له أو به أو بأسمه هو الذي فعل به وليس الذي فعل من أجله ٠ ان الشيء الذي يصوت عليه أو له أو به أو باسمه هو من أجل المصوتين وموظف عندهم ولهم وليسوا هم من اجله ولا موظفين عنده أو له أو فيه ٠٠

ان الذي يصلي أو يهتف أو يحقد ويشتم باسم اله أو مذهب ليس في نيته التكريم بل الالقاء بالاوحال الذاتية ٠٠

انهم لو لم يجدوا هذا الذي صوتوا له وعليه وبه وباسمه لصوتوا باسم شيء آخر أو لاوجدوا شيئا آخر لكي يصوتوا باسمه وعليه وله وبه ، أو لصوتوا بدون أي شيء ٠٠ أليس الذي يشتم ويحقد ويكره باسم اله أو مذهب أو باسم اية قضية أخرى يشتم ويحقد ويكره أيضا بلا اله أو مذهب أو قضية ؟

اجل ، ألم يوجدوا الالهة والانبياء والمذاهب والاديان والتعاليم والتاريخ والخصومات والخلافات والحدود المقسمة لكي يصوتوا باسمها وعليها ولها وبها مع انهم يصوتون ايضا ودائما بدون هذه التي تتحول الى تشريع لتصويتهم ؟

ان المصوتين لا بد أن يصوتوا حتى ولو جاء تصويتهم ضد ما يصوتون له وعليه وبه وباسمه ، حتى ولو جاء تصويتهم اساءة وهزيمة وافسادا وتحقيرا وفضحا له أي لما يصوتون باسمه أو من أجله فيما يزعمون ٠٠

ان الذين يصوتون باسم شيء أو من أجله في زعمهم لا يستأذنون ذلك الشيء ولا يحاورونه بحثا عن مصلحته وارادته .

أليس أكثر تصويت البشر على الاشياء التي يزعمون انهم يصوتون من أجلها ودفاعا عنها واحتراما وتأييدا وتقوية لها هو تصويت يتحول الى اعتداء عليها والى اهانة واضعاف وفضح وتشويه لها ؟ هل وجد أي مذهب أو نظام أو دين أو اله أو زعيم لم يتحول التصويت له وباسمه الى تشويه وفضح له ؟

هل الذين يشتمون أو يبغضون أو يحقدون أو يعادون أو يتهمون أو يخاصمون أو يبارزون أو يتحدون أو يتوقحون ويتكبرون أي يصوتون باسم الهتهم أو أنبيائهم أو زعمائهم أو أوطانهم أو مذاهبهم واديانهم ، ويصوتون لها ومن اجلها فيما يعلنون .

– نعم ، هل هؤلاء يحاسبون أو يحاورون تصويتهم ليعرفوا انه نافع وناصر لما يصوتون باسمه وله وعليه ومن أجله ؟ هل يفعلون ذلك أو هل فعلوه بحساب وصدق واخلاص واهتمام ، ثم صوتوا او كفوا عن التصويت خضوعا لما دلتهم عليه محاسباتهم ومحاوراتهم ؟ هل وجد من يحاكمون أو يحاورون أصواتهم لمصلحة ما يزعمون انهم لا يصوتون الا من أجله دفاعا عنه ، وحبا وانتصارا وتمجيدا له ؟

لو أن التصويت الذي يدعي ويحسب كلاما ، أو لو أن الكلام الذي هو تصويت كان تدبيرا أو تخطيطا أو وظيفة أو عملا محسوبا ومحاسبا بالنتائج فماذا يمكن أن يصيب هذه الاجهزة الصوتية العالمية ، الاذاعة والصحافة والتلفزيون في كل بلدان العالم وتحت كل نظمه ومذاهبه وانتماءاته ؟

ماذا يمكن حينئذ أن يكون مقبولا بقاؤه أو مسموحا ببقائه من هذه الاجهزة ؟ نعم ، لو أن هذه الاجهزة لم تكن تصويتا فقط من أجل التصويت فقط ، أي لو انها كانت عملا يخطط ويوظف ويحسب ويحاسب بما يعطي من منافع وقيم دولية أو محلية ، مادية أو اخلاقية أو نفسية أو انسانية او تعليمية أو سلامية .

– نعم ، لو ان هذه الاجهزة كانت كذلك فماذا يمكن حينئذ أن يبقى منها ، وكيف يمكن حينئذ ان تستقبل أو تعامل أو تصاغ ؟ كيف يمكن حينئذ ان تكون حاجتها الى التاديب والتهذيب والتشذيب ، بل الى العقاب الشديد ؟

هل توجد اية خطيئة عالمية تستحق من المحاكمة والمعاقبة مثلما تستحق هذه الاجهزة العالمية ؟

ان هذه الاجهزة الصوتية ليست الا مأساة عالمية متجددة مفخورا بها مصرا عليها موهوبة كل الاهتمام والعناية والتمجيد باسلوب ومنطق عالميين ..

انها ليست الا مأساة عالمية اذا كان المفروض والمطلوب أيضا أن تكون عملا يخطط ويحسب ويحاسب بما يعطى ويصنع من المنافع والقيم الحضارية والانسانية المختلفة .

ولكن أليس مما يغفر لها ويخفف من ايذائها وعدوانها ان العالم كله يعرف انها ليست ألا تصويتا عالميا ؟

لقـد أصبحت هذه الاجهزة ورطة عالمية ٠٠ أصبحت شقاقا وبغضاء ومخاصمات وتحريضا على الحقـد والخوف والانقسام والعداوات والتربص باسلوب عالمي لا مثيل لـه فـي الشمـول والمجاهـرة والديمومـة ٠٠

انها تحريض على جميع الشرور يوجهه كـل العالم ضـد كـل العالم بأكثـر الاساليـب ديمومـة وشمـولا والحاحـا ٠

لو أن منظمة او هيئة أو جماعة دولية ألفت من رجال موهوبين كـل الاخلاص والصدق والنزاهة والشجاعة والحياد والذكاء والمعرفة والعمق والعدالة ، ليكون عملها محاسبة ومحاكمة هذه الاجهزة الصوتية العالمية ، اي الاذاعـة والصحافة والتلفزيون وكـل مـا هـو كذلك ، لتغير أي هذه الجماعة الدولية من هذه الاجهزة ولتزيد وتنقص بـل وتمنع وتعاقب كمـا تقول لها محاكمتها ومحاسبتها ورؤيتها ـ نعـم ، لـو أن ذلك حدث فماذا يمكن أن تكون النتيجة حينئذ ؟ حتـما ستكون النتيجـة حزينـة وفضاحـة بـل مروعـة ٠٠

ان هذه الجماعة الدولية لا بـد أن تصاب حينئذ بالهلع مما تصنعه هذه الاجهزة الصوتـية مـن تخريب وافساد وعدوان ٠

هل يمكن حينئذ ان يترك جهاز واحد من هذه الاجهزة في أي بلد من بلدان العالم المختلفة الانتماءات والمستويات كمـا هـو ؟ أليس محتوما أن تعاب وتشذب وتهذب جميعا ، وان يحاكم ويعاقب ويحرم ويمنع أكثرها ؟ ثـم أليس محتوما أن تختصـر وتصغر كلها ؟ حتى أفضلها واذكاها واعظمها نبلا وحبا ووقارا وصدقا لا بد أن تختصر جدا بـل الا يبقى منها الا الشيء القليل جدا ٠٠ ان اخضاعها حينئذ للمنطق والحساب والمحاكمة لابد أن يخرسها ويحولها الىفترات عاقلة قليلة كفترات الحب العاقل العميق٠

هذه الديمومة والضخامة والشمول والعالمية في التصويت ، كـل لحظات الزمان بكـل الاساليب والوسائل كيف تكون مقبولة أو مغفورة أو نافعة ، حتى ولـو كـان هذا التصويت هـو اعقل واتقى واعدل الاصوات ؟ كيف ، وهذا الاعقل الاعدل الاتقـى هـو الاقل بـل هـو النادر الذي يتحول وجوده الى شذوذ وسماعه الى مفاجأة مثيرة ؟ انـك لساذج سذاجة تستحق كـل الرثاء لـو توقعت أن تسمع ايـة دعاية أو أيـة اجهزة صوتية محكومة بكل حسابات العدل والصدق والعقل والذكاء والوقار والتقوى٠

ليكن ٠٠ هذا البلد أو النظام أو الحزب أو المذهب أو هذا الانسان مثلا لـه قضية مـع اخرين أو مـع نفسه ، وهي قضية عادلة وهو يتحدث عنها بتهذيب وذكاء وعدل، ولكنه يتحدث عنها كـل الاوقات بكـل كـل اللحظات ، بكـل الاجهزة ، بكل الافواه والاقلام والاصوات ، في الصحافة والاذاعة والتلفزيون وفي الكتب والنشرات ، بـل وفي الصلوات ٠٠ فهـل يقبل أو يغفر هذا ؟ بـل هـل يمكن أن يكون هـذا مفيـدا او ناصـرا للقضيـة ، لايـة قضيـة ؟

هل يمكن ان يكون التحدث عن أية قضية بكل هذه الشمول والديمومة مفيدا أو غيـر ضـار ؟..

أليس احتمالا جيدا أن مثل هذا الاسلوب قـد يحول مثل هذه القضية الى نـوع من العادة والاستساغة بـل والهزل المتحول الى سخرية بـل الـى احتقار واشمئزاز ومضايقة تصنع النفور والغثيان ؟

أليس كل شيء محتاجا الى أن يحول الى اسلوب معين محكوم ومقيد بالشروط وبالالتـزام الفنـي ؟

ليكن لـك عدو محتل وطنك ومواقع منـه وأنـت مصمم على طـرده بالحـرب وبكـل الوسائـل الاخـرى ..

حينئذ قـد يكون معقولا أو مستساغا أو مفيدا أن تعلن مرات انك لا بد أن تفعل ذلك ، ان تعلن ذلك في الاوقات والظروف الملائمة ، باسلوب ذكي متوقر فيه تواضع وحـزم واصـرار وكرامـة ..

لكن هـل يمكن أن يكون من العقل أو الوقار أو الذكاء أو المفيد لقضيتك أن تحول كـل الاجهزة ، كـل خفقات الزمن الى اصوات مجنونة محمومة منطلقة مـن جميـع الافواه والاقلام ، تحت درجات متصاعدة من التوقد والتوهج والاحـتراق والاحـراق والبذاءة والنزق ، وأن تستمر تفعل ذلك أعواما أو عشرات الاعوام أو مئات الاعوام ؟ هـل يمكن أن تظل قضيتك حينئذ قضية في احساسك أو احساس العالم ؟ الا يصبح حديثك عنها كالبكاء على الاموات والاطلال وعلى حبيب أو حـب قـد مـات ؟

أليس محتوما أن تتحول حينئذ انت وقضيتك الى مسلاة أو الى شماتة أو الى سخافة مألوفة قـد تثير الاشفاق أو الاستهزاء دون أن تثير أي قدر من الاهتمام أو الاحترام أو التفكير أو التصديق أو حتى من الانزعاج أو الغضب أو الخوف منك أو من قضيتك ؟ أليس التصويت الدائم الطويل للشيء أو باسمه أو به أو عليه يسلبه نخوته وعفته وحماسته وبهجته وكرامته بـل وبراءته كمـا حدث للصلاة والتضرع والهتـاف للالـه وباسمـه ؟

ثـم أليست جميع المجتمعات أو أكثرها أو كثير منها يصنع اليوم ودائما مـن وراء جميع اجهزته مثل هذا الذي تصورناك أو اتهمناك أو وجدناك تفعله انت باسم قضيتك ؟ نعم أليس كـل العالم أو كثير من العالم يعالج كـل قضاياه أو يصـوت عليها أو يصوت باسمها ، ولكن مع الافتراض المحتوم بأن تختلف وتتفاوت الصيغ والاساليب والمستويات في الذكاء والثقافة والتهذيب وفي الاشياء الاخرى ؟ لننظـر ماذا حدث لجميع الطقوس الدينية مثل الصلاة والدعاء والتضرع الى الاله ؟ ألم تتحول كـل هذه الطقوس لديمومتها الى هزل وسخف والى موات ؟

أليس التصويت أو التحدث عن أيـة قضية عادلة ـ هنا تفترض القضية عادلة ـ يمثل هذا الاسلوب في شموله وديمومته، يشبه في اخف اساليب الحكم عليه أن تكون مريضا أو مشوها أو جائعا أو مظلوما أو مهانا أو عاشقا أو غريبا أو حزينا أو محروما، فتذهب توظف نفسك وابناءك واقاربك واصدقاءك وكـل مـن تستطيع توظيفهم ، لتصرخوا في جميع الاذان ، كـل الاوقات ، بكـل الاساليب ، في كـل الاماكن ، بكل الاصوات واللغات ، متحدثين عن آفتك أو مشكلتك التي تقاسي ، لتستمروا تتحدثون وتصرخون كذلك أعواما عديدة واحيانا عشرات الاعوام ؟

لعلك ترى أن هذا شيء قبيح جدا بـل شيء لا شبيه لـه في قبحه ، وأن مثلـه لم يحدث قـط ولـن يحدث أبدا ٠ لعل كـل الناس قـد يفعلون أو لا بـد أن يفعلوا ما لا يصدقون انهم قـد فعلوا أو قـد يفعلون شيئا منه لقبحه أو لبلادته ٠٠

ولكن ، كـم يجب عليك أن تتجرع هذا ٠ نعم ، انـه لواجب عليك أن تقتنـع بصبر وتحمل أن هذا أو مثيله هـو الذي يحدث دائما ، هـو الذي تفعله جميع اقطار العالم المتقدمة المهذبة والمتخلفة البذيئة ، مصوتة أو متحدثة أو معلنـة أو داعية أو مادحة أو مفاخرة ومبارزة أو مخاصمة ، أمـام جميـع قضاياها ومواقفها وهمومـها وانتماءاتها ٠ ان كـل العالم مفتضح بـل مجنون بـل أقبح وأردأ مـن مجنون فـي دعايتـه لقضايـاه أو فـي تصويتـه لهـا وعليهـا ٠

نحن هنا نفترض القضية التي يصوت باسمها ولهـا بهـذا الشمول والديمومة قضية عادلة ، ونفترض ان التصويت عليها ولها يجيء باسلوب مهـذب ومتواضـع وذكي وانساني ، ومـع هذين الافتراضين أو الشرطين لا بـد أن يثيرنا قبح هـذا التصويت لشموله وديمومته ولسخف نتائجه أو لمجيء نتائجه مناقضة للنتائج المطلوبة والمزعومة والمنتظرة أن كان يوجد حقا من ينتظرون أو من يطلبون أن تكون لمثل هذا التصويت نتائج جيدة تطلب وتنتظر أو نتائج من أي نوع ٠ نعـم ، أن كثيرا مـن الناس أو أكثرهم يفعلون ذلك غيـر مفكرين أو محدقين في النتائج أو محاسبين أو حاسبيـن أو قارئيـن لهـا ٠٠

ولكن كـم هـي القضايا التي يصوت أصحابها أو يتحدثون عنها بهذا الشمول والديمومة ملتزمين بالشرطين أي بـأن تكون القضية عادلة وبـأن يكون التصويت لها أو التحدث عنها مهذبا ومتواضعا وذكيا وانسانيا ؟ بـل كـم هـم الذين يعرفون أو يتصورون أو يريدون أن يكون لتصويتهم على قضاياهم أي شرط من أي نوع ؟

بـل كـم هـم الذين يصوتون لقضاياهم باسلوب من يعتقدون بانهم يجب أن يكونـوا خارجيـن علـى كـل الشـروط ؟

اذن كم من القبح والسخف والبذاءة والغباء والافتضاح والاثارة الاليمة ومن ألوان التحريض المنكر بـل ومن الخسران فى هذه القضية ، أي في موهبة الانسان الصوتية او في كونه كائنا مصوتا ، وايضا في هذه الاجهزة الصوتية التي أعطت هذه الموهبة الصوتية فيالانسان كل القدرة والظروف والتحريض لتعبر عن نفسها بكل هذا القبح؟

انـــه لا يوجد بلد واحد اليوم بـــل ودائما ليست لــه قضية أو قضايا عديـدة يصوت باسمها أو يتحدث عنها زاعما أنـــه يهاجم بها ويحاول فرضها على الاخرين أو اقناعهم بها لكي يتحضروا ويتقدموا ويسعدوا بـــل ويعقلوا بـــل ولكي ترضى عنهم السماء أو لترضى عنهم المذاهب والنظم الجديدة ، أو زاعما أنه انما يدافع عنها أي عن قضيته أو قضاياه ، ويحرسها من اللصوص والمتآمرين والغدارين المتسللين، يحرسها من الرجعيين والمغفلين والاستغلاليين أو من الزنادقة والمرتدين والهدامين ·

ـ نعم ، انـــه لا يوجد بلد واحد اليوم ودائما ليست له قضية أو قضايا يصوت باسمها أو يزعم أنـــه يتحدث عنها أو يبدو وكأنه يتحدث عنـــها بهـذا الشمول و الديمومة ، تحت بعض هذه المزاعم أو تحتها كلها · هـــل حدث أن أحدا أطاع أو أعتقد أو أحترم أو أحب الهه أو نبيه أو مذهبه أو انتماءه أو زعيمه أو قضيته بلا ملاعنات ومبارزات وعداوات وغـــروز ؟

أليس كـــل الناس في كـــل التاريخ الا النادر الذي لا بـــد أن يعد شذوذا كانوا ولا يزالون يتقاتلون بالاصوات المتعادية المتلاعنة ، باسم قضاياهم المختلفة المتناقضة ، بلا اي مستوى أو قدر من الذكاء او الوقار أو الادب أو الحياء أو العدل أو الرؤية لاي شيء أو من المحاسبة للنتائج المطلوبة أو المنتظرة أو المزعومة ، بـــل أو من التفكير في هذه النتائج أو من الاهتمام بهـــا ، بـــل دون أي حساب للنتائج المحتومة المضادة أو التفات اليها أو رؤية لها مهما تفجرت في جميع العيون والعقول المتوقفة عـــن العمل ؟ أليس توقف العقول والعيون عن العمل هـــو الشرط الدائم لكي نحيـــا ونتقبل ولكـــي نجـــد ذكاء وعقلا ونرى جمالا في أي شيء ؟

هذا البلد ، وكـــل بلد هـــو مثل هذا البلد ، نعم ، هذا البلد قضيته أو قضايـــاه الـــه أو دين أو كتاب مقدس قديم جدا ، أو مذهب أو نظام أو رأي أو نبي أو زعيم أو معلم أو تاريخ او موقف او خلاف او صراع او عداء ، او العديد من ذلك ، يحول كـــل الاجهزة المصوتة ، كـــل ثواني الزمن الى اصوات منطلقة من كل الافواه والاقلام ، بكل الاساليب الصوتية واللغوية والبلاغية والانفعالية اللفظية وبكـــل الغفلة والسماجـــة والوقاحة والكبرياء والادعاء ، وبكـــل الجدب والفراغ النفسي والعقلي والاخلاقي بـــل والاعتقادي من كـــل اقتنـــاع أو تفكير أو رؤية أو صدق أو حب أو أخلاص أو محاسبة لاي شـــيء ···

ـ نعم ، يحول كل هذه الاجهزة المصوتة تحت كل هذه الظروف وبكـــل هـــذه الاساليب الى أصوات لتعلن أن قضيتها أو قضاياها ، أي الهها أو نبيها أو زعيمها أو دينها أو مذهبها أو نظامها أو رأيها أو موقفها أو كتابها المقدس أو خلافها أو صراعها أو تاريخها أو عداوتها أو بغضاءها أو مخاصمتها أو حربها هي كل الحق والمنطق والعدل والاخلاق والتطور والثورية والحضارة بـــل وكـــل التاريخ والمستقبل وكـــل

الممكن والحتم المستحيل ما سواه · أليس كل البشر حتى العقلاء منهم جدا يرون أن كل الوجود والجمال والحق والصدق هو فقط ما تراه عيونهم أو الههم أو نبيهم أو معلمهم أو زعيمهم ؟

الم تحاول أن تستمع الى هذه الاجهزة الصوتية الضاجة في كل بلدان العالم كل ثواني الزمان ، أو لم تضطر أضطرارا الى سماعها ، أو لم يحدث أن هجمت عليك ، على اذنيك وعقلك ووقارك بلا محاولة او تدبير ؟ هل تستطيع ان تهرب باذنيك أو بعقلك أو بوقارك أو باستحيائك من كل ذلك كل الوقت مهما حاولت؟

انه لا بد أن يكون قد حدث لك شيء كثير أو قليل من هذا · انه لامر أكثر من مستحيل ان تكون قد احتفظت امام هذه الاجهزة بكل عفتك ، بكل كرامة اذنيك وحيائك واخلاقك · هل استحال الاحتفاظ بكرامة شيء مثل استحالة الاحتفاظ بكرامة الاذنين ؟ اذن كيف تصورت بشاعة أن يكون الانسان كائنا مصوتا أو بشاعة أن تبدع الحضارة هذه الاجهزة الصوتية ؟ هل تصورت حينئذ ما في كون الانسان كائنا مصوتا وما في احداث الحضارة لهذه الاجهزة الصوتية من عدوان على الحب والسلام والصداقات ، والذكاء والحياء والوقار ، وعلى التفاهم والعلاقات بين الناس والدول ، وعلى براءة وصفاء النفوس وابائها على الاحقاد والبغضاء والمرارة والتربص والانفعالات المتوحشة المتفجرة غضبا وغيظا واستنفارا ؟

كيف لم يفعل العالم الباحث عن السلام والحب شيئا لاسكات أو تدمير هذه الاجهزة ، بل كيف لم يفكر ولو تفكيرا في ذلك ؟

كيف قرأت نفسك أو قرأت الانسان أو الاشياء حينما استمعت الى أحد بلدان العالم يصوت كل لحظات الزمان بكل هذه الاجهزة والافواه والاقلام ، بكل مستويات العقول والثقافات والاخلاق الرديئة والضعيفة ، ليزعم دون أن يستمع الى نفسه أو يصدق نفسه بل دون ان يريد الاستماع الى نفسه او تصديقها ، بل دون أن يخشى من أن يستمع الى نفسه أو أن يصدقها لانه المحال والخطر اللذان لا يستطيع التفكير فيهما أو في احتمال أن يعاقب نفسه بهما ، وكذلك دون أن يستمع اليه أو يصدقه أحد ، أو أن يؤمل في أن يستمع اليه أو يصدقه أحد ، بل ودون ان يريد أو يتقبل أن يستمع اليه أو يصدقه أو يقرأه أو يفهمه أو يفسره أحد ·

ـ نعم ، ليزعم تحت هذه الشروط والاحتياطات وبهذا التفسير لنياته ، ان دينه أو كتابه أو نبيه أو تاريخه أو عقله أو تقواه أو حضارته هي كل ما استطاعت كل عبقرية الالهة ان تراه وتريده وتختاره وتقدمه الى كل البشر في كل العصور ليؤمنوا به ويتبعوه ويبايعوه ويكونوه ، لكي يصبحوا كل اهتمام الاله وكل حبه ورؤيته وضميره وسروره وكل عضلاته وقوته وذكائه واخلاقه والا فلن يكونوا متقدمين ولا متحضرين أو اتقياء أو سعداء أو عادلين أو صالحين أو صادقين ، بل ولا شجعانا أو عباقرة أو اذكياء أو محاربين أو منتصرين اذا حاربوا أو أن حاربوا ، ـ والا أيضا

فلن يجدوا الا جحيم الالهة وغضبها وعقابها المتوحش الذي لن يستطيع أي خيال كريم أو رحيم أو مهذب أن يصعد اليه أو يهبط اليه لابتعاده أي ابتعاد عقاب الالهة المتوعد به عن كل نماذج الخيالات الذكية والسوية والانسانية بل حتى عن كل نماذج الخيالات الشيطانية ؟ حتى الشيطان لا يستطيع تخيل هذا العقاب ٠

نعم ، كيف قرأت نفسك أو قرأت الانسان أو قرأت الاشياء حينما استمعت الى هذا البلد من بلدان العالم يفعل ذلك ؟ هل قبلت حينئذ أن تكون منتميا الى بلد من هذه البلدان او ان يكون لك اله او دين أو نبي أو كتاب مقدس او تاريخ او مذهب يرى نفسه هذه الرؤية ويدافع عنها بهذا الاسلوب ؟

حينما يندفع أي انسان الى هذه الاجهزة ليصوت منورائها على قضيته أو لقضيته أو للقضية التي ظنها قضيته أو قيل له انها قضيته أو حكم عليه بانها قضيته ، بل أو للقضية التي يعلم انها ليست قضيته بل يعلم أنها ضد قضيته ، ولا يريد أو يتصور أن تصبح قضيته ـ نعم ، أنه لشيء شاذ أو مستحيل أن تكون القضية التي تدافع عنها وتزعم قضيتك هي قضيتك بل الا تكون خروجا على قضيتك وهزيمة لها ٠٠

ـ أجل ، حينما يندفع أي انسان الى هذه الاجهزة هل تساءل أو فكر هو أو أحد من مجتمعه أو السلطان الذي وظفه أو سخره في أن ما يفعله بالاسلوب الذي به يفعله نافع للقضية التي يصوت لها او لاية قضية اخرى جيدة وليس ضارا مفسدا مشوها لها ؟

هل تساءل أو فكر أحد هؤلاء في ذلك مصمما على أن يرفض ويقاوم هذا التصويت ان قاله له تساؤله أو تفكيره أن تصويته مخرب أوضار وسفه وبلادة وبذاءة وعدوان على الذات وعلى جميع القيم ؟

أنه لا المصوت ولا من كلفه بأن يصوت فكر في ذلك أو حاسبه بنتائجه الا بقدر ما فكر وعرف الحاقد والحاسد والمبغض والشاتم والمخاصم والمغتاب أو البذيء المتوقع أن وقاحاته هذه لا بد أن تفيده وتفيد كل قضاياه ومشاكله وهمومه بل لا بد أن تتحول الى انتصارات وامجاد ومسرات لاربابه وانبيائه وتاريخه واديانه ولقبور ابائه ، بل والى تفاسير جيدة ومعجزة وعبقرية وحضارية لكتبه المقدسة البدوية

الا بقدر ما فكر النذل واقتنع بان نذالته لا بد ان تصبح اقوى البراهين علىوجود الهه أو صدق نبيه أو زعيمه ٠

أو الا بقدر ما فكر وعرف المتوجه بصلواته وتضرعاته وآهاته وهمومه وامراضه وتلوثاته الى الهته الصماء الخرساء المصابة بالغيبوبة وبكل تعبيرات ومستويات الخمود والاسترخاء والعجز ٠ والاهمال ، ان توجهه هذا لا بد ان يحولها اي يحول الهته الى سامعة مبصرة مستجيبة متوهجة القلب والضمير والتفكير والحركة ٠٠

وهـل يوجد عبث وبلادة يشبهان عبث وبلادة من يهتفون بالالهة راجين ان تسمع أو تستجـــيب ؟

انه لا شيء يسخر من شيء اقسى او أطول مما تسخر اذنا الاله مـن هتـاف الانســان بهمـا لتسمعـا وتفعـلا ..

هذا الانسان الذي يصوت كـل يوم في صحافة أو اذاعة أو تلفزيون المجتمع الذي وجـد نفسه فيـه أو في اي جهاز من أجهزته الاخرى ـ هذا الانسان الذي يصوت من وراء احـد هذه الاجهزة أو منها كلها كـل يوم مرة أو أكثر من مرة ، على قضية واحدة أو على عديد من القضايا المعينة بمنطق أو بتفسير واحد معين مكرر محفوظ ، اعواما عديدة قـد تكون عشرات الاعوام أو مئات الاعوام ، قـد تكون أكثر من ألف عام ، هل يمكن أن يكون هـو أو المجتمع أو السلطان الذي ألزمه بذلك أو قبل منه ذلك وشكره وأجره عليه ، صادقا أو جادا أو محترما لنفسه بـل أو ورائيا أو قارئا أو مسفرا أو فاهما لنفسه أو مريدا أو ناويا أن يحقق أي شيء جيد أو ذكي أو نافع لايـة قضية من قضاياه أو من قضايا العالم أو قضايا الكون أو قضايا الالهة ، أو أن يقاوم ويمنع ويهزم اي شر أو خبث أو نذالة أو فجور أو زندقة و تخلف أو ظلم ، أو أيـة كآبة أو هزيمة أو تشوهات قـد تصيب ضمير الاله و نفكيره أو رؤيته أو ذاته أو مرآته التي يرى بهـا جماله وعضلاته وانحناء قامته واحزان عينيه أمام انحناء قامات مخلوقاته ومخلوقيه وأمام احزانها واحزانهم وخطاياها وخطاياهم وآلامها وآلامهم وأمام عارها وتعريهـا وعارهـم وتعريهـم ؟

نعم ، هـل يمكن تصور كائن مثل الاله يستحق ان تكون لـه أعجب واضخـم واقسى مرآة ليرى بها احزان عينيه وانحناء قامته وارتجاف عضلاته أمام العضلات والقامات والعيون التي شوهها وحطمها وحناها واذلها وصب فيها كـل هذه الاحزان والالام والمخاوف والتوقعات الرهيبة ؟ ولكن هـل يوجد كائن لـم يتعامل مـع أيـة مرآة ولا مع أي معنى من معاني المرآة مثل الاله الذي يجب أنتعلق كل المرايا في وجهه؟

لـو أن أي انسان التزم لنفسه بـأي مقـدار من الاحترام أو الوقار أو الصدق أو الترفع عن العبث ، أو التزم بـأن يحاسب ويحاكم كـل مـا يفعله بالنتائج المعطاة أو المحسوبة المنتظرة وبالمنطق المسائل المفسر فهل يمكن أن يجرؤ على أن يكتب أو يذيع أو يخطب كـل يوم وقـد يفعل ذلك أكثر من مرة كـل يوم ، أو كـل اسبوع أو كـل شهر بـل أو كـل سنة ، عن قضية لا يحسها ولا يعطف عليها ولا يريدها ولا يفكـر فيها بل ولا يريد ان يكون شيئا من ذلك ، وايضا لا يدري ولا يريد ان يدري ان حديثه عنها قـد يقتلها أو يحييها ، ينصرها أو يذلها ، يهبها المجد والقوة أم العار والضعف بـل ولا يريد أن يقرأ أو يفسر عينيه أو نياته أو أخلاقه أو أهواءه أو تاريخه أو احلامه او مصالحه او اشواق ضميره ليعرف مـا نوع وقوة وقيمة العلاقات التي بينه وبين القضية التي يكتب أو يخطب أو يذيع عنها كـل يوم وقـد يفعل ذلـك فـي اليوم الواحـد اكثـر مـن مـرة واحـدة ؟

انها قضية يصوت لها أو يتحدث عنها كل مجتمعه من وراء جميع اجهزته بالاسلوب والتكرار والنيات والاحاسيس والاهواء والظروف والاخلاق التي يصوت ويتحدث هو بها وعنها ، دون أن يتساءل أو يفكر أو يبالي أو يحاسب هو أو مجتمعه أو أحد من مجتمعه أو شيء من أجهزته : هل وهب كل هذا التحديث والتصويت هذه القضية شيئا من المجد أو القوة في الارض أو من الجمال في العيون أو من المحبة في القلوب أو من الاقناع في العقول أو من القدرة على الاقامة في الضمائر او على ارهاب وتهذيب وتاديب وتنظيف الاعضاء والشهوات أو من الانتصار او التفوق في مبارزة ومنافسة الخصوم والمنافسين والمخالفين ، بل ودون ان يريد لها اي للقضية احد منهم شيئا من ذلك اي من المجد أو القوة أو الجمال أو المحبة أو من القدرة على الاقناع او على الانتصار والتفوق في أية معركة أو خصومة مع اي عدو أو خصم أو منافس ؟

ان القضية التي يقع كل هذا التعامل عليها قضية قديمة ، قديمة جدا • انها مطروحة فوق كل المنابر والمحاريب ، تتفجر بها كل الافواه والاقلام ، وتتساقط في كل الآذان ، منذ مئات السنين ، واحيانا منذ الاف السنين ، دون ان تجد قبرها بين القبور أو بيتها بين البيوت •• دون ان تموت فتريح أو تحيا فيوجد أمل بأن تموت فتريح ويصمت المصوتون باسمها •• نعم ، اليس كل الناس او اكثرهم يتعاملون بالحديث والحوار والتفكير والمخاصمات على قضايا لا تستطيع ان تموت أو تحيا في اخلاقهم وحياتهم ولا يريدون لها ان تحيا ولا ان تموت ؟

كم انت مهزوء بل هازىء بنفسك ايها الصديق • اذن كم انت مسكين !!! انه لمحكوم عليك بالافتضاح والنزق والعبث والكذب والعار • محكوم عليك ان تكتب او تذيع أو تتحدث أو تخطب كل يوم في هذه الصحيفة أو الاذاعة او التلفزيون أو النادي عن هذه القضية او عن أية قضية اخرى باسلوب ومنطق قد تكون انت لم تصنعهما أو تردهما أو تعرفهما أو تقتنع بهما أو ترضهما بل او تفكر فيهما ، بل قد تكون ملزما أو مشترطا عليك دون نطق بالاشتراط بالا تكون كذلك اي بالا تكون صانعا للاسلوب والمنطق اللذين تتحدث بهما او مريدا لهما أو عارفا او مقتنعا بهما أو راضيا عنهما أو مفكرا فيهما • انه لا يشترط عليك الا تفعل الا ما تعرف وتعتقد وتريد الا بقدر ما اشترط عليك الا توجد الا بالشروط والنماذج التي تعرف وتطلب وتريد ••

كما لا بد ان تكون كذلك أيضا مع القضية التي تتحدث وتخطب وتكتب وتذيع عنها كل يوم ، اي ان تكون غير صانع ولا مريد لها ولا عارف أو مقتنع بها ، ولا راض عنها أو مفكر فيها بل وليست لك اية احاسيس أو عواطف نحوها ، بل قد تكون احاسيسك وعواطفك واهواؤك وكل ظروفك وتاريخك وحياتك وثقافتك ضدها ، بل قد يشترط أو يفضل ان تكون كذلك ، اي ان تكون بكل معانيك وظروفك ضد القضية التي توهب للتصويت لها ••

انه لمحكوم عليك ان تصوت لهذه القضية بعينها دون غيرها ، بهذا المنطق والتفسير دون غيرهما لانك في هذا المجتمع او في هذا العصر ٠٠ لانك محكوم بهذا الحاكم أو المذهب او الانتماء أو الاله ٠٠

ولو تغير مكانك أو زمانك أو انتماؤك لكان محتوما أن تتغير قضيتك ويتغير اسلوبك ومنطقك ولكن دون ان تتغير أخلاقك أو أيمانك أو اقتناعك أو حماسك أو صدقك أو كونك كائنا مصوتا فقط بلا قضية وبلا منطق أو وقار أو استحياء من ان تكون مصوتا فقط ٠ ان تغير قضايانا واساليبنا ومنطقنا لا يعني كما لا يصنع اي تغير في اخلاقنا أو حماسنا أو اقتناعنا أو صدقنا أو في كوننا كائنات مصوتة ٠٠

انت مخيف بوقاحتك وبموهبة الهزل والافتضاح فيك ايها الانسان ٠٠ انك تستطيع ان تتحدث كل يوم مرات من وراء هذه الأجهزة الصوتية ، وقد تكون ملتزما بذلك بعقد وظيفي أو باسلوب وظيفي ، داعيا الى الالتزام بالصدق ، وبالكرم والحب والايثار والوفاء والشجاعة والامانة والكرامة ، والى الا تعيش النفوس أو الاعضاء أو تهوى اي قدر من الحقد أو الحسد أو البغض أو الخسة أو النذالة أو الهوان أو الخداع أو الانانية أو الشهوات والاثام البهيجة المحرمة أو العبودية أو مخافة الطغيان أو القوة وتملقهما ، مفسرا بهوس هائل مزايا الالتزام بذلك ومدللا على ضخامة هذه المزايا وعلى وجوب الالتزام به ، بنصوص الكتب المقدسة وبتعاليم الانبياء والاديان ، أو بما تقوله الاخلاق والنصائح والحكم المروية ، أو بما يقوله الزعماء والقادة ، أو بما تقوله المذاهب والنظم أو بما تقوله القومية أو الوطنية ، مكررا بفعلك هذا كل منابر التاريخ ومحاريبه واصواته ، بل كل اساليب انبيائه ووعاظه وكل صراخ توراته وأناجيله وقرآنه ، بل فاعلا ما يفعله كل مجتمعك في كل لحظات زمانه من وراء جميع أجهزته الصوتية ، بكل افواهه واقلامه ٠ نعم ، وهل حدث ولو مرة واحدة ان توقفت لترى نفسك أو لتسائلها أو تحاسبها أوتعاتبها على هذا الذي تفعل ؟

اجل ، انك لتستطيع ، بلا اية رجفة في حيائك أو ذكائك أو كبريائك ، ان تفعل ذلك ، بل انك لتفعله دائما ولست مستطيعا له فقط ، ظانا او زاعما ، مظنونا أو مزعوما لك انك بفعلك هذا انما تصوغ الكون والحياة والانسان الصياغات التي كان كل آلهتك وانبيائك وحكمائك وزعمائك ، في كل التاريخ يطالبون وينادون بها من فوق جميع المنابر والمحاريب ، وفي جميع نصوص اياتهم واسفارهم واناجيلهم ومراسلاتهم ومفاوضاتهم مع السماء ، دون ان يحياها اي الصياغات التي يطالبون وينادون بها ، واحد منهم ، بل دون ان يشعر واحد منهم بالعطف عليها أو بالحب والاحترام لها أو بأنها تستحق أن يحياها أو انه من المحتمل أن يحياها ، أو يحياها أحد ممن يطالبونهم بأن يحيوها وممن يوجهون اليهم كل اللعنات والتهديدات واقساها اذا لم يحيوها ، بل اذا لم تكن كل حياتهم ، بل دون ان يريدوا لهم ان يحيوها أو يحياها واحد منهم اي من اولئك المهددين الملعونين اذا لم تكن كل حياتهم وأشواقهم

وتمنياتهم • فالالهة والانبياء والزعماء والقادة يرفضون ان يحيا اتباعهم ما يدعونهم اليه • انهم يدعونهم الى الصدق والاخلاص وللذكاء والفهم فهل يقبلون منهم لن يكونوا ذلك ؟
!!

بل دون ان يخشى واحد منهم اي من الهتك وأنبيائك وحكمائك وزعمائك ان تتحول اي هذه التعاليم المنطلقة من هذه الاجهزة ، وهذه الصياغات التي تتمناها كل هذه الاحهزة للكون وللحياة ولجميع البشر ، ان تتحول الى تخويف او تهديد لهم ، بأن تعشقها أو تؤمن بها ضمائرهم او اخلاقهم او اعضاؤهم ، او بان تصدق اذانهم أو عقولهم أو اعتقاداتهم أو اخلاقهم أو افواههم أو نبواتهم أو نصوص كتبهم المقدسة ، فيلتزموها اي هذه التعاليم والصياغات المتمناة ، أو يحبوها أو يتمنوها أو حتى يفكروا في احتمال ان تكون اسلوبا من اساليب الحياة أو من اساليب حياتهم • رهيب جدا ان تصدق اخلاق الانسان أو اذانه أو عقله فمه أو نبواته أو كتبه المقدسة أو زعاماته ••

بل ودون ان تشعر انت بأنك قد تكون مخاطبا أو محاسبا بما تقول وبما تدعو اليك ، او أنك قد تكون مخاطبا أو محاسبا بذلك ، أو أن تخشى بأن تخوض حوارا فكريا أو اخلاقيا مع أي عضو أو خفقة أو قفزة أو صرخة أو همسة من اعضائك او من خفقات أو قفزات أو صرخات أو همسات او همهمات شهواتك وانحداراتك ، لتقول لك بذعر أو باستحياء أو بسذاجة : انك قد تخطيت بها ما تقوله في مقالاتك أو اذاعاتك أو محاضراتك ومحاوراتك اليومية من وراء هذه الاجهزة الصوتية ، أو لتقول لك انها لتكاد تهلك وتجن وتصاب بكل الامراض ومشاعر الانهيار خوفا من ان تخضعها أو تلزمها بالتعاليم والفضائل التي احاديثك عنها هي كل منطق وتفاسير وجودك وبقائك وتقبلك لنفسك ولطموحك المثير ولمطالباتك للمجتمع بان يهبك لزعمك انه مهما وهبك فهو لم يهبك كل ما تستحق - والتي احاديثك عنها هي كل مجد ومسرات واحتياجات وتمنيات وابتسامات الالهة والانبياء والزعماء والحضارة والتاريخ والتقوى •

بل انك لتستطيع بلا اية رجفة من رجفات التوبيخ على ضخامة الكذب والهزل والافتضاح والتفاهة ان تتحدث من فوق كل هذه الاجهزة كل اوقاتك لتعلن بكل موهبتك الصوتية وبكل ما لك من تاريخ فى التصويت ان البشر لو تقبلوا منك أن تقرأ لهم أو عليهم بعض الايات من كتابك المقدس القديم أو بعض الروايات عن نبيك او بعض الاراء أو النظريات او النصوص من تعاليم معلميك او من كتابك المذهبي أو الحزبي أو الوطني أو الاخلاقي ، لتفسرها لهم كما فسرها لآبائهم كل التاريخ في كل تاريخه ، لكي يؤمنوا بها كما تفسرها لهم دون ان تشترط أو يشترطوا أن توافق طاقة الشمس أو اخلاقها أو تاريخها الطويل العنيف الوحشية والاستبداد على تفاسيرك ، لكي يعلنوا التزامهم بها ويلتزموها كما تطالبهم وتفسر لهم ، لزال من

هذه الارض بل من الكون كله كل شيء قد يتحول الى دمعة او آهة او انة أو صرخة أو حسرة أو غضبة أو لعنة في عين الالـه أو قلبه أو عقله أو في فمه أو في ضميره أو في كرامته ونظافته وكبريائه ، من قبح ونذالة وبـلادة ما يرى ويعلـم ويعايش ويسمع ويقاسي ويناضل، بل ولكان محتوما ان يتخلصوا من هوان الارض وحضيضها وجاذبيتها ليصعدوا فوق هامات النجوم صعودا علميا وحضاريا وعقليـا ونفسيـا واخلاقيا وانسانيـا ودينيا ٠٠

بل انك لتفعل ذلك دائما كما يفعله كل من حولك وكما كان يفعله كل ابائك ، دون ان تعذبك أو تثيرك احزان النجوم او استبشاعها أو خجلها منك ولك وهي تراك وتسمعك تفعل ذلك ٠٠ آه لو كانت النجوم أو الاشياء الاخرى حولك تمارس الخجل او الاستبشاع أو الاحزان ٠٠ كيف يمكن أن تكون حينئذ احزانها وخجلها واستبشاعها لرآك ؟

وانك ايضا لتستطيع ، بل ولتفعل دائما هذا الـذي تستطيـع ، نعـم ، انـك لتستطيع ان تصوت من فوق جميع هذه الاجهزة الصوتية كل اوقاتك ، لتزعم لجميع المهزومين والمظلومين والمهانين والمرضى والمحزونين والمشوهين ولجميع الاغبياء والبله والضعفاء والمتخلفين ذاتيا ونفسيا وبشريا ، بل ولجميع من خلقوا بـلا هامـات أو قامات أو ارجل أو ايد أو عضلات أو رؤوس أو عيون أو بلا غدد وأعضاء تفرز الغضب أو الشهامة أو النخوة أو الشرف أو الاباء أو الكبرياء أو العفة الفكرية أو النفسية أو السلوكية أو تفرز الاشمئزاز والاحتجاج والغثيان الانساني ـ لتزعم لجميع هؤلاء انك تستطيع ان تصوغهم أو أن تتعهد لهم بأن يصاغوا صياغة جديدة مبرأة ومعافاة من جميع هذه النقائض والعجز والالام والعاهات والذنوب ، اذا هم تقبلوا منك شيئا صغيرا و سهلا جدا ، اي اذا هم تقبلوا منك ان يؤمنوا بالالـه أو النبي أو الكتاب أو الدين أو المذهب أو النظام أو الزعيم الذي تؤمن انت به أو الذي تدعوهم الى الايمان به دون ان تؤمن به أو تفترض انك قد تؤمن به أو تفكر في قضية الايمان به ٠٠ وتقبلوا ايضا ان يهبوه كل ثقتهم واخلاصهم واعجابهم وحبهم ، وان يلقـوا فـي محرابه أو في قبضة جنونه ومغامراته وكبريائه بكل كبريائهم وكرامتهم وحياتهم وحيائهم وبكل هاماتهم وقاماتهم ، وبكل ما فيهم من احتمالات الشموخ أو الاباء أو الذكاء ، ومن مواهب الصراخ والهتاف والبكـاء ٠٠ وأيضا اذا هم عـادوا وابغضوا وشتموا واتهموا وحقروا كل الالهـة والانبياء والكتب والزعماء والاديـان والمـذاهب والنظم الاخرى المخالفة أو المناقضة التي يملكها الاخرون أو الجيران أو التي تملـك الاخرين والجيران ٠ ان معاداة الانسان للرب أو للنبي أو للمذهب أو للدين أو للنظام الاخر شرط في ايمانه بربه أو بنبيه أو بدينه أو بمذهبه أو بنظامـه وشرط فـي احترامه لـه ٠

وانك ايضا لتستطيع ان تزعم بكل هذا الشمول والديمومة لجميع هؤلاء البشر المصابين بكل هذه الافات والهزائم والتخلف والعجز والعذاب ، انهم لم يصابوا بأي شيء من ذلك الا لانهم لم يؤمنوا بهذا الالــه أو النبي أو الزعيم أو الكتاب أو الدين أو المذهب أو النظام الذي تدعوهم الى الايمان به ، ولم يهبوه كل ما يجب ان يهبوه من تصديقهم واستسلامهم وطاعتهم وتضرعهم وركوعهم وجنونهم، ومن الحب والفناء فيه وفي اهوائه وتمجيده • نعم ، انك لمستعد دائما ان تهب فكرك وايمانك وصلواتك ودعايتك وصوتك بلا اي شرط من اي نوع اكثر من استعداد اية امرأة عامة لان تلقي باعضائها في انياب كل الوحوش الغابية • انك لن تكون اقوى احتشاما أو حياء أو كرامة أو كبرياء أو تدينا أو تهذيبا من هذه المرأة المسحوقة بكل الانياب الهمجية •

ولكن لا تفرح أو لا تحزن كثيرا • فكل الاخرين يفعلون هذا المجد أو هذا العار الذي تفعله ، أو هم مستعدون ان يفعلوه حينما يستطيعون ان يفعلوه وحينما يكونون في مثل ظروفك الذاتية والخارجية •

انك لست مخصوصا بالضخامة أو بالضآلة ، بمحبة البشر أو بالرغبــة فــي فضحهم وتحقيرهم • ان كل الاخرين مثلك ، فلا تقتلك ضخامة العــار أو ضخامة الغرور •• انك لست الا برغوثا بين براغيث ، ولست برغوثا بين نسور ، أو نسرا بين براغيث •• وهل من العزاء أو التعويض أو السعادة أو المحاباة للبرغوث أن يكون من حوله براغيث ؟

ان البشر حينما ابتكروا هذه الاجهزة الصوتية كان ذلك يعني حتما ان يلتزموا بممارسة هذا الافتضاح المصوت الدائم الشامل وبممارسة هذا العذاب والارهاق •• ان يحكموا على انفسهم وعلى حياتهم بتنفيذ هذا الالتزام بالممارسة ، دون ان يجدوا منقذا أو مشفقا ، بل ودون ان يشعروا بالحاجة الى الانقاذ أو الى الاشفاق ••

هذه الاجهزة ، من صحافة واذاعة وتلفزيون واشياء اخرى كثيرة ، هذه الاجهزة الليلية النهارية الكونية الشاغلة لكل لحظات ودقات الزمان ، الجائعة ابدا الى كل الاصوات والمصوتين ، على كل المستويات وبكل اللغات واللهجات والحماقات •• هذه الاجهزة الجائعة جوعا لا علاج له الى كل البذاءات والوقاحــات والشتائــم والاكاذيب الصائحــة •

هذه الاجهزة المتوحشة في شرهها وجوعها واتساعهــا ، كيف يمكــن ملؤهــا أو اشباعها أو تشغيلها الدائم ؟ هل يمكن ان يشغلها أو يشبعها أو يملؤها أو يسكت جشعها كل ما عند البشر من ذكاء وعقل وحكمة ووقار وصدق وصداقة ؟ انه المستحيل• اذن هل يمكن ان يفعل لها ذلك كل ما عندهم مــن نــزق وسفــه وحماقــات وعداوات واكاذيب وشتائم واحقاد وعفونــات متعــددة الجنسيــات والاوصاف ؟ انــه ايضا المستحيل •

ان كل ما عند البشر وكل ما في احتمالاتهم من ذلك لن يستطيع ان يشبع أو يقنع أو يملأ هذه الاجهزة · وهم ملتزمون باشباعها وملئها وتشغيلها تشغيلا كاملا لانهم قد خلقوها وصاغوها هذه الصياغة المحتاجة الى التشغيل الدائم الكامل · اذن ماذا يصنعون ، او ماذا يجب ان يصنعوا ؟

ان عليهم ان يكونوا اوفياء بالتزاماتهم ، لمن التزموا له · ولكن كيف ؟

ان يكونوا فضلاء واذكياء ومتوقرين وصادقين عاجز جدا عن ان يكفي أو يقارب الكفاية لتشغيل هذه الاجهزة الصوتية المعدة لان تشغل كل لحظات الزمان ·· وايضا لن يكفي ولن يقارب الكفاية لتشغيلها بهذه الديمومة والشمول ان يكونوا خبثاء وانذالا ومتوقحين نزقين كذبة بكل احتمالات وطاقات الخبث والنذالة والتوقح والنزق والكذب فيهم · ان جميع الطاقات محدودة حتى طاقات الرداءة والخبث ··· انها اذن لمصيدة رهيبة صنعها البشر لانفسهم ثم فرضوا على انفسهم ان يقعوا فيها بل والا يريدوا أو يحاولوا الخروج منها أو تحطيمها ··

وهل يستطيعون الخروج أو الخلاص منها حتى ولو ارادوا وحاولوا ذلك ؟

اية ورطة تساوي هذه الورطة ، تساوي ان يواجه البشر موقفا يفرض عليهم التعامل مع اجهزة قد التزموا بتشغيلها وملئها واشباعها كل الاوقات ولكن جميع ما فيهم من مواهب جيدة وقوية ومن مواهب رديئة وضعيفة ، محشودة ومستنفرة كلها ، لا تستطيع ان تسدد هذا الالتزام بل ولا ان تقارب ؟

انها هوة تزداد اتساعا وفراغا ونهما ومجاعة كلما ازداد الالقاء فيها ·

حينما يكون العقل والذكاء والوقار والصدق والحقائق غير كافية لما نحن مصرون على ان نريده ونكونه ونتزيى به فما الذي لا بد ان نفعله ونعوض به حينئذ؟ حتما لا بد ان نلجأ الى النقيض ، اي الى الحماقة والسفه والضلال والنزق والكذب والخروج على كل التزام تطالبنا به التعاليم والاداب التي نزعم الايمان بها بل التي نزعم اننا لم نقبل ان نجيء أو أن نبقى الا من اجل الايمان والالتزام بها ·

ولكن اذا لم تستطع جميع هذه الاشياء الرديئة الفاضحة ان تكفي لما التزمنا بأن نريده ونكونه وبأن نعامل به حياتنا ونصوغها عليه وبه فما الذي لا بد أن نفعله حينئذ ؟

واذا كان محتوما ان نتكلم ونحن لن نجد صدقا أو حقا أو ذكاء أو علما لنتكلمه ، او لن نستطيع ان نتكلمه أو نتكلم به أو عنه أليس محتوما حينئذ ان نتكلم النقيض وبالنقيض وعن النقيض ، أي الكذب والباطل والغباء والجهل ؟

ولكن اذا لم يكن هذا النقيض اي الكذب والباطل والغباء والجهل كافيا لكي نتكلمه ونتكلم به وعنه بالاسلوب المفروض المحتوم المطلوب ، في كل الاوقات

المفروضة المحتومة الملتزم بها فما الذي لا بد ان نعالج به حينئذ موقفنا ؟ نعم ، اننا قد نكون محتاجين الى الكذب والغباء والجهل والباطل والافتضاح اكثر مما نستطيع ان نفعل أو نعرف من ذلك ...

واذا كان محتوما ان نقف فوق منبر تحدق فيه كل عيون ومشاعر الالهة والتاريخ والناس والاشياء ونحن لا نستطيع ان نقف فوق هذا المنبر بشيء من ملابسنا أو من حيائنا واستتارنا افليس من المحتوم حينئذ ان نقف فوق المنبر وداخل عيون ومشاعر الالهة والتاريخ والناس والاشياء بلا اية قطعة من الملابس أو الحياء أو الاستتار ؟ وكذلك حينما تكون بنا اشواق حادة واصيلة الى الافتضاح والى تحدي وتعذيب كل العيون والمشاعر والاخلاق والمنابر بعارنا وعرينا ..

ولكن اذا لم يكن هذا المنبر أو كل منبر كافيا لكي نؤدي فوقه كل ما هو محتوم علينا ان نؤديه من عري وافتضاح ومن تفجر وقح وبذيء في عيون وضمائر ومشاعر جميع الالهة والناس والتاريخ والاشياء فما الذي لا بد ان نلجأ اليه حينئذ لكي نفعل كل عارنا وعرينا اللذين حولناهما الى التزام لا تفكير في التراجع عنه ؟ نعم ، هل وجد مجتمع لم يحول ممارسة العار والعري الى التزام ديني او مذهبي أو اخلاقي أو قومي أو وطني ، وليس الى ممارسة فقط ؟

حينما تلد كل يوم نبيًا

ولكن ما هي القضية التي يلهث الحديث حولها هنا ويقاسي القلم رهبة وانفجاعا من الخوض فيها بل ومن الاقتراب منها ، وعجزا عن الهرب منها ؟

القضية هي ان البشر قد ابتكروا هذه الاجهزة الصوتية التي لا يكفي لاشباعها وملئها وتشغيلها كل ما فيهم من مواهب وطاقات وشهوات الضعف والرداءة والغباء والافتضاح والوقاحات· وهم قد التزموا تحت كل الظروف بملئها وتشغيلها واشباعها·

اذن كيف يتصرفون في تعاملهم مع مجاعات هذه الاجهزة التي مهما قدموا لها واعطوها اخذا من ذكائهم وصدقهم ووقارهم واستنتارهم وتقواهم وكرامتهم فلن تزداد الا مجاعة ولهفة الى المزيد من ذلك ؟ انهم هم الذين ابتكروا وصاغوا هذه الاجهزة بكل هذا الشره والابتلاع · لقد ابتكروا اجهزة لا يشبعها كل ما فيهم من مواهب جيدة ولا ما فيهم من مواهب رديئة ·

ان المفروض بل المحتوم ان يلجأوا حينئذ الى اسلوبين لمواجهة هذا الموقف أو لحل هذه العقدة ، او تخبطا وضياعا تحت هذه الحيرة ··

أحد الاسلوبين ان يحاولوا ويقاسوا لكي يجدوا ويبتكروا المزيد من الطعام لهذه الاجهزة اي من الكذب والبذاءات والوقاحات والشتائم والنزق ومن كل الوان الافتضاح والعار والتعري لكي يخففوا من مجاعاتها واحتياجاتها الى كل أنواع الاطعمة الوبيلة · ان هذه الاجهزة اذن ادوات تحريض على الابتكار الرديء السخيف الفضاح ··

والاسلوب الثاني ان يلجأوا الى التكرار ·· يكررون عليها وفيها كل الاوقات بكل الاساليب والتوترات الكذبة والسخافة والبلادة والبذاءة الواحدة والادعاء والتشنيع والاتهام والسباب الواحد ، بالمنطق والتفسير والحماس والغرور والاعجاب الواحد الذي لا يزداد قوة ولا يزداد ضعفا ، والذي لا يزداد قدرة على الاقناع ولا عجزا عنه ، والذي لا يزداد قربا من الانهزام ولا قربا من الانتصار ··

يكررون عليها وفيها كل ذنوب والام وعاهات الماضي والحاضر والمستقبل ، أو يكررون عليها وفيها كل احقاد وعداوات وبذاءات كل الالهة والانبياء والزعماء والقادة والاباء ، ليحولوها الى اناشيد وصلوات تؤدى وتنشد كل الاوقات بكل الاصوات واللغات ، لكي تتحول جميع المجتمعات الى منابر وساحات ، تتبارى وتتقاتل فيها وفوقها كل الشتائم والعداوات والنذالات والاكاذيب ، ولكي تمتص منها اي من جميع

المجتمعات كل حقوقها وحظوظها من احتمالات الوقار والحياء والحب والحكمة والرصانة والتهذيب والتسامح ، ولكي تلقي عنها بكل ملابسها وبكل لزياء الحياء والاستتار ، لكي يصبح عريها وعارها عدولنا وتوقحا على كل عيون وضمائر وحياء جميع الاشياء. دون ان تتوقف اي المجتمعات لتتحاور او تتعاتب او تتساءل او تعلن هدنة ، لتعرف ما هذا الذي تفعله ، ولماذا تفعله ، ومن دبو لها أو الزمها ان تفعله ، وهل هو نافع او هل هو الانفع ، وهل فيه اي جمال أو عزاء او مجد أو انتصار أو مصلحة أو مسرة لاي اله ودين أو مذهب و نظام أو حضارة أو لاي مجتمع أو انسان ، أو هل يريده أو يعنيه أو يفكر فيه و يعطف عليه أو يفهمه احد ممن يفعلونه أو ممن يفعل لهم أو فيهم أو باسمهم ، أو ممن يجزون عليه ويأمرون به ويوظفون له . وهل يحدث ان تتوقف المجتمعات عن احقادها وعداواتها وشتائمها وتباغضها ودعاواها واقتناعاتها لتتحاكم وتتحاسب وتتساءل وتتعاتب ولترى وتعرف لماذا تفعل ذلك وهل هو نافع لها أو لاي شيء ؟

انه لشيء مخيف في قبحه وفظاعته ان تستطيع جميع المجتمعات أن تكرر بكل هذا الاستمرار والاعلانية من فوق جميع اجهزتها الصوتية كل احقادها أو حماقاتها وشتائمها وعداواتها وسخافاتها واتهاماتها وبغضائها ودعاواها وخلافاتها وشكوكها ومخاوفها وهمومها ومبارزاتها ومفاخراتها وتفاهاتها، وكل عقائدها وتعاليمها ونبواتها واديانها ومذاهبها وزعاماتها ونصوصها المقدسة ، الموروثة الملقنة أو المبتدعة ، التي لا تتحاور أو تتشاور أو تتعاطف أو تتفاهم بل أو حتى تتلامس مع حماسها أو اقتناعها أو منطقها أو حبها أو مع اشواقها واحلامها أو مع مشاكلها وهمومها بل أو مع تقواها أو فجورها أو مع قوتها وضعفها أو مع اي شيء من حياتها بل أو من موتها - دون ان تشعر بأن عليها ان تحاسب أو تحاكم أو حتى تعاتب وتسائل ذكاءها أو وقارها أو حياءها أو اخلاقها : لماذا تفعل هذا ، لماذا تفعله ، هل تفعله لانها عرفت انه شيء جيد إم لانها عرفت انه شيء رديء، ام لانها لم تعرف انه هذا أو هذا ولا تريد ان تعرف ولا تفكر ان عليها ان تعرف ، ولو انها عرفت فهل تفعل كما عرفت ام كما تفعل ... هل المجتمعات تفعل لانها عرفت وعرفت انها عرفت ام تفعل لانها وجدت ووجدت انها تفعل ؟

هل تفعل بمنطق وموهبة الكائن المتكلم المفكر المخطط ام تفعل بعشوائية الكائن المصوت الذي اخترع لنفسه بوقا والتزم بأن يشغله ويملأه ولكنه بوق لا يستطيع أن يملأه ويشغله الى حد الاشباع الذي التزم به حتى ولو تحولت جميع مواهبه وطاقاته الى اصوات ليهبها كلها لبوقه هذا ، أعني لابواقه العديدة ، فهي ابواق لا بوق واحد . ولكن يجب الحذر من خداع اللغة ، فهي ابواق اكبر من كل ما عنته اللغة بكلمة ابواق الى جميع اللغات لم تستطع ان تتصورها حينما تصورت ابواقها ونطقت بأبواقها ..

انها ابواق لم تستطع جميع الهة التاريخ ان تملك منها بوقا واحدا ، بل لم تستطع ان تحلم ببوق واحد منها أو أن يصعد الى تصوره كل خيالها ، مع ان كل

امجادها اي امجاد تلك الالهــة التاريخية ليست سوى امجاد ابواق ، وليست اشواقها سوى اشواق الى الابواق · بل مع ان شيئا لم يصنع مجد لتاريخ مثلمـا صنعتـه الابواق ولم تتحرق اشواقه الى شيء مثل تحرقها الى الابواق ··

نعم ، انت تستحق الرثاء والاشفاق بصدق وعمق · ان ماساتك لفادحة ولقليلة النموذج والشبيه · وكيف تكون قليل النموذج والشبيه ؟ بل انها لكثيرة النموذج والشبيه مهما وجب ان تكون قليلة النموذج والشبيه ووجب الاقتناع بانها كذلك ·· انك ، مثلا ، لتملك بوقا عجيبا رهيبا · انه قد يسمى صحيفة يومية أو اسبوعية أو شهرية مثلا · هكذا تدعو انت هذا البوق وهكذا يدعوه الاخرون · وتعيش انت وبوقك هذا في بلد أو مجتمع ما · وهذا البلد أو المجتمع له زعامة أو قيــادة أو سلطـة أو حكومة ، لها مذهب أو نظام أو دين أو انتماء أو ادعاء او مظهر أو شعار ،قد يكون قديما جدا وقد يكون حديثا كما قد يكون بينـهما ، أو خليطا او تركيبا منهما بلا منطق أو ذكاء أو فن ···

وانت بالاكراه أو الشهوة أو الاقتنـاع أو الانخداع أو التجارة أو بأحـد معاني أو اساليب الاغراء أو البحث عن المديح أو الاعجاب بالنفس او عن وضعها في مكان التوافق والتلاؤم ، محتاج او مضطر الى أن تضع بوقك أي صحيفتك مثلا في موقف الملتزم المؤمن المتعبد لخوض جميع المعارك بكل فنونها وصورها ووقاحاتها ونذالاتها وخطاياها ، وبكل بذاءاتها وعدوانها ومخاطرها ، وبكل سفاهاتها المنطقيــة والنفسية والاخلاقية بل واللغوية ، واضعا في ذاتك كل ارواح وتقوى وتعصب ووقاحة وغضب جميع الانبياء والقديسين والشهداء ، لكي تؤيد دين أو مذهب أو نظام أو انتماء أو شعار أو مظهر تلك النبوة أو الزعامة أو القيادة أو الحكومة أو السلطة التي تعيش انت وبوقك في قبضتها ، ولكي تبارز وتقاتل وتشاتم وتتحدى كل المعادين والمخالفين والمنافسين ، بل وكل الاخرين ، بل وكل من لم يجيئوا طائعين مؤمنين مبايعين ·· آه · هل يوجد لك مثيل في عارك وهوانك وافتضاحك واكاذيبك ونذالاتك ؟ هل لك مثيل في قبحك ووقاحتك ؟

ان معنى هذا انه محكوم عليك بأن تملأ وتشغل كل يوم أو كل اسبوع بوقك هذا بالايمان والاقتنـاع والتأييد والتمجيد والتهديد والمباهاة بذلك المذهب أو الدين أو النظام أو الشعار أو الانتماء أو التظاهر ، وبزعمه هـو كـل المـاضي والحـاضر والمستقبل وكل العقل والذكاء والصدق والعدل والكرامة والنظافة والقوة ـ وايضا بان تملأه وتشغله اي بوقك ، اي صحيفتك مثلا ، كل اسبوع أو كل يوم أو كل وقت بكل الاسلحة والقذائف الهجومية والدفاعية المتجددة المتطورة المفاجئةبحدتها وشدة فتكها لكي تقتل وتدمر وتهزم حياة وحصون ومدن وارادة جميع من لم يصنعوا بوقك أو يوظفوه أو توظفه لتمجيد طغيانهم وسلطانهم أو يحملوه أو يستمعوا اليه أو يصوتوا به أو يصلوا لاناشيده · نعم ، فبوقك يجب ان يكون الــه ونبي وسلطــان وقائـد وشاعر ومفكر وعبقري ومسكت جميع الابواق ··

ان معنى هذا انه قد اصبح محكوما عليك ان تصعد كل يوم أو كل وقت فوق منبر معروض في السوق أو في الميدان العام وفوق العيون والاذان والضمائر ، ان تصعد فوقها وفوقه عاريا مشوها صائحا كاذبا مزورا مبغضا لاعنا معاديا معتديا متهما محقرا ، مغرورا مباهيا متكبرا مدعيا مبارزا فاضحا مفتضحا هازئا مهزوءا بك ، زاعما الايمان والاقتناع والاعجاب والالتزام بما لا تعرف ولا تفهم ولا تريد ولا تعايش ، بل بما ترفض وتخاف وتنكر ،بل بما لم تتخاطب معه قط بعقلك أو بضميرك أو بحماسك أو باخلاقك أو حتى بأذنيك أو عينيك أو اشفاقك ، بل بما لن تتقبل التخاطب معه بأي تفسير أو تعبير أو اسلوب من تفاسيرك أو تعابيرك أو اساليبك أو نياتك ٠ نعم ، ان الناس يتحدثون ويعلنون ايمانهم بما لا يقبلون أو يستطيعون التخاطب معه بنياتهم أو بتفاسيرهم أو بتعبيراتهم ٠٠

انك لا تستطيع ان تستتر أو تتوقر ولا يوما واحدا ٠ ان بوقك اليومي يحتم الا تصمت ، يحتم عليك ان تكون دائما معروضا في السوق بكل عاهاتك وتشوهاتك وذنوبك بصياح واعلان ودوي ٠٠ انه يحتم عليك ان تتعرى بكل سوءاتك وان تصيح عليها بكل صوتك طالبا من كل من في السوق ان يروها ويقرأوها اي سوءاتك يحبوها ويعجبوا بها ويتحدثوا عنها وان يحولوها الى اديان ومذاهب وتعاليم ٠

انه لمحتوم عليك ان تعرض ذاتك في السوق وفي داخل العيون ٠ فهل تعرضها كذلك ودائما في صورة أو صيغة أو لغة واحدة أو في زي أو موقف أو مستوى أو تفسير واحد أو فوق منبر واحد ؟ ألست محتاجا الى التغيير والتجديد الدائم اليومي ؟ ولكن هل تستطيع ان تبتكر كل يوم أو كل اسبوع بل أوكل شهر بذاءة أو وقاحة أو سخافة أو بلادة أو حقارة أو كذبة جديدة ، أو سبابا أو عدوانا أو اتهاما أو بغضا أو ذما أو تحقيرا أو ادعاء أو غرورا أو منطقا أو تفسيرا جديدا ، لتمجد وتؤيد وتجمل وتنصر الهك أو مذهبك أو دينك أو نبيك أو زعيمك أو تاريخك أو وطنك أو قوميتك أو دعاواك أو موقفك أو اي زعم زعمته لنفسك وزعمت ايمانك واقتناعك واعجابك والتزامك به ، زاعما له كل المزايا والتفوق والخلود ، وزاعما أيضا انك قد جربته وقارنته وحاسبته وحاكمته بكل ما سواه مما يخالفه أو يناقضه أو ينافسه أو يعاديه ففهمت ووجدت فيه كل التفوق على ذلك المخالف أو المناقض أو المنافس أو المعادي ــ وأيضا لكي تحقر وتشوه وتذل وتهزم وتقبح ذلك المناقض أو المخالف أو المنافس أو المعادي ؟ انها اكوان من الاوحال لا بد ان تغوص وتغرق فيها بكل ازيائك وتفاسيرك ونماذجك ، بكل صراخك وتعريك ٠٠ انها اهوال من الاوحال لا بد ان تسبح فيها بكل عباءاتك وعماماتك وخيامك كل اوقاتك بكل افتضاحك ٠

كيف تستسيغ ان يستساغ منك ان تستمر تكرر شتيمة أو بذاءة أو وقاحة أو اكذوبة أو بلادة واحدة أو اتهاما أو امتداحا أو تمجيدا أو تفسيرا أو تفكيرا أو اسلوبا واحدا في هجومك ودفاعك ، وفي ايمانك وتقبلك ، وفي كفرك ورفضك ، وفي جميع

معاملاتك مع بوقك ؟ كيف تتقبل لنفسك أو يقبل منك ان تستمر كل حياتك واوقاتك تصلي لالهك صلاة واحدة أو تمتدحه بمجد واحد أو تظهر بين يديه بزي واحد ؟

كيف تستسيغ أو يستساغ منك ان تستمر تكرر تلاوة قصيدة واحدة في امتداح الهك أو نبيك أو زعيمك أو دينك أو مذهبك أو نظامك أو نفسك أو ذكائك أو اقتناعك او بيتك أو جمالك أو جمال زوجتك واطفالك أو عبقرية تاريخك أو آبائك او وطنك - أو ان تستمر تكرر عرض وكشف عاهة من عاهاتك في المعابد أو فوق المنابر او في الميادين والمؤتمرات العامة ، تكرر عرضها وكشفها والحديث عنها باسلوب ونية المعلن والمعلم والخطيب ، بل باسلوب ونية المؤمن والمباهي والمتحدي المبارز ، بل المجد لديئة أو لالهه أو لمذهبه أو لنظامه أو لابائه أو لتاريخه ؟ ألست تفعل ذلك او مثل ذلك أو اقبح من ذلك حينما تكون لك مثلا صحيفة أو اذاعة ، تلتزم كل يوم او كل وقت أن تكتب او تذيع فيها أو منها ؟

لو أن كائنا أو انسانا ما التزم بأن يسير كل يوم أو كل الاوقات في الطرقات العامة ، أو يصعد فوق المنابر ، ليعلن ويتحدث عن عاهة تعيش في اعضائه الداخلية المحرمة ، مشيرا اليها بيده وفمه ، مفسرا ومحددا كيف أصابته ومتى اصابته وكيف يقاسي منها ويحس بها ، وشارحا للفروق بينها وبين العاهات الاخرى وبينها وبين عاهات الاخرين، مثبتا مزاياها وتفوقها على عاهات الاخرين وعلى كل العاهات الاخرى، ومثبتا ايضا ذكاء ونبل عاهته دون كل عاهات الاخرين ودون كل العاهات الاخرى ، وأن عاهته هذه هي وحدها ذات القيمة المنطقية أو الاخلاقية أو الانسانية أو الحضارية أو الوطنية أو الدينية أو المذهبية أو التاريخية ، دون جميع العاهات الاخرى التي اصيب أو يمكن ان يصاب بها جميع الاخرين ، المخالفين أو المعادين او المنافسين ، ومثبتا ايضا انه هو وحده الذي يتعامل مع عاهته بذكاء ومنطق وشرف وقيمة وتقوى وتدين والتزام مذهبي وانساني ·

نعم ، لو أن اي كائن أو انسان التزم كل هذا الالتزام بكل شروطه ونفذ التزامه ، فهل يقبل ان يكون عاره وقبحه مثل قبح وعار انسان قد أصبح له بوق ، وليكن هذا البوق مثلا صحيفة يومية ، لكي يصيح ويعلن كل يوم من بوقه ، مقسما على صدقه وعلى ايمانه واقتناعه وعلى ذكائه ، بل على تفرده بالصدق والاقتناع والايمان والذكاء ، بان ما يؤمن به أو ما يزعم الايمان به او ما يفرض عليه ان يؤمن وينادي ويلتزم به ويقاتل دونه ويدعي له كل المزايا والتفوق والعبقرية ، هو كل طموح ومنطق وارادة الالهة والطبيعة والتاريخ والمستقبل وكل شيء ، وبان ما لا يؤمن ولا ينادي ولا يلتزم به ، او بأن ما لا يجد نفسه مؤمنا ملتزما به ومناديا داعيا الى الايمان والالتزام به دون ان يعرف أو يريد اي باسلوب الفرض والاكراه أو باسلوب التلقين والتقليد أو باسلوب الاستمرار والتكرار ، هو كل الباطل والاثم والبلادة والوقاحة ؟

اجل ، هل يقبل اي كائن أو انسان ان يكون قبحه أو سخفه أو عاره أو عريه مثل قبح أو سخف أو عار أو عري من حكم عليه بأن يكون له بوق يومي وحكم عليه ايضا بأن يملأه ويشغله ويشبعه كل الاوقات بالاصوات ، هاتفة منادية مؤمنة بشيء أو بانسان أو بكائن ما أو بقوم أو بتاريخ ، ولاعنة محقرة رافضة مبغضة متهمة لشيء أو لانسان أو لكائن او لتاريخ اخر أو لقوم اخرين ؟

اجل ، هل يمكن تصور سخف أو قبح أو هوان أو بلادة أو نذالة أو عار أو عري كهذا ؟

نعم ، اذن كم تستحق الرثاء والاشفاق بكل العمق والصدق حينما تكون محكوما عليك بأن يكون لك بوق يومي قد التزمت أو الزمت بأن تحمله فوق فمك وعقلك ووقارك وحيائك ، لتسير به أو يسير بك في الطرقات العامة وفوق المنابر وفوق بيوت الناس ، لتصوت منه كل أوقاتك ، مؤيدا ومعارضا ، مؤمنا وكافرا ، مادحا وذاما ، محقرا وممجدا ، مؤكدا ونافيا ، محبا وكارها ، واهبا نفسك وكل ما عندك كل المزايا المتفوقة ، وساحبا من جميع الخصوم والاعداء والمخالفين والاخرين كل شيء طيب او جيد أو ذكي أو نظيف أو نافع ، دون ان تدري شيئا عما تفعله غير أنك موضوع امام بوق أو غير أن بوقا موضوع امامك فلا بد من أن تملأه وتشغله بصوتك، بل دون ان تشعر بأي احترام أو حماس أو اشفاق أو أية عاطفة من اي نوع نحو ما تفعله وتتحدث عنه مؤيدا أو معارضا ، أو نحو ما تصوت له أو تصوت ضده ۰ ولكن هل يحدث أو حدث ان فعلت هذا أو أن عرفت أو رأيت احدا فعله أو يفعله ؟ هل تستطيع الطبيعة ان تلد مثل هذا الانسان أو أن تحبل به ـ هل تستطيع الحشرات ؟

اذن هل قرأت او فسرت أو رأيت أو ساءلت نفسك ولو مرة واحدة وانت تتقدم الى احد هذه الابواق الصوتية ، لتعرف لماذا تفعل ذلك ، وهل يستساغ ان تفعله ، وهل تفعله لانك فهمته أو اقتنعت به ، أو لان من الذكاء أو الكرامة أو الشهامة أو العدل أو المصلحة أن تفعله ، أو بأن الحشرات لن تصاب بالغثيان حينما تفعله ، حينما تراك تفعله ؟ ألا تشفق على الحشرات ان تراك فاعلا ذلك ؟ الا تخاف ان يقتلك الاستحياء لو راتك الحشرات تفعل ذلك بالاسلوب الذي به تفعله ؟

هل حدقت في ضميرك أو عينيك او في ركوع قامتك وانخفاض هامتك ، أو هل قرات لغة قدميك وانت تهبط الى احد هذه الاجهزة الصوتية لتكتب أو تذيع اكاذيبك وبلاداتك وبذاءاتك وبغضاءك وشتائمك ، دون أن تعرف أو تقتنع أو تحترم أو تحب أو تؤمن او تلتزم أو تبالي أو تتساءل : لماذا تفعل بنفسك ذلك ولماذا جاء قدرك كذلك، ومن جعلك قادرا وجريئا كل هذه القدرة والجرأة على أن تعيش كل هذا العار بكل هذه الاعلانية ؟ هل يحتمل ان يكون فوق هذا الكون من يحب أو يحترم الانسان أو يراه ويريده مجدا من امجاده ثم يتركه يغوص في هذه الاوحال ؟

اجل ، ماذا لو أن اي مجتمع أو انسان قد التزم تفكيرا وتنفيذا بالا تكون له اية صحيفة أو اذاعة أو تلفزيون أو صوت أو قلم أو بوق أو منبر ، وايضا بالا يتعامل

مع أي واحد من هذه الاجهزة الصوتية والا يعمل فيها بل أو يستمع اليهـا و ينفق عليها أو يقبل أن تكون في مجتمعه أو في وطنه الا بعد أن يعرف لماذا يفعل ذلك ولماذا يكون ، وأيضا بعد أن يعرف ويقتنع أن من الذكاء والكرامة والوقار والاخلاق والمصلحة ان يكون ذلك وان يفعله ، وانه لن يكون أو يفعله الا بقـدر مـا ياذن ويأمر الذكـاء والكرامة والوقار والاخلاق والمصلحة ، وان شيئا من ذلك لن يحول أو يستعمل نقيضا للذكاء أو للكرامة أو للوقار أو للاخلاق أو للمصلحة ، أو يحول أو يستعمـل جهـازا للاكاذيب والبلادات والعداوات والخصومات وللاعلان عن الفضائح والعـار والنـزق والاحقاد والبغضاء الحمقاء ، أو لن يستعمل الا اذا ثبت ان فوائده وارباحـه وذكـاءه واعطاءه للحب والسلام اكثر من اضراره وخسائره ومن اعطائـه للحـرب والعـداوة والبغضاء ؟

بل ماذا لو أن اي مجتمع أو انسان فكر في هذه الاشتراطات والقيود ، أو فكر انه قد يكون مطالبا بالتزامها أو منتظرا منه التزامها أو انه قد يحاول التزامها ، أو ان التزامها قد يكون في حساب أي مجتمـع أو أي انسان ، أو ان الالـه أو الديـن أو المذهب أو النظام أو الزعيم أو الوطن أو الفكر الذي يتحدث باسمه ويصوت من فوق اجهزته ومنابره يفرض عليه ويتوقع منه ان يحاسب نياته وسلوكه بهذه الاشتراطات والقيود ؟ ماذا لو أن كل الـه ونبي ومذهب ونظام وزعيم ومعلم قد اشترط بان يكون دعاته والمؤمنون به صادقين أو عارفين أو عقلاء ونفذ شرطه ؟

أليس شيئا رهيبا في قبحه وفحشه اننا لا نستطيـع ان نتصور ان مجتمعـا واحدا أو انسانا واحدا قد تصور أو تخوف أو شرطا أو قيدا من هذه الشروط والقيود قد يكون مفروضا على استعمال هذه الاجهزة الصوتية ، أو قد يكون مقبولا أو مستحبا أو محتملا فرضه على استعمالها بل أو مسموحا بفرضه بل أو جائزا فرضه ؟ ان احدا لم يعتقد ان على استعماله لهذه الاجهزة شروطا الا بقدر ما اعتقد أن على مجيئه نذلا أو سخيفا شروطا ··

ان هذه الاجهزة الصوتية الدعائية ، أو أن معاملات هذه الاجهزة والعمل والتوظف فيها ، أو أن علاقات الانسان باصواته أو بمعاركه ومخاصماته ومبارزاته وملاعناته ومفاخراته الصوتية هي الاعراض المباحة والفاسقة المفسوق بها بلا مثال وبلا اي قدر من العفة أو الاستتار أو من الاشتراط لذلك ·· انه لا فسق يساوي فسق الانسان بهذه الاجهزة أو يساوي فسقها به أو يساوي فضحها لذكائه واخلاقه ·

انه لا مثيل للغات أو للاصوات أو للمنابر أو لكل اجهزة التصويت خروجا عالميا وتاريخيا على كل قيود العفاف والاستتار والوقار والحياء والشرف والصدق والذكاء والمنطق والحساب والمحاسبة · ان اي شيء في الانسان أو يعمله الانسان لم يترك دون أية حماية لشرفه أو لذكائه أو لتقواه أو لعرضه مثلما تركت لغاتـه واصواتـه ومنابره ، ومثلما تركت نبواته والوهياته وكتبه المقدسة مستعملة لنفسها ومستعملة في الافواه الاخرى ·

اجل ، ان جميع البشر كائنات مصوتة وليس العرب هم وحدهم الكائنات المصوتة . ولكن القضية هي قضية الفروق والمستويات في ذلك ..

العرب مصوتون فقط ، ومستويات ونماذج تصويتهم هي مستويات ونماذج يتفردون بها هم ومن يساوونهم في مواهبهم وطاقاتهم واطوارهم البشرية التكوينية .. ان التفاوت بين مستويات ونماذج تصويت وتصويت في تفاسيرها يساوي كل الفروق بين من يبتكرون الحضارات ومن يلعنونها أو يهينونها باستهلاكهم لها ..

أما الاخرون فانهم ليسوا مصوتين فقط . انهم أيضا متكلمون اي مفكرون ومخططون وخلاقون . ان التصويت ليس ظاهرتهم ،ولكنه احد اساليبهم وتفاسيرهم. ان ظاهرتهم هي ابداع الحضارات والقوة والفكر وتجاوز الطبيعة وفهمها وتفسيرها وحكمها وقراءة اصواتها بالفكر والمنطق والسيطرة .. ان ظاهرتهم هي قراءة الاشياء قراءة فهم وتفسير ومحاكمة وتغيير وبحث عن التخطي والتفوق ..

أما اصواتهم فانها مختلفة جدا في كل تفاسيرها واساليبها ونماذجها ومقاديرها وحوافزها واهدافها بل وفي لغاتها واخلاقها عن أصوات العرب ..

نعم ، ان للاصوات لاخلاقا ولكن لا يفهم اخلاقها الا الذين تخطوا طور المصوتين.

الاخرون لا يجدون في اصواتهم أو تصويتهم الا اساليب أو لغات مختلفة من الغناء أو الانين أو الحنين أو الصلاة أو المصافحة أو التحية أو الاحتجاج أو التعبير عن الغضب أو الاشئزاز أو الحزن ، أي لا يجدون في ذلك ولا يريدون أو يتوقعون منه ألا تعبيرا عن حالة نفسية باسلوب صوتي أو بالفاظ . ولهذا فانهم يحاولون أن يكونوا في ذلك مهذبين ومتوقرين ومتواضعين ومتفاهمين مع الاخرين ومفهومين . انهم لا يريدون ان يفهموا أنهم بأصواتهم أو تصويتهم يحاربون أو يشاتمون أو يبغضون أو يتحدون أو يفاخرون أو يخلقون الكون والناس والاشياء ، أو يعلمون النجوم كيف تكون اكثر تقوى أو حبا أو ذكاء أو حياء أو تواضعا أو اشفاقا على المتألمين والمهزومين والمسحوقين والهابطين الى اعماق الحضيض ، أو يعلمون الكائنات المصوتة كيف تتحول الى بشر متكلمين ، يرفضون أن يصوتوا بالاساليب والوقاحات والبلادات والبذاءات والكبرياء والتفاسير والنيات التي تصوت بها الزعامات والقيادات والنبوات والالوهيات العربية ، بل التى تصوت بها الثورات والمذاهب والنظم العربية. انهم لا يريدون ولا يفكرون ان يجعلوا لاصواتهم أو أن يكون لاصواتهم هذه المكانة أو التفاسير كما يريد العرب لاصواتهم وكما يعتقدون فيها .. أما العرب فانهم يجدون في اصواتهم ويريدون منها ويضعون فيها ويفهمونها ويعتقدونها كل عضلات وقوة وقوانين كل الطبيعة وكل الاشياء ، وايضا كل التفكير والتدبير والسلاح والحرب والابداع والنضال والمواهب والعبقريات والتفوق على جميع الانداد والخصوم ، وعلى كل ما كان وكل ما يمكن أن يكون . ولهذا فانهم يحاولون ان يكون كل تعويلهم عليها وكل ثقتهم واهتمامهم بها وكل حماسهم لها . نعم ، هل يوجد عربي واحد لا يجد في

صوت أي الــه أو نبي أو كتاب مقدس أو في صوت أي خليفة أو زعيم أو شاعر أو خطيب غوغائي سوقي يدوي من فوق منبر او في محراب او ميدان حاشد مهتاج من الفرح النزق أو من الخوف البليد الضائع تحت ظروف واحداث رهيبة أو بدون هذه الظروف والاحداث الرهيبة ٠

نعم ، هل يوجد عربي واحد لا يجد في ذلك شيئا أو عملا أو بطولة هــي اذكى واقوى واجمع لكل معاني واسباب الانتصار والتفــوق والمجــد مــن كــل مــا يصنع الانتصارات والامجاد والقوة والتقدم في منطق وحساب الاخرين ؟ هل اقتنع الانسان العربي بقيمة شيء مثل اقتناعه بقيمة الاصوات العالية الشاتمة المتوقحــة المغرورة المهتاجــة ؟

هل وجد أو يوجد عربي واحد لا يجد في آية من كتابه المقدس أو في رواية عن نبيه أو في قصيده أو خطبة يلقيها زعيم أو حاكم ، تروى وتتلى وتصوت وتنشد بضجيج واهتياج على حشود ضاجة مهتاجة جائعة مفرغة من كل الذكــاء والوقــار والاتزان والمعرفة والحب والقدرة ـ تشتم اي تلك الآية أو الروايــة أو القصيــدة أو الخطبة ، تشتم الاعداء والمنافسين والمتفوقين ، وتحقرهم وتهددهم وتزعم التفــوق عليهم وتتوعدهم بالسحق والمحق وبالانتصارات المبيدة والمستعبدة لهم ، وتتحدث عن انتصارات وامجاد الاباء وقبور الاباء التي اذلت وحكمت كل القبور التي كانت والتي سوف تكون ، والتي اصبحت اي قبور الاباء هي كل النماذج والمنطق والطموح والبداية والنهاية لكل الحضارات والتاريخ والانسانية ٠

اجل ، هل وجد أو يمكن أن يوجد عربي واحد لا يجد في ذلك اذكى واقوى واعظم وامجد من امتلاك كل المجد والقوة والتفوق والتقدم والحضارات والانتصارات ، اي اذا كان امتلاك ذلك بصمت ووقار وتهذيب وتواضع وبلا ادعاء حاشد صاخب شاتم ؟ اجل ، هل يمكن ان تعني الانتصارات أو التفوق أو الامجاد معناها في حساب الانسان العربي حينما تكون محكومة بالتهذيب والوقار والتواضع والصمت ؟

بل هل يوجد عربي واحد يعتقد ان مثل هذا التحدث بمثل هذا الاسلوب لا يعني امتلاك وتحقق ما وقع التحدث عنه ؟ أليس التحدث عن الشيء ببذاءة وغرور ونزق وضجيج وصياح هو اقوى اساليب تحقق ذلك الشيء والانتصار عليه ؟

أليس كل عربي يعتقد باسلوب غريزي ان التحدث عن الانتصار على الاعداء وعن التفوق عليهم وعن اذلالهم وابادتهم ، بهذه الاساليب الجامعة المهتاجة الضاجة بالتلاوة والرواية والانشاد والاستماع المتهيج لا بد أن يعني تحقق ذلك الانتصار والتفــوق والاذلال والابادة ؟ آه ٠ ما اقوى الرواية والتلاوة والانشاد باسلوب مهتاج صائح ـ ما اقوى ذلك في احساس الانسان العربي ٠٠

هل يعتقد العربي أو يتصور انه توجد مسافات فاصلة بين الاصوات القويــة المتهيجة التي يصوتها اربابه وانبياؤه وخلفاؤه وزعماؤه وشعراؤه وخطباؤه أو التي

يصوتها هو نقلا عن هؤلاء وبين ما يقع عليه ومن اجله وباسمه التصويت ؟

هل وجد العرب في اربابهم وانبيائهم وخلفائهم وزعمائهم أو أرادوا منهم غير اصواتهم المصابة بكل معاني الجنون ؟

ولان العرب يجدون في اصواتهم ويريدون منها ويفهمونها ويعتقدونها كل العضلات والقوة والقوانين ، وكل التفكير والتدبير والسلاح والحرب والابداع ، والنضال ، وكل المواهب والعبقريات والتفوق والانتصار على الخصوم والاعداء والانداد وعلى كل شيء ، فانهم اي العرب يحاولون ويريدون ان تكون اي اصواتهم تعبيرا عن كل اساليب الوقاحة والنذالة والبغضاء والغباء والعدوان والنزق والافتضاح والعار ٠٠ لانها اي اصواتهم سلاح وقتال وعداوة وبغضاء ٠ وهل يمكن ان يكون السلاح أو القتال أو البغضاء أو العداءة شيئا مهذبا أو عاقلا أو ذكيا أو متوقرا أو محبا أو صديقا أو عادلا أو كريم الاخلاق ؟ ان اقوى وأشهر الحروب العربية هي التي يحاربونها ببغضائهم وسبابهم وبذاءاتهم لا باسلحتهم أو عضلاتهم أو عقولهم ٠

نعم ،كل الناس مصوتون ٠ انه لا يوجد انسان واحد ليس مصوتا بالنية والقصد والارادة والضرورة وبالتفكير أيضا ٠ حتى المصاب بالخرس لا بد أن يصوت باساليب كثيرة مختلفة ٠ بل ان المصاب بالخرس قد يكون اكثر تصويتا واعلى صوتا ٠ انه لا بد أن يصوت بيديه وبعينيه وبكل اعضائه وحواسه واحاسيسه وحركاته ٠ انه لو فقد كل فمه وكل اجهزة ومصادر التصويت فيه لظل ايضا مصوتا ٠ ان الانسان مهما استغنى أو تخلى أو عوق عن أي شيء فانه لن يستغني أو يتخلى أو يعوق عن التصويت ٠٠

ان اعظم الناس عبقرية وجدا ووقارا وهدوءا وصمتا واستغراقا في التفكير والابداع ورفضا للعبث والنزق والكذب والغوغائية لن يستطيع ان يكون غير مصوت ٠ انه لن يستطيع ان يكون دائما كلاما وتفكيرا وجدا وخلقا وعبقرية ٠ لن يريد أو يستطيع أن يكون دائما منطقا وقانونا وحسابا ومحاسبة ٠ ان الانسان لو وجد كل وقته مجدا صامتا ومفكرا ومتكلما لتخلى عن بعض مجده هذا لكي يحوله الى تصويت او ليستبدل التصويت به اي ببعض مجده الصامت ٠ انه لا بد ان يكون ولو احيانا رعدا بلا مطر ، وزئيرا بلا هجوم بل بلا اسد ، وخطابة بلا موضوع أو قضية ، وصلاة بلا ايمان أو عبادة ، واستغاثة هاتفة متضرعة بلا مغيث وبلا حاجة وبلا أمل ، وصهيلا بلا جواد ٠ ان كل انسان لا بد أن يصبح ولو أحيانا فارسا مبارزا مهما فقد كل تفاسير ومعاني الفروسية ٠٠

انه ولو احيانا لا بد أن يقرأ بتصويت وانين قرآنه أو انجيله أو توراته بلا اله وبلا أمل في استماع اله أو تقبل أو استقبال اله ، وبلا تقوى ٠٠ ان الانسان لا بد ان يكون أيأحيانا صوتا بلا تفاسير وغناء بلا مستمعين وخفقانا بلا حب ولا قلب٠ اجل ، ولكن القضية هي قضية الفروق والمستويات ٠٠

ان من الفروق ان المتحضرين المفكرين المبدعين اي الذين هم في طور المتكلمين ، حينما يصوتون ، انما يغازلون الاذان والمشاعر ويناجونها ويصافحونها ويلامسونها ويتقربون اليها ويبحثون عن حبها ورضاها واعجابها وصداقتها ومسالمتها ،وقد ينوون تملقها أو خداعها أو مراقصتها أو ممارسة الغواية معها أو فيها ـ نعم ، انما يفعلون ويقصدون ذلك بأدب وتواضع وذكاء . ان التصويت عندهم فن .. شعر أو غناء أو موسيقي أو رقص أو رسم وليس سبابا أو بذاءة أو عداوة أو بغضا أو تحديا .

اما المصوتون فقط ، اي العرب ومن في طورهم التكويني والحضاري فانهم بتصويتهم انما ، بقصد أو بلا قصد ، يشتمون ويعيرون ويهينون الاذان والمشاعر ويسقطون فيها كل الوقاحات والبذاءات والوان الغباء والسفه ، بكل اساليب ونيات الغرور والتطاول والادعاء والعدوان والتحدي والمخاصمة والبغضاء واعلان الحرب . ان البشر المصوتين الذين هم في طور الكائنات المصوتة فقط لهم بتصويتهم اقسى هجاء لجميع الكائنات المصوتة واقوى ثناء على الكائنات المصابة بالخرس الصامت .

ان اصواتهم ليست الا استفراغا على كل احتمالات ومعاني وصور السلام والحب والصداقة والنظافة والجمال والكرامة والذكاء والعبقرية

انها ليست الا تعبيرا وتشويها وهجاء وسبابا لكل شيء جميل او ذكي او جيد أو مهذب ..

ان الفرق بين هذا التصويت وهذا التصويت يساوي في بعض معانيه وتفاسيره الفرق بين تغريد طائر فوق غصن يحيى السحاب والصباح وبين طنين ذباب هجم على عين مريضة معلنا نقله الداء الوبيل اليها ولاعنا كل الطب الذي يحاول شفاءها أو الاقتراب منها ، وباصقا على كرامة الانسان وعلى مجده ونظافته وعلى ذكاء وحكمة وجمال وصداقة الالهة والطبيعة ، باصقا كل وقاحاته واناشيده البذيئة على الانسان وعلى الطبيعة والالهة وعلى كل ما للانسان وللطبيعة وللالهة من تفاسير ومزاعم ذكية جميلة مغرورة ، ومنصبا اي الذباب ، في احتفالات حاشدة مهيبة ، عرشه ومجده فوق كل العروش والامجاد والمنابر المصنوعة من تفاسير وكبرياء المجرات والشموس .. هل وجد في التاريخ عرش أو مجد أو منبر ينافس عرش الذباب أو مجده أو منابره متنقلا من الانف الى العين الى الفم ؟

لا بد أن تكون الفروق بعيدة ، بعيدة بين تصويت من يرون اصواتهم سلاحا وقتالا وعضلات وقوة ومجدا وحضارة بل وايمانا وتدينا وآلهة وانبياء وتمجيدا وصلاة وحبا وارضاء للالهة وللانبياء وللتاريخ وللاباء ، واذلالا وقهرا للاعداء والمنافسين وللمشاكل والآلام ،وعلاجا من كل الادواء والاحزان والضعف والضلال والفسوق ومحبة الشيطان ومن الاستعداد لاتباعه وللانخداع به ، كما يرى العرب وامثالهم في اصواتهم كل ذلك ، ويريدون لها ويجدون فيها كل ذلك ، ويعاملونها وكأنها كل ذلك .. هل يجد اي قوم مجدا أو قوة أو انتصارا أو جمالا لاي شيء مثلما يجد العرب كل ذلك في اصواتهم ولاصواتهم ؟

نعم ، لا بد ان تكون الفروق كبيرة جدا بين تصويت هؤلاء وتصويت اولئك الذين لا يجدون أو يرون أو يسمعون في اصواتهم الاغناء وموسيقى وانشادا ومصافحة ودعوة الى التعارف والحب والسلام والغفران والصفح ، والا حوارا روحيا عاطفيا اخلاقيا بل ولغويا ، والا تحليقا فوق احقاد وغباوات وتعصب المذاهب والاديان والقوميات والاوطان والتاريخ ، والا صلوات بلا آلهة ولا انبياء أو معابد أو كهان أو كتب مقدسة أو جنة أو جحيم ،كما لا يريدون منها اي من اصواتهم ان تكون الا ذلك ٠ نعم ، ان الفرق بين تصويت وتصويت لا بد أن يساوي الفرق بين وجه ووجه ومنظر ومنظر وعقل وعقل وثقافة وثقافة واخلاق واخلاق وكينونة وكينونة وحياة وحياة وانسان وانسان ٠٠

اذن كم هي قاسية الفروق بين تصويت وتصويت ٠٠ بين تصويت الانسان العربي وتصويت الانسان المتحضر المفكر المبدع حينما يصوت للسحاب والنجوم محاورا ومغنيا ومصافحا ؟

لا تقرأوا هذا
لئلا تشنقوا قبور أنبيائكم

لا تقرأوا ولا تسمعوا هذا ، أو اقرأوه واسمعوه . ألستم قد قرأتموه وسمعتموه بهذه اللغة والحروف أو بلغة وحروف اخرى ؟ اعني لا تقرأوا ما سوف ارويه في سطور آتية من تراثكم المسمى شعرا . انى اخاف لو قرأتموه ان تعافوا آباءكم وتعافوا كل تاريخكم ..

ولكن لماذا ارفض أو أخاف ان تقرأوا أو تسمعوا هذا أو أي شيء اخر ؟ هل اخاف على اذانكم أو اخلاقكم أو وقاركم أو افكاركم ان تغضب او تحزن أو تمرض استقباحا أو حياء أو ذكاء أو اتزانا ؟ كيف ؟ هل اذان أو عقول أو اخلاق أو وقار الانسان العربي تصاب بالاستقباح أو الحياء أو الذكاء أو الاتزان ؟ أليس محتوما ان تكون اي اذان واخلاق ووقار وعقول الانسان العربي قد انتحرت أو هربت أو توقفت عن العمل أو اعلنت البراءة أو المقاومة لو كانت قابلة للاصابة بشيء من ذلك أي من الحياء أو الذكاء أو الاستقباح أو الاتزان أو الغضب أو الحزن أو ارادة الرفض والقدرة عليه ؟ كلا . ان اعظم وآصل مواهب الانسان العربي عجزها الاصيل الدائم عن أن تصاب بموهبة الاستقباح أو الرفض أو الغضب أو الوقار ..

ألم تبتلع الاخلاق والاذان والضمائر والافكار والكرامة العربية دون ان تصاب باية علامة من علامات عسر الهضم أو الغثيان أو فقد الشهية أو الشبع والامتلاء . نعم ، ألم تبتلع بكل هذه الموهبة الهاضمة المتقبلة ، كل هذا التاريخ العربي من الالهة والانبياء والخلفاء والزعماء والحكماء والشعراء بكل ذنوباتهم وكتبهم المقدسة وتعاليمهم وصلواتهم واشعارهم ، بكل أصواتهم المكتوبة والمحفوظة والمروية والمقروءة والمنشدة والمصلاة المصلى بها ولها ، المتلوة والمصهول المهدد المفخور بها فوق كل منبر ، وفي كل موقف ، وفي وجه كل عدو أو ند أو منافس ، وامام كل مشكلة أو خطر أو هزيمة ولتحدي وارهاب كل متفوق أو متحضر أو صاحب جبروت أو عبقرية ؟

اذن هل يخشى على الانسان العربي ان يغضب أو يحاكم أو يعاقب على اي شيء رديء ؟ هل الذين ابتلعوا ويبتلعون كل هذا يمكن ان يعجزوا أو يعافوا أو يهابوا

أو يرفضوا أو يتألموا ان يبتلعوا اي شيء ، بآذانهم أو افواههم او اخلاقهم أو بعقولهم أو ذكائهم أو كرامتهم أو بحيائهم أو بأصواتهم أو بأي مقطع أو تفسير من مقاطعهم أو تفاسيرهم الانسانية أو حتى البشرية ، أو يمكن ان يحاسبوا أو يحاكموا و يعاقبوا على شيء يتعاملون به أو يعاملون به أو يحيونه أو يواجهونه ؟

ان الذين ابتلعوا كل التاريخ العربي مقروءا ومسموعا ومحفوظا ومتعبدا مصلى به ، ومفخورا بمجده وذكائه ووقاره على كل مجد وذكاء ووقار ، ومزعوما نبوات وعبقريات وهدايا آلهة بل وعبقرية آلهة ، ومكتوبا ، فيما يزعم له ، باقلام الملائكة واملاء الالهة داخل مضاجعها امام شهودها ، اي شهود الالهة ٠

نعم ، ان الذين ابتلعوا كل هذا التاريخ العربي ولا يزالون يبتلعونه بشهية لم يحدث ان اشتكت من الضعف أو الامتلاء ، لن يخاف عليهم أو يرثى لهم من ان يبتلعوا اي شيء ، بل انهم لن ينزهوا او يكرموا عن ابتلاع اي شيء ٠ كيف لم يفطن العالم الى ان القوم الذين ابتلعت اخلاقهم وعقولهم ولا تزال تبتلع كل ما في التاريخ العربي هم قوم يجب ان يدرسوا على انهم ظاهرة قد يستحيل ان تتكرر ؟

ولكن هل الانسان العربي يقرأ أو يسمع ما يقرؤه ويسمعه ؟ هل القراءة بالفم والسماع بالاذن ؟ وهل كل من له فم ولسان واذنان يقرأ ويسمع ؟ وهل كل فم ولسان وأذن يساوي الفم واللسان والاذن ؟ وهل يمكن أو يجوز ان تفسر اذنا الانسان العربي أو فمه أو قراءته بالتفاسير التي تفسر بها الاذان والافواه والقراءات ؟

هل الانسان العربي يقرأ أو يسمع ما يقرؤه ويسمعه الا بقدر ما يرى ما يراه أو ما يسقط في عينيه ؟ وهل يرى ما يراه أو ما يستفرغ في عينيه الا بقدر ما يقرأ ويسمع ما يقرؤه وما يسمعه ؟ وهل الانسان العربي يسمع باذنيه الا بقدر ما يسمع بعينيه ، أو يرى بعينيه الا بقدر ما يرى بأذنه ؟ وهل يمكن ان يرى أو يسمع بعينيه أو اذنيه ما لم يسمع ويرى بعقله ؟ وهل يمكن ان يرى أو يسمع بعقله ما لم ير ويسمع بأذنيه وعينيه ؟

وهل يمكن ان يسمع أو يرى بعينيه أو اذنيه أو بعقله ما لم يفهم بعقله ؟ وهل يمكن ان يفهم بعقله ما لم يفهم بعينيه وأذنيه ؟ وهل يمكن ان يفهم بعينيه أو بأذنيه ما لم يغضب ويصدم ويقاس ويتجاوز باخلاقه ونماذجه وشروطه وطموحه وتفكيره ؟ وهل يمكن أن يغضب أو يصدم أو يقاسي أو يتجاوز بذلك أو بشيء منه ما لم يكن اكبر واقوى واجرأ من كل الاشياء ،ما كان وما سوف يكون ، ومن كل تعاليمه وتاريخه ومن كل اربابه وانبيائه وآبائه ومن كل وجوده وكينوناته ، بذكائه وقدرته وتقواه وطموحه وبكل مستوياته ومواهبه ؟

أليست كل قيمة الانسان الحضارية انه بتفاسيره اكبر واقوى واذكى من كل شيء ؟

لهذا فان الانسان العربي في كل تاريخه لم يقرأ أو يسمع شيئا مما قرأ وسمع ومهما قرأ وسمع ٠ ان اذنه وفمه يقرآن ويسمعان كما تقرأ وتسمع رجله ويده الاشياء التي يتصادمان بها ٠٠

لقد كان آلهته وانبياؤه ومعلموه وزعماؤه يطالبونه ولا يزالون يطالبونه بأن يقرأ ويسمع كتبهم المقدسة ونبواتهم وتعاليمهم وخطبهم ، ويهددونه بكل انواع العذاب اذا لم يقرأ ويسمع لهم ومنهم دائما ٠ لقد كانوا يطالبونه بأن يقرأ ويسمع لانهم كانوا يعلمون انه لا يقرأ ولا يسمع حينما يقرأ ويسمع ، ولكنه يصلي ويتعبد ٠ ولو كان يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه لكان محتوما ان يحرموا عليه القراءة والسماع مثلما يحرمون عليه ان يكفر بهم أو ينتقدهم أو يفهمهم أو ان يحاورهم أو يحاسبهم أو يفسرهم ٠ ان القراءة والسماع لم يكونا يعنيان في كل التاريخ العربي الا صدقنا واطعنا ، صلينا وركعنا ٠ لم يكونا الا تلقيا للاوامر الباتة ٠ ولم يكن انبياء العرب وقادتهم في كل تاريخهم يعنون غير هذا حين يأمرون بالقراءة والسماع ٠ ان الدعوة الى القراءة والسماع ليست في التاريخ العربي الا دعوة الى أمية العقل والرؤية والضمير والاخلاق ٠

ان العرب لو كانوا يقرؤون أو يسمعون ما يقرؤون ويسمعون لكان مستحيلا جدا ان يطلب منهم بل ان يقبل منهم أي اله أو نبي أو زعيم أو معلم من آلهتهم أو انبيائهم أو معلميهم أو زعمائهم ان يقرؤوا أو يسمعوا له أو منه أي شيء ، بل لكان مستحيلا ان يقول اي اله أو نبي أو زعيم أو معلم عربي أي شيء لكي يقرأ ويسمع أو لئلا يقرأ أو يسمع ٠ ان أي اله أو نبي أو معلم أو زعيم عربي لو خاف أو شك اي قدر من الخوف أو الشك ٠ ان الانسان العربي قد يستطيع ان يقرأ أو يسمع ما يقرؤه ويسمعه لاقاموا جيوشا لمقاومة القراءة والسماع ٠٠ لقد كان آلهة العرب وانبياؤهم ومعلموهم وزعماؤهم يطالبون قومهم بالقراءة والاستماع مثلما كانوا يطالبونهم بالنظر ٠ لقد كانوا يطالبونهم بأن ينظروا اليهم والى الكون والى كل شيء ، وبان ينظروا فيهم وفي الكون وفي كل شيء ٠ لانهم كانوا يعرفون انهم مهما نظروا فانهم لا يرون ٠ انهم لا يرون ما ينظرون أو مهما نظروا ، بل انهم لا يرون ما يرون ٠ لقد كانوا يطالبونهم بما يعلمون انهم لن يصنعوه ولن يستطيعوا ان يصنعوه ، وبما لو صنعوه أو استطاعوا أن يصنعوه لقاتلوهم لئلا يصنعوه ٠٠

كذلك كانوا يطالبونهم بأن يتفكروا في انفسهم وفي الكون وفي كل شيء لانهم كذلك كانوا يدركون انهم مهما تفكروا فانهم لا يفكرون ولن يفكروا ٠ لقد كانوا يقولون لهم تفكروا ولا يقولون لهم فكروا لانهم لم يكونوا يعنون التفكير بمعناه الحضاري والانساني ٠٠

وكذلك ايضا كانوا يلحون عليهم ويحرضونهم اشد التحريض بأن يعقلوا وبأن تكون لهم عقول ويكونوا عقلاء ، لان العقل عندهم وفي سلوك الانسان العربي هو

الطاعة والتسليم واخذ المكان في الطابور الخاضع المبايع · والعاقل عندهم وفي وعي الانسان العربي هو الذي لا يحاسب أو يحاكم أو يفسر أو يعامل الاشياء أو التعاليم أو الاوامر أو الاحداث أو الطغاة الاغبياء والمتسلطين والاقوياء والمدعين للنبوات أو للتفوق والتفويض ، بالعقل أو التفكير أو الحوار أو المساءلة · انه هو الذي يتنازل عن كل محاسبة ومساءلة ومحاكمة ومحاورة حينما يريد منه قتلته ومجانينه ان يفعل كل الجنون ويؤمن بكل الجنون ··

لقد كان العاقل في كل حساباتهم وتفاسيرهم وتصورهم هو الذي يتخلى عن كل تعامل بل عن كل تحاور أو تشاور أو تفاوض مع عقله بل عن التصور بان له عقلا حين يأمرونه أو يسوقونه أو ينتظرون منه ان يفعل كل ما يرفضه العقل ، ان يفعل كل الجنون والحماقات والبلادات ·· ان يجن في طاعتهم والايمان بهم والهتاف لهم وفي اقتراف كل الذنوب والجرائم والاخطاء والسفاهات والسفالات باسمهم وحبا وولاء لهم وتشييدا لامجادهم الفاجرة · ان الاله أو النبي أو الزعيم العربي لا يمكن أن يفهم العاقل أو يفسره الا بانه هو الذي يجن عقلا واعتقادا وسلوكا حينما يريد هو هذا الجنون ··

ما الذي يحتمل ان آلهة العرب وانبياءهم ومعلميهم وزعماءهم يتصورونه أو يفهمونه أو يعنونه أو يريدونه أو يطالبون به حينما يقولون لرعاياهم واتباعهم وعبيدهم : اقرأوا واستمعوا وانظروا وتفكروا وكونوا عقلاء او « افلا تعقلون » أو « افلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو اذان يسمعون بها » ؟· ان المطلوب من الانسان العربي ان يعقل بقلبه لا بعقله ولا برأسه · لعله قد افترض بلا عقل · ولعله لم يعرف ان للرأس وظيفة عقلية أو أن لرأسه هذه الوظيفة ·

أليس المعنى هنا حتما : « آمنوا بنا وأطيعونا واعتقدونا كل الذكاء والجمال والحقيقة والنظافة والتقوى والخلود والعقل دون ان تراجعوا أو تشاوروا عقولكم أو عيونكم أو اذانكم أو اخلاقكم أو كرامتكم ووقاركم ، بل مع احتقاركم ورفضكم لكل ذلك فيكم ، بل مع اعتقادكم بان عقولكم واذانكم وعيونكم ليست لها اية وظيفة أو تفسير غير أن تطيعونا وتجنوا حبا لنا وخوفا منا وتمجيدا لمجد جنوننا ؟ » ·

ان كلمات : عقل ونظر وقراءة واستماع وتفكر هي كلمات لغوية فما تفاسيرها عند الانسان العربي ، وماذا يعني بها حين استعماله لها ؟ هل تعني اية كلمة يقولها أو يسمعها الانسان العربي غير دلالاتها وتفاسيرها اللغوية ؟ من علم الانسان العربي تفاسير الكلمات ؟

هل آلهته وانبياؤه ومعلموه وزعماؤه هم الذين علموه ووضعوا له تفاسيرها ، أم هم تعلموا تفاسيرها منه أو مثلما تعلمها هو ، اي انهم فهموها بهذا التفسير كما فهمها هو دون ان يكون هنا معلم ومتعلم ، اي انهم هم ضالون ومخدوعون كما انه

هو ضال ومخدوع ؟ نعم ، ان كل شيء يحوله الانسان العربي الى نقيض معناه عند المتحضرين حتى التعليم ، انه لا بد أن يحوله الى النقيض ، الى الامية الشاملة في كل ممارساته وتفاسيره بل ونياته ولغاته ٠

اجل ، انهم لم يدبروا ان يضعوا لهذه الكلمات اللغوية هذه التفاسير لكي يخدعوه بها ولكنهم وجدوه هكذا يفهمها ويفسرها فراحوا يعاملونه كما وجدوه ، كما راحوا يفهمونها ويفسرونها مثله لانهم لم يكونوا في معانيهم وقيمهم الحضارية والانسانية والبشرية اكبر منه ٠ انهم لم يعرفوا كما انه هو لم يعرف ٠ لقد تعلموا هم وهو تفاسير الكلمات من مستوياتهم بلا معلم كما تعلموا نفس الكلمات وكما تعلموا ضعفهم وغباءهم وطاقة عضلاتهم ٠٠

انهم لم يتنزهوا أو يترفعوا عن أن يكونوا خادعين ، ولكنهم عجزوا عن ان يكونوا في هذه القضية كذلك ٠ قد يكون مجدا لك في بعض المواقف ان تكون خادعا، ولكن قد يصبح هذا المجد شيئا لا تستطيعه موهبتك ٠ قد تصبح الخديعة موهبة لا تملك ادعاءها ٠٠

ولكن ماذا لو ان آلهة العرب وانبياءهم ومعلميهم وزعماءهم فهموا هنا انهم خادعون ، وانهم هم الذين وضعوا للانسان العربي تفاسيره لكلمات : عقل ونظر وقراءة واستماع وتفكر ، وهم الذين جعلوه أي جعلوا الانسان العربي لا يقرأ ولا يسمع ولا يرى ولا يعقل ما يقرؤه ويسمعه ويعقله وينظر اليه ولا يفكر في ما يتفكر فيه ؟ أليس محتوما حينئذ أن يرهقهم الخوف والتوقع لانهم لن يثقوا بأن خدعتهم هذه سوف تستمر دون ان تكتشف وتفتضح ، وان الانسان العربي سوف يستمر في مستوياته العاجزة لا يتخطاها ولا يريد تخطيها ؟.

واذا اكتشفت أو بطلت أو عجزت عن الاستمرار أو تخطى الانسان العربي طوره هذا وعجزه الاليم وأصبح يقرأ ويسمع ويرى ويعقل ما يقرؤه ويسمعه وينظره ويعقله ويفكرفيمايتفكرفيه، أفلا يقعون اي آلهة العرب وانبياؤهم ومعلموهم وزعماؤهم، حينئذ حتما في اقسى ورطة ؟ انه اي الانسان العربي سوف يقرؤهم ويسمعهم ويراهم ويعقلهم ويفكر فيهم حينئذ بكل معانيه الانسانية ٠٠ وحينئذ كيف يمكن ان يراهم ويسمعهم ويقرؤهم ويعقلهم ويفكر فيهم ؟ كيف يستطيع حينئذ أن يتقبل نماذجهم أو يتصور انها نماذج لكائنات حقيقية ؟ كيف يستطيع حينئذ ان يتصور أن كائنات قد تملك وتعيش كل هذا العار والافتضاح والضعف بكل معانيه ولغاته ؟ ان عينا واحدة مبصرة أو اذنا واحدة سامعة أو عقلا أو ضميرا واحدا فاهما أو مسائلا أو قارئا أو محاكما لن يستطيع أن يرى أو يسمع أو يقرأ أو يواجه واحدا من هؤلاء ٠٠

ان كل ما لالهة العرب ولانبيائهم ومعلميهم وزعمائهم من استتار ومجد وتاريخ جيد ،مشروط ومحروس بأن يظل الانسان العربي عاجزا عن ان يتخطى طوره التاريخي الذي احد تفاسيره ألا يستطيع ان يقرأ أو يسمع أو يعقل أو يرى ما يقرؤه ويسمعه

ويراه ويعقله كما لا يستطيع ان يفكر فيما يتفكر فيه · ان عربيا واحدا لم يقرأ أو يسمع أو ير أو يفسر الهـا أو نبيا أو قائدا واحدا من آلهته وقادته وانبيائه في كل تاريخه وتاريخهم ·

اذن هل يمكن ان يدوم هذا المجد والاستتار والتاريخ المجيد لهؤلاء الالهة والانبياء والمعلمين والزعماء الذين كل جمالهم في ألا توجد عيون تراهم ، وكل ذكائهم في ألا توجد عقول تفهمهم وتحاسبهم وتفسرهم وتحاورهم ، وكل قوتهم فـي ألا توجـد عضلات أو قوة اخرى تصارع وتبارز وتتحدى عضلاتهم وقوتهم ، وكـل مجدهـم وتقواهم وعظمتهم وصدقهم في ألا تكون التقوى والعظمة والمجد والصدق غير النذالة والبغضاء والسفاهة والسباب والكذب والصراخ والادعاء والبحث عن المخاصمات وفي ألا تفسر هذه الا بهذه ؟ رائع جدا أو مخز ومهين جدا أن يكون مجد الالهة والانبياء والزعماء والمعلمين والاحترام لهم مشروطين بدوام هوان العبيد والاتبـاع والرعايـا وبدوام بلادتهم ·· ولكن أليس هذا الرائع جدا أو المخزي المهين جدا هو الذي يحدث دائما وحده في كل التاريخ العربي ؟

اذن لماذا نطلب الى الانسان العربي الا يقرأ أو يسمع هذا الذي سوف نكتبه في سطور آتية ؟ بل لماذا نطلب اليه ألا يقرأ أو يسمع أي شيء نخاف عليه أو نرفض له أن يقرأه أو يسمعه ؟ لقد فسرناه ووجدناه اي الانسان العربـي لا يقرأ ولا يسمـع شيئا مما يقرؤه ويسمعه · اذن فهو لن يقرأ ولن يسمـع مهمـا قرأ وسمع ·· اذن فالخوف عليه من القراءة والسماع ونهيه عنهما عبث وبله · ان هذا الخوف والنهي يساويان نهي الاعمى عن ان يرى دمامة وجهه والخوف عليه من ان يرى هذه الدمامة أو أن ينظر اليها ، أو يساويان الخوف على الاصم من ان يستمع الى صوته القبيح ، ونهيه عن هذا الاستماع ، اشفاقا عليهما اي على الاعمى والاصم من ان يتعذبا ويحزنا اذا رأى احدهما وجهه ، وسمع الاخر صوته · ان الخوف على الانسان العربي ان يرى أو يسمع أو يقرأ ما يراه أو يسمعه أو يقرؤه يساوي الخوف على الهه من أن يرى وجهه في تشوهات وعاهات ما خلق ·

ولكن اذا كان ذلك كذلك فلماذا نكتب باللغة العربية اي شيء اي ما دام الانسان العربي لن يصبح قارئا أو سامعا او لن يصبح قارئا أو سامعا ما يقرؤه ويسمعه ؟ ولماذا نطلب اليه ان يقرأ ويسمع ونحن نعرف انه لن يفعل ذلك مهما فعله اي مهما بدا انه قد فعله أو انه يفعله أو مهما بدا في صيغة من يفعله ·· ونحن نعرف انه لم يوجد عربي واحد في كل التاريخ العربي قد قرأ أو سمع شيئا مما قرأه وسمعه ؟

أليس بلها أو سخفا أو نزقا مثيرا ان نكتب بلغة لن يوجد من يقرؤها ولا مـن يسمعها ، أو أن نكتب لقوم أو بلغة قوم نحن نعرف انهم لا يقرؤون ولا يسمعون ، وانهم لن يصبحوا قارئين أو سامعين أو مستمعين ؟ أليس عبثا أو سخفا اليما ان يكون قد وجد هذا العناء الضخم جدا المسمى تراثا عربيا مع ان احدا لم يقرأه ولن يقرأه مهما قرىء وفسر وزعم بداية ونهاية كل عبقرية ومعرفة وتاريخ وحضارة ··

اننا لا بد ان نتكلم ونغني ونصرخ ونئن ونشكو ونبكي ونرى حتى ولو لم يكن هناك من نكلمه أو من نغنى ونصرخ ونئن ونشكو ونبكي له أو ما نراه أو من نراه ٠ اننا لا بد أن نفعل ذلك ولو توجها الى الاطلال والنجوم والسحاب والرياح والقبور ٠ ان سماع الاذن أو وجودها ليس شرطا في الصراخ ٠٠

اننا لا نتكلم أو نقرأ أو نعلم أو نفكر أو نريد بقدر ما نجد من نكلمه أو نقرأ له أو عليه أو من نعلمه أو نفكر له أو معه أو فيه ، ولا بقدر ما يوجد من يريدون منا ذلك أو يستفيدون منه ٠ ولكننا نفعل ذلك بقدر ما نحتاج نفسيا وذاتيا الى ان نفعله٠ اننا لا نصلى بقدر استحقاق الالـه الذي نصلي له ولا بقدر جماله أو ذكائه أو حبه أو قوته أو عطائه بل بقدر مجاعتنا الى الصلاة وقدرتنا عليها ٠٠

اننا احيانا نفترض وجود من لا وجود له لان هذا الافتراض يجعلنا نستطيع أن نهتف ونصلي ونشكو ونتكلم ونغني ونبكي دون ان نحتقر انفسنا وعقولنا أو نتهم انفسنا أو يتهمنا الاخرون بالجنون لاننا نفعل ذلك مع من لا وجود له ٠ واننا احيانا لنفترض ما لا يسمع أو يرى أو يفهم سامعا ورائيا وفاهما لكي نخاطبه بكل اساليب المخاطبة ٠٠ اننا بالافتراض لنصنع للكائنات والاشياء العيـون والاذان والعقـول والاخلاق والمواهب المختلفة ، واننا لنصنع ذلك اي بالافتراض كما نحتاج لا كمـا نجد أو نعلم ٠

اجل ، اننا لنفترض هذا وهذا أو هؤلاء وهؤلاء لاننا لا بد أن نتكلم ونعلم ونقرأ ونهتف ونصلى ونخاطب ونحاور ، أي ونفترضهم على مقاسات احتياجاتنا هذه ٠

لقد افترضنا وجود الالهة والانبياء والقديسين وجميع الكائنات السماوية والغيبية وجميع الارواح الخارقة المطلقة الوجود والقوة والحواس، وافترضناهم يرون ويسمعون ويفهمون ويطالبون ويحتاجون يشتهون ويستجيبون ويرضون ويغضبون ويطربون ، بل ويخافون ويطمئنون ويتكبرون ، ويجوعون الى الامتداح والصراخ والهتاف والنفاق والانشاد والبكاء ٠ لقد افترضناهم في الصيغة التي نحتاج اليها لا في الصيغة التي تتحول الى تمجيد وتكريم لهم ولا في الصيغة التي وجدناهم بها وجربناهم عليها ٠٠

نعم ، لقد افترضناهم كذلك لكي نفعل كل ما يوجبه أو يطلبه أو يعنيـه أو يسوغه هذا الافتراض من قراءة وصلاة ومناجاة وتعليم وحوار ومـن ارشاد وانشاد ومطالبة وتخويف ٠ ان حاجتنا الى التحدث قد جعلتنا نهتف بالالهة ونصلي لها اكثر مما جعلنا نفعل ذلك علمنا بأنها سوف تسمعنا وتستجيب لنا ٠ ومن اقتنع بأنها تسمع فقد اقتنع لانه محتاج الى التحدث لا لانه قد اقتنع حقا ٠

ان هؤلاء اي الالهـة والانبياء وكل سكان السماء والغيب لا يساوون ما سـوف يعدون لنا من جزاء ولذات في الدار الاخرى ، أو مـا سوف يهبوننـا مـن ضمانات واطمئنان ومحبة وصداقة وذكاء وتعاليم ، أو ما سوف يقدمون لنا من تفاسير معقولة ومقنعة ومنطقية عن انفسهم أو عنا أو عـن هذا الكـون ٠ ان نخـوتهم وجمالهـم لا

يساويان ما رأينا وجربنا من نخوتهم وجمالهم وانما يساويان احتياجنا الى ان نجدهم ونفترضهم كذلك ٠

انهم لا يساوون شيئا من ذلك واننا لم نؤمل أو نرد أن يهبونا شيئا من ذلك مهما بدونا وكأننا نؤمل ونريد ذلك منهم ، بل وكأننا لا نريد ولا نؤمل شيئا غير ذلك ٠ انهم لا يساوون انفسهم بل انفسنا ٠ ان اي اله أو نبي أو قديس أو ملاك لن يكون صيغة لنفسه بل صيغة لانفس المؤمنين الهاتفين به المناجين له المتحدثين اليه وعنه ٠٠

اذن نحن محكوم علينا بأن نفترض ان حولنا من يقرؤون ويسمعون ، وبأن نفترض انه يوجد من يقرؤون اللغة التي نتكلمها ونكتب ونعلم بها ومن يسمعونها ويسمعون بها ولها ٠ ان اللغات لم توجد لانه يوجد او قد يوجد مستمعون ولكنها وجدت لانه يوجد أو قد وجد متكلمون أو من يستطيعون ويريدون ان يتكلموا ٠ ان العيون لم توجد مجاملة أو حبا للمرئى بل احتياجا وقدرة واشواقا في الرائي ٠

واذن لا بد ان نفترض ان الانسان العربي يقرأ ويسمع وما يقرؤه ويسمعه ٠ لا بد ان نفترض هذا الافتراض بقدر احتياجنا الى التعامل به ومعه وفيه وعليه لا بقدر اقتناعنا به أو معرفتنا له ، بل ولا بقدر عجزنا عن معرفة كونه خطأ ٠٠ اي اننا لا بد ان نتعامل معه وبه وكأننا نفترضه أو نعتقده كذلك ٠٠

اذن لقد اصبح الانسان العربي يقرأ ويسمع ويرى ويعقل ما يقرؤه ويسمعه ويعقله ويبصره ويفكر في ما يتفكر فيه أو في ما تأمره آلهته واديانه وانبياؤه ووعاظه ان يتفكر فيه لا ان يفكر فيه ٠ نعم ، ان المطلوب من الانسان العربي ان يتفكر لا ان يفكر ٠٠ يتفكر بمعنى وفي صيغة يتعبد ويتخضع ويتقرب ٠ هكذا علمه وامره كتابه المنزل ٠٠ « يتفكر » ٠

نعم ، لقد أصبح الانسان العربي كذلك لاننا هكذا احتجنا الى افتراضه وهكذا افترضناه اي بقدر احتياجنا الى افتراضه ٠ أليس الافتراض الذي يحرض عليه الاحتياج يصبح واقعا ومنطقا يتعامل به الناس ويتعادون ويتشاتمون ويتقاتلون باسمه ودفاعا عنه وايمانا به ؟

واذ قد افترضنا الانسان العربي كذلك اي يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه ، وافترضناه يستطيع ان يخاطب وان يتعامل مع المخاطبة له ويستجيب لها ، فلا بد حينئذ من ان نتحدث اليه وان نجد وننتظر في التحدث اليه معنى وتفسيرا ، اي لا بد ان نكون معه تعاملا وتوقعا كما افترضناه ٠ أليست أقوى واكبر واكثر حقائقنا لم تكن الا افتراضا ؟

ماذا يبقى لنا من حقائقنا ، من اربابنا وعقائدنا ومذاهبنا وامجادنا وايماننا لو اننا لم نكن مصابين بموهبة الافتراض ؟

اذن لا بد ان نخاف عليه من بعض قراءاته واستماعه ، اي من ان يقرأ أو يسمع بعض ما يقرأ ويسمع لا بد ان نخاف عليه من ان يتعذب ويسحقه الشعور بالاحتقار لنفسه ولابائه وامجاده الموجودة في مقابر ابائه ، وفي رواياات كتبه لو انه قرأ وسمع بعض تراثه ، اي بعض ما كانت تقوله وتقرؤه وتسمعه حضارات واخلاق وعقول وعبقريات آبائه ، اي لو انه قرأ ذلك بفكر قارىء وسمعه بأذن سامعة ، وحاسبه وحاكمه وطالبه وفسره واحسه وحدق فيه بخلق أو بحاسة أو بكرامة أو بعين أو بموهبة محاسبة محاكمة قارئة مفسرة حساسة محدقة ..

نعم ، لا بد ان نخاف عليه من ذلك وان ننهاه عنه ..

لا بد ان نطلب اليه الا يقرأ أو يسمع هذا الذي سوف نتلوه عليه هنا من تراث ومواهب آبائه لئلا يفجع ، اي لو قرأه ، وسمعه ، فجيعة قد تقتتل أو تذل وتهزم وتسكت فيه كل احتمالات الطموح والكبرياء والذكاء والحضارة والوقار والتطلع والاشواق الى التفوق والمجد والابداع واعجاب الاخرين أو رضاهم أو كفهم عن الاحتقار والاشمئزاز والاستهزاء منه وله ماضيا وحاضرا ومقبلا مستقبلا .. ألسنا أحيانا مطالبين بألا ننظر في المرآة لئلا تشتد فجيعتنا بأنفسنا ؟ أليس اختراع المرآة ذنبا اليما عظيما في حساب اكثر العيون والوجوه ؟ ألسنا احيانا نظلم من نضع في بيته مرآة ؟

انه لشيء رهيب ان تقرأ أو تسمع هذا الذي سوف نتلوه عليك من أصوات ابائك التى هي اشهر واكبر امجادهم ، أو التي هى كل امجادهم في رأي اخر قد يكون هو الاصدق .. وانها لوحشية نقترفها بفظاظة حين نتعمد اسماعك هذه الاصوات بل حين نستطيع ان نمنعك من قراءتها وسماعها ثم لا نمنعك ..

ولكن لقد جربناك ودرسناك يا ابن العروبة الاصيلة فوجدنا دماءك مشحونة بالحلم والوقار والاسترخاء والبرودة المستريحة . انها اي دماءك لا تصاب بالغليان او الغضب أو الاشمئزاز أو الخوف من ان تكون متهما بالعار أو الهوان أو البلادة والتخلف والحقارة ، أو بانك كائن مصوت لم تصعد الى طور الكائن المتكلم ، أو من ان تكون كذلك ، ولست متهما به فقط .. انه لا يوجد مثلك في استرخاء وبرودة دمك وفي عجزه عن الفوران استفظاعا للعار أو للحقارة أو للهوان أو للاتهام بذلك .

انه لا يوجد من يتفوق عليك غفرانا لنفسك في أن تكون دون ما يجب ان تكون ، وفي ان تكون دائما اقل كثيرا من كل ظروفك . انك لا تشترط لكينونتك ولا لرضاك عنها ولا لاعجابك بها ولا لغفرانك لها اية شروط كبيرة ولا يعذبك الا تشترط لها أو عليها .

انه لا يوجد من يتفوق على ابن العروبة الاصيلة الكريمة في تسامحه وغفرانه لمرآته ، اي لما يراه في مرآته من قبح وتشوه وضعف وبذاءة واتساخ ، اي حينما ينظر

فيها الى وجهه . بل انه لا يوجد ولم يوجد من يتفوق عليه بل أو من يباريه في عجزه عن ان يرى مرآته أو يرى فيها ما تراه هي وما يراه الاخرون فيها ..

انه لا يوجد غافر لوجهه ومتسامح معه مهما رآه أو مهما عكسته المرآة ، أو غافر لمرآته ومتسامح معها مهما كانت وحشيتها حينما تريه وجهه وحينما تعرضه عرضا عالميا مثل الانسان العربي . بل انه لا يوجد مثله رائيا في مرآته كل الجمال والنظافة والقوة والتهذيب والاستواء حينما يرى فيها أو حينما يرى الاخرون فيها أو حينما تعكس هي كل الدمامة والقذارة والضعف والوقاحة والتشوه .

انه لا يوجد من يحب مرآته القبيحة الوقحة المتوحشة في قسوتها ، او من يغفر لها أو يرى فيها غير ما ترى هي في نفسها ، مثل الانسان العربي .

انه لا يوجد مرآة جيدة الحظوظ في الغفران لها وفي الشعور بها ولها ، ورديئة الحظوظ في رؤاها ومواجهاتها ، مثل مرآة الانسان العربي ...

انه لا يوجد شيء يرى ويعرض ويكشف ويعلن كل الضعف والدمامة والتشوه والبذاءة ثم يعامل بكل الحب والتمجيد والاعجاب والثناء ، مثل المرآة الموجودة في بيت الانسان العربي . انه لم يحدث ان غضب الانسان العربي على مرآته أو كره لها أو استنكرها أو فكر في الاستبدال بها مهما كان قبحها ووقاحتها وقسوتها وفضحها له .

نحن نعرف كل ذلك من اخلاق الانسان العربي ومن شمول تسامحه وغفرانه لنفسه ولابائه وتاريخه ، بل من اعجابه بكل ذنوبه ونقائصه وجهالاته الفضاحة التي علمتها وروتها وورثتها له عبقريات ابائه وتاريخه . ان الانسان العربي لطقس رائع من الاسترخاء والخمول وغفران النذالات والجهالات وجميع القبائح والنقائص لنفسه بل ومن العجز عن رؤية ذلك أو الشعور به ..

لهذا فان ضمائرنا لن تعاقبنا أو تحتج علينا حين نسمعه اي نسمع الانسان العربي هذا الذي سنسمعه اياه في السطور التالية من اصوات ابائه التي يحسبونها ويسمونها اشعارا عبقرية ، يباهون ويتحدون بها كل ما لدى الكائنات الاخرى من عبقريات العواء والصهيل والزئير والثغاء والرغاء والطنين ، بل يقاتلون ويبارزون ويشتمون بها كل حضارات وانتصارات وتفوق وقوة جميع المتحضرين والمنتصرين والاقوياء والمتفوقين .. بل انهم يرون أن مجرد حفظها اي هذه الاشعار العبقرية التي سنتلوها عليك ، ومجرد كتابتها وروايتها وانشادها اعظم تمجيد وصلاة لعبقرية التاريخ والطبيعة والالهة والبشر .. انهم يعتقدون انهم يصنعون مجد كل شيء بانشاده هذه الاشعار وباسماعها اياه وبكتابتها على جبينه وثيابه .

نعم ، يا ضمائرنا ، لقد اعتذرنا اليك وفسرنا لك قوة وصدق اعتذارنا . اذن لن تجرئي يا ضمائرنا على ان تحاسبينا أو تحتج علينا اشفاقا على كرامة الانسان العربي ، وعلى موهبة الاستحياء والوقار فيه ، وعلى موهبته في اعجابه بنفسه وبتاريخه وبآبائه وعلى موهبة الرضا فيه عن نفسه وعن تاريخه وعن آبائه ..

نعم ، يا ضمائرنا المرهقة المقتولة بكل انواع المقاساة والمواجهة ، لن تجرئي على محاسبتنا أو على الاحتجاج علينا لتفسيرك ايانا بأننا اقسى القساة حين نسمع الانسان العربي أصوات آبائه التي سيسمعها بعد قليل · لا ، لن يقتلك الاستفظاع والجزع والاشفاق حين تعلمين ان الانسان العربي سوف يسمع ويقرأ هذه الاشعار لابائه ··

اننا لو لم نقدم اليك يا ضمائرنا المصلوبة دائما هذا الاعتذار أو التفسير لكان من المحتمل جدا أو من المحتوم ان تعجزي عن التصور باز الانسان العربي قد يقبل نفسه أو يقبل آباءه أو يغفر لنفسه ان يكون موجودا أو يكون هؤلاء آباءه حين يسمع أو يقرأ اصواتهم هذه ، ولكان من المحتمل جدا أو من المحتوم ان يعذبك أو يقتلك الاستفظاع والفزع والاشفاق حين تعرفين اننا سوف نتلو على الانسان العربي هذه الاشعار من عبقريات ابائه ، أو حين تسمعيننا نتلوها عليه · وانت حتما سوف تسمعيننا عن قريب نتلوها عليه · اذن كم نحن محتاجون يا ضمائرنا الحزينة الى ان يتسع غفرانك لنا ووعيك لاعتذارنا اليك حين تسمعيننا نتلو على الانسان العربي أصوات ابائه ··

ومع هذا يا ضمائرنا المعذبة لنا المعذبة بنا ·· المتعذبة بكل شيء نراه او نعلمه أو نحياه ، والمحولة لكل شيء نراه أو نعلمه أو نحياه الى تعذيب واشمئزاز وتحقير وهجاء لنا ـ نعم ، ومع هذا يا ضمائرنا فاننا سوف نفعل شيئا قد يعد اقصى اساليب المبالغة في الاعتذار اليك والاسترضاء لك ··

ذلك اننا هنا سوف نفترض الانسان العربي مالكا لموهبة الاستفظاع والاستنكار والاستقباح والاحتجاج والرؤية والغضب الفكري والاخلاقي والانساني ، كما افترضناه يقرأ ويسمع ما يقرؤه ويسمعه ·· سوف نفترضه رائيا محاسبا محاكما قارئا مفسرا لمرآته ·· سوف نفترضه حينما ينظر الى مرآته رائيا وجهه الذي في مرآته لا الوجه الذي قرأ عنه في تاريخه وتعاليمه واشعاره ورواياته واديانه وفي غروره ، والذي صنعه له عجز خياله وطموحه وذكائه وكبريائه وعجزه عن الاشتراط على نفسه وعلى الاشياء وعلى رؤاه ، وعجزه عن الصدق في رؤيته له وفي حديثه عنه وفي تعامله به ·

سوف نفترض الانسان العربي افتراضا افضل ، افتراضا يجعله يستطيع ويجرؤ ان يرى الدمامة دمامة ، والبلادة بلادة ، والنذالة نذالة ، والعار عارا ، والافتضاح افتضاحا ، والعجز عجزا ، والهزيمة هزيمة ، والبداوة بداوة ، ويرى العربي عربيا فقط لا عربيا وحضاريا ، أو لا عربيا ومبتكرا لجميع الحضارات والمزايا الانسانية ، أو لا عربيا والوهية ونبوة وقيادة لكل الحضارات والقيم والمعارف والبشر ، أو لا عربيا ومجدا للاله لايمانه به ولكونه من خلقه ، ومجدا للطبيعة لمعايشته لها ولوجوده فيها ولتعامله بها ، ومجدا للبشر لكونه من البشر ، اي اذا تواضع واريد له أن يتواضع · اي لكونه من البشر في اصغر مزاياه · أليس كون الانسان العربي من

البشر هو أصغر مزاياه ؟ أليس تقبله الانتماء الى البشر هو اعظم اساليبه في التواضع ؟

سوف نفترض ان الانسان العربي حتما يرفض ان يوجد أو يبقى ان كان محتملا أو لو كان محتملا ان يعيش أو يعايش أو يهوى أو يرى أو يقرأ أو يسمع او يعامل أو ينمي اليه أو الى ابائه أو الى تاريخه غير المجد والذكاء والشرف والكرامة والوقار والحكمة والصدق والحب والتواضع ، وغير ابتكار الحضارات والعبقريات والمثل الدينية والاخلاقية والانسانية ، وغير ولادة الالهة والانبياء والقديسين وكل الوان العباقرة الكونيين ٠ نعم ، أليست ولادة الالهة والانبياء والعباقرة والقديسين هي بعض عطايا واهتمامات الانسان العربي ؟ أليست هذه الولادة هي اصغر مواهبه ؟

سنفترض انه لا بد أن يوقع اقسى العقوبات بمرآته لو أنه حينما نظر اليها لم ير كل القسامة والاشراق والابتسام والنظافة والتهذيب والشموخ في كل الاتجاهات والافاق ٠٠ لو انه حينما نظر اليها اي الى مرآته لم ير كل الجمال والبهاء في الوجه الواحد الذي يراه ، وكل الذكاء والبريق في العينين اللتين يراهما ، وكل الحب والصدق والرزانة في الملامح والايقاعات الحركية التي يراها ، وكل القامات والهامات كل شموخهما وانتصابهما في القامة الواحدة والهامة الواحدة اللتين ترتفعان وتمتدان امامه بكل اتساع الكون وبكل شموخه ، ولم ير كل الالهة والتقوى والنبوات والحضارات والعبقريات مطلة من العقل والضمير المزروعين في كل ارجاء ذاته ٠٠

اجل ، سوف نفترض الانسان العربي يملك حساسية رافضة غاضبة محرقة محترقة في مواجهة النذالة والنقص والسخف والهوان والضآلة ، لو ان شيئا منها اي من هذه الحساسية التي يملكها عوملت بها الشمس أو عاشتها الشمس لتحولت اي الشمس الى رماد وتراب ، اي لقتلت وامتصت واستهلكت كل حرارتها بعنف احتراقها وتوقدها ٠٠ سوف نفترضه جحيما محرقا في محاسبته ومحاكمته لنفسه وللاشياء التي يتعامل معها بعقله أو باخلاقه أو بشهواته أو بمواجهاته ٠٠

لا بد أن نفترض الانسان العربي كذلك وان نتحدث اليه بما يعنيه هذا الافتراض لاننا لا بد ان نتحول الى واعظين ومعلمين وصانعين للنصائح والوصايا ٠٠ اي لا بد ان نقول له : افعل هذا ، وننهاك ان تفعل ذاك ونلعنك ونطالب بغضب الاله عليك ان فعلت ذاك ٠ لا بد أن نقول له : اننا ننهاك بكل القسوة والغضب ان يخفق قلبك أو تجوع اعضاؤك أو يفهم أو يرفض أو يحتج عقلك ٠٠

ان كل انسان محتاج أو محكوم عليه بان يصبح واعظا ومعلما ومقدما للوصايا والنصائح ولو احيانا ، اي لا بد ان يمارس وظيفة الوعظ والتعليم والنصح والتوصية مهما كان ذلك عاجزا عن ان يصنع اية نتيجة بل مهما كان ذلك ضد كل نتيجة كان الوعظ والتعليم والنصح والتوصية من اجلها وبحجة البحث عن تحقيقها ، بل مهما كان ذلك ضد قوانين واحتمالات الاشياء المجربة دائما ٠٠٠

اننا جميعا لا بد ان نستمر نقول للاخرين كونوا اذكياء واقوياء وشجعانا واتقياء وصادقين ومتطهرين وشامخي الرؤوس والنفوس ومحبين لاعدائكم ولاخوانكم مثل حبكم لانفسكم ، وعاطفين على ابناء الاعداء وملاعبين مدللين لهم مثل عطفكم على ابنائكم وملاعبتكم وتدليلكم لهم اي لابنائكم ، بل وحزانى من اجل الشيطان الموهوب لافسادكم ..

اننا لا بد ان نستمر نقول ذلك وامثاله حتى ولو كان قولنا هذا يساوي في دلالاته ونتائجه وتفاسيره ان نقول للبرغوث : كن انسانا أو كن آلها أو نبيا أو زعيما عربيا أو كن بلا اخلاق وجسد وطموح برغوث ، أو أن نقول للنملة : كوني بحجم الفيل أو للشمعة كوني بحجم وحرارة الشمس ، أو للارنب كن بحجم وشجاعة الاسد ، أو ان نقول للزعيم أو للحاكم العربي : كن في الذكاء والقدرة والاخلاق والضخامة والرزانة وفي الصدق والشجاعة والايمان بالحرية وفي جميع المزايا مساويا للزعيم أو للحاكم غير العربي .. أو أن نقول للاذن العربية : كوني في احتجاجك وذكائك واخلاقك واستماعك واشتراطك وفي تقبلك ورفضك ـ كوني في كل ذلك اذنا غير عربية .

نعم ، أليست اكثر نصائحنا ووصايانا ومواعظنا لا تعني الا ما يعنيه ان يقال للبرغوث : كن الها أو نبيا أو زعيما عربيا ؟ اذن ألسنا دائما نتوجه من فوق جميع منابرنا وصحافتنا واقلامنا الى البراغيث قائلين لها : كوني آلهة أو انبياء أو زعماء أو حكاما عربا ؟

ألسنا في اكثر مواعظنا ونصائحنا وتعاليمنا نساوي من يقولون للزعماء وللقادة وللحكام العرب : كونوا اذكياء أو حكماء أو صادقين أو مهذبين أو شجعانا أو متواضعين أو مخلصين أو مؤمنين بالحرية أو بالحضارة أو بالفكر ، أو كونوا مفكرين أو عادلين أو انسانيين . أليس الذي يقول لزعيم أو لحاكم أو لقائد أو لنبي عربي : كن ذكيا أو قويا أو تقيا أو صادقا أو مهذبا أو مفكرا مثل من يقول للبرغوث : كن الها أو نبيا أو زعيما أو حاكما عربيا ؟

ايهما اكثر معنى وعظيا : ان يقال للنملة كوني فيلا ، وللبرغوث كن انسانا ، وللارنب كن اسدا ، ام ان يقال للزعيم أو للحاكم أو للقائد العربي: كن فيجميعمزاياك مثل الزعيم أو الحاكم أو القائد الذي هو ليس عربيا في جميع مزاياه ؟ هل يوجد احتقار للكلام وللنصائح يساوي ان يقال للزعيم أو الحاكم أو المفكر العربي : كن في مواهبك غير عربي ؟

ايهما اكثر ذكاء أو توقعا للنتائج الجيدة : اله يرسل اعظم انبيائه وينزل اعظم كتبه الى صرصار لكي يتحول الى واعظ للبشر لكي يحميهم اي الصرصار بمواعظه من مجاعات اعضائهم ، ومن ضلال عقولهم ،ومن اهواء انفسهم ، ومن هوان كبريائهم، ومن تلوث جلودهم ، ومن تساقط كراماتهم وشرفهم في الحفر ، ام واعظ أو معلم أو مفكر يتوجه بنصائحه ووصاياه وعظاته الى الزعماء والقادة والحكام العرب ليكونوا

اذكى أو اقوى أو اتقى أو اكثر رصانة أو حكمة أو تهذيبا أو تواضعا ؟ اذن ماذا لو علم الاله أنه حينما يرسل انبياءه انما يرسل صراصير ليكونوا معلمي صراصير كيف ترفض مجاعات واخلاق اعضائها ؟

نعم ، هل الذين ينصحون الانسان العربي ليكون شيئا افضل يفعلون شيئا نافعا اكثر من الاله الذي يرسل اعظم رسله الى مثل هذا الصرصار وينزل اعظم كتبه المنزلة عليه اي على الصرصار لكي يرجوه ان يحمي البشر بمواعظه من كل النقائص والذنوب والعاهات العقلية والاخلاقية والنفسية والجسدية ؟ اجل ؟ اريد ان اكرر القول : هل الاله الذي يبعث الانبياء وينزل الكتب المقدسة لكي يصوغ اخلاق الناس وقلوبهم ونياتهم اكثر ذكاء من الاله الذي يبعث الصرصار ليفعل للناس ذلك اي ليصوغ اخلاقهم وقلوبهم ونياتهم اي لو وجد اله يبعث مثل هذا الصرصار ؟

ان الوعظ ليس وسيلة لغاية ٠ انه غاية ٠ ان الانسان محتاج الى ان يعظ ويعلم وينصح مثل احتياجه الى ان يبكي ويحزن ويصرخ ويشتم ويغني ويتحدث الى الاخرين ويتصادم بهم ٠٠ ان منطق وحساب وحوافز من يصنع هذا هي حوافز ومنطق وحساب من يصنع ذاك ٠ ان النتائج في الحالتين واحدة اي انها اي النتائج نفسية لا موضوعية ٠

الوعظ والتعليم لا يساويان نتائجهما أو التوقع لنتائجهما ، ولكنهما يساويان ممارستهما النفسية واللغوية والمنبرية ٠ ان النبي والواعظ يستمران يمارسان عملهما بالاساليب والحوافز التي يستمر الطائر يمارس بها انينه ونعيبه وغناءه مع الفروق الهائلة بين الخبث والبراءة ٠ ولهذا فان اي معلم أو واعظ لا يمكن ان يحاسب نفسه على نتائج وعظه وتعليمه بل ولا يتصور هذه المحاسبة ، بل ولا يتصور ان الوعظ والتعليم يجب او يحتمل ان تكون لهما نتائج مرتقبة أو مطلوبة أو محسوبة أو محاسبة محاسبا عليها ٠٠٠ ان اي نبي لم يحاسب أو يعاقب لان نبوته لم تطع أو لانها لم تصنع الناس الصياغة التي تطالبهم بها ٠

ولهذا ايضا فانه اي الواعظ أو المعلم أو الناصح يستمر يؤدي نصائحه وعظاته وتعاليمه بلا اي تساؤل أو توقف أو مراجعة كما يستمر يأكل ويجوع ليجوع ويأكل، وينام ويستيقظ لينام ويستيقظ ، ويحب ليكره ، ويحقد ليحقد عليه ،ويحسد ليحسد، ويسب ليسب ، ويمرض ليمرض ، ويتشوه ليتشوه ، ويشيخ ليشيخ ليموت ، دون أية مطالبة بأية نتيجة أو انتظار لها أو محاسبة عليها أو تساؤل عنها ٠ ان النبوة ليست رسالة يوجهها النبي الى الناس ولكنها اداء يؤديه النبي الى ذاته ولذاته ويخاطبها به باسلوب من يخاطب كل الدنيا اي كل الكون ٠٠

هل يمكن ان يجرؤ على المجيء الينا أو الى هذه الارض أو يجرؤ على البقاء لو انه اخطأ فجاء أو لو انه اكره على المجيء فجاء ، اي نبي أو واعظ أو معلم ، لو انه علم انه لا بد ان يحاسب على نبوته أو على تعاليمه أو على مواعظه بالنتائج التي تنتظر

منها والتي تهبها ، أو لو أنه اي النبي أو المعلم أو الواعظ كان يحاسب نفسه على ما يعطى من ذلك أو لو أن مجيئه كان يعني ان يخاطب الاخرين لا ذاته وكان محتوما ان يلتزم بذلك اي بمخاطبة الدنيا لا بمخاطبة ذاته باسلوب ودعاوى مخاطبة الكون كله ؟

نعم ، لو كانت هذه المطالبة بالنتائج والمحاسبة عليها محتومة أو حتى محتملة احتمالا قويا فهل كان يمكن حينئذ ان يرفع اي منبر في هذا العالم ، او أن يحتشد ويعاني ويتعاون جميع سكان السماء لكي يكتبوا كتابا مقدسا ليقرأوا عظاته وتعاليمه ونصائحه المتجبرة المغرورة على اعضاء واهواء وشهوات سكان هذه الارض من بشر وحشرات وكائنات اخرى ؟ أو هل كان ممكنا حينئذ ان يوجد واحد من هذه الحشود الهائلة القادمة الينا بتتابع بذيء لتبصق ضعفها وجهلها وبلاداتها وسخفها واحقادها وهمومها وجميع تلوثاتها وحشراتها النفسية والاخلاقية واللغوية على جميع الاذان والكرامات والاخلاق والعقول بحجة التصحيح والتبديل وخلق كينونة جديدة مبرأة من مجاعات الاعضاء والشهوات ، ومن ضرورات الطبيعة ووقاحاتها ، ومن كل معاني البشر وتفاسيرهم وتعاملهم مع قوانين اعضائهم ؟نعم ، أليس جميع الانبياء والمعلمين الخالدين انما يجيئون ليشفوا بمواعظهم البشر من معانيهم ، ويشفوا اعضاءهم من قوانين الطبيعة فيها ؟

قد يكون من اسباب ممارسة جميع البشر لوظيفة الوعظ والتعليم وشعورهم بالحاجة الى هذه الممارسة بلا تفكير في نتائج هذه الممارسة بل وبلا تصور ان هذه الممارسة تحتاج الى اية نتيجة ، بل حتى ولو تحولت هذه الممارسة الى تعويق أو تحطيم أو ابعاد للنتيجة التي يقع التحدث عنها وعليها ومن اجلها وباسمها ·

نعم ، قد يكون من اسباب ذلك رغبة البشر جميعا في التسلط والتسلطن اي في امتلاك السلطة وفي التحول الى سلطان اي بقدر ما أو صيغة ما أو أسلوب ما أو على أي مستوى من المستويات المتفاوتة جدا · أليس الواعظ المحلل المحرم المتحدث عن سلطان السماء أو عن اوامر الارض وقوانينها ، سلطانا وصاحب سلطة باسلوب وقدر ما ؟

هل يوجد واحد من البشر مهما كان ضعفه وهوانه وضآلة شأنه لا يرغب في أن يملك اي قدر من السلطة ، من الامر والنهي والتوجيه والتأثير ، وفي ان يضع فوق راسه اي تاج أو زي سلطاني أو أية علامة سلطانية ، أو في لسانه اية لغة سلطانية؟ هل يوجد من ليس سلطانا بأحد ازياء السلطان أو باحدى لغاته أو بأحد تفاسيره أو باحدى نياته ورغباته ومحاولاته ؟

اليس جميع البشر يقاسون من موهبة أو غريزة أو وظيفة « السلطانية » فيهم ، مطلقة مسددة منهم على الاخرين ومن الاخرين عليهم ، ومنوية مبحوثا عنها ، ومفقودة ومملوكة ، وقوية وضعيفة ، ومتكبرة ومتواضعة ، ومهذبة ومتوقحة ؟ هل يوجد من ليس سلطانا بأحد التفاسير ولو في النية أو التمني أو المحاولة أو التشبه ؟ ما معنى

السلطة أو « السلطانية » أو أن تكون سلطانا ؟ أليس معنى ذلك أو احد معانيه ان تتدخل في ارادة الناس أو في سلوكهم أو في تفكيرهم أو في تحريك وصياغة رغباتهم ورهباتهم وحياتهم وان تكون آمرا ناهيا لهم محللا محرما عليهم ؟ هل لاي سلطان اي تفسير غير ان يحلل ويحرم ويأمر وينهي ويحاول صياغة حياة الناس ورغباتهم ومسيرتهم ؟ أليس المعلم أو الواعظ أو الناصح يفعل ذلك أو يريد وينوي ان يفعله ، أو يبدو كأنه يفعله ، أو يظن انه يفعله ؟ اذن أليس الواعظ والمعلم والناصح معنى من معاني السلطان أو صيغة من صيغه ، أو بحثا عن ذلك أو تشبها به ؟ بل أليس الواعظ أو المعلم أو الناصح اذن هو اشمل معاني السلطان وان كان ذلك باسلوب اقل فتكا وسلطة وقدرة وانتصارا واملاء وترويعا ، اي وان كان ذلك بلا سيف ولا جيش ولا شرطة ولا اجهزة قمع وارهاب ظاهرة مرئية ؟

ولكن أليس المعلم احيانا هو اقوى واقسى وأفتك السلاطين في قدرته على الاملاء والتنفيذ وفي انتصاره على حياة الناس وعلى رغباتهم وارادتهم وافكارهم وفي صوغ مخاوفهم واتجاهاتهم ، وذلك حينما يجيء في صيغة أو في زي نبي ؟ أليس هو حينئذ اكثر واقوى وافتك السلاطين سيوفا وجيوشا وشرطة واجهزة قمع وارهاب واذلال ظاهرة مرئية ؟ أليس الانبياء هم اشرس واشمل السلاطين في كينوناتهم ونياتهم ؟

هل جاء اي واعظ أو معلم كبير أو اي نبي الا لانه يريد ان يكون سلطانا ، أو الا لانه يعيش في داخله افتك واقسى واشمل سلطان ؟ هل يمكن ان يكون في اي سلطان من معاني السلطان مثل ما في اي نبي من هذه المعاني السلطانية ؟ بل أليس اي سلطان هو سلطانا واحدا فقط ، أما النبى فقد يتنقل أو يخلد في عديد السلاطين المتفاوتين في قبحهم ؟ أو هل جاء اي سلطان الا وهو يريد ان يكون نبيا ومعلما ؟ هل امكن ان يعيش اي سلطان سلطانا فقط اي لا سلطانا ونبيا ؟ هل يمكن ان يقبل اي سلطان ان يكون سلطانا لو كان ذلك يعني ان يكون سلطانا فقط اي دون أن يكون نبيا ؟ نعم ، هل يقبل اي نبي ان يكون نبيا فقط دون ان يكون سلطانا ، أو يقبل اي سلطان ان يكون سلطانا فقط اي دون ان يكون نبيا ؟ أليس كل سلطان نبيا وكل نبي سلطانا ؟ أليست النبوة والسلطانية اسلوبين وتعبيرين عن تفسير واحد ؟

ان اي نبي يجيء الينا يحمل كتابه المنزل ، معلما واعظا لنا ، متملقا ضمائرنا وضعفنا وغفلتنا ، باكيا حزينا من اجلنا ورحمة بنا ، متحضعا متضرعا راكعا تهذيبا وادبا وحياء وضعفا وتواضعا بين أيدينا ٠

نعم ، ان اي نبي يجيء الينا كذلك ، بهذا الاسلوب من اساليب المجيء لن يكون الا سلطانا ضخما جبارا يحمل في ضميره واخلاقه وشهواته ، ويدس في طيات كتابه المنزل وبين سطوره وحروفه وعظاته الباكية الحزينة المسترحمة افتك واقوى واكبر واحد السيوف والجيوش وقوى البطش الاخرى ٠ أليس الجحيم واهواله شيئا قليلا مما يدسه لنا النبي في كتابه المنزل ؟ هل يستطيع افتك سلطان ان يملك جحيم الانبياء وان يهدد به أو يتخيله ؟

وان اي سلطان يجلس على عرش مصنوع من ضمائر واخلاق ووحشية الابالسة، ومرفوع فوق عضلاتهم واكتافهم وامجادهم ،ومحروس بتدبيرهم وتخطيطهم وذكائهم، ومحمي بجيوش لا يدر بها ولا يعلمها ولا يمودها ولا يسلحها سواهم اي سوى الابالسة ، ومحاط مزين بمستشارين ونصحاء ووعاظ وامناءكلهم منهم اي من الابالسة ٠

نعم ، ان اي سلطان يستوى على عرش مثل هذا العرش لن يكون ولن يريد ان ينوي او يستطيع ان يكون ، الا نبيا ، لهكل وحي النبي وتعاليمه وكتبه المقدسة وسمواته واربابه وملائكة وحيه ، وله كل معابده وصلواته ومقدساته ومحللاته ومحرماته ، وله ايضا كل اسراره وقواه الغيبية الخارقة الرهيبة المتفوقة على جميع التفاسير والافهام ٠ ان اقوى وابطش ما في اقوى وابطش سلطان هو ما فيه من معانى النبوة واخلاقها وتفاسيرها وتعاليمها واذلالها وبطشها وغواياتها !!

ولكن الا توجد تفاسير اخرى لتحول الوعظ والتعليم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر الى موهبة او وظيفة او غريزة او مجاعة روحية واخلاقية وفكرية في جميع البشر ؟ اليس شيئا مثيرا وسخيفا ان جميع البشر يريدون ان يكونوا امرين بالمعروف ناهين عن المنكر ؟

حتى الشيطان ، انه لا يستطيع ان يكون الا واعظا معلما محذرا ناهيا عما يفعله ويريده ويدبره ويخططه ويحرض عليه هو ٠ انه لا يستطيع الا ان يكون امرا بالمعروف ناهيا عن المنكر ، والا ان يكون نبيا في احد ازيائه وصيغه ولغاته ٠٠ هل وجد نبي أو واعظ يساوي الشيطان او يشبهه واعظا نبيا ؟ هل في اي نبي من تفاسير النبوة مثلما في الشيطان ؟

ان افسق الناس لا بد ان يكون واعظا معلما ولو احيانا ٠ وان اطغى الطغاة واقساهم بطشا بالحريات والتسامح والافكار الحرة ليتحول الى نبي حرية وتسامح في بياناته وخطبه واحاديثه وتعاليمه وعظاته وبكائه ، حتى ليكاد يذهب يلعن الطبيعة ويلعن معاداتها للحرية حينما تصيب انسانا بالخرس اللساني او بالخرس العقلي ، فتعجزه حينئذ عن ان يتكلم ويقاوم بعقله ويفكر ويعبر بكل الحرية وباقسي واشمل اساليبها ، او حينما تصيب اي الطبيعة انسانا بضعف البصر او بفقده فتجعله حينئذ عاجزا عن رؤية الاخطاء والعيوب والقباحات ، وحينئذ عاجزا عن استقباحها وعن التفكير ضدها ومقاومتها ، او حينما تعتدي اي الطبيعة على احد القلوب فتجعله عاجزا عن الخفقان او ضعيف الخفقان ، احتجاجا على كل طغيان ، ورفضا له ، وتحريضا عليه ، وهتافا وصلاة للحرية بكل نماذجها وبكل مواجهاتها لكل اعدائها ، او حينما تصاب اي الطبيعة بالنزق والوحشية والفوضى وبمنطق واخلاق الامبريالية والراسمالية فتخلق كائنات وبشرا متفوقين في ذكائهم وجمالهم وقوتهم وفي جميع كينوناتهم ومواهب وصفات ذواتهم ، وحتى في عواطفهم وفي

استجابتهم لها اي لعواطفهم وفي استجابة عواطفهم لهم ولمواجهاتها وظروفها وفي جميع تحركاتها اي تحركات عواطفهم · ـ نعم ، تخلقها وتخلقهم متفوقين على كائنات وعلى بشر اخرين ، وحينئذ يتحول المتفوق الاقوى في هذه المواهب والصفات الى عدوان على حرية تفكير المتخلف الاضعف ، وعلى حرية كينونته ، وعلى حريته في اعجابه بذكائه وجماله وقوته وبجميع كينوناته ، بل وعلى حرية مشاعره ولغته وعلى حرية جميع اساليبه في التعبير عن نفسه وعما يريد التعبير عنه ، وعلى حريته في ان يكون هو الاقوى والاذكى والاجمل والاكبر والاشهر ، وفي ان يرى ويجد نفسه كذلك ··

أجل ، أليس الاقوى في مزاياه وكينوناته الجسدية والذاتية والعقلية والنفسية بل واللغوية والتعبيرية عدوانا دائما على حريات الاضعف في هذه المزايا والكينونات؟ أليست الالهة عدوانا على الملائكة والملائكة عدوانا على البشر والانبياء عدوانا علي اتباعهم والناس عدوانا على من دونهم بقدر ما الحيوان المفترس والاقوى عدوانا على الحيوانات الضعيفة المفترسة ؟

بل ، أليس الذكاء والجمال والحماس والحب والنظافة والصدق والوقار والتهذيب بل وجودة المنطق والبلاغة والتعبير عدوانا محتوما ووحشيا على حريات نقيض ذلك ؟ اذن ما اكثر واشمل العدوان على الحريات ؟ أليس عدوان التفوق الذاتي اقسى واوقح من العدوان الطبقي أو التاريخي أو الرأسمالي ؟ ليس الجمال يعتدي على الدمامة اقسى من عدوان الغنى على الفقر ؟

أليست جميع الاشياء والكائنات والبشر هي وهم اما معتدى عليها وعليهم ، واما معتدية ومعتدون على غيرهم ، واما هي وهم هذا وهذا ، اي اما واقع عليها وعليهم الاعتداء واما واقع منها ومنهم هذا الاعتداء ؟

اذن ما اقسى ان تكون موجودا لانك لا بد ان تكون معتديا او معتدى عليك او هذا وهذا ··

نعم ، ان أطغى الطغاة وأشدهم فتكا بالحريات ومعاداة لها وخوفا منها وعدوانا عليها ، ليكاد في مواعظه وخطبه وبياناته عن مزايا الحريات وعن ايمانه بها وممارساته لها ، يذهب يلعن الطبيعة ويحاكمها وينزل بها اشد العقاب حينما تفعل اي شيء قد يتحول الى عدوان على حرية اي شيء او اي احد ، او الى اضعاف او ارهاب لاي معنى او صيغة من معاني وصيغ الحرية حتى الحرية الحيوانية والجمادية · اي لان كل احد لا بد ان يعظ ويعلم حتى ولو ضد نفسه وضد معانيه ومواقفه واحتياجاته ·· حتى الطغاة جدا لا بد ان يعظوا ويعلموا ويخطبوا عن مزايا الحريات ومزايا ممارساتها والايمان بها ، لا بد ان يعلموا ويخطبوا ويعظوا ضد أنيكون الطاغية طاغية ··

ان كل طاغية ودجال وكاذب على الاله لا بد ان يعظ ويعلم ضد الطغيان والدجل والكذب على الاله باسم النبوة ·

حتى الابالسة جدا لا بد ان يعظوا ويعلموا ويخطبوا عن مزايا الملائكة والملائكية وعن قباحة ووقاحة ان يكون الشيطان شيطانا ، او ان يعيش الشيطان نفسه · حتى الاله لا بد ان يعظ ويعلم ضد نفسه واخلاقه وضد كل تاريخه ··

وهل يوجد واعظ معلم ضد معانيه دون الالتزام بشيء من مواعظه وتعاليمه مثل الاله ؟ أليس يعلم ضد كل الشرور التي يصنعها ؟

ان احدا ما او كائنا ما لن يشعر ان مواعظه وتعليمه ونصائحه ضد نفسه وضد ممارساته قد تتحول الى عدوان عليه او الى احراج له او الى اعلان مضاد عنه او الى اضعاف لممارساته او لاعجابه بنفسه او لاعجابه بقوة ودقة التزاماته الفكرية والاخلاقية واللغوية والتعليمية والشعورية والانسانية والاجتماعية · انه لن يشعر انها قد تتحول الى خطر عليه او الى مضايقة او فضح له ، او الى التزام من اي نوع او على اي مستوى او في اي موقف ··

نعم ، الا توجد تفاسير اخرى لرغبة البشر جميعا في ان يصبحوا وعاظا ومعلمين ، بل لتحولهم جميعا الى معلمين ووعاظ ؟ بل ليس البشر وحدهم · أليس سكان السماء من الهة وملائكة وابالسة هم اكثر واعنف الكائنات وعظا وتعليما ؟

اجل ، انها قد توجد تفاسير اخرى لذلك · وقد يكون الحقد والحسد والعجز والحرمان وارادة الانتقام والتعذيب والمساواة في الحرمان والعجز من هذه التفاسير الاخرى · اننا قد نذهب نعظ ونعلم ضد الشيء الذي نريده ونتمناه ونرى القدرة عنيه والامتلاك والممارسة له مجدا او قوة او جمالا او انتصارا ثم لا نستطيع فعله ولا امتلاكه · اننا قد نعلم ونعظ ضد الاشياء بالاسلوب والحوافز التي يلعن بها الظمآن جدا السحابة المطرة حينما تتخطى ارضه وفمه الى ارض الاخرين والى افواههم ··

اننا قد نحسد الاخرين او نحقد عليهم او نعجز عما يستطيعون او نحرم مما يجدون وينالون ، او نريد ايقاع العذاب او الانتقام بهم او التحقير والتصغير لما يستطيعون هم ونعجز نحن عنه ، وحينئذ نذهب نعظ ونعلم محكومين بهذه الاسباب والحوافز والنيات ·· اننا قد نتحول الى انبياء تتنزل علينا الكتب المقدسة المحقرة واللاعنة للذكاء والجمال الموجودين في وجوه وعقول اطفال جيراننا دون عقول ووجوه اطفالنا !!

ان الدميم والمشوه والجاهل والعاجز والبليد والمتخلف والمهين والساقط والملوث والكذاب المنافق والمهزوم قد يذهب يعظ ويعلم ضد نقيض صفاته واخلاقه وعاهاته ، كما قد يذهب يعظ ويعلم ويخطب ولو باساليب متسترة عن مزايا نقائصه وذنوبه وعاهاته وحقاراته · ان الاله او النبي البدوي الجاهل الوقح لا بد ان يعلم ويعظم ضد التحضر والعلم والذكاء والتهذيب وينزل الكتب والتعاليم ضد كل ذلك ··

لقد وجد فى التاريخ معلمون كبار جدا وعالميونِ وخالدون قد ذهبوا في تعاليمهم وعظاتهم يمجدون ويمتدحون بتعبد ومغالاة مثيرة الهوان والحقارات والعجز والعاهات والهزائم والخطايا بل والجهل والعي والبلادة لانهم ه مكانوا مصابين بذلك ويعيشونه وعاجزين عن تخطيه ، او لان اخرين ينتمون اليهم ويحسبون عليهم ويعيرون او يؤاخذون ويؤخذون بهم كانوا هم المصابين به ، وهم الذين يعيشونه ، وهم العاجزين عن تخطيه ٠٠

ان الام هؤلاء المعلمين الخالدين العالميين وهمومهم وهوانهم وعجزهم وهزائمهم وجميع ظروفهم ومواجهاتهم وتجاربهم وذكرياتهم الخاصة الكئيبة القاسية هي التي صاغت تعاليمهم وعظاتهم ومحرماتهم ومحللاتهم وكتبهم المنزلة المقدسة ، وليس الذي صاغ ذلك هو علمهم بقبح او بغباء ما يعلمون ويعظون ضده ، ولا لان اخلاقهم وضمائرهم وقلوبهم مخلوقة من كبرياء الشمس او من طهارة السحاب او من عطور الازهار ، او من رقة وتهذيب وتقوى النظرات العاشقة المتغزلة المتوددة او من حنان ومحبة اذرع وعيون الامهات لاطفالهن المتألمين ٠ ان الانسان يعظ ويعلم وينهي ويحرم لانه يريد ويخاف ويعجز ويواجه ويفقد ويتمنى ويتألم ويخاصم وينافس ويكره ، وليس لانه يعرف او يحب او يفهم او لا يعشق الا الكمال والجمال والنجوم ، ولا لانه يتعذب حبا ورثاء للالهة وللكائنات الساكنة في السماء ، لهذا يذهب يعظ ويعلم وينهي ويحرم لمصلحة الألهة ولمصلحة الكائنات الساكنة فى السماء ، استجابة لحبه ورثائه لها ، وبحثا عما يرضيها او يهبها السعادة والمسرة والاعجاب بالنفس ، وعما يشفيها من الكآبة والغضب والحقد والارق وانهيار الاعصاب ٠٠ اننا مهما آمنا بالالهة وسكان السماء وصلينا لهم فاننا لن نبكي او نرثي لما يقاسون من ارق وحقد وغضب وانهيار اعصاب ٠٠ ان اي معلم لو جاء وفي وجهه او في اي مكان من جسمه علامة كئيبة ، او في حياته ذكرى اليمة ، او في ذكرياته شبح حادثة قبيحة لكان محتوما ان تجيء تعاليمه ومحرماته ونواهيه ، وان تجيء صفات واخلاق ونماذج وشهوات اربابه وكائناته العلوية مخالفة لتعاليم ومحرمات ونواهي معلم اخر جاء سويا بلا علامات او ذكريات او اشباح احداث دميمة او ذميمة او شنيعة او أليمة ، ولكان محتوما ان تجيء صفات .واخلاق ونماذج وشهوات ارباب هذا المعلم السوي وكائناته السماوية مخالفة في تصوره وفي تعاليمه عنها لما جاء في تصور المعلم المصاب المشوه المتألم وفي تعاليمه ورؤاه عن اربابه وعن كائناته العلوية ٠ ان اية عاهة في جسد او في حياة اي معلم لا بد ان تظهر بصيغة ما في جسد او اخلاق او اهواء الهه ، كما لا بد ان تتدخل في صياغة تعاليمه ووصاياه ٠٠

ان قيمة تعاليم وشرائع اي معلم لا تساوي ما في ضمير هذه التعاليم والشرائع من جمال او دمامة ، من ذكاء او غباء ، من قوة او ضعف ، من نتائج جيدة او رديئة،

متوقعة او مجربة ، مظنونة او مستيقنة ، وانما تساوي ما في جسد ونفس وحياة وذكرى وتاريخ ومولد ذلك المعلم من علامات وانطباعات وكينونات واحداث متفاوتة القيمة والتاثير والتفسير ، تصنع التمجيد او التعبير ، القسوة والبغضاء والترويع او الرقة والحب والامان ..

ان جسد اي نبي وتاريخ الامه ولذاته ومكان وظروف ولادته ـ نعم ان كل ذلك لا بد ان يتدخل في صياغة إخلاق واهواء الهه وعوالمه السماوية .

ان صفات ومنطق ونماذج واخلاق اي اله او دين او مذهب او نظام او تعليم او كتاب مقدس لا تتخلق ولا تعيش في ذاته ، ولكنها تتخلق وتعيش في ذات نبيه او معلمه أو سلطانه الحاكم القاتل الضارب السارق المطارد المذل القاهر باسمه ، أو تتخلق وتعيش في ذات المؤمن به . ان اي اله او نبي او مذهب او نظام او دين او كتاب منزل لن يفسر بنفسه ولن يساوي نفسه وانما يفسر بدعاته ومنفذيه وبالمؤمنين به ، وكذلك انما يساويهم هم ..

***

اذن كل الناس لا بد ان يعظوا ويعلموا وينصحوا ويوصوا بلا اية محاسبة للنتائج بل او تفكير فيها ، بل لا بد ان يفعلوا ذلك ولو ضد انفسهم ومعانيهم وتفاسيرهم وجميع اهوائهم ومواقفهم ، دون ان يصابوا بالحرج او بالشعور بالتناقض او بالتعري او بانهم محاسبون او مطالبون بان يكونوا شيئا مما يعلمون ويعظون .

بل ان جميع الكائنات الحية الناطقة، المتكلمة والمصوتة ، لا بد ان تفعل ذلك ، وليس البشر وحدهم . اليست الحشرات والحيوانات والطيور والالهة وجميع الكائنات الغيبية السماوية تفعل ذلك بكل الاساليب واللغات ؟

هل يوجد مثل الاله وعظا وتعليما ونصحا ونهيا وزجرا ضد نفسه اي ضد جميع معانيه وتفاسيره وقيمه واخلاقه ؟ أو هل يوجد مثله امرا وتوصية ومطالبة بما يفعل ويريد ويختار دائما نقيضه ؟ أليس الاله باسلوب ليس له شبيه يعظ ويعلم وينصح ناهيا زاجرا عن كل قسوة وطغيان وظلم وتشويه وارهاب وايذاء وتجويع وبخل وايلام وتهديد وتشريد وقتل وعن كل تفريق او تمييز بين المتماثلين ، ثم لا احد مثله يفعل كل ذلك ؟ بل اليس جميع من يفعلون ذلك انما يفعلونه لانه قد صاغهم صياغة تجعلهم لا بد ان يفعلوه ، تجعل مطالبتهم بالا يفعلوه ليس عبثا وغباء ونزقا فقط بل وسماجة وصفاقة لا حدود لها ؟ اليست مطالبة الاله لمن خلق بالا يكون كما كان اقبح واظلم وابلد من مطالبة الضارب بالسوط للسوط بالا يكون ضاربا او مضروبا به ؟

ثم أليس الاله ، وباسلوب لا يشبهه ايضا فيه احد ، يأمر بكل المعروف اي بكل الاخلاق والاعمال والصفات والذيات والمعاملات الجيدة التي اصبح كل العقلاء

والمتعاملين يعرفونها ويعرفون انها جيدة وان فعلها والالتزام بها شهامة وتقوى وخير وسعادة ، ويعترفون بها كذلك وبانهم مأمورون بالتزامها ، ثم لا احد يشبهه اي يشبه الاله في خروجه على كل هذا المعروف بل وعلى كل معروف ؟ هل وجد او يمكن ان يوجد مثل الاله خروجا على المعروف الذي حول كل طاقاته للامر به وللنهي عن الخروج عليه ؟

ان جميع الفاعلين للمنكر المنهي عنه ، الموعوظ المعلم ضده في جميع الاديان والتعاليم والفلسفات والاخلاق والعقول والتقاليد والشهامات ، وان جميع التاركين المعادين بسلوكهم واهوائهم للمعروف المامور به الموصى عليه الموعوظ بالالتزام به ايضا في جميع الاديان والتعاليم والفلسفات والاخلاق والعقول والتقاليد والشهامات - بل ان جميع الفاعلين لكل المنكر الذي ينهون عنه بكل القسوة والغلظة والفظاظة والغضب ، وجميع التاركين لكل المعروف الذي يأمرون به بكل الحماس والرغبة والالحاح وبكل اساليب الاغراء والتملق الضارع المهين المجنون ٠

نعم ، ان جميع هؤلاء وهؤلاء لو تجمعوا في خروجهم على كل المعروف وفي فعلهم لكل المنكر في ذات كائن واحد لما استطاع هذا الكائن الواحد ان يكون اسلوبا واحدا صغيرا متواضعا خافتا من اساليب الاله في خروجه على كل معروف وفي اقترافه لكل منكر ٠ لعل الاله لا يملك خلقا او صفة او موهبة يمكن ان يعرفها ويعترف بها ويجدها ويقاسي منها ويعجز عن مباراتها كل احد مثل خروجه على كل معروف واقترافه لكل منكر ٠٠

اذن نحن ايضا محكوم علينا بان نعظ ونعلم بلا اية محاسبة للنتائج او للواقع او لاية قيمة او تفسير لما نفعله ، بل بلا اي تفكير في ذلك بل وضد كل تفكير ٠٠ لقد حكم على كل احد بذلك بنفس هذا الاسلوب الخارج على كل محاسبة وحساب وتفكير وتوقع للنتائج او التزام او حتى اهتمام بها ٠

انه محكوم بكل ذلك على كل احد حتى على الاله ، ونحن لا بد ان نكون احدا٠ اذن لا بد ان نعظ ونعلم باسلوب قد يعني ويفسر بل قد يقنع باننا نعتقد ان وعظنا وتعليمنا لا بد ان يصوغا الكون وكل شيء وكل احد الصياغة المتمناة والمرجوة ، وان تركنا للوعظ والتعليم لا بد ان يحول كل شيء وكل احد الى خراب وجنون وموت وفجور والى غزو مدمر لبيوت وعروش الالهة ، بل لجميع مراكز الالهة ولجميع امجادها الهازمة الساترة لكل شيء ولكل احد ولكل مجد ٠٠ نعم ، اننا لنعظ ونعلم حتى ليبدو ان الاله لا بد ان يموت لولا وعظنا وتعليمنا ٠٠

اننا لا بد ان نستمر نعظ ونعلم ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر حتى يبدو كأننا نحن وكل الاخرين مقتنعون انه لولا وعظنا وتعليمنا وامرنا بالمعروف ونهينا عن المنكر لما ولد الليل الصباح ، وولد السحاب الانهار ، وولدت البحار السحاب ، وولدت النساء الطغاة والانبياء ، وولد الطغاة والانبياء الاحقاد والعداوات والاديان

والمذاهب المتعادية المقسمة للبشر ٠٠ ولما استطاع الاله ان يصنع فوق هذه الارض مجده المصنوع من جراح جبهات الساجدين ، ومن هوان قامات الراكعين ، ومن طوابير المصلين المتملقين ، ومن ذنوب المذنبين المستغفرين المعتذرين ، ومن خطايا المخطئين التائبين ، ومن عاهات المرضى والمشوهين المتضرعين المستغيثين ، ومن اخاديد وجوه الشيوخ المتهدمين ، ومن انات وصرخات واحزان المتألمين والمحزونين والمقهورين ٠ نعم ، لما استطاع الاله ان يصنع مجده المصنوع من العاهات والاهات والهوان ، والدموع والاحزان والضياع والعجز والضعف والحيرة والبلادة والامراض والموت والشيخوخة ٠٠

انه لا بد ان نستمر نعظ ونعلم حتى ليبدو انه لولا وعظنا وتعليمنا لما استطاع الاله ان يجد نفسه بيننا ، ولما قبل ان يجيء الينا او يبقى فينا او ان يصنع لنفسه او نصنع نحن له مجدا تغنيه وتنشده وتكتبه وتخدع وتكذب وتستغل وتستعبد وتتسلط وتسكت وتتاجر به منابرنا ومعابدنا وسلاطينا وانبياؤنا وكتابنا ووعاظنا وجميع المتنافسين والمتعاقبين على تسخيرنا وارهابنا وسرقتنا وسرقة كل ذكائنا وكرامتنا وكبريائنا من كل عقولنا وطموحنا واخلاقنا ٠٠

نعم ، اليس محتوما ان يتحول مجد الاله الى تحليل وتشريع وتحريض لكل اللصوص لكي يسرقوا كل معانينا الانسانية ؟ وهل لله مجد غير اباحة الانسان للصوص ؟

بل حتى يبدو اننا مقتنعون واننا قد اقنعنا كل الاخرين انه لولا وعظنا وتعليمنا لما استطعنا ان نعرف وظيفة اعضائنا الجنسية ، ولا كيف نستجيب لها بالاساليب التي تحولها الي فرحة في قلب الاله ، والى جمال في عينيه ، والى وقار في اخلاقه ، والى نظافة في اعضائه ، والى تمجيد وتكريم لتاريخه ولكرامته وكبريائه ، والى ثناء على ذكائه ، والى منطق في تدبيره وتفكيره ، بل والى منطق لمنطقه ، والى ذكاء لذكائه ، والي مجد لمجده ، والى قوة ابصار لعينيه ، والى مزيد من الحياء لحيائه وفي حيائه ٠ نعم ، هل يوجد ما يمكن ان يصنع للاله الوقار والحياء والنشوة والرغبة في الرؤية لولا ممارساتنا لاعضائنا التناسلية بكل الوقاحة والافتضاح امامه ؟

بل ولا كيف نستجيب لها اي لاعضائنا الجنسية بالاساليب والممارسات التى تحولها اي تحول استجابتنا لهذه الاعضاء الجنسية وممارساتنا لها الى تعويض له اي للاله عن حرمانه البائس الاليم من هذه الممارسات ٠٠

ولكن هل المفروض ان تتحول ممارساتنا الجنسية الى تعويض للاله عن حرمانه ام الى اصابته بالغيرة ؟

نعم ، انه لمحكوم علينا بان نعظ ونعلم ونامر بالمعروف وننهي عن المنكر. ولاننا محكوم علينا بذلك سنقول للانسان العربي باسلوب الخوف على كرامته وكبريائه وباسلوب من يريد ان يبقى على شيء من احترامه لنفسه ولابائه وتاريخه : لا تقرأ هـــذا ...

اقرأوا هذا كي يتواضع اعجابكم بتاريخ قبوركم

سأروي هنا شيئا قليلا جدا مما قال اجدادك ايها الانسان العربي ·ولو انك عصيت نصيحتي لك بالا تقرأ هذا فقرأته لوجدت اني كنت صادق الاشفاق والوعظ والنصح حينما وعظتك ونصحتك بالا تقرأ ، ولو وجدت انك كنت ملزما أو حريا بان تطيع فلا تقرأ حينما تجد ان هذا العار بل حينما تجد ان الافتخار بهذا العار وتحويله الى تاريخ هو كل امجاد اجدادك او اعظم امجادهم · حينما تجد كيف كان ذكاء اجدادك وكيف كانت رؤيتهم لانفسهم وللاخرين وللاشياء ، وكيف كانت مستوياتهم الحضارية والعقلية والانسانية والشعرية ، وكيف كان اعلانهم عن هذه المستويات وتباهيهم بها ·· حينما ترى كيف كانوا شيئا مهينا مذلا مخجلا ·· ولكن كيفما كانت عيناك وكانت قدرتك على الرؤية فهل تستطيع أو تجرؤ ان ترى كيف كان اجدادك ، كيف كانت نماذجهم ؟

أليس محتوما حينئذ اي لو قرأت هذا الذي سوف ارويه هنا عن اجدادك والذي وعظتك ونصحتك بالا تقرأه ــ أليس محتوما حينئذ ان تتعذب عذابا لم يتعذبه انسان قبلك ولن يتعذبه انسان بعدك ··

وانا هنا افترضك ترى العار بكل نصوصه وصيغه وتفاسيره ، وتقرؤه وتفهمه وتخافه وتقاسي منه ، بعينيك وعقلك واخلاقك ومذهبك وتدينك وايمانك وتاريخك وبجميع نماذجك ومقاساتك وشروطك في جميع كينوناتك ومعاملاتك ومواجهاتك · نموذج رهيب في تعذيبه هذا النموذج للانسان الذي افترضناه لك · وهل يوجد انسان واحد يساوي نموذجه الانساني هذا النموذج ؟

اجل ، ان افتراضك كذلك لمبالغة في القسوة عليك ، كما انه مبالغة جدا في الافتراض وتفسير نموذجك وفي تمجيد مستوياتك · وهل تقبل ان افترضك كذلك ؟ ايهما تختار : العار المريح السعيد ام المجد المعذب المقاسي ؟

نعم ، لقد افترضتك بهذه الصيغة وهذه الشروط الصعبة القاسية ·· لهذا لا بد ان ارتجف خوفا عليك ورثاء لك لو تصورت انك قد تقرأ هذه النماذج القليلة التي

قالها اجدادك وضرعوا الى التاريخ لكي يحفظها ويرويها عنهم ولهم ، لكي يجد فيها كل مجده وكبريائه وذكائه ورصانته ٠ بل لقد تضرعوا الى التاريخ ، اعني انهم امروا التاريخ ان يحفظ ويروي هذه النماذج التي قالوها والتي عبروا بها عن مستوياتهم العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية والفنية والشعرية والحضارية ـ امروا التاريخ ان يحفظها ويرويها وينشدها من فوق جميع منابره ويصلي بها في جميع محاريبه ، لكي يقتنع الاله حينما يقرؤها ويسمعها ويحفظها ويفسرها بان له مجدا ضخما فوق هذه الارض صنعه له واهداه اليه اجدادك ٠ وهل صنع مجد الاله غير اجدادك ؟

هل استطاع الاله ان يتحدث عن مجده الا بعد ان رأى وقرأ مجد اجدادك وقرأ عنه فادعاه مجده ؟

اذن اسمع واقرأ ما قاله اجدادك القدماء ٠٠

نعم ، اقرأ هذا واسمعه جيدا لكي يتواضع اعجابك بتاريخك ٠٠

قال احد اجدادك هؤلاء الكبار العقلاء جدا :

فهل الناس غير ابناء قحطان
اذا ما ذكرت غير عبيدي

وقال الاخر من قدماء اجدادك الذين اذلهم التواضع والوقار والصدق :

كل من يحتذي النعال ومن لا ٠٠
يحتذيها من البرية عبدي

وقال الاخر من نفس هؤلاء الاجداد والقدماء العقلاء المتوقرين جدا :

ملكنا قبل داوود زمانا ٠٠
وعبدنا ملوك العالمينا

وقالوا ايضا وهم يذوبون تواضعا وحياء وذكاء :

لا ينكر الناس منا يوم نملكهم ٠٠
كانوا عبيدا وكنا نحن اربابا

ولعل كون ابائك اربابا هو الذي صاغ كل الناس والكون والاشياء والحياة بلا اي ذنوب او عاهات او تشوهات او اخطاء او الام او مظالم او بلادات ٠٠ !!

وقالوا وهم يخجلون من شده تواضعهم ، بل وهم يعتقدون انهم يهينون مجدهم وتاريخهم واباءهم لشدة تواضعهم ، بل وهم يعتقدون ان كل شيء وكل احد لا بد ان يتعذب لشدة حيائهم وتواضعهم ، بل وهم يعتقدون ان الله حزين ومريض بكل معاني الخجل والانهزام ومشاعر الخيبة والغيرة لهم من شدة تواضعهم ، بل وهم يخشون ان يتخلى الله عن جميع التزاماته ووظائفه في هذا الكون انزعاجا وانقهارا وغضبا حينما يسمعهم ويقرؤهم وهم يتواضعون كل هذا التواضع ، بل وهم يخشون

ان يتعلم الله منهم التواضع فيتواضع ، وحينئذ لن يجد اسلوبا يعبر به عن تواضعه سوى تنازله عن الوهيته وعن امتلاكه لهذا الكون وسيادته عليه ٠

نعم ، قالوا وهم يقاسون كل هذا التواضع بكل احتمالاته وتفاسيره وبكل اخطاره ونتائجه هذه للتي احداها سقوط الاله من فوق هذا الكون وفراره منه :

لولا صوارم يعرب ورماحها ٠٠
لم تسمع الاذان صوت مكبر
فافخر بقحطان على كل الورى ٠٠٠
فالناس من مدر وهم من جوهر

ان ما تلوته عليك هنا من جنون ابائك ليس الا قطرات من محيطات ٠ انه ليس اختيارا من أسفه ما قالوا او احصاء له ولكنه اعتراف منه ٠

***

هذا عن الاباء ٠ ولكن ماذا عن الابناء ؟ هل نسوا مواهب ابائهم او سحبت منهم ؟ هل هبطوا عن سموات ابائهم او ارتفعوا فوق حضيضهم ؟

هل خرجوا اوهموا ان يخرجوا من خيام وعباءات ابائهم وانبيائهم الفكرية او الاخلاقية او النفسية او اللغوية ؟

هل توجد وسيلة او عبقرية او أية حيلة من اي نوع تستطيع ان تسحب من الابناء مواهب او خصائص او نماذج او اعماق او تفاسير الاباء مهما سحبت منهم لغاتهم او انبياؤهم او خيامهم ؟ هل يمكن ان تسحب خيامهم من مواهبهم او من نفوسهم او تفكيرهم او اخلاقهم مهما سحبت من بيوتهم واوطانهم ؟ هل يوجد قانون يسمح بهذا السحب ؟ أليس الصعب هو سحب الخيام من الموهبة والعقل والنفس والاخلاق وليس من المكان او البيت ؟

نعم ، ماذا عن الابناء ؟ هل استطاعت حضارات الاعداء او اساليب حياتهم المتفوقة القوية الغازية ، او استطاعت مؤامراتهم الضخمة الذكية الماكرة الشريرة ان تسحب من ابناء العروبة او تضعف او تسكت او تخفي فيهم جاهلية ابائهم بكل ما فيها من صهيل ونخوات ومبارزات صوتية هي اخلد واشهر واعظم ما فيهم وما حشدوه في خزانات وصحراوات التاريخ من امجاد وعبقريات ٠٠؟

هل تستطيع اقوى الحضارات الغازية والمجلوبة متجمعة متآمرة متعاونة ان تقتل او تطرد او تحضر جاهلية المستوى ، اي جاهلية النفس والعقل والخلق ؟ هل تستطيع الحضارات الغازية مجتمعة ومتعاقبة ان تزيل او تخترق اية عباءة او عمامة أو خيمة عربية نصبتها أو نسجتها أو زرعتها الموهبة الذاتية التاريخية داخل العقل والضمير والعقيدة والارادة والقدرة والاصالة العربية ؟

اعني هل استطاعت او يمكن ان تستطيع جميع حضارات العالم ، حضارات الاصدقاء والاعداء وحضارات من ليسوا اصدقاء ولا اعداء ، مهما غزت وانتصرت واذلت ، ومهما دعيت او جلبت او اشتريت او تعومل بها ان تقتل او تهزم او تضعف او تحضر في ابناء العروبة جاهلية اباء العروبة ؟

أليست جاهلية العروبة منتصرة دائما في رفضها الابي ان تأخذ اية مزية من مزايا اية حضارة ؟

نعم ، هل استطاعت او يمكن ان تستطيع جميع حضارات ومؤامرات وغزوات الامبريالية والرأسمالية والصهيونية ان تسحب من أبناء العروبة او تغير او تؤدب او تهذب او ترهب فيهم شاعرية او صوتية ابائهم التي روينا نماذج منها ؟ كيف استطاعت جاهلية العرب او شاعريتهم او صوتيتهم الجاهلية ان تقاوم وتهزم جميع الحضارات والمؤامرات التي ارادت تغييرها او تهذيبها او تحضيرها ؟ وهل استطاعت ذلك حقـا ؟

لعل افضل واصدق الاجوبة عن هذه الاسئلة ان نروي مقاطع من قصيدة يعربية قالها احد اليعربيين الابناء المحدثين ، قالها متجمعة فيه جميع جاهليات ابائه الصوتية وجميع عبقريات الصهيل والزئير والرغاء والثغاء والعواء المقسمة عليهم اي على جميع ابائه في كل تاريخهم ..

قالها .وكأنه يريد ان يثبت ويقنع ان مواهب اليعربيين الاباء لن يستطيع شيء ان يسحبها من اليعربيين الابناء ، بل ولا ان يؤدبها او يهذبها او يرهبها او يعلمها شيئا من الاستحياء او الاستتار . أليس تأديبها وتهذيبها عدوانا عليها وافسادا واضعافا لها ؟ أليست كل قوتها وقيمتها واصالتها في ان تكون بلا تهذيب ولا تأديب اي عذراء البداوة ؟

قالها وكأنه كان يريد ان يهدي الاطمئنان الى جميع اصدقاء العرب الذين كانوا ولا يزالون يتخوفون ان تستطيع هذه الحضارات والظروف والاساليب والتحـولات السريعة الرهيبة في قوتها وسرعتها وشمولها واغراءاتها القهارة ان تسلب من العربي الابن شيئا من جاهلية العربي الاب ..

كأنه قد يوجد من يشكون في ان الابن العربي لن يستطيع ان يتخطى في مواهبه الاصيلة الخالدة الآب العربي ..

قالها وكأنه كان يريد ان يرد على جميع المتشائمين بل وعلى جميع المفكرين والمنطقيين الذين كانوا يشكون ـ لانهم كانوا يفسرون كل شيء بالمنطق والقانون الثابت في ان تستطيع الجاهلية العربية ان تثبت او تعيش او تستمر تتنقل من الاجداد الى الاباء الى الابناء الى الاحفاد في مواجهة ومعاندة كل هذه التحديات دون ان تصاب بشيء من خفوت الصوت او من الرهبة او الاستحياء او من التغير في اي شيء من اخلاقها او منطقها او تعبيراتها او حتى من ثيابها !!

قالها وكأنه كان ينوي ان يدلل على ان الانسان العربي غير محكوم بالقوانين الطبيعية التي تحكم جميع الاشياء والكائنات والكينونات ، قوانين التطور او التغير او التخطي للذات وللطور التاريخي والطبيعي · كأنه كان ينوي ان يدلل على ان جاهلية العرب قد صاغها الله او صيغت او صاغت نفسها بالاسلوب الذي صاغ به الاله نفسه او صيغ به او صاغه العرب به ، وصاغ او صيغت او صاغوا به صفاته واخلاقه وافكاره وعواطفه واطواره وجميع اساليب حياته ، اي بلا اي تبدل او تغير او زيادة او نقصان او تصحيح او تعديل ، وبلا اية رؤية جديدة او تفسير جديد لاي شيء فيها او فيه · أليست اعظم معجزات الاله ان شيئا فيه لن يستطيع ان يغيره شيء حتى ولا هو يستطيع ان يغير شيئا في ذاته او من ذاته ؟

نعم ، كيف يكون الله لا يتبدل او يتغير شيء فيه ثم يكون شيء في الجاهلية العربية يصاب بالتغير او التبدل ؟ نعم ، الله والانسان العربي هل يستطيع او يتقبل احدهما ان يتجاوز الاخر او يتفوق عليه او يهبط تحته ؟ أليس احدهما هو الاخر ولكن باسم اخر ؟

اجل ، كيف يكون العجز عن التغير وعن تخطي الذات والكينونة او رفض ذلك كمالا او مجدا او كرامة او جمالا في الاله ثم لا يكون كذلك في جاهلية العروبة ؟

أليست صفات الاله هي التفسير الشامل المؤمن لجاهلية العرب الأبدية ؟ أليس الله هو الاسم الاخر لجاهلية العرب ؟

كيف يكون مقبولا او معقولا او ممكنا ان يثني على الاله بشيء لا يثني بمثله على العرب ؟ كيف يغفر الله مثل ذلك او كيف يغفره العرب ؟

أليس كل ما هو مدح او ذم لاحدهما هو مدحا او ذما للاخر باتفاقهما ورضاهما ؟

أليست القضية يجب ان تصاغ هكذا :

ان كان التغير او التبدل في الذات او في الكينونة عظمة او قوة او مزية من اي نوع فلماذا اذن لا يكون ذلك للاله ، وان لم يكن هذا التغير او التبدل عظمة ولا قوة ولا مزية فلماذا اذن يكون للعرب ؟

هل يمكن ان يكون هناك عظمة او قوة او مزية لا يحياها العرب بالمشاركة او بالتفرد ؟ هل يستطيع الله ان يعيش مجدا لا يعيشه العرب ، او ان يتنزه عن نقص او عيب او ذنب لا يتنزه عنه العرب ؟ أليس كلاهما اي الله والانسان العربي انما جاء تقليدا لنموذج الاخر ؟

ولكن كم هي مقادير الوقاحة والنزق والمقاساة التي لا بد ان اعايشها وامارسها بفكري وضميري ويدي ومشاعري لكي استطيع ان أروي مقاطع من هذه القصيدة اليعربية التي سوف ارويها هنا ؟

أليست الوقاحة والنزق يمارسان بالرواية والرؤية وبالاهتمام والنية كما يمارسان بالفعل ؟

أليس الذي يكتب او يروي او يرى او يواجه أو يسمع أو يفسر أو حتى يتخيل أو يقرأ قبحا او دمامة أو وقاحة أو فضيحة أو عارا او بلادة او عاهة أو ألما او نزقا او سخفا لا بد انيعيش ذلك ويمارسه باسلوب ما او باساليب عديدة عنيفة او مخففة ؟ أليس الذي يوقع الحكم بالاعدام لا بد ان يعيش ويقاسي احاسيس الموت وتفاسيره الا ان يكون جهازا اليا لا انسانا ؟

أليست العين او الاذن التي ترى العذاب او تسمعه لا بد ان تعيش العذاب وتقاسيه الا ان تكون عينا او اذنا ميتة ؟

ولكن هل يستطيع اي انسان ان يعيش ما لم تمت عيناه واذناه ولو بعض الموت اي ولو اكثر الموت ؟

لعلهلايوجدكائن غير الانسان يعيش ويمارس ما يكتبه ويقرؤه ويرويه ويراه ويسمعه ويواجهه ويفسره ويفهمه ويتخيله · ان نوع ذلك وصفاته ، جودته ورداءته، اي ما يراه ويرويه ويسمعه ويفهمه ويفسره ويتصوره ويواجهه ـ ان نوع ذلك وصفاته الجيدة والرديئة ، العظيمة والحقيرة ، لتهبه اي لتهب الانسان الاستمتاع او العذاب ، المجد والكرامة او العار والنذالة ··

والانسان الذي لا يعيش ولا يمارس ، لا يكتئب او يتعذب ، لا يسر او يستمتع بهذا الاسلوب ، اي لا يعيش ولا يمارس بعينيه واذنيه ومواجهته وخياله وبروايته وقراءته وكتابته ، ماذا يمكن ان يكون فيه من معاني الانسان او تفاسيره ، او ماذا يساوي من قيمة الانسان الانسانية ؟ وهل يوجد تفاوت كتفاوت البشر فيما يساوي كل انسان من قيمة الانسان ومن معانيه وتفاسيره ؟

ان ذات الانسان ، اي في مستواه الاعلى ، ليست الا شبكة مؤلفة من اجهزة توصيل لا مثيل لها في شمولها وابعادها واعماقها وافاقها وفي حساسيتها ، لتوصل كل الاشياء والكائنات الموجودة بل وغير الموجودة اي المتخيلة او المروية في التعاليم والاساطير ، لتوصلها الى نفس الذات اي الى نفسها لكي تعيشها اي تعيش كل الاشياء والكائنات الموجودة وغير الموجودة ، لكي تعيشها بالمجد والكرامة والاستمتاع او بالنذالة والعار والعذاب ، اي لتعيش هذا او هذا او هذا وهذا ، بالشعور والنية والمنطق وبالتقبل والرفض وبالاعجاب والاشمئزاز · هل يوجد كائن يعيش ويمارس كل شيء بكل الاساليب ، ويعيش فيه ويمارسه كل شيء بكل الاساليب ايضا ، غير الانسان اي الانسان في مستواه الاعلى ؟

ها انت ترى او تسمع او تقرأ او تفسر او تواجه او تتخيل او تروي الما او ظلما او قبحا او غباء او كذبا او سخفا او هوانا أو سقوطا أو عارا أو نقيضا لكل ذلك ، دون أن تعيش وتمارس ذلك بغضبك او برضاك ، بحبك او ببغضك ، باعجابك أو باشمئزازك ، بمناصرتك أو مقاومتك ، بمشاعر الكبرياء والكرامة والمجد فيك

أو بمشاعر الانفجاع والمهانة والعار . ألست كذلك حتما ولو احيانا ؟ بل أليس ذلك هو الواجب والحتم عليك لكي تستطيع أن تحيا وأن تحب وتفرح وتغني وتعجب بنفسك ؟

هل انت اذن انسان ؟ او ماذا تساوي من قيمة الانسان او من تفاسيره ؟ هل يستطيع اي انسان أن يعيش كل معاني الانسان وقيمه وتفاسيره ؟ هل يستطيع اي انسان أن يكون كل الانسان ؟

هل تستطيع بدون ان تعيش فيك مقادير جيدة من الوقاحة والنزق وبلادة الضمير ودمامة الروح والفكر وخمودهما ، ان تواجه او ترى أو تسمع او تروي او تقرأ او تكتب او تفسر او تتخيل بتعمد وتحديق ، هذا الموقف او هذا المنظر او هذا الحدث او هذه الدمامة اوا لعاهة او هذا الكلام او هذا المستوى الفكري او الفني او الاخلاقي او الانساني بل او الكوني ثم لا تتفجر غيظا وغضبا واشمئزازا وحزنا ؟

اذن هل تستطيع بدون ان تعايش وتمارس أي لون من ألوان الوقاحة والنزق وبدون ان تقاسي من العذاب النفسي والفكري والاخلاقي والانساني بل والقومي والوطني ، ان تروي هذه المقاطع التي سوف ارويها من قصيدة يعربية قالها يعربي من الابناء بعد ان تجمعت فيه باصالة جميع مواهب الاباء ، بل او أن تروي اي شيء مما كنت قد رويت في الصفحات السالفة من تراث اولئك الاباء ؟

اذن ما اقسى واقبح ما حكم به علي حينما اصبحت محكوما علي بان اروي واكتب ما رويت وكتبت وما سوف اروي واكتب من مقاطع القصيدة اليعربية التي اقاسي في هذه اللحظات من اشد حالات الارتجاف استحياء ورهبة واشمئزازا من ضخامة العار ، خوفا من البدء بروايتها ، والتي احاول ان اتحدث عن اي شيء وان اشغل باي شيء لكي اهرب ولو بعض الوقت من البدء بروايتها وكتابتها ، لكي اتأخر عن هذا البدء متعللا بأي شيء . أن رواية أو كتابة مثل هذا العار ليست شيئا مسليا أو مريحا بل ليست شيئا سهلا . أليست رواية او كتابة الشيء نوعا من مقاساته الفكرية والنفسية ؟

ولكن يا نفسي ويا اخلاقي وعقلي وكرامتي واستحيائي ، لا بد من التجلد ، لا بد من اقتحام الاوحال لانه لا حياة بلا اقتحام وخطو وممارسة ، ولانه لا اقتحام ولا خطو ولا ممارسة بلا اوحال انه لا رؤية ولا سماع ولا قراءة ولا تصور ولا تَمن بلا اوحال ..

انه مهما كانت ملابسنا وجلودنا نظيفة فان مواجهاتنا وممارساتنا ومعانينا وتفاسيرنا لن تكون كذلك . هل يوجد من يستطيع ان تكون كل رؤاه وخيالاته وقراءاته وافكاره وتحليقاته وتحديقاته واسفاره الانسانية بلا اوحال او دمامات او ذنوب او وقاحات او مقاساة فكرية او اخلاقية او نفسية او انسانية او حضارية او مقاساة من اي نوع وبأي اسلوب وتعبير ؟

السنا نعيش في الظلام والوحل ونمارسهما بقدر ما نعيش تحت ضوء الشمس وفي اصفى واعمق الانهار ماء واطولها امتدادا ، أو مهما عشنا تحت الشمس او فوق الشمس وفوق جميع الانهار وجميع السحاب ؟

هل يوجد ما يتفوق على الشموس عجزا عن الرؤية او على الانهار والبحار عجزا عن النظافة والتطهر ؟

ان الذين يعيشون داخل اجساد الشموس او داخل اجساد الانهار والبحار والسحاب لن يكونوا اكثر اشراقا او نظافة او جمالا أو مجدا في رؤاهم او مواجهاتهم او قراءاتهم ، او في ما تتلقاه اذانهم ، او في ممارساتهم ، او نياتهم ، او في امالهم وتصوراتهم والتزاماتهم ، او في اي تفسير من تفاسيرهم ..

انهم لن يكونوا اكثر اشراقا وجمالا او نظافة أو مجدا في ذلك ممن لا يعيشون الا في احشاء الظلام والاوحال والدمامات . وان الشموس والبحار والانهار والغمام لن تكون في مواجهاتها او رؤاها أو ممارساتها او معاشراتها او قراءاتها وعلاقاتها او في أشواقها أو في تفاسيرها أكثر اشراقا او نظافة او تقوى أو مجدا او تعففا من أية حشرة تعيش وتتسلل في العفونات والظلام ، هاربة من النور والنظافة والجمال .. بل ان مثل هذه الحشرة لاكثر تقوى وتعففا وتطهرا في مواجهاتها وممارساتها المختلفة من الشموس والبحار والانهار والسحاب ..

اذن لا بد من اقتحام الاوحال والعفونات ولو بالكتابة او القراءة او الرؤية أو السماع او المواجهة او التفكير او بالتفسير او بالخيال او بكل ذلك ، او برواية هذه المقاطع من هذه القصيدة اليعربية وبنقلها الى الورق وعلى الورق . وهل يوجد مثل الاقلام والاوراق خوضا في الاوحال والعفونات ؟

اذن كل الاعتذار الى الورق الذي سوف تكتب وتنشر عليه هذه الاوحال والعفونات . كل الرثاء للحضارة التي اعطت المطبعة لتكون الاداة لنشر هذا القبح وتوصيله الى العيون والاذان ..

وما الناس إلا منشدون لمجدنا

ايتها الكائنات الغيبية المطلة متلصصة من عيون ونوافذ وشقوق هذا الكون ٠٠٠ اغلقي عيونك واذانك لئلا تقرئي او تسمعي ما سأرويه ٠٠ لئلا تعرفي انه توجد في هذا الكون كائنات بهذا الحجم العقلي والنفسي والاخلاقي واللغوي التعبيري ٠٠

نعم ، اغلقي عيونك واذانك حماية لعيونك واذانك واحتراما لها ، وتأثما بل وتكرما من ان تعرفي ان قوما قد يصغرون ويصغرون ليكونوا بمثل هذا الحجم في ذكائهم ، او وقارهم ، أو اخلاقهم ، أو في تعبيرهم عن حجمهم هذا ٠

اغلقي ايتها الكائنات الخفية المتطلعة الينا من وراء وفوق هذا الكون اذانك وعيونك لئلا تقرئي او تسمعي او تعرفي ٠ اننا عقاب فادح او مسلاة لئيمة لكل من يسمعوننا او يقرأوننا او يفسروننا او يعرفوننا او يحاوروننا ٠٠

ارفقي بنا فلا تقرئينا او تسمعينا او تعرفينا ٠ وارفقي بحياتك ووقارك وكرامتك وبتهذيبك وادبك ، فلا تقرئينا او تسمعينا او ترينا او تعرفي حجمنا الانساني والحضاري ٠٠

نعم ، الان ٠٠ لتغلق بل لتمت ولو منتحرة كل العيون والاذان لئلا تقرأ او ترى او تسمع ٠٠ ليمت كل من يقرأون ويسمعون ويرون ٠٠

الان ٠٠ لقد ماتوا ، ماتوا ٠ لا بد من الافتراض انهم قد ماتوا ٠٠

اذن فلينشد اليعربي انشاده الرهيب بعد أن مات كل من يقرأون ويسمعون ويرون ويفسرون ٠ نعم ، لقد ماتوا ، ماتوا ٠ اذن فليسمعوا :

بلى ٠٠٠ قد وهبنا الناس كل مزية
وهبناهمو كل الحضارات والربا
بلى ٠٠ قدخلقنا الله مجدا لمجدنا
خلقناه كي يقرأ العروبة والعربا
خلقناه لا يخشى سوانا ولم يطع

سوانا • ولو قلنا له : لتمنت لبى
وما همه الا قراءة مجدنا
وتنزيله في مدحنا الرسل والكتبا
وما هو والاكوان الا قصائد
تغني لنا مجدا •• تفسرنا حبا
بلى •• قد خلقنا الشمس من ومض مجدنا
•• ونأبى القمر المسكين مجدا لنا •• نأبى
وما الارض الا ملعب لجيادنا
ولا الكون الا عائدات لنا تجبى
وما الناس الا منشدون لمجدنا
ألم يجدونا الدين والعلم والحربا
وما مجدهم الا تلاوة مجدنا
سلوا كل ذي مجد • فما ننطق الكذبا
ولم يستقوا من غير ابار فكرنا
لقد ولدت ابارنا البحر والسحبا
ولم يزرعوا في غير صحراء جودنا
لقد انبتت صحراؤنا المجد والخصبا
وما اقتحموا الاقمار الا تشبها
بسبق براق للنبي •• به خبا
وما ابصروا اذ حلقوا غير خيلنا
هنالك تجتاز المجرات والشهبا
فتعلو فلا شيء يروم مكانها
وتعدو فلا شيء يسد لها دربا
لقد وجدونا فوق كل مجرة
هناك رأونا نصنع السهل والصعبا
بلى •• قد وهبنا الضوء سرعة ومضه
اذن فليحيّ الكون صواغه العربا
بلى نحن من قالوا لذا الكون فلتجيء
فجاء كما شئناه مستسلما صبا
لذا قد رأيناه الجمال جميعه
فلا قبح فيه قد نراه ولا ذنبا
وحتى الذباب فوق انف نبينا
نراه جمالا يبهر العقل والقلبا

لانــا رأينـا مــا اعتقدنــا كمـالـــه
وصغنــاه مكتوبــا باخلاقنــا الغضبـــى
لــذا عـــز مـن شئنــا لـه العـز وحـــده
لـذا ذل مـن شئنـا لـه الـــذل والكربـــا
لـــذا نــال مـا يبغـــي المطيـــع لامرنـــا
لـذا نـــال من يعصوننـا السلـــب والصلبـا

بعد هذه المسيرة الطويلة الصعبة الحزينة في اوحال هذه القضية ، قضيـــة ان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية ، اريد ان اثبت الامور الاتية ، مع الاعتـــراف بان هذا الذي سوف اثبته واتحدث عنه ليس الا تكرارا لما سبق ·· والتكرار قانون طبيعي وكوني وانساني · انه لولا التكرار لتوقف بل ولمات ونفد وتلاشى كل شيء · ان هذا لاعتذار الى من قد يتهمون بالتكرار ويجدون في هذا الاتهام لذة ومجدا ·

اولا :

صعب جدا انيقرا قارىء ما كتب هنا ، ان يقرأه بفكره وصدقه واهتمامه خــارج جميع قيوده وتلقيناته السابقة المتعددة الجنسيات والاملاءات ، ثم يستطيع ان يشك في صدق الاستنتاجات التي قررتها هذه الدراسة ، اي ثم يشك في ان العرب ليســوا سوى ظاهرة صوتية ·· اعتقد ان اي مصاب بكل امراض الشك لن يصاب باي شك في هذه القضية ان هو قرأ هذه الدراسة بالشروط التي ذكرت ··

ان هذا القارىء لا بد ان يقتنع بذلك حتى ولو كان في هذا الاقتناع كل التعذيـب والتحطيم لكرامته وكبريائه وضميره وكل الخروج على كل اهوائه وادعاءاته وقراءاته · بل حتى ولو كان عجزه عن هذا الاقتناع او رفضه له هو وحده الذي يهبه الجرأة او التسويغ او التشريع او القدرة على ان ينظر في عيون الاخرين ، او على ان تصافـح يده ايديهم ، او على ان يبتسم للمرآة او تبتسم له المرآة او على ان يصافح وجهه في المرآة ، او على ان تكون المرآة ويكون التحديق فيها شيئا مباحا · اني افترض هنا ان لوجود المرآة وللتعامل بها وللابتسام لها شروطا · فهل اشترط احد اية شروط لذلك؟

ان اي انسان يتعامل من داخله مع جميع طاقاته وتفجراته وقراءاته وتساؤلاته الانسانية الذاتية ، لو انه قرأ الانسان العربي واستمع اليه وحدق فيه وفسره في ذات وبذات ومن ذات الانسان العربي ، ثم حكم عليه اي على هذا الذي قرأ وفسر الانسان العربي وحدق فيه واستمع اليه ، باقسى حكم يحكم به على اي انسان ، لو انه اقتنع من داخله بان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية ، لما كان ممكنا او مستطيعـا ان يقتنع بغير ذلك حتى ولو نفذ فيه الحكم الذي حكم به عليه والذي هو اقسى حكم··

وان الله لو بعث رسولا من السماء وحمله رسالة كلفه بتبليغها وتعليمها ، وكانت كل هذه الرسالة المرسلة مع هذا الرسول المهبط من السماء هي التدليل على ان

العرب اكثر من ظاهرة صوتية ، وكان هذا الرسول ذكيا وصادقا ، لما استطاع ان يقتنع بان العرب اكثر من هذه الظاهرة الصوتية ، اي بعد ان يعايشهم ويسمعهم ويقرأهم ويفسرهم ٠ انه حينئذ لا بد ان يشك في صدق الاله الذي ارسله او في ذكائه او في جده ، اي ان لم يقتنع انه قد اخطأ وهبط على اقوام اخرين غير العرب ٠ ان هذا الرسول لن يستطيع الاقتناع بان العرب اكثر من هذه الظاهرة الصوتية حتى ولو هدده الاله الذي ارسله بكل العقاب الذي يملكه ان لم يقتنع بذلك ٠٠٠

ان هذا الرسول سيكون حينئذ هو اول رسول في التاريخ بل في الكون يشك في صدق أو ذكاء أو جد أو وقار الاله الذي ارسله ، او يشك في أن القوم الذين كانوا في ذهن الاله وفي نيته ليسوا هم القوم الذين بعثه اليهم او وضعه فيهم او ظنهم اياهم ، او ليسوا هم القوم الذين وصل اليهم بخطئه هو او بخطأ الاله او بخطئهما معا ٠ الا يحتمل ان يشك الانبياء في تعيين الاقوام الذين يبعثون اليهم ؟ هل موهبة الشك في الانبياء لا حدود لضعفها وخمودها ؟

ولكن هل يمكن الاقتناع بان احدا من اولئك الانبياء الذين ارسلتهم السماء لم يشك أو يتساءل أو يفكر : هل السماء التي ازسلتني صادقة أو عارفة أو ذكية او جادة او جيدة النية والاخلاق ، بل لم يقتنع انها ليست كذلك ، بل انها نقيض ذلك ؟ اليس محتوما ان كثيرا من الانبياء قد اقتنعوا بان الالهة التي ارسلتهم هي نقيض المزايا المزعومة لها ؟

هل توجد غفلة مثل غفلة اي نبي لا يقتنع بان الاله الذي ارسله هو نقيض حاد وشامل لكل معاني الاله المفترضة والمطلوبة والمصلى لها وبها ؟

اليس اعوان الطغاة واعوان جميع الاقوياء والمتسلطين لا بد ان يعرفوا دائما أو أحيانا حقيقة من يعملون معهم ولهم وبأوامرهم ؟ بل اليس هؤلاء الاعوان لا بد ان يكونوا اكثر الناس معرفة بنقائص وذنوب طغاتهم وسلاطينهم ، واعجز الناس عن الاقتناع او الانخداع بمزاياهم المقررة والمعلنة والمخطوب المصلى بها ولها بل المنزلة في التعاليم وفي الكتب المقدسة ؟ اليست اعضاء الكائن وملابسه الداخلية هي اعرف العارفين بمستويات نظافته ونظافتها ؟ هل يمكن ان تخدع ملابس واعضاء الانسان الداخلية عما فيه من اوحال ؟

هل يمكن الافتراض بان نقائص وذنوب هؤلاء الطغاة والحكام ، وبان اخطاءهم وجهالاتهم اعظم او اشنع أو اظهر أو اشهر أو اكثر افتضاحا من نقائص وذنوب وجهالات واخطاء السماء ؟ هل يمكن التستر على عاهات الالهة وذنوبها او الدفاع عنها مهما امكن التستر على ذنوب وعاهات كل الاشرار والدفاع عنها ؟

او هل يمكن الافتراض بان الانبياء الذين ترسلهم السماء وتختارهم لها رسلا وانبياء هم اقل ذكاء او اكثر عجزا عن رؤية الاخطاء والذنوب والجهالات

والنقائص ، او اقل رفضا واستقباحا وفهما لها من اعوان الطغاة والسلاطين ؟ نعم ، اليس هذا الافتراض الاخير محتملا بل مقبولا بل معقولا ؟ هل يمكن تصور عاجزين عن الرؤية والذكاء والنقد مثل المتحدثين مع الالهة ؟

وبدون هذين الافتراضين اليس محتوما ان يكون رفض الانبياء لذكاء السماء ولاخلاقها ومعرفتهم بعيوبها وذنوبها اقوى من رفض اعوان الطغاة والسلاطين لذكاء واخلاق طغاتهم وسلاطينهم ومن معرفتهم بذنوب وعيوب هؤلاء الطغاة والسلاطين ؟ ان اعظم تحقير وهجاء لذكاء الانبياء ولاخلاقهم الزعم انهم لم يكونوا اكثر رفضا لاخلاق ولمنطق السماء من اعوان الطغاة رفضا لاخلاق ولمنطق طغاتهم ..

ان جميع عاهات وذنوب البغاة المتسلطين بل وعاهات وذنوب جميع البشر لو انها تحولت الى عاهة واحدة والى ذنب واحد لتتفجرا في جميع العيون والضمائر والعقول ، في جميع الاوقات ، بكل الاساليب والتعبيرات لما استطاعا ان ينافسا في منطقهما وتفاسيرهما اصغر العاهات والذنوب التي تمارسها السماء وتفجرها وتقاتل وتعاقب وتتحدى بها كل الاوقات كل العيون والضمائر والافكار والاخلاق والتعاليم والاديان والمذاهب والكتب المنزلة بل والامال والتضرعات والصلوات والاهات واللهفات المرفوعة اليها ..

هل يوجد مهين مخيب لكل الامال والتوقعات واللهفات والاشتراطات والحسابات والظنون مثل الاله .

هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء ان اية خطيئة او وقاحة يقترفها او يعشقها اي انسان او اي كائن انما هو ، اي الكائن او الانسان ، هو ووقاحته او خطيئته ليسا سوى وقاحة او خطيئة يقترفها ويدبرها ويعشقها ويسعد بها الاله الذي ارسله ؟ اليس الاله هو الخالق والمدبر والمريد للوقح ووقاحته اكثر من خلق الوقح لوقاحته ومن تدبيره وارادته لها ؟

او هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء انه لا يوجد ولن يوجد بل او يتصور كائن يخرج على جميع تعاليمه ويخرقها بكل القسوة والشمول والديمومة والافتضاح مثل السماء ؟ هل توجد جراة وجه مثل جراة وجه السماء التي تجن غضبا وانتقاما ممن عجزوا عنالالتزام بتعاليم لا تلتزم هي اي السماء منها شيئا دون ان تكون عاجزة ؟ كيف تجرؤ على الكشف عن وجهها ؟

او هل يمكن ان يجهل اي نبي ترسله السماء ، ان السماء التي ترسله يجب ان تكون ذكية ومنطقية واخلاقية ، وان تكون ملتزمة بما تحبه وتريده وتأمر به وتعلمه وتراه جمالا وحقا وخيرا ؟ هل يمكن الافتراض انه قد يوجد نبي او يقبل او يغفر ان يوجد نبي يجهل ذلك او لا يفترض او يشترط في الهه الذي ارسله انه يجب ان يكون اي الهه ذكيا ومنطقيا واخلاقيا وملتزما بما يريده ويحترمه ويحبه ويراه

عدلا ونظافة وجمالا وحقا وخيرا ؟ اليس محتوما ان كل نبي كان يصرخ في وجه الهه بلا صوت : اخجل ايها الاله من ان تعلم ولا تلتزم · مت خجلا ايها الاله !

اذن هل يمكن الافتراض بان نبيا واحدا لم يكن يعرف ان الاله الذي ارسله بالتعاليم والاخلاق والتقوى وبالدعوة الى العدل والحب والرحمة والكرم هو الكائن الذي لا نموذج له في خروجه على جميع هذه القيم التي تجيء وتبتدع التعاليم للدعوة الى الالتزام بها ؟ اذن هل يمكن الافتراض ان اي نبي من الانبياء كان من داخله يحترم الاله الذي ارسله ، او انه كان يثق به او يصدقه او يراه جديرا بما يطالب به لنفسه ، او انه كان جادا فيما يقول ويعلم ؟

اه ايها الانبياء البؤساء ·· كم كنتم تقاسون من الرفض لاخلاق ومنطق الهتكم· اه ايها الانبياء البؤساء ·· اي ان لم يكن غباؤكم متفوقا على غباء الانسان العربي امام جهالات وسخافات وذنوب الهته وانبيائه وسلاطينه وخلفائه ورؤسائه وتاريخه·

ثانيا :

ان الاقتناع بان العرب ظاهرة صوتية ليس الا اسلوبا من اساليب الدفاع عنهم والرفق بهم بل والاحترام لهم · ان هذا الاقتناع يعني الخروج بهم من منطقة المحاكمة والمحاسبة والمساءلة القاسية الى منطقة الصفح والغفران او الى منطقة المسلاة والسخرية الصامتة الحزينة أو السعيدة ··

انهم اذا كانوا اصواتا فقط فلن يؤاخذوا او يفسروا بما يقولون او بما يبدو او يظن انهم يقولون · ان تفسير العرب بما يقولون لهو اقسى اتهام وهجاء وتعيير وتحقير لهم · اما تفسيرهم بانهم اصوات لا تفسير لها فهو انبل غفران لهم ··

انهم حينئذ يطنون او يزأرون او يجأرون او يصهلون او ينهقون او يثغون او يرغون باسلوب ونية وحوافز البكاء او الغناء أو الخوف أو السباب أو الاستفراغ او الاعلان عن العجز والضعف والهوان والهزيمة والتفاهة والفراغ · واي شيء في هذا يؤاخذ او يعاقب او يصنع الغضب أو الاحتقار ؟ ان ذلك مثل صوت الريح أو الانفجار الطبيعي ، لا يعني اي خروج على النموذج ، كما لا يعني اي ادعاء سخيف·

ان الكائن الذي يطلق صوتا فيفسر بانه يطن او يجأر او يصهل او ينهق او يعوي او يبكي او يغني او يستفرغ لافضل حظا واقل عارا ممن يطلق صوتا فيفسر بانه احمق او ابله او مجنون او حقير او مفتضح او نذل او كذاب او دعي او وقح النفس والاخلاق والعقل والتعبير والوجه والرؤية للنفس والتحدث عنها ، او يفسر بانه كل ذلك · ان هذا يواجه بالاحتقار والاشمئزاز والغثيان · اما ذاك فيواجه بالرثاء والاشفاق والاعتذار عنه او بالاستحسان والاستظراف والانصات اليه والاستزادة منه ، او يواجه بالصمت، اي بصمت المشاعر والتفكير والرؤية عنه ، لا له ولا ضده ··

الست صاحب حظ عظيم حين تستقبلك المشاعر ثم تصمت عنك لا تمجدك ولا تستفرغك استقباحا لـك ؟

حين يقول العرب : نحن وحدنا كل الحضارة والعظمة والقوة والشجاعة والذكاء والسخاء والاخلاق والتقوى والصدق والتهذيب والعلم ، وكل الالوهيات والنبوات والاديان والحقائق الخالدة المطلقة ، وكل الزعامات والقيادات لكل العالم ·

نعم ، حين يقولون : نحنوحدنا كنا كل ذلك في كل التاريخ ، ولا بد ان نظـل كل ذلك بل وكل شيء جيد ومجيد في كل المستقبل ، فكيف نفسرهم اذا اردنـا الدفاع عنهم والرفق بهم ، وكيف نفسرهم اذا اردنا ان نقسو جدا في تحقيرهـم وتفسيرهم ؟ اما الصمت عنهم وحذفهم من كل تفسير فهذا ، لو كان ممكنـا ، اقسى اساليب التحقير في التفسير ··

لو قلنا ان العرب باقوالهم هذه يتكلمون ويعنون بها ما يعنيه الناس بكلامهـم اي لو قلنا ان لاقوالهم هذه ولسائر اقوالهم اية تفاسير اكثر من كونها اصواتـا تسمع وتقرأ ويخطب ويصلى بها وتتنزل وحيا في الكتب المقدسة على انبيائهـم الخالدين الخاتمين لكل النبوات ، دون ان يراد بها او منها شيء اخر ·

نعم ، لو قلنا ذلك فهل يوجد مثلنا عداوة وتحقيرا للعرب واستهزاء بهم ؟ ولكن اذا قلنا ان العرب في اقوالهم هذه وفي جميع اقوالهم لا يتكلمون كلاما يفسر كمـا يفسر الكلام ولكنهم يصوتون ، انهم يعبرون باساليب جديدة عن التصويـت ، فجميع اقوالهم التي تبدو كأنها اقوال او كلام ليست الا اساليب جديدة للاصوات ـ نعم ، اذا قلنا ذلك افلسنا حينئذ نحاول الدفاع عنهم والرفق بهم ؟ بل قد يعـد قولنا هذا نوعا من المحاولة للزعم بان اصواتهم هذه ليست سوى الوان بهيجة من الفنون ، من الغناء والتمثيل والتصوير والرسم والنحت وغير ذلك ·· هل يوجـد ما يصنع البهجة والمسلاة والرقص والتصفيق الروحي مثل هذه الاقوال اذا فسرت بانها اصوات وليست كلاما ولا تفكيرا ؟

لو ان ببغاء او اي طائر او حيوان قال : ان « العرب هم خير امة اخرجـت للناس » ، او : « خلق الله العرب ليكونوا شهودا وقضاة على جميع الناس » ، او .. « ان العرب يملكون كل الدنيا وكل من فيها وما فيها » او : « ان اي طفل عربي يبلغ الفطام يسجد له كل الجبارين في العالم خوفا منه و ـمانا بمزاياه وعبقرياته » ، او : « ان العرب لا يقبلون ولا يكونون ابدا الا متصدرين دائما لكل العالم دون كل العالم ، او موتى اباء ومجدا وشجاعة وكبرياء ورفضا للمساواة بالاخرين » ، او : « ان كـل ملوك العالم وكل العالم ليسوا الا عبيدا « للعرب » او : « ان كل البشر في كـل العصور ليسوا الا منشدين لمجد العرب وما لهم من مجد سوى هذا الانشاد » ·

نعم ، لو ان اي ببغاء او طائر او كائن اخر قال ذلك عن العرب ولهم او قاله عن نفسه ولنفسه ، فهل يمكن ان يوجه اليه اي احتقار او اشمئزاز او اي اتهـام

من اي نوع ، او ان يصدم منطق او ذكاء او اخلاق او كرامة او وقار اي سامع ؟ بل اليس محتوما حينئذ ان يتحول الى بهجة روحية وفنية لا تساويها اية بهجة يصنعها اي فن من الفنون ؟ اذن ليت كل ما قاله الهة العرب وانبياؤهم وشعراؤهم وفرسانهم امتداحا لانفسهم انما قاله ببغاء او اي طائر او كائن ولم يقولوا هم منه شيئا · انه حينئذ لشيء رائع ··

لان هذا الببغاء او الطائر او الكائن لن يفسر الا بانه مصوت فقط · انه لا يعني ولا يقول شيئا ، وانما يغني باسلوب جديد لا نموذج له في جميع الوان الغناء والفنون · نعم ، ليت كل ما قاله العرب فخرا وادعاء انما قالته البراغيث والعصافير ولم يقولوه هم ·

ولكن لو ان اي قوم من البشر قالوا ذلك او قالوا مثله عن انفسهم ، وحولوه الى كتب مقدسة والى نبوات خاتمة مختومة ، والى معلقات والى اداب وفنون خالدة تتعلمها الاجيال والمحاريب والمنابر عن الاجيال والمحاريب والمنابر ، وتدرس وتعلن وتمجد ويباهي بها وتحول الى معارض والى قيم ضخمة قومية ووطنية وانسانية كما يفعل بالحقائق العلمية ولها ـ بالاساليب الفضاحة التي طرح ويطرح بها العرب انفسهم في الاسواق والتاريخ ·

نعم ، لو اي قوم من البشر قالوا وفعلوا ذلك ثم فسروا بانهم متكلمون لا مصوتون فقط باساليب جديدة من التصويت فباي الاساليب حينئذ يضطرون كل العالم الى احتقارهم ، والى الانفجاع بهم ولهم ، والى الذهول ، والعجز عن فهمهم وتفسيرهم باي مقاس او نموذج ؟ كم يمكن حينئذ ان يعذبوا عقول واخلاق ووقار وحياء وكبرياء واشفاق كل العالم ؟

هل يمكن ان يجد حينئذ الاخرون السامعون القارئون الراؤون لهم مقادير من الاحتقار والانفجاع والغضب والذهول والاشمئزاز والغثيان تكفي او تقارب الكفاية لكي يصبوها على هؤلاء الذين لا توجد لهم نماذج في العقلاء ولا في المجانين ، في البشر ولا في الكائنات التي هي اقل من البشر ؟ اليس افتراض العرب متكلمين مفسرين بما يقولون هبوطا بهم عن مستوى البشر العقلاء والمجانين وعن مستوى الكائنات الاقل من البشر ؟

أليس اردأ الاشياء او اصعبها ان نكون في موقف يستحق من الاحتقار والاشمئزاز والانفجاع والذهول ما لا نستطيع ان نفعل من ذلك ، اي من الاحتقار والاشمئزاز والانفجاع والذهول ؟ أليس شيء لا مثيل له في الفظاعة ان يجب علينا من الاحتقار والاستقباح ما لا نستطيع ان نملكه او ان نفعله او حتى ان نعرفه ؟

أليس اقبح وافظع المواقف موقفا نوجه منه الى شيء ما او احد ما كل ما فينا من مواهب وطاقات الاستقباح والاحتقار والانفجاع والاستنكار والرفض ثم نظل مقتنعين ان كل ما وجهناه من ذلك الى ذلك الشيء او ذلك الاحد لا يكفي ، نظل

مقتنعين باننا عاجزون عن ان نفعل ما يكفي او ما يجب ان نفعله من ذلك اي من الاستقباح والاحتقار والانفجاع والاستنكار والرفض ؟ أليست طاقات الاحتقار والاستقباح والانفجاع في البشر محدودة وانها لا تساوي دائما الحدث المستحق للاحتقار والاستقباح والانفجاع ؟

اذن فعلى العرب الا ينزعجوا او يغضبوا او يرفضوا حين يفسرون بانهم مصوتون لا متكلمون ولا مفكرون • بل ان عليهم ان يبتهجوا بذلك ويشكروا ويصلوا لمن يفسرونهم كذلك • انهم بهذا التفسير يرتفعون عن هذا الحضيض وينجون من هذا العار ••

انه لا نجاة للعرب من ان يحسبوا بلا نموذج في عارهم وغبائهم وهبوط مستوياتهم الا بان يفسروا مصوتين كالغربان والعصافير والضفادع •

ان عليهم ان يعلموا ان من يفسرونهم بانهم يتكلمون ويفكرون حين يقولون ما يقولون ، وانهم يعنون هذا الذي يقولون •

نعم ، ان على العرب ان يعلموا ان من يفسرونهم كذلك هم اشد المعادين المحقرين لهم الهازئين بهم المريدين المدبرين لايقاع كل الوان العار بهم •• اني هنا افترض ان العرب يفهمون انها توجد فروق بين من يصوتون ومن يتكلمون ، وان التصويت هو شيء غير الكلام والتفكير وكل الكينونات العبقرية ••

ثالثا :

انه لواجب على جميع اصدقاء العرب وعلى جميع العاطفين عليهم المشفقين من ان يفسروا اي العرب تفاسير تهبهم من الاستقباح والاشمئزاز ما لا يستحقون ـ نعم، انه لواجب على جميع هؤلاء ان ينظموا وينفذوا هجوما اعلاميا تفسيريا ، ليقنعوا به كل العالم ان العرب يظلمون ويشوهون جدا حين يفسرون بانهم متكلمون ويتكلمون، وبانه يجب او يجوز ان يحاكموا ويحاسبوا بما ينطقونه وبما يسمع منهم مما يشبه الكلام او يجيء بصيغة الكلام ، مثلما يحاكم ويحاسب المتكلمون • ان تفسيرهم هذا التفسير يعني حتما العدوان عليهم ومؤاخذتهم بما لا يستحقون • انه يعني حتما معاقبتهم باحتقار لا يستحقونه ، اي باحتقار هو اكبر منهم ومن مستوياتهم ، ولا يوجه ايهذا الاحتقار الا لمن هم الا الى منهم اكبر وأضخم منهمتفسيرا وكينونة •

ان الاحتقار ، حتى الاحتقار قد يتحول الى نوع من المغالاة في التقدير والتفسير وفي الرؤية للشيء او للكائن •• اننا لا بد ان نفترض للشيء او للكائن نموذجا او مستوى لكي نستطيع ان نحتقره او نحترمه ، محاكما بذلك النموذج او المستوى المفترض ••

حتى الاحتقار انه يجب ان يكون استحقاقا • انه احيانا عطاء بلا استحقاق •• ان الكائن الذي لا يفترض له مستوى ما من الجودة لا يصح احتقاره مهما هبط تحت جميع المستويات ••

اننا لو احتقرنا الذباب او اي حيوان لان طنينه او عواءه او صوته لم يكن ذكيا ولا منطقيا ولا متوقرا او متواضعا او مهذبا او صادقا او بليغا ، او لان سلوكه ليس نظيفا ولا شامخا مترفعا لكنا معتدين على هذا الذباب او الطائر او الحيوان وظالمين له ٠ ولكن احتقارنا هذا الذي تحول الى ظلم واعتداء لا بد ان يتحول الى عطاء لهذا الكائن ، الذباب او امثاله ، بلا استحقاق ، اي الى تضخيم وتفسير لـه هو اكبر منه ٠ انه لا يجوز او لا يمكن تحقير الشيء او الكائن ولا مؤاخذته او معاقبته او محاكمته الا اذا هبط عن مستواه او عما يستطيعه وينتظر منه في حساب المحتقر المؤاخذ ٠٠

وهؤلاء الاصدقاء للعرب والعاطفون المشفقون عليهم يجب ان يحاولوا حمايتهم اي حماية العرب من الظلم والعدوان والتحقير حتى ولو تحول ذلك الى عطاء لهم لا يستحقونه ، اي حتى ولو تحول الى مغالاة في تقديرهم وتفسيرهم ورؤيتهم ٠ فالتحقير يجب ان يرفض ويرد حتى ولو كان يعني في كل تفاسيره كل التقدير ٠٠ ان احتقارك لمن هم اصغر من التحقير نوع فظيع من الظلم والنذالة والغباء والوحشية حتى ولو تحول اي التحقير الى تمجيد او تكبير او الى ثناء غير مقصود٠ اذن ان على هؤلاء الاصدقاء والعاطفين والمشفقين ان يحاولوا بكل الصدق والقوة والحماس والشهامة اقناع كل العالم بان العرب ليسوا الا مصوتين فقط ، وانه لا يجوز ان يفسروا أو يفهموا أو يقرأوا أو يدانوا أو يمسكوا أو يطالبوا بما يسمع منهم ، أو ان ينتظر مما يسمع منهم أن يعني أي شيء ، ولا أن يسأءلوا عنه اي عما يسمع منهم ، او ان يطالبوا باي تفسير او تنفيذ له ٠٠ انه لا يجوز ان يعاقبوا او ينقدوا او يلاموا او يصنعوا لاحد اي استغراب او اندهاش او صدمة او حيرة اذا لم يعنوا بما يقولون وبما يسمع منهم اي شيء اكثر من التصويت حتى الاندهاش لا يجوز ان يصنعه العرب لاحد اذا لم يعنوا بما يقولون شيئا لان الاندهاش نوع من النقد والمحاسبة !!

انهم يستحقون ان يسمح لهم بان يصوتوا وكانهم يتكلمون ، وان يستمع اليهم ولو احيانا مثلما يستمع الى من يتكلمون ، ثم لا شيء غير ذلك ٠٠ لا شيء يطلب او ينتظر منهم لانهم صوتوا باسلوب من يتكلمون ومن يعنون او ينوون شيئا بل كل شيء ، ولا شيء من النقد او اللوم او حتى العتاب يوجه اليهم ٠٠

اليست جميع الكائنات المصوتة تعامل هذه المعاملة الكريمة ؟ فلماذا لا يعامل العرب بمثل هذه المعاملة وهم ليسوا الا بشرا مصوتين مثل الكائنات المصوتة ؟

انه ليجب ان يقنع كل العالم بان يأخذهم اي يأخذ العرب ويفهمهم ويعاملهم ويتعامل بهم ومعهم بكل هذه البساطة والسهولة والتسامح والعدل ٠ وبهذا الاسلوب المهذب المجامل الطيب عليه ايضا اي على العالم ان يقراهم اي يقرأ العرب ويستمع اليهم ويتحدث معهم ويطلب اليهم ان يتحدثوا معه ٠ بل ان عليه ان يشعر بالنشوة

الروحية او ان يتظاهر بهذه النشوة حينما يستمع اليهم وحين يقرؤهم ، مثلما يفعل كل الناس او بعض الناس حينما يستمعون الى الكثير من الكائنات المصوتة ، فيطربون ويبتهجون ويصفقون ، غير مطالبين لهذه الكائنات او منتظرين منها اي تفسير أو التزام او معنى او اي شيء اخر لما يسمعون منها اكثر أو افضل من أن يسمعوا منها ، دون اشمئزاز او استقباح بل او استغراب ، بل باتهاج ومرح . ان الناس يستمعون الى الكائن المصوت دون ان ينتظروا منه ان يقول لهم شيئـــا عن اي شيء . وهكذا يجب الاستماع الى الانسان العربي .

ان افهام كل العالم هذه الحقيقة اي ان العرب مصوتون لا متكلمون لتفضل على العالم واحسان اليه واراحة له من الوان المقاساة التي لا بد ان يقاسيها كل مـــن لا يعرفون هذه الحقيقة ان كانوا قد حكم عليهم بان يقرأوا او يسمعوا او يعايشوا العرب .

ان من لا يعرفون هذه الحقيقة لا بد ان يقاسوا من الصدمات والذهول والاستغراب والعجز عن الفهم ومن مشاعر الخيبة حينما يتعاملون مع العرب ، ومع الاستمـــاع اليهم والقراءة لهم والتحدث والتفاوض والحوار معهم ، ومع الانتظار لما يقولـــون ويسمعون منهم ، مع الانتظار لصدقه ولذكائه ولتفاسيره وللالتزام والاهتمـــام به ولتطبيقه ، اي لالتزام واهتمام العرب به ولتطبيقهم له ، اي لما يقولون ولما يسمع او يقرأ لهـم ..

شديدة هي صدمتك ان انتظرت صدقا او ذكاء او التزاما او تطبيقا او تفسيرا لما يقوله العرب ..

ان الذين لا يعرفون هذه الحقيقة عن العرب لا بد ان يقاسوا كل هذه المقاساة ايضا او لا بد ان يقاسوها باشد اساليبها قسوة حينما يقرأون لالهـة العـــرب ولانبيائهم وخلفائهم وحكمائهم وشعرائهم الاقدمين الخالدين ...

تعذيب لك رهيب ان تقرأ لالهة العرب او لانبيائهم وخلفائهم وحكمائهم وشعرائهم ان كنت تريد تفسيرهم بما يقولون . انمن لا يعرفونهذه الحقيقةستكون مقاساتهم من الصدمات والذهول والاستغراب والحيرة والعجز عن الفهم والتقبل ومن مشاعـر الخيبة ـ ستكون مقاساتهم هذه بلا نموذج حينما يقرأون او يسمعون ما قاله الهة العرب وانبياؤهم وخلفاؤهم وحكماؤهم وشعراؤهم الاقدمون الخالدون . ارثي لـــك جدا ان كنت محاكما محاسبا لما تقرأ وتسمع ان كنت قد قرأت او سمعت لآلهة وانبياء وخلفاء وحكماء وشعراء العرب ..

اذن فافهام كل العالم هذه الحقيقة اي افهامه ان العرب مصوتون لا متكلمون شفاء وحماية له اي للعالم من هذه المقاساة الفادحة التعذيب ..

اذن ما اعظم تفضل واحسان من يستطيعون افهام العالم هذه الحقيقة عن العرب.

ان كل من يملكون اي قدر من الذكاء والصدق والنزاهة ، ممن قرأوا او سمعوا او عاملوا العرب القدماء او المحدثين ، لا بد ان يكونوا قد عرفوا هذه الحقيقة اي ان

العرب مصوتون لا متكلمون · وهؤلاء لا يحتاجون الى اي هجوم اعلامي تفسيري لكي يعرفوا هذا الذي يعرفون ، ولكي يتقوا الصدمات والعذاب حينما يضطرون الى ان يقرأوا او يسمعوا للعرب أو الى أن يتعاملوا ويتحاوروا ويتحدثوا معهم واليهم · ان كل هؤلاء لا بد ان يكونوا قد عرفوا هذه الحقيقة واطمانوا اليها واعلنوها بقدر ما هم بريئون من الحقد والخبث والشماتة والمعاداة للعرب ··

ولكن الاغبياء والخبثاء والاشرار الماكرين الذين يجدون متعة او راحة او مصلحة في ان يحقروا العرب قد يعجزون او يدعون العجز او يدبرون العجز عن فهم هذه الحقيقة اي كون العرب ظاهرة صوتية جاءت باسلوب او بصيغة الظاهرة الكلامية والفكرية والبشرية ، لكي يستطيعوا ان يستمروا يستمتعون ويطربون ويربحون ويتعالجون بالاحتقار والتصغير لهم اي للعرب ، حينما يصرون على ان يفسروهم بانهم متكلمون وليسوا مصوتين فقط ، اي حينما يحاكمون ويحاسبون العرب باصواتهم مفسرين لها اي لاصواتهم بانها كلام وتفكير ، اي بانهم يعنون بها ما يفهم منها ، اي بانها اي اصواتهم هي مستواهم الفكري والاخلاقي والنفسي والثقافي والديني والمذهبي واللغوي ، مفسرة بانها كلام وتفكير ونيات ، اي بانها اشياء مقصودة مدبرة مخططة معنية مسموعة مقروءة مفسرة كما يسمع ويقرأ ويفسر الكلام والتفكير والنيات ، وكما يقصد ويدبر ويخطط ويعني اي الكلام والتفكير والنيات ·

ان هؤلاء يريدون ان يتهموا العرب بانهم يعنون باصواتهم شيئا اكبر وابعد واعسر واعمق من التصويت · انهم يتهمونهم بنيات ويفسرونهم بتفاسير هي اكبر واصعب منهم ، لكي يجدوا المسوغات لاستمتاعهم بتحقيرهم اي بتحقير العرب وبالاستهزاء بهم ، اي لانهم حينئذ لا بد ان يبدوا اي العرب هابطين تحت جميع الحدود الدنيا لجميع الكائنات التي تنتمي نماذجهم الى نماذجها · ان الذين يفسرون العرب بما يقول العرب هم اقسى واخبث اعداء العرب ··

انه لا احد يعادي العرب ويفضحهم مثل من يزعمون تراثهم نبوات وتفكيرا وشعرا وكتبا منزلة تفسر وتحاسب ، لا اصواتا فقط تسمع وتغفر وتهمل ··

وهؤلاء الاغبياء او الماكرون الاشرار هم الذين يحتاجون الى حملة اعلام وتفسير يقوم بها اصدقاء العرب والعاطفون المشفقون عليهم لكي يفهموهم هذه الحقيقة اي كون العرب ظاهرة صوتية ، ولكي يشفوهم اي يشفوا الاغبياء والماكرين الاشرار من مكرهم وخبثهم اللذين يجدان متعة ونشوة ومنفعة في احتقار وتحقير العرب · الا يستطيع ولو احيانا ان يشفي الاعلام والتفسير والتفكير والفهم من الحقد والخبث والمكر والشماتة والبغضاء كما قد يشفي من الخطأ والجهل ؟ اليس الحقد والبغض والشماتة والعداوة والنذالة عجزا عن الفهم أحيانا ؟

كان العرب في التاريخ حتى في التاريخ القريب جدا محميين من العالم ، لا يقرؤهم ولا يسمعهم او يراهم او يفسرهم او يفكر في قيمهم ومستوياتهم الا نادرا · كانوا معزولين عن اهتماماته وحساباته وطريقه · وكانت الاسباب لهذا العزل

والحماية عديدة · من هذه الاسباب بداوتهم اي بداوة العرب وعجزهم وفقرهم وتخلفهم الحضاري والانساني وانغلاقهم الديني والنفسي والعرقي والاخلاقي · كانوا خارج كل العيون والاذان والافكار بل واللغات ·· لانهم كانوا خارج كل الوجود القوي المؤثر المرهوب والمرغوب فيه ·

لهذا لم تكن هناك حاجة الى ان يعرف العالم او الى ان يقتنع ان العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية · انه لا يقرأ ولا يسمع لهم او منهم ، ولا يتحدث اليهم او يتحدثون اليه ، ولا يفكر في ان يفسرهم اية تفاسير ، ولا ان يحاسبهم اية محاسبة بل لعل العالم لم يكن يعرف انهم اي العرب موجودون · ولماذا يعرف وكيف يستطيع ان يعرف ؟ ان اسباب المعرفة بوجودهم واسباب الارادة لمعرفة وجودهم اسباب غير موجودة وغير جذابة ··

اذن لا خطر ولا عار ولا اهانة في الا يعلم اي العالم ان العرب ليسوا الا مصوتين· انهم لم يكونوا يملكون ان يعيروا او يهانوا أو يستهزأ بهم لانهم لم يكونوا يملكون ان يروا او يسمعوا او يقرأوا او يعلم بوجودهم او يهتم به او يفكر في قيمتهم ··

اما اليوم فقد سقط العرب بكل القسوة في كل الاذان والعيون والافكار والاهتمامات واللغات · لقد اصبح كل العالم محتاجا الى ان يقرأهم ويستمع اليهم بكل الانصات والحماس والذكاء والتفكير ، والى ان يضع لهم التفاسير وان يبحث لهم عن التفاسير ، والى ان يصبح ويمسي عاكفا على كل ما ينطقون به يفسره ويحلله مرتجفا من الرغبة والرهبة ومن الولاء والانتماء ، اليهم ولهم كل العالم يريد ان يكون من موالي العرب ·

لقد اصبحوا في قفزة واحدة هموم العالم ومسراته وصلواته المتضرعة · اصبحوا خوفه وامنه ، قحطه وخصبه ، مجاعاته وشبعه ، دفأه وبرده ، كل تغيرات وتناقضات طقسه · لقد اصبح العرب عارا وهوانا وسبابا لكل العالم لعنف افتضاحه في حبه لهم وخوفه منهم وانتمائه اليهم وفي تملقه لغباواتهم وتحدياتهم ووقاحاتهم ·

لقد جعلهم كل ذلك نفطهم الكريم · ان اية ثروة طبيعية لم يحدث ان صنعت لقوم من الاقوام فجاة وفي قبضة واحدة كل المجد والقوة والشهرة والتدلل والمحبة في كل القلوب او في كل الالسنة واللغات ، مثلما فعل النفط للعرب · نعم ، ان نفط العرب قد خلق لهم كل مجدهم وشهرتهم وقوتهم وجمالهم وذكائهم وكل جاههم ودلالهم على العالم · فهل وجد خالق مثل النفط العربي ؟

اذن لقد اصبح العرب محتاجين الى اصدقائهم والى العاطفيين المشفقين عليهم لكي يقنعوا كل العالم بانهم اي العرب ليسوا الا ظاهرة صوتية فلا يجوز ان يؤاخذوا او يحاسبوا بما يقولون او بما يبدو انهم يقولون ، كما لا يجوز ان يكون لما يقولونه او لما يبدو انهم يقولون اية تفاسير او تطبيقات او مطالبة بذلك او انتظار لذلك ·· ذنوبك يا نفط العرب ضخمة ، ضخمة لانها قد جعلت قومك العرب مرئيين ومسموعين

ومدركا وجودهم ، ولانها اي ذنوبك قد جعلت صناع الحضارة وصناعك انذالا جبناء منافقين ..

اذن اين هم هؤلاء الاصدقاء والعاطفون المشفقون ؟ نعم ، اذن اين هم ؟ اين هم بعد ان نبت العرب بكل الوحشية في كل اذان وعيون وهموم ومخاوف ومشاكل وتفاسير وقراءات وحسابات كل العالم ؟

اين انتم ؟ يجب ان تجيئوا . اذن جيئوا ، جيئوا ، بحوافز الكرم والشهامة والنخوة ، او بحوافز الرثاء والاشفاق ، او بحوافز الحضارة والانسانية والتفوق ، او بحوافز الكره والرفض للظلم والعدوان والاتهام للابرياء ..

او جيئوا لحماية من سوف يقرؤون ويسمعون العرب ويتحدثون اليهم ومعهم ويحاولون تفسيرهم قبل ان يعلموا انهم اي العرب مصوتون فقط ..

نعم ، لحماية هؤلاء من اهوال الصدمات والذهول والاستغراب والاشمئزاز والاستنكار والاستقباح ، اي حينما يذهبون يطالبون لما يسمعون ويقراون للعرب بتفسير او بصدق او بذكاء او بتطبيق او بوقار او بتهذيب ..

جيئوا لحماية الناعب والناعق من ان يفسر نعيبه ونعيقه بانه كلام وتفكير يطالب بان يكون صدقا وذكاء وتهذيبا وتخطيطا وتطبيقا ووقارا وقصدا ، وبان تكون له تفاسير ومعان وحسابات ونتائج مفهومة ومنوية ، والا عوقب اي الناعب والناعق بالتحقير والاستهزاء والاستقباح ..

رابعا :

مادا يعني بتفسير العرب بأنهم ظاهرة صوتية ؟

لا يعني بذلك أنهم أكثر أو أعلى أو أقوى أو أشهر أو اجمل او اشجع او انفذ من كل المصوتين او من كل المتكلمين اصواتا .. ان اصواتهم لا تخترق أو تقتحم الاذان أو الضمائر أو العقول أو النفوس أو الصمت والسكون والهدوء او الآفاق والابعاد أو قلوب الاعداء والمنافسين والخامدين أكثر من أصوات الكائنات الناعبة أو الناعقة أو الثاغية أو الراغية أو النابحة ..

ان آذان الآلهة وضمائرها وتقواها واحاسيسها ومواهبها الفنية ومجاعاتها الى الصراخ والهتاف والمناداة لها وبها وتواتراتها الحادة المتلهفة الى أي صوت ـ ان ذلك كله لن يجعلها اي لن يجعل الآلهة تسمع أصوات العرب أو تستمع اليها أو تطرب لها او تتأثر بها فرحا أو ترحيبا أو تبحث لها عن تفاسير أو عن اساليب مجاملة ، أكثر مما تفعل ذلك لانين خافت يطلقه أي حيوان مسكين ، شاكيا جوعه ومرضه وضياعه وتفاهته الى جوعه ومرضه وضياعه وتفاهته . نعم ، أليس أي حيوان يصرخ أو يئن أو يعوي لا يعني أو ينوي الا أن ان يشكو آلامه وهمومه وهزائمه واحتجاجه الى آلامه وهزائمه وهمومه واحتجاجه ؟

ان كـل اصوات العرب في كـل اجيالهم وعصورهم لـو تجمعت في صوت واحد ليصوتها انسان عربي واحد ، بعد ان حولها الى اتقى واقوى صلاة ، وبعد ان تجمعت في ضميره وتدينه وايمانه كل ما في كل الضمائر المؤمنة المتدينة من ايمان وتدين ؟ لمـا استطاع هذا الانسان العربي الواحد ان يوقظ أو يسمع أو يحرك بصوته هـذا ضمير الآلـه او حماسه او اعجابه أو استماعه وانصاته أكثر مما يفعل لـه أي للآله أو يفعل بـه ذلك اي صوت ضائع يطلقه أي كائن ضائع من حيوان أو جماد ، فـي هذا الكون الضائع · ان الآله في كـل تاريخه وفي كـل أطواره النفسية لـم يصنفق لصوت اي نبي او معلم او زعيم عربي يصلي أو يعلم أو يأمر أو يهتف به أو يتضرع اليه أو يفسر دينه أو تعاليمه أو كتابه المنزل أكثر مما يصفق لصوت أيـة حشـرة تنادي حشرة أخرى في الظلمة ، لتمارسا صناعة الحشرات المولودة من أصلاب الآلهة·

ان احدا لن يجسر على الزعم بان اذني الاله لم تتخلقا فيه او لم يخطط هـو ويقاسي لكـي يخلقهما في ذاته ، لكـي يسعد ويستمتع بالاستماع الى الانسان العربي مصوتا ·· ان كـل اصوات الانسان العربي منطلقة من افواه جميع انبيائـه وخلفائه وفقهائه واتقيائه وشعرائه في كـل أجياله لا يستطيع أحـد ان يزعم انهـا صنعت لاذني الآلهه أيـة مسرة أو أغنيـة ·

ولكن قد يوجد من يجسر على الزعم بـل وعلى الاقتناع بـأن الآله لم يفقد حاسة السمع ، لـم يصبح عاجزا عن أن يسمع أو رافضا لان يسمع أو خائفامن ان يسمع الا احتماء وفرارا من أن يسمع العرب مصوتين حتى ولـو هتافا لـه وباسمه وبالصلاة المتضرعة اليـه · هـل يسعدك ان يصوت لـك العرت هاتفين ومنشدين ومصليـن لامجادك ان كنت قـد وعيت وجربت تفاسير العرب مصوتين وهاتفين ومصلين ؟

اجـل ، ان جميع الداعين المتضرعين المناشدين للآله بكـل التقـوى والصـدق والاستسلام والمذلة ، طالبين اليـه ان يهبهم شيئا يريدونه ويحتاجون اليه ولا يعجزه أو يتعبه ان يهبه ، أو ان ينقذهم من شيء يعذبهم ويرهبهم ويذلهم ويحطمهم بـلا منطق او حكمة أو عدل أو استحقاق ، وهـو قادر على انقاذهم ، دون ان يفقد حياته او عضلاته أو سعادته أو قدرته على ان يهزم جميع اعدائه ومنافسيه وعلى ان يتفوق عليهم ــ نعم ، دون ان يفقد ذلك أو تفوقه فيـه من أرهاقه في محاولته انقاذهم مـن ذلك الشيء الذي يطالبونه بانقاذهم منـه ··· ــ نعم ، دون ان يفقد قدرته أو رغبته او جراته على أن يهدم ويقعد ويشوه الاطفال والشيوخ ·· ــ أجل ، ان جميع هؤلاء ليعرفون بالتجربة الطويلة بـل الدائمة التي لا تختلف أو يختل انتظامها ، ان صمـم الآله صمم لا نموذج لـه في قسوته وديمومته وشموله وفي انه لا شفاء لـه ··

ان جميع المنادين للآلــه والمتضرعين اليــه بآلامهم وشكاياتهم ، أو باحتياجاتهم ومطالبهم ليعرفون معرفة نهائية ان الآله لا يسمع ولا يستطيع ان يسمع اي شيء، وانــه مصاب بصمم لا يوجد ولـن يوجد من يشفيه منه ·· انهم جميعا يعرفون ذلك بالرؤية والتجربة والمقاساة والصدمات الدائمة المستمرة، مهما انكروا انهم يعرفونه، ان الانكار اللغوي ليس انكارا فكريا او اخلاقيا أو نفسيا ·

امـا استمرارهم على مطالبته وعلى الشكوى اليــه باسلوب من يخاطبون كائنا يسمع ويستجيب ويستطيع فقـد يكون التفسير لذلك انهم يحاولون ان يستروا عليه او أن يجاملوا سمعته · أو أن هذا الاستمرار نوع من التقريع والتعنيف له ولاسمه، أو هـو نوع من التذكير بخطا من يستمرون يفعلون ذلك ، أي هـو نوع من السخرية بأنفسهم وبالآخرين ومن النقد لانفسهم وللآخرين وهـل يوجد من يستحقون كـل السخرية مثـل من يظلون ابدا وبكـل الاساليب الذليلة يهتفون بالآله باسلوب مـن ينتظرون أن يسمع أو يستجيب ؟ أو هـو اسلوب من اساليب الاستمساك بالمبـدأ مهما تبين خطؤه ، اي اسلوب من اساليب المحافظة على التقاليد الباطلة ، او مـن اساليب الاستمرار على الخطأ المشهور أو الموروث أو التاريخي · اليس كـل النـاس يفعلون ذلك ولـو احيانا بـل وقـد يجدون فيه شيئا من النشوة أو المجد أو الاصالة ؟ اليس الاستمرار على الاخطاء المشهورة والموروثة والتاريخية سلوكا عالميا يفعله البدو والمتحضـــرون ؟

وقـد يكون هذا الاستمرار اي الاستمرار علىالشكوى الى الآله وعلى مطالبته وهو مصاب بكـل هذا الصمم ، قـد يكون ذلك نوعا من التمني ومن الاعلان عن الضيـاع والعجز · قـد يكون ذلك أسلوبا من اساليب البكاء واعلان الهزيمة واستقباح الكون والسخرية منه اي من الكون الذي يجيء بكل هذه الضخامة والاتساع والتعدد والتنوع والبذخ والاسراف، وتكون فيه كل هذه المشاكل والهموم والآلام والمخاوف والاحتياجات والضرورات ، وكـل هذه الدموع وصانعي الدموع ، ثـم لا يوجد فيــه أي في الكون كائن كبير قوى يتكافأ مـع هذه الضخامة والاتساع والحاجات والشكايات ، يدعى ويناشد ويطلب منــه ، فيسمع ويستطيع ويستجيب · هـل تستطيع ان ترى صيغة هذه الكينونة بعقلك أو باخلاقك أو بطموحك وامانيك ونماذجك المخـتارة دون لن تنفجر استفظاعا واستقباحا وارتياعا ؟

كـم هـي حقيقة رهيبة الفظاعة والشذوذ ان يكون ذلك كذلك ، اي أن يكـون هذا الكون كمـا كان ، وان تكون مواجهتنا لـه وآلامنا وورطاتنا فيــه وفي انفسنـا كمـا كانت ، ثـم لا يكون مثل هذا الكائن الكبير القوي الطيب الذي يدعى فيسمع

ويستطيع ويستجيب ، موجودا ؟ فظيع ، فظيع ان نكون في هذا الكون بكل هذه اللهفات والاشواق والتطلعات والصلوات دون أن يكون فيه كائن كبير طيب جدا يسمع ويخجل ويستجيب ٠

اليس شيئا يصعق الفكر والاخلاق والامل والاعجاب والتقبل والفهم مجرد التصور لهذه الحقيقة أو لهذه الفظاعة ؟

هل تستطيع ان تتصورها دون ان يسحقك الانفجاع والاستفظاع ؟

ان وجودنا نحن والكون متواجهين متعايشين بالحتم والضرورة ، نحن في صيغتنا والكون في صيغته لهو اقبح واوقح واردأ صيغة يمكن تخيلها او افتراضها ٠٠ كل هذا الكون بكلما فيه ومن فيه بلا مسؤول كبير، كبير جدا ـ هل يوجد افظع من هذا؟

وايضا قد يكون التفسير لاستمرار البشر على التوجه الى الآله بالشكايات والمطالب مع اقتناعهم انه أصم لن يسمع ولن يستجيب ـ قد يكون التفسير لذلك انهم لا يتوجهون الى الاله ولكنهم يستفرغون انفسهم ويبصقونها باسلوب التوجه الى الآله ٠ قد يكون أسم الآله جهاز أو مكان أو لغة استفراغ وبصق ٠٠ هل حدث ان استقبل اي كائن من الاستفراغ والبصق عليه مثلما استقبل الآله واستقبلت تعاليمه ؟

ان الناس بل والمؤمنين جدا لا يتضرعون الى الآله ولا يطالبونه أو يهتفون به أو يشكون اليه بقدر ما يحبونه أو يعرفونه أو يثقون بقدرته أو باستماعه اليهم أو باستجابته لهم ، ، بل بقدر حالتهم النفسية ، بقدر حاجتهم الى استفراغ وبصق همومهم ومشاكلهم ومخاوفهم وعجزهم وضياعهم ، وبقدر حاجتهم الى الصراخ والبكاء والانين والشكوى واعلان الاحتجاج على الذات وعلى الظروف وعلى الاحداث وعلى الآخرين ٠ ان اشد الناس حاجة الى الاستفراغ والبصق النفسي والاخلاقي هو اكثرهم دعاء للآله وصلوات لمجده ٠

اجل ، لقد أصبح معروفا ان الآله مصاب بالصمم الابدي ٠٠ وهل توجد حقيقة تساوي في قوتها الاقتناع بأن الآله مصاب بصمم لن يوجد مثله ولن يوجد من يداوي منه ؟

وأي انسان أو كائن يسمع العرب مصوتين أليس محتوما أن يقتنع أو يشك مع التوقر في الحكم ان الآله لم يصب بالصمم الا لانه قد سمع أصوات العرب أو الا لانه اراد الهرب من أن يسمع اصواتهم فأصاب نفسه بالصمم او تظاهر بذلك ؟ ان أي كائن لن يجد من الاعتذار عن نفسه لو أصابها بالصمم مثل ما يجد اي

كائن أصاب نفسه بالصمم لئلا يسمع شيئا مما يقوله العرب لانه قد سمع شيئا مما قاله انبياؤهم وشعراؤهم ·

اليس الصمم احيانا نوعا من الحماية لعفة ولشرف ولوقار الآذان والضمير والذكاء والحياء من الهتك والتلويث والتحقير والتعذيب والاذلال والغيظ ؟··

ان المؤمن بالآله لا بد ان يفترض او يقتنع أنه أي الآله قد سمع العرب قبل ان يصاب بالصمم يصوتون باسلوب من يتكلمون ، من يفكرون ويعلمون ويفسرون آلهتهم وانبياءهم واديانهم وكتابهم المقدس، وينشئون وينشدون اشعارهم في تمجيد انفسهم وفي هجاء وتحقير اعدائهم ، بل في هجاء وتحقير جميع الآخرين ·

وباسلوب من يسبون ويهددون أعداءهم وخصومهم ويحاورونهم ويتحدثون اليهم ليخيفوهم أو ليقنعوهم بما يريدون ، أو ليخرجوا من نفوسهم ومن شهواتهم كل الشرور والابالسة ، وكل الاخلاق والعقول والمواهب غير العربية ·· هل للعرب أية رسالة غير ان يعلموا كل العالم ان يكون عربي العقل والقدرة والموهبة والاخلاق والبداوة ؟

وايضا باسلوب من يؤمنون ويصلون ويهبون اربابهم كل تقواهم وصدقهم وحبهم وضمائرهم وهمومهم ومسراتهم ، وباسلوب من يصنعون لاربابهم كل مجدها ومسراتها واستسلاماتها وجمالها وأغانيها وكل انتصاراتها في كل تاريخها ومعاركها··

ان المؤمن لا بد ان يكون قد افترض أو أقتنع أن الآله قبل ان يصاب بالصمم قد سمع العرب يصوتون أصواتهم هذه ، يصوتونها بهذه النيات والتفاسير · آه ايها الآله المسكين ·· كم انت ايها الآله البائس محتاج الى الرثاء والاشفاق عليك قبل ان تصاب بالصمم اي حينما كنت تسمع العرب يصوتون كل اصواتهم هذه وكل اصواتهم تلك ؟ آه ايها الاله كم قاسيت وقاسيت ؟ نعم ، ما الذي فعل الآله حينما سمعهم يصوتون ؟ انه لا يحتمل أنه تقبل أن يستمر في الاستماع اليهم يصوتون بالاسلوب الذي به يصوتون · هل يمكن ان تطيق أخلاقه وآذناه أو حياؤه أو وقاره أو ذكاؤه أو خالقيته لهم واتهامه بأنه خالقهم أو ادعاؤه ذلك أو حتى سمعته وارادته الكرامة لسمعته ·

ـ نعم ، هل يطيق كل ذلك فيه أي في الآله أو بعض ذلك ـ هل يطيق تكرار الاستماع اليهم ؟ ومهما افترض الآله بلا أية شروط لكرامته وكبريائه ووقاره واستحيائه فهل يمكن ان يطيق الاستمرار في الاستماع الى اي شيء مما يقوله انبياء أو شعراء أو زعماء العرب ؟

واذا كان مفروضا أو محتوما انه لن يطيق ذلك فلن يكون امامه للفرار من هذه الورطة وهذا العذاب غير أمرين ، أحد الامرين ان يعيد خلق العرب وخلق موهبتهم الصوتية من جديد ٠٠ ولكنه لم يفعل ذلك لاسباب غير معروفة ٠٠ لعلها أسباب سياسية أو فكرية أو أخلاقية أو نفسية أو أسباب أخرى بعيدة جدا عن التصور وعن ان تكون مفهومة أو معقولة أو مغفورة ٠٠ ان الآله لو كان مفهوما أو مهما كان مفهوما فانه لن يكون مفهوما او معقولا او مغفورا في اية علاقة من علاقاته بالعرب ٠٠

اذن لم يبق أمامه أي امام الآله للهرب من الاستماع الى العرب مصوتين الا ان يحمى من حاسة السمع ، بأن يصيب نفسه بالصمم او بأن يصاب بالصمم ، أو بأن يصنع لنفسه جهازا يجعله لا بسمع أي صوت ينطلق من الارض مهما سمع جميع الاصوات المنطلقة من كل الاكوان والكائنات الاخرى ٠ وهذا يعني ان العرب هم المسؤلون عن هذه المأساة التي حلت بالآله وعن هذه القضية العجيبة الاليمة التي لا مثيل لها في بشاعتها وقبحها وشذوذها وهي أن يكون هناك آله يخلق كائنات، يخلقها تصلي له وتتضرع اليه وتهتف به وتطلب منه وتشكو اليه وتصرخ ألما واستفظاعا وهولا واستنكارا وغيظا وضياعا وحيرة وضلالا وعجزا ، ويطالبها بكل ذلك ، ثم لا يكون سامعا منها شيئا ٠٠ مشهد لا تستطيع أية دمامة أو بلادة او مأساة ان تحدق أو تفكر فيه أو أن تغفره أو تعيشه لعنف قبحه ورداءته واهانته وفظاعته ٠٠

اغفروا ايها البشر للعرب ٠ اغفروا لهم فهم في حاجة الى غفرانكم ٠٠ هبوا العرب ايها البشر من الغفران بقدر ما وهبتموهم من الحضارة والرخاء والقدرة على الادعاء والكبرياء ٠٠ بقدر ما وهبتم نفطهم قيمته وقوته وعاليته وكينونته الحضارية والعلمية ، وبقدر ما وهبتم نفطهم هذه القدرة على الخروج من مقابره الكونية التاريخية ليكون كل العالم في استقباله وفي طاعته وفي محاريبه البدوية يصلي ويخاف ويتملق وينشد اناشيد الغزل والحب المجنون الجائع المتذلل المهان ٠ آه ٠ هل هان الخالق أمام مخلوقه مثلما هان المتحضرون الخالقون امام مخلوقهم : أمام نفط العروبة ؟

نعم ، هل كان ممكنا ان يخرج نفط العرب من مقابره التاريخية الكونية التي حفرها ووضعه فيها آلههم ليبقى خالدا منسيا مجهولا فيها بقدر ما هو أي آلههم خالد ومجهول ومنسى المكان والذات والموهبة بل والكينونة والفعل ٠٠

– نعم ، هـل كان ممكنا أن يخرج نفط العرب من مدافنه الازلية لولا انتم ايها الآخـرون الخالقـون ؟

اذن أغفروا للعرب ذنبهم هذا تفضلاوعطاء بقدر تفضلكم على نفطهم ببعثه مـن موته الى الحياة واعطائه كـل المجد والقوة والشهرة والكينونة الحضارية العلميـة الانسانية ٠٠ هـل وجد أي عطاء مثل عطائكم للنفط العربي كينونتـه الحضاريـة والعلمية بـل والانسانية ؟ أن شيئا لـم يعط شيئا مثلما أعطيتم نفـط العروبـة كـل أمجـاده وحياتـه وعالميتـه ٠٠

نعم ، يبدو انكـم سوف تتفضلون وتغفرون لـمـن تفضلتم على نفطهم كـل هذا التفضل ٠ لعلكم من تواضعكم الحضاري والانساني لا تعرفون مقدار تفضلكم علي نفط العرب ٠٠ لعلكم لا تعرفون لنكم لم تستخرجوه فقط من مدافنه بل وخلقتموه ٠٠ أجل ، لقـد خلقتم للنفط العربي قبل ان تستخرجوه ، أي خلقتم طاقته ، أي حولتموه بحضارتكم المبدعة الى طاقة والى قيمة حضارية٠ لقد خلقتموه خالقا، خلقتم خالقيته٠ انكم لـم تستثمروا وتبعثوا النفط العربي فقط ، بـل لقـد خلقتموه خلقا لا يساويه أي خلـق ٠٠

لعلكم لاتعرفون هذه الحقيقة أو تهربون من معرفتها تواضعا وتكرما ونبلا وحياء٠ نعم ، انكم لم تخلقوا النفط العربي فقط ، بل لقد خلقتموه خالقا ، خالقا لحضارتكـم ولمجـد العرب ٠٠ ولكن اليس مجدا فريدا وعظيما يخص بـه العرب ويتفوقون بـه على العالمين ان يرهقوا الاله ويعذبوه ويزعجوه حتى يضطروه الى ان يفقد سمعه فقدا شاملا او فقدا مكانيا وجزئيا فقط اي لا يسمع سكان الارض ٠٠ الى ان يفقد سمعه بتدبيره وارادته مكرها وهاربا ، أو بـلا تدبير أو ارادة منـه ، بـل يفقده مرضا وانفعالا واشمئزازا ممـا يسمع ، أي يموت سمعه موتا ولا يقتل قتلا او ينتحر انتحارا ؟ ان الاعضـاء والحواس تقتل وتموت ، ولكن هـل يحدث ان تنتحر ؟ أليس انتحارها تحت بعـض الظروف والمواجهات سلوكا فيـه كرامة واباء ؟ أليس انتحار حواس الآله هـو أكرم وأمجد مـا يفعله أي كائن يواجه مـا يواجهه الآله بل أو بعض ما يواجهه ؟

اذن أي قوم لهـم مجـد مثل مجـد العرب هذا ؟ أي مجد يساوي مجد قوم يصيب الآله بالصمم ، يصيبه بالصمم موتا أو قتلا أو انتحارا ؟ اذن فليتحدث العرب عـن امجد امجادهم ، عن انهم هـم الذين أصابوا الآله بالصمم ٠٠ ليجرب اذنيه كل من شكوا في صممه ٠٠

وايضا لا يعني بتفسير العرب بالظاهرة الصوتية أنهم يصوتون باختيارهـم وتدبيرهم وذكائهم ، أي يصوتون بالتخطيط دعاية أو خداعا أو تضليلا أو تغطيـة

أو تخويفا أو مجاملة او غناء او فنـا او مرحا أو تجملا أو مشاركة او تنفيسا ، اي متى شاءوا وفكروا ودبروا وراوا ذلك اي احيانا ، كما يتكلمون ويفكرون ايضـا احيانا أخرى ٠ ان تصويتهم حينئذ نوع من الكلام والتفكير ، اي ان التفكير حينئذ هـو الذي يخطط للتصويت ويراه ويأمر بـه ويجده هـو المنطق أي هـو التفكير ، لان الشيء الذي يدبر لـه التفكير ويوافق عليه ويأمر بـه هـو تفكير حتى ولو لـم يكن تفكيرا ، حتى ولو كان تصويتا ٠ اليس الغباء الذي يدبره ويخرجه ويوافـق عليـه الذكاء هـو ذكاء حتما مهما كان مستوى غبائـه أو صيغة غبائـه أو ظاهـرة غبائه ، أو مهما كان اقناعه بانـه غباء ؟ اليس اقوى المفكرين واشملهم تفكيرا لا بد أن يحتاج الى الخروج على التفكير أو الى ان يبدو كانه يفعل ذلك ؟ اليس الخروج على التفكير بالتفكير اسلوبا من اساليب التفكير ؟ ولكن كلا ٠ انـه لا يـراد هـذا التفسير للحكم على العرب بانهم ظاهرة صوتية ٠٠ ان هذا التفسير للتصويت العربي نوع من المديح الكاذب او المخطىء جدا ٠ ولان هذا التفسير كاذب ومخطىء فانهم أي العرب يصوتون بـلا أي مستوى من مستويات الذكاء أو الدهـاء أو مـن مستويات القدرة على التاثير ، أو على الاقناع ، أو على الاستتار والوقار ، أو على خديعة مـن يصوتـون عليـهم واليهـم ٠٠

اليس التصويت أحيانا فنـا دعائيا أو أخلاقيا أو جماليا او غنائيا ؟ اليس أحيانا مغازلة أو مصافحة او تقبيلا ؟ ولكن العرب حينما يصوتون بنيـة أو باسلوب مـن يتكلمون أو يفكرون أو يحاورون ويشاتمون أو يخاصمون ويذمون أو يحقرون أو يكذبون أو يقنعون ويبشرون أو يخدعون أو يفخرون ويدعون أو يتكبرون أو يعيرون ويسخرون ٠ نعم ، انهم حينما يصنعون ذلك لا يبلغون ولا يفعلون أو يغيرون شيئا ، أو يكسبون احدا أو يثيرون أو يصنعون اهتمام أو التفات احد أو خوفه أو أمنه أو حبه أو اعجابه ٠ لأنهم لا يفعلون شيئا من ذلك بتدبير أو تخطيط ٠٠ انهم ليسوا متكلمين ومفكرين يصوتون احيانا كما يصوت المتكلم المفكر بتدبير وتخطيط يصوغهما ويهدي اليهما ويأمر بهما الكلام والفكر ٠٠ ان الفرق بين تصويت من يصوت ويفكر وتصويت من يصوت فقط لأعظم من الفرق في الفكر والتفسير والجمال والذكاء بين عزف اعظم موسيقى واقبح صوت تطلقه الطبيعة من أوقح نبحاتها ٠٠٠٠ نعم ، ان الموسيقى صوت ولكن كـم هو الفرق بين صوت الموسيقـى وصوت قرع النحاس بالنحاس ؟٠٠ ان الذين هم في طور المتكلمين المفكرين لا بـد أن يحولوا أكاذيبهم ودعاياتهم وخداعهم وخصوماتهـم ومشاتماتهم وعداواتهـم وكبرياءهم وهجاءهـم ومظالمهم وتعييرهم وسخرياتهم وجميـع وقاحاتهـم وذنوبهـم وبذاءاتهم وعاهاتهم

المختلفة الى اساليب من الذكاء والدهاء ومن القدرة على التاثير والاقناع لأنهم يعلمون ان الاكاذيب والوقاحات والعداوات تحتاج الى الذكاء والتدبير والتفكير اكثر مما يحتاج الصدق والتهذيب والحب الى ذلك ٠٠ انهم لا بد ان يحولوا كل قبائحهم الى غزو والى محاولات غزو للعقول وللاخلاق والنفوس ، لأنهم يدبرونه ويخططون لـه بمستوى المتكلم المفكر وبموهبته ٠٠ انهم لا بد أن يحاولوا ذلك حتى ولو لم يستطيعوه ٠٠

٠٠٠ أما الذين هم فـي طـور المصوتين فقط فانهم يؤدون ذلـك ويؤدون كـل ممارساتهم وحياتهم ليتحولوا الى مزيد من الافتضاح والسخرية والرثاء والاستهزاء والدمامات في عقول وعيون وآذان ومشاعر كل الناس وكل الاشياء ٠ لأن الذين هم في طور التصويت فقط لا يخططون ولا يدبرون ولا يحاسبون أو يحسبون ٠٠ لأنهم لا يستطيعون أو يعرفون ذلك ٠ انه فن لا يعرفونه كما لا يستطيعونه ٠٠٠ انهم لا يتحركون أو يتنوعون أو يتشكلون أمام المواجهات والمشاكل والعقد المتحركة المتنوعة المتشكلة المعقدة ٠ ان التحرك والتنوع والتشكل والتغير هو طور المتكلم المفكر وليس طور المصوت ٠ ان الذي لا يتشكل أو يتنوع أو يتغير لا يمكن أن يفكر ، وان الذي يفكر لا بد أن يتنوع ويتشكل ويتغير ٠٠٠

٠٠ ان أي كائن حشري أو حيواني أو جمادي لا ينوع أو يشكل أو يغير أو يخرج تصويتـه ليكـون ، أي تصويتـه ، متكـافئا مـع المـواقف أو الظروف والمواجهات والاحتياجات أو مع الذكاء والاخلاق والتهذيب والجمال ٠ انه في تصويته يكاد يكون صيغة واحدة ٠ واذا تنوع أو تفاوت فلن يكون محسوبا منطقيا أو فنيا أو اخلاقيا أو عن تفكير أو وعي ٠٠٠ ان الذي يفعل هذا التكافؤ ويحاوله ويعرفه ويريده ويدبر له هو الكلام أي هو التفكير أي هو المتكلم المفكر ٠٠

٠٠ ان الانسان الذي هو في طور المصوت فقط لن يستطيع أن يتحرك أو يتغير أو يتنوع أو يتشكل في أية مواجهة من مواجهاته ، بذكـاء أو بتهذيب أو بقدرة أو بروعة أو بتاثير أو باقناع أو بانتصار بل أو باستتار ، بل أو بلا مزيد من الافتضاح والعار ـ أي بتصويته أو حينما يحتاج الى أن يصوت وأن يواجه مواجهاته ومشاكله بأصواتـه ٠٠

٠٠ نعم ، ان مثل هذا الانسان لن يستطيع أن يفعل ذلـك أكثر أو افضل مما يستطيع أي كائن دون الانسان من الحيوانـات أو الحشرات أن يفعـل ، مواجهـا لمواجهاته ولمشاكله ولاحتياجاته ومخاوفه بأصواته أي مصوتا لها وعليها ٠٠

٠٠٠ ولكن كم يظلم مثل هذا الكائن الذي هو دون الانسان ويعتدي عليه ويشوه

حينما يذكر تصويته محاكما ومحاسبا ومفسرا بتصويت مثل هذا الانسان الذي هو في طور الانسان المصوت فقط ··

كم يظلم هذا الكائن المصوت هو دون الانسان حينما يشبه أو يقارن تصويته بتصويت أي حاكم أو زعيم أو قائد أو شاعر أو مفكر أو مذيع أو كاتب عربي حينما يصوت شاتما أو مهددا أو مخاصما أو مبارزا مفاخرا باسلوب ونية من يقاتل أو يعلم أو يعالج أو يفكر أو يصنع الحضارات والامجاد والتفوق ويفسر النبوات والآلهة والكون ؟

أجل ، ان كل ذلك لا يراد تفسيرا للحكم على العرب بانهم ظاهرة صوتية · ولكن التفسير لهذا الحكم انهم في كينونتهم التاريخية والطبيعية قد بلغوا طور التصويت ، وانهم في طور كينونتهم الطبيعية والتاريخية هذه لا يستطيعون أن يرتفعوا فوق الكائنات المصوتة ولا أن يهبطوا تحتها أي ما لم يتخطوا طورهم هذا في كينونتهم الطبيعية والتاريخية أي لا يستطيعون ان يهبطوا تحتها في كونهم مصوتين ولكن محتوم أن يهبطوا في وقاحاتهم ونذالاتهم وحماقاتهم تحتها جدا ··· انهم لا بد أن يؤدوا وظيفة طورهم ، أو لغته أو مستواه أو قدرته بـلا تدبير ولا مقاساة ولا على مستويات أو درجات متفاوتة من الجودة والرداءة · حتى التفاوت في الرداءة ، انهم لا يستطيعون أن يتفاوتوا فيها · ان التفاوت نوع من الحركة والتغير ·· انهم في ممارساتهم لمعنى طورهم هذا لا يستطيعون أن يكونوا افضل أو اردأ ، حينا اذكى وحينا اغبى اي بالارادة والمحاولة والتصميم والرغبة في التفوق أو في التخطي · ان كل اساليب التعليم والتحريض والتدريب بل والزجر والتخويف لا تستطيع أن تصنع منهم شيئا افضل واذكى ، بل لا تستطيع أن تصنع منهم شيئا اردأ واغبى ·· ان التفاوت في الرداءة والغباء قد يصبح مستوى جيدا واملا بعيدا لا يستطيع بلوغه من هم في مستوى واحد من الغباء والرداءة ·· انهم بقدر ما يعجزون عن أن يكونوا افضل ، يعجزون بنفس النسبة ولنفس السبب عن ان يكونوا اردأ لأنهم ليسوا حالات أو مستويات متعددة ومتفاوتة ، ولأنهم لا يمارسون مواجهاتهم ومستوياتهم بالتدبير أو التفكير أو الخطة ، اي لا يصوغون قدرتهم أو موهبتهم او مستوياتهم بشيء من ذلك · ان الكائن الذي لا يدبر ولا يفكر لن يستطيع أن يكون في مواجهاته ومحاولاته وتخطيطاته مستويات متعددة متفاوتة ··

ان اي كائن مصوت دون الانسان لا يستطيع أن يكون في تصويته حينا جيدا وذكيا وحينا رديئا وغبيا ، أي حينا مصوتا وحينا متكلما مفكرا مدبرا ·· أي انه لا يستطيع بالمحاولة او بالتدبير والتفكير أن يكون اكثر من مصوت أو ان يصوت

أحيانا بذكاء وأحيانا بغباء . كما انه لم يصبح كائنا مصوتا بالمحاولة أو بالتعليم أو بالتفكير والتدبير . انه مهما تغير أو تفاوت تصويته فانه لن يكون تفاوتا أو تغيرا في تفسيره أو ذكائه بل في اخراجه ..

ان الانسان الذي هو في طور المصوت فقط هو مثل هذا الكائن المصوت الذي هو دون الانسان في هذه التفاسير .. نعم ، ليت الانسان العربي يستطيع بالتدبير أو بلا تدبير أن يكون أحيانا اغبى واردأ مما كان . ليتــه يكــون كذلــك لأنه حينئذ يستطيع أن يكون اذكى واعظم ..

ان الانسان العربي ، وكذلك كل من هو في طور التصويت يصوت بالاسلــوب والمنطق والتفكير والذكاء والتدبير الذي به يتثاءب ويسعل ويرتجف من الضعف أو الخوف أو الخجل ، والذي به يحزن ويكره ويغار ويجوع ويحب ذاته ، ويمجد آلهته وأنبياءه وخلفاءه وآباءه وعقائده وتاريخه ، ويفضلهم على كل من سواهم ، والذي به تعمل غدده واعضاءه ، والذي به أيضا تموت وتمرض غدده واعضاءه وتستبد به غدده واعضاءه ..

ان التصويت الانساني لغة وكذا الكلام ، وان الانسان المصوت أي الذي هو في طور المصوت فقط هو كائن لغوي وكذا الانسان المتكلم اي هو كائن لغوي .. ولكن الفرق ان الكلام أو الانسان المتكلم فيه أو من ورائه أو فوقه أو أمامه قوة أو جهاز أو سلطان أو قائد يخططه ويخطط له ، ويدبره ويدبر له ، ويضبطه ، ويامره وينهاه ، ويرى له ويوجهه ويطلقه . ان الكلام أو المتكلم اي في مستواه الاعلى أو المفترض محكوم ومحاسب ومضبوط باقوى واتقى واذكى واقسى جهاز وسلطان وقائد موجود أو متصور .. هذا الجهاز أو السلطان أو القائد هو الفكر والمنطق والضمير والاخلاق والموهبة أو الصيغة الانسانية التي ترى وتحاسب وتحاكم وتحتج وتقبل وترفض وتعجب وتشمئز وتحب وتكره وتحاور نفسها كما تحاور كــل شيء ، وتقاسي من محاولاتها الدائمة والشاقة لكي تكون ذكية ومحترمة ومتوقرة ومفهومة ومعقولة .. ان الانسان اي في صيغته العليا المتكلمة المفكرة لا يقاسي مثلما يقاسى لكي يكون مفهوما معقولا ذكيا وقورا محترما مهذبا محاكما محاسبا محاورا لنفسه ولكل شيء ولعلاقاته بالآخرين وبكل الاشياء .

اما التصويت الانساني أو الانسان الذي هو في طور المصوت فقط فليست لديه قيادة تقوده وتوجهه وتحكمه ، ولا سلطان يامره وينهاه ، ولا جهاز يضبطه .. انه خارج على جميع قوانين الضبط والتسيير دون أن يكون شجاعا أو ثائرا او قويا أو متحديا . انه بلا فكر ولا منطق ولا ضمير ولا موهبة أو صيغة انسانية تحكمها كل

هذه الشروط والمزايا والتبعات التي لا بد ان تحكم كل صيغة انسانية اذا كانت قد جاءت في مستواها أو في نموذجها الجيد · انه لغة بلا تفاسير ، أو لغة انسان بلا معاني انسان · انه صيغة انسان بلا نموذج انسان ولا مقاساة انسان ··

اذن فالانسان المصوت والانسان المتكلم كلاهما كائن لغوي ولكن الفرق ان احدهما بلا قيادة وبلا اجهزة ضبط أو توجيه أو اطلاق أو تخطيط ، وبلا اية قيمة أو موهبة أو شروط من أي نوع · ان الفرق أو التفاوت بين كائن لغوي وكائن آخر لغوي يساوي الفرق أو التفاوت بين ادنى مراحل البداوة واعلى مراحل الحضارة ·

لهذا فانه من حيث الصيغة يمكن ان يقال : ان كليهما مصوت أو كليهما متكلم ، ولكن الفرق ان احدهما يصوت أو يتكلم بنموذج أو بقيمة أو بموهبة أو بشروط أو تخطيط وتفكير ، والآخر يصوت أو يتكلم كما يسعل أو يتثاءب أو يحقد ويحسد ويغار ويجوع ويمرض أي بلا أي قيد أو منطق أو تفسير اكثر أو أصعب أو اعمق من ان يفعل ذلك او يفعله ذلك ·· ان الانسان المصوت فقط لا يصنع اصواته ولا يسددها الى اهداف معينة ولكنها تنفجر فيه وعليه وعلى الناس والاشياء وتنطلق كما ينطلق السلاح غير الموجه ·

اذن فالانسان العربي هو كائن مصوت ، بل كائن متكلم أي من حيث الصيغة واللغة ولكن بلا أي قيد أو قدر من القيم أو المواهب أو الشروط أو من الذكاء والتفكير· انه ليس وراء تصويته أو لغته أي مستوى آخر افضل أو أقوى أو أصعب · انه كائن متكلم ولغوى دون أن يفسر بأي تفسير من تفاسير الكلام واللغات · انه يتعامل باللغات والكلام تعاملا لفظيا · ان تعامله هذا خداع للكلام وللغات وعدوان عليهما ··

انه لا توجد اي مراكز للمرور أو للتفتيش ولا اية مسافات أو عوائق أو أجهزة اختبار أو مراجعة او محاسبة بين انفعاله واحتياجه وبين جهاز التصويت أو اللغة فيه ·

انه لا شيء موجود أو محسوب أو محتمل أو مفترض فيه بين ارادته التصويت وبين جهازه المصوت · مع انه لا مكان يجب أن توضع عليه أقوى وأذكى واتقى الحراسات مثل المكان الفاصل بين الانسان وبين تصويته أو كلامه أو بينه وبين ارادته لذلك ·

ان هذا هو التفسير للحكم على العرب بأنهم ظاهرة صوتية ·· وبهذا التفسير هل يمكن الاختلاف على ان العرب ليسوا شيئا اكثر من ذلك أي اكثر من ظاهرة صوتية ؟

اما الانسان أي في مستواه أو في طوره الجيد أو العظيم فان بين ارادته

التصويت أو الكلام وبين جهازه المصوت أو المتكلم أطول واقسى المسافات ، وادقها وأصدق وأشمل مراكز المرور والتفتيش واجهزة الفحص والاختبار والمراجعة ، واضخم واذكى المواهب والعقول ، واكبر العوائق ، واتقى واصعب الشروط ..

ان بين ارادته التصويت أو الكلام وبين جهاز التصويت أو الكلام فيه كل الحضارات والابداع والاخلاق وجميع الكينونات القوية العظيمة الجميلة المهذبة ..

ان كل وجود الانسان الجيد الذكي الخلاق يقع في المسافة الممتدة أو في الطريق الممتد ما بين ارادته التصويت أو الكلام وما بين اداة التصويت أو الكلام فيه . لهذا فانه لا يوجد فراغ مثل فراغ انسان لا يوجد شيء في هذه المسافة الواقعة بين انفعالاته واحتياجاته الى التصويت وبين اداة التصويت فيه ، بين ارادته أن يصوت وأن يفعل التصويت ، بل لا توجد فيه هذه المسافة ...

وهذه المسافة لا توجد في الانسان العربي . لهذا هو كائن مصوت فقط .. لقد سحبت من كينونة الانسان العربي المنطقة الضخمة الطويلة الشاقة الفاصلة بين ارادة الكلام والقدرة على الكلام وبين ممارسة الكلام عند الانسان المتكلم .. ان الانسان العربي ينطلق بلا فاصل أو بلا مسافة بين كونه مريدا للتصويت وبين كونه مصوتا . ان ارادته لهذا تعني وجود هذا بلا اي قيد أو حاجز ..

ان المنطقة الانسانية أي التي تتخلق وتعيش فيها كل مواهب الانسان وحضاراته لم تتكون في الانسان العربي . ويعني بهذه المنطقة الكون الواسع الذي لا بد أن تمر منه وان تعيش فيه كل ارادات الانسان وكل احتياجاته قبل أن تصبح كلاما ولكي تستطيع أن تصبح كلاما . انه لا تعرف اية منطقة في العالم بل في الكون تساوي في قيمتها الحضارية أو الانسانية ما تساويه هذه المنطقة أي الواقعة ما بين ارادة الكلام وفعل الكلام ..

اذن حينما نقول : ان الانسان العربي ظاهرة صوتية نعني بقولنا هذا ان هذه المنطقة الواسعة العظيمة جدا التي يتخلق فيها الكائن المصوت لكي يصبح كائنا متكلما ، لم تتخلق في الانسان العربي .. ان معنى هذا أن الانسان العربي لم يتخلق فيه المكان الذي تتخلق فيه مواهب الانسان المتحضر ...

لهذا فقد جاء أي الانسان العربي صيغة انسان ولم يجيء معاني انسان ، وجاء لغة انسان ولم يجيء كلام انسان ، وجاء احتياجات انسان ولم يجيء مواهب انسان . لقد جاء الانسان العربي نصا انسانيا وقراءة انسانية ولكنه لم يجيء تفسيرا انسانيا .

ولكن لماذا لم تتخلق هذه المنطقة الانسانية في الانسان العربي ؟ ان الاسباب والحكمة في ذلك لا تزال مجهولة ٠ لماذا جاء الانسان العربي كما جاء لا كما ينبغي ؟ لماذا جاء عربيا ولم يجيء حضاريا ، أو لماذا لم يجيء عربيا حضاريا لا عربيا فقط؟ هل يمكن أن يكون لهذا تفسير مقبول مريح ؟ ألا يمكن أن يقال ان هذا نوع من المحاباة الضخمة للعرب ، لأن في حرمانهم من تخلق هذه المنطقة فيهم حماية لهم من مقاساة أشد الاهوال التي لا بد أن يقاسيها كل من تخلقت فيهم هذه المنطقة ، أي كل من اصبحوا متكلمين ملتزمين بكل شروط وتبعات الكائن المتكلم ؟ كم هي اهوال وقيود والتزامات ومخاوف ومحاسبات الكائن المتكلماي المفكر التي لا يقاسي شيئا منها بل ولا يعرف شيئا منها الكائن المصوت ؟

او ألا يحتمل ان تكون هناك قوى كونية غيبية آلهية هائلة ، كل اهتماماتها ونضالها وتفكيرها ان تحقد على العرب وتغار وتخاف منهم ، وأن تعاديهم وتوقع بهم ، لهذا دبرت اي هذه القوى حرمانهم من أن تتخلق فيهم هذه المنطقة لكي يظلوا محرومين من المجد والتفوق والكينونة القوية الذكية العظيمة ، ولكي تصبح مواجهاتهم لأعدائهم ومنافسيهم ، لاسرائيل مثلا ، كالمواجهة التي واجهوها بها ـ اي لكي يواجهوا اسرائيل تلك المواجهة بل هذه المواجهة المستمرة التي قيل ان الطبيعة لم تحتقر موهبتها ولم تحتقر مخلوقاتها وفنونها مثلما احتقرتها حينما رأتها اي رأت مواجهة العرب لاسرائيل ، وان الشمس لم تكره الصعود فوق الارض ولم تفكر في الإضراب عن العمل وعن المجيء الا حينما رأت هذه المواجهة ، وان الحشرات في كل تاريخها لم تقم لنفسها أية مهرجانات أو أعياد لتمجد فيها ضخامتها وشجاعتها وقوتها وانتصاراتها وكبرياءها الا حينما شاهدت هذه المواجهة أي مواجهة العرب لاسرائيل ؟ ومما قيل ايضا ان الارض لم تحتقر أو تكره سكانها ، ولم تحتقر او تكره نفسها لأنها مسكونة الا بعد أن فجعت بمشاهدتها للعرب يواجهون اسرائيل كما واجهوها ٠٠!

بل ان اخبارا كثيرة قوية قد تواردت من ارجاء الكون البعيد تقول : انه منذ وقعت المواجهة بين العرب واسرائيل والآله ، بعد ان رأى كيف مارس العرب هذه المواجهة ، يعاني أزمة رهيبة مع نفسه ومع كرامته ومجده ومع اعوانه ومستشاريه ٠

تقول هذه الاخبار : ان الاله في كل تاريخه الرهيب الحزين المشحون بالازمات والالام والورطات لم يعان من شيء مثلما عانى من ازمته هذه ، اذن كيف يتصرف ؟٠٠ هو ـ اي الاله ـ يريد ان ينكر انه هو الخالق للكون وللبشر ، لانه لا يطيق ان يكون هو المسؤول عن هذا العار ، عار مواجهة العرب لاسرائيل ٠٠ لا

يطيق ان يكون خالقا لكائنات ضعيفة وبليدة كل هذا الضعف وهذه البلادة ، بل لا يطيق ان يكون خالقا لكون بعضه هذه الكائنات أو تعيش فيه هذه الكائنات اي الكائنات التي واجهت اسرائيل بعد أن زعمت انها هي العرب ، بل بعد ان لبست جلود ووجوه وازياء العرب وتكلمت لغتهم ، بل بعد أن قرأها وفسرها ورآها وفهمها كل العالم بانها هي العرب ، كل العرب ..

ولكن هل صحيح ان الذين واجهوا اسرائيل ولا يزالون يواجهونها هم العرب الذين ذكرهم التاريخ ؟ هل يمكن تصور هذا ؟.. وهو أي الاله يريد ايضا أن يتخلى عن وظيفة الخلق ويتوب منها نادما معتذرا مقهورا بكل مشاعر الاستحياء ، لأنه قد أصبح يحتقر جدا وظيفة الخلق والخالقية ، بعد ان رأى كيف واجه العرب اسرائيل وهم اي العرب انما وجدوا وجاءوا كما يقال باسلوب الخلق لهم . نعم ، هل يقبل أي الـه ان يكون خالقا بعد أن رأى العرب المزعومين مخلوقين يواجهون اسرائيل ؟ انها لأقسى ورطة ..

اجل ، أي عار يمكن أن يصيب من قد يكون خالقا ؟ أليس ممكنا أن يقع أي خالق في العار الذي وقع فيه خالق القوم الذين واجهوا اسرائيل .. الذين واجهوا اسرائيل بعضلاتهم وعقولهم واخلاقهم ومزاعمهم ومفاخراتهم ودعاياتهم المهينة لكل الغباء بغبائها ؟

وهو أيضا أي الالـه يريد لهذه الاسباب ولقاساته من هذه الازمة ان يهرب الى مكان مجهول ليعيش مع الوحدة والصمت ومع العتاب والعقاب للذات .. وهل يوجد عقاب أوفى للضمير وللعدل مثل عقاب الاله لذاته ؟ وهل وجد من يستحق كل عقاب واقسى عقاب غير الالـه ؟ بل هل وجد من قاسى من العقاب مثل الالـه ؟

ولكن جميع اعوان ومستشارى الالـه ، على ما تقول الاخبار القوية المتواردة من اطراف الكون البعيد ، يعارضون ويقاومون نيات وافكار الالـه هذه ... انهم يريدون منه اي من الالـه أن يغالط ويكابر ضميره وواقعه وان يحول اقبح ذنوبه الى أنبل الصالحات ..

وتقول اخبار اخرى قد تواردت ايضا من اعماق ذلك الكون البعيد : ان اعوان ومستشاري الالـه هؤلاء قد تعلموا من اعوان ومستشاري حكـام العرب وزعمائهم اخلاقهم وضمائرهم ومنطقهم ومشوراتهم . شيء رهيب ان يوجد أي كائن يستطيع أن يتعلم من مستشاري واعوان حكام العرب وزعمائهم شيئا من اخلاقهم أو ذكائهم أو حيائهـم ..

لقد ذهبوا ـ اي مستشارو الاله واعوانه ـ تقليدا واقتداء باعوان ومستشاري حكام وزعماء العرب ـ يهونون عليه أي على الالـه كل شيء يفعله أو يقع فيه ، وكل شيء يفعلونه هم أو يقعون فيه ، أو يشيرون به ويعينون عليه ٠٠ لقد ذهبوا كما تقول هذه الاخبار المتواردة يهونون كل العار والاخطاء والحماقات والبلادات والتفاهات التي تقع ويفسرونها احمل واتقى التفاسير ، بل ويحولونها الى أضخم وأشهر وآصل الامجاد والحضارات والانسانيات ، مثلما يفعل مستشارو وحكام العرب وزعمائهم وبفعل جميع اعوانهم ومن حولهم ، حينما يذهبون يهونون عليهم أي على حكامهم وزعمائهم العرب بل ويزينون لهم ان يكونوا كل البلادة والفساد والتخلف والظلم والبداوة والنذالة ، زاعمين لهم انهم كل الذكاء والاستقامة والعدل والتقدم وكل الحضارة والشهامة ٠ نعم ، هل توجد قصة أو علاقة كذب وغباء وهوان وخداع وفساد مثل القصة أو العلاقة التي بين حكام ورؤساء العرب واعوانهم ؟

ولهذا يقال هنا : انه لولا المستشارون والاعوان العرب العاملون في خدمة طغيان وجهالات الحكام والزعماء العرب ، لما استطاع اعوان الالـه ومستشاروه وجميع العاملين في اجهزته ان يعرفوا اخلاقهم أو أن يجرؤوا عليها ٠ وحينئذ لن يذهبوا يشيرون على الالـه أو يتعاونون معه أو يطيعونه أو يزينون له الاخطاء والحماقات والمظالم بالاسلوب الذي به يفعلون اليوم ومنذ الازل والى الابد فيما يقال أو يظن ٠ ولكن اية قوة كونية عبقرية في قدرتها على صياغة الخبث والنذالة وعلى ارادتهما علمت وصاغت اعوان ومستشاري حكام وزعماء العرب كما علمتهم وصاغتهم ؟

ما الذي كان يمكن أو يتوقع أن يحدث لو ان هؤلاء المستشارين والاعوان للالـه لم يعرفوا اخلاقهم وضمائرهم هذه التي تعلموها من اعوان ومن مستشاري الحكام والزعماء العرب ، أو لو أنهم لم يجرؤوا على التعامل مع الالـه بها ، فلم يتعود اي الالـه حينئذ على تقبل واستساغة ما يفعل وما يجد ؟ لقد كان بعيدا عن كل قفزات الظنون والتصورات ان يتقبل الالـه ما اصبح لا يتقبل شيئا سواه ٠٠

انه ليوجد حينئذ احتمالان ٠٠ احدهما ان يجيء الالـه في ممارساته لأعماله ولنياته ولنفسه ومع نفسه اذكى واتقى وارحم واعظم شهامة وعدالة وكرامة ٠ وهل جاء كائن مثل الالـه في خروجه على كل ضروب الشهامة والرحمة والعدل والكرامة والذكاء والتقوى ؟

انه حينئذ لن يجرؤ أو يقبل ان يجيء أو يكون كما كان وكما جاء ٠٠ انه لن يقبل أو يجرؤ ان يجيء بلا شبيه في قبح ووحشية ونذالة الصيغة أو الذات التي جاء بها ٠٠ انه لا بد حينئذ أن يرى نفسه ويرى افعاله رؤية اخرى ،

رؤية لن تجعله يغفر أو يطيق شيئا مما يرى أو يقع أو مما يفعل ويريد ويدبر ، أي لولا ان هؤلاء الاعوان والمستشارين كانوا حوله يزينون له كل ما يرى ويقع ويصنع ، بل ويحرضونه عليه ، بل ويرونه له اجمل رؤية ، مفسرين لـه انبـل التفاسيـر ، مقتدين بما يفعله الاعوان والمستشارون العرب المجذدون لخدمة السلاطين العرب ، ومتعلمين منهم ذلك ٠ انه لا بد ان يجيء كل شيء نقيض ما جـاء اذا كـان هـذا الاحتمال هو الذي سيكون قدر الالـه وورطته المحتومة ٠

الاحتمال الثاني ان يرفض الاله نفسه ويرفض كينونته وكل كينونة اخـرى يراها أو يعلمها أو يفعلها ٠ وسيكون هذا الرفض بأحد اسلوبين : أما أن ينتحر وأما أن يهرب الى مكان بعيد مجهول بحيث لا يستطيع أن يرى أو يسمع أو يعلم شيئا أو يشعر باي شيء أو يكون مسؤولا عن شيء أو متهما بشيء ٠ كيف لـم يرفض الالـه نفسه وكل كينونة من كينوناته ؟ كيف اعجب بنفسه أو بما صنع او بمـا شاهد ويشاهد ؟ هل يوجد شيء يصدم المنطق والأخلاق مثل تقبل الالـه لنفسه ؟

اذن فالعرب هم المسؤولون عن مجيء الكون وجميع الاشياء والأحداث بالصيغ التي جاءت والتي تجيء بها لأنهم هم المسؤولون عن أخلاق وعن ضمائر اعوان الالـه ومستشاريه ، ولان اخلاق وضمائر هؤلاء الاعوان والمستشارين للالـه هي المسؤولة عن اخلاق الالـه وعن ضميره وعن كل صيغه في نفسه وصيغه في اعمالـه ، ولأن اخلاق الالـه وضميره وصيغه النفسية والفكرية هي المسؤولة عـن مجيء الكـون وللاشياء والاحداث ان تجيء كما جاءت ٠٠

رهيبة هي الصيغ النفسية والفكرية والاخلاقية التـي ارادت ودبرت للكـون وللاشساء والاحداث ا نتجيء كما جاءت ٠٠

ولكن هل هذا أعظم مجد للعرب أم اعظم عار واعظم اثم لهم ؟

اعني كونهم باسلوب غير مباشر هم الذين علـموا الالـه ان يصوغ اخلاقه وضميره وافكاره كما صاغها ٠٠

ان العرب لا يفعلون ولا يملكون أو يقبلون الا الاعظم ، أي الا ما جاء في صيغة « افعل » ٠ لهذا فالمفروض ان يكون تعليمهم للالـه نفسه وصيغه هو اعظم مجد لهم أو اعظم اثم واعظم عار ٠ انهم لا بد ان يكونوا اعظم اما في هذا او في نقيضه ٠ انهم دائما صيغة « أفعل » ٠

ان لهم أما اعظم الامجاد والحضارات والحروب والانتصارات والعقول والاخلاق والكرم والحب ، بل واعظم الآلهة والانبياء والنبوات والاديان والخلفاء والسلاطين ، بل وأعظم البلاد والمناخات والشموس والانهار والبحار ٠٠ واما اعظم نقائض ذلك ٠

حتى الالـه والنبي والكتاب المنزل العربي ، هل يقبل العرب الا يكون هو اعظم في كل شيء من كل آلهة وانبياء وكل كتب كل الاخرين ؟

لقد فرضت الاقدار عليهم وفرضوا على أنفسهم وتقبلوا لها ألا يجيئوا الا صيغة « أفعل » ..

انه لا احد ولا شعب في العالم يملك ويعيش ويحتكر وحده صيغة « أفعل » غير العرب أو مثل العرب ·

وقد حول العرب قدرهم هذا ، أي ان يكونوا دائما « أفعل » الى وحي انزلـوه على احد شعرائهم الكبار ليصوغه نصا شهيرا مثيرا يحفظ ويروى ويغنى ، دون أن يوجد من يرفضه أو يستنكره أو من يراه غرورا أو جنونا ، أو من يحسبه يعني قوما آخرين موجودين في عالم آخر بعيد جدا ، أو يعني قوما آخرين لـم يوجدوا ولن يوجدوا ، بل دون ان يوجد من يحسبه يسخر ويهجو ويبالغ فـي الـذم والتحقير والاستهزاء ، بل دون أن يوجد من يفتش في ذاته أو ينظر في مرآته أو يقرأ تاريخه وتاريخ آبائه حينما يسمع هذا الوحي الذي صيغ شعرا شهيرا مثيرا ، ليعرف هل هو حقا كما قيل عنه وله وفيه ، بل دون أن يوجد من يبكي أو يهرب من هذا العالم حينما يسمع هذا الذي قاله الشاعر العربي الكبير ، خجلا وفرارا من العار ومن العيون المفجوعة المتطلعة اليه لترى مقاساته وحدوده وحجمه ، محاكما محاسبا موزونا بمـا قاله هذا الشاعر الذي تحول قوله هذا الى نص موحي منزل يتلى ويحفظ ويفسر كما يصنع بآيات الكتاب المقدس · كيف امكن أن يوجد من يقول مثل هذا أو من يقرأوه أو يسمعه أو يرويه ؟

كيف لم تغلق أو تمت كل العيون والاذان والافواه خوفا من أن تقرأه أو تسمعه أو ترويه ؟

نعم ، لقد قال ذلك الشاعر العربي مقررا ومخلدا لقومه العرب هذه « الافعلية » :

« وانا اناس لا توسط بيننا ..
لنا الصدر دون العالمين أو القبر »

هل يستطاع تصور ذكاء أو حياء أو رؤية هـذا الشاعر لنفسه أو للاشياء أو ضبطه بأي مقاييس أو حسابات حينما قال ذلك ؟ هل يحتمل انه كان يعتقد انـه كان يقول شيئا يجوز أن يقال أو يسمع أو يروى أو يصدق ؟ اين كان حينما قال ذلك ؟ ومن كان يخاطب ؟ وفي أية حالة نفسية وعقلية كان حينما قاله ؟

وليس هذا فقط ، اي ليست القضية هـي فقط ان العرب يملكـون ويعيشون ويحتكرون وحدهم صيغة « أفعل » .. ويجب الا يصدم القارىء حينما يجدني عربيا

وفيا لعروبتي في استعمالي لصيغة « افعل » هذه · الست استعملها للتدليل على عروبتي ؟

بل ان اللغة العربية مصابة بمرض « أفعل » · اذن فللعربي مزيتان : لا يحيا الاشياء أو يقبلها أو يملكها الا بصيغة افعل ، ولغته لا تتحدث أو تتعامل الا بصيغة افعل ·

انها تعشق دائما ان تكون تعبيراتها واحكامها مصوغة بصيغة « افعل » ·· ان اصدق وادق تعريف وتحديد للغة العربية : ان يقال انها هي لغة « أفعل » ·· هي دائما تريد أن تقول : اذكى واعلم واقوى واتقى واعدل واكرم واشجع واكبر واعز وامجد واضخم ، وهكذا ، حيث تحدثت وعن أي شيء تتحدث ·· وكذلك أيضا تعشق صيغة « أفعل » كل هذا العشق مستعملة لها في المعنى المناقض ·

ان الرغبة في استعمال كلمة افعل والتسرع الى استعمالها يعنيان ضيق الرؤية والخيال وضيق التجربة والمجال والكينونة والطموح ·· ويعنيان ايضا الانفلات من الالتزام بأوامر العدل والصدق والنزاهة والتقوى وعمق التفكير ، كما يعنيان اشمل اساليب النزق والطيش ··

انهما يعنيان الانفلات من كل رقابة عقلية أو اخلاقية أو نفسية أو لغوية ، من كل رقابة على العقل أو على الاخلاق أو على العواطف أو على الخيال او اللغة ، كيف يجرؤ من له مستوى من الذكاء والصدق والرؤية والاحترام للنفس وللتعبير ان يستعمل كلمة أفعل ؟ كيف أمكن ان تشيع صيغة أفعل في أية لغة من اللغات ؟ ان شيوع هذه الصيغة في أية لغة اعلان عن تخلف اهلها ·

بماذا يمكن ان يفسر من يقول عن انسان أو شعب أو مجتمع أو تاريخ أو بلد أو عن دين أو نبي أو آله أو كتاب ، أو عن وجه او خلق او عقل او عن اي شيء : أنه هو الاعظم أو الاذكى أو الاقوى أو الانفع أو الاصدق أو الاتقى أو الابقى أو الاسخى أو الاشجع ، وهكذا ؟

بماذا يمكن ان يفسر أو يفهم من يصر على ان يستعمل دائما هذا « الافعل » حينما يتحدث عن كل هذا بل وعن اي شيء آخر ، بل من يجد نفسه مندفعا الى استعمال هذا « الافعل » بلا تدبير أو تفكير أو اختيار أو مقاساة ، بل وبلا تخوف من ان يكون نزقا أو مبالغا أو مخطئا او متهما بأي شيء غير جيد ؟

كيف يمكن ان يكون تفسير مثل هذا الانسان : تفسيره العقلي أو النفسي أو الاخلاقي أو الثقافي ؟

أليس محتوما أن يكون من التفاسير لهذا الانسان أنـه سخيـف أو كـذاب أو جاهل أو بليد أو أعمى الخيال والرؤية والتجربة جدا ، أو أنـه بـلا أي قدر من التقوى أو الوقار أو الشرف أو المحاسبة للنفس ، أو انه مقتنع بانه لن يحسب قائـلا أو مريدا شيئا مهما قال ، وبأنـه لـن يستمع اليه بأي تفسير مـن تفاسير الاستماع ـ أو أنه أي هذا الانسان هو كـل ذلك ، أي كل هذه التفاسير ؟

ولعـل من التفاسير لذلك ان من يفعله لا بد أن يكون عربـيا والعربي لا يـرى ان الاشيـاء تساوي ذاتهـا او حجمهـا او حقيقتهـا او قيمتهـا او رؤيتهـا أو تفسيرها بـل تساوي اللغة التي تنطقها · واللغة عنده ليست صدقـا أو رؤيـة أو تفسيرا بـل فصاحة واسلوب ··· اللغة عنده تعبيـر لا تفسير ، نطـق وقراءة لا محاسبـة ولا واقـع ·

ان الانسان الحذر الصادق العادل الواسع الخيال والرؤية والتجربـة والمجـال والتفكير والمحاسب المحاكم المحترم لنفسه ولاحكامه ، والمقتنع بأنه لا بـد أن يكون مسموعا ومقروءا ومسؤولا ومساءلا ومحكوما عليه بذاته ، بما يقول ويستطيع ويعرف ويعلن ويبدو ـ بأنه لا بـد ان يكون مرئيا ومفسرا بقسوة وبصدق واهتمام ـ أليس أكثر الناس يتكلمون وكأنهم مقتنعون انهم لـن يكونوا مرئييـن أو مقروئيـن أو مفسريـن أو محاسبيـن ـ ·

ـ نعم ، ان مثل هذا الانسان لا بد ان يقاسي ويرهب قبل ان يطلق كلمة «أفعل» ·· كيف يتصور او يجرؤ على ان ينطق بان رجلا هو اشجع او أكرم او أذكى الرجال، أو بان وجها هـو أجمل الوجوه ، أو بان كتابا هـو اعظم الكتب ، أو بأن آلها أو دينا هو افضل الآلهة والاديان ؟ كيف يجرؤ على مثل هذا ؟

انـه لا بـد ان يحذر حذر من يريد أن يلقى بكـل جسمه وبكل مـا فـي نفسـه ونياته في كل العيون والخيالات والتصورات والنفوس والعقول والظنون ، أو حذر من يريد اطلاق سلاح فتاك على هدف أو عدو يتغطى جسده بأجساد يراد لاصحابها الا يصابوا بأي جرح أو خدش أو باي ازعاج ، بـل تعني إصابتهم بأي شيء من ذلك كـل الخطر والعار والعقاب والعذاب ·· ان مثل هذا الانسان لـن يجـد أو يتصـور شيئا أو احدا يستحق كلمة « أفعل » حتى ولا الآله مهما طغا ايمانه بـه علـى كـل وقاره وذكائه انـه لمحتوم ان تجيء لغة مثل هذا الانسان حذرة من كلمة « افعل » هذه محاذرة لها محاذرتها للفضائح وللتخلف والجهل والسخف والنذالات · ان من يحاذر على استعماله لكلمة أفعل انما يحاذر على ذكائه ووقاره وصدقه وعقله ورؤيته انـه

لافتراض محتوم ان يكون استعمال اي انسان لكلمة « أفعل » مقياسا لذكائه ووقاره وصدقه ولكل تفاسيره الانسانية ٠

أما الذين لا يملكون هذه المزايا التي يملكها مثل هذا الانسان فلا بد أن تجيء لغتهم كما ينتظر ان تجيء أي بلا أي قدر من الوقار أو الذكاء او الصدق او الانضباط ٠ انها لا بد ان تجيء كاللغة العربية ٠

ان اية لغة بلا شروط انما تعني قوما بلا شروط ٠ واي قوم بلا شروط ماذا يساوون ؟

ان اصابة أية لغة بآفة « أفعل » قد تكون مقياسا صحيحا وشاملا لجميع مستويات هذه اللغة العقلية والنفسية والبشرية والاخلاقية والحضارية ٠

واللغة العربية مصابة بهذه الآفة أي بصيغة « افعل » اصابة خطيرة جدا ان اصابتها بهذه الآفة قد تكون تقويما شاملا لكل أخلاقها ومعانيها الاخرى ٠

ولغة أي قوم لا بد ان تكون باسلوب ما تعبيرا عن مستوى القيم الانسانية المختلفة عندهم وعن تصورهم وفهمهم لهذه القيم والتزامهم بها وعن قوتها وقوة سلطانها فيهم وعليهم ٠٠

ان أي قوم يمكن ان يفهموا من لغتهم وأن يفسروا بها ، كما ان اية لغة يمكن ان تفهم بفهم اهلها وان تفسر بتفسيرهم وان تعرف اخلاقها وذكاؤها ووقارها وصدقها بمعرفة اخلاقهم وذكائهم وصدقهم ووقارهم ٠ ان اية لغة هي اصحابها قد جاءوا بصيغة لغة ٠

ان أي قوم قد كانوا ثم ماتوا في التاريخ ليمكن جدا معرفة القيم الانسانية التي كانوا يعيشونها ويفهمونها ويحترمونها ويستطيعونها ، من فكرية ونفسية واخلاقية وحضارية بل وانسانية ، بقراءة ودراسة لغتهم التي قد خلفوها ان كانت لهم لغة قد بقيت من بعدهم ، دون معرفة أي شيء أو الرجوع الى أي شيء عنهم غير لغتهم ٠٠ حتى حينما يكذب ويبالغ أصحاب اللغة لا بد ان تفسرهم لغتهم ؛ تفسر اخلاقهم وذكاءهم وجميع مستوياتهم المختلفة ٠

ولو أن أي أنسان يعرف تفاسير اللغات ودلالاتها قرأ اللغة العربية بمحاكمة ومحاسبة لاستطاع ان يعرف نماذج العرب العقلية والنفسية والاخلاقية ، بل لاستطاع أن يعرف مقدار تدينهم والتزامهم بتدينهم ، ومقدار أحترامهم لدينهم ولآلهتهم وانبيائهم وأوطانهم ولكل قيمهم التي يتحدثون عنها ، ومقدار استمساكهم بها وفهمهم لها ، بل ومقدار احترامهم لانفسهم ولآبائهم وتاريخهم وقبورهم ، ومقدار احترامهم لوجوههم ولعيونهم التي يواجهون ويقاتلون ويشاتمون ويفاخرون

ويبارزون ويهددون بها الاخرين ، والتي يتطلعون اليها في المرايا ، ومقدار خوفهم على مجدها أي على مجد عيونهم ووجوههم وعلى وقارها واستخيائها ونظافتها ، حينما يواجهون بها الآخرين والاشياء ، وحينما يتطلعون اليها أمام مراياهم بارتجاف وتملق ولهفة ٠

ـ نعم ، لاستطاع مثل هذا الانسان ان يعرف كل ذلك عن العرب بقراءته للغتهم، دون ان يعيش بينهم أو يعاملهم أو يلقاهم أو يراهم أو يقرأ أي شيء عنهم ٠ أجل ، أن لغتهم لتفسرهم وتدل عليهم حينما يكذبون ويبالغون ويزورون أقسى مما تفعل بهم ذلك حينما يصدقون ويتوقرون ويتهذبون ٠ ان كذب الانسان ليس تزويرا له بل هو تفسير له وتعريف به ٠

ولو ان أي انسان عايش العرب وغاص في اعماقهم وداخل جلودهم وقرأ كل لغات وتعبيرات وخفقات اعضائهم وغددهم وعضلاتهم وقلوبهم واخلاقهم واهوائهم ومشاعرهم ووجوههم وعيونهم ، دون ان يقرأ أو يسمع حرفا واحدا من لغتهم ، ثم عرضت عليه لغات عديدة يفهمها كلها ويفهم تفاسيرها ودلالاتها ، وكانت اللغة العربية احدى هذه اللغات ، لكان محتوما أن يقف عند اللغة العربية وان يشير الى العرب صارخا قائلا : أيها العرب ، هذه هي لغتكم ، هي كل مستوياتكم ٠٠ خذوها ، خذوها ٠ انها هي انتم ، وانكم انتم لهي ٠ خذوها ، خذوها ايها العرب فانها لن تجيء على مقاس غيركم وانكم لن تجيئوا على مقاس غيرها ٠

ولو أن هذا الانسان الذي عايش العرب وعرفهم بهذا الاسلوب والعمق كان قاضيا فتقدمت اليه شعوب كثيرة كلها تدعى لاسباب عديدة مختلفة ، امتلاكها للغة العربية وكان العرب بين هذه الشعوب المدعية أمتلاكها اللغة العربية لكان محتوما أن يحكم بها للعرب دون ان يعاني من عقله أو أخلاقه أو ضميره ، خيفة ان يكون قد اخطأ ٠ نعم ، ان جميع اكاذيب العرب ومنبرياتهم ومصاهلاتهم لم تستطع ان تتحول الى تزوير اهم خادع بهم بل لقد تحولت الى تفسير فاضح معر لهم فاجع بهم ٠٠

ولو كان ايضا هذا الانسان عبقريا في ابتكار اللغات ووضعها مفسرة وملائمة لمن يضعها لهم ، فأراد ان يضع للعرب لغة تفسرهم وتلائمهم ، وكان قد عرفهم وقرأهم وفسرهم بالاسلوب والعمق المذكورين السابق وصفهما ، لكان محتوما أن يبتكر ويضع لهم اللغة العربية ، ولما كان محتملا ان يضع لهم غيرها ٠٠٠ أي بالاسلوب الذي تختار وتوضع به صيغة الثوب على البدن ٠٠

ولـو أنـه أي هذا الانسان قـرأ اللغة العربية وعرفها جيدا ، وكان خالقا ، فقيل لـه أخلق شعبا على مستوى هذه اللغة أي اللغة العربية لكـان محتومـا ان يخلـق الشعوب العربية ٠ ان الشعوب العربية نموذج للغتها بقدر مـا لغتها نموذج لهـا ٠ ان التشابه أو التماثل بينهما مثـل التشابـه والتماثل بيـن الشيء وصورتـه ٠٠ أنـه بقدر مـا تعرف الصورة بصاحبها ويعرف صاحبها بها يعرف العـرب بلغتهـم وتعـرف لغتهـم بهـم ٠٠

ولـو أن حدثا كونيا خارقا عـزل جميع الشعوب عن لغاتها أو انساها اياهـا ، فانشئت هيئـة كونية من الخبراء العدول الاتقياء ليردوا الـى كـل شعـب لغتـه بدراستهم لخصائص الشعوب وخصائص اللغات لكان محتوما ان يردوا الى الشعـب العربي لغته العربية دون أى خطأ أو خوف من الخطأ أو توقع للخطـأ مهمـا كانـت احتمالات اخطائهم في توزيع اللغات الاخرى على اصحابها الآخرين ٠ أليس احتمـال الخطأ في توزيع الرؤوس المقطوعة على ابدانها أكثر من احتمال الخطأ في معرفة اللغة العربية بمعرفة العرب أو في معرفة العرب بمعرفة اللغة العربية ؟

ولـو ان العرب كانوا بـلا لغـة أو لـو أنهم باسلوب خارق غيـر معروف نسوا لغتهم ، ثـم عرضت عليهم جميع اللغات ليختاروا منها مـا يلائم نماذجهم البشرية والانسانية المختلفة ومواهبهم الذهنية والنفسية لمـا كان محتملا ان يختاروا لغـة غيـر اللغة للعربية ، أي بعد أن يجربوا ويدرسوا أخلاق ومواهـب كـل لغـة ، أي بافتراض ذلك شيئا ممكنا ومستطاعا ٠ أليس احتمالات الخطأ في ان يعرف اصحاب الوجوه وجوههم أي مخلوطة بالوجوه الاخرى اكثر من احتمالات الخطأ في ان يعـرف العرب لغتهم أي لو نسوها أو قبل ان يتكلموها، مدسوسة بين جميع اللغات العالمية ؟

ان اللغة كائن حـي متحرك متنوع متشكل ٠ انها كائن انساني اخلاقي فكـري نفسي ٠ ان كـل معاني الانسان وقيمه وقدراته وحساباته تشترك في صياغتها ٠٠ ان مواهب الانسان ومعارفه وقدراته تصوغ كـل اساليب حياته ، بقدر ذلك تصوغ كـل معانيـه كـل لغاتـه ٠٠

ان ذكاءه يصوغها كمـا يصوغها صدقه ووقاره وحياؤه وتهذيبه وعدله وكرامته وشهامته واحترامه لنفسـه ولكـل مواجهاتـه ومعاملاته وممارساته ونياتـه ٠ ان الانسان لا يضع لغته بصوته أو بفمه واذنيه ولا يستعملها بذلك فقـط بـل وبعقله واخلاقه وبكل مستوياته النفسية والانسانية ٠٠٠

واللغة التي تطلق صيغة « أفعل » بكل هذا الشمول والديمومة والسخاء والفوضى على كـل شيءوكـل أحـد ، وعلى كـل مـا ليس شيئا ومـا ليس أحدا ، معلنة أنـه

هـو أعظم أو أعلم أو أكرم أو أكبر او اشرف او اذكى أو اقوى أو اجمل أو آصل او انفع او انظف من كـل شيء ومنكـل احد ، من كـل مـا كان وكـل مـا هـو كائـن وكـل مـا سوف يكون أو قـد يكون ، بـل ومن كل مـا لن يكون ٠

ـ نعم ، اللغة التي تبيح وتؤدي نفسها بهذا الاسلوب الفاضح المفضوح الاعمى ، كيف يمكن ان يكون ذكاؤها أو اخلاقها أوكرامتها أو طموحها أو تجاربها أو مجالاتها أو مناخها ، أو كيف يمكن ان يكون اصحابها ، واضعوها ومتكلموها ومعلموهـا ومحترموها والمعجبون بها؟٠٠ ولكن ألست بهذا أنسى الفكرة العامة التي أريد تقريرها وهـي ان العرب مصوتون فقـط فهـم اذا كانوا أصواتا فقـط لا كلاما ولا تفكيرا فان استعمالهم لصيغة أفعل لـن يعني شيئا ؟

خامسـا :

تصويت العرب ليس هـو سبب عجزهم بـل هـو معنى عجزهم أو التعبير عـن عجزهم ٠ كمـا ان تصويت الكائنات الاخرى التي هـي دون الانسان ليس هو الذي جعلها عاجزة عن أن تكون أكثر من مصوتة ، أي عن ان تكون متكلمة ومفكرة وشاعرة وكاتبة وفنانة ومعلمة للاديان والاكاذيب ومعادية محاربة باسـم الآلهـة والزعمـاء والعقائد والمذاهب ومنتصرة على اعدائها ومستغليها ومسخريها وعلى الانسان ، وعن سبق الانسان في الصعود الى القمر ، وعن ان تختارها الآلهة لتجعل منها الانبيـاء ولتنزل عليها الكتب المقدسة بـدل الانسان ٠٠ نعم ، ليس هذا سبب هذا ٠

ان قطع نصف الطريق والصعود الى منتصف السلالم ليسا هما السبب في العجز عـن قطع كـل الطريق وعن الصعود الى أعلى السلالم ٠٠

ان سيرنا على الاقدام ليس هو الذي جعلنا عاجزين عن الطيران باجنحة ذاتية ٠

ان حمل اليـد لبعض الحمل المطلوب حمله وقدرتها على حمله ليسا هما اللذيـن جعلاها لا تحمل ولا تستطيع ان تحمل كـل الحمل المراد حمله ٠٠

ان بلوغنا طور الانسان ليس هـو الذي منعنا من بلوغ طور الآله الذي نتحدث عنـه ولا نجـده ٠٠

ان قدرتنا على ان نرى ونسمع من مسافة معينة ليست هـي التـي جعلتـنا لا نستطيع ان نرى أو نسمع من مسافة أطول ٠ ان بلوغ الكائن طور صيغة الانسان أو طور نصف الانسان ليس هـو الذي منعه من بلوغ معنى الانسان أو من بلغ طور كل الانسـان ٠

ان التصويت او بلوغ طور التصويت أو القدرة على التصويت سير في نصف أو

في بعض طريق التطور · والسير في نصف طريق التطور أو في مراحل منه ليس سببا ولن يكون سببا في العجز عن السير في كل طريق التطور أو في قطع جميع مراحل التطور ، كما لن يتحول هذا السير في بعض مراحل التطور الى رغبة في السائر عن السير في كل طريق التطور وعن قطع كل مراحل هذا التطور المفترض أو المنشود · ان السير حافيا أو عاريا ليس هو السبب ولن يكون سببا في العجز عن امتلاك الملابس والنعال · وان ممارسة الوقاحة والغباء لن تكون سببا في العجز عن التهذيب وعن الذكاء ··

ولكن دعاتنا ومعلمينا ومفكرينا الاذكياء المخلصين جدا مقتنعون برأي آخر مناقض · انهم يرون ويعلنون ان اصوات العرب أو ممارستهم لاصواتهم أو كثرة تصويتهم قد استهلكت أو استنفدت منهم كل معاني ومصادر الطاقة فيهم ، بكل أنواعها الفكرية والنفسية والاخلاقية والحضارية بل والعضلية · نعم ، لقد استهلكت اصواتهم أو ممارستهم لاصواتهم أو كثرة تصويتهم كل معاني ومصادر الطاقة الانسانية فيهم التي كان يجب أو يفترض ان تتحول الى افكار واخلاق والى قوة وانتصار والى كل اساليب الابداع والخلق والتفوق والجمال والوقار ، او انها اي الاصوات وممارستها وكثرتها قد تحولت الى بديل عن ذلك والى تعبير زائف وصغير وهمجي عنه · أي لقد كان من الممكن أو من المحتوم ان يعبروا عن الطاقة الانسانية الكامنة فيهم تعبيرا قويا وذكيا لو لم يعبروا عنها تعبيرا ضعيفا غبيا ·

ان هؤلاء الدعاة والمفكرين والمعلمين وامثالهم من الوعاظ الغيري يرون ان العرب لو صمتوا ولم يقولوا بكل هذا الضجيج المستمر المحبط لكل احتمالات الذكاء والوقار : سنحارب وسننتصر وسنذل جميع الاعداء والخصوم والانداد والمنافسين - سنؤدبهم حتى يتعلم التاريخ من تأديبنا لهم كيف يكون التأديب العبقري ·· سنسبق كل العالم ونتفوق عليه ونكون فيه كل الاعزة الاقوياء · سنهبه ونعلمه كل الحضارات والمعارف والاخلاق والتقوى والضمير والحب والوضوء الروحي والنفسي والبدني ·· وأيضا سنهبه اي نهب كل العالم ونعلمه كل الارباب والنبوات والاديان وكل الآيات والاناجيل والاسفار ، وايضا كل البلاغة والشعر والفلسفة والفنون · وايضا كل الزعامات والقيادات التي تقود الى مجد العبور او الى مجد الغرور والثبور والشرور والقبور ·

سنعلم ونهب كل العالم كل ذلك في الحاضر والمستقبل كما علمناه ووهبناه كل ذلك في الماضي · سنكون وحدنا كل القمة وفوق كل القمة في الحاضر

والمستقبل ، كما كنا كل ذلك في كل الماضي ، في كل القبور ، كما تقول جميع روايات القبور عن القبور ..

سنكون ونكون حتى نجعل كل الناس بل وكل غير الناس يسلمونَ ويستعربون سنجعل العروبة والاسلام هما كل القوميات والاديان لكل الناس ولكل غير الناس ايضا ..

حتى الابالسة سنجعلهم يسلمون ويستعربون ويحفظون أسماء خلفائنا الراشدين ويعرفون عدد أزواجهم وجواريهم واسماءهن وكم عدد المطلقات منهن واسباب طلاقهن ، وكم عدد العربيات منهن والاجنبيات ، والى كم جنسية ينتمين . ختما سنجعل كل الناس وكل من ليسوا ناسا يسلمون ويستعربون ويحفظون أسماء جميع سلاطيننا واسماء جميع جواريهم وعبيدهم الملونين ..

سنجعل كل الناس بل وكل الابالسة يحفظون القرآن ويتدارسون تفاسيره ويعرفون ويعترفون انهم قد أخذوا منه أي من القرآن كل ما لديهم من حضارات وعلوم ورخاء وذكاء وكبرياء بل وكل ما عندهم من تسامح وحريات تبيح بل وتشرع وتحمي كل تفكير وكل تطاول فكري ، حتى الالحاد والزندقات والجرأة على الأرباب والاديان وعلى كل المقدسات الموروثة . نعم ، حتى صناعة الابناء والعلاقات الجنسية هل عرفوها الا منا ، من كتابنا المقدس ؟

سنجعل كل هؤلاء يعرفون ويعترفون ان كل ما عندهم من تسامح وحريات تبيح بل وتحمي وتشرع كل الزندقات وكل الرفض لكل المقدسات ، انما تعلموه من القرآن . نعم ، لقد تعلموا من القرآن كل شيء ، حتى رفضه أي رفض القرآن لقد تعلموه من نفس القرآن . لانهم قد تعلموا منه كل الحرية ، والحرية لا بد ان تتحول الى رفض وانكار حتى لمن علمها ولو أحيانا . ان الحرية لا يمكن ان تكون موالية دائما لمن علمها . ان من علم الحرية ثم فرض عليها الولاء الدائم له فلن يكون محترما للحرية أو مؤمنا بها .

سنجعلهم يقتنعون ان كل ما عندهم ، حتى الزندقات ، انما استوهبوه من القرآن العربي . حتى الرفض للاديان وللقرآن انما وهبهم وعلمهم اياه القرآن لانه هو الذي وهبهم وعلمهم التسامح والحرية اللذين يبيحان بل ويحميان ويشرعان كل مغامرات وغزوات وتحديات الفكر .. والفكر الغازي المغامر المتحدي لن يظل صديقا او تابعا مأمونا أو دائما لاي شيء . ان من وضع السلاح في يد الفكر فلن يأمن من ان يكون قتيله ..

أليس الكتاب المقدس بل وغير المقدس الذي يبيح ويحمي الحرية الفكرية بلا أي قيد من خارج الفكر ، ويبيح ويحمي التعبير عن هذه الحرية ، انما يبيح ويحمي الرفض لهذا الكتاب المقدس أو الكتاب الذي ليس مقدسا ، كما يبيح ويحمي اعلان هذا الرفض أو الكفر به ؟ أليس من يرفض الخروج على القرآن أو يرفض الكفر به دفاعا عنه واحتراما له انما يعلن بذلك ان القرآن يقاوم ويعادي الحرية ويعاقب عليها ؟

أليس الدين أو النظام الذي يعلن الحرية العقلية ويبارك ويمجد التعبير عن هذه الحرية وممارستها ، انما يعلن ويبارك ويمجد رفضه بل واعلان رفضه ؟ ان معنى هذا ان اي دين أو نظام يعاقب الخروج عليه أو يرفضه أو ينكره أنما هو دين أو مذهب يرفض وينكر الحرية ويعاقب عليها ، على ممارستها والايمان بها ٠

وايضا سنكون أول من يغزو ويسكن ويزرع ويمدن الشموس ، كما كنا أول من غزا وسكن واكتشف وخاطب السماء ، وأول من صافح وجالس وساكن آلهتها وسكانها ، وتعلم لغتهم وعلمهم لغته ٠٠

هل وجد من تكلم لغة الآلهة وعاش في ضميرها ، او من تكلمت الآلهة لغته وعاشت في ضميره مثلنا او غيرنا ؟ هل تعلمت الآلهة الكلام الا لكي تخاطب العرب او تعلم العرب الكلام الا لكي يخاطبوا الآلهة ؟

اجل ، ان دعاتنا ومفكرينا ومعلمينا وسائر وعاظنا المحسوبين أذكياء وحكماء جدا ليقولون ويعتقدون ان العرب لو صمتوا أو أصيبوا بالخرس أو بالاستحياء والوقار فلم ينطقوا ويصوتوا بمزاعمهم هذه لكان ممكنا او محتوما ان يقفزوا الى هذا الذي يزعمون انهم سوف يصنعونه ويحققونه ، وللذي زعموا انهم كانوا قد صنعوه وحققوه في تاريخهم المقروء ـ او لكان ممكنا أو محتوما أن يصبحوا أكبر واعظم واذكى في كل صيغهم وكينوناتهم مما نجدهم ويجدون انفسهم ومما يجدهم اعداؤهم ومنافسوهم والشامتون بهم الحاقدون عليهم ، الخائفون من احتمالاتهم ومواهبهم الضخمة التي لا تساويها أو تباريها أية احتمالات أو مواهب اخرى ٠

وهذا التفكير أو الاقتناع أو الاعتقاد ، كم هو سهل وبسيط ومحزن ٠٠ قوم تخلفهم وعجزهم يصنعان الرثاء والدموع والحسرة والذهول والعجز عن الفهم في كل القلوب والعيون والضمائر والعقول يستطيعون أن يقفزوا فوق ووراء جميع أسوار وحدود عجزهم وتخلفهم وان يصرعوا جميع حراس عجزهم وتخلفهم ، أو يموت هؤلاء الحراس ، لكي يصبحوا أي هؤلاء القوم بقفزة مذهلة مالكين باسلوب الاحتكار والتفرد لكل العبقريات والمزايا ٠٠٠

نعم ، يستطيعون ان يصنعوا كل ذلك أو يصنع لهم كل ذلك دون ان يصنعوه هم أو يصنعوا أي شيء غيره · بماذا يستطيعون ان يصنعوا أو يصنع لهم كل هذا ؟ بلا أي شيء عسير أو كبير أو عظيم ··

فقط عليهم ان يخمدوا أو يموتوا ، أن يتحولوا الى صمت ، أو ان يقلوا من الكلام أو من التصويت أو من الاعلان والتحدث عن امجادهم وعبقرياتهم ··

فقط على هذا الذئب او الحيوان ان يترك النباح أو الزئير لكي يتحول الى انسان متكلم مفكر مبدع ··!

غفلة او بساطة يهنأ عليها او يصعق بها أو يحزن لها كل من عرفوا او جربوا أو قاسوا منطق الاشياء وتفاسيرها واخلاقها ونذالة علاقاتها مع نفسها ومع البشر ومع الكائنات الاخرى · نعم ، هل توجد أية نذالة في هذا الكون أو في أي خيال غير نذالة العلاقات بين الاشياء ونفسها وبين الاشياء والاشياء وبين الناس والاشياء؟

قد يكون واقعا معقولا أو واقعا معروفا ومفهوما دون ان يكون معقولا : ان الذين لا يستطيعون ان يفعلوا ما هو اعظم واكبر واذكى واقوى من التصويت لا بد ان يذهبوا يصوتون أو يكثرون من التصويت ، أو يصوتون بلا أي قدر أو اشتراط من الوقار أو الاتزان أو التهذيب أو الذكاء · ولكن المصوتين لو صمتوا أو لو أقلوا من التصويت لن يصبحوا شيئا اذكى او اقوى او اعظم لانهم اقلوا من التصويت او لانهم صمتوا · أن ترك التصويت لن يصبح أو يتخلق قوة أو عبقرية أو تفوقا من اي نوع في ذات المصوت التارك للتصويت أو في مواهبه أو في أي عمل يمارسه أو يخططه ويدبره ··

ان الذي يعجز عن الشيء الاصعب أو الافضل أو الاعلى قد يفعل الاسهل أو الاردأ والادنى · ولكن الذي لا يستطيع الا الادنى والاردأ والاصغر لن يستطيع ان يفعل الاكبر أو الافضل أو الاعلى مهما ترك فعل الذي يستطيعه وهو الاصغر والاردأ والادنى ، أي أن هذا الترك لن يكون صانعا لهذه الاستطاعة ·

ان ترك الاسهل المستطاع لن يصنع القدرة على الاصعب غير المستطاع ··

ان غير الذكي او المفكر أو الشاعر أو الفنان أو المهذب أو غير القوي العضلات او القوي البصر او السمع لن يصبح مفكرا أو ذكيا أو شاعرا أو فنانا أو مهذبا أو قوي العضلات أو الابصار أو السماع لو انه صمت عن الكلام والتصويت أو عن الرؤية والسمع أو عن حمل أي شيء أو عن التفكير أو عن كل ممارسة أخرى ، أو لانه صمت عن ذلك · ان الصمت وكذا الترك لشيء ما لن يتحول الى عبقرية أو الى طاقة حضارية أو ابداعية مهما تحول في ظاهره الى جمال اخلاقي أو نفسي ··

انه لا يمكن ان يتحول الكائن المصوت الى كائن أكبر من مصوت بصمته عن التصويت أو باقلاله من التصويت الا بقدر ما يمكن ان يتحول الوجه الدميم الى وجه جميل لو انه امتنع عن رؤية نفسه في المرآة او لو انه امتنع عن السفور أمام الوجوه الاخرى أو عن منافسة وتحدي الوجوه الاخرى ، أو لو أن حامله صمت فلم يتحدث عن جماله – أو الا بقدر ما يمكن ان يتحول القصير أو الاسود لو الجاهل أو العيي الى طويل أو الى ابيض أو الى عالم أو الى عبقري في النطق والنصاحة لانه قد أصيب بالخرس أو الصمم أو العمى أو الشلل أو باية آفة اخرى ·· ان القدرة أو الموهبة أو العبقرية ليست ان تترك شيئا أو تعجز عنه ولكنها هي أن تستطيع وان تفعل شيئا · أنها ليست تركا بل استطاعة ·
ان العاجز عن المشي قد يحبو او يزحف ولكن تركه الزحف والحبو لن يجعله يمشي ·

اجل ·· ان الصمت قد يتحول الى راحة أو ازاحة أو الى استتار وتهذيب وادب وحياء ووقار ، ولكنه اي الصمت لا يتحول الى عبقرية او قوة او ذكاء او معرفة أو انتصار أو الى طور أعلى من أطوار الكينونة ··

ان الصمت قد يرى أو يقرأ أو يفسر رؤى وقراءات وتفاسير جميلة ، ولكنه لن يصنع أو يهب مستويات كبيرة أو عظيمة أو ذكية · انه قد يكون سلامة ولكنه لن يكون ضخامة ·

ان جميع المتحدثين العرب لو صمتوا صمتا أبديا وشاملا لكان ممكنا ان يكون في ذلك شيء من الستر عليهم ومن التهذيب والحياء فيهم أو من حسبان ذلك ، ومن الرفق بمشاعر الاستهزاء بهم والاشمئزاز منهم ، ولكان ممكنا أيضا ان يكون في ذلك أي في صمت جميع المتحدثين العرب شيء من المحاباة للآذان التي تسمعهم ، وللعيون التي تحدق فيهم وتقرؤهم ، وللعقول والمواهب التي تفكر فيهم ، وللمنطق الذي يحاسبهم ·· انه قد يكون في صمتهم تخفيف وتلطيف من تعذيب وترويع وتفجيع جميع المواجهين لهم المحدقين فيهم · اذن قد يكون صمتهم نبلا ··

ولكن ذلك أي صمتهم لن يخلق فيهم عظمة أو عبقرية أو قوة أو أي شيء اخر جيد · ان في العرب لصامتين جدا ، صامتين استرخاء وكسلا وخمولا وبلادة ، لا وقارا او تهذيبا او تقوى او حذرا عقليا أو اخلاقيا · ان فيهم من لا يفتحون افواههم من الخمول والتبلد والغيبوبة · فهل استطاع صمتهم هذا ان يصنع فيهم شيئا جيدا أو قويا ؟

نعم ، وكما ان ترك الاسهل الاصغر لن يهب القدرة على فعل الاصعب الاكبر أو الرغبة في فعله ، كذلك فان فعل الاصغر والاسهل ليس هو الذي منع تخلق

القدرة على الاصعب الاكبر ، او منع او افسد او اضعف الرغبة في فعل هذا الاصعب الاكبر · أن ممارسة الغباء والبداوة والنذالة والشقاء ليست هي التي منعت تخلق القدرة أو الرغبة على ممارسة الذكاء أو الحضارة أو الشهامة أو الرخاء ·

اذن يا انبياء العروبة وزعماءها ، ويا كتابها وخطباءها ومعلميها : اصمتوا ، اصمتوا تستتروا وتبدوا أقل دمامة وجهلا وعارا وضآلة وايذاء للعيون والعقول والآذان والضمائر · اصمتوا رحمة أو تأثما أو شهامة ··

اصمتوا رفضا للعدوان على من لم يسيئوا اليكم ، وعلى من لا يستحقون اعتداءكم عليهم ··

اصمتوا فان في صمتكم احتراما وراحة ورفقا بكل من يرون ويسمعون ويعقلون ويشمئزون ويحزنون ويحاسون ويشترطون ·

اصمتوا فان انبل واتقى ما تفعلونه وما تستطيعون فعله وما تكرمون به الآخرين ، ان تصمتوا ··

ولكن لا تصمتوا ان كانوا في حسابكم ان يصنع صمتكم منكم شيئا اكبر او اذكى او اتقى ، بل أصمتوا حتى ولو كان هذا هو حسابكم وتفسيركم لقيمة الصمت · اصمتوا تريحوا وتبدوا شيئا أفضل حتى ولو لم يكن لصمتكم اي حساب أو ثمن آخر مما تريدون ·

ويا وعاظ العرب بالصمت ودعاتهم الى الصمت ·· أجل ، عظوهم وادعوهم بكل الحماس والغيرة والصدق وفي كل الاوقات الى ان يموتوا صمتا ان كنتم تريدون ان تستروا عليهم وان تهبوهم في الظاهر شيئا من الجمال والتهذيب والوقار والذكاء ، او از كنتم تخشون ان يروا بكل صورهم ، ويفسروا بكل معانيهم ، ويقرأوا بكل نصوصهم ، بكل قرآنهم وانجيلهم وتوراتهم · نعم ، أفرضوا عليهم كل الصمت كل الاوقات از كنتم تريدون لهم شيئا من الاستتار والوقار ، ان كنتم تخافون عليهم من العيون والعقول أو على العيون والعقول منهم ·· ولكن حذار ان تحدثوهم عن أي معنى من معاني الصمت ان كنتم تؤملون ان يصنع منهم صمتهم انسانا يساعد على التعجيل بغزو المريخ وبسكناه وبعمارته ، أو انسانا يكون أول من يغزوه أو يسكنه أن يعمره بالحضارات والاديان والاخلاق والمواهب العربية ، أو انسانا لا يحتقر او يشتم او يبغض اول من يغزونه اي يغزون المريخ ويسكنونه ويحولونه الى مصنع للحضارات وللقيم الانسانية ··

حذار ان تحدثوهم عن الصمت ان كنتم تؤملون ان يصنع منهم صمتهم انسانا

أكثـر أو أكبـر مـن عربـي ٠٠ بـل افرضوا عليهم الصمت ان استطعتم مهما كانت توقعاتكم لنتائج صمتهم ضالة وغبية وعربية التفكير ٠٠

سادسـا :

وحشية همجية لـم يجرؤ على فعلها اي انسان ولا أي كائن : ان يمنع اي انسان من ان يستفرغ او يقذف او يبصق او يطرح وينظف بدنه أو ذاته من فضلاتهـا وشحناتها الرديئة الوبيلة الكريهة ٠ ان اي دين أو مذهب لـم يجرؤ على ان يمنـع أو يحرم استفراغ الابدان لفضلاتها ولشحناتها البذيئة المهينة لكبرياء الانسان ٠

انـه لـم يحدث ان كائنا مـا منع من ان يفعل ذلك تحت أي تفسير من التفاسير

ان اي آلـه من آلهة التاريخ البدوية لـم يحدث ان وضع فـي قائمة عباداتـه وطلباته وشهواته هذا المنع من هذا القذف ٠ لقـد كان هذا المنع بعيدا عن خيال جميع آلهة التاريخ التي كانت تحتشد في خيالاتها كـل المطالب والشهوات والتشريعـات والاوامر البعيدة عن كل مستويات النظافة أو الشهامة أو الكرامة أو الذكاء أو العـدل أو الجمال أو المحاسبة للنفس ٠ شيء لـم تجرؤ جميع وقاحات آلهة التاريخ علـى ان تطالب بـه أو تتمناه ٠٠ هـل يمكن تصور مـا فيه من تفوق على جميع الوقاحات والقباحـات والذنـوب ؟

ولكن أليس تحريم او منع التصويت اسلوبا اخر من اساليب تحريم او منع هذا القذف ، قذف الذات لفضلاتها وشحناتها الكريهة الوبيلة ؟

اليسا قذفين ذاتيين جاءا باسلوبين مختلفين ولكن بمنطق واحد وحافز واحـد ليصنعا نتيجة واحدة ؟

أليس منـع أو تحريم التصويت اسلوبا من اساليب تحريم ومنع الانفعالات ؟ أليس المصوت كائنا يستفرغ أو يقذف انفعالاته ؟ أليس يقذف بفضلاته النفسية ، مثلما يقذف بدنه بفضلاته الاخرى ؟ أليس النبي أو الزعيم حينما يصرخ شاتما أو مهددا انما يقذف بفضلات وشحنات ذاته الاليمة ـ يقذف بها من فمه من فوق المنبر وفوق مجـد التاريخ وفوق الرؤوس ؟ اليست الفضلات النفسية أو الانفعالية تتكون وتتجمع ثم تحتاج الى القذف مثلما تتكون وتتجمع الفضلات البدنية ومثلما تحتاج الى القذف ؟ اليست ذات الانسان حشدا هائلا أو تركيبة هائلة من المنافذ لتقـذف وتبدد منها كل ألوان الفضلات التي تتكون وتتجمع وتتزاحم فيها تسمى احيانـا تعاليم ونبوات واحيانا اشياء اخرى ؟

كيف ، أو لماذا صنع الانسان لغاته ؟ لقـد كان يشحن بالانفعالات من مواجهاته واصطداماته واحتياجاته وعجزه وتجاربه الباهظة المضادة والملائمة المختلفة ٠ فكان

يحتاج الي التعبير عنها أي الى اطلاقها والتخلص منها ·· كانت وسائله أو أساليبه لهذا الاطلاق والتخلص والتعبير مختلفة · كان من هذه الاساليب والوسائل السباب والغيبة والنميمة وكل الوان الوقاحات والسفه والحركة والرقص والبكاء والاشارة والعبوس والابتسام والضحك ·· ثم كان منها التصويت · كان التصويت بكل انواعه اسلوبا من اساليب الاستفراغ والبصق والقذف للشحنات النفسية الانفعالية·

ثم ذهب التصويت يتطور ويتطور حتى أصبح كلاما ولغات ··

لقد كان طور التصويت طريقا الى طور الكلام لا سببا أو خالقا له أو ملزما به ··

ان الكلام واللغات ليست الا تطورا أو تحولا عن التصويت أو الاصوات ، أي ليست الا انتقالا من هذا الى هذا اي ليست الا عملية تجاوز وتفوق ··

وان الاصوات ليست الا تطورا أو تحولا عن الانفعالات ، وان الانفعالات ليست الا تطورا أو تحولا عن التصادم والتعامل مع النفس ومع الاشياء والظروف ، وعن المواجهة لها بالرغبة أو الرهبة ، بالعطاء أو المنع ، بالتوافق أو التنافر · ولكن ذلك كله ليس الا تعبيرا عن طور الذات التكويني · ان هذه السلسلة المتلاحقة لم يكن ممكنا حدوثها لو لم يكن طور الذات يفرض عليها ذلك ويجعلها قادرة عليه بالتكوين المحتوم ·

لقد جاء الانسان متكلما أو أصبح متكلما دون ان يقصد هذا أو يدبر أو يخطط له ، بل دون ان يعلم انه سوف يصبح كذلك ·· لقد جاء كذلك أو أصبح كذلك كما جاء أو كما أصبح مصوتا ، وكما جاء أو أصبح منفعلا ومشحونا بالانفعالات وكما جاء أو أصبح متعاملا ومتصادما ومتناقضا ومتوافقا ومتواجها مع نفسه ومع ظروفه ومع ما حوله بل ومع كل شيء · لقد جاء متكلما دون الكائنات الاخرى بالتحول الذاتي الذي لم يكن مقصودا او مدبرا او معروفا قبل حدوثه · لقد تفوق على غيره بلا عبقرية · انه لم يجيء او يصبح كذلك بالارادة أو بالفكرة · كما ان الكون الذي يواجهه ويعايشه ، وكما ان نموذج وجوده أو ذاته لم يجيئا أو يصبحا كما جاءا وكما أصبحا بارادته أو بفكرته ·· نعم ، لقد جاء الانسان أو أصبح متكلما ومفكرا ومتحضرا بالمنطق أو بالقانون الذي أصبح أو جاء به النهر نهرا والبحر بحرا والصخر صخرا والصحراء صحراء ··

اذن فالذين يحرمون على الانسان ان يتكلم انما يحرمون عليه ان يصوت ، والذين يحرمون عليه ان يصوت انما يحرمون عليه ان ينفعل ويشعر وأن تتجمع الانفعالات وتتصادم في نفسه وان يستفرغ ويقذف هذه الفضلات من نفسه ، والذين يحرمون عليه ذلك انما يحرمون عليه ان يواجه ويتعامل ويرى ويتصادم وان يتوافق ويتنافر،

بـل يحرمون عليه ان يكون ٠٠ والذين يحرمون عليه ذلك هـم كالذين يحرمون علـى بدنه ان تتكون فيـه الفضلات وان يقذف بهذه الفضلات ٠٠

اذن هـل توجد وقاحة أو همجية أو بلادة أو وحشية مثل تحريم التصويت مهما كان سخفه وسذاجته وبذاءاته وتفاهته ؟ بـل هـل يوجد قبح أو غباء لا يجوز تحريمه بل توجب ممارسته في كل الاديان والاخلاق والمذاهب ، مثل التصويت ؟

ان التصويت لا يقبل تحريمه لهذه الاسباب الا اذا قبل ان يحرم علـى البـدن استفراغه أو قذفه لفضلاته الكريهة للاسباب المماثلة ٠ اجل ، ان المصوتين من انبياء وزعماء وشعراء ومعلمين ووعاظ ليسوا الا كائنات تقذف بفضلاتها البدنية من أفواهها علـى العقـول والاخـلاق والآذان ٠

حتى الكلام الذكي المفكر بـل العبقري ، حتى مثل هذا الكلام انـه فـي احيان وحالات كثيرة أو في أكثر الاحيان والحالات ، ليست حوافزه شيئا أرقى أو أعظم أو أتقى من حوافز التصويت ، وهـي الحاجة الـى الاستفراغ والقـذف ٠٠٠ ان كـل المتكلمين المفكرين الاذكياء المحترمين جدا لا يقصدون في احيان وحالات كثيرة حينمـا يتكلمون ويفكرون ان يتكلموا أو يفكروا أو يصنعوا شيـئا ، وانـما يقصـدون ان يستفرغوا ويقذفوا انفسهم مثلما يفعل المصوتون حينما يصوتون، ومثلما تفعل الابدان المشحونة بالفضلات الاليمة حينما تلقى بهـا ٠٠

ان هؤلاء حينما يتكلمون ويفكرون بكـل الذكاء والحماس والروعة والاهتمام لا يطمحون أو يقصدون أن يصوغوا الكون أو الآله صياغة جديدة ، أو أن يركبوا للآلة آذانا أو عيونا اقوى واتقى لترى وتسمع وتقرأ الصرخات والانات والضراعات والدموع والدمامات والعاهات والاخطاء والآلام بضمير وتفكير يستفظعان ويشفقان ويستحييان ويفهمان ويستجيبان ويحبان باسلوب اكثر شهامة وعظمة وذكاء واحتراما للذات ٠ انهم لا يطعمون بل ولا يفكرون او ينوون ان يضعوا في عيني الاله او في عيني الطبيعة مرآة نظيفة وصادقة ليريا بها ما في وجهيهما من وقاحة ونذالة وبلادة ووحشية ٠

كمـا انهم أي هؤلاء المتكلمين المفكرين ، حينـما يتكلمون ويفكرون لا يقصدون أن يعلموا اعضاءهم اخلاقا أو وظائف جديدة أو منطقا جديدا ، أو أن يقنعوهـا اي يقنعوا أعضاءهم بـأن نياتها واحتياجاتها ومجاعاتها واهتماماتها ومطامحها واشواقها هـي اعظم واتقى نموذج ، لتدبير وتخطيط وارادة أعظم واتقى عبقريـة ، يعـرض ويمتدح بها نفسه اعظم واتقى آلـه ، يؤمن بـه ويصلي لـه ويتصوره اعظم واتقى واذكى من يؤمنون ويصلون ويتصورون ٠٠ أجـل ، انهم لا يقصدون بذلك ان يحركوا

غيرة الآله لكي يتعلم منهم كيف يتكلم ويفكر ويصوغ منطقه واخلاقه وفنونه ، وهو اي الاله لا يوجد مثله احتياجا الى أن يتعلم التفكير والمنطق والاخلاق والفنون والكلام ·

ان الكلام الذكي والجاد جدا وكذا التفكير في أحيان وحالات كثيرة أو في أكثر الاحيان والحالات ، لا يكون تدبيرا أو تخطيطا أو بحثا عن تحقيق شيء آخر الا بقدر ما يكون الانين أو الصراخ أو البكاء أو السباب أو الحقد والبغضاء والاغتياب أو الغناء أو مخاطبة النجوم والاطلال والذكريات والحب الذي قد مات ، أو يكون الاستفراغ والقذف باية فضلة من فضلات الجسم ·

ـ نعم ، الا بقدر ما يكون كل ذلك أو شيء منه تدبيرا أو تخطيطا أو بحثا عن تحقيق شيء آخر ·· ان قيمة أي شيء لا تساوي قيمة حوافزه أو أسبابه أو نياته او تفاسيره · ان الكلام او التفكير بل او الابداع والخلق الجيد لا يعني انه في تفاسيره اكثر أو انبل من عملية استفراغ ··

انه لا يوجد ولن يوجد من يستطيعون الامتناع عن الاستفراغ باللغة او بالكلمة او بالصوت ، كما لا يوجد ولن يوجد من يستطيعون الامتناع عن الاستفراغ بالاعضاء او بالجسم اي بقذف فضلاته المختلفة والمتفاوتة البذاءة والقبح والقيمة ·

ان كل الناس مهما كانت مستوياتهم الثقافية والعقلية والانسانية لا بد أن يستفرغوا بالتصويت استفراغا شعوريا وعاطفيا · أما الاستفراغ العقلي أو الفكري وكذا الاستفراغ الاخلاقي والمذهبي والانساني فليس الا أقل الناس هم الذين لا بد ان يستفرغوا هذا النوع من الاستفراغ ، لانه ليس الا أقل الناس هم الذين يقاسون من معايشة الفكر أو العقل أو الاخلاق أو من الالتزام بالمذهب أو بالقيم والمعاني الانسانية أو من التفكير فيها والفهم لها ··

ان الاستفراغ الفكري والاخلاقي والمذهبي والانساني هو مستوى الانسان الاعلى وحده · أما الاستفراغ الشعوري أو النفسي فيستفرغه سائر البشر وسائر الكائنات المصوتة التي هي دون البشر ··

وعلى امتداد التاريخ وتحت جميع خطواته كانت توجد مذاهب واديان وتعاليم وآلهة وانبياء وزعماء ومعلمون وطغاة يخافون ويحرمون ويعاقبون بكل العنف كل اساليب أو أكثر أساليب الاستفراغ بالكلمة وبالتفكير أي اذا لم يكن هذا الاستفراغ مثل اساليبهم في الاستفراغ أو بلغة أساليبهم ، أو اذا لم يكونوا هم الذين وضعوا صيغته الاستفراغية ، أو اذا لم يكن باسمهم ، أو اذا لم يكن اي الاستفراغ في أكفهم أو في محاريبهم وفوق منابرهم وفوق طريقهم وثيابهم ووجوههم ، وعلى صفحات وحروف كتبهم المقدسة ·· لقد كانوا يريدون ان يكون كل شيء حتى

الاستفراغ باسلوبهم هم وبلغتهم وبامرهم وفوقهم وفوق ثيابهم ومنابرهم وباسمهم وهتافا لهم وتفسيرا لمجدهم ..

حتى الاستفراغ بالتصويت أي حين يستفرغه الكائن المصوت الذي لم يبلغ طور الكائن المتكلم ـ نعم ، حتى هذا الاستفراغ الصوتي كان يمنع ويحرم ويعاقب مع انه تصويت فقط يطلقه او يستفرغه او يستفرغ به كائن مصوت لا يستطيع أن يكون متكلما أو مفكرا . ولكن صيغة هذا الاستفراغ بالصوت تجيء في صيغة الاستفراغ بالكلمة وبالفكر والفكرة . لهذا يحرم ويمنع ويعاقب بسبب الصيغة فقط. كان الاستفراغ بالتصويت يمنع ويعاقب ما لم يكن بامر ولغة الانبياء والسلاطين والمتسلطين . حتى الاستفراغ الصوتي يوجد دائما من يشترطون عليه شروطا تقيده وتحكمه وتصوغه وتنفذه .

اليست الزعامات والقيادات والحكومات والنبوات والمذاهب والاديان والمواعظ العربية تحرم على الانسان العربي ان يفعل بحرية ما يسميه ويظنه كلاما وتفكيرا ؟ مع أن الانسان العربي في كل تاريخه وفي كل مستوياته لم يتحول الى متكلم أو الى مفكر . انه قط لم يتكلم أو يفكر . انه لم يتكلم أو يفكر الا بقدر ما كان أول من غزا القمر وبقدر ما سوف يكون أول غاز للمريخ .

أليست بذلك تحرم عليه ان يصوت اي ان يستفرغ انفعالاته بالتصويت ؟ أليس كل تحريم لاي كلام أو لاي تفكير يطلقه أي انسان عربي أنما هو تحريم للتصويت أو للاستفراغ بالصوت بحسبانه استفراغا بالكلمة أو بالتفكير لانه قد جاء بنفس الصيغة ؟ نعم ، صدقوا. ان الزعامات والنبوات والديانات العربية تحرم على الانسان العربي ان يستفرغ تفاهاته وآلامه بالتصويت لان تصويته يجيء بصيغة الكلام ..

كيف يمكن ان تفهم أو تفسر القيادات والزعامات والحكومات والثورات والنبوات العربية نفسها لو عرفت أنها حينما تحرم على أي أنسان عربي أن يتكلم أو يعلم او يفكر أو حتى ينقد أو يستنكر أنما تحرم عليه أن يصوت أي أن يقذف بفضلاته النفسية بالتصويت ؟ نعم ، كيف يمكن حينئذ أن تفهم أو تفسر أو تحترم نفسها هذه الزعامات والقيادات والثورات والحكومات والنبوات العربية لو أنها عرفت ذلك ؟ ان أية حكومة أو زعامة أو نبوة عربية لم تحرم في اي وقت على اي عربي أن يتكلم أو يفكر لانه لم يوجد قط عربي يفكر أو يتكلم وانما كانت تحرم التصويت بحجة تحريم الكلام والتفكير ..

انها حينما تحرم على الانسان العربي ان يتكلم أو يفكر أو حتى ينقد ويستنكر، أي حينما تحرم عليه ما يظن أو يزعم كلاما أو تفكيرا أو نقدا أو استنكارا أو رفضا،

انمـا تفعل مثل من يحرم على الاعضاء أن تستفرغ فضلاتها الوبيلة ، ومثل من يحرم على الكائن الذي هـو دون الانسان ان يصفق بجناحيه أو أن يلعن الارض ويعاقبها ضاربا لها بقدميه او يلعق جراحه، أو يحرك ذيله، أو يراقص ابناءه وآلامه ومسراته، أو أن يعوي أو ينعق أو ينعب أو ينهق أو يطن سرورا أو كآبة ، خوفـا أو مرحـا ، مصافحة ومسالمة أو مشاتمة ومدابرة • ان الكائنات التي هي دون الانسان حينمـا تفعل ذلك انما تستفرغ انفعالاتها • أن هذه هي لغتها حينما تتكلم أو تفكر أو تخاطب مشاتمـة أو مخاصمـة أو مصافحـة •

ولكن كيف لـم تعرف ، أي الزعامات والقيادات والحكومات والثورات والنبوات العربية ذلك ، اي انها حينما تحرم على الانسان العربي أن يفكر كأنما تحرم علـى الكائن دون الانسان ان يفكر باسلوبه هو ؟ هـل يستطيع اي ممجد للعرب ان يزعـم انهم يتكلمون أو يفكرون حين يتكلمون ويفكرون أكثر أو أعمق أو أصدق أو أذكى من اي طائر أو صرصار حين يئن أو يغني أو يغازل ويحاور أمثاله ومسراته واحزانـه بلغاته المختلفة البلاغة والشاعرية والاسلوب ؟

هـل يمكن ان تضل كـل هذا الضلال فتذهب تحسب الانسان العربي حينـما يتكلم أو يفكر او ينقد أو يحاور ، أي حينما يبدو في صيغة من يفعل ذلك ، يعنـي اكثر أو أعمق او اقوى أو اخطر ممـا يعنيه اي كائن دون الانسان ، حينـما يعلـن شكواه أو الله او جوعه أو ضياعه او تعبه أو فرحه وحزنه او حبه او بغضه او خوفه أو امنـه ، وراحته ، بالصوت أو بالحركة أو بالاهتزاز أو بأيـة صيغة مـن صيـغ التعبيـر ؟ هـل يمكن ان تعتقد أن تفكير الانسان العربي أعمق أو أكثر تفكيرا مـن غواء او جؤار اي كائن دون الإنسان ؟

هل ارادت ان تبالغ في تمجيد وتقويم الانسان العربي وفي تفسيرها وفهمهـا لـه حينما ذهبت تحاسبه وتعاقبه على ذلك أي على استفراغه الذي حسب وزعم كلاما وتفكيرا ونقدا ورفضا ورؤية ؟ هـل هابت ان تفهمه أو تتصوره كمـا هـو فذهبت تعاقبه ظالمة له ليكون اكبر واعظم من نفسه ؟

هـل رات أن معاقبته تهبه مجدا أو تعلن لـه عن مجد وهي تريد أن تهبه هـذا المجـد او تعـلن لـه عنـه ؟

هـل رات أي الزعامات والقيادات والحكومات والثورات والنبوات العربيـة أن ممـا يهب الانسان العربي هذا المجد أو مما يعلن لـه عن هذا المجد أن يحسب استفراغه لتفاهاته أو لضياعه أو لعجزه وخوفه أو لهزائمه وتخلفه أو لآلامه واحزانه ومهاناتـه وبلاداته ـ ان يحسب استفراغه لذلك بالتصويت كلاما وتفكيرا ونقدا ورفضا وثورة

وتخطيطا رهيبا ، ثـم أن يعاقب على هذا الحسبان ، لهذا نفذت هذا الحسبان ونفذت العقاب عليه لتصنع وتهب لــه هذا المجد أو لتعلن لــه عنــه ؟

هـل رأت أن فهـم الانسان العربي وتفسيره كمـا هـو يتحولان الـى تحقيـر وتهوين لا مثيل لهما فكذبت له شهامة وحبا ؟

هـل هذه المعاقبة التي لا مثيل لوقاحتها ووحشيتها والتي ظـل الاقوياء والطغاة العرب في كل التاريخ العربي ولا يزالون حتى اليوم يوقعونها على الانسان العربي عقابا وزجرا له على استفراغه لفضلاته النفسية البذيئة على استفراغه لها بالاصوات المزعومة كلاما وتفكيرا ونقدا وثورة مخيفة ٠

نعم هل هذه المعاقبة التي يمارسها بهذا الاسلوب الوحشي الاقوياء والطغــاة العرب هي مستوى نبل وشهامة وحب بلا مثيل او شبيه ؟

أليست القسوة في العقاب أو في المحاسبة والرؤية والتفسير أفضل من القسوة فــي التحقيــر ؟ ألا يكون من التمجيد للصغير أو من محاولة التمجـيد لــه أو من العطف عليه أن يعاقب بعقاب لا يعاقب بــه ألا الكبير ، لحسبانه أي لحسبان الصغير كبيرا أو للاقناع بانــه كبير ؟ ألا يمكن أن يكون هذا رأيا وسلوكا معقولا وجيدا ؟ أليس أقسى أساليب التحقير لاي أنسان الا يكون مستحقا لاي عقاب أو مؤاخذة وألا يكـون مخيفـا أو تهديـدا ؟

الا يحتمل أن يصبح العقاب غيــر المستحق تحت ظروف ونيات معينة نوعا جيدا من المحاباة لـمن عوقب هذا العقاب الذيلا يستحقه ؟

أليس عدوك الذي يعاقبك لانــه يخافك اكثر تمجيدا لــك من عدوك الذي يضحك داخل جلده تهوينا واستهانة بـك ؟

لقـد ظلت جميع الزعامات والنبوات والحكومات والاديــان والتعاليم العربيــة تعاقب الانسان العربي بكـل الوحشية والهمجية لتمنعه من أن يستفرغ بالصــراخ شحناته النفسية الرديئة التي من التقوى والنظافة والرحمة والضرورة ان يستفرغها، زاعمة أنــه بهذا الاستفراغ الصوتي الفارغ المفرغ ، أنمـا يتكلم ويفكر ويدبر ويخطط ليكون خطرا وهـولا ودمارا ونكرا ٠ أليس محتوما ألا تحاسبه أو تعاقبه على أي قول يقوله لـو أنها فهمته ولـم ترد تمجيده وتكبيره ؟

نعم ، لقـد ظلت في كـل التاريخ ولا تزال تفعل ذلك بكـل الوحشية والهمجية ٠٠ فهـل كانت تمجده وتحابيه وتعطف عليه وتضع لــه صيغةاكبر من صيغته أم كانت تظلمه وتحقره وتوقع بــه ؟

أو لعلها ظلت تفعل ذلك لانها لـم تكن تعرف أن التصويت شيء اقـل من الكلام

والتفكير ، لهذا لم تكن تعرف أن الانسان العربي مصوت وليس متكلما ولا مفكرا ٠

ولكن الزعم أو الافتراض أو التظاهر بأن الانسان العربي قد يتكلم ويفكر ويخطط ويرفض ويستنكر ويصبح شيئا خطيرا مخيفا يتداوى منه بالعقاب القاسي أليس محتوما أن يتحول أي هذا الزعم أو الافتراض أو التظاهر الى هجاء لمن يفعله ولمن يفعل له ومن أجله وبه ؟

أي أليس محتوما أن يتحول الى هجاء لكل العرب قادة وجماهير ، دون أن يتحول الى مجد أو الى اقناع أو خداع بمجد أريد الاقناع أو الخداع به ؟

كيف يمكن التصور بأنه يمكن اقناع أحد أو خداعه بأن الانسان العربي قد يكون متكلما أو مفكرا مخيفا بتفكيره ؟ ان الامل بأن يخدع الآخرون بالانسان العربي المجد يصعب ادعاؤه فكيف الامل في امتلاكه ؟ أن المأساة أن أحدا هنا لن يخدع ، بل لن يستطيع أن يخدع حتى ولو تحول الانخداع في حسابه واقتناعه الى شهامة أو بطولة أو الى تقوى اخلاقية وفكرية وانسانية ٠ حتى ولو كانت جميع نبواته ومذاهبه واديانه وجميع شعاراته وتعاليمه الوطنية والقومية تفرض عليه ان يكون مخدوعا هنا ٠٠

ألا يصبح الانخداع أحيانا مطلبا صعبا وحاجة لا يستطاع امتلاكها كالانخداع بأن الانسان العربي قد يتكلم أو يفكر ؟

الانسان العربي ، مهما كانت قيمته أو مكانته أو ثقافته أو عبقريته ، حينما يفعل ما يسميه ويزعمه كلاما وتفكيرا بل ثورة فكرية بل ابداعا حضاريا وانسانيا وعالميا ، لن يمكن أن يفهم أو يفسر بأعمق أو أذكى أو أقوى مما يمكن ان يفسر أو أن يفهم به الكائن الذي هو دون الانسان حينما يصفق بجناحيه أو بقدميه أو بذيله ، وحينما يعض شفتيه واسنانه ويلعق جلده وشعره ، أو حينما يشاتم وينابح جيرانه واخوانه واعداءه واصدقاءه وكل من حوله ، أو حينما يخاطب ويعاتب آلامه واحزانه وهوانه وعجزه واستعباده وبلادته وتفاهته ، بالأنين والصهيل والزئير والجئير والثغاء والرغاء ٠ ان اي انسان متحضر لن يتصور في تصويت اي عربي ، اي نبي أو زعيم أو حاكم أو مفكر أو شاعر عربي من المنطق أو التفكير أو التدبير أو الرؤية للواقع والالتزام به اكثر أو اذكى مما في نقيق أو نعيب أي طائر أو حشرة ٠

نعم ، ان في تصويت الانسان العربي لافتضاحا وهجاء شاملين ، وان في صمته لاستتارا ووقارا وراحة واراحة وتمجيدا ومحاباة لذكاء ووقار وضمائر واخلاق وآذان من قد يسمعونه ٠ ان الاعتداء على الاخرين يكون على آذانهم وعيونهم وعقولهم

ووقارهم بالبلادة والدمامة والسفه والسخف كما يكون على اجسامهم بالسلاح وبالأيدي وبكل الادوات الاخرى ..

ولكن ، أخلاقيا وانسانيا وموضوعيا وطبيعيا ، لا يجوز ولا يستطاع منعه من التصويت أو معاقبته عليه ، أي لا يجوز ولا يستطاع منعه من هذا الافتضاح الشامل، ومن هذا الهجاء لنفسه بهذا الاسلوب العالمي، ومن هذا العدوان على الآخرين باسماعهم كل هذه النماذج ، بالالقاء بكل هذه النماذج من البلادات والبذاءات والسخافات في آذانهم وضمائرهم وعقولهم .

اليس قذف الاعضاء لفضلاتها البذيئة شيئا مؤذيا ورديئا ومهينا ؟ ولكن هل يجوز أو يستطاع منعها من ان تلقي بهذه الفضلات بأساليبها الوقحة الفاضحة ؟ إن الحكم على البشر بأعضائهم وبوظائفها وفضلاتها وبكل اساليب الاستفراغ والقذف فيها الحكم عليهم بألا يكونوا طهارة أو نظافة أو عطورا او مجدا جسميا أو نفسيا أو فكريا أو تكوينيا .

ان مجيء الانسان العربي اي مجيئه في الطور الذي جاء فيه يفرض حتما تقبله مصوتا ، وتقبله مصوتا يفرض حتما تقبله مستفرغا لتفاهاته وبلاداته وشتائمه واحقاده وبداواته ولكل ضعفه وفضائحه ، فوق كل الآذان والضمائر والاخلاق ، وفوق كل المذاهب والنظم والكتب المقدسة وغير المقدسة ، وفوق كل المنابر واللغات والمؤتمرات ، وفوق كل الصداقات والعداوات والعلاقات .. كل العزاء والاسى لكل منبر أو اذن أو خلق أو ضمير أو مذهب أو لغة أو قلم أو مؤتمر أو احتفال يستفرغ عليه الانسان العربي كل ما في جوفه ..

كما ان تقبل الحياة يفرض حتما تقبل الأجسام والاعضاء ، وتقبل الأجسام والاعضاء يفرض حتما تقبل اخلاقها ووظائفها ، وتقبل اخلاقها ووظائفها يفرض حتما تقبل اختزانها للفضلات الرديئة الكريهة واصابتها بالآلام والمجاعات والآفات ، وتقبل ذلك يفرض حتما تقبل استفراغها لفضلاتها ولعاهاتها وآفاتها باساليبها الوقحة الفضاحة . لقد فرض على البشر أن يكونوا كائنات مستفرغة بعقولها واخلاقها وعواطفها ولغاتها وباعضائها واجسامها ، مستفرغة لاردأ واقذر واقبح واوقح ما في هذا الكون مما يذل ويهين ويشوه ويحقر ..

اذن تجلد ايها العالم ، وكن شهما في تقبلك للانسان العربي مصوتا ، في تقبلك له مستفرغا عليك كل مستوياته الضعيفة والرديئة، مطلقا لها عليك باصواته ، حينما يذهب يحسبها اي يحسب اصواته ويزعمها كلاما وتفكيرا بل وعبقرية فكرية لا بد ان تصوغ العالم كل صياغاته العبقرية المرجوة المنتظرة المتمناة . انك تتقبل كل

ذلك بل وتغفره وتسعد به احيانا من الكائنات التي ليست لها صيغة الانسان فكيف اذن لا تتقبله بل وتستقبله ممن لهم صيغة الانسان ؟

نعم ، تقبل ايها العالم من الانسان العربي ان يستفرغ كل فضلاتـه وبذاءاته النفسية مصوتا بها عليك وعلى نفسه وعلى كل شيء ، بالمنطق وبالتسامح اللذين تقبلت بهما من اعضائه واعضائك ومن كل الاعضاء كـل شحناتها التـي تقبلت ان تستفرغها على وجوه وكرامات وكبرياء كل الاشياء ، علـى كـل كتبك المقدسة وكل اديانك ونظمك ومذاهبك ، وكل طهـارتك وتقـواك ومعابـدك ·· التـي تقبلت ان تستفرغها على كل عيونك ووجوهك وحبك وجمالك ·

اجل ، انه لا يجوز ولا يستطاع ، اخلاقيا وانسانيا وموضوعيا وطبيعيا ، ان يمنع الانسان العربي من ان يصوت ممها كانت آثام ووقاحات وتفاهات تصويته · ولكن يجوز بل يجب اخضاع تصويته للاساليب التهذيبية التي لا بد ان يخضع لها كل شيء يستطاع اخضاعه لهذه الاساليب · انـه لا شيء يحتاج الـى الاخضاع للاساليب التهذيبية دون اي اخضاع مثل التصويت العربي المزعوم كلامـا وتفكيرا وابداعا ·

ان استفراغ اعضائه وكل الاعضاء مخضع لأساليب وصيغ اريد لها وبها ان تكون مؤدبة ، او ان تكون اقل سوءا وقبحا وايذاء واهانة لعيني الشمس ولكبرياء الالـه ولاعجاب الانسان بنفسه وباربابه وانبيائه وزعمائه واباته وبعبقرية تكوينه الذاتي ·· هل يوجد ما يهين ويهجو عبقرية التكوين وكبرياءه ومجده مثل استفراغ الاعضاء، مثل كل اساليبها الاستفراغية ، بكل انواع ما تستفرغ ؟

اذن فاستفراغ فضلاته النفسية الوبيلة بالتصويت يجب ان يخضع مثل هـذا الاخضاع الذي فرض على استفراغ اعضائه · اليست كل عبقريات الانسان وتعاليمه وآماله موجهة ومرادا بها اخضاع ما كان وما سوف يكون وما لا بد ان يكون وما يراد له ان يكون ـ اخضاعه لاساليب معينة ، مختارة ومرادة ، مهذبة أو مظنونة كذلك ؟

بل انه لمن أساليب مناصرة الاخلاق وايجاد الاسباب والظروف التي قد جعلها اقل قبحا ان يؤذن للانسان العربي بأن يصوت بل ان يحرض على التصويت ويدعى اليه والى الاكثار منه · ان ذلك يعني تحريضه علـى ان يطرح احقـاده وعداواته وبغضاءه وتفاهاته وهزائمه ومجاعاته وأشواقه الى ايقـاع الاهـوال والالام والهموم والهزائم بالآخرين ، خارج نفسه · اليس الـذي يشتم أو يسفه أو يـذم بأساليب متوقحة عدوانية هو انسانا يتخلص ويتداوى ويتنظف من شروره وعداواته ؟

أليس هذا يشبه تفريغ الاسلحة وجميع اجهزة التدمير والقتل من ذخيرتها المعبأة الرهيبة؟ أليس اسلوبا من أساليب تطهر النفس والاخلاق والذات من الخبث والبغضاء والاحقاد والعداوات المحتبسة المحتشدة المتوثبة داخل الذات ؟

أليس يشبه تطهير البيوت وجميع الاماكن المسكونة والمطروقة من الجراثيم والحشرات ومن جميع الكائنات القتالة والمرضة والمؤذية ، والالقاء بها بعيدا لتموت أو قتلها أو تفريغها من قدرتها على القتل أو على الايذاء والتخريب ؟

اجل ، أليست النفوس بيوتا تتخلق وتحتشد فيها اوقح واخطر الجراثيم والحشرات ، وتحتاج الى التفريغ والتنظيف ؟ أليس ذلك يشبه تطهير الاعضاء من احتشاد الامراض والآفات والعاهات والادران والاتساخ وكل انواع التقيح فيها والالقاء بها في الفضاء البعيد ؟ أليس يشبه غسل الثياب والجلد والقلب والضمير ؟ أليس التصويت الوقح البليد هو أحد العقاقير الهمجية التي يتداوى بها الهمج والاطفال والنساء وجميع انواع المتخلفين والعاجزين وغيرهم احيانا من ذنوبهم وعجزهم وحيرتهم وآلامهم وعداواتهم واحزانهم النفسية والاخلاقية والتاريخية بل والدينية والمذهبية ؟ ان هذا التصويت هو أجود العقاقير للنبوات والقيادات العربية ..

كيف لو فرض ونفذ على نفس الانسان العربي ان تختزن كل أنواع القبح الاخلاقي والتاريخي والتعليمي والديني والنفسي ، بكل بغضه وحقده وعدوانيته وتعصبه ، وبكل ما فيه من موهبة العبادة للذات ، ومن شهوة التعذيب والتحقير للآخرين ، لكل الآخرين ، دون ان تستطيع أي نفس الانسان العربي أن تستفرغ اي قدر من قيحها هذا بأي اسلوب من اساليب الاستفراغ ، بالتصويت أو بأي اسلوب آخر ؟ أليست نفس الانسان العربي هي أوسع واعظم مكان في هذا الكون تحتشد فيه انواع القيح الاخلاقي والتعليمي والديني والتاريخي والنفسي والقومي ؟ أليس قيحها حينئذ لا بد أن يكون أشد ايذاء وعدوانا وقبحا وتوقحا وجنونا واحتشادا وتوثبا ، أي لو منع من الاستفراغ بكل اساليبه حتى الصوتية ؟

اذن أليس تصويت الانسان المصوت او الكائن المصوت تبديدا لدمامات ونذالات ووقاحات وهموم يجب تبديدها ، والقاء بها بعيدا خارج النفس ؟ أليس ذلك اذن تقوى نفسية ودينية ومذهبية بل وتقوى وطنية وقومية ؟ ثم أليس السماح بذلك تقوى واخلاقا حضارية وانسانية ؟

انه اي تصويت الكائن المصوت ليس تبديدا لجمال أو لمحبة أو لعبقرية أو لشهامة أو لقوة أو لمسرات أو لأي شيء نفيس . ان الاشياء الجيدة والنفيسة والجميلة والقوية والنظيفة لا تستفرغ من النفس ولكن النفس تتعامل بها مع الاشياء

ومع ما حولها ·· ان التصويت ليس اخذا من النفس ولكنه تخليص لها ··

انه اسلوب من اساليب الاغتسال من الداخل لكي يتحول الى تلويث للأفواه والآذان والعيون والوجوه والثياب والجلود بل وللمنابر والمحاريب والمعابد وللآلهة والانبياء والاديان والكتب المقدسة لانه باسمها ·

لعل اي وحش أو اي حيوان آخر لا بد أن يكون اكثر نذالة وحقدا وبغضا وعداوة ووحشية وعذابا لو انه منع من ان يزأر او يعوي أو يتأوه أو يتوعد أو يبارز ويقاتل بالزئير والجئير ، اي بالاسلوب الذي به يزأر ويعوي ويتأوه ويتوعد ويقاتل ويبارز الانسان العربي ··

ان عواء الوحش او أي حيوان آخر لا يضعف قوته ولكنه يفرغ او يبدد من وحشيته وحيوانيته · ان عواء الحيوان او طنين أية حشرة يساوي في تفاسيره النفسية والاستفراغية ان يصرخ الانسان مصليا لآلهته او شاتما او مهددا او متوقحا او مفاخرا ··

اجل ، ان الاعضاء ، اعضاء اي كائن حي لا تستفرغ الاشياء الجيدة والنافعة والصحيحة والقوية والطبيعية ، وانما تستفرغ الاشياء الرديئة والضارة والمريضة والشاذة والضعيفة والمستقذرة والمصابة بالتعفن والتقيح · انها لا تستفرغ دماءها الحية القوية ولكنها تستفرغ فضلاتها المؤذية الكريهة ، بالاساليب والحوافز التي يستفرغ بها الانسان العربي نبواته وتعاليمه وفنونه وافكاره وكتبه المقدسة · انها فضلات يستفرغها زاعما انها قداسات وعبقريات ·

وايضا فان العقول والضمائر والاخلاق لا تستفرغ ذكاءها أو صفاءها أو جمالها او حبها أو جودتها بل تتعامل وتحيا وتبدع وتستقبل بكل ذلك ، وانما تستفرغ غباءها وعفنها وخبثها ودمامتها ورداءتها واحقادها وبغضاءها ··

نعم ، ان اي انسان او اي كائن آخر لن يستفرغ ذكاءه أو حبه أو طهارته أو جماله باسلوب أو بنية التخلص منه كما يفعل بغبائه واحقاده وبغضائه وخبثه ودمامته وانما يحوله اي حبه وذكاءه وطهارته وجماله الى حياة وتعامل مسعد مريح نافع محسوب ·· اذن فالانسان العربي حين يصوت لا يستفرغ عبقريات وقيما انسانية لتتحول الى ضياع بل ويستفرغ فضلات قبيحة ··

سابعـــا :

ولكن ما الصحيح أو الحق في هذه القضية ؟ هل الناس ينقسمون الى مصوتين والى متكلمين ، والمتكلمون هم اولئك الموجودون هناك ، والمصوتون هم هؤلاء

الموجودون هنا ، واولئك المتكلمون لا يكونون الا متكلمين كما ان المصوتين لا يكونون الا مصوتين، بلكما انالاباء والامهاتالبيضلا يلدون الا لونهموكما انالسود لا يلدون الا نفس اللون ، بل كما ان من يمشون على اربع لن يلدوا من يمشون على اثنتين الا بقدر ما يلد من يمشون على اثنتين من يمشون على اربع ؟

هل هذا هو الصحيح أو الحق أو المراد ؟ هل الانسان هو انسان دائم أو في كل شيء ؟ نعم ، الحيوان هو حيوان دائم أو في كل شيء ما دام في طور الحيوان . ولكن هل الانسان انسان في جميع ممارساته ونياته ؟

لعل الصحيح ان جميع الناس مصوتون ولا يستطيعون ان يكونوا الا مصوتين بالارادة أو بالطاقة أو بهما معا بالقدر الذي لا يستطيعون به ان يكونوا دائما مستويات وتعبيرات ونيات واخلاقا انسانية . ان اعظم انسان لا يستطيع ان يظل دائما مستوى انسان .

ثم بعد تقرير ومعرفة هذه الحقيقة البشرية العالمية الشاملة لا بد أن يستثنى منها افراد قليلون ، قليلون جدا . وهؤلاء الافراد القليلون الذين يعدون شذوذا وخرقا للقانون المطلق ، بل يعدون اتهاما لقانونية التناسل بل اتهاما لالتزام الطبيعة بقوانينها او بآليتها ، بل اتهاما لكون الطبيعة محكومة بقوانين او بآلية يمكن فهمها وضبطها واستمرارها والثقة بها ، ـ نعم ، هؤلاء لا يوجدون في كل المجتمعات أو في كل الشعوب ، بل في القليل منها . وهل يوجدون في كل التاريخ ؟ وهم ايضا ليسوا في كل حالاتهم متكلمين بل انهم في كثير من حالاتهم أو في اكثرها ليسوا الا مصوتين . ان المتكلم ليس دائما متكلما بل لا بد أن يكون في كثير من حالاته أو في اكثرها مصوتا . أما المصوت فانه لايكون الا مصوتا ، لا يكون متكلما . ان القادر على الصعود لا يكون دائما صاعدا . اما العاجز عن الصعود فانه لا يكون الا هابطا . ان القوي القادر قد يضرب بضعف وقد يمتنع عن الضرب . ولكن الضعيف العاجز لن يضرب بقوة في اي وقت او موقف لأنه لا يستطيع .

ان المجتمعات والشعوب التي تلد هؤلاء القليلين المتكلمين لهي بين الشعوب والمجتمعات الاخرى لقليلة كقلة الشعوب والمجتمعات التي تهب الحياة والحضارة قفزاتهما واشواطهما الجديدة المتخطية لما كان والدائمة في تخطيها وفي تفجراتها المبدعة المغيرة ..

وهي ايضا اي هذه المجتمعات والشعوب الواهبة لا تهبهم اي لا تهب هؤلاء المتكلمين القليلين الا بتقتير ، كأنها تخاف على حياتها من حبلها بهم وولادتها لهم باكثر مما تفعل، أو كأنها تخاف من حبلها بهم ان تعجز عن ولادتهم أو عن ارضاعهم ،

أو عن حضانتهم وتربيتهم ، أو عن تحملهم واستقبالهم ، أو عن التفاهم معهم والتكلم بلغتهم ـ أو كأنها تخشى من حبلها بهم ومن ولادتها لهم أن يمتصوا منها كل طاقات الحياة فيها لقوة حياتهم ـ أو كأنها تخشى عليهم اذا جاءوا ألا يجدوا بين ملايين قطعانها سكنا أو مأوى أو مكانا أو ترحيبا ، أو تخشى عليهم أن يصدموا حينما يواجهون ويعاملون جماهير الشعوب والمجتمعات التي يجيئون فيها واليها ، وحينما يفرض عليهم التعامل والتخاطب والتفاهم مع مستويات هذه الجماهير ٠٠٠

أليس تعذيبا رهيبا للكائن المتكلم المفكر ان يفرض عليه التعامل والتخاطب والكينونة الدائمة مع البشر المصوتين ؟

أو كأنها تخشى على حياتهم حينما يجيئون اليها ليطالبوها بأن تحلق معهم الى سمواتهم ، وان تطير معهم فوق أجنحتهم بالسرعة والقوة والمسافات التي تستطيعها اجنحتهم ، وبان تعيش وتغامر وتقتحم معهم كل مغامراتهم واخطارهم واقتحاماتهم ، وكل تحدياتهم وزندقاتهم ، وكل آلامهم ونشواتهم ٠٠ أليس المتفوق بين المتخلفين يواجه أحيانا من الخطر أكثر مما يواجه أي كائن بين اعدائه وأي ظالم بين مظلوميه ؟

أو كأنها كانت تحابى وتنافق نفسها وضعفها ، لانـها كانت تعلم ان هؤلاء المتفوقين ، اذا جاءوا ، لا بد ان يتحولوا الى هجاء وتحقير بل والى تعذيب وهزيمة لجميع مستوياتها ومقدساتها ، ولجميع آبائها وأربابها وانبيائها وأديانها ومحاريبها ومنابرها ، ولكل مفاخراتها وطموحها وآمالها واستقرارها واسترخائها ٠ أليس مجيء المتفوقين الاقلين المتمردين المحاسبين المحاكمين للاشياء اسقاطا لمجد الارباب والآباء والانبياء وكل المقدسات في حساب الجماهير وكهانهم ؟ أليست معجزة أي آلـه أو نبي أو دين في أي مجتمع تساوي فقط فقدان المتفوقين في ذلك المجتمع ؟

أو كأنها أي هذه المجتمعات والشعوب ، في تقتيرها حين تحبل بهؤلاء المتفوقين وحين تلدهم ، كانت تخشى ان تهين أو تحقر أغلب الشعوب والمجتمعات التي لا تستطيع ان تحبل بهم أو تلدهـم أو تخلقهـم أو حتى تستولدهم أو تستوردهم أو تتمناهم أو حتى تتصورهم أو تنتظر مجيئهم ، أو كانت تخشى أن تصنع وتحرض وتطلق غيرة وحسد هذه المجتمعات والشعوب ، أي لـو أنها جاءت سخية في ولادتها لهم اي لهؤلاء القليلين المتكلمين المتفوقين ، ولم تجيء مقترة كل هذا التقتير الذي تقتره٠٠ لعل هذه المجتمعات قد قترت في خلقها للتفوق مجاملة ورثاء للمجتمعات التي لا تخلق ألا التخلف ٠ لعلها فعلت ذلك رحمة وأدبا ٠٠

لو قسمت العبقرية بعدل لما قامت أية حضارة

نعم ، لعل احد هذه التفاسير هو التفسير الذي جعل الشعوب أو المجتمعات التي تلد هؤلاء المتفوقين وكل أنواع المتفوقين ، لا تلدهم الا بتقتير مثير . أو لعل كل هذه التفاسير هي التفسير لذلك ..

والمجتمعات التي تهب المتفوقين تقاسي دائما من التزامات نفسية وانسانية لا تقاسيها المجتمعات الاخرى .

ويوجد تفسير آخر مثير لظاهرة هذا التقتير في ولادة المتفوقين.. لعل المجتمعات التي تلد هؤلاء رات بذكاء مقصود ومدبر أو غير مقصود او مدبر ، أنها في كل فترة من فترات كينونتها تملك مقادير معينة أو محتملة او مستطاعة من العبقرية ، ثم رأت بذكاء آخر انها لو قسمت هذه المقادير من العبقرية على جميع آحادها أو على عدد اكبر من الذين اختارتهم لكانت النتيجة فاجعة . اذ ان هذه المقادير من العبقرية الموزعة على اعداد اكبر لابد أن تتبدد وتضيع وتفقد قدرتها وطاقة عضلاتها في صحارى وفراغ ذوات الاعداد الكبيرة ، في خمولهم وتبلدهم وتفاهاتهم وضياعهم ... اليست العبقرية والتفوق عملية تجميع أو تركيز او تكثيف او احتشاد في ذات واحدة ؟

اليس كل شيء يتبدد ويضيع بتقسيمه أو توزيعه باسلوب أوسع من الملائم والمحتمل ؟ حتى العبقرية والذكاء ، اليسا يتبددان ويتلاشيان لو وزعا بلا حساب ، أي لو وزعت عبقرية أو ذكاء انسان واحد على اعداد كبيرة من الاغبياء والتافهين او من العاديين ؟ اليس العبقري انسانا كانما تجمعت فيه او انتقلت اليه او وهب معاني أو مواهب أعداد كثيرة من امثاله لكي يكون شيئا ضخما ؟

اليس محتوما أن يفقد حينئذ هذا الانسان عبقريته وذكاءه دون ان يصبح الآخرون الذين توزع عليهم اذكياء او عباقرة اي لو ان عبقريته وذكاءه وزعا على أعداد كبيرة من الاغبياء والتافهين او حتى من الناس العاديين ؟

هذا الوجه الجميل الذي يصيد بجماله قلوب النجوم ، ويفسق بضمائر الازهار ويفسد العلاقات بيـن أي نبي ونبوته ، وبينه وبين كتابه المنـزل ، ويعلـم عيون الملائكة النظر الى الارض أكثر من النظر الى السماء ، ورؤية جمالها أي جمال الارض أبهى واقوى واطغى من حمال السماء ، من جال آلهة السماء ، ويهبها أي يهب الملائكة الرغبة في السكن تحت الارض أكثر واقوى من رغبتها في السكن فوق السماء مجاورة للآلـــه ٠

ـ نعم ، هذا الوجه لـو قسم جماله على وجوه كثيرة أليس محتوما ان تاكله هذه الوجوه الكثيرة وان يضيع جماله في آفاق دمامات وتشوهات واخطاء هذه الوجـوه الكثيرة ان دمامات وتشوهات واخطاء هذه الوجوه الكثيرة لقـادرة ان تسحب كـل جمال وشهامة من كـل وجوه كـل الاشياء ومن وجه الآله وضميره فكيف بهذا الوجه الواحـــد ؟

أليس محتوما ان يضيع جمال هذا الوجه دون ان ينبت أي جمال فـي الوجوه التي قسم عليها ومات فيها ؟ أليس احتمالا أن جمال هذا الوجه قـد تعمد التجمـع ليكون مرئيا وصاعقا لانه علم انه لو تفرق في وجوه كثيرة لما رآه احد بل لمـا وجـد لضياعه وتبدده في صحارى تلك الوجوه العديدة الاخرى ؟

وهذه الشمعة التي نقرأ على ضوئها اكاذيب وتفاهات وبلادات واحـزان وآلام واحقاد وخصومات آلهتنا وانبيائنا وآبائنا وسلاطيننا وخلفائنا وابطالنا ، والتـي نكتب تحت ضوئها المهان مـا لا نعرف أو نريد أو نحترم أو نجد ، خوفـا أو بلادة

ـ نعم ، هذه الشمعة لـو قسم ضؤوها على شموع كثيرة ، أليس محتوما حينئذ الا نستطيع لا نحن ولا غيرنا قراءة أي شيء عليها ولا على غيرها من الشمـوع التي تقسمت عليها ، ولا كتابة أي شيء تحت ضوئها المعتدى عليه ؟ مسكينة هي الشموع القديمة والاضواء الحديثة ٠ كـم اعتدى عليها وحقرت بالقراءة والكتابة تحت انينها المهـان المفجـوع ؟

اجـل ، لعـل هذه المجتمعات أو الشعوب قـد رات وعرفت هذه الحقيقة بذكـاء قـد يكون غيـر مدبر وغيـر مقصود ، فاضطرت مكرهة الى ان تخـرج على العـدل والضمير بتجميعها كـل مـا لديها من مقادير العبقرية في آحاد قليلين جدا ، لكـي تكون عبقريتهم قوية خالقة واهبة حتى لمـن حرموا منها أو لمـن أخـذ منهم نصيبهم من هذه العبقرية المجمعة باسلوب ومنطق المحاباة ٠٠

أليس هذا التجميع أفضل وانفع حتى لمـن سلبوا حقهم في العبقرية من التوزيع والتقسيم الذي لا بـد ان يتحول الى تبديد أو تبدد لا بـد ان يتحول الى ضياع ؟

نعم ، اليس تجميع العبقرية أفضل من توزيعها وأنفع حتى لمن حرموا منها بل حتى لمن سلبوا حقهم فيها ليحابى بـه أي بحقهم في العبقرية لتتجمع اي العبقرية فـي أفـراد قليليـن ؟

ماذا لـو كان البشر يختارون كينونتهم أو صيغة كينونتهم أي مع افتراضهم عقلاء وحكماء ومريدين الخير والتقدم والحضارة والرخاء للجميع بلا حقد أعمى قتال ؟ اليس محتوما حينئذ ان يختاروا تجمع المقادير المقسومة لهم من العبقرية والتفوق في أفراد قليلين ليكونوا خلاقين ووهابين ومغيرين الى الافضل والاقوى والانفع ، لتكون عضلاتهم العقلية والنفسية والاخلاقية ، أي عضلات هؤلاء الافراد الاقلين ، قـادرة على تحطيم حجارة وحدود وسدود وحواجز الطبيعة لصياغتـها صياغـة حضاريـة انسانية ـ لتكون أي عضلات هؤلاء الاقلين ، عضلاتهم العقلية والنفسية والاخلاقية قادرة على اخراج الحياة والطبيعة وجميع الاشياء كما يريدها ويخطط لهـا ويحتاج اليها ويفهمها الانسان المتحضر ، لا كـما تريدها وتخططها وتخرجها وتفـرح بهـا وتفهمها وتنتصر عليها الآلهة البدوية الهمجية الصحراوية ـ بـدل ان تتفـرق أي مقادير العبقرية المقسومة والمقدرة ، فتضيع وتتبدد وتصبح عاجزة عن ان تظهـر أو ان تفعل او تخلق وتبدع وتهب وتغير ؟ كم يمكن ان تكون المأســاة والخســران الحضاري لـو أن عبقرية الافراد الاقلين وزعت توزيعا عادلا متساويا علـى جميـع أفراد مجتمعاتهم ؟ وكـم كان محتوما ان تجيء حظوظ الحضارة جيدة جدا لو أن مـا فرق على افراد المجتمعات من ذكاء ومواهب مبددة ضائعة جمع في افراد قليلين ؟

ماذا لـو أن آلهة هذه الطبيعة قـد صاغت بغضها وعداوتها وحربها وتحطيمهـا للانسان باساليب اكثر ذكاء وايلاما ؟ اليس محتوما حينئذ أن يكـون مـن هـذه الاساليب التي هـي اكثر ذكاء وايلاما ان توزع العبقرية التي تجمعت في آحاد قليلين على اعداد أكثر لكي تتبدد وتضيع فـلا تستطيع أن تتحول الى قوة مؤثرة أو معطية أو مقتحمة أو منتصرة ؟ لقد كان شيئا جيدا أن آلهة الطبيعة لـم تكن جيدة الذكـاء او التخطيط والتدبير في عداوتها للانسان ولارادتها الايقاع بـه ·

لعل افضل وانفع عمليات التجميع والتكثيف تجميع وتكثيف المواهب والعبقريات لتكون اقدر واجرا على القفز والتاثير والتجاوز · ولعل اردا واقبح عمليات التبديد أو التوزيع تبديد وتوزيع العبقريات والمواهب أو تبديد وتوزيع طاقات الابداع في عقل الانسان وفي نفسه واشواقه وطموحه ، اي تبديد او توزيع المقادير المحسوبة والمعنية من ذلك على مجالات أوسع من احتمالاتها ، لتتلاشى وتضيع بل وتستهلك موتا فـلا ترى او تحس او تستطيع ان تفعل · لعل اقبح واظلم اساليب العـدل والمساواة

هـو تقسيم العبقريات المحددة على كـل احـاد المجتمع بالعدل والمساواة ٠ ولعل اعدل وافضل أساليب المحاباة والتفرقة هـو تجميع ذلك في أفراد قليلين ليكونوا خلاقين ؟

نعم ، اليس تجميع ذكاء آلاف العقول التي يملك كـل عقل منها مقدارا ضئيلا من الذكاء ، في عقل واحد ليكون عبقريا خارقا خالقا هو اعدل واعظم واتقى تجميع ، كمـا ان توزيع عبقرية عقل واحد خارق خالق على آلاف العقول ليملك كل عقل منهـا قدرا ضئيلا لايستطيع ان يتحول الى ابداع أو الى عظمة هو أقبح واردأ واظلم توزيع؟

اليس ذلك كذلك لـو كان من المستطاع فعله ، او لو ان احدا قد فعله ؟

اليس احتمالا جيدا جدا ان كثيرا من العبقريات والمواهب المختلفة قـد ضاعـت في الانسان وضاعت عليه لانها قـد جاءت موزعة ولم تجيء مجمعة ؟

اليس أحتمالا شريرا ان قدرا شريرا او خالقا شريرا قـد وزع هـذه العبقريات والمواهـب بتدبيـر شريـر ؟

اليست في ذوات أعداد كبيرة من البشر اجزاء أو مقادير ضئيلة مـن المواهـب والطاقات الانسانية لـو انها تجمعت في ذات واحدة أو في ذواتقليلة لتحولت الـى عبقرية مكثفة تستطيع أن تصوغ الحياة والطبيعة صياغات عظمى ؟

اليست العبقريات الخلاقة هـي فقـط العبقريات المكثفة ؟ أليس اعظـم وانفـع تكثيف في هذا الكون أو في هذا العالم هو تكثيف العبقريات الانسانية ؟

اذن اليست جميع الذوات البشرية التي تعيش فيها اجزاء او مقادير صغيرة من الذكاء والمواهبالانسانية المختلفة هيذواتسارقة وقاتلة، لانها قد سرقت وقتلت في داخلها طاقات موزعة لـو انها تجمعت لتحولت الى شيء آخر ، الى شيء عظيم وكبير وفعال ؟ انها ذوات سارقة دون أن تنتفع بسرقتها او ينتفع بها سواها ، بـل دون ان تريد هذه السرقة او تعلم بها ، بل انها سارقة لما تضرها سرقته ٠٠

اذن لننظر ونحزن ، فقـد تكون ذواتنا من هذه الذوات السارقة القاتلة ٠٠ مـن هذه الذوات التي تحولت الى مقابر لطاقات انسانية بعثرت ، فخمدت وعجزت وماتت او صمتت ، لطاقات انسانية مبددة بـلا منطق أو تخطيـط او حساب ، لـو انهـا أحتشدت في ذات واحدة أو في ذوات قليلة لتحولت الى طاقة أبداعية هائلة ٠ نعم ، لننظر ونحزن فقـد تكون ذواتنا هـي اقبح واوقح واغبى سارق في هـذا العالم ٠ قـد نكون سارقي شظايا واشلاء عبقريات وعضلات عقلية ٠

اذن لتفتش في ذاتك ولتحاسبها وتقرأها حزينا مذعورا فقـد تكون أي ذاتك ، أي ذاتي هي احدى هذه الذوات السارقة القاتلة « القبر » ٠

اذن لافتش أنـا في ذاتي ، فلعلها سارقة لقدر من العبقرية ، لقدر من العبقريـة ليكـون تشويهـا فيـها ..

ماذا لـو أن البشر عرفوا ذلك ثـمأستطاعوا بوسيلة جديدة خارقة أن يسحبوا أجزاء الطاقة الانسانية المفرقة والمبعثرة في ملايين الذوات البشرية ليحشدوها فـي ذوات قليلة لكي تصبح فعالـة خلاقـة ؟

اليس محتوما أو محتملا جدا أن يقوموا حينئذ بعملية السحب هـذه وبعمليـة الحشد هذه ؟ ليتهم يستطيعون ذلك ويفعلونـه . الا يحتمل ان يستطيعوه في يـوم آت ؟ هـل يتاثمون حينئذ اخلاقيا أو حضاريا أو انسانيا من فعله ؟

اليس من الواجب الاخلاقي والانساني بل والمذهبي والوطني والقومي ان يفعلوه ؟ بـل اليس من الرحمة والتكريم والعطاء لمـن يسحبون منهم أن يفعلوا هذا السحـب بهـم ؟ اليس سحب عضلاتك التي لا تحميك لتضم الى عضلات تحميك وسحـب بصرك الذي لا يهديك ليضم الى بصر يهديك ، شيئا جيدا لك ولغيرك ؟

هـل وجود القدر الضئيل من الذكاء أو من الموهبة في الذات الانسانية يمكن ان يكون شيئا نافعا او ممجدا لهـا أو للحياة أو الحضارة والتقدم ؟

اليس محتملا أن يكون وجود هذا القدر الضئيل ضارا ومفسدا ومحقرا ومورطا وموقعا في المخاطر والمشاكل والازمات والتفاهات والسخف ؟

الا يمكن أن يكون ذلك معوقا ومضللا ومشوها ومغريـا بالورطات والاخطـاء موقعـا فيـها ؟

اليس النافع والمطلوب والقوة أن تكون مقادير الذكاء والموهبة في الذات مقادير جيدة وقادرة على المواجهة وعلى الفهم والتعامل والتحدي بقوة وانتصار وتفوق وألا فمـن الخير الا يوجد منهما أي من الذكاء ولا من الموهبة أي شيء أو أي قدر في الذات، لتكون أي الذات أقـل تشوها وتعقيدا وتوريطا وغرورا وأدعاء وعصيانا وجراة بـلا قـدرة وبـلا تكافـؤ مـع الموقـف ؟

اليس العطاء الذي هـو أقبح واكثر ايذاء وتوريطا من المنع ومن الحرمان الشامل هـو فقـط أعطاء الذكاء والموهبة بمقادير ضئيلة ؟ أليس النموذج المطلوب أن يكـون الانسان عبقريا جدا ليرى ويكتشف ويبدع ويقود ويخطط أو بسيطا جـدا ليطيـع ويتقبل وينفذ ويسير في الطريق بلا عجز أو منافسة حاقدة .

اذن فسحب مقادير الذكاء او الموهبة الضئيلة من الذوات الكثيرة لتجميعها في ذات واحـدة او في ذوات قليلـة ليس شيئا جيدا ونافعا فقط ، بـل شيء واق من الشرور والآلام ومن العاهات العقلية والنفسية والاخلاقية ..

ان القدر الضئيل من الذكاء والموهبة شيء رهيب في قبحه وتدميره وتوريطه وتشويهه وبذاءته · أنه قد يعلم العصيان والحقد والغرور والمنافسة والبغضاء ويقود الى ذلك ، دون أن يعلم شيئا أو يقود الى شيء أو يستطيع شيئا أو يعشق شيئا عظيما أو جيدا ··

ان ذلك يشبه قائدا في أضخم وأعتى معركة ، لا يملك ألا قدرا ضئيلا جدا من معاني القائد ومن شروطه وتفاسيره وقدرته · ان الشرط الدائم لكل قائد أن يكون كل معاني القائد أو ألا يكون قائدا ، أو ألا يكون فيه معنى من معاني القائد لئلا يصبح قائدا ··

ان النموذج المطلوب للقائد وللزعيم وللحاكم ولكل رجل مسؤول ان يكون شامل الذكاء حاده ، والا فالواجب أن يكون فاقدا لكل مستويات وفنون الذكاء الى المدى الذي يجعله يهاب أو يعجز أو يمنع أن يتخذ أو ينفذ أي قرار خطير أو كبير ·

الى المدى الذي يمنعه من أن يصبح قائدا أو زعيما أو حاكما أو مسؤولا ··

كما أن النموذج المطلوب للانسان العادي في المجتمع أن يكون متكامل الذكاء والا فالافضل أو الاقل سوءا وضررا أن يكون فاقدا لكل درجات الذكاء وعارفا معترفا بفقده هذا ، جاعلا من فقده هذا ومعرفته واعترافه به أنسانا متواضعا مطيعا مؤدبا ، ليكون تابعا منفذا لاوامر الذكاء الشامل الحاد الموجهة اليه ، بالطاعة والتواضع والاخلاص والالتزام والدقة التي تتلقى وتنفذ بها الآلة الاوامر الموجهة اليها ، وايضا لكي يهاب أن يتعامل بعقله أو بذكائه أو بتدبيره أو بغروره تعاملا يحوله الى تشوهات وورطات واخطاء وفضائح من كل نوع وبكل حجم ·· ان النموذج الاعلى لاي مجتمع أن يكون الانسان فيه انسانا كاملا في طاقاته النفسية والفكرية والاخلاقية والتخطيطية أو آلة كاملة في طاعتها وحبها واخلاصها وايمانها ودقة تنفيذها ·

أليس النموذج الاعلى والاعظم والمطلوب لاي مجتمع أن يكون جميع آحاده أذكياء ذكاء شاملا وحادا ومتكاملا متكافئا ، أو أن يكون قادته وزعماؤه وحكامه ومعلموه وجميع مسؤوليه في أعلى معارج الذكاء والعبقرية والتكامل الانساني ، ان يتجمع فيهم كل مقادير الذكاء والعبقرية الموزعة باسلوب البعثرة والتبديد والتضييع على جماهيره أو التي يمكن ان توزع عليها كذلك ، محروسة ومحكومة أي مقادير الذكاء والعبقرية المتجمعة فيهم بعبقرية اخلاقية ، وتكون جماهيره أفضل نماذج الطاعة والحب والتواضع والاخلاص والاحترام والتنفيذ والالتزام والدقة بل والآلية ولكن بلا هوان أو قهر أو اذلال أو استعباد ؟ أليس أسوأ وأخطر النماذج للبشر هو

الانسان الجزء ؟ اليس الانسان الآلة أفضل من الانسان الجزء ؟ أليست الآلة أذكى وانفع من الانسان البليد ؟

اذن اليس اردأ النماذج لاي مجتمع أن يكون معدولا عدلا شاملا وكاملا بين جميع آحاده في توزيع جميع ما فيه من طاقات الذكاء والعبقرية المقررة أو المحسوبة الموهوبة له أو المختبئة في احتمالاته لكي يجيء بعدا وأرتفاعا وحجما واحدا ، بلا قمم ومنخفضات ، وبلا عمالقة واقزام ، وبلا شموس وتوابع ، حتى ليتشابه او يتماثل جميع افراده فيما يختزنون ويحملون ويستطيعون ويساوون من القيم الانسانية والبشرية مهما تفاوتوا جدا في درجاتهم الاجتماعية والمكانية ، وحتى ليذهبون جميعا يحسبون ويزعمون انهم جميعا عمالقة وقمم وشموس كل ما حولها وكل ما هنا وهناك ليست سوى توابع لها تدور حولها ، لانهم لم يجدوا او يروا او يجربوا قمما شاهقة ترى وتبهر وتروع ، لكي يحاسبوا ويقيسوا أنفسهم بها فيتواضعوا ويتادبوا ويؤمنوا ويحبوا ويتبعوا باخلاص وفداء وانبهار واستمتاع ؟

ان مجتمعا ما يملك داخل حدوده قدرا من العبقرية التي جمعت في آحاد منه تجميعا كثيفا لا بد أن يصبح أعظم وأفضل وأقوى من مجتمع آخر مساو له في العدد وفي جميع الظروف ، يملك قدرا أكبر من العبقرية ولكنها وزعت على جميع آحاده توزيعا عادلا اي توزيعا مبددا لها ٠ أن أسرة أو جماعة فيها عبقري واحد لاعظم من اسرة أو جماعة فيها مائة من ذوي المواهب المتوسطة أو دون المتوسطة ٠٠

اجل ، ان اردأ نماذج المجتمعات هو المجتمع الذي يعجز عن أن يلد العباقرة والمتفوقين ، عن ان يجمع طاقاته العقلية والابداعية والاقتحامية في آحاد منه ، أو عن أن تتخلق فيه مثل هذه الطاقات التي تذهب وكأنها تتعمد وتدبر ذلك تدبيرا الى افراد قليلين لتتجمع فيهم كالمحاباة المدبرة النبيلة ، ثم يعجز أي المجتمع عن أن يتواضع أو يتهذب في فهمه وفي رؤيته وتفسيره لنفسه ، وفي تعبيره وحديثه عنها ؟ نعم ، ان اردأ المجتمعات والاكوان هو المجتمع أو الكون الذي يلد الكثير من الاقمار والنجوم الخامدة الهامسة دون ان يلد أية شمس أو أي قمر تصلي له العيون المبهورة ولعله محكوم على جميع المجتمعات التي لا يتخلق فيها العباقرة ولا المتفوقون بالا تكون متواضعة أو مهذبة أو متوقرة في فهمها ورؤيتها وتفسيرها لنفسها وفي تعبيرها وحديثها عنها ٠٠

ان الوقاحة والغرور والبغضاء بديل وتعويض دائم عن العبقرية والموهبة والقوة٠

أما المجتمعات التي تصنع العباقرة والموهوبين فلا بد أن تكون اكثر واصدق تواضعا وتهذيبا وتوقرا في فهمها لنفسها ، وفي رؤيتها وتفسيرها وعرضها لها ،

وفي احاديثها وتعبيراتها واعلانها عنها ، بل وفي تعاملها مع الاخرين ومعاملتها لهم وفي رؤيتها وتفسيرها وفهمها وتصورها لهم ، وفي تحدثها معهم وعنهم واليهم ومن اجلهم ، وفي احساسها بهم وباحتياجاتهم وحقوقهم وبظروفهم بل وبآلامهم ومشاكلهم ، بل وبأعذارهم وأسبابهم وبمنطقهم حين يخطئون أو يجهلون أو يعتدون أو يهبطون الى اعماق الحضيض بذكائهم أو اخلاقهم او بعلاقاتهم ومعاملاتهم ولغاتهم وضمائرهم ونياتهم • ان المجتمعات العبقرية تجد تفاسير لأخطاء الآخرين ولعيوبهم اكثر مما تجد التفاسير لأخطائها ولعيوبها هي ، وترى مزايا هؤلاء الآخرين وتمجدها وتعلن عنها اكثر مما تفعل لمزاياها هي •

ان العبقرية والتفوق ليسا تعبيرا واحدا أو صيغة واحدة ، ولكنهما كل الصيغ والتعابير • فالمجتمعات أو الشعوب العبقرية والمتفوقة اي التي يظهر فيها الأفراد العباقرة والمتفوقون ليحولوها الى صياغات اقوى واذكى واعظم واكثر تحضرا وابداعا، لا بد ان تكون مجتمعات أو شعوبا افضل وانبل واتقى في جميع معاملاتها ومواقفها وعواطفها ورؤاها وتعبيراتها ، وفي حبها وبغضها وفي صداقتها وعداوتها وفي حربها وسلمها ، متعاملة مع نفسها ومع اصدقائها واعدائها ومع كل احد •• انها في محاكماتها العقلية والاخلاقية والنفسية للاشياء لتقف مع الاخرين ضد نفسها اكثر مما تقف مع نفسها ضد الآخرين بل أو ضد اعدائها •

اما المجتمعات والشعوب التي لا تهب هؤلاء العباقرة والمتفوقين فلا بد أن تكون حضيضا ونذالة في كل شيء • لا بد أن تكون عدوانا بذيئا ووقاحات متفجرة في كل تفاسيرها ومعانيها ولغاتها ونياتها ، وفي كل علاقاتها ومعاملاتها مع كل احد وكل شيء • ان النذالة والوقاحة والبغض والحقد والبذاءة النفسية والاخلاقية واللغوية هي كل موهبتها ونضالها وحضارتها وتدينها •• ان هؤلاء بقدر ما يعجزون عن ولادة الافكار والفنون والحضارات والابداع يعجزون كذلك عن ان يحبوا أو يصادقوا أو يصدقوا أو يحترموا أو يعدلوا أو يتواضعوا او يتادبوا ويتهذبوا أو يتوقروا أو أن تصاب ضمائرهم أو نياتهم أو اخلاقهم بالنظافة أو التقوى او التدين ، مهما غطوا ولثقلوا وزخرفوا منابرهم ومحاريبهم بالآلهة والانبياء والكتب المقدسة وبالصلوات والتعاليم المتوحشة في وعيدها وتهديدها وقسوتها ومطالباتها • انهم بقدر ما يعجزون عن ولادة الذكاء والتفوق والقوة يذهبون يفرزون الخبث والسوء وكل انواع القبيح النفسي والاخلاقي واللغوي •

والاخلاق والضمائر ، كما ينبغي ان يكون معلوما جيدا ، ليست تعليما او تهديدا او ايمانا بإله او بدين او بمذهب ، بل انها اي الاخلاق والضمائر المهذبة القوية

المتطهرة ليست حتى تربية أو ارادة أو نية أو تقوى ، وانما هي موهبة وطاقة ومستوى كينونة وذات ، مثل الذكاء والجمال وقوة العضلات . انها اي الاخلاق والضمائر لا تعلم ، وانما تعلم لغتها أو التعبير عنها والتوزيع لها وتحديد وتغيير اتجاهاتها واهدافها ..

ولكن ما التفسير للمجتمع الذي لا يتخلق فيه العباقرة والموهوبون ؟ هل تفسيره انه قد وزع عبقرياته ومواهبه توزيعا حولها الى تبديد وضياع ، ام تفسيره انه مجتمع مجدب لا يستطيع أن ينبت في صحرائه المحلة اي نبات قوي أو جيد أو جميل ؟ أليس البشر كالارض ، منها الخصب القوي ومنها المتحول الى خزانات هائلة لكل انواع المعادن الثمينة ، ومنها المحروم من هذا وهذا ومن كل شيء جيد ونافع ؟

اليس محتوما لهذا أن جماهير المجتمعات التي لا تلد المتفوقين لا بد أن تكون في جميع مستوياتها اردأ جدا من جماهير المجتمعات التي تلد هؤلاء المتفوقين ؟ أليس خروج النبتة أو الثمرة الجيدة والقوية والجميلة دليلا على جودة النوع والارض والبيئة ؟ ثم اليس العكس أيضا صحيحا ؟

البس نموذج المولود تعبيرا عن نماذج الاباء وتفسيرا لها واعلانا عنها؟ اليس وجود العبقريات الآحادية في مجتمع ما دليلا على عبقرية النوع ، على عبقرية البيئة الذاتية ؟؟

اذن حينما نجد أو نتصور مجتمعا لا يلد الموهوبين يجب ان نعرف جميع مستوبات جماهيره ، مستوياتهم العقلية والنفسية والاخلاقية بل والدينية والمذهبية . كذلك يجب أن نعرف جميع هذه المستويات لجماهير المجتمعات التي تلد هؤلاء الموهوبين . يجب ان نعرف نوع البيئة الذاتية للمجتمعات التي تلد المتفوقين وللمجتمعات التي لا تلدهم من مجرد ولادتهم ومن مجرد العجز عن ولادتهم ..

وحينئذ لن تستطيع جميع التعاليم والمواعظ بل والاديان والمذاهب ان تفعل شيئا للصعود بالمستويات الاخلاقية أو النفسية أو الفكرية أو التهذيبية أو الدينية أو المذهبية لجماهير المجتمعات التي لا تصنع المتفوقين والموهوبين .. أما جماهير المجتمعات التي تهب هؤلاء الموهوبين والمتفوقين فان حرمانها من جميع التعاليم والمواعظ والنبوات والتهديدات والمنابر ومن اغراءات وارجافات الكتب المقدسة ، لن يستطيع أن يهزم أو يضعف شيئا من طاقاتها الذاتية التي تتحول الى تعبيرات انسانية وحضارية متنوعة . ان طاقاتها الذاتية لن تضعف بحرمانها من جميع التعاليم الا اذا كانت اي هذه الطاقات انما صنعتها التعاليم .

بل ان حميع البشر لو تحولوا الى انبياء ومعلمين ليأمروا ويعلموا جماهير هذه المجتمعات ان تتنازل عن شيء من مستوياتها الاخلاقية أو النفسية أو الانسانية أو التهذيبية أو الدينية لما امكن أن تتنازل بل ولما استطاعت ان تتنازل حتى ولو هددوها بكل اهوال جحيم الآلهة التي روى أوصافها وحدث عنها جميع انبياء البداوة ان لم تتنازل هذا التنازل المطلوب ٠٠ ان الوعظ لا يستطيع ان يسحب من المجتمعات اخلاقها الا بقدر ما يستطيع ان يسحب من الوجوه جمالها ٠٠

وانه لمشهد دائم من مشاهد التاريخ الدائمة ان المجتمعات التي يتزاحم عليها الارباب والانبياء وجميع طوابير الدعاة والمعلمين ، والتي تتزاحم مدنها وقراها وصحاراها وجميع ميادينها وطرقها وبيوتها بالمنابر والمحاريب وبزئير الآيات والاحاديث هي أضعف وأردأ المجتمعات اخلاقا وضمائر ، بل وتدينا وابعدها عن الطهارة والصدق والحب وعن المجد وعن صفاء النفس وشموخها ٠٠

انها لا بد ان تكون وان تظل ابعد المجتمعات عما توعظ به وعما تدعي اليه ٠٠

ان ابعد المجتمعات عن اخلاق السماء وعن طاعتها هي اكثر المجتمعات تحدثا عن السماء وولادة للمتحدثين عنها وعن آلهتها ٠

ليس لأن هؤلاء يضعفون أو يفسدون اخلاقها وصفاءها الروحي والفكري والانساني ٠ ليس لأن هؤلاء بتعاليمهم وأساطيرهم المتوحشة يهزمون فروسيتها النفسية أو الاخلاقية أو الفكرية أو الدينية أو الوطنية أو الحضارية مع ان المفروض والمنتظر ان يفعلوا ذلك ٠٠

ليس لانهم يجيئون بعد ان قاسوا من فسادها فارادوا مداواتها من ادوائها ٠ أي ليس لأنهم يجيئون احتجاجا وغضبا على ما جربوا ورأوا من هوان ووقاحة اخلاقها ٠٠

ولكن لأنهم هم اي هؤلاء المتزاحمين عليها من الارباب والانبياء وأصناف الدعاة والمعلمين ليسوا سوى معنى من معاني ضعفها ووقاحة اخلاقها ونياتها ٠ بل انهم هم أكبر وأقوى هذا الضعف وهذه الوقاحة الاخلاقية والنفسية في هذه المجتمعات والشعوب ٠ ان هؤلاء الارباب والانبياء والدعاة ليسوا تعبيرا عن ضخامة التقوى أو النظافة أو الحب أو الجمال أو المعرفة بل عن ضخامة الضعف والعجز والحقد والبداوة والقسوة ٠ انهم يجيئون كما يجيئون وبما به يجيئون لأنهم وقحون وفضوليون ومعادون وحاقدون وصانعون للآلام والمتاعب والاحزان والمشاكل والاحقاد والعداوات ، ولا يجيئون لانهم طيبون أو محبون أو أصدقاء أو عارفون لماذا يجيئون ٠ انهم

يجيئون كالانتقام والغضب والبغضاء والعقاب ، ولا يجيئون كالحب أو الرحمة أو الصداقة أو الغفران أو التسامح ·

ان مجيء هؤلاء الارباب والانبياء والدعاة والمعلمين بكل هذا التزاحم والكثافة الى هذه المجتمعات لهو التعبير الشامل العنيف عن وقاحة ونذالة اخلاقها ومستوياتها· انه قد يكون احد التفاسير لمجيء هؤلاء بهذا التزاحم والكثافة الى مجتمع من المجتمعات هو التفسير لكثرة تخلق الحشرات والقحط والمجاعات والاوبئة في زمان أو مكان ما · انه تعبير عن التخلف والعجز والفساد وعن فقدان النظافة والظروف الجيدة القوية · ان السماء لن تبعث برسلها وتعاليمها الى المجتمع المتقدم القوي المتحضر السوى كذلك فان الطبيعة لن تخلق الحشرات والاوبئة في البيئة النظيفة ·

ان اي نبي أو معلم أو زعيم أو حتى كاتب أو مفكر أو شاعر أو فنان يجيء الى هذه المجتمعات التي لا تصنع المتفوقين ، أو يجيء منها ، لن يكون في جميع تفاسيره واحتمالاته ونياته الا حقدا أو بغضا أو ضياعا أو ألما او سخفا أو عداوة أو بذاءة أو وقاحة او بلادة تتفجر منها عليها ··

انه يجيء كمريض وكمرض ، ولا يجيء كطبيب أو كطب · انه انفجار لا تدبير ولا خطة ولا ارادة ·

انه اي هذا النبي أو المعلم أو الزعيم أو المفكر أو الشاعر أو الفنان الذي يخرج في مثل هذه المجتمعات ، ليعلم ويشرع ويهدي ويقود ويهدد ويغني ويصرخ ـ انه ليس الا عقابا تفرزه اخلاقها وموهبتها لتعاقب به حياتها ولتعاقب ايضا به اخلاق وعقول وضمائر جميع المتحضرين والانسانيين ·· انه هو والد الخطيئة ومولودها وتفسيرها ، وليس هو المحتج عليها ولا مرسل المحتج عليها ولا مفسر الاحتجاج عليها ··

ان هذه المجتمعات تلد وتعطي انبياءها وزعماءها وشعراءها وفنانيها ومفكريها ومعلميها بالحوافز والنيات والاخلاق والتقوى التي تلد وتعطي بها اجسادها امراضها وتشوهاتها وآلامها واحزانها ، والتي بها تعطي وتلد نفوسها وعقولها واخلاقها وعضلاتها وكل وراثاتها وخصائصها التاريخية والعرقية احقادها وبغضاءها وعداواتها وبلاداتها وبداواتها وذنوبها وعجزها وتخلفها وجميع صغائرها وبذاءاتها · نعم ، انها تلدهم وتعطيهم بالتفاسير والنيات والاخلاق التي يلد ويعطي بها الزمان والمكان الحشرات والمجاعات والاوبئة والآفات الاخرى ··

انها لا تعطي ولكنها تفرز · انها تعاقب ، تعاقب بصيغتها لا بذكائها ولا بمنطقها · انها حالة وليست فكرة · لهذا فانها لا تستطيع ان تكون غير ما تكون ··

انه لمن المحتوم ان تكون اكثر المجتمعات خطايا وقبحا وتلوثا ونذالات ووقاحات واحقادا وعدوانا نفسيا واخلاقيا هي اكثرها آلهة ونبوات واديانا وتعاليم متوحشة محقرة معيرة متكبرة شاتمة ـ اي ومن المحتوم ايضا ان تكون اكثر المجتمعات آلهة وانبياء ومعلمين واديانا من هذا النوع المتوحش المحقر المعير المتكبر الشاتم هي اكثر المجتمعات خطايا وقبحا وتلوثا ونذالات ووقاحات واحقادا وعدوانا نفسيا واخلاقيا ، بل واكثرها كتابا ومفكرين وشعراء وفنانين ووعاظا من هذا الطراز الاليم البذيء الصغير العدواني الذي لا يعيش فيه اي مستوى أو نوع من الحب او الصداقة أو الصفاء أو التهذيب أو الكرامة أو الشجاعة أو التقوى الدينية أو المذهبية أو القومية أو الوطنية أو الاخلاقية أو النفسية أو الفكرية ·· اليس صحيحا ان اعنف الناس اديانا ومذاهب وارباباً هم اقل الناس تقوى دينية ومذهبية وانسانية ؟

ان الانبياء والمعلمين والمفكرين والفنانين والزعماء والشعراء الذين يتخلقون في هذه المجتمعات كما تتخلق العاهات في الاجساد التي تخلق العاهات ، ليسوا الا باصقي احقاد وعداوات وبغضاء وبذاءات وتفاهات وقبح وحسد وعجز وتخلف وآلام وهموم وشماتة وتعيير وشتائم وقيح بكل معانيه وانواعه · أيهما اعتدى على الآخر أو صنع أو دعا أو اصاب الآخر : العاهات والامراض التي اصابت الاجسام أم الاجسام التي اصيبت بالعاهات والامراض ؟ ايهما الداعي وايهما المستجيب ؟

انهم ليسوا الا باصقين لكل ذلك ، وليسوا الا مبصوقين لكل ذلك ومن كل ذلك · لقد بصقهم كل ذلك ثم ذهبوا يبصقون كل ذلك ·· ايهما البادىء بالبصق على الآخر : المجتمعات في بصقها على انبيائها وزعمائها أم الانبياء والزعماء في بصقهم على مجتمعاتهم ؟

انهم ليسوا واهبي نبوات أو تعاليم أو فنون أو افكار أو شعر او اديان او محبة أو صداقة أو غيرة او تقوى أو جمال وتهذيب ، مهما جاءوا في صيغة او لغة من يفعلون ذلك ··

انهم ليسوا نشيدا أو غناء او سلاما أو مصافحة ولكنهم نعيب وعواء ومشاتمة ·

ان هؤلاء الانبياء والمنقذين والغيرى والفدائيين الذين يجيئون الى مجتمعاتهم ويجيئون منها ليموتوا حبا وعطاء وفداء واحياء كما تموت الحقول والشموس والانهار والازهار ، كما تموت هذه لتكون حياة وضياء وجمالا ومجدا ومسرة ورخاء لمن تموت لهم ·

نعم ، ان هؤلاء الانبياء المنقذين الفدائيين المحبين الغيرى ليسوا اكثر محبة او صداقة أو عطاء أو فداء لمن جاءوا من اجلهم ، ولا اكثر براءة أو تهذيبا او صدقا أو

رحمة أو جمالا نفسيا أو عقليا أو اخلاقيا من اللصوص والقتلة والاعداء وجميع انواع المخربين • ان هؤلاء المنقذين يجيئون الى المجتمعات كما تجيء الامراض الى الاجسام التي تصاب بها • ان الامراض تعبير عن حالة الاجسام وعن استعدادها وموهبتها بقدر ما الاجسام تعبير عن حالة الامراض وعن قبحها وشراستها وقوتها • ان المجتمعات تنبت هؤلاء المنقذين بالاساليب والاخلاق التي بها تنبت الابدان الامراض والعاهات •

اجل ، فالمجتمعات التي تهب أو تلد العباقرة والمتفوقين هي اقل المجتمعات •• وهي في ولادتها لهم شحيحة ، شحيحة جدا محاسبة بمن تلد من الجماهير الاخرى • انه تقتير حزين في الوالدين والمولودين • انه لا نموذج لهذا التقتير في اخلاق الطبيعة •

وهؤلاء العباقرة والمتفوقون هل هم متكلمون دائما ، ام هم مصوتون في اكثر حالاتهم ولا يتحولون الى متكلمين الا قليلا جدا ؟ هل يستطيعون ان يكونوا متكلمين دائما ؟ هل يستطيعون ان يكونوا كذلك الا قليلا جدا ؟

هل العبقري أو المتفوق عبقري أو متفوق دائما ، هل هو الذي يفعل العبقرية أو التفوق دائما ولا يفعل ما ليس عبقرية أو تفوقا ابدا ، ام هو الذي يفعل ذلك احيانا قليلة جدا ؟ اليست ولادة العبقري للعبقرية نادرة مثل معايشته لها ومثل ولادة المجتمع العبقري للعباقرة ومثل ولادة المجتمعات للمجتمع العبقري ؟

اليس العبقري جدا هو الذي حينما يعيش العبقرية أو يصنعها أو يحبها ويتلاءم معها يبدو كأنه خارج على نفسه وشذوذ فيها وعدوان عليها وتعذيب لها ؟ أليس العبقري هو الذي يعيش كل وجوده مثل الناس العاديين سواء ، بكل ضعفهم وتفاهاتهم وصغائرهم وهمومهم الذاتية ، ولكنه احيانا قليلة جدا يفاجيء مجتمعه بل ونفسه بشيء لم يكن معروفا أو موجودا ليبدو مثل ساحر أو نبي يضع يده في فمه أو جيبه ليخرج منه شيئا لم يكن أحد يتوقعه أو يعرفه ؟

اليست العبقرية شيئا لا يطيقه العبقري ولا يهواه ولا يسعد به أو يشعر بمجده وقيمته الا اذا كانت هي اقل ممارساته لحياته وفي حياته ؟ ان العبقري لا يفعل عبقريته الا مرتحلا عن ذاته اي الا باسلوب الارتحال عن الذات أو باسلوب التحدي والتخطي لها ••

هل يستطيع اشجع الشّجعان أو اعظم العظماء أو اذكى الاذكياء أو أعمق المفكرين تفكيرا أو اكثر الجادين جدا ـ هل يستطيع احد من هؤلاء ان يكون كذلك ، اي أن يعيش ويمارس ويلتزم ويهوى موهبته أو مزيته أو تفوقه الا في اقل مواقفه ؟ أليس

التفوق شذوذا في حياة المتفوق بقدر ما المتفوق شذوذ في المجتمع المتفـوق بقدر مـا المجتمع المتفوق شذوذ في المجتمعات غير المتفوقة ؟

هل يستطيع الالــه أو النبي أو القديس أن يكون في كل اوقاته ومواقفه أو في اكثر اوقاته ومواقفه الها او نبيا أو قديسا ، أو ان يكون سلوكه أو نياته أو اهواؤه أو اشواقه سلوك أو نيات أو اهواء أو اشواق الــه أو نبي أو قديس في كل المواقف والاوقاتأو في اكثرها ؟ أليس الالــه جدا هو الذي يكون آلهـا في اقل اوقاته ومواقفه؟ بل هل استطاع أو يستطيع الالــه أو النبي ان يكون الـها أو نبيا في اي وقت أو موقف من اوقاته ومواقفه ؟

والمتكلم اي الذي هو في طور المتكلم بل في طور المتكلم العبقري هل يستطيع أن يكون متكلما الا في اقل حالاته ومواقفه ؟ اليس محتوما ان يتحول في اكثر حالاته ومواقفه ، بل وفي اكثر اشواقه ونياته ، الى مستفرغ لذاته ، اي الى مصوت كما تفعل جميع الكائنات المصوتة وكما يفعل البشر المصوتون الذين لـم يبلغوا طـور المتكلمين ، اي كما يفعل الآلهة والانبياء والزعماء والشعراء والمفكرون العرب اي الذين يحسبون مفكرين من العرب ؟ أليس المتكلم لمفكر جدا يستطيع أن يعيش بلا كلام أو تفكير بمعناهما الحضاري كل حياته أو بعض حياتــه أو دون تعبير عنهمـا تحت الظروف القاسية أو الملزمة اكثر مما يستطيع أن يعيش شيئا من حياته بلا استفراغ لنفسه بالتصويت وغيره ؟

لنفسر الكلام بأنّه تفكير وتخطيط • ولا بد أن يكون التفكير والتخطيط هما بعض تفاسير الكلام • فهل يستطيع اذن اي متكلم أن يكون متكلـما الا فـي حالات كانها الشذوذ الحاد بل المرهق المخيف في حياته ؟ أين هو الذي يستطيع أو يريد أن يجعل التفكير والتخطيط مساحة واسعة في حياته ؟ أين هو الذي لا يضيع تفكيره وتخطيطه في عالـم تصويته ؟

لنفترض ان الكلام هو أن نقول حين يجب ان نقول ، بالقدر وبالاسلوب اللذين بهما يجب أو ينبغي ان نقول ، بالنيات والحوافز التي يجب ان يقول بها من يقول ، للقوم الذين يجب او ينبغي ان نقول لهم ، بالمنطق الذي لا بد أن يفهموه وان يقنعهم. اليست هذه شروطا وقيودا صعبة جدا أو مستحيلة التنفيذ ؟ ولكن اليست شروطا وقيودا لا بد منها أو لا بد من القول والتعليم بالتزامها ؟

أو لنفترض انه اي الكلام هو أن نقول شيئا لا بد ان يهبنا أو يهب من نقول لهم أو يهب الآلهة أو التاريخ أو الشمس أو البحار او الانهار أو الحقول او اي شيء في الطبيعة أو من الطبيعة مجدا أو قوة أو ذكاء أو جمالا أو رخاء او كرامة أو شهامة

أو نظافة أو رفضا وكرها للنذالات أو للاوحال أو الهوان أو العبث والاكاذيب · ان الكلام لا يمكن أن يكون بدون افتراض شروط وقيود عليه ··

حينئذ هل يستطيع المتكلم ان يكون متكلما أو متى يكون متكلما أو يعد متكلما أي اذا كانت هذه الشروط هي كل الشروط أو بعض الشروط التي يكون بها المتكلم متكلما أو اذا كان بعضها شرطا في ذلك ؟

الانسان الذي بلغ طور المتكلم بل طور المتكلم العبقري محكوم عليه بكل الاحتياجات والضرورات والمجاعات والممارسات والانفعالات والعلاقات والآلام والآهات والانات ، وبكل المخاطر والمشاكل والمضايقات التي حكم بها على كل البشر المصوتين غير المتكلمين ، بل محكوم عليه بكل ذلك باسلوب أعنف وأشمل واقسى محاصرة والحاحا وتهديدا ··

فهل يستطيع ألا يتعامل مع كل هذه الاشياء التي حكم عليه بها ـ الا يتعامل معها بكل أدوات التعامل الموضوعة في تكوينه ، بكل رغبته ورهبته ، وبكل حماسه وتطلعه واشواقه ولهفاته ،وبكل قوته وضعفه وظروفه ومواجهاته النفسية والاجتماعية والتاريخية والصحية ، وبكل لغاته وتعبيراته ونياته ، وبكل تجاربه وحساباته واملاءاته الذاتية والشخصية والدينية والمذهبية والقومية والوطنية والانسانية والاخلاقية · ان جميع الالهة والنبوات والعبقريات والقداسات لو تجمعت جميعا في ذاته لما استطاعت ان تجميه من التعامل مع كل ذلك بكل معاني الانهزام والالتزام والعجز عن المخالفة ·

واذا تعامل مع كل ذلك بكل ذلك فهل يستطيع أن يكون متكلما أو متى يكون متكلما أو يعد متكلما ، اذا كان التفكير والتخطيط هما بعض تفاسير الكلام ، واذا كانت الاشتراطات التي ذكرت وعددت في السطور التي سبقت هي بعض الاشتراطات على الكلام والمتكلم وبعض الاشتراطات لهما ؟

هل يستطيع أن بكون متكلما بهذا التفسير للكلام الا انفلاتا وتلصصا ومخادعة للالتزام باحكام حياته عليه في تعامله مع نفسه ومجتمعه ومع اي شيء ، وفي ارادته لنفسه وخضوعه ورؤيته لها وفي احساسه بها ، وفي ارادته لمجتمعه او لاي شيء وارادته التلاؤم معه ومعايشته ، وفي مخاطبته ورؤيته له وكينونته فيه وفي احساسه بـــه ·· ؟

نعم ، في كل ذلك أو في اي شيء منه هل يستطيع أن يكون متكلما الا نادرا أو الا شذوذا اي اذا فسر الكلام بالتفسير المذكور واشترطت فيه وله وعليه الاشتراطات السابقة ؟ لهذا فان أي مجتمع لا يطالب اعظم متكلميه ولا ينتظر منهم أن يكونوا

متكلمين الا نادرا وشذوذا بل وخروجا · ولا يعجب أو يذهل أو ينكر اذا خرجوا على جميع تفاسير الكلام ·

هل يستطيع اي متكلم بل اي مريض بالخوف من ألا يكون متكلما وبالالتزام بان يكون متكلما فقط ـ نعم ، هل يستطيع اي متكلم بهذه الشروط والالتزامات ان يكون متكلما في آهاته أو أناته أو شكاياته ، أو في غضباته ولعناته ومخاصماته وصيحاته وتهديداته ، بل أو في صلواته وتضرعاته ومناشداته ومتافاته ، أو في معانقاته ومصافحاته وتحياته أو في صداقاته وحبه ؟ هل يستطيع أن يكون متكلما في أي شيء من ذلك الا بقدر ما يستطيع الا يجوع او يمرض او يموت أو يخاف او يحزن او يغضب او يكره الا بتخطيط فكري او ديني او مذهبي او اخلاقي ؟

هل يستطيع أن يكون هذا المتكلم متكلما في ممارسته لذلك الا بقدر ما يستطيع الاله ان يكون متكلما حينما يوجه صرخاته منذرا ومحرضا وواعظا الى أعضاء وشهوات ونيات ومجاعات وضرورات واهتمام ومخاوف وعقول البشر ، طالبا اليها ومنها بالوعد والوعيد أن تطيع شهواته وأنانيته وكبرياءه واستعلاءه هو لا شهواتها ولا انانيتها وضعفها وعجزها هي ـ أو الا بقدر ما يستطيع ان يكون اي الاله متكلما حينما يذهب يهتف في آذان وافواه جميع انبيائه وعلى صفحات جميع كتبه المنزلة ، مادحا نفسه بكل هذا النزق المثير ، مادحا رحمته وعدله وذكاءه وسخاءه وايثاره وحبه وقربه ، مادحا كل ذلك فيه ومنه بكونه قاتلا ممرضا مشوها مذلا مجيعا مفقرا مبكيا مخيفا صانعا للايتام والارامل ، بكونه صانعا نعشا كلما وجد مهد ، وحافرا قبرا كلما صنعت حياة وراميا بسهم كلما نبض قلب ـ مادحا نفسه بكونه يفضل بعضنا على بعض في الرزق والجمال والقوة والذكاء والانتصارات والهداية والاضلال وفي سائر الحظوظ والمواجهات والاقدار والكينونات ··

رائع جدا ان يمدح الاله نفسه لانه يفعل بنا ولنا كل ذلك · وهل يمدح نفسه الا بذلك ؟·· او الا بقدر ما استطاع اي الاله ان يصبح اذكى وانبغ المتكلمين لانه الف او تكلم او أنزل كتبه المقدسة ، مفسرا بها ذكاءه ومنطقه واخلاقه وقوته ومجده وكل مزاياه واحتياجاته ومطالبه ، وكل اسراره النفسية والذاتية ، وكل همومه وخططه التي كانت والتي سوف تكون ، طالبا منا ان نفهمه ونعقله من هذا الذي قاله في كتبه المقدسة هذه ، وان نراه ونقتنع به ـ مما يقول في كتبه هذه ـ اعظم نموذج لاعظم اله ، لا يستطيع اي عقل أو خلق أو طموح أو تجربة أو احتياج أو موقف أو خيال أو أمل أن يقترح له أو فيه أي تصحيح أو تغيير أو تبديل أو تعديل ، في أية صيغة أو تفسير من صيغه وتفاسيره النفسية أو الفكرية أو الخلقية أو الفنية أو

الشعرية ؟ هل تتصور العقول أو الاخلاق المتوقرة كائنا يستحق الرثاء والشفقة كالاله حينما يذهب بقاسي ويقاسي في امتداحه لنفسه ويطلق اضخم واسخى الوعود لمن يصدقونه في هذا المديح لنفسه ، وأشرس التهديدات لمن يشكون في ان يكون الاله مصابا بكل نزق الامتداح هذا للنفس ؟ كيف امكن أن يوجد خيال أو عقل بشري يتصور مثل هذا الاله ويتقبل نموذجه هذا بل ويراه كل الجمال والذكاء ٠

ان كل البشر لا بد ان يكونوا مصوتين لا متكلمين ، حتى المتكلمون منهم القليلون جدا ، الذين يعدون شذوذا في مجتمعاتهم وتعد مجتمعاتهم شذوذا في المجتمعات ـ حتى هؤلاء لا بد أن يكونوا مصوتين ، وهم لا يستطيعون أن يكونوا متكلمين الاشذوذا اي كالشذوذ ٠٠ نعم ، ان هذا هو الذي لا يستطاع ولا يحدث غيره ٠ انه لو وجد من يستطيع الالتزام بأن يكون متكلما كلما تكلم لما وجد من يستطيع تقبله أو معايشته أو التفاهم معه أو الغفران له ٠

هل أحد من البشر يحيا حياته ووجوده أو يتقبلهما أو تقبلهما بالتفكير أو بالتخطيط والتدبير والمنطق أو بالاخلاق ؟

هل احد يمرض او يجوع او يحزن او يشيخ او يحب او يحقد بالتفكير او التخطيط أو المنطق ٠

ان الناس لا يستطيعون ان يكونوا متكلمين حين يتحدثون أو يخطبون أو يكتبون أو يعلمون ، أو حينما يمارسون الكلمة بأي اسلوب ، الا بقدر ما يستطيعون أن يكونوا ملتزمين بالمنطق أو الضمير أو التدبير أو بالاخلاق والنيات والحوافز النظيفة النقية الانسانية حين يحبون ويكرهون ، او يرضون ويغضبون ، او يعشقون ويتوالدون ، أو يختارون آباءهم وابناءهم ليكونوا آباءهم وابناءهم ، أو يتقبلون وجودهم وحياتهم بقدر ما فيهما من جمال وسعادة وذكاء وضخامة وعبقرية ومجد أو نفع للوجود ، أو يشيخون أو يموتون ، أو حين يحبون ابناءهم وآباءهم وانفسهم اكثر من حبهم لابناء أو لآباء الجيران أو من حبهم للآخرين ، الاعداء والاصدقاء ، الموافقين والمخالفين ، أو حين يهتفون ويصلون لآلهتهم وانبيائهم وزعمائهم ، ويطيعونهم ويؤمنون بهم ويصدقونهم ويرون جمالهم ومزاياهم ومعجزاتهم ونبواتهم وتقواهم وتفوقهم ، دون أن يروا شيئا من ذلك في آلهة وانبياء وزعماء الآخرين ، أو أن يفعلوا شيئا من ذلك لاولئك الآلهة والانبياء والزعماء الذين يملكهم الآخرون أو الذين يملكون الآخرين ، أو الذين يوجدون ويعيشون في عقول وافواه ومحاريب ومعابد واساطير الآخرين ٠ ان الناس لا يستطيعون أن يكونوا متكلمين الا بقدر ما

يستطيعون الا يتقبلوا حياتهم ووجودهم والا يمارسوهما الا بمقاييس دينية أو منطقية أو اخلاقية أو مذهبية ٠

ان الكلام حساب ومنطق وقدرة ومعرفة والتزام وشروط صعبة قاسية ٠ فكم هم الذين يستطيعون ذلك ؟ والذين يستطيعون ذلك كم يستطيعونه ومتى يستطيعونه ، ومتى يجدونه محسوبا ومنطقا ، ويرون الالتزام به ؟ بل متى يجدون انهم ليسوا ملزمين بالخروج عليه ؟ هل يوجد من لا يجد انه ملزم بالخروج على الكلام والمنطق والاخلاق في كل موقف يطالب فيه بان يكون ملتزما بما يخرج عليه ؟

متى يوجد من يستطيع الا يرى أوّ يسمع أو يريد أو يفكر أو يعامل أو يواجه أو يخاطب أو يشعر الا حين يجب أو ينبغي ان يفعل ذلك ، بالاساليب وفي الاوقات التي يجب أو ينبغي أن يفعل بها وفيها ذلك ؟ أليس اقسى تعذيب وابعد محال ان يطالب أي كائن بالالتزام بهذا أو أن يحاول هو الالتزام به ؟ ولكن أليس جميع المعلمين يطالبون بهذا المحال ويزعمون التزامه ؟

اذن متى يوجد من يستطيع أن يكون متكلما ؟ والذي يستطيع أن يكون متكلما متى يكون متكلما ؟ أي متى يستطيع الا يقول شيئا الا حين يكون كلاما ؟ واذا وجد أو لو وجد هذا المتكلم بكل شروطه واوصافه فمتى يأذن له أو يتقبل منه من حوله بان يكون متكلما ؟

ان معنى أن تكون متكلما أو أن يكون ما تقوله كلاما أي لا تصويتا اي لا استفراغا ذاتيا هو معنى الا ترى أو تسمع أو تريد أو تفكر أو تعامل وتواجه أو تخاطب او تشعر او تعمل او تعلم او تصلي او تؤمن أو تتقبل او تهتف او تحدق في المرآة أو في وجوه اطفالك أو في وجوه اعدائك الا حين يجب أو ينبغي ذلك ، بالاساليب والنيات والاوقات التي يجب أو ينبغي أن تفعل بها وفيها ذلك ٠ انك تتعامل مع لسانك أو مع لغتك بالاسلوب الذي تتعامل به مع عينيك واذنيك وعلاقاتك وشهواتك ٠ اذن متى تكون متكلما لا مستفرغا لذاتك ؟

ماذا لو ان الناس التزموا او الزموا الزاما منفذا بكل الدقة والصرامة بالا يروا أو يسمعوا أو يتعاملوا أو يتواجهوا أو يريدوا أو يشعروا أو يصغروا أو يتخاطبوا أو يتناصحوا أو يتصافحوا أو يتعادوا أو يتشاتموا أو يتلاقوا أو يتجمعوا أو ألا يذهبوا الى المعبد أو الى المهرجان ، أو الا يتضرعوا الى آلهتهم ويصلوا لها والا يهتفوا لزعمائهم وقادتهم ولتفاهاتهم وأكاذيبهم ، وألا يؤمنوا بهم اي بآلهتهم وانبيائهم وزعمائهم الا اذا عرفوا صدقهم والا يروا جمالهم ونظافتهم الا اذا حدقوا في وجوههم وضمائرهم ٠

نعم ، ماذا لو أن الناس التزموا أو الزموا الا يفعلوا كل ذلك أو شيئا منه الا حين يجب أو ينبغي أن يفعلوه ، بالاساليب والنيات والاوقات والتفاسير المنطقية التي يجب أو ينبغي أن يفعلوه بها وفيها ؟

اذن ماذا لو ان الناس التزموا أو الزموا الزاما منفذا صارما بألا يقولوا شيئا الا حين يكونون متكلمين أي الا حين يكون ما يقولونه كلاما لا تصويتا أي لا استفراغا ؟ ماذا لو أن انسانا الزم والتزم بأن يكون انسانا دائما في كل تفاسيره وصيغه وتعبيراته ؟ ان اعظم متكلم لا يستطيع أن يكون متكلما كلما تكلم الا بقدر ما يستطيع اي انسان ان يكون انسانا دائما • أليس اعظم انسان هو الذي يستطيع أن يكون انسانا احيانا ؟

ان الانسان لا يستطيع أن يكون متكلما الا بقدر ما يستطيع أن يكون عبقريا ومنطقيا واخلاقيا وانسانيا ومدبرا ومخططا • وان من يستطيع أن يكون متكلما أو من يستطيع أن يتكلم لن يستطيع أن يلتزم بأن يكون قوله كلاما الا بقدر ما يستطيع العبقري المنطقيالاخلاقي الانساني المدبر المخطط ان يلتزم بأن يكون في كل سلوكه وعواطفه عبقريا اخلاقيا انسانيا محكوما بالتدبير والتخطيط أو الا بقدر ما يستطيع اعظم انسان أن يكون انسانا دائما •

اذن كم هم البشر الذين يستطيعون أن يكونوا متكلمين ؟ والذين يستطيعون ان يكونوا متكلمين كم يستطيعون أن يجعلوا كلامهم كلاما لا استفراغا ذاتيا أي لا تصويتا ؟

هنا يوجد افتراض يلح على ان يعرض نفسه ••

يقول هذا الافتراض : هل كان محتوما بل أو ممكنا أن يصمت جميع البشر وألا يتكلموا أو يتعلموا أية لغة ،أي ألا يقولوا أية كلمة أو ألا يصوتوا اي صوت من اصواتهم هذه التي يسمونها أو يزعمونها كلاما ، لو انهم استطاعوا من بداية وجودهم أو بعد ذلك ان يبتكروا أو أن يجدوا وسيلة أو طريقة خارقة غير كلامية أو غير صوتية ، يستطيعون بها أن يتفاهموا ، وأن يأمروا وينهوا ويعلموا بها كل ما يريدون تعليمه، وكلما يريدون النهي عنه والامر به، وانيعبروا بها عنكلما ينوون ويريدون التعبير عنه ـ أي أن يفعلوا بها أي بهذه الوسيلة أو الطريقة الخارقة كل ما يفعلونه وكل ما اعتادوا أن يفعلوه وأن يبينوا عنه ويعلموه بالكلام ، أي بالكلام الذي هو كلام وليس تصويتا يؤدي ويعامل بالاسلوب والنية اللتين يؤدى ويعامل بهما الكلام •

نعم ، لو أن البشر من بدايتهم أو بعد بدايتهم خلقوا أو وجدوا مثل هذه الوسيلة أو الطريقة الخارقة المغنية عن الكلام وعن التصويت بكل اساليبهما وصيغهما

وحوافزهما ، فهل كان ممكنا أو محتملا حينئذ أن يصمتوا عن كل كلام وعن كل تصويت ؟ هل كان ممكنا أو محتملا ألا يخترعوا أية لغة ولا أي منبر ولا أية بلاغة أو تعاليم ، او ألا ينزلوا على انفسهم من السماء اي كتاب مقدس ، او ان يلغوا وينسوا ويرفضوا كل ذلك أي كل لغاتهم ومنابرهم وبلاغاتهم وتعاليمهم وكل كتبهم المقدسة المنزلـــة ؟

بل هل كان ممكنا أو محتملا حينئذ أن تكون لغاتهم أو منابرهم أو كتبهم المقدسة أو تعاليمهم أو استعمالهم لكل ذلك أو لأي شيء منه اقل أو أخفت صوتا أو توترا أو بذاءة أو أكثر وقارا وتهذيبا ؟ بل هل يمكن أن يكونوا اقل فرحا بذلك أو تعويلا عليه او حماسا له او اقتناعا بمزاياه او اقل مباهاة ومقاتلة به وتحدثا عنه ؟

لو أن أي انسان اعطى أو نال جميع ما يعطى وجميع ما ينال بالكلام ، اي جميع ما يمكن وينتظر ويفترض أن يعطى وينال بالكلام ، أي اذا تكلم مطالبا أو مفسرا او مقنعا أو ناقدا أو مهاجما أو حتى مهددا لاعنا مبارزا ٠

نعم ، لو أن انسانا ما أو أي انسان اعطى أو أخذ كل ذلك دون أن يتكلم باي اسلوب من اساليب الكلام او التصويت ، فهل يحتمل ان يصمت او ان يقل كلامه او تصويته ؟ بل هل يمكن حينئذ أن يسعد أو يسر بأي شيء يعطاه او يأخذه أو أن يجد له أو فيه مجدا أو لذة أو قيمة ؟

هل يستطيع او يتقبل ان يصمت اي انسان وضع امام خيارين : ان يأخذ كل ما يطالب به وكل ما يحتاج اليه اذا هو صمت صمتا شاملا ، أي حيث لا يعني أن يتكلم أو يصوت شيئا ولا يحتمل أن يحقق أي كلامه أو تصويته شيئا ، أو أن يأخذ أو يكون بعض هذا الذي يطالب به ويحتاج اليه ، لا كل ذلك ، اذا هو تكلم وصوت ، دون ان بعني كلامه وتصويته أي شيء غير ان يستفرغ به ذاته ؟ بل ان اي انسان ليرى انه قد وقع في ورطة لا يعرف كيف الخلاص منها لو قيل له مع التنفيذ المحتوم خذ كل شيء وليكن كل شيء كما تريد وتنادي ولكن مع الحكم عليك بالصمت ، أو تكلم واصرخ وصوت كيف شئت ولكن لن تأخذ شيئا ولن يكون أي شيء كما تريـد وتنادي ٠٠

نعم ان الانسان ليرفض أن يأخذ أو أن يكون كل شيء أو كل ما يريد اذا كان ذلك بأن يصمت صمتا شاملا ودائما ، لكي يأخذ او يكون بعض الشيء أو بعض ما يريد ، اذا كان ذلك يعني أن يصوت ويتكلم كلما اراد أن يفعل ٠ بل لعله يرفض أن يأخذ أي شيء او يكون اي شيء كما يريد ويطالب اذا كان ذلـك يعني الحكـم بالصمت والوقار عليه ٠

لعله يرفض أن تكون له الشمس محكوما عليه بالصمت الشامل الدائم ،ويتقبل ان يكون له القمر ، مأذونا له بأن يستفرغ ذاته بالكلام والتصويت استفراغا دائما وشاملا بكل الاساليب والتعبيرات · بل لعله يرفض ان تكون لـه الشمس والقمر صامتا ، ليختار أن يكون استفراغا دائما لذاته بالتصويت وغيره بلا شمس ولا قمر بل ولا نجيم خافت ·

بل انه أي الانسان ليختار أن يكون نبيا كذابا مكفورا به ومحقرا ولكن مصوتا على أن يكون نبيا صادقا ومحترما ومتبوعا ، ولكن صامتا صمتا شاملا دائما مهذبا مؤدبا ·

انه اذا اصبح نبيا أو لو اصبح نبيا ليختار أن يعصيه الناس وأن يعصوا الالـه الذي جاء من اجله ومن أجل طاعته اذا كان ذلك يعني أن يصوت بكل الاساليب على أن يطيعوه ويطيعوا الـ ـهه دون أي عصيان أو معارضة اذا كان ذلك يعني أن يصمت دون أي تصويت ·· ان اي نبي ليفضل أن يعصى صائحا مصوتا مهددا متوعدا لاعنا محقرا متهما على أن يطاع صامتا متوقرا مهذبا · وهل يستطيع أي نبي أن يكون متوقرا أو مهذبا ؟ أليس الصمت والوقار والتهذيب قتلا وهزيمة لكل نبوة ؟

لهذا فان طاعة أي نبي والاستجابة لما يطالب به ولما يعلمه لن تقللا من تصويته واعدا وموعدا بالمحالات ، ومعلما لما لا يستطاع ولما لا يراد أو يفهم ، وشاتما بما لا يستحق الشتم ، ومتهما بما ليس اتهاما ، أي بما ليس تهمة في أية محاسبة دينية أو اخلاقية أو عقلية أو انسانية بل أو طبيعية · وهل يستطيع أي نبي ان يكون غير شاتم ومتهم بما لا يستحق الشتم والاتهام أو غير واعد وموعد بالمحالات أو غير معلم لما لا يراد ولا يفهم ولا يستطاع ؟

ان النبي أو الزعيم المعصى ليس محتوما أن يكون أكثر أو أعلى الانبياء أو الزعماء تصويتا ، كما ان النبي أو الزعيم المطاع ليس محتوما أن يكون أقل أو أخفت تصويتا من الانبياء أو الزعماء الذين ليسوا كذلك · ان أصوات الانبيـاء والزعماء الضاجـة بالشتائم والاتهامات والغضب والوعيد ليست محكومة أو مضبوطة قـوة وضعفـا بطاعتهم أو عصيانهم أو بأي واقع خارجي ·

ماذا لو أن البشر اخترعوا جهازا يستطيع أن يقول كـل ما يريدون قولـه ، باساليب اكثر اتقانا وتعبيرا وشمولا وتهذيبا وتقوى وصدقا واقناعا وتأثيرا ، اي دون أن يحتاجوا هم الى استعمال أو تحريك افواههم ليعبروا عن شيء أو ليعلموا أو يقولوا شيئا ؟

هل يعني ذلك أن يصمتوا حينئذ أو أن يقللوا من الكلام والتصويت ، ويدعوا هذا الجهاز يقول عنهم جميع ما يريدون قوله ؟

لقد نصور البشر الاله متكلما مصوتا ، بل تصوروا جميع الآلهة متكلمة أي مصوتة ، آمرة ناهية موعدة واعدة معلمة صارخة أبدا ٠ ان الآلهة في اقتناع المؤمنين بها تستطيع ان تعلم وتبلغ وتصنع وتفرض ما تريد تعليمه وتبليغه وصنعه وفرضه دون ان تقاسي من الكلام والتصويت ٠٠

ولكنهم افترضوها وزعموها متكلمة أي مصوتة لانهم لا يستطيعون أن يفترضوا وجود أي كائن حي شاعر دون ان يفترضوه مصوتا أي مستفرغا لذاته بالاصوات ٠ انهم يفترضون أو يتصرفون وكأن التصويت ليس من اجل شيء ولكنه من اجل نفسه ٠ انه ليس رسالة لتعلم أو تبلغ أو تفسر شيئا ٠٠

انه لو لم يكن التصويت بكل بذاءاته ونزقه حاجة أو حالة وليس رسالة لما أمكن افتراض الاله متكلما أو مصوتا ٠٠

انه أي التصويت هو النبي والنبوة والرسالة والتعاليم والآله والمرسل اليهم ٠ انه هو النص والتفسير ٠ انه النص الذي لا يطالب له بمعنى ولا يحتاج الى ان يكون له معنى ومع هذا يؤدي معناه بكل اللغات بدون ان تخالف في معناه لغة من اللغات ٠

ولكن كل هذا ماذا يعني ؟

انه يعني ان البشر جميعا محكوم عليهم بأن يكونوا مصوتين ، حتى المتكلمون منهم لا بد ان يكونوا مصوتين ، وأنهم حينما يتكلمون انما يتكلمون بحوافز ونيات التصويت لا بنيات الكلام ولا بحوافزه ٠ ان المصوت لا يصوت بنية المتكلم ، ولكن المتكلم قد يتكلم أو لا بد أن يتكلم بنية المصوت ٠٠

ولهذا فانهم لا بد ان يتكلموا اي يصوتوا تحت كل الظروف المختلفة المتناقضة ، الموجبة والرافضة ، بل حتى حينما يكون الكلام اي التصويت لا يمكن ان يحقق اي مطلب او احتياج من المطالب والاحتياجات التي يقع الكلام أو التصويت باسمها ومن أجل تحقيقها أي بحجة تحقيقها ٠ بل لا بد أن يتكلموا أو يصوتوا حتى حينما يكون الكلام أو التصويت ضد ما يتكلمون أو يصوتون من أجله أي من أجل تحقيقه أو الحصول عليه ، وحينما يقول المنطق أن الصمت اذكى وأقدر على تحقيق ما يراد ويطلب ٠ ولهذا فما أقل الذين يستشيرون المنطق أو يسائلونه أو يفكرون فيه بل أو يرون ذلك مطلوبا في أي موقف من مواقفهم حينما يذهبون يستفرغون انفسهم بالتصويت أو يسائلونه أو يفكرون فيه ٠٠

واقوى وأدوم وآصل وأصدق وأعمق ممارسات الانسان واحتياجاته ومسراته بـل ومجاملاته ومداواته لنفسه وتفاسيره لهـا واعلانه عنها · ان كـل حياة الانسان بكل تفاسيرها وصيغها ونياتها وقيمها ليست سوى اساليب استفراغية مختلفة التعابير متفقة التفاسير ·· حتى العبقرية والحب والمسرات والافعال القوية ليست سوى اساليب استفراغية ولكن النتائج تتفاوت ··

ولعل منعه من ذلك اي من التصويت او من الكلام الذي يعنى به التصويت وتحريمه عليه ، اي لو حدث ذلك ، هو اقسى واشمل وانذل عقاب يعاقب به الانسان انه العقاب الذي لـم يجرؤ اقسى معاقب على التفكير في جعله عقاباً منفذا ··

نعم ، لعل هذا العقاب لو وقع ليس اقل وحشية من ان يعاقب اي الانسان بمنعه من ان يستفرغ فضلات طعامه وشرابه وفضلات حبه !! اي الفضلات المتخلقة داخل جسمه من طعامه الذي اكله ومن شرابه الذي شربه ومن حبه الذي قاسى منه !!

ومع ان قسوة طغيان الطغاة وطغيان الاديان والتعاليم على الانسان لم يكن لها حدود او قيود او منطق او اخلاق توقف او تضبط او تحكم او تفسر بها فانها لم تستطع ان تتصاعد الى ان تحرم عليه التصويت اي الاستفراغ للفضلات والعفونات النفسية باسلوب التصويت تحت اية دعوى دينية او مذهبية او وطنية او غير ذلك ·

بل لقد كانت جميع الاديان وجميع حيل واجهزة الطغيان تتملق الجماهير بتحريضها على التصويت ، وبابتكار الوسائل والاساليب التي تجعلها دائما مصوتة ، معجبة بتصويتها ، بل متدينة ومباهية بتصويتها ، مستمعة لمن يصوتون لها باسمها محرضة لهم على ان يستمروا يصوتون بكل اساليب ولغات التحريض ··

وهل توجد أو وجدت طقوس أو عبادات يتقرب بها الى الاديان والى الطغيان ، وتطالب بها الاديان والطغيان مثل تحول وتحويل جميع المعابد والاسواق الى أصوات؟ هل تفنن صانعو الاديان أو صانعو الطغيان في شيء مثل تفننهم في جعل التصويت عبادات وفنونا تؤدى في كل الاوقات في كل مكان بكل اساليب الافتضاح والجنون ؟

هل وجد دين واحد او طاغية واحد لم يجعل التصويت له او باسمه او بلغته او باسلوبه او معه او وراءه ، ايمانا او تقوى او وطنية او قومية او مذهبية او اخلاصا او وفاء او مجدا او فنا او فداء او بطولة او انتصارا ، او مقاومة للاعداء والابالسة ، ورفضا لهم وانتصارا عليهم وابطالا لمكايدهم ومؤامراتهم ؟

هل وجد الـه او نبي او طاغية لم يجعل التصويت سلاحا عبقريا خارقا شعبيا يقاوم به كل الاعداء والمؤامرات والفساد ؟

انه لا يوجد في حياة الانسان جهاز استفراغ يساوي في قيمته وشموله وضخامته جهاز التصويت فيه · انه اي جهاز التصويت هو الجهاز الذي يستفرغ كل ذات

ان الكلام أو التصويت الذي يجيء بنيات وبحوافز الاستفراغ للذات هـو أشمل

الانسان ، كل حواسه واحاسيسه وكل تصوراته ومعانيه ، بل يستفرغ كل الكون وكل مواجهات الكون ٠٠ بل انه الجهاز الذي يستفرغ به كل الهته وانبيائه وزعمائه وقادته ٠ وهل يستطاع تقبل هؤلاء لولا استفراغهم ؟

ان الانسان بجهاز التصويت فيه يستفرغ رؤاه واستماعاته وافكاره ،وجميع انفعالاته الجيدة والرديئة ، السارة والحزينة ، وكل تجاربه ومواجهاته ومقاساته ٠ وبهذا الجهاز الصوتي يستفرغ الانسان ايضا جميع اديانه وعقائده ومذاهبه وتاريخه وحياته ٠ ان كل قيمة لالهة الانسان ولانبيائه واديانه وعقائده وامجاد تاريخه انه يحولها الى اساليب استفراغية ، وانها ايضـا تهبه مزيدا من هـذه الاساليب الاستفراغية ٠٠

ان عينيه اذا رأتا ، واذنيه اذا سمعتا ، وقلبه اذا خفق ، وضميره اذا ارتجف او ابتهج ، وفكره اذا تقبل او حاور او رفض او صدم او ذعر ، وعقائده واقتناعاته اذا اهتزت او شاهت او افتضحت او هزمت ، ومشاعره اذا غنت او رقصت او حزنت او بكت ، وكرامته وكبرياءه اذا اهينتا او جرحتا ، وشجاعته واخلاقه اذا هزمت ٠

ـ نعم ، ان كل ذلك فيه في كل حالاته واطواره وتقلباته يحتاج الى ان يستفرغ اي الى جهاز يستفرغه ٠ انه لا يستطيع ان يستفرغ نفسه ، ولا يستطيع كذلك ان يظل بدون استفراغ ٠ حتى قدماه وزجلاه ووجهه وعلامات وجهه وشعرات رأسه وجلده ، جيدة ورديئة ، مستريحة ومتعبة ، جميلة ودميمة ، محكوم عليها بالاستفراغ٠

ان العيون والاذان وغيرها من الحواس والاحاسيس لا تستطيع ان تستفرغ رؤاها او سماعها او شحناتها ومواجهاتها وتصادماتها الاخرى المتنوعة والدائمة ٠ ولا تستطيع ان تظل بدون استفراغ ٠ انها محتاج الى انقاذ ٠

اذن اين المنقذ ؟ اين جهاز الاستفراغ الشامل الجيد ؟

ان هـذا الجهاز الاستفراغي هو المنقذ ٠ فهل هو موجود ، وما هو ؟ انه موجود ، وانه لجهاز كاف كفء ٠ انه ليؤدي وظيفته الاستفراغية دائما وخير أداء ٠ انه لا يصاب بالعجز أو التوقف او الخلل او الكسل او بالعناد او التباطؤ في اي وقت ولا تحت اي ظرف او سبب ٠٠ انه جهاز لا مثيل له في نبله ووفائه وشموله وصبره وسلوكه الفدائي وحضوره الدائم ٠٠

انه ، لكي يؤدي وظيفته بكل النبل والشهامة والقدرة والذكاء والفداء لا يحتاج الى تحريض أو تعليم ، الى ترغيب أو ترهيب ٠ لا يحتاج، لكي يفعل ذلك ،الى نبوات او زعامات او اديان او مذاهب او الى توعد بالجحيم او وعد بالفردوس ٠

بل ان كل شيء ، كل وعد ووعيد ، كل التعاليم والاديان والمذاهب والزعامات والنبوات ان كل ذلك لو جاء لينهاه ويزجره ويمنعه من ان يؤدي وظيفته بكل هذه القوة والبراعة والمثابرة والحماس والديمومة لما استطاع أن يفعل شيئا او ان يؤثر فيه أي تأثير نعم انه قد يؤدي وظيفته باسم التعاليم والمذاهب والزعامات والنبوات

وغيرهـا ٠ ولكنـــه ايضا لا بــد أن يؤديها بكل القوة والحماس والشمول بــدون هذه التي قد يعمل تحت شعاراتها ٠

ان كل الكون وكل ذات الانسان لا بد ان يمرا من جهاز التصويت فيه اي من جهاز الاستفراغ فيه بالتصويت تحت اي اسم او شعار وبلا اي اسم او شعار ٠٠ ان اخلاق واوصاف وممارسات عقولنا وضمائرنا وعيوننا واذاننا تتحول الى اخلاق واوصاف وممارسات لاصواتنا ٠٠

انه لا يوجد شيء يستفرغ كل شيء ويمر منه كل شيء باسلوب الاستفــراغ ونيته غير صوت الانسان ٠٠ نعم ، كل الكون وكل شيء يستفرغه الانسان بصوته ويمرره منه ان اكبر واجمل شيء وكذا اصغر واقبح شيء لا بد أن يمر من ذات الانسان بصيغة صوت بنية استفراغية ٠٠

ان جهاز التصويت في الانسان او جهاز الاستفراغ فيه بالتصويت هو انفعـ وانبل جهاز عرفه الانسان وتعامل عليه وبه ، ولكنـــه مع ذلك هو اكثر الاجهــزة الاستفراغية عفونة وبذاءة وفضحا ٠ نعم ، هل توجد اية وقاحة او نذالة او حقارة او بلادة او تفاهة او بذاءة لا يصوغها ويطلقها لسان الانسان على كل شيء وفوق كل شيء ومحقرا مهينا مشوها بها كل شيء ؟

ولكن لا ٠ يجب ألا يظلم او يتهم هذا الجهاز بما ليس ذنبه او قبحه او عاره ٠ ان لسان الانسان او تصويته ليس هو الذي يصنع العفونة او البذاءة او القبح او النذالة او الفضائح ، وليس هو الذي يصاب بذلك او يتهم او يحاسب به او يسأل عنه او عن اي شيء منه ٠ حتى العشق والاستمتاع ليسا من حظوظه ٠ انه اي لسان الانسان لا يعشق شيئا من ذلك ولا يستمتع بشيء منه ٠ انه لا يهوى او يريد شيئا مما يفعله ٠٠

بل انـــه اي لسان الانسان او تصويته ليس الا جهاز تمرير وتفريغ لذلــك ومن ذلك ٠ انـــه اذن جهاز تنظيف ٠ يسحب العفونات والفضائح والنذالات والبذاءات من نفس الانسان ومن حضيضه ليلقي بها في الخلاء ، في الفراغ الرحب ٠٠

انلسانالانسانأو تصويتهمطهرلذاتهولنفسهمناوحالهما وآلامهماالمتجمعةالمتسعرة٠

انه فدائي عجيب في موهبته الفدائية ٠ انه لا يأذن فقط بأن يكون ممرا لهذه الاوحال لكي تمر منه بعيدا عن اعماق الانسان ، بل انه يقاسي ويقاسي لكي يسحبها من نفس الانسان لينظفها منها ويخفف آلامها ومقاساتها ٠٠

هل وجد او يوجد شيء تقبل ان يكون اعظم منظف لاقبح واكثر العفونات دون ان تكون لــه اية متعة في عمله غير لسان الانسان ؟

ايهما اقرب الى القيم الدينية والاخلاقية والمذهبية والانسانية : ان يكون هــذا المر اي جهاز التصويت في الانسان موجودا لكي يستفرغ ويسحب من نفس الانسان تفاهاته وبلاداته واحزانه ومخاوفه وآلامه وتوقعاته وتجاربه الاليمة ، وايضــا

يستفرغ ويسحب من حضيض نفسه احقاده وبذاءاته ونذالاته وجميع فضائحه وصغائره وتمنياته ونياته الرديئة الصغيرة - أم الا يكون هذا الجهاز الصوتي أو الممر موجود لتبقى كل هذه الافات والذنوب مخزونة محصورة متراكمة في اماكنها المختلفة من ذات الانسان ، بكل قبحها ووحشيتها وتأججها ، لا تجد تفريجا أو تصريفا او تخفيفا ؟

نعم ، اليست اصوات الانسان هي اعظم منقذ لنفسه من آلامها واوحالها ؟ أليست أعظم مفرغ لها من ذلك ؟

حينما تكون نفسك ونفوس من حولك مشحونة بالالام والاوحال والتفاهات والبلادات والتشوهات وبكل الذنوب والصغائر ، أليس القاء بعضكم امام بعض بكل هذا الذي في نفوسكم حتى ولو تطايرت اشياء منه على وجوهكم او على ثيابكم او على اخلاقكم وكراماتكم جميعا افضل او اقل سوءا او ذنبا او تعذيبا من ان تظلوا جميعا مختزنين لكل ما في انفسكم بلا اي تفريغ او تصريف او تخفيف ؟

أليس القذف بالاوحال على الوجه والجلد والثياب انبل او اقل قبحا وتعذيبا واهانة من اختزانها داخل الذات ؟

أليس القاء البشر بالفضلات المتكونة من الطعام الذي ياكلونه ومن الماء الذي يشربونه ، بعضهم امام بعض حتى ولو اصابهم جميعا اشياء من هذه الفضلات افضل او اقل سوءا وتعذيبا لهم من اختزان هذه الفضلات داخل ابدانهم اي اذا لم يكن هناك خيار ثالث او اذا لم يكن هناك بد من هذا او هذا ؟

أليس البشر في كل التاريخ يفعلون هذا الالقاء بهذه الفضلات ولا يزالون يفعلونه ، بعضهم امام بعض بل وفوق بعض ؟

انه لو كان ممكنا الا يخترع او يصنع الانسان شيئا مما اخترع وصنع وابدع لكان هناك شيء لا بد أن يخترعه ويصنعه ، ذلك هو التصويت • انه الاختراع الذي يستطيعه غير العباقرة والموهوبين ، بل الذي يستطيعه الاغبياء والعاجزون اكثر مما يستطيعه المتفوقون •

انه لو كان ممكنا او محتوما الا يبتكر الانسان حضاراته الضخمة وألا يصنع شيئا من صناعاته وألا يكون زارعا للارض ومستنبتا للبقول وآكلا لها ، وألا يكون مؤمنا بالالهة والانبياء والاديان والمذاهب ، ومتعاديا متقاتلا متشاتما متباغضا محتالا كذابا مستغلا غازيا سارقا ناهبا متوقحا باسمها وبحجة الدفاع عنها والايمان بها والحب لها وادخال السرور في قلوبها ، وملقيا بكل الذنوب والبذاءات والسفاهات والاوحال والاكاذيب في عيونها اي عيون الالهة والانبياء والاديان وفي اذانها •

- نعم ، انه لو كان ممكنا او محتوما الا يعرف او يفعل الانسان شيئا من ذلك لما كان محتملا ألا يكون مصوتا • انه لمحتوم ان يكون الانسان مستفرغا لتفاهاته وبلاداته وهمومه ومسراته ولجميع انفعالاته الجيدة والرديئة بقدر ما هو محتوم انه

يكون مستفرغا للفضلات المتخلفة داخل جسمه من الطعام الذي اكل ومن الماء الذي شرب ، بالاسلوب الذي يستفرغ به هذه الفضلات ..

اذن فالعرب ليسوا هم وحدهم المصوتين ، بل كل البشر لا بد ان يكونوا مصوتين، بل جميع الكائنات الحية الشاعرة المتألمة والمتلذذة ، الفرحة والمكتئبة ، المريدة والرافضة ، لا بد ان تكون مصوتة . بل كل شيء موجود لا بد ان يكون مصوتا ..

ـ نعم ، حتى الالهة والحشرات لا بد ان تكون مصوتة بالاساليب والنيات التي يصوت بها الزعيم العربي ..

ولكن الفروق في النوع والمقدار والاسلوب والنيات والمستوى .. كم هي عظيمة الفروق بين من يصوت مغنيا او راقصا او مصليا او محييا او مصافحا او معانقا بالالفاظ والكلمات ، او باكيا او معلنا عن اساه وعذابه وتمنياته وحبه وعن رؤاه او عن مشاكله وورطاته ، بادب وتهذيب وصدق وصداقة ، وبين من يصوت شاتما محقرا مبغضا متوعدا مقاتلا مخاصما مفاخرا هازئا متكبرا ، بكل الوقاحة والبذاءة والكذب والغرور والبغضاء ـ معتقدا ومعلنا انه بذلكيصوغ الكون والحياة والحضارات ،ويعبد الالهة والانبياء والاباء،ويصليلهم ويصنع لهم المسراتوالامجاد،وانه ايضا بذلك يهزم ويقتل ويذل كل الاعداء والخصوم والابالسة !! اي مثلما يعتقد ويزعم الانبياء والزعماء والقادة والشعراء العرب حين يصوتون ويصوغون كل شيء باصواتهم ..

نعم ، كم هي عظيمة الفروق بين من يصوت هاتفا للحب والجمال والسلام والتسامح وهاتفا بذلك ، متمنيا له ،وبين من يصوت هاتفا للحقد والبغضاء والتعصب والعداوات ، وهاتفا بها ، متمنيا لها !!

عظيمة هي الفروق بين من يصوت مصليا لجمال وعطور زهرة جميلة معطرة ، وبين من يصوت مصليا لوحشية وكبرياء وانانية اله بدوي متوحش متكبر اناني ، يطالب بان تركع له كل الهامات والقامات والعقول والضمائر والاخلاق ، متوعدا بالجحيم وبكل الاهوال ، راشيا بالوعود ، باللذات البدوية التافهة المستحيلة ، في جنات يهين تصورها كل معاني الجمال والذكاء والوقار والرصانة والاستحياء .. في جنات يخجل كل فكر وكل جمال وكل مستوى فني واخلاقي ان تكون اي الجنات من تفكيره او تمنياته او حظوظه !!

عظيمة هي الفروق بين نبي او كاهن او شيخ يصوت هاتفا وداعيا ومادحا ومفسرا لاله الكئيب الرهيب الذي يتصوره ويتعلمه ويعلمه ويقرؤه ويقرأ عنه ومنه ، وبين شاعر انساني الفكر والاماني والتجارب والرؤى والالام ، يصوت مغنيا لحبه وطموحه وامانيه ولشروطه على التاريخ والحياة وعلى الانسان وايضا لشروطه للتاريخ وللحياة وللانسان ، انه يشترط على كل شيء ولكل شيء ..

اجل ، عظيمة هي الفروق بين الانبياء والكهان والشيوخ وجميع الوعاظ ، مصوتين بالالهة وبالاديان وبالجنة والنار ، ومصوتين لها ، وبين جميع الشعراء

والانسانيين ، مصوتين للانسان ، لحريته ولمجده ولمحبته وصداقته ولحياته ومستقبله ، بلا آلهة ولا ابالسة ولا زبانية من الملائكة وبلا جحيم وبلا أهوال أو تهديدات غيبية غير معقولة ولا مغفورة ولا محترمة ولا مهذبة ، بل وغير عاقلة ٠ ان الفرق بين شاعر انساني وبين اي نبي او شيخ او كاهن او واعظ بالجنة والنار ليس اقل من الفرق بين من يصافحك ويرثي لك ومن يشتمك ويشمت بك ٠

انها لا تحتاج الى تدريس او تعليم او دعاية او اعلان ، الفروق بين طائر يصوت بانشاد وتغريد ومحبة ، محييا الصباح او السحاب او المروج ، وهاتفا لها ، وبين ذبابة او اية حشرة تصوت باسلوب النعي ونياته ، مهددة الصحة والحياة والنظافة والجمال والكبرياء بكل ما تحمل من موت وعذاب ووقاحة وبذاءة وقذارة ، ومهددة كرامة الالهة او كرامة الطبيعة بالاذلال والتشويه والتحقير ـ مهددة لكل ما يزعم عن ذكاء ورحمة وشرف ونظافة الالهة ، او ما يزعم عن عظمة الكون وعن مجده وعن اي تفسير جميل او ذكي له ٠٠ مهددة اما مجد الالهة واما مجد الطبيعة ، ومستفرغة على كبرياء الانسان وعلى شرف عينيه !

انها ايضا لا تحتاج الى تدريس او تعليم او دعاية او اعلان ، اي الفروق بين قلب يصوت برهبانية انسانية ، خافقا احتجاجا على ألم أو ظلم أو قبح أو على تشويه أو بلادة أو حقارة أو على اي اسلوب من اساليب البؤس والعذاب والكينونات الدميمة أو الرديئة أو المشوهة ، أو خافقا راقصا هاتفا لاية صيغة جمال أو ذكاء أو نظام أو تهذيب أو محبة أو سعادة أو مسرة ـ وبين قلب مشحون بالسوء واللؤم والنذالة ، يصوت قاذفا صارخا متفجرا بالاحقاد والبغضاء والشتائم والبذاءات والتفاهات والبلادات ، ملقيا صارخا بها على كل شيء جميل او ذكي او نظيف او كريم أو مهذب أو شريف ، بل واحيانا ملقيا وصارخا بها على كل شيء دميم وبليد وذليل وملوث ومهين ومتوقح ٠٠ ان القلوب والضمائر اللئيمة لا تختار لطلقات لؤمها الاهداف الجيدة ٠٠ ان وقاحة الذباب لا تختار اجمل الوجوه أو اشمخ الانوف لتعاقبها بأدرانه وبكبريائه وعدوانه ٠٠ ان الفروق بين تصويت وتصويت ليست أقل من اضخم الفروق بين ذكاء وذكاء ، أو بين اخلاق واخلاق ، أو بين أضخم جمال وأضخم دمامة ، أو بين أعظم عبقرية وأعظم بلادة ، أو بين أشهر وأوسع حضارة وأشهر وأوسع بداوة ، أو بين أكبر انسان وأصغر انسان ، أو بين نبي عربي يقرأ كتابه المقدس وانسان اخر من نوع اخر يقرأ اناته واحزانه رثاء للاله المتهم بهذا الكون وهذا الانسان ورثاء للانسان المتهم بهذا الاله وبمحاسبة هذا الاله ٠٠

ان الفرق بين هذا وهذا هو التفسير للفرق بين تصويت وتصويت ، وهو التعبير عنه ٠ هل كان يمكن ان توجد الفروق بين هذا وهذا لو لم توجد الفروق بين هذا وهذا ؟ هل يمكن ان تختلف الاصوات أو ان تختلف تفاسيرها ونياتها لو لم تختلف مزايا المصوتين ؟

غراباً ناعباً.. لا صقراً صامتاً

ان الانسان العربي لا يصوت بأي تفسير أو معنى من هذه التفاسير والمعاني الانسانية الجميلة الغنائية اللغة والضمير والفكرة والاخلاق والحوافز ..

حتى الصلاة والتضرع الى الاله ، انهما عند الانسان العربي ليسا انشادا أو حبا أو تعبدا بل سباب وحقد وعداوة .

انه اي الانسان العربي لا يصوت مصافحا أو معانقا أو مصادقا أو محبا او محييا أو متمنيا أو مبتسما أو مواسيا أو مشفقا أو معالجا ، أو مغنيا هاتفا لجمال او لذكاء أو لعدل أو لنظافة أو لكرامة أو لتفوق أو لعبقرية أو لاية مزية يراها او يعلمها أو يحدث عنها او يتصورها أو يتمناها أو يشتاق اليها ، في نفسه أو في اصدقائه أو في اعدائه ، في الانسان أو في الطبيعة حتى موهبة التمني عند الانسان العربي ، انها لا تستطيع الاقتحام او الاختراق أو الرؤية الجميلة أو الذكية أو النظيفة ..

كذلك لا يصوت ، رفضا أو احتجاجا أو غضبا أو اشمئزازا أو بكاء أو اباء أو استحياء ، لانه يواجه ويري ويسمع ويعيش ويعايش ويتمنى ويصادق ويعشق كل الدمامات والعاهات والتشوهات والبلادات ، وكل العار والذنوب والصغائر والفضائح والهزائم ، هو وأهله وبنوه واباؤه وشعبه ووطنه وتاريخه وتعاليمه ومثله بل وار بابه وانبياؤه وكتبه المقدسة ...

انه اي الانسان العربي لا يصوت تحية أو مصافحة أو صلاة أو مغازلة لشيء جميل أو ذكي أو كريم أو نظيف ، أو متمنيا محبا له ، أو مشتاقا متطلعا اليه ، او محرضا لـه على المجيء وعلى الانتصار والانتشار ..

كذلك لا يصوت مقاومة او معاقبة أو ارهابا أو رفضا لشيء دميم أو بليد أو ظالم أو وقح أو حقير أو ملوث ، أو اشمئزازا وخوفا منه ، أو بكاء وانفجاعا توقعا لمجيئه ولانتصاره وانتشاره .. ولكن هل يعرف الانسان العربي الفرق بين الشيء الجميل او الذكي او الكريم أو النظيف وبين نقيضه ؟

انه لا يصوت لانــه يحب أو يحترم أو يفهم أو يتقبل أو يعقل شيئا مــا ، ولانه يكره أو يرفض أو يحتقر نقيض ذلك الشيء ويعجز عن أن يفهمه أو يعقله ، فيغني لهذا محييا وممجدا ومبايعا ، ويغني ضد ذاك هاجرا وزاجرا ومقبحا ٠٠

وهل يستطيع أو يريد الانسان العربي أن يفهم أن الحياة أو الاخلاق أو الانسانية هي الشيء ونقيضه وان الشيء لا يساوي نقيضه ؟

انه لا يصوت انفجاعا واستقطاعا وعذابا وانينا حين يسمع ويرى ويجد الانين والمعذبين والمستذلين والمقهورين والمستصرخين والمشوهين وهو لا يستطيع انقاذهم، وحين يواجه ويرى القاهرين والمعتدين والسفهاء والسخفاء والانذال والمتجبريــــن المغرورين وهو عاجز عن قهرهم أو اصلاحهم ٠٠

انه لا يصوت رثاء أو اشفاقا أو استنكارا أو اعجابا أو اشمئزازا أو استقباحا أو استحسانا أو شوقا روحيا أو فكريا ٠

انه لا يصوت مبتهلا خافق الضمير والاخلاق ليهب السرور للقلوب الحزينة ، أو العزاء للقلوب المفجوعة الكليمة ، أو الابتسام والجمال للوجوه العابسة الدميمة ، أو المحبة للقلوب الباحثة عن الحب التي لا تجد الحب ، أو الامل للاماني اليائسة ، أو الانتصاب للقامات المنحنية ، أو الارتفاع للهامات المطأطئة ، أو القدرة على التحديق وعلى الرؤية للعيون الخائفة من التحديق والفاقدة للرؤية العاجزة عنها ، أو النظافة والتقوى للاخلاق الفاقدة للنظافة والتقوى ، أو القوة للعضلات الضعيفة الواهنة ، أو الحركة للاعضاء المصابة بالسكون ، أو الفهم للعقول العاجزة عن الفهم الخائفة من الفهم ، أو التعويض والتفريج عن الالهة المهجورة ٠ حتى الالهة ، ان الانسان العربي لا يصوت لكي يهبها العزاء أو السرور أو الامل أو ليخفف عنها من عذاب وحدتها وصمتها وهجرها ومن عذاب العصيان لها ٠٠

انه اي الانسان العربي لا يصوت كطير بريء الضمير والاخلاق محلق الاجنحة والنيات فوق كل حضيض ونذالة وبغضاء ، أو كشاعر يعيش بكل معانيه ولغاته وتحديقاته فوق النجوم ، حينما يصوت اي هــذا الطير أو هذا الشاعر ، مغنيا مسمعا منشدا أذنيه وكل اذان كل الاشياء ، مغنيا لطموحه أو لحبه أو لاماله أو لتحليقه أو لسروره أو لتطلعاته وتحديقاته الجميلة البريئة ، أو لامنه وسلامه ، أو لحب ورخاء وسلام وصداقة واماني ومسرات كل الناس وكل الكون ، أو مصليا هاتفا لالهه الجميل المهذب المتواضع المسالم الرحيم العاجز عن ان يملك جنة او نارا يجن هو ويصيــب بالجنون وعدا ووعيدا بهما ، والعاجز كذلك عن امتلاك زبانية او ملائكة غلاظ شداد قساة لا يعصون أو يكرهون أو يرفضون أو يحتقرون طاغيتهم الرهيب الكئيب ، مهما طالبهم بالتدمير والتخريب وبالتمويت والقتل والتشويه والتعذيب والترويع وبكل الوان الجنون والسفه والعدوان والوقاحات ٠ كم هو قبيح وبذيء تصور مثل هــذا

الاله أو هـذا الكائن الذي يملك مثل هذه الجنة أو مثل هذه النار ويملك مثل هـذا الوعد والوعيد بهما ويملك مثل هؤلاء الملائكة الغلاظ الشداد ؟

ان الانسان العربي لا يصلي ولا يغني ولا ينشد ولا يهتف أو يصوت أو يناشد أو يخاطب أو يخطب أو يقرأ مهما فعل ذلك ٠ انه في كل ذلك وفي كل حالاته ليس الا شاتما أو مخاصما أو متوقحا أو مهددا أو محقرا أو هازئا أو كاذبا أو معلنا عن حقده وبغضه وسفاهته وبذاءته ٠ انه لا يستطيع ان يكون مغردا أو مصليا أو معزيا مهما قال وحفظ وتلا القصائد ، ومهما شيد وملأ المعابد ، ومهما أقام المآتم وتزاحم عليها وارسل برقيات التعزية ٠

حتى الصلاة وحتى قراءته لكتابه المقدس٠ انه لا يعني او ينوي بذلك ان يصلي أو يقرأ كتابه المنزل ، وانما يعني وينوى بصلاته وقراءته ان يشاتم ويكره ويحقـد ويعادي ويخاصم ويتحدى ويغيظ ٠ ان كل قيمة الصلوات والاديان والالهة والمذاهب عند الانسان العربي ان تتحول الى أصوات سابة متوقحة بذيئة حاقـدة مباهيـة عدوانية ٠٠

وهو حينما يصوت هـذا التصويت اي الذي لا يعنى به الا هذه الشرور والنذالات لا يفهم من ذلك هـذا الذي لا يعنى او ينوي سواه ٠ وانما يعلن ويفهم انه بهـذا انما يصوغ الكون والحياة ويهبهما كل المجد والجمال والذكاء ، ويبدع اضخم واشمل وأدوم الحضارات ، ويؤدب ويهزم ويرهب كل الاعداء والخصوم ، ويعلم ويهدي ويهذب كل الضالين والفاسدين والمتوقحين والاشرار ، وانه ايضا بذلك انما يداوي ويشفي جميع الحشرات من حقاراتها وقذاراتها وصغائرها وهبوطها ، كما يداوي ويشفي جميع الالهة من همومها وهزائمها وبلاداتها وعبثها !! نعم ، انه لا يوجد من يحتاج الى ان يداوي من احزانه وهزائمه وتفاهاته واحقاده كالاله ٠ وهل يوجد المداوي له ؟

ان الانسان العربي لا يصوت كطفل او كطائر او كمعذب يئن ويشكو ويحتج بـل ولا كاعصار او زلزال او كوحش غاضب يتهيأ للافتراس والهجوم ، وانما يصوت كذبابة او بعوضة أو كأية حشرة حاملة وناقلة ونافثة للاذى والموت والسموم والجراثيم والقذارات والغثيان والاشمئزاز والقبح والرعب البذىء ٠٠ أيها الانسان العربي ، ايها النبي والزعيم والمفكر والشاعر العربي ، متى تنتقل بتصويتك من كينونـة ذبابة وبعوضة الى كينونـة عصفورة أو حتى الى كينونة دجاجة ؟

ليتك ايها الانسان العربي ، ايها النبي أو الزعيم أو الشاعر او المفكر العربي ، نعم ، ليتك حينما تصوت طفل أو طائر صادق بريء يصوت مغنيا أو باكيا ، أو ليتك زلزال أو اعصار يصوت مدمرا وفاتكا بقوة وشجاعة وشهامة ونبل وصدق ٠٠ ليتك ايها النبي ، ايها العبقري العربي حين تصوت تكون اي صوت غير صوتك ٠ ليتك تتعلم جمال التصويت وبراءته وتهذيبه وصدقه وحبه وشاعريته من الطيور والحشرات والزلازل والاعاصير ٠

ليتك حين تصوت وحش قوي رهيب يصوت مهاجما ضاربا قاهرا منتصرا بلا نذالة أو بذاءة أو وقاحة أو اكاذيب أو غرور أو ادعاء أو تهديد أو وعيد لا ينفذ أو يصدق او يخيف بل ولا يحترم كتهديد ووعيد اربابك وانبيائك وزعمائك وشعرائك وخطبائك وكل ابائك وابنائك في كل تاريخك وكل حاضرك ٠ وهل اجرؤ على أن اقول : وفي كل مستقبلك ؟ هل وجد من حقر التهديد والوعيد وسلبهما معناهما مثلك ايها الانسان العربي ، ايها النبي أو الزعيم العربي ؟

حزني لك وعليك ، بل حزن كل الناس وكل الاشياء لك وعليك ومن أجلك ايها الانسان العربي ، اذا كانت اضخم التمنيات لك أن تكون حين تصوت طفلا أو طائرا أو زلزالا أو اعصارا أو وحشا ٠٠ اذا كانت اجمل واتقى التمنيات لك ان يكون انبياؤك وزعماؤك وشعراؤك ومفكروك حين يصوتون اطفالا وطيورا وزلازل واعاصير ووحوشا حين تصوت !!

متى ايها الانسان العربي ٠٠ ايها النبي والزعيم والشاعر والواعظ والمفكر العربي ـ نعم ، متى تصبح حين تصوت في صدق وبراءة الطائر أو الطفل حين يصوت مغردا ، مغنيا أو باكيا أو راثيا أو مشتاقا أو محلقا متطلعا الى الافاق والنجوم ، أو في قوة وفتك وشهامة وصدق الزلزال أو الاعصار حين يصوت مدمرا مغيرا فعالا ، أو في شجاعة وكبرياء ووثبة وروعة وجمال الوحش ، حين يزأر واثبا ضاربا منتصرا قاهرا منفذا بلا وقاحة ولا نذالة ولا غرور ولا ادعاء وبلا تهديدات وبيانات وانذارات كاذبة بذيئة سخيفة محتقرة مسخور منها ؟ كيف تستطيع أو تقبل أية اذن أن تظل حية او سامعة ان كانت قد قد سمعت شيئا من انذاراتك وتهديداتك ايها النبي ، ايها القائد ، ايها الشاعر العربي ؟

متى أيها النبي والزعيم والشاعر والمفكر والعالم العربي تفسر وتسمع اصواتك كما تفسر وتسمع اصوات العصافير والدجاج ، لا كما تفسر وتسمع اصوات الذباب والبعوض ؟ هل يستطيع مجد اصواتك أن يقفز من مجد أصوات ذباب وبعوض وجراثيم الى مجد أصوات دجاج وعصافير وضفادع ؟

ان كل الناس محتاجون بل ومضطرون الى التخلص من شحناتهم وعفوناتهم النفسية بالاصوات المختلفة ، وايضا بالحركات وبكل الوان التعبير الكثيرة ٠

ولكن كم يختلفون ذكاء وتهذيبا ووقارا وتحضرا وجمالا في النيات والاساليب وفي أداء الاساليب التي يتخلصون بها من ذلك ؟ كم يتفاوت الناس في ادائهم للوظيفة الواحدة أو العمل الواحد وفي تعبيرهم عن القضية أو النية الواحدة ؟ كم يتفاوتون في التفاسير والاساليب ؟

ان اساليبهم في التخلص من الفضلات المتكونة داخل اجسامهم مما أكلوا وشربوا ليست اكثر تفاوتا واختلافا في ذكائها ونظافتها واستتارها وعلمانيتها واخلاقيتها وفي جمالها وقبحها من اساليبهم التي يتخلصون بها من هذه الشحنات أو العفونات النفسية ، اي من اساليبهم الكلامية والصوتية والحركية وسائر اساليبهم

التعبيرية . ان اساليب التخلص من عفونات النفس والعقل والاخلاق بالتصويت وبغيره قد تكون اكثر وقاحة من كل اساليب التخلص من فضلات الطعام والشراب المختزنة في غرف الجسم الداخلية .

وكما أن تصويت العرب ليس تصويتنا اي اقل من التصويت ، وانما تصويتهم شتائم وبذاءات ونذالات واحقاد وبغضاء وتهديد وادعاء واكاذيب فكذلك ايضا فان شتائمهم وبذاءاتهم ونذالاتهم واحقادهم وبغضاءهم وادعاءاتهم وأكاذيبهم ليست في مستوى مثيلاتها عند الاخرين ، انها عند العرب اردأ واصغر واكثر هبوطا في اساليبها وتفاسيرها ونياتها .. كم يختلف الناس ويتفاوتون في اساليب ادائهم وممارساتهم لوقاحاتهم ودماماتهم وذنوبهم ؟ كم تتفاوت القباحات والوقاحات لتفاوت من يفعلونها؟

ان الاخرين اذا مارسوا هذه الرذائل والشرور مارسوها بذكاء وعقلانية ، بل وعلمانية واخلاقية ، بل وشاعرية وفنية وحضارية . نعم ، حتى الرذائل والشرور لا يمارسها المتحضرون الا باساليب حضارية وعلمية وعقلية .

نعم ، ان اقواما ليتحولون الى شعراء وفنانين في ممارساتهم للرذائل والشرور وفي تعبيرهم عنها ..

حتى الخروج على الاخلاق واختراق الاخلاق انما يكونان عند المتحضرين باساليب اخلاقية بل وبنيات اخلاقية ، حتى الوقاحة لا بد أن تؤدى بتهذيب !

ما اعظم الفرق بين الوقاحة الوقحة والوقاحة المهذبة !!

أما العرب فكم يجب الرثاء للكلمات واللغات ، وكم يجب الاعتذار اليها اذا كان محكوما عليها اي على الكلمات واللغات ان تفسرهم اي تفسر العرب في كل الاوقات والمواقف ، وتحت كل الظروف كما يجب تفسيرهم . ما اعظم عذاب وهوان اللغات والكلمات التي قد حكم عليها بان تفسر العرب كل تفاسيرهم بكل الصدق والاعلانية كلما وجب تفسيرهم !

حتى اصواتهم اي اصوات العرب لا تستطيع ان تكون اصواتا ، انها اقل من الاصوات في كل معانيها وصيغها . وحتى شتائمهم وبذاءتهم ونذالاتهم وخصوماتهم وعداواتهم واحقادهم وادعاءاتهم وبغضاؤهم ودعاياتهم واكاذيبهم ، بل وحتى ايمانهم بآلهتهم وصلواتهم وعباداتهم وتضرعاتهم لها ، وحتى قراءاتهم وتفاسيرهم لنبواتهم ولكتبهم المقدسة .

نعم ، حتى هذه كلها عند العرب لا يوجد ما يساويها او يشبهها عند غيرهم في هبوطها الفكري والفني والنفسي والاخلاقي والانساني . ان ممارسات العرب لجميع الاشياء لا تتفاوت في هبوطها الفكري أو الفني او النفسي أو الاخلاقي أو الانساني ..

هل يوجد غير العرب من يشتمون او يخاصمون او يدعون او يخاطبون او يخطبون أو يجادلون أو يدعون أو يعلنون أو من ينزلون النبوات والاديان والكتب المقدسة ويقراونها ويفسرونها ويزعمون لها ويدعون لها واليها ويلزمون بها ، او من يصنعون الشعراء

والاشعار والمدائح وينشدونها ويحفظونها ويباهون كل العالمين بها ويمتلكون كل الامجاد بامتلاكها ، ويهزمون ويحلون كل المشاكل والمستحيلات وكل الاعداء والخصوم والمنافسين بحفظها وانشادها والمباهاة بها ، او من يعلنون ويعتقدون امتلاكهم وحدهم لكل مجد التاريخ ولكل ذكائه وتقواه وجماله وكرامته ولكل انتصاراته ـ أليس التحدث عن الشيء وادعاؤه بغرور مفضوح يساويان في حسابهم كينونة ذلك الشيء وامتلاكه وفعله ـ .

نعم ، هل وجد او هل يوجد غير العرب من يفعلون ويقولون ويعتقدون كل ذلك بلا اي قدر من الذكاء او الرؤية او الحكمة أو الوقار أو الصدق أو التهذيب أو التواضع ؟ هل يوجد من يفعلون كل الافتضاح بكل اساليب ودوي الافتضاح غير العرب ؟ هل يوجد عاشق للافتضاح وفاعل معلن له وعنه مثل الانسان العربي ؟ هل يوجد كالعرب من يفعلون كل الضعف باساليب كانما ينوون بها الاعلان عن ضعفهم ؟ هل يوجد من يفعلون كل الضعف والغباء معتقدين وزاعمين انهم يفعلون كل القوة والذكاء والعبقرية كالعرب ؟

كل الناس يشتمون ويخاصمون ويباهون ويكذبون ويحاورون ويعلنون ويخاطبون ويخطبون ، اي ولو لحيانا ولكن بذكاء ودهاء وشاعرية وفنية وموهبة وبمحاسبة وحسابات صارمة ـ الا العرب . العرب لا يقبلون كما لا يستطيعون ان يكونوا فنانين ولا شعراء ولا موهوبين ولا متحضرين حتى ولا في فضائحهم !!

كل الناس يفتضحون ويتعرون باستتار ووقار وحياء الا العرب ، فان افتضاحهم وعريهم لم يبتكرا او يعرفا اي زي او لغة يستتران او يتحدثان بهما غير الافتضاح والعري . ان العرب لم يوهبوا الصدق والصراحة والشجاعة في شيء مثلما وهبوها في الافتضاح والتعري من الوقار والاستتار والصدق ..

كل الناس اي الذين هم في مستويات اعظم من مستويات العرب يعرفون انهم يصوتون حين يصوتون الا العرب ، لانهم لا يعرفون ان التصويت هو شيء غير الكلام وغير التفكير والعبقرية والابداع والخلق . كما لا يعرفون ان الانسان او الكائن يكون احيانا مصوتا فقط واحيانا متكلما ومفكرا ومبدعا وخالقا . وانه اي الانسان احيانا يصوت واحيانا يتكلم ويفكر ويبدع ويخلق لانه يريد ويستطيع ان يكون احيانا هذا واحيانا اخرى يريد ويستطيع ان يكون ذاك ..

انه يريد ويستطيع ويعرف اما العربي فلا يستطيع ولا يريد ولا يعرف ..

وكذلك ايضا كل من هم في مستوى الانسان العربي ..

اجل ، يجب الصدق . انه قد يوجد للانسان العربي اشباه وامثال . اذن فليتعز الانسان العربي بهؤلاء الاشباه والامثال . انه اي الانسان العربي او مثيله في هذه القضية لا يريد ولا يستطيع ولا يعرف . اما في القضايا الاخرى فقد يريد ، ولكنه اي الانسان العربي في جميع القضايا لا يعرف ولا يستطيع اي مهما اراد ..

انه لا يعرف انه حين يصوت لا يحول بتصويته البحار الى انهار عذبة ، ولا

يحول جسم الشمس الى مروج لتسمن بها وعليها خيوله الاصيلة التي غزا اباؤه وانبياؤه على صهوات ابائها كل مجد وتاريخ وكبرياء الكفر والفسق والضلال والظلم والعصيان للعروبة · كما لا يعرف ايضا انه بتصويته لا يزرع الرحمة او الحب أو الشهامة أو الذكاء أو العدل أو المنطق او الحياء فوق جباه الالهة او في ضمائرهما ولا يهب الحياة والتاريخ كل خطوتهما وقفزاتهما وحضاراتهما واديانهما المقبلة ، ولا يصنع الحبل بالتقوى وبالجمال والحب في كل ضمير وفكر وشهوة · ولكن هل يستطيع غيره ان يزرع باية وسيلة شيئا من ذلك اي من الرحمة او الحب او الشهامة او الذكاء او الحياء أو المنطق فوق جباه الالهة ؟

انه لا يعرف ان تصويته ليس هو الذي تحوله الملائكة الى اناشيد لتنشدها امام مجد الاله وامام جمال الطبيعة وامام تاريخ الانسان ، محيية ممجدة مبايعة مصلية مهنئة هاتفة · انه لا يعرف ان الملائكة لم تصغ او تتعلم من تصويته اي نشيد او تسبيح من اناشيدها وتسابيحها ··

وانه اي تصويته ليس هو النشيد الذي يصب جميع المسرات في اذني الاله ليتحول الى اضخم واوفى تعويض له اي الاله عن قسوة وشمول حرمانه وهجرانه وضياعه واحزانه ومجاعاته ووحدانيته الرهيبة الكئيبة ·· وهل يستطيع احد سواه ان يصنع شيئا يمكن ان يصبح تعويضا للاله عن الام وخسائر كينونته ومواجهاته ؟

انه يعتقد انه بتصويته بل ببعض تصويته يهب ويفعل كل ذلك · بل ان كل ذلك هو بعض ما يهب ويفعل بعض تصويته · أليس اله الانسان العربي يقول للشيء كن فيكون اي يصوت على الشيء فيكون ؟ وهل اله الانسان العربي الا نموذج الانسان العربي ؟

انه لا يعتقد ان اي شيء يستطيع ان يفعل او يهب ما يستطيع ان يفعله او يهبه تصويته ، بل بعض تصويته · انه بتصويته يصنع ما لا يمكن صنعه · اليس بتصويته يصنع فيما يعتقد الاله ، يصنع ويصوغ اخلاق الاله وارادته وكل افعاله ؟ لهذا يصوت له ؟

ان الاخرين حينما يصوتون لا يعتقدون او يشعرون بشيء من هذا المجد او القيمة او من هذه القدرة على العطاء ، لتصويتهم او في تصويتهم ··

انهم متواضعون جدا في تقديرهم لاصواتهم وفي رؤيتهم وتفسيرهم لها ··

انهم يعرفون ذلك ويصوتون ويتعاملون باصواتهم محاكمين لها وحاكمين عليها بهذه المعرفة ·

انهم اذن بلا امجاد صوتية · ان الامجاد الصوتية للعرب وحدهم بلا مشارك او منافس او مبارز · ولقد كان العالم سخيا وشهما واريحيا وعادلا حين سلم للعرب وحدهم كل مجد الاصوات · ان احدا من العالم المتحضر لم يجرؤ على الزعم ان له شيئا من هذا المجد العربي الخاص بهم ·

اذن فالاخرون حينما يصوتون لا بد ان يصوتوا بتهذيب ووقار وتواضع وحياء وبشاعرية وفنية وانسانية وباقلال وبلا صراخ همجي ، لانهم يعرفون انهم يصوتون فقط ، ولانهم يعرفون تفاسير التصويت وقيمته وكيف يجب ان يكون ، ومتى يكون مفيدا ومؤثرا وجميلا وشاعريا وغنائيا وانسانيا ٠٠

ان صراخ وهجاء وبكاء وسباب الانسان المتكلم لاذكى واجمل واعمق تفكيرا وتاثيرا واقناعا من تفكير وصلاة ومغازلة وتحية الانسان المصوت ٠

ولا بد من التكرار هنا : انه قد يكون للعرب اشباه أو امثال فيكل هـــذه التفاسير ٠ ولعل هذا التكرار يكون مرعيا ومذكورا في حساب كل من يقرؤون هـذه الدراسة ٠

اما العرب ، لانهم يجهلون كل ذلك ، ولانهم يهبون تصويتهم كل هذه الامجـاد والتفاسير والقوة والقيمة ، فلا بد ان يصوتوا بكل الكبرياء والنزق والافتضـاح والفحش والبذاءة والتطاول ، وبكل الهمجية والديمومة والصراخ والقبح ٠ أليس التصويت الذي يخلق ويصوغ ويهب كل شيء حتى اخلاق الالهة ومشاعرها وسلوكها يجب ان يكون كل الجنون والسفه والقبح والبلادة ؟

وهكذا فعلوا ويفعلون ولا بد ان يستمروا كذلك يفعلون حين يصوتون ٠٠ اي ما لم يولد فيهم من داخلهم انسان اخر اكبر جدا من الانسان الذي لقحه فيهم انبياؤهم وخلفاؤهم وسلاطينهم وشعراؤهم وكل اسلافهم ٠

انه لن يوجد شيء يستطيع ان يؤدبهم او يعلمهم أو يحضرهم أو يعقلهم أو يجعلهم يعرفون او يقتنعون ان التصويت ليس علاجا لجميع الاشياء من كينوناتها واخلاقها وخصائصها ، ومن جميع آلامها وامراضها وتشوهاتها بل ومن ذواتهـــا وذاتياتها ، ومن كل تفاسيرها ـ او يجعلهم يعرفون او يقتنعون ان التصويت ليس محتوما ان يكون دائما تفوقا وانتصارا على جميع الخصوم والاعداء والانداد ، في كل المواقف وتحت جميع الظروف والمواجهات ٠ نعم ، انه لن يوجد شيء من خارجهم يستطيع ان يفعل لهم او بهم ذلك ٠٠

انهم لا يريدون ولا يستطيعون ان ينزلوا بالتصويت عن هذه المكانة ، اذ ماذا يمكن ان يكون لهم او يبقى لهم من المجد او القوة او التاريخ لو نزلوا به عنها ليضعوه في مكانه ؟

ان العربي كما يفضل ان يصوت دون ان يربح او يأخذ شيئا على أن يصمـت ويربح ويأخذ كل شيء ، فانه كذلك ليفضل ان يصوت بوقاحة وبذاءة ليكون منبوذا مذموما محتقرا مرفوضا على أن يصوت بأدب وتهذيب وحياء ليكون مقبولا محبوبـا محترما مقنعا بما يقول ويريد ويحاول ـ ويفضل ان يصوت بكبرياء وادعاء ليكون صغيرا وتافها على ان يصوت بتواضع ووقار ليكون كبيرا وعظيما ـ ويفضل ان يزعم انه منتصر وقوي قهار ليكون مهزوما ضعيفا ذليلا على الا يزعم لنفسه القـوة والانتصار والجبروت والتفوق ليكون منتصرا وقويا ومتفوقا ، او على الا يكون منتصرا

ولا منهزما ، لا متفوقا ولا متفوقا عليه ، لا قويا غلابا ولا ضعيفا مغلوبا ـ ويفضل ان يشتم الشمس ويتهمها بكل الاظلام والبرودة وضآلة الحجم والمكان والشهرة ليكون محروما منها ومحجوبة عنه حجبا شاملا ودائما على ان يصمت عن شتمها واتهامها ليكون كل ضوئها واشراقها ومجدها وهواها ومجيئها وذهابها له وحده ـ ويفضل ان يزعم بصراخ وجنون وسفه عظيم ان كل الناس وكل التاريخ رعايا واتباع وعبيد لابائه ولتاريخه ولاربابه وانبيائه وسلاطينه وخلفائه ليكون هو وكل ابائه وانبيائه واربابه وسلاطينيه وخلفائه وكل تاريخه ومعابده واياته واحاديثه رعايا واتباعا وعبيدا لكل الناس ولكل التاريخ على ان يصمت عن هذه المزاعم ليكون واقعا وحقا ما زعم لتاريخه ولاربابه وانبيائه وابائه ولسلاطينه وخلفائه ، او على الا يكون هذا ولا هذا ، على الا يكون الها ولا عبدا . انه اي الانسان العربي ليرفض ان يكون كل المجد الصامت المهذب المتوقر ليختار ان يكون كل الهوان الصارخ الوقح الشاتم البذيء. انه ليشتري الوقاحة بكل شيء .. !

ان الانسان العربي ليفضل ان يكون صوت سحابة مرعدا بكل الرعود المصوتة بكل الاصوات القبيحة البذيئة الوقحة النزقة ، دون ان يكون سحابة تحمل او تعطي اية قطرة مطر لتهب اليه حياة على ان يكون سحابة صامتة او مهذبة متواضعة ذكية متوقرة مستحيية في تصويتها وارعادها تحمل وتعطي كل المطر وكل الانهار والحياة والجمال وتصنع كل ذلك ، بكل الضخامة والقوة والابداع والسخاء . انه ليفضل ان يكون غرابا ناعبا على ان يكون صقرا صامتا .. انه ليفضل ان يكون رعدا وقحا بلا سحابة على ان يكون سحابة مهذبة بلا رعد ..

انه اي الانسان العربي ليفضل ان يكون له اله زائف عاجز تافه بليد ليصوت باسمه وله مهينا شاتما محقرا متهما لكل الناس بحجة الاحترام والحب والطاعة له والدفاع عنه والايمان به على الا يكون له هذا الاله الزائف الرديء السفيه ، او على ان يكون له اله مهذب ذكي كبير عاقل متحضر شهم متوقر نبيل يرفض الصراخ والسباب والاتهام والوقاحات والبذاءات والعدوان النفسي واللغوي والاخلاقي باسمه او من اجله، او باسم اي شيء او من اجل اي شيء . ولكن أليست كل قيمة الاله ومزيته وشاعريته في أن يكون وقحا بذيئا فضاحا مفضوحا ؟ وهل يطاق الاله المهذب المتوقر الشهم الكريم أو هل يطيق مثل هذا الاله نفسه ؟

ان الانسان العربي ليرفض ان يكون له زعيم او قائد يهبه كل ما في الطبيعة من احتمالات المجد والقوة والحياة والرخاء والانتصار ، لو كان اي الزعيم او القائد صامتا او مهذبا ، لا يستطيع او لا يريد ان يكون معاديا مخاصما مشاتما مبغضا مشنعا متهما محقرا بدعاوي دينية او مذهبية او وطنية او قومية او اخلاقية ، بكل الاساليب الاعلانية والمنبرية ـ لكي يختار اي الانسان العربي ان يكون له زعيم او قائد أو نبي تتجمع كل وقاحات وبذاءات وعداوات وشتائم وفحش واحقاد وبغضاء كل المنابر والاديان والمذاهب والقوميات والوطنيات والتاريخ في فمه وضميره ونياته

وعقله واخلاقه ، صارخة بكل اللغات واللهجات والاصوات ، حتى ولو صنع ووهب له كل ما في الطبيعة والبشر والالهة وكل الاشياء من معاني واحتمالات الهوان والضعف والعار والهزائم والبؤس والموت ٠ ولكن أليس من اقسى اساليب العدوان على كرامة الافتراض وعلى معانيه ان يفترض بان زعيما او قائدا او نبيا عربيا قد يكون صامتا او مهذبا او متوقرا ؟

انه اي الانسان العربي لو وضع في خيار بين الانتصار المهذب المتواضع الحيي الساكت عن الادعاء والغرور والمباهاة الضاجة الوقحة الهمجية المهينة ، وبين الهزيمة الضاجة بالشتائم والتهديدات وبكل لغات النقيق والطنين والنهيق والزئير ـ نعم ، انه لو وضع في خيار بين هذا النصر وهذ ه الهزيمة بكل هذه الاوصاف والشروط لهما، لكان من البلادة التي لا يمكن غفرانها الشك في انه لا بد أن يختار هذه الهزيمة بشروطها واوصافها هذه الملائمة المرضية له جدا ، الملائمة المرضية المعجبة له في كل تاريخه ومستوياته ، بكل معانيه وتفاسيره النفسية والعقلية والاخلاقية ٠٠ الدينية والمذهبية والانسانية ٠٠

ان جميع زعماء العرب وانبيائهم وقادتهم في كل تاريخهم ومستوياتهم ومواقفهم ليختارون ان يهزموا ويرفضون ان ينتصروا اذا كانت الهزيمة تعني ان يضجوا بالادعاء والكبرياء والتهديد والشتائم والبذاءات ، وكان الانتصار يعني ان يصمتوا ويتادبوا ويتواضعوا ٠٠ ان العربي ليختار ان يكون عاريا زاعما انه لابس ويرفض ان يكون لابسا غير زاعم انه لابس كل الملابس ٠٠

لقد آمن الانسان العربي بانبيائه ومعلميه وبخلفائه وسلاطينيه وزعمائه وشعرائه باقتناع وحمية فيهما كل اوصاف التوحش والتعصب ٠ لقد كانت اعظم امجاد وعبقريات الانسان العربي في كل تاريخه وحشية ايمانه بانبيائه وزعمائه وخلفائه وشعرائه وسلاطينيه وجميع معلميه ودراويشه ٠ ولكن لماذا آمن بهم هذا الايمان ؟ انه لم يؤمن بهم رؤية او فهما ، لمعجزاتهم او لعبقرياتهم او لما صنعوا واعطوا من حضارات او انتصار او رخاء او مجد او من حلول او علاج او من تفسير ذكي لاية مشكلة او ألم او عاهة او تشوه او عجز او حيرة ا وورطة ٠٠ كذلك لم يؤمن بهم نبلا او تصدقا او حبا او صداقة او رثاء او مجاملة لهم ، او اشفاقا عليهم من الكفر بهم او من الرفض والهجر لهم أو مقاساتهم لمشاعر الهزيمة والوحدة والغربة والضياع لو لم يؤمن بهم ، مع انه قد يكون الاشفاق والرثاء والرحمة والمجاملة والشهامة من اقوى اسبابه الايمان بمن نؤمن به او بهم ٠٠

انه لم يؤمن بهم لانه رآهم او رأى منهم أو لانه فهمهم او احترمهم او رحمهم، او لانه قرأ في عيونهم مجد الذكاء أو الصدق أو الحب أو النظافة والطهارة ٠ ولا لانه قرأ فيها اي في عيونهم كل اشواق الالهة وطموحها اي طموح الالهة وكل تمنياتها وعبقرياتها وقوتها ومستقبلها وكل اخلاقها ورغباتها واوامرها ٠ ولا لانه قرأ في عيونهم كل عيون الالهة متطلعة متلهفة متضرعة محرضة على الايمان والاعجاب

والافتتان بهم ·· انه لم يؤمن بهم لانه رأى في عيونهم بحرا او نهرا او سحابة او شمسا او قمرا او نجما ، ولا لانه سمع قلوبهم تخفق بلغة غير اللغة التي تخفق بها قلوب الضباع ··

انه لم يؤمن بهم لشيء من ذلك · ولكنه اي الانسان العربي آمن بهم اي بانبيائه وخلفائه وشعرائه وسلاطينه ومعلميه وبقادته وزعمائه لانهم كانوا يملؤون كل آفاقه النفسية والعقلية والدينية والمذهبية والزمانية والمكانية والتاريخية بكل البذاءات والوقاحات والتهديدات والاتهامات والمخاصمات والشتائم والصغائر الضاجة تحت جميع المزاعم والانتماءات المختلفة الاسماء واللغات والقراءات ، دون أي اختلاف في النيات أو في التفاسير · لقد آمن بهم لانه وجدهم يملكون كل مجد الفحش والسباب والتطاول النفسي والاخلاقي واللغوي على كل احد وعلى كل شيء جيد ومحترم ·

لقد كان الضجيج الفاحش الهمجي المهاجم على كل الجبهات والاتجاهات هو كل معجزات انبياء وزعماء وشعراء وخلفاء وقادة ومعلمي الانسان العربي الذين جن بهم ايمانا واقتناعا وتعصبا وفحشا باسمهم ومن اجلهم ! ·· ان معجزات هـؤلاء لم تكن مرئية او مفهومة أو معقولة أو معروفة أو مجربة بل لقد كانت مسموعة فقط ··

وايضا لماذا آمن الانسان العربي بكتبه المقدسة بكل هذا الجنون والاقتناع والنزق ؟ هل فهمها او وجد فيها شيئا خارقا او ذكيا او جيدا او نبيلا ، او انه يمكن ان يستفيد او يأخذ منها شيئا او يلتزم بشيء منها بعقله أو بمشاعره أو اهوائه أو بتمنياته او اخلاقه او بحياته او بمعاملاته ؟

بل هل قرأها اية قراءة ؟ هل الناس يقرأون كتبهم المقدسة مهما قرأوها ؟

ان المؤمنين لا يقرؤون شيئا مثلما يقرؤون كتبهم المقدسة · ولكن هل قرأوها أو هل يمكن ان يقرأوها ولو مرة واحدة ؟ ان الكتب المقدسة معصومة من القراءة ··

هل يمكن ا نتقرأ كتابك المقدس ثم يظل مقدسا ؟ أليس الشرط الدائم لبقاء كتابك مقدسا الا تقرأه مهما قرأته ؟ ان كتابك المقدس اما غير مقروء واما غير مقدس · انه لا يستطيع ان يكون مقروءا ومقدسا · ومن شك في هذا فعليه أن يجرب شكه ·

ان جميع الناس لا يقرأون كتبهم المقدسة الا قراءة واحدة ، مرة واحدة ثم لا يقرأونها مرة اخرى · وهذ هالمرة الواحدة التي يقرأونها بها يشترط فيها ولها ان تكون قبل قراءتها · وهل يمكن ان تقرأ كتابا قبل ان تقرأه ؟ اجل ، ان اكثر الناس يقرأون الكتب التي يقرأونها قبل أن يقرأوها · ولهذا فانهم لا يقرأون مهما قرأوا ·

ان كل صاحب كتاب مقدس لا يستطيع ان يقرأ كتابه المقدس الا مرة واحدة وتكون هذه المرة الواحدة قبل قراءته له والا لما ظل مقدسا ·· لهذا فان قراءة الكتب المقدسة ليست قراءة · والناس يخطئون حين يقول قائلهم : قرأت كتابي المقدس ·

انه لو قيل ما هي الكتب التي لم يقرأها قط من يؤمنون بها اقوى الايمان ويحترمونها كل الاحترام ، أو ما هي الكتب التي يشترط للايمان بها وللاحترام لها الا

يقراها من يؤمنون بها ومن يحترمونها هذا الايمان وهذا الاحترام ، لوجب ان يكون الجواب : هي الكتب المقدسة · عجبا ! كيف امتلكت الكتب المقدسة هذا المجد او هذا الهـوان ؟ من اخترع لها مجدها هذا او هوانها هذا ؟

ولو قيل من هو القارىء او من هو صاحب الكتاب او مقتني الكتاب الذي يجب الا يقرأ كتابه ويجب الا يقرأه حين يقرؤه لكي يظل محترما مقدسا لكتابه ومؤمنا به لوجب ان يقال : انه هو المؤمن بكتاب مقدس او القارىء لكتاب مقدس او المقتنـي لكتاب مقدس · ولكن كيف لم يفطن المؤمنون الى ذلك ؟ هل عجزوا عن أن يفطنـوا ام تعمدوا الا يفطنوا ؟ هل سحروا انفسهم ام سحرهم ساحر ام ارادوا ان يكونـوا مثل مسحورين ؟

ما هي القراءة ؟ ان البشر حتى اليوم لم يضعوا ولم يحاولوا ان يضعوا تفسيرا محددا او مفهوما للقراءة · وهل يستطيعون ان يضعوا مثل هذا التفسير لو ارادوا وحاولـوا ؟ وكم هم الذين يفهمون معنى القراءة او الذين يرون انه يجب ان يكون للقراءة معنى او الذين يقرؤون حين يقرؤون ؟

ومهما عجزوا عن ان يضعوا تفسيرا عالميا او جزئيا للقراءة او مهما تراخوا او رهبوا او كسلوا فلم يريدوا وضع هذا التفسير للقراءة فانه لا يوجد خلاف في أن الذين يقراون كتبهم المقدسة ثم تظل في اقتناعهم كتبا مقدسة لا يمكن ان يكونـوا قد قراوها او انهم حين يقرأونها يقرأونها · انه لذو قيمة حضارية وانسانية ان يعرف ان القراءة لا بد ان يكون لها معنى وان يلتزم كل قارىء بهذا المعنى ··

ان اي قارىء لكتابه المقدس لا ينوي ولا يريد ان يقرأه ، بل ولا يفهم ان عليـه ان يقرأه ، بل انه يخاف ويرفض ان يقرأه ، اي ما دام يراه مقدسا ويريد ان يظـل يراه مقدسا · وهل قارىء الكتاب المقدس هو وحده الذي لا يقرأ حين يقرأ ؟ أليس اكثر من يقرؤون اي شيء هم لا يقرؤون ؟ أليس تعذيبا هائلا ان يقرأ الناس ما يقرؤون ؟

هل يستطيع او يتقبل اي مؤمن بكتاب مقدس ان يقرأ كتابه المقدس لو عرف انه حين يقرؤه لا بد ان يقرأه حقيقة وان يفسره ويفهم تفاسيره وان يقتنع بها وان تتحول الى التزام في حياته ، في تفكيره أو في اهوائه ومشاعره ونياته واخلاقه وعلاقاته مع نفسه ومع الاخرين ومع الاشياء ومع الاله الذي اوحاه اي اوحى كتابه المقـدس ؟ اليست القراءة لاي كتاب مقدس وكـذا اكثـر القـراءات لاي كتـاب اساليب ونيات مختلفة من اساليب ونيات الهرب من التفكير والرؤية والفهم والالتزام او الاهتمام باي شيء بل من اساليب ونيات الهرب من القراءة بمعانيها وتفاسيرها المفترضة ؟ اليست هذه القراءات اساليب ونيات استفراغية على ما يقرأ وليست مساءلة او محاورة او محاكمة لما يقرأ ؟

اليس الذي جعل الناس يستطيعون ان يؤمنوا بكتبهم المقدسة وان يقرأوها ، وهون عليهم هذا الايمان وهذه القراءة هو اقتناعهم انهم مهما قرأوها لن يقرأوهـا أو يفهموها أو يلتزموا بها ادنى أو أقل التزام ، أو ان تصبح مهددة لهم بأن يقرأوها

أو يفهموها أو يلتزموها اي قدر من الالتزام باي معنى من معانيهم او بأية صيغة من صيغهم ؟ ان نفس الاله الذي اوحى بالكتب المقدسة وصنعها لو ظن انه قد يكون ملزما بقراءتها وفهمها وبالالتزام النفسي أو الفكري أو الاخلاقي بها لما اوحاها أو الفها أو قبل ان تكون • أليس أعجز العاجزين عن الالتزام بما قال واوحى هو الاله ؟

أليست افضل وانبل واتقى المبادىء والتعاليم والنبوات والشرائع واقدرها على الاقناع بنفسها وبمزاياها وعلى ان تكون مصدقة محترمة ومعلمة ومعلنا عنها وموعوظا بها ومرحبة بها كل المنابر والمحاريب والافواه ، هي التي لا يستطاع الالتزام بها ولا يراد او ينوي او يفترض او يطلب الالتزام بها والتي لا يكون خارجا او عاصيا او غريبا او وحيدا من يعلن ويزعم بكل صوته وحماسه الايمان بها ، ثم يعلن ويؤكد بكل حياته وارادته وتحركاته الخروج عليها بل القتل والاذلال والتحقير لها ؟

نعم ، ما الذي جعل الانسان العربي يؤمن بكتابه المقدس او بكتبه المقدسة هذا الايمان المتوحش ؟ هل فهم منها شيئا او وجد فيها شيئا او أراد منها شيئا أو اقتنع بان شيئا منها قد يتحول الى شيء في حياته او يهبه شيئا من الذكاء او القوة أو الجمال أو الرخاء أو الفهم أو التسامح أو الحب للاخرين أو الغفران لهم او العجز عن التحديق في الامهم وعاهاتهم وهزائمهم وفضائحهم وعيوبهم المختلفة ، شماتة واستمتاعا وحقدا ونذالة ؟ حتى هذا لا تستطيعه الكتب المقدسة • لا تستطيع ان تؤدب وتزجر وتحمي المؤمنين بها من ان يحدقوا بشماتة ولذة واستمتاع وحقد في تشوهات والام وهموم وفضائح وهزائم الاخرين ••

لقد آمن الانسان العربي بكتابه المقدس بل بكتبه المقدسة لانه قد وجدها اي وجد كتبه المقدسة عالما بل كونا لا حدود له من الشتائم والتهديدات والبذاءات والاتهامات والتحقيرات والتوعدات والمخاصمات والعداوات المتفجرة بكل الصراخ والارعاد والزئير من افواه وضمائر وغضب واخلاق وشهوات سكان السماء •• اليست بذاءات السماء هي اكثر البذاءات مجدا واعلاها صوتا في التاريخ واقدرها على الاقناع بجمال القبح ؟

اذن فلتجن اذان الانسان العربي استمتاعا وطربا واعجابا وفرحا وايمانا بكتبه المقدسة الحاملة الناقلة اليه كل شتائم واحقاد وبذاءات وبغضاء جميع سكان السماء ، مصوتة ومغناة بكل وقاحة ودمامة اصواتهم اي اصوات سكان السماء •• ما اجمل واتقى واقوى بذاءات السماء في اذني المؤمن وفي ضميره وتقواه •• ما افظع تصورات المؤمن لاخلاق السماء ولذكائها وتهذيبها وحبها للجمال ومعرفتها بفنونه ••

جميلة ومقنعة وفاتنة انت يا اصوات السماء في اذن الانسان العربي لانك ضاجة بالوقاحة والبذاءة وبالتهديد والسفه وبالتحقير والقسوة وبالتوتر المشحون الصاخب بكل معاني ولغات الاهتياج المجنون الهمجي الشاتم الشامت المعير الوقح • وهل تستطيع اصوات السماء ان تكون غير ذلك اي غير كل هذا القبح ؟ هل تستطيع

ان تكون مهذبة ؟ ولو انها جاءت مهذبة او حاولت ان تكون كذلك فماذا يمكن ان يبقى لها من المجد او القوة أو التفاسير ؟

وهل آمن الانسان العربي بانها اصوات السماء او اصوات تحبها السماء ؟ أو عرف انتسابها الى السماء أو قبل هذا الانتساب او اقتنع به الا لانها كذلك اي الا لانها كل هذه الوقاحات والضجيج والقسوة التي لا نموذج لها في اي شيء ؟

هل عرف او جرب للسماء من مزايا أو أمجاد غير هذه الوقاحات الضاجة المتلوة في جميع محاريبه ؟

ماذا لو جاءت كتب الانسان العربي المقدسة مهذبة ورحيمة ومتواضعة ومتوقرة وملتزمة بالذكاء والحياء والصدق والمنطق والاعتدال والحب والانصاف ؟ ماذا لو جاءت هامسة الصوت او متوقرة الشتائم أو ورعة في اتهاماتها وتهديداتها ومخاصماتها او مساوية لما يستطاع ويمكن ويعقل ويحترم ؟

هل يمكن حينئذ ان يراها معجزة او مقنعة او قادمة من السماء ؟ بل هل يمكن حينئذ ان يسمعها او يستمع اليها او يؤمن بها او يراها اكبر او اذكى منه ؟

بل هل يمكن حينئذ ان يراها كلاما من كلامه او من كلام ابائه ، او يتقبل ان تكون او ان تحسب كذلك ؟ هل تملك كتب الانسان العربي المقدسة اية موهبة لتجعلها مقنعة او مؤثرة او مثيرة او حتى مسموعة غير الوقاحات الضاجة العنيفة المهـــددة بلا وقار او ذكاء ؟

ان آيات الكتب المقدسة ونبوات الانبياء وخطب وتعاليم واوامـــر الزعمـــاء والقادة والمعلمين والعلماء وشعر الشعراء ـ ان كل ذلك عند الانسان العربي لا يساوي ما فيه من اعجاز او عبقرية او ذكاء او قوة او تهذيب او صدق او محبة أو اخـلاص او منطق ، وانما يساوي ما فيه من ضجيج وتوتر وتعصب وبغض وخروج علـــى جميع القيم النفسية والفكرية والاخلاقية والحضارية والتعبيرية • وهل العبقرية والاعجاز والقوة والتهذيب والذكاء والصدق والمنطق والاخلاص شيء غير هذا فـــي تفسير الانسان العربي اي غير الضجيج والتوتر والتعصب والبغض والخروج على كل القيـــم ؟

وهل استطاع او يستطيع الانسان العربي ان يفهم منها اي من الايات والنبوات والخطب والتعاليم والاوامر والاشعار ، او ان يجد فيها غير ذلك اي غير ضجيجهـا المتوتر المتعصب المبغض وخروجها على جميع القيم الانسانية المطلوبة المطالب بها ؟ وهل الاعجاز أو العبقرية شيء غير هذا او فوق هذا في جميع حسابات الانسان العربي؟

ولو كان فيها حقا شيء من الاعجاز او العبقرية او الذكاء أو الصدق أو الاخلاص او القوة أو الحب أو المنطق المزعوم لها وفيها فهل يمكن ان يعيه او يحس به الانسان العربي ؟ باية وسيلة او طاقة او منطق او مقياس كان يمكن ان يعرف ذلك او يحسه او يقتنع به لو كان موجودا اي في آياته ونبواته وتعاليمه وفنونه ؟

هل يجرؤ اي انسان على الزعم ان الانسان العربي لم يؤمن بكتبه المقدسة وبنبوات انبيائه وبقيادة وعبقرية وشاعرية وخلافة زعمائه وشعرائه وخلفائه وسلاطينه الا لانه ادرك ما في ذلك من جمال وصدق وتفوق وحق وحقيقة واعجاز ؟

بل هل يجرؤ اي انسان الا يزعم بان الانسان العربي لم يؤمن بمن آمن بهم الا لانهم كانوا نقيض اسباب الايمان بهم ؟

هل يمكن الزعم انه اي الانسان العربي يستطيع ان يعرف الشيء من نقيضه ، ان يعرف الذكاء والصدق والاخلاص والمنطق والشاعرية والعبقرية والنبوة والموهبة والجمال والشهامة والقيادة القادرة الصادقة الشجاعة ٠

نعم ، هل يمكن الزعم ان الانسان العربي يستطيع ان يميز كل ذلك أو بعضه عن نقيضه ؟ هل يمكن ان يوجد وقح كل هذه الوقاحة لكي يستطيع ان يزعم مثل هذا الزعم ؟ هل توجد وقاحة او بلادة تساوي الزعم ان الانسان العربي قد يفهم الفرق بين النبي والدجال او بين القائد الزائف والقائد العظيم او بين الكتاب المنزل من السماء والكتاب الذي بصقه ضمير اجهل وافجر شيخ او كاهن ، او الفرق بين الذكاء والغباء او بين الصدق والكذب او بين الاله والوثن ؟

اذن لقد كانت كل المعجزة والعبقرية التي جعلت الانسان العربي يؤمن بما آمن به بكل هذا التعصب والاقتناع المخيف بوحشيته وبلادته وانغلاقه وغروره وبكل موهبة العدوان فيه ـ نعم ، لقد كانت كل المعجزة والعبقرية التي وجدها الانسان العربي في اربابه وانبيائه وزعمائه وخلفائه وشعرائه وعلمائه وقادته وسلاطينه ومعلميه ليؤمن بهم هذا الايمان هي الضجيج بكل لغات واصوات الفحش والقبح والتوقح والبغض والتعصب والتوتر والكبرياء والتطرف والمبالغات الصوتية والحركية والانفعالية الحمقاء المخترقة لكل حواجز وحدود وقيود الاعتدال والتهذيب والوقار والحياء والذكاء ٠ وانها لمأساة عقلية او اخلاقية او كل انواع المأساة لو ان الانسان العربي ظن او زعم ان الامر ليس كذلك ، اي أفضل او اذكى من ذلك ٠

ماذا لو عرض في الاسواق العربية زعيمان او قائدان او شاعران او معلمان او نبيان او الهان او كتابان مقدسان او غير مقدسين ، احدهما مهذب ورصين ووقور ومفكر وصادق ومنطقي ومتسامح وهادىء الحركات والانفعالات مضبوطها وقليل الكلام خافض الصوت ، والاخر مناقض لذلك بكل عنف المناقضة وشمولها ؟ اي ونحن هنا نفترض ان السوق العربية قد يعرض فيها نوعان او مستويان من المواهب او الاخلاق ، قد يعرض فيها نقيضان من الانبياء أو الزعماء أو الشعراء أو المفكرين أو المعلمين لكي تمارس اي السوق العربية الاختيار ٠٠

أليس محتوما ان تعرف نتيجة المباراة قبل نهايتها بل قبل بدايتها ؟ اليس محتوما ان تكون النتيجة معروفة بدون مقاساة التجربة اي لو وجد هذان النقيضان لكي يضعا السوق العربية في محنة الاختيار او في شرفه ولذته ومتعته ؟ وهل جرب العرب الاختيار في اي وقت ؟

اليست وقاحة او بلادة لا نموذج لها ان يشك فيمن الذي لا بد ان ينتصر في السوق العربية اعظم انتصار ، وفيمن الذي لا بد ان يهزم فيها اقسى هزيمة ، بل الذي لا بد ان يعجز حتى عن الظفر بالهزيمة لان السوق العربية لن تشعر به حينئذ او تسمع عنه او تلتفت اليه او تبالي به لكي توقع به الهزيمة ٠ اليس محتوما ان النبي او الزعيم المتوقر المهذب الصادق لا بد ان يكون اقل من مهزوم في السوق العربية اي اقل من مشعور به او ملتفت اليه ؟

اليست هزيمة الشيء نوعا من المبالاة والاهتمام به والالتفات اليه والاحساس به ؟ وهل يمكن ان تهب السوق العربية شيئا من اهتمامها او التفاتها او احساسها او من توجسها وتحسسها وتخوفها او من مقاومتها لذلك النبي او الزعيم او القائد او الشاعر او المعلم او الاله او الكتاب المقدس أو غير المقدس الذي افترض انه دخلها أو غزاها أو عرض فيها ليتعامل معها أو ليخاطبها أو ليعلمها أو ليقودها أو ليثيرها ويحركها بتهذيبه ووقاره ورصانته وبصدقه ومنطقه وبتسامحه وهدوئه وبقليل كلامه وانخفاض صوته ؟

اليس شيئا محزنا بل ومخجلا ان يظن اي قائد او زعيم او نبي او معلم عربي انه قد ينتصر في الاسواق العربية او ان يقودها او ان يقنعها او ان يظفر باعجابها او بحماسها او بحبها او ان يعيش في ضميرها بقدر ما يكون مهذبا ووقورا وصادقا ومنطقيا ومتسامحا معتدلا محبا رحيما ، خافض الصوت ، متكلما فقط بقدر ما يحتاج الموضوع الذي يكون الكلام عنه ، وبقدر ما يكون مضبوط الحركات والانفعالات هادئهـا ؟

المتنبّي يَروي معَارك سيناء وَالجولانْ

ان الذي يدخل السوق العربية ليستحق كل الرثاء وكل التعزية في فقده لكل موهبة لو ظن ان السوق العربية قد تفهم الفرق بين النبي او القائد أو الزعيم الجيد الصادق وبين نقيضه ، او ظن انها قد تختار الجيد الصادق لاتباعه وللسير معه وللايمان به ، او لو ظن انها اي السوق العربية قد تحترم الشيء او تؤمن به لانها تفهمه ، او لو ظن انها قد تعرف قيمة الشيء في نفس الشيء لا باسلوب ادائه ، او لو ظن انها قد تعرف عبقرية أو معجزة او جودة أو ذكاء الزعيم أو القائد أو النبي أو المعلم ، أو ان تعرف صدقه ، في قيادته او نبوته او عقله او حياته او تدبيره لا في اساليب واخلاق ولغات ولهجات وتوترات وعدوانيات صوته ٠٠ ان اي زعيم او نبي يسر لان السوق العربية قد رحبت به لانها فهمت مزاياه لهو زعيم أو نبي يستحق كل الرثاء ٠٠

لهذا فما التفسير الذي يجب ان نفهمه والا نفهم تفسيرا سواه حينما نجد ان زعيما او قائدا او نبيا او معلما او شاعرا عربيا او كتابا مقدسا او غير مقدس قد توجته السوق العربية او التاريخ العربي ليكون مجدا لهما ، وهتفت له السوق العربية أو التاريخ العربي بكل الصراخ والجنون والنزق والغرور الوقح البليد ؟ هل يمكن ان يكون لهذا التتويج في السوق العربية غير تفسير واحد حزين أليم مهين ؟

انه حتى لو كانت هنالك احتمالات عديدة لتفسير ذلك لما كان منها اي احتمال لاي تفسير فيه اي شيء من الثناء على السوق العربية او على التاريخ العربي او على الانسان العربي ٠ ولما كان منها اي من هذه الاحتمالات ا ياحتمال لتفسير ذلك تفسيرا يعني ان هذا الزعيم أو القائد أو النبي أو الشاعر أو الكتاب يحمل اية قيمة من القيم الجيدة ٠٠

لننظر ٠٠ ان الشاعر المتنبي قد اصبح قيصرا في سوق الشعر والادب العربي ٠٠ لماذا ؟ هل ذلك لانه كان شاعرا جيدا ومستحقا لكل ما ظفر به من امجاد ورنين ؟ او لانه كان مثلا صادقا او شهما او شجاعا او نظيفا او ابيا او عفيفا او كارها او رافضا او مقاوما للطغيان أو التخلف أو الفساد أو السرقة والاستجداء او للغباء ؟

او لان قامته كانت عاجزة عن الانحناء او التحطم في اي معبد او تحت اي عرش او اغراء ؟

هل ذلك مثلا كان لانه قومي او وطني او انساني او لانه كان مناضلا ضد سيطرة غير العرب على العرب ، وضد هوان واستعباد العرب تحت طغيان حكام غير عرب ؟ هل كان المتنبي في اي موقف من مواقفه قوميا او وطنيا عربيا . هل اصابه اي قدر من الغثيان القومي او الوطني او الاخلاقي وهو يرتل القصائد الحمقاء في تمجيد غزاة العروبة ومحتلي عروشها ؟

هل ذلك لانه قد صلب او عذب او طورد او نفي او سجن او جاع ثمنا لوقوفه الدائم ، مدافعا عن حرية قومه العرب وعن كرامتهم وعزتهم ، وعن كرامة ونظافة وصدق جبهته وموهبته وكلمته وضميره ؟

كل الرثاء للمحاريب الكثيرة التي شوهتها وعاقبتها جبهة المتنبي بسجودها عليها وفيها ...

هل لانه قد انشأ حرسا عربيا قويا واقامه حول كل باب حاكم أو لص غني غير عربي او عربي ، ليمنعوا او يقتلوا كل شاعر عربي كذاب مهين يذهب ليركع امامه اي امام باب الحاكم او اللص الغني العربي او غير العربي ، ليكذب وينشد ويؤله ويستجدي ويشتم قومه العرب تملقا لذلك الحاكم او لذلك اللص الغني غير العربي ؟

هل لانه عرف انه ليس للشاعر اي مجد غير ان يدق جميع الابواب الغوية ساجدا سائلا كاذبا مهينا ذليلا ؟

هل لانه كان عبقريا أو مفكرا أو عالما أو مصلحا أو نموذجا اخلاقيا ، تهاب الاخلاق العظيمة ان تقرأه عجزا وغيرة ورهبة من احتذائه ، وتهاب الاخلاق الصغيرة ان تقرأه خوفا من ان يقتلها التحديق في المسافة الفاصلة بينها وبين اخلاقه ، او خوفا من ان تتعلم شيئا من اخلاقه فتقاسي من أهوال الصعود والنظافة والاشراق والاباء والشهامة ؟ هل لانه كان فنانا وشاعرا عظيما يستحق ان يستبد بالسوق العربية وبالتاريخ العربي وان يتحول الى انشودتهما الدائمة ومجدهما وسلطانهما الدائم ؟

نعم ، انه لسؤال يجب ان يطرح : هل كان المتنبي فنانا أو شاعرا عظيما ؟

وحتى اذا كان ذلك كذلك فهل يمكن الافتراض ان السوق والتاريخ العربيين قد وهباه كل هذا المجد والتمجيد لهذا ؟ هل يمكن ان يكون جماله هو سبب العشق له وسبب رؤيته جميلا في عيون وقلوب السوق العربية او التاريخ العربي ؟

هل السوق والتاريخ العربيان يمجدان بالاستحقاق اي لان من يمجد ان يستحق ان يمجد لانه مجد ولان له مجدا ؟

هل السوق والتاريخ العربيان يحبان او يعجبان او يؤمنان بقلب او فكر او ضمير او رؤية ؟

هل هما يعرفان المجد الذي يستحق التمجيد ، او يعرفان الفرق بين المجد ونقيضه ، أو بين من يستحق المجد ومن لا يستحقه ، ومن يستحق النقيض ؟ ان السوق العربية ليست فقط عاجزة عن رفض الشيء الرديء بل انها ترحب بالشيء لانه رديء ...

ان كان المتنبي فنانا وشاعرا عبقريا فهل يحتمل ان السوق والتاريخ العربيين قد عرفا ذلك ، وانهما حينما نصباه على عرشيهما قد أرادا ان يهباه ما يستحق وان يضعاه في المكان المستحق ؟

اليس تمجيد السوق والتاريخ العربيين طعنا في مجد المجد او تشكيكا فيه واهانة له ؟

هل يوجد من يجرؤ على اتهام السوق العربية او التاريخ العربي بالذكاء او بالاخلاقية ؟ هل يمكن الزعم ان اي اله او نبي او زعيم او معلم او شاعر معروض في الاسواق العربية قد فهم كما هو واعطى من المجد والتمجيد فقط ما يستحقه ، كل ما يستحقه ؟

هل يوجد من يستطيع الزعم ان جميع المتوجين ، او حتى كثيرا من المتوجين ، او حتى قليلا من المتوجين في السوق العربية او في التاريخ العربي يستحقون ذلك ؟ هل يمكن الزعم ان الحشرات لم تنل من المجد والقوة والرخاء والانتصار والتفوق والاغضاء والتسامح في البيوت العربية الا بقدر ما تستحق من ذلك مذهبيا او دينيا ؟

هل يستطاع الزعم ان السوق والتاريخ العربيين كانا يحاسبان او يحاكمان او حتى يسألان أو يقرآن أو يفسران أو يفهمان أو حتى يريان وجه أو جلد أو ثياب من يغزونهما او يحكمونهما او يدعون امتلاكهما ؟ هل يوجد مثل السوق والتاريخ العربيين تسامحا في ذكائهما واخلاقهما وكرامتهما وفي استقبالهما لمن لا يستحقون اي استقبال او تقبل ؟

المتنبي كان فحشا نفسيا واخلاقيا وانسانيا ولغويا . كان مأساة تحولت الى فحش ، وفحشا يفسر بمأساة . كان بلا ضمير وبلا رحمة او حب او عاطفة انسانية ، وبلا حواجز أو زواجر اخلاقية أو نفسية أو فكرية أو من اي نوع أو باي قدر . كان وحشا انسانيا يستحق الشفقة والرثاء بقدر ما يستحق الاشمئزاز .. كان وقاحة بقدر ما كان قباحة ، وخطيئة بقدر ما كان خطأ وتشويها بقدر ما كان تشوها .

كان تاكيدا رهيبا لبعد الحضيض الذي يمكن ان تهبط اليه كرامة الانسان وحياؤه وتهذيبه !!

لم يكن يهاب او يخجل أو يقاسي من أن يكون اي شيء او يتصور باية صورة او يصاغ اية صياغة ، أو يفسر اي تفسير ، أو يلبس اي زي ، او يقف امام اي باب، او يهبط الى اي حضيض ، او ان يضع جبهته فوق اي تراب ركوعا تحت اي قدم غني او قوي، او ان يكون اية جبهة في اي وجه ، ليركع في اي معبد ، مصليا لاي وثن ، داعيا متضرعا باية لغة وبأي اسلوب وبكل لغة وكل اسلوب .

كان يتعرى كل لغات وصيغ واساليب التعري كل وقت ، في كل مكان ، تحت كل الظروف ، داخل كل العيون المحدقة المفجوعة المفقوءة من دمامة المنظر ووقاحته ٠٠ كان معجزا وهازما لكل من يريدون مباراته في الهبوط وفي الكذب والافتضاح ٠٠ كانت كل العيون والتصورات تعجز عن ملاحقته هابطا كاذبا مفتضحا مبتذلا ٠٠

لو ان اية امرأة خاطئة لا شبيه لها في افتضاحها كانت كل حياتها تطوف في كل بلد وكل ميدان وبيت وعلى كل رجل ، عارضة جسدها العاري المشوه لتبيعه لكل من يدفع الثمن ، بلا اي شرط غير دفع الثمن ، باعلان وتشهير ودوي ومباهاة ، دون اية مقاساة نفسية او اخلاقية او حتى جسدية ٠

نعم ، لو أن اية امرأة كانت كذلك وفعلت كل ذلك فهل تستطيع ان تدخل مع المتنبي اية مباراة للحصول على اكبر قدر من الافتضاح ؟ لقد كان اعتذارا عن جميع المفتضحين وعزاء لهم في انفسهم وفي فقدهم لكرامتهم ٠ ان جميع المفتضحين لو قرأوا وفسروا افتضاحه لاستصغروا افتضاحهم ٠٠

ان كلمات ٠ وصولي ، انتهازي ، منافق ، متقلب ، متلون ، فضاح ، مفضوح ، بلا كرامة ، بلا حياء ، بلا مبدأ ، بلا ضمير ، بلا اخلاق ـ ان جميع هـذه الكلمات وامثالها لا تستطيع ان تكون زيا او وصفا كافيا لحياة المتنبي ٠ انه اكبر منها جميعا ٠٠ لعل جميع اللغات لا تجد كلمة رديئة لتكون على مقاسه ٠ لعل قبحه معجز لجميع اللغات ٠ تاريخ الادب والشعر وكل انواع الكلمة العربية لا يستطيع اي هجاء فيه ان يعد أو يكون هجاء له ، لان اي هجاء مهما كان قبحه لن يكون اكثر هجاء له من هجائه لنفسه او مثل هجائه لنفسه ، اي لانه قد اكتمل كل مستويات ومعاني القبح ، فلن يضيف اي قبح اليه قبحا ٠

ان هنالك قبحا لا يمكن هجاؤه بأي شيء اخر لضخامة قبحه ، لان كل تقبيح له يذهب لغوا ٠ انه قد توجد دمامة لا يستطيع اي شيء ان يتحـول الى دمامة فيها اي لا يستطيع ان يزيدها دمامة اي ان يجعلها أكبر او أظهر أو أشهر أو اقبح ٠

هل يمكن ان يكون هجاء العيون او الحديث عن دمامة العيون هجاء لوجه او لانسان بلا عيون ؟ هل يمكن هجاء العيون غير الموجودة بالتحدث عن وصف فيها ؟

انه لا يستطاع توجيه اي هجاء او اضافة اي هجاء الى تاريخ الادب والشعـر والكلمة عند العرب الا بقدر ما يستطاع هجاء هذا الوجه او هذا الانسان الذي لـم تخلق فيه عينان بهجاء العيون او بالتحدث عن دمامة العيون ٠٠

ومع هذا فانه ليمكن ان يقال : ان المتنبـي بتواضع وتنازل كرامته عن جميـع حقوقها المعلمة او المفترضة او المحولة الى مزاعم شعرية ضاجة ، قد استطاع ان يتحول الى هجاء للتاريخ الذي لا يستطاع هجاؤه باي هجاء ، ولا باتهامه باي عيب او ذنب او عار لاكتمال كل معاني وصيغ الهجاء والذنوب والعيوب والعار فيـه ٠ فظيعة تشوهات وعيوب ذلك الذي استطاع ان يضيف الى عيوب وتشوهات التاريخ العربي اي قدر من العيوب او التشوهات !!

ان تاريخا يصبح المتنبي احد امجاده الادبية والشعرية والفنية والحضارية والاخلاقية ايضا لن يكون الا تاريخا عربيا اصيلا بكل تفاسيره · بل ان تاريخا يستطيع ان يبتلع كل هذا الهوان والتزييف الذي صاغته وهبطت اليه حياة وشعر المتنبي لن يقبل التاريخ ان يرويه او يعترف به الا موضوعا في حسابات العرب وحدهم ··

انه تاريخ لن يقبل التاريخ ان يضعه في حساباته الجيدة او الرديئة اي لن يقبل التاريخ غير العربي ماذا لو ان كاتبا أو شاعرا أو اديبا بل أو تاجرا متهالكا مهينا قد تنقل بمدائحه على جميع الامراء والسلاطين والاقوياء والاغنياء اللصوص الاغبياء الاذلاء ، وتنقل بهجائه أيضا ، بالاسلوب والتهالك والافتضاح والمبالغات والحوافز والنيات التي فعل بها المتنبي كل حياته او التي تنقل بها المتنبي ؟

نعم ، ماذا لو ان احدا ، اي احد فعل مثل هذا في هذا العصر ؟

ماذا لو ان مثل هذا كتب وقرىء وعرض بأية لغة غير العربية ؟

هل يمكن ان يوجد احد ، اي احد يستطيع ان يفعله او يجرؤ على فعله مهما كانت محاسباته لكرامته ؟ ولكن يجب ان يعلم اني هنا اعني « احدا » غير عربي · اما العربي فله مقاييس ومحاسبات اخرى ··

ولو وجد من يفعل هذا فبماذا يمكن ان يفسره مجتمعه او يحاسبه ويعاقبه ويراه ويقرأه ؟ وهل يمكن ان يغفر له مجتمعه أو يتقبل معايشته او محاسبته به وحسبانه عليه مهما كان تسامح وتواضع مجتمعه في اشتراطه على كرامته وفي اشتراطه لكرامته ؟ اذن كيف يستطيع اي مجتمع ان يقرأ اليوم حياة وشعر المتنبي دون ان يتفجر غضبا واشمئزازا ورفضا لانتمائه اليه ؟ هل يستطيع اي مجتمع غير العربي ان يقرأه ؟

انها لقسوة لا نموذج لها ان نحدق في التاريخ الذي صاغ المتنبي ، والذي بصق عليه المتنبي كل مستوياته وتعبيراته ، والذي استفرغ عليه قصائده بكل هوانها وفحشها وقبحها ، او ان نفسر أو نحاسب او نقرأ هذا التاريخ ·· انها لبلادة عقلية ونفسية واخلاقية ان نستطيع ذلك ··

وانه ايضا لشيء فاجع ومذل لكل معاني الكبرياء في الانسان ان يوجد حتى اليوم بل ان يوجد حتى في هذا العصر المذل بكبريائه وشموخه لهامات النجوم من لا يزالون يرتلون بكل نزق النشوة والمباهاة مدائح واهاجي ومنابحات المتنبي ـ يرتلونها باسلوب ومشاعر من يمضغون كل ما في الكون والاشياء من مجد ، ومن يمتصون كل ما في الشموس والاقمار من ضخامة واشراق وشموخ ، ومن ينهبون من التاريخ ومن الانسان كل ما كان لهما وفيهما وكل ما في احتمالاتهما من اباء ونظافة وتفوق وصدق وعصيان هامات ·

كل عار وهوان كل الاشياء لقوم لا يزالـون حتى اليوم ، حتى في هذا العصر عصر المواجهة العربية الاسرائيلية يقرؤون وينشدون اشعار المتنبي بكل الاصوات بكل الخيـــــلاء ...

لو ان اي انسان متحضر الحياة والفكر والاخلاق والثقافة ، لا يعرف شيئا عن العرب لا بالقراءة ولا بالمواجهة والمعايشة ، لا يعرف عنهم شيئا لا تاريخا ولا حاضرا ، وفجأة قرأ اشعار المتنبي ، مدائح واهاجي ومفاخرات وملاعنات ووقاحات ، وعلم انه اي المتنبي كان عربيا بل كان مجدا عربيا ضخما ، وكان يعيش في التاريخ العربي وفي المجتمعات العربية ، وكان يستفرغ عليها وفيها ومنها وعنها كل اوحاله هذه ، وعلم ايضا انهم لم يحاولوا ان يرفضوه او يعالجوه او يقتلوه او يقتلوا انفسهم فرارا من العار وتخلصا من الغثيان والاشمئزاز ، فأية نماذج حينئذ يمكن ان يتصورها ذلك الانسان لتكون في تقديره وتصوره نماذج صحيحـة للعرب ؟ ارثي بخيـالي لتصورات ذلك الانسان الذي سوف يذهب حينئذ يصوغ في ذهنه المتخيل المفجوع صورا ونماذج بشرية لقوم المتنبي ..

اجل ، لقد كان المتنبي مأساة تحولت الى فحش أو فحشا يفسر تفسيرا مأساويا . لقد كان عاهة فادحة تحولت الى غثيان تاريخي ..

كان المـا حوله مقاسيه الى ذنوب ووقاحات ..

لم يكن المتنبي يحمل او يعيش أية علامة انسانية . بل لم يكن يتظاهر بمثـل هذه العلامة أو يظن ان عليه ان يحملها او يعيشها أو حتى يتظاهر بها أو يتألم لانه لا يحملها ولا يعيشها ولا يتظاهر بها . لقد كانت احاسيسه واشواقه ومطامحه معزولة عن الانسان ، عن الامه وهمومه واحتياجاته ومآسيه . لم يكن يحمل او يعيش او يقاسي اية رؤى أو احاسيس انسانية من اي نوع ..

لم يكن يتألم أو يرثي أو يحزن أو يبكي أو يغضب لاي شيء رديء أو ضار أو مهين او مخيف او مشوه يصيب الانسان ، يصيب اي انسان .

لم تكن له عيون او آلام او اشواق او تطلعات او اشتراطات انسانية ..

لم تعرف عيونـه الدموع الانسانية ، ولا قلبه الاحزان الانسانية ، ولا طموحـه ولا تمنياته ولا اشواقه الاماني الانسانية ، ولا ضميره او تفكيره او اخلاقه الغضب او الرفض او الاشمئزاز الانساني . لم تعرف او تقاسي آهاته اية آهة انسانية .. لم يقرأ او يفسر يوما ما عينا باكية او قلبا حزينا او ضميرا مفجوعا نازفا او كرامة مهانة معتدى عليها او وجها متضرعا مذعورا مقهورا .. انه لا يعرف القراءة الانسانية .. بل لقد كان يشمت ويستمتع ويتغذى ويهزأ بآلام وعاهات وهموم وهزائـم البشر .. كان يتحدث عن ذلك غريقا في النشوة والاستهزاء والكبرياء ..

لم يكن يعيش داخل اي انسان ولا مع اي انسان أو يعيش فيه اي انسان .. كان ضميره وعيناه يعيشان اقسى اساليب الوقاحة والابتهاج وهـــو يتحـدث

عن ألوان العذاب والمآسي التي يقاسيها ويصرخ من فداحتها المظلومون والمقهورون والمصابون والعاجزون والمشوهون وكل اصناف الضعفاء ..

كان يجد اضخم واجمل انتصاراته وحظوظه ان يتعذب الناس ويهونوا ويظلموا وان يتحدث عن عذابهم وهوانهم ومظالمهم بشماتة وبهجة . كان يجد في عذابهم وهوانهم وهزائمهم مجده وسعادته وانتصاراته ..

كان يحرض صانعي وموقعي العذاب والهوان بالانسان ان يزيدوا من عذابهم وهوانهم ...

انه لصعب جدا ان يفسر بأي معنى من معاني الانسان . وانه لاحتمال بعيد ان يكون قد قاسي من اية عاطفة انسانية او سعد بها ..

انه محرض للعذاب والهوان على الانسان ولو بأمانيه واشواقه وترحيبه واستمتاعه . انه يشتم ويحتقر الطغاة لانهم رحماء في رؤيته لهم ، ولم يشتمهم او يحتقرهم لانهم طغاة وقتلة ولصوص وانذال واعداء للانسان . انه لم يغضب قط من اجل الانسان ..

ان معانيه وتفاسيره اسلحة مشحوذة مسددة على ضعف الانسان وعلى آلامه وجراحه واحزانه وعاهاته . انه ليكاد يرشو الالام والطغاة والاقدار الشريرة ويتملقها لكي تزيد من بطشها بالبشر ، وانه ليلعنها ويهجوها اذا هي لم تفعل ذلك ..

انه مهما أن أو بكى أو تألم فانه لن يئن او يبكي أو يتألم بقلب او ضمير او عيون انسان بل باعضاء واحاسيس وشهوات ومخاوف وحش او برغوث . انه لا يتألم او يحزن الاما أو احزانا بل احزانا والاما ذاتية كما يصنع الذئب والغراب . انه لم ير أو يقرأ أو يفهم أو يحترم اية دمعة أو انة من اي قلب أو عين غير قلبه وعينيه ..

انقارئه بمحاكمة ومحاسبة لا بد انيفجع ويفجع وتتعاظم فجيعته كلما ازداد ابحارا في أعماق نفسه حتى ليتحول الى راث مشفق على الوحش الذي يعيش ويعوي في داخله ، او على الكائن او الجسد او الانسان الذي يعيش ويعوي فيه مثل هذا الوحش . ان قارئه بمثل هذه المحاكمة والمحاسبة لا بد ان يجد في داخله غابة لا تشبهها اية غابة اخرى في قبح ووحشية وحوشها ..

نعم .. الذين يبحثون ويتحدثون عن الشاعر في المتنبي ، ماذا يجدون ؟ حتما هم لن يجدوا فيه الا فحشا ومآسي وفضائح تاريخية وعربية حينما يبحثون أو يفكرون في تفاسيره الاخلاقية او النفسية او الانسانية . انهم لن يجدوا مجداً شعريا الا اذا كان الشعر يعني الخروج على الذكاء والعقل والمنطق والصدق والرؤية والعواطف الانسانية ...

انه لو حوكم على مدائحه واهاجيه وعلى تمجيده لنفسه وعلى حديثه عنها ، او لو فسر بذلك لما امكن ان يحكم له باي قدر من الذكاء أو الحكمة أو الاتزان أو الوقار ، بل لكان من الصعب ان يوجد فيه اي قدر من العقل او الرؤية لاي شيء ..

وحتما انه لم يكن يرى اي شيء اية رؤية ٠ لقد كان مغلقا بكل تفاسيره دون كل شيء ٠ لقد كان المفتوح فيه بلا اي اغلاق او حراسة لسانه فقط ٠

ان مدائح المتنبي واهاجيه ومفاخراته واقواله عن نفسه ان لم تكن جنونا وتتحول الى اقسى حكم بالجنون على قائلها فلن يستطيع اي جنون ان يصبح جنونا او يستطيع اي مجنون ان يصبح مجنونا ؟ ان جميع المجانين لنيجدوا حينئذ منيشهد لواحد منهم بانه مجنـــون ٠

نعم ، انه اذا لم تكن اهاجي ومدائح ومفاخرات المتنبي كل مستويات ومعانـي الجنون فان كلمة حنون ومجنون في جميع اللغات وفي جميع استعمالاتها هي كلمـة بلا موضوع وبلا مضية ٠٠ ان اي كائن لن يستطيع حينئذ ان يشير الى شيء او الى احد ليقول انه جنون او انه مجنون ٠ ان جميع اطباء الامراض العقلية لن يكون لهم حينئذ اي عمل في هذا العالم ٠٠

ان جميع المجدين للمتنبي والقارئين له لا يفترضون ولم يفترضوا قط انه مطالب بان يكـون متزنا أو متوقرا أو حكيما أو صادقا أو مهذبا أو اخلاقا أو ضميرا أو انسانا بل او عاقلا او ذكيا ٠ انهم لم يبحثوا عن اي شيء من هذا فيه ، ولم يعرفوا ان عليهم ان يبحثوا عنه او ان يحاكموه ويحاسبوه عليه وبه ٠٠

لقد مجدوه بعد ان اشترطوا بالا يكون له اي مجد ، وبعد ان اشترطوا بـان يكون التمجيد مفرغا من كل مجد بل ومراد به كل التفاسير المناقضة لكل تفاسيـر المجد ٠٠ أليس الذين اعطاهم التاريخ ولا يزال يعطيهم كل المجد وهم نقيضه اكثـر وأشهر من الذين اعطاهم او يحاول ان يعطيهم شيئا منه وهم يستحقونه ؟ أليس غباء التاريخ وكذبه يساويان غباء وكذب كل الناس ؟

انهم فقط يريدونه شاعرا ويقرؤونه ويفهمونه شاعرا ويستبد بهم شاعرا ٠ أليس حسبانه شاعرا او الاقتناع به شاعرا مجدا يغني عن كل مجد او مجدا يستر ويغفر كل ذنب وقبح وتشوه وضعف ؟

ولكن من هو الشاعر او ما هو الشاعر اذا لم يكن حكمة ووقارا واتزانا وذكـاء وعقلا وصدقا ومنطقا وحبا واشفاقا وضميرا ورؤية وموقفا ونضالا وتقبلا ورفضـا واعجابا واشمئزازا ، او اذا لم يشترط او يفترض كل هذا او اي شيء من هذا فيه ؟ ولماذا يراد ان يوجد الشاعر أو ان يكون المرء شاعرا اذا لم يكن الشاعر هو كل هـذا أو شيئا من هذا ؟ اذا لم يكن الشاعر حبا وجمالا وصدقا وبسالة فلماذا يراد ؟

هل الشاعر اذن ، أو هل اعظم الشعراء اذن هو الذي يعوي او يصهل او يهدر او ينعق أو ينعب او يطن او يزأر او يشتم او يهدد او يدعي او يكذب اكثر وافحش واعلى صوتا بلا اية قيمة انسانية او حضارية ؟

هل هو الذي يتخطى بعيدا ، بعيدا كل حدود ونماذج الحياء والوقار والاتزان والحكمة والعقل والذكاء والكرامة ليكون كل الافتضاح والعار ؟

هل هو الذي يقول للابكم : انت واضع كل اللغات ، وللامي : انت معلم التاريخ القراءة والكتابة ؟

هل هو الذي يقول بكل الجراة والوقاحة عن جهام سحابة لا تحمل اية قطرة مطر : انها هي كل البحار والانهار والامطار ، وعن اية صحراء لم تلد او ترب اية نبتة او حياة : انها هي كل المروج والزروع والحياة ، وعن اصغر وافقر قرية تعيش في ضمير البداوة ، كل قصورها وحصونها وبيوتها الخيام والحجارة والطين والتبن اليابس العابس : انها هي كل المدن التي كانت والتي سوف تكون ، وعن اصغر شيخ اصغر قبيلة : انه هو كل القياصرة والاكاسرة والاباطرة والملوك وعن اي امير او وزير او خفير لا يقرأ ولا يكتب : انه هو كل العباقرة والانبياء والحكماء والعلماء وصانعي الحضارات والعلوم ؟ هل الشاعر هو الذي يقول اكبر الكلمات ليعبر عن اصغر واكذب واقبح وابلد المعاني او ليكون استفراغا بذيئا بلا أي معنى ؟ هل الشاعر هو الذي يتلقى الوحي بلا اله أو ملاك أو رؤية أو الهام وينشده بلا فهم أو ايمان أو صدق أو حب أو تهذيب أو تقوى ؟

نعم ، اذا كان من يقول ويصنع كل هذا هو الشاعر او هو اعظم الشعراء فلن يكون خلاف على ان المتنبي شاعر بلا قيصر كل الشعر والشعراء بل نبيهم ٠٠ اذا كان اعظم الانبياء هو ابعدهم عن معاني النبوة وعن معجزاتها وشروطها فالمتنبي هو اعظم الشعراء بلا خلاف ٠٠

هل وضعت حدود او تعريفات جزئية او عالمية تستطيع ان تكون مقنعة او قريبة من الاقناع بمعرفة الشعر والشاعر ؟ هل وضعت حدود او قيود ليعرف بها النبى من الدجال ؟ هل استطاع البشر كلهم في كل تاريخهم ان يضعوا أو يعرفوا هذه الحدود والقيود ؟

انها لصعبة معرفة ذلك ، واصعب من معرفته وضع حدود وتعريفات له تستطيع ان تكون محددة او مقنعة او قريبة من التحديد والاقناع ٠٠ اذن هل توجد غفلة مثل غفلة من يحسبون أو يزعمون انهم قد عرفوا النبي أو الاله نبيا أو الها باوصافه ومزاياه وعلاماته وشروطه ؟

ان الناس يؤمنون بالشعراء والادباء والكتاب والفنانين ، ويصدقون ويقتنعون انهم كما آمنوا بهم ، بالاسلوب والمنطق اللذين يجعلانهم يؤمنون باربابهم وانبيائهم واديانهم واوطانهم وتاريخهم ، اي بالاملاء والتلقين والتكرار وبطرحهم لهم في الاسواق ، وبالارهاب العقلي والاخلاقي والنفسي بهم ، اي بارهاب عقل واخلاق وضمير من لم يؤمنوا بهم ، أو من لم يسارعوا الى الايمان بهم ، أو من لم يكن ايمانهم بهم كما ينبغي ، لكي يؤمنوا بهم ، او لكي يسارعوا الى الايمان بهم ، او لكي يكون ايمانهم بهم كما ينبغي ٠

هل توجد سوق او مجتمع لا يصنع الايمان بمطروحاته او بمعروضاته من الالهة والانبياء والشعراء والفنانين والكتاب والادباء ومن العقائد والمذاهب والشعارات

والتقاليد ، بالارهاب العقلي والنفسي والاخلاقي ؟ ان الايمان باي اله أو مذهب أو نبي أو زعيم ليس الا خضوعا لاقسى واشمل اساليب الارهاب المتبادل الممارس بلا رؤية ٠

ان المجتمعات تصنع هذا الارهاب وتمارسه بكل العنف دون ان تعلم او تنوي او تدبر ٠ ان جميع المجتمعات تمارسه بعضها ضد بعض بلا نية او معرفة احيانا ٠ أليست عيون الاخرين ونظراتهم ومشاعرهم تصنع هذا الارهاب دون أن تقصد أو تعلم او تريد ودون ان تستطيع الا تصنعه ؟ أليس محتوما مثلا ان يخاف عقلك وضميرك واخلاقك من الا تؤمن بعبقرية او بشاعرية شاعر وجدت السوق والمجتمع يؤمنان بشاعريته وعبقريته كما ترهب ان تتعرى فيهما او ان يعداك او يرياك جبانا او نذلا او بليدا او خائنا ؟ هل يوجد عقل او ضمير لا ترهبه ولو احيانا مسلمات وشعارات ومواقف السوق مهما كانت بلادتها وحماقتها ؟

ومع هذا فقد يكون من غير المستطاع بل ومن غير اللائق ، الشك في ان للمتنبي مقاطع قد تعد محلقة مقتحمة رائعة في رؤيتها وقوتها واثارتها وفي استبدادها الطاغي بقارئها وسامعها ومفسرها ومختبرها وبمغنيها ومرتلها وبالمتمثل بها حين حزنه او حين سروره او حين اعجابه او حين ضياعه او في مواجهة الامه ومآسيه وفواجعه ٠٠ ألسنا جميعا قد نجد في شعر المتنبي ما نغني او نحدي او نواسي او نعزي او نفسر أو ما ندق به الامنا او هزائمنا او احزاننا أو اية مواجهة من مواجهاتنا ؟ ألسنا احيانا وكالحتم نجد المتنبي ينشدنا حين احزاننا وغضبنا ومسراتنا وكأنه يواسينا ويراقص فرحنا ، كأنه يخاطب كل شيء فينا ؟

ولكنها مقاطع قليلة في ديوانه ، تقاسي الغربة والشذوذ ، بل تقاسي الطرد والاضطهاد والغثيان والقبح والتقبيح والتعذيب والاذلال وسط موج متلاطم من السفه والقبح والسخف والزئير البذيء البليد العقيم المفضوح الفضاح ٠٠ أليست المعاني الجيدة النادرة وسط المعاني الشاملة الرديئة لا بد ان تقاسي كل مشاعر الغربة والهجاء والضياع والاضطهاد والطرد ان تقاسي كل ما يقاسيه العقل والوقار والتهذيب والكرامة والاستحياء والنظافة والاستقامة والصدق بين اكوان من النقيض ؟

انها مقاطع لن تجد بينها وبين ما حولها على صفحات الديوان اية علاقة من اي نوع لا عقلية ولا اخلاقية ولا نفسية ولا تاريخية ولا لغوية بل ولا احتمال علاقة في الابوة او النسب ، بل ولا اية صداقة او تعارف او تفاهم ٠٠ ان هذه المقاطع في الديوان كالمصلوب فوق صلبانه وبين صلبانه ، او كالعين الجميلة في الوجه المشوه ٠

ولكن الا يحتمل ان هذه المقاطع او الرؤية لها ليست الا خداعا أو انخداعا ؟ ألا يحتمل ان تفسير رائيها ليس الا كتفسير من قاسى طويلا ودائما من رؤية ومواجهة ومعايشة الدمامات والنذالات والقبائح والهموم والهزائم ، فراح يتخيل أو يبدو له ـ فرارا من ديمومة هذه الرؤية والمواجهة والمعايشة الاليمة ـ انه يرى ويواجه

ويعايش ويجد نقيض هـذه الديمومـة اي يرى ويواجه ويعايش ويجـد جمالا وشهامـة ومسرات وانتصـارات واشيـاء اخـرى جيدة مناقضة ؟ انه فرار من الرؤية والمواجهة الحقيقية المؤلمة القبيحة الى التخيل المريح الجميل · انه قد يكون كذلك ·· أليس المتعب من السير والضياع في الصحراء الكئيبة لا بد ان يجد فـي النوم فوق الصخور جمالا وسعادة وراحة ؟ ·

ان الانسان محتاج دائما ا وأحيانا الى ان يجامل نفسه ويهون عليها ويهبهـا شيئا من الراحة والرضا ، وحينئذ قد يرى ويجد بل ويواجه جمالا وذكاء وعظمة وقوة ، اي يتخيل انه يرى ويجد ويواجه ذلك دون ان يكون شيء مما يتخيل · اننا قد نرى اقبح وابلد الاشياء هي اجمل واذكى الاشياء أو ان فيها جمالا وذكـاء لكي نستريح او نسعد او نرضى ··

انه قد يتحول الى تعذيب وتحقير وتصغير واذلال وتثبيط لك الا ترى او تعايش الا الدمامات والحقارات ، والا ما يصنع لك الاحزان والتشاؤم ، وحينئذ قد تتحـول بعض هذه الدمامات والحقارات وبعض هذا الذي يصنع لك الاحزان والتشاؤم ، في رؤيتك وظنك ، الى جمال وعظمة والى صانع واهب للمسرات والتفاؤل · انك قد تفترض المجد الذي لا تجده او تحتلم به او تدعيه لانك لا تجده ·

وايضا الا يحتمل ان تكون هذه المقاطع المعدودة قفزات شعرية ليست الا قفزات الى جذع الشجرة او الى ظهر الجمل وليست قفزا الى القمر · لعل السبب ان المجتمـع الذي عدت فيه هذه المقاطع قفزا شعريا يرى ان القفز الى جذع الشجرة والـى ظهر الجمل هو كل القفز واعلى القفز أليست التفاهة في المجتمع التافه عظمـة ؟ اليست النملة في مجتمع الذر ضخامة ؟

لعل اكثر صيغ الجمال هي في عين الرائي وفي مجاعاته وحساباته لا في ذات المرئي ··

آه · كم في هذا من الفظاعة ومن تشوه وتهدم الشخصية ؟

انظروا ·· انه اي المتنبي ليمدح حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه لا يملك اي قدر من الحياء أو الذكاء أو الكبرياء أو الرجولة ، وانه ليفخر حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه لا يملك اي قدر من العقل أو الاتزان أو الوقار أو الرؤية، وانه ليهجو حتى ليبدو من اصدق الصدق ان يقال : انه ليملك ويعيش ويختزن في ذاتـه كل ما عند البشر والحشرات وكل ما لا يمكن ان يكون عند البشر أو عند الحشرات من وقاحة ونذالة وفحش وعفن وقسوة وعدوان ··

وهل المتنبي الا مدح او هجاء او افتخار ؟ وهل مدحه وفخره وهجاؤه الا هجاء لكل اساليب المدح والمفاخرة والهجاء ؟ انظروا ·· انه ليصغر ويتخضع ويهون وينافق حتى ليفقد كل حجم ، وانه ليتكبر ويتطاول ويدعي حتى ليبدو كأن الكون كله لا يستطيع ان يتسع لحجمه ، ان يكون وعاء لحجمه · انه متخضعا متصاغرا لترق لـه النمال ، وانه متكبرا متطاولا لتفخر به وتهنئه كل الوقاحات والغباء ··

انظروا ٠٠ انه ليمدح نفسه حتى لتذعر وتمرض الالهة خوفا على مجدها من مجده، وانه ليمدح حشرات البشر حتى لتتوارى حشرات الارض استحياء ، ظانة انـه يعنيها بمدائحه ، وانه ليهجو حتى لتحسب جميع الكائنات الحاملة والباصقة للعفونات انه قد سرق منها وبصق كل عفوناتها ! ٠٠ انظروا ٠ هل يمكن ان تتلاقى حدود ذاته او ان تركب ذاته بعضها على بعض لكي يستطاع فهمها او تطاق رؤيتها ؟

انه لمن الصعب جدا قراءة ذهن المتنبي او تصوراته او حساباته حين يقـول مدائحه واهاجيه ومفاخراته اي ان كان له ذهن وحسابات وتصورات انها لمخاطـرة ان يفترض المتنبي محاسبا أو محاكما لما يقول محاسبة أو محاكمة فكرية أو نفسية أو اخلاقية أو انسانية أو حتى تصورية أو لغوية ٠

هل كان يقولها للناس ، يريد ان يسمعوها ويقرؤوها ؟ ألم يكن يخشـى ان يقرأوها ويسمعوها ويفهموها ويحاسبوها ؟ ونحن هنا قد اخترنا افتراضـه محاكما محاسبا لما يقول ٠ وقد نحتاج الى اعتذار عن هذا الافتراض ! ٠ اذن كيف يمكن ان تكون حساباته وتصوراته اذا قرأوها وسمعوها ، أو اذا كان قد تصور انهم قد يقرأونها ويسمعونها او انهم لا بد ان يفعلوا ذلك ؟

هل يظن او يعتقد انهم قد يطربون او يعجبون او يرحبون او يصدقون أو يحترمونها أو يحترمون قائلها ؟

ان كان يظن او يعتقد هذا فهل يمكن التصور بانه يملك اي مستوى من العقـل أو الذكاء أو الرؤية أو القراءة للاشياء ؟

هل يمكن ان يوجد من يهبط ذكاؤه وعقله ورؤيته للاشياء الى هذا المستـوى حتى ولو كان عربيا ؟

اذن هل كان يقول مدائحه واهاجيه ومفاخراته هذه بحثا عن احتقار الناس له وعن اثارة اشمئزازهم وغثيانهم وانفجاعهم به ومنه ؟

هل كان يريد تعذيبهم باصابتهم باقسى مشاعر الاحتقار والاستنكار والغضب حتى ولو كان احتقارهم واستنكارهم وغضبهم هذا مصبوبا عليه هو ؟ هل كان يريد ان يبصق عليهم وان يتعرى ويتشوه في كل رؤاهم بهذا الاسلوب سخرية واستهزاء بهم ، بذكائهم وبوقارهم وكبريائهم وبكل معانيهم ، ولم يكن يريد ان ينال اعجابهم أو رضاهم أو حبهم أو ثناءهم ؟ هل كان يريد تحقير وفضح وتعذيب كل الناس وكل الاشياء بتحقيره وفضحه وتعذيبه لنفسه ؟

هل كان يريد ان يعلن عن مستوياتهم ، ان يحقر ويصغر مستوياتهم ، اي ان يقول : انتم لا تساوون اكثر او اعظم من هذا ، اي لا تستحقون ان تسمعوا الا هذا ولا ان تخاطبوا الا بهذا ؟

أليس هذا اعلى فنون التحقير والتصغير ان كان يريد هنا ان يصغر ويحقر ؟

هل كان يريد ان يقول : اني سوف استفرغ على عقول واخلاق واذان وكرامـة قومي العرب ــ استفرغ عليها كل هذا القبح والجنون والنزق ، فهل يغضبون او

يرتجفون او يفهمون او يرفضون ؟ اني اتحداهم ، اتحداهم ليفعلوا شيئا من ذلك . هل كان يريد التدليل على أن قومه العرب لا يغضبون ولا يرفضون ولا يشمئزون مهما تجمعت عليهم اسباب الغضب والرفض والاشمئزاز ؟ هل كان يتحدى ؟

ان كان يقصد هذا التحدي فمن الممكن ان يقال : لقد انتصر في تحديه انتصارا رائعا كاملا .. ولكن ان كان يريد ان يتحدى شهامة وكرامة وذكاء ووقار قومه العرب بهذا الاسلوب لكي يطلق منهم وفيهم رفضا او غضبا او ذكاء او موقفا او عقابا أو ردا ملائما ، وكان يظن انه قد يفعل بهم ولهم شيئا من ذلك ، فقد اخطأ وهزم وعجز..

الا يحتمل ان المتنبي قد اراد ان يفضح قومه العرب وان يثير اشمئزازهم بهذا الاسلوب الوقح الرديء جدا لكي يخلق فيهم شيئا كان يريده لهم دون ان يجده فيهم ؟ هل كان محرضا او محقرا ؟ او هل يمكن ان يكون التفسير ان المتنبي لم يكن يخاطب الناس او يخاطب قومه العرب بمدائحه ومفاخراته واهاجيه ، وانما كان يخاطب اشباحا لا يستطاع فهم ذكائها أو اخلاقها أو استجاباتها أو حياتها وكينونتها بمنطق الانسان او بذكائه أو اخلاقه او استجاباته وتصوراته ونماذجه ، لهذا خاطبها باساليب لا يمكن ان يخاطب بمثلها البشر ؟ هل يمكن ان يكون هذا هو التفسير للمتنبي حينما قال اهاجيه ومدائحه ومفاخراته ؟ اليس جميع الناس يتخيلون ولو احيانا حين يتحدثون انهم يخاطبون اشباحا غير معقولة او معروفة ، او يبدون كمن يتخيلون ويفعلون ذلك ؟

او لعل المتنبي كان يخاطب نفسه فقط ، ولم يكن حين يمدح او يهجو او يفخر ويدعي يخاطب اي كائنات غير نفسه ، لا الناس ولا اشباحا يراها او يتصورها . لعله لم يكن يرى او يواجه او يحس او يعرف او يتصور او يخاف او يحترم او يراعي او ينافق او يغازل سوى نفسه وهو يقول جنونه وحماقاته ..

لعل نفسه كانت تتقبل بل كانت ترضى وتعجب وتطرب ان تخاطب بمدائحه واهاجيه ومفاخراته . لعلها اي نفسه كانت في تكوينها خارقة وعجيبة حتى ليرضيها ويطربها مثل هذا الجنون الذي لا مثيل له في اي جنون !!

أليس جميع الناس انما يخاطبون انفسهم حين يخاطبون الاخرين ؟ أليست مخاطبة الاخرين احد اساليب مخاطبة النفس ؟

او هل يمكن ان يكون التفسير : ان المتنبي كان يستفرغ نفسه استفراغا لا يقصد أن يخاطب به احدا مثل ما يفعل جميع المستفرغين لخزائن ابدانهم ؟ هل المستفرغون لإبدانهم ولما فيها من عفونات واعباء كريهة يقصدون ان يخاطبوا باستفراغهم هذا احدا ؟ اليس مثل هذا ولو احيانا استفراغ النفس ؟

ولكن اذن لماذا جاء استفراغه بهذا الاسلوب دون جميع الاساليب الاخرى ؟ لماذا جاء اي استفراغه بكل هذا القبح الذي لا يستطيع اي تدبير أو تخطيط ان يصنع قبحا مثله ؟ أليست الاساليب الاستفراغية مختلفة المستويات والصيغ ، بل مختلفة

الذكاء والوقار والكرامة ؟ أليست توجد اساليب استفراغية مهذبة ومتحضرة وذكية ؟ بل أليست توجد اساليب استفراغية ملتزمة باعلى مستويات الاخلاقية ؟

كيف يستطيع اي مستفرغ استفراغ مثل هذا :

عـــدوك مذموم بكــل لســـان ولو كان من اعدائــك القمران
ارد لي جميلا جدت او لم تجد به فانك ما احببت في اتـــــاني
لو الفلك الدوار أبغضت سعيه لعوقــه شيء عـــن الـــدوران

أو مثل هذا :

اي محـــــــل ارتقــــــى اي عظيــــــم أتقــــى
وكل مـــا قد خلق اللــــــه ومـــــا لــم يخلـــق
محتقـــــــــر في همتـــــي كشعـــــرة في مفـــــرقي

نعم ، كيف تستطاع قراءة أو تفسير ذهن المتنبي أو حساباته أو تصوراتـــه حينما يجرؤ على أن يقول مثل هــذا الجنون الذي يعد ما سواه في ديوانه شذوذا ؟ اذن هل المتنبي شاعر ؟ ومهما كانت الصعوبة او الاستحالة في تعريف الشــاعر والشعر فهل يمكن ان يعــد الكلام الذي ليس جمالا ولا حبا ولا صدقا ولا حقــا ولا رؤية ولا احساسا ولا ذكاء ولا عزاء ولا تعبيرا عن واقع أو مستقبل أو أمل أو عن ايــة عاطفة ، بل وليس غضبا على اي قبح او سخف ولا غيرة اخلاقية أو عقلية أو انسانية ـ نعم ، هل يمكن ان يعد مثل هــذا الكلام شعرا ؟ نعم ، ان المتنبي مادحا وهاجيا ومفاخرا لمستحيل أو صعب تفسيره أو الاقتنــاع بانــه شيء يمكن تفسيره ٠

اذن لماذا نصبت السوق والتاريخ العربيان المتنبي سلطانا على جميع سلاطين الشعر العربي ونبيا على جميع انبيائه ، ولا يزالان ينصبانــه كذلك ؟ والعـــرب مفتتنون دائما بان ينصبوا واحدا على الجميع ٠٠ نبيا أو الها أو خليفة أو شاعرا على جميع آحاد نوعه ٠٠

لقد نصباه فوق مجده هذا لاسباب ليس منها حتما استحقاقه لذلك ٠٠ ليس لانهما عرفا استحقاقه ذلك ثم التزما في سلوكهما بمعرفتهما هذه ٠٠ هل الســوق والتاريخ العربيان يستطيعان ان يعرفا ، ولو عرفا فهل يستطيعان ان يلتزما ؟ من يستطيع ان يتهمهما بهذا المجد الاليم ؟

لقد كان من هذه الاسباب التي نصبت المتنبي فوق هــذا المجد انه اي المتنبي كان هدارا وصهالا على أعلى مستويات الهدير والصهيل ، وبكل أساليب الهدير والصهيل ، وبكل اخلاقهما ولغاتهما وتفاسيرهما ٠ ان هديره وصهيله لو تحولا الى كينونــة لكانا اكبر من كل الكون ٠ ان كل هدير وصهيل الطبيعة والاشياء ليتحولان الى صمت وهمس لو حوسبا بصهيل وهدير وزئير المتنبي ٠

لقد كان يعيش في هديره وصهيله ويتفجر من هديره وصهيله كل هدير وصهيل كل انبياء وزعماء وشعراء وسلاطين العرب الهدارين الصهالين بكل ما في اخلاقهم

وعقولهم واعصابهم ولغاتهم وتعاليمهم ونبواتهم من وقاحات وبذاءات وسباب ونزق وكبرياء وادعاء وجهالة وبداوة وقسوة وتقلب · لقد كان وعاء جيدا لكل انبياء وزعماء وشعراء وسلاطين العروبة في كل اجيالها التاريخية والمكانية ·· لقد كان صوتـا احمق تنطلق منه وتسكن فيه كل الاصوات الحمقى في كل ماضي العروبة وحاضرها ومستقبلها ··

كان المتنبي صاهلا وهادرا وزائرا مفاخرا يرتفع بالسوق العربية وبقارئه العربي الى كل ما فوق آفاق الفراغ ، الى ما فوق كل الحدود والمقاييس والنماذج والاخلاق والذكاء والحياء والعقل والوقار والتواضع والاحتمالات المعقولة والمحترمة والممكنة ·· كان يرتفع بقارئه العربي من فوق تواضع العقل والتهذيب ليحلق به فوق كبريـاء الجنون والفحش ··

كانت السوق العربية تقرأ المتنبي أو تسمع من يقرؤه فيفقدها صهيله كل اتزانها وقدرتها على الرؤية والفهم ، وترى حينئذ انها فوق كل شيء وكل احد ، واكبر من كل شيء وكل احد · انها حينئذ لا ترى او تحس او تعاني شيئا من آلامها أو هوانها او عجزها ، أو من هزائمها وتفاهاتها وذنوبها وعارها ·· لقد تخطت كل ذلك وتفوقت عليه وتداوت منه وهزمته · لقد نسيته ·· لقد سحبها الى عالم من الجنون الفريد الذي تفقد فيه كل اخلاق الرؤية والعقل والاتزان والصدق والقراءة والمحاسبة لاي شيء · لقد اصبحت لا ترى ان لاي شيء قانونا او حدودا أو شروطا أو ظروفا أو منطقا ·· لقد اصبحت قادرة على التحليق والطيران فوق كل الافاق بلا اقدام أو اجنحة أو محركات وقاذفات كونية ·

لقد هزها صهيله اي صهيل المتنبي حتى تحول الى أقوى وأوفى تعويض لها عن كل رؤية وذكاء ومجد وكبرياء وعن كل واقع جيد وعزيز · لقد تحول صهيله الى أوفى كفارة عن كل بلادة وهوان وعجز ، عن كل واقع رديء حزين ذليل ·

أليس لكبرياء الكلمة المجنونة في اذن ومشاعر وأريحية الانسان العربي كل المجد والقوة والانتصار والعزاء ؟

هل يعرف الانسان العربي شيئا يساوي كبرياء الكلمة المجنونة المتكبرة ؟

كم وهبت الانسان العربي من المجد والقوة والانتصارات والنشوة ايتها الكلمة المتكبرة ؟ كم وهبت تاريخه وانبياءه وخلفاءه وشعراءه وسلاطينه وجيوشه من الغرور والرضا عن النفس ومن البديل والتعويض عن كل عجز وهوان ؟ هل يعنيه اي شيء عن مثل هذه الكلمة ؟ هل يقبل أو يعرف أو يتصور بديلا عنها ؟ هل يقبل الانسان العربي ان يشتري وقار الكلمة وتهذيبها بأي ثمن يدفع له لا يؤخذ منه ؟

هل يهز الانسان العربي ، اي انسان عربي شيء مثلما تهزه الكلمة المجنونة المتكبرة النزقة المغرورة المتفجرة بلا اي قدر من الوقار او الذكاء أو الحياء أو التواضع

أو الرؤية ؟ هل يهزه واقع مهما كان عظيما وجميلا مثلما تهزه الكلمة المملوءة بالكبر والصلف البذيء البليد ؟

هل يقبل ان يتنازل عنها أو عن اي شيء من كبريائها أو جنونها ونزقها وغرورها وافتضاحها وبذاءتها بأي بديل او تعويض ؟ هل يجد الانسان العربي مجدا أو نشوة في اي شيء مثلما يجد في الكلمة المصابة بكل معاني وتفاسير الجنون والكبرياء الوقحة المتوقحة ؟

والمتنبي كان يهب السوق العربية والاذن العربية هذه الكلمة بأوفى أوصافها هذه · لهذا أجلسته فوق مجده هذا · لقد جاء المتنبي ليكون صوته متخطيا لكل الحدود المقبولة والمعقولة والمسموح بها لكي يكون على مقاس الاذن العربية ·

وقد يكون الاسلوب الذي طرح ولا يزال يطرح به المتنبي في الاسواق العربية هو احد اسباب مجده ورنينه في الاذن والتاريخ العربيين ··

والاسلوب الذي يطرح به الشيء في السوق قد يكون اقوى وأدوم تأثيرا واقناعا من أوصاف الشيء المطروح ·· وقد ظل المتنبي يطرح على الاذن العربية وفي السوق العربية بكل العنف والقسوة والانفعال والغضب والانفجاع والبغضاء ، وبكل الارهاب والارهاق ، وبكل الحقد والبذاءة والتحقير والعدوانية والسباب · كان يطرح بنيات القتال لكل شيء والانتصار عليه ·

كان يطرح بهذه التفاسير والنيات وتحت ظروفها ومقاساتها وفي مواجهتها ، ومرادا لها أن تكون وتقع ، ومرادا ايضا التخلص أو التخفيف منها ··

كان يطرحه من يقاسون كل ذلك ومن يريدون ان يوقعوا بالاخرين كل ذلك ، على من يقاسون ويواجهون كل ذلك ويتلاءمون معه ويعيشونه ويحسونه ، ويريدون توقيعه بكل الاخرين ، ويستمتعون بتوقيعه وبتصور توقيعه ووقوعه ·· لم يكن يطرح كما تطرح الاشياء المعقولة والمحسوبة تحت حوافز أو ظروف معقولة ومحسوبة ·

كان يطرحه اي يطرح المتنبي المتألمون المبغضون الحاقدون الشاتمون الشامتون المفجوعون الضاجون ، أو الذين هم في ظروف هؤلاء وفي نياتهم ، أو الذين يملكون مواهب هؤلاء يطرحونه على امثالهم في الواقع والمقاساة ، أو في الظروف ، أو في النيات ، أو في المواهب · ان المستريح والمهذب والمسالم والسعيد والمشفق والمحب لن يجد رغبة أو لذة أو نشوة في ان يطرحه ولا في أن يطرح عليه · ان المتزن المهذب لن يستطيع أن يقرأه أو يستقبله · لقد كان يطرح في السوق كسلاح وتفجير وغضب وانتقام وكهجاء وسباب وتوعد وتحقير ، بتوتر وارتجاف وصخب ، ولم يكن ينشد أو يغني أو يقرأ في السوق انشادا وغناء وقراءة فقط ، بوقار وابتسام وتهذيب ومحبة ونشوة وتوازن ·· ان من يقول قال المتنبي انما ينوي ان يسب ويحقر ويتهم ويقسو ويعاقب ويكذب ويدعي ويبالغ ويهجو بلا رحمة أو وقار أو تهذيب ·

اجل ·· والاسلوب الذي يطرح به الشيء لا بد أن يهبه اكثر مما يستحق او أن

يسلبه أشياء مما يستحق · ان اي شيء لا يمكن ان يشترى أو يثمن أو تفسر قيمته مفصولا عن الزمان والمكان اللذين طرح وعرض وعاش فيهما أو عن الاسلوب الذي طرح وعرض وعاش به ··

لماذا ابتكرت الطبول واناشيد المواكب وجميع الالات والاجهزة المصوتة ؟ ولماذا احتاجت اليها وشرعتها جميع الالهة والنبوات والزعامات والمذاهب والاديان والجيوش؟ هل استغنى اي الـه او نبي أو زعيم أو مذهب أو جيش عن بلاغة الطبول وعـن منطقهـا ؟ ··

اي الـه او نبي أو زعيم أو شاعر عرض في اية سوق هل يمكن ان يكون قد نال من الانتصارات والمجد والشهرة والاتباع ، أو من الهزائم والهوان والخمول والرفض بقدر استحقاقه أو بقدر ما يساوي أو ما يجب أن يكون وينال ، مفصولا عن اخلاق ومواهب واستعداد السوق والزمان اللذين عرض فيهما أو عن الاساليب التي عرضته والتي عرض بها ؟ هل قرئت أو عرفت وفهمت مزايا اي كائن عرض في السوق مفصولا عن اخلاق وصفات الطبول والالات الصوتية التي تدق حوله ؟

هل حدث أو هل يمكن أن يحدث هذا لاي الـه أو نبي أو زعيم أو شاعر أو فنان في اي عصر أو مكان ، تحت اية حضارة أو أية بداوة · ان اي الـه أو نبي أو زعيم أو معلم أو شاعر قديسقط وقد يصعد لاختلاف زمانه ومكانه والاسلوب الذي طرح به ·

ولكن لماذا طرح المتنبي في السوق العربية بالاساليب التي وهبته كل هذا المجد والشهرة والدوي ؟ لماذا لم يطرح بالاساليب الاخرى المناقضة ؟ لماذا تستقبل النجوم بعض من يجيئون ويصعدون ، وتستقبل الرجوم اخرين يجيئون ثم لا يصعدون ؟

ان هذا السؤال وكذا الجواب عنه قضية اخرى · أو يراد هنا ان تفترض قضية اخـرى ··

أجل ، أليست الرذائل التي حسبت على المتنبي يجب أن تحسب هي المزايا التي صنعت مجده في السوق والتاريخ العربيين ؟ أليست رذائل وذنوب وبلادة ودمامة الشيء أو الانسان أو الكائن هي مزاياه وتقواه وذكاءه وجماله أو هي التي حسبت أو فسرت أو زعمت كذلك ، في حسابات اخرى أو في منطق اخر أو في رؤية قـوم أو مجتمع ما ؟ أليست العيون مختلفة الرؤية مهما اتفق وتوحد المرئى ؟ أليست العيون مختلفة في تفسيرها للاشياء مهما اتفقت في رؤيتها لها ؟ أليس التفسير متعددا والنص واحد ؟

لقد كانت رذائل المتنبي التي حسبت عليه : انه يدعى ويفخر ويبارز ويمتدح ويهجو ويشتم ويتطاول ويبغض ويحتقر ويعادي ويهدد ويعير ويقسو ويهدر ويصهل ويعوي بلا اي قدر من الذكاء أو الصدق أو الحياء أو الرحمة أو الحب أو الاشفاق أو الاعتدال أو العدل ، وبلا اي قدر من الحكمة أو العقل أو المحاسبة أو المحاكمة أو الرؤية أو القراءة بالمنطق أو الاخلاق أو القانونية ، لاي شيء ؟ أليست رذائل المتنبي هي

خروجه الشامل على جميع مزايا الانسان الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية خروجا حادا متحديا ؟

ولكن أليست هذه الرذائل هي كل المزايا أو اعظم المزايا في السوق وفي التاريخ العربيين ، أو هي التي لا مزايا بدونها فيهما ؟

هل يمكن ان تقبل او هل قبلت السوق العربية او التاريخ العربي اية مزية حقيقية الا اذا ادخلت عليهما وفيهما مدسوسة بين هذه الرذائل ، متسللة معها ، مقودة بها ، ومظنونة منها ؟ هل قبلت الاخلاق العربية اية مزية حقيقية أو حضارية الا مغشوشة بها ؟

هل يمكن أن تقبل أو هل قبلت السوق والتاريخ العربيان اية مزية حقيقية يحملها أو يحياها أو يؤمن بها أو يدبرها ويريدها اي نبي أو زعيم أو معلم أو مفكر أو شاعر أو مذهب أو دين أو نظام أو حضارة أو مجتمع الا مخدوعين منخدعين بها اي بالمزية الحقيقية ، حاسبين انها احدى مزاياهما اي احدى رذائلهما أو الا مدسوسة في رذائلهما ، مغطاة بها ، مقروءة بلغتها ، موضوعة تحت شعاراتها ، لابسة جميع ثيابها البدوية ؟ هل استطاعت اية صيغة حضارية او انسانية او فكرية ان تقبل في العالم العربي مواطنة أو مقيمة أو لاجئة أو حتى سائحة الا تحت اكثف الملابس البدوية التاريخية ؟

هل يمكن ان يقبل العرب أو هل قبلوا اية مزية من مزايا الحضارة أو العلم أو الافكار أو الاخلاق أو الحياة أو الابتكارات الجديدة الا موضوعة ومعطاة ـ باسلوب الخداع والانخداع والتسلل والدس والغش ـ في مواكب وحشود صارخة من رذائلهم التاريخية البدوية ؟

هل قبلوا اي شيء غير بدوي الا بعد أن يحولوه الى بدوي ويزعموه ويعلنوه بدويا ؟

هل يمكن مثلا ان يتقبلوا حرية التفكير أو الاعتقاد أو التعبير أو اي شيء من مزايا المتحضرين الا باسلوب الانخداع والتسلل والتحريف والتشويه الى ان تبدو بل الى ان تصبح نقيضا وهجاء لنفسها ، اي الى ان تصبح رذيلة عربية لا مزية انسانية أو حضارية ؟ هل حولت المزايا الحضارية والانسانية الى تشوهات ورذائل مثلما فعل بها ذلك حينما حولها العرب الى صيغ وشعارات يدعونها ويمثلونها ؟

هل أمكن ان يقبلوا اي شيء من الحضارة الا بعد أن زعموه في قرآنهم وتاريخهم ، والا بعد أن وجدوه في قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ، والا بعد أن حولوه الى اخلاق وذكاء قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ونبواتهم ، والا بعد أن أذن لهم قرآنهم وتاريخهم وتراثهم ، والا بعد أن أعلن العالم المتحضر انه لم يأخذ أو يتعلم شيئا من حضاراته الا من قرآن العروبة وتاريخها وتراثها ونبواتها ؟ انه لا يكفي لن يأخذ العالم المتحضر جميع مزاياه عن العروبة بصمت بل لا بد من اعلان ذلك ..

هل أمكن ان يتقبل العرب شيئا من عطايا العالم المتحضر الا بعد ان اعترف العالم المتحضر بكل اساليب الاعتراف المتخضع الشاكر انه ليس الا سارقا ، سارقا كل ما عنده من تراث وعبقرية ونبوات العروبة ، وانه حينما يعطي العرب شيئا من حضارته لا يعطيهم وانما يرد اليهم بعض ما سرق منهم ؟ ان العرب دائما معطون ولا يمكن ان يصبحوا آخذين ، وان كل من سواهم آخذون ولا يستطيعون ان يصبحوا معطين . انه قدر الـله وتاريخ وعبقرية .

ثم هل قبلوا اي العرب هذا الشيء القليل الذي رده اليهم العالم المتحضر مما كان قد سرقه منهم ، الا مدسوسا وملفوفا بكل ملابس وعباءات البداوة العربية ؟ حتى الصعود الى القمر ، لم يصدق أو يتقبل العرب جوازه أو امكانه الا بعد أن قرأوه في قرآنهم وتراثهم ..

وان كانوا قد قبلوا أو فرض عليهم أن يقبلوا اي شيء لم يجدوه في قرآنهم وتراثهم وتاريخهم ونبواتهم ، ولم يعترف لهم العالم انه قد سرقه من مقابر اربابهم وانبيائهم وآبائهم ، فهل قبلوه الا بعد أن صيغ ووضع في اسلوب وموهبة قرآنهم وتراثهم وتاريخهم ونبواتهم ، والا مكفنا بجميع اكفان بداواتهم وبجميع عباءات تاريخهم ؟ هل قبلوا أية فضيلة حضارية أو انسانية الا محولة الى رذيلة بدوية ، الا مشوهة بكل عاهات البداوة ؟

ان البشر ليختلفون في فهمهم وتفسيرهم وتصورهم للفضيلة والرذيلة وللخير والشر وللجمال والدمامة ، وللذكاء والغباء ، وللنبل والنذالة ، وفي اعجابهم بهذا وارادتهم لـه ، وفي اشمئزازهم من نقيضه وكراهتهم له ، اكثر مما يختلفون ، أو مثلما يختلفون في قوتهم وضعفهم ، وفي تقدمهم وتخلفهم ، وفي ابداعهم للحضارة أو للبداوة ، وفي امتلاكهم لكل موهبة أو في عجزهم عن اية موهبة . انهم ليختلفون في هذا لانهم يختلفون في هذا ..

انهم بمثل هـذا الاختلاف والتفاوت يختلفون ويتفاوتون في فهمهم لكون الشاعر شاعرا ولقيمته ومكانته الشعرية ، وفي فهمهم لشعره ، وقدرتهم على الاعجاب به ، وقدرة اعجابهم على ان يكون اي اعجابهم ذكيا وسويا وقويا أو نقيض ذلك . ما أصعب أن يكون الاعجاب ذكيا وسويا وان يكون كما يجب ان يكون مكانا وقدرا وصيغة .

ان الناس في فهمهم وتفسيرهم وتصورهم للخير والشر والجمال والقبح والفضائل والرذائل وللشعر والفنون والافكار والقيم الادبية والانسانية والجمالية ، وفي اعجابهم بها وارادتهم لها ودفاعهم عنها ووقوفهم معها ـ وانا هنا افترض انهم قد يفهمون أو يفسرون أو يتصورون شيئا من ذلك وليسوا فقط يعتقدونه أو يقولونه أو يقرأونه أو يفعلونه .

ـ نعم ، ان الناس في جميع ذلك ليسوا منفصلين ولا يستطيعون أن يكونوا منفصلين عن مستوياتهم الحضارية والانسانية والتاريخية ، ولا عن مواهبهم الذاتية

العقلية والاخلاقية والنفسية ٠ ان احكام الناس على الاشياء وتفاسيرهم لها وفهمهم ورؤيتهم لها محكوم بها عليهم اكثر من كونهم حاكمين عليها أو حاكمين بها على الاشياء أو مريدين واضعين لها ٠ ان الرائي للشيء محكوم عليه أن يرى وعلى رؤيته بحكمها ٠

اذن اليس اعجاب قوم ما بشاعر أو بزعيم أو بمعلم أو باله أو نبي أو بدين أو بمذهب أو بشيء ما انما يعني ان ذلك الذي وهب الاعجاب به يستحق نقيض الاعجاب أو لا يستحق لا الاعجاب ولا نقيضه أو انه قد يستحق الاعجاب وقد يستحق النقيض دون أن يكون لاعجاب هؤلاء القوم اية دلالة لا جيدة ولا رديئة ، لا مثبتة ولا نافية ؟ أليس اعجاب اي قوم باي شيء انما يعني حيادهم من حيث الاعجاب ونقيضه اي في دلالاته التفسيرية والمنطقية والواقعية ؟

ولكن أليس تفسير اعجاب مثل هؤلاء القوم بالتفسير الاول ، اي انه اعجاب يعني النقيض ، هو التفسير الذي يجب ان يكون مقررا ؟ أجل ، انها لمحاباة لما يعجب به مثل هؤلاء القوم ان يقال ان اعجابهم لا يعني المدح ولا الذم ٠٠ نعم ، انها لمحاباة اذ المفروض ان يكون اعجابهم هجاء للشيء الذي نال الاعجاب وليس حيادا منه ٠٠ اليس محتوما ان ذوي المستويات الفكرية والنفسية والاخلاقية والتاريخية والحضارية الرديئة لا بد أن يعجبوا بما يلائم ويرضى ويشبه مستوياتهم هذه أي من نفس النوع، وأن يرفضوا ويرهبوا ويكرهوا بل ويقاوموا ما يخالف أو يناقض أو يعادي مستوياتهم أو ما يتفوق عليها ؟ أليس محتوما ان يتحول ذلك الى تحد وارهاب واذلال وتحقير لهم ولمستوياتهم ولكل معاني الطموح والكبرياء فيهم ؟ وهل يحتمل حينئذ أن يعجبوا به ، أو أن يعلنوا اعجابهم به لو أعجبوا ؟ أليس ذو المستوى الرديء يريد الاعجاب بالشيء الرديء ويستطيعه ويسعد باعلانه ؟

اذن أليس اعجاب السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي اسلوبا من اساليب الهجاء له ؟ لقد أعجبا به لانهما وجداه تعبيرا حادا عن مستوياتهما وشهواتهما ، ولانهما قرآه وفسراه ورأياه وأحباه بموهبة النقد والرؤية والقراءة والتفسير فيهما وبموهبة الحب في قلبيهما ٠ أليس هذا اقسى معاني الهجاء ؟ أليس بعض الحب وحب بعض المحبين هجاء أو اتهاما للمحبوب ؟

وبقدر ما كان اعجاب السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي هجاء له فان الاعجاب به اي بالمتنبي لا بد أن يصبح هجاء للمعجب به ٠ وظاهر أن هذا الحكم لن يكون صحيحا أو محتمل الصحة الا اذا كان المعجبون بالشيء لا بد أن يروه ويقرأوه ويعرفوا مزاياه ورذائله وانهم لن يهبوه اعجابهم الا برؤيتهم وقراءتهم ومعرفتهم ٠ وليت ذلك كذلك ٠ انه اذن لهجو بالمعجبين به ، وهاج لهم !٠٠ انه لهجاء للمعجبين به ولمدوحيه اكثر من كونه هجاء لمن هجاهم لانهم رفضوه او ناقضوه او لانهم لم يعجبوه ٠٠

اذن ايها التاريخ العربي ، ايتها السوق العربية ، كونا رحيمين بكرامتكما وبكرامة

هــذا الشاعر المحظوظ البائس ٠٠ تراجعا عن الاعجاب به ، توبا من قسوة هذا الاعجاب الذي يتحول الى اقسى هجاء له وهجاء لكما ٠٠ انسياه فان لم تنسياه فأنكراه احتراما لذكائكما ولكرامتكما واخلاقكما واشفاقا عليه ايضا ٠٠ اذن ايتها الموهبة العربية كوني رحيمة وشهمة ولا تعجبي بشيء جيد لئلا تحقريه باعجابك به دون ان يستحق ٠

***

ولكن هل المتنبي وحده في السوق العربية وفي التاريخ العربي بلا شبيه بل بلا مثيل بل بلا امثال كثيرين يزاحمونه بمزاياهم المضادة للمزايا ؟ هل يمكن ان يكون اي شيء رديء بلا أمثال كثيرين في السوق والتاريخ العربيين ؟

هل المتنبي مرض شاذ أو غريب مجهول يصيب الجسم العربي لاول مرة واخر مرة ؟ هل يمكن ان يتفرد اي مرض أو عاهة في الجسم العربي ؟

هل هو المرض الاول والاخير في نوعه أو عنفه وقبحه ؟

هل يمكن ان يوجد أول متفرد من اي شيء أو في اي شيء أو لاي شيء بلا قبل أو مثيل ؟

هل وجد أو يوجد نوع من الامراض أو التشوهات يظهر ويصيب مرة واحــدة ثم يتوقف ويختفي بلا قبل وبلا بعد ؟

هل وجد أو يوجد مرض أو تشوه نبيل وحيني يظهر مرة واحدة ثم يختفي أو يموت حياء أو نبلا ؟

هل توجد أو وجدت أو يمكن أن توجد بيئة نباتية أو حيوانية تنبت أو تلد نبتة أو شجرة واحدة أو حيوانا واحدا من كل النوع بلا تعديد ٠٠ واحدا أو واحدة فقط من النوع كله ، نوع النبات أو الشجر أو الحيوان بلا تكرار ولا مرة واحدة اي ولا مرة واحدة اخرى ؟

كلا المتنبي لم يكن وحده ٠ انه لم يجيء من فراغ ولا الى فراغ ، ولم يهجــم على مكان لا يلائمه أو يرفضه أو لا يعرفه أو لا يشبهه ، ولم ينبت في ارض لا تنبته ولا تزرعه ولا تحبل به أو تحتضنه وترضعه وتحنو عليه ٠٠ انه لم يلد نفسه أو يصنع نفسه من مادة غير موجودة أو نقيضا للمادة التي صنع نفسه منها ٠

ان الارض لا تنبت بلا بذور ، وانها لا تنبت البذور التي لا تنبت فيها ٠ وان النبتة ، اية نبتة لا تنبت من غير بذرتها ، أو لا تلدها بذرة غير بذرتها ٠ ان الشيء لا يوجد الا بقانون والقانون لا يصنع مرة واحدة فقط ٠٠ انه لا بد ان يعني التعــديد والتكرار ٠ اذن فوجود الشيء حتى وجود الاله لا بد ان يعني تعدده ٠٠

ان الطبيعة لا تستطيع ان تكون بلا توالد وتكاثر وتشابه وتعدد لتتوحد في شيء واحد بلا شبيه أو مثيل ٠ انها لا تستطيع ان تصوغ نفسها في صيغة قبيحة واحدة٠

ان العاهة أو الدمامة أو البلادة أو الحماقة لا تستطيع أن تكون فريدة في اي مجتمع ٠٠

ان اية رداءة أو تفاهة أو صيغة جنون لا تستطيع أن تتوحد فيبيئتها أو عصرها· ان الطبيعة لا تعطي عطاياها أو تصنع شرورها وآلامها واخطاءها بالوحدانية ··

انها لا تستطيع ان تلد شيئا واحدا معينا مرة واحدة ثم تتوقف عن الولادة ، عن ولادة مثيله ··

انك حينما ترى نوعا من الدمامات أو العاهات أو الامراض أو الحماقات أو الجنون أو التفاهات أو من الغباء أو الطغيان أو السفه فلن تستطيع أن تفكر أو تفترض أن هذا الذي رأيت في ذات واحدة أو حالة واحدة أو منظر واحد هو كل ما حدث وكل ما سوف يحدث ، تاريخا وحاضرا ومستقبلا ، في المجتمع الذي رأيت فيه أو في جميع المجتمعات · انك لو كنت مصابا بعاهة نفسية أو بدنية لما استطعت أن تقتنع ان احدا غيرك قبلك أو بعدك لم يصب ولن يصاب بهذه العاهة ·

لكن لعل القبح والفحش قد تجمعا أو تألقا أو صرخا فيه باساليب اكثر واقوى اثارة واغراء وفتونا ·· أو لعلهما اي القبح والفحش فيه قد بديا أو حسبا او ابصرا أو فسرا كذلك تحت ظروف واسباب قد وجدت وتجمعت في وقت ملائم ليَحدث هذا الذي حدث·

ان كل من تشابهوا أو تماثلوا في جمالهم أو دمامتهم ، في ذكائهم أو غبائهم ، في نظافتهم أو تلوثهم ، لن يروا أو يفسروا رؤية وتفسيرا متساويين ·· ان العيون والعقول التي تراهم أو تقرؤهم لن تقرأهم أو تراهم مستوى واحدا ·· ان تساوي الاشياء والوجوه في ذواتها لا يعني تساويها في رؤية أو تفسير من يرونها ويفسرونها ويمارسونها ··

لقد آمن الناس في كل العصور والمجتمعات بما يسمونه الحظوظ أو الغيب أو القدر المدبر القاصد المقصود · وكانوا في ايمانهم هـذا عاجزين عن التحديد وعن التفسير لما يؤمنون به بل لم يكونوا يريدون أو يستطيعون التفكير في هذا التحديد والتفسير·

لقد آمنوا ولا يزالون يؤمنون هذا الايمان لانه كان من الاستحالة الدائمة أو الصعوبة الدائمة أن يروا أو يعرفوا جميع الاسباب التي تحدث بها الاشياء والاحداث بالاساليب التي بها تحدث ، وفي الاوقات والظروف والازمان التي فيها تحدث · انه مهما كان ايماننا بالالهة أو بالطبيعة أو بالقانونية المحتومة فلن نستطيع ان نعقل او نرضي دائما حدوث الاشياء كما تحدث ··

لقد كانت الاشياء والاحداث تحدث وكأنها خروج على حد منطق وحساب وعدل وتوقع · كانت تبدو كذلك لغموض وتعدد ووقاحة وبلادة وقسوة ونذالة اسبابها ·· اذن لا بد من تفسيرها بالحظوظ والغيب وبالاقدار القادرة ·· ان الايمان بالالهـة والاديان وبكل الاساطير لـم يكن الا تفسيرا للاشياء بالحظوظ والغيب والاقدار الفاعلة بلا قانون ··

والتفسير بالحظوظ أو الاقدار والغيب أو بالالهة ليس الا نفيا للاسباب ·· ونفي الاسباب اسلوب من اساليب البحث عن الراحة ، ومن اساليب الاعتذار عـن

العجز ، ومن اساليب الاقناع للنفس ، مجاملة لها وتخفيفا عنها ، بأنها لم تعجز او تجهل أو تكسل ، ولكنها لم تجد ٠ انها لا توجد تفاسير أو اسباب لما يحدث لكي نصبح مطالبين بمعرفتها أو متهمين بالعجز عن معرفتها أو بالكسل عن المحاولة لمعرفتها ٠٠

هكذا يذهب يظن ويقول المؤمنون بالحظوظ والغيب والالهة وبالاقدار المنطلقة من الظلام والضاربة في الظلام والعائشة المختبئة في الظلام ٠٠

اذن قد يكون من الممكن الزعم ان قبح وفحش المتنبي لم يكونا اعظم كثيرا من كل قبح وفحش ولكن اسبابا وظروفا من الاسباب والظروف الغامضة التي تحتاج الى ان تفسر بالحظوظ والغيب والقدر هي التي وهبت فحشه وقبحه هذا التفوق والبريق اللذين جعلا السوق والتاريخ العربيين يصابان بكل هذا الجنون اعجابا وافتتانا به ، لاقتناعهما بانه لا قبح ولا فحش يساوي أو ينافس أو يقارب قبحه وفحشه ٠

لعل ما يسمى بالحظوظ والاقدار الجاهلة هي التي وهبت فحش المتنبي وقبحه كل هـذا المجد والسلطان في السوق والتاريخ العربيين ، لحسبانهما اي فحشه وقبحه كل القبح والفحش اللذين يستحقان كل المجد والسلطان ، اللذين يستحقان كل مجد وسلطان كل القبح والفحش ٠ اجل ، لقد كان تمجيد المتنبي في نيات ممجديه تمجيدا لاعلى صيغ القبح والفحش ٠ فكيف رأوه يملك اعلى واقوى هذه الصيغ ؟

حتما ٠٠ العرب لـم يلتفتوا الى المتنبي ولم يشهروا به كل هذا الالتفات والتشهير الا لانهم وجدوا أو رأوا فحشه وقبحه الضاجين بكل الجنون والنزق والبـذاءات والغرور والسباب والتطاول هما اعظم من كل قبح وفحش ، فهل هما حقا اعظم من هما كل القبح والفحش اللذين يستحقان كل المجد والسلطان ، اللذين يستحقان كل مجد ان يكونا كما رأوهما اي بكل هذا التفوق الذي لا يداني او ينافس ، بكل هذا التفوق الذي يخفي ويطرد ويهزم كل منافسة أو حتى مشاركة أو مشابهة ؟

اجل ، انك لو استطعت ان تجعل السوق العربية تراك نبي القبح والفحش لكان محتوما ان تراك نبي العبقرية والمجد القاهر الساحر ٠

نعم ، قد يكون الجواب : ان فحش المتنبي وقبحه قد لقيا من الاستقبال والحفاوة ما لم يلق اي قبح ولا اي فحش اخر لانهما قد وجدا أو ظنا أو كانا في حسابات السوق والتاريخ العربيين هما اعظم واشمل واجهر انواع ومستويات القبح والفحش ٠٠

اجل ، قد يكون هذا التفوق في الاستقبال والحفاوة استحقاقا ، وقد يكون غلطة وسفها في تقسيم التاريخ لعطاياه ولامجاده وضرباته ٠ هل توجد سذاجة أو سخافة أو بداوة فكرية أو تحقير للانسان يساوي قول هذا الشاعر المحتكر لاضخم الحظوظ في الاسواق العربية :

وانمـا النـــاس بالمـــوك ولا يفلـح عـــرب ملوكهـم عجم

ومع هذه القسوة أو مع هذه التفاسير التي تبدو كأشد اساليب القسوة في رؤية

المتنبي وفي الحكم عليه ، فهل هو اي المتنبي يستحق العقاب أو التأنيب أو المحاكمة التي يقصد بها أو منها المعاقبة ؟ هل هو مذنب خاطىء جان أم هو مصاب مجنى عليه؟ هل هو قد أراد ودبر وصنع فحشه وقبحه أم هو قد أصيب بهما ؟ هل زرع فحشه وقبحه في نفسه ام نبتا فيه كما نبت فيه لسانه وأظفاره ؟

أليس الانسان يصاب بآفاته النفسية والعقلية كما يصاب بآفاته البدنية ؟

أليس الانسان يصاب بضعف العقل أو الارادة أو الهمة أو الشهامة أو الضمير أو الايمان كما يصاب بضعف الحواس والعضلات ؟

هل يمكن أو يجوز أن يتهم أو يعاقب أو يحاسب أو حتى يلام الانسان على تشوهاته وعفوناته النفسية والفكرية أو يسأل عن ذلك الا مثلما يمكن او يجوز ان يتهم أو يعاقب أو يحاسب أو يلام أو يسأل لانه قد اصيب بالمرض أو بالوهن أو بالشيخوخة أو بقصر القامة أو بسواد اللون أو بالموت أو بنمو الخراج في جسمه أو بتكون فضلات الطعام والشراب العفنة في احشائه ، أو بكونه يجوع ويمرض ويخاف ويحزن ويحب ويكره بلا تدبير أو ارادة ؟

هل الكائن حر في ألا يكون نماذج نفسه وفكره وعقله الا بقدر حريته في الا يكون نماذج جسمه ؟ هل يعد مذنبا في هذا الا بقدر ما يعد مذنبا في ذلك ؟ هل الذي يصيبه العمى في عقله ملوم أو مستحق للملام اكثر من الذي يصيبه العمى في عينيه ؟

من الذي صنع المتنبي ؟ هل المتنبي هو الذي صنع المتنبي ؟ أليس المسؤول عن فحش وقبح المتنبي هو الذي صنعه ؟ فمن صنعه ؟

ولو كان هو الذي صنع نفسه لكان السؤال : ومن الذي صنع فيه ارادته وقدرته على ان يصنع نفسه كما صنعها ؟

من الذي يصنع النبتة الضعيفة المشوهة ويجعلها ضعيفة مشوهة ؟ هل هي التي تصنع نفسها كذلك ، أم تربتها وبذرتها وتاريخها ومناخها ؟ أم الذي يصنعها كذلك هو الاله الذي يتحدث عنه المؤمنون ويمجدونه لانه يصنعها كذلك ؟

ومن الذي يجعل الوجه المشوه الدميم مشوها ودميما ؟ هل هو الذي يجعل نفسه كذلك ام الذي يجعله كذلك هو الجسم الذي نبت فيه ، وهو ايضا قوانين الوراثة والظروف الاخرى الكثيرة ؟ أيهما المشوه للاخر الجاني عليه : الوجه المشوه ام الجسم الذي زرع الوجه وسقاه وحمله وكيفه واعطاه بل وانبت فيه كل خصائصه الوراثية والبيئية ؟ هل الوجه هو الذي يصنع الوجه ام الجسم هو الذي يصنعه ؟ هل يمكن أن يكون الوجه شيئا غير ما يمليه ويفرضه عليه الجسم الحامل له ؟

من الذي امرض وآلم الاخر : العضو المريض أم الجسد الذي تخلق فيه العضو المريض ؟ ومن الذي خلق ضعف العضو الضعيف : هل هو العضو نفسه ام جسده ؟ هل يمكن ان يكون العضو المريض الضعيف قد اقترف ضعفا أو مرضا لم ينقله اليه أو لم يصبه به الجسم أو لم يعرضه له ويلق به فيه ويحرضه عليه ؟

ومن الذي يصنع الجسد أو المولود ضعيفا أو مشوها أو بليدا ؟ هل هو الـذي يصنع نفسه كذلك أم الذي يصنعه كذلك هي خصائص وطاقات واخلاق وعقول وتاريخ وتوريثات ابائه ومجتمعه وجميع الظروف الاخرى التي لم يصنعها أو يردها او يدبرها هو ، بل التي لم يشارك هو في صنعها أو ارادتها أو تدبيرها ، بل التي لم يكن معاصرا لكينونتها ؟ ومن الذي يصنع القلب حزينا أو مريضا ، أو من الـذي يصنع احزانه واخلاقه واستجاباته وغواياته : هل الذي يصنع ذلك القلب ام الجسد بكل تفاسيره ؟

ومن الذي يصنع انياب واظفار الوحش : هل هي الاظفار والانياب التي تصنع نفسها ام الذي يصنعها جسد الوحش وخصائصه وتاريخه وحياته ؟

ومن الذي يصنع جسد الوحش ؟ هل جسده هو الذي يصنع جسده ام آبـاء جسده ؟ ومن الذين يصنعون آباء جسده ؟ ايها هو المذنب الاول أو الوحيد : النهر أم البحر أم السحاب أم الفيضان المغرق المدمر ؟ أيها هو المذنب البادئ بالذنب وايهـا اكبر ذنبا ان وجد ذنب ؟

اذن من الذي صنع المتنبي بأظفاره وانيابه الاخلاقية والنفسية وبعاهاتـه وتشوهاته وبكل امراضه ومعاني ضعفه وقبحه وفحشه ؟

ألم يجئ اي المتنبي الى نفسه والى قومه ومنها ومنهم كما يجئ الوجه المشوه والدميم والعضو المريض الضعيف الى جسده ومن جسده ، وكما يجئ الجسد والمولود الضعيف والمريض الى كينونات ومستويات آبائه ، وكما يجئ من هذه الكينونات والمستويات، والى تاريخها ومن تاريخها، وكما تجئ النبتة الضعيفة القبيحة المتوحشة المؤذية الى تربتها وبذرتها وبيئتها ومنها ، أو كما تجئ أظفار وأنياب وامعاء ومجاعات وشهوات الوحش الى الوحش ومنه ؟ لقد جاء المتنبي الى قومه العرب ومنهم كما جاء كل هـذا الى هذا ومنه ، كما جاء التشوه الى الجسم ومن الجسم ٠٠

اذن من الخالق الجاني المسؤول هنا ؟ ومن المخلوق المجنى عليه المستحق للرحمة والاشفاق ؟

أليست محاكمة ومعاقبة وتانيب المتنبي على قبحه وفحشه يساوي معاقبـة ومحاكمة وتانيب الوجه المشوه الدميم ، أو العضو المريض الضعيف ، أو المولود الضعيف المريض ، أو النبتة الضعيفة الرديئة الضارة المتوحشة ، أو الانياب والاظفار والامعاء الجائعة المفترسة ، أو القلوب الضعيفة المريضة أو المصابة بالاحزان والغوايات والخفقان ؟! أليست مثل محاكمة ومعاقبة الجسم لوجهه أو الجلد للونه أو الوالـد الاسود لابنه لانه جاء أسود مثله ٠٠

لم يكن المتنبي الا تجمعا فادحا كئيبا أليما من خصائص واخلاق وطاقات وضمائر وعقول آبائه وتاريخه وظروفه وبيئته ، ومن ايحاءات وتحريضات ذلك عليه وفيه وفي كل ما حوله وعلى كل ما حوله ومن حوله ٠

لقد تخلق كما يتخلق التشوه والدمامة والخراج والمرض والالم والاحزان والماساة والبلادة في الجسم والقلب والعقل والضمير ، وكما يتخلق القحط في الصحـراء ، وتتخلق الصحراء في الارض ، وتتخلق الارض في الطبيعة ومن الطبيعة ، وكما يتخلق الوحش في احشاء الوحش ، وكما يتخلق الزلزال والبركان في موقعهما ، وكما تتخلق التفاهة في التافه · ان العدل والمنطق ان تكون الطبيعة كلها مذنبة أو لا شيء منها مذنب ·

ان المتنبي لم يكن الا ولادة طبيعية ، لقحه وحبل به وولده وحضنه وارضعـه وغذاه ورباه وعلمه آباؤه الشرعيون باسلوب طبيعي محتوم ومعلوم · لقد صنع المتنبي آباؤه بالاسلوب والقانـــون اللذين بهما تصنع الاجسام وجوهها الدميمة وبالاسلوب والقانون اللذين بهما تصنع الوجوه الدميمة دماماتها ·· انه لم يكن ولم يتجاوز غير ما وجد واعطى ووضع فيه أو غير ما استطاع وعلم وعرف وحرض عليه بل وجزى عليه ··

انه لو وجد او اعطى أو وضع فيه ما هو افضل وانبل ، او لو استطاع وعرف وقبل منه ما هو افضل وانبل لفعل هـذا الافضل الانبل ··

ان حب النذالة والوقاحة ليس حبا بلا تفسير ، كما ان حب المجد والتهذيب ليس بلا تفسير ··

انه لو ورث من آبائه وتاريخه ومجتمعه وجها وسيما نظيفا واعجب من حوله بوجهه الوسيم النظيف لما استبدل به وجها دميما ملوثا وقحا ·· انه لم يكن عاشقا للقبح ولكنه كان مصابا به · انـه لم يخطط أو يصغ وجهه الا بقدر ما خطط وصاغ بدنه ·· ان المتنبي لم يكن عفنا ولدته نظافة ، ولا قبحا ولدته قسامة ، ولا تفاهـة ولدته عبقرية ، ولا نذالة ولدته كرامة ، ولا بغضاء ولدته محبة ··

انه لم يكن ظلاما ولدته شمس ، ولا وقاحة ولدها تهذيب ، ولا هوانا ولدته كبرياء ·

انه لم يكن الا عربيا ولدته مواهب وتاريخ وحضارة واخلاق ونبوات ومجتمعات عربية ·

انه مولود كما استطاع ان يولد لا كما اراد أن يولد ، وان والديه ولدوه بالاسلوب والمنطق اللذين بهما ولدوا عاهاتهم ودماماتهم واحزانهم ··

لقد كان المتنبي عربيا جدا ··

انه لو كان ممكنا الاختلاف على كل شيء في المتنبي لما كان ممكنا الاختلاف على انه كان عربيا جدا ··

لعل اعظم مزايا المتنبي أو نقائصه انه كان عربيا جدا ·· كان عربيا جدا بكل صيغه وتفاسيره ولغاته ونماذجه وعلاقاته مع كل شيء وفي كل رؤاه ·

لعل ذنوب ونقائص الاخرين الذين لم يعطوا من المجد والسلطان والشهرة مثل الذي اعطي ، هي انهم لم يكونوا عربا جدا ٠

وانت كم تستحق التهنئة لانه من الصعب جدا أن تستطيع أو تتقبل أن تكون عربيا جدا ٠٠

لقد ورث المتنبي مزايا العروبة وخصائصها بشمول واحتشاد ، ثم عبر عنها بقسوة وقوة وصدق ودوي واصرار وكبرياء ، باساليب لعل الاخرين أو لعل الكثيرين قد عجزوا عنها ٠٠ صعب جدا أو رهيب جدا ان ترث ذات واحدة جميع مزايا العروبة وخصائصها ثم تعبر عنها بالقوة والدوي المطلوبين او الملائمين ٠٠

انه لشيء رائع في طرافته واثارته ، في جماله أو دمامته ، ان ترى عربيا قويا جدا في كينونته العربية وفي تعبيره عنها ، خالصا نقيا فيها جدا دون اية تأثيرات اخرى غير عربية ٠٠

لقد كانت حظوظك جيدة جدا أو رديئة جدا ، لانه كان من الصعب جدا ان تجد أو ترى هـذا النموذج من الانسان العربي ، اي القوي جدا في كينونته العربية والقوي جدا في تعبيره عنها والخالص النقي جدا فيها اي في كينونته العربية ، دون ايـــة تأثيرات خارجية واجنبية من اي نوع ، حضارية أو عقلية أو اخلاقية أو نفسيــة او حتى لغوية ٠ ولكن لا بد من الاقتناع بان هذه التاثيرات التي يصاب بها الانسان العربي لن تتجاوز الاسلوب او الصيغة او الشعار او اللغة ٠

ان كل أو أكثر النماذج العربية التي تراها وتواجهها وتعاملها هم اما غيــر اقوياء جدا في كينوناتهم العربية وفي تعبيرهم عنها ، واما مصوغون باساليب مختلفة بتأثيرات كثيرة خارجية غير عربية ، اي انهم لا يرون او يعرضون انفسهم أو يتعاملون معها بصيغهم العربية وحدها ، بل مستورة ومجملة بصيغ اخرى كثيرة مجاملة لهم ٠

لهذا لم تكن حظوظك جيدة جدا او رديئة جدا لانـــه كان من النادر او الصعب الدائم ان ترى أو تجد أو تعامل هــذا الانسان العربي جدا في كينونته العربيـــة وفي قوة تعبيره عنها وفي نقاء كينونته العربية ٠٠

ولعلك لم تر قط عربيا بهذه الشروط ، ولعل هــذا من الخير لك وللانسان العربي كذلــك ٠٠

نعم ، لعــل اعظم مزايـــا المتنبــي او اعظم نقائصه ، انـــه كان عربيا جدا ٠٠ كيف استطاع أو امكن ان يكون عربيا جدا اي عربيا فقط ؟ نعم ، لقد كان كذلــك ٠ اذن لقد كان شيئا رهيبا في تفاسيره ٠

ولعل هذا هــو التفسير لسلطانـــه المتفــوق في السوق والتاريخ العربيين ٠ لقد وجد ولا يزال يجد كل عربي فيه احد نماذجه الفكرية أو النفسية أو الاخلاقية أو الانسانية أو اللغوية أو كل نماذجه ٠٠

وتفسير المتنبي بانه كان عربيا جدا ، اي انه كان قويا في كينونته العربية ، لا يعنى به انه كان قويا في ولائه للعروبة أو في دفاعه عنها أو في مقاساته في سبيلها ، وانما يعني به انه كان صيغة عربية حادة ، اي انه كان نموذجا حادا ومتكاملا للعربي الهدار بلا اي قيد أو شرط من قيود أو شروط الصدق أو الذكاء أو الوقار او التهذيب أو العدل أو الاستحياء أو الرؤية أو المحاكمة أو المحاسبة للنفس ، أو من التواضع أو الحب أو المقاساة الفكرية أو الاخلاقية أو النفسية أو الانسانية أو حتى اللغوية • نموذج الانسان العربي الا يقاسي اية مقاساة عقلية أو اخلاقية أو فنية أو نفسية في تعامله مع نفسه ومع اي شيء • وهكذا كان المتنبي ••

نعم لقد كان النموذج الاعلى والاصيل النقي الدائم للانسان العربي ، الذي لا يأبى ان يكونه أو أن يوصف أو يتهم به بل الذي يسعده ويملؤه غرورا أن يكونه وان يتهم ويوصف به ـ لقد كان هذا النموذج هو ان يكون اقوى واشمل واضح نماذج الهدير والصهيل بلا اي قيد أو شرط من القيود أو الشروط العقلية أو الاخلاقية أو النفسية أو اللغوية أو الحضارية ـ من القيود أو الشروط التي لا ينبغي أو لا يمكن أن يوجد شيء بدونها كلها أو بدون كثير منها • لقد كان نموذج الانسان العربي الا يرى اية رؤية لا فكرية ولا اخلاقية ولا بصرية ولا نفسية ولا فنية ، الشيء الذي يريد ان يصفه ويفهمه ويراه •

ولقد كان المتنبي هو هذا النموذج ، أو كان هو اقرب أو من أقرب الصيغ الى هذا النموذج • لهذا استحق بعدل ومنطق كل امجاده وحظوظه هذه •• لقد كان اي المتنبي انسانا بلا اية شروط انسانية لا على رؤيته ولا على عقله وفهمه ولا على ضميره أو لسانه أو عواطفه أو تصوراته بل كان ضد هذه الشروط • لهذا كان عربيا جدا ••

لقد كانت مجازاة المتنبي في الاسواق العربية مجازاة عربية المنطق والاخلاق والذكاء والتاريخ والقيمة والمستوى والتوقع والسخاء ••

لقد كانت مجازاة المتنبي في السوق والتاريخ العربيين مجازاة فيها كل خصائص المجازاة العربية الاصيلة •

انه لخروج على جميع التفاسير والتوقعات الا يكون اي المتنبي في السوق والتاريخ العربيين كما كان • لقد كان احتفال السوق والتاريخ العربيين بالمتنبي احتفالا بأقوى واصدق نماذجهما الفكرية والاخلاقية والعاطفية واللغوية الاصيلة الدائمة •

انه لو اريد ان يفسر جميع آلهة العرب وجميع انبيائهم وخلفائهم وسلاطينهم ومعلميهم ومفكريهم وخطبائهم بشاعر واحد او بانسان واحد ، أو أن يبحث لهم عن نموذج هو اقرب النماذج اليهم ، لما كان هذا الشاعر او الانسان او النموذج غير المتنبي • ان في ذات المتنبي كل تفاسير هؤلاء وكل نماذجهم ، بكل تعبيراتها •• انه ليس من هؤلاء واحد لا يعيش فيه كل المتنبي ولو بأمانيه واغانيه ••

وانه لو أراد جميع هؤلاء الالهة والانبياء والخلفاء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب ان يختاروا لهم نموذجا ليكونوه أو ليقلدوه أو ليكون واضع وصانع ومخرج الدعاية والاعلان عنهم ولهم ولجميع قضاياهم وعن جميع قضاياهم ، وليكون مستشارهم ولسانهم وجليسهم ، ولكي يكون المثال الكامل الدائم لاخلاقهم ولذكائهم وصدقهم وحبهم ووقارهم ووفائهم ولالتزامهم الفكري والمذهبي والديني والاخلاقي والتاريخي ، لما اختار احد منهم أحدا غير المتنبي ..

انها لموجودة في ذات المتنبي كل تفاسير ونماذج ومواهب ونيات ولغات واخلاق ونبوات كل انبياء وخلفاء وسلاطين وشعراء العرب ، بكل الشمول والضجيج والقوة ..

ان كل هؤلاء لا بد ان يجدوا كل ذواتهم بكل السهولة في ذات المتنبي ، في ديوانه، مهما كانت اميتهم العقلية والنفسية والاخلاقية والبصرية والاستنتاجية . ان اي نبي عربي لا بد أن يجد قرآنه بعض شعر المتنبي ..

ولو انهم اي هؤلاء الالهة والانبياء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب انسوا بوسيلة ما انهم عرب ثم عرض عليهم جميع شعراء العالم وهم ينشدون شعرهم بلغة واحدة أو بلغات كثيرة يتقنونها ثم قيل لهم : من تختارونه شاعركم ، أو من ترونه جديرا بأن تنتموا اليه نسبا ونموذجا ، أو من تودونه مثالا لكم لو أردتم أن تصبحوا شعراء ، أو من ترونه اقرب اليكم واشبه بكم اخلاقا وتفكيرا وضميرا ونفسا وطموحا وصهيلا وغرورا .

ـ نعم ، لو ان هؤلاء وضعوا امام هذا الخيار لكان المحتوم او المتوقع جدا الا يختلفوا او يترددوا او يقاسوا لكي يقولوا : انه هذا ، مشيرين بكل أهوائهم وتمنياتهم ومواهبهم الى المتنبي ، أي بعد وضعهم في الحالة المفترضة . وانهم لن يتهموا بأنهم أخطأوا او زيفوا او كذبوا حينما يفعلون ذلك .

ولكن لا بد هنا من إشتراط محتوم افتراضه ، هو ان تكون صيغ هؤلاء الآلهة والانبياء والزعماء والخطباء والمعلمين والمفكرين العرب صيغا عربية خالصة بكل تفاسيرها ونماذجها التاريخية الثابتة الاصيلة ، وليست صيغا قد أصابها التغيير الشديد الطويل المستمر تحت التأثيرات الخارجية القوية التي تشبه الغزو الشامل حتى بدت ولو في الصورة واللغة كأنها صيغ أو نماذج أو مستويات غير عربية وانها لحظوظ جيدة جدا أو رديئة جدا انه من الصعب جدا أن يوجد عربي لم يصبه هذا التغيير باسلوب ما أو بقدر ما .

وانهم اذا كان هذا التغيير قد أصاب نماذجهم العربية فمن المحتمل ان يختار بعضهم شعراء غير المتنبي حتى ولو بنية الاستحياء أو التأدب أو الدعاية أو التواضع أو الانخداع عن النموذج المطلوب وعن الشبيه . ان الانسان العربي اذا تغير نموذجه الموروث فلا بد أن يخجل من الاعجاب بالمتنبي بقدر ما يخجل من الاعجاب بانبيائه وخلفائه وسلاطينه الذين كانوا يعلمون اباءه الجوع والموت والهوان والايمان والصلاة.

ان بعضهم قد يرى حينئذ انــه لو اختار المتنبي نموذجه لكان ذلك في حسابات الاخرين مبالغة في الكبرياء وفي ادعاء المجد الصعب جدا ٠٠ انه قد يرى ان اختياره للمتنبي نموذجا لــه ترف في الطموح لا يمكن قبوله أو غفرانه ٠٠٠ وهو لا يريد أن يتهم هــذا الاتهام ٠ انه لهذا وبهذا قد يتنازل عن نموذجه ، ولو ادعاء ودعاية وقــولا فقط لكي يرى مبالغا في التواضع والتهذيب ٠٠ ان الانسان العربي حينما يتغير تحت التأثيرات الخارجية فقد يهاب الانتماء الى المتنبي ويهاب ادعاء امتلاكه اما خوفا مــن الكبرياء ومن المبالغة في الادعاء ، واما خوفا من العار ٠٠

انكن قارئين للمتنبي ومستذكرين لاشعاره ومطلين على كهوف روحه ، ثــم لنستمع الى اي زعيم أو حاكم أو حتى الى اي قائد عسكري عربي ، يخطب مفاخرا أو مهددا أو شاتما أو مدعيا متكبرا أو هاجيا محقرا متهما أو كاذبا متوقحا هادرا صاهلا محاربا منازلا هازما كل الاعداء والاصدقاء ، كل المحاربين والمسالمين ، مالكا لكل امجاد كل القصور والقبور ، باصقا على كل الشموس والنجوم ، ممطرا كل البحار والانهار ، فاعلا كل ذلك هو وآباؤه وشيوخ قبيلته ، زاعما ومعلنا كل ذلك بكل افواه الدنيا ومن فوق كل منابرها اي بانه هو وشيوخ قبيلته هم ممطرو كل الانهار والبحار والسحاب٠

ثم لنستمع الى اي كتاب مقدس عربي او الى اي نبي عربي أو سلطان أو خليفة عربي ، أو لنقرأه ، متحدثا الينا والى كل احــد وكل شيء ، بكل ما في السماء وسكان السماء من كبرياء وبداوة وجاهلية وادعاء واتساع واستعلاء ، ومن تحليق وهبوط في كل حضيض ، وفي كل وهم ، متفلتا من كل منطق وذكاء واتزان وصدق وتهذيب وحياء وجمال وفن وموهبة شعرية أو اخلاقية أو انسانية أو حتى روحية ٠٠٠

نعم ، لنكن قارئين للمتنبي ولاشعاره واخلاقه ولكل تفاسيره ، ثم لنسمع ونقرأ اي زعيم أو حاكم أو عسكري او الــه أو نبي أو خليفة أو سلطان عربي ، أو اي كتاب مقدس عربي ، ثــم لننظر هــل نستطيع الا أن نقول ان جميع هؤلاء انما يقــرؤون علينا ديوان المتنبي ، أو انما هم جميعا نسخ أو طبعات اخرى من المتنبي ، أو انهــا روح المتنبي وموهبته قد تناسختا فيهم جميعا !! انه اذا وجد اختلاف أو تبايــن بينه وبينهم فليس الا في القدرة على التعبير وفي اساليب التعبير ٠٠

ولو أن احدى السحب أو الشهب أو الاعاصير ألقت بالمتنبي بيننا اليوم ليستمع الى جميع اجهزة الكلمة العربية وليقرأ كل ما نحفظه ونرويه ونطبعه وننشره من تراث انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وجميع حكمائنا ، بكل هذه الضخامة والوقاحة والنزق بل والجنون في الدعاوي والغرور والطيش والبداوة والسذاجة والافتخار والهجــاء والاتهام والتهديد والبغضاء والقسوة ، لما اعتقد انه يسمع أو يقرأ غير اشعاره تنشد بأساليب قد تكون أعلى ضجيجا ٠٠

انه حينئذ لن يجد نفسه غريبا ، أو أنه يواجه أو يجد شيئا جديدا ٠٠ شيئا لــم تعشه نفسه أو اخلاقه أو تفكيره أو أمانيه أو مواهبه ، أو لم تقله كلماته ٠ انه لا بد

أن يصرخ حينئذ : كل هؤلاء تلاميذي ، رواتي ، منشدو شعري ، سارقوه · انهم لصوص ، لصوص ··

انه حينئذ لا بد أن يذهب ينشد :

وتركك في الدنيا دويا كأنما　　　تداول سمع المرء انمله العشر

ليطمئن الى انه لم يكن نبيا مجنونا لمؤمنين عقلاء ، الى انه لم يكن الا همسا في مواكب صارخين والا ريحا متوقرة في بيئة اعاصير مجنونة اي في زئيرها لا تأثيرها ·

انه حينئذ لن يقاسي لكي يفهم أو يقبل أو يرضى ما يسمع وما يقرأ ، كما لن يقاسي من الخجل أو الاشمئزاز أو الانفجاع حين يقرأ ويسمع كل ما يقوله ويكتبه كل حاضر العرب ، وكل ما قاله وكتبه كل تاريخهم · انه لا بد ان يذهب حينئذ يتلو :

وما الدهر الا من رواة قصائدي　　　اذا قلت شعرا اصبح الدهر منشدا

وهذا الخلع للمتنبي عن العرش ، أو هذا الهبوط بعرشه ، أو هذه الرؤية أو التفسير له ، لا ينبغي أن يروع أو يصدم احدا ··

ان هذه الرؤية للمتنبي لا يعنى بها انه كان مجدا أو جمالا تاريخيا عربيا أو انسانيا يجب ان نزهى به ولكن يجب ايضا ان نتخطاه ·

بل يعنى بهذه الرؤية انه كان عارا أو ضعفا أو ذنبا تاريخيا عربيا ، لا يجب فقط ان نتخطاه ، بل ويجب اننخجل ونتوب منه ·· ان من لا يخجلون من ان يكون المتنبي تاريخا في تاريخهم لن يستطيعوا أن يصبحوا مجدا لاي تاريخ ·

لقد كان اي المتنبي واحدة من عاهاتنا ونقائصنا وسفاهاتنا التي لم تكن تشوه تاريخنا أو تعيش فيه فقط ، بل التي كانت هي كل تاريخنا ، بل التي كانت هي كل امجاد تاريخنا ·· كان ذنبا بين ذنوب لا ذنبا بين صالحات ، وكان ذنبا مطلقا لا ذنبا موقتا · كان ذنبا في حسابات كل التاريخ لا في حسابات بعض التاريخ وبعض الازمان ··

هل يمكن ان يحسب المتنبي مجدا أو جمالا تاريخيا اكثر مما يمكن ان يحسب هذا المجد أو الجمال أولئك الانبياء والخلفاء والسلاطين والشيوخ الذين كانوا يغطون تاريخنا ويحكمونه ، ويعلمونه البداوة والتخلف والغباء والجهل والذلة والمسكنة والخوف والطاعة والموت فداء لحماقاتهم وغزواتهم وعداواتهم ، كما كانوا يعلمونه الصلاة والايمان بما لا يفهمون أو يعقلون أو يحترمون أو يحبون ، وايضا يعلمونه الاقتناع بمزايا وجود الجحيم وبمجده اي بمجد الجحيم وبمزايا التهديد به اي بالجحيم والتخليد فيه ، والاقتناع ايضا بوجود الجنة المدخرة في السماء ، وبمزية الحرمان منها ، بل يعلمونه كيف يكون معلنا عن اهوال الجحيم مع التمجيد له ولاهواله وللتهديد به وبها وللتخليد فيه ، وكيف يكون معلنا عن لذات الجنة مع التمجيد للحرمان منها والثناء على هذا الحرمان وما فيه من معاني الرحمة والحب والسخاء والعدل ، ويرهبونه اي يرهبون التاريخ ويمنعونه ان يكون ذكيا أو قويا أو شجاعا أو صادقا أو كريما أو سلاما أو حبا أو نظيفا أو مبصرا أو قارئا أو كاتبا أو مفكرا ·

اننا كما يجب ان نتلفت الى انبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا هؤلاء باستحياء وذعر وأسى وانخفاض هامات ولصوق بالارض كذلك يجب ان نتلفت الى المتنبي · ان اعظم انبياء وقادة وقديسي اي قوم لن يكونوا اكبر او اعقل او انطف أو اتقى من اعظم شعرائهم · ان القوم الذين يصغر اكبر شعرائهم في كل معانيهم لن يكبر اكبر انبيائهم أو خلفائهم أو سلاطينهم أو قادتهم أو قديسيهم في اي معنى من معانيهم · ان الانتماء الى السماء أو الى الاله لن يتحول الى تقوى أو الى موهبة في المنتمي ··

انه لا ينبغي كما لا يستطاع تفسير المتنبي بأنه كان في عصر من العصور أو لعصر من العصور مجدا أو جمالا أو فنا ، لهذا يطلب أو يجب ان يوضع في متحف كوني لكي يأتي اليه الزوار ليقفوا أمامه متذكرين منشدين خاشعين معجبين مصلين مستلهمين مأخوذين بالامجاد الكونية التي قد ماتت والتي قد خلدها الموت بقدر ما خلدت هي الموت ·· بالامجاد التي لا تموت لانها لم توجد ·· أليس اخلد الامجاد هي الامجاد التي لم توجد ولو أحيانا ؟ أليس اكثر الامجاد هي امجاد لم توجد ؟

ولكن الذي ينبغي بل الذي يجب ان يفسر المتنبي بأنه كان قبحا ونزقا وعدوانا على جميع القيم الفنية والحضارية والانسانية في حساب وحكم ونماذج جميع العصور ، لهـذا فالمطلوب بل الواجب أن يوضع في كهف متوحش دميم بعيد عن المدن وعن الجمال وعن المعابد والمعاهد الفنية وأن يكتب على مدخله اي على مدخل الكهف : ادخلوا هنا ثـم قفوا وتساءلوا بكل الذعر والاسى والانفجاع : كيف وجد مثل هذا ، في اي عصر او مجتمع وجد ، واية موهبـة انسانية قد استطاعت ان تحبل به وان تلده وان يعيش في حجرها أو قلبها أو ضميرها أو عينيها · ادخلوا هنا مروعين باستذكار وتصور ما يختزن في احشاء المقابر من عاهات وذنوب وعار واكاذيب · هل يوجد مختزن للقبح مثل احشاء المقابر ؟

ارثوا بصدق واشفاق للعصر أو للتاريخ أو للمجتمع أو للانسان الذي حبلت مواهبه الفكرية والاخلاقية والنفسية والحضارية بالمتنبي ثم ولدته ثم ارضعته وربته وعاش في احضانها بل عاش فوق منابرها وعروشها وهاماتها وفوق ألسنتها وضمائرها وحيائها وكبريائها ، يغني كل فحشه وعريه وعاره ، مستمعة اليه ، هاتفة له ، مجنونة من الاعجاب والغرور به ، غير مصدقة انـه ينتمي اليها وحدها بكل مجـده وعبقرياته ، عاجزة عن التصديق بأن كل مجده بعض مجدها ، عاجزة عن هذا التصديق خوفا من ان تصاب بجنون الكبرياء أو بجنون التفرد بامتلاك المجد ··

ولكن هل تستطيعون ان تجدوا قلوبا أو ضمائر أو افكارا أو اخلاقا أو احزانا تكفي لكي تحولوها الى رثاء لقوم لا يزالون ينصبون المتنبي قيصرا مطلقا فوق كل امجادهم الادبية والفنية ، بل وامجادهم العقلية والاخلاقية والبطولية والحضارية ؟ هل يستطيع اي شيء ان يتحول الى رثاء لقوم يذكرون التاريخ بالمتنبي حينما يطالبونه بأن يحصي لهم امجادهم ؟

ان المتنبي لم يكن مزية قد تخطاها الزمن أو في مقاييس زمن من الازمان ، بل لقد كان رذيلة يرفضها كل زمن ، وفي مقاييس ونماذج كل زمن · لقد كان المتنبي والمعجبون به الوالدون له المستمعون اليه من قومه ، قبحا وفحشا في حساب وتفاسير كل العصور والمجتمعات ··

انه لم يكن جمالا وعبقرية في اجساد وعقول ابائنا ثم اصبح دمامة وتفاهة في اجسادنا وعقولنا · بل لقد كان دمامة وجهالة وتفاهة في اجساد وعقول ابائنا مثل ما هو في اجسادنا وعقولنا ولكنه لم يكن في اجساد وعقول ابائنا دمامة وجهالة وتفاهة تعيش في جمال وعبقرية ، بل كان شيئا يعيش في نفسه ، في نموذجه الذي تلقح وحبل به وولده وغرس فيه تفاهته ودمامته ثم ذهب يعلمه الجراة على ممارسة ما غرس فيه بل يجزيه على هذه الجرأة والممارسة ··

نعم ، ان المتنبي كان كالمرض والجهالة اي انه لم يكن نافعا في اي عصر من العصور بل كان ضارا ومشوها في جميع العصور ولجميع العصور اي لو جاء في جميع العصور ولكنه لم يكن مرضا وجهالة يعيشان في صحة ومعرفة · لم يكن بداوة وجنونا بين عقلاء ومتحضرين ··

وانها لعبقرية في القحط والعقم والضآلة ان تكون الاشعار الموجودة في ديوان المتنبي هي كل ما قاله وحسبه شعرا في كل حياته مع ان كل عمله في الحياة أن يقول ، مادحا وهاجيا ومفاخرا وكاذبا بلا اي قيد او شرط من قيود او شروط الذكاء او الشرف أو الكرامة أو الوقار أو الكبرياء أو الصدق ، ومع ان كل ما حوله كان يحل له بل يحرضه على أن يقول كل ما يريد ويستطيع قوله ، دون ان يشترط أو يضرب عليه اي قيد أو شرط من القيود والشروط المطلوبة أو المعلمة ، بل يرفع عنه كل قيد وشرط ، ومع ان كل مواهبه قد تجمعت في موهبة واحدة ، يجد فيها اي في هذه الموهبة الواحدة كل الشهوة والنشوة والمجد ، وهذه الموهبة الواحدة هي ان يمارس كل الافتضاح ، كل مستوياته ونماذجه ولغاته ، مادحا بكل الكذب والنفاق والصغار ، وهاجيا بكل الفحش والزور والفجور ، ومفاخرا بنفسه باساليب هي اكبر من كل الجنون والسفاهات والبذاءات ، وكاذبا بلغة وصيغ وحوافز تستطيع ان تسلب من كل الكذب كل اغرائه واغوائه وحوافزه ومجده ، وتستطيع ان تجعل أول من فكروا في الكذب وتعاملوا به يشكون في ان تكون له اية قيمة أو اقناع أو تأثير أو اية وظيفة أو فائدة من أي نوع وبأي تفسير لو انهم استمعوا اليه اي الى كذبه قبل أن يفكروا في ان يكذبوا وقبل ان يكذبوا · أليس بعض الكذب قادرا لضخامة وقاحته وبلادته ان يسحب من الكذب كل امجاده التاريخية وان يذل هذه الامجاد ويفسد عليها اعجابها بنفسها وان يجعله اي يجعل الكذب يشك في قدرته على ان يخدع أو ينفع أو يقنع ؟ أليس كذب المتنبي هو قمة هذا الكذب ؟

انه لم يكن يترك القول حياء أو ذكاء أو تكرما أو تعففا أو اشفاقا أو صدقا أو

نقدا للذات . اي انـــه لم يكن يترك القول رفضا للوقاحة أو الهوان أو النذالة أو الكذب أو للادعاء أو للافتضاح من اي نوع وبأي اسلوب ، أو عجزا عن ذلك أو بحثا للشروط له وعليه ، أو خوفا من العقاب عليه أو من الا يكون مقبولا أو مغفورا أو من أن يشمئز منـــه النقاد أو يفضحوه أو يهزموه ويسقطوه في سوق العملات الفنية والادبية والفكرية والاخلاقية أو حتى اللغوية .. انه لم يكن يرى لملابسه أو لاي ملابس قيمة أو نفعا رفضا أو كرها للتعري أو للاعلان عن التشوهات .

انه لم يكن يترك القول ناقدا لنفسه أو خائفا من نقد النقاد ـ خائفا من الا يكون جميلا أو كريما أو من ألا يرى جميلا أو كريما .. انه لم يكن يترك القول أو يهابه لانه كان يحدق في عيون الناس أو عيون التاريخ أو عيون ضميره أو عيون مرآته . انه لم يعرف انه قد يصبح رائيا أو مرئيا . وانه لم يجرب ذلك أو يرده أو يطلبه أو يفكر فيه...

ان الطبيعة لا تستطيع ان تجد في جميع نماذج قحطها نموذجا يستطيع ان يتفوق على قحط المتنبي الذي لم يستطع ان يهب في كل حياته غيرَ ما في ديوانه من مدائح واهاج ومفاخرات بالنفس مع ان هذه الاهاجي والمدائح والمفاخرات تمتلك كل اشواقه ونشواته وغطرسته الروحية وكل طموحه الى الانتصار والمجد والدوي والتفـوق والى اذلال الاخـــرين وتعذيبهم بامجـــاده ودويـــه وانتصاراتـــه ... الـــذي لـم يستطع ان يهب غيـــر بعض الكلمـــات المتناثـــرة الصغيـــرة القريبـــة التـــي لا تتخطى في اعلى مستوياتها طور التهجي الفكري ـ تلك الكلمات التي حسبها هو او حسبت له صعودا تصعب ملاحقته ولو بالخيال في سموات التفكير والفلسفات الكونية الخالدة . انها كلمات صغيرة زعمت حكما أو فلسفة أو تفكيرا مخترقا لكل الافـاق والحدود والزمان والمكان مع انها لا تستطيع ان ترتفع به عن أمية التفكير ..

ان هذه الكلمات القليلة الصغيرة التي تناثرت في الديوان والتي حسبت افكارا أو فلسفة أو حكما تخترق سدود الكون وحدوده وتهتك اسرار ضميره ، وتقرأ وتفسر كل قوانينه واخلاقه في كل صيغ تعامله مع اربابه وتعامل اربابه معه وبه لن تكون ، مزعومة تفكيرا أو فلسفة أو رؤى بعيدة صادقة افضل من التنجيم ، مزعوما علوما فلكية ، أو من التعاويذ والرقي ، مزعومة علوما وكشوفا طبية ، أو من تفاسير رجال الدين للكون ، مزعومة ذكاء ومنطق واخلاق اله ، أو من الذباب ، مفسرا بانه رحمة وحب وفن وعبقرية وشاعرية وهدية اذكى واقوى واتقى الالهة ، أو من النبوات والكتب المقدسة ، مزعومة نهاية اشواط التفكير الانساني والمعرفة الانسانيـــة والقائدة لهما في كل اطوار واسفار التاريخ ، أو من خطب واحاديث ساسة وزعماء وقـــادة العرب ، مزعومة افكارا أو رؤى أو مواقف أو تفاسير سياسية أو انسانية أو اي شيء يحمل اي معنى جيد أو يستحق اي احترام أو اهتمام أو مراجعة أو حتى قراءة ...

ان التفكير لن يقبل انتماء المتنبي اليه الا بقدر ما يقبل اي قاموس سياسي ان

يضعفي احد سطوره اسم اي زعيم او قائد أو حاكم عربي مهما كان تواضع هذا القاموس ٠٠

كانت بعض هذه الكلمات القافزة في الديوان بين هدير الهجاء والمديح والفخر ، التي عدت تفكيرا او فلسفة أو حكما تفضح وتعري صمت واحتجاب الاشياء ، وتلقي عن الحقيقة بكل الحجب والاغطية والاوهام الموضوعة فوقها لكي لا تستطاع رؤيتها ولا تخيلها ــ كذا زعم لها ٠

ــ نعم ، كانت بعض هذه الكلمات ماخوذة من افواه السوق ومن تجاربها الناقصة المتسرعة ، صيغت بلغة ضاجة مملوءة كبرا وادعاء ٠٠ ان شعراءنا العظام لم يكونــوا اذكى أو اعظم تفكيرا من السوق ولكنهم كانوا أصنع للكلام من السوق ٠٠

اليس قحط المتنبي هذا تعبيرا عنيفا عن قحط الطبيعة التي انبتته وسقته وكونته ونقلت اليه قحطها أو خصبها ثم بهرت وجنت بضخامته وخصوبته ، بل ثم انتظرت وتوقعت ان يجن أو يموت كل العالم حسدا وغيرة من خصوبته وضخامته وعجزا عن منافسته أو عن منافسة الطبيعة التي خلقته وألقت فيه خصوبتها ؟ لقد كان قحط المتنبي قحط تاريخ أو شعب أو ارض لا قحط فرد ٠٠

**

اني هنا لاقاسي مقاساتين : مقاساة لهذه القسوة في رؤية المتنبي وتفسيره ٠ ومقاساة اخرى لصدق هذه القسوة في رؤيته وتفسيره ٠

ان ابداء الراي الصادق الشامل الصحيح الاليم في انسان ما لاكثر ايجــاعا وايذاء له من التحديق الوقح البذيء الشامت في عاهــة جسدية مهينة رهيبة فيه ٠٠ ان الرؤية القاتلة لمجد قد فرغ من بنائه وعد مجدا كونيا لاقتل من اية رصاصة قاتلة ٠٠

ولكن لا بد أن يخفف من المقاساتين العلم باستحالة أن يقرأ اي المتنبي او يسمع او يعلم هــذا الرأي فيه ٠ اجل ، استرح يا ضميري المعذب الصانع للعــذاب ٠٠ استرح فان المتنبي القتيل لن يسمع او يقرأ أو يعلم هذا الرأي فيه ، لن يشعر باية رصاصة من هذه الرصاصات ٠

انه لو كان يوجد احتمال بان احدا مــا قد يوصل اليه هــذا الرأي فيه لهبت ولتعذبت ان اقول فيه ما قلت ٠٠ جميل هو ألا تكون هنالك اية مواصلات بين الموتى والاحياء ، بين الموتى وبين بيوتهم واهليهم والعالم الذي تركوه أو تركهم ٠٠

ان الموتى لا يشعرون أو يتعذبون أو يعيرون بعارهم أو بذنوبهم أو بتفاهاتهم ٠ ان الموتى اذن لمحظوظون ، وان للموت اذن لمجدا ومزية وتقوى وكرامة ، ان لــه لضميرا ٠ ان من اعظم عطايا الموت انه يمنع من التحديق في الذات وفي النيات وفي المرآة وفي ما فات وما هو آت ، وفي عيون وضمائر وآراء ووقاحات المحدقين ٠٠

ان التحديق في الميت لن يجرح أو يخجل أو يذل أو يعذب اية عاهة أو فضيحة من عاهاته أو فضائحه ٠ اذن كم هو منتصر اي الميت على العيون والعقول والضمائر

والاذان المحدقة في سوءاته القارئة لها بكل القسوة والمحاسبة والشماتة والاستمتاع الخبيث ..

انه لا حدود ولا نفاد لصبر الميت ولتحمله وغفرانه وتقبله ، كما لا حدود لشجاعته واغضائه ونبله ، ولتنازله عن الكرامة والحياء والكبرياء ·! ان الميت لا يرى عاره او هوانــه أو قبحه ولا يحياه أو يجوع اليــه أو يفاخر به · اذن هل يوجد كالموتى نبلا وجمالا وكرامة وطهرا ؟

اذن كم هو شهم ونظيف وحيي هو الموت لانه هو وحده الذي يحمي من فعـل التفاهات والوقاحات والحقارات والفضائح والصغائر ، ويحمي من رؤيتها وقراءتها ومن الاستماع اليها والاعجاب بها ومن الاشمئزاز والاستحياء منها ومن التعيير والاتهام بها · هل يستطيع اي حي ان يحمي من فعل ذلك ومن رؤيته وقراءته والاستماع اليه ومن التعيير والاتهام به ومن عذاب الاشمئزاز منه ؟

هل يوجد غافر وساتر لذنوب الاحياء ولعارهم ودماماتهم غير موتهم او مثـل موتهم ؟ هل يوجد عاصم من رؤية القبح ومن الاستماع اليه والاستمرار فيه ومن العشق والتمجيد والهتاف لــه ومن الاتهام والتعيير به والاضطرار اليه ، سوى الموت ؟ لعل الطبيعة لم تجد شيئا غير الموت تعتذر به عن قبحها وسخفها وفحشها وبلادلتها وعن فرضها على كل حي ان يفعــل الحقارة والنذالة والمهانة ، وان يواجهها ويراها ، ويقرأها ، ويستمع اليها ، وان يخبر بها ولو احيانا ···

لعل الطبيعة لــم تفرض الموت على الانسان الا تكفيرا وتعويضا عن تشويهها وتلويثها وتحقيرها وفضحها وتعذيبها له · لعلها ابتكرت الموت عجزا عن ان تستمر ترى الكائن يستمر يفعل ويقاسي نذالاته وفضائحه والامه ما دام حيا بلا خلاص او توبــة ·

ولعل الالهة حينما فكرت ان تخلق الاحياء وحينما خلقتهم لم يكن في حسابها ولا منطقها ان تخلق الموت ، ولكنها قد تورطت · لقد رأت ان الاحياء ، بعد ان تورطت بخلقهم ، لا بد ان يقاسوا كل النذالات والبذاءات والحقارات والبلادات والاكاذيب والفضائح والدنايا ، فاعلين ومواجهين ومبصرين وقارئين لها ومستمعين اليها بـل وعاشقين هاتفين لها وبها بل ومعجبين او متظاهرين بالاعجاب بها بل وجازين مثيبين عليها ولو احيانا ·· ولعلها حينئذ عجزت عن ان تغفر لنفسها كل هذه القسوة ··

وحينئذ ذهبت اي الالهة تفكر كيف تتداوى من ورطتها او كيف تعتذر عنها او كيف تستر عارها ونزقها وورطتها ، وكيف تتوب اي الالهة الى عيونها وتخفف عن عيونها ، وعن ضمائرها والى ضمائرها ، من قبح وقسوة ما تواجه وترى وتعرف من قسوة وقبح ما فعلت دون ان تدري او تنوي ·

لقد ارادت ان تعتذر الى الاحياء مما اوقعته بهم · وهل يوجد من يجب عليه الاعتذار مثل الالهة ؟

وهنا لم تجد ما تواجه به ورطتها هذه الا ان تخلق الموت قاصدة التكفير والعلاج ·· اذن لقد كان الموت أو خلق الموت هو أسلوب تداوى الالهة من الامها واخطائها ·· هو اسلوبها الذي لـم تجد سواه للاعتذار الى الاحياء والى عيونها وضمائرها · نعم ، لعل ذلك كذلك · لعل الموت أو التمويت هو الدواء الذي لم تجد أو تعرف الالهة دواء سواه ليكون اسلوب توبتها · لعله اسلوب توبتها الى نفسها والى مخلوقاتها اي الى ضحاياها ·· ومحتوم ان تجيء اساليب الالهة في تعبيرها عن توبتها واعتذارهـا خارجة على كل منطق وبراعة ··

ماذا لو ان المتنبي لم يمت ، أو لو انه عاد فرأى أو قرأ أو عرف هذا الرأي فيـه ولقتنع به ، لانه قد وهب فهما وعقلا ومنطقا وذكاء جديدا ، ولانه قد تجاوز غروره الامي البائس وبداوته العقلية والنفسية والاخلاقية واللغوية ، ولانه قد اصبح في عصر حضاري اخر بعيد جدا عن عصره، يفسر الشعر والشعراء والهجاء والمديح والفخر ويفسر كل شيء تفاسير اخرى بعيدة جدا عن تفاسيره هو وعن تفاسير عصره ؟ ماذا لو انه رأى أو قرأ أو عرف نفسه رؤية أو قراءة أو معرفة جديدة بعد أن اصبح عاجزا عن البدء بنفسه وبصنعها من جديد ؟

أليس محتوما حينئذ ان يتعذب اقسى واقصى عذاب وان يبحث عن الهرب والاختفاء باية وسيلة واسلوب والى اي مكان ؟ أليس محتوما ان ينكر نفسه ، أن ينكر انه هو الذي كان بل ان ينكر انه قد كان يوما ما هنا أو انه يعرف رجلا كان يسمى المتنبي ؟

وماذا لو انــه لم يمتِ وظل الى اليوم أو أبدا يقول مثل الذي كان يقول ومثل الذي قاله من المدائح والاهاجي والمفاخرات والاكاذيب والاشياء الاخرى بكل مواهبه في الفحش والسفه والتخطي لكل قيود الوقار والحياء والمنطق والاخلاق والاحترام للنفس ؟ وماذا لو أن انبياء العرب وصالحيهم وسلاطينهم وخلفاءهم الراشديـن ظلوا حتى اليوم بلا موت يقولون ويعلمون ويخطبون مثلما كانوا يفعلون ؟

ان مجرد التصور لهذا ليخلق الفزع والفجيعة · ماذا لو أن خلفاء العرب وانبياءهم وسلاطينهم عادوا اليوم بعد أن وهبوا رؤية ومنطقا جديدين ثم ذهبوا يحاسبون ما كانوه في عصرهم بما يرونه في هذا العصر ؟

أليس اقسى اساليب التعذيب والتحقير والايذاء والفضح أن يكون كثير ممن ماتوا قد وهبوا الخلود لكي يستمروا يفعلون حماقاتهم وفضائحهم وبذاءاتهم وبلاداتهم ومهاناتهم وشرورهم ونقائصهم ولكي يستمروا يقاسون من مواجهتها ومن معرفة تفاسيرها ودلالاتها ومن رأي الناس فيها واحتقارهم ورفضهم العارف الذكي لهـا ، لان الثقافات والتفاسير والافكار والعصور والحضارات قد تغيرت كثيرا ؟ أليس أكثر واقسى من كل وحشية في الاذلال والتحقير والتعذيب ان يكون جميع معلمي العروبة العظام قد حكم عليهم بالخلود لكي يظلوا في هذه العصور وفي كل العصور يعيشون كل مستوياتهم ونماذجهم العقلية والنفسية والاخلاقية والثقافية والحضارية واللغوية

التي كانوا يعيشونها اي مع الافتراض انهم لن يتخطوا نماذجهم ومستوياتهم تلك ؟ نعم ، شكرا لك ايها الموت ..

وايضا ، أليس شيئا رهيبا في تعذيبه ووقاحته ان يعاد كثيرون ممن ماتوا لكي يروا ويعرفوا كيف كانوا وكيف اصبحوا ، لكي يقرأوا ويفسروا ويفهموا ويبصروا وجوههم وتعبيراتهم وعقولهم واخلاقهم وشهواتهم واقوالهم التي كانت ؟ انهم حينئذ لا بد أن يرفضوا ان تكون لهم عيون أو اذان أو عقول لئلا يروا أو يسمعوا أو يفهموا أو يعرفوا انفسهم ..

أليس اقسى اساليب الوحشية في التعذيب والاذلال والتحقير والتهويـن والاستهزاء أن يعاد الانبياء والقديسون الى الحياة لكي يروا ويعرفوا ويسمعوا ويقرأوا انفسهم من جديد اي في عصر جديد أي في هذا العصر مثلا ؟ هل يوجد تحقير او ترويع أو اذلال مثل أن يواجه النبي أو القديس نفسه في عصر غير عصره ؟

اذن لقد كانت الالهة معذورة في حكمها بالموت على من تورطت في خلقهم ، وفي التزامها بألا تعيد الى الحياة احدا منهم . حتى الاعادة الى الحياة في الفردوس الموعود بها لا بد ان تكون اقسى اساليب التعذيب والتحقير والترويع للمعاد ...

ولكن الالهة نفسها كم هي بائسة وشقية الحظوظ ، لانها قد حكم عليها بـان تستمر تواجه وترى وتقرأ ما فعلت من اخطاء وذنوب ودمامات وعاهات وتشوه وسفه وعبث دون ان تستطيع المفارقة أو الهرب أو الاستتار ، لانها لا تستطيع أن تموت . لقد داوت مخلوقاتها واعتذرت وتابت اليهم وخففت عنهم بالموت ، ولكنها هي لـم تستطع ان تداوي نفسها أو تعتذر وتتوب الى نفسها أو تخفف عنها بهذه الوسيلة ، كما لم تجد من يفعل لها أو بها ذلك . هل يوجد مثل الالهة ضياعا وتفردا في مواجهتها لالامها واخطائها ومشاكلها وورطاتها واحتياجاتها بلا مساعد حتى ولو بارائه او احزانــه ؟

ولكن قد يكون مخففا عن الالهة الام ورطتها الخالدة انها لا تصاب بأي نــوع ولا بأي مستوى من التغير الذاتي أو النفسي أو الفكري أو الفني او الاخلاقي أو الحضارى ، او من التغير في الطموح أو التمنى أو الرؤية أو القدرة . والذين لا يتجاوزون أطوارهم القديمة أو الاولى أو الذين هم طور واحد دائم هل يمكن ان يخجلوا أو يقاسوا من عارهم أو هوانهم أو جهلهم أو تخلفهم أو يروه أو ينكروه ؟

انها اي الالهة لن تتحول اذن الى ناقدة لنفسها ولموهبتها ، ولن يتصاعد اذن اشمئزازها أو استقباحها أو رفضها لما ارادت ودبرت وصنعت واصبحت تواجـه وتعايش . ان اشتراطها على نفسها ومطالبتها لها لن يتصاعدا او يتغيرا . اذن لـن تصبح ترى قبيحا أو سخيفا أو بليدا أو حقيرا شيئا كانت تراه جميلا أو عظيما أو ذكيا أو عبقريا . والذين لا يرون الاشياء رؤى متطورة بل ومتناقضة هل يمكن ان يصبحوا ناقدين لانفسهم أو مشمئزين من عارها ؟

اما البشر فانهم محكوم عليهم بالتغير والتطور والتخطي لانفسهم ولكينوناتهم الذاتية والحضارية والاجتماعية . انهم محكوم عليهم بأن يصبحوا ناقدين ورافضين بل وهاجين لانفسهم ولكل ما كانوه وفعلوه وارادوه باستمرار متصاعد . ولكن هل كل البشر محكوم عليهم بهذا التغير وبهذه الرؤية المتغيرة في محاكمة ومحاسبة النفس والاشياء ، حتى العرب ، حتى انبياء العرب وخلفاؤهم وحكماؤهم وشعراؤهم محكوم عليهم بذلك ؟ أليس التغير نقدا للذات ؟

ان هذا يعني حتما ان بعض الذات أو بعض وجودها أو بعض تاريخها لا بد أن يصبح هجاء وتعذيبا وتحقيرا وسبابا للذات . ان الذين يتغيرون بقوة لا بد أن يقاوموا ويكرهوا ويرفضوا انفسهم ويبصروا عارها ويتعذبوا به اكثر مما يفعلون ذلك باي شيء اخر ..

اذن فمعايشة الذات ومواجهتها ورؤيتها وتصورها دائما في كل كينوناتهـــا واطوارها وتاريخها ، بكل نقائصها وذنوبها وتفاهاتها وجهلها وسخفها وضآلتها ، ورطة أو قسوة لا بد من الانقاذ والهرب منها حتى ولو بالموت . ما اقسى وأوقح معايشة الذات ومواجهتها ورؤيتها ومحاسبتها ومساءلتها وتفسيرها لو وجد أو حين يوجد من يفعلون بها ذلك ؟

هكذا رأت الالهة ، وهكذا فعلت بجميع الاحياء الذين وهبتهم الحياة باسلوب الورطة أو الغلطة أو الصدفة .. انه لا يوجد اي احتمال بجودة حظوظ الالهة لانها خلقت الاحياء أو خلقت اي شيء . انها لا تستحق التهنئة بأي شيء فعلته ..

ان رؤية المتنبي وابداء الرأي فيه قد هديا إلى هذه التفاسير اي الى ان الالهة قد اضطرت الى ابتكار الموت عجزا وفرارا من الحكم على اي كائن بالخلود في الامـه وتفاهاته وفضائحه بلا نهاية .

فهل جاءت هذه الهداية ضالة ؟

تهنئتي الصادقة الحارة المخلصة المكررة لك ـ للمتنبي ـ لانك لن تستطيع أن تعود الينا لكي ترى كيف اصبح مجدك الضخم عارا ضخما ، ليس لان رأيا صحيحا عادلا قاسيا قد قيل فيك وفي مجدك المزعوم بل لان عصرا اخر قد جاء ليحكم بهذا الراي وبهذه الرؤية لمجدك وعلى مجدك ، وجاء اي العصر الاخر ليصنع هذا الرأي وهذه الرؤية لمجدك وعليه . وهل علم الانسان العربي ان هذا العصر قد جاء ثم استجاب لمجيئه ؟ اذن لماذا لم ير المتنبي أو اي شيء رؤية عصرية ؟

مؤلف الكتاب .. من يؤلف

ومهما قلت في المتنبي وعنه فاني اظل اشعر وارى انه يمكن ان يقال بل وينبغي ان يقال المزيد ، المزيد ، لاننا مهما تحدثنا عن عالم المأساة والقبح والافتضاح والضياع أو وصفنا ذلك او نعيناه او حدقنا فيه فاننا لن نجد اننا قد بلغنا نهاية الشوط او قاربناه ٠

لقد كان المتنبي تجمعا مأساويا رهيبا ٠ كان قبحا بقدر ما كان عذابا وضياعا ٠٠ كان يستحق الاشفاق والرثاء بقدر ما كان يصنع الغضب والاشمئزاز ٠ كان يقاسي جدا ويتوقح ويهوى ويرذل كذلك وكأنه ينتقم من مقاساته ٠٠ كأنه انما كان يريد بذلك ان يستفرغ عذابه على عالمه بنية الانتقام والتخفيف عن الذات ٠

كان مشحونا بالعذاب وبالقدرة والجرأة على ان يكون نذلا ومفتضحا بلا حدود او قيود او شروط ، كانما هذا جزاء هذا بقدر ما كان هذا سبب هذا ٠ كأنه كان يتصرف بلا غفران ولكن ايضا بلا عدوان ٠ انه مهما اعتدى فلن يكون الا مجازيا ٠ انه لن الظلم والنزق ان يستقبح او يستنكر او يحاكم او يحاسب اخلاقيا او نفسيا او انسانيا او فكريا ما لم يكن ذلك بكل الفهم والرؤية لالامه التي صبتها عليه ظروفه الاجتماعية والقومية والتاريخية والحضارية وخصائصه الذاتية الفادحة في طموحها وباسائها وبكل نقائصها الاخرى ٠٠ انه لم يكن يستطيع ان يكون اكبر أو اقوى أو انبل أو اتقى من جميع مواهب واخلاق قومه التاريخية والعرقية ٠٠

وايضا ما لم تكن هذه الرؤية والفهم محكومين بكل العطف على هذه الالام التي صاغت لنا المتنبي متعاونة مع استعداده الموهوب للهبوط الى كل القاع في تحقيره وتشويهه وابتذاله لذاته وحياته بل ولكل من يقول فيهم مدائحه باسلوب التمجيد والتخليد وادعاء ذلك ٠ لقد كان المتنبي عقابا ومأساة لنفسه ولمجتمعه وفيهما بقدر ما كان مجتمعه ونفسه عقابا ومأساة له وفيه ٠ كان كتابا او قصة أليمة ورديئة ولكن هل الكتاب او القصة تؤلف نفسها ؟ ومؤلف القصة او الكتاب من مؤلفه ؟

لم يكن المتنبي يحترم شيئا او يتعصب له · حتى قومه لم يكن يحمل او يعيش اي قدر من الاحترام او التعصب لهم · بل ولم يكن حتى يتظاهر بذلك · حتى النفاق والتظاهر لم يكن المتنبي يستطيعهما او يريدهما اذا كانا يطالبانه بان يبدو نبيلا او كريما او مهذبا او وقورا او قوميا ··

ان العربي مشهور بالتعصب والتمجد بقومه وبالمباهاة بهم امام الاجناس الاخرى المنافسة وغير المنافسة · انه يفعل ذلك ولو تظاهرا او ادعاء ، ولو بلا صدق او عمق او فهم او تنفيذ ، او حذرا من المناقضة السلوكية بل وضد كل الصدق والعمق والفهم والتنفيذ والحذر من المناقضة السلوكية لما يدعي ··

ولكن المتنبي خرج على هذا الخلق العربي او على هذه العنجهية العربية ·· لقد كانت عنجهيات المتنبي عنجهيات ذاتية شخصية لا قومية ولا وطنية · كان غروره بفرد هو ذاته لا بشعب · كان يزعم انه هو مجد قومه دون أن يكونوا مجدا له وقد يشذ نادرا عن ذلك · لقد كان يتراكض الى كل الابواب غير العربية بل الهازمة المذلة المغتصبة الغازية لقومه العرب لا ليركع عليها وامامها منشدا مدائحه الذليلة الفضاحة في كذبها وهوانها وبلادة وفحش تفاسيرها فقط بل ولكي يهزأ بقومه ويحقرهم مؤملا ا ن يهبه ذلك المزيد من عطايا ورضا واعجاب اصحاب تلك الابواب··

ذهب الى كافور مفارقا سيف الدولة امير حلب العربي فقال :

عنـد الهمـام ابـى المسـك الـذي غرقـت
فـي جـوده مضـر الحمـراء واليمـن

وقال في كافور ايضا محقرا لقومه العرب :

واي قبيـل يستحقـك قـدره
معـد بـن عدنـان فـداك ويعـرب

⁂

ولـو لـم تكـن فـي مصـر مـا سـرت نحوهـا
بقلـب المشـوق المستهـام المتيـم
ولا نبحـت خيلـي كـلاب قبـائـل
كـأن بهـا فـي الليـل حمـلات ديلـم

وكافور هذا هو الذي قال فيه :

مـن ايـة الطـرق ياتـي مثلـك الكـرم
ايـن المحاجـم يا كافـور والجلـم

⁂

لا تشتـر العبـد الا والعصـا معـه
ان العبيـد لانجـاس منـاكيـد

وحينما ذهب الى ابن العميد مادحا مستجديا تعاظمت وقاحته في تعييره لقومه · لقد كان وهو متوجه اليه يغوص في مشاعر الهوان والرهبة ·· انه شاعر عربي ذاهب

الى باب وزير غير عربي ليصلي ويتضرع ويسأل ويهون ٠ كيف جرؤ على ذلك ؟ وكيف اقنعه طموحه بان الباب قد يفتح له او يؤذن له بقرعه ؟ أليس هذا في حسابه يساوي ان يخطو فوق الكون كله ؟ اذن هل كان ذلك مغامرة طموح ام وقاحة سلوك ؟

تركت ـ يعني ناقته ـ دخان الرمث في اوطانهـــا
طلبـــا لقـــوم يوقـــدون العنبــــرا
مـــن يبلـــغ الاعـــراب انـــي بعدهـــا
جـــالســـت رسطـــاليس والاســـكنـــدرا
وملـــت نحـــر عشـارهـــا فأضـــافنـــي
مـن ينحـــر البـــدر النضـــار لمـــن قـري

مسكينة هي خفقات قلبه ونظرات عينيه محاصرا بين عقل ارسطو ومجد اسكندر الرهيـــب ٠٠

وحينما انشد ابن العميد قصيدته التي فيها هذا الهجاء البذيء في هوانه وفي اهانته لقومه استصغر اي ابن العميد كرامة المتنبي وتجاسر على التهوين من شعره وشاعريته وهاجم القصيدة بقسوة المسيطر المستصغر ٠ فلم يقاوم حتى ولا بتلجلج صوت وقاحته ٠٠ لقد غابت وذابت كل كبريائه الشرسة التي قد يجدها بعض الناس في اشعاره الصاهلة ٠ نعم ، كانت كبرياء المتنبي كبرياء لغوية لا نفسية او اخلاقية او عقلية او سلوكية ٠ والتراجع عن الكبرياء اللغوية الى خضوع حتى لغوي ليس شيئا صعبا ٠ والكبرياء اللغوية هي كل كبرياء اغلب الناس واكثرهم هوانا ٠

لقد انشده قصيدة اخرى يعتذر فيها اعتذارا حوله الى تحقير وتصغير لقومه ـ اي انشد ابن العميد :

انـنـــي اصيـــد البـــزاة
ولكـن اجـل النجـــوم لا اصطـــاده
مـــا تعـــودت ان ارى كـــابـــى
الفضـل وهـــذا الـــذي اتـــاه اعتيـــاده
ان فـــي المـــوج للغـــريـــق لعـــذرا
واضحـــا ان يفـــوتـــه تعـــداده

بائس هو ذلك الغريق الذي حكم عليه بان يعدد الامواج ٠ ولماذا قذف من لا يستطيع السباحة بنفسه الى الامواج ؟

يريد ان يقول انه كان يمدح العرب وينشدهم اشعاره فكانوا يعجبون بل كانوا يسقطون ويتعرون اعجابا وانبهارا وانقهارا لانهم كانوا صغارا في مواهبهم الفنية والنقدية والجمالية والحضارية ٠ أما انت وانت غير عربي او لانك غير عربي فلا لوم على اذا غرقت في بحارك وعجزت عن اصطياد اعجابك كما لا لوم على اعظم الصقـور اذا عجز عن صيد النجوم او على الغريق اذا لم يستطع ان يعد امواج المحيط الـــذي

غرق فيه ٠ مسكين هذا الغريق ٠٠ مسكين !! ماذا كانت مشاعر هذا الموج حينما سمع هذا الغريق المسكين يعتذر عن عجزه ان يعد الموج الذي غرق فيه ؟ نعم ، ماذا كانت مشاعر هذا الموج المغرق للحياء والكرامة والشاعرية ؟

وقدم قائد غير عربي الى الكوفة ليقاتل ثوارا عربا فقال المتنبي يمدح هذا القائد غير العربي مسفها العرب وساخرا منهم ومن رعيهم للابل والاغنام ومن تأميلهم ومحاولتهم بان تكون لهم دولة عربية :

ولو كنت ادري انها سبب له
لزاد سروري بالزيادة في القتل
فلا عدمت ارض العراقين فتنة
دعتك اليها كاشف الضر والمحل
ارادت كلاب ان تفوز بدولة
لمن تركت رعي الشويهات والابل

ان المتنبي ليستطيع بهذا ان يصبح بطلا عربيا لا ينافس في هبوط كرامته القومية واعلانه عن هذا الهبوط ٠

يقول لو عرفت ان هذه الفتنة او الثورة هي التي جعلت هذا القائد الذي ليس عربيا يقدم الى العراق او الى الكوفة لسررت جدا بكثرة القتل والقتلى لكي يقدم كثيرا ولكي يبقى ايضا كثيرا ٠ ثم يتمنى ويدعو ان تكثر الفتن والحروب والمآسي في العراقين لهذا السبب ٠ ثم يهزأ بالعرب الذين ثاروا مؤملين ان تقوم لهم دولة زاعما انهم لا يصلحون الا رعاة للابل والاغنام ٠٠ هوان ونذالة تعجز ارخص وانذل المواهب والاخلاق عن ان تحبل باصغر منهما او عن ان تهبط الى حضيض هو اكثر هبوطا من حضيضهما ٠ والذي لايستطاع فهمه ان يقرأ اي عربي متعصب لعروبته اشعار المتنبي هذه ثم يظل فيه اي قدر من الحب والاحترام له ٠٠

وكما سبق فالمتنبي متهم اتهاما بكبرياء النفس او الاخلاق او المواقف او بكبرياء الشعر او الشاعرية ٠ ولعل اتهام المتنبي بالكبرياء تعبير عن فقدان هذه الكبرياء النفسية والاخلاقية والعقلية وعن اللهفة الى رؤية من يعيشونها ولو على ادنى مستوياتها ٠٠٠

وكيف يتهم باي لون أو قدر من الكبرياء من يقول لكافور :

ابا المسك هل في الكاس فضل انالـه
فاني اغني منذ حين وتشرب

وقد يفسر قوله هذا بانه يطلب ان يجعله ملكا او واليا ، ان يهبه قطعة او لقمة او جرعة او فضلة من عرشه او تاجه او من غطاء عرشه او تاجه ٠ وبهذا التفسير يصبح من العسير جدا تصور سخف المتنبي وسماجته بل وبلادته ٠ انه يريد بكل التضرع والتواضع والمسكنة ان يلعق بقايا الكاس ٠

اذن كل المجد للكبرياء العربية المتجمعة في ذات وموهبة ولسان واخلاق هذا الشاعر العربي الفادح التفاسير ..

وكيف يتهم بالكبرياء من يقول عن كافور ايضا :

انـا ؟اليـوم مـن غلمانـه فـي عشيـرة
لنـا والـد منـه .. يفديـه ولـده

نعم ، لقد اصبح احد غلمان كافور العبد الخصي كما يعيره المتنبي بذلك واصبح هؤلاء الغلمان هم عشيرته وقبيلته التي يباهي بها . اذن لتركع كل كبرياء لكبرياء المتنبـي .. بل لتتعلم كل كبرياء كبرياءها من كبرياء هذا الشاعر العربي جدا في كبريائه وفي كل تفاسيره ..

ويقول عن ممدوح اخر غير عربي :

والنـاس انـزل فـي زمانـك منـزلا ...
مـن ان تعايشهـم وقـدرك ارفـع

انه لم يجد ما يمدح به ممدوحه هذا افضل او أقوى في حسابه من ان يهجو ويحقر الناس بهذا الاسلوب المشحون بالوقاحة والبذاءة والغباء والعدوانية والتخطي لكل حدود وصيغ التهذيـب .

والمتنبي بدوي الرؤية والتفكير والطموح ، جاهلي الموهبة ..

يقول عن نموذجه الجمالـي :

مـن الجـآذر فـي زي الاعاريـب
حمر الحلـى والمطايـا والجـلابيـب
مـا اوجـه الحضـر المستحسنـات بـه
كـأوجـه البـدويـات الـرعـابيـب
أيـن المعيـز مـن الآرام ناظـرة
وغيـر ناظـرة فـي الحسـن والطيـب
حسـن الحضـارة مجلـوب بتطريـة
وفـي البـداوة حسـن غيـر مجلـوب
ولاخرجـن مـن الحمـام ماثلـة
اوراكهـن صقيـلات العـراقيـب
افـدي ظبـاء فـلاة مـا عرفـن بهـا
مضـغ الكـلام ولا صبـغ الحواجيـب

قف ، قف ايها الهمجـي الرؤية والحس والمنطق والموهبة والتصور والتمنـي والفن والحياة ..

انه يستقبح كل اعمال الحضارة والتمدين . يرفض الاغتسال ووجود الحمام وان يكون الجسم نظيفا وصقيلا وطريا بضا منعما او ان توضع عليه اية زينة . بل يريد ان توضع عليه وتعيش فيه كل ادران البداوة وعبوسها وقحطها وجفافها . انه لنموذج

للجمال مخجل ومهين وهاج لكل طموح حضاري وفني وجمالي في اي مجتمع انساني ..
انه لا يدري انه لا جمال بلا حياة جميلة ونظيفة وصحيحة وسعيدة مشحونة بكل اسباب التجميل والتطرية والصقل والتهذيب والصحة . كيف لا يدري ان بداوة المكان والحياة تصنع بداوة الجسم والحب والشعور والتعبير ؟ وهل الجمال الا جسم وشعور وتعبير وحب ؟ وهل شيء من هذا الا مستوى حياة وحضارة ؟ أليس قول المتنبي هذا يعني ان العربي بدوي في طموحه وفي نماذجه الفكرية والنفسية والفنية وليس في واقعه فقط ؟ انه اذن وكما قيل والد الصحراء وليس ابنها فقط .. ان هذا يساوي ان يقال ان جمال وقوة وصدق واستقامة العقل والذكاء والحياة والحضارة والضمير والفهم في ان يكون الانسان جاهلا اميا بدويا لا يدخل مدرسة او معهدا أو جامعة او معملا او مختبرا او مصنعا او يقرأ او يسمع أو يحمل أو يرى كتابا او حرفا او عالما أو مثقفا أو مفكرا أو يدخل مدينة فيها شيء من ذلك او تؤمن بشيء منه. والحلى والجلابيب والوانها الحمراء ، أليست من عمل واستعمالات الحضارة لا البداوة كالحمامات وصقل العراقيب وصبغ الحواجيب ومضغ الكلام ؟

ويقول معبرا عن جاهلية موهبته :

حتى رجعت واقلامي قوائل لي : المجد للسيف ... ليس المجد للقلم

**

فلا تحسبن المجد زقا وقينة
فما المجد الا الفتك والطعنة البكر
وتضريب اعناق الملوك وان ترى
لك الهبوات السود والعسكر المجر
وتركك في الدنيا دويا كانما
تداول سمع المرء انمله العشر

السيف مواجها للسيف الاخر المناقض او المعادي ، والجندي مواجها للجندي الخصم او العدو او المؤمن ايمانا مناقضا او مخالفا ، والقتل او القتال مقاوما للقتل أو للقتال او مبتدئا له ...

نعم ، هذا وهذا وهذا محاسبا ومحاكما ومفسرا بعضه ببعض ، اي محكوما عليه قضية واحدة او شيئا واحدا ، لم يهب الحياة أو الانسان اي مجد او نفع او شي طيب . انه في كل تاريخه وتحت جميع ظروفه واسبابه لم يهب او يصنع او يدبر الا الخراب والموت والتشويه والالام والاحزان والاحقاد ، ولن ينتظر ان يفعل غير ذلك ، بل لن يستطيع ان يفعل اي شيء غيره ..

ان البشرية في كل تاريخها لم تصب بخسران لا ربح فيه يساوي الخسران الذي اصابتها به السيوف متخاصمة متعادية ..

ان انبل واتقى واذكى سيف او جندي او قتل او قتال لن يكون الا مداديا أو حاميا من سيف او جندي او قتل او قتال اخر ٠ وان المداوي والحامي والمداوي والمحمي منه لم يهبا او يصنعا اي شيء مفيد للحياة او للبشر او للعدل او التقدم أو الحضارة أو للاديان أو المذاهب ٠٠ ان السيف في كل تاريخه لم يكن ولن يكون الا ضاربا للانسان وللحياة اما بادئا او رادا على سيف اخر قد ضرب بادئا ٠ ان جميع الارباب والانبياء والقادة والشعراء والمعلمين الذين انزلوا السور والاناجيل والتعاليم والاشعار في امتداح السيف كانوا يجهلون ما يصعب جهله ٠

ان اي سيف محارب لن يكون الا عدوانا او دفعا لعدوان يفعله سيف محارب اخر ٠ والعدوان ودفع العدوان محاكمين ومحاسبين ومفسرين معا هل يمكن ان يكون فيهما اي خير او ربح لاية قيمة من قيم الحياة او الانسان ؟ انه ليس الانسان هو الذي اخترع السيف او فكر في اختراعه او احتاج اليه ولكن الذي فعل ذلك هي احقاد وخصومات وحماقات القادة والزعماء والانبياء واللصوص المقسمين للبشر ٠٠

ان البشرية لو لم تبتكر في كل عصورها أي سيف او سلاح أو جيش أو حرب لتتداوى من الشيء بنفسه لما خسرت شيئا بل لربحت شيئا يتخطى كل ما يمكن ان تؤدي اليه نتائج اية عملية حسابية ٠

ولو ان اي قائد او جيش او شعب حمل كل السيوف وحارب كل الحروب وانتصر فيها كلها واذل او قطع كل الرقاب وفتح كل البلاد ، بادئا وغير باديء لما كان بذلك صانعا أو كاسبا أي مجد ما لم يصنعه بوسيلة اخرى ، بوسيلة يصنعها القلم باحد معانيه واساليبه الا بقدر ما يمكن ان تصنع ذلك انياب واظفار الوحش ٠٠ هل يستطيع احد ان يجهل شيئا من ذلك ؟ نعم ان المتنبي يجهل كل ذلك وايضا يجهله كل الالهة والانبياء والشعراء والحكماء الذين صنعوا الايات والمعلقات مروية عن السموات في تمجيد السيوف ٠ ان جاهلية موهبة المتنبي ليست وحدها وليست اعظم الجاهليات ٠ نعم ، انه لعزاء له أن يوجد له اشباه !!!

ان القلم هو رمز العلم والتعلم ٠ والعلم هو وحده الذي يصنع التقدم والحضارة والقوة ٠ وهل يمكن ان يكون مجد بلا تقدم وقوة وحضارة ؟ اذن هل يمكن ان يكون مجد بلا قلم ؟ اذن فالقلم هو كل المجد ٠ بل فالقلم هو الذي يصنع السيف اي يصنع السلاح والقوة ويتقن استعمالهما ٠

اذن لا مجد للسيف ٠٠ اذن كل المجد للقلم ٠٠

ان المتنبي يجهل هذا ٠٠ اذن كم يستحق الرثاء !! ٠ اذن فالذين يرون في المتنبي عبقرية عربية كم يستحقون الاشفاق او كم يستحق الاشفاق الذي عد المتنبي احدى عبقرياتهم وامجادهم !

المجد عند المتنبي هو الطعن والفتك وتضريب الاعناق ٠٠ وهو كذلك الجيوش المغطية للشمس السادة المغلقة للافاق بكثافة اعدادها وبالغبار والاعاصير تثيرها وبالضجيج تطلقه ٠ وهذا الطعن والفتك وتضريب الاعناق ليس في حساب المتنبي

من اجل فكرة او قضية او دين او مذهب او وطنية او حرية بل من اجل نفسه ٠٠

وهو ايضا اي المجد ان تحول الدنيا كلها الى دوي تعاقب به كل الاذان وتهجو به حكمة واخلاق وذكاء الالهة التي دبرت وركبت في الانسان او في اي كائن اخر اذنين سامعتين ٠٠ كانك مجد العبور او كانك اي بتحويلك الدنيا كلها الـى دوي ـ كانك الاجهزة والاصوات العربية المتحدثة عن معجزة العبور وعن امجاده ٠٠ او كانك اصوات القيادات والزعامات والنبوات العربية المتزاحمة المتساقطة في هذه الايام على كل مجتمع ومؤتمر وناد دولي واقليمي ، متحدثة عما في العبور من امجاد الاله وقوته وذكائه وبراعة دهائه وتخطيطه ومن حبه ومحاباته للبداوة والصحراء العربية ، وعما فـي مواجهات العروبة المتعاقبة لعدوهم الصغير الضئيل المجاور ، من معجزات وامجـاد تحولت الى اذلال وتصغير وتحد لكل العالم والتاريخ ولكل ما فيهما من امجـــاد ومعجزات ٠ ٠وطالبة ايضا اي اصوات الزعامات والقيادات والنبوات العربية الرحمة والنجدة والحماية والانقاذ من خطر وعدوان هذا العدو الصغير الضئيل المجاور الذي كسب وصنع وتخلق مجد العبور ومعجزاته من الهجوم والانتصار عليه ، ومن الزحف والعبور اليه ٠٠ هذا العدو الذي وهب العرب مجد عبورهم بعبوره الدائم فوق ذكائهم وكرامتهم وكبريائهم ورؤيتهم لانفسهم وللاشياء ٠٠ كل التهنئة بافضل الحظوظ لعدو نحن كل اعدائه ٠ هل يوجد عدو افضل وانفع منا لاعدائه ؟

لقد كان المتنبي في تفسيره للمجد وفي رؤيته له وفي نماذجه ورؤاه كلها ابا ونبيا عربيا جيدا وشاملا قد ورث بكل الصدق والامانة والالتزام لكل احفاده وابنائه العرب المتعاقبين جميع خصائصه ومواهبه الحزينة ٠٠ وقد جاء احفاده وابناؤه في كل اجيالهم ورثة اوفياء اتقياء في وراثتهم وتمثيلهم لكل ما صب في اصلابهم ودمائهـم العرقية والتاريخية والنفسية والفكرية والاخلاقية والصوتية من معانيه ولا سيما احفاده واجياله الذين اصبحوا هم جيل المواجهة لهذا العدو الصغير النحيل الفقير المجاور ، جيل العبور ٠٠ العبور الذي تحول الى مجد ، او الذي زعم مجدا لن يستطيع كل طب العالم وسحره ورقاه ومعارفه وحضاراته وامجاده واخلاقه ان تشفي من التحدث عنه والاعجاب به ومن التستر به على كل النقائص والعيوب والذنـــوب والهزائم والعاهات ومن تحويله الى غفران لكل شيء والى الهاء عن كل شيء وتعويض عن كل شيء وفقء للعيون عن رؤية اي شيء ٠ حتما لا بد ان يصبح احتياج العرب الى المداواة والشفاء من مجد العبور ومن اناشيده وتفاسيره ، ومن المباهاة والتخويف به ومن التلهي والتعويض والاشتغال به عن كل مجد وعمل عظيم وعن كل حمـــاس لاي شيء اخر ـ نعم ، لا بد ان يصبح ذلك قضية دولية عصبية ٠٠ لقـد جاءت ابوة ونبوة المتنبي للعرب ، لكل العرب ابوة ونبوة لن تخفيا او تتنكرا او تعابا ٠ وجاءت بنوة وتبعية العرب ، كل العرب للمتنبي بنوة وتبعية لن تخفيا او تتنكـرا أو تعابا او تتهما باي تقصير او اهمال او عجز عن الالتزام ٠٠ حتما قد سمعتم ولا تزالون تسمعون ما تقوله كل الافواه والاقلام والاجهزة العربية عن مجد العبور وحرب

اكتوبر ٠ اذن لقد عرفتم صدق وشمول ابوة ونبوة المتنبي لكل العرب في كل تاريخهم ٠٠ فمن الذي يستحق التهنئة بالاخر : الاب النبي ام الابن التابع الوارث ام كلاهما يستحق التهنئة بدرجة واحدة من الحرارة والفرح والصدق ؟ آه لو يمكن ابلاغ المتنبي في عالمه الذي لا يستطاع التخاطب معه رسوخ وخلود وشمول ابوته ونبوته لكل العرب في كل تاريخهم ٠

يقول هذا الاب والنبي للعروبة في كل اجيالها متحدثا عن الروم وعن حروبهم مع العرب وعن فتياتهم أي فتيات الروم :

ونحن في جذل والروم في وجل
والبر في شغل والبحر في خجل
وكلما حلمت عذراء عندهمو
فانما حلمت بالسبي والابل

كان بعض الصوفية يقولون في دعائهم « اللهم افضحنا ولا تسترنا » ويظهر انه لم يقبل من دعاء العرب الا هذا ٠

اي ان جميع احلام جميع نساء الروم انما هي احلام بان الجيوش العربية القهارة الصانعة لمجد العبور لا بد ان تسبيها وان تنقلها على ابلها وجمالها الى خيام الجنود العرب لتكون اماء ومحظيات ومباحات جنسيا لهم ٠٠ ارتجفي خجلا واشمئزازا يا مسامع الكون ٠٠ أليس هذا العواء هو نفس العواء الذي يطلقه جيل العبور تباهيا وتهديدا بمجد عبورهم في هذه الاوقات ؟

اجل ٠٠ لكي نعرف أصالة بنوة وتبعية العرب لابيهم ونبيهم هذا فلنقرأ ونسمع ما تكتبه وتقوله وتذيعه جميع الاجهزة العربية في هذه الاوقات عما فعلته واوقعته وعما سوف تفعله وتوقعه بهذا العدو الضئيل الصغير المجاور المسكين الذي يعاديه ويرفضه ويهجره ويحاصره ويقاطعه ويسبه ويهدده كل العالم لانه اي كل العالم يهب كل حبه واعجابه وايمانه وولائه واخلاصه وصدقه وتصديقه لاخلاق العروبة ولمجدها وتقواها ونكائها وشهامتها وحضارتها وصدقها وحقها ولاعطائها كل القيم لكل العالم ولكل التاريخ في كل العصور ٠٠

ما اوفى واتقى الخصائص والمواهب العربية التاريخية والعرقية في التزامها بالانتقال من الاباء والانبياء الى الابناء والاتباع ، ومن الابناء والاتباع الى الاحفاد واتباع الاتباع ، مخترقة متخطية جميع الحراسات التي تقيمها اقوى الحضارات لتمنع بداوات التاريخ من ان تعبر فوقها او تتسلل في احشائها وثغراتها لتعيش او لتصل الى اي مكان من عالمها وعصرها ٠٠

ان معجزات العرب لكثيرة ٠ ولكن اعظم واشهر هذه المعجزات هي استمرار انتقال انبيائهم وابائهم الى كل ابنائهم واتباعهم بلا اي تبديل او تغيير في كل اجيالهم ٠٠

نعم ، ان قدرة المواهب التاريخية العربية على عصيان الحضارة وعلى اختراق حراساتها اعظم من قدرة الحضارة على اختراق هذه المواهب العربية التاريخية وعلى منعها من العدوان على عصرها وعالمها ومن تشويهها اي تشويه الحضارة بمعاصرتها ومعايشتها وبالتكلم بشعاراتها ولغاتها وبادعائها بل وبالتطاول عليها بكل تفاسير واساليب الكبرياء البدوية . هل توجد قدرة على عصيان الحضارة وعصيان جميع املاءاتها واغراءاتها مثل هذه القدرة التي جعلت روح المتنبي البدوية تنتقل في جميع الاجيال العربية حتى تصل الى جيل العبور لتعبر عن نفسها بكل هذه القوة حتى لكانها لم تقاس اية مقاساة من الارتحال والزحام والاقتحام الطويل ، الطويل ومن عنف عصيانها لكل ضغوط واوامر جميع الحضارات ، مصرة على الاستمساك بكل مواهبها البدوية ؟

ان المتنبي ليبدو ولو احيانا اضحوكة أليمة وسخفا يعجز كل سخف عن تحمله.. هل يستطيع اي سخف ان يتحمل او يغفر هذا السخف الذي يجعل المتنبي يؤمل ويطلب ـ باستجداء عجيب ان يتصدق عليه كافور او ابن العميد فيجعل منه ملكا او قيصرا او اميرا او واليا او قائدا يملك البلاد والشعوب والجيوش والضياع ؟

انه يؤمل ويرجو ويسأل ان ينصب فوق العرش هبة وصدقة او بثمن هو قصيدة او عدة قصائد او أبيات من الشعر المثير في كذبه وهوانه ووقاحته لسخرية الحشرات لو استمعت اليه وفهمت تفاسيره وحوافزه ونياته .. شاعر يسال ويرجو ممدوحيه الذين سرقوا السلطان ان يجعلوه سلطانا اما بالتنازل او بالاقتسام . استروا ايها العرب امجاد تاريخكم او انكروها . نعم ، انكروها ..

يقول في اولى قصائده لكافور :

وليس كثيرا ان يزورك راجل
فيرجع ملكا للعراقين واليا
اذا كسب الناس المعالي بالندى
فانك تعطي في نداك المعاليا
وقد تهب الجيش الذي جاء غازيا
لسائلك الفرد الذي جاء عافيا

ويقول له في قصيدة اخرى :

ابا المسك هل في الكأس فضل أناله
فاني اغني منذ حين وتشرب
فان لم تنط بي ضيعة او ولاية
فجودك يكسوني وفضلك ارحب

وفي قصيدة ثالثة يقول بعد ان شك في ان يصبح صاحب عرش بالسؤال والهبة جزاء على مديح لن تقبله الحشرات ثمنا لاي شيء من اخلاقها او عطائها او نظافتها او من كبريائها بل أو من اعجابها :

أقمـــت بـأرض مصـر فـــلا ورائـــي
تخـــب بـــي الركـــاب ولا امامـــي

ويقول منشدا ابن العميـد :

ان لـــم تغثنـــي خيلـــه ورجالـــه
فمتـــى اقـــود الـــى الاعـــادي عسكـــرا

انها لقمة السذاجة او البلاهة او السفاهة ان ينتقل من كونه مستغيثا مغاثا الى كونه صاحب جيوش يقودها الى الاعداء ٠ ان المسافة الواسعة بلا حدود بين كون المرء العادي طالبا الاغاثة ومغاثا وبين كونه صاحب جيوش يغزو ويفتتح بها الديار والشعوب ويقهر بها الاعداء ٠٠

كيف عجزت عين المتنبي وخياله وفكره عن رؤية وتصور هذه هذه المسافة ؟ هل كان المتنبي بلا اية اعضاء او حواس أو اجهزة انسانية رائية أو مفكرة أو شاعرة او متصورة أو محاسبة محاكمة ؟ هل كان فقط عضوا واحدا ، عضوا ناطقا مصوتا ؟

ان هذا يساوي ان يقول اي انسان عادي او أي شاعر او كاتب مداح من هؤلاء المداحين المعاصرين : ان لم انقذ من هذا المرض او الازمة او الورطة او المشكلـــة أو التهمة او المطاردة أو البطالة أو السجن، أو أن لم اعط كذا دولارا أو دينارا، أو ان لم اعط طعامي وملابسي ومسكني فلن اضبح ملكا او امبراطورا أو قائدا أو زعيمـــا او حاكما أو نبيا ، أو متى أصبح كذلك حينئذ ، او كيف اصبح ٠٠

شيء اكثر من مذهل في بلاهته وفي قبح صياغته العقلية والنفسية واللغويـة والشعرية ٠٠ هل هم كثيرون اولئك الذين يرون اية مسافة عقلية او زمانية او مكانية أو تاريخية أو واقعية بين الاشياء وأن كل المسافات تساوي ارادتهم لا رؤيتهم ؟

اما اعطاء الجيش الذي جاء غازيا ا يبعد استسلامه للسائل الذي جاء عافيـا او حافيا اي طالبا العطاء او الرفد فهذا لا بد ان يصبح هجاء لكل جنون لو حسب وزعم جنونا ان جميع المجانين قد يرفضون حينئذ ان يصبحوا أو يعدوا او يظلوا مجانين اي مخافة انيحسب جنونهم من نوع هذا الجنون ٠ انه لو كان هذا شعرا لما كان هناك ذم مثل ان يقال لاي انسان : هذا شاعر ، ولو كان امتداحا لما كـان هناك احتقار او هجاء يساوي ان يقال : هذا مادح او مديح او هذا ممدوح ٠ اي مجتمع هذا المجتمع الذي يقال فيه وله مثل هذا ؟ لم يوجد في كل التاريخ الانساني احد يتمنى او يتوقع ، او تمنى او توقع او تقبل او عقل او تصور وجود مثل هـذا الانسان الذي يهب الجيش الغازي المقهور لانسان او لشاعر سخيف كذاب جـــاء مستوهبا ٠ انه لشيء لم يفعله احد ولم يتمن او يتوقع احد ان يفعله احد فـي اية نوبة من نوبات التاريخ البائس ٠

أما تصور هذا أو احتسابه مديحا وشعرا فانه يعني انه لا يوجد حد ادنـــى

لهبوط جميع مستويات الانسان العربي تحت مستويات وصيغ الجنون والافتضاح كلهـــا ...

نعم ، انه لا يوجد حد ادنى لهبوط الانسان العربي تحت جميع المهابط العقليــة والنفسية والاخلاقية ، المتصورة والمتوقعة ، تحت اتعس الظروف والاحتمالات ..

شاعر يعده العرب سلطان ونبي مجدهم الشعري والفني والعقلي في كل اجيال تاريخهم ، يمدح اميرا بانه يهب جيوش الاعداء المستسلمة له بعد هزيمتها لفـرد جاء اليه طالبا منه العطاء !!

قبيح هذا المادح وهذا الممدوح وهذا المديح .. قبيح ، قبيح . وقبيحة هـــي السوق التي يعرض فيها مثل هذا ..

هل يمكن ان يفسر العرب تفسيرا يحقرهم ويسخر منهم مثل ان يوجـــد فيهم او ينسب اليهم مثل هذا الشاعر الذي يمدح بمثل هذا ، مزعوما اي هذا الشاعر قمة مواهبهم الشعرية والفنية والفكرية ؟

ان تاريخا أو مجتمعا يوجد او يولد فيه من يقول هذا او من يقال فيه هذا او من يقرأ او يسمع هذا بتمجيد او رضا لهو تاريخ أو مجتمع لن تستطيع النجوم ان تكرر النظر اليه .

***

ما هي الموهبة الفنية او الشعرية او الفكرية ، وما هي قمة البلاغة والابداع ؟ وايضا ما هي النبوة ودلالاتها ومعجزاتها وصدقها وانتصارها وقوتهـا ؟ وما هـــي التقوى والقداسة والعظمة ؟ وما هي الوطنية والقومية والشجاعة والصدق والفداء والاخلاص ؟

كل الناس يتحدثون عن ذلك ويدعونه ويصفون به ويمجدونه ويحسبون انهـــم يعرفونه . فما هـــو ؟

قليلون جدا هم الذين لا يدعون ويعتقدون انهم يعرفون ما يقولون وما يتحدثون عنه ويؤمنون به وما يفعلونه . ولكن كم هم الذين يعرفون ؟

المتنبي يرى ان ذلك اي تكامل الموهبة الفنية والشعرية والبلاغية بل والفكرية والبطولية القتالية في عنف المناقضة للصدق والذكاء والوقار ، اي يراه في الافتضاح جدا في مخالفة الواقع والحقيقة والمعقول والتهذيب وفي الخروج على كل ذلك ، باقسى واوقح واغبى اساليب الخروج . انه لا يعني بشيء من ذلك غير هذه المناقضة بكل العنف والافتضاح .

والمتنبي هو النموذج الشامل الحاد لقومه العرب بل النموذج الدائم لهـــم ، كما تكرر ذلك كثيرا . ولا بد من الاعتذار عن التكرار . والتكرار لا يستطاع الامتناع او الاستغناء عنه الا بقدر ما يستطاع ذلك عن تكرار الرؤية او الحاجة او الموقــف او التصور او الرفض أو الغضب او الانشاد للاغنية الواحدة او الاشمئزاز مـــن المنظر او الشيء الواحد القبيح ..

اذن فالمتنبي ، وكذا كل انسان عربي في نموذجه الاصيل الحقيقي يرى ان الشاعر او النبي او القديس او التقي او الوطني او القومي او الزعيم او القائد العظيم العبقري هو الذي يناقض بكل الفحش ، الواقع والحقيقة والتهذيب والتسامح والتواضع والعدل والاتزان ، بالرؤية والتعبير والادعاء والشعور والمباهاة والتحدي والتعصب والغرور والوقاحة والتطاول والنذالة . ان العنف والافتضاح في هذه المناقضة هو كل الشروط الفنية والفكرية والاخلاقية والدينية والاعجازية لكي يكون الانسان المعروض في السوق العربية نبيا او شاعرا او مفكرا او قديسا او زعيما عربيا عظيما ، عظيما ..

لهذا فالنبي العربي يكون نبيا صادقا عظيما منتصرا بقدر ما يناقض هذه المناقضة بكل هذه الاساليب البذيئة ، وكذلك يكون الكتاب المقدس العربي ويكون الدين والمؤمن والحاكم والزعيم والقائد والشاعر والمفكر والكاتب العربي ، اي بقدر ما يكون عنيفا ومفضوحا في هذه المناقضة بكل اساليبها هذه يكون جامعا لكل الشروط المطلوبة والمثالية في منطق السوق العربية ومنطق من يحكمون ويقودون ويعلمون السوق العربية ..

نعم ، ان هذه المناقضة بكل اساليبها هذه هي كل معجزات ونبوات وعبقريات ومواهب وعظمة وقيمة وقوة وشاعرية جميع الانبياء والزعماء والقادة والحكام والشعراء والكتاب العرب وجميع الاديان والكتب المقدسة العربية ، وكل شروطهم وشروطها. اطرح نفسك في السوق العربية بصيغة نبي او شاعر او مفكر او قديس او زعيم بلا اي قدر من الاتزان او الرؤية او الحياء تكن ذلك بكل مجده وشروطه .

انه لا فرق بين اي نبي عربي واي شاعر عربي في ان هذه هي كل معجزته وعبقريته وصدقه وتفوقه .. اي ان يكون مناقضا بكل العنف والضجيج لكل الصدق والاتزان والوقار والذكاء والمنطق والرؤية والتهذيب .

هذه حقيقة كبيرة وأليمة جدا ، صعب ألا تراها كل عين لم تصب بالعمى الشامل . ولكن احدا من النقاد العرب لم يرها او رأوها رؤية عربية لا حضارية . والفرق بين الرؤية العربية والرؤية الحضارية ليس اقل من الفرق بين رؤية النبوة العربية ورؤية الاجهزة العلمية او ليس اقل من الفرق بين العمامة العربية او الجبة العربية وبين المركبة الكونية في علمانيتهما ومزاياهما الحضارية والانسانية .

ان النقاد العرب مصابون بكل انواع العمى الكامل .. ان عيونهم ليست عيونا بل جثث ومقابر عيون . ان الناس لا يرون بعيونهم ولكن بالانسان الذي يسكن داخل عيونهم او تسكنه عيونهم .

الناس ، اي في مستواهم الجيد يرون بعيونهم وعقولهم واخلاقهم ومشاعرهم وباشتراطاتهم ومطامحهم . والنقاد العرب فاقدون للرؤية بكل ذلك . انهم لا يرون الا بآذانهم وافواههم وتاريخهم وروراياتهم وتعاليمهم وباقدامهم المتتابعة على الخطوة

الاولى الواحدة · انهم مختصرون جدا ، لا يتألفون من آفاق واعماق وابعاد متفاوتة كما يتألف الاخرون · انهم امتداد فقط ، امتداد مكاني لا حضاري ولا انساني بل ولا امتداد زماني · هم فقط خطوات مكانية بعضها وراء بعض وليسوا خطوات بعضها فوق بعض او اوسع من بعض او مناقضا لبعض ··

***

نعم ، ان التهويل والمبالغة بلا فن او ذكاء او وقار او شيء من الموهبة او الاستتار هما كل القضية بل هما كل الفن والذكاء والقوة والموهبة في اخلاق وتفاسير وحسابات السوق والتاريخ العربيين ·· التهويل والمبالغة في المدح والهجاء والقبول والرفض وفي الاقتناع والاقتناع المضاد ، وفي الحب والبغض والاعجاب والانكار والتصديق والتكذيب ، وفي تمجيد النفس وتمجيد كل اشيائها من الهة وانبياء واباء وتاريخ واديان وعبقريات وانتصارات وبطولات ·· وفي تحقير الاخرين والاعداء وتحقير كل ما عندهم ولهم وما كان لهم وعندهم وكل ما يدعون ويحترمون ويتبعون وكل ما به يؤمنون ·· كل ماضيهم ومستقبلهم ·· بكل النزق والتعصب والعجز عن الرؤية والمحاسبة ، بل بكل الرفض للرؤية والمحاسبة · نعم ، كأنهم يجدون في التهويل والمبالغة تعويضا عن عجزهم في كل ما يطلب وينتظر منهم فيه القوة ··

فالالوهية والدين والنبوة والشاعرية والموهبة الفنية والفكرية والوطنية والقومية وكل اساليب القوة والتفوق والمجد والنضال ـ كل ذلك عند الانسان العربي ليس شيئا غير هذه المبالغة وهذا التهويل ، في كل هذه المجالات والتعبيرات والموضوعات والصيغ ·· بكل الخروج على كل شروط وحدود وتفاسير الفن والذكاء والوقار والاستتار والحياء والعدل والصدق والرؤية والمحاسبة للنفس او لاي شيء اخر ··

هل من القوانين المحتومة في منطق الاشياء ان الانسان بقدر ما يكون عاجزا في موهبته وقدرته يكون مهولا في لغته وبلاغته ومخاطبته ؟

نعم ، هل يمكن ان توجد او ان يتصور اي انسان عربي اية الوهية او نبوة او دين او زعامة او وطنية او قومية او شاعرية او اية موهبة فنية بدون هذه المبالغة وهذا التهويل بكل اوصافهما هذه التي ذكر بعضها في السطور السابقة ؟ ان موهبة التهويل والمبالغة قد حولت العرب الى سخرية والى استهزاء بكل ما يقولون والى نفي له · أليس محتوما ان تتحول احاديثهم ء نمجد « العبور » الى تحقير او تكذيب لكل ما يزعمونه من امجاد لهم ماضية ، وان تتحول احاديثهم عن عبقريات زعاماتهم وقياداتهم الحاضرة الى تشكيك في عبقريات نبواتهم السابقة بل الى استهزاء بمعجزات تلك النبوات ؟

***

لقد وصف المتنبي ضموره البدني · والمتنبي كما تكرر كثيرا هو النموذج الحاد المدوي الشامل الدائم للانسان العربي في كل تاريخه ، من عصر اصحاب المعلقات الى عصر جيل العبور وعصر المتحدثين عن أمجاد هذا « العبور » من قادة ومفكرين

وشعراء وفنانين وطبالين من كل الانواع والاحجام ٠٠ الى عصر التمجيد لانتصارات الجيوش التي عبرت لكي تكون احتياجها الى ان تنقذ مشكلة ونضالا دوليين ٠٠ ليكون انقاذها من عبورها هو امجد انتصاراتها ٠٠٠

يقول هذا الصوت العربي الاصيل في قبحه ووقاحة تفاسيره :

كفـــى بجسمـــي نحـــولا انتـــي رجــــــل
لـــولا مخاطبتـــي ايـــــاك لـــم ترنـــي

—*—

ولـــو قلـــم القيــــت فـــي شـــق راســــه
مـــن السقـم مـــا غيـــرت مـن خـط كاتــــب

مذهل في سذاجته البلاغية والفنية ٠ محزن في قيمة ومستوى بلاغة مبالغته ٠٠

اليس هذا اكثر سذاجة فنية وشاعرية ووصفية من ان يقول قائل يصـف نحوله : انني لو لبست جميع اجساد وثياب ابائي في كل اجيالهم ، ثم ولدت وعشت ومت بكل الامي وصراخي وعاهاتي وذنوبي وتلوثاتي واحزاني في ضميـر وامعاء وحلقوم واقدام وعيني واذني نملة لما رأتني او سمعتني او وجدتني او لعنتني او شعرت او تالمت بي ، ولما حاكمتني او طالبت باخراجي ، لدى اية هيئة قضائية محلية او دولية او نملية او عربية ، لان نحالتي تجعلني غير موجود ٠ تجعـل النملة غير عالمة بوجودي فيها ؟ ٠ اي جمال او فن في أن تقول ان ذاتي لو ضوعفت الاف المرات ثم دست في قلب ذرة او نملة لما احست او علمت بي نبضاته لنحولي ؟

او ان يقول قائل اخر : اني ضئيل البدن حتى اني لا اخشى او استحيي من ان اتعرى في عيني الاله او ان اغوص فيهما اي في عيني الاله بكل اثامي وتشوهاتـي الاخلاقية لاني مطمئن الى انه لن يستطيع رؤيتي لنحافتي ؟ اني معجز لعيني الالـه الوقحتين في حدتهما وفضولهما عن أن تريناني ٠٠

ان الكون كله لو تحول الى طاقة ابصار في عيني الاله لما استطاع ان يراني حتى ولو وضعت تحت كل ما في الكون من اضواء ومجاهر مكبرة ٠٠

او ان يقول اخر : ان ملائكة الاحصاء والتسجيل على البشر لن تستطيع ان تحصى على اي شيء لاني لدقتي لا بد ان اخفي على تحديق عيونها وضميرهـا ووحشيتها وعلى رغبتها الرهيبة في الافتراس ؟

اليست امثال هذه الاقوال المبالغة البليغة في سذاجتها اقرب الى الجمال الفني والشعري والفكري بل والبلاغي مما قاله المتنبي واصفا نحافته ؟ بل هل تقبل الموازنة بين هـذا وهـذا ؟

هل في اي شيء من هذا اي قدر من الجمال الفني او الشعري او الفكري او حتى البلاغي ؟ هل في شيء من ذلك اي تعقيد فني ؟ هل يكون جمال فني بدون تعقيد فني ؟ هل الجمال في كل نماذجه الا تعقيد ، تعقيد ذاتي او فني ؟

أليس هذا فقط اسلوبا ساذجا من التهويل والمبالغة اللفظية ؟ هل فيه غير المبالغة اللفظية أو الصوتية حتى ولو اي قدر من المبالغة النفسية أو العاطفية أو الانفعالية ؟

حتى المبالغة الشعورية او الخيالية لا يستطيع مثل هذا الاسلوب ان يصل اليها · انه لن يحرك او يغير الشعور او الخيال · واقل ما لا بد ان يهبه الفن او الشعر ان يصنع هذا التحريك والتغيير للشعور والخيال والكلام الذي لا يفعل ذلك لا يجوز ان يحسب فنا او شعرا بل او كلاما ، وانما هو سعال او تثاؤب او صفير او قرع بالاظافر على الاسنان ، او محادثة ومشاتمة بالايدي للرياح · أليس كثير من الكلام تخاطبا فقط مع الالفاظ دون أن يكون فيه اي تخاطب مع الفكر أو القلب أو الضمير أو الارادة او التصور أو النية ومع من يكون عنه أو فيه او معه الكلام ؟ ··

انه ليس فنا او شعرا او حتى كلاما : اي كلام لا يصنع اية ايحاءات او تصورات او انفعالات او صور جديدة ، نفسية او خيالية او فكرية · اليس تصويت اي طائر او حيوان قد يصنع من التصورات والايحاءات النفسية او الفكرية او الشعرية او الجمالية اكثر مما يستطيع ان يصنع شيئا من ذلك اكثر الكلام او الشعر العربي ؟

هل يمكن ان يصنع شيئا من ذلك قولك: انا نحيل حتى انك لن تراني لو لم اكلمك، او حتى ان القلم لن يقاسي لو القيت في شقه او في سنه او في حرفه ؟ ان اكثر ما يحسب اعجازا شعريا او فنيا او تعليميا او فكريا او دينيا او سماويا لا يساوي في تفاسيره الشعرية او الفنية او الفكرية او الدينية او الاخلاقية او الانسانية السعال او الصفير أو التثاؤب أو قرع الاسنان بالاظفار أو مشاتمة ومحادثة الرياح بالايدي ·

**

أما نماذجه في الموضوعات الاخرى فالويل لقارئها وسامعها وكاتبها من الغثيان الفني والروحي والفكري والاخلاقي بل ومن الغثيان القومي والتاريخي ، اي من الغثيان الذي لا بد ان يصيب قارئها وسامعها وكاتبها خجلا من اجل قومه وتاريخه ، ورثاء لهما ، لانهما اي قومه وتاريخه يلدان ويعايشان من يفرز مثل هذا الهراء بل الوباء ·

يقول مادحا :

لو استطعت ركبت الناس كلهمو
الى سعيد بن عبدالله بعرانا

—*—

خير اعضائنا الرؤوس ولكن
فضلتها بقصدك الاقدام
هابك الليل والنهار فلو
تنهاهما لم تجز بك الايام

—*—

فخذا ماء رجله وانضحا
في المدن تأمن بوائق الزلزال

فبقيات طينه لاقت الماء
فصارت عذوبة في الزلال

—*—

لو حل خاطره في مقعد لمشى
او جاهل لصحا أو اخرس نطقا

—*—

ولو يممتهم في الحشر تجدو
لاعطوك الذي صلوا وصاموا

—*—

اخلت مواهبك الاسواق من صنع
اغني نداك عن الاعمال والمهن

موتي ايتها الاذان والعيون لئلا تسمعي او تقرئي ما يقوله فارس الصهيل العربي ٠٠

انه يقول انك بهباتك قد اغنيت كل الناس فاستغنوا عن كل عمل ومهنة وصنعة ، فلم يبق في الاسواق صانع او عامل واحد ٠٠ ومن اين يهب اذا لم يوجد من يعملون وينتجون ليسرقهم ، ليهب مما يسرق ؟ اين عقل المتنبي ؟

لقد كان من الصعب جدا ، التصور أن اي انسان يستطيع ان يهبط الى مثل هذا السخف في التفكير او الخيال او حتى في القول ولو سخرية ٠٠ اي قوم هم القوم الذين يوجد فيهم من يجرؤ على ان يقول مثل هذا او يستطيع قوله ؟

ويقول :

لو كان علمك بالاله مقسما
في الناس ما بعث الاله رسولا
لو كان لفظك فيهمو ما
انزل الفرقان والتوراة والانجيلا
لو كان ما تعطيهمو من قبل ان
تعطيهمو لم يعرفوا التأميلا

انه لحق من حقوق الخرس والصمم ان يقولا ويصدقا : انه لافضل لاي مجتمع ان يكون كل من فيه اخرس اصم ان كان محتملا ان يتخلق فيه من يستطيع ان يقول مثل هذا أو من يستطيع ان يسمعه او يستمع اليه ، او لئلا يتخلق فيه من يقولونه او يسمعونه او يقرؤونه ٠٠

بل ان هذه الاقوال وامثالها كثير قد تحول الخرس والصمم الشاملين العالميين الى مزيتين لا الى عاهتين او نكبتين ، تحولهما الى تمجيد وحماية لذكاء الانسان ولكرامته وحيائه لا الى تحقير او تصغير او تعذيب او حرمان له او الى اعتداء عليه

او الى تشويه لكينونته ‥ ان هذه الاقوال قد تتحول الى هجاء لذكاء الاله ولرحمته او لشهامته لانه قد خلق الاذان والافواه التي تقول وتسمع مثل هذا ٠

اذن اليس مجدا للعرب ان تحولت مواهبهم الشعرية والفنية والانسانية والاخلاقية الى ثناء على الخرس والصمم والى تمجيد لهما ، وان تحولت ايضا الى نقد لمواهب الاله واخلاقه ؟ اليس نقد الاله وتصغيره بالسلوك تفوقا عليه ؟

اذن اليست معالجة اي انسان عربي مصاب بالخرس او بالصمم عدوانا عليه وتشويها له ، وعدوانا على القيم الفكرية والثقافية والاخلاقية والحضارية وتشويها لها ؟ اليس كل طبيب يداوي الخرس والصمم ويشفي منهما في العالم العربي اي لو وجد مثل هذا الطبيب الشافي لا بد ان يكون صانعا للضرر والفضح والتشويه والتعذيب ؟

اليس انفع وانبل واتقى خرس هو خرس الهة العروبة وانبيائها وقادتها وزعمائها وشعرائها ومفكريها وفنانيها ؟ أليس من اعظم الابتكارات ان يستطاع ابتكار عقار او عاهة تصيبهم بالخرس الدائم الكامل ؟

أليس خرس هؤلاء هو اعظم مزاياهم بل كل مزاياهم ؟

اذن هل يستطيع العلم ان يصنع للعرب هذه المزايا التي هي كل مزاياهم لكي يصبحوا اصحاب مزايا جيدة ؟ هل يستطيع اي اصحاب مزايا ان ينافسوا بكل مزاياهم مزية الخرس التي يصاب بها اي اله او نبي او شاعر او مفكر او كاتب او قائد او زعيم عربي ، اي لو اصيب بها ؟ اذن اليس عملا وطنيا واخلاقيا وانسانيا بل وتمجيدا للعروبة ان يحمي كل العرب ممن يداوون الخرس والصمم وان يعتقل جميع اطباء الخرس والصمم ان لم يكفوا عن عملهم ؟ أليس هذا اقل ما يقنع به الاستماع الى مدائح المتنبي الذي هو النموذج الدائم الشامل الحاد للموهبة العربية بكل موضوعاتها وتعبيراتها ؟

أليس الاستماع الى هذه المدائح يتحول الى غفران لتكرار الثناء على الخرس الذي يصاب به الانسان العربي ولا سيما الانسان العربي المنصب نفسه نبيا أو شاعرا او مفكرا او كاتبا او قائدا او زعيما ؟ لقد كررت الثناء على الخرس والصمم يصيبان الانسان العربي او يصيبان الوهياته ونبواته وقياداته وعبقرياته اي ما يعده ويحسبه عبقرياته ‥

واني لاجرؤ على ان اغفر لنفسي هذا التكرار بل لن استطيع ان اغفر لها لو لم تفعله ٠

وهل يستطيع الا يكرر بل الا يرتل كل اوقاته ، كل الثناء على كل انواع الخرس والصمم ، من يقرأ او يسمع او يتذكر ، بتحفز ورؤية ومحاسبة ومساءلة ، شيئا من التراث العربي الخالد ، او شيئا مما تقوله او تذيعه او تكتبه المواهب العربية المعاصرة ؟ هل يمكن ان يكون انسانا حيا من يقرأ او يسمع او يتذكر شيئا من ذلك ثم لا يظل كل اوقاته يرتل هذا الثناء على الخرس والصمم ؟ ان اي عربي يقرأ او

يسمع او يحفظ شيئا من امجاده الثقافية والفنية والعقلية ثم لا يظل كل اوقاته يثني على الخرس والصمم يصيبان كل الوهيات ونبوات وقيادات وعبقريات العروبة القديمة والمعاصرة فلا بد ان يتهم بذكائه ورؤيته وعقله او بانسانيته او بقوميته ووطنيته ، او فلن يكون معافى او سويا او جيدا في كل ذلك ٠ انه لا بد ان يكون انسانا قد ماتت فيه كل تفاسير الانسان وتعبيراته ٠

انه حينئذ لن يكون الا ثياب انسان او جثة انسان او اعضاء انسان ٠ انه مهما كان نص او حروف او لغة انسان فلن يكون تفسير انسان ٠ اليس اكثر البشر هم نصوص وحروف ولغات بشر دون ان يكون فيهم اي شيء من تفاسير البشر ؟

***

ولكن كيف يرى اي المتنبي نفسه او كيف يتحدث عنها ؟

انها لمغامرة غير سعيدة ان تحدق في رؤيته لنفسه او في نفسه التي تحدثت عن نفسه او حين تحدثه عنها ٠

قبل ان تسمع او تقرأ شيئا من ذلك يجب ان تعلم او تهب عينيك واذنيك وذكاءك ووقارك وحياءك ورثاءك شيئا من الصبر والتحمل ومن موهبة الاعتذار والغفران والقدرة على مواجهة الانفجاع والارتياع ٠٠ حاول قبل ذلك ان تكون قدرتك بلا حدود على استقبال اردأ او افحش الحماقات والنذالات والامتضاح ٠٠

ضاق ذرعا بان اضيق به ذرعا
زمانـي واستكرمتني الكرام
واقفا تحت اخمصي قدر نفسي
واقفا تحت اخمصي الانام
اقرارا ألذ فوق شرار
ومراما ابغي وظلمي يرام
دون ان يشرق الحجاز ونجد
والعراقان بالقنا والشام

—*—

ما نال اهل الجاهلية كلهم
شعري ٠ ولا سمعت بسحري بابل

—*—

ابدو فيسجد من بالسوء يذكرني
فلا اعاتبه صفحا واهوانا

—*—

تغرب لا مستعظما غير نفسه
ولا قابلا الا لخالقه حكما

ولا سالكـا الا فـؤاد عجاجـة
ولا واجـدا الا لمكرمـة طعمـا
يقولـون لـي مـا انـت فـي كـل بلـدة
ومـا تبتغـي ٠٠ مـا ابتغـي جـل ان يسمـى
كـأن بنيهـم عالمـون باننـي
جلـوب اليهـم مـن معادنـه اليتمـا
وانـي لمـن قـوم كـأن نفوسهـم
بهـا انـف ان تسكـن اللحـم والعظمـا

—*—

ودهـر ناسـه نـاس صغـار
وان كانـت لهـم جثـث ضخـام
ومـا انـا منهمـو بالعيش فيهـم
ولكـن معـدن الذهـب الرغـام

—*—

ومـا الدهـر الا مـن رواة قصائـدي
اذا قلـت شعـرا اصبـح الدهـر منشـدا
ودع كـل قـول غيـر قولـي فانني
انـا الطائـر المحكـي والاخـر الصـدى

—*—

انـا فـي امـة تداركهـا اللـه
غريـب كصالـح فـي تمـود

—*—

اي محـل ارتقـي اي عظيـم اتقـي
وكـل مـا قـد خلـق اللـه ومـا لـم يخلـق
محتقـر فـي همتـي كشعـرة فـي مفرقـي

للجماعات الصوفية في الاسلام بل وفي اديان اخرى تاريخ طويل وشهير ولكنه لم يكن مجيدا او جميلا او حتى تقيا ٠٠

لا يتفوق المتصوفة على غيرهم اي نوع من انواع التفوق ٠٠ حتى التفوق الديني أو الروحي أو الاخلاقي أو الانساني لم يكونوا يتفوقونه٠ انهم لم يكونوا اكثر خوفا من الله او حبا او طاعة او احتراما له او رؤية لجماله او احساسا بجماله او اقتناعا بوجوده او بفائدة وجوده ، بفائدة وجوده له هو او لاحد سواه ، بل او استحياء لضعفه او تعذبا لعذابه انهم لم يكونوا يعرفون اكثر من غيرهم ان لوجود الاله اي نفع او خير له او لاي كائن اخر ٠٠

لقد كانت كل مزاياهم او رذائلهم اختراقهم بكل الجرأة لكل اسوار وحـدود وقيود وشروط المعقول والواقع والممكن والمقبول والصدق والذكاء والرؤية للنفـس

وللاشياء ‥ اختراق كل ذلك ومناقضته بالزعم والادعاء بل وبالتعاليم ٠ انهم يستطيعون قولا ان يكونوا اي شيء وكل شيء دون ان يكونوا مخطئين او كاذبين أو مجانين ان جنونهم هو كل مجدهم وتقواهم وعقلهم ٠

انهم يعايشون الله ويساكنونه ويعلمونه وينصحونه بل ويأمرونه ويريدون له ويشيرون عليه ، ويحكمون الكون ويصوغونه ، ويغرقون البحار والمدن ، ويصنعون الزلازل والبراكين والقحط والخصب والاعاصير ، ويوقعون بالشمس والقمر الخسوف والكسوف ، ويحيون الموتى ويشفون المرضى ويزيلون العاهات والتشوهات بلمس ايديهم ووضعها عليها وبقراءة الايات والدعوات والرقي وبكتابة التمائم ‥

انهم لينصرون الجيوش التي يريدون نصرها بل يصنعونها ويحضرونها ويسلحونها من خفقات تقواهم وهمهمات صلواتهم وهمسات ضمائرهم ‥ وانهم ليقهرون الجيوش وكل الاعداء الذين يريدون قهرهم دون ان يصنعوا او يحملوا أو يلمسوا او يروا سيفا ‥ ان كل قوانين الكون وعضلاته ، وكل رضا الالهة وغضبها وحبها وبغضائها ، وكل الملائكة والابالسة ـ ان كل هؤلاء وهذه بعض جنودهم وقواتهم ‥ وانهم ليبصقون فتتخلق من بصقاتهم الشموس والنجوم وتتقاطر منها البحار والانهار لتكون بحارا وانهارا ‥

انهم ليفعلون ويدعون ويعلنون كل ذلك بالارادة والكلمة والامر وبالرؤيا المنامية ٠ انهم ليخيطون جراح النجوم ويجرحون ويخترقون اجساد السحاب لتنزل امطارها ، باظافرهم التي لا تتنظف مهما توضأت وصلت ‥

ان كل الاحداث والأشياء والواقع والحقائق لا تساوي او تعني الا ارادتهم ورؤيتهم لها وحديثهم واعلانهم عنها ومواقفهم منها ٠ انهم مبالغة في الخروج على منطق واخلاق الطبيعة والحياة والناس اي بادعائهم وافتضاحهم لا بقدرتهم او نياتهم او خيالهم أو تمنياتهم ٠ ان كل مزيتهم وعبقريتهم ان يخرجوا بعيدا ، بعيدا منانفسهم ومنالواقع والمعقول والمقبول والممكن ثم يقولوا ويدعوا بقدر ما يتسع للفراغ والظلام والضلال الذي لا يعيش فيه شيء من الواقع أو الممكن او المعقول أو المقبول او الحق او الصدق أو الجمال أو الذكاء أو من حياتهم أو قدرتهم أو ارادتهم أو حتى من حماسهم واهتمامهم واشواقهم ‥

وكم يتسع هذا الفراغ والظلام والضلال ؟ نعم ، كم يتسع الفضاء لمن يريد بلا اي قيد ان يكون مجنونا وسخيفا ومفضوحا دون ان يموت الكون او ينتحر اشمئزازا منه او رثاء له ؟

اذن أليست جميع النماذج العربية هي نماذج صوفية بهذه التفاسير الصادقة للصوفية ؟ انها لا توجد في نماذج العرب نماذج انسانية او حضارية أو فنية او شعرية او فكرية او ثقافية او قيادية او عسكرية حربية ٠ ان جميع نماذجهم نماذج صوفيـة ‥

ان المتنبي شاعر صوفي وليس شاعرا شاعرا أو شاعرا فنانا ٠ اي ان شاعريته لا تساوي الا ما تساويه صوفية المتصوف كما فسرت في الكلمات السابقة ٠ وكذلك جميع الشعراء العرب ، هم شعراء صوفية لا شعراء شعراء ولا شعراء فنانون ٠٠

اي انهم صيغ ولغات شعرية وصوفية بلا شاعرية وبلا صوفية اي بلا تقوى او فن ٠٠

وكذلك ايضا جميع الهة العرب وانبيائهم وزعمائهم وقادتهم ومفكريهم وفنانيهم ، اي هم الهة وانبياء وزعماء وقلدة وفنانون ومفكرون بالتفاسير التي فسر بها الصوفية لا بالتفاسير التي يفسر بها الالهة والانبياء والزعماء والقادة والفنانون والمفكرون ٠٠

اي انهم الهة وانبياء وزعماء وقادة وفنانون ومفكرون صادقون وجيدون ومعجزون ، في رؤيتهم لانفسهم ورؤية مجتمعاتهم وقومهم لهم ، بقدر ما يجيئون مناقضين بكل العنف والفحش والافتضاح للمعقول والمقبول والحياء والذكاء والصدق والتهذيب وللواقع والممكن والجمال والمنطق بكل اساليبهما وصيغهما وشروطهما ، اي بقدر ما يكونون خارجين على كل تفاسير الالهة والانبياء والزعماء والقادة والفنانين والمفكرين التي يحاكمهم ويفسرهم ويراهم بها ويشترطها فيهم جميع المتحضرين ٠ ان العربي لكي يكون الشيء المزعوم او المدعى او المطلوب ليجب عليه ان تكون جميع صفاته نقيض صفات ذلك الشيء ٠

لنقرأ كل ما قاله في كل التاريخ وكل ما يقوله اليوم جميع الارباب والانبياء والزعماء والقادة والشعراء والمفكرين والفنانين العرب ٠٠ اننا حينئذ لا بد ان نجدهم جميعا صوفية اي دراويش ، جاءوا بصيغ أو أسماء أو أزياء أو لغات او دعاوى أو فوق منابر او عروش أرباب وانبياء وشعراء وزعماء وقادة وفنانين ومفكرين ٠٠ اي لا بد أن نجدهم جميعا ليسوا الا تهويما ، صعودا وهبوطا ، في المحالات والسخافات والبلادات دون اي التزام او احترام او رؤية للمنطق او الصدق او الواقع أو الممكن أو المستطاع أو الحياء أو الوقار أو الجمال أو الحب او الشهامة ٠٠ لا بد ان نجدهم في كل تفاسيرهم نقيض الاسماء والثياب والعروش والمنابر والمناصب التي يسمون بها او يلبسونها او يتوجونها او يصعدون فوقها ٠

ان صراخ جميع الاجهزة العربية في هذه الاوقات عن مجد « العبور » وعن امجاد حرب اكتوبر او حرب رمضان لهو قمة الصوفية اي الدروشة الاخلاقية والعقلية والانسانية والتعبيرية اي قمة التعامل مع المحال ، اي قمة المناقضة للانسان المتحضر الذكي الصادق العاقل المسؤول المسائل المحاسب الرائي القاريء لنفسه او لاي شيء يعمله او يتعامل به او يخاطبه أو يتخاطب به او يريده او يرفضه او يريد أن يفسر به او يعرف عنه او يحكم به عليه ٠٠ ان احاديث جميع الاصوات العربية عن امجاد حرب اكتوبر بين العرب واسرائيل لهي قمة الدروشة التي ترى انها لن تكون مسموعة أو مصدقة أو محترمة أو قوية أو مقنعة أو متبعة أو مؤثرة أو قائدة الا بقدر ما تكون

خارجة على كل الصدق والذكاء والوقار والرؤية والاحترام للنفس والمحاسبة لها ٠ والا بقدر ما تكون صادمة فاجعة لكل العيون التي ترى والاذان التي تسمع والعقول التي تفكر ٠ اذن فالعرب في كل تاريخهم وفي كل حاضرهم ليسوا ولا سيما من هم في اماكن القمم منهم الا صوفية اي الا دراويش ، لا يحاسبون او يفسرون او يفهمون بما يقولون ، ولا يصنعون لاحد التساؤل او الاستغراب او الاندهاش او الحيرة مهما قالوا ، ولا يعذبون من يقرؤهم أو يسمعهم أو يحاورهم أو يعاملهم بالمقاساة لكي يفهمهم أو يعقلهم أو يتقبلهم أو يفسرهم ٠ انهم لنافعون ومريحون جدا اولئك الذين لا يحوجون احدا الى أن يقرأهم ليفهمهم او يفسرهم او يحاسبهم ٠٠ اولئك المغفور لهم والمنسيون لانهم لا يعنون شيئا مهما اعلنوا وقالوا وهددوا ٠٠

ان المتنبي اذن اليس الا صوفيا أي الا درويشا جاء بصيغة شاعر أو زعم شاعرا ، لا يجوز ان يقرأ ليفهم أو يفسر أو يصدق وانما يقرأ كدرويش يجب ان يعالج من دروشته المجتمع الذي ولده وصاغه والذي لا يزال يؤمن به ويهتف له ٠٠ ان كل ما قاله العرب وكل ما يقولونه اليوم وكل ما سوف يقولونه في مواجهاتهم لاسرائيل لهو اعظم حشد وثورة من حشود وثورات الدروشة في كل التاريخ الانساني ٠ ان مواجهة العرب لاسرائيل قد تحولت الى ثورة دروشة لن تنافسها اية دروشة ثورية في أي عصر او مجتمع ٠٠

انها دروشة شاملة ، دروشة عقول واخلاق ونفوس ورؤى وتصورات وتعبير ومنطق وفنون وشعر ، ودروشة حروب وعداوات وصداقات ومحالفات وعلاقات وحب وبغض وهجاء وامتداح ٠٠ انها دروشة حولت الطبيعة الى دروشة ، حولت النفط العربي الى درويش ٠ ان دروشة العرب حولت الطبيعة الى درويش ٠٠

ان اعظم قائد او زعيم او محارب او مفكر او سياسي عربي ليس الا اعظم درويش ، في كل تفاسيره ٠ ان كل عربي مسؤول او متصدر او متوج أو مقروء أو مسموع او صارخ او معلم ليس الا درويشا ولكن الاسماء والازيا تختلف ٠٠

ان كل ما يفعله ويتعامل به العرب يتحول في ايديهم وعقولهم وتصوراتهم وقدراتهم ومواقفهم منه وفي بلادهم وعلى السنتهم وفي تفاسيرهم له ـ يتحول الى فنون غير جميلة او ذكية او مهذبة او مسلية من الدروشة ٠ ان الدروشة في الانسان العربي ليست فنا او حرفة او مهنة يتعلمها او مسلاة يتلهى بها ويطرب لها ولكنها هي ذاته اي موهبته اي طبيعته اي كينونته وقدرته ٠٠

كل ما يدعى بالمؤسسات او المجالس الديمقراطية او النيابية او الشعبية ، واساليب تاليفها واختيار اعضائها وممارساتها والتعامل بها ٠٠

٠٠ الصحافة والاذاعة بكل مستوياتهما وموضوعاتهما ومعاركهما ٠٠

٠٠ الدعاية والاعلام والتعاليم والوعظ ٠٠ التفكير والحوار والشعر والكتاب والمقالة والمسرح والسينما والقصة والرواية ٠٠

المذاهب والنظم ، رأسمالية واشتراكية وشيوعية واسلامية ٠٠

.. القومية والوطنية والعرقية والتاريخية ..
.. الحكام رؤساء وملوكا وأئمة وشيوخا ..
.. وايضا الارباب والانبياء والخلفاء وامجادهم وعروشهم ورواياتهموالروايات عنهم ..

.. الصداقات والعداوات والمعاهدات والخلافات والمؤامرات والمؤتمرات بل والمصافحات والمعانقات والمبارزات والمشاتمات والتحديات والمقاطعات ..
.. التدين والايمان والاقتناع والعقائد والصلوات والدفاع عن الاديان ومحاولات الاقناع بها واثبات مزاياها وصدقها وسماويتها .

نعم ، كل ذلك ألم يتحول الى اردأ فنون الدروشة ، في عقل وتصور وتعبير وسلوك الانسان العربي في كل ممارساته ونياته ، في كل اقطاره وتاريخه وتحت كل ظروفه وشعاراته ؟

بل ألم يتحول التعليم بكل مراحله ، الجامعي والعام ، وكل المؤسسات والتخصصات العلمية الى شيء من الدروشة او شيء ليس بعيدا كثيرا عن اساليب الدروشة وتفاسيرها ، في ممارسات العالم العربي ؟
وهل يوجد نموذج للدروشة مثل المتعلم او العالم او التعليم العربي ؟
حتى الحرب والسلام والاسلحة بكل انواعها ، الم يحولها الانسان العربي بكل تعامله وعلاقاته بها وادائه لها الى اساليب حزينة واليمة وفادحة وفاضحة من الدروشة البليدة القتالة ؟
ألم يحول احدث الاسلحة والاجهزة العلمية الى دروشة تلبس العمائم والعباءات وتداوي بالرقي والتمائم وتكتب الاذكار وتتلوها لتقتل وتهزم الشيطان ؟
وهل تحول الى افجع وافدح اساليب الدروشة شيء مثلما تحولت الحرب والسلام والاسلحة العلمية الحضارية بل والبدوية حينما تعامل بها الانسان العربي وحينما وضعها في يده وعقله وقوته وشجاعته ، بل وفي لغته وخطاباته وعلاقاته وحساباته؟ ما اقدر الدروشة العربية علىصياغة الاشياء؟ هل يستطيع غير الانسان العربي ان يحول احدث الاسلحة العلمية الى دروشة ؟ هل مثلت كل ادوار اردأ الدراويش مثلما مثلتها الجيوش العربية حينما حاربت احدث واقوى حروبها بل حينما حاربت كل حروبها باذكى واعلم واحدث الاسلحة ؟ عليك اللعنة يا اسرائيل او لك كل الشكر . هل كشف غيرك بكل هذا الفضح عن موهبة العرب في قدرتهم على تحويل اعلم واحدث واذكى الاسلحة الى دروشة ؟ نعم ، كل هذا وكل شيء غيره من شؤون الحياة هل يمكن ان يحاسب اية محاسبة علمية او حضارية او عقلية او اخلاقية او جدية او ان يفسر باي شيء من ذلك او ان يخضع له او يطالب به او ينتظر منه ، اي حينما يفعله او يتعامل به الانسان العربي بفكره او اخلاقه او تصوره او لسانه او بيديه او عضلاته او باية موهبة من مواهبه الفنية او النفسية

او التعبيرية ، الا بقدر ما يمكن ان تحاسب وتفسر وتخضع وتطالب بكل ذلك او باي شيء منه ابعد شطحات الدراويش تهويما في المحالات والسخافات والمناقضة لكل ما يمكن ويستطاع ويعقل ويطلب ويرضي ويتوقع ؟

ان اي شيء تشترط فيه وله وفي التعامل به اقسى الشروط وكل الشروط ليصبح معفى من كل شرط ومن اي شرط اذا تعامل به الانسان العربي ..

وعنف احساسي بهذه القضية يضطرني الى التكرار ، الى ان اقول مكررا : اني اريد بالدرويش هنا هو كل من يقول كل ما يريد قوله وكل ما يستطيع قوله ، عن نفسه او عن غيره ، عن اعدائه او عن ابائه او اربابه وانبيائه وخلفائه وتاريخه وامجاده واديانه ـ عن اي شيء معلوم او غير معلوم بل وعما ليس شيئا، مادحا او هاجيا، مؤمنا ومتقبلا ومعظما او كافرا او رافضا أو محقرا أو شاتما، واعدا او موعدا ، دون ان يكون مسؤولا او محاسبا او مطالبا او معاتبا او مفسرا او مستنكرا او مصدقا او مكذبا ، بل دون ان يكون مقروءا او مسموعا ، ودون ان يفعل هو بنفسه شيئا من ذلك او يطالبها بشيء منه او يقرأها او يفسرها او يسمعها او يستمع اليها او يحدق فيها ليغير او يصحح او يستر شيئا فيها او منها ، لانه لن يحسب قائلا او مريدا شيئا مهما قال ..

ان الدرويش ليس لغة تقرأ او تفسر باي منطق او مذهب أو دين أو واقع أو اخلاق .

نعم ، بهذا أليس جميع الهة وانبياء وخلفاء وسلاطين العرب وجميع شعرائهم ومفكريهم وفنانيهم وعسكرييهم ومعلميهم وناطقيهم بل وجماهيرهم ...

ـ نعم ، اليسوا اصدق واشمل وأردأ النماذج لاردأ الدراويش ؟ نعم ، نعم ، أليس عسكريوهم ومحاربوهم ومخططوهم هم اردأ نماذج الدراويش ؟

هل استطاع او يستطيع شيء ان يفسر معاني الدروشة وعمقها وشمولها واصالتها في الانسان العربي مثلما استطاعت ان تفعل ذلك احاديثه عن امجاد « عبوره » وعن انتصاراته على اسرائيل وتهديداته لها وعن جميع مواجهاته لها ومواقفه منها وتباهيه عليها ، واساليبه في الحشد ضدها ، وتعامله بالسلاح الذي حمله لقتلها ، وفهمه وتفاسيره لهذا السلاح وقراءاته له ، واحاديثه عنه تهويلا او تصغيرا ، اعجابا او احتقارا ، تفوقا عليه او خوفا منه ؟ في ايهما كان الانسان العربي اكثر واردأ دروشة : في تفاسيره للاله والاديان ام في تفاسيره للسلاح الذي حمله ليقاتل به دون ان يعرف او يستطيع ؟ هل يمكن ان يعد قتال العرب لاسرائيل قتال من عرف او استطاع ؟

اذن أليست كل دروشة العرب تعيش في المتنبي ، وكل دروشة المتنبي تعيش في كل العرب ؟ الم ينقل المتنبي كل دروشته الى كل العقول والعيون والاخلاق والعضلات والاصوات والاسلحة التي واجه العرب بها اسرائيل ، والتي صنعت مجد العبور وراته وقرأته وفسرته وحاسبته وتحدثت عنه ؟

هل يمكن ان يكون المتنبي او ان يحسب اكثر دروشة اي خروجا على الواقع والمنطق والذكاء والصدق والوقار والاتزان والتهذيب والحياء ، وعلى كل التفاسير الانسانية والحضارية والاخلاقية والنفسية والفكرية من اي نبي او خليفة او زعيم او قائد عسكري أو مفكر عربي في اي عصر من العصور ـ او ان يكون او يحسب اي عربي من هؤلاء اكثر خروجا من المتنبي على كل ذلك او على اي شيء منه ؟ اليس كل الفرق بين المتنبي وبين اي نبي او خليفة او قائد عربي هو فرق لغة أو مكان او دعوى او عمامة وليس فرق ثقافة او اخلاق او ذكاء او رؤية ؟

مشكور انت يا جيل « العبور » أو مذموم ، يا جيل المواجهة العربية الاسرائيلية · انت مشكور او قد ترى مذموما لانك قد اثبت ان المتنبي هو كل العرب وان كل العرب هم المتنبي · لقد دللت على ان المتنبي ليس اصغر من كل الامة العربية وان كل الامة العربية ليست اكبر من المتنبي ·

نعم ، ماذا ترى نفسك يا جيل « العبور » ؟ هل ترى انك بذلك قد نفعت أو انك قد ضررت واسأت واهنت وفضحت ؟

هل تستطيع ان تحاسب نفسك ؟

آه يا جيل العبور · هل انت عابر ام معبور بك ؟ هل انت عبور ام تعبير ام تعبير عن عجز وجهل وخداع وأكاذيب حكامك وقادتك وانبيائك وشعرائك ؟

الست تفهم هذا يا جيل العبور ؟ هل اربابك حينما يزعمون لك الامجاد يقصدون تمجيدك واحترامك ام المزيد من استعبادك ؟ الست تفهم هذا ؟

ان الحديث عن المتنبي ليس اذن حديثا عن فرد قد جاء في فترة من التاريخ او تكرر ويتكرر في جميع فترات التاريخ ، مفسرا فردا واحدا · ولكن الحديث عنه حديث عن مجتمع لم يكن يعيش في مرحلة من التاريخ محسوبة طويلة او قصيرة ، بل عن مجتمع يعيش كل مراحل التاريخ او هو كل التاريخ ، اي كل تاريخه هو متكررا في صيغة واحدة منه ·· عن مجتمع لا يعيش التاريخ ولا يعيشه التاريخ ولكن يرويه التاريخ دون ان يروي عنه ··

ان الحديث عن المتنبي هو حديث عن كل التاريخ العربي او عن الانسان العربي في كل تاريخه بكل نماذجه · انه حديث عن النموذج الكامل الدائم لشعب كامل او لتاريخ كامل اي لشعب او لتاريخ لا يتخطى نفسه ، لا يتعاقب او يتفاوت في كينوناته او نماذجه او في اتساع او مواقع خطواته · انه المجتمع الذي يظل فيه الفجر هو الظهيرة ، هو العشي ، هو الغروب ، هو الليل ·· وانه المولود او الكائن الذي يظل هو الطفل والغلام والشاب والرجل والكهل والشيخ والهرم ·· انه البداية التي تصبح هي كل النهاية ، او النهاية التي تجيء اقل من كل بداية · انه الفرد الواحد الذي يظل يلد ذاته حتى يصبح كل قومه في كل عصورهم كل الاباء والابناء حتى يصبح كل الانبياء والزعماء والقادة والاتباع والمؤمنين ·

انه الفرد او النموذج الذي يعيش فيه كل تاريخ شعبه ، ويعيش في كل تاريخ شعبه ··· يعيش في كل مواهب شعبه في كل تاريخه ، بكل آحاده وجماعاته ومستوياته ،وتعيش في مواهبه كل مواهب شعبه ، في كل تاريخه ، بكل آحاده وجماعاته ومستوياته ، اي ولو في النية والطموح والتمني والادعاء والمباهاة · انه الابن الفرد الذي ظل يتنقل في ابنائه حتى انتقل الى جيل « العبور » منشدا كل قصائده عن أمجاد « عبوره » ··

لقد جاء المتنبي اي في صيغته الذاتية الواحدة ذات الاسم الواحد ، في فترة من التاريخ الزمني ، فتحول اي في مجتمعه الى عبقرية أو اعجاز أو اعجاب أو تقبل وترحيب أو الى غيرة وكراهية تحت حوافز الحسد والعجز · عن المنافسة ، ثم ظل كذلك حتى اليوم ، عاجزة كل العيون عن التحديق فيه وعن استيعابه وقراءته وتفسيره ، اما رهبة واستعظاما واما حسدا وعجزا عن مباراته ويأسا من القدرة على هذه المباراة ·· ان الذين لعنوه او رفضوه لم يلعنوه او يرفضوه للاسباب الموجبة لذلك بل لاسباب توجب احترامه تصوروها فيه ·· ما التفسير لهذه الرؤية الواحدة الدائمة للمتنبي ؟ لماذا ظل العرب يرونه هذه الرؤية الواحدة الدائمة من يوم ان جاء اليهم بصيغته الفردية حتى اليوم اي حتى عصر جيل « العبور » ـ حتى عصر « العبور » الذي اصبح عصرا لكل عصر ، وتاجا لكل عصر ، وقيصرا على كل عصر ، ومحاسبا محاكما مفسرا مقياسا لكل عصر ، بل الذي اصبح اذلالا وهجاء وسبابا وهزيمة واخجالا وفضيحة كل عصر ·· بل الذي تحول الى تعذيب لكل شعوب العالم ، خائفا كل شعب من ان يصبح له عصر مثله اي مثل عصر العبور ، او مجد مثل مجده ، او قادة وابطال مثل قادته وابطاله ، او ان يرى نفسه ويتحدث عنها بالاساليب التي رأى بها جيل « العبور » نفسه وتحدث بها عنها والتي لا يزال وسوف طويلا يرى بها نفسه ويتحدث بها عنها ·· خائفا كل شعب ان يكون له « عبور » كهذا « العبور » بكل نهاياته ونتائجه وتفاسيره بل وبكل بداياته وتخطيطاته ونياته ؟

اي تعذيب رهيب لاي شعب يصيبه الشك في انه قد يذهب يتحدث عن اي مجد من امجاده او عن اي عار او هزيمة من الوان عاره وهزائمه ، او ان يرى مجده او عاره هذا بالاسلوب الذي رأى ويرى به ابطال وقادة « العبور » عبورهم وتحدثوا ويتحدثون بمثله عن عبورهم ؟

انه ليس خوفا او حذرا مسرفا او مريضا ان يذهب قوم يتمنون انهم خرس او يتمنون ان يصابوا بالخرس لانهم سمعوا العرب يتحدثون عن مجد « عبورهم » بالاساليب التي بها يتحدثون · ولكن هذا يعني الافتراض ان من يسمعون العرب يتحدثون عن مجد عبورهم هذا او عن اي شيء اخر قد يحسبونهم اي يحسبون العرب ناسا من الناس يتحدثون عن اي شيء ·

اذن اليس واجبا اخلاقيا وانسانيا على العرب ان يكفوا عن تحدثهم هذا او ان

يقللوا منه او يخفوه لئلا يوجد من يذهبون يصيبون انفسهم بعاهة الخرس خوفا من ان يتحدثوا مثل تحدث العرب عن مجد عبورهم ، او من يذهبون يصيبون انفسهم بعاهة الصمم رفضا لسماع العرب يتحدثون عن مجدهم هذا باسلوبهم هذا ؟؟ ولكن هل يحتمل ان يخاف قوم ان يتحدثوا عن اي شيء عظيم مثلما يتحدث العرب عن كل تفاهاتهم وهزائمهم زاعمين انها انتصارات وعبقريات مذلة ومعجزة لكل البشر ؟

نعم ، ان احد التفاسير لهذه الرؤية العربية الواحدة الدائمة للمتنبي هو ان العرب ظلوا في كل اجيالهم درجة تاريخية واحدة او صيغة واحدة ثابتة مرت وظلت تمر فوق التاريخ او تحته او متسللة في شقوقه دون ان يستطيع تغييرها او تصحيح اي شيء فيها ، بل دون ان يشعر اي التاريخ او يعلم بوجودها او بمرورها فوقه او تحته او في شقوقه ـ او انهم اي العرب جاءوا مجتمعين في فرد واحد لا يستطيع ان يتغير ، ان يكبر او يصغر ، لا يستطيع ان يتخطى ولادته ٠٠ وهذا الفرد الواحد العجيب ظل ينقل خصائصه الى كل احادهم وجماعاتهم في كل عصورهم ، وظلوا هم يتلقون خصائص هذا الفرد ويعيشونها ويتدارسونها ويتواصون بها ويحفظونها ويقرؤونها ويفسرونها ، ويرونها كل المجد والقوة والتفوق وكل التاريخ والبداية والنهاية والمسيرة والطموح ٠ ظلوا يتلقون خصائص هذا الفرد ويجمعونها ويشحذونها حتى تفجرت في جيل «العبور» ، جيل المواجهة العربية الاسرائيلية بكل هذا القبح ٠٠

لهذا لم يكن ممكنا ان تختلف رؤيتهم للمتنبي او يتخطوه بالموهبة او بالطموح او القدرة او المثل او المنطق او التفسير او التعبير أو باي مستوى انساني أو حضاري ٠ انهم لم يكونوا قادرين ولا مريدين ان يخرجوه من اعماقهم ، ولم يكن هو قادرا او مريدا ان يخرج من اعماقهم ٠ انه اي المتنبي لو خرج من نفوسهم ومواهبهم لما وجد مكانا اخر يؤويه أو يأوي اليه او يتقبله ٠٠

لقد ظل محتلا لكل صيغهم النفسية والعقلية والاخلاقية والتعبيرية بكل القسوة والشمول ٠٠ لكل صيغهم التي صاغوه هم بها او التي صاغهم وصاغه بها كائن لم يستطيعوا حتى اليوم ان يعرفوه او يعرفوا مكانه لكي يحاكموه او يحاسبوه او يسائلوه او يشكروه او ليضعوا فيه مواهب واخلاقا افضل مما اراد لهم ووضع فيهم ٠٠ نعم ، ان المتنبي لم يكن يستطيع ان يجد سكنا يقبله غير الاخلاق والمواهب العربية وان الاخلاق والمواهب العربية لن تجد من يتقبل السكن فيها غير المتنبي ونماذجه ٠

اجل ، لقد كان اي المتنبي المحتل لكل الصيغ العربية هو الذي وضع ونفذ ولا يزال يفعل جميع الخطط والمواجهات والهجمات التي اوقعها قادة العرب وزعماؤهم ومفكروهم وعسكريوهم ومقاتلوهم باسرائيل والتي لا يزالون وسوف يستمرون يوقعونها بها وهو الذي ذهب يتحدث عن ذلك بكل صوته ٠

لقد كانت الخطط والعضلات هي خططه وعضلاته كما كان التصويت عنها هو تصويته ٠

ألم يكن المتنبي هو الذي قال كل كلمة قالتها او اذاعتها او كتبتها جميع

الاذاعات والصحافة وجميع اجهزة الاعلام العربية وهي تتحدث عن حرب اكتوبر وعن مجد العبور وعن قهر اسرائيل بل عن قهر كل الكون ، وعن الانتصارات العربية التي حولت كل انتصارات كل العالم في كل التاريخ الى هزائم وهوان وعار ٠٠ الى امجاد براغيث ؟

بل هل تستطيع كل امجاد العالم ان ترتفع الى مستوى امجاد البراغيث محاسبة بامجاد « العبور » العربي ؟

الم يكن جميع المتحدثين والمذيعين والكتاب العرب ، من عسكريين وقادة ومفكرين وشعراء وجنود ، الذين تحدثوا او اذاعوا او كتبوا أو اعلنوا عن هذه الانتصارات الكونية العربية التي تحولت الى اذلال لمجد الشمس ، بل الى تعويض لعينيها واعتذار الى ضميرها واخلاقها والى احزان قلبها عما رات وقاست طويلا ، طويلا من عاهات وتشوهات وذنوب وصغائر وهزائم الالهة والناس والاشياء ٠

نعم ، الم يكن جميع هؤلاء المتحدثين والمذيعين والمعلنين انما كانوا يقرؤون ويفسرون اشعار المتنبي التي قالها عن حروبه هو وسيف الدولة مع دولة الروم والتي قالها في غير ذلك ؟ لقد كان المتنبي هو الذي قال كل ما قالته الاذاعات والصحافة العربية والمتحدثون العسكريون بكل موهبته في فقده للحياء والرؤية والصدق والمنطق والتهذيب ٠

الم يكونوا ينشدون قوله :

سيعلم الخلق ممن ضم مجلسنا
بانني خير من تسعى به قدم

الخيل والليل والبيداء تعرفني
والطعن والضرب والقرطاس والقلم

وجاهل مده في جهله ضحكي
حتى اتته يد فراسة وفم

اذا رايت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن ان الليث يبتسم

هل تستطيع ان تسمع او تقرأ بل أو تذكر في هذه الاوقات الكونية غير المتنبي متحدثا عن معجزات حرب اكتوبر وعن امجاد « العبور » ؟ لقد كان جميع المتحدثين عن امجاد العبور من حكام وقادة وزعماء وعسكريين وكتاب وشعراء يتوالدون من حنجرة المتنبي ٠٠٠

كانت كل مواجهاتنا بكل اساليبها لاسرائيل تدليلا لا يستطاع الاعتراض عليه على ان المتنبي مغروس بكل مواهبه وتفاسيره في كل مواهبنا وتفاسيرنا ، وعلى ان مواهبنا التي ولدته وعلمته وصاغته وحرضته واستقبلته هي نفس مواهبنا الاخلاقية والفكرية والعضلية والنفسية والدعائية التي واجهنا بها اسرائيل وعصر اسرائيل ، وعلى ان التاريخ الذي عاش بين عصر المتنبي وعصرنا ، بين عصر

جيل سيف الدولة وشاعره المتنبي وعصر جيل العبور ، لم يمر بنا ، لقد مر اي هذا التاريخ بعيدا عنا او مر فوقنا ونحن نيام ، لهذا لم نتغير · ان مرور التاريخ لا بد ان يصنع تغيرا ·· ان الذين لا يصيبهم التغيير فلا بد ان التاريخ لم يمر ولا يمر بهم اما لانه يمر بعيدا عنهم او فوقهم او تحتهم او لانهم لا يفسرون بالتاريخ ولا يتعاملون به ·

اننا لو كنا قد تخطينا عصر المتنبي اي لو كانت مواهبنا قد تفوقت وتخطت مواهب المتنبي لما واجهنا اسرائيل كما واجهناها ، واننا لو واجهناها او حينمـا نواجهها مواجهة اقوى واذكى لكان التفسير اننا قد تخطينا المتنبي وعصره ·· اننا لا نستطيع ان نجمع في انفسنا بين المتنبي وعصره وبين القدرة على ان نواجه مواجهة ذكية او قوية او حضارية او مهذبة ·

اننا ما دمنا نجد ونسمع قومنا معجبين بالمتنبي او يتحدثون مثلما كان يتحدث أو ينشدون اشعاره وأخلاقه ومواهبه ومدائحه واهاجيه ومفاخراته وادعاءاته وان كان ذلك بلغة اخرى فلن نتوقع منهم اي من قومنا ان يواجهوا اسرائيل او غيرها الا كما واجهوها ·· السنا اليوم ودائما نتحدث مثلما كان المتنبي يتحدث وان كان ذلك باساليب تعبيرية ولغوية اخـرى ؟

اليس جميع المتحدثين العسكريين العرب انما يتحدثون مثل المتنبي ولكن الفرق فرق لغـــة ؟

ان المتنبي ليس فاعلا او هازما لنا ولكنه دليل علينا وعلى استحقاقنا للهزائم ، ولن خروجه منا ومن اعجابنا واخلاقنا ومستوياتنا ليس هو الذي يشفينا من ضعفنا وهمجيتنا وغوغائيتنا ولكن خروجه هذا لو خرج او اذا خرج دليل على شفائنا من ذلك · وهل يمكن ان يأتي وقت يستطيع فيه المتنبي ويريد ان يخرج من مواهبنا ، ولو استطاع ذلك وارادة فهل نأذن له بان يفعل ؟

حتما ، ان مفكري اسرائيل وغيرها من خصوم العرب لا بد ان يسعدوا ويذهب أو يهون عنهم الخوف والقلق والشعور بالخطر كلما وجدوا العرب يعيشون في عصر المتنبي ويقرؤونه باعجاب ومباهاة وبتراقص وتواجد قومي ووطني ·· بتواجـد وتراقص كتواجد وتراقص الصوفية · بغيبوبة عن الرؤية والذكاء والصدق والوقار كغيبوبة الصوفية · وهل العرب في غيبوبة عن ذلك ام هم فاقدون له ؟ هل مواهبهم نائمة وغائبة ام مفقودة ؟

ولن يقاسي هؤلاء المفكرون الاعداء أو الشامتون او المتفرجون اية مقاساة لكن يجدوا المتنبي عارضا نفسه مغنيا منشدا لها من افواه وعقول وعضلات وسفاهات جميع قادتنا السياسيين والعسكريين وجميع مفكرينـــا وشعرائنا وفنانينـــا وجماهيرنا · انهم سيقرؤونه ويسمعونه ويجدون كل تفاسيره في كل الاصوات والاقلام والاخلاق العربية المعاصرة مهما اختلفت الكلمات ·· ومع هذا فان المتنبي لم يكن اقسى او اطول خلودا في اعماقنا وتشويها لها وعدوانا عليها من اندادة

ومنافسيه او مساعديه في اسواق تاريخنا ، اي من اربابنا وانبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وائمتنا وشيوخنا العتاة في رسوخهم وطغيانهم ٠٠ اجل ، وهل كان المتنبي الا نبيا او خليفة او سلطانا أو قائدا عسكريا او دينا او شيخا عربيا قد جاء في عباءة شاعر ؟

أليس جميع هؤلاء قد ظلوا محتلين لعقولنا واخلاقنا وطموحنا وتصوراتنا ولغاتنا بل وحتى لشتائمنا وسفاهاتنا وبغضائنا في كل تاريخنا كما فعل المتنبي بكل قسوته واسلوبه ؟ بل أليس المتنبي مظلوما حينما يحاسب استعباده وتشويهه لنا باستعباد هؤلاء وتشويههم ؟

ثم أليست التفاسير لبقاء المتنبي كل هذا الزمان تشويها ونموذجا لجميع نماذج الانسان ومعانيه فينا هي نفس التفاسير وكل التفاسير لبقاء هؤلاء كذلك ؟ لقد كان المتنبي محاسبا او منافسا باربابنا وانبيائنا وخلفائنا وسلاطيننا وشيوخنا نموذجا قويا في بذاءته وفحشه وهمجيته ولكنه لم يكن فريدا بل لعله لم يكن الاقوى ٠٠ لو وجدت فروق بين ديوان المتنبي وكتاب مقدس عربي أو اقوال نبوة عربية فلمصلحة من يمكن ان تكون هذه الفروق ؟

ماذا لو ان قصائد المتنبي المادحة الهاجية المفاخرة المبارزة المتوعدة نقلت الى لغة شعب يقرأ ويفسر ويشترط ويرى ويحاسب اللغات ، وقيل له : ان هذا شعر قد قيل في عصر من العصور ، وخوطب به مجتمع من المجتمعات ، خوطب به ملوك وقادة وزعماء وشعراء ومفكرو ذلك المجتمع ومدحوا به وتقرب به اليهم لينال رضاهم واعجابهم ونوالهم ، فتقبلوا واعجبوا وفرحوا ورقصوا وغنوا ووهبوا ، اعجابا وطربا واقتناعا بامتلاك واحتكار كل مجد التاريخ لانهم به قد مدحوا وخوطبوا وانشدوا ولانه قد قيل في عصرهم وشعبهم ، ولانه موهبة وعبقرية شعب هم يحكمونه ويسودونه ويستعبدونه ويعايشونه ويعاصرونه ويرهبونه ويجيعونه ؟

وقيل لهم ايضا : ان قائل هذا الشعر والقوم الذين خوطبوا ومدحوا وجنوا به اعجابا وطربا وكبرا وايمانا واستمعوا اليه وقرأوه وانشدوه وحفظوه وفسروه وحسبوه معجزة المعجزات الشعرية والفنية والفكرية والفروسية والاخلاقية التي يخلون بها كل عبقريات كل الشعوب في كل التاريخ ويستغنون بها عن كل امجاد كل الحضارات بل ويهاجونها به ، اجل ، وحسبوه مجدا وحضارة يستغنون بهما عن كل مجد وحضارة بل ويلعنون ويفاخرون بهما كل مجد وحضارة ، والعرب يفعلون ذلك بشعر المتنبي ٠

نعم ، وقيل لهم ايضا : ان قائل هذا الشعر وقومه لا يزالون موجودين في هذا العصر بكل عباءاتهم وعمائمهم وخيامهم ونماذجهم ، ولا يزالون ينشدونه اي هذا الشعر بنصوحه او بمعانيه او بنصوصه ومعانيه ، ولا يزالون يقرؤون ويفسرون ويخاطبون وينافسون ويقاومون ويواجهون به عصرهم هذا ـ بل ويحولون كل قوة نفطهم الدولية والحضارية الى مزيد من الصراخ والافتضاح في صراخه

وافتضاحه ، ويصنعون منه وبه مجدا كونيا يدعونه مجد « العبور » ، مجدا « عبوريا » سيظل كل التاريخ في كل تاريخه يقرؤه على نفسه ولنفسه لكي يجد فيه كل الغفران لكل هزائمه وهوانه وذنوبه وعاهاته ونذالاته والامه واحزانه بل ولكي ينسيه كل مجد من امجاده الماضية ويستغني به عن كل مجد من امجاده الاتية بل وعن ان يصنع اي مجد في عصوره القادمة ؟ نعم ، هل يستطيع اي مجد ان يجيء بعد مجد « العبور » ؟ ألا يمنعه الحياء والرهبة من المجيء ؟ الا يحتمل إن يصدق التاريخ مجد « العبور » في حديثه عن نفسه فيهاب ان يصنع اي مجد اخر ؟

اجل ، ماذا لو نقلت اشعار المتنبي الى لغة قوم يقرؤون ويفسرون ويحاسبون ما يقرؤون ويفسرون ، ويرون ان اللغات والكلمات والاشعار مسؤولة ومحاسبة ، وانها لا بد ان تكون تعبيرا عن مستويات اخلاقية وفكرية ونفسية وحضارية ، تعبيرا عن ذلك ولو بالمناقضة ، ثم قيل لهؤلاء القوم الذين نقل الى لغتهم : ان هذه الاشعار كانت كل العبقرية والاعجاز الفني والعقلي والاخلاقي لقوم كانوا يلبسون جلود واجساد وثياب البشر ، ويتصافحون ويتعانقون ويتعاملون باساليب تجعلهم يبدون وكأنهم بشر ـ كانت اي هذه الاشعار كل عبقرية واعجاز القائلين والقارئين والسامعين والمخاطبين والمادحين والممدوحين من هؤلاء القوم ، وقيل ايضا لهؤلاء القوم الذين نقل الى لغتهم : ان هؤلاء الناس الذين كانت هذه الاشعار هي كل عبقريتهم ومعجزاتهم الشعرية والفنية والعقلية والاخلاقية والحضارية لا يزالون موجودين حتى اليوم ، يملؤون الدنيا ضجيجا ومباهاة ويبصقون على ذكاء ووقار ومسامع كل من فيها باحاديثهم عن امجاد « عبورهم » ، ثم قيل لهم كذلك : ان شيئا ما لم يستطع ان يعبر عن هذه الاشعار بكل القوة والاصالة والنزق مثلما عبر عنها مجد « العبور » والمتحدثون عنه ؟

ماذا يمكن حينئذ ان يفهم او يتصور او يقول اصحاب هذه اللغة ؟ كم يمكن ان يكون حينئذ مقدار انفجاعهم وذهولهم وعجزهم عن الفهم والتفسير والتصديق ؟ ولكن أليس هذا يحدث دائما اي نقل شعر المتنبي الى اللغات الاخرى لان تحدث الزعماء والحكام العرب الى الاخرين لا يعني الا نقل اشعار المتنبي الى لغات هؤلاء الاخرين ؟

ثم أليس محتوما حينئذ ان يقتنعوا بانه توجد كائنات خارجة وبعيدة جدا عن جميع نماذج الكائنات المعقولة والمفهومة والمعروفة والمتصورة والمتوقعة والتي يمكن ان تصبح معقولة او مفهومة او متصورة او متوقعة ، ومحتوما ايضا ان يجدوا ان جميع معارفهم ودراساتهم ومقرراتهم ورؤاهم وتجاربهم قد وقعت في اقسى الورطات لان نماذج هؤلاء الناس الذين قرأوا اشعارهم لا بد ان تتحول الى ابطال لكل ما عرفوا ودرسوا ورأوا وجربوا وتصوروا وفهموا واقتنعوا واعتقدوا اي الى ابطال لكل حقيقة ؟

كل اعتذاري وأساي لذكراك يا ابا الطيب ٠٠ لذكراك التي كان من الافضل ان تكون تمجيدا واعجابا وقراءة واستنكارا لكل ألوان العظمة والجمال والنظافة والبسالة النفسية والعقلية والاخلاقية والفنية ٠٠ ان تكون اي ذكراك صلاة وترتيلا لمجد التاريخ ، تاريخ الانسان وتاريخ قومك ، قومك الجياع الى مجد التاريخ والى مجد الحياة وان كانوا لا يقاسون او يشكون من جوعهم هذا بل ولا يدرون به ٠ وهل يوجد جوع ينافس جوع قومك من مجد الحياة ومجد التاريخ ، او صبر ينافس صبرهم على هذا الجوع ؟

نعم ٠٠ قومك الذين كان كل مجدهم مثل مجدك ، مجد لسان فاقد لكل امجاد اللسان العقلية والنفسية والاخلاقية والفنية والجمالية والحضارية ٠ مجد لسان ليس فيه من مواهب اللسان غير الافتضاح بلا اي در من الاستتار او الوقار أو الصدق ٠٠ اجل ، كل اعتذاري واساي لذكراك يا أبا الطيب ٠٠ بالتكرار الاليم المشحون بكل مشاعر الانفجاع الصادق الحاد اتقدم باعتذاري الى ذكراك ٠٠ الا تستطيع ان تكون نبيلا ولو مرة واحدة فتتقبل اعتذاري الى ذكراك ؟

كان الافضل ان تصنع لنا ذكرانا الفرح لا الاسى ٠ اذن أليس الواجب ان تتقدم انت الينا بالاعتذار ؟ أليس الذي يصنع لنا الاسى مكان الفرح معتديا علينا ؟ لقد كان النسيان لك ولو تعمدا نوعا من الاحترام والتكريم لك ومن الاعتذار والدفاع عنك ٠

ان نسيانك اسلوب من اساليب الاشفاق عليك والرثاء لك والستر على عاهاتك ٠

لقد كان تعمد نسيانك نوعا جيدا من التقوى الانسانية ٠ انه ستر عليك وزجر للعيون عن التحديق في ذات لا يستطيع الناظر اليها ان يرى غير العاهات والتشوهات والدمامات والذنوب والاوحال معروضة بكل اساليب الوقاحة والافتضاح ٠

ولكن ٠٠ لقد كنت انت المذنب في العجز عن نسيانك ٠ ان جميع الاصوات والاقلام العربية المنطلقة في كل الاوقات على كل القضايا وعلى كل ما ليس قضايا لتطرحك على كل الاذان والضمائر والعقول والاخلاق طرحا يجعل القدرة على نسيانك شيئا مستحيلا مهينا ٠

انك متدفق صارخ من كل الحناجر والاقلام والمنابر العربية في كل الاوقات والمواقف لانك موجود بكل اخلاقك وذكائك ومواهبك في كل الاخلاق والعقول والمواهب العربية ٠ انك محتل لها ٠٠ ان احتلالك للذات العربية احتلال لا نموذج له في قوته وشموله وديمومته ٠

ولم تتأكد كينونتك المطلقة المستبدة الراسخة المعبرة بكل الجبروت عن انتصارها وشمولها في كل المواهب والاخلاق والمشاعر العربية مثلما تأكدت في عصر المواجهة العربية الاسرائيلية ، مثلما تأكدت في مواهب واخلاق وادعاءات ومفاخرات وصراخ جيل « العبور » ٠

ان اي شيء لم يكنك او يعلن عنك مثلما كانك واعلن عنك جيل العبور ، جيل حرب اكتوبر ٠

ان الناطقين العرب لا يذكرون بك تذكيرا فقط لقوة التشابه ولكنك بالالزام وبلا تدبير او مقاساة تتفجر وتقفز من اخلاقهم ومشاعرهم ومواهبهم واصواتهم ٠ لقد تفجرت وانطلقت منهم بالاسلوب والمنطق اللذين بهما تخلقت وتنقلت فيهم ٠٠

انهم لا يذكرون بك فقط ولكنهم يقاسون من الحبل بك ، من ولادتهم لك ، من ولادتك لهم ، من استفراغك لكل مواهبهم ، من استفراغ معانيك لكل معانيهم ، من استفراغك على كل نبواتهم وقياداتهم واديانهم وتعاليمهم وصلواتهم ، من وضع جميع جثثهم في اكفانك ، في تابوتك ، في عباءتك ، من حبس جميع غربانهم في حنجرة غرابك من تحول كل فنون غرابك النبي لنون لكل غربانهم لكل انبيائهم وقادتهم وزعمائهم وعسكرييهم وثوارهم وجماهيرهم ٠٠ من ارتفاع صوتك وحده في اصوات صلواتهم وقراءاتهم واناشيدهم ٠٠ من قراءة وسماع كل مدائحك واهاجيك ومفاخراتك وتهاويلك المذهلة في سخفها بقراءة وسماع قرآن واقوال اربابهم وانبيائهم ٠

***

يا لها من قضية : ان الابناء يحبلون بالاباء ويلدونهم كما حبل جيل « العبور » ، جيل المواجهة لاسرائيل بالمتنبي وجيله ، وكما ولدهم ٠٠ وان الاباء ليحبلون بالاجداد ويلدونهم كما حبل المتنبي وجيله باجيال الخلفاء والسلاطين والائمة وشعراء المعلقات جيل واجيال ابي هريرة والبخاري وكما ولدوها ٠٠ وان الاجداد ليحبلون بذواتهم ويظلون يلدونها دون ان يحبلوا باية ذوات اخرى او يلدوها اي دون ان يحبلوا بابناء هم غيرهم ، اصغر او اكبر ، هم صيغة او كينونة اخرى ، او ان يلدوهم ، كما حبلت اجيال الخلفاء والسلاطين والائمة وشعراء المعلقات واجيال البخاري وابي هريرة بذواتها ثم ظلت تلدها دون ان تحبل باي شيء اخر او تلد هذا الشيء الاخر ٠ نعم ، العربي يلد اباه ، وابوه يلد جده ، وجده يلد نفسه ، يلد ولادته ٠ انها المعجزة العربية ٠

يا لها من قضية اشهر ابطالها او اعظمهم او كل ابطالها : الانسان العربي ٠٠ انه لا يوجد شعب له من البطولات مثل ما للشعب العربي ٠ ولكن لماذا جميع البطولات العربية هي بطولات تفاسيرها نقيض تفاسير جميع البطولات ؟ حتى رفض النقد للذات او رؤيتها او محاسبتها هو بطولة عربية لا تنافس ٠٠

العرب حتى المصابون بالعقم الدائم يلدون اباءهم واجدادهم ، واجدادهم يلدون انفسهم ، يلدون ولاداتهم او يلدون كينونتهم الاولى او يلدون اخلاق ومواهب أربابهم الاوائل ، الازليين الابديين الذين لا يتعاملون بالتاريخ أو الاحداث ولا تتعامل بهم الاحداث والتاريخ ، لهذا لا يتغيرون ٠ انت لا تستطيع ان تكون عربيا الا بقدر ما تلد اباءك واجدادك ومواهب واخلاق اربابك اي الا بقدر ما تلد ولادتك الاولى ٠٠

ان الالهة هم اكثر الكائنات تغيرا لانهم هم اكثر الكائنات توالدا تصاعديا او انتقاليا او استبداليا او تحوليا ٠ والتوالد اذا لم يكن بهذه التفاسير فليس توالدا

ولكنه عد مكرر للشيء الواحد ، او هو تفسير للكلمة الواحدة ذات المعنى الواحد بعديد التفاسير او بعديد اللغات او كتابتها او نطقها بعديد الخطوط او الحروف او اللهجات ، او هو تفسير للشيء الواحد او للمعنى الواحد بعديد التفاسير ٠٠ او هو اي هذا التوالد يشبه وضع كتاب خرافي لا حد لعدد صفحاته ، مؤلفة كلها من كلمة واحدة لا يعني بها الاتفسيرا واحدا ولا تعنى هي الا تفسيرا واحدا ٠ هل يوجد اسخف من هذا الكتاب الا التوالد الذي لا يعني الا تكرار الاباء ؟

ان التوالد ان لم يكن تخطيا وتفوقا يصنعه الابناء ضد الاباء وفوقهم فليس توالد بشر او الهة او مجتمعات ولكنه توالد حشرات أو نباتات او حيوانات أو جماد ٠ آلهة العرب هم وحدهم الذين لا يتغيرون لانهم لا يتوالدون ٠ وان العرب ليفخرون بالهتهم لانهم لا يتوالدون ولا يتغيرون ٠ وهل يريدون او يستطيعون ان يفعلوا أو يريدوا ما لا تستطيع أو تريد الهتهم ان تكون ؟ اذن هل يمكن ان يتغير او يتوالد العرب ٠ او ان يريدوا ذلك ، اعني التوالد الانساني الذي يعني تخطي الاباء والتفوق عليهم ، اوحتى تمني او ادعاء هذا التخطي والتفوق ؟ هل حدثت ولادة عربية واحدة في كل التاريخ مفسرة بهذا التفسير للتوالد ؟

نعم ، العرب حتى المصابون بالعقم التام يلدون اباءهم واجدادهم ، واجدادهم حتى المصابون منهم بكل العقم يلدون ذواتهم اي يلدون ولاداتهم ٠ العرب مهما كانوا اكثر الناس او من أكثرهم توالدا فانهم جميعا في كل تاريخهم الذي كان كانوا مصابين بالعقم التام ٠ ان احدا منهم لم يلد احدا ولم يرد ان يلد ٠٠ أما تاريخهم الاتي فكم نتمنى ان يصاب بالتوالد ولو تعويضا عن العقم السابق ٠٠ ان اشهر واكبر انبياء وخلفاء وشعراء وقادة العرب لم يستطع او يمكن ان يلد او يولد واحد منهم غير ولادة واحدة هي الولادة الاولى للانسان العربي الاول ٠٠

اما الاخرون غير العرب او الاخرون المتفوقون فالاجداد يلدون الاباء ، والاباء يلدون الابناء ، والابناء يلدون الاحفاد ٠ وهكذا يستمرون يتصاعدون في سماء مفتوحة لا نهائية ، متصاعدة بالتخطي والتفوق اي بالتوالد الانساني الحضاري ٠ ان توالدهم يعني في النية والكينونة توالد نماذج جديدة في الفكر والرؤية والقدرة والتقبل والشوق والتمني والاحتجاج والرفض وفي الصيغة والمكان ايضا ٠

فاي الفريقين اكثر اعجازا واعظم معجزة : العرب الذين يلدون اباءهم واجدادهم ويلدون ولاداتهم ، ام هؤلاء الاخرون الذين يلد اجدادهم اباءهم ، ويلد اباؤهم ابناءهم ، ويلد ابناؤهم احفادهم ٠٠ الذين يتحول التوالد فيهم دائما الى تخط وتفوق وصياغات جديدة للتاريخ والحياة ولكل شيء ، والى استصغار وتصغير ولكن بلا تحقير لكل ما رأته واحترمته وعرفته ورضيته وإبتدعته عيون وعقول وعضلات واشواق واخلاق وطموح كل الاباء والاجداد ٠

ايهم اكثر اعجازا واعظم معجزة : الذين يتوالدون الى الوراء ام الذين يتوالدون الى الامام ؟ ٠٠ الذين يتوالدون تصاعدا وتقدما ام الذين يتوالدون تراكما وتكاثرا مكررا؟

اسفي على الذين لا يتوالدون الا الى الوراء بل ويفخرون بذلك بل ويعاقبون ويلعنون من يريدون التوالد الى الامام...

نعم ، ان اي توالد ان لم يكن تجاوزا وسبقا لما كان ، للاباء وللتاريخ ، وان لم يقصد به ذلك ويخطط لذلك فلن يكون اي التوالد الا تلويثا وتعذيبا وتضخيما للمشاكل والهموم والالام والقبح ، والا عبثا سخيفا بليدا دميما ليس فيه اي شيء من الفن او الشعر او الحب أو الجمال او الذكاء،أو الروعة او التهذيب أو الفداء أو العطاء ، ولن يكون له اي تفسير أو تسويغ في منطق اي شيء .. لن يكون فيه اي اسعاد أو سرور لعيون أو ضمائر أو قلوب النجوم أو الشمس أو الالهة أو اي ترحيب او عزاء لتحديقها فينا ..

التوالد يجب ان يكون رفضا للبقاء في ذوات،الاباء بل وعجزا عن هذا البقاء . يجب أن يكون التوالد ارتحالا مستمرا الى آفاق كينونات جديدة والا فلماذا العناء والعبث ؟ ان الانفصال الذاتي أو الزماني أو المكاني عن الابوين يجب ان يكون انفصال تجاوز وقدرة وطور وطموح والا فلماذا ؟ ان الالهة لو كانت تتوالد لكان مرفوضا وقبيحا ان تفعل ذلك ان لم يكن توالدها تجديدا وتطويرا في النوع .

المفروض ان تكون ولادة الانسان ولادة نوع اي ان تكون تجديدا مهما كانت كل الولادات الاخرى ولادات مقدار اي كثرة اي تزاحم وملء للمكان وللغرفة الواحدة : انه لن يكون شهامة او نبلا أو جمالا أو ربحا لاي شيء اي وليد جديد يجيء ويظل يجيء ليكون فقط تكرارا وتراكما وملأ للغرفة الواحدة . قبيحة هي الولادة التي لا تعني الا التزاحم الاليم على المائدة او الغرفة الواحدة او لتكرار الصورة الواحدة .

.. هي قبيحة وحزينة وسخيفة رؤية الوليد محمولا على الذراع أو على الكتفين أو على اي مكان من الجسم ، او مختبئا في كيسه الدافيء المختنق المتشوه باختبائه فيه ، ما لم تكن تعني رؤية او انتظار ميلاد تاريخ جديد متخطيا لكل مستويات ورؤى وتفاسير وكينونات التاريخ القديم ورافضا مستصغرا لها ، وما لم تكن اي رؤية الوليد تعني كل معاني الخروج على رؤية جيل « العبور » وجيل المواجهة لاسرائيل محمولا على ذراعي المتنبي او على كتفيه او مختبئا في عفونات اخلاقه ومواهبه ، في عفونات مدائحه واهاجيه ومصاهلاته البذيئة العاجزة الحمقاء ، الى ان تجرى عليه وله اسرائيل الفضاحة عملية « التوليد » في اوقاته واساليبه وظروفه القبيحة الرهيبة في قبحها وفضحها ، لينطلق صارخا بكل عواء ووقاحة وسخافة والده المتنبي ، متحدثا عن امجاد « عبوره » ..

قبيح ان ترى وليدا لن تعني ولادته ولن يراد او ينتظر منها الا ولادة كل انبيائه وخلفائه وسلاطينه وشعرائه وائمته وابائه المخزونة جثثهم في مقابر التاريخ المملوءة بالعفن والدمامات والفحش ، بالتفسير الذي جاءت به ولادة المتنبي لا تعني الا ولادة كل معاني كل من سبقوه من قومه ، وبالتفسير الذي جاءت به ولادة اي قائد او اي فرد من جيل « العبور » وجيل المواجهة لاسرائيل لا تعني الا ولادة كل معاني

المتنبي ومعاني جيله ٠٠ اليست ولادة اي ولنيد عربي جديد انما تعني ولادة كل من سبقوه من انبياء وخلفاء وسلاطين وائمة وشعراء وشيوخ وجماهيرفي كل التاريخ العربي اي في المستوى الحضاري والانساني والاخلاقي مهما اختلفت الظروف والتعبيرات والاماكن والمزاعم والتكاليف ؟ أليس احتمالا ما ان كائنا ما غامض الشخصية والاخلاق والموهبة والوظيفة ، يعيش داخل هذا الكون او فوقه او بعيدا عنه ، هو الذي دبر فكرة التوالد الانساني او التوالد كله لكي يكون اي التوالد ، اي في حسابه وتدبيره هو وسيلة التطور والتجاوز الاسرع الاشمل الى الاقوى والاذكى ، وكانه لم يجد وسيلة غير هذه الوسيلة او مثلها لتحقيق هذا التطور ، وكان لاسباب غامضة أيضا يريد حدوث هذا التطور ، ولكنه بعد ان ابتكر التوالد لهذا الغرض وبهذه النية عجز عن تحقيق غرضه هذا او تراجع عنه لاسباب غامضة ايضا ـ تراجع عن تحقيق غرضه هذا وعن المضي فيه ولو في تعامله مع الانسان العربي ، وعجز عن تحقيق غرضه هذا على المستوى وبالسرعة والشمول الذي كان يريده ويتوقعه في تعامله مع جميع البشر ٠٠ ثم استمر الشيء اي التوالد يحدث بدون فكرته او هدفه ، اذ قد كسل او لم يبال اي هذا الكائن الغامض ان يتراجع عن مشروعه تراجعا كاملا ؟

نعم ، اليس هذا احتمالا ؟ اليس في افتراض هذا الاحتمال شيء من المجاملة لهذا الكون او لمن فوقه ان كان فوقه احد أو ان كان له فوق ؟

وان لم يكن هذا الاحتمال هو التفسير المحتوم لعملية التوالد الرهيبة فأي تفسير او تسويغ يمكن تقبله أو افتراضه في أية حسابات عقلية أو أخلاقية أو في أية حسابات اخرى مدبرة ومخططة ، اي اذا كان من المحتمل او المحتوم او المعقول او المفترض ان هذا الكون أو اي شيء فيه محكوم او محسوب باي اسلوب أوقدر أو مستوى من العقل أو الاخلاق أو التدبير والتخطيط ؟ أليس شيئا قبيحا ورهيبا جدا الا يكون هذا الكون محكوما باي قدر من العقل والاخلاق او التدبير أو المنطق ؟

ولكن هل يوجد خروج على العقل والمنطق والاخلاق والتدبير والتخطيط ، وعجز عن تصور ذلك وعن فهمه والالتزام به وعن فهم وتصور شروطه اي شروط العقل والمنطق والاخلاق والتدبير والتخطيط ٠

اجل ، هل يوجد خروج على كل ذلك وعجز عن فهمه وتصوره وعن الالتزام به مثل الافتراض بان شيئا ما في هذا الكون محكوم او محسوب باي قدر من المنطق او العقل أو الاخلاق أو التدبير او التخطيط ؟ بل هل يوجد هجاء للانسان مثل ان وجد فيه من يفترضون هذا الافتراض ويحولونه الى نبوات وكتب مقدسة يفرض بالسيف الايمان بها ؟٠

انه لا يوجد منطق خارج على كل تفاسير المنطق وحساباته وافتراضاته ، بل ومحقر مهين للمنطق بكل تفاسيره وحساباته وافتراضاته مثل المنطق الذي يفترض اي شيء في هذا الكون منطقيا ، او متعاملا او متفاهما أو متحاورا مع اية صيغة من

صيغ المنطق ٠ انه لو وجد منطق يشترط المنطق في الاشياء لتعامله معها لما استطاع ان يتعامل مع اي شيء او ان يراه او يعايشه أو يعاصره ٠

هل اهان الانسان منطقـه في اية قضية او موقع مثلما اهانه حينما زعـم أو اقتنع ان هذا الكون منطق او انه اخراج او ولادة او رؤية او شهوة منطق بل او حتى غلطة أو ضربة أو بصقة منطق ، او حتى عبث او مزاح منطق مصاب بكل شهوة العبث والمزاح المصاب بكل قوة العشق لاسخف انواع ومستويات السخف ؟ هل اهان الانسان منطقه مثلما اهانه حينما اعلن هذا الكون هو سلالة اعظم منطق لاعظم الـه ؟

ان حكم الانسان بان الكون منطقي او محسوب محكوم بالعقل ليس حكما ولكنه اعلان عاجز عن ان يعرف ما هو المنطق وعن ان يجد شيئا يكون او يعمل او يتحرك بالمنطق ، ليتعلم منه المنطق ، وليعرف به الفرق بين المنطقي والمنطق وبين ما ليس منطقيا ولا منطقـا ٠٠

انك حينما تقول مثلا : ان تخلق الشمس او ضخامتها او استمرارها في دوراتها الضالة العابثة العمياء وفي توزيعها لجحيمها وزمهريرها هو شيء منطقي او منطق أو اروع واذكى واتقى منطق فلست بقولك هذا تحكم ولكنك تعلن عن انك لم تجد او تعرف او تر او تجرب او تعش شيئا تستطيع ان تعرف منه ما المنطق او يستطيع ان يفسر لك متى يكون الشيء منطقيا ومتى يكون غير منطقي ، وما الفرق بين هذا وهذا ، وتعلن عن انك لم تحاور وتسائل او تحاسب منطقك لتعرف ما هو المنطق معرفة مفسرة ومحسوبة بالمنطق ، وانك ايضا لم تجد من يعلمك أو يفسر ويحدد لك المنطق باساليب وحسابات واخلاق منطقية ٠٠ آه ٠ وا اسفاه على اخلاق وعقول وحياء وكرامة قوم لا يزالون ينصبون انفسهم معلمين لما في هذا الكون من منطق ، كاشفين عن وجوههم واسمائهم بحوافز الاعلان والكبرياء والجرأة ٠٠

ان البشر اي المتحضرين المنطقيين منهم جدا يرون ان المنطق الانساني هـو التفاهم والتوافق والتعايش والتعامل مع الكون أو مع الطبيعة وبها واتقاء التصادم بها والتناقض معها باسلوب ضار أو مدمر او قاتل ، ويرون انه اي المنطق الانساني محسوب ومحكوم بذلك ، أو هو اي المنطق الانساني محاولة هذا التفاهم والتوافق والتعايش والتعامل مع الطبيعة والاشياء مع محاولة اتقاء التصادم بها ٠ فالمنطـق اذن هو التكيف المريح مع الوجود ٠

ولكن منطق الكون أو الطبيعة بماذا فهموه او فسروه أو حسبوه أو حاسبـوه او ضبطوه او وجدوه ؟ وهل افترضوا ان من الممكن ان يكون للطبيعة او الكـون منطق أو طالبوا او رحبوا بأن يكون لهما منطق ؟

انها قضية تركت دون محاكمة او تفسير او دراسة بل دون تساؤل او حتـى اهتمام او شعور بالحاجة الى التفكير فيها ٠٠ ان التفسير لمنطق الانسان لا يعني التفسير لمنطق الطبيعة او ان لها منطقا ٠٠

لقد اصبح المنطق في الغالب موضوعا لغويا لا منطقيا او عقليا ·· انهم يقولون : هذا منطقي او منطق كما ينطقون الكلمات اللغوية وكما يضعون الاسماء والاوصاف وينطقونها ·· كما يقولون : هذا ناصر او منصور وهذا جمل او فرس ، وهذا جميل او ذكي او شهم او محب او محبوب او شجاع ··

انهم يطلقون هذا الاسم او الوصف على هذا الانسان او الحيوان او الشيء كما يطلقون المنطق أو المنطقية على اي وجود أو سلوك كوني أو طبيعي ··

انهم يفعلون كل ذلك بموهبة لغوية لا بموهبة منطقية او عقلية او تفسيرية · ان موهبة الانسان اللغوية قد تحولت الى مواهب اخرى كاذبة ·· أليس محتوما ان تكون اوهام الانسان اقل عددا ومجدا وجبروتا لو كان بلا لغات ؟

ان اكثر الناس واحيانا كل الناس يتعلمون منطقهم من لغاتهم لا من منطقهم ولا من رؤاهم او محاسباتهم · وكذلك من لغاتهم يتعلمون اخلاقهم واديانهم وامجادهم واوصاف اربابهم وانبيائهم وابائهم بل ويتعلمون حبهم وبغضهم وقراءة وتفسير مشاعرهم واهوائهم اي من لغاتهم · ان اللغات هي المفسر والموجه والمطلق المسدد للمشاعر والاهواء ··· انها هي الواضعة لها طريقها والمعرفة لها باصدقائها واعدائها اي للاهواء والمشاعر ·· انها اي اللغات هي اقوى واكذب واغبى معلم للانسان ··

انها تعلم الخروج على الذكاء والمنطق والحب والصدق اكثر مما تعلم الذكاء والمنطق والحب والصدق ··

ان الانسان لم يضع او يعرف لغته بالمنطق ولكنه عرف ووضع منطقه باللغة ، وانه لم يصبح لغويا لانه منطقي او لانه عارف بالمنطق او ملتزم محترم له ، لكنه اصبح منطقيا اي زاعما ومقتنعا بانه منطقي وبان الكون والطبيعة وكل الانبياء منطقية ، وبانه يحترم ويلتزم ويعرف المنطق ، لانه لغوي ·· ان الكائن اللغوي لا بد ان يتحدث عن الاشياء وان يحاول تفسيرها والحكم عليها بل ورؤيتها بالكلمات كما لا بد ان يملي حديثه عنها وتفسيره ورؤيته لها وحكمه عليها · اذن لا بد ان تصنع اللغة المنطق ·

اجل ، ان الانسان لم يضع او يعرف منطقه بالمنطق بل باللغة اي لانه كائن لغوي · كذلك لم يقتنع او يعلن ان في الطبيعة او في الاشياء او فوقها منطقا بالمنطق ولكن باللغة اي بالتعاليم اي بكونه كائنا يضع التعاليم ويتعلمها ويعلمها ويكتبها ويحفظها ويرويها ويفرضها ويصدقها باسلوب لغوي وموهبةلغوية لا باسلوب عقلي ولا بموهبة عقلية ·· لقد تعلم واقتنع بان الطبيعة وكل الاشياء مدبرة وموضوعة ومحكومة بالمنطق بالاسلوب اللغوي الذي به تعلم الصلاه وعددها وهيئها لقد تعلم ذلك بالاسلوب اللغوي الذي تعلم به كيف يقضي الاله اوقاته فوق سمواته مع وحدته القاتلة ·

أنه يعلم التعاليم ويتقبلها كما يعلم اللغة فيتعلمها ، اي انه بالاصوات يعرف المنطق ويقتنع به ويعلن عنه اي بالفم والاذنين · بل انه بالاصوات اي بالفم

والاذنين يرى المنطق ٠٠ لقد رأى الانسان منطقه ومعتقداته ومرئياته بأذنيه وفمه اكثر مما رآها بعقله او عينيه ٠٠

ان البشر لو كانوا بلا لغات او بلا تعاليم تصوغها اللغات وكانوا بكل طاقاتهم ومواهبهم العقلية لما امكن ان يؤمنوا بان هذا الكون صيغة منطقية ٠٠ انه لمحتوم حينئذ ان يؤمنوا بان اسفه واجهل واظلم حكامهم وقادتهم هو اكثر منطقية من أي شيء في هذا الكون ٠٠ انهم لو كانوا بلا لغة لما رأوا الله مطلا بكل مجده وحبه ورحمته وجماله وذكائه من فوق وداخل كل الدمامات والبلادات والالام والعبث الرهيب الكئيب ٠ ان الله بكل اوصافه وتاريخه ليس الا صياغات لغوية قالها الفم للاذن وكانت الاذن كل الحقيقة ٠٠

ان المنطق في كل العصور والمجتمعات والحالات ليس شيئا غير ما حسبه وزعمه الانسان منطقا ٠ ان للاشياء المرئية او المسموعة او الملموسة ، او التي يمكن ان تكون مرئية او مسموعة أو ملموسة ، وجودا ذاتيا ٠ اما المنطق فليس له في جميع صوره وموضوعاته الا وجود مزعوم او محسوب ، اي انه ليس له وجود ذاتي ، وكل وجوده هو زعمه وحسبانه موجودا ٠٠

مثلا ، الذباب موجود وجودا ذاتيا ، وكل المتعاملين معه يعلمون وجوده الذاتي مهما كان ذكاؤهم ولكن كم هم الذين يستطيعون ان يعتقدوا ان في وجوده أو اخلاقه أو في تعامله بالناس والحياة اي منطق الا زعما وحسبانا ؟

وكل اسباب زعم المنطق وحسبانه موجودا لا تتعدى حالة التلاؤم وارادته وتطبيقه ، كما لا تتعدى فهم الشيء وتفسيره وارادته ومعايشته والتعامل معه وبه كما هو بكل خصائصه واخلاقه ، بل وبكل خروجه على كل مستويات واساليب ونماذج كل منطق وكل اخلاق مزعومة هي كل الاخلاق الجيدة والمطلوبة ٠ حتى العواطف والاحاسيس والتخيل والتمني هي اشياء ولكن المنطق لن يكون شيئا الا زعمـا وحسبانا ٠٠

اذن فاصدق واشمل تعريف للمنطق انه هو التعامل القوي الذكي القادر المتحرك الانتهازي النفعي الاناني الوقح البذيء مع ما ليس منطقا ٠٠ هو أن تريد وتعشق وتتقبل وتفهم وتقتنع وتعايش وتتلاءم وتفسر بحاجتك وخوفك وضرورتك لا بعقلك اي لا بمنطقك المستقل في كينونته ٠٠ لهذا فان الناس يستطيعون ان يحيوا ويتعاملوا ويكونوا جميع كينوناتهم المتبدلة المتطورة دون اي منطق اي دون ان يزعموا او يحسبوا منطقا ما يزعمونه ويحسبونه منطقا ، اي بالقوة التي بها يستطيعون ان يعيشوا ويتعايشوا ويتطوروا حتى ولو انهم غيروا جميع اسماء الناس والاشياء وكل الكائنات باسماء اخرى او مضادة ٠ كما استطاعت جميع الكائنات غير الانسان ان تحيا وتتعامل وتعمل بدون منطق اي بدون ان تحسب او تزعم سلوكها والاستجابة لحاجتها ومحاولتها التلاؤم مع غيرها ومع احتياجاتها منطقا ٠ اذن فالانسان اكثر

خروجا على المنطق من جميع الكائنات الاخرى لانه يسمي ويحسب التعامل والتلاؤم مع ما ليس منطقا والخضوع له منطقا ٠

ولكن الانسان وكذا ما سواه من الكائنات لا يستطيع الحياة أو العمل بلا اشياء بل أو بلا عواطف واحاسيس وتخيل وتمن ٠٠
نعم ، ان المنطق ليس الا لغة أو تسمية مثل ان يسمى الجبان أو المهزوم أو الذليل جدا بشجاع أو منصور أو عزيز ٠٠

ان جميع اجهزة الوزن والقياس والرؤية والتحليل لن تستطيع مجتمعة ان تجد في هذا الكون او في اي شيء منه اي قدر أو نوع من المنطق ٠٠

يقتلون الذباب ويصلّون لخالقه

كان قد مر بنا سؤال يقول : هل علم الانسان العربي ان هذا العصر قد جاء ثم استجاب لمجيئه اي ثم اصبح معاصرا له ولم يظل تاريخا فقط متجمدا تجمدا ابديا في صيغة واحدة · وقد جاء الرد على هذا السؤال : اذن لماذا لم ير المتنبي او اي شيء رؤية معاصرة متغيـرة ··

وقد قيل ايضا اي في ما سبق : ان الانسان العربي لا يعاد بعد موته اشفاقـا عليه من عذاب العودة وعارها لانه لو عاد لرأى نفسه رؤية جديدة ، وحينئذ لن يكون هناك مثيل لعذابه ولاشمئزازه من مواهبه ومستوياته وكينوناته السابقة الصغيرة الرديئة البذيئة · لو ان إعظم عربي قد كان رأى نفسه رؤية معاصرة لكان من المتوقـع ان يموت رفضا لرؤيته لنفسه ··

زهيب هو ان تركب في الانسان العربي القديم عيون معاصرة فـي رؤيتهـا ومحاسبتها وتفسيرها كما ترى ··

ولكن الانسان العربي كالالهة العربية لا يتغير · ولعل ديمومته الابدية في ذاتـه بصيغة تاريخية بدوية واحدة هي التي علمت الالهة العربية كينونتها الواحدة الدائمة· اليس محتوما ان الالهة لم تتعلم اية كينونة من كينوناتها الا من الانسان ؟ اليس الانسان هو دائما معلم الالهة اخلاقها وذكاءها ومواهبها وقيمها بل وعواطفهـا ؟ وهل يمكن ان يكون هذا الانسان غير الانسان العربي ؟

هل عشقت ذات الاله شيئا لتختار المجيء على نموذجه في كل نماذجها غير ذات الانسان العربي ؟ هل يقاسي الاله غير العشق للانسان العربي ؟

واذن لا خوف على الانسان العربي من ان يخلد في الحياة او من ان يرجع اليهـا اي الى ما كان لان ذلك لن يصنع له شيئا من العذاب او مقاساة العار او احتقار الذات او من سبابها والاشمئزاز منها ومن كينوناتها السابقة الصغيرة الرديئة البدويـة لانه اي الانسان العربي لن يصبح ناقدا او محاكما او متجاوزا لذاته السابقة في اية كينونة من كينوناتها السابقة الصغيرة ، ولن يصبح كذلك رائيا لها رؤية جديـدة

او مشترطا عليها أو لها او فيها اية شروط اخرى اكثر ذكاء او كرامة أو قوة او جمالا أو مجدا أو سعادة او حرية أو حضارة أو حتى حياء وصدقا وتهذيبا وحبا ٠ لان الذين لا يتغيرون في رؤاهم وطاقاتهم وفي طموحهم ونماذجهم الانسانية والحضارية لن يصبحوا ناقدين لانفسهم او مشترطين عليها او لها او فيها ولا منكرين لاي شيء من عارها أو هوانها او قبحها ٠٠

اذن لماذا حكمت الالهة عليه اي على الانسان العربي بالموت بالا يعود الى الحياة كرة اخرى ؟

أليس قد قيل في السطور السابقة تفسيرا لسلوك الالهة هذا : انها قضت بالموت على كل من خلقت وبألا عودة لمن ماتوا رحمة بهم واعتذارا وتوبة اليهم ، وحماية لهم من أن يظلوا أبدا يواجهون كينوناتهم التافهة الغبية الصغيرة الفاضحة ، ويحيونها ويكررونها ويحاكمون ويعيرون ويسبون انفسهم بها ، ويعرفون كيف كانوا صغارا واطفالا وانذالا بل وعارا ، وهذا لا بد ان يصنع لهم كل العذاب واقساه وادومه ، بكل اساليبه وتفاسيره النفسية والفكرية والاخلاقية والتصورية.؟ ولكن الانسان العربي مهما عاش وخلد او عاد الى الحياة لن يواجه او يقاسي أو يعرف او ينكر شيئا من ذلك لانه لا يصاب بالتغير ٠٠

وقد يقال جوابا عن هذا السؤال الصعب : لعل الالهة لم تعرف ان الانسان العربي لا يتغير ، وانه لهذا لن يصبح ناقدا او رافضا لنفسه او مريدا التجاوز لها ، واذن لن يتعذب او يقاسي من مواجهتها الدائمة في كل تاريخها ٠٠

حتى الالهة قد تعجز عن تصور الديمومة التاريخية او النموذجية في الانسان العربي ٠ انها ديمومة معجزة لخيال الالهة ٠٠

ولعل الالهة لم تعرف ذلك عن الانسان العربي لانها لم تنظر اليه او تفكر فيه ، لان كل افكارها ونظراتها واهتماماتها بل وهمومها مملوكة للانسان الاخر ٠٠ للانسان الاخر المخيف الذي صعد اليها في مخابئها ومضاجعها مسترخية متبلدة تقرأ على نفسها روايات مجدها وانتصاراتها القديمة في صحراء الكينونة والتاريخ ٠٠ صعد اليها مختبئة خوفا وحياء وراء السحاب والنجوم والقمر ٠٠ صعد اليها لا ليتعلم منها كيف يؤمن بها ويصلي لها ويتلقى منها الاوامر لاذلال اهل الارض بل ليعلمها كيف تخجل من نفسها وتتنازل عن مجدها ٠٠

لا ، ان هذا الانسان الاخر مهذب حتى مع الالهة لهذا اقنعها بالتنازل عن الوهيتها لكي تكون اكثر مجدا وكرامة وشهامة وراحة وسرورا ٠٠

ان هذا الانسان الاخر لم يبق لها شيئا من نظراتها أو تفكيرها أو اهتمامها ، لتتعامل به الانسان العربي لكي تعرف انه مثلها لا يتغير ٠ ان مطالبة الالهة بان تفكر في الانسان العربي وبان تنظر اليه وتهتم به عدوان بذيء على فكرها وعيونها واهتماماتها وكرامتها ٠٠ !

وقد يقال ايضا تفسيرا لذلك : لعل الالهة حينما حكمت بالموت على الانسان الاخر للاسباب المذكورة لم ترد ان تفرق بينه وبين الانسان العربي في الحكم عليه بالموت ، مع ان الانسان العربي لا يملك الاسباب التي تجعل الحكم عليه بالموت توبة واعتذارا اليه وحماية له من مقاساة كل انواع العذاب والعار والاحتقار للنفس ٠٠

لعلها اي الالهة قد رأت ان التفرقة بين الانسان العربي والانسان الاخر في قضية الموت قسوة او اهانة لا يتحملها ضميرها ٠ ان تخصيصك بالخلود في ذاتك وحياتك لهو أشد أساليب التعذيب والتحقير والتشويه والفضح لك والاستهزاء بك ٠ ان اعادتك الى الحياة لترى كيف كنت نبيا او زعيما او سلطانا بدويا دجالا كذابا جاهلا لاقسى عقاب لك ٠٠

وقد يقال ايضا جوابا عن هذا السؤال الصعب جوابه : لعل الالهة قد فكرت بذكاء وشهامة وخوفا على الحضارة وعلى مستقبل الانسان ، فرأت أنها لو خلدت الانسان العربي حيث لا تفسير لموته وقضت بالموت على الانسان الاخر لكانت العاقبة رهيبة جدا ومحطمة مشوهة للحضارة وللتقدم الانساني الشامل ، لان تكاثر الانسان العربي لا بد ان يغرق حينئذ الانسان الاخر ويسحب منه او يضعف تأثيره الحضاري المتفرد بصياغة التاريخ والحياة صياغاتهما الجيدة المتفوقة المعوضة عليها اي على الالهة عجزها وتبلدها وبداوتها الدائمة ٠٠ أليس مستقبل الانسان يواجه باحتمال حزين ، هو تكاثر المتخلفين الى ان يغرق في تكاثرهم المتفوقون ؟ آه ٠ ما اخطر احتمال تكاثر المتخلفين ٠ ان نفس المتفوقين يصنعون لانفسهم هذا الخطر ٠٠

ولكن هل الالهة تفعل بعدل أو بنظام أو بمنطق ، أو هل هي تعرف ما العدل أو النظام أو المنطق لكي تسأل عن ذلك أو تحاسب عليه أو تطالب به أو يبحث لها ولما تصنعه أو تريده عن تفاسير ؟ بأي مقياس تعرف الالهة ما يجب أن تفعل ؟ هل يمكن ان يكون خالق هذا الكون وحاكمه ومعايشه يعرف أو يلتزم شيئا من العدل أو النظام أو المنطق ؟ ان فعلها وتركها الفعل كيف كانا هما كل منطقها وتفاسيرها ، كما ان سقوط الحجر ، قوته وضعفه ، جماله ودمامته ، نفعه وضرره ، هو كل منطقه وتفاسيره ، وكل اخلاقه وذكائه ونظامه ، بل وكل ايمانه وتدينه ٠٠ أليس تفسير اخلاق الحجر ومنطقه هو أصدق وأشمل تفسير لاخلاق الالهة ولمنطقها ؟

اذن يجب ألا نقاسي لكي نبحث عن منطق أو عن تفسير لما فعلت الالهة في هذه القضية أو في اية قضية اخرى ٠ هل يوجد خادعون كاذبون أو مخدوعون مكذوب عليهم وبهم مثل الذين يذهبون يبحثون للالهة ولما تفعل عن تفاسير أو منطق ؟

انهم لبائسون وهازلون ومستحقون لكل الرثاء أولئك الذين يحاولون أن يصنعوا أو يجدوا تفاسير أو منطقا أو تدبيرا أو تخطيطا للالهة أو لاي شيء من كينوناتها أو من افعالها الجيدة الذكية أو الرديئة البليدة اي المعدودة هذا أو هذا ٠٠ كيف حدث ان احدا من الاذكياء أو العقلاء حاول ذلك أو فكر فيه ؟ كيف هبط كل هذا الهبوط ؟

ان الذين يبحثون عن تفسير أو منطق لذوات الالهة أو لضرباتها ليسوا اذكى او أتقى أو أفضل من الذين يبحثون عن تفسير أو منطق أو نظام او عن تدبير أو تخطيط أو اخلاق للذباب في ذات الذباب حينما يقع على هـذا الوجـه دون الوجـوه الاخرى ، وفي هذا المكان دون الاماكن الاخرى ، وحينما ينقل هـذه الجرثومة المرضية دون الجراثيم الاخرى ، وحينما يجيء بهذه الصيغة والكينونة وبهذه الاخلاق والمواهب والصفات دون الصيغ والكينونات والاخلاق والمواهب والصفات الاخرى كيف يكون للاله منطق حين يقتل هـذا أو يشوهه دون هذا اكثر أو أذكى من منطق الذباب حين يقع على هذا الوجه دون هذا ؟

هل يمكن ان تكون الالهة اكثر اخلاقية أو منطقية أو تدبيرا وتخطيطا لما تفعـل وتريد ، من الذباب ؟ هل يمكن ان يفسر العقل الالهة بالمنطق والاخلاق ثم يعجز عن تفسير الذباب ؟

ان الذين يبحثون عن تفاسير عقلية أو منطقية أو اخلاقية أو تدبيرية او تخطيطية أو انسانية لما تفعلـه وتكونه الالهة هم أردأ وأكثر بحثا عن الهزل والبلادة والعبث من الذين يبحثون عن مثل هذه التفاسير في العاهة الوقحة تصيب الوجـه الجميل الحيي أو في المرض الوبيل يصيب الجسم البريء النشيط العامل ، أو في اعطاء الام المتلهفة المتضرعة التي طال جدا انتظارها ابنها الوحيد اليوم لاخذه منها غدا أو لاصابته بالعاهة الرهيبة المقعدة ، أو في الزلزال او البركان أو الطوفان او الاعصار المدمر للمدينة الامنة الراقدة بعد أن وهبت كل صلواتها وتضرعاتها ومبايعاتها لكل الهتها ، وبعد أن تملقتها بكل دموعها ونظراتها واهاتها وقراءتها لكل كتبها المقدسة بكل اصواتها وارتجافاتها ، وبعد أن هتفت بكل الصدق والذعر والانكسار والاطمئنان : الامان ، الامان ايتها الالهة الطيبة الكريمة الوفية ...

الامان ، الامان ايتها الالهة المجملة المجاملة لنفسها بخلق العاهات والدمامات والاوبئة والمجاعات المحرقة المغرقة للمروج الرافعة هاماتها وقاماتها الى الشموس والنجوم مقبلة مصافحة محيية شاكرة معترفة بالجميل ، طالبة الحماية والرعاية والالتفات والامان والمزيد من العطاء والبهاء . قبيحة ووقحة هي الشمس حينما تأذن لاي حدث طبيعي ان يقتل شجرة زرعتها ونمتها ثم ارتفعت اليها تبتسم لها وتحييها وتحتمي بها ...

انه لو أمكن تفسير كل شيء حتى الوباء والجنون والقتل والموت والغدر والخيانة والسرقة والنذالة والجبن والفجور والعدوان والطغيان والهوان ، بل وحتى الزعامات والقيادات والنبوات والعداوات والخصومات العربية ـ حتى لو امكن تفسير اخلاق وتحركات ورؤى وعقول زعماء وانبياء وحكماء العرب .

ـ نعم ، انـه لو امكن تفسير كل ذلك تفاسير منطقية واخلاقية ودينية ومذهبية وحضارية وانسانية لبقي شيء واحد لا يمكن تفسيره بشيء ولا بواحد من هـذه

التفاسير ، هـذا الشيء الواحد هو الاله ٠٠ اجل ، ان الاله هو الذي لا يمكن تفسيره ولا تسويغه مهما امكن تفسير وتسويغ كل شيء ، حتى ولو أمكن تفسير وتسويـغ القيادات العربية ٠

وهؤلاء الذين يصرون على ان يفسروا الله بالمنطق والاخلاق والتدبير وبالخيـر والعدل والجمال والمحبة ، ما رأيهم لو أن مجتمعا من المجتمعات قد قرر أن تدرس وتفسر جميع الحشرات الناقلة للامراض والعفونات ، وجميع الجراثيم المرضية في جميع المدارس والمعاهد والمعابد كما يفسر الاله اي بالمنطق والاخلاق والعدل والجمـال والمحبة وبالتدبير الخير ، اي بأنها ليست الا بحثا عن ذلك وارادة وتحقيقا له وتعبيرا عنه ؟ ولكن أليس كل المؤمنين بالالهة أو بالاله الواحد يدرسون ويفسرون جميع الحشرات والجراثيم في جميع المعابد والمعاهد هذا التفسير أي كما يفسرون الاله ؟

أليس الذين يفسرون الله هـذه التفاسير ويرونه هذه الرؤية انما يفسرون هذه الحشرات والجراثيم المرضية هذه التفاسير ، ويرونها هذه الرؤية ؟ أليست تفاسير الفنان والحكيم والمبدع هي تفاسير لفنه وحكمته وابداعه ؟

أليست هذه الحشرات والجراثيم هي تفاسير الله ومنطقه وجماله ومحبته وعدله وتدبيره الخير واخلاقه ؟ أليست هي ادواته ورسائله ووسائله ؟ أليست هي انبياءه وخبراءه وعلماءه وفنييه وعماله المهرة الكونيين ؟

أليست هذه الحشرات والجراثيم وكل هذه الالام والافات هي شفاه الاله التي يقبل بها ، ويديه اللتين يصافح بهما ، وقلبه الذي يحب ويعشق به ، وعطاياه التي يهبها ، وعقاقيره التي يداوي بها ، واطباءه الذين يصنع بهم الشفاء والقوة والجمال والسعادة ، ولغاته التي يتحدث ويعلن بها ؟ أليست هي ضميره قد تخلق وتصـور وجاء بهذه الصور وفي ذوات هذه الكائنات المحسوبة والمسماة حشرات وجراثيم ؟ هل يحتمل انها قد تخلقت أو جاءت بالكره منه وبالخروج عليه ؟ اذن هل يحتمل انهـا ليست احدى هداياه الجيدة ؟

كيف، لا يعرف هؤلاء الذين يعلمون الله ويعلمون عنه بكل صلف ونزق ووقاحة الايمان ، مفسرين لـه بأنه محبة وخير وعدل وجمال ونظام ومنطق ورحمة واخلاق ، بل بأن كل ما يفعله ويريده ويدبره ويوقعه ويوقع به هو كل ذلك ٠

ـ اجل ، كيف لا يعرف هؤلاء ان تفاسيرهم هذه للاله هي التفاسير التي يجب ان يفسروا بها الاوبئة والحشرات والامراض والعاهات والتشوهات والموت والشيخوخة والجنون والطغيان والظلم والفساد والعبث والقحط والصحراء والزلازل والبراكين وجميع الالام والمآسي الطبيعية ؟ هل يمكن ان يكون ضمير الاله أو قلبه أو عقله أذكى أو اتقى أو أرحم من هذه الافات ؟ اذن لماذا لم يفعل دائما هذا الاذكى والاتقى والارحم؟

وكيف لا يعرفون انها اذا فسرت هذه التفاسير أصبحت مقاومتها ، بل اصبح رفضها أو كرهها أو نقدها فسوقا وزندقة وثورة على الاله وعلى منطقه وتدبيـره

وتخطيطه وعلى حبه وجماله ورحمته ، بل واصبح الترحيب والفرح بها والاستزادة منها والالحاح عليها بالمجيء والتعاظم والتكاثر تقوى وتدينا ومحبة للاله بل وتقبيلا ليديه ولجبينه وضميره ؟ انه لا بد من احد تفسيرين : أما ان يكون الله رديئا وشريرا أو لن يكون اي شيء رديئا أو شريرا ..

ان الذين يجدون تفاسير جيدة في هذا الكون للاله هم كالطيور الجوارح وكالضباع والذئاب والهرر والحشرات حينما تجد تفاسير جيدة في القتلى والموتى والقاذورات وفي الخرائب والدمار والظلام ، اي حينما تذهب تفسر ذلك وتفسر ما فيه من منطق وتدبير خير رحيم ، زاعمة ومقتنعة ان كل ذلك اي القتل والموت والخراب والدمار والظلام والعفن انما وجد ودبر وجوده لكي تتغذى وتحيا وتسعد وتفرح به اي الضباع والذئاب والهرر والحشرات والجوارح .

ان منطق المؤمن الواجد في آلام وحماقات الكون والحياة كل الرحمة والذكاء والتدبير لن يكون أذكى أو أتقى من منطق الحشرات والسباع لو أنها ذهبت تفسر الكون والحياة .

وانهم ايضا اي هؤلاء الذين يجدون تفاسير جيدة للاله في الكون هم كالاطباء وكحفاري القبور ودافني الموتى وحامليهم الى المقابر حينما يجدون تفاسير جيدة في الموت والامراض ، اي حينما يذهبون يفسرون ما في ذلك من منطق وتدبير خير رحيم نبيل شهم ذكي اخلاقي جدا ، زاعمين ومقتنعين ان الموت والامراض انما خططت ودبرت واريدت وفعلت لكي يكسبوا ويعملوا ويسعدوا ويفرحوا وتصبح لهم قيم وتفاسير ومعان ولكي يظفروا باهتمامات كبيرة في المجتمعات ...

مجدك ايها الاله عظيم . وحبك ورحمتك وذكاؤك وتدبيرك اعظم . ألست قد خلقت ودبرت الامراض والموت والقاذورات والظلام والدمار والخرائب لكي يسعد ويتغذى ويحيا بها ويكسب منها الاطباء وحفارو القبور ودافنو الموتى والسباع والحشرات ؟..

أليس محتوما ان يجد الاطباء وحفارو القبور ومكفنو الموتى والقتلى وان تجد الضباع والسباع والذئاب والهرر والحشرات والطيور الجوارح من التفاسير الجيدة في الالام والمآسي والاوحال والعاهات والاخطاء التي يعملون فيها ويتعاملون معها والتي تتغذى بها وتحيا عليها وتعيش فيها اكثر مما يجد المعلمون عن الاله والمعلمون له وبه من التفاسير الجيدة له في هذا الكون ؟ ان الطبيب قد يجد من التفاسير الرحيمة في العاهة تشوه الوجه الجميل اكثر مما يجد المعلم من التفاسير الرحيمة للاله حينما يخلق الوجه الجميل بين الوجوه الدميمة ..

أليس ممكنا ان يفهموا ذلك ؟ هل يمكن ان يعد جهل ذلك جهلا ؟ هل يمكن ان يرتفع الى مرتبة الجهل ؟ أليس دون ذلك جدا ؟ أليس وصف انسان أو موقف بالجهل يعد احيانا اسلوبا من أساليب التمجيد والثناء المبالغ فيه جدا ؟

اسفي على المنطق الذي يستقذر الذباب ويحتقره ويخافه ويطالب بقتله ويطارده من فوق انفه وطعامه بل ولا يرى فيه كل الجمال والعبقرية والنظافة والمحبة والشموخ الذاتي والمنطقي ، ثم يجد في الاله كل الكمال الاخلاقي والفكري والفني والنفسي ، مع انه خالقه بل لانه خالقه ·· أسفي على من يرى قبح الذباب ووقاحته ولا يرى قبح ووقاحة مريده ومصممه وخالقه ··

اسفي على المنطق الذي يرى في هذا الكون اي عيب أو نقص أو قبح ثم لا يرى في خالقه اي عيب أو نقص أو قبح ··!

أسفي على من يلعن المرآة لقبح ما يرى فيها ثم يصلي لجمال الوجه الذي يراه فيهـــا ·· !

أسفي على من يعيب ويحتقر ويلعن ويعاقب الوجه المشوه ثم يصلي لمشوهــه اعجابا وايمانا وشكرا · أسفي على من يستنكر أو يستقبح أو يقاوم أو يكره أو يستقذر اي شيء في نفسه أو في هذا الكون ثم يصلي لخالق ومدبر ومريد كل شيء ·

أسفي على من يغفر للصانع كل الاخطاء والعيوب والدمامات التي وضعها في صنعته ثم يعاقب الصنعة على الاخطاء والعيوب والدمامات التي وضعت فيها ·· أسفي على من يرى الصانع كاملا في جميع تفاسيره ثم لا يجد أو يشكو أي عيب أو خطأ أو قبح أو عاهة أو نذالة أو جنون الا في ما صنعه هذا الصانع الكامل ··

ان الاله لن يكون اعظم أو اتقى أو اذكى من الذباب أو من اية حشرة الا بقدر ما يمكن أن يكون المفكر أعظم أو أذكى أو اتقى تفكيرا من افكاره ، أو الا بقدر ما يمكن ان يكون الفنان اعظم أو اتقى أو اذكى فنيا من فنه ، أو الا بقدر ما يمكن ان يكون القلب انبل حبا من حبه ، أو الا بقدر ما يمكن ان تكون اليد أقوى ضربات مـن عضلاتها ، أو الا بقدر ما يمكن ان تكون عضلات اليد اقوى من اليد ·· الا بقدر ما يمكن ان تكون الكف اتقى من العصى التي تضرب بها ··

كم اتمنى ان يعي الكلمات الاتية المعلمون للايمان بالاله وبكماله وتفاسيره ، وان يعيها ايضا المؤمنون بهذا الاله ···

نعم ، مهندس كامل كمالا مطلقا أزليا ابديا ذاتيا اي لا تعليميا ، اي كامل كمالا اضطراريا لا خيار فيه ، يصمم وينشىء عملا كبيرا جدا ، ليكون قضية كونية كبرى ·· نريد افتراض هـذا العمل في حجم هـذا الكون وفي حجم وتعدد وظائفه وصوره ومشاهده ، أو في حجم الشمس أو حتى في حجم الارض ، بكل من فيها وما فيها من كائنات واحياء وبشر واشياء اخرى ، من ذباب وغيره ، ومن اوبئة وامراض وعاهات وغيرها ·· ولكن لا بد من الاعتذار الى موهبة واخلاق اي مهندس يفترض مخططا ومخرجا لاية وحـدة من وحدات هـذا الكون ··

نعم ، هل يحتمل ان يجيء في مثل هـذا العمل الذي صممه واقامه مثل هـذا المهندس ما يمكن ان يعاب ، او ما يصح أو يجوز تغييره او تبديله أو تصحيحه أو

اقتراح أو تمني اي تعديل أو تغيير فيه أو عليه اي في حساب من يؤمن بكمال هـذا المهندس ، بكماله المطلق الذاتي الاضطراري الذي لا يستطاع التخلص منه ، بكماله الابدي الشامل ؟ ٠٠ أليس مفروضا الاقتناع بأن هذا العمل كامل كمالا مطلقا مؤبدا ؟ والعمل الكامل كمالا ابديا مطلقا ، هل يجوز تغييره أو هدمه أو نقده أو تصور اي عيب فيه ؟ ٠٠ أليس محتوما حينئذ ألا يكون لجميع المتعاملين مع هـذا العمل الهندسي والمشاهدين لـه الا موقفان : اما الاعجاب والايمان بـه ورفض اي تدخـل فيه بأي نوع من أنواع التدخل حتى ولا بعلاج المرض أو مقاومة الوباء أو طرد الذباب من مستقره فوق العين أو الانف أو الطعام ؟ بل لا بد حينئذ من رؤية الذباب ورؤية جميع اعماله ومواقفه صيغا جمالية ومنطقية واخلاقية وفنية ، لا كمال ولا ذكاء ولا تقوى بل أو نفع للعمل الهندسي بدونها اي بدون الذباب وبدون وقوفه فوق الانف والعين والطعام وبدون ان يكون موصلا للامراض وللقاذورات وناشرا ناقلا لها ٠٠ بل لا بد مـن الاقتناع بأن شتم الذباب أو قتله أو طرده ليس الا عدوانا على العمل الهنـدسي كله ورفضا لـه ٠٠

أما الموقف الاخر للمتعاملين والمشاهدين لهذا العمل الهندسي الكبير فهـو أن يروا قبحا أو خطأ أو أي عيب أو نقص فيه ، ويروا انه لا بد من رفض واستنكار ومقاومة وتغيير وتصحيح ما فيه من عيوب وذنوب ونقائص ودمامات وتشوهات ومن بداوة طبيعية ومن أمراض وحشرات وذباب وآلام ومآس ٠٠

وهؤلاء الذين يقفون هـذا الموقف من هـذا العمل لا بد أن يعدوا منكرين لكمال هذا المهندس كافرين به متهمين لـه افظع التهم واشملها ٠٠

ان المهندس نفسه لا بد أن يراهم كذلك وان يحسبهم خارجين عليه وعلى كماله الفني ٠٠ اما الجمع بين الايمان بكمال هـذا المهندس والاحترام لـه وبين رؤية اي عيب أو نقص أو خطأ في عمله يحتاج الى تغيير أو تصحيح أو يجوز تغييره أو تصحيحه فهذا هو المحال أو السخف أو الكذب أو الغباء الذي لم يجرؤ على مثله أو على الاقتناع بمثله الا هؤلاء الذين يؤمنون بالاله الكامل ثم لا يرون الذباب أو اية حشرة أو آفة اخرى صيغة عليا من صيغ الجمال والكمال الفكري والهندسي والفني والاخلاقي والكوني التي يجب ان تدرس وتعلم وتفسر في جميع المعاهد والمعابد ، ثم لا يرون انه يجب أن تفتح لـه اي للذباب ولاخوانه وانداده ، وان تفرش جميع الابــواب والوجوه والموائد ، لكي يدخل منها اي من الابواب والنوافذ ، ولكي يستقر بترحيب وتمجيد وشكر فوقها اي فوق الوجوه والعيون والانوف والموائد ٠٠٠ كيف امكن الجمع بين الاعجاب حتى العبادة والاستقذار حتى القتل والغثيان ؟

لوحة أخرجها فنان ٠ هل يمكن ان تستقبح أو تنقد أو تغير أو تتمنى تغيير اي شيء فيها ثم تظل مؤمنا بكمال هـذا الفنان ؟ هل يمكن ان تركع للفنان اعجابـا بعبقريته الفنية ثم تحرق أو ترفض لوحاته استقباحا واحتقارا وتنقيصا لها ؟

هل يمكن ان يكون الفنان كاملا ثم تكون اعماله غير كاملة ؟ هل يمكن ان يكون العمل كاملا ثـم يجوز نقده أو رفضه أو محاولة تغييره أو مقاومته أو تمني ذلك اي مقاومته أو تغييره ؟

اذن هل يمكن ان يكون الاله كاملا ثم يكون الكون غير كامل ، أو هل يمكن ان يكون الكون كاملا ثم يجوز ذم أو تقبيح أو كره أو رفض أو تغيير أو مقاومة اي شيء فيه ؟ او هل يمكن ان يكون الكون غير كامل ثم يكون الاله كاملا ؟ هل يمكن ان يريد النظيف المهذب ان يكون ثوبه أو وجهه قذرا ؟ أو هل يريد التقي ان يكون عمله فاجرا ؟

اذن هل يمكن ان يكون الاله كاملا ثم يجد الانسان شيئا يبدعه أو يفعله أو يغيره أو يصححه أو يقاومه أو ينكره أو يخافه أو يكرهه أو يؤذي ضميره أو رؤيته أو تفكيره أو طموحه ؟ هل يمكن ان يكون الاله كما يقول عنه المؤمنون ثم يجوز لهم ان يبكوا أو يحزنوا أو يشمئزوا من رؤية أو من حدوث أو من مقاساة شيء ما ؟

نعم ، ليت المعلمين للايمان بالاله وليت المؤمنين به يعون ذلك ٠٠

ليتهم يعون هـذا الذي وعيه لا يحتاج الى وعي ٠٠ هذا الذي لا يعد واعيه واعيا الا اذا لم يكن يعنى بالوعي الا اقل مستويات الرؤية للشيء الذي لا بد ان يراه حتى العاجزون عن كل رؤية ، والرافضون لكل رؤية والخائفون من كل رؤية ٠ هل الايمان بالاله يفسد الرؤية والتفكير ، ام الرؤية والتفكير الفاسدان يتحولان الى ايمـان بالاله ؟ هل يمكن الجمع بين الرؤية والتفكير الصحيحين والايمان بالاله ؟ هل حدث هـذا ؟

نعم ، كيف يخلق الله الذباب ليكون جمالا وذكاء في فنه ومجدا لمجده ، ثم يجوز قتله أو هشه أو استقذاره ، ثم لا يجب ان يرى المؤمنون بالله انه اي الذباب يجب ان يحل اعظم واكرم وانظف واجمل ضيف على موائدهم ووجوههم وعيونهم وفي بيوتهم وقلوبهم ؟ ٠٠ كيف يخلقه ان لـم يكن جمالا ولا ذكاء لجماله ولذكائـه ولا مجدا لمجده ؟ هل خلقـه ليغيظ أو يغضب أو يهين مجده وفنه وجماله وذكاءه ؟

كيف يخلقه ان كان اي الذباب دمامة أو غباء أو هوانا أو تشويها في فنه وفي مجده ؟ ان كان قد خلقه اعجابا به ورؤية لجماله ، ليكون جمالا في وجهه وتاجا فوق رأسه واعلانا عن عبقريته فكيف يجوز قتله أو طرده والا فلماذا خلقه ؟

كيف يمكن انقاذ شرف الاله أو انقاذ ذكاء المؤمن بالاله من مشكلة الذباب واخوان الذباب وانداده ؟ ان الذباب هو احدى المشاكل التي تجعل العلاقات بين الاله والانسان مستحيلة ٠٠ انه لا شيء غير هـذا : أما ان الذباب جمال وذكاء ومجد ، او ان هذا الكون لم يصممه ويرده ويخرجه الـه جيد او قوي في اي معنى من معانيـه ٠٠ انه لا بد من هـذا : أما تمجيد الذباب واما اسقاط الاله ٠٠

كيف لا يعي المؤمنون بالاله والمعلمون للايمان به هـذا التساؤل وجوابه ؟ هل وعي هذا يحتاج الى وعي أو يحسب وعيا ؟ وهل الواعي لـه يعد واعيا ؟ الذباب يستطيع

اسقاط الاله !!٠ هل يمكن فهم هـذا أو قبوله أو تصديقه ؟ هل يمكن الا فهم هـذا وقبوله وتصديقه ؟ مجد عظيم هو مجد كائن يسقطه الذباب ! ٠ وهل يسقط الذباب مجدا مثلما يسقط مجد الاله ؟

وهذه المحاسبة لهذه القضية بكل هذا الاصرار والعنف في الاحصاء ليس سببها الخوف من العواقب الرديئة او المدمرة أو المضعفة التي لا بد أن يوقع فيها أو التي قد يوقع فيها الاقتناع بالمعتقدات أو بالالهة غير الذكية أو المعقولة أو المتحضرة أو القوية ـ اي التي يقال ويعتقد ان مثل هـذا الاقتناع بمثل هذه المعتقدات والالهة لا بد أن يوقع فيهـا ٠٠

ان هذا الخوف ليس هو السبب، بل ان هـذا الخوف ليس محسوبا أو واردا ٠٠ كن موهوبا اية موهبة من اي نوع ثم آمن بكل ما في التاريخ من خرافات فان موهبتك حينئذ لن تموت أو تضعف أو تهرب ٠ ان الايمان بالمعتقدات والالهة مهما كانت جيدة أو رديئة ، ذكية أو غبية لا تصوغ حياة الانسان ، لا تصوغ قوته ولا ضعفه ، لا ذكاءه ولا غباءه ، لا نشاطه ولا حماسه ، لا خموله ولا استرخاءه ٠ كما انه اي ايمانه بالعقائد والالهة لا يصنع جمال وجهه ولا دمامة وجهه ولا طول قامته ولا قصرها ٠ ان عقائد الانسان وآلهته مفصولة عن كينوناته وعن اهوائه اي لا تصوغها ولا تقودها ٠

ولكن سبب هـذه المحاسبة لهذه القضية بهـذا الاسلوب هـو الغضب لكرامة الفكر الانساني والرغبة في أن يكون اي فكر الانسان ومنطقه وعقله سويا وجميلا ابيا ومعافى من العاهات والتشوهات والهوان والسقوط ، ومحميا من ان يكون مستقرا لكل الاوحال والحالات والسخافات ، دون ان يرفض شيئا أو يقاوم أو يكره أو يعرف أو ينقد شيئا مما يلقى ويستفرغ فيه ، ودون ان يسأل أو يحاسب أو يعاقب المستفرغين فيه ، بل دون أن يقرأهم أو يفسرهم أو يعرف شيئا عنهم أو من هم ، أو من اين جاءوا ، أو متى جاءوا، أو لماذا جاءوا ، أو من جاء بهم ، أو ماذا يريدون منه أو يريد منهم ، أو ماذا يساوون أو يعنون ، بل أو هل جاءوا حقا ، وكيف اقتنع انهم قـد جاءوا ٠ وهل يوجد مستفرغون من اي نوع في كثرة ووقاحة وقذارة المستفرغين على عقول الناس والمستفرغين لعقائد الناس ولالهتهم ؟

أليس شيئا رهيبا في قبحه وفحشه ان يحاول الانسان ان يجعل لوجهه ولجلده ولثوبه كرامة ، أن يحاول حمايته اي حماية وجهه وجلده وثوبه بأن يضع عليه حراسة، وان يشترط لـه وعليه قدرا من النظافة والكرامة والاباء والغضب والرفض والجمال ، وبألا يجعله مباحا ومستقبلا لكل من يريدون أن يستفرغوا ويبصقوا عليه كل أوحالهم وقذاراتهم وعاهاتهم وقبحهم وسخفهم ـ ثم يترك عقله وتفكيره واقتناعه وايمانه بلا اية حماية أو حراسة أو كرامة ، بلا اي قدر من الاشتراط لـه أو عليه ، اي بلا اي قدر من النظافة أو الجمال أو الرفض أو الغضب أو الذكاء ؟ هل يوجد مباح لكل الفسوق بكل شرفه مثل مكان الايمان في الانسان ؟

أليس كل الناس يضعون حراسات متفاوتة القوة والاسلوب على وجوههم وجلودهم وثيابهم لحمايتها من اي استفراغ عليها أو تلويث لها ؟ ولكن كم هم الذين يضعون مثل هذه الحراسات أو يفكرون فيها لحماية عقولهم أو عقائدهم أو ضمائرهم ؟

أليس شيئا كريها جدا في جميع التفاسير أن يرفض انسان ما بأن يستفرغ التاريخ على وجهه أو جسده أو ثيابه أو على بيته أو على مدينته اي شيء مما كان فيه اي في التاريخ من قذارات وأوحال وعاهات وتشوهات وضعف ، ثم يتقبل بل ثم يتقبل اكثر الناس أو كل الناس باسلوب التوزيع أن يستفرغ اي التاريخ في عقله ومنطقه وايمانه ، بل في عقولهم ومنطقهم وايمانهم كل ما كان فيه اي في التاريخ من عبادات وآلهة وانبياء ومن تشوهات ودمامات وأوحال وعداوات وبلادات اعتقادية وتعليمية ونفسية ؟ أليس التاريخ عملية استفراغ عالمية دائمة ، يستفرغ الالهة والانبياء والمعلمين والاديان والمذاهب والاحقاد والعداوات على كل العقول والضمائر والاخلاق والمجتمعات بكل الديمومة والشمول ؟

أليس شيئا كريها جدا في جميع تفاسيره ان يشترط الانسان لوجهه ولثيابه ولبيته ومدينته شيئا من النظافة والجمال والكرامة والحماية أو كل النظافة والجمال والحماية والكرامة ولو بالمحاولة والرغبة ، ثم لا يشترط شيئا من ذلك لعقله أو لفكره أو لايمانه حتى ولا بالرغبة او التمني ؟ أليس الفكر يتشوه بالتفاهات الاعتقادية والتعليمية اكثر واقسى مما يتشوه الوجه أو الثياب أو البيت بالقاذورات والاوحال ٠٠؟؟ أليست أوحال الفكر هي ابشع واكثر وابلد وأردأ الاوحال ؟

ان جميع الناس ليرقضون ، وان كان ذلك بدرجات متفاوتة جدا ان تهان وتلوث وتبتذل وتستباح وتحقر وجوههم وثيابهم وبيوتهم وابدانهم حتى ولو لم يكن الثمن الا تحقيق الجمال والنظافة والكرامة والسمعة والمستوى الجيدين ٠ اذن أليس يجب عليهم اكثر أن يرفضوا تلويث وتشويه واهانة وابتذال واستباحة وتحقير أفكارهم بالالهة والمعتقدات البليدة السخيفة المتناقضة المستحيلة حتى ولو لم يكن الثمن الا ان تجيء وتبدو ذكية ومنطقية وسوية ونظيفة ومعقولة وذات شروط على نفسها ولنفسها وذات أبواب وحدود لحراسة كرامتها وشرفها وسمعتها من الاستباحة والابتذال والاهانة والتحقير وكل اساليب وانواع الاستفراغ عليها ؟

ان الناس لا يتسامحون ولا يتنازلون عن شيء أو عن كرامة اي شيء مثلما يفعلون في تسامحهم وتنازلهم عن كرامة ايمانهم واقتناعاتهم وتفكيرهم حين يؤمنون ويعلمون ويتلقون عن التاريخ وعن المنابر والمحاريب كل ما تستفرغ ويستفرغ فيهم وعليهم وكل ما كان يستفرغ على ابائهم وفي عقول ابائهم ٠٠ انه لا شيء يستحق اقوى الحراسات ولكنه بلا اية حراسات مثل عقل الانسان ٠٠

اذن اليس شيئا جيدا تعليمهم شيئا أو مقادير من هذه الكرامة المفقودة والمتنازل عنها بلا اية شهامة أو ندم أو غضب أو أسى أو تراجع ؟

ان كل الناس ليقفون بوجوههم بكل الحماس والرهبة امام المرآة لكي تكون ولكي يجدوها ويجعلوها ولو بالمحاولة والتمني نظيفة وجميلة وسوية ومتجددة · ولكن كم هم الذين يقفون بافكارهم وايمانهم ومعتقداتهم وآلهتهم امام اية مرآة مثل هذه الوقفة لكي تكون ولكي يجدوها ويجعلوها ذكية ومنطقية ومعقولة ومحمية محروسة من السخافات والبلاهات والاكاذيب الملقنة المستفرغة عليها استفراغا اي على افكارهم وايمانهم ومعتقداتهم وآلهتهم ؟

انّ لكل الوجوه مرايا يومية اي تنظر اليها وفيها كل يوم بل كل وقت · فكم هي العقائد والافكار التي لها اية مرايا ولو دهرية اي تنظر اليها أو فيها ولو مرة واحدة كل الدهر ؟ ولكن لو كان للعقائد والافكار والتعاليم مرايا ذكية وصادقة وحساسة فماذا يمكن ان ترى ، وماذا يمكن ان تبقى أو ترضى ؟

ان كل الوجوه والطلعات والملابس تحاسب وتحاكم بكل القسوة واللهفة والاهتمام امام جميع المرايا ·· ولكن كم هي الافكار والاعتقادات والاقتناعات والالهة التي تحاكم أو تحاسب اقل وأرفق محاكمة أو أو محاسبة أمام اية مرآة ؟

آه · مسكين اي اله يوضع امام اية مرآة · ان كل جمال كل الالهة في الا توضع امام اية مرآة ··

وان كل الابدان بكل اعضائها وخفاياها وكل الملابس والادوات والبيوت لتعالج ، وان كان ذلك على مستويات وبأساليب مختلفة ومتفاوتة ، بكل المنظفات والمطهرات والمجملات والمعقمات ولو أحيانا بل وبكل الحراسات أو ببعض الحراسات اي ولو احيانا قليلة أو كثيرة · وحتى المتخلفون جدا · انهم لا بد أن يفعلوا شيئا لتنظيف وتجميل وتطهير وحماية ابدانهم وملابسهم وبيوتهم وادواتهم ··

ولكن اين هي أو كم هي العقائد والافكار والايمان والالهة التي تعالج أو تطهر أو تنظف أو تعقم أو تجمل أو تحرس وتحمي باي اسلوب ذاتي فردي عقلي اخلاقي انساني متحرك متجدد ذكي قوي ، أو حتى باسلوب جماعي لكي تطرح عنها كل استفراغات التاريخ واستفراغات المستفرغين المتلاحقين في مجيئهم واستفراغاتهم ، ولكي لا تظل دائما مكانا متقبلا لكل عمليات واساليب وانواع الاستفراغ ؟ · وحتى المتحضرون والمتفوقون المتقدمون جدا ، لا يهبون ايمانهم أو عقائدهم أو افكارهم وتعاليمهم وآلهتهم شيئا من الاهتمام الذي يهبونه لابدانهم وملابسهم وبيوتهم لتكون نظيفة وجميلة ·· انه لا شيء يحتاج الى ان يوهب أو يعلم أو يصنع له شيء من الكرامة أو العقل والمنطق والذكاء ومن الرفض والاباء والغضب والجمال والاشتراط للنفس وعليها ومن الحراسة الذاتية والرؤية الحادة الناقدة المسائلة ·

ـ نعم ، انه لا شيء يحتاج الى كل ذلك ويفقد كل ذلك مثل ايمان الانسان وعقائده واقتناعاته وافكاره التعليمية والتاريخية ، المذهبية والدينية · انه لا شيء مباح لكل اللصوص والغزاة والباصقين ولكل الحشرات في كل الماضي والحاضر

والمستقبل مثل مكان الاعتقاد والايمان والتعاليم والالهة في ذات الانسان · ايها الباصقون المستفرغون للالهة والاديان والمذاهب والاكاذيب والاحقاد والعداوات على كل العقول والضمائر والقلوب والاخلاق والمحاريب والمنابر والمعابد ، هل يوجد مجد أو سلطان أو خلود أو حرية مثـــل مجدكم أو سلطانكم أو حريتكم أو خلودكم ؟ ان استفراغكم هو كل معجزاتكم ··

انظر ·· انك لتقف طويلا بكل الرهبة أمام كل مرآة تجدها خوفا من ان يكون في ثوبك أو وجهك أو نظراتك أو ملامحك اي قبح أو دنس أو تناقض أو بذاءة أو اي شيء يكره أو يحتقر أو يشتم أو لا يعقل أو يحمد أو يحب أو يعجب ·· ألست تقف امام كل مرآة واية مرآة مثل أردأ مجنون لكي ترى وتحاسب وجهك ؟ ولكن انظر وفكر هل تقف أمام اية مرآة خوفا من ان يكون كل ذلك في ايمانك وعقائدك وتعاليمك وافكارك ، بل مع تجمع كل ذلك في ايمانك وعقائدك وتعاليمك وافكارك ؟ هل يوجد وجه لا يقف امام اية مرآة ولا يملك اية مرآة مثل وجه ايمانك ومعتقداتك والهتك وانبيائك ؟ ألست كذلك ؟ ثم أليس كل الاخرين أو أكثرهم كذلك ؟ أليس كل الناس يقرأون ويفسرون وجوههم حتى الاميون جدا ولكن كم هم الذين يقرأون أو يفسرون ايمانهم أو اقتناعهم أو تعاليمهم أو عقولهم ؟

اذن كم يجب الرثاء للانسان الذي لا يشترط لايمانه أو لافكاره أو لعقائده أو لتعاليمه أو لالهته وانبيائه شيئا مما يشترطه لاثوابه أو لادواته المنزلية أو النظارات التي يضعها على عينيه ، ولا يخاف على تلك شيئا مما يخافه على هذه · ؟

كم يجب الرثاء للانسان الذي لا يهش اية ذبابة أو حشرة تسكن في عقلــه وتستفرغ على ذكائه ؟

كيف لا يفهم أو يشعر العالم اي دوليا ان عليه اي دوليا ايضا ـ كيف لا يفهم أو يشعر بكل مؤسساته ومنظماته بان عليه اي جماعيا ان يفعل شيئا لكي يضع ولو حدا ادنى من شروط الكرامة والذكاء والجمال والعقلانية والاخلاقية لايمان الانســـان ولعقائده وتعاليمه وافكاره وآلهته ؟

كيف لا يرى اي العالم كم يهون ويهبط ذكاء الانسان وكرامته حين يؤمن ويفسر آلهته ومعتقداته ؟

كيف لا يحاول اي العالم باسلوب دولي جماعي ان يضع حدا ادنى أو أعلى لقبح وسخف وتناقض وبلادة عقائد وايمان وتعاليم وآلهة الانسان كما يحاول أو كما يدعي انه يحاول لكي يضع حدا ادنى لقبح حياته بكل ما فيها من الام وامراض وأوبئة وهوان واستعباد واستغلال وتشويه واكاذيب ؟ ان كل العالم يتحدث عن تجميل وتنظيف المدن وحماية البيئة · فهل تحدث عن تجميل وتنظيف العقول والعقائد والنفوس مـــن استفراغات التاريخ عليها ؟

كيف يحاول دوليا وجماعيا ان يقاوم الاوبئة القادمة من التاريخ ولا يحاول اي

دوليا وجماعيا ان يقاوم العقائد والتعاليم والالهة الغبية الكاذبة المكذوبة المشوهة المتشوهة التي لا يمكن ان تكون معقولة أو مفهومة ، القادمة ايضا من التاريخ ، والتي تعلم وتصنع وتؤكد الاحقاد والعداوات والبغضاء والتعصب الاليم البليد الموروث ؟

كيف يصمت اي العالم لقوم يعتقدون ويعلنون ويعلمون ويتعلمون ان الذباب وجميع الحشرات وجميع الاوبئة والعاهات والتشوهات وجميع الالام انما اريدت ودبرت وخلقت بحثا عن الجمال والنظام والذكاء والمنطقية في الاشياء ، وحبا للانسان، واحتراما له ، واشفاقا عليه ، واحسانا اليه ؟ كيف يصمت لقوم وعلى قوم يقولون ويؤمنون ان الاله قد اراد ودبر وخلق كل هذه الاشياء لانه جميل وكريم ونظيف وموي وكامل ، ولانه ايضا يريد ان ينظر الى المرآة راقصا مغنيا لنفسه راضيا عنها معجبا بها ، مقبلا لها لانه قد اصبح نظيفا محبا للنظافة حتى ليخلق الحشرات ، وجميلا محبا للجمال حتى ليخلق الدمامات والتشوهات ، ورحيما محبا للرحمة حتى ليخلق كل الالام والامراض ، وعادلا محبا للعدل حتى ليخلق الفروق ويصيب الابرياء ٠ انه لا مثيل لعدله ولا مثيل لحبه للعدل لهذا يخلق اعلى نماذج الذكاء والجمال ليذل ويتحدى ويحقر بها ادنى نماذج الدمامة والغباء ٠ كيف يصبر العالم على قوم يقولون بكل أصواتهم : ان الاله قد ارسل اليهم انبياء ليقولوا لهم ان الاله قد قال لهم : انه لم يخلق الذباب والدمامات والالام الا لانه جميل ونظيف ورحيم وشهم وفنان وعبقري الرؤية ؟

كيف يسكت اي العالم عن ان يصنع باسلوب دولي شيئا لتصحيح وتقويم وشفاء وتطهير ايمان وعقائد وتفكير هؤلاء القوم ولايجاد اي قدر من الكرامة والاستقامة لعقولهم ؟ كيف لا يغضب لما يلقى عقل الانسان من اذلال وتحقير وتشويه ، لما يلقى فيه من اكاذيب وبلادات وتفاهات ، مما يستفرغ فيه ؟

كيف لا يحاول باسلوب عالمي ان يقنع هؤلاء القوم انه لن يوجد تحقير واهانة لذكاء الانسان ولكرامة وشرف عقله مثل الجمع بين الايمان بأن فوق هذا الكون الها حكيما رحيما كاملا ، والأيمان بانه يجوز مقاومة أو رفض أو نقد أو تغيير اي شيء فيه من حشرات واوبئة وامراض وصحاري وقحط وفقر وطغيان وبداوة طبيعية ؟ اليس الايمان بوجود الـه خالق حكيم رحيم كامل لا بد ان يعني الايمان بأن جميع صياغات هـذا الكون كاملة بكل معاني الكمال وتفاسيره كمالا مطلقا اي ازلا وابدا ؟ ٠ وهذا الايمان بهـذا الكمال للكون يعني حتما الايمان بأن وجود الحشرات والامراض والاوبئة وجميع التشوهات والعاهات والافات وجميع ما يصنع الغضب والغيظ والاشمئزاز والاحتقار والعذاب ليس الا كمالا مدبرا ومقصودا ومرادا وجوده وبقاؤه والترحيب والاعجاب به ٠ انه يعني الايمان بان الذباب فوق الطعام ليس الا تحية واستقبالا يحيي ويستقبل بهما الاله الآكلين ٠

هذا الايمان يعني حتما الايمان بان لا مقاومة ولا كراهة ولا استقذار او تغيير أو تبديل لاي شيء فيه اي في الكون · اي يعني الايمان بانه لن يوجد ما يجوز ان يعمله أو يكرهه أو يرفضه أو يغيره أو حتى يتمناه الانسان ، لان كل عمل الانسان لا يجوز ان يكون الا مقاومة للنقص والخطأ والسفه والجهل والتخلف ، اي لا يكون الا مقاومة للاردأ الاغبى ليكون الافضل الاذكى ·· نعم ، انه لو كان هذا الكون تدبير وتخطيط واخراج كائن كامل لكانت كل اعمال الانسان فيه اي في الكون أو معه أو ضده زندقة وتشويها وافسادا وعدوانا ·· لان كل عمل بل أو تفكير ضد ما صنع ودبر وخطط كاملا لن يكون الا زندقة وافسادا وعدوانا على الجمال والكمال وعلى المدبر المريد المخطط الصانع الكامل ·· اذن هل يمكن ان يوجد أو يتصور عدو للاله خارج عليه مناقض له مخرب لابداعه ونظامه مثل من يعمل أو يغير أو يبدع شيئا في هذا الكون أو يتمنى ويحب ذلك أو يفكر فيه ؟

ان كل عمل أو تفكير أو تخطيط لن يكون مشروعا أو مطلوبا أو جيدا الا اذا كان بحثا عن الاذكى أو الاقوى أو الافضل أو الاكمل ، أو تحقيقا لذلك ·

كيف يقاوم العالم كل تلويث للماء والطعام ثم يغفر بل يتقبل كل تلويث للعقول والتفكير والايمان ؟

تقول المنابر والمحاريب التي قد تحسب وتحسب نفسها قمة الذكاء والعبقرية والمنطقية ، مدافعة عن مزايا الذباب والحشرات والاوبئة ، وعن مزايا كل ما في الطبيعة والاشياء من سفه وعبثٍ ونقائص وآلام واخطاء وتخلف وجنون ·

تقول : ان جميع هذه الافات والشرور انما وجدت بتدبير حكيم ورحيم جدا لكي يقاومها الانسان ، لكي يتعلم ويعرف ويشتد ويسعد ويرضى عن نفسه وعن مواهبه بمقاومتها وبانتصاره عليها وبأمله الدائم في الانتصار عليها · ان هذه المنابر والمحاريب تقول اشياء وتفاسير كثيرة دفاعا عن مزايا ومنطقية ونبل كل ما يحدث في هذا الكون من آلام وجنون وقبح وعفونات وعدوان وعبث ··

ان مما تقول : لقد وجدت هذه الشرور والافات لكي يجد الانسان ما يفعله ويهتم به وما يصنع له وفيه الحماس والتوقد والتفكير ·· ليخرج من قبح وعذاب وكآبة الكسل والاسترخاء والتبلد ، ومن مشاعر من لا وظيفة ولا قيمة ولا رسالة ولا عمل له · وهل يوجد أقبح أو اكثر اذلالا واهانة وتحقيرا لاي انسان مثل ان يصاب بهذه المشاعر ؟ هل يمكن ان يسعد الانسان بشيء حتى ولو اخذ كل شيء ما لم يكن مجندا في عمل حتى ولو بأن يقطع كل يوم يده أو رجله لكي يستمر يحاول اعادتها ؟

ولكن ماذا يساوي هذا الدفاع في ذكائه وحكمته ورحمته ؟

اليس هذا الدفاع عن الاله لونا من ألوان الغباء الذي يصعب ان يكون له شبيه في كل ألوان الغباء ؟

أليس يساوي ، اي حينما يبالغ جدا في تقديره وتفسيره ، ان يكون لانسان مئة ابن ، فيحدث في كل واحد منهم عاهة وبيلة أو مرضا وبيلا أو عديدا من العاهات والامراض · فاذا قيل لـه : لماذا ايها المجنون المجرم تفعل ذلك بأبنائك الابرياء ·· قال افعل ذلك بهم لكي يتعلموا جميعا الطب ومقاومة جميع العاهات والامراض لانهم ، بما صنعته بهم قد يجدون انهم مطالبون بأن يداوي بعضهم بعضا ولو نخوة ورحمة، أليسوا بهذا لا بد أن يجدوا ما يعملونه ويهتمون به وما يصنع لهم وفيهم النشـاط والحماس والتفكير والتدبير ، وما يخرج بهم من كآبة الكسل والاسترخاء والكينونة بلا وظيفة ؟؟

أليس يساوي ان يحدث في نفسه هو عديدا من العاهات والتشوهات والامراض لكي يتعلم ابناؤه المئة أو بعضهم كل انواع الطب ليعالجوه مما اصاب به نفسه ؟ بل أليس يساوي ان يشوه او يمرض الاله نفسه لكي يتعلم التداوي من ذلك ولكي يشغل ويتلهى به ، أو لكي يستمتع اي الاله بلذة ومجد الشفاء مما اصابه والانتصار عليه وايضا لكي يهرب من الخمول والكسل ؟ أليس يساوي ان تحدث في نفسك أو في ابنك عاهة أو مرضا على أمل ان يتعلم ابناء جيرانك الطب ·· أو ان تهدم بيتك أو تحطم وتخرب كل ما فيه من أدوات واجهزة لكي تتعلم انت أو زوجتك أو ابناؤك أو اقاربك أو جيرانك بناء ذلك واصلاحه ؟ · ثم تقول انت أو من يفعل شيئا من ذلك دفاعا عن النفس : انني افعل مثلما يفعل الاله بالمنطق والرحمة والتفاسير التي بها يفعل اي الاله حينما يصنع الالام ··

نعم ، أليس هذا المنطق أو السلوك يساوي ان تذهب اجهزة دولة ما تتعمد ان تحدث في المجتمع أو الوطن الذي تحكمه كل الامراض والعاهات والتشوهات والالام المعروفة وغير المعروفة ، وان تصيبه ايضا اي تصيب المجتمع بكل انواع الخراب والقحط والبؤس والتخلف والهزائم والعذاب والبلادة والجهل والعته والجنون ، لكي يتعلم افراده اي افراد المجتمع كل انواع الطب والحكمة والعلوم والافكار والمقاومة لكل ذلك والقدرة على هذه المقاومة ، ولكي يصابوا بالنشاط والحماس والتوقد والذكاء والاعجاب بالنفس وبالموهبة ، ولكي يسعدوا بالانتصارات على ما يواجهون ويقاومون ويقاسون، ولكي يعيشوا دائما في تأميل الانتصارات ·· لكي يتعلموا كل فنون الشجاعـة والانتصار على كل خطر ومشكلة وعذاب ؟؟

منطق مخيف في ذكائه وفي تقوى اخلاقه : تصيب محمدا بالعمى أو بالسل أو بالسرطان أو بأية فظيعة اخرى أو تلقى به في اعماق بئرة قاتلة على أمل ان يتعلم محمود الطب ويصبح طبيبا ، وعلى امل ان ينقذه من الاعماق المميتة لكي يتعلم الانقاذ والقدرة والجرأة عليه ولكي يتعلم النخوة والشهامة ويسعد بمقاساتهما وبمخاطرته بحياته استمساكا سعيدا بهما ··

انه لاقسى اهانة لذكاء الانسان ولكرامة عقله ولكل ما اعطى من حضارات ان يذكر هـذا الدفاع ولو لنقده ورفضه واستقباحه ٠٠٠ ان مجرد التحدث عنه أو تصوره أو روايته عن قوم لنوع رهيب من العار ٠٠ ولكن اليس هذا النوع الرهيب من العار يعرض ويفسر وينادي به كاعظم مجد لاعظم نبوة ونبي ؟

ان معنى هـذا الدفاع أو التفسير لهذه الافات والشرور : أن تصاب تعمدا اعداد تهاب الارقام الفلكية منافستها أو احصاءها من الكائنات البريئة ، من البشـر وغيرهم في كل التاريخ ، بكل الامراض والعاهات والمجاعات والالام والجنون والعته ، وبكل انواع التشوه والعذاب والقبح والاذلال والطغيان والخوف والحقارات والويلات والنقائص الرهيبة ، الرهيبة ، على أمل ان يعرف افراد قليلون بعد دهور ودهور اسباب ذلك والتخفيف من اهواله ٠٠ على امل ان يجيء بعد احقاب واحقاب مـن يظلون يقاسون احقابا واحقابا لكي يعرفوا بعض اسباب بعض ذلك ، لكي يستطيعوا بعد احقاب واحقاب علاج بعض ذلك ٠٠!!

لا تسمعي ايتها الحشرات هذا المنطق الانساني ٠٠ اتضرع اليك ايتها الحشرات٠ لا تسمعي هـذا التفكير أو هـذا الذكاء الانساني ٠ لئلا ترفضي معايشة البشر أو النظر اليهم احتقارا لهم ، ورهبة من ضخامة عارهم ٠٠ لئلا تحتقري كل انجازاتهم الحضارية ، لئلا تحتقري اقدامهم السائرة فوق القمر أو تحتقري القمر لان اقدامهم مشت فوقــه !!

اجل ، ايتها الحشرات ٠ نرجوك ، احترمي اذنيك وذكاءك ٠ ولا تقرئي أو تسمعي الانسان حين يدافع عن ايمانه وتعاليمه وعن جمال وذكاء وشهامة اربابه ٠٠

واذا كان الاله لا يستطيع ان يرى نفسه ذكيا أو حكيما أو رحيما أو عبقريا أو قويا أو شهما أو فنانا أو منتصرا الا بأن تكون هذه الشرور والافات موجودةبالضخامة والاتساع والتنوع الذي به وجدت فماذا يقول أو يرى او يصنع اذا استطاع التقدم الانساني القضاء عليها أو على كثير منها أو تقليلها جدا ؟ اليس محتوما ان يرى اي الاله انه حينئذ قد وقع في ورطة ، وان عليه ان يحاول الخروج منها ؟

اليس معنى هـذا ان يعيدها الى مجدها وان يقاوم ويمنع زوالها وهزيمتها ، بل ان يقاوم ويمنع ان تصاب اي الشرور والافات والتخلف الطبيعي بأي ضعف أو عجز أو خطر أو باحتمال هزيمة لكي يحافظ على المنطق والغرض اللذين بهما وجدت ومـن اجلهما أوجدها اي الاله ؟ اليس محتوما حينئذ ان يناضل اي الاله لكي يحمي كرامة وحقوق منطقه الذي يخطط ويدبر ويصوغ به الشرور والالام من عدوان التقــدم الانساني عليه ؟

اذن والجنة السماوية التي وعد بها المؤمنون وأعدت لهم ٠٠ اليس محتوما أن توجد فيها هـذه الشرور والافات والالام وجميع هذه العاهات والنقائص والامراض والتشوهات بمستويات وانواع واعداد اكثر واقسى جدا بالمنطق والاسباب والتفاسير

التي بها وجدت هنا ، اي لكي يتعلم الناس هناك اي في الجنة مقاومتها والتفكير ضدها والانتصار عليها ، انقاذا لهم من الكسل والخمول والضياع والفراغ والتفاهة ، أي لكي يجدوا ما يعملونه وما يهتمون به وما يثير فيهم الحماس والنشوة والتوهج ·· اي مثلما قيل في تفسير وتسويغ وجودها اي الشرور والافات والالام هنا ؟ واذا كان اي الاله قد يصنع شيئا في الجنة ينقذ من الفراغ والكسل والخمول وهو افضل من الشرور والالام فلماذا لم يصنع هذا الشيء هنا ؟

ان الاله كما كان حكيما رحيما شهما عبقريا حينما أوجدها اي الشرور والافات والالام والعاهات في الحياة الدنيا فانه لا بد أن يوجدها في الجنة ، هناك ، في السماء ، بأعداد وانواع واساليب اكثر وافدح لكي يكون حكيما ورحيما وشهما وعبقريا اكثر واقوى ·· أليس مفروضا ومطلوبا ان يكون الاله شهما ورحيما وذكيا هنا وهناك وفي كل مكان ؟ أليس سكان الجنة أولى باهتمامه من سكان الدنيا ؟ ··

كيف يصاب الكائن بالمرض لكي يتعلم التداوي منه ؟ هل يوجد جنون مثل هذا الجنون ؟ أليس المطلوب ان يكون معافى لا مرض فيه ؟ اذن فالمنطق ألا يمرض والا يحتاج الى مقاومة المرض اذا كان ذلك مستطاعا · كيف يشوه الاله وجهه ويديه وعينيه لكي يذهب يتداوى من هذا التشويه الذي لن يشفى منه ؟

أليس ذلك كذلك ايها الملمون لجنون لا مثيل له في كل انواع الجنون ؟ أليس جنون العقلاء والملمين لاخلاق الالهة ولذكائها ولمزايا الاديان والايمان هو اكثر وافظع انواع الجنون جنونا ؟

انت تذهب تهدم البناء لكي تبنيه ، لكي تصبح بناء ·· هل يوجد جنون مثل جنونك ؟ ان الناس يضطرون الى ان يبنوا ، فيبنون ويصبحون بنائين ··· ان الناس يتداوون اذا مرضوا أو يجب عليهم أن يتداووا · ولكن هل يوجد من يوقعون الامراض بانفسهم لكي يذهبوا يتداوون ؟ هل يوجد من يريدون او يستطيعون أن يهبطوا الى ذكاء الاله الذي يزعمه له المؤمنون بل والنبيون ؟

لو أن الناس خلقوا غير محتاجين الى اي بناء ، او لو انهم كانوا يجدون كل ما يحتاجون اليه من البناء مبنيا بأجمل واعظم واقوى واذكى الاساليب والصيغ الفنية لكان هـذا هو الافضل ، ولكانت محاولاتهم ان يتعلموا البناء وان يكونوا بنائين ، لو حاولوا ذلك ، لا نموذج لها في فنون الجنون · ان الناس يبنون مثلما يتداوون ، يفعلون هذا وهذا بالضرورة والاحتياج · وهم لا يدبرون احتياجهم ولكن يقعون فيه · هل يمكن ان تقتل الانسان الحي لكي يحتاج الى الدفن والتكفين ، لكي تحتاج الى أن تكون لحادا حفارا للقبور ، لكي تجد ما تعمله وتفكر فيه وتهتم به ، لكي يهبك ذلك الحماس والنشاط والنشوة والرضا عن النفس ··· لكي تشعر بان الكون محتاج اليك وبأن لك فيه وظيفة هي حفر القبور ودفن الموتى ؟··

الا ترى ان كل جنون يخجل من جنون جنونك ، من غباء غبائك ، اي لو انـك ذهبت تفعل ذلك ؟ الا ترى ان كل جنون هو دون الجنون الذي تمجد وتصف به الهك ؟

هل استطعت الان ان تعرف كيف يحقر المؤمنون الاله الذي يؤمنون به وكيف يهبطون بذكائه تحت كل ذكاء ، وكيف يجعلون جنونه متفوقا على كل جنون ، بل كيف يجعلون جميع المجانين عاجزين عن ان يعرفوا أو يفعلوا أو يستطيعوا اي شيء أو اي اسلوب من جنونه ، من جنونه الذي هو كل عقله وعبقريته ؟

ان احدا ما لا يقبل مهما هان شأنه ان يكون ذكاؤه أو تدبيره أو اخلاقه في مستوى الذكاء أو التدبير أو الاخلاق التي يراها المؤمنون أعلى وأسمى ما يصفون به الاله ٠٠ ان احدا لا يستطيع أو يريد أو يعرف أو يجرؤ أن يحقر أحدا تحقيرا يشبه تحقير المؤمنين للاله البائس الصامت ٠٠

كيف لا يعلم الذين يؤمنون بجمال الاله وبذكائه ورحمته وحبه وبكل الكمال له ، ويتحدثون عن ذلك ، ويعلنونه بلا استتار أو تحرج انهم انما يؤمنون بجمال الطبيعة وذكائها ورحمتها وحبها وكمالها ، اي بجمال وذكاء وحب ورحمة وكمال كل ما فيها من ذباب وحشرات واوبئة وامراض وتشوه وقبح وعبث وقسوة وتناقض وسفه وفوضى وموت وشيخوخة وبداوة وقحط وتخلف وضياع وعشوائية تعاقب وتلعن كل الرؤية والتفكير والتجربة وكل حسابات وشروط ونماذج الجمال والذكاء والعدل والنبل والشهامة والكرامة والحب والرحمة ؟ كيف لا يعرفون انهم حينما يقولون : انت جميل أو نظيف أو رحيم ايها الاله انما يقولون للذباب وللوباء والمرض والعاهـة انت كل الجمال والنظافة والحب والرحمة ؟

كيف امكن ان يهبط ذكاء الانسان كل هذا الهبوط ؟ وكيف استطاع ان يتعلـم وان يبتلع كل هذه البلادة والغفلة ؟ ما اقدر غباء الانسان وغفلته على الاتســاع والشمول ٠٠ ما اقدرهما على ان يكونا كل ما يرى ويسمع ويعتقد ويريد ويفهم ويجد ويفعل ويتوقع ويتمنى ٠

اي عبقريتي الانسان اعظم واشمل : عبقرية ذكائه ام عبقرية غبائه ؟ الى ايهما يجب ان يكون انتماؤه اذا كان انتماؤه عادلا وصادقا ومحسوبا بلا انخداع أو خداع : الى الذكاء ام الى الغباء ؟ متى يكون الانسان اكثر صدقا وتعبيرا عن نفسه : أحينما يقول : انا اذكى الكائنات ام حينما يقول : انا اغباها ؟

هل الاصدق ان يقال : ان الانسان عبقري الذكاء ام ان يقال : انه عبقـري الغباء ؟ لو ان ذكاء الانسان وغباءه تحولا الى لونين متضادين متناقضين فباي اللونين يمكن حينئذ ان يرى او ان يحسب لونه ؟

اليس من الافضل والاستر للانسان ان يكون بلا ذكاء أو غباء وغير محاكم أو مفسر بذكاء أو غباء ؟ اليس ذلك خيرا له من ان يكون له كل هذا الذكاء وكل هذا الغباء؟ ايهما اكثر عدوانا على الاخر : ذكاء الانسان على غبائه أم غباؤه على ذكائه ؟

ولو انهما اي ذكاء الانسان وغباءه قد تحولا الى مذاقين من المذاقات المختلفة المتحددة في حسابات وفي افواه المتذوقين ، اليس محتوما حينئذ ان يكون المذاق الذي تحول اليه غباؤه هو مذاقه الذي لا بد أن يعرف وان يوصف به وان يختفي المذاق الذي تحول اليه ذكاؤه والا يعرف أو يوصف به ؟ ولكن العقدة ان الالوان والمذاقات متداخلة ومضللة ، وغير متحددة ، وكذا الذكاء والغباء والخير والشر والجمال والدمامة والفضيلة والرذيلة ، وكذا كل شيء ٠

وهل الذكاء في جميع صيغه ومستوياته واخلاقه وعطاياه الا عمليات توسيع وتعميق وتأجيج وتحريض وتنفيذ للغباء ؟ هل يستطيع اي ذكاء ان يجد اي شيء يعمله غير هذا اي غير عمل الغباء والعمل له والتعامل معه وبه ؟

اليست جميع مزايا الذكاء وعبقرياته ووظائفه ان يقود الغباء وينفذه ويعلن عنه ويحوله الى قوة وسلوك والى آلهة واديان ومذاهب ونظم ، والى تفاسير وجمال وامجاد لهذه الالهة والاديان والمذاهب والنظم وللطغاة والدجالين واللصوص الذين يكذبون ويتكلمون ويحكمون ويفجرون ويجبئون ليفعلوا جميع القبائح والدمامات والوقاحات والبلادات والطغيان باسمها ؟ هل يمكن ان يوجد أو هل وجد ذكاء لا يعمل الا ما هو ذكاء ولا يطيع أو يعشق أو يدبر أو يختار الا ما هو ذكاء او لا ينطلق الا عما هو ذكاء والا الى ما هو ذكاء ؟

اليست كل اعمال كل الذكاء في كل تاريخه وجنسياته أن يصنع المجد والسلطان والكبرياء والكينونات القوية للغباء والعبث ، وان يرسل لهما الانبياء والدعاة والحماة وان ينزل لهما وباسمهما الكتب المقدسة الخالدة وان يشيد لهما المعابد والمنابر والمحاريب ، وان يعد لهما الجيوش الغازية الحامية الباهظة ؟

اليس اعظم واذكى جيش ومذهب انما يحاربان تحت حوافز ولتحقيق اهداف خارجة على كل تفاسير الذكاء ؟؟

اجل ، هل يستطيع اي ذكاء ان يعمل غير الغباء والعبث ، أو ان يتعامل او يتحاور مع غيرهما أو أن يعمل لغيرهما أو مطيعا لغيرهما أو واجدا غيرهما ، بل أو مريدا غيرهما ؟

هل يستطيع اي ذكاء ان يترفع عن ان يكون كل عمله ان يطيع ويخدم الغباء والعبث والتفاهات ؟

اليس اشد الناس ذكاء هو اكثر الناس ابتكارا وابداعا للغباء والعبث ، وتمكينا ونصرة لهما ، واعلانا عنهما ، وتجميلا لهما لانه اي اشد الناس ذكاء لا بد أن يكون اكثر الناس تعاملا مع النفس والحياة والاشياء وعملا لها وفيها وتعاملا معها وبها ؟ اليس الاله الكبير والشمس الكبيرة اكثر ممارسة وخلقا للعبث والغباء من الاله الصغير ومن الشمس الصغيرة ؟

ها انت اذكى الناس ، اي لتفترض نفسك كذلك • اذن حاول ان تجد شيئا غير الغباء والعبث لتبدعه أو لتعمله أو لتفكر فيه أو لتحبه أو لتهتم به أو لتجوع اليه أو لتراه كل المجد والذكاء والعظمة ، او لترى انك مطالب بعمله وانك ممجد كل التمجيد اذا عملته ؟ هل يستطيع اذكى الناس ان يتفوق على اغبى الناس في انكليهما لن يجد ما يعمله أو يحياه أو يفكر فيه غير العبث والغباء ؟

ها انت اذكى الناس . مفترضا • اذن جرب ان تتحدى ذكاءك لكي يجد اي شيء يستطيع ان يعمله أو يفكر فيه ، غير العبث والغباء والتفاهة ايضا •• أليس كل الفرق بين اذكى الناس واغباهم هو كل الفرق بين قدرتهما واسلوبهما في التعامل مع الغباء ؟

ها انت في ذكاء وقدرة وجد الاله الذي يتصوره ويؤمن بـه المؤمنون •• اي لنفترضك كذلك • اذن هل تستطيع ان تفعل غير أن تخلق وتوجد ثم تقتل وتفني ان تبني وتهدم •• ان تصنع هذا الكون أو اي شيء اخر بكل ما فيه من بشر وحشرات وشموس وكائنات اخرى ، وان تصيب هؤلاء البشر والحشرات والشموس والكائنات الاخرى بالموت والتشوه والمجاعات واللذات والمسرات والالام والمخاوف وبالتغير والتناقض والتخاصم وبالعبث والبلادات والهموم وبالجمال والدمامة ، وبالحب والبغض ، وبالمرض والتداوي والشفاء ، ثم بالمرض ، وبكل شيء ونقيضه •• بالطلوع ثم الغروب ثم بالطلوع فالغروب •• بالفيضان ثم الجفاف ثم بالفيضان فالجفاف •• بالموت ثم البعث ثم بالموت فالبعث •• بالجوع والخوف ثم بالاكل والامن ، ثم بالخوف والجوع ؟ هل يوجد عبث وغباء غير هذا او مثل هذا ، او هل يجد العبث والغباء لهما مجدا مثل هذا المجد ، اي مثل هذا المجد المحسوب للاله وحده ؟

نعم ، ها انت في ذكاء وقدرة وجد الاله الذي يؤمن بهالمؤمنون والذي يتصورون • اذن هل يوجد مثلك صانعا للعبث والغباء ، عائشا في العبث والغباء ، عاجزا عن ان يجد مـا يريده أو يعمله غير العبث والغبـاء ، بـل عن ان يرى أو يواجه غير العبث والغباء ؟ هل يستطيع اي اله ان يريد او يفعل أو يجد غير العبث والغباء ؟ هل يستطيع ان يخطو الا خوضا فوق العبث والغباء ؟

هل يمكن ان تكون موجودا أو موجدا أو مريدا أو محبا ثم تكون موجدا أو مريدا أو محبا لغير العبث والغباء أو موجودا في غيرهما أو عائشا غيرهما ؟

ها انت موجود • اذن لن يكون شيء من معاني وجودك أو احتياجات وجودك الا خوضا في الغباء والعبث وانطلاقا منهما وجوعا اليهما ••

هل يستطيع اي وجود او ايجاد ان يكون غير عبث وغباء أو غير خضوع أو عشق للعبث والغباء ، أو غير مجاعة اليهما ، أو غير استمرار فيهما ، أو غير بنوة لهما وتسلسل عنهما وفيهما ؟ أليس اعظم الجد والذكاء انما تناسلا وتخلقا عن أردأ معاني الغباء ثم ينتهيان الى هذا الاردأ من معاني الغباء وتفاسيره ؟

هل يستطيع مدبر وموجد هذا الكون او مدبر وموجد اي شيء ان يكون مدبرا او موجدا غير العبث والغباء مهما اراد ان يكون غير ذلك ؟

هل يمكن ان يوجد جد لم يلده اقسى العبث او لا ينتهي الى اقسى معاني العبث؟

هل يستطيع ان يكون خالق الجوع او الجائع والطعام ، وصانع المرض والشفاء والتداوي منه ، وخالق النبتة الظمآى في الصحراء ثم مرسل الغمامة المطرة اليها، وخالق القلب الحزين ثم واضع السرور فيه •

ـ نعم ، هل يستطيع فاعل ذلك ان يكون فاعلا غير العبث والغباء ؟

هل يستطيع اي موجد او موجود ان يكون في اية صيغة من صيغة افضل من ذلك ، اي افضل من ان يفعل الشيء ونقيضه ويعيش الشيء ونقيضه ، وان يصاب بالشيء ونقيضه ، وان يفعل ويريد ويحب ويكره ويخاف ويتالم ويحزن ويجوع ويشتهي ويكون بلا منطق او حساب او تخطيط او نموذج او مصلحة لاحد او لشيء، وان يجيء مبتدئا بلا ارادة أو معرفة سابقة ارادته وحسبته ودبرته ، وان يتداوى اليوم او يحاول التداوي اليوم من الجوع والمرض والالم والعجز والهوان والموت لكي يجوع ويمرض ويتالم ويعجز ويهون ويموت غدا لان الذي يتداوى اليوم من المرض او للجوع او الهوان او الموت انما يفعل ذلك لكي يصاب غدا بما يتداوى منه حتما، وان يحب حياته ووجوده ونفسه وان يستمسك بذلك ويدافع عنه ويرفض فراقه ، اي فراق حياته ونفسه ووجوده ـ ان يفعل ذلك لانه موجود وحي ومحكوم بنفسه لا لانه يعرف قيمة ذلك ولا لانه يربح منه او يسعد به أو يهبه المجد أو الخلود ؟؟ ان كل شيء لا بد أن يفعل ويعني ويساوي نقيضه وان ينتهي الى هذا النقيض وان ينطلق عنه وان يفسر به •

اذن اليس العبث والغباء هما كل وجود وكل موجود ، هما كل الذكاء والجد والمجد ايولو فيالتفسير لا فيالصيغة ولا فيالرؤية، ولو فيالصيغةوالرؤيةالاخيرةلا الاولى، اي ولو فيكلياتكلوجود وموجود لا في جزئياتهما؟• انبدلياتونهاياتكلالاشياء لن تكون ذكاء او تخطيطا او احتياجا او منطقا او استجابة لذلك او بحثا عنه •••

اللغـة بلا موهبة .. أقبح أجهزة الاستفراغ

جميع الالات ، العاملة ، المحركة والمصوتة والمضيئة والمدفئة والحاسبة والمفكرة محتاجة الى اجهزة ضبط ذاتية او خارجية ، موضوعة او طبيعية والا اصبحت شيئا مخربا وبائسا وعقيما • وليس في هذا الوجود الطبيعي شيء ليس مضبوطا ولو بعض الضبط ببعض هذه الاجهزة الذاتية أو الخارجية ، الوضعية او الطبيعية • ان اكثر الاشياء انطلاقا مجنونا لا بد ان يكون محكوما بنوع ما من انواع الضبط الذاتي او الالـي الكوني ••

ماذا يحدث لو ان اي شيء في هذا الوجود ، لو ان هذا النهر أو الاعصار او الصوت أو المرض او هذا الحزن او الضعف أو الخوف او الحب او البغض لم يكن محكوما بأي جهاز من اجهزة الضبط العديدة المختلفة الذاتية والخارجية ، الموضوعة او الطبيعية ؟

ماذا يمكن أن تتصور او يحدث لو ان خوفك او بغضك او حبك او حزنك لم يكن مضبوطا محكوما باي جهاز ضبط ؟

ان هذا الكون قد جاء وبقي كما نراه ونعرفه لان جميع وحداته مضبوطة بهـذه الاجهزة التي لم تكن منطقية ولا فنية ولا علمية ولا اخلاقية ولا تدبيرية بل عشوائية لم تكن نتائجها مطلوبة ولا محسوبة ولا جيدة او نافعة او معلومة قبل كينونتها او مرادة لاحد او لشيء •

انها نتائج لم تكن استجابة لاية حسابات او احتياجات • انها نتائج لم يدبرها او ينتظرها احـد ••

والانسان مركب من عديد الالات والاجهزة العاملة المتحركة والمحركة والمصوتة والمريدة والمنفعلة •• المحبة المبغضة القابلة الرافضة الخائفة الحاقدة والمفكرة ايضا اي ولو بالافتراض • ان البشر لا يعرفون كائنا مركبا بالاسلوب الذي ركب به الانسان من هذه الاجهزة والالات في عددها وحدتها واحتمالات نتائجها ••

وجميع هذه الالات اوالاجهزة أو الطاقات الانسانية تمر كلها من جهاز واحـد ، وتتعامل مع هذا الجهاز الواحد وتتزاحم عليه ويعبر عنها جميعا وتحتاج كلها اليـه

وتعلن عن نفسها به ، وتتخاطب مع نفسها ومع كل شيء بلغته ، وتتداوى من امتلائهـا المتزاحم المختنق باستفراغها لذاتها في انابيبه ٠

هذا الجهاز الواحد هو صوت الانسان او لسانه ٠ انه طريق الانسان الى الاخرين والى التاريخ والى الحياة ، وطريق جميع طاقاته وتفاسيره الى نفسها والى مجالاتها واهدافها ، وايضا الى التاريخ والى الحياة ٠ ان جميع مواهب الانسان وقدراتـه واحتمالاته واشواقه تظل مجهولة وسجينة ما لم تمر من هذا الطريق ٠٠

ان كل الانسان يمر من صوته او من لسانه ٠ انه لا شيء فيه يستطيع ان يستغني عن صوته ، انيمارس نفسه او يحياها بعيدا عن صوته ٠٠

ان لسان الانسان هو الانبوب الذي يصب فيه كل تفكيره وطموحه وكل ذكائه وغبائه وصدقه وكذبه واوحاله ونظافته ٠

اذن كم هي اجهزة الضبط التي يحتاج اليه صوت الانسان ، وكم تحتاج هـذه الاجهزة الى الدقة والقوة والاتقان ، وكم هي الحراسات التي يجب ان تضرب عليه إي على صوته ، وكم هي الشروط التي يجب ان تفرض على هذه الحراسات ، وكم هـي الاحتمالات الشريرة الخطيرة التي يحتمل ان يصاب بها بل التي لا بد ان يصاب بها؟

جهاز يمر منه ويتعامل به ويحياه ويصاغ ويقرأ ويعرف به كل الانسان ، كـل اخلاقه وافكاره وثقافاته ونياته وانفعالاته وحضاراته وجميع مستوياته ـ نعـم ، جهاز هو كل هذا بل كل هذا بعضه وبعض تفاسيره ودلالاته ٠ اذن كم يحتاج الى الضبط والى انواع الحراسات الجيدة القاسية ؟

اذن هل يوجد طريق مباح ومعروض لمرور كل الدمامات والبذاءات والقبائـح والفضائح منه مثل لسان الانسان ؟

نعم ، ان كل افكار الانسان وكذا تعاليمه وثقافاته وامانيه وطموحه ورغباته وارادته وخططه وجميع احتياجاته وانفعالاته بل وجميع اقتناعاته وعقائده ورؤاه وخيالاته وهمومه ومسراته ونياته ، تحتاج الى كل اساليب الضبط والى كل انواع الحراسات لكي يكون صوته اي لسانه مضبوطا ومحروسا ، لان كل ذلك يمر مـن لسانه ويتعامل به ويعبر عن نفسه ويقرأ جميع معانيه به وعليه وفيه ٠

اذن كم هي صعبة حراسة لسان الانسان وصعبة الاساليب التي لا بد منهـا لكي يكون مضبوطا ؟

هل يمكن انيكون تفكير الانسان او طموحه او تمنيه او حبه او بغضه مثـلا غير مضبوط او محروس ، ثم يكون جهازه الصوتي مضبوطا او محروسا ؟

رديئة جدا هي حظوظ لسان الانسان لان ضبطه يحتاج الى ضبط اشياء اخـرى كثيرة ٠٠

ان ضبط التفكير او الطموح او الارادة لا بد ان يتحول الى ضبط للسان او فـي اللسان، كما ان اي اختلال أو قبح في ذلك لا بد أن يتحول الى اختلال وقبح في اللسان ٠

ولكن هل يمكن ان يضبط التفكير او اي معنى او تفسير من معاني الانسان وتفاسيره بمحاولة ضبط لسانه ، او هل يمكن ضبط لسانه قبل او بدون ضبط تفكيره وضبط كل معانيه وتفاسيره ؟ كل رثائي لك يا لسان الانسان · كل اسفي عليك ايها اللسان الانساني لان ذكاءك واستقامتك مشروطان بذكاء واستقامة غيرك ··

اذن متى يصبح جهاز الانسان الصوتي او متى يصبح لسانه جهازا ذكيا أو عاقلا أو نافعا ؟ بل متى اذن يصبح جهازا غير فضاح مخرب محقر مفسد مهين مسيء جالب لكل معاني الاستهزاء والسخرية والعار ؟ قاسية وكثيرة هي الحراسات المطلوبة على اللسان · ان الشروط صعبة لكي يستطيع ان يصبح جيدا ومحترما وغير فضاح ولا وقاح ··

واذن ما اردأ الاجهزة واكثرها قبحا وتشويها وتعييرا وسبابا وبلادة وتحريضا للغثيان والاشمئزاز ؟ ما هو الجهاز الذي تنصب فيه جميع وقاحات وقبائح وبلادات وعار وذنوب جميع الاجهزة الاخرى ؟ ان هذا الجهاز هو اللسان الذي لم تضرب عليه كل انواع الحراسات ولم يحكم بكل اساليب الضبط ـ اي اللسان الذي لم تضرب على ذاته او على انسانه كل انواع الحراسات القاسية الذكية ، ولم تحكم اي ذاته او انسانه باقسى واذكى واشمل اساليب الضبط ·· ان اللسان هو العضو الذي يتطهر بتطهر غيره ويتلوث بتلوث غيره · انه الضمير الذي يصنع غيرة تقواه وفسوقه، مجده وعاره ··

واذن ما اردأ او اقبح صيغ الكينونة او صيغ الانسان وما اكثرها عاراً وافتضاحا ودمامة وحقارة وبلادة وتشويها ؟ وما اقدر هذه الصيغ او الكائنات على الاعلان الشامل عما تختزن من قبح وفحش وفضائح وبلادات ونذالات ؟

ان هذه هي صيغة الانسان او ذات الانسان التي تملك لسانا لم تضرب وتفرض عليه كل هذه الحراسات وكل اساليب الضبط هذه · ان اللسان هو جهاز التفجير لعار وقبح وعفن مثل هذه الذات او الصيغة الانسانية · انه لاجمل واستر لمثل هذه الذات او الصيغة الانسانية ان تكون بلا لسان ·

انسان وهب لسانا عاشقا للكلام اي للتصويت ، قادرا جريئا عليه ، محتاجا اليه ، مأذونا له ، لانه حاكم او زعيم او قوي او نبي او معلم او موظف في اجهزة الكلمة اي التصويت ـ مأذونا له ان يتكلم اي يصوت بلا اي قيد او تحرج او استنكار او مذمة كيف شاء واستطاع ، بل ويهتف ويغنى له اذا فعل ذلك وكلما فعل ذلك ، بل مفروض عليه ان يتكلم ·

نعم ، انسان وهب مثل هذا اللسان تحت هذه الظروف والاغراءات والتحريضات ، دون اية حراسة او ضبط من الذكاء او العقل او الحكمة أو الوقار أو الاخلاق او الصدق أو الحياء أو الاحترام لاي شيء ، هل يمكن ان يوجد او يتصور مثله نذالة وقبحا وافسادا وتشويها للعلاقات والمجتمعات والقضايا والحب والصداقة

وللمنابر والمحاريب ولجميع الاشياء التي يقع التعامل عليها وبها بين البشـــر ؟

وهل وجد او يمكن ان يوجد مثل هذا الانسان موهوبا كل هذه الظروف ؟

ـ نعم ، انه موجود كلما وجدت الزعامات والنبوات والقيادات والمجتمعـات العربية ٠ ان كل زعيم وقائد ومعلم ونبي عربي هو الصيغة الجيدة لمثل هذا الانسان تحت جميع ظروفه الملائمة ٠٠٠

اذن محتوم ان تكون أردأ واقبح صيغة لاردأ وقبح كائن هي ذات الحاكم والزعيم والنبي والمعلم والكاتب والواعظ العربي ، ثم ذات الانسان العربي العادي ، اي اذا كان مصابا بشهوة الكلام اي التصويت وبشهوة عرض الذات والاعلان عنها بالكلام الذي هو تصويت ، وكان ايضا موهوبا الجرأة والقدرة على ذلك ٠٠ وهل وجد أو يوجد عربي واحد بدرجة نبي أو زعيم أو حاكم أو قائد او كاتب ليس مصابا بذلـك وموهوبا كل ذلك ؟

ان هذا الحاكم أو الزعيم أو النبي أو المعلم او الكاتب او الواعظ العربي سيكون حتما بلا ضوابط أو حراسة من الذكاء أو الحكمة أو العقل أو الوقار أو الاخلاق أو الرصانة أو الحصافة لتصون وتصوغ لسانه أو لتعتقله ، او لتجعله شيئا مقبـولا أو معقولا أو محسوبا أو محتملا ٠ ان العربي لـم يجرب ولا يعرف أو يتصور الحراسات أو الضوابط العقلية أو الاخلاقية أو الانسانية أو النفسية على لسانه ٠ ان لسانــه يرفض أن يكون محاسبا أو محكوما بغير لسانه ٠

اذن اي جهاز قبح وَبذاءة وافساد وفضح سيكون ؟

انه حينئذ لا بد ان يبصق على ذاته وعلى مجتمعه وعلى كل شيء وكل قضية وكل وجه واذن وفكر ومنبر ، وعلى كل خصم وصديق ، وعلى كل موافق ومخالف ، بكل أنواع واساليب البصاق والقيء والقيح والقبح والنذالة والفجور والاكاذيب والغباوات والسباب ٠٠ ان كل عفن الطبيعة والاشياء حينئذ لن يكون ندا للعفن الذي لا بد أن يستفرغه على كل شيء وكل احد ٠٠

فظيع حينئذ بلا حدود أو نموذج هو هذا الحاكم او الزعيم او النبي او الكاتب او المعلم أو الواعظ العربي حينما يكون ثوريا أو مذهبيا او تجديديا ، اي حينما يكون قد وصل الى العرش أو الى المنبر او الى النبوة أو القيادة او الزعامة باسم الثــورة أو المذهب أو التجديد بالغزو المسلح المتآمر القافز ٠٠ ان العربي الذي يصعد الى الحكم أو الى الزعامة أو القيادة أو القوة أو المجد باسم الثورية أو المذهبية او التجديد لا بد أن يكون افضل النماذج لفضح الكلمة ٠٠

لنقرأ هذه الصورة أو الصيغة او النموذج ٠٠

زعيم أو حاكم أو نبي او قائد عربي قفز على العرش باسم الثورية أو المذهبية أو النبوة أو التجديد ، مصاب بشهوة الكلام وبشهوة عرض الذات والاعلان عنها وبشهوة

التحدي والمشاتمة والمبارزة وبالقدرة والجرأة على ذلك ·· وهو حتما بلا اية حراسة عقلية أو اخلاقية أو نفسية من ذاته على ذاته ، على لسانه ، ولا من مجتمعه أو من تاريخه على ذاته او على لسانه · بل وهو حتما مهتوف له ممجد مدعو له بالمزيد كلما كذب وسفه وتوقح وشتم الشموس والنجوم والسحاب · مثل هذا الزعيم أو النبي او الحاكم أو القائد العربي كيف يطاق أو يستطاع تصور ما لا بد أن يستفرغه لسانه من البذاءات والقبح والسخف والغباء والنذالة والعدوان على كل جمال وذكاء ومجد وكرامة ومحبة وتهذيب ؟

ان مثل هذا القائد أو الزعيم أو الحاكم أو النبي العربي لا بد أن يتحول الى ايذاء وتلويث وتجريح لوقار ونظافة وكرامة وحياء وتقوى أردأ الحشرات ··

هل يمكن ان يوجد اي نموذج أو صيغة من صيغ ونماذج الحشرات العفنة السامة القبيحة البذيئة الوقحة يشبه هذا النموذج أو هذه الصيغة من النبوات أو الزعامات أو القيادات التي وهبت ألسنة لا قيود ولا حراسات عليها من الذكاء او الحياء أو الوقار أو العجز أو الرهبة أو من فقدان شهية الفضح والعرض للذات ؟

اذن هل يمكن ان يوجد مستفرغ على اخلاق وضمائر ووجوه الشموس والنجوم والسحاب والانهار والحقول والحضارات والعبقريات والذكاء مثل الانسان العربي الذي يجيء بدرجة حاكم او زعيم أو قائد أو نبي أو معلم او كاتب او مفكر او شاعر أو واعظ ، اي اذا كان مصابا بشهوة الكلام وبشهوة العرض للذات والاعلان عنها، وكان ايضا قادرا على الكلام موهوبا الجراة عليه ، ولا سيما اذا كان ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ؟ انه لا بد ان يهتف له وان يغنى لمجده وبطولته وعبقريته العلمية والعقلية والحضارية كلما قبح وافتضح وفدح استفراغه ، وانه ايضا لا بد أن يكون بلا حراسة أو ضوابط عقلية أو اخلاقية أو نفسية او انسانية او تاريخية او تقليدية او ميراثية· انه الصيغة الجيدة الصعبة الجامعة لكل شروط أعلى مستويات ونماذج القبح والوقاحة والافتضاح ··

اذن هل يمكن تصور صيغة كائن تساوي في تجمع كل الرداءة والقبح والبذاءة فيها صيغة الانسان العربي الذي يجيء بدرجة نبي أو حاكم أو زعيم أو قائد او معلم أو مفكر أو شاعر او واعظ أو كاتب ، اي حينما يجيء ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا ، وحينما يكون قادرا على ان يقول ما يستطيع قوله وما يريد ويشتهي قوله وما يسعد ويشعر بالكبرياء والمجد بقوله وما يهبه كل العار والافتضاح قوله ؟ قبيح هو القول الذي يجد فيه الانسان العربي كل مجده وذكائه ونشوته وقوته ··

اذن اهربي ، بل انتحري ايتها الشموس والنجوم والزهور والاشياء الجميلة المصابة بالاستحياء والوقار والتهذيب ، أعني ان كنت لم تستعربي وتفقدي معانيك بمعايشتك للانسان العربي · أليس الانسان العربي يعرب ما يعايشه حتى الحضارات يعربها اي يفسدها ؟

اذن اهربي او انتحري لئلا تواجهي أو تري أو تسمعي مثل هذا الانسان العربي ٠٠ مثل هذا المستفرغ الذي لا مثيل لـه في قبح ووقاحة استفراغه ٠٠ وقحة وبذيئة وبليدة انت ايتها الشموس والنجوم وكل الاشياء الجميلة ان كنت قد سمعت الانسان العربي يقول كل ما قد قاله دون ان تنتحري أو تهربي أو تمرضي أو تصابي بالصمم الدائم ان كنت لم تستعربي ٠

ولكن اليس لهذا الانسان العربي مزايا ؟ اليس من هذه المزايا انه مهما صنع الاشمئزاز والغثيان لكل الضمائر والعقول والاخلاق المتحضرة بكل ما يقوله ويدعيه ويطالب به فانــه لا يستطيع ان يقتل او يجرح أو يصيب أو يخيف احدا ؟ انه شيء فاضح ولكنه ليس شيئا قاتلا أو هازما أو قادرا ٠ أليست هذه مزية ؟

اليست ذات مزية اية حشرة يؤذي منظرها أو صوتها أو سلوكها اذا لم تكن قاتلة او جارحة أو ممرضة أو صانعة لاي ضرر بالحياة أو باي شيء حولها ؟

انه اي الانسان العربي مهما بصق على كل الوجوه والاذان والمنابر والاخلاق والافكار المستمعة اليه فانه لن يستطيع ان يخدعها أو يقنعها أو يفسدها أو يضعفها أو يعجبها أو يقتلها ، أو ان يهدم بناء أو واقعا جيدا ، او ان يمنع مستقبلا آتيا عظيما من المجيء ، أو أن يسلب الاذكياء والمهذبين والمتوقرين والمتطهرين والمتحضريـــن اشتهاءهم لذكائهم أو لتهذيبهم أو لوقارهم أو لطهارتهم أو لحضارتهم مهما فـرض عليهم الاستماع اليه ، أو أن يمنع الشمس أو الانهار أو الامطار أو الفصول من القدوم والطلوع والنزول في اوقاتها ، بكل قوتها وجمالها ٠ انه مهما بصق على الشمس فان شيئا من بصاقــه لن يصل اليها ومهما القى بكل الحجارة في وجهها فلن يتحول الى جراح في وجهها ٠٠

أليس عجزه هــذا مزية بل مزايا ؟ اليس كون الكلب نابحا وعاجزا عن الافتراس وعن ان يعض مزية لمن يسمعون نباحــه ومزية فيه اي في الكلب النابح ؟

اليس نوعا من المزايا ومن الحظوظ الجيدة لك ولعينيك واذنيك ان يطن الذباب بكل قبحه في اذنيك وحولهما ولكن دون ان يفسدهما أو يعجبهما أو يصمهما أو يخترقهما ، ودون ان يقذف فيهما داءه ، وان تتعرى وتتبختر كل الحشرات واوقح الحشرات بكل وقاحاتها ودماماتها في عينيك ولكن دون ان تسلبهما الرؤية او جمال الرؤية أو الرغبة في الرؤية ، ودون ان تستفرغ فيهما شيئا من احمالها واوحالها ؟ اليس شيئا من المزية والمحاباة لك ان تعيش كل الاوحال حولك دون ان تستطيع القفز عليك لتتحول الى أوحال في جسدك او ثيابك ؟

وايضا اليس من مزايا هــذا الانسان العربي انه يتحول الى شماتة ونشـــوة سعيدة ؟ ليس لاعدائه أو حساده أو منافسيه ٠٠ انه ليس ممكنا ان يكون له اعداء أو حساد أو منافسون ٠٠ انه لا يحسد أو ينافس أو يعادي الا الاقوياء جدا المتفوقون المخيفون بمواهبهم أو بقوتهم أو باي معنى قوي من معانيهم الحضاريـــة أو

الاخلاقية أو الانسانية أو العقلية أو الفنية أو النفسية أو حتى الجمالية الجسدية ٠ ان العربي هو الكائن الحاسد ابدا ، الذي لا يتحول ولم يتحول قط الى محسود ٠ انه المعتدي الذي لا يجازي ٠٠

هل يوجد في الانسان العربي شيء يخشى ان يحوله الى محسود او منافس أو معادي ؟ ان العربي قد يكون مرحوما أو محزنا أو فاجعا أو مسخورا منه ولكنه لن يكون محسودا أو منافسا أو معادي ٠ حتى نفطه لن يستطيع ان يجعله شيئا من ذلك ٠

ان النفط وهو كل حظوظ الانسان العربي من مجد الحياة والتاريخ والحضارة لن يحوله الى محسود أو منافس أو معادي بل لقد حوله الى صانع للرثاء والاشفاق والاسى والى مخدوع مضحوك عليه مضحوك منه مطموع فيه ، مكذوب عليه ، مكذوب له ، مستهزأ به ، مفسد للاخلاق ، معلم للنفاق والنذالة وللصلاة في معابد الحشرات والهتاف لاناشيدها ٠ ان الشيء الرديء والضعيف والمهزوم لن يكون محسودا أو منافسا أو معادي مهما ملك أو اعطى ومهما نوفق وكذب له او عليه ٠٠

نعم ، ان النفط العربي قد أفسد وأذل اخلاق وضمائر اقوى واكبر الناس اي اخلاق وضمائر قادة وزعماء الدول المتحضرة الكبرى والصغرى لانه اضطرهم الى أن ينافقوه ويتملقوه والى ان يصغروا في ذكائهم وكرامتهم لكي يفهموه ويرضوه ويتلاءموا معه ٠٠

نعم ، ان الاشياء تطلب وتشتهي ويطمع فيها ويقع عليها التحاسد والتنافس والتعادي ولكنها لا تحسد ولا تنافس ولا تعادي ٠ ان اي شيء مهما كانت قيمته لن يكون محسودا أو منافسا أو معادي مهما كان عنف التحاسد والتنافس والتعادي عليه ٠

هل يمكن ان تحسد أو تعادي أو تنافس السلع أو الاطعمة أو الخيول والنياق الجيدة الجميلة او الاموال بكل عملاتها وجنسياتها المختلفة ؟ ولكنها بكل الهوان والضعف والتهافت والاستعباد والسقوط تراد وتطلب وتشتهي ويطمع فيها وتسجد لها بكل المسكنة والتصاغر كل الهامات والقامات بل وكل الرايات ، ويتحاسد ويتعادى ويتنافس عليها بكل النزق والجوع والافتضاح والوحشية النفسية والاخلاقية كل الناس ، حتى الذين صنعوا للتاريخ كل ازيائه وامجاده وعلموه كل لغاته ولهجاته ، وحتى الذين لا يخطو التاريخ اية خطوة من خطواته الا بحثا عن خطواتهم ، وحتى الذين علموا الاله كيف يتحدث عن نفسه ويدعى لنفسه ويرى نفسه ويعجب بنفسه ، بل علموه اي علموا الاله كيف يقتنع بنفسه ، كيف يقتنع بانه موجود حقا ، وعلموه ان يجرؤ على الاعلان عن نفسه وعن وجوده ٠٠

كيف استطاع الاله ان يقتنع بانه موجود او بأن وجوده شيء طيب يستحق التباهي به والاعلان عنه ؟ أليس الذين علموه الاقتناع بذلك هم اعظم المعلمين تعليما؟ نعم ، أليس كل المتعاملين مع العرب أو فيهم قد فهموهم وفسروهم بانهم اشياء ثم تعاملوا معهم وفيهم بهذا الفهموالتفسير ؟

اذن فالعرب لا يمكن ان يحسدوا او يعادوا او ينافسوا ، ولكن لمزاياهم النفطية الاسطورية لا بد أن يقع عليهم ومن اجل الظفر بهم اي بنفطهم التعادي والتحاسد والتنافس كما يقع ذلك على الاشياء المشتهاة ٠٠ آه ايتها الموهبة العربية ، هل تستطيعين ان تصعدي الى ان تكوني محسودة أو منافسة أو معاداة ؟

نعم ، أليس الانسان العربي الذي هو بدرجة نبي أو زعيم أو قائد أو حاكم أو كاتب أو معلم أو واعظ لا بد أن يتحول بكل ما يقوله ويعلنه ويدعيه ويطالب به ويراه ويعبر عنه الى شماتة والى نشوة سعيدة ، ليس لاعدائه او لحساده أو لمنافسيه لانه لا يملك احدا من هؤلاء ٠ آه ايها الانسان العربي ٠٠٠ ليتني اجد من يحسدك أو ينافسك أو يعاديك أو يخافك لانه يراك قويا أو عبقريا أو عظيما أو جريئا ٠

ولكنه يتحول الى هذه الشماتة والنشوة السعيدة لقوم يملكون كل مواهب الاستمتاع النفسي والفكري والاخلاقي والفني بل واحيانا الاستمتاع المذهبي أو القومي أو الوطني أو الديني أو العرقي ، بعار الاخرين وتفاهتهم وبلادتهم وافتضاحهم وبكل معانيهم الصغيرة المحتقرة المحقرة ٠٠ اذن فالانسان العربي الذي هو بدرجة نبي أو قائد أو كاتب أو مبدع يعلم الاخرين هذه الوقاحة اي الشماتة والفرح الخبيث ٠

كثيرون هم اولئك الذين يسعدون ويبتهجون ويشعرون بالمجد والقوة والتفوق حينما يرون او يسمعون أو يقرؤون كل ألوان الدمامات والتفاهات والغباء والضآلة والوقاحة والنذالة ، تعيشها وتتحدى وتتعامل وتتقاتل وتتباهي بها وتستفرغها عقول واخلاق ومواهب وألسنة اناس محسوبين وموضوعين ومنصبين انبياء وزعماء وقادة وحكاما وحكماء ومعلمين وكتابا وفنانين ، اي ممن يتكلمون اللغة العربية بكل اساليبها البلاغية الاصيلة العريقة المثيرة لكل نشوات الشماتة في مشاعر وحركات المتفرجين ٠ الست انسانا نافعا وسارا وجيدا حينما تصبح شخصية تتجمع فيها كل معاني وتعبيرات الهزال والهزل ؟ ألست قد تصنع السرور والرقص الروحي لكثير من الناس لانك مضحك ومثير للاشفاق ببلادتك أو تفاهتك أو ضآلتك أو بسخفك وفحشك اكثر واعمق من ان تفعل لهم ذلك ، أو دون أن تفعل لهم ذلك بعبقريتك أو بعظمتك أو بقوتك أو بذكائك أو بمجدك ، اي لو كنت كذلك أو شيئا من ذلك ؟ ان ضعفك المضحك قد يصنع النشوة لنظارتك ٠ ولكن هل تصنع لهم شيئا من ذلك قوتك المخيفة ؟

أليس تمثيل ادوار الشخصيات البلهاء الغبية السفيهة الضئيلة الفضاحة احد الفنون الانسانية العالمية التي يتخلى امامها اكثر الناس وقارا ورصانة وصمتا عن وقارهم ورصانتهم وصمتهم ليتفجروا بالابتهاج الصارخ المتنزى المتعرى ؟ هل يوجد من لا يسعدون أو من لا ترقص عضلاتهم ابتهاجا بمشاهدة أدوار هذه الشخصيات مبالغا في تمثيل ضعفها وتفاهتها ؟

لماذا ذلك ؟ أليس لان مشاهدة النقص أو العجز أو الضعف أو السخف الانساني الرهيب تصنع ألوانا كثيرة ومثيرة من البهجة والاستمتاع المتعدد المعاني والتفاسير

والاساليب ؟ وانبياء العرب وقادتهم وزعماؤهم وكل متكلميهم يقدمون هذه الشخصيات طبيعيين لا ممثلين . اذن ما اسعد نظارتهم !!

اذن هل يمكن ان يوجد من يستطيع ان يصنع هذه البهجة وهذا الاستمتاع النشوان للباحثين عن ذلك مثل الانسان العربي الذي قد اصبح نبيا أو حاكما أو زعيما أو قائدا أو معلما أو مفكرا أو كاتبا أو شاعرا أو واعظا ، كلما قال أو ادعى أو خاطب أو خطب أو جادل أو خاصم أو علم او اعلن او اعتقد او اقتنع او آمن أو فهم أو فكر أو نوى بصوت مسموع أو مقروء ، ولا سيما اذا كان ثوريا أو مذهبيا أو تجديديا أو اصلاحيا ، ولا سيما ايضا اذا كان مصابا بشهوة العرض للذات والاعلان عنها ، ومصابا بشهوة الكلام اي بشهوة التصويت وبالجرأة والقدرة عليه . وهل وجد أو هل يمكن ان يوجد اي نبي أو زعيم أو قائد أو ثائر أو مفكر أو شاعر عربي ليس مصابا بهذا وهذا

اذن فهذا الانسان العربي المضحك المحزن المسخور منه ومن جميع مواهبه المتحولة الى أصوات فوق السحاب يصنع كل ألوان السرور والبهجة لجميع النظارة والمشاهدين .. ولكن اليس محتوما ان يصنع الاسى العميق للرخماءِ المشفقينَ الراثين لضعف وسخف الاخرين ؟ ومع هذا الاستثناء فان الانسان العربي فنان عظيم في صنعه للسرور والبهجة بهذا الاسلوب العربي المتفرد ... انه يصنع السرور والبهجة لنظارته بفنه الطبيعي الاصيل لا الممثل .. ان ضعف العربي الذي يتحول الى فن ضعف طبيعي واصيل لا تمثيل . اذن اليس فنه فنا متفوقا ؟

واذن اليس لهذا الانسان العربي مزايا ؟ أليس من اعظم مزايا الانسان العربي انه قد اثبت ان الحضارة قد تتنازل عن شجاعتها وكرامتها وكبريائها وعن صدقها وحيائها وذكائها وتحضرها بلا ضوابط او حواجز ، حينما هددها بالنفط سلاحا ـ حينما هدد أن يضرب بالسلاح الذي لم يبتكره أو يصنعه أو يعرفه أو يعرف مكانه أو وجوده او نفعه أو استعماله أو من اين جاء أو لماذا جاء ..

نعم ، ان أردأ صيغة لاردأ كائن هو الجهاز الذي لا يوجد جهاز اخر يساويه أو يشبهه في استفراغه لكل انواع الفحش والقبح والسباب والغباء والنذالات والاكاذيب والفضائح بكل احجامها والوانها واصواتها ، بلا اي غضب أو احتجاج أو رفض أو حتى مشورة أو نصيحة أو محاورة أو استحياء أو قيمة أو هداية من الذكاء أو المنطق أو العقل أو التهذيب او من القيم الحضارية أو التاريخية أو الانسانية أو من اي نوع .. انها الصيغة التي يعجز أفرس خيال عن تصور أردأ منها .

وهل يمكن ان توجد هذه الصيغة التي هي أردأ صيغة لاردأ كائن بكل قدراتها الاستفراغية هذه الا في ذات الانسان العربي الذي يجيء في مستوى أو منصب الاقوى والاكبر والاعظم والاتقى والافصح والاكثر ثورية أو مذهبية أو تدينا أو تجديدا أو اصلاحا ، والاجرأ الابسل بسالة ولسانا واعلانا عن الذات ؟ هل يمكن ان يوجد مثل هذا الانسان العربي قدرة على استفراغ كل العفونات وأردأ العفونات ؟...

ان اي لسان طويل جريء قوي جهير يركب في اي انسان عربي كبير المكانة أو المنصب أو الشهرة أو التفسير أو الجرأة فلن يكون اي هذا اللسان الموصوف الا اقبح واضخم جهاز استفراغ لاقبح واضخم الوان الفضح والقبح ٠ ان اي قوم لن يستطيعوا ان ينافسوا العرب في امتلاكهم لاضخم جهاز لاستفراغ كل الفضح والقبح ٠

ان اي عربي يولد وفي فمه لسان فلن يكون الا حبلا يهدد بكل احتمالات بل بكل ولادات الفضح والقبح بكل تفاسيرهما وجنسياتهما ولغاتهما ٠ لان اي لسان يولد في اي فم عربي لا بد أن يولد معه احتمال بأن يكون الفم الذي ولد فيه اللسان ليس الا فم نبي أو زعيم أو قائد او حاكم او مفكر أو شاعر أو واعظ عربي يدعي الثورية أو المذهبية أو الاصلاحية الدينية أو الاخلاقية أو التاريخية ، ويستطيع حينئذ أن يقرأ ويفسر وينشر عاره وقبحه على كل الشموس والنجوم، ومن فوق كل الشموس والنجوم، وان يهدد بهما كل الشموس والنجوم ٠ أليس مثل هذا اللسان هو النموذج المثالي لاحتمال ان يكون افضل جهاز لاستفراغ كل القبح والفضح وأردأ أنواع القبحوالفضح٠

ان اعقل واذكى واحكم النبوات والقيادات والزعامات والدعايات والثقافات والمواهب العربية ، أو أقلها قبحا وفضحا وعارا وبلادة ونزقا ، هي التي تجيء أو تولد وفي نطقها آفة دائمة تفرض عليها الصمت والعي والوقار ٠٠٠ هل توجد فضيلة تساوي ان يصاب بالخرس الدائم جميع الحكام والزعماء والانبياء والثوار والكتاب العـرب ؟

ان اي لسان يولد في فم اي نبي أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر لا بد أن تولد معه احتمالات العبقريةوالعقل والذكاء والحكمة والوقار والتهذيب الا اللسان الذي يولد في فم الانسان العربي أو في فم من هو في مستوى الانسان العربي ، فانه يولد بدون اي شيء من هـذه الاحتمالات ٠٠٠ ان الطبيعة لا تشترط لولادة اي لسان عربي اية ولادات أو شروط اخرى مصاحبة أو سابقة جيدة ٠

اذن فان اي لسان يولد في اي فم عربي فلن ينتظر له ومنه سوى احتمالين : أن يكون مصابا بالصمت والعجز ، أو أن يكون فضحا وقبحا وجنونا ليس فيه شيء من جمال أو براءة الجنون المعقول ٠٠ لهذا فانه لا امل في ستر أو في استتار اي لسان عربي الا في ان يكون مصابا بالصمت وبالعي المانع لـه من ان يتحرك أو يخرج من مكانـه ٠

وحتما لن توجد ولادة اقبح واخطر من ولادة لسان طويل جهير جريء قوي دون ان تولد معـه احتمالات ذكاء أو عقل أو حكمة او تهذيب أو وقار ٠ ان مثل هـذا اللسان لن يكون حينئذ الا تفجرا مستمرا بكل القبح والفضح والبلادة والنذالة والفحش وبكل انواع واساليب السوء بلا اي قيد أو ضبط ٠٠

اذن لن توجد ولادة اقبح أو اخطر من ولادة نبي أو زعيم أو قائد أو معلم أو مفكر أو شاعر عربي يولد في فمه لسان لم يصب بالصمت والعجز الشامل الدائم ، لانه لا

بديل اخر عن الصمت والعجز ٠٠ ان كل التاريخ يقول انه لا بديل للسان العربي عن الصمت والعجز ٠٠ لا بديل الا الفضح والقبح ٠٠

اذن ايتها الافواه العربية ، كوني حيية أو تقية وأصيبي كل لسان يولد فيك بالافة الجيدة ، بالعجز والصمت والعي الشامل الدائم ٠٠

انك ايتها الافواه العربية لن تستطيعي ان تفعلي افضل أو اعظم من ذلك ٠ اذن افعليه ٠ افعلي مزيتها التي لا تستطيعين غيرها وهي ان تصيبي كل لسان يولد فيك بالعجز ، بالعي الشامل الدائم ٠ ايتها الافواه العربية !

آه ٠ ليت الانسان الاخر يتقدم علما واخلاقا وشهامة الى ان يصبح قادرا وجريئا على ان يعقم كل انسان لا تولد فيه احتمالات الذكاء والعقل والحكمة والحياء والتهذيب والصدق ، يعقمه تعقيما يحميه من ان يتخلق فيه اللسان ٠٠ ليت الانسان المتحضر يعقم انبياء العرب وزعماءهم وقادتهم ضد أن تولد فيهم ألسنة متحركة ٠٠

لم تكن الطبيعة ذكية أو حيية أو مهذبة أو رحيمة أو فنانة ، وكذلك لم تكن ذات الانسان ولا حضارته أو اخلاقه أو موهبته وحياته شيئا من ذلك حينما علمته اللغة قبل ان تعلمه العقل والذكاء والمنطق والحياء والتهذيب والصدق ، أو دون ان تعلمه ذلك ٠ انه لافتضاح شامل ان يكون لكائن ما لغة منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة دون ان يكون محكوما باقسى واذكى الضوابط الحضارية والانسانية ٠

هل قصدت الطبيعة أو قصدت ذات الانسان وموهبته بذلك ان تفضحه وتشوهه ، ام هي قد عجزت وجهلت ان تكون ما ينبغي اي ان تكون الاذكى الافضل الانفع ؟ باي منطق او موهبة تصوغ وتخرج ذات الانسان ذاته ؟ وهل تخرجها أو تصوغها باي شيء أو باي قدر من المنطق أو من الموهبة ؟

أليس شيئا جيدا لو ان جميع من لا تعيش في ذواتهم احتمالات الذكاء والعقل والمنطق والوقار والتهذيب يمنعون بوسيلة ما من ان يتكلموا أو يتعلموا اية لغة ؟ الا يحتمل ان يحدث هـذا في يوم ما ؟ أليس شيئا رائعا ان تستحدث في افواه هؤلاء عاهة جيدة تمنعهم من ان ينطقوا ؟

انسان يتكلم لغة دون اي شرط أو قدر أو ضابط من العقل أو الذكاء أو الحكمة أو الوقار أو التهذيب أو الصدق ٠ انه لاعظم جهاز لاستنفراغ العار والقبح ٠٠

هل يوجد ما يساوي هذا الانسان في قبحه الا اله يملك كل عضلات وشهوات وكبرياء وطموح وانانية اكبر واقوى الالهة دون ان يملك اي قدر من الحب أو الرحمة أو الشهامة أو الفهم أو الموهبة الفنية أو الفكرية أو الاخلاقية أو النفسية ؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد مثل هـذا الاله ؟ يقول المؤمنون انه قد وجد ، وانه لا يزال موجودا وانه لا بد أن يظل موجودا ٠٠

ولكن هذا الانسان هو حتما اكثر قبحا من الطبيعة التي وهبت كل هذه العبثية والعشوائية والقوة والضخامة والاتساع والقسوة والوقاحة والنزق والفحش دون ان

وهب شيئا اخر غير ذلك · وهل يوجد اقبح أو اوقح من الطبيعة ؟ نعم ، اللسان المركب في الزعيم أو القائد أو النبي أو المفكر أو الشاعر العربي ؟

لعل الطبيعة بعد أن خلقت الانسان أو بعد أن ولدته في تعبير اخر رأته في نموذجه الاعلى متفوقا عليها متحكما فيها قاهرا لها ، فأصابتها الغيرة ، فأرادت ودبرت الانتقام ، فصاغت لانتقامها من مخلوقها أو من وليدها المتفوق عليها ، اساليب كثيرة متفاوتة العنف والبذاءة والوحشية · وكان من هذه الاساليب الانتقامية أن خلقت الانبياء والزعماء والقادة والحكام والمعلمين والمفكرين والشعراء والكتاب العرب ، اي ان خلقت الالسنة الطويلة الجريئة القبيحة البذيئة المصابة بكل وقاحة الشبق المنبري والغدواني ، دون ان تحرسها أو تضبطها باي قدر من الذكاء أو العقل أو الحكمة أو الصدق أو الشهامة أو المحبة أو الحياء أو من تفاسير الانسان المتحضر ـ اي ان خلقت أردأ صيغة لاردأ كائن ·· نعم ، لقد كان خلق هذا الانسان العربي انتقاما قويا من مجد الانسان ، ولكنه انتقام بليد بذيء متوحش ··

اذن لقد خلقت أو ولدت الطبيعة موهبة الانسان العربي الاستفراغية انتقاما من حسدها لموهبة الانسان الاخر الحضارية والانسانية · اي خلقت الانسان العربي المستفرغ بلسانه لتداوي حسدها للانسان الاخر المفكر المبدع المتحضر المتفوق عليها الحاكم المسخر لها ·· ولكن هل تداوت الطبيعة بتداويها هذا أم مرضت ؟ هل شفاها خلقها للانسان العربي المستفرغ عليها ؟

أو لعل الطبيعة أرادت ان تصنع لنفسها من الانسان ألعابا متناقضة ومتفاوتة المستوى والقيمة جدا ، أو ان تخلق من نفسها لنفسها ، لتعبث وتلهو ، صيغا متباعدة جدا في حدها الاعلى عن حدها الادنى ، فذهبت تخلق الانسان المتفوق عليها والذي هو اسمى ما تستطيع وتجد وتعرف وهو حدها الاعلى · وفي حدها الادنى ذهبت تخلق الزعامات والنبوات والقيادات وكل جماعات الفكر والشعر والقلم العربية التي كل عطاياها كل الاعمال الاستفراغية التي تستفرغها والشعراء وانزلت عليه كتبه المقدسة وزرعت في فمه هذه الالسنة الطويلة بلا حدود والممدودة بلا ضوابط أو حواجز ·

ولكن أليس قد ذكر ان الاستفراغ بالتصويت ضرورة يجب السماح بها ولها ؟

لغـــة بلا مجد أو شرف

اللغة ، كل لغة هي وعاء أو أداة تعبير يعيش فيها الشيء ونقيضه ، ويعبر بها عن الشيء ونقيضه ، وهي ليست الشيء ولا نقيضه ٠ انها فقط حروف واسماء وافعال ، لا ترفض أو تغضب أن تعبر عن هذا أو هذا أو أن يعيش فيها هذا أو هذا ٠ انها لا ترفض ولا تغضب ان تكون تعبيرا عن المجد والكرامة وعن الذكاء والعبقرية والنظافة والصدق والقوة او عن النقيض أو ان يتكلمها اصحاب هذه المواهب الجيدة او الاخرون المناقضـــون ٠

بل انها لا تختار لنفسها ولا تستطيع أن تختار ولا تعرف كيف تختار ٠٠

ان اللغة لا تذم ولا تمتدح او يجب ألا تذم وألا تمدح ٠ ولكن الذم والامتداح لا يكونان الا لما يوضع فيها أو لمن يتكلمونها ويتعاملون بها ٠٠ ان اللغة هي الصورة المعنوية لشخصية الانسان الادبية ٠ والصورة ليست مسؤولة عن نفسها ٠

حتما لا بد ان تكون هناك فروق بين اللغات ، فروق كثيرة فنية وجمالية وغنائية ٠٠ فروق في التحديد والضبط والوضوح واليسر والشمول والسهولة وفي التحضر والبداوة بل وفي المنطقية أو الفكرية او القانونية ٠٠

ان المتفاوتين في مستوياتهم الاخلاقية والفكرية والنفسية والحضارية لا بد ان تكون هناك فروق مساوية او ينبغي ان تكون مساوية بين لغاتهم ٠

هذه الفروق الكثيرة بل والضخمة لا يجوز الاختلاف عليها ٠٠

انه كما تختلف وتتفاوت جودة وجمالا واتقانا ورداءة ودمامة وفوضى مـــلابس الناس وبيوتهم ومدنهم وادوات منازلهم كذلك تختلف لغاتهم ٠ ان اللغات ليســت الا انواعا من الملابس والبيوت والمدن والادوات ٠ لهذا فكم تتفاوت فنيا وجماليا !!

كل هذا صحيح ولكن ليست هذه هى القضية هنا ٠٠

ان الناس يعيشون في اللغة التي يتكلمونها حتى ولو لم تكن لغتهم القوميـــة أو لغة ميلادهم ، تعيش فيها مواهبهم واخلاقهم وقوتهم وضعفهم وبداوتهم وحضارتهم

وجميع مستوياتهم · كما تعيش لغاتهم فيهم · نعم ، تعيش فيهم ويعيشون فيها ولكن قد يكون ذلك بعلاقات ادق واكثر عمقا ودلالة وتاثرا وتاثيرا مما يعيشون في بيوتهم وازيائهم ومدنهم ، ومما تعيش فيهم ·

ان اللغات اماكن أو معارض أو حقول للبشر يضعون او يجمعون أو يعرضون أو يزرعون فيها كل مزاياهم ورذائلهم وكل احتمالاتهم الجيدة المتفوقة والرديئة المتخلفة · ان تاريخ اي قوم لن يكون اكبر او أصغر من لغاتهم او مما في لغاتهم أو من تفاسير لغاتهم في كل تاريخها وفي كل دلالاتها واستعمالاتها ··

اذن اللغة ، اية لغة ليست شيئا اكثر او أقل ، افضل أو أردأ ، اذكى أو اغبى ممن يتكلمونها · انها هي هم جاءوا حروفا منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة ·· ان البشر في كل تاريخهم ليسوا الا لغاتهم جاءوا وقرئوا باسلوب اكثر وضوحا وتحديدا وتعريفا بالذات ·

حتى حينما يكذبون او يزيفون او يخدعون أو يبالغون لن تكون اي اللغة باسلوب من يتكلم ويفكر ويعلم ويهدي ويصنع الحضارات والمذاهب والاديان والقيم الانسانية، وباسلوب من يمجد نفسه ويذل ويهزم ويقتل الاعداء والابالسة والشرور ، وايضا باسلوب من يصلي للالهة ويشيد لها المجد والذكاء ويضع لها اجمل واذكى التفاسير والصيغ · بائسة هي الالهة · ان كل من يصلون لها ويصنعون لها المجد والمسرات والتفاسير ليسوا الا مستفرغين لتفاهاتهم ولغبائهم والامهم عليها ·

لعل الطبيعة كانت تبحث عن اقوى او اقصى اساليب العبث والنزق والتناقض والاستهزاء بنفسها وبكل شيء حينما خلقت او ولدت الانسان في نموذجه او في حده الاعلى ثم خلقت أو ولدت أو استفرغت الانسان العربي الذي هو في رتبة نبي أو زعيم او قائد أو معلم او مفكر أو شاعر أو كاتب أو واعظ ، والذي هو ايضا ثوري او مذهبي أو تجديدي أو اصلاحي باسم الدين او الاخلاق أو التاريخ ، والذي هو ايضا مصاب بالشبق المنبري الصوتي الاستعراضي الاعلاني ، وبالجرأة والقدرة على ممارسة هذا الشبق بكل الكبرياء والفروسية ، اي الذي هو في رتبة المستفرغ لكل اساليب وانواع البذاءات والبلادات والوقاحات زاعما انه يصوغ الكون بذلك ·

لعل الطبيعة لم تسفه وتسخف مثل سفهها وسخفها هذا · ولعل اقبح ما في هذه القضية ان الطبيعة التي هي كل السخف والسفه والجنون والظلم هي ايضا كل العقل والحكمة والوقار والعدل والرصانة · انها هي كل الجمال والحب بقدر ما هي كل الدمامة والبغضاء ·

كيف يمكن ان تكون مشاعر الطبيعة، لو كانت لها مشاعر ، حينما تضع احدى عينيها على هذا الانسان العربي وتضع عينها الاخرى على الانسان الاخر النقيض ؟

حينما تضع عينها على هذا الانسان العربي المستفرغ لاحقاده وبذاءاته باسلوب من يصنع للشمس كل امجادها ؟

هل يمكن ان نتصور ان والدا ما مهما كان سخفه وسفهه وفحشه يجرؤ على أن يصوغ ، قادرا متعمدا ومدبرا ، احد ولديه مالكا كل قمم ومعاني العبقرية والجمال والقوة والروعة ، والاخر مالكا كل حضيض ومعاني التفاهة والبلادة والدمامة والعجز والافتضاح والضآلة بكل تفاسيرها ونماذجها ؟

كيف امكن ان يوجد من يجدون في الطبيعة منطق او ضمير او فن اله تركع لـه العقول والجباه حبا واعجابا ؟

ماذا لو ان الطبيعة اصبحت يوما ما متوقرة ومحترمة محاسبة لنفسها ولما تفعله ثم حدقت في ولديها فرأت كيف صاغت احدهما وهو هذا الانسان العربي المزعوم والمنصب نبيا أو قائدا أو زعيما أو مفكرا أو شاعرا أو اي حامل قلم ، ورأت كيف صاغت الاخر وهو ذلك الانسان الاخر المناقض الذي اصابها تفوقه عليها بداء الغيرة ؟ كيف صاغت ابنها العربي ليكون جهاز استفراغها وصاغت ابنها الاخر ليكون منطق وطاقـة ابداعها ؟

الا يجب حينئذ ان يقتلها اشمئزازها من سخفها وسفهها ، ومحاسبة ضميرها ونكائها لها ، وادمانها التحديق في عارها وذنوبها ؟ ماذا لو أن الاله رأى نفسه رؤية جديدة محاسبة محاكمة أو لو أن المؤمنين به رأوه مثل هذه الرؤية ؟

لقد كان من الممكن أو المفروض ان يكون ضعف الانسان العربي وقبحه صامتين أو هامسين ولكن الطبيعة لم ترد له ذلك · لهذا خلقت فيه الانبياء والزعماء والثـوار والكتاب الا عرضا وتفسيرا صادقا لهم وحكما عليهم ، ولن يكونوا اصغر او اكبر منها ·· ان الكذب مهما كانت حوافزه وصيغه لن يكون الا تفسيرا صادقا لاعماق الكاذب وقراءة لمواهبه ومستوياته ··

ان اسلوب الانسان في الكذب أو في الخداع والمبالغة لن يكون الا تعبيرا عنه ، عن ذكائه وغبائه وعن قوته وضعفه وعن مستويات ضميره واخلاقه وتجاربه ونياتـه وثقافاته وظروفه المختلفة · ان اسلوب الانسان في كذبه لن يكون اصغر منه أو غيره كما ان اسلوبه في الصدق لن يكون اكبر منه أو غيره ··

ان اي انسان لن يكذب أو يخدع أو يزور أو يبالغ بذكاء أو اخلاق أو ضمائـر الاخرين او بقوتهم وضعفهم او باي شيء من مستوياتهم أو معانيهم ، ولكنه يفعل ذلك بمعانيه ومستوياته هو · ان كل انسان لا بد أن يكذب اذا كذب بلغته هو لا بلغة الاخرين مهما تعلم لغته من الاخرين وتكلم لغة الاخرين ··

اذن فكذب الانسان وتهاويله واوهامه تعبير عنه بقدر ما صدقـه واتزانه وحقائقه ووقاره تعبير عنه ·· بقدر ما ارتجاف عضلاته تعبير عن عضلاته وعنه هو لا عـن عضلات الاخرين ولا عن الاخرين ··

انه يصدق بموهبته ونيته بقدر ما يكذب بنفس هذه الموهبة وهذه النية • ان الناس ليتفاوتون في اساليبهم اذا كذبوا بقدر ما يتفاوتون في ذكائهم وثقافتهم واخلاقهم وتحضرهم وفي مواهبهم وخصائصهم الاخرى •

ان الانسان ليقرأ ويفهم بكذبه بقدر ما يقرأ ويفهم بصدقه ولكن القارئين الفاهمين لـه أو المحاولين ذلك قد يختلفون أو لا بد أن يختلفوا في قراءتهم وفهمهم له • بـل ان كذب الانسان قد يكون دالا عليه ومفسرا له اكثر من صدقه لان الكذب قد يكون مدبرا ومخططا اكثر من الصدق الذي يكون استجابة بدهية احيانا • اذن فلغة الانسان تفسره بكل الصدق مهما كانت كاذبة النية والدلالة اللفظية ••

نعم ، اللغات ليست شيئا غير من يتكلمونها قد جاءوا أصواتا منطوقة ومسموعة ومكتوبة ومقروءة • ان ايــة لغة لن تكون اكبر أو أذكى أو أعظم من متكلمها ومن اهلها وان اهلها ومتكلميها لن يكونوا أكبر أو أذكى أو اعظم منها • ولكن قد يتكلم الصغير لغة كبيرة والعكس يحدث •

اذن لا بد ان تختلف وتتفاوت جدا حظوظ اللغات • ان تكون لغات ذات مجـد وكرامة عظيمين جدا أو متواضعين ، وان تكون لغات اخرى بلا اي مجد أو كرامة ، بالمستوى أو بالواقع الذي يكون بـــه قوم ذوي مجد وكرامة ، وقوم بلا اي مجد أو كرامة ، أو ذوي مجد وكرامة صغيرين ناحلين جدا حتى ليصعب الاعتراف بهما أو رؤيتهما أو التحدث عنهما أو حتى الاشارة اليهما • ان الامجاد والكرامات لتصاب بالنحول والضآلة اكثر مما تصاب الابدان ولكن الناس لا يشكون ولا يئنون من نحول وضآلة كراماتهم وامجادهم مثلما يفعلون من اجل ابدانهم ••

اذن لا بد من الاشفاق على كثير من اللغات ومن الرثاء لها لان اهلها أو متكلميها لا بد أن يهينوها ويذلوها وان يجعلوها بلا أي تاريخ من المجد أو الكرامة أو الشرف أو الذكاء أو التهذيب أو الحكمة أو العقل أو الوقار ، لانهم لا يملكون شيئا من ذلك • بل انهم بمستوياتهم الحزينة البائسة لا بد ان يتحولوا الى فضح شامل لها اي للغاتهم أو للغات التي يتكلمونها ، ولا بد ان يحولوها الى نقيض وقح دميم لهذه المزايـا أو للغات التي تملك هذه المزايا ••

وهنا لا بد ان نركع ونخشع ونصمت صمتا رهيبا مرتجفا • لا بد ان نقاسي هنا احتراما لمقاساة اللغة العربية •• آه • ارتجفي ايتها النجوم احتراما ومجاملة للمقاساة التي لا بد أن تقاسيها اللغة العربية هنا • نعم ، ليحزن ويبك هنا كل ضمير واحساس كريم وليكن حزنه وبكاؤه بعض ما يجب على اللغة العربية مـــن حزن وبكاء • انها حينما تسمع هـذا التقسيم للغات ولحظوظها الجيدة والرديئة ، وحينما تفكر في هذا التقسيم وفي دلالاته وعواقبه المخيفة الاحتمالات والتفاسير ، لا بد ان تقاسي اي اللغة العربية كل المقاساة خوفا من المكان الذي قد يضعها أو لا بد ان يضعها فيه

هـذا التقسيم • ان الحديث عن حظوظ اللغات من المجد والكرامة وعن تفاوت هذه الحظوظ لا بد ان يصنع للغة العربية كل الكآبة والقنوط ••

اذن اصدق اعتذارنا اليك ، كل اعتذارنا اليك ايتها اللغة العربية المسكينة • لك منا كل الرثاء والعزاء والمجاملة • ان حديثنا عن تفاوت حظوظ اللغات لا بد ان يصنع لك اقسى الاحزان واقسى احاسيس الآلة • لهذا لا بد من ان نعتذر اليك بكل الصدق والخشوع •

اننا لم نرد او نشته ان نؤذيك أو نقسو عليك • لقد آذاك وقسا عليك من استفرغوا عليك وفيك كل ضعفهم وصغارهم وصغائرهم وتشوهاتهم الشاملة •

انك لست صانعة تشوهاتك وذنوبك • انها ذنوب وتشوهات مسقطة مستفرغة عليك •• انهم اهلك ومتكلموك • انهم زعماؤك وقادتك وانبياؤك ومعلموك ومفكروك وشعراؤك وكتابك الناطقون بك هم الذين استفرغوا عليك كل عارك وجعلوا الصهيل النزق المغرور الكاذب العاجز المتوقح البليد الشاتم المخاصم كل مجـدك وكرامتك وكل تاريخك العظيم الخالد ••

لقد وهبوك كل مجد الصهيل والغرور والادعاء والتطاول والكذب ان كان هذا أو شيء منه مجدا •• هل يرضيك او يسرك أو يمجدك ان يكون هذا هو كل مجدك ؟

ان مجد اية لغة بل ومجد أي شيء لن يكون الا مجدا علميا أو فكريا أو عقليا منطقيا أو مجدا اخلاقيا نفسيا انسانيا تهذيبيا او فنيا شعريا أو غيرة ، اي بأن تكون اي اللغة قد صبت وتجمعت وتوالدت فيها ثم فاضت وتدفقت منها على الاخرين وعلى مـا حولها مواهب وطاقات علمية وعقلية ومنطقية ، وايضا اخلاقية ونفسية وتهذيبية وانسانية ، وايضا مواهب وطاقات فنية وشعرية وغيرها ، لتحفر نفسها في جسد التاريخ وعينيه وضميره واخلاقه وذاكرته ، لتكون فيه خلودا وقوة ومجدا وجمالا • ان مجد اية لغة لن يكون الا ذكاء أو حبا أو صدقا أو جمالا نفسيا أو فكريا أو فنيا أو اخلاقيا أو ابداعا وقوة تصوغ الحياة والتاريخ وتقرؤهما وتفسرهما ••

اذن رفقا باللغة العربية • لا تقرؤوها لتجدوا فيها شيئا من ذلك أو لتطالبوها بشيء منه • لا تفعلوا ذلك لئلا تقتلوها أو تعذبوها احراجا وتعجيزا •

لا تطالبوا اللغة العربية بشيء من ذلك لئلا تعدوا اقسى القساة أو أعبث العابثين• ان اصدقاء اللغة العربية هم الذين يغفرون لها وليسوا الذين يطالبونها بالمجد أو يبحثون فيها عن المجد او يدعون لها اي مجد أو يتحدثون أمامها عن اي مجد ••

من هم العلماء والمفكرون العرب الذين صنعوا للغة العربية مجدا علميا أو فكريا ، ومتى وجدوا واين وجدوا أي أو مجدا عقليا أو منطقيا ؟ نزق مثير أو غفلة مثيرة أن نتساءل : اين هم أو من هم الذين صنعوا للغة العربية مجدها المنطقي او العقلي او الفكري أو العلمي • انـه تساؤل محزن في سذاجته ••

هل يستطيع التاريخ في اي طور من اطواره ان يستعمل هـذا التعبير ، اي ان يقول : « هذا علم عربي أو تفكير عربي » ؟ هل جرؤ التاريخ على ان ينطق بهذا مهما تسامح في استعمالاته اللغوية ؟ أما العقل والمنطق العربيان فينبغي الا يتحدث عنهما أو يفسرهما الا مواقف وتحركات وخطب زعماء وقادة وحكام ومعلمي العروبة ٠

بل هل جاءت في اللغة العربية كلمات : « علم أو علماء أو فكر أو مفكرون » مرادا بها معانيها عند المتحضرين الذين ولدوا العلماء والمفكرين أو الذين ولدهم العلماء والمفكرون ؟ هل استعملت اللغة العربية في اي عصر من عصورها كلمة « تفكير » أو « مفكر » الا تعريبا وتقليدا بلا وعي أو ذكاء أو قصد صادق وبلا احترام أو التزام لعملية التعريب والتقليد ؟

أما استعمالات اللغة العربية لكلمة عقل ومنطق فلا بد أن تهتف : لكما كل المجد ايها العار والتفاهة ٠ ان اية لغة تنطق بكلمة « التفكير أو المنطق العربي » لا بد أن تكون ساخرة أو منافقة أو راثية أو بائسة ٠٠

أما كلمتا « علم وعلماء » فلم يكن يعنى بهما في كل التاريخ العربي القريب والبعيد الا العلم بالاله وبصفاته وباعداده للجنة والنار وبتقسيمه للناس ليكون اقلهم جدا من اهل الجنة ، وليكون اكثرهم بل ليكونوا كلهم الا اقلهم جدا من اهـل النار ٠٠ والا العلم بأنــه اي الاله مخادع وماكر بل بانه اخدع وامكر الخادعين الماكرين ، وبانه خالق وقاتل ، وبأنـــه يعطي ويمنع ويضرب ويصافح ويحب ويبغض ويبكي ويضحك بلا حساب ، وبأنه اناني اكثر من كل الاطفال والنساء ومن كل الطغاة المصابيـن باقبح اساليب الانانية ، وبانـــه فعال لما يريد لا لما ينبغي او يطلب أو يعقل أو يجمل أو ينفع ، أي بأنـــه يفعل بالمشيئة والقدرة والشهوة لا بالمنطق أو العدل أو التخطيط أو التفكير ، وبأنه يفرق بكل القسوة والشمول والنزق بين الناس والكائنـــات والاشياء بلا هدف أو حكمة أو منطق مفهوم أو غير مفهوم ، بل لانه يريد بهذا التفريق المهين الوقح المتوحش ان يرضى عن نفسه وعن فنه الهمجي وقدرته الحمقاء ٠٠ انــه يمتدح نفسه بكونه يعطي هـذا بكلتا يديه ويضرب بكلتا يديه ٠ ان العلم بهذا علم عربي ٠٠

والا العلم بانه لا علم الا علمه هو اي علم الاله والا العلم به وبأخلاقه وشهواته ونزواته هذه ، او بانه لا علم الا علم انبيائه وعلم كتبه المقدسة وعلم اهله وعباده المؤمنين الصادقين المخلصين المصطفين اي العرب والمسلمين وحدهم دون كل العالمين ٠٠ اجل ، ان من اعظم علوم العرب واستعمالهم لكلمة علم : ان يعلموا انه لا علم الا علمهم لكونهم عربا ولكونهم مسلمين ٠٠

كذلك لم يكن يعنى بهما اي بكلمتي علم وعلماء في كل التاريخ العربي القريب والبعيد الا العلم بالدين والحديث والتفسير وبالتاريخ العربي واللغة العربية وبقواعدها وبعلم الكلام وبالتدليل على وجود الاله وعلى عدد صفاته وعلى انه هو وحده الموحد

والوجود والحق والصدق والفعل والفاعل ، وعلى انه لا اهتمامات لــه اي للاله أو هموم أو مسرات أو فعل أو تفكير أو رغبة أو امنية أو حتى وظيفة غير ان يتخاطب مع العرب والمسلمين ، وان ينظر اليهم وينتظر منهم وينتظرهم ، وان يفكر فيهم ويرحب بهم ويبتسم لهم ، وان يؤلف لهم اجمل واضخم الوعود والهدايا ، وينشد لهم وفيهم ومن اجلهم أروع واعذب الاناشيد ، وان يحميهم بحراسة مشددة من كل الاعــداء والابالسة والاخطار ، وان يقرأ عليهم ولهم كل مسراته واحزانه واوصافه ٠ وهل للاله مجد أو سرور أو عمل غير ان يقرأ أوصافه على العرب وان يفسر نفسه لهم ؟

والا العلم بغزواتهم اي غزوات العرب والمسلمين وبفتوحاتهم وبقهرهم لكل العالم وباستيلائهم على كل بلاد الناس وعلى كل بيوتهم واموالهم ورقابهم وكراماتهم وحرياتهم وباسترقاقهم لكل اطفالهم ونسائهم ورجالهم وبهدمهم والغائهم لكل اديانهم وتاريخهم ولكل آدابهم ومعارفهم وحضاراتهم وقيمهم وامجادهم ، وبأنهم اي العرب والمسلمين لا بد ان يظلوا هم قادة وحكام ومعلمي وانبياء كل العالم والكون ما بقيت ومضة واحدة في جسد هذه الشمس أو خفقة واحدة في طاقة وهمة اي اعصار في هذا الوجود ، بل ما بقيت في عيني الاله قدرة على ان تريا ، أو في قلبه قدرة على ان يحب ويكره ، أو في اخلاقه قدرة على ان تختار وترفض ، أو في عقله قدرة على ان يفهم ويميز ، أو في ضميره أشواق الى ان يحابي ويعشق ٠٠ نعم ، وهل قبل اللــه ان يكون موجودا أو الها الا لكي يجعل العرب هم سادة وقادة وانبياء وعلماء وحكماء كل العالم في كل الازل والابد ؟

أما كلمتا علم وعلماء في هذا العصر فان العرب لا يعنون بهما الا قراءة وتفسير أو تمني ما قاله وفعله الاخرون والا الحديث عنه أو التطاول عليه والافساد له باستيراد أو استعارة أو استيهاب بعض عطاياه ومنجزاته مشوهة مهانة محقرة معتدى عليها ، والا الزعم بانــه اي علم الاخرين ليس الا مسروقا من قبور وقصور ومعابد العرب والمسلمين ومن نبواتهم وكتبهم المقدسة بل ومن وحي شعرائهم والهام متصوفتهم ٠٠ انك لعالم في فهم العرب للعلم وفي تفسيرهم لــه اذا علمت انه لا علم الا ما اخذ من قبور وقصور ومعابد العرب ٠

وايضا فان العرب لا يعنون بكلمتي علم وعلماء في العصر الحديث الا العجز عن قراءة وفهم ما علمه وقاله وفعله أولئك الاخرون ٠ نعم ، حتى قراءة علم الاخرين اعظم علماء العرب عاجزون عنها ٠٠

أما القدرة على قراءة وتفسير علم اولئك الاخرين فهذا مستوى علمي اذا استطاع العرب ادعاءه فلا بد ان يجعلهم يجرؤون على الادعاء بانهم هم الذين علموا الشمس كينوناتها ٠٠ اجل ، وهل جاءت الشمس وجاءت كما جاءت الا لكي يروها ويروا بها ويحيوها ويحيوا بها ؟ ٠٠٠

ان علماء العرب قد يعنون بالعلم في احاديثهم عنه في هذا العصر العجز عن قراءته والخوف من قراءته لانه كائن غريب عنهم ومخالف لهم ومتفوق عليهم مرهق لهم في جميع مزاياه وشروطه ومستوياته • قد يكون اكتشافهم لرذائل العلم ولاخطاره على الدين والاخلاق بل وعلى العقل والصحة والذكاء هو اعلى مستويات العلم عند علماء العرب ••

قد تكون اعظم قفزات علماء العرب العلمية ان يفسقوا العلم ويخونوه ويكفروه ويتهموه بالخروج على تقوى واخلاق العروبة الاصيلة والاسلام • وهذا الاتهام قد تراه موهبتهم العلمية اقسى اساليب الهجاء • أليس العلم بذنوب العلم هو كل العلم واعلى مستويات العلم عند العرب ؟ هل اخرجت اقلامهم من الكتب مثل الكتب التي تحذر من ذنوب واضرار العلم اي العلم المادي كما يسمونه تحقيرا له ؟

أما المجد الاخلاقي أو النفسي أو التهذيبي أو الانساني أو الشعري أو الفني بكل معانيه أو ببعض معانيه فمن هم هؤلاء الذين يمكن الادعاء بانهم قد وهبوه اللغة العربية أو وهبوها شيئا منه ؟ هل وجد هؤلاء ، واين وجدوا ، ومتى وجدوا ؟ ما اوصافهم واسماؤهم وازياؤهم ؟ الى اي قطعان المجتمع ينتمي هؤلاء ؟

هل هم الانبياء ام الزعماء ام القادة ام الحكام ام الكتاب ام المفكرون ام الوعاظ ؟ هل هم خاصة العرب ام عامتهم او خاصتهم وعامتهم ؟

اي هؤلاء يمكن الزعم بانهم قد وهبوا اللغة العربية اي مجد اخلاقي أو نفسي أو تهذيبي أو انساني أو فني أو شعري ؟

بل اي هؤلاء لا يستطاع اتهامه بل الشهادة له بل الثناء عليه بالزعم له بان جميع ما كان يفعله ويستطيعه ويريده ويتمناه ان يستفرغ على اللغة العربية كل الوان القبح والقبح والعار والسفه والنذالة النفسية والاخلاقية واللغوية ؟ ألم يكن هذا الاستفراغ هو كل مجد وعطايا وبطولات ومواهب وتقوى جميع الانبياء والزعماء والقادة والشعراء والمفكرين والمعلمين العرب في جميع العصور ؟

ان اي قوم لم يستفرغوا على لغتهم مثلما استفرغ هؤلاء على لغتهم العربية أو اقبح مما استفرغوا عليها •

ان اية لغة لم يبصق عليها وفيها وبها أردأ الاخلاق والنيات والاداب والفنون والنفوس والكلمات الفاحشة العفنة مثلما بصق على اللغة العربية وبصق فيها وبصق بها ـ مثلما بصقت عليها وفيها وبها كل ذلك كتب العرب المقدسة ونبواتهم واكبر معلميهم وزعمائهم وقادتهم ومفكريهم وشعرائهم وكتابهم حتى كتب العرب المقدسة ، لقد جاءت لتبصق على الاخلاق والتهذيب والحب والذكاء والحضارة بحجة التعليم للاخلاق والتهذيب والحب والذكاء والحضارة • وهل جاء اي اله أو نبي عربي الا ليعلم كل الذنوب الفكرية والنفسية والاخلاقية واللغوية باسم التعليم لنقيض هذه الذنوب ؟

ان هؤلاء هم المتقيئون العظام على اللغة العربية كل أوحالها الاخلاقية والنفسية والفكرية والفنية والشعرية والدينية والمذهبية والتعليمية ٠ اي ان هؤلاء هم الذين تقيأوا على اللغة العربية كل هذه العفونات المزعومة اخلاقا وفنونا وافكارا ودينا وعقائد وتعاليم وشعرا وتقوى ونبوات ووحيا ومحبة انسانية وهداية الى السماء ودلالة عليها اي على السماء وعلى اخلاقها ومجدها ، أو تقيأوا باسم ذلك وبزعم الانتصار والغضب والحب لـه ٠٠

بائسة انت ايتها اللغة العربية ٠٠ هل يستطيع كل ما في هذا الكون من بحـار وانهار وسحاب ودموع وصلوات ان يغسل عنك بعض هذا العار المتراكم ؟ هل يستطيع كل مجد الحضارة ان يستر شيئا من عارك لو تحول الى غطاء لعارك ؟ أو ان يصوغ لك اي مجد بعد تراكم عارك هـذا لو تحول اي كل مجد الحضارة الى محاب راث لفقدك كل مجد ؟

هل يستطيع اي شيء بعد هـذا التاريخ الطويل المهين الاليم ان يهبك شيئـا من المجد أو الكرامة أو الجمال او النظافة ؟ هل تستطيع كل اساليب وعمليات التجميل والتنظيف ان تهبك شيئا من الجمال أو النظافة أو ان تستر شيئا من القبح أو التلويث المتراكم على وجهك ؟

هل تستطيع اية قوة أو معجزة خارقة ان تسحب منك ايتها اللغة العربية البائسة كل ما تقايأته عليك كتبك المقدسة ونبواتها ، وما تقايأه عليك كل قادتك وزعمائك وثوارك ومفكريك ومعلميك وفنانيك وشعرائك وجميع اصناف كتابك ؟ هل تستطيع جميع المطهرات والمنظفات العلمية التي ابتكرتها جميع العصور الحضارية ان تشفيك أو تطهرك من العفونات التي لطخك بها عباقرتك العظام ؟

اذن يا لغتنا الحزينة المسكينة ، هل كان لك اي مجد أو كرامة في اي عصر من عصورك ؟ أقرئي وراجعي كل تاريخك في جميع عصورك ، كل تاريخك الذي صنعه لك جميع عباقرتك العظام ، وانظري هل تجدين فيه اية علامة من علامات المجـد أو الكرامة ؟

اي نبي من انبيائك ، أو قائد أو زعيم أو مفكر أو شاعر أو كاتب من قادتك وزعمائك ومفكريك وشعرائك وكتابك قد وهبك اي قدر او شيء من ذلك باي اسلوب من الاساليب ؟

نعم ، راجعي وحاسبي كل مدخراتك وموروثاتك ومساراتك يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ؟ فكري ٠٠ اي واحد من هؤلاء لم يصبح لك وفيك وبك وعليك عارا وتشوها وسبابا ونذالة وغباء وقيئا نفسيا وفكريا واخلاقيا بل ولغويا صوتيا ؟

ان اردأ ما في قضيتك ايتها اللغة العربية ان اعظم واقوى عباقرتك هو اكثر من يلوثك ويعتدى عليك ٠٠ !!

آه يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ، هل وجد مكان أو هل يمكن تصور مكان قد تجمع فيه من العفن مثل الذي تجمع فيك ؟

بل هل يمكن تصور اي عفن لم ينصب ويتجمع فيك ؟ اذن لتوهبي او تعاري كل ما في الناس والكون والكائنات من احزان ودموع لتذرفيها على شرفك ومجدك المفقودين ٠

يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة ، هل يستطيع التاريخ ان يتصور أو يتذكر أو يبتكر مستفرغا للعفونات والقبح يتفوق عليك أو يساويك ؟

هل يمكن تصور عفن في ضخامة ووقاحة العفن الذي يتجمع في مكان يستفرغ فيه كل انبياء العروبة وكل قادتها وزعمائها ومعلميها ومفكريها وشعرائها وفنانيها وكتابها ووعاظها وعبادها في جميع عصورها وعصورهم ؟ هل تستطيع الطبيعة كل الطبيعة ان تستفرغ كل ما يستطيع هؤلاء ان يستفرغوه من العار والنذالات ؟

آه اذن يا لغتنا العربية الحزينة المسكينة !!٠

يقول فارس الصهيل العربي ٠٠ المتنبي كاشفا عن هذه الموهبة الاستفراغية العربية:

لقد وجـدت مكان القول ذا سعة　　　فان وجدت لسانا قائـــلا فقل

ان المطلوب ان يوجد اللسان القادر على الاستفراغ ٠ أما نوع الاستفراغ واسلوبه فليس قضية !! هكذا يقول شاعر العرب وفاضحهم الاكبر المتنبي ٠ ومكان القـول هو الموهبة العربية المتسعة لكل الاستفراغ عليها ومنها ٠

هل اللغة منطق

سأعني بما سوف اكتبه في الصفحات التالية اللغة العربية وحدها ·· ولست أريد ان انفي او اثبت هنا شيئا عن اللغات الاخرى مما نفيت عن اللغة العربية أو اثبت لها · اني محروم من كل العلاقات باللغات الاخرى · وانا لا اجيد القتال أو الخصومة ولا اقسو فيهما الا حينما اقاتل واخاصم نفسي ··

هل وضعت اللغة العربية أو وضعت قواعدها واستعمالاتها بمنطق أو بحساب ؟ اي هل جاءت باسلوب او بصيغة لا يمكن ان تجيء بغيره او بغيرها ، او لو جاءت بغيرهما اي بغير الصيغة والاسلوب اللذين جاءت بهما لكانت خارجة على المنطق وعلى الحساب المقدر المحدد بنظام ، أو لكانت متحدية ومفارقة للذكاء والجمال والشاعرية أو لاي شيء من الاحتياجات والخصائص الفنية ، او لرفض الاله التحدث بها ؟ هل جاءت اللغة اي العربية كما جاءت لانه لا يمكن بل ولا يقبل او يغفر ان تجيء باسلوب اخر ؟

يقول اقوام لهذا التساؤل : نعم ، ويذهبون يبالغون جدا في ايمانهم هذا · انهم يرونها اي يرون اللغة العربية لغة فنانة وشاعرة ومنطقية في جميع تركيباتها وقواعدها وحركاتها · انهم يجدونها كل الجمال الممكن والمستطاع والمطلوب والمعروف والمراد · انهم يجدون فيها كل الكمال الذي يجدونه في اخلاق الاله ومنطقه حينما يصنع العاهة الرهيبة في الوجه الجميل البريء !!

انهم يرون انها قد جاءت في احسن واذكى تقويم كما خلق الانسان كذلك اي في أحسن تقويم كما يقول المؤمنون وكتابهم المقدس اي ان خيال الاله لا يستطيع ان يتصور للانسان صيغة افضل ··

لقد جاءت اي في زعمهم بالمنطق وبالتركيب اللذين لو جاءت بغيرهما لكانت خروجا على كل منطق وتركيب صحيح ، كما جاء اي في زعمهم ايضا الكون والانسان وكل شيء · انها لو جاءت غير ما جاءت لما نزلت النبوات والكتب المقدسة العربية بها ·· ان الاله اي العربي لا بد ان يرفض حينئذ التكلم بها · هل يتكلم الاله

العربي بلغة ليست مطلقة الكمـال ؟

لقد جاء الكون والانسان وكل شيء بكل الشروط المنطقية والاخلاقية والفنية ، بل بكل طاقة وحسابات المنطق والاخلاق والفنون · وهكذا جاءت اللغة العربية لقـد وضع الله في اللغة العربية كل الشروط الجمالية والفنية والمنطقية التي يعرفهـا ويستطيعها ويحبهـا ··

لقد جاءت اي اللغة العربية اي في زعمهم كما يجيء اي جهاز او بناء او عمـل يتصوره ويريده ويخططه ويخرجه متصور مريد مخطط مخرج كامل في تصوراته وارادته وتخطيطه واخراجه وتفكيره واخلاقه وفي جميع معانيه وقدراته · انهـم لا يستطيعون ان يتصوروا انه قد يوجد اي جمال او كمال او منطق او اية صيغـة شاعرية او فنية خارج اللغة العربية ··

ولكن كيف ذلك ؟ الا تفسرون ؟

نعم ·· مثلا ، الجمل سمي جملا والحمار حمارا والذباب ذبابا والصرصـار صرصارا والانسان انسانا والرجل رجلا والمرأة مرأة والسماء سماء والارض ارضا والاله الها والشيطان شيطانا والملاك ملاكا والايمان ايمانا والكفر كفرا ، وهكـذا كل اسماء الاجناس والاشياء · اليست اسماء هذه المسميات موضوعة ومقروءة في تكوينها مثل احجامها وطعومها والوانها ؟

هل يمكن ان تتبادل هذه المسميات الاسماء ، اي ان يسمى الجمل حمارا والحمار جملا ، ويسمى الاله شيطانا والشيطان الها او ملاكا وتسمى السماء ارضا والارض سماء والرجل امراة والمرأة رجلا ، وهكذا ؟ اليست استحالة تبادل هذه الاسماء مثل استحالة تبادل صفات واخلاق وخصائص وتفاسير هذه المسميات ؟

اليست الاخلاقية والعقلانية والمنطقية والشاعرية والفنية والغنائية بل والتقوى الدينية والمذهبية ترفض بل وتمنع هذا التبادل كما ترفض وتمنع ان يخلق او يجيء اي شيء من هذه المسميات بغير الصيغة التي خلق او جاء بها ، لا اكبر ولا اصغر ، لا اجمل ولا اقبح ، او ان يجيء الاله اكثر رحمة او شهامة او منطقا او تواضعـا أو حبا او عدلا او شاعرية او رثاء للمحزونين والمعذبين والمقهورين ، أو استماعا الى الباكين والمتاوهين والآنين ، او استجابة للداعين المتلهفين المستغيثين ، أو تقبـلا ممن يصلون ويتضرعون ويؤملون ، اكثر مما جاء ـ او ان تجيء الصلوات او ايـة عبادة من العبادات بغير الصيغة او الاعداد التي جاءت بها او في غير الاوقـات والاماكن التي تؤدي فيها ؟ نعم ، هل يستطيع الاله ان يكون خيرا مما كان ؟

ان كان يستطيع فلماذا لم يكن ؟ وان لم يكن يستطيع فوا أسفاه عليه !

اليست عوامل النصب والجزم والجر والرفع وعلاماتها قد جاءت بكل المنطق والذكاء والشاعرية والفنية والحتمية والجمال بحيث يستحيل ان تجيء غير ما جاءت او تكون اكثر جمالا او ذكاء او شاعرية او منطقية او فنية لو انها جاءت غير مـا جاءت ، بل او ان يكون فيها اي ذكاء او جمال او منطق او فن او شعر لو انها جاءت

غير ما جاءت ؟ أليس مجيء الاله اكثر رحمة او حبا او عدلا أو رؤية أو ذكاء أو حياء أو تهذيبا يساوي في خروجه على كل النماذج الجمالية والمنطقية والاخلاقية ان تجيء هذه العوامل غير ما جاءت ؟

« ان » وأخواتها تنصب الاسم وترفع الخبر ، و « كان » وأخواتها تفعل العكس ، فهل يمكن ان تتبادلا العمل ؟ هل يستطاع ذلك ، او هل يمكن ان تأذن به فنون او شروط الجمال او الذكاء والمنطق او الشعر او اي فن من الفنون ؟ اليست كل منهما صارت تعمل بالهام الجمال والفن والشعر والمنطق والذكاء والواجب والمحتوم لا بالصدفة او القدر او الفوضى ؟

او هل يمكن او يقبل ان تجيء عوامل الجزم او الرفع او النصب او الجر ، او ان تجيء المجزومات او المرفوعات او المنصوبات او المجرورات غير ما جاءت ؟

ما الذي جعل ذلك يجيء كما جاء لو كان يمكن او ينبغي ان يجيء غير ما جاء ؟

أليس مجيء اي شيء من ذلك غير ما جاء يساوي امكانا ومنطقا واخلاقا وفنا وجمالا وحضارة وتفوقا ان يجيء الاله او الكون أو الانسان او اي شيء بصيغته او ذكائه أو اخلاقه او جماله او بأي معنى من معانيه غير ما جاء ؟ كيف وجب الزعم بان صيغة ذات الاله أو الكون او الانسان او اي شيء قد جاءت كمالا مطلقا وابديا ثم لا يجب ان يزعم مثل هذا الزعم عن جميع صيغ وعوامل واسماء اللغة العربية ؟ اليس مجيء اي شيء من ذلك غير ما جاء او نقيض ما جاء ، اي لو حدث ذلك يساوي ان يجيء ذكاء الانسان العربي او تاريخه أو حضارته او زيه او منازله وبيوته وخيامه او رماحه وسيوفه او اية موهبة من مواهبه العقلية او النفسية او الاخلاقية او الحضارية او القتالية ، بصيغة او باسلوب اخر ، اقوى او اذكى ؟ اليست قوانين الامكان وشروط العبقرية والحضارة والتفوق والابداع واختيار الافضل والاقوى دائما تمنع وترفض ان يجيء اي شيء من ذلك في الانسان العربي ومنه وله غير ما جاء ؟ اليس الانسان العربي قد جاء بكل احتمالات القدرة والذكاء والجمال والعبقرية التي يستطيع ان يجيء بها ؟

انه لا يمكن ان تجيء اجمل او اذكى او أعظم مما جاءت الا اذا كان ممكنا ان يجيء الذباب او الصرصار او البرغوث غير ما جاء ، او ان يجيء اذكى او اعظم أو اكبر او انظف او اقوى أو أكثر شموخا وكبرياء وكرامة وشهامة مما جاء ٠٠ هل يمكن الزعم بان صيغة الذباب اكثر جمالا او ذكاء او شاعرية من صيغة اللغة العربية ؟ وهل يمكن الا تكون صيغة الذباب هي كل الجمال والذكاء والفن وقد صاغها منطق الاله واخلاقه ؟

هكذا يرى ويقول كهان اللغة العربية ، المنصبون لانفسهم قياصرة على السوق باسمها اي باسم اللغة العربية وباسم الاكتشاف والرؤية والتمجيد لمجدها ٠٠ انهم يرونها أو هكذا يزعمون ، كمالا وجمالا مطلقين ٠ انهم يرونها او يزعمونها كل الممكن والمستطاع ٠ انهم يرون فيها من الاعجاز والكمال المطلقين في جميع معاني

وتفاسير الاعجاز والكمال بل والامكان والمستطاع مثلما يرون في القرآن ..

ايهما المعلم للاخر : القرآن ام اللغة العربية ؟ اليست اللغة العربية هي التي علمت القرآن كل فنونه وعبقرياته ؟ هل كان للقرآن معلم غير اللغة العربية ؟ أليس الله قد صاغ كل فنونه البلاغية والجمالية في قرآنه اخذا عن اللغة العربية واحتذاء بها ؟ أليسوا يرون ويقولون او يقولون فقط : ان كل آية وصياغة ولفظة ومدة ووقفة في القرآن هي كل الاعجاز والكمال بل وكل الممكن والمستطاع ، وان اي تغيير لاي شيء من ذلك اي في القرآن لن يكون الا خروجا على كل الاعجاز والجمال والمنطق والممكن والمستطاع ؟ حتى الاله الذي هو قائله ومنزله لا يستطيع ان يبدل اي شيء فيه اي في القرآن لانه قد قاله وانزله بعد ان وضع فيه كل الاعجاز والجمال والمنطق والشاعرية والفنية بل وكل الممكن والمستطاع ، بعد ان وضع فيه كل معانيه ومزاياه . أليس محتوما ان الله قد وضع في القرآن كل معانيه ومزاياه ؟

وهل يستطيع او يريد الاله ان يخرج على اي شيء من المنطق او الجمال او الاعجاز أو الشاعرية والفنية أو على كل الممكن والمستطاع ، او ان يفعل ذلك ؟ .. ولا بد من التذكر هنا ان عبقرية القرآن ليست الا اخذا عن عبقرية اللغة العربية وتقليدا لهـا .

نعم ، أليس الله كمالا مطلقا ؟ وهل يستطيع او يريد الكامل كمالا مطلقا ان يفعل غير الكمال المطلق ؟ وقد فعل الله القرآن . اذن لا بد ان يكون اي القرآن كمالا مطلقا . اذن فان اي تغيير ولو خطأ في اي حرف من حروف القرآن فليس الا عدوانا على ذات الاله وافسادا لها .

اذن فالله لا يريد ولا يستطيع ان يغير اية آية أو لفظة او صياغة في القرآن لانه لو فعل ذلك لكان خارجا على الجمال والكمال المطلقين ، بل لكان مشوها لذاته معتديا على كمالها بل منكرا لكمالها وجمالها ، بل لكان فاعلا المستحيل وغير الممكن ـ لكان فاعلا القبح والسفه والبلادة والرداءة . ان تغيير اية لفظة او حرف في القرآن ليساوي في خروجه على منطق الاله وكماله وتدبيره سحب الشمس من قيادة الكون الذي نوجد ونعيش فيه ..

ان كهان اللغة العربية هؤلاء ، المنصبين انفسهم قياصرة فوق غفلة وسذاجة الانسان العربي بحجة التمجيد لها اي اللغة العربية وبحجة الاكتشاف والرؤية لاعجازها ولعبقرياتها ليرونها ويفسرونها بالمنطق والاقتناع والاسلوب الذي يرى ويفسر به الوعاظ ومعلمو الايمان ، الاعجاز الجمالي والمنطقي والفني والاخلاقي والانساني والالهي في الصيغة العبقرية التي خلق بها الذباب والبرغوث والصرصار ، والتي استفرغ الله فيها اي في صيغة الذباب والبرغوث والصرصار كل ذكائه وحبه ورحمته ونظافته وجماله وكل فنونه النفسية والفكرية والاخلاقية والشاعرية .. هل يستطيع ان ينكر اي مؤمن ان الله قد استفرغ في ذات الذباب كل مواهبه الفنية والنفسية والفكرية والاخلاقية ؟ وهل يظل مؤمنا من ينكر ذلك ؟

اجل ، لقد جاءت اللغة العربية بكل الجمال والتدبير والتخطيط والمنطق والذكاء والاعجاز والعبقرية التي جاء بها وجه الانسان العربي والتي جاءت بها صحراؤه وجباله ووديانه وجماله واغنامه وحداؤه ، بل والتي جاءت بها عبقريات ومواهب شيوخه وانبيائه وعلمائه وخطبائه ٠

هل يمكن الزعم او الاقتناع بان في اللغة العربية من المواهب او الفنون الجمالية او المنطقية او التخطيطية او الاعجازية اكثر مما في زعماء او انبياء او خلفاء او خطباء العروبة او في صحرائها واغنامها وحدائها من ذلك ؟؟

انه لا يمكن الزعم بان اللغة العربية جمال او ذكاء او منطق او تدبير او تخطيط او كمال ، او انها شاعرة او فنانة او ان فيها شيئا من ذلك الا اذا كان ممكنا الزعم بان شيئا من ذلك كذلك او في ذلك او في هذه أو في احد من هؤلاء ٠٠ ان النبوات والزعامات والخلافات والصحارى والجبال العربية هي التي وهبت اللغة العربية كل فنونها واخلاقها وذكائها وجمالها فكيف يمكن ان تكون اي اللغة العربية اعظم من واهبيها ؟

لقد جاءت اللغة العربية منطقية كمنطقية الصحراء التي تخلقت فوقها ، او التى عاشت وتعيش فوقها ٠٠ كم كانت عينا الاله فنانيتين في رؤية الجمال وفي تصوره حينما ابتكرتا جمال صحراء العروبة ؟ وكم كانتا سعيدتين بالتحديق في جمالها ؟

هل يستطيع اي زاعم مغامر مخاطر في مزاعمه ان يزعم ان في اللغة العربية من الموهبة الجمالية او المنطقية او الفنية او الغنائية او الحتمية او الاخلاقية اكثر مما في العباءة العربية ؟ أليست العباءة العربية فنا عربيا وكذا اللغة العربية ؟ فهل يمكن ان يكون العرب قد وضعوا فنهم في اللغة وحرموا منه العباءة ؟

انه لو سئلت « ان » واخواتها : لماذا جاءت تنصب الاسم وترفع الخبر ولم تجيء العكس أو ترفع الاسم والخبر او تنصبهما او تجزمهما او تجرهما او لا تفعل شيئا لما وجدت جوابا افضل من جواب « كان » واخواتها لو انها سئلت : لماذا جاءت ترفع الاسم وتنصب الخبر ولم تجيء شيئا اخر ، أو من جواب الصحراء العربية او من جواب العباءة العربية لو انها سئلت : لماذا لم تجيء شيئا اذكى او افضل او اكثر تحضرا ومنطقا ، او من جواب الاله لو انه سئل : لماذا جاء يصيب بالتشوه والعاهات وبالامراض والشيخوخة والموت والهوان والغباء ــ لماذا لم يجيء اكثر حياء ووقارا وذكاء وحبا ورحمة ومروءة ونخوة وعدلا وانسانية وايثارا ــ لماذا لم يجيء محاسبا محاكما معاتبا لنفسه ، مقتصا منها ، محدقا في ذنوبها واخطائها ونزواتها ومطامحها اقوى واقسى واذكى مما جاء ٠٠ !!

وهل يمكن ان يوجد جواب يساوي ضعف جواب الاله وعجزه لو انه سئل سؤال محاسبة ومحاكمة : لماذا جئت ايها الاله كما جئت في كينونتك وفي كائناتك ؟ بل انه لن يجد جوابا ٠٠ الا يحتمل ان يكون الاله قد سال نفسه هذا السؤال ؟ هل يوجد مثله خمولا وغفلة ان لم يكن قد سأله ؟

اللغة لم توضع وانما جاءت بلا اي منطق او تخطيط كما جاءت وتجيء الطبيعة ، كما جاءت الجبال والسهول والصحاري والبحار والصخور ، وكما جاءت وتجيء ذات الانسان واحزانه ومسراته واحقاده واهواؤه وشهواته واساليب تلاقحه وتناسله ، وكما جاءت وتجيء اصوات وتغريدات واغاني ونقيق الحيوانات والطيور والحشرات ..

لن يكون محتملا ان تكون اللغة قد وضعت بتدبير أو تفكير الا بقدر ما هو محتمل ان خفقات القلب وارتجاف العضلات وتقاطر العبرات وتبدلات اللون والوجه حبا او بغضا او خوفا او فرحا او اعجابا او اشمئزازا او رضا او غضبا او صحة أو تعبا ومرضا قد وضعت بتدبير او تفكير .. ولكن هل جاءت اي اللغة حينما جاءت بقواعد وعوامل متحددة موقعة اي بالاستعمال لا بالتخطيط ولا بالمنطق ، اذ هي بلا تخطيط ولا منطق كما سبق ، يلتزم بها اي بالقواعد والعوامل الضابطة لحركات الكلمات الاخيرة متكلموها ، يلتزمون بها استعمالا ونطقا لا قصدا ولا فهما ؟ هل جاءت منطوقة بالاسلوب والضبط الذي تطالب به وتعلمه القواعد قبل ان توضع وتعلم القواعد ؟

اي هل كان النطق بها متحددا ومتوحدا في استعمالات الذين يتكلمونها والذين جاءت اليهم مجيئا او تفجرت فيهم تفجرا دون أن يضعوها بالتدبير او التخطيط او المنطق او القصد والفهم والارادة الواعية ؟

اي هل كان جميع اولئك الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية يلتزمون استعمالا ونطقا بما عرف بعد ذلك بعوامل الرفع والنصب والجزم والجر وبكل القواعد والاستعمالات الاخرى التي حولت قوانين وضوابط صارمة محتومة مدروسة ملقنة ، ام كانوا يطلقون الكلمات جزافا بالاسلوب الذي به يعملون ويتحركون ويصوتون ويحبون ويبغضون ويحقدون ويشتمون ويتهمون ويصدقون ويكذبون ، وبالاسلوب الذي به يتناسلون ويؤمنون ويصلون ويدعون الاله ويرشونه ويؤملونه ويتصورونه ويخافونه ويفهمونه ، وبالاسلوب الذي يفكرون ويفهمون ويقرؤون ويفسرون ويرون ويسمعون به الاحداث والاشياء والكون ؟ هل كان في فم الانسان العربي جهاز آلي ذاتي يضبط حركات اخر الكلمات المتبدلة ضبطا آليا ذاتيا وان هذا الجهاز يتخلق في فمه دون ان يعلم او يدبر او يريد مثلما تتخلق فيه اعضاؤه والامه وتفاهاته ومجاعاته ؟

ان اجوبة كهان اللغة على هذه التساؤلات معروفة وموحدة متحددة ، ولا يمكن ان تختلف الا بقدر ما يمكن ان تختلف اجوبة انبياء العرب وفقهاء دينهم على هذا التساؤل : هل اخلاق الاله وتدبيراته وافكاره وانفعالاته هي افضل ما يستطاع او يراد ويطلب ويتصور من الاخلاق والتدبيرات والافكار والانفعالات ، او هل في خلق الحشرات والعاهات والتشوهات والامراض مجد او مسرة او ذكاء او عزاء للاله او للانسان او لاي كائن اخر ، او جمال لاي عقل او عين محدقة تبحث عن الجمال

والفن والشعر في الصيغة او في الفكرة او القدرة او الشهوة او الحاجة او الحافز او في المعنى او التفسير ·· ان اجوبة هؤلاء الكهان على هذا التساؤل لن تختلف الا اذا كان ممكنا ان تختلف اجوبة انبياء وخلفاء وسلاطين ومعلمي العرب لـو سئلوا : هل ربح او مجد او سرور او راحة للاله ان يوجد وان يوجد كما وجد او ان يوجد الكـون والانسان وان يوجدهما كما اوجدهما ، او ان تكون له عينان يرى بهما التشوهات والعاهات والدمامات التى ارادتها ودبرتها واخرجتها مواهبه ·

ولا بد ان رأيا اخر يرى من الصعب جدا او من غير المستطاع ان يكون اولئـك الذين كانوا يتكلمون اللغة العربية بلا تعليم او تدبير او تفكير كانوا يلتزمـون في نطقهم بتلك القواعد والعوامل اي عوامل الرفع والنصب والجر والجزم سليقة او تقليدا متتابعا ·· اي ان يكونوا بالسليقة أو التتابع أو الالهام أو الموهبة أو بأي سبب او تفسير اخر غير التعليم والتفكير والتدبير ، يستطيعون جميعا ان يلتزموا نطقا بضبط حركات اخر الكلمات اي رفعا ونصبا وجزما وجرا مع تعدد وتداخـل وتشابه العوامل المختلفة الرافعة والناصبة والجازمة والجارة ، أو يستطيعـون جميعا الالتزام أي نطقا بكل ما تقوله القواعد الصعبة الكثيرة المعلمة ، النحوية والصرفية ·· هل يمكن ان تكون هذه القضية موضوعا من موضوعات العبقريـة ؟ أي هل يمكن أن يتفوق فيها العبقري على من سواه ؟

هل يستطيع اي انسان او مجتمع بالتقليد او التتابع او الالهام أو الموهبـة او السليقة ان يلتزم اي استعمالا بكل ما تقوله القواعد التي وضعها وحددها وفسرها وضبطها علماء النحو والصرف بدون ان يعلمها او يفهمها أو يفكر فيها او يعـانيها او يحصيها احصاء تعليميا ؟

هل هذا شيء يستطاع بالذكاء أو بالحماس أو بالرغبة مهما كان مستواهـا وقوتهـا ؟

وماذا يمكن أن تقول التجربة في هذه القضية لو جربت ؟

ما الذي يمكن ان يحدث لو أن انسانا وضع من يوم ولادته بين قوم يتكلمـون اللغة العربية ملتزمين في نطقهم بجميع قواعدها وبجميع عوامل حركاتها التـي تعلموها بالمقاساة والتدبير والتفكير ؟

هل يمكن ان يستطيع هذا الانسان الالتزام في نطقه بهذه القواعـد والعوامل لانه سمع وقلد واتبع دون أن يتعلم هذه القواعد والعوامل ويحصيها ويحفظها ويقاسي في احصائها وحفظها وفهمها وفي الالتزام بها ؟ هل تستطيع ان توزع اسماء علـى مسمياتها لانك فقط سمعت اسماء معينة لمسميات معينة بلا تحديد ؟

اذن لعل الصواب ان اولئـك العـرب الاوائل لم يكونوا اي في استعمالاتهم يضبطون او يستطيعون ان يصبطوا حركات الكلمات كما تقول وتطالب لقواعـد والعوامل التي وضعت بعد ذلك التاريخ · لعلهم قد اتهموا بذلك اتهاما فصدق هذا الاتهام دون اية محاسبة او مراجعة او مساءلة ··

لعلها كانت فوضى كما كان كل شيء فوضى · كيف يمكن الزعم بان النطق بالكلمات وضبط حركاتها هو وحده الذي كان مضبوطا ومنظما وموحدا محددا فيمجتمع كان كل ما فيه رؤية بلا عيون ، وعيونا بلا رؤية ، ونتائج ومسلمات بلا مقدمات او محاسبة ، وطبولا بلا موسيقى أو أوزان ، وقوافي واوزانا بلا شعر أو شعراء ، وايمانا بلا اقتناع او حوار ، وصحارى بلا حدود أو علامات أو طرق أو ترويض ؟

لنقرأ هذا · ان الحرف الاول والثاني من كلمة رجل او جمل أو حجر يستطاع بلا صعوبة ضبطهما وحفظهما بالاستماع والتعويد المتكرر · ولكن الحروف الاخيرة من هذه الكلمات متغيرة لتغير العوامل المتحكمة فيها · اذن لا يستطاع حفظها حفظا ولا ضبطها بالاستماع والتكرار لانها متحركة حركة سريعة ودائمة ، لهذا هي محتاجة الى التعليم والتفكير والفهم والمقاساة · انه ليمكن حفظ الحروف الثابتة وضبط النطق بها بالتعويد والتكرار · ولكن الصعوبة او الاستحالة في ضبط وحفظ الحروف المتحركة المتغيرة بلا تعليم ومعاناة ·

اذن كيف يستطاع بالسليقة او السماع او الموهبة او التعويد او التكرار او باي تفسير اخر ضبط حركات الحروف الاخيرة المتبدلة المتحركة لتبدل وتحرك العوامل المختلفة عليها ؟ ان مثل هذا الضبط ليس وظيفة سليقة او سماع أو موهبة او تعويد أو تكرار او ارادة أو حماس ولن يكون هذه الوظيفة ··

نعم ، ثم جاء صانعو القيود والاكفان ووضعوا للغة قواعدها وعوامل حركاتها المختلفة وعددوها وزعموها قد انزلت معها ·

انهم انبياء اللغة وسلاطينها الذين صنعوا لها قيودها واكفانها · ولا شيء بلا انبياء او سلاطين حتى ولا اللغات ، ولا انبياء او سلاطين الا ولا بد ان يصنعوا القيود والاكفان حتى ولا انبياء اللغات وسلاطينها ·· وهل يوجد من لا يريدون ان يكونوا صناع قيود واكفان ·· ان يكونوا سلاطين وانبياء ؟

ان صناعة القيود والاكفان مجد وشهوة · انها اي صناعة القيود والاكفان هي كل شهوة الانبياء والسلاطين وكل مجدهم · وان شهوة ومجد صانعي القيود والاكفان في صناعتهم هذه لا في موضوع القضية التي صنعوا باسمها القيود والاكفان ··

ان اي نبي او سلطان او عارض لنفسه في السوق او فوق مآذن المعابد لن يجد لوجوده تفسيرا أو معنى او تاريخا ولا لمجده مجدا ما لم يكن صانع قيود وأكفان ، وما لم تتحول قيوده واكفانه الى تاريخ يعلم ويهاب ويمجد ويطاع ··

أليست اكثر الامجاد التاريخية وأقواها هي امجاد قيود واكفان ، واقوى التعاليم هي التي تعلم هذه الامجاد ؟

وقد زعم هؤلاء الانبياء والسلاطين ان جميع من نطقوا اللغة العربية في تلك العصور التي كانت قبلهم كانوا بسليقتهم وموهبتهم وبولادتهم محافظين على الالتزام بهذه القواعد والعوامل المختلفة المتبدلة بلا اي اختراق او خروج ، وانهم هم لم يكونوا لذلك الا معددين ومحددين ومفسرين ومعلمين لاشياء كانت موجودة ··

انهم لم يكونوا الا كتاب وحفاظ وحي وناقلي ومعلمي نبوات ٠ انهم انبيـــاء بالتعليم والتفسير والرواية ٠

انهم لم يكونوا الا انبياء وسلاطين يحفظون ويقرؤون وينقلون وحيا ويحولونه الى شرائع وتعاليم وكتب مقدسة تعلم وتفسر ويلزمون بها ويعلنون زندقة وخيانة كل من لم يلتزموا بهذا الوحي في اقتناعهم وسلوكهم واستعمالاتهم ٠ نعم ، ان انبياء وسلاطين اللغة العربية ليحكمون بالزندقة والخيانة على من لا يلتزمون بتعاليمهـــم فيها كما يحكم مفسرو الذين على من لا يؤمنون بتفاسيرهم له ٠٠

ان هؤلاء المعلمين المفسرين المعددين لقيود اللغة ولاكفانها أو الصانعين لقيودها واكفانها لم يتذكروا باهتمام او بتصادم هذا السؤال :

اذا كان من المستطاع الالتزام بقواعد اللغة التي فسرتم وعددتم او التي زعمتـم ووضعتم ـ اذا كان من المستطاع الالتزام بها بالمحاكاة والسماع والولادة فكيف اذن لم يستمر هذا الالتزام ، وكيف احتاج الى ان يصبح تعليما ومعاناة صعبة ، والى ان يصبح له اي لهذا الالتزام بهذه القواعد كل هؤلاء الانبياء والسلاطين والكهان والمعلمين، ومع هذا يظل اي هذا الالتزام شيئا صعبا ومعجزا ٠ بل لقد كان هذا الالتزام محتوما بالطبيعة وبالقدر ثم صار العجز عنه محتوما بالطبيعة والقدر اي في رأي هؤلاء ٠ فكيف حدث هـــذا ؟

هل فقد الانسان العربي موهبة المحاكاة والتقليد والسماع ؟ هل فقدت اذنه ان تسمع ولسانه ان يقلد ويحكي ؟ هل يحدث ان تفقد الاذان والالسنة وظائفهـــا واخلاقها في مجتمع باسره ؟ لقد ماتت فيه اي في الانسان العربي عبقرية التفكيـر والابداع والابتكار والحضارة التي كان هو والدها وواهبها الاول او نسيها او سحبت واغتصبت منه كما اغتصبت منه يوما ما حرية بلاده ، فهل ماتت فيه ايضا أو نسيت او سحبت او اغتصبت منه موهبة السماع والمحاكاة ؟

ومهما ماتت او فقدت جميع المواهب فهل يمكن ان تموت او تفقـد موهبـــة السماع والمحاكاة ؟

نعم ان هؤلاء لم يتذكروا هذا التساؤل باهتمام او بتصادم ووعي ، لهـــذا زعموا ان الانسان العربي كان ، في ذلك التاريخ أو في تاريخ ما ، يعرف قواعـــد اللغة وعوامل الاعراب المختلفة فيها ويلتزمها نطقا بالسماع والمحاكاة ، ثم فقد القدرة على هذه المعرفة وعلى هذا الالتزام نطقا ٠ هل اصيبت اذناه وفمه بعاهة ما قتلـــت فيهما وظيفتهما ام كانت فيهما موهبة فسحبت منهما او ابطلت قدرتها على العمل ؟

كيف لـم يحاور زعمهم هذا ، هذا التساؤل :

اذا كان في الانسان العربي القدرة الموروثة على أن يعرب لغته وعلى ان يعـرف ويلتزم قواعد وعوامل الاعراب والحركة فيها بالسماع بل وبالفطرة فكيف فقـد هـذه القدرة والفطرة المولودة ٠٠ وهل القدرات او المواهب الموروثة او المولودة كما يورث ويولد اللون والاعضاء والتكوين الذاتي ـ نعم ، هل هذه القدرات او المواهب تفقد من

المجتمعات او من السلالات فقدا شاملا ويتساوى الفاقدون لها في فقدهم لهـا ٠ هل يفقد الانسان حاسة اللمس او الشم او السماع بالنسيان او الاهمال او بالخطيئة ؟

هل يمكن ان يفقد جميع افراد مجتمع من المجتمعات قدرتهم على أن يتعلموا القراءة والكتابة ، أو قدرتهم على أن يبكوا ويضحكوا أو يسروا ويحزنوا ، أو قدرتهم على أن يسقطوا ويهونوا أو على أن يكذبوا وينافقوا أو على ان يصدقوا الاكاذيب ويحترموا الاوغاد ؟ ٠

اما اذا لم يكن الانسان العربي يملك هذه القدرة او الموهبة الاعرابية او السماعية الفطرية ، هذه القدرة او الموهبة في اذنيه وفطرته فكيف اذن كان في ذلك التاريـخ يعرف ويلتزم في نطقه كل قواعد الاعراب وعوامل الحركة المتبدلة اي قبل أن يضعوا هم قواعدهم المعقدة الصعبة بكل هذا التعديد والتحديد والتقييد والمقاساة ٠٠ ؟ قوم كانوا يرون ويسمعون وهم بلا اذان وعيون ثم اصبحوا لا يرون ولا يسمعون الا اذا ركبت لهم آذان وعيون !! ٠٠ هل يحدث هذا ؟

اليس هذا الزعم يساوي او يشبه الزعم ان العرب او ان اي اقوام اخرين كانوا في تاريخ ما يولدون يعرفون القراءة والكتابة اي بلا تعليم وقبـل اي تعليم ، ثم اصبحوا يولدون ولا احد منهم يستطيع ان يعرف القراءة أو الكتابة الا بالتعليم ؟ قوم كانوا يصنعون العبقريات والحضارات ويبتكرون كل المعارف وهم اعراب اميـــون ثم اصبحوا لا يصنعون شيئا من ذلك مهما تعلموا وواجهوا من يصنعون كل ذلك ٠ هل تصدقون هـذا ؟

هل يمكن ان يصدق الزعم ان معرفة قواعد الاعراب المعقدة الصعبة جـــدا بالسماع او المحاكاة او الوراثة او بالسليقة اسهل من معرفة القراءة والكتابة بالمولد او بالموهبة او بالقدر ؟ اليست معرفة القراءة والكتابة برؤية من يكتبون ويقرؤون اسهل من معرفة اعراب الكلمات المتغيرة والالتزام بهذه المعرفة بالسماع والمحاكاة ؟ او هل يصدق الزعم بان سحب هذه المعرفة التي كانت في كل افراد الاجيال السابقـة من كل افراد الاجيال اللاحقة اسهل من سحب المعرفة الاخرى التي كانت ايضا فـي جميع افراد الاجيال السابقة من جميع افراد الاجيال اللاحقة ؟ أليس سحب البلاهات والبلادات التي كانت في السابقين من اللاحقين اسهل من سحب هذه المعرفـة ؟ اذن كيف بقيت البلاهات والبلادات ؟

كيف يستطيع اي زاعم ان يزعم ان العرب كانوا جميعا في وقت من تاريخهم يعرفون نطقا واستعمالا كل قواعد الاعراب بلا اي تعليم بل بالسماع والفطـرة ، ثم اصبحوا جميعا لا يعرفون شيئا من ذلك الا بالتعليم والمقاساة الصعبة جدا ، بل قد يعجزون عن معرفة ذلك حتى بالتعليم وبالمقاساة ؟

هل الموهبة او السليقة التي تولد ولادة يمكن ان تسحب او تفقد او تنسي فـي الاجيال القادمة ؟

نعم ، لعلها لم تكن قد وجدت في ذلك التاريخ لغة عربية متكاملة او لغة يمكن ان تحسب او تزعم او تعد لغة حين تعدد او تحصى اللغات ، وانما كان يوجد ما يمكن ان يسمى او يظن مشروع لغة او قصاصات او ملامح او علامات لغة او اعراض لغة او حاجة الى لغة ·· اليس من المستطاع جدا ان يعيش قوم من الاقوام بمشروع لغة او بقصاصات لغة لم تصبح لغة ؟

وقد يؤيد هذا الرأي او الاحتمال او يأذن بابدائه او يحرض على ابدائه انه لم تكن توجد اي في ذلك التاريخ اية علامة من علامات اللغات ، من العلامات التي يجب ان توجد في كل لغة متكاملة ، بل التي لا بد ان توجد ··

انها لم تكن توجد اي في ذلك التاريخ كتب ولا افكار او مذاهب أو نظريات أو دراسات او فنون او قوانين او اية معرفة من المعارف الانسانية الجيدة ، موضوعة في اللغة العربية او منقولة اليها · لقد كانت لغة اي افتراضا بلا اي تعبير او خلق من تعبيرات اللغات او من اخلاقها · اليست للغة اخلاق وشروط ؟

هل يمكن ان توجد لغة جيدة او متكاملة دون ان يوجدَ معها او فيها شيء من ذلك او كل ذلك ، شيء من تعبيراتها او معانيها او اخلاقها ؟

لغة بلا تفاسير او مجد او تاريخ لغة او كينونة لغة ·· هل يمكن هذا ؟

وهل يمكن ان يكون لاي قوم لغة دون ان يتخاطبوا معها وبها وان تتخاطب معهم وبهم ان كانت هذه اللغة تعني حقا اللغة ؟

وهل اللغة الاتخاطب قوم اي الا كينونة وتاريخ قوم متحولين الى تعابير عديدة التفاسير ؟

هل يمكن ان يكون هذا التخاطب بين اية لغة واهلها دون ان يتحول هذا التخاطب الى كتب ونظريات ومذاهب والى فنون وقوانين ومعارف على مستوى من المستويات الجيدة او الرديئة ، اي مكتوبة ؟ اليست اللغة ، كل لغة تحويلا للنفس وللذات ولمواجهاتها الى صيغ فكرية ا وفنية او اخلاقية او عاطفية ؟

نعم ، لعله لم تكن توجد في ذلك التاريخ لغة عربية صحيحة لان اية علامة من علامات اية لغة صحيحة لم تكن موجودة في اللغة العربية باي اسلوب ، ولكن جاء هؤلاء الوضاعون الواضعون فوضعوا اللغة العربية اي فصاغوها واخرجوها وضخموها وحولوها الى قواعد وحدود ، وقيدوها بالعوامل والضوابط والعلامات ، وزعموها موضوعة ومحكومة ومفسرة باذكى واقسى القوانين المحسوبة باذكى واقوى العقول · الا يمكن أن يزعم لقوم صياغة لغة كما تزعملهم المعتقدات والانتصارات والمزايا والامجاد التاريخية التي لم تكن الا وضعا وتأليفا وادعاء ؟

نعم ، لعل هؤلاء هم الذين وهبوا اللغة العربية كل ذلك ، كما انهم هم الذين وهبوها ووهبوا اهلها كل هذا التراث الواسع الثقيل المفخور به من الفلسفات والدراسات والنظريات والمذاهب والعقائد والتعاليم والمحاورات والمناطحات المحولة الى اكبر الكتب واكثرها صفحات ، وأقساها عدوانا على أسواق الورق وعلى المواد

الاولية التي يصنع منها الورق ٠٠ مسكين ورق الكتابة ٠ لعله لا شيء مثله يعتدى على كرامته وعلى ذكائه وحيائه وصدقه وهيبته ٠٠ يعتدي عليه الكتاب العربي ٠

لعل العربي كان في ذلك التاريخ ينطق بالكلمة دون أن يبالي بان تكون مرفوعة أو منصوبة أو مجزومة أو مجرورة بل دون ان يعرف ذلك أو يفكر فيه أو يعرف الفرق بين هذا او هذا ، أو انهذا الفرق لو وجد يعني شيئا، او أن هذا شيء يجب ان يكون او أن يعطي اي اهتمام ٠ كيف ، هل يحتمل ان العربي في ذلك التاريخ كان يهتم او يبالي بحركة اخر الكلمات ؟ هلكانمشحونا او مصابا بالاهتمامات على هذا المستوى ؟ اجل ، لعله كان ينطق بالكلمات مثلما كان يحيا ويموت ويمرض ويحب ويكره ويصادق ويعادي ويؤمن ويصلي ، ومثلما كان يدعو الهه ويتصوره ويرجوه وينتظر منه ويصفه ، ومثلما كان يفضل قبيلته على جميع القبائل الاخرى وعلى جميع الناس، ويراها هي كل المجد والبطولة والسخاء والانتصار والعبقرية بل كلالتاريخ، اي دون ان يعرف او يحاول او يبالي ان يعرف لماذا يفعل ويقول ويعتقد ويتصور ويريد ذلك كذللك ، بل دون ان يعرف ان عليه ان يعرف ، او ان هناك صيغا ومستويات قد تكون اذكى وافضل واقوى من صيغه ومستوياته ، او أن هنالك اقواما اخرين قد يكون لديهم اعظم مما لديه ، وان عليه ان يقرأهم أو يسمعهم أو يحدق فيهم أو يحاورهم او يصلي في محاريبهم ليرى هل يمكن ان يتعلم منهم او يأخذ عنهم أو ان ينافس او يزاحم او يكاثر مزاياهم ٠ هل يحتمل ان يكون اهتمامه بحركات الكلمات اكثر من اهتمامه بفكره او بعقله او بايمانه او باخلاقه او بالهه او بكل أساليب حياته ؟

لعله اي الانسان العربي كان كذلك حتى جاء هؤلاء الوضاعون الواضعون فزعموا عليه وله مزاعمهم وحكموا عليه باحكامهم وحولوه الى رعية لهم ، يعلمونه ويلزمونه ويأمرونه وينهونه ويصنعون له قيوده ٠ لعل الانسان العربي في ذلك التاريخ قد وهب كل مجد لغته وثقافته بالاسلوب الذي وهب به في هذا العصر كل مجد نفطه ٠٠

انها لمغامرة او مجازفة او سفاهة في الرأي او كل ذلك ان يزعم اي زاعم ان الانسان العربي في ذلك التاريخ قد وضع لغته في صيغتها النهائية ، وقيدها بكل قواعدها ، وضبطها بكل عواملها وحركاتها واخرجها اخراجا كاملا لا يحتاج الى اي عمل أو تدخل بل ولا الى أية مراجعة أو محاورة او محاسبة أو الى تمن عليه او له ، سوى أن تحشد له أضخم العبقريات لكي تفهمه وتفسره وتتحدث بانبهار وانقهار ورهبانية عن فنون جماله واعجازه ٠

بل ونتحدث عن انها اي اللغة العربية قد أصبحت لما فيها من فنون العبقريات هي معجزة العرب الاولى والاخيرة والدائمة التي تحدوا وفاخروا وقاتلوا بها كل من في الكون من بشر وجان وعوالم اخرى ، اي حينما تحولت اي اللغة العربية الى كتاب مقدس هو القرآن ، بل أصبحت حينما تحولت الى هذا الكتاب المقدس أو حينما وضعت فيه أو وضع بها ، اصبحت معجزة الاله التي ذهب بكل الكبرياء وبكل النزق

والفرح يتحدى بها كل أحد وكل شيء ، واثقا بغرور كبير أو بتواضع مغرور ان احدا لن يتحدى تحديه · نعم ، حتى الاله يتحدى ببلاغته وعبقريته وبذكائه ·· هل يوجد ما يصنع الخجل والاشمئزاز مثل أن يتحدى الاله ؟

اجل ، ان القرآن قد اصبح معجزا لكل من في الكون ومتحديا له لانه قد تحدث وصاغ نفسه باللغة العربية لا لانه معجز بمزاياه الذاتية أو التفسيرية او التعليمية ·

ان هذه المزايا صغيرة وبسيطة ، بل انها ليست مزايا · ولكن مزيته الكبرى التي تحولت الى اعجاز كوني ابدي هي انه قد وضع في اللغة العربية ·

هل اختار الله العرب ليبعث اليهم ومنهم اعظم وخاتم انبيائه الا اعجابا بلغتهم والا لانه يريد ان يمجد نفسه ويرضى عنها لانه قد تكلم بلغتهم ؟ ان اللغة العربية هي التي وهبت القرآن اعجازه ومجده وليس هو الواهب لها ، وان الاله لم يصبح ولم يعد معجزا ببلاغته الا حينما تكلم باللغة العربية ··

لقد تكلم الله بلغات اخرى وصاغ تعاليمه وشرائعه وتهديداته ووحيه بتلك اللغات الاخرى ·· فهل اصبحت كتبه المقدسة المنزلة بتلك اللغات التي لم تكن اللغة العربية معجزة ؟ هل عددناها معجزة ؟

بل هل يمكن ان يعد الله بليغا حينما تكلم باية لغة لم تكن هي اللغة العربية ؟

اذن فرؤيتنا القرآن معجزا كانت لانه جاء باللغة العربية لا لانه كلام الله · صعب جدا ان تعد معاني القرآن وتعاليمه معجزة او حتى عظيمة · انها مجموعة من الاسواق الامية في حضاراتها واخلاقها · اذن اعجاز القرآن في لغته لا في تعاليمه أو معانيه ·

نعم اليست مغامرة وسفاهة في الرأي كبرى ، الزعم ان الانسان العربي قد صاغ لغته في تاريخه ذاك صياغة متكاملة او جيدة او مقبولة او سوية أو ليست مثيرة بضعفها وفوضاها للاسى ، وهو يعيش تلك الكينونة او الحياة التي لو وصفت بكلمة تخلف او بداوة او جهالة او ضعف لكان وصفها بذلك اسلوبا من اساليب المبالغة في الثناء عليها · ان كثيرا من الاشياء لتجيء تافهة وضعيفة حتى ليتحول الوصف لها ولو بالذم الى تمجيد لها · انها لتصبح اقل من جميع اوصاف الذم التي ابتكرتها جميع اللغات ··

ان اللغة ، اية لغة ليست الا مستوى حياة او مجتمع · انها مستوى فكري واخلاقي وفني وحضاري · ان اية لغة لن تكون اذكى او اجمل او اكثر تنظيما او حضارة او شاعرية من ملابس او بيوت أو اسلحة أو ملاعق أو موائد مخترعيها ··

كيف يصنع لغة كاملة او جيدة او ذكية او محددة او منظمة من لا يعيش او يعرف اي مستوى جيد او ذكي او منظم او متحدد في تفكيره او اخلاقه أو عقائده او مشاعره أو علاقاته او في أثاث منزله ؟

اليست اللغة هي الانسان فيأذكى واعلى مستوياته او في أشمل واعنف مستوياته ؟ هل يمكن ان تكون لغة غير الشاعر او الذكي او المنطقي أو المحدد أو

المنظم المنضبط لغة شاعرة او ذكية او منطقية او محددة أو منظمة منضبطة ؟

هل يمكن ان تجيء اللغة اعظم أو اكبر أو اذكى من اصحابها ومتكلميهـا ، اعظم او أكبر أو اذكى من جميع مستوياتهم في كل ألوان حياتهم ؟

هل يحتمل ان تجيء لغة غير العقلاء الكبار المتحضرين لغة عاقلة او كبيـرة او متحضـرة ؟

كيف يستطيع ان يصنع لغة فنانة او مضبوطة او محددة او متعددة القواعد والحركات والعوامل المتبدلة المتحركة من لا يستطيع ان يصنع ملابسه كذلك ، بل من لا يستطيع ان يرى قبح وفوضى وتشوهات ملابسه ليشترط عليها اي شرط ، بـل ليتمنى لها او فيها اي جمال او فن او نظام او اية صيغة اخرى ، انفع او أجمـل او اذكى ، بل اقل هجاء وتشويها وتعويقا وتقييدا للابسيها ؟ ان اكثر المجتمعات ضبطا ودقة وتنظيما وحركة ومحاسبة ورؤية في كل شيء ولكل شيء لا بد ان تعجز · بلا تعليم ومقاساة اي بالسليقة والمحاكاة عن ضبط حركات الكلمات المتبدلة تحـت العوامل المتبدلة العديدة · فكيف اذن يستطيع ذلك بكل الضبط والدقـة قـوم كل شيء فيهم صحراء ترفض الضبط والتحديد والتنظيم والترويض وتعجز عنه ؟ ان الحركة السريعة المتبدلة الحذرة المحسوبة ، استجابة للعوامل المختلفـة الموجبـة المتناقضة هي موهبة ليست من مواهب الانسان العربي ··

الانسان العربي كائن دائم · انه محكوم بالديمومة ، ديمومة الفكر والرؤيـة والحركة والمكان والكينونة والموهبة ان من اعظم واشهر مواهب الانسان العربي البطء في كل شيء حتى في التحدث الذي هو مجمع مواهبه · انه يتحدث ببطء يتحـدى بطء حركته الى الامام والتغيير أو الى فوق ، وايضا العجز عن الاحساس بالعوامـل والاسباب التي تطالب بالتغير وتوجبه والتي تصنع الرؤى والافكار والتحـركات المختلفة او المتصادمة او المتصارعة المتجاورة · ان الحركة السريعة المتبدلة بالفكـر او بالرؤية او بالاحساس، او بالاقتناع او بالكينونة موهبة يصعب اتهام الانسان العربـي بهـا ··

انه يملك موهبة الثبات والديمومة اي ثبات وديمومة الرؤية والفكرة والاقتناع والحركة بل والانفعال · حتى انفعالاته انها لا تختلف في تفاسيرها أو حركاتهـا واتجاهاتها او في حوافزها مهما جاءت متقلبة حادة ضاجة في تقلبها · وحتى تحركاته القريبة المدى والمتحددة الصيغة والتفسير ، انها ليست الا اسلوبا من اساليب الثبات والديمومة والا بحثا عنهما ··

انه يظل يعتقد الشيء ويراه ويفعله ويتصوره ويفسره ويعامله ويتعامـل به ويحياه ويحبه او يكرهه ويمدحه او يذمه ويراه جمالا او دمامة ، حقا او باطلا ، خيرا او شرا ، مجدا او نذالة ، شجاعة او جبنا ·

نعم، انه يظل كذلك مهما كانت الاسباب او العوامل الموجبة للتراجع او التغير أو التبديل او الرفض أو لتحطيم كل شيء والكفر بكل شيء لكي يكون البدء من جديد ٠

انه يظل ابدا يرى قبيلته ويرى امجادها وجدارتها بقيادة العالم وهدايته رؤية واحدة دائمة ، ويظل يصلي لالهه ويؤمن به ويتصوره ويفسره وينتظر منه ويخاطبه ويراه بصيغة واحدة لا تصاب بالتغير ولا بالشك ولا بالاحتجاج او الغضب أو التساؤل او الاشمئزاز أو الثورة مهما بدا وجه الاله مشوها كريها عدوانيا من جميع مراياه البدويـة العابسة ٠٠

كما يظل كذلك يصنع ويتقبل ويرضى ويرى ويمجد عبقرية وشاعرية واعجازية ملابسه وبيوته وخيامه وصحرائه واسلحته وحروبه وابله واغنامه ، وعبقريـة وشاعرية واعجازية اساليبه في تعامله بها وركوبه فوقها وحدائه وتربيته ورعيـه واختياره لها ورؤيته ومعرفته بمزاياها وتفوقها السلالي والاخلاقي والتاريخي بل والديني والعرقي ٠٠ بل كما يرى ويعتقد الوهية وابدية كل ذلك ٠ انه يظل ابدا يؤمن بأبدية والوهية جميع اساليبه في الحياة حتى صناعته لملابسه واسلوبه في لبسها يراهما من تدبير الاله ٠

ولانه اي الانسان العربي محكوم بموهبة الثبات والديمومة فان احاده لا يختلفون أو يتفاوتون في رؤاهم أو افكارهم أو معتقداتهم أو تصوراتهم أو فـي احكامهم أو كينوناتهم او خطواتهم القافزة الى القمر ، او في تحديقاتهم الى ضمير الالـــه أو الى يديه او الى وجهه مطلا من الالام والتشوهات والدمامات والتفاهات والتحركات العابثة الحمقاء ، مبتسما راقصا هاتفا مغازلا لنفسه محييا قارئا مفسدا لمجده ناظرا في كل المرايا الى وجهه مباهيا بتدبيره لكل الحماقات وخلقه لها ،مطالبا باجره ومجازاته على ذلك بكل ما يستطاع وبكل ما لا يستطاع او يعقل او يقبل من الايمان والشكر والتعبد والخضوع والهوان له والتنازل عن كل الذكاء والمنطق والكرامة والشجاعة بل والانسانية وهل يوجد اجر يساوي في فحشه وقسوته وشذوذ تفاسيره ، الاجر الذي يطالـب به الاله لنفسه ؟ ٠٠ انها لا توجد ديمومة بليدة وسخيفة مثل ديمومة الاعجـاب برؤية الاله مريدا ومدبرا وفاعلا لكل هذه الافات والعاهات والالام والعبث ومتحدثا عن رحمته وجماله لانه فاعل كل ذلك ٠

والتنقل السريع بين حركات الكلمة ·رفعا ونصبا وجزما وجرا وغير ذلك من التحركات تحت العوامل المختلفة ، اليس اي هذا التنقل خروجا على موهبة الثبـات والديمومة في الانسان العربي ؟

وهل يهجي الانسان العربي في كل حساباته الدينية والمذهبية والاخلاقيـة والنفسية والعرقية مثل ان يتهم بانه ليس مصابا بالثبات والديمومة على نماذجـه ورؤاه كلها الازلية الابدية القبلية التاريخية ؟

الانسان العربي يلتزم بالثبات والديمومة في الاشياء التي لا يقبل او يغفر او يحتمل الثبات والديمومة فيها ، بل ويتعبان ويؤذيان ويؤخران ، فكيف لا يلتزم بهما اي بالثبات والديمومة في حركات الكلمات وهو التزام لا يصنع اي ضرر او تخلف او فساد او خروج على اية قيمة او معنى جيد او جميل ، او يجعل الابل ترفض البقاء او السير او الرؤية او التناسل في الصحراء لتهاجر منها ، رفضا لقحطها وبؤسها وكآبتها وبداوتها ، وبحثا غن مالكين وراكبين ومجاورين لها ، وحادين بها افضل أو أقوى أو اغنى من الانسان العربي ، أو يجعل النساء يرفضن أن يكن امهات لابناء لن يكونوا الا احادا في قبائل كل مجدها ان تفاخر بانسابها وجهالاتها وباستكبارها على ان تتعلم الصناعة او الحضارة بل أو القراءة والكتابة ، أو ان تزوج المتحضرين او أن تتزوج منهم ، ان تكون اباء او ابناء لهم ؟

هل تصدق ان اي عربي بدوي في صحرائه يرفض ان يصاهر آخذا او معطيا اعظم عبقري أو اكبر عظيم غير عربي ؟

اذا كان الانسان العربي يثبت بديمومة متدينة بتعصب في كل اجياله المتعاقبة على اسلوب واحد في صنعه لعباءته ولقهوته وفي اسلوب تعامله بهما ، مع ضخامة وقوة الاسباب والضرورات الموجبة للتغيير بل للرفض والتدمير فكيف لا ينتظر منه بحتمية هذا الثبات الموحد بلا اي تغيير او تحرك او تبدل في نطقه باخر الكلمات على حركة واحدة وصيغة واحدة دائمة أو بتحركات عشوائية غير محسوبة او مقصودة، او بتحركات لا يعني بها الحركة المنطقية او القانونية او الالتزامية ، بل الحركة الفوضوية المصابة بالذهول والغفلة وبالعجز المنطقي والاخلاقي والعاطفي والحضاري بل وبالعجز العضلي واللغوي والبلاغي ؟

ان نقل الانسان العربي لصحرائه الى صيغ حضارية متعددة متعاقبة وتغييره لجميع اساليبه وتقاليده الفكرية والاعتقادية والاخلاقية والنفسية والفنية قد يكون اسهل عليه واقرب الى فكره وتقواه وموهبته من ان يظل يتنقل بين حركات الكلمات، بين الرفع والنصب والجر والجزم ، خاضعا لمنطق وحساب محدد محتوم ملزم. ان التحرك أو التنقل المتناقض خضوعا لمنطق وحساب محدد ملزم لهو شيء فوق طاقة قوم يلتزمون بكل هذه الديمومة ان يصنعوا ويقدموا ويشربوا قهوتهم بهذا الاسلوب الثابت الخارج على كل الاشتراطات الصحية والحضارية والجمالية والفنية بل والدعائية ..

ان العربي لا يتخلى عن ديمومته على الصيغة الواحدة الدائمة ولكنه قد يطرد منها طردا . نعم ، انه مطرود دائما من صيغه ، من صيغ ابائه وصحرائه وصيغ اربابه وانبيائه . واذا طرد منها اسلوبه أو مظهره أو لغته أو زيه لا منطقه أو معناه او تفسيره او ارادته او موهبته . وكل مزاياه في كل تاريخه ليست غير اساليب هذا الطرد له ..

انه لا يستطاع طرد الانسان العربي من فكره او منطقه او موهبته مهما طرد من ثيابه او لغته او بلاده ٠

ان مفارقته لصيغته الواحدة الدائمة تعني في حسابه واقتناعه التخلي عن وجوده او ذاته او مجده وعظمته وتاريخه بل عن ابائه ووفائه وحبه لهم ومباهاته بهم ٠ ان تغير الانسان العربي هو تغير وجه ولغة ومكان وليس تغير اتجاه او فكر او اخلاق او كينونة ٠ انه ثابت في ذوات ابائه ثبوت ابائه في ذوات ابائهم ٠٠ وهل يعرف الانسان العربي مجدا يساوي مجده بثباته في ذوات ابائه الثابتين في ابائهم ؟

انه يدعو الثبات على الصيغة الواحدة واسترجاع ما فقد أو ما نحل أو بهت منها ، اصالة ٠ انه لا يرى مجدا أو موهبة أو استقامة قومية او وطنية او حضارية مثل ان يكون اصيلا في جميع تفاسيره ٠٠

انه يريد ان يكون اصيلا في ان يكون ذاته الدائمة الواحدة ٠٠

ان يكون جيلا وطورا واحدا لا اطوارا ولا اجيالا ٠ ان تكون ديمومة صيغتمه مثل ديمومة صيغة الاله ٠ اليس الاله صيغة واحدة ابدية ؟

اليست هذه الصيغة الواحدة الدائمة الثابتة للاله مجدا وجمالا له وفيه ؟ اليس التشبه بالاله اصالة عربية ؟

انه يعني في تفاسيره الا يفارق صيغة وكينوناته القديمة ٠ يعني ان يكون الجد هو الاب والابن والحفيد جاءوا باسماء متعددة بل جاءوا باسم واحد مكرر ٠٠

حتى العلم والفكر والمعارف والفنون والتقدم والحضارة والاكتشافات يجب أن تكون اصالة ، اي يجب ان تكون هي ما كان او اخذا عنه او تفسيرا او تقليدا له أو رجوعا اليه او صلاة فيمعابده وتلاوة لكتبه المقدسة او ادعاء له او تمجيدا لذكراه ولتاريخه الذي قد كان ٠٠ انه يعني ان يكون في ثباته في ذاته وتاريخه وجميع تفاسيره مثل الاله والطبيعة في ثباتهما الابدي في جميع مستوياتهما وجميع تفاسيرهما الفكرية والنفسية والاخلاقية ٠ ان الاصالة بهذه التفاسير التي يريدها المتحدثون عنها ليست شيئا جيدا ولا حضاريا ٠ وان التحدث عنها ليس تحدثا عن قيمة انسانية من اي نوع ٠

ان المبدعين والمتجددين والمتخطين للتاريخ لا يتحدثون عن هذه الاصالة ٠٠ انهم يرفضونها ٠ انها في تصورهم لا تعني الا البقاء الدائم في كهوف التاريخ ٠ ان التحدث عنها كالتحدث عن عقائد وافكار وتقاليد الاباء وعن الهتهم ومعارفهم واخلاقهم وبيوتهم ومواصلاتهم وملابسهم واسلحتهم ، وعن اساليب حياتهم ، للاستمساك بها او لتقليدها او لاستلهامها والتعلم منها أو للوقوف عندها او للدفاع عن جميع تفاسيرها وحوافزها أو للاعجاب بها ٠ ان اصالتك في افكارك او عقائدك واخلاقك وتقاليدك او في استمساكك بآلهتك وانبيائك لن تكون مقبولة الا اذا كانت اصالتك في صنع بيتك او ملابسك مطلوبة او مقبولة ٠

ان الانسان المتحضر اي المتغير المتخطي المبدع المتطلع دائما لن يكون اصيلا

ولن يقبل او يريد ان يكون اصيلا ، بل لن يستطيع ذلك او يعجب به أو يدعو اليه ٠ لانه لا بد ان يكون دائما متاثرا وآخذا عن الاخرين ومتجاوزا ما كان ورافضا له ورائيا لعيوبه او لعجزه وتخلفه ، وغير متقبل لاستعادته او لتقليده او للحنين اليه ؛ انه دائما خارج على الامس وعلى الذات وعلى الكينونة التي كانت في الامس ، ومتكبر على ذلك ، متفوق عليه ولو بافكاره وآماله وطموحه ٠ انه لابد ان يكون متطلعا دائما الى كل الجهات والافاق ، وان تكون رؤاه وتطلعاته دائما اكبر واوسع وابعد من ذاته ومن ابائه وتاريخه ومن كل ما كان ومن كل ما يرى ٠٠

ان الانسان المتخلف العاجز البدوي اكثر اصالة واستمساكا بالاصالة واعجابا بها وادعاء لها ، من الانسان الاخر ، لانه اعجز عن مغادرة ذاته ومغادرة امسه وتاريخه ومغادرة ابائه ، واعجز عن ارادة هذه المغادرة وعن الاعجاب بها وعن فهمها وتحمل التزاماتها العقلية او النفسية او الاخلاقية أو التطبيقية ٠٠ ان الحضارة والتقدم والحياة القوية المبدعة هي مغادرة دائمة وطموح الى هذه المغادرة ٠ وهذه المغادرة خروج على الاصالة في تفاسيرها هذه ٠

انه لا يتفوق على الانسان المتخلف البدوي في اصالته الا الحشرة والحيوان ٠٠ انهما اي الحيوان والحشرة هما اكثر الاصلاء اصالة ، لانهما لا يستطيعان ان يتخطيا ذاتيهما أو امسهما او تاريخهما أو اباءهما أو يستنكرا ذلك أو يرفضاه أو يحتقراه بتفكيرهما او اخلاقهما او بطموحهما وتحديقهما واشواقهما ٠ كما لا يستطيعان ان يتاثرا بغيرهما او ياخذا عنه ٠ انهما اصالة دائمة شاملة ٠٠ انهما اذا خرجا أو لو خرجا على اصالتهما لكان ذلك بلا تدبير منهما ودون ان يريدا او يعرفا ٠٠

ان الانسان المتخلف والانسان المنتمي انتماء قبليا قد يكونان صادقين جدا حينما يقولان : نحن اصيلان ٠ ولا بد أن يكونا كاذبين لو قالا : نحن غير اصيلين ٠ ولن يتفوق عليهما في الصدق غير الحشرة والحيوان لو قالا : نحن اصيلان وفي الكذب لو قالا : نحن غير اصيلين ٠٠

ان المتاثر الاخذ دائما عما حوله وعن الاخرين ، المتطور المتجاوز دائما لن يكون اصيلا ، وان المستقر الثابت دائما في ذاته وفي تاريخه العاجز عن التاثر والتخطي لن يكون الا اصيلا ٠٠

اي لن يكون الا متخلفا ضعيفا مغلقا غير معط للحياة او للحضارة أو للتاريخ ٠٠

اذن كم هو شيء جيد الا يوجد او يبقى انسان واحد أو مجتمع واحد يقول : انه اصيل ، ولو قال ذلك لما كان صادقا ٠٠

اتمنى أن يفهم ذلك كل هؤلاء الذين يتحدثون دائما عن الاصالة أو عن اصالتهم ، وكل اولئك الذين كانوا يتحدثون عن ذلك وهم يظنون انهم بتحدثهم هذا انما يخطفون من الشمس كبرياءها وضخامتها واشراقها ونظافتها وصعود مكانها وتوابعها ٠ اتمنى ان يعرف ذلك كل من يتحدثون عن الاصالة وهم يحسبون انهم بتحدثهم هذا يطهرون وجودهم من كل عار وهوان وبلادة ونذالة نعم ان الذي يقول انه اصيل ويكون صادقا لن يكون بذلك اعظم تباهيا او اصدق من الذباب او الصرصار لو ادعى لنفسه هذه

الدعوى او هذا المجد ٠٠ أليس الذي يكون اصيلا دون أن يفخر باصالته اقل سوءا من الاصيل المفاخر باصالته ؟ اذن أليس الذباب اقل سوءا ؟

ان العظمة او المجد ليس في أن يكون الكائن اصيلا ولكن في ان يكون عظيما ٠ وهل تكون العظمة الا خلقا وابتداعا ؟ انها ليست اتباعا او اخذا او تلقينا او توريثا أو تعليما او تناسلا او وقوفا في طابور المصلين للاله المذكور الموصوف بوحشية في الروايات القديمة ٠٠

ان الذباب وكذا الصرصار اصيل ولكن ماذا تساوي اصالته ؟

ليته اي الذباب او الصرصار يصبح غير اصيل اي يخرج على ذاته وعلى آبائه وتاريخه ويأخذ عن كائنات اخرى افضل واعظم منه او يهجن ويلقح بها ذاتيا وعرقيا أو عقليا او اخلاقيا او نفسيا او حضاريا ٠ ليت جميع الضعفاء والتافهين والمتخلفين الاصلاء في ذلك يخرجون على اصالتهم ليكونوا نسخا ونقلا عن اولئك الاخرين الاقوياء المتقدمين المبدعين حتى ولو كانوا غير اصلاء ٠

أليس هذا شيئا جيدا ومطلوبا جدا لو حدث ؟

أليس هذا هو الذي يحدث دائما ولو في الزي او اللغة او الشعار او في الجلوس داخل الغرفة الواحدة ؟

اجل ، حينما يقول البدوي المتخلف انه اصيل فهل يعني هذا افضل مما يعنيه الاله المحنط في بداوته وفي صحراء كينونته لو قال انه اصيل ؟ وهل يسر اي انسان ان يكون في اصالته اي في عجزه عن تخطي كينونته الواحدة الثابتة كالاله المحنط في عباءاته التاريخية ؟

كم هو رائع ومطلوب ان تخرج الطبيعة والاله على اصالتهما ليكونا شيئا افضل واذكى واكثر تحضرا واقل بداوة وهمجية وتخلفا وثباتا في الذات وفي التاريخ وفي الامس القريب والبعيد ؟ ليتهما يفعلان ذلك ثم يعلمان الانسان العربي الخروج على اصالته مثلما خرجا على اصالتهما ٠٠

ان اصالة الاله والطبيعة هما اكثر الاصالات قبحا وتخلفا وتعذيبا ولؤما وتعويقا عن المجد والعظمة ٠٠ ايهما يختار العربي : ان يفارق العرب اصالتهم ليكونوا شيئا اعظم ام ان يفارق الاله والطبيعة إصالتهما ليكونا هذا الشيء الاعظم اي لو كان له ان يختار؟ الالهاصيل، اصيلودائما اصيل، ايدائما يتعلمويتلقىمنذاتهالدائمة الموهبة والمستوى بلا تمرد أو تخط لذاته الاصيلة ٠ لهذا كم هو قبيح ومتخلف وبدوي الكينونة ؟

ولو أن هؤلاء الطغاة الجبارين في مواهبهم وابداعاتهم الحضارية استطاعوا ان يقتلوا او يهزموا في الاله وفي الطبيعة اصالتهما او يعلموهما الخروج عليها والعصيان والتجاوز لها لكان ذلك هو انبل وانفع ما اعطى هؤلاء الذين اعطوا كل شيء حضاري ٠٠

اليس قتل او هزيمة اصالة الاله والطبيعة لا بد أن تعني او قد تعني قتل أو هزيمة اصالة الانسان العربي ؟

فهل يؤمل ان يفعلوا ذلك في يوم آت ؟

وبعد ٠٠ ان كثيرا من الناس او اكثرهم يتحدثون عن الاصالة دون أن يفكروا في معناها او يتصوروا معناها اي تصور أو يروا ان عليهم ان يفعلوا شيئا من ذلك ٠

***

ولكن قد تفسر الاصالة بتفاسير مناقضة لتفاسيرها في لغة الانسان العربي وفي نياته ٠ نعم ، انه ليجب اخلاقيا وحضاريا وعلميا ان تفسر جميع الاشياء بغير تفاسير الانسان العربي لها ٠

ان الاصالة قد تفسر بل لا بد ان تفسر بانها هي الا يرى او يسمع او يعتقد او يقبل او يرفض او يحب او يبغض او يوافق او يخالف أو يعجب او يشمئز أو يحارب أو يسالم من ندعوه اصيلا الا بعينيه واذنيه وبفكره واقتناعه وقلبه وضميره واخلاقه ومصالحه ويديه ووحيه هو ، لا بأي املاء أو تقليد أو أتباع لاي قطيع أو لاي اله او نبي أو معلم أو زعيم او مذهب أو دين أو لاي طغيان أو جنون يفرضه تاريخ أو ارهاب او معبد او سوق او توريث او عجز او تكرار او استمرار في المسيرة التي يسيرها او يكره على المسير فيها القطيع الطويل الممتد من الصحراء الممتدة من بداوة وبداية التاريخ ٠٠

واذا فسرت الاصالة بذلك فهل يمكن ان يوجد اصلاء ؟ وان وجدوا فكم يمكن ان يكون عددهم ؟

ان الاصالة في تفاسيرها الحضارية هي ان تكون عقلك وقلبك وضميرك ورؤيتك وعضلاتك واشواقك انت لا عقل ولا قلب ولا ضمير ولا رؤية ولا عضلات ولا أشواق اربابك او انبيائك او ابائك او تعاليمك او محاريبك او اشعارك المروية أو المعلقة على جدران كعبتك ، او كتبك المقدسة المغنية لك كل اغاني البلادة والبداوة والاستسلام ، المغلقة لعينيك وعقلك وضميرك عن كل رؤية وتفكير وفهم واحتجاج واصالة انسانية ٠٠

انها اي الاصالة هي الابداع والتفوق والتخطي الدائم الذكي الشجاع الحر الى الافضل الاذكى الاقوى الابسل ٠ انها هي الجودة في كل شيء ٠٠

انها الجودة والنبوغ في التفكير والرؤية والحب والارادة وفي القبول والرفض والاعجاب والاشمئزاز ٠

انها هي ان تكون دائما رائيا محدقا قارئا محاسبا محاكما ناقدا فاهما لكل ما تفعله او تعتقده أو تصدقه أو تجمده أو تخاصمه أو تقاتله ٠

انها اي الاصالة في معناها الحضاري هي ألا تضع خطواتك على أية خطوات اخرى حتى ولا على خطوات الهك او نبيك الا بعد ان تقرأ وتعرف كل لغات وتفاسير ونهايات واتجاهات خطواته اي خطوات الهك او نبيك ٠ انه ليجب ان يكون لخطوات

قدميك وقبضات وضربات يديك من الذكاء والمنطق والاقتناع والاصالة اكثر واقوى مما يجب ان يكون من ذلك لعقلك . أليس ذكاء ومنطق واقتناع عقلك مطلوبا من اجل خطوات قدميك ومن أجل قبضات وضربات يديك ؟ ايهما يصوغ الاخر : الايدي والارجل تصوغ منطق واخلاق العقول ام العقول هي التي تصوغ منطق واخلاق الايدي والارجل ؟

انها اي الاصالة هي الا تنشد مع الهك او نبيك او زعيمك او قائدك اناشيده السعيدة او الحزينة ، او تقرأ معه او وراءه تعاليمه وكتبه المنزلة الا بعد أن تحاسبها وتفهمها وتقتنع بما فيها من فن وجمال وذكاء وصدق وحقيقة .. كم سيصبح الهك أو نبيك أو زعيمك مجهولا مخذولا بليدا ضالا مهرجا لو أنك اصبحت اصيلا بهذا التفسير للاصالة ؟

انها هي الا تصلي وراء امامك حتى تعلم ان ضميره وعقله واخلاقه قد توضأت اكثر واشمل مما توضأت اعضاؤه ، اي لو كنت مصليا وكان لك امام تصلي وراءه واله تصلي له ، هي ألا تقرأ أو تفسر أو تعرف الهك بكتابك المقدس بل برؤيتك له عاريا من جميع ملابسه وزيناته وحيدا من كل سدنته وحراسه وكهانه .. هي أن تقرأ وتفسر كتابك المقدس بصوتك وفكرك واقتناعك ورؤيتك لا بما يقوله سدنة وحراس الهك .

انها هي ان تعلم التاريخ وتداويه وتصححه لا ان تتعلم منه او تتداوى به او تصحح اخطاءك باخطائه بل ولا بصوابه ..

ان الذين يتعلمون الصواب من التاريخ هم اكثر وافدح خطأ من الذين يتعلمون الخطأ من انفسهم وحياتهم وتجاربهم ومقاساتهم واقتحامهم .. ان الخطأ الذي تخطئه وتفعله بعقلك لاعظم مجدا وتكوينا وتعليما لك من الصواب الذي تفهمه وتراه وتفعله بغير عقلك ، بعقل الهك او نبيك .. انها هي ان تصبح مجدا لابائك واربابك وانبيائك وزعمائك لا ان يصبحوا او يظلوا مجدا لك ، وان يروا ويفسروا ويحاسبوا ويزنوا بعيونك وعقلك واخلاقك وموازينك انت ، لا ان يكون العكس .. ان تكون انت الرائي المفسر لهم لا المرئي المفسر .. ان ترى انت طريقك ووجهك ، جمالك وضخامتك او دمامتك وضآلتك بعيونك وشروطك لا بعيونهم او شروطهم ..

ان تتحول الى تفسير لمذاهبهم وعقائدهم وضمائرهم واخلاقهم وكتبهم المقدسة بكل سلطانك وجراتك لا ان يتحولوا الى تفسير او قيد لاي شيء من حياتك او ظروفك او رؤاك او خطواتك .. ان تكون انت نبي واله كل الهتك وانبيائك ، ونصوص وتفاسير كل كتبك المقدسة ونبواتك ، وان تكون ارضك هي معلمة سمواتك ..

هي ان تقود قادتك والهتك وانبياءك وان تعلمهم وتامرهم وتصوغهم وتفكر لهم، لا ان يفعلوا هم لك أو بك شيئا من ذلك.. هي ان تكون لهم وفيهم عيونا جديدة لا أن يفقأوا فيك عيونك ..

هي الا يكون لك كتاب مقدس لم تكتبه انت ، ولا نبي لم تعلمه وترسله انت ،

ولا كعبة أو مصلي لم تبنها أو تبنه أنت ، ولا اله لم تره وتختره وتتصوره وتفسره وتعلمه وتامره وتعاقبه وتجزه وتهدده انت ·· ان تكون انت ابا لابائك لا ابنا او تابعا لهم ، ومعلما لامسك وتاريخك لا متعلما منهما ، مفسرا لهما لا مفسرا بهما·· انها هي ان تكون انت لا الهك او نبيك او اباءك أو تاريخك او مجتمعك أو الكتاب الذي تقرؤه أو الرأي الذي تسمعه ··

انها اذن في جميع تفاسيرها ولغاتها الحضارية نقيض لها اي للاصالة في جميع تفاسيرها ولغاتها العربية ·

ان كل ما ذكر هنا هو بعض تفاسير الاصالة او بعض التفاسير المطلوبة او المفترضة التي تفسرها بها الحضارة وتطالب بها لها وتفترضها فيها أو التي ينبغي ان تكون ··

اذن فالعربي غير اصيل في جميع التفاسير الحضارية مهما كانت اصالته في جميع التفاسير العربية · أليست كل التفاسير العربية لكل القضايا الكونية والانسانية نقيضا لكل التفاسير الحضارية بالمستوى الذي به كل القيم والمطامح والطاقات والانجازات والحوافز الحضارية نقيض لكل ما عند العرب من ذلك ؟

ان الانسان العربي خارج على جميع دلالات الاصالة ومستوياتها بقدر خروج الاله والطبيعة والبرغوث على ذلك اي بهذا التفسير للاصالة ··

نعم ، ان الاصالة هي التفوق الدائم على الذات والتاريخ والتجاوز الدائم والسريع الشامل لهما وارادة ذلك · لهذا فالانسان قد يكون اصيلا · اما الاله فلن يكون اصيلا ، كذا الطبيعة والبرغوث لن يكونا اصيلين · لهذا ايضا فان الانسان العربي لا يمكن تفسيره باي معنى من معاني الاصالة · انه ليس الا صلاة او حجرا او حرفا اثريا في معبد ، او ضخامة او كثافة في حجم قطيع او زيادة في عدد القطيع · انه اي الانسان العربي ليس الا تراكم حجم وليس تنوع عبقرية أو اصالة ··· ان اقبح تراكم هو تراكم حجم الانسان الذي لايتحول الى تراكم وتنوع عبقريات وابداع وقفزات · نعم ، قبيح هو تراكم حجم الانسان العربي ·

اجل ، انها اي الاصالة كلمة تكتب وتنطق وتقرأ · وقد تفسر تفاسير جيدة ·· وحينئذ يكون مطلوبا وجيدا ان نكون اصلاء · وقد تفسر تفاسير رديئة ، وحينئذ يكون المطلوب والعظيم ان نكون خارجين على كل اصالة ··

ان القضية اذن ليست هي التفسير لهذه الكلمة او الانتماء اليها · بل القضية هي ما الذي نريد ان نكونه ونستطيع ان نكونه ونصمم على أن نكونه · ولكن هل نكون غير ما نريد وغير ما نمتدح ؟ نعم ، نكون ما نستطيع وما نحتاج اليه مهما كانت ارادتنا ومديحنا ···

ولكن اذا كان كهان اللغة العربية هم الذين وضعوا قواعدها ، بادئين لا ناقلين فكيف امكن ان يتفقوا عليها ؟ بل قد يقال : كيف امكن ان يتفقوا عليها حتى ولو كانوا ناقلين لها نقلا ؟ انهم لم يستطيعوا ان يتفقوا في حكمهم على لون ثيابهم ووجوههم

أو على لون ثياب ووجوه آلهتهم وانبيائهم معقراءتهم وتفاسيرهمومواجهتهمورؤيتهم الدائمة لها ٠ اذن كيف اتفقوا في رؤيتهم لهذه القضية ؟

اعترف اني عاجز عن فهم ذلك ٠ ولكن اليست الجماعات أو البشر جميعا قد يتفقون حيث يتوقع المنطق الا يتفقوا اكثر من اتفاقهم حيث يتوقع ويطالب المنطق ان يتفقوا ؟ فكيف اذا كانت القضية لاهوتية وهي هنا لاهوتية ؟

قد يكون الاتفاق في هذه القضية احدى الغلطات العجيبة الشاذة جدا ٠ انها احيانا لتقع غلطات كبرى متفق عليها تعجز كل العقول ان تفهم كيف امكن الاتفاق عليها بل تعجز كل العقول ان تدبر الاتفاق عليها وتعجز عن الانتصار في تدبيرها ذلك لو دبرته ، بل تعجز اغلب الحقائق الكبرى عن ان تنال هذا الاتفاق عليها الذي نالته هذه الغلطات الكبرى ٠٠ أليست الاخطاء الكبرى هي دائما افضل وادوم حظا في التاريخ والحياة من الحقائق الكبرى ؟

انه لا بد من الاعتراف بان ها هنا سؤالا حادا ، يتحدى بل يهدد هذا الافتراض اي افتراض ان العرب لم يكونوا يعرفون او يلتزمون قواعد الاعراب وحركاته المتبدلة، بالسليقة اي بدون تعليم فيه كل المعاناة التي لا ثمن لها ٠ هذا السؤال هو :

اذن كيف جاءت حركات الاعراب في قوافي الشعر الجاهلي مضبوطة ومحكومة بالعوامل التي وضعها وقررها كهان النحو وسلاطينه ٠ فاذا كانت القافية مرفوعة وجدت حتما عوامل الرفع في كل وحدات القافية ، وكذا اذا كانت منصوبة أو مجرورة او ساكنة كان محتوما ان توجد العوامل الملائمة بلا اخلال أو شذوذ ٠٠

وايضا ، أليس مجيء هذه الاشعار مضبوطة بأوزان بحورها يعني حتما انقائليها الذين لم يتعلموا قواعد الاعراب المتحرك التي وضعها أو احصاها وعددها سيبويه وجنوده ، كانوا يعرفونها ويلتزمونها بالسليقة أو الطبيعة او الولادة او بالهام البداوة والصحراء ، أو بعبقرية في الاذن والفم والحس لم يعرف البشر الذين عرفوا وابدعوا كل انواع العبقريات لها مثيلا ؟ نعم ، اليست الاذن والفم العربيان عبقريين ؟ أليست كل حظوظ وحقوق الانسان العربي في العبقرية قد تجمعت في فمه واذنيه ؟

ان اية قصيدة لن تكون صحيحة الوزن العروضي ما لم تلتزم فيها عواملالاعراب التي تتدخل في طول الكلمة وقصرها وفي عدد حروفها اي حروفها المنطوقة ٠٠ فالوزن العروضي محكوم بحجم الكلمة ، وحجم الكلمة محكوم بالتزام قواعد الاعراب ٠٠

نعم ، انه لا بد من الاعتراف بصحة وقوة هذين التساؤلين او هذين النقدين او الاعتراضين المسددين الى هذا الرأي الذاهب الى ان العرب لم يكونوا يعرفون أو يلتزمون اعراب الكلمات المتحركة تحت العوامل المتعددة المتبدلة بدون تعليم ٠ بل ان هذا الرأي قد يتحول الى مفاجأة فاجعة أو مذهلة أو غير محتملة الصدق أو التصديق لمن يسمعه أو يقرؤه ٠٠

واذا لم يكن بد من محاولة الجواب فقد يقال من كثير يمكن ان يقال :

ان العرب حتما لـم يكونوا يعرفون أو يلتزمون أو يستطيعون ذلك بالسليقة أو الطبيعة أو الموهبة مهما كان تفوقها ، بل ان ذلـك لا يستطيع ان يكون حتى ولا احتمالا في طاقتهم · وانتظار ما لا يستطاع لن يكون تمجيدا لمن ينتظر منه ذلك ولن يكون ثناء على ذكاء أو اخلاق من ينتظره ·

اذن فان عجزهم هذا لن يتحول الى عيب من عيوبهم مهما اريد التضخيم في اعداد واتساع عيوبهم ، أو مهما كانت الرغبة في تكاثر عيوبهم ·· ان مثل هذا العجز لن يحسب عيبا في المتفوقين فكيف يحسب عيبا في من لا يفعلون ولا يريدون ولا يستطيعون الا ما هو عيب وعجز ونقص في جميع الحسابات والمقاييس والاشتراطات والحدود والاماني بل وفي حكم كل المذاهب والاديان والنظريات ؟ كيف يحسب عيبا في قوم كل مزاياهم ان يتحدثوا عن مزاياهم وعن هوان كل العالمين امام كل مزيـة من مزاياهم التي هي رواية وحديث فقط ؟

انه لا بد ان يغفر للعرب ، اشفاقا أو رثاء ، أو استهزاء أو تهوينا أو شماتة ، أو عدلا ، او بنية السباب والهجاء ، ما لا يمكن ان يغفر لغيرهم · ان كل العالم قد روض عقله وضميره وكل حساباته على ان يغفر للعرب ما لا يمكن ان يغفر لاحد غيرهم اذن كيف لا يغفر لهم ما لا بد ان يغفر لكل احد ، ما لا بد ان يغفر لاعظم المتفوقين تفوقا ؟ نعم ، ان العرب قد اراحوا العالم من ان يقاسي أو يشغل بمحاكماتهم ومحاسباتهم وبالتفسير لهم ·· ان لهم اذن لفضلا على العالم · أليس من لا يضطرك الى معاتبته ومعاقبته والغضب عليه متفضلا عليك ؟

ان العرب لا يحاسبون أو يؤاخذون حيث أو حين يحاسب ويؤاخذ كل الناس ، فكيف يحاسبون أو يؤاخذون حيث أو حين لا يحاسب أو يؤاخذ احد من الناس ، أو في شيء لن يحاسب أو يؤاخذ به أو عليه اي انسان ؟ انه ليغفر للعرب ما لا يغفر لاحد فكيف لا يغفر لهم ما يغفر لكل احد ؟ اجل ان للعرب لمزية عالمية عظمى ، هي انهم يعفون كل العالم منمقاسات النقد والقراءة والرؤية لهم والاشتراط عليهم وفيهم· أليس العالم كله لـم يزل يغفر للقيادات والزعامات والنبوات والعبقريات ولجميع المواهب العربية المختلفة ·· العقلية والاخلاقية والفنية والحضارية والانسانية والدينية بل واللغوية ما لا يستطيع ان يغفر مثلـه أو أقل منه البراغيث والنمال ؟ أليس العالم كله يغفر لاعظم واتقى النبوات والقيادات والعبقريات العربية ما لا يستطيع ان يغفر شيئا منه لاصغر واجهل وافسق صغاره وجهاله وفساقه هو ؟ ألم يكن العالم كله في كل تاريخه ومستوياته وحساباته ومواقعه ونياته يقرأ ويرى ويفسر ويحاسب ويعاقب عيوب وآثام وبذاءات وتلوثات البراغيث والصراصير وجميع الحشرات دون ان يفعل اي شيء من ذلك بعيوب وآثام وبذاءات وتلوثات الزعامات والقيـادات والنبوات والمواهب العربية التي لـم تزل تستفرغ عليه وعلى نفسها وعلى التاريـخ ما لا تستطيع كل تلك الحشرات ان تستفرغ مثله أو شيئا منه ؟

هل تستطيع او استطاعت جميع الحشرات في كل تاريخها ان تستفرغ القبح الذي يستفرغه زعيم او نبي أو معلم او شاعر عربي واحد دون ان يصنع غثيان أو غضب احد ؟ حتى الغثيان يرفض العالم ان يصاب به مهما واجه من قبح ووقاحة الزعامات والقيادات العربية ·

انه لا يوجد ولم يوجد ولن يوجد مغفور لهم وهم يستحقون كل الوان العقاب واقساه مثل العرب أو غير العرب ، كما لن يوجد غفران هو اقسى من كل عقاب كالغفران الذي يهبه كل العالم بكل السخاء للزعامات والقيادات والنبوات ولكل الخصائص والمواهب والبداوات العربية المستفرغة على كل قضية وموقف وموهبة وحضارة ومشكلة وعلى كل احد وكل شيء ، كل السخف والقبح والبلادة والنذالة والعدوان والجهل والضجيج المشحون بكل لغات الضعف البذيء المتوقح المتفجر بكل تعبيرات الغرور الهمجي البدوي ، كل الاوقات ، بكل الاساليب والاعلان والدوي ·· لتمت كل الاذان والعيون · نعم ، لتمت كل الاذان والعيون لئلا تسمع أو تقرأ العرب وهم يستفرغون على كل القضايا باسلوب للتحليل والعلاج لها ··

صعب ان ننظر كيف يستفرغ العرب على كل شيء جميل وقوي وذكي ونافع وانساني وحضاري كل اساليب الاستفراغ والوانه ، ثم صعب ان نرى كيف يغفر لهم كل العالم كل استفراغهم هذا ·· هل يستفرغ شيء على شيء استفراغا يشبه في قبحه استفراغ عباقرة العرب على القضايا الدولية حين يذهبون يحللونها ويفسرونها ويعلقون عليها ؟

انه لمؤلم ومهين جدا ان نحاول تفسير اسباب هذا الغفران ··· كيف لا يغضب العرب من غفران العالم الشامل الدائم لهم ؟ كيف لا يدركون ما في هذا الغفران من تهوين وتحقير وتصغير لهم ؟

ان انسانا ما لن يهان او يحقر أو يستهزأ به مثل ان يكون عاجزا عن ان يصنع الاشمئزاز أو الاستقباح أو الانفجاع أو الغضب أو ارادة العقاب في احد مهما ضعف وتفه وتوقح وتلوث وجهل وصغر وتعرى عن اقبح التشوهات والعاهات والاوحال ، أو مثل ان يغفر له بالاساليب والتفاسير التي غفر بها كل العالم للقادة والزعماء والانبياء والشعراء والمفكرين والكتاب والعلماء العرب ، حاضرا وتاريخا بل ومستقبلا· هل يوجد تحقير شامل مثل الغفران الشامل اي بلا اشمئزاز أو استنكار أو غضب أو نقد أو رفض أو حتى استغراب ؟

واشوقاه الى اليوم الذي يصبح فيه العرب اهلا لان يعاملهم العالم او الاخرون بالاشمئزاز والاستنكار والاستقباح والنقد والرفض وبالمحاسبة والمحاكمة القاسية الفظة الموجعة بقدر ما يستحقون ··!

واشوقاه الى العصر الذي يصبح فيه العالم قارئا ومفسرا للعرب محدقا فيهم بكل قسوة وشروط المنطق والاخلاق والحضارة والنماذج والمستويات الانسانية الصعبة ، لا

ان يظل غافرا لهم كل شيء غير مشترط فيهم او لهم اي شرط ، او مفترض فيهم اي معنى جيد أو ذكي أو قوي او كريم ، يراع أو يدهش اذا افتقده فيهم ٠ هل يعتدي على شيء مثل الاعتداء على العيون والاذان والعقول التي يحكم عليها بان تقرأ او تسمع او تحاسب اي نبي أو عبقري عربي ينقد او يفهم او يعرض او يفسر اي موضوع من موضوعات السياسة او الفكر أو الدين او الاخلاق او الحياة او الكون ؟ ثم هل يوجد مغفور لـه مثل هـذا النبي او العبقري العربي ؟

اذن واشوقاه الى العصر الذي تتهاوى فيه كل السياط الفكرية والاخلاقيـة والحضارية والانسانية على الانسان العربي ، تحاكم وتحاسب وتؤدب وتعاقب فكره وضميره واخلاقه وتاريخه وجميع مستوياته على كل ذكاء وجمال وانتصار وابـداع وتفوق يفعله ويملكه لانه لـم يجيء افضل واقوى مما جاء ، ولانه يجب ان يجيء ومطالب بان يجيء افضل واقوى مما جاء ، لانه يفترض فيه ويتوقع منه ان يكون دائما اكبر واعظم مما يحدث ومما يفعل ، اي يفترض توقعه اكبر من واقعه مهما كـان واقعه ٠٠

هل ياتي هذا العصر ، ومتى ؟ وهل توجد وسائل تجعله ياتي وياتي سريعا ؟ وهل تعرف هذه الوسائل ان كانت موجودة أو سوف توجد ؟ وهل من يعرفونها ان كانوا موجودين او سيوجدون ، يفعلونها ويحشدونها اي هذه الوسائل ؟ متى ياتي اليوم الذي لا يقسو فيه العالم على شيء مثلما يقسو على الانسان العربي حين ينقده ويقرؤه ويفسره ويحاسبه ويحدق فيه ويشترط عليه ويطالبه وينتظر منه ويعدد عطاياه الحضارية ؟

وافجيعتاه ٠٠ وافجيعتاه اذا كان من اعظم امانينا القومية ان يصبح قومنا أهلا لان يقرأوا ويفسروا ويحاسبوا ويستنكروا ويستقبحوا وينقدوا ويرفضوا ويعاب أو يعاف عارهم ٠٠ !

نعم ، يا قومنا اننا نتمنى لكم ذلك فهل تبلغون ما نتمناه ؟ هل تبلغون المستوى الذي يجعل عاركم وضعفكم وغباءكم مقروءا أو مرئيا أو مصروخا مشكوا منه ؟

اريدكم يا قومنا ان تبلغوا هـذا الذي اتمناه لكم بكل اللهفة وقسوة الانتظار ٠ ولعله لا احد يخيب ويهزم ويخطيء ويتعذب بانتظاره وامانيه مثل من يذهب باصرار ينتظر من العرب ويتمنى لهم شيئا جيدا ، قويا أو ذكيا ٠٠

اني اريد ان ارى الانسان العربي تعاب عليه وفيه اضخم المزايا لاني اريده دائما مفترضا اكبر واعظم مهما كبر وعظم ، ولا اريد ان اراه تغفر له وفيه دائما اصغر الرذائل واكبرها لاني لا اريده ان يفترض دائما اصغر واقل مهما صغر وقل ٠ انـي اريده ان يحاكم دائما بقسوة لاني اريده ان يفترض ويفسر ويقرأ دائما بتهاويل ٠٠

ان العالم حتى اليوم لا يرى العرب أو يستمع اليهم أو يقرؤهم أو يفسرهم أو يحاكمهم أو يحاسبهم أو يغضب عليهم أو يشمئز منهم أو ينكرهم أو ينقدهم بشيء

من رؤيته أو استماعه أو منطقه أو ضميره أو اخلاقه أو نماذجه أو مقاييسه أو حضارته • انهم خارج جميع حساباته ومقاييسه الفنية والمنطقية والحضارية والانسانية • انه لا يراهم اية رؤية يرى بها نفسه ••

اذن هل يوجد هبوط يساوي هذا الهبوط الذي هبطه العالم بالعرب حاضرا وتاريخا ومستقبلا ايضا اي في ما يبدو ؟والقيادات والزعامات والعقول العربية بل والجماهير العربية تعتقد ان العالم يمجدها ويبايعها ويؤمن بتفوق العرب على العالمين حينما يغفر لهم ، لا يحاسبهم أو يراهم مهما صغروا وتعروا واثاروا غضب الحشرات واشمئزازها وافسدوا عليها حياءها ووقارها ونافسوها في ضآلتها وقماءتها وطهارتها وشموخ مجدها •• والان ، لقد بقي الجواب عن التساؤلين السالفين الحادين •

انه مهما كانت قوة وصحة هذين السؤالين ، ومهما كان العجز عن تفسيرهما محتوما أو حتى مطلقا وابديا ، فانهما لن يستطيعا ان ينقضا او يضعفا هذه الحقيقة• ان الحقيقة ليست حقيقة لانها لا تصطدم بتساؤلات او باعتراضات حادة وقوية ومعجزة ، لمن يريد ويحاول الجواب عنها أو التفسير لها • بل ان اكبر الحقائق واقواها هي اكثرها تصادما بما يبدو ويظن انه يناقضها ويبطلها • هل وجدت حقيقة واحدة لا اعتراض عليها ؟ لعل الحقيقة لا تكون حقيقة الا بقدر ما تتحداها وتهاجمها بل وتحاصرها اشرس واقوى التساؤلات التي لا يعرف الجواب عنها •• أليست احتمالات تصادم الذوات والاشياء بغيرها وتناقضها مع غيرها تكون وتتنوع بقدر ما تكون اي الذوات والاشياء كبيرة وقوية وثابتة وظاهرة ؟ اليس الذي لا يواجه المناقضات والتحديات الصعبة هو اما غير الموجود أو غير القوي أو العظيم ؟ أليس الشيء يناقض ويعترض عليه ويشك فيه بقدر ما يكون كبيرا قويا واضحا مرئيا ؟

ان الاله ان كان او اذا كان او لو كان موجودا لكانت الاسئلة او الاعتراضات على وجوده اقوى واكثر تعجيزا من كل الاسئلة والاعتراضات التي قد توجه الى وجود اي كائن اخر •• ان الاعتراضات والاسئلة والشكوك حينئذ على اخلاقه ومنطقه وشهامته بل وعلى ذكائه ووقاره وعقله ورصانته لن يوجه مثلها الى اي شيء في قوتها وحسمها وتعجيزها •

ان المؤمنين جدا بالاله والانبياء ومعجزاتهم وبوجودهم وبالملائكة وبالبعث والحساب والعقاب والثواب ـ نعم ، ان المؤمنين بذلك اقوى ايمان ليجدون ان الاسئلة والاعتراضات التي تنافض وتتحدى ايمانهم اشرس واكثر واخطر من كل الاسئلة والاعتراضات التي قد تتحدى ايمانهم بأي شيء • انه لا احد يستحق الرحمة والاشفاق مثل المؤمن بالاله والاديان لقسوة وقوة وكثرة ما يناقض ايمانه من التحديات والتساؤلات التي لا يستطيع الجواب عن واحد منها •

ان اقوى واشهر عقائد البشر واقتناعاتهم هي عقائدهم واقتناعاتهم التي تواجه من المناقضات والتعقيدات والازمات والاعتراضات اقساها واعتاها واكثرها تعجيزا لمن

يحاول ان يفسرها او ان يعرف جوابا عنها مريحا أو مقنعا أو حاسما أو حتى متفوقا٠ ان مانراه ونسمعه ونحياه ونعاشره ليواجه من اسباب واساليب وقوة النقد والرفض والشك اكثر مما يواجه من ذلك ما نتخيله او نتمناه أو ننتظره ٠

ولعل اصغر واضعف المعتقدات والاقتناعات في كل التاريخ الانساني هي اقلها وقوعا تحت الهجمات والضربات والمناطحات الباطشة المفسدة لراحة ولذة وقوة الاستيقان ٠ ولكن هل في اليقين لذة أو قوة او اي تفسير جيد أو جميل أو نافع أو مريح ؟ أليس اليقين تبلدا وخمولا وضعفا وتثاؤبا عقليا ؟٠٠ أجل ، انها لكثيرة هي الاسئلة التي لا نعرف اجوبتها مع وجود الاجوبة عنها ٠ ان العجز عن الجواب لا يعني انه لا جواب ٠ انه مهما كان الانسان مغرورا أو مهما طلب منه أو وجب عليه ان يكون مغرورا ، فانه لن يستطيع ان يعتقد أو لن ينبغي له ان يعتقد بانه اذا لم يجد جوابا فلا جواب ٠ ولهذا فان جميع الاجوبة التي عرفت عن اضخم واشهر واقسى التساؤلات لم تعرف مرة واحدة أو في مرحلة تاريخية قصيرة ، كما لم تعرف بسهولة٠ وان الاجوبة التي سوف تعرف لن تعرف في محاولة واحدة ولا في زمن قصير ٠٠ حتى اصدق واوضح واكبر الاجوبة ، انها لا تعرف ولا تأتي الا بكل البطء والمقاساة ٠

ان الحقائق والاجوبة لا تعرف ابدا الا متعاقبة وباسلوب بطيء وعصي وكسول جدا ٠ وقد يكون من التمجيد للحقائق وللاجوبة عن الاسئلة المناقضة لها ومن اساليب وضع الاغراء فيها واعطائها قوة السلطان ان تكون متعاقبة وبطيئة ٠ نعم ، لعل الحقائق لا تكون بهيجة أو مفرحة أو ذات مجد الا بقدر ما تواجه من المساءلات والمناقضات الحادة القوية العصية ٠ ولعل الاجوبة عن هذه المساءلات والمناقضات لا تكون كذلك الا حينما يكون مجيئها بمقاساة وعصيان وتباطؤ ٠

ولعل البشر لا يسعدون او يعجبون بحقائقهم أو يطربون ويتحمسون لها الا بقدر ما ترهقهم وتعاقبهم باسلوب مجيئها وانكشافها وبقدر ما يقاسون ويتعذبون من محاولات صد الهجمات القوية الذكية عليها عنها ومن محاولة الاجوبة عن الاسئلة العصية ٠٠ وقد يسعدون ويفرحون ويرضون احيانا اكثر عن انفسهم وعن حقائقهم اذا عجزوا عن صد هذه الهجمات ، مؤملين ان يصدوها في نضالهم الاتي ٠٠
اجل ، هل يمكن ان يجد البشر في اية حقيقة من حقائقهم اغراء أو جمالا أو قوة لو لم تكن مهددة بالهجوم العنيف المخيف ، ولو لم يكونوا خائفين ومشفقين على اقتناعهم بها وعاجزين ولو احيانا عن صد الهجوم عليها لكي يستمروا يحاولون صد الهجوم ويستمروا يعتقدون ويعلنون انهم مناضلون دائمون ؟

هل مجد الايمان أو نشوته أو الحماس له في قيمة أو قوة ما نؤمن به ام في قوة وشراسة المناقضة له والخوف عليه ؟ هل قيمة اي اله أو مذهب تساوي قوة الاقتناع به وتساوي مزاياه الذاتية ام تساوي قوة المناقضة له والتشكيل فيه والخوف عليه والدفاع عنه ؟

أليس محتوما ان يفقد البشر النشوة والحماس والتوهج والنشاط الفكري والنفسي لو ان ايمانهم بحقائقهم فقد كل تهديد وتحد ومقاومة مضادة ؟ نعم ، كم من النشوة والحماس والروعة في ان تكون لك اعتقادات تهاجمها باقوى الاسئلة التي لا تجد أجوبتها ؟ اذن أليس محتوما او محتملا جدا ان يدبر الناس لايمانهم المناقضات والمقاومات لو انهم لم يجدوا ما يناقضه اي يناقض ايمانهم ويتحداه ولو بالاسئلة التي يصعب أو يرهق أو يعجز الجواب عنها ؟ ان البحث عن الاجوبة وصناعة الاجوبة التي تكون مرهقة أو غير مستطاعة أو مقنعة غرض وفن من اغراض وفنون الحياة الانسانية الباحثة عن القلق ٠٠ ان البشر قد يتعمدون أو يتمنون ولو احيانا القاء شيء من الغموض على حقائقهم واخفاء جوانب منها ووضعها او عرضها في موقف المهدد بالخطر والهزيمة وبالهجوم المعادي القوي ، لكي ينهضوا ويجندوا انفسهم ، عضلات وتفكيرا ومشاعر وصيحات وتحذيرا ، دفاعا عنها وخوفا عليها ، لكي يهبوا انفسهم النشوة والحماس واوصاف الابطال المناضلين المهددين بوحوش الاعداء ٠ ان الشعور بالخطر وبالمناقضة والتحدي ومحاولة المقاومة لذلك احتياج نفسي وفكري ومذهبي واخلاقي للانسان ٠ ان فيه لتسويغا لحماقاته وتفاهاته ولرضاه عن نفسه ٠٠

ان التساؤلات المناقضة والمعجزة احيانا ، ومحاولة الاجوبة عنها ، والوقوف موقف المدافع المهدد بالهجوم عليه وبالهزيمة أو الابادة له شهوة ونشوة ورغبة من نشوات وشهوات ورغبات الحياة والبشر ٠ ان الحياة لتحتال ، أو لتنفعل وتكون وكانها تحتال، لتجعل ذلك كذلك دائما في كل القضايا والمواقف ٠٠ ان فيه لفرارا من الخمول والاسترخاء ، واقناعا للذات بان لها رسالة امام نفسها وامام كل شيء ٠ ان القلق والنبض هما مجد الحياة وقيمتها وفرحها وجمالها ٠ ولهذا فان من طبيعة أو من قوانين الاشياء ان الشيء مهما كان واضحا ومرئيا بكل العيون والعقول والحسابات والمحاورات لا بد أن تكون فيه جوانب خفية وتفاسير غير مفهومة وان تهاجمه تساؤلات قوية لا جواب عنها أو تبدو وكأنها لا جواب عنها ٠ ان شيئا ما لن يكون بلا اعتراض أو تساؤل أو عقدة ٠ ولو وجد مثل هذا لما كان له نبض أو جمال أو اغراء أو قوة ٠٠ اذن فان جميع المناقضات والمساءلات مهما كانت شراستها وقوتها لن تستطيع نقض أو اضعاف هذه القضية اي قضية ان العرب بدون تعليم لن يستطيعوا ان يعرفوا أو يلتزموا حركات الاعراب المتبدلة تحت العوامل الكثيرة المتبدلة ، وانهم لم يكونوا في اية فترة من تاريخهم يعرفون ذلك او يلتزمون به أو يستطيعون معرفته أو التزامه ٠ بل ان هذه المناقضات والمساءلات لا بد أن تتحول الى مزيد من الاقناع بهذه القضية ومن الحماس لها والاغراء بها ومن اعطائها النبض والمجد والقدرة على الانتصار ٠٠ انها تحولها الى حياة وتوقد نفسي وفكري لئلا تظل موتا وركودا وتبلدا ٠ أليس اقوى آلهتك حياة ونبضا في نفسك هو الاله المهدد بالموت او بالهزيمة المذلة تحت الضربات والهجمات القوية المضادة التي تخشى الا تستطيع صدها ؟

اذن فليزداد كل انسان اقتناعا وفرحا وسعادة ومجدا واستمساكا بعقيدته او حقيقته او بالهه او مذهبه بقدر ما يواجه من المناقضات والمساءلات الذكية القوية المتحدية التي تحكم عليه دائما بان يعبىء ويجند كل نفسه ، كل اوقاته ، مدافعا صادا الهجمات أو محاولا صدها ، وصانعا الاجوبة التي قد تكون عصية جدا او غير حاسمة أو مريحة . كم هي سعادة ونشوة وفن صناعة الاجوبة الصعبة وغير المقنعة او الحاسمة ..

انه لا وسيلة غير هذه الوسيلة لكي تكون الحياة والاشياء والمعتقدات والحقائق والاوهام ايضا حية نابضة مجددة ملهمة متجاوزة لمناخ وظروف الاسترخاء والخمود والتبلد .. كم انت شاعري الحياة والكينونة بقدر ما يحترق ويتنزى فكرك وخيالك وتاريخك وتعاليمك تحت هجمات الاسئلة الذكية القوية التي لا تستطيع صدها أو اقناعها أو اسكاتها .. التي لا تستطيع رفضها أو اغفالها أو الهاءها أو العجز عن سماع صوتها او الابتعاد عن مرمى طلقاتها ..

ان الحياة بلا مناقضة قوية متحدية كالوجود بلا حياة ، وكالحياة بلا قلب ، بلا حب ، وكالحب بلا محبوب او بلا مكان وظروف وتحريض والهام للحب . ان الحياة بلا سؤال معجز وجواب عاجز تمويت بل واذلال وتحقير للفكر والرؤية والحماس بل وللقلب والايمان والاقتناع ..

ان اعجز العقائد والحقائق عن التحريك والتحريض والالهام بل وعن الاقناع هي التي لا تواجه التحديات المناقضة القوية .. هي التي لا تهاجم وتدافع ، لا تخيف وتخاف بكل التوقد والتوجس والحركة والسرعة والرؤية ..

ان هذه الحقائق والعقائد هي اكثر الحقائق والعقائد موتا وخمولا وعجزا واقدرها على ايقاع الموت والخمول والعجز والبلادة والكآبة بأصحابها . كم هي ميتة ذليلة عاجزة مهجورة منسية تلك الالهة والمعتقدات والنظريات التي لا تهب عليها دائما اقوى الاعاصير لتظل دائما خائفة مدافعة محاكمة محاسبة لنفسها ومنطقها وقوتها لتظل دائما متحركة مغيرة لمواقفها واساليبها وخطوط دفاعها ؟

ان اي وثن يصنع للمؤمنين به الحماس والنشوة والحركة والتسعر الفكري والعاطفي والاخلاقي لهو انفع لكل معاني الحياة من اي الـه تغطي وتذل قدماه الغليظتان كل ارجاء السموات ويزاحم عرشه الذي يجلس عليه بتثاؤب واسترخاء وتبلد كل اطراف الكون اي ان كان مثل هذا الاله الفادح سيتحول الى خمود وبرود فكر واحساس ورؤية وحركة واحتجاج وغضب وكينونة . اجل ، ان اي اله أو مذهب أو نبي أو قائد أو زعيم لا يساوي نفسه بل يساوي المؤمنين به وما يطلق فيهم من نخوة وحماس وجنون متوقد مناضل . اني لا امل ولا استحيي من تكرار رأيي هذا ..

نعم ، ان ضبط حركات الكلمات المتغيرة تحت العوامل العديدة المتناقضة شيء لا يستطاع بالغريزة أو السليقة او السماع او المحاكاة او الاصالة او بالتدين أو الحب أو النظافة او الشجاعة أو العبقرية أو القومية أو الوطنية أو الانسانية أو باخلاق العروبة وخصائصها ومزاياها العريقة ٠٠ نعم ، ان مزايا العروبة ساحرة ٠ ولكنها لن تكون ساحرة في هذه القضية ٠ ان الساحر قد يصبح مسحورا احيانا ٠ انه لرأي يجب ان يصنع الاسى والكآبة اعني الرأي الذي يزعم ان كل نساء واطفال وجهال وتجار ورعاة وجماهير الجاهلية كانوا بالسليقة المولودة يتنقلون بكل الالتزام مع حركات وتبدلات الكلمات المتحركة المتبدلة تحت عديد العوامل المتحركة المتبدلة الا يحتمل ان جمال وخيول العرب كانت في ذلك التاريخ العبقري تلتزم ايضا بقواعد الاعراب ؟٠٠٠

اذن فان اي تشكيك أو تساؤل مهما بدت صحته أو قوته لن يستطيع أن يكون نقضا أو اضعافا لهذه الحقيقة ٠٠ انها لحقيقة يعلنها ويؤكدها ويوقع عليها ويجربها كل التاريخ بكل تجاربه ومراحله واختباراته وبكل نصوصه وقراءاته وتفاسيره ٠٠

اجل ، ان الانسان بكل حياته وكينوناته ومواجهاته وحقائقه ليس الا حشودا هائلة متراكمة متعاقبة من الاسئلة الحادة الدائمة القلقة التي لا جواب عن واحد منها٠ نعم ، ان الانسان بل وكل شيء ليس الا أسئلة متراكمة مهما صمتت هذه الاسئلة وكل الاسئلة ٠٠ انه لو كانت قوة الاسئلة المناقضة التي لا يستطاع الجواب عنها تنفي كينونة الشيء أو حقيقته أو وجوده لما وجد شيء يجب الاقتناع بانه غير شيء وغير موجود وغير حقيقة مثل الانسان ٠٠

اذن فهذه الاسئلة وكل الاسئلة الاخرى المناقضة لهذا الرأي الذاهب الى انالعرب لم يكونوا ، بدون تعليم ، يعرفون أو يستطيعون الالتزام بقواعد الاعراب المتبدل خضوعا للعوامل المتبدلة ، هي اسئلة موجهة الى الانسان والحياة والى اي شيء ، أو موجهة الى الانسان لكونه حياة وشيئا اي لكونه وجودا ، وليست موجهة الى هذا الرأي لانه ضعيف أو خطأ ، أو هي موجهة الى هذا الرأي لكونه رأيا وشيئا اي لكونه انسانا وحياة لا لكونه ضعيفا أو خطأ ٠٠ ان كثرة الاسئلة وقوتها لا تعنيان ضعف الشيء المهاجمة له هذه الاسئلة أو كونه خطأ بل قد تعنيان العكس أو يجب ان تعنيا العكس ٠٠ ان الاسئلة التي يمكن ان توجه الى الانسان لكونه وجودا وحياة وكينونة أو لحسبانه منطقا وشيئا جيدا أو نافعا أو معقولا أو مفيدا هي اعظم واكثر من كل الاسئلة التي يمكن ان توجه الى اي رأي من ارائه مهما كان ضعفه ٠٠ بل ان جميع الاعتراضات والاسئلة المناقضة الموجهة الى ارائه هي موجهة اليه هو لا الى ارائه٠

كذلك ، فان جميع الاسئلة والاعتراضات وكذا الاجوبة ليست موجودة في نفس الاشياء بل في نفس الانسان ٠ ان ذكاء اي شيء وغباءه وكذلك جماله ودمامته ليست في منطق أو تركيب الشيء بل في حياة الانسان ٠ ان الاسئلة والمناقضات التي يمكن توجيهها الى افتراض ان العرب كانوا بلا تعليم يعرفون ويلتزمون قواعد الاعراب

بالطبيعة أو الارث والتوريث أو الحس أو بعبقرية الاذن والفم العربيين أو بموهبة الصدق والالتزام والتقليد والوفاء واتباع الاباء في الانسان العربي ، لا بد ان تكون اكثر واذكى واقوى من الاسئلة والمناقضات التي يمكن ان توجه الى الافتراض المناقض القائل بان العرب لـم يكونوا يعرفون أو يستطيعون ذلك بغير التعليم والتحفيظ المحكومين بكل ألوان المقاساة ، بالاسلوب الذي به يعلمون ويحفظون اسماء وأوصاف واخلاق وتواريخ وحروب وهموم وآلام آبائهم وانبيائهم وابطالهم وآلهتهم المرويين في الكتب والروايات والاساطير ··· الذين لا تستطيع العقول أو الاخلاق ان ترويهم أو تحفظهم أو تفهمهم أو تفسرهم بل أو ان تقرأهم لشمول شذوذهم وتحديهـم ومصادمتهم لجميع النماذج والمقاييس والشروط العقلية والاخلاقية والنفسية ولشمول خروجهم عليها · نعم ، هل يوجد شيء يستحق كل الرثاء مثل العقول أو الاخـلاق التي يحكم عليها بأن تقرأ وتحفظ وتتعلم أوصاف واخلاق وتاريخ آلهة وانبياء وابطال وعباقرة العرب ؟

ان العربي لن يستطيع ، بالسماع أو التقليد او السليقة أو الموهبة ان يعرف أو يلتزم اعراب الكلمات المتغيرة الا بقدر ما يستطيع ان يعرف بقوة ايمانه او ذكائه أو تدينه لون أو طول او اتساع العرش الذي يجلس عليه الهه ، أو من اية مادة صنع أو متى صنع أو من صنعه ، أو متى يبلى ويتحطم من طول جلوس الاله عليه ، وهل ينهض اي الاله من فوقه ، وفي اية فترة من فترات النهار أو الليل ينهض ، وكم مرة ينهض ، واذا نهض اين يذهب أو يجلس ، وهل ينهض للراحة ام لسبب اخر ، لراحته هو ام لراحة العرش ، وهل يجلس على العرش احد سواه حين ينهض عنه ، ومن هذا الاحد الذي يجلس عليه ، واذا جلس عليه هل يكون ملزما بان يؤدي كل اعمال الاله ·· واذا لم يكن ينهض في اية لحظة من فوق عرشه فهل يطيق ذلك أو يريحه أو يسعده ·· هل يمكن تصور عذاب أو خمول أو عجز أو قبح مثل تصور الاله محكوما عليه بالجلوس الابدي فوق عرشه لا ينهض من فوقه ابدا ، سواء أكان جلوسه عليه جلوسا جسديا ماديا أم جلوسا ادبيا وظيفيا ؟ قبيح وبذيء منطق من تصوروا الله فوق عرشه بلا خلاص أو مفارقة ·· نعم ، هل التزامه الدائم الابدي بالجلوس فوق العرش ، ان كان محكوما عليه بهذا الالتزام ، التزام وظيفي أم اخلاقي أم نفسي أم فني ام هو اسلوب من اساليب الالف والعادة ، ام هو بسبب الكسل او العجز أو الشيخوخة أو رهبة المفارقة ، ام هو الخوف من احتمالات ان يكون هناك ممن حوله وفي مملكته ، منافسون متآمرون مغامرون طامحون يحسبون ويحسبون انفسهم ثوارا ، ينوون ان يسلبوه عرشه، ويدبرون ويخططون لذلك وينتظرون الظروف الملائمة للهجوم والتنفيذ ، مثل الذي يحدث اليوم ودائما فوق هذه الارض ولا سيما في العالم العربي وفي كل العالم المشابه للعالم العربي ، من توالي القفزات والمؤامرات على العـروش لاسقاطها وسلبها ·· فهو اذن اي الاله يظل دائما جالسا فوق عرشه بل مصلوبـا

فوق عرشه ، يقاسي من الخوف والعذاب ، توقعا للمؤامرات واحتمالات الاسقاط اكثر واقسى مما قاسى ويقاسي جميع الجالسين على العروش وعلى الحكم ولو الحكم الثوري المغتصب ، من ذلك اي من الخوف والعذاب ٠٠ أليس محتوما او محتملا أن توالي التآمر على الحكم في العالم العربي لا بد أن يصيب الاله بالخوف الرهيب على عرشه ، توجسا ان يكون في من حوله من الاعوان متآمرون سارقون للحكم ؟ هل فكر السارقون للحكم ان الاله قد يتعذب خيفة ان تسرق منه الالوهية بهذا الاسلوب الثوري المتآمر تحت اي شعار ؟

نعم ، ان الانسان العربي لن يستطيع بدون تعليم وتحفيظ ومقاساة ان يعرف ويلتزم بقواعد الاعراب الموضوعة الا بقدر ما يستطيع ان يعرف بقوة ايمانه او تقواه أو ذكائه ، اي بلا انبياء وشيوخ يعلمونه ويلقنونه ـ ان يعرف نوع ملابس الهه أو نوع متعه وشهواته ولذاته ومسراته وتخيلاته وتمنياته وطموحه واحلامه وحبه ، ونوع الرياضة والملهاة والمسلاة التي يمارسها ويسعد بها ويتقنها ، ونوع الجلساء والاصدقاء والمستشارين الذين يرضاهم ويختارهم ويحبهم ويتعامل بهم ومعهم ويعتمد عليهم بثقة وشعور بالامن والمجد والمباهاة ٠٠ او ان يعرف بدون تلقين انبيائه وشيوخه ان الاله يجد سعادته ومجده وحكمته وعبقريته في ان يمرض ويشوه ويقتل ويذل ؟ اجل ، هل يمكن افتراض الاله بدون كل هذا ، وهل يمكن افتراضه وله كل هذا ، أو يمكن تصور هـذا الذي لا يمكن افتراضه اي الاله بدونه ؟

هل يمكن تصور اية صيغة للاله أو تصوره بلا اية صيغة ؟

هل يمكن ان يتقبل اية صيغة أو أن تتقبله اية صيغة ؟

هل تستطيع اية عين ان تراه او يستطيع ان يثبت امام اية عين تريد ان تراه ؟ كيف استطاع اي خيال او فكر أو ضمير او ايمان ان يجد له اي للاله اية صيغة أو أن يجده او يتقبله في اية صيغة أو ان يختزنه في داخله اي عقل متصورا له في اية صورة أو نموذج أو تفسير ولو لحظة واحدة من الزمان ؟٠٠

هل يمكن ان يكون أو ان يقبل بلا اية تفاسير ، أو ان تقبل اية تفاسير توضع له ، او ان توضع له أو فيه اية تفاسير ؟ هل يمكن ان يكون هناك منطق مصابا بالتشويه والقبح مثل المنطق الذي يضع أو يقبل للاله تفسيرا أو صيغة تستطيع العين أو الاذن أو الضمير أو الايمان أو التقوى أو الاخلاق ان تراهما أو تقرأهما أو تسمعهما او تحبهما او تسعد بهما او تقتنع بهما ؟

هل يمكن افتراضه مسرورا سعيدا مستمتعا متفائلا فنانا ذكيا قادرا مريدا محبا جميلا مغنيا ، او افتراضه نقيض ذلك ؟ هل يمكن افتراضه اي شيء أو نقيضه ؟ هل يقبل اي افتراض ان يكون افتراضه ؟ هل يوجد له اي افتراض بين جميع الافتراضات؟

هل يمكن ان يقبل أو يفهم أو يغفر له لو وضع تحت اية محاكمة أو محاسبة أو

مقاييس أو تفاسير أو توقعات ، أو ان يقبل أو يتصور طليقا من كل ذلك ومن كل شيء ؟ كيف امكن الاعتقاد ان اعفاءه اي الاله من كل محاسبة ومحاكمة والتزام واشتراط عليه وله وفيه هو اقوى وانقى اساليب التكريم والتعظيم له ؟

اذن هل يمكن ان يتحول اي الاله الى تفاهم أو تلاؤم أو صداقة أو محبة مع اي عقل يفكر ويفسر ، أو اخلاق تعشق وتشترط ، أو عيون ترى وتقرأ ، أو ضمائر تتقبل وترفض ، تبتهج وتحزن ؟ اذن كيف أمكن ان تتوقف كل العيون والعقول والضمائر والاخلاق عن الرؤية والقراءة والتفسير والفهم والاشتراط وعن التقبل والرفض لكي تراه وتقرأه وتفسره وتفهمه وتجده كل الجمال والذكاء والشروط المطلوبة العظيمة • نعم ، هل رأى الله كل الجمال والذكاء الا العين التي لم تره والعقل الذي لم يقرأه •• والضمير الذي لم يشترط عليه اي شرط ؟

هل حقر أو اهين او عذب شيء مثل عقل الانسان وضميره وقلبه ورؤيته واخلاقه حينما فرض أو حكم عليه أو حاول ان يجد ويرى ويفسر ويفهم ويعقل ويتقبل الاله بكل رؤاه وتفكيره وطموحه ونماذجه وامانيه ومواجهاته واخلاقه ، وبكل ايمانه وصلواته وحبه وشكره وثنائه ؟ ولكن هل طلب بل أو قبل من اي انسان ان يرى الاله أو يفهمه أو يعقله أو يفسره أو يجده أو يتقبله أو يتصوره الا بأذنيه من افواه انبيائه وكهانه ؟ أليست اذنا المؤمن كل علاقاته بالاله ؟

نعم ، هل يمكن ان يفهم أو يقبل أو يغفر أو يتصور مثل هذا الاله بلا تعليم وتحفيظ واكراه الا اذا كان ممكنا معرفة قواعد الاعراب والالتزام بها بلا تحفيظ وتعليم ومكابدة غير جميلة أو سعيدة أو مشتهاة أو حتى نافعة لاي شيء أو لاي كائن ؟

نعم ، أليس القول بان كل عرب الجاهلية كانوا بلا تعليم يلتزمون قواعد الاعراب يساوي القول بان كل افراس العرب واغنامهم وانعامهم في الجاهلية كانت بحسها الفني تنشد قصائد المعلقات الخالدة بكل أوزانها العروضية وقوافيها الموحدة دون ان تخطىء افواهها ناطقة أو آذانها سامعة ؟

غيّروا القـادة ولكن لا تنتظروا أخبـارًا جديدة

« ·· غيروا القادة ولكن لا تقرأوا النجوم او تستمعوا الى مفسري النجوم تفسيرا دينيا أو عربيا · غيروهم ولكن لا تنتظروا انسانا جديدا او قرآنا جديدا ·· لا تنتظروا ان يلد الانسان غير انسان او يلد غير الانسان انسانا او تلد الشمعة شمسا ، أو يلد الانسان المصوت انسانا متكلما اي مفكرا ·· ولكن لا تنتظروا ان يجيء السحاب الى غير ارضه ، أو يتكون في غير طقسه ، او تفيض الانهار التي لا تسقيها الامطار ·· غيروا القادة ولكن لا تنتظروا ان تلد النمال افيالا او الفئران ليوثا ، أو الغربان صقورا أو بلابل ، او يصنع النباح او الزئير مجدا او انتصارا او غناء ، او الوعظ جمالا او ذكاء أو تقوى أو محبة ، أو تصنع رعود الصحراء انهارا ، او تحول المرآة المزورة الوجه الدميم جميلا ·· ولكن لا تنتظروا ان يلد الكائن او الكون غير من حبل به ، او تنبت الارض غير بذورها، او تمطر السماء غير سحابها ، او تحبل بغير نجومها ، او تولد النجوم في غير سمائها ، أو تلدها غير سمائها او تمطر السحابة غير مائها ، او يتخلق النبي في غير شعبه او يلده غير شعبه او يتكلم بغير لغة شعبه ، أو يبعث الى غير شعبه او يجيء اكبر من شعبه ، او يوحي اليه غير ملاكه او ينزل عليه غير كتابه ، أو يفسر كتابه بغيرلغة ومنطق وضعف شعبه ، او يجيء الدجال الى من لا يتضرعون اليه ليجيء او الى من لا تعيش كل اخلاقه في اخلاقهم ··

« ·· غيروا القادة ولكن لا تؤملوا ان يتحول النفط العربي الى مجد عربي او أن تلد الكعبة انسانا يستطيع ان يسير فوق القمر بقدميه غير المستوردتين ، او أن تتخلق في اي نبي او قائد او مفكر عربي مواهب غير عربية اي غير صوتية او أن يتحول العربي الى ثائر حضاري ·· ان يصبح الثوري العربي ثوريا حضاريا ·· »

الى زمن قريب كانت تصدر في العالم العربي مجلة شهيرة ومحترمة وحادة في عروبتها ·· وكان صاحبها يعد من المعلمين والرواد الاوائل ··

كان لهذه المجلة شعار مكتوب على غلافها · مكتوب بثقة واعجاب بل بفرح ، بفرح من يكتشف اكتشافا عبقريا لن تستطيع كل الاكتشافات العبقرية منافسته ·

كان يبدو لكاتب هذا الشعار وقائله انه به يفسر كل اخلاق التاريخ ومنطقه وقوانينه ومسيرته الدائمة في تيهه الطويل العقيم ..

يقول الشعار الكبير في حساب قائله ، بل وفي حساب قارئه :

« المسلمون الى خير ولكن الضعف في القيادة » ..

كانت هذه الكلمة في فم قائلها واذن سامعها تساوي كل ما في الكون والحياة من تفاسير . انها اقتحام لكل قوانين الطبيعة .

يا لها من كلمة سهلة وبسيطة . كان قائلها يظن ان الواقع سهل وبسيط مثل سهولتها وبساطتها . وكثير من الناس يحسبون ان الحقائق سهلة مثل سهولة الكلمات التي تقال لتعبر عنها اي عن الحقائق ، او هكذا يبدو انهم يحسبون ذلك كذلك . ولعل كثيرا من الناس يظنون ان الحقائق الصعبة والمعقدة تصبح سهلة وبسيطة اذا عبروا عنها تعبيرا سهلا بسيطا ..

يقول الصهال الاكبر الذي يظن ويظن له انه يحفر حكمه وكلماته في اقدام التاريخ ، ويكتبها على جبهة الطبيعة ، ويفسر بها جميع قوانين الحدوث والكينونة، جميع قوانين البدء والانتهاء – أي يقول المتنبي

وانما الناس بالملوك ولا ..
يفلح عرب ملوكهم عجم

انه يرى ان الملوك اي جميع انواع الحكام والمتسلطين هم الذين يصوغون الناس ويهبونهم مزاياهم ورذائلهم ، يجعلونهم اذكياء واقوياء ومبدعين واعزة منتصرين ، او يجعلونهم نقيض ذلك ..

يجعلونهم عربا كل عبقريتهم ان يصوتوا او متحضرين مبدعين يفكرون ويتكلمون بصمت ...

ان الفرق بين اعظم المجتمعات واردئها ، بين اعظمها تقدما واكثرها تخلفا هو فرق بين ملوك اي بين سلاطين وخلفاء وقياصرة ورؤساء وثوار وقادة ، وليس فرقا بين بشر او مواهب وطاقات ..

اذن فالشعب العظيم جدا هو شعب ركب فيه او اسقط عليه من فوق النجوم ملوك وقادة وحكام من نوع ما . اما الشعب العاجز المتخلف الفاسد جدا فليس الا شعبا قد ركب فيه او اسقط عليه قادة وحكام وملوك من نوع اخر . اذن فنقل احد الشعبين الى الشعب الاخر انما يكون بنقل النوع الاخر من الحكام والقادة والملوك اليه . اذن فالشعوب لا تقرا ولا تفسر لتفهم نقائصها واسباب عجزها وهوانها وانما يقرا ويفسر حكامها .

ويروون عن الامام احمد بن حنبل ، وهم يريدون تمجيد ذكائه وعبقرية رؤيته وفروسية عقله انه قال :

« لو كانت لي دعوة مستجابة لدعوتها للسلطان لان صلاحه صلاح للامة وفساده فساد لها » ·· ولكن اذا كانت له مثل هذه الدعوة فلماذا لا يدعوها لكل ما في هذا الكون من الام وهموم وذنوب وعاهات ومخاوف ومظالم وحماقات لتزول ؟

ليتعجب من هذا المنطق حتى من لا يملكون موهبة التعجب ·· ليحزن حتى من لا يملكون اي قدر من فضيلة الحزن وموهبة الحزن على قوم هذه قمة منطق وعبقرية احد ائمتهم وعباقرتهم الكبار العظام· انه يهب دعوته التي يعلم انها لا بد ان تستجاب للسلطان لكي يصلح ولكي يتحول صلاحه الى صلاح للناس ، يقينا او ظنا او املا ··

سذاجة عقلية ونفسية لم يقرأ التاريخ ولن يقرأ لها مثيلا الا في عباقرة العروبة وائمتها ··

أليس عبثا وغباء وسخفا لا مثيل له ان تحضر الطبيب او أن تصنعه لكي يشفي المريض او يحاول شفاءه ، اذا كنت تستطيع شفاء المريض دون احضار الطبيب ودون خلقه ، اذا كنت تستطيع شفاء المريض بل شفاء كل مريض وازالة كل مرض بكلمة واحدة تتوجه بها الى احد النجوم التي لا تراها ولا تراك ؟

اليس هذا يساوي في ذكائه وعبقريته التنفيذية ان تذهب تعلم انسانا القراءة أو الكتابة او الرسم او الصلاة أو اية صنعة او موهبة او ان تخلق هذا الانسان ، لكي يحاول بعد أن تعلمه ذلك او بعد أن تخلقه ، ان يعلمك او يعلم ابنك هذا الذي علمته ، او لانك تؤمل ان يفعل ذلك بعد ان تعلمه او بعد أن تخلقه ، دون ان تفطن الى أن السلوك الذي لا يحتاج الى اية معاناة في الذكاء هو أن تعلم حينئذ نفسك او ابنك ما تريد تعلمه وتعليمه بدون هذا الوسيط ؟ اليس هذا يساوي ان تصنع لك رجلا صناعية مؤملا ان تسير عليها وانت تستطيع ان تستعيد رجلك الطبيعية بكلمة تقولها ·· اليس هذا الاسلوب يساوي في خروجه على جميع بدهيات الذكاء والمنطق اسلوب الاله حينما يذهب يقاسي ويقاسي لكي يرسل الانبياء وينزل الكتب والتعاليم ويصوغ تهاويل الترغيب والترهيب ، مؤملا ان يجعل الانسان بذلك يخافه ويحبه ويعرفه فيطيعه ويعبده ويذل ويصلي له ، متعذبا بلهفات الانتظار والتأميل ، وبمشاعر الخيبة والانهزام ، ـ وهل وجد أو يوجد معذب بلهفات الانتظار والتأميل وبمشاعر الخيبة والانهزام مثل الاله ـ نعم ، مع الافتراض انه اي الاله يستطيع بدون هذه الوسائط والوسائل المحتومة هزيمتها ، أن يجعل الانسان وان يصوغه كما يريده ويريد منه ؟ الاله يشقى بصنع اجهزته التعليمية مؤملا هداية الانسان وهو يستطيع هدايته بدون ذلك يقينا لا تأميلا ··

اليس محتوما بل وواجبا ان تحزن لذكاء الاله في هذه القضية بل وفي كل قضية؟ وهل يوجد ذكاء يستحق من الرثاء كالرثاء الذي يستحقه ذكاء الاله ؟ بل هل يوجد ذكاء او سلوك يستحق من الغضب كالغضب الذي يستحقه ذكاء الاله وسلوكه ؟

اذا كان الامام ابن حنبل يملك دعوة واحدة مستجابة ويعلم انها مستجابة ، وهو

يريد ان يهبها لاصلاح الناس فلماذا لا يدعوها لهم مباشرة ليعيشوا كل الهداية والصلاح اللذين يريدهما لهم ، لا ان يذهب يدعوها للسلطان لكي يهتدي ويصلح ، ولكي يتحول اهتداؤه وصلاحه الى أمل في هداية الناس وصلاحهم ؟ انه لمنطق وسلوك لن تخطىء فيه او تضل عنه الحشرات الصغيرة ، فكيف يخطىء ويضل عنه الامام ابن حنبل وكل من ظلوا يروون عنه ذلك باعجاب وانبهار من حكمته وعبقريته؟ هل المعلمون والائمة الكبار هم اضعف منطقا وسلوكا وعبقرية من الحشرات والديدان الصغيرة ولو احيانا ؟

انه لا بد من الاعتذار عن هذه المحاورة التي مهما كانت قيمتها وصدقها فانها ليست هي القضية · ان القضية هنا هي اعتقاد الامام ابن حنبل والرواة عنه بل والجميع بان الحاكم هو الذي يجعل الناس عظماء واتقياء او تافهين وفاسدين ··

اذن وضع هذه المحاورات والمحاسبات هنا وضع لها في غير مكانها · ولكنها لن تكون ظالمة او مظلومة ولا لائمة او ملومة في وضعها هذا ··

ويوجد حديث نبوي مشهور لا يرتاب المحدثون ولا المؤمنون في كون النبي قد قالـه ·

يقول هذا الحديث الكبير المعني فيما يعتقدون ويقررون :

« الا ان في الجسد مضغة اذا صلحت صلح الجسد كله واذا فسدت فسد الجسد كله ·· الا وهي القلب » ··

يرى الذين يريدون ان يبدوا ويفهموا محلقين في فهم اسرار الدين والحياة والتاريخ والبشر ، وفي فهم الاعماق البعيدة لكلمات النبوة : ان المراد بالقلب هنا الذي اذا صلح صلح الجسد كله واذا فسد فسد الجسد كله هو الحاكم اي الملك أو الرئيس أو الخليفة او الامام او القيصر الثائر · كما أن المراد بالجسد هنا المجتمع او الشعب أو الامة أو الناس · ولكن ايهما يصنع الاخر ويهبه ويعلمه ويصلحه ويقوده : القلب ام الجسد ان كان احدهما فاعلا والاخر مفعولا او مفعولا له او به او من اجله ؟ هل القلب فاعل او قائد للجسد اكثر من العكس ؟

ان من القضايا المتقررة التي لا تجوز الاساءة اليها بمحاولة المزيد من الاقتناع بها أو التأكيد لها لدى جميع كتاب العرب ومفكريهم ومؤرخيهم ونقادهم وعلمائهم ان المجتمع المتخلف الفاسد العاجز المهزوم البليد انما يعني حاكما فاسدا او بليدا او شريرا أو رجعيا او عميلا للاعداء ، وان المجتمع المناقض لهذا المجتمع انما يعني حاكما مناقضا في مزاياه لهذا الحاكم · ان الحاكم هو كل الداء وكل الشفاء · كل الامل واليأس ·· انه لا يوجد سبب او تفسير للهزائم او الانتصارات ، للقوة أو الضعف ، للعظمة أو التفاهة ، للتقوى او الفجور في اي مجتمع، غير الحكام والقادة ·

انها لقضية يصعب التشكيك فيها أو محاولة المراجعة لفهمها وتفسيرها او اختراق حواجز الاقتناع بها ·· لقد استراح المفسرون والمفكرون والمعلمون العرب الى

ذلك ـ استراحوا من مقاساة ورهبة التفكير والفهم والرؤية ومحاكمة النفس وتجديدها والتحديق فيها ·

اذن فتخلف العرب وعجزهم وهزائمهم وبلاداتهم واحقادهم وتباغضبهم وجميع قبائحهم ووقاحاتهم النفسية والاخلاقية والعقلية واللغوية لا يمكن تفسيرها الا بالحاكم الذي يحكمهم · كما ان شفاءهم من كل ذلك لا يكون ايضا الا بالحاكم اي بتجديده وتغييره او بنصحه وتوبته واستقامته واصلاح سريرته · ان الفرق بين الشعوب العربية وبين اقوى وارقى واتقى الشعوب لا يساوي اكثر من الفرق بين الحكام والقادة والزعماء هنا وهنا ··

وحتما هم لا يفهمون ولا يفكرون او يتساءلون : لماذا دائما يجيء حكامهم وقادتهم ضعافا أو أشرارا او انذالا او جهالا او اغبياء او طغاة او بلها أو بداة النفوس والعقول والاخلاق واللغات ، او لماذا يجيئون كل ذلك ـ كما لا يفهمون او يفكرون او يتساءلون : من الذي او ما الذي يصوغ ويهب مزايا الحكام ورذائلهم او من اين تجيء اليهم مزاياهم ورذائلهم ، او لماذا يجيئون هنا بكل هذه الرذائل وهناك بكل هذه المزايا ، ومن يقسم عليهم حظوظهم من هذه وهذه ، لماذا هم دائما هناك جيدون ، وهنا هم دائما رديئون · انهم معصومون هنا ودائما من اخلاق ونيات ولغات وخواطر المساءلة والمحاسبة والرؤية المحدقة ··

لقد كانوا يؤمنون بهذه القضية بالاسلوب أو المنطق الذي به يؤمنون بان للاله عينين يرى بهما كل شيء ، كل الرؤية ، كل الوقت ، دون ان يفهموا او يفكروا أو يسألوا : هل هذا محتمل، هل محتمل ان يكون الاله يرى ، وهل من لذته او سعادته أو راحته او مجده او شهامته او عبقريته ان يرى كل هذا ·· وهل يطيق ان يرى كل هذا دون ان تقتله رؤيته لعاره ولقسوته ولخروجه على جميع نماذج ومستويات الجمال والاحساس الفني والذكاء والرحمة والعدل ·· دون أن يموت خجلا واشمئزازا وكرها ورفضا واستقباحا لوجوده ولقدرته وموهبته ولاشواقه وصيغه النفسية والاخلاقية والعقلية · رهيبة قبيحة هي كل صيغه ، اي صيغ الاله · كيف يطيق رؤيتها ؟

نعم ، دون أن يفهموا او يفكروا او يسألوا : من الذي ركب فيه عينيه ، ولماذا ركبتا اي عينا الاله بكل هذه القسوة والقبح والوقاحة والبلادة والفضول والموت والعجز عن الاستجابة وعن الحب والشهامة والانفجاع والارتياع والاستحياء · هل يمكن تصور بلادة تساوي بلادة عيني الاله اللتين تريان كل هذا دون ان تعميا ؟

ان الايمان بان الاله يرى لهو ايمان لن يتفوق عليه اي ايمان اخر في نذالته ووحشيته وبلادته · انه لايمان اكثر بلادة وسخفا من الايمان بان الحكام والقادة والزعماء والانبياء والمعلمين هم الذين يهبون الناس عبقرياتهم وتفاهاتهم ، جمال

وجوههم ودماماتها ، قوة عضلاتهم وضعفها ، صفاء ضمائرهم وتلوثها ٠٠ ان الانسان لم يهج شيئا مثلما هجا الاله حينما اعلن وآمن ان له اي للاله عينين مبصرتين ٠

نعم ، انه اي الاله ينتظر في هذه اللحظة وفي كل لحظة بكل رؤيته ، بكل اتساع عينيه ان هذا الحيوان او الطفل او الشيخ الذي تجمعت عليه كل الالام والعاهات والجراح والضربات يتلوى ويتمزق ، مستغيثا صارخا متطلعا الى السماء والى كل الجهات ، منتظرا النجدة مطالبا بها بلا سميع او مجيب ، دون ان يكره اي الاله نفسه أو يلعنها او يخجل منها او يصلبها او يفقأ عينيه ، بل دون أن يبكي أو يحزن او يهرب او يكف عن الرؤية ، بل دون ان ينزل عن عرشه ويحوله الى حريق ليحرق بناره بلادة وفظاظةونذالة عينيه٠ انه لن يمكنتصور أي احترام أو رحمة للاله مثلقتل عينيه أو محاولة قتلهما او تمني قتلهما ٠

انك تؤمن بذلك ٠٠ اذن هل يوجد اوقح او اقبح منك ايمانا ؟

اي انك تؤمن بان للاله عينين تريان كل هذه الاحزان والالام والتشوهات دون أن يقتل او يكره عينيه ٠٠ ان ايمانك اذن للعنا وتحقيرا لمن تؤمن به ٠ الاله يرى كل هذا بصمت أو بنشوة ٠ هل يوجد أوقح من عينيه ؟ من الذي ابتكر الايمان وعلمه الانسان ؟ من الذي اراد تشويه الانسان بكل هذه القسوة ؟ هل شوه الانسان شيء مثلما شوهه ايمانه ؟ وهل شوه الانسان شيئا مثل تشويهه لمن يؤمن بهم او لما يؤمن بـــه ؟

أليس الايمان اقسى اساليب التشويه للمؤمن ولايمانه ولموضوع ايمانه ؟

هل صغر الانسان في شيء مثلما صغر في ايمانه او هل صغر شيئا مثل تصغيره لمن آمن به او بهم او بها ؟

انه كثيرا ما كان يحاصرهم ويخيفهمويحرجهم باسئلته ومحاوراته المقلقة التي لا تجد جوابا ، والتي مهما ذكروا من اجوبة عنها وامتدحوا اجوبتهم عنها واعلنـــوا اقتناعهم بها فانهم يعرفون من داخلهم انهم لم يجدوا او يذكروا جوابا يقنعهم او يقنع احدا ، وانهم لن يستطيعوا ان يجدوا أو يذكروا هذا الجواب ٠٠

كان يقول لهم بكل قسوة الصدق وايلامه وبكل اغرائه ، وهل يغري الصدق احداء حتى الذين قد يصدقون هل يصدقون اغراء ؟ نعم ، كان يقول لهم :

« لو ان جميع زعماء وقادة ومصممي ذلك البلد ـ ويذكر بلدا معينا ـ قد اختفوا بضربة واحدة مفاجئة ، بان قتلوا او ماتوا او هربوا او اسرهم احد حكام العرب الثوار ، وفيكل لحظة قد يحدث هذا التفسير الاخير ، اي ان يأسرهم احد حكام العرب الثوار ، وعلى الجميع ان يتوقعوا حدوث ذلك في كل وقت ـ نعم ، لو أن جميـع هؤلاء اختفوا بهذا الاسلوب الشامل المفاجىء لكان محتوما ان يصعد مكانهم فورا زعماء وقادة ومصممون اخرون ليقودوا ذلك البلد بنفس الذكاء والصدق والبراعة والاخلاص والعبقرية ، أو بمواهب وطاقات اعظم ، بصمت واتزان وتواضع ٠

« .. وايضا لو ان جميع زعماء وقادة وحكام العرب في جميع بلدانهم الثورية والرجعية ، الملكية والجمهورية ، الاشتراكية الشرقية والرأسمالية الغربية ، قد اختفوا بنفس الاسلوب الشامل المفاجيء ، لكان محتوما ايضا أن يقفز الى مكانهم فورا زعماء وحكام وقادة اخرون لا يقلون عمن ذهبوا عجزا وكذبا وصراخا ووقاحة وبلادة وانهزاما وغرورا وبداوة نفسية وفكرية واخلاقية ولغوية واستعراضية اعلانية صوتية .. »

نعم ، انه كثيرا ما كان يهوى على خمودهم وعقولهم واقتناعاتهم البليدة الخامدة ، وعلى آذانهم وكبريائهم الموروثة والمعلمة يدقها ويدقها بهذه الافتراضات والتصورات الرهيبة في قوتها وصدقها وفي تجريحها وتعجيزها .. ولكن هل كان القوم الذين كان يحاور ويسائل يستقبلون اية محاورة أو مساءلة ذكية وقوية ؟ اليسوا خمودا وموتا ؟

وكان احيانا يقسو جدا في صدقه وصراحته غير المعروفة او المغفورة في المجتمعات التي يعيش فيها . اي انه كان في مقارناته حينما يقسو جدا يذكر لهم بلدا عدوا جدا ، لا يتحدث جميع العرب بكل السنتهم واصواتهم ومذاهبهم ، من فوق جميع منابرهم ، ومن فوق جميع منابر كل العالم عن شيء مثلما يتحدثون عن خوفهم منه وعن ضخامة وشمول خطره عليهم ..

نعم ، انهم يتحدثون عن هذا العدو تحدثا لا تتحدثه النعامة عن الصقر او الذئب او عن الصياد ..

كان يقول لهم وكانه يريد ان يفجر فيهم كل تعبيرات الغضب والغيرة والحماس: لماذا يتعاقب زعماء وقادة هذا البلد العدو على قيادة بلدهم اي البلد الذي نهبوه ، وعلى صياغته بمستويات تتعاظم في قوتها وذكائها ودهائها ، حتى لكأن في احشاء هذا الكون الها قد تعهد بوفاء لهم بان ينتقل الى كل زعيمهم أو قائد لاحق منهم كل المواهب المتفوقة التي كانت في الزعيم أو القائد السابق ، مضيفا اليها كل المواهب الجديدة المتخلقة أو المولودة في القائد أو في الزعيم اللاحق . لقد كان كل زعيم وقائد من هؤلاء الاعداء يجيء وكأن فيه قدرة خارقة لتمتص كل مواهب ومزايا كل من قبله لتتجمع فيه مع مزاياه ومواهبه الجديدة المتفوقة .

ثم يقول اما الزعماء والقادة العرب فانهم يظلون يتعاقبون على شعوبهم بمستوى شامل دائم فاجع من الضعف حتى لكأن الطبيعة قد حشدت كل نذالتها وقبحها لكي تجعل ضعفهم ضعفا لا يستطاع ابتكار او تخيل ضعف اردأ منه . انظروا بكل رؤيتكم . هل جاء قائد عربي واحد لم تتجمع فيه اردأ المستويات لكل انواع الضعف ؟

هل جاء قائد او نبي عربي واحد لم يستوهب او يسرق من كل الضعف كل معانيه وتفاسيره ؟

انه لتصور او افتراض مخيف صادم بل مهين مذل · ولكن هل هو تصور او افتراض ؟ أليس واقعا مشهودا بالديمومة يعاقب ويفجع كل رؤية وتفكير ومساءلة ومحاسبة ؟ اليس تعاقب قادة العرب يؤكد اقسى تأكيد هذا الواقع الذي طرح باسلوب الافتراض ، كما يؤكده بكل هذه القسوة تعاقب قادة هذا البلد العدو ؟ ان كل قائد عربي يجيء وكأن جهازا خارقا قد ركب فيه لينقل اليه كل الضعف الذي كان في كل القادة العرب قبله · كيف استطاعت الطبيعة أن تجعل كل قائد ونبي عربي ناقلا كل ضعف كل من كانوا قبله إلى ضعفه ؟

وكيف يمكن او يجب ان تفهم وتفسر هذه القضية ؟

ولكن كيف حدث ان تحتاج هذه القضية الى تفسير ، او ان يقع خطأ في تفسيرها ؟

ان الشعوب أو المجتمعات لا تساوي قادتها او زعمائها او انبياءها ، ولكن قادتها وزعماءها وانبياءها يساوونها ، وانها لا تفسر بهم ولكنهم هم الذين يفسرون بها · انها اي الشعوب والمجتمعات هي التي تلد قادتها وزعماءها وانبياءها ، وتلد خصائصهم المتفاوتة والمتناقضة القيمة · انها هي ارضهم وبذورهم ومناخهم وسحابهم وانهارهم وينابيعهم ، وليس العكس · انهم لا يكونون ولا يهبون الا ما تهب لهم وتزرع فيهم ·

انها بمواهبها وخصائصها العرقية والذاتية والبشرية الانسانية هي التي تركب وتزرع فيهم وتنقل اليهم وتورث لهم بل وتفرض عليهم جميع عضلاتهم العقلية والمنطقية والنفسية والاخلاقية والحضارية مثلما تصنع لهم عضلاتهم الجسدية ومثلما تفرض عليهم لونهم ونماذجهم البدنية الاخرى· انها تصنع لهم قوتهم وضعفهم بالمنطق والالزام اللذين بهما تصنع لون جلودهم وعيونهم ··

ان هذه العضلات والنماذج المختلفة لا تنتقل اليهم من خارج شعوبهم ومجتمعاتهم التي ولدتهم وصاغتهم ، او تلقى عليهم من فوق النجوم ، كما انها لا تنبت فيهم نبتا شيطانيا أو طفيليا معزولا او مستقلا عنها ··

ان العضلات العقلية والاخلاقية والنفسية والحضارية تنتقل وتورث وتزرع وتركب كالعضلات البدنية ··

ان هؤلاء الزعماء والقادة والانبياء اذا جاءوا ضعفاء أو اغبياء أو انذالا أو مهزومين أو معتوهين أو خامدين أو فاسدين أو لصوصا وكذبة فالمذنب والمسؤول والفاعل لذلك هي شعوبهم ومجتمعاتهم التي زرعت وانبتت فيهم جميع صياغاتهم ، كما ان المسؤول عن الطفل الذي يولد مشوها أو ضعيفا أو مريضا هي الاعضاء والذوات والظروف المناخية والقوانين الوراثية التي تخلق فيها وتلقى منها كل خصائصها واملاءاتها وشروطها الرديئة دون أن يكون له أي اختيار أو علم أو تدخل أو قدرة على

الرفض او المقاومة · لقد تلقى القادة والزعماء والحكام مواهبهم الجيدة أو الرديئة كما يتلقى الوجه جماله ودمامته ··

اذن فهؤلاء القادة والزعماء والانبياء التافهون العاجزون الاغبياء مظلومون ومعتدى عليهم مهما بدوا او حسبوا او كانوا ظالمين ومعتدين جدا بالمنطق الذي به هذا الطفل الذي ولد مشوها او ضعيفا او ابله معتدى عليه ومظلوما · ان لوم الوليد المشوه او الدميم او المريض دون لوم الاعضاء التي ولدته ليس اكثر غباء او ظلما من لوم القائد البليد او الضعيف او الاحمق او الفاسد دون لوم المجتمع الذي افرزه ··

كانوا دائما يتحدثون عن الائمة وعن انهم هم الذين صنعوا وثبتوا الام اليمن وتخلفه وضعفه الرهيب · وكانوا يجدون في هذا التحدث وهذا الاقتناع الذي لا يخاطبه او يحاوره اي شك او مراجعة تفسيرا سهلا وغفرانا لعجز وذنوب كل من عدا الائمة الحاكمين · كان ذلك نوعا من الغفران للصحراء المصابة بالقحط للالقاء بالذنب كله على النبتة التي ولدتها الصحراء ضعيفة ذابلة ·

اما هو فكان يقول لهم وكانه يهزل بينما كان جادا كل الجد : اليس الشعب اليمني هو الذي صنع الام وتخلف وضعف وجاهلية وفساد أئمته ؟ أليس هو الذي ولدهم وصاغهم ورباهم ضعفاء وجاهلين ومتخلفين وفاسدين وطغاة ، او هو الذي لم يلزمهم او يعلمهم او يوح اليهم او يفرض عليهم ان يكونوا شيئا افضل واقوى من ذلك ؟

اليس الشعب هو المولد والمناخ والتربية والوحي والنموذج والسماع والقراءة والرؤية الاولى والدائمة التي تلقاها الائمة ؟ اليس المعلم الاول والدائم ؟

كيف تتهم النبتة بضعفها او برداءة نوعها ولا تتهم ارضها او بذرتها او مولدها او مناخها او ظروفها بكل ذلك ؟ ايهما اكثر ظلما وغفلة : اتهام هذه النبتة بما فعلت بها ارضها وظروفها ام اتهام ائمة اليمن بما فعل بهم شعبهم ؟

كيف يتهم الوجه الدميم بانه هو الذي صنع دمامته وتشوهاته ؟ اليس الذي وهبه دمامته هو جسده المحكوم بظروفه وباحتمالاته وطاقاته وبكل خصائصه العرقية والوراثية ؟

اليست مسؤولية ائمة اليمن في شعبهم وعنه تساوى مسؤولية الوجه الدميم عن جسده وفيه ؟

ان ائمة اليمن لو ولدهم ورباهم شعب قوي متحضر لجاءوا كذلك حتما ، ولكان ذلك خيرا لهم واعظم مجدا · ان فساد الائمة وعجزهم ليسا ربحا ولا مجدا لهم بل لقد كانا عدوانا عليهم وظلما لهم واخذا من سعادتهم ··

ان كل ذنوب ائمة اليمن ونقائصهم لا يمكن تفسيرها الا بان الشعب الذي ولدهم ورباهم واوحى اليهم لم يكن شعبا اخر ، اعظم واقوى · اذن لقد كانت حظوظهم واقدارهم رديئة جدا · انهم ليستحقون الرثاء والمجاملة لا الغضب ولا الاتهام أو

العتاب ٠٠ ارثوا لائمة اليمن لانهم لم يكونوا من شعبيلدهم ويصوغهم ولادة وصياغة اعظـــم ٠٠

انه مهما كان المفروض او المعتقد او الواجب المطالب به ان يكون القائد وكل من في معناه بستانيا أو زارعا يصنع البستان والحقل ويهبهما النماء والجمال والبذور الصحيحة القوية ، ويحميهما من الإفات والامراض ، ويختار لهما اجمل المزايا وافضل الثمار ، فانه اي القائد ليس الا نبتة او شجرة في الحقل او البستان يتلقى منهمـا اي من الحقل والبستان كل معانيه واخلاقه ومذاقاته وكل جودته ورداءته ، قوتـــه وضعفه ٠٠ ليكن القائد في المجتمع بمكانة الوجه والعضل والراس فمن الذي يصنـــع ويصوغ الراس والوجه والعضل ؟ وهل يستطيع ان يكون غير ما وضع ويضع فيه الجســم ؟

نعم ، ان القائد مهما كان بستانيا وزارعا فانه لن يكون كذلك او لن يؤدي عمله الا بما وضع فيه الحقل والبستان من جودة ورداءة ومن قوة وضعف ٠ ان البستاني اذن هنا هو البستان وان الزارع هو الحقل ٠ اذن فعيوب البستاني والزارع لن تكون الا عيوب البستان والحقل ٠ ان العلاقة بين هذا وهذا كالعلاقة بيـن الجسم والعضل ٠٠

ان شجرة او نبتة من البستان او الحقل قد وضعت في مكان البستاني او الزارع او زعمت كذلك ٠٠٠

ان القادة والشعوب ليسوا نوعين من الناس ، يحاسبان او يفسران او يكونـان مفصولا احدهما عن الاخر بمزاياه او برذائله ، ولكنهما نوع واحد من البشر ، تنتقل العصي والظهور بين احاده او بين جماعاته ، او يتبادل احاده وجماعاته الظهور والعصي ٠ لهذا فلن تكون خصائص وتفاسير حاملي العصي غير خصائص وتفاسير حاملي الظهور او اصحاب الظهور ٠٠

ان حامل العصاة والضارب بها لم يتعلم اخلاقه وتفكيره وضميره وجراته ويوهب عضلاته بل وعصاه ومواهب عصاه الا من حامل الظهر المضروب ٠٠ انه لن يكون احد الفريقين افضل او اردأ اي في الافتراض الدائم أو في المحاسبة الدائمة الشاملـة ٠ اي اذا حوسبا كفريقين لا كافراد في فريقين ٠٠ هل تستطيع اية عصا ان تتعلم او توهب اخلاقها او قوتها او جراتها او ذكاءها او تدينها الا من الظهر ؟

ان نسبة العجز او الرداءة او الغباء او الوقاحة او الموهبة الصوتية في احـــد الفريقين اي حاملي الظهور وحاملي العصي لا بد ان تكون هي نفس النسبة فـــي الفريق الاخـــر ٠٠ اي محسوبة الفروق بين اعداد الفريقين ٠٠

ولو اختلت هذه النسبة لكان اختلالها يعني اختلافا وتفاوتا بين الاحاد بدا وكأنه تفاوت او اختلاف في توزع المزايا بينهما اي بين فريق حاملي العصي والتيجان وفريق حاملي الظهور ولابسي القيود ٠٠ ولان ذلك كذلك فان البشر دائما وفي كل التاريخ

يتبادلون العصي والتيجان والظهور والقيود ، يتبادلون الاماكن والايدي· وانهم حتى اليوم لم يستطيعوا ان يكونوا الا حاملي تيجان وسيوف وعصي ضاربة ، والا لابسي قيود وحاملي ظهور مضروبة ··

والحاملون اللابسون لهذه ليسوا في تفاسيرهم او مواهبهم او ولادتهم غير حاملي هذه ، ليسوا اعظم أو اقوى أو أردأ أو اضعف منهم اي في خصائصهم وطاقاتهم الذاتية المولودة والموروثة والمكنة ·· انهم لا يقسمون الى هؤلاء او الى هؤلاء محاسبين بفضائلهم او برذائلهم ··

وهؤلاء الذين يزعمون او يعتقدون ان القادة والحكام هم الذين يقدمون الشعوب ويصلحونها ، وهم الذين يؤخرونها ويفسدونها يريدون ان يجعلوا الشعوب العربية غير مسؤولة عن عجزها وتخلفها وفسادها بل وغير قادرة على أن تفارق ذلك حتى تتفضل الالهة الغافلة المسترخية فوق عروشها المتشوهة البالية من التقادم والاهمال ، او حتى تتفضل الاقدار والحظوظ الضاربة المعادية او الواهبة المصادقة بلا منطق او عدل او استحقاق ـ نعم ، حتى تتفضل هذه او هذه فتخلق لهم من الغيب ، او من الفناء والهباء ، او من اجنحة الملائكة وصلواتها ، او من تراب النجوم ، او من اشعة الشمس الضائعة الضالة في الفضاء ، قادة وحكاما وانبياء يزرعون في عقولها واخلاقها وضمائرها وقلوبها واحاسيسها وعضلاتها العبقرية والتقوى والقوة والحماس والحب والصدق والوقار والذكاء والنظافة والكره والرفض للهدير والصهيل والنعيب وللبذاءات والوقاحات والدعاوى المغرورة المتحولة الى بديل عن كل موهبة وعن كل معنى جيد مهذب ·

نعم ، ان هؤلاء يريدون بزعمهم واعتقادهم هذا اثبات براءة الشعوب العربية من ذنوبها وتخلفها وعجزها ، او لا بد أن يعني هذا هذا ·· ولعلهم لم يريدوا اتبرئة الشعوب العربية من ذلك الا لكي يبرئوا انفسهم · لعلها انانية لا شهامة ·· محظوظة جدا بان كل المتحدثين والمفسرين منها يدافعون عنها حتى طغاتها وجلادوها يفعلون لها ذلك · انه ليس هذا فقط · بل أن هؤلاء ليرون ويقولون او يقولون فقط : ان في داخل ذات الانسان العربي لشحنات هائلة ، بل شحنات لا مثيل لها في ما حدث ، ولا في ما يتوقع ان يحدث ، ولا في ما يمكن ان يصعد اليه أي تصور · انها شحنات من كل أنواع العبقرية بكل انواعها وموضوعاتها وتفاسيرها · انها شحنات تستطيع ان تتحول الى قفزات حضارية وانسانية لا تجرؤ الشموس ان تحدق فيها رهبة واستحياء وتواضعا وتأدبا · ولكنها معتقلة داخل ذات الانسان العربي ، لا يمنعها من الانطلاق والتفجر والتعبير الا القادة والحكام الفاسدون الضالون الجبناء العملاء الجهال الانذال · ولكن هل منعوها من الانطلاق لانهم لم يقودوها ويأمروها ام لانهم اخافوها ام لانها استحيت واشمأزت ان تعمل بقيادتهم وفي عهدهم ؟

انهم ليقولون : ان العرب عمالقة وعباقرة وملائكة يحكمهم حكام وقادة وزعماء من

الاقزام الابالسة التافهين ·· انهم اكثر من مائة مليون ملاك عملاق عبقري يحكمهم ويستعبدهم ويفسدهم عشرات فقط من الابالسة الصغار الفاسدين الاغبياء ·· !

لقد سمعتهم كثيرا يقولون ذلك وحاورتهم في قولهم هذا · وقد شعروا بالاشفاق علي وبالرثاء لي لانني لم استطع الاقتناع بهذا الذي يقولون ويعتقدون ·· ان اقوى ما في تفاسير الانسان العربي للاحداث وللاشياء قوة ايمانه بها اي بتفاسيره · بل أن تفاسيره لا تساوي سوى اعجابه بها وعجزه عن محاسبتها · ان اردأ ما في تفاسير العربي لاي شيء انه لا يستطيع تخطيها اي تفاسيره مهما تخطاها كل شيء حتى ولو تخطاها هو بكل تفاسيره ··

ان هذا التفسير للانسان العربي لهو نوع من الهجاء الفظ الذي اريد به الامتداح والدفاع ، والذي حسب امتداحا ودفاعا ·· اليست جميع مدائح العرب لانفسهم أو لغيرهم وكذا جميع اساليبهم الدفاعية لن تكون في جميع تفاسيرها الا هجاء وهجوما فيهما كـل معاني الفظاظة والفحش والقبح والغباء ؟

ان هؤلاء المدافعين والمفسرين لم يفطنوا الى انهم لم يحلوا المشكلة او يفسروها بل لقد عقدوها او فعلوا فعل من يريدون تعقيدها ، دون أن يعرفوا او يقصدوا ، وانهم ايضا بذلك لم يتحولوا الى مادحين او مدافعين عن انفسهم او عن مجتمعاتهم بل لقد اصبحوا بذلك هـم اقسى واغبى الهاجين الذامين المهاجمين بوقاحة ··

كيف لم يقرأوا او يسمعوا او يروا او يسألوا هذه الاسئلة التي لا بد ان تطاردهم وتحاصرهم · ان اي عقل مهما كان حجمه وبلادته واميته وعماه وخموله لن يستطيع الا يصطدم بهذه الاسئلة ، ولن يستطيع ان يعجز عن قراءتها او رؤيتها او الاحساس بمواجهتها مهما اراد هذا العجز ودبر له ··

ما اقدر الانسان العربي على العجز عن الرؤية والقراءة والمساءلة والتصادم وعن الاحساس بالتناقض حتى ولو كان المناقض او النقيض هو الكون كله متحولا الى عاهات وتشوهات وخطايا وذنوب وقبائح لتتجمع وتتفجر كلها في عقله وضميره وعينيه وفوق اخلاقه بل وفوق اربابه وانبيائه واديانه وداخل معابده وهياكله · ان الانسان العربي لم يوهب شيئا بكل السخاء مثلما وهب العجز عن الرؤية والقراءة والمساءلة والاحساس بالمناقضة ·

ولعل هذا العجز هو احدى عبقريات الانسان العربي الاصيلة التي لا يستطيع شيء ان يهدمها أو يهزمها او ينافسها ، بل التي لا يستطيع احد ان يفهمها او يغفرها · بل لعل جميع عبقريات العرب عبقريات لا يستطاع هدمها أو هزيمتها كما لا يستطاع فهمها او غفرانها أو منافستها ، بل انه لا احد يريد منافستها ··

أليس محتوما ان تقول لهم هذه الاسئلة بكل الصراخ وبكل الهمس ايضا ، بكل الغضب والانزعاج ـ ان تقول لهم :

اذا كان القادة والحكام هم الذين يهبون الشعوب عبقرياتها وحضاراتها وتقواها

فلماذا لم يهب حكام وقادة العرب ذلك بل ولا شيئا منه لشعوبهم ؟ لماذا لم يفعل ذلك قط حاكم او قائد عربي واحد لا من الثوار التقدميين الاشتراكيين ، ولا من الاخرين المناقضين ، لا من الذين يقولون : قال الله ، قال محمد ، قال القرآن او الانجيل ، ولا من الذين يقولون قالت المذاهب والنظم والنظريات المعاصرة ؟ لماذا لم يفعل ذلك نبي او خليفة عربي واحد ؟

هل يمكن تفسير هذا بانهم عاجزون جميعا اي حكام العرب وقادتهم وانبياؤهم وانهم مستمرون في هذا العجز ومتساوون في مستويات ونماذج عجزهم مهما تفاوتوا في مزاعمهم وفي ارتفاع اصواتهم ، او تفسيره بانهم جميعا متآمرون على شعوبهم ومدبرون مخططون لابقائها في تخلفها وعجزها وهوانها ؟ هل يوجد تفسير لهذه الظاهرة غير هذين التفسيرين ؟

ولكن لماذا خص جميع قادة العرب وحكامهم وانبيائهم مهما تكرروا وتعاقبوا بهذا العجز او بهذا التآمر والغدر دون جميع قادة وحكام وانبياء الشعوب الاخرى العظيمة ؟ من دبر هذا وأراده ولماذا ، وهل جاء بتدبير ؟ وهل جاءوا جميعا اي حكام العرب وقادتهم وانبياؤهم بهذا العجز او بهذا الغدر لانهم اصبحوا يحكمون ويقودون العرب ام لانهم جاءوا ولادة ووراثة وصياغة العرب ، اي لانهم جاءوا مستويات وطاقات عربية ؟

هل العرب علموا قادتهم وحكامهم هذا العجز والفساد ام ورثوهم اياهما توريثا ؟

ام هل يمكن تفسير هذه الظاهرة البائسة بعجز الشعوب العربية عن التكافؤ مع قادتها وحكامها وانبيأئها ، لهذا عصتهم او عجزت عن فهمهم او استصعبت تكاليف طاعتها واتباعها لهم ، اي انهم جاءوا بعبقريتهم وتقواهم وبتعاليمهم وطموحهم وخططهم اكبر من الانسان العربي ، اكبر من عقله وقدرته ، وعضلاته وشجاعته ؟

وهذا التفسير نقيض للتفسير السابق القائل : ان العرب عمالقة اتقياء يحكمهم ويقودهم اقزام اشرار ٠٠ القائل بان العرب هم دائما شموس, يطفئها أو يخفيها الظلام ، وانبياء يخدعهم ويهزمهم ويحكمهم الدجالون ، فيطيعون ويتبعون ٠

وهذا التفسير النقيض يوجد من يقولون به ومن يرونه ٠٠ اجل ، فمفسرو العرب يقولون احيانا ان الانسان العربي اكبر واعظم من قادته وحكامه واحيانا يقولون العكس ٠

وانهم لكثيرون اولئك الذين يقولون ويرون ان انبياء العرب وخلفاءهم وائمتهم وكثيرا من قادتهم هم بتعاليمهم وذكائهم واخلاقهم وتقواهم وبكل تفاسيرهم اكبر من الانسان العربي ، هم عمالقة وعباقرة وملائكة جاءوا ليقودوا ويعلموا قزما تافها فاسدا شريرا هو الانسان العربي ٠ انهم ليوث وافيال جاءوا الى نمال وارانب ليصنعوا منها ليوثا وافيالا ٠ انهم اروع نشيد يغني لاذان صماء ٠٠

بل ان جميع معلمي العرب ودعاتهم ووعاظهم ومصوتيهم ليرون ويتحدثون بكل الغرور والاعجاب والمباهاة بل بكل مشاعر واخلاق التقوى الدينية والتاريخية والوطنية بان الانسان العربي بجميع تفاسيره واحتمالاته اصغر جدا من انبيائه وخلفائه وسلاطينه وقادته الاوائل واصغر من كل ما جاءوا به من تعاليم وشرائع واخلاق وكتب مقدسة ومن نبوات ٠٠ ان العربي ليحاول ان يمجد الهته وانبياءه وخلفاءه وقادته بتحقيره لنفسه ٠ انها موهبة عربية عريقة ٠٠

منذ سنوات قليلة كان يوجد هنا زعيم عربي مثير ثم ذهب باسلوب ماساوي له وللشعب الذي كان يحكمه ويصنع مآسيه بل للعرب في كل عصورهم ٠٠ ذهب مخلفا وراءه هزيمة سوف تظل عارا وتشويها لكل التاريخ بكل تفاسيرها ٠٠

وقد قيل وحتى اليوم يقال : ان حجم هذا الزعيم كان اكبر جدا من حجم قومه ، وكانت عبقرياته ورؤاه اكبر واوسع كثيرا من كل ما قد يستطيعون ان يفعلوا او يفهموا او يريدوا او يتقبلوا او يتحملوا ٠ لهذا قادهم الى الهزائم والمآسي والعار على مستوى لا نموذج لـه في مأساويته لانه كان اضخم عملاق يقف ويتحرك ويقاتل فوق اصغر وأضأل قزم ٠ لقد عجز القزم عن حمل العملاق الذي هو اكبر واثقل وزنا من جميع العمالقة ٠ فكان محتوما ان يسقط القزم اعياء ورهبة ورعبا ليتمزق هو ولينتهي العملاق بالاسلوب المأساوي الملائم الذي انتهى به ٠ لقد انهار الحامل فانهار فوقه المحمول ٠٠

لقد قتل اضأل قزم اضخم عملاق لانه عجز عن حمله ٠ انه اقبح قتل واعجبه ٠٠

ان اقواما ليقولون ذلك بانبهار وغيبوبة من الفـــرح والاقتناع ومن ضخامـــة الاكتشاف الذي توصلوا اليه ، ومن اعجابهم بانفسهم وبذكائهم لانهم استطاعوا ان يدركوا ذلك ويعلنوه ٠٠

لقد صرع الشعب القزم قائده العملاق لانه عجز عن حمله وفهمه واستيعابه وعـن السير وراءه او معه وعن الايمان به ٠ لقد القى الجسد برأسه لانه لا يستطيعه او يفهمه ٠

وقد سمعت ذات مرة ، منذ وقت قريب طبيبا عربيا يقول في اجتماع حافـل : لقد ذهب هذا الزعيم بالاسلوب الحزين الذي به ذهب لانه كان عظيما جدا وكان شعبه العربي كله حقيرا جدا ٠ وكان يكرر كلمة « كله » ٠ ثم يشير بيده الى نفسه ويقول : انا احد العرب الحقراء الذين لم يكونوا يستحقون ان يكون هذا الزعيم زعيمهم ٠ لقد كانت اهانة فادحة لهذا القائد ان نكون نحن العرب الحقراء قومه ورعاياه ٠٠ لقـد كان هذا هو كل ذنبه وعذابه ٠٠

كان هذا الطبيب العربي يقول ذلك بكل صوته وهو يرتجف ويتراقص من الاعجاب والابتهاج بما يقول ٠ ولم يوجد في الحاضرين من استنكر ما سمع ٠ لقد كان يقول ذلك بمشاعر وملامح متفجرة بالفرح والرضا ، كأنها مشاعر وملامح من استطاع أن يشفي الاله والطبيعة من ذكائهما واخلاقهما وعبثهما وضياعهما ٠

وحتما هذا يعني أن مجيء مثل هذا الزعيم العظيم الى قومه العرب لتتخاطب وتتعامل عبقريته مع ضآلتهم ليس الا خسرانا فادحا ٠٠

ان معنى هذا انه قد جاء ليصنع لهم الهزائم والتمزق والفضائح لانه كان كبيرا جدا ولانهم هم كانوا صغارا جدا ٠ ان مجيء مثل هذا الزعيم الى اي مجتمع عربي ليس خسرانا وعذابا وهزيمة له وحده بل وللمجتمع العربي الذي جاء اليه ليقوده ٠٠

ان مجيئه هذا يساوي وضع حمل نفيس وغال وثقيل جدا لا تستطيع جميع الظهور حمله ، فوق ظهر ضعيف عاجز جدا معلق في الفضاء اي لا يحمله شيء ولا يقف فوق شيء يحميه من السقوط والتمزق هو والحمل النفيس الغالي الذي فوقه ٠ ان معناه ان تخلق اية قيادة عربية متفوقة وموهوبة او حتى جيدة في العالم العربي ليس الا اسلوبا رديئا مهينا من اساليب الانتحار الرديء المهين ٠

اذن اية لعنة تساوي مجيء زعامة او قيادة عربية عظيمة أو عبقرية الى الامة العربية ؟ ان ذلك يعني حتما سقوط القائد والشعب سقوطا فاجعا ٠٠ اذن فلنحزن ونخف كلما بدا لنا أن قيادة عربية جيدة قد ولدت او انها قد تولد !!

ويعني ايضا هذا ان مجيء انبياء العرب وخلفائهم وسلاطينهم وائمتهم بما يحملون من شرائع واديان وكتب مقدسة ونبوات ومن طهارة وصفاء وصدق وجمال وذكاء ، لن يكون اي مجيء هؤلاء الى قومهم العرب الا تكاليف عمل شاق واسع ضخم جيد جدا بلا اي ثمن او اجر او جزاء او نتيجة ٠٠ اذن ايتها الاقدار الصالحة الرحيمة لا تقاسي لكي تخلقي للعرب انبياءهم وخلفاءهم وقادتهم المتفوقين الاتقياء العباقرة ٠ ان مقاساتك ايتها الاقدار لن تهب او تغير شيئا ٠

انهم بكل ما يحملون ويعلمون يجيئون اكبر واقوى من الانسان العربي ، اذن لن يفهمهم او يطيقهم او تطيعهم او يتأثر بهم ٠ اذن لماذا تقاسين لكي تخلقيهم ؟ انهم يجيئون ليتعذبوا ثم يذهبون بلا نفع أو مجد أو عزاء أو جزاء ـ ان احدا لن يستقبلهم او يعرفهم ٠

هل هناك أي احتمال يهدد بان يكون الانسان العربي أصغر أو أضعف أو أبلد أو أفسد واعصى لو لم يجيء اليه انبياؤه وخلفاؤه وسلاطينه وائمته وقادته ونبواته واديانه وكتبه المنزلة ؟ اذن لماذا جاءت وجاءوا ؟

هل يحتمل ان اي عربي قد ازداد ذكاؤه او جماله او تقوى وصفاء قلبه وضميره وسلوكه او رؤيته وحبه للجمال والذكاء والحق والخير والصدق او شجاعته او قوة عضلاته لانه حفظ القرآن واقوال النبي وحكايات الخلفاء ؟ هل يكبر او يزداد حجم او جمال او شجاعة الفئران والنمال والقرود لو اصبح لها انبياء وقادة ومعلمون ووعاظ من الاسود والافيال والصقور والغزلان ؟

اذا كان الانسان لا يستطيع ان يكون الا على مقاس نفسه فلماذا يجيء اليه ارباب او انبياء او قادة اكبر واعظم من مقاساته ؟ اليس هذا يساوي ان يوضع فوق

الشيء ما لا يستطيع حمله او في داخله ما لا يتسع له ـ ان يكون الجنين اكبر من البطـن ؟

هل يمكن ان تكون عضلات الانسان اقوى من عضلاته ، او يكون عقله اذكى مـن عقله ، او يكون ضميره او مشاعره اتقى من ضميره ومشاعره ، او يكون ابصـاره اقوى من عينيه ، بمجيء الارباب والانبياء والقادة اليه ، يحملون بايديهم وافواههم وتعاليمهم وفي الواحهم وكتبهم المقدسة وفي مذاهبهم الشتائم والاتهامات والمديح والهجاء والوعد والوعيد بالجنة والجحيم وبكل ما فيهما من زبانية وملائكة وغلمـان وحوريات ، او بان تكون لاربابه او لانبيائه او لقادته وخلفائه عضلات او عقـول أو ضمائر أو مشاعر او خدع ومكايد قوية او ذكية او زوجات جيدات الاغراء ؟

وهنا لا بد ان يقفز هذا التساؤل حتى الى عقول وافواه واخلاق من لم تجرب عقولهم وافواههم واخلاقهم المساءلة قط :

لماذا جاء الانسان العربي ، وكأنه يخص بذلك تخصيصا عاجزا عن التكافؤ مـع اربابه وانبيائه وخلفائه وقادته وائمته ومع اديانه ومذاهبه وكتبه المقدسـة ، عاجزا عن طاعتهم وطاعتها الى المدى الذي جعل مجيئهم ومجيئها بلا اي معنى جيد ؟ او لماذا جاءوا وجاءت هذه وهؤلاء اكبر منه اي من الانسان العربي حتى بدت وبـدوا وكأنها وكأنهم ليسوا وليست مخاطبة له ، بل حتى كأنما جاءت وجاءوا لتعجيـزه واذلاله وارهابه وافساده وتعليمه العصيان وتهوينه عليه بل وتعويده عليه وافهامه الدائم ان هذا هو الممكن فقط والمحتوم دائما ؟ نعم ، ان الانسان العربي لو حوكم باقوال اربابه وانبيائه وخلفائه وقادته لبدا الموقف وكأنهم انما جاءوا اليه لكي يفسـدوه ويعلموه العصيان لهم والخروج عليهم والتعجيز له ٠

وهل كان اربابه وانبياؤه وخلفاؤه وقادته يعرفون ذلك ، اي يعرفون انهم اكبـر منه ، وانه لذلك لن يستفيد من مجيئهم شيئا ، بل لا بد ان يخسر بمجيئهم كثيرا من معاني وانواع الخسران ؟ اليس القائد او النبي الذي يجيء بما لن يفيد لانه لن يستطاع لا بد ان يكون اي ذلك القائد او النبي خسرانا وتشويها وعبثا في مجيئه ؟

ان كانوا لا يعرفون فهل يملكون اي قدر من الذكاء ، وان كانوا يعرفون فلمـاذا جاءوا اليه ولماذا خاطبوه ، ولماذا لم يهبطوا الى مستواه ؟ لماذا لم يتواضعوا ويصغروا ليكونوا نافعين وليكون لمجيئهم قيمة ، اية قيمة ؟ اليس الواجب على من يعرف كـل اللغات الا يحدث احدا الا باللغة التي يعرفها أو باللغة قد يستطيع ان يتعلمها او يفهمها ؟ اليس مجيء الاله او النبي أو القائد الى قوم لن يفهموه او يستطيعوه او يطيعوه هو اكثر سخفا وعبثا من مخاطبة قوم بلغة لن يفهموها ؟

ولماذا تجيء الشعوب الاخرى متكافئة مع الهتها وانبيائها ودعاتها وقادتها ، ويجيئون متكافئين معها ، فيكون التعامل والتخاطب بين الفريقين ذكيا ومريحـا ومفيـدا وفعـالا ؟

ولماذا الانسان العربي وحده خص بهذا الانشقاق والتفاوت والتباعد وبالعجز عن التفاهم والتلاقي بين حقوله وسحابه ، بين نجومه وسمائه ، بين لسانه وعقله ، بين عضلاته وكبريائه ، بين نبواته وانبيائه ، بين صلواته ونياته ، بين رواياته وتاريخه ، بين رواياته عن تاريخه وروايات تاريخه عن تاريخه ورؤية تاريخه لتاريخه ٠٠ لماذا يجيء الهة العرب وانبياؤهم وخلفاؤهم وقادتهم وائمتهم دائما وجميعا عاجزين عن أن يكونوا مستطاعين أو مطاعين ، ويجيء الانسان العربي دائما عاجزا عن أن يكون مستطيعا او مطيعا ؟ لماذا فرض على العبقرية العربية ان تكون دائما عصية معصية وعلى الجماهير العربية ان تكون دائما عاصية لا تستطيع ان تكون تقية أو ذكية او قوية ؟

لماذا تعاظم حجم اربابه بكل هذه القسوة والفظاظة والاسراف ، وتصاغر حجم انسانه بكل هذه التفاهة والضآلة والشح ؟ لماذا هذا البعد المفسد المشوه المجنون بين رأس الانسان العربي وبين قدميه ويديه وسائر جسده !

من الذي اراد النموذجين أو الحجمين وخطط لهما واخرجهما بكل هذا التباعد ؟

لماذا لم ياخذ من هذا الحجم ليعطي الحجم الاخر لكي يكون التعامل والتلاقي بينهما مستطاعا ومفيدا ، ويجعل المسافة الفاصلة او الممتدة بينهما اقل بعدا لكي تكون الرؤية ممكنة ومنفذة ونافعة وكذا التخاطب بينهما ؟

هل يوجد اقبح او اسفه تكوينا من أن يكون الرأس اكبر واثقل من كل الجسد حتى يعجز الجسد عن حمله وتقبله والتفاهم والتعامل معه وحتى يسقط ويتمزق اعياء وعجزا ؟ هل يمكن تصور ظلم وارهاق وتشويه للجسد وتحقير وتضييع للرأس مثل ان يكبر الرأس ليكون غير مفهوم او مقبول ويصغر الجسد ليكون غير قادر على أن يقبل او يستطيع ؟

اليس هذا التفسير للانسان العربي يعني هذا الجسد وهذا الرأس المخبولين في تكوينهما ـ اعني التفسير الذي يقول: ان انبياء العرب وقادتهم وخلفاءهم وسلاطينهم وائمتهم قد تعاظموا وكبروا حتى اصبحوا عاجزين عن ان يستطاع التكافؤ معهم أو فهمهم او طاعتهم واتباعهم او الصعود الى الفلك الذي يسيرون فيه ، والذي يقول ان الانسان العربي قد صغر وتفه حتى اصبح عاجزا عن أن يفهم او يطيع أو يتكافأ او يتطلع الى النجوم بقدميه او بجناحيه او بطموحه ؟ اي اله شرير مخبول صمم للعرب هذه الكينونة العقيمة المخبولة ؟ هل للعرب اله خاص بهم بكل هذا القبح والخبل والعداوة ؟ هل توجد كينونة مخبولة مثل أن يكبر ويعظم الرأس حتى يعجز الجسد عن حمله وفهمه ؟ وهل يوجد خالق او مخطط مخبول مثل من يصنع أو يخطط هذه الكينونة ؟

هل عرف اله غير اله العرب ، يخلق قادتهم كبارا لا يمكن الاخذ عنهم او الاتباع لهم او التوافق معهم لضخامتهم ، ويخلق انسانهم صغيرا لا يستطيع لضآلته ان

يتقبل او يريد او ينفذ او يفهم شيئا عظيما او كبيرا او ذكيا او نظيفا مما يقاسي قادته كل القاساة لكي يدعوه اليه ويعلموه اياه ويصوغوه به ؟ كل شيء عربي حتى الاله العربي لا بد ان يجيء خروجا على كل نماذج امثاله وتعجيزا لكل فهم ولكل مستوى اخلاقي ..

وحين نرجع الى التفسير الاخر النقيض الذاهب الى أن الانسان العربي يختزن في داخله شحنات هائلة من الطاقات والمواهب العبقرية التي لا نموذج لها في ما عرف البشر من مواهب وطاقات ، وان الذنب كله هو ذنب قادتهم وحكامهم الاشرار الصغار المرهبين المانعين لهذه الشحنات من التفجر والانطلاق والكينونة فلا بد ان نجده تفسيرا يستحق الرثاء والاشفاق لضعفه ولعجزه عن أن يكون شيئا يصنع اي قدر من الحماس او الاهتمام او يستحق الاختلاف عليه . انه من التفاسير التي لا تستطيع لضعفها ان يختلف عليها المختلفون ..

وهل في جميع التفاسير العربية لاي شيء تفسير واحد يستحق الاختلاف عليه او الحوار أو التفكير فيه ؟

هل يوجد ضعف يساوي ضعف القضية التي لا تستطيع لضعفها ان تختلف أو تتحاور عليها او فيها او حولها الاراء ؟ أليس ضعف مثل هذه القضية يساوي ضعف الوجه الذي لا تستطيع كل العيون والقلوب ان تختلف في رؤيتها وتفسيرها لجماله ولا في توقد اشواقها اليه ؟

ان اقسى الدمامات هي الدمامة التي لا تختلف او تتفاوت الرؤية لها أو الحكم عليها او الاحساس بها .

نعم .. آباء وامهات اقوياء اذكياء اسوياء ابرار في كل تسلسلهم التاريخي ، ولكنهم لا يلدون ابدا الا ابناء مصابين بكلألوان ومستويات البلادة والدمامة والضعف والفساد والفجور ..

واسود وذئاب وافيال وصقور وجياد وكائنات مفردة ولكنها لا تلد الا الارانب والنمال والغربان والضفادع وسائر انواع الحشرات والكائنات الناعقة الناعبة ..

وارض خصبة جدا ، وبذور جيدة جدا ، وطقس كأنما وضع وضعا باذكى حساب واختيار ، وانهار وغمام كأنها هي الوالدة والواهبة والقائدة والمقسمة لجميع الانهار والغمام لذكائها ونبل اخلاقها . ولكن الناتج لا يكون ابدا الا قحطا ومجاعات واشواكا وثمارا مرة رديئة قبيحة جدا ، كل مزاياها وفوائدها ان تعود الى البيئة العبقرية التي ولدتها لتعاقبها وتدمرها وتشوهها ..

ومناجم مشحونة باعظم المعادن وبكل المعادن الغالية جدا ، لا يوجد في داخلها غير هذه المعادن الغالية الثمينة جدا .. ولكنها اي هذه المناجم لا تتفجر أو تقذف ابدا الا بالتراب والحجارة واللهب والحشرات المحملة بكل انواع الجراثيم والاوبئة القتالة وبالاصوات القبيحة الوقحة المحدثة لكل معاني الغيظ والغضب والاشمئزاز ..

وجهاز جيد وصحيح ومضبوط جدا ، ولكنه لا ينتج الا الاخطاء الرديئة الاليمة جــــدا ٠

وقانون رياضي او علمي او فكري او اخلاقي او طبيعي صحيح جدا ولكنه لا ينتهي ابدا الا الى نتائج خاطئة وعقيمة ومدمرة جـدا ٠٠

وخزانة ملأى بالعملات الصحيحة القوية جدا ولكن لا يستخرج منها الا العملات الزائفة المزورة ٠٠

وكتاب ذكي ومنطقي ومهذب وواضح جدا ، ولكنه لا بد ان يحول كل قارىء له الى بليد وسفيه ووقح وفاجر خارج على القوانين والاداب والنظـام والشهامـــة والكرامــة ٠٠

وأجسام قوية سليمة ولكنها لا تنبت الا قلوبا واعضاء ضعيفة مريضة ٠

وقلوب قوية سليمة ولكنها لا تنبض الا نبضات مختلة عليلة ٠٠

وعيون قوية سليمة ولكنها لا ترى اي شيء الا رؤية خاطئة ضعيفة مشوهة ٠٠

وصانع بارع ذكي مخلص موهوب جميع المزايا العقلية والنفسية والاخلاقيـــة والفنية ولكن لا تصنع يداه الا اردأ واقبح وافسد الصناعات ٠ وشاعر ورسام هما اعلى القمم الشعرية والفنية ولكنهما لا يستطيعان ان يصنعا الا اشعارا ولوحات لا يوجد من يقبل ان تكون من اعماله المبتدئة ٠٠

واله كامل في كل نماذجه وتفاسيره ، ولكنه لا يخلق الا النقص والقبح الكاملين في كل نماذجهما وتفاسيرهما ٠٠

وعقل لا حدود لعبقريته ولكنه لا يفرز الا افكارا ضالة مشوهة مخربة ٠

ونبي توحي اليه كل آلهة وملائكة السماء ولكنه لا يعلم الا تعاليم تخجل منهــا اردأ واجهل الابالسة ٠٠

ان كل هذه التصورات او الافتراضات أو النماذج المستحيلة الكينونة او حتـــى المستحيلة التصور او الافتراض هي بعض التفاسير او النماذج للرأي السابق فـــي تفسير الانسان العربي القائل بانه يختزن في داخله شحنــات حضاريــة وانسانيــة واخلاقية ودينية هي اكبر من كــل الكون والحياة ولكن قادته المخربين الضعــاف الاشرار هم الذين يقتلون فيه هذهالشحنات أو يفسدونها أو يرهبونها ويمنعونها منان تكون او لا يعملون لاطلاقها او لا يريدون او يعرفون ذلك ٠

والان لنحاول وننظر ، هل نستطيع تفسير ذلك ، او نجد من يستطيع تفسيره أو فهمــه ٠٠

لماذا الانسان العربي جيد وجميع قادته وحكامه واقويائه وكبرائه رديئـــون وعاجزون واغبياء اشرار ؟ اية قوة شيطانية عبقرية الخبث استطاعت ابتداع هــذا الذي لا يستطاع ابتداعه ؟

لماذا لا يحدث ولا مرة واحدة ان تجيء مزايا قادته وحكامه من نوع مزاياه وفي قوتها ؟

أليس حكامه وقادته هم منه ، تولد وتعيش وتتخلق وتتربى فيهم جميع الصفات والمواهب والاستعدادات التي تولد وتعيش وتتخلق وتتربى فيه هو ؟ اليس الاله او القانون او الصدفة او الطقس الذي خلقه هو الذي خلقهم ؟

وكيف عرف خالق قادة العرب انهم سوف يصبحون قادة لكي يخلق فيهم كل الوان النذالات والضعف ؟

هل التفسير لذلك ان الانسان العربي جيد وذكي وقوي صالح ورع القلب والضمير والسلوك بشرط الا يكون حاكما أو قائدا أي بشرط ألا يكون قويا وقادرا على أن يكون نقيض ذلك، اي بشرط ان يكون عاجزا عنان يكون رديئا وغبيا وفاسدا، وبشرط الا يواجه او يطلب منه او يتحتم عليه ان يواجه اية مواجهات ومشاكل صعبة او خطيرة ، تحتاج مواجهتها الى الذكاء والقدرة والمقاساة والشجاعة والاستقامة ، فاذا فقدت هذه الشروط اصبح شيئا اخر مناقضا جدا ؟ هل المعنى ان الانسان العربي قد خلق ذكيا وقويا وعظيما الى أن يصبح في موقف يفرض عليه ويطالبه وينتظر منه فيه ان يكون كذلك فاذا اصبح في مثل هذا الموقف اصبح نقيض ما خلق ؟ نعم ، هل التفسير ان الانسان العربي جيد جدا ما لم يستطع ان يكون رديئا جدا او قبل أن يكون قادرا على أن يكون رديئا جدا ٠٠ وانه اي الانسان العربي ذكي وقوي جدا ما لم يوجد في موقف يحتاج الى الذكاء والقوة ، ما لم يصبح نبيا او ملكا او رئيسا او خليفة ؟

ان هذا التفسير لجودة الانسان العربي يساوي ان تقول : ان الحشرة نظيفة جدا بشرط الا تجد اية عفونة لتقسط فيها وتتلوث وتتغذى بها ـ أو أن تقول : ان الطبيعة والاله بريئان من أمراض وتشويه الاطفال والشيوخ والكائنات البريئة ومن قتلهم وقتلها بشرط الا يجدا اي الاله والطبيعة هذه الكائنات وهؤلاء الاطفال والشيوخ، او قبل ان يجداهم ، أو بشرط الا يستطيعا اي الاله والطبيعة اصابتهم بذلك ، او بشرط الا يشتهيا ذلك ـ او أن تقول مادحا نفسك : اني عبقري وشجاع جدا ولكن بشرط الا أجرب عبقريتي وشجاعتي بشرط الا استطيع ان اكون تافها وبليدا وجبانا ٠

ولا بد ان يقفز هنا سؤال يقول : لماذا الانسان العربي وحده لا يكون جيدا الا بشرط الا يستطيع ان يكون رديئا ـ لا يكون ذكيا او قويا أو شجاعا او عادلا او تقيا صادقا نظيفا الا بشرط الا يكون رئيسا او ملكا او خليفة او سلطانا او قائدا او معلما للاديان او المذاهب ، فاذا اصبح ذلك اصبح محتوما ان يكون نقيض نفسه ٠٠ لماذا الانسان العربي وحده : لا بد ان يصغر بقدر ما يكبر ٠٠

اذن فان من الافضل بل من الواجب عربيا وعالميا وانسانيا ان يستورد حكام وقادة وزعماء من الخارج ليكونوا حكاما وقادة وزعماء للانسان العربي لئلا يكون

حكامه وقادته وزعماؤه منه · اليس في هذا انقاذ لهم وله اي لقادة وحكام الانسان العربي وللانسان العربي كذلك ؟ بل اليس في ذلك اشفاق عليهم وعليه ؟

ولكن هل يفيد ذوي المستويات او المواهب البشرية الضعيفة ان يقودهم ويحكمهم رجال ذوو مستويات ومواهب بشرية عالية ؟ هل يفيد الانسان العربي ان كان متخلف المواهب ان يحكمه رؤساء او ملوك او خلفاء او انبياء مستوردون اصحاب مواهب متفوقة ؟

نعم ، لا بد ان يكون الجواب : ان ذلك يفيدهم وان كان لن يستطيع ان يحولهم الى ذوي مواهب ومستويات اعظم او اذكى من مستوياتهم ومواهبهم · ان المواهب لا تزرع في الذات الفاقدة لها او تستورد لها من الخارج حتى ولا من الهتها او انبيائها ·

ولكن ذلك لا بد ان يفيدهم بالاسلوب او التفسير الذي يفيد القطيع او الحقل ان يشرف عليه ويرعاه اناس ذوو خبرة ومعرفة واهتمام واخلاص وقوة ·· ان الكائنات ذوات المستويات الضعيفة لا بد ان تكون شيئا افضل حينما تحكمها وتنظمها وتوجهها كائنات اخرى ذوات مزايا اقوى واذكى وافضل ·· اجل ·· كيف لم تفطن المنظمات الدولية ولا الدعاة والمفكرون الى ذلك اي ان الواجب ان يصدر لنا ولامثالنا رؤساء وملوك ليحكمونا كما يصدر لنا الطعام وغيره ؟

وكيف لم يطالبوا بان يعد رجال دوليون متفوقون لكي يعاروا ويصدروا باسلوب دولي شامل الى كثير من البلدان والشعوب ليكونوا لها ملوكا ورؤساء وقادة ؟ كيف لم يعلنوا ان احتياج المجتمعات العربية الى استيرادها لهؤلاء اعظم من احتياجها الى اي استيراد اخر ؟

هل هذه غفلة كثيفة ام تعمد مقصود مدبر ؟ هل يمكن ان تخفى هذه الحقيقة على افكار وخيال المتفوقين ؟ اذن هل تعمدوا حرمان المتخلفين من هذه المزية او الانقاذ ؟

اليس الخبراء والعلماء والمدرسون والاساتذة والمراقبون يصدرون ويعارون ؟ بل اليست جميع المعارف والخبرات والفنون والعلوم والسلع والاسلحة تصدر ؟ أليس تصدير الرئيس او الملك أو الوزير او القائد او الزعيم انفع من تصدير المدرس او الاستاذ او الخبير ؟ اليس تصدير الرأس انفع من تصدير اليد او الرجل ؟

انه لا عار ولا اهانة للكرامة او للكبرياء في ان يصدر او يعار الحكام والقادة والرؤساء والملوك اذا لم يكن عار ولا اهانة في تصدير او اعارة المدرسين والخبراء والاساتذة · اي عار في استعارة الرأس ولا عار في استعارة الشعر ؟

ولعل العالم قد تخطى طور الخوف من العار ومن الاهانة للكرامة وطور الرفض لهما او الاستحياء والمحاذرة منهما وطور التخفي حين ممارستهما او تقبلهما بل حين التعالي بممارستهما ·· بل ما العار وما الكرامة ؟ هل وضعت لهما حدود او تفاسير دولية او محلية لتستطاع معرفة الفرق بينهما ومعرفة الفاعل لهذا او لهذه ؟

نعم ، لعل كل العالم قد تخطى الان هذا الطور او هذا التاريخ البدوي لشمـــول وطول تعامله بالعار وبالاهانة للكرامة ، آخذا لهما ومعطيا ، صانعا لهما ومصنوعين له وبه ، ومشاهدا لهما ، وعارفا مجربا كيف يتحدث كل الناس كل الاوقات عن رفضهما وعن البراءة منهما بكل قدرتهم على التصويت والاعلان ، حين لا يعيشون أو يهوون سواهما ، او حين لا يحيون شيئا من حياتهم او مجدهم وقوتهم او من مسراتهـــم وانتصاراتهم الا بهما ·· اراهن بان جميع الحشرات في كل اجيالها لم تمارس مـن العار والهوان ومن النقض لمزاعمها عن كرامتها وكبريائها مثلما مارس الانسان من ذلك في جيل واحد من اجياله ·· بل أراهن ان بطلا او قائدا او نبيا واحدا من البشر قـد فعل من العار ومن الخروج على الكرامة اكثر مما فعلت جميع الحشـــرات في كـــل تاريخهـــا ···

أم يعني بالتفسير السابق للانسان العربي انه كله ، بكل آحاده وجماعاته جيـد ومتفوق جدا في كل تفاسيره ، ولكن افرادا قليلين منه جدا رديئين وعاجزين واغبياء وانذالا جدا ، يجيئون فيه واليه مخترقين لحدوده الحصينة المحروسـة بالتقـــوى والعبقرية ، وينبتون بين ازهاره وفي حقوله ومروجه وبساتينه باسلوب او بقانـــون شاذ قبيح لا يمكن فهمه او تفسيره ، ليكونوا اشجارا وثمارا وبيلة عدوانية ، تشوه وتفسد وتدمر الازهار والحقول والمروج والبساتين التي نبتت فيها ـ ويتخلقون اي هؤلاء الافراد في ضميره اي في ضمير الانسان العربي كما تتخلق العاهة الرهيبة في الوجه الخارق الجمال ـ وتحبل بهم وتلدهم تقواه وعبقريته كما تحبل الام السويـة السليمة القوية العبقرية الجمال بالوليد المريض المشوه الفاجع المخيف بتشوهـه ، وكما تلده ؟ هل التفسير ان العرب بستان كوني لا يتخلق فيه الا الزهور والـــورود والثمار الجيدة جدا ولكن بعض الشجيرات القبيحة الخبيثة تندس فيه احيانا ضـد كل قانون لتكون كل وجهه ومرآه وصيغه ؟

ان هذا التفسير الذي قد يرضاه بل ويعجب به تفسيرا للانسان العربي كثير من المعلمين والمفسرين والمحسوبين اساتذة في العالم العربي ، لا بد ان تتهاوى عليه اقسى الاسئلة واقواها تعجيزا عن ان تواجه باي جواب يستطيع ان يقف ليعلن عن نفسه او ليدافع عنها او ليلبس اي زي من ازياء الاجوبة او المحاورات ·

انه تفسير قد تصلي له عقول ونبوات انبياء العرب واساتذتهم ، ولكن ··

لماذا لا يصعد ابدا الى عرش القيادة والحكم والزعامة في العالم العربي الا هؤلاء الافراد العاجزون الفاسدون الجهلاء الصارخون المغرورون الطغاة اللصوص الصانعون للهزائم والعار والفضائح والمشاكل والعداوات ؟

أليس جميع قادة العرب وحكامهم وزعمائهم هم من هذا الطراز ؟

اي منطق او قانون او تدبير او جهاز احصاء لا يستطيع ان يخطيء ولا مرة واحدة ليضع عبقريا او ذكيا او مستقيما او مهذبا او صادقا او متواضعا او ديمقراطيا او

صانعا للانتصار او المجد ولو واحدا مرة واحدة في مكان الحكم أو الزعامة أو القيادة أو النبوة في العالم العربي ، في اي قطر من اقطاره او جيل من اجياله ، تحت اي مذهب او نظام او شعار من مذاهبه ونظمه وشعاراته الثورية الاشتراكية أو الرجعية الرأسمالية ، الجمهورية أو الملكية ؟ أليس جميع قادة العرب وحكامهم متفقين ومتماثلين في مواهبهم وقدراتهم واخلاقهم ونياتهم مهما اختلفوا وتفاوتوا وتعادوا وتشاتموا وتقاتلوا في شعاراتهم ، او انتماءاتهم او في اصواتهم ولغاتهم ، او في مذاهبهم واديانهم ، او في ثورياتهم ورجعياتهم ، او في ملكياتهم وجمهورياتهم ، او في رأسمالياتهم واشتراكياتهم ؟ نعم ، اي قانون هذا الذي لا يخطىء ولا مرة ليضع للعرب قائدا واحدا ذكيا مفكرا مخططا متوقرا مبصرا ، لا هادرا ناعبا ناعقا صائحا بكل الغرور والوقاحة والعجز والافتضاح ؟

هل تختلف او تتفاوت ذواتهم مهما اختلفت وتفاوتت ازياؤهم والوانهم ، او تختلف وتتفاوت عضلاتهم مهما اختلفت وتفاوتت ذواتهم ، او تختلف وتتفاوت ضرباتهم مهما اختلفت وتفاوتت عضلاتهم ، او تختلف وتتفاوت عقولهم او اخلاقهم مهما اختلفت وتفاوتت اصواتهم وانتماءاتهم وشعاراتهم ، او يختلف ويتفاوت حجم هزائمهم وعارهم مهما اختلف وتفاوت في تضاؤله حجم اعدائهم ؟ او هل تختلف او تتفاوت رؤاهم او ذكاؤهم او حماسهم مهما اختلفت وتفاوتت المشاهد والاحداث امامهم ؟

هل يختلفون او يتفاوتون في استبدادهم وكبريائهم مهما اختلفوا وتفاوتوا بين دساتيرهم وقرآنهم ؟ او هل يختلفون ويتفاوتون في احقادهم وبغضائهم مهما اختلفوا وتفاوتوا في حرارة او اصوات او اساليب قبلاتهم ومصافحاتهم ومعانقاتهم ؟ هل يستطيع اي شيء ان يصنع اي تفاوت بين حكام العرب وقادتهم في تعادي وتقاتل نياتهم ونظراتهم واخلاقهم ؟

هل العرب مخصوصون او مصابون بخصائص حرم او حمى منها او ارتفع فوقها كل البشر ؟ وهل من هذه الخصائص العربية ان فاسديهم واغبياءهم وضعفاءهم وطغاتهم واشرارهم هم الذين يريدون القفز الى مركز القيادة والسيادة والنبوة ابدا ، وهم وحدهم الذين يدبرون لهذا القفز ويستطيعون الظفر به ، اما صالحوهم وعباقرتهم، وهم الاكثرون بل وهم كل العرب مع استثناء هؤلاء الافراد الاقلين ، فانهم ابدا لا يريدون ذلك اي الصعود الى مكان القيادة والسيادة ، فلا يدبرون له ولا يستطيعونه، لهذا فان احدا منهم لا يمكن أن يصبح قائدا او حاكما ، لا رئيسا ولا ملكا في العالم العربي، لهذا فان أي صاحب عقل لا صاحب حنجرة فقط لم يستطع في اي وقت أن يصبح ملكا أو رئيسا أو قائدا في العالم العربي ، لم يحدث هذا في التاريخ قط ولن يحدث في المستقبل القريب غالبا ؟

هل العرب مخصوصون ابدا بان تكون سماؤهم لديدانهم دون نسورهم ؟

وقد يقال ان هذا أي صعود الصالحين والعباقرة الى مركـز السيادة والقيـادة والنبوة قد حدث في الماضي ، قد حدث كثيرا ، بل لقد كان هو وحده الذي يحـدث في ما كان . اليس التاريخ المروي يقول هذا، يقوله دون ان يهاب التكذيب او التسفيه، ان يكون مخطئا او كاذبا ؟؟

وهل توجد حقائق اصدق او اذكى مما يرويه التاريخ العربي ؟

ولكن لو كان هذا يحدث في الماضي اليس محتوما ان يحدث في الحاضر ولـو قليلا ؟ بل اليس محتوما حينئذ ان يحدث في الحاضر كثيرا ، بل اكثر مما كان يحدث في الماضي ؟ اليس الحاضر هو كل الماضي بكل قوانينه وتفاسيره واخلاقه ولكن بصيغ اكثر قوة وتعبيرا وتراكما وبريقا ؟ اليس ما هو كائن هو ما كان باسلوب جديد ولكن بدون منطـق جديد ؟

هل يحدث ان تفقد الاشياء اخلاقها او خصائصها او قوانينها بلا قانون او منطق او تفسير ؟ وهل من قوانين الاشياء او منطقها ان تفقد شيئا من خصائصها أو اخلاقهـا أو توارثها لاخلاقها وخصائصها ؟ هـل يستطيع اليوم الهرب من أمسه ؟

هل يحدث ان يكون شعب من الشعوب منذ الف عام او خمسمائة عام لا يحكمـه او يقوده او يعلمه او يبعث اليه بالنبوات وبالكتب المنزلة الا اعظم العباقرة الاتقياء الاقوياء المنزهين عن كل نقص وفحش وسخف وطغيان ـ ولا يتقبل اي ذلك الشعب في ذلك التاريخ او يريد أو يصنع او يحيا ويمارس الا المجد والقوة والاستقامة والانتصـار ثم يصبح اي ذلك الشعب شيئا مناقضا جدا لما كان ، اي لا يحكمه او يقوده او يصعد منابره معلما وهاديا الا أكذب وأسفه وافسد واضعف واجهل القادة والحكـام والمعلمين ، ولا يريد اي ذلك الشعب او يتقبل او يصنع او يطيع ويتبع او يعتقد الا اردأ واغبى واتفه واضعف واسخف الاخلاق والافعال والعقائد والتعاليم والقـادة والزعماء والانبياء ؟

هل يحدث ان تسرق النجوم او الالهة المتوحشة من الابناء كل مزايا الاباء بهـذا الاسلوب الهمجـي ؟

هل يحدث ان تستطيع الطبيعة أو الاشياء ان تخرج على قوانينها واستمرارها حتى ولو ارادت ذلك ؟

اي هل يحدث ان تكون كل وجوه وعقول والوان شعب من الشعوب منذ الف أو مائة سنة هي اعلى مستويات الجمال والذكاء والبياض والاشراق ثم تصبح اليوم كل وجوهه وعقوله والوانه هي اعلى مستويات الدمامة والغباء والسواد ، ما لم تكن قد حدثت فاجعة لهذا الكون او لهذا الشعب ، فاجعة غير معهودة وغير محكومة بالقوانيـن الكونية المعروفة ولم يحدث نموذجها قط ، لكي تضع للطبيعة ولكل شيء ولقوانين الوراثة والاستمرار قوانين جديدة مناقضة مناقضة شاملة ؟ هل يستطيع الاباء اي

لو ارادوا ان يمنعوا انتقال خصائصهم الذاتية والتاريخية بل والعقلية والنفسية الى الابناء ؟

ان قوانين الحاضر او أن القوانين الحاضرة لن تكون معزولة عن قوانين الماضي او عن القوانين الماضية ٠ وان القمر او اي كوكب او شيء اخر لن يكون معزولا بشكله او بمكانه او بحجمه او بأي خلق من اخلاقه عن الكون الذي تخلق منه وفيه وعن قوانينه ، وعما طبع فيه من خصائص ٠

ان كل شيء لا بد ان يعمل بالخصائص والقوانين المنتقلة اليه من الوجود الذي انشطر عنه ٠ ان اي شيء واي كائن لا يستطيع ان يبدأ اخلاقه او مواهبه او نموذج ذاته او اية كينونة من كينوناته بدءا ٠ انه لا بد ان يتلقى كل بداياته من ابائه ٠٠

اننا لا بد ان نكون تفسيرا لابائنا وتعبيرا عنهم مهما تفوقنا عليهم وتخطيناهم ، ومهما اردنا ذلك وناديناه به ، بل ومهما شتمناهم واحتقرناهم واتهمناهم بكل معاني التخلف والعجز ٠٠ اننا لن نكون شيئا عظيما قويا او رديئا ضعيفا الا نقلا عما وضع فينا اباؤنا من قوة وضعف ، والا تفسيرا له ٠

اننا لا نستطيع التفوق على ابائنا او التجاوز لهم او رؤيتهم رؤية مستصغرة او متهمة الا بالطاقات والمواهب والاحتمالات التي ولدوها ورسخوها في كينوناتنا المستقبلة ٠ اننا لن نكون اذكى او اتقوى او أعلم منهم كما اننا لن نعصيهم او نرفضهم الا لانهم هكذا فرضوا علينا وهكذا جعلونا ٠

ان كينوناتنا ومواهبنا واخلاقنا الحاضرة لهي تفسير لابائنا وتعبير عنهم وشهادة لهم او عليهم اصدق واقوى من جميع روايات التاريخ عنهم ومزاعمه لهم او ضدهم ٠٠ اننا نحن اصدق التفاسير والشهادات لابائنا والتعبير عنهم حتى حينما نصبح خروجا عليهم وتخطيا لهم ٠٠

اننا نحن اصح واذكى الروايات والشهادات بل والمشاهدات بوجودنا الحاضر عن ابائنا الذين كانوا والذين كنا فيهم ومعهم منذ الاف السنين ٠ اننا نحن دائما اصدق الروايات عن ابائنا ، بل اننا نحن وحدنا دائما الروايات الصادقة عنهم ٠ ان كل رواية عنهم كاذبة ما لم تروها كينونتنا ٠

أليست اية حشرة وحيوان هما اصدق واذكى تفسيرا لابائهما الذين كانوا قبل الف عام من كل الكتب والروايات التي كتبت او رويت عن اولئك الاباء ، او التي قد تكتب او تروى عنهم ؟

بل انهما اي اية حشرة واي حيوان هما دائما التفسير الصادق والذكي لابائهما ٠٠

أليست مواهب قادتنا وحكامنا وزعمائنا ومفكرينا ومعلمينا الذين واجهوا اسرائيل تفسر لنا مواهب قادتنا وحكامنا وزعمائنا ومعلمينا ومفكرينا الذين كانوا في كل التاريخ الذي كان ، اصدق واقوى مما يفسر لنا ذلك كل ما سفك او ذرف او كذب او ضيع واهين وحطم وشوه من حبر واقلام وصفحات ، تمجيدا وتأليها لهم وتهويلا

عنهم وخروجا وصعودا بهم فوق كل المعقول والمستطاع والممكن ؟ هل فسر لنا قادتنا الذين كانوا شيء مثلما فسرتهم اسرائيل لان شيئا لم يفسر قادتنا الحاضرين مثلما فسرتهم اسرائيل ؟

وايضا فان مواهب وطاقات واخلاق ابائنا الذين كانوا هنا وكنا فيهم منذ مئات او الاف الاعوام هي تفسير وتحديد وتقويم لمواهبنا وطاقاتنا واخلاقنا التي نحياها وتحيانا ونحيى بها وتحيى بنا اليوم وغدا وبعده ·· نعم ، ان كل كائن هو اخذ وانتقال عمن قبله والتزام بهم ، كما انه عطاء لمن بعده وانتقال اليهم والزام لهم ، بلا تدبير او ارادة او قدرة على المنع او الامتناع · ولكن لا بد ان يكون ذلك باساليب تبدو غير متحددة مع انها متحددة · لهذا فان مواهبنا وطاقاتنا واخلاقنا الكائنة والمشهورة والمقروءة اليوم باعجاب او باشمئزاز هي تفسير وتحديد وتقويم لمواهب وطاقات واخلاق ابنائنا الذين سوف يكونون هنا يوما ما ، واعلان عنها · ان ذلك لكذلك بقدر ما أن كينونة الكون اليوم هي تفسير وتحديد وصياغة لكينونته التي ستكون بعد ملايين الدهور · ان في داخل كينونة الشمس وصياغتها اليوم جميع كينوناتها وصيغها المستقبلة بدقة وتفاصيل متناهية في ضبطها وفي حساباتها التي لا تخطىء · ان كل ما سوف يصيب الشمس في كل عمرها هو موجود ومحسوب فيها اليوم وقبل اليوم ومنذ وجدت وقبل ان توجد كما وجدت ··

نعم، انكل ذلك صحيح ومضبوط بقوانين الكينونة الدائمة والمحتومة ولكن القضية هي انه من المستحيل او من الصعب جدا ان نعرف او نحسب او نقرأ او نستنتج ذلك لعجزنا لا لاختلال او اختلاف في القضية أو في القوانين المتعاقبة بالحتم وبالضرورة الذاتية · لهذا فانه لم يكن في الكون قط ولن يكون فيه ابدا اية عملية خلق بل ان كل ما حدث وما سوف يحدث فيه عمليات اخراج فقط · انه لا بدء في شيء ·

ان في داخل قلب هذا الطفل الذي سوف يعيش مائة عام كل ما سوف يصاب به من امراض وافات والام ونبضات وهموم وفرح وخوف وامن وحب وبغض في كل المائة العام التي سوف يعيشها بكل الدقة والتفاصيل ·· ان في جسمه الوليد كل ما سوف يصيبه من تشوهات وشيخوخة وموت ونوبات زكام محددة مقدما في اوقاتها المحتومة ·· ولكن من يستطيع أن يعرف او يحسب او يستنتج او يقرأ ذلك ؟

ان القضية هي قضية العجز عن الرؤية وليست نقصا او تشوها او غموضا في المرئي ··

نعم ، ان في كل موجود أو كائن كل مستقبله وكينوناته بلا اي نقصان أو زيادة او مبالغة او تقصير · بلا اي كذب او هجاء او تمجيد ·

بقدر ما ان في هذا الليل او هذا النهار كل الساعات والدقائق والثواني التي سوف يعيشها معنا وينفقها علينا ونحننيام او نتمنى انكون نياما، او ونحن ايقاظ نتحرك

ونعمل ، نصعد فوق القمر ونهبط تحت حضيض جميع الاشياء لندلل على أن صعودنا وهبوطنا كلاهما فرار من الذات ومن الصمت وليسا شوقا الى القمر أو الى الحضيض ولا بحثا عن الاله لمعانقته ولا الى الحشرة لتعليمها التمرد على حضيضها ـ ولندلل ايضا على أن المسافة بين سطح القمر وبين حضيض اكثر الاشياء هبوطا ليست اطول من المسافة التي تتفوق بها احدى قامتي انسانين على قامة الانسان الاخـر ، أو التي تتفوق بها وثبة انسان على وثبة كائن اخر يدعى ويحسب انسانا ويبدو في تخطيط انسان ، أو التي يتفوق بها طموح قادر مبصر على خمول عاجز اعمى ..

انه لا شيء يبدأ او يتغير او يخرج عن طريقه الازلي الابدي او عن صيغته الازلية الابدية مهما بدا ان كل ذلك هو الذي يحدث دائما ..

ان كل شيء قد كان في لحظة واحدة لا يمكن فهمها ثم لا شيء يكون غير عمليات الاخـراج والتوزيـع ..

انه لو وجد كائن مطلق وشامل في رؤيته وقراءته وحسابه وتفسيره للاشيـاء لاستطاع في مواجهته للكون الحاضر وفي تفكيره وتحديقه فيه ان يعرف بكل الدقـة والتفاصيل كل ما سوف يكونه في كل مستقبله ، بكل صيغه واحداثه وكائناته .. ان يراه ويقرأه ويفسره ويكتبه ويخضعه لجميع العمليات الحسابية الصعبة والسهلة بلا خطـأ ..

ان يعرف ما الذي سوف يكونه البشر والحيوانات والحشرات بعـد ملاييـن الدهور ، وكم سوف يكون تعداد البشر وكل الكائنات ، وكيف سوف تكون كينوناتهم وحياتهم وصيغهم الذاتية ومستوياتهم الحضارية ، وفي اي عالم او كون سـوف يكونون ويعيشون ويتعاملون ..

لاستطاع ان يعرف وكأنه يرى ذات هذا الانسان الواحد المعين المشار اليـه ، الذي سوف يولد أو يتخلق بعد ملايين الاعوام ، وكم سوف يكون عدد اخوته واخواته واقاربه وما عمله ، واين سوف يكون ويعيش ، وكم سوف يصنع أو يرزق من الابناء والبنات ، وما مستوى ذكائه وجماله واخلاقه وتعليمه .. وان يعرف وكأنه يـرى جميع الامراض والعاهات والاحزان والمشاكل والمخاوف التي لا بد ان تصيبه وتواجهه في أوقاتها واساليبها واحجامها التي لا بد ان تكونها وتكون فيها وتجيء بها . وكم مرة سوف يعتقله حاكمه الثوري التقدمي الاشتراكي ، وما هي الوان التعذيب والتهم التي لا بد ان يوقعها به ويتهمه بها ..

وان يعرف عدد المرات التي سوف يذهبها الى عيادة الطبيب ، وما اسم الطبيب واين تقع عيادته وما شكلها ، وهل يستطيع شفاءه ام يزيده داء مثلما يفعل اي زعيم او قائد او حاكم عربي حينما يواجه اية مشكلة كبيرة او حتى صغيرة ، فيحاول علاجها او مشاتمتها او انكارها او الصمت عنها ، فيكون محتوما ان يزيدها تعقيدا وعصيانا وقبحا بكـل

مواقفه هذه منها . نعم ، اليست معالجة قادة العرب لاية مشكلة ان يشتموها او ينكروها او يصمتوا عنها ، وهذا افضل واذكى ما يصنعون ؟

وان يعرف ايضا وكأنه يرى عدد المرات التي سوف يكذب ويغدر ويهون وينافق فيها .. وعدد المرات التي سوف يقضم فيها اظافره او يمسك شعرات رأسه او لحيته او شواربه ، وعدد المرات التي يتثاءب ويسعل ويئن فيها .. وعدد المرات التي يلقي بها الفضلات وقلامات اظافره وبقايا طعامه في الطريق العام وعلى رؤوس وثياب السائرين كما يفعل الانسان العربي اليوم في كل المجتمعات العربية ، بل وكما يفعل ذلك اليوم ودائما كل العرب حتى اطباؤهم وعلماؤهم وشعراؤهم وانبياؤهم وفنانوهم ، يفعلونه بمشاعر من يؤمنون ويصلون ويمجدون الهتهم واديانهم وأوطانهم وتاريخهم ، وبمشاعر من يزرعون ويصنعون الجمال والفنون والحضارات والطهارة في عيون وضمائر الشموس والنجوم والزهور ..

نعم ، اليس جميع الاطباء والعلماء والشعراء والحكماء والانبياء والفنانين العرب يلقون بكل الفضلات والقمامات والقلامات فوق طهارة ونظافة ومجد السحاب والانهار بنشوات واستعراضات دينية وفنية واخلاقية وجمالية وقومية وطنية ؟

بل يفعلون ذلك وكأنهم من فرحهم ورضاهم عن انفسهم يهبون الشموس ضياءها، والنجوم اغضاءها وتهذيبها ، والزهور عطورها والوانها والانهار وفاءها حينما تجيء في اوانها ..

كأنهم يهبون الرجال موهبة التلقيح والنساء موهبة الحبل والولادة والخصوبة الرهيبة .

بل وكأنهم يعلمون الاله كيف يكون ارحم واذكى واتقى واكثر شهامة وعدلا ونشاطا ، واصح منطقا وتدبيرا ، وازكى ارادة وقصدا ، واقدر على الرؤية والحركة السريعة المنقذة العليمة ..

بل وكأنهم يصبون صبا في ذات الاله كل المعاني العبقرية القوية المطلوبة والمنتظرة منه والمزعومة فيه وله والمفقودة في كل تصرفاته ونياته وضرباته في كل تاريخه المنظور والمسموع والمقروء والمعلوم والمتصور والمستنبط والمجرب المقاسي والمنتظر ابدا بل والمشكو المصروخ المهروب منه ابدا . اجل ، هل يوجد مصروخ مهروب مشكو منه ، ومع هذا مدعو مرجو مصلى له متقرب اليه موهوب كل الثناء والتمجيد مطلوب منه كل ما يراد ويشتهي ويؤمل ـ نعم ، هل يوجد كائن هو كل هذا غير الاله او مثل الاله ؟ وهل في اي شيء نفعله ما ليس شكوى وصراخا وهربا من الاله .

ولاستطاع ايضا ان يعرف وكأنه يرى ان هذه النبتة او الشجرة التي سوف تنبت بعد ملايين السنين لا بد ان تنبت في المكان والزمان اللذين نبتت فيهما ، بنفس الشكل والظروف والقيمة ، وكيف سوف تروى ، بالسحاب ام بالانهار ام بالينابيع ام بالندى ، وان يعرف عدد القطرات التي سوف يصبها عليها السحاب ، وعدد المرات

التي تهددها بالموت والاقتلاع الاعاصير والسموم ، وكم سوف تعيش ، ومتى تموت وباي اسلوب تموت ··

وان يعرف عدد العيون التي سوف تراها ، والايدي التي سوف تمسك بهـــا ، والارجل التي سوف تطأ عليها ، او ان شيئا من ذلك لن يحدث لها ·· بل وان يعرف بكل اليقين ان الطبيعة الخاطئة ابدا سوف تعشق عباءات شيوخ الخليج عشقا لا بد ان يتحول الى اقسى اذلال وعقاب لكرامة وقوة وحضارة كل العالم المصاب بالمجاعات النفطية ·

نعم ، ان ذلك الكائن المفترض المطلق الشامل في جميع معانيه وتفاسيره لا بد ان يعرف مقدما كل ذلك من رؤيته وقراءته الحاضرة للكون الحاضر المشهود بالقدر الذي يستطيع ان يعرف به العلماء اليوم ان الشمس او القمر سيصاب بالكسوف بعد كـذا يوم ، وكم من الوقت سيستمر هذا الكسوف ، وهل سيكون كليا او جزئيا ، واين ستكون منطقته ··

وبالقدر الذي به يعرفون ان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة في مكان كذا ·· بل ان هذا الكائن لو وجد لا بد ان يعرف بكل اليقين كل ذلك اكثر مما يستطيع ان يعرف العلماء حدوث الخسوف ونزول المطر بكل التفاصيل مقدما ··

ان اي شيء يحدث اليوم أو في أي يوم آت أو بعد ملايين الاعوام الضوئية قد صمم وتقرر حدوثه في اليوم الذي سوف يحدث فيه قبل ملايين السنين الضوئيـــة ، بل صمم وتقرر حدوثه منذ الازل ، ولكن بلا مصمم ولا مقرر · ان كل الاشياء تحـدث بلا مقرر أو صمم لان المصمم والمقرر حدثا بلا مقرر أو مصمم· لان الخالق قد وجد بلا خالـــق ··· وانه ليمكن ان يقال بهذا التفسير ان كل ما يحدث اليوم او في اي يوم آت او بعد ملايين الدهور قد حدث منذ الازل اي قد حدث بلا بداية ·· انه لا يوجد امس واليوم وغد بالنسبة لحدوث الاشياء اي لتقرر وحتمية حدوثها · ان الشـــيء اما حادث في كل لحظة او لن يحدث في اية لحظة اي بهذا التاويل انه اذن لا شـــيء يحدث قبل شيء ، ان كل الاشياء تحدث او حادثة او موجودة بلا حدوث في وقت واحد او مرة واحدة · ولكنها اي جميع الاشياء تخرج او ترى شيئا بعد شيء ، وهذا معنى حدوثها او وجودها شيئا بعد شيء ·· ان كل ما سوف يوجد قد وجد منذ الازل ، وكل ما لم يوجد من الازل لن يوجد في المستقبل · انه لا قبل ولا بعد بهذا التفسير ·

ان اي مولود يولد في هذه اللحظة قد ولد او وجد بولادته ولحظة ولادته كـــل كينوناته وصيغه واحداثه المقبلة بالحتم بلا وقبل وبعد·· انصباه وشبابه وكهولته وشيخوخته وموته وامراضه وجميعمواجهاته وممارساته ومقاسياته ومسراته وكلشيء سيلقاه او يحياه ـ ان كل ذلك قد ولد او وجد مرة واحدة بلا قبل او بعد ، ولكن الذي يحدث ان شيئا يخرج ويرى بعد شيء ·· والاسباب والظروف التي تجعل هذه الاشياء في المولود تحدث باسلوب حدوثها وفي وقته ومكانه هي اسباب وظروف محتوم حدوثها

بالاسلوب الذي به تحدث بل وفي نفس الوقت • ويعني بحدوثها هنا خروجها ورؤيتها لا وجودها لانها موجودة منذ الازل اي في اللحظة التي وجد فيها اي شيء واول شيء ، ولكن بالتفسير السابق لمعنى الوجود •• ان هذا ليس اكتشافا لاعماق بعيدة بل هو رؤية لمنظر قريب جدا •

ان ما اقوله في هذه اللحظة قد صمم وتقرر منذ الازل وبلا بداية ان اقوله بنفس الاسلوب والعنف والحماس والاقتناع والصيغة وفي نفس المكان والزمان • ولم يكن يحتمل الا اقوله ، لم يكن يحتمل ان يحدث اي شيء يجعلني احجم عن قوله او اهاب او أرفض قوله أو اعجز عن قوله •• ان كل ما يحدث لي أو مني كان مستحيلا الا يحدث وان كل ما لا يحدث لي او مني كان مستحيلا ان يحدث او أن يحدث ما يجعله يحدث•

ان ما اقوله في هذه اللحظة قد قلته يوم ولادتي بل منذ الازل ، قبل ان تظهر هذه الارض او هذه الشمس بصيغتها الحاضرة • ولكن بالتفسير السابق الذي تكرر الحديث عنه • لهذا فان كلمات قبل وبعد وحدوث واحداث وخلق وامثالها في جميع اللغات لا يمكن ان تعني الا الاسلوب الظاهري او الصيغة المرئية • والبشر بهذه التعبيرات اما متساهلون ومضطرون الى هذا التساهل في تعاملهم وتخاطبهم ، واما مخطئون خطأ عقليا أو اعتقاديا أي انهم يرون لانهم مخطئون ان هذه الكلمات تعني معانيها البعيدة والقريبة ، المرئية والمنطقية غير المرئية•

ان هذا ليس حديثا عن القدر الديني أو عن أي قدر بأي معنى صوفي أو روحي أو غيبي • بل أن الذي اعنيه هنا هو ضد هذا القدر بكل تفاسيره بل ضد كل قدر • انه لا يوجد قدر بأي معنى من معانيه السلفية ، ولكن ضرورات وطاقات وقوانين ذاتية محتومة ولكنها ليست محسوبة او موضوعة بحساب •

ان العالم حينما تقول له اجهزته وحساباته ان الشمس ستصاب بالخسوف يوم كذا ، وان المطر سوف ينزل بعد كذا ساعة بغزارة كذا ، وان الرياح ستكون بسرعة كذا ، وان مزاج الطقس سيكون اليوم أو غدا كذا ، فيخبر عما قالت له اجهزته وحساباته ، لا يكون اي العالم متحدثا بذلك عن اي قدر ، ولن يجوز ان يوصف بانه قدري بأي تفسير من تفاسير القدرية • وان كان هذا قدرا او قدرية فانهما قدر وقدرية ضد القدرية والقدر القديمين اللذين يعنى بهما ان الاحداث والاشياء والاكوان تفرض عليها كينوناتها وقوانينها من خارجها •

ان الحديث هنا حديث عن قوانين الكينونة وعن تسلسلها وتوالدها المتعاقب المحتوم • والقدر ينافي بتفاسيره قوانين الكينونة الذاتية المحتومة بكل تفاسيرها • ان القدرية القديمة تعني المشيئة الخارجية ، تعني ان الاشياء لا تحدث بالحتم الذاتي •• تعني ان الاشياء احتمال لا حتم لان ارادة خارجية او أخرى تتدخل فيها لتجعلها هذا او هذا ••

انه لو لم تكن قوانين الكينونة المتسلسلة المتعاقبة بصيغة التوالد محتومة

لما امكن ان يحدث شيء ٠ اي ان الكون بكل احداثه ووحداته وصيغه وكينوناته وبكل اشيائه لو لم يوجد كله مرة واحدة اي بالتفسير السابق لما امكن ان يحدث اي شيء ٠٠ ان الكون بكل وحداته وصيغه واحداثه موجود وليس موجدا ٠ اذن ما لم يصبح موجودا كيف يمكن ان يصبح موجودا ؟ انه لا يوجد من يصنع له او به الايجاد ٠

كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي كان يمكن الا يوجد ؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد من الازل ايبلا بداية ، اي حينما وجد اول شيء ؟ اي كيف يمكن ان يوجد الشيء الذي لم يوجد مع كل شيء مرة واحدة ؟ ٠٠ كيف يمكن ان يكون هناك ايجاد اذا لم يكن هناك موجد ، اي اذا لم يكن هناك كائن اخر يريد الايجاد ويدبره وينفذه ؟

لو كان يمكن الا توجد الشمس او القمر أو الحشرات أو الحياة أو الحضارة الانسانية أو أي امة من الامم او أي انسان معين فكيف يمكن أن يوجد ذلك ؟ باي قانون أو قوة أو اله يمكن حينئذ ان يوجد ؟ ولماذا حينئذ تريد وتدبر وتنفذ هذه القوة أو القانون او الاله ايجاد الشمس او القمر او الانسان او أي شيء ؟

نعم ، ان اي شيء يوجد لم يكن ممكنا الا يوجد ٠ انه لم يوجد تطوعا او حبا أو شوقا او اختيارا أو منطقا أو تدبيرا أو تخطيطا أو شهامة أو مجاملة أو تدينا ٠ بل لقد وجد لانه لا يستطيع الا يوجد ٠ لقد وجد لانه كان موجودا ٠٠ لو كان ممكنا الا يوجد الاله والا يوجد كما وجد وألا يوجد الاشياء والعوالم كما أوجدها ، فكيف يمكن أن يوجد وان يوجد كما وجد وان يوجد الاكوان والاشياء كما أوجدها ؟

نعم ، لقد وجد الشيء الذي وجد لانه كان موجودا ٠ كان موجودا من الازل ، اي بلا بداية او ارادة او تدبير او تخطيط او دعوة له او تفكير فيه او منه ٠ اننا لا نريد ان نكون او نفعل او نتغير او نحيا اختيارا او تطوعا او تخطيطا بل لاننا كنا او جئنا مريدين منذ الازل قبل وجودنا بصيغتنا هذه ٠

ان موت الانسان او موت الحياة لو لم يكن موجودا اي الموت من الازل اي بلا بداية لما امكن ان يوجد ٠ من الذي يستطيع او يريد حينئذ ان يوجده اي يوجد الموت لو لم يكن موجودا من الازل بلا بداية ؟ ان موت هذا الانسان لو لم يكن موجودا اي موته قبل ان يولد لما امكن ان يموت ٠

انه لو فقد الموت يوما ما في المستقبل لكان المعنى ان فقده قد وجد منذ الازل ولكنه اي فقده لم ير ويعرف الا في الوقت الذي ظهر فيه ٠ اي أن ظهوره والعلم به هما اللذان حدثا لا وجوده ٠٠

ان كل شيء قد وجد بلا بداية ، بلا زمن ، والا فلن يوجد ابدا ٠

اجل ، ان الاحداث والكينونات والاشياء هي اسباب ونتائج ولكن مجموعة الاسباب والنتائج محتوم أن تحدث كما حدثت بكل اساليبها واوقاتها واماكنها وصيغها ٠ ولو كان ممكنا الا تحدث وكما حدثت لما كان ممكنا ان تحدث وكما حدثت ٠

انه لو كان هناك خالق ومخلوق لكان محتوما ان يحدثا بالاسلوب الذي به يحدثان ٠

ان هذا الانسان المعين الذي يصاب هذا اليوم بكآبة او بفرح او بخوف او بأية حالة نفسية او جسمية اخرى لم يصب بذلك الا تحت اسباب وظروف ذاتية وخارجية معينة لتكون الحالة او النتيجة كما كانت ٠ ولكن لقد كان محتوما حدوث وتجمع هذه الاسباب والظروف لتجيء النتيجة او الحالة التي جاءت كما جاءت بالحتم الذي لا تدبير فيه ولا ارادة تصنعه او تفهمه او تعشقه او تستفيد منه ٠٠

اي ان الاسباب والنتائج محتوم ان تجيء ابدا كما جاءت وكما تجيء ٠٠

ان جميع الاسباب والنتائج موجودة منذ الازل اي بلا بداية اي بلا زمن ٠ لهذا فان الاسباب لم توجد قبل النتائج ولكنها ظهرت وتكلمت قبلها ٠ نعم ، ان كل انسان وكل شيء يولد أو يوجد مزروعا مخزونا في جسمه كل ما سوف يفعله ويصيبه بلا أي تغيير أو تبديل أو زيادة أو نقصان ٠

ولماذا لا يحدث ولا مرة أن يصعد الى مركز القيادة والسلطان في العالم العربي ولو واحد فقط من صالحي العرب وعباقرتهم ، وكل العرب صالحون وعباقرة مع استثناءات قليلة جدا ؟ هل هم عاجزون عنهذا الصعود أم جاهلون باسبابه أم مجفلون خائفون من تبعاته وتكاليفه واخطائه ومحاسباته ، بل ومن اغراءاته وغواياته ، ام هم زاهدون فيه ؟

كيف لم يحدث ولا يحدث ولو خطأ او مجاملة من القدر أن يصعد الى قمة القيادة والحكم ولو واحد فقط من عباقرة العرب وصالحيهم ؟

هل هو فقد للطموح والهمة وللاحساس بالواجب امهو تورع او زهد او خوفيهزم ويذل ويقتل الطموح والهمة والاحساس والموهبة ؟

هل يوجد تفسير لهذا بأي منطق في قوانين الاشياء ؟

كيف أمكن أن يوجد من يقولون بهذا أو من يقتنعون به ؟ أي كيف أمكن أن يوجد من يعتقدون ان في العرب مزايا اعظم من مزايا من هم دائما حكامهم وقادتهم وانبياؤهم ؟

ألا يعلم ذوو المزايا ما الذي لا بد ان يحدث حتما اذا هم جميعا قد قرروا والتزموا بكل الصرامة والديمومة بالا يكونوا حكاما او قادة او معلمين وانبياء ، ثم لم يكتفوا بهذا فقط بل قرروا والتزموا جميعا بلا اية مخالفة ان يصبحوا رعايا واتباعا طيعين صالحين مثاليين في طاعتهم واستسلامهم للاقليين التافهين الاشرار العاجزين المهزومين الطغاة الاغبياء الذين لا بد ان يكونوا هم وحدهم ودائما القادة والحكام والمعلمين والدعاة الهداة ـ اي كما تفعل جميع الشعوب العربية في كل تاريخها القديم والحديث في تعاملها مع حكامها وقادتها ولصوصها ودجاليها الكبار الصغار ؟

اذن ماذا تعني مزاياهم ، ولماذا وهبوا أية مزية حينئذ ؟ اليس اعطاء المزايا الذاتية اسلوبا عنيفا من التكليف والالزام والمسؤولية ؟ اذن أليس خيرا لهم واقل ذنبا وعارا أن يكونوا بلا أية مزايا لان خضوع النذالة والضعف والبلادة والجبن والفجور للنذالة والضعف والبلادة والجبن والفجور اقل ذنبا وهوانا وتشوها من خضوع الشهامة والقوة والعبقرية والبسالة والتقوى لذلك أليس اتباع الدجال للدجال وايمانه به اقل قبحا ونذالة من اتباع النبي للدجال ومن ايمانه به ؟ هل يمكن أن يكون تداوي الطبيب عند المعالج بالسحر وبالرقية والتميمة والتعويذة مثل تداوي الرجل البسيط الجاهل ؟

لماذا تظل دائما مزايا الانسان العربي هي أردأ واقبح واضعف مستويات وصيغ الرذائل ؟ بل لماذا تتحول مزاياهم الى هذه المستويات والصيغ التي هي دائما اردأ واقبح وأضعف مستويات وصيغ الرذائل ؟

اي لماذا تظل ـ بل تتحول ـ دائما شهامتهم وشجاعتهم وذكاؤهم وقوتهم وتقواهم ونظافتهم هي دائما أردأ انواع نقيضها ، لانها تظل بل تتحول دائما الى رعايا وخدم وعبيد وجنود جيدين وطيبين دائما لنقيضها ؟ لماذا تظل دائما القداسة والنبوة والعبقرية والبطولة العربية تابعة بمهانة للنذالة والوقاحة والشعوذة والتفاهة الملوثة الجبانة العربية ؟

اليس من اذكى واتقى انواع الدفاع عن العرب ان يقال ان حكامهم وزعماءهم وقادتهم ودعاتهم هم اعظم من فيهم بكل مقاييس ومعاني وانواع العظمة ، اعظم من جميع جماهيرهم ، والا كيف امكن أن ينتصر ويتفوق الأردأ الاغبى الاتفه الاضعف على الاعظم الاقوى الاذكى الاشجع، وان يستسلم ويذل ويتعبد هذا لهذا بكل هذا الهوان والطاعة والجبن والانهيار والديمومة والتاريخية الشاملة ؟

اليس دفاعا مجيدا عن العرب ان يقال انه ليس في باطنهم انبياء ولا ملائكة لان كل من يجيئونهم بالوحي ليكونوا فيهم ولهم انبياءهم من الدجالين والابالسة ؟

اذن اليس تحقيرا حادا للعرب : الزعم بانهم جيدون او عظماء أو عباقرة أو أحرار أو شجعان أو اقوياء واذكياء واتقياء وخالقو حضارات وحريات وقيم انسانية خالدة وقائدة ، ولكن قادتهم وحكامهم وانبياءهم ودعاتهم وحدهم وجميعا هم الذين ليسوا كذلك ، بل هم وحدهم ودائما النقيض لكل ذلك ؟ اليس هذا يساوي ان تقول عن انسان : انه ذكي وقوي وعبقري وشجاع ومهذب بلا حدود ولكنه لا يفعل او يفهم أو يريد الا الغباء والجبن والنذالة والفحش ؟

انهما لسذاجة وغفلة تستحقان كل الرثاء ، اعني غفلة وسذاجة هؤلاء الذين يفسرون الانسان العربي تفاسير جيدة ومرضية بلا اي استثناء ثم يجدون كل التفاسير الرديئة والضعيفة في حكامه وقادته وزعمائه وفي جميع من قفزوا فوق سمواته ، بل ثم لا

يجدون شيئا من هذه التفاسير الرديئة الضعيفة الا في هؤلاء ·· اذن مفسرو العرب هذه التفاسير كيف لم يطالبوا بالا يكون للعرب حاكم واحد : ملك او رئيس او قائد من انفسهم بل بان يكون كل حكام العرب رؤساء وملوكا مستوردين دائما بالاسلوب الذي يستوردون به السلع المفقودة او الناقصة او الجيدة من الخارج ؟

كيف لم يفطنوا الى انهم بهذا التفسير لا يهبون العرب شيئا من المجد او التمجيد بل يهبطون بهم بلا قرار ، بل يبتكرون او يتصورون لهم حضيضا لا يمتلك اي كائن اخر حضيضا يساويه او يشبهه ؟ ان الذين يفسرون العرب هذه التفاسير هم كالذين يفسرون الاله ، انهم يذمون حيث يريدون المديح ··

ان اصحاب هذه التفاسير هم من الشعوب او من الجماهير العربية · فهل هم ، وهذه تفاسيرهم ومستويات تفكيرهم وذكائهم ورؤيتهم اعظم او اكثر موهبة عقلية او تصورية او نفسية او أخلاقية من قادة العرب وحكامهم وانبيائهم المتوجين ؟ هل رؤية الشعوب العربية هذه الرؤية لهذه القضية يمكن ان تجعلهم شيئا افضل من حكامهم في اي شيء ؟ ان تفاسير الانسان العربي لحكامه ولنفسه ومواقفه من حكامه ومن نفسه لا بد ان تجعله شيئا لا يستطيع ان يكون اكبر او اعظم من حكامه او ان يزعم له ذلك ·· لنقرأ بعقولنا التي يجب ان تكون غير عربية ، او عربية قد تخطت العقول العربية ، او تعلمت التفكير والقراءة والرؤية بمستويات اكثر من عربية ، وهل تستطيع العقول العربية ان تكون غير عربية او أن تتعلم التفكير او التفسير أو القراءة او الرؤية بمستويات او باساليب غير عربية او افضل من عربية ؟

نعم ، لنقرأ بعقولنا الجديدة هذه القصة او هذا الواقع المشهود لو وجدت ـ اي لو وجدت عقولنا الجديدة غير العربية ·· لنقرأ هذا بعقولنا المفترضة ··

جيش عربي كل آحاده او اغلبهم ، مع استثناءاتقليلة جدا ، عباقرة وابطال ومنزهون عن كل نذالة وضآلة وقبح وفحش وطغيان وفجور وتهريج وتدجيل ونباح فضاح · منزهون عن كل غوغائية وسوقية صراخية عربية ··

هذا الجيش العربي يواجه في بلده فسادا وبؤسا وتخلفا وطغيانا واشياء كثيرة رهيبة لا يحتمل الصمت عنها · ويرى انه هو الحارس المؤكد لسلطان هذه الاثام والشرور ، فيغضب ويهتز ويقرر أن يصنع شيئا ··

انه القفز بالتدبير والتآمر الى عرش السلطان لكي يقفز بالبلد فوق اثامه والامه ، ولكي يتحول من حام للاثام والالام الى محطم لها منقذ منها ··

انه الخروج على القانون لازالة الخارجين على الانسان · اليس الخروج على القانون حماية للانسان تمجيدا للقانون ؟ ··

ولكن ما ابشع ما يحدث · ان الذين يقفزون الى العرش لينقذوا ويحرروا من الاثام والالام وكل انواع الهوان هم الاقلون الاذلون الاشرار الاغبياء الكذبة المهرجون

الصائحون المرضى بالاعلان عن الذات وبعرضها ونشرها فوق كل الشرفات والحبال والاجراس العالمية ٠٠

اما ذوو المزايا والمواهب القادرون على الانقاذ والمريدون له والمرجوون لفعله فانهم لا يدبرون ولا يتحركون وانما يظلون خمودا في تثاؤبهم وغيبوبتهم وهوانهم ، ينتظرون حتى يقفز اولئك الاشرار الجهلة التافهون لكي يتحولوا هم الى رعايا وهتافين وجنود لها ٠ انهم يظلون خمودا يتحدثون عن المزايا والامجاد المفقودة المسحوقة وعن محبتهم لها وايمانهم بها دون ان يفعلوا شيئا لها كما يظلون يتحدثون عن الرذائل الموجودة المنتصرة مجندين لخدمتها وحمايتها وطاعتها بادب واخلاص وتقوى ٠

انهم ليسوا الاطباء بل ولا المرضون هم الذين يجيئون ليحموا ويعالجوا ، بل هم المرضى وحاملو جراثيم الامراض وصانعوها ٠ انه ليس المبصر هو الذي يقود العميان والمبصرين بل الاعمى هو الذي يقود المبصرين والعميان !!

انها الاوبئة الرهيبة الشاملة التاريخية تجيء لكي تداوى من الامراض الخفيفة المتواضعة المعايشة لاصحابها برفق واستحياء وشهامة ٠٠

انه السل أو السرطان يجيء ليعالج من الشحوب او من الغثيان او من كسل الكبد او من فقر الدم والضعف العام ٠

ان الاطباء هنا لا يتخلون عن المجيء والتقدم للعلاج والانقاذ فقط بل انهم يتحولون الى جنود للاوبئة ولصانعي وناشري الامراض والى هتافين ودعاة لهم ومعلمين بمزاياهم ومزاياها اي مزايا الاوبئة ٠٠ ان الطبيب هنا ليس غير طبيب فقط بل انه طبيب مضادَ يخدم الامراض ويعلم مزاياها ٠

انه ليس النبي او الملاك هو الذي يتلقى الوحي ويحفظه ويلتزمه وينهض به ويعلمه وينفذه ويعلنه ، ولكنه المهرج والدجال والشيطان ٠ بل أن النبي والملاك يخمدان وينتظران باستسلام وهوان حتى يقفز المهرج والدجال والشيطان الى كرسي النبوة لكي يصبحا اي النبي والملاك رعايا وجنودا لهم اي للدجال والمهرج والشيطان ٠ ان النبي والملاك لا يصبحان هنا بلا نبوة ولا ملائكية فقط بل انهما يتحولان الى حرب على النبوة والملائكية ، الى حرب على نفسيهما ٠٠

وهكذا يستمر هذا الجيش العربي يكرر عملياته هذه بهذا الاسلوب ، بهذه المزاعم ، بقيادة هؤلاء الاشرار الانذال الضعفاء المهرجين الصياحين ٠ وهكذا تفعل جميع الجيوش العربية ، دون ان يقع خطأ واحد او صواب واحد اي بان يقفز الى مركز القيادة والسيادة بالتدبير والتآمر رجل واحد ولو مرة واحدة من ذوي المزايا القوية في اي جيش عربي ليحكم ويقود وينقذ ويعالج ليكون بديلا عن النقيض ، ليكون الطبيب بديلا عن الحجام او ضارب الرمل او قاريء الكف او كاتب التميمة أو باصق الرقية ، وحاميا منه ، وايضا ليكون النبي والملاك بديلين عن الدجال والمهرج والشيطان ، وحاميين منهم ، وايضا ليكون العالم او الحكيم أو الفيلسوف

بديلا عن العسكري ، وحاميا منه ، وايضا ليكون المنطق والذكاء والتفكير والصدق بديلا عن الصراخ والسباب والوعيد والادعاء والغرور ، وحاميا منه ، وايضا ليكون الانسان المفكر المتحضر المتكلم بديلا عن الكائن او عن الانسان المصوت الهداد الصهال ...

ان هذا هو التفاسير للقول بان الشعوب العربية جيدة وعظيمة ، وان اصحاب الرداءة والتفاهة فيها قليلون جدا ، وان هؤلاء القليلين جدا هم الذين يصعدون دائما فوقها ليكونوا القادة والسادة والحكام والانبياء والمداوين لها من كل الامها وذنوبها وتشوهاتها .

بل ان هذا هو بعض التفاسير لهذا القول .

لماذا قرر والتزم جميع ذوي المواهب والمزايا الحضارية والانسانية والفكرية والاخلاقية في جميع الجيوش العربية ان يتخلوا عن القيادة والزعامة لكي يستولي عليهما العاجزون المخربون المرضى بشهوة المخاصمة والمشاتمة والتحدي العاجز وبشهوة التعري داخل كل العيون ، والذين كل اهتماماتهم وعبقرياتهم وانجازاتهم ان يصنعوا المشاكل أو ان يحرضوها ويثيروها ويلعنوها ويتحرشوا ويصطدموا بها دون أن يفهموها او يعالجوها او يسالموها او ينتصروا عليها بل او يخدعوها بالمهادنةاو بالصمت او بالتهذيبوالتواضع؟ هليوجد جبن او عجز او هزيمة او خطيئة تساوي هذا القرار والالتزام ؟

وهذا التساؤل موجه الى الافتراض او الاقتناع بانه يوجد في احشاء الجيوش العربية خير ممن بصقتهم فقفزوا فوقها ليقودوها الى الهزائم والفضائح والمشاكل والعجز بكل اسلحة الضجيج والغرور والوقاحات والقبائح .. هل يمكن ، اي مع هذا الافتراض او الاقتناع فهم هذا الذي يحدث دائما في الجيوش العربية بلا تغيير أو تبديل ؟ هل يمكن حينئذ فهم الجيوش العربية او فهم الانسان العربي ؟ ولكن هل يوجد من يطمع في فهم الانسان العربي او فهم الجيوش العربية اي اذا حوسبا او فسرا بالانسان الاخر وبالجيوش الاخرى ؟

اما اذا فسرا وحوسبا اي الانسان العربي والجيوش العربية بنفسيهما ومستوياتهما فهل يوجد من يعجز عن فهمهما ؟

أليس من الستر على الجيوش العربية ومن الانصاف والمحاباة لها ان يقال ويعتقد بان الذين يقفزون فوقها دائما ليعرضوها هذا العرض العالمي الكوني الفضاح هم افضل واعظم من حبلت بهم وولدتهم مواهبها بل مواهب الانسان العربي ؟

أليس دفاعا عنك ان يقال ان الذي حكمك وقادك واذلك هو اذكى واقوى منك مهما كان ضعفه وغباؤه ؟

هل يقبل عالم الحشرات او الحيوانات او اي عالم اخر ان يكون دائما كل من يقودونه ويحكمونه ويذلونه ويقفزون فوقه ، وكل من يفكرون له ويعلمونه وينهونه

ويأمرونه ويصبحون ملائكته وانبياءه ، هم اضعف واعجز واجهل واكذب وافسد واغبى واطغى واوقح من فيه ؟ اذا كان الاضعف والاغبى والاتفه هو دائما الذي يضرب وينتصر ويقود فما معنى الذكاء والقوة والعظمة اذن ، ولماذا ؟

ان الجيوش العربية لن تهجي باقسى من ان يقال انه يوجد فيها من هم اذكى او اشجع او أقوى او أعظم ممن يقفزون دائما فوقها • اي ان اقسى اساليب السب والهجاء للانسان العربي ان يزعم بان الذين يتآمرون من جيوشه بالسلاح لكي يصبحوا هم حكامه وقادته وانبياءه هم أردأ عبقريات جيوشه وعبقرياته ، او هم وحدهم كل عبقريات جيوشه وكل عبقرياته الرديئة ••

ان الاعتقاد بان الذين يقفزون فوق الجيوش العربية هم اعظم من فيها لهو هجاء قاس لها ولكن القول او الاعتقاد بانهم اردأ واضعف من فيها هو هجاء اقسى ••

سجل ايها التاريخ • ان كل احاد الجيوش العربية هم ملائكة وانبياء وعباقرة وأطباء ، ولكنهم لاسباب لم يستطع فهمها وصعب ان يستطاع فهمها ، يذهبون بتدبير او بغفلة مذهلة يفرزون اعدادا قليلة جدا من الابالسة والدجالين والتافهين والمشعوذين ومن المعالجين بالسحر والتعاويذ والطلاسم وبالسباب والصراخ والادعاء ، لكي يكونوا دائما هم الحكام والقادة والمعلمين والمداوين من كل الاثام والالام والتفاهات ومن كل نماذج الضعف والتخلف • لكي يكونوا الثوار الكونيين الشافين لك من كل تفاهاتك وتشوهاتك ••

سجل ايها التاريخ ذلك ولا تخف ان يقتلك الشعور بالعار او بالذنب أو بالهوان• ارقص وغن ايها التاريخ لهذا الغباء والسخف • أليست اطول وأشهر رقصاتك واغانيك هي رقصاتك واغانيك للسخف والغباوات ؟

سجل وقل ان اقواما يقولون ما معناه ذلك دون أن يستتروا او يرتجفوا خوفا ان تحدق فيهم العيون أو العقول او التساؤلات والظنون المفجوعة بهم • ولكن هل بقي للعيون او العقول أو موهبة التساؤل شيء من كرامتها او رؤيتها او غضبها لتهاب اويستتر منها أو لتفجع بأي شيء ؟

جسدك ايها التاريخ مغطى بالذنوب والعاهات والنذالات والبلادات وبالعار والقبح •• جسدك هو اكبر مزرعة كونية لانبات العار والدمامات والسخف والاكاذيب والتشوه بكل لغاته وتفاسيره وفنونه •

وهل يوجد مكان في الكون لانبات ذلك غير جسدك المصاب المهان ؟

جسدك ايها التاريخ فجيعة وعقاب للعيون والعقول والضمائر والانوف والايدي التي تراه او تقرؤه او تفهمه او تفسره او تحاسبه او تلمسه او تشمه • هل رأيت ايها التاريخ جسدك ولو مرة واحدة ؟

هل استطاعت عين ان تراه او جرؤت على رؤيته ؟ ان كل الناس يعيشونك ويستمتعون بك • ولكن هل استطاعت عيونهم او جرؤت على رؤية جسدك • ولكن

لا تخشى شيئا ايها التاريخ فلقد قتلت في كل العقول والعيون والضمائر والاخلاق كل قدرتها على الرؤية مهما حاولت ان ترى ٠٠

ان القادة والحكام والانبياء من حيث الرؤية او الفكر او التفاسير العامة ليسوا شيئا غير شعوبهم وجماهيرهم ٠ ليسوا افضل أو أردأ منها اي من حيث الرؤية أو الفكرة او التفاسير العامة أو المطلقة ٠ كذلك الشعوب او الجماهير ليست شيئا غير قادتها وحكامها وانبيائها ، ، ليست اعظم او اتفه منهم اي بالمعنى السابق ٠ ان الحكام والقادة والانبياء هم شعوبهم ، وان شعوبهم هي هم والاختلاف ليس الا في الاماكن أو الكراسي أو الازياء ٠

لهذا فانه لا يحتمل او ينتظر ان يكون شعب او مجتمع عظيما عبقريا أو تافهـا عاجزا بليدا ثم يكون جميع حكامه وقادته وانبيائه المتعاقبين عليه نقيضا له اي في عبقريته او في تفاهاته ٠ كما انه لا يحتمل او ينتظر أن يكون جميع قادة وحكـام وانبياء مجتمع او شعب في جميع اطوار تعاقبهم عليه عباقرة وابطالا او جبناء وانذالا ومغفلين ورعودا بلا اي سحاب بل بلا اي سماء ، ثم يكون شعبهم او مجتمعهم كله او اكثره او كثير منه نقيضا لهم اي في مزاياهم وتفوقهم او في رذائلهم وتخلفهم ٠٠ ان هذا لا يمكن الا بقدر ما يمكن ان تقوى او تضعف حدة البصر بالانتقال من كرسي الى اخـر ٠٠ انه لهذا لممكن جدا ان تعرف مواهب وقدرات واخلاق اي شعب أو مجتمع بمعرفة مواهب واخلاق وقدرات حكامه وقادته وانبيائه ٠ كما انه ممكن جدا معرفة كل ذلك عن حكامه وقادته وانبيائه المتعاقبين بمعرفة ذلك عنه اي عن اي شعب أو مجتمع ٠

بل ان معرفة هؤلاء هي معرفة مساوية لهؤلاء ٠٠

ان احد الفريقين لتفسير او منطق للفريق الاخر لا يمكن ان يخطيء ٠٠ ان كـلا الفريقين ليفسر الفريق الاخر اصدق مما يفسر اي تفسير نصه ٠ ان اية تفاسير قـد تكون غير نصوصها او خارجة عليها او غير معبرة عنها بصدق او بذكاء او بشمول او بنزاهة ٠٠ أما القادة والحكام والانبياء فانهم دائما تفاسير لشعوبهم ومجتمعاتهم لا تخطيء ولا تضل ولا تكذب ولا تخدع ولا تجيء اقل أو اضيق ٠ كذلك المجتمعات والشعوب هي نفس هذه التفاسير لحكامها وقادتها وانبيائها بكل هـذا الصـدق والشمول والدقة والنزاهة ، بكل الجمال والقوة او بكل القبح والضعف ٠ لهذا فان الحكم على اخلاق ومواهب وتاريخ شعب من الشعوب هو حكم بنفس القدر على اخلاق ومواهب وتاريخ انبيائه وقادته وحكامه مدحا وذما فالشعب الجبان او العاجز او المنافق أو الذليل أو التافه أو الغوغائي أو البليد المغرور لن يكون انبياؤه وقادته الا كذلـك ٠٠

ان احدهما ليرى الاخر ويفسره كما تصنع المرآة السوية بالوجه المنشور عليها ٠ بل أن القضية ليست هي ان احد الفريقين يفسر الاخر ويعبر عنه بكل الصـدق

والشمول ، بل ان احد الفريقين هو نفس الاخر وليس تفسيره ٠

حتى الالهة فانها لا تستطيع ان تكون اكبر أو اعظم من عبيدها والمؤمنين بها ، اي اكبر او اعظم من ذكائهم أو منطقهم او تصوراتهم او من طموحهم وامانيهم ورؤاهم ٠ ان المؤمنين باي اله لن يكونوا في نماذجهم العقلية او النفسية أو الاخلاقية أو الفنية أردأ أو اصغر منه كما لن يكونوا اكبر أو اعظم منه ٠٠

انها اذن لن تكون غيرهم او غير تفاسيرهم ٠ انها في جميع تفاسيرها مساوية لهم في جميع تفاسيرهم اي مساوية لجميع معانيهم المذكورة ، اي الالهة وعبيدها والمؤمنون بها ، المصورون المتصورون لها ٠٠ بل أن كل انسان هو الهه جاء في صيغ تصورات وتضرعات ومخاطبات وتمنيات ٠ ان اي اله هو تعبيرات من يزعمون الايمان به عن مستوياتهم ٠٠ انه ليمكن جدا معرفة منطق وذكاء واخلاق وطموح وموهبة ومستويات اي انسان الفكرية والنفسية والفنية من الصور والصيغ والنماذج والتفاسير والاخلاق التي يتصورها ويضعها ويتمناها لآلهه ويحبها فيه ويمجده ويراه بها ٠ فالمؤمن لا ينحت صور الاله او اخلاقه من ذات الاله بل من ذاته هو ، ذاته المادية والمعنوية ٠ لهذا اوصفه دون أن يراه او يعرفه او يقرأه او يفسره او يجربه او يحاكمه لانه كان يصف ذاته ونفسه هو لا ذات او نفس الهه ٠٠

اذن كيف يمكن ان يكون اكبر أو أعظم منه ، أو أن يكون شيئا غيره ؟ ان القائد او الزعيم او الحاكم لن يكون غير شعبه ، اكبر أو أصغر ، اذكى او اغبى منه الا اذا كان ممكنا ان يكون الاله اعظم أو اردأ من المؤمنين بـه ٠

هل يمكن أن تلد الذات او تحتوي ذاتا اكبر منها حجما ؟

ان القادة والزعماء والحكام والانبياء همفيضمائر ومواهب شعوبهم وكذا الالهة في ضمائر ومواهب المؤمنين بها ، كالاجنة في بطون امهاتهم ٠ وهل يمكن أن تكون الاجنة اكبر من بطونها ؟

***

ان اساليبنا في تقبل الاشياء ومواجهتها وفي التعامل بها ومعها والتحدث عنها لن تكون شيئا غيرنا ، اقوى واذكى او اضعف واغبى منا ٠

ان اساليبنا في التقبل والمواجهة والتعامل تعبير صادق وصحيح عن مواهبنا وطاقاتنا المختلفة ٠٠

انه ليس ممكنا ان نكون شجعانا واقوياء واذكياء وملتزمين بالصدق والتقوى والتطهر الروحي والاخلاقي والتعبيري ثم نصبح جنودا ورعايا متبعين منفذين باخلاص لنقيض مزايانا لاننا نؤمر او نقاد او ندفع الى هذا النقيض فنطيع آمرينا خوفا او حبا او تادبا او خمولا او انخداعا ٠٠

ان هذا ليستحيل في جميع قوانين الكينونة اكثر مما يستحيل ان يكون الكوكب الصغير جاذبا ومركزا للكوكب الكبير ، او ان يطارد او يفترس او يخيف أو يهزم

او يذل العصفور أو الفأرة أو الارنب النسر أو السبع أو الجواد ، أو أن تحترق أو تنطفىء الشمس خجلا او رهبة من ضوء الشمعة او تموت اي الشمس خوفا منها اي من الشمعة وتكريما لها واظهاراً لنورها ومجدها ، او ان تحتجب اي الشمس بكل اضوائها وامجادها امام جبروت وكثافة ووقاحة اية ظلمة ، او أن يكون الشيطان هو دائما السلطان الذي لا يؤمن به ولا يطيعه او يصلي له او يقاتل تحت رايته الا اخلاق وضمائر وقلوب الملائكة والانبياء ٠

ان قادة وحكام وانبياء بل ومفكري اي شعب او مجتمع ليسوا الا التعبير العنيف الصارخ الشامل المرئي المسموع المقروء عنه اي عن الشعب او المجتمع ٠ انهم هم هذا الشعب او المجتمع في حالة اعلانية شاملة ، او هم شعبهم او مجتمعهم معروضا متعريا بكل وسامته واستوائه وقوته او بكل دمامته وتشوهه وضعفه ٠ انهم هم شعبهم بكل قدرته على الصراخ والاعلان والاثارة والتاثير وعلى الظفر بالاعجاب أو بالاحتقار ، بالخوف منه او بالرثاء له ٠٠

ان حكام وقادة وانبياء اي شعب او مجتمع بل وشعراءه ومفكريه ليسوا الا جزء الشيء الذي يؤخذ منه ليوضع تحت اجهزة التحليل والاختبار ليكون هذا الجزء من الشيء هو كل الشيء من حيث الخصائص والنسب والنوع والنتائج المستخرجة ، بحيث ان اي جزء اخر من هذا الشيء لن يكون الا مساويا لهذا الجزء الموضوع تحت اجهزة التحليل والاختبار اي في الخصائص والنسب والنوع والنتائج المحصلة ٠ حتى انه لمن العبث والسفه ومما لا يحدث ان تحلل او تفحص جميع اجزاء الشيء لكي يكون مستطاعا الحكم عليه تحليليا ، اي على جميع اجزائه ٠٠ بقدر ما هو عبث وسخف ان نقرأ ونفسر ونعرف اخلاق ومواهب حكام وقادة وخلفاء وفقهاء وشعراء شعب من الشعوب ثم نحاول ان نقرأ ونفسر ونعرف اخلاق ومواهب انبياء ذلك الشعب ٠

ان اية قطرات من دم الكائن الحي أو اية مقادير من افرازات احدى غدده لمساوية لجميع القطرات والمقادير الاخرى في جميع تفاسيرها الكيميائية والوظيفية والنوعية اي في حالة واحدة ٠٠

وحتما هذا الحكم على القادة والحكام والانبياء وعلى الشعوب والمجتمعات هو حكم على الفريقين او على من يبدون وكأنهم فريقان ، هو حكم على جمع وجمع لا على فرد وفرد او لا على افراد هذا الجمع وافراد الجمع الاخر ٠٠

اي ان اي تفاوت يكون بين أي حاكم او قائد أو نبي وبين اي فرد من الشعب هو تفاوت بين فرد وفرد وليس تفاوتا بين نوع ونوع او بين فريق وفريق او بين قائد وفرد ٠

انه كالتفاوت بين الافراد وكالتفاوت بين الحكام والقادة والانبياء ٠ فالفرد والقائد يتفاوتان في مزاياهما ورذائلهما بالتفسير والمنطق اللذين يتفاوت بهما الفرد والفرد ويتفاوت بهما القائد والقائد ٠٠ يتفاوتان لكونهما فردا وفردا لا لكونهما قائدا

وفردا . لهذا فان هذا التفاوت سيبقى لو اصبحا معا فردين او قائدين . ولكن لا بد من التفاوت في التعبير بين القائد والفرد ..

انهما اي القائد والفرد قد يتفاوتان كما يتفاوت البعير والبعير والذئب والذئب والبرغوث والبرغوث لا كما يتفاوت الجواد والاتان او الصقر والغراب او الفارة والليث او الملاك والشيطان .. وحتما لا بد ان يكون التفاوت بين افراد الانسان اعظم من التفاوت بين افراد الكائنات الاخرى . انه تفاوت كالتفاوت بين الانسان ومن سواه ..

انه قد يحدث ان يكون بعض الحكام والقادة والانبياء هم اعظم في مواهبهم وطاقاتهم الانسانية والبشرية من بعض افراد المجتمع او الشعب كما قد يحدث العكس او بالتفسير الذي يحدث به العكس ..

اي ليست اسباب ذلك فروقا بين الحكام والقادة وبين الشعوب لانهم قادة وحكام وشعوب بل لانهم افراد والافراد محتوم ان تكون بينهم فروق .. انه لو كان يوجد تفاوت بين الفريقين محسوبين فريقين لكان هذا التفاوت حتما لمصلحة الحكام والقادة ، وتفاسير ذلك قد تكون واضحة مقنعة .

ان المجتمع حينما يذهب يتهم حكامه وقادته واقوياءه بالضعف والعجز او الفساد او التفاهة والبلادة او باية نقيصة من النقائص الراسخة الكبرى انما هو متهم لنفسه بكل ذلك وغالبا دون ان يدري . انه حينئذ يهجو نفسه مرتين وبذنبين : بكونه مثلهم ، وبخضوعه لهم وهم اشرار وتافهون كما يقول عنهم ..

ان حاكمه او قائده لم يستورد نقائصه وذنوبه من أية طبيعة اجنبية اخرى ، ولا من اية جهة بعيدة مجهولة ، ولم تورثه اياها الابالسة او الحشرات والذئاب ، ولم تخصصه بها الالهة الضاربة المتحركة في الظلام ، وانما تعلمها وورثها وتذوقها وتدرب وتجرأ عليها منه اي من مجتمعه . ان مجتمعه كان قبله . انه هو والده وخالقه ومعلمه . لقد افرزه مجتمعه كما تفرز الغدة او العضو افرازاتهما السوية المريحة أو المريضة المؤلمة ..

ان اي مجتمع يقول : حكامي وقادتي وزعمائي اغبياء وانذال ولصوص وخونة انما يعني ان يقول ، ولكن دون ان يدري او يريد في الغالب : انا مجتمع مؤلف من اغبياء وانذال ولصوص وخونة ، بل قد يعني دون ان يدري حتما ان يقول : لقد كان انبيائي وسلاطيني وخلفائي الذين جلدوا وخدعوا ابائي أشرارا وأغبياء ولصوصا وأنذالا ايضا ـ أو انما يعني ان يقول : لقد خلقت وولدت وافرزت وصغت حكامي وقادتي وشعرائي وعلمائي اغبياء ولصوصا وانذالا وطغاة وخونة ، وعلمتهم ودربتهم وجرأتهم ان يكونوا كذلك ، واطعتهم وصليت وهتفت وخطبت لهم وبايعتهم حينما اصبحوا كذلك او لانهم اصبحوا كذلك ، وفسرت الكتب المقدسة والاديان والمذاهب والتعاليم والاخلاق تفاسير تسوغ وتبيح لهم ان يكونوا كذلك ، بل تفاسير تحرضهم

وتأمرهم ليكونوا كذلك ، ونهيتهم بطاعتي واستسلامي بل وبايحائي واخلاقي ومواهبي ونذالاتي عن ان يكونوا افضل من ذلك او غير ذلك ، وحرمت عيونهم وعقولهم واخلاقهم وتصوراتهم كما حرمت عليها ان ترى او تتصور او تعرف او تجرب في أو في تاريخي شيئا غير ذلك ـ انما يعني ان يقول : لقد كنت خالقا ووالدا ومربيا ونبيا ومعلما ومدربا ومفسرا ومحرضا وصائغا وموحيا ملهما وهاتفا ومبايعا ومصليا ومغويا مغريا لكل ما في حكامي وقادتي وانبيائي وشعرائي وعلمائي من ضعف وقبح وفحش وغباء وتفاهة واشياء اخرى ٠

نعم ، ان ذلك هو الذي يعني قوله اي مجتمع او شعب يقول عن قادته وحكامه وزعمائه وانبيائه مثل هذا القول والاتهام ، ولكن وفي الغالب دون أن يدري أو يريد٠٠ انك لو كنت مفكرا وصادقا ونافذ الرؤية لعرفت ان اتهام وهجاء قادتك وحكامك هو اتهام وهجاء لك اي بهذا التفسير ٠ ولو عرف اي الشعب او المجتمع ذلك فهل يكف عن قوله او عن اتهامه هذا حياء او عدلا او تورعا او صدقا ؟ اليس مستحيلا ان تتهم عينيك او لغتك او تصرفك بالنزق او الفحش ثم لا تكون متهما لارادتك وشهوتك وضميرك وذكائك بشيء من ذلك ؟

انه لن يكون عدلا او صدقا أو ذكاء ان يتهم اي مجتمع او شعب قادته او حكامه او زعماءه او انبياءه اي اتهام مع الشعور والاقتناع ببراءة النفس من الاتهام الموجه الا بقدر ما هو عدل وصدق وحياء وذكاء ان يتهم الاله الخالق عبيده الذين خلقهم وارادهم ودبرهم هو بأي ذنب او خطأ او عصيان او ضعف مع شعوره واقتناعه ببراءته هو مما اتهمهم به٠ هل يوجد اسذج أو اوقح أو اقبح أو اظلم من ان تتهم الالهة الخالقة مخلوقاتها التي ارادتها ودبرتها وصاغتها وجعلتها عاجزة عن مقاومتها ؟

اجل ، انه لمعقول ومقبول بل وواجب ان يوجه اقسى الاتهام الى نقائص وذنوب الحكام والقادة والزعماء والانبياء ، ولكن لن يكون مقبولا او مغفورا ان يكون موجهو هذا الاتهام هم خالقي ووالدي ومفرزي هؤلاء القادة والحكام والزعماء والانبياء ، وهم مدربيهم ومعلميهم ومحرضيهم على ذنوبهم ونقائصهم ، وهم الهاتفين المصلين لهم اذا اقترفوها واعلنوها ، وهم المفسرين للاديان والمذاهب والاخلاق والكتب المقدسة لتكون تشريعا وتسويغا لها اي لذنوب ونقائص الحكام والقادة والانبياء والزعماء ، وهم الناهين لهم عن أن يتركوا ذنوبهم ونقائصهم بولائهم وطاعتهم لهم ، وباعجابهم بهم كلما حكموهم وقادوهم واذلوهم وافسدوهم بذنوبهم ونقائصهم ٠٠ لن يكون مقبولا او مغفورا ان يكون متهم الانسان هو ضميره وعقله وارادته واخلاقه وشهواته وعضلاته ، اي لن يكون مقبولا ولا مغفورا ان تكون موجهة هذا الاتهام الى الحكام والقادة والزعماء هي شعوبهم وجماهيرهم ورعاياهم الا اذا كانت تعني ان تتهم نفسها باتهامها لحكامها ولقادتها وزعمائها بالاسلوب الذي يتهم به العامل او الصانع او الشاعر او الفنان حين يتهم عمله او صناعته او شعره او فنه ٠ بل المفروض ان تخلق

وتصوغ وتبدع الشعوب حكامها وقادتها لا ان تتهمهم او تنتقدهم فقط ٠٠ أليس اقسى اساليب الاتهام للخالق ان تجد في مخلوقاته عيبا اوذنبا او دمامة او خطأ ، ثم تعلن ذلك ، وهل عرف المؤمنون هذه الحقيقة ؟

انه لن يكون مقبولا او مغفورا ان يتهم الاله الخالق مخلوقه الذي اراده وخططه ثم خلقه واخرجه ، ما لم يكن مريدا باتهامه لمخلوقه ان يتهم نفسه ٠ هل تستطيع ان تفهم او تحترم الهك او ان تغفر له حين يتهمك أو يسبك او يتوعدك وهو مخططك وصائغك ؟ هل غفرت له او فهمته او احترمته ؟

وايهما اكثر وقاحة وبلادة وسخفا : الالهة التي تتهم عبيدها وتبريء وتمتدح نفسها ام الشعوب التي تتهم حكامها وقادتها وزعماءها مبرئة ممجدة لنفسها ؟ هل سخر أحد من ذكائه واخلاقه وحيائه مثلما سخر الاله من ذكائه وحيائه واخلاقه حينما عاب وهدد كائنا هو مدبره ومريده وخالقه وصائغه ؟

كيف لم تعلم الالهة ان اتهامها لمن خلقت هو اتهام لها ، وكيف لم يعلم الناس أن اتهامهم لحكامهم وقادتهم هو اتهام لهم هم ؟ هل يمكن ان يجهل اي عامل ان تحقير عمله ليس الا تحقيرا له ؟ هل يمكن الافتراض او الاقتناع بان اقل عامل او اي عامل هو اكثر ذكاء ووعيا من الالهة ومن كل الناس في هذه القضية ؟ نعم ، كيف لا تعلم اليد ان اتهامها لاصابعها بالعجز او الضعف او التشوه او بالعدوان او الخطأ هو اتهام لها وانها هي المعتدية على الاصابع اكثر من العكس ؟

بل أليس الحق ان للمخلوق ان ينقد ويحاكم ويحاسب خالقه على كل ذنوبه ونقائصه هو وعلى كل ذنوب ونقائص خالقه دون ان يكون للخالق ان ينقد أو يحاسب او يحاكم مخلوقه على اي شيء من ذلك ؟ اذن اليس الاله الخالق محتاجا جدا الى أن يتعلم شيئا من المنطق أو الذكاء او الاخلاق ؟

اجل ، اي الفريقين اكثر ظلما للفريق الاخر وعدوانا عليه : الشعوب التي تلد وتخلق حكامها وقادتها وانبياءها وتدربهم وتعلمهم وتورثهم وتحرضهم وتوحي اليهم وتهبهم عضلاتهم وذكاءهم واخلاقهم ومطامحهم ، حتى لتهبهم عيونهم واذانهم وضمائرهم ولغاتهم الى ان تصوغ منهم اردأ نماذج القبح والضعف والسخف والبذاءة والطغيان والجهل ـ تهبهم اخلاق وشهوات وذكاء عيونهم واذانهم وضمائرهم ولغاتهم ٠

ـ نعم ، هل الشعوب التي تفعل بقادتها وحكامها وانبيائها وتفعل لهم كل ذلك هي اظلم لهم واكثر عدوانا عليهم ام هم اكثر عدوانا عليها وظلما لها حينما يذهبون يعاقبونها ويشوهونها ويقهرونها ويفسدونها بما وضعت فيهم من قدرة وجرأة وخبرة على ان يفعلوا بها ذلك ؟ لقد جاء القادة والحكام والانبياء الى مجتمعاتهم هكذا: اجنة في احشائها ثم اطفالا في حجورها ثم تلامذة في معابدها ونواديها ومدارسها ثم سياطا فوق ظهورها وكرامتها مسحوبة من عضلاتها وجلودها مفتولة بايديها ٠

ايهما اكثر عدوانا على الاخر وظلما له : الجسم الذي نقل العاهة او المرض الى

العضو واعده للاصابة بذلك ام العضو المشوه او المريض الذي ذهب يعاقب ويذل الجسم بما وضع فيه ؟ هل يمكن ان يمرض او يتشوه اي عضو الا بواسطة جسمه وباملائه واخلاته وتصرفاته ؟

ولكن من البادىء بالظلم والعدوان هنا ؟ ومن الذي وضع في الاخر ظلمه وعدوانه او حكم عليه بان يكون ظالما ومعتديا او في صورة الظالم المعتدي ؟ ان الظالم المعتدي ليس هو الذي يريد او يصوغ نفسه ظالما معتديا كما ان العضو أو الجسم المشوه او المريض ليس هو المشوه المرض لنفسه . ان الظلم والعدوان توريط واسقاط وتعذيب وليس حبا أو سعادة أو مجد او مزية .

اذن اليست الشعوب والمجتمعات هي البادئة بالظلم لحكامها وقادتها وانبيائها وبالعدوان عليهم ، وهي ايضا التي وضعت فيهم ظلمهم وعدوانهم وحكمت عليهم بان يكونوا ظالمين معتدين او بان يبدوا ويروا ويفسروا كذلك ؟ بل اليست هي الموقعة الزارعة المنبتة فيهم كل عدوانهم وظلمهم ، اي اليست هي المرضة لهم بالعدوان والظلم ؟ أليس هذا هو الحكم على الجسم حينما يحاسبه ويحاكمه عضوه المريض او المشوه او حينما يحاكم ويحاسب باسم عضوه هذا ؟ اليس العضو المريض أو المشوه معتدى عليه وجسمه معتديا مهما كان اي جسمه معتدى عليه ؟

ولكن هل يوجد هنا ظالم معتد ومظلوم معتدى عليه ؟ أليس هذا هو هذا ؟

اذا وقعت الخطيئة او الوقاحة فمن المذنب المسؤول ؟ هل هو العين أو الاذن التي رأت او سمعت ، ام الشهوة التي ارادت ، ام الارادة التي ضعفت واستجابت ، ام الضمير الذي هزم ، ام الفكر الذي دبر او عجز عن التدبير ، ام العضو او الجهاز الذي خطا أو ضرب او وقع او نفذ ؟

اذا العين أو الاذن رأت أو سمعت فاستجابت مستحسنة او مستقبحة فهل هي فاعلة ام مفعول بها ام فاعلة مفعول بها ؟ هل هي رائية سامعة ام مسموع مرئي بها ؟

واذا القلب عشق فخفق وغوى وخطا وقاد الى العار أو الهزيمة او الى العذاب والخسران والاثم ، فهل يحسب ظالما للاعضاء التي فعل وأراد واستطاع واشتهى بها أو هل تحسب الاعضاء التي جهزت القلب وسلحته وحملته وخلقته وشحنته بكل طاقاته واخلاقه ومجاعاته وقدراته ظالمة له ؟

أليست المحاسبة لهذه والحكم عليها هي نفس المحاسبة لهذا ونفس الحكم عليه ؟ ثم أليست وقاحة من الاعضاء ان تتهم القلب وتبريء نفسها ؟

ولكن هل يكون القلب وقحا لو انه اتهم الاعضاء بانها هي وحدها المسؤولة عنه والمتهمة بكل كينوناته وصياغاته وخفقاته ومساراته الجيدة والرديئة ، المريحة والمرهقة ، وبأنها هي القائدة الحاكمة الامرة له مهما حسبت المقودة المحكومة المأمورة ؟ والناس دائما يعتدون ويظلمون لانهم دائما يتهمون قلوبهم وعقولهم بانها هي التي تقودهم اي تقود اعضاءهم الى المخاطر والغوايات .

ان العضو ليس عضوا فقط ولكنه عضو وقلب ، وان القلب ليس قلبا فقط ولكنه قلب وعضو ٠٠ ولكن ايهما جعل الاخر اكثر : القلب في جعله الاعضاء قلوبا أم الاعضاء في جعلها القلوب اعضاء ؟ ايهما الفاعل للاخر أو الفاعل له اكثر ؟

كذلك فان الحاكم أو القائد ليس حاكما أو قائدا فقط ولكنه قائد او حاكم وشعب ، وان الشعب ليس شعبا فقط ولكنه قائد او حاكم وشعب مهما بدت أو قالت الصور أو اللغات أو التفاسير أو الاماكن بل او المذاهب أو الاديان أو التعاليم أو القوانين غير ذلك ٠ ان كل اخلاق القائد وتصرفاته وطاقاته ولغاته محكومة ومقودة ومصنوعة بالشعب الذي يعيش كل منهما داخل الاخر ٠ وان كل معاني الشعب وتفاسيره حاكمة وقائدة وواهبة لكل معاني القائد وتفاسيره ٠٠

ان اي قائد لن يقود شعبه أو يخاطبه او يتكلم عنه أو باسمه الا بما وضع فيه شعبه واملى عليه وعلمه ٠

نعم ، ان القادة والحكام والانبياء ليسوا سوى افراد من شعوبهم لم يختاروا لعظمتهم وشرفهم او لتفاهاتهم ونذالتهم ليكونوا حكاما وقادة وانبياء ٠ انهم افراد وضعوا وضعا رهيبا كريها قاسيا مشوها لهم ، اي اذا كانوا قادة وحكاما وانبياء لمجتمع متخلف عاجز سفيه فاقد للمواهب الكبيرة الكريمة ٠٠

لقد وضعوا بلا اختيار أو تدبير أو جدارة أو ارادة تكريم ليكونوا جهازا شاملا لعرض نقائص واثام مجتمعهم وللاعلان عنها وللتشهير والتذكير بها ، ولمشاتمة ومخاصمة ومبارزة وايذاء كل الناس وكل الاشياء بها ، ولكي يكونوا صوتها اي صوت اثام ونقائص مجتمعهم ومنبرها وممرها ومنطقها وتفسيرها الدائم وتاريخها المكتوب المقروء المعروف المحفوظ في ضمائر الالهة وفي تذكرها وذكرياتها ، المنزل في كتبها المنزلة ٠٠٠ لقد وضعوا بلا رحمة أو تمجيد لهم ليكونوا كل نماذج واصوات ومعارض عار وضعف وفساد مجتمعاتهم ٠٠

اذن هل توجد كائنات معتدى عليها ومشوهة تستحق اقصى مشاعر الرثاء والعطف مثل القادة والحكام والانبياء للمجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة اي مثل قادة العرب وحكامهم وانبيائهم ؟ هل توجد اجهزة تشويه وتشوه مثل هؤلاء ؟

واذن هل توجد اجهزة تبصق كل القبح والفحش والغباء والنذالة والسفاهة على كل الاشياء والوجوه وفي كل العيون والاذان والعقول والضمائر والاخلاق وعلى كل القيم الحضارية والانسانية ، ومجللة متوجة بكل ذلك ٠

ـ نعم ، هل توجد اجهزة تفعل كل ذلك ومجللة متوجة بكل ذلك مثل أو غير هؤلاء القادة والحكام والانبياء في مثل هذه المجتمعات العاجزة الفاسدة المتخلفة ، أو مثل قادة وحكام وانبياء العرب ، او غير هؤلاء القادة والحكام والانبياء العرب ؟ هل تستطيع عبقرية كل الالهة ؟عبقرية كل الابالسة والملائكة ان تصوغ كائنات تستطيع ان تستفرغ التشوهات او تصاب بالتشوهات التي يستفرغها ويصاب بها

من يحكم عليهم بان يصبحوا حكام وقادة وانبياء وشعراء وحكماء وعلماء وفقهاء وعباقرة العروبة ؟

اذن قد يكون حقا أن من يستطيعون ويتقبلون ان يكونوا حكاما وقادة وانبياء للمجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة او للمجتمعات العربية لا بد أن يكونوا مخصوصين بقدرة اكبر على معايشة القبائح والفضائح وعلى عرضها والاعلان عنها بكل موهبة التوافق والاستحقاق او لا بد من اشتراط هذه القدرة فيهم لكي يجيئوا نماذج رائعة لانبياء وقادة وحكام هذه المجتمعات الفاسدة العاجزة المتخلفة ، أو للانبياء والقادة والحكام العرب ..

حتى الرداءة والافتضاح محتاجان الى ظروفهما الجيدة لكي يجيئا جيدين ..

اذن كم تستحق من الرثاء والاشفاق أو من الغضب والاشمئزاز حينما تقبل أو تستطيع ان تكون حاكما أو قائدا او نبيا او شاعرا عربيا ، وحينما تكون جديرا بقيادتك او نبوتك او شاعريتك او بحكمك في عالك العربي لانك قد فعلت كل ما ينتظر من كل قائد وحاكم ونبي وشاعر عربي ، وكل ما تعود العرب أن يفعل لهم وبهم انبياؤهم وحكامهم وقادتهم وشعراؤهم . وكم انت محتاج الى انواع العبقريات المضادة لكي تستطيع ان تفعل ما يفعله حكام العرب وقادتهم وانبياؤهم بشعوبهم ولها .. وهل تستطاع منافسة حكام العرب وقادتهم فيما يفعلونه بشعوبهم من فضح وعار واذلال ؟ هل تمكن منافسة حملة التيجان والاقلام والالواح والسياط العرب على عالميتهم بل كونيتهم في الافتضاح والفضائح ؟

***

العرب ، ولعل جميع المجتمعات المتخلفة او الفاسدة ترى وتفعل مثل فعلهم ، يذهبون دائما يؤملون امالا ضائعة ، كما يذهبون يعتقدون ويتحدثون ويفسرون وقد يحاولون بلا ذكاء وبلا انتظار لاية نتيجة جيدة .. ان الذكاء أو المنطق أو محاسبة النتائج أو انتظارها أو التحديق فيها ليس مشترطا في اي شيء أو لاي شيء . انهم يرون ويعلنون ان كل دائهم في قادتهم وحكامهم ، وان كل شفائهم المرتقب منهم ايضا . كل الشفاء وكل الداء فيهم ومنهم وبهم اي في القادة والحكام وبهم ومنهم . انهم كل المجد والقوة وكل الضعف والنذالة ..

اسلوب بسيط وساذج جدا في تفسير القضية ولكنه راسخ ومقنع اقناعا يرتفع فوق جميع هواجس الشكوك والمحاسبات العقلية والمنطقية وهل يصاب الانسان العربي بالشكوك والمحاسبات العقلية مهما اصيب بالعداوات والوقاحات النفسية ؟

انه تفسير للاسباب بالنتائج ، ومحاولة لتغيير الشيء او الحدث وانتظار لتغير الشيء أو الحدث، أو لتغيير أو تغير نتائجه، وانتظار لهذا التغيير والتغيير في الشيء وفي نتائجه وللشيء ونتائجه بتغير او بتغيير نتائجه ، لا بتغير او تغيير اسبابه . ان المطر يجيء شحيحا لان الحقول يصيبها الجفاف ولا يصيبها الجفاف لان المطر يجيء

شحيحا ، وان الزلزال جاء عنيفا لان البيوت تهدمت وليس العكس ٠

اجل ، هذه الارض لا تنبت الا نباتا ضعيفا او مشوها ٠ وهذه الام لا تلد الا ابناء مشوهين وضعفاء ٠ وهذا الجهاز لا يعطي الا نتائج وعمليات خاطئة وضارة ٠ وهذا المجتمع او الشعب لا يلد أو لا يخلق الا قادة وحكاما وشعراء وانبياء ضعفاء وطغاة وتافهين مغرورين نباحين بلا اظفار او انياب او عضلات ٠

ولكن ما العلة هنا ٠٠ العلة هي هؤلاء الابناء المشوهون الضعفاء ، وهذا النبات الضعيف ، وهذه النتائج والعمليات الخاطئة الضارة ، وهؤلاء القادة والحكام والانبياء الذين يولدون ويخلقون بلا مزايا ٠٠

وما العلاج ٠٠ العلاج هو أن يصبح الابناء اسوياء واقوياء ، وتصبح عمليات ونتائج الجهاز صحيحة ونافعة ، ويصبح النبات جيدا وبريئا من الضعف والتشوه ، ويصبح القادة والحكام والانبياء عظماء واتقياء ٠٠ العلاج ان يصبح المخلوق ذكيا وقويا وجيد التكوين والاخراج لكي يصبح خالقه كذلك ٠

اما الشعوب والجهاز والام والارض فليست علة ولا سببا ولا مسؤولة وليس فيها اي عيب او نقص ، وهي لا تحتاج الى علاج او تغيير الا بان يصبح نباتها وابناؤها وعملياتها ونتائجها جيدة وصحيحة بلا ضعف او تشويه ٠٠

وكذلك ايضا يصبح قادتها وحكامها وانبياؤها وشعراؤها وعلماؤها ٠٠

نعم ، ان الام والجهاز والارض ليست هي السبب ولكن السبب هو نتائجها ٠ ان الابناء هم الذين يجيئون ضعفاء ومشوهين مع أن الام سوية وقوية جدا بلا عيب او خطا ٠ وان النبات هو الذي يجيء مشوها وضعيفا مع ان الارض والبذور جيدة جدا بلا عيب او نقص ٠ وان عمليات الجهاز ونتائجه هي التي تجيء خاطئة وضارة مع ان الجهاز كامل تكوينا وتركيبا واستعمالا ٠ بل ان المخلوق المشوه هو الذي جعل خالقه مشوها وجعله يخلقه مشوها ٠ وان القصيدة او اللوحة الرديئة هي التي جعلت الشاعر او الرسام رديئا وجعلته لا يستطيع ان يصنعها الا رديئة ٠ بل ان النبات والعمليات والنتائج والابناء هم الذين شوهوا الامهات والاجهزة والابناء ، وهم الذين جعلوها لا تنبت ولا تعمل ولا تلد الا تشويها وضعفا وخطأ وألما ٠ ان تساقط الاشجار وتهدم المدينة هما اللذان جعلا الاعصار عنيفا ، وليس عنف الاعصار هو الذي اسقط الاشجار وخرب المدينة ٠٠

ان الطفل الضعيف المشوه هو الذي يلد امه ضعيفة مشوهة وهو الذي يجعلها لا تلده الا ضعيفا أو مشوها ٠ بل انه هو الذي يلد نفسه ضعيفا مشوها ، ثم يصر على أن يظل ضعيفا مشوها ٠

وهكذا ايضا تفسر العلاقة بين الارض ونباتها وبين الجهاز وعملياته ٠ ان النتائج تحكم وتصوغ الاسباب ، وان الابناء هم واهبو الاباء الوانهم وصيغ ابدانهم وليس العكس ٠٠

هكذا يرى ويقول ولكن بلا نطق هؤلاء المفسرون الذين يرون ويقولون ان كل داء العرب وضعفهم من قادتهم وحكامهم وفي قادتهم وحكامهم ، وان كل قوتهم وشفائهم المؤملين والقادمين لن يجيئا او يخلقا الا هبات وتدبيرا وارادة وعبقرية وتوبة من حكامهم وقادتهم ٠٠ او الذين يرون ويقولون ان كل داء العرب وضعفهم من قادتهم وحكامهم، أما شفاؤهم وقوتهم فأصالة أو وراثة أو تاريخ أو عطاء والهام منالسماء أو من الاقدار ٠ ولكن القادة والحكام هم الذين يسرقون او يرهبون او يطردون او يقتلون هذه القوة والاصالة والوراثة والتاريخ والعطاء والالهام في شعوبهم وعن شعوبهم ومن شعوبهم العربية ٠

وهؤلاء الذين يجعلون القادة والحكام هم صانعي الداء والضعف والفساد والتخلف فقط هم المتعقلون المعتدلون جدا ٠ وما اقلهم في مفسري ومفكري العرب ٠ اي ما اقل المفكرين والمفسرين العرب الذين يتصاعد بهم الاعتدال والتعقل الى أن يروا أن القادة هم الذين يهبون شعوبهم الضعف والرذائل فقط ٠٠ اما القوة والمزايا فمن الشعوب لا من القادة ولا من غيرهم ٠٠ ان التفاسير المتقررة ترى ان الشعب العظيم ليس الا شعبا قد اهدت اليه القوى المجهولة من مكان مجهول الاسباب مجهولة بقادة ركبوا فيه العظمة تركيبا ٠٠ ولكن لماذا يجيء دائما قادة وحكام المجتمعات الضعيفة المتخلفة او قادة وحكام العرب ، اشرارا واغبياء وفاسدين وسفهاء وضجاجين ضعفاء ؟ لماذا لا يجيئون شيئا افضل ، او لماذا يرفضون او لا يريدون او لا يحاولون ان يكونوا هذا الشيء الافضل ؟ هل كينونتهم هذه تفرض عليهم فرضا ام هم يختارونها اختيارا ؟ لماذا يختارون الاردأ والاضعف والاغبى ان كانوا يختارون ؟ ومن هم الذين يفرضون عليهم ضعفهم وبلادتهم ونزقهم وفحشهم ان كان ذلك يفرض فرضا ؟ ولماذا يختار لهم دائما هؤلاء الذين يفرضون عليهم ان يكونوا كذلك ؟ لماذا لا يختارون لهم ولو احيانا ، ولو رثاء او حياء او عدلا ان يكونوا شيئا اذكى أو اقوى او انتى او اقل افتضاحا ؟ كيف لا يجد هؤلاء الذين يختارون لهم شيئا من الفرح أو المجد او النخوة أو القوة في أن يجيئوا أي القادة والحكام والشعراء والمعلمون العرب شيئا اعظم أو أقل تفاهة ؟

اليس اختيار الاقوى والافضل مجدا وسعادة وقوة لمن يختار بقدر ما هو كذلك لمن يختار له ؟ اليس خلق العظمة اعظم مجدا للخالق من خلق التفاهة ؟

لماذا لا تخطىء الاقدار أو الحظوظ أو الالهة، أو لماذا لا تصاب بالشهامة أو الرحمة او الحياء او الرغبة في التغيير وفي الاعجاب بموهبة الذات او بتقواها ٠

ـ نعم ، لماذا لا تخطىء الاقدار او الحظوظ او الالهة او تصاب بشيء من هذه المعاني ولو مرة واحدة فتتغير من صياغتها لنماذج هؤلاء القادة والحكام والانبياء أو لنماذج القادة والحكام والانبياء العرب ٠٠ لماذا لا تجد جمالا أو فنا أو واجبا أو عدلا في تجديد صياغتها لنماذجهم ؟٠٠

لماذا يجيء دائما حكام وقادة وانبياء المجتمعات القوية والمتقدمة شيئا افضل او يبدون هذا الشيء الافضل من قادة وحكام وانبياء المجتمعات الاخرى ؟ • لماذا يحدث هذا ويحدث دائما • ما التفسير لهذه الديمومة ؟•

اذا كانت مزايا ورذائل الحكام والانبياء والقادة مفصولة عن مزايا ورذائل المجتمعات والشعوب ، أو اذا لم تكن مزايا ورذائل هؤلاء هي مزايا ورذائل هذه أو هي التعبير والاعلان عنها فلماذا اذن يوجد دائما هذا التفاوت الهائل الشامل بين قادة وحكام وانبياء المجتمعات المتقدمة القوية وقادة وحكام وانبياء المجتمعات المتخلفة الضعيفة في جميع صيغهم الاخلاقية والعقلية والنفسية والانسانية بل والصوتية ، او لماذا يبدون دائما محكومين بهذا التفاوت ؟ اية قوة مجهولة عجيبة توزع القادة والانبياء هذا التوزيع ؟ ما هذه الظاهرة التي لا يستطاع الصمت او الاغضاء عنها او الهرب من مواجهتها ؟

ان جميع هذه التساؤلات الحادة لا تتخاطب او تتصادم مع عقول أو رؤى او تصورات هؤلاء المفسرين العرب الذين يرون ويعلنون ويعلمون دائما ان الانسان العربي ليس الا قداسة وعبقرية وجبروتا وحضارة ولكن لا يستطيع ان يحكمه او يقوده او يدبر ويريد له الا الغباء والكذب والضعف والتفاهة والفساد والصراخ المصاب بكل تفاسير الغرور والوقاحة والطغيان العاجز الفضاح ، بل ولا يريد أن يطيع او يتبع الا قادة وحكاما وانبياء لا يعرفون او يحيون او يستطيعون او يريدون الا هذه الرذائل • ولهذا فانه اي الانسان العربي يطيع ويتبع هؤلاء القادة والحكام والانبياء باسلوب لا يفعله اي مجتمع او شعب ولا يعامل به اي قادة او حكام او انبياء في اي زمان أو مكان غير حكام العرب وقادتهم وانبيائهم ••

لهذا فان اي دارس لو انه درس وعرف بعمق قادة وحكام وانبياء مجتمع او شعب في فترة من تاريخه او في كل تاريخه لاستطاع ان يعرف بذلك كل مواهب واخلاق ومستويات ذلك المجتمع او الشعب ، وان يعرف ايضا قوته وضعفه وتقدمه وتخلفه في كل فترته التاريخية التي درس وعرف فيها حكامه وقادته وانبياءه •• ان يعرف كيف كان ذلك المجتمع يواجه مشاكله وهمومه وآماله واحتياجاته ، وكيف كان يقرؤها ويفسرها ويفهمها ويعبر عنها ويطالب بها ويراها ••

كذلك لو أن دارسا درس شعبا او مجتمعا ، درسه في تاريخه او في مواجهته ومعايشته له الى أن عرف كل تفاسيره ناطقة وصامتة لاستطاع بذلك ان يعرف كل تفاسير قادة وحكام وانبياء وشعراء ذلك المجتمع •• لكاد أن يسمع اصواتهم ويرى تعبيراتهم وهم فوق منابرهم ينعبون ويهبطون ويتفهون ويصغرون ••

لاستطاع ان يعرف ماذا كانوا يقولون ، وكيف كانوا يفكرون ويصرخون ويزعمون ويكذبون ويسفهون ويواجهون المواقف والمشاكل ويتعاملون معها وبها ، دون ان يقرأ او يسمع لاحد منهم كلمة او أن يعاشره او يعاصره او حتى يراه او يفكر

فيه ٠٠ لاستطاع ان يعرف هل كانوا متكلمين مفكرين ام كانوا مصوتين فقط كالقادة والحكام والانبياء العرب ٠

انه لو عرضت جميع الشعوب والمجتمعات في مكان واحد ، معبرة عن مزاياها ورذائلها ، عن قوتها وضعفها ، عن نماذجها ومستوياتها ومطامحها النفسية والانسانية والاخلاقية والفكرية والحضارية ، وعرض معها بنفس الاسلوب وفي نفس المكان والزمان جميع قادتها وحكامها وانبيائها ، معبرين عن كل معانيهم نفس التعبير ، معبرين باللغة والسلوك والتفكير والشعور والمواجهة والعضلات وبكل اساليب ووسائل التعبير ، ثم طلب من قوم بارعين في التفسير والتحليل والرؤية المبصرة ان يوزعوا كل مجتمع أو شعب على قادته وحكامه وانبيائه ، او أن يوزعوا جموع القادة والحكام والانبياء على شعوبهم ومجتمعاتهم ، محولين الى جماعات ، جماعات ، اي قادة وحكام وانبياء كل مجتمع او شعب ، لكان احتمالا بعيدا ان يخطىء هؤلاء المفسرون المحللون الموزعون في توزيعهم هذا ٠ انهم لو اخطأوا في هذا التوزيع لما كان خطؤهم اقل من خطأ من فسر مريد ومدبر وصائغ هذا الكون بأي معنى من معاني الجمال او الحب أو الرحمة او العدل او الشهامة او الشاعرية ٠

لو ان كائنا ما يعيش في كون بعيد عن كوننا هذا عايش وسمع وقرأ وفهم وجرب في كونه البعيد جميع حكام وقادة ومفكري ومعلمي العرب اليوم ثم هبط على الشعوب العربية المعاصرة فعاشرها وقرأها ورآها وفسرها وفهمها فهل يمكن أن يخطىء في أن هؤلاء القادة والحكام والمفكرين المفسرين العرب هم قادة وحكام ومعلمو ومفسرو هذه الشعوب العربية التي هبط عليها ، او هل يمكن ان يقاسي لكي يفهم ذلك ؟

هل يمكن ان يخطىء في ذلك مهما استطاع النفط او غيره ان يبتكر من الازياء التنكرية البارعة الشاملة في قدرتها على الخداع والتزييف ؟

ولو انه اخطأ في هذا الاستنتاج فهل يغفر له خطؤه ؟ انه لو غفرت كل البلادات والاخطاء لما غفرت بلادة وخطأ من جهل ان قادة العرب لن يكونوا الا قادتهم ولن يفسروا الا بذلك ٠

بل لو أن هذا الكائن المجهول المفترض قرأ النبوات العربية وقرأ كتبها المقدسة وتعاليمها وشرائعها واخلاقها وكل اساليب حياتها ٠٠وقرأ ايضا كل خلفاء وسلاطين وشعراء وفقهاء العرب الذين كانوا ، ودرس كل ما قالوا وفعلوا ونووا وتصوروا وتمنوا واستطاعوا وفهموا ، وعرف كل ذلك بذكاء وشمول ، ثم قرأ الشعوب العربية المعاصرة وفهم كل تفاسيرها وابعادها واعماقها ، وسمعها مصوتة وهاتفة ومصلية ومؤمنة وشاتمة مخاصمة مفاخرة ، وسمعها ايضا صامتة وحاقدة وكارهة وفاعلة وعاجزة ، ٠٠ سمعها لاعنة محقرة متهمة لكل العالم في كل العصور ، مادحة ممجدة مزكية لكل غربانها وبومها القائدة لكل تاريخها ، فهل يمكن أن يجهل ان هؤلاء الانبياء والنبوات والخلفاء والسلاطين والشعراء والفقهاء هم انبياء ونبوات وخلفاء وسلاطين وشعراء

وفقهاء هذه الشعوب العربية المعاصرة والشعوب العربية التي كانت اي ان كان قد قرأها او عاصرها وعاشرها وفهمها ؟ ان قراءة ومعاصرة ومعاشرة احد الفريقين هي قراءة ومعاصرة ومعاشرة للفريق الاخر ٠ ان قراءة النبي قراءة لشعبه وكذا العكس ٠

ان محمدا لن يكون الا نبوة عربية ولن يفسر الا بانه كذلك ٠ وان العرب لن يلدوا او يهبوا نبوة الا نبوة محمد او الا مثل نبوة محمد ، وانهم لن يكونوا الا اتباع محمد وابناءه ورواته والمصلين وراءه ٠ كما ان المتنبي لن يكون الا شاعرا عربيا ولن يفسر او يفهم الا بانه كذلك ٠ وانه اي المتنبي لن يجد من يعجب به او يرويه ويغنيه الا ان يكون عربيا ٠ وان العرب لن يلدوا او يهبوا الا شاعرا هو المتنبي أو الا من هو مثل المتنبي شعرا وعقلا واخلاقا وتصويتا ٠٠

ان محمدا والمتنبي ، النبي والشاعر لو خلطا في كل انبياء وشعراء العالم لاستطاع ان يعرف انهما عربيان كل من عايش الشعوب العربية المعاصرة أو قرأ الشعوب العربية الخالية بذكاء وتحديق ٠ ان الخطأ في ذلك لن يكون مغفورا اي لو وجد من يخطىء فيه ٠٠

انه لو عاش انسان غير عربي في العالم العربي او في التاريخ العربي قارئا ومفسرا ومحللا ثم سمع الها او نبيا او قائدا او حاكما او شاعرا او مفكرا عربيا يخطب او يتحدث في مجتمع دولي او في مجلس خاص ، يفاخر او يهدد او يدعي او يشاتم او يصاهل او يروي مزايا ابائه ، ويفسر كيف ومتى علموا السحاب والانهار كيف تعرف طريقها وتتعلم الخطو والطيران على اقدامها واجنحتها وكيف تذرف دموعها في افواه الحقول والغابات الظماى ، وصاغوا للنجوم عروشها وخططوا لها مداراتها وافلاكها وركبوا فيها عيونها وعلموها مغازلاتها المتعالية ، ووضعوا الشموس والكواكب في اماكنها وصياغاتها ، ثم لم يستطع اي ذلك الانسان غير العربي ان يعرف ان هذا الذي يسمعه ليس الا عربيا جدا ، لكان هذا الانسان الذي ليس عربيا هاجيا لذكائه ولكل مواهبه في الرؤية والاستماع والمقارنة والاستنتاج والحدس ـ اي مهما كانت اللغة التي يتحدث بها هذا الانسان او الاله او النبي العربي ، ومهما كان الزي الذي فوقه والظروف المبعدة له عن ان يفهم بانه عربي ٠ ان كل ما في الكون من سواتر واغطية وكذا كل ما في الحياة من حيل واساليب للاخفاء لا يستطيع ان يخفي عن الرؤية المحدقة ان الاله او النبي او القائد او المفكر العربي ، عربي ٠ انه لا احد يعلن لكل من يسمع او يرى اويقرأ أو يفسر عن انه عربي مثل الاله والنبي والقائد والمفكر العربي ٠

اذن ايتها الشعوب المتخلفة المصابة بكل مواهب وفنون الفساد والضعف ، وايضا ايتها الشعوب العربية لا تلعني أو تتهمي ضعف وفساد قادتك وحكامك الا اذا كنت تريدين ان تلعني وتتهمي ضعفك وفسادك اللذين انتقلا واوحيا الى قادتك وحكامك ـ اللذين اصبحا بالتوريث والايحاء ضعفا وفسادا في قادتك وحكامك ٠ الا

اذا كنت تريدين ان تلعني وتتهمي احشاءك واثداءك واحضانك التي لا تلد او ترضع او تربي الا الضعفاء والمشوهين والا لكي تصنع وتحدث الضعف والتشويه بمن تخلق ٠٠ لا تقولي لولا ضعف وفساد قادتي وحكامي لما اصابني الضعف ولا الفساد ٠٠ بل قولي : لولا ضعفي وفسادي لما جاء قادتي وحكامي ضعفاء وفاسدين ، لما وجدوا من يورثهم ويعلمهم ضعفهم وفسادهم ، ويوحي اليهم بضعفهم وفسادهم ، ويغريهم بضعفهم وفسادهم ، ويطيعهم ويهتف لهم كلما تصاعدوا وافتضحوا في فنون ضعفهم وفسادهم ٠ قولي : لقد ولدوا فوق فراشي الذي تعلموا منه كل نماذجهم واخلاقهم وشهواتهم قبل ان يلقي بي انا على فراشهم الذي صنعته ووضعته انا لهم٠٠

لا تقولي : ان قادتي وحكامي هم خالقي وانبيائي بل قولي : انا خالقة ونبية استقمت وعظمت او لو جئت تقية وقوية وعظيمة لجاء قادتي وحكامي كذلك او لولدتهم وخلقتهم كذلك ، ولعلمتهم واوحيت اليهم والزمتهم واغريتهم بان يكونوا كذلك ٠٠

لا تقولي : لقد اغتصبوا بكارتي النفسية والاخلاقية والعقلية والنضالية ، ولكن قولي : لقد ولدتهم وصغتهم وعلمتهم ليكونوا بلا اية بكارة وبلا احترام لاية بكارة من اي نوع وبأي تفسير ٠٠

لا تقولي : ان قادتي وحكامي هم خالقي وانبيائي بل قولي : انا خالقة ونبية قادتي وحكامي ٠٠ انا صائغتهم ومخرجتهم والموحية لهم ٠ لقد خرجوا وتولدوا مني وعني ، ولم اخرج او اتولد منهم أو عنهم ٠ قولي لقد ولدتهم وصاغتهم احشائي واثدائي واحضاني واخلاقي وتعاليمي وصلواتي واناشيدي واشعاري وايماني وهواني٠

ألست الكائنة اولا اي قبلهم ؟ أليس الخالق والوالد هما دائماالاولين ؟ أليس كل شعب أو مجتمع هو نبيا لنبيه ؟ اليس الشعب هو الملاك والوحي والكتاب والاله والرؤيا والضمير والعضلات والعرق والولادة واللغة لكل انبيائه ؟

اذن لا تتهمي او تلعني حكامك وقادتك المشوهين الغاوين المرضى ، بل اعتذري اليهم وارثي لهم كما ترثين وتحزنين لابنائك الذين تلدينهم مرضى ومشوهين أو عميانا صما ٠٠ لا تطلبي منهم ان يداووك من امراضك او الامك ، ولا تلوميهم اذا عجزوا عن شفائك او اذا لم يحاولوا مداوتك ٠٠ بل انت المطلوبة دائما لمداواتهم وشفائهم والجانية الظالمة اذا لم تفعلي ذلك ! ٠٠

ان قادتك وحكامك وانبياءك ليسوا اطباءك ولا انبياءك ولكنهم مرضاك وضحاياك وتلاميذك واتباعك والمتلقون لوحيك المتعلمون له المتأدبون به ٠ انهم اذا جاءوا اطباءك او انبيائك فانت المنزلة عليهم الوحي ومعلمتهم الطب ٠

***

ايتها الشعوب المتخلفة العاجزة الغاوية ، او ايتها الشعوب العربية ٠٠ اذا ما روعك قبح وجوه قادتك وحكامك وهزال عضلاتهم واعضائهم وعمى بصائرهم وابصارهم فانظري الى وجوهك في مرآتك ووقعي الكشف على عضلاتك واعضائك

وعلى بصرك وبصيرتك ، ثم اركعي بين ايديهم اي بين ايدي قادتك وحكامك ، مصلية معتذرة مستغفرة عما فعلته واوقعته بهم ، ملحة في توبتك واستغفارك لعلهم يقبلون ويغفرون او حتى يستمعون اليك ٠٠ انه لا احد يجب أن يعتذر ويتوب مثل الشعوب حينما تقاسي من فساد وظلم وطغيان وعجز وغباء حكامها وقادتها ٠٠

لقد عجزت عن أن تلدي او تصوغي حكامك وقادتك اصحاء او اقوياء ، فلا تعجزي عن مجاملتهم وتعويضهم بالاعتذار والاستغفار والتوبة اي اليهم وبين ايديهم ، لعلهم يتقبلون اي حكامك وقادتك اعتذارك وتوبتك ٠ لقد قسوت عليهم بولادتك وصياغتك لهم بهذا الضعف والقبح فلا تقسي عليهم باتهامك لهم بما فعلت واوقعت بهم ٠٠

لقد شوهت الوجه فلا تعيريه بما وضعت فيه من تشوهات والام ٠ هل توجد نذالة مثل نذالة من يفقأ العين ثم يعيرها او يسبها لانها قبيحة او لانها لا ترى او لانها عاجزة عن أن تدل عن فقأها على طريقه ، أو عن أن تقرأ اسمه مكتوبا بكل اللغات على جلود وثياب السحاب ، او عن ان ترى صورته وكل صور ابائه وانبيائه محفورة بايدي كل الالهة على جبهات وهامات جميع النجوم ، او عن ان تغني له مدائحه لابائه واوثانه، أو عن انتريه وتريله المرائي التي لايستطيع هو انيراها، أو عن ان تحدثهعن جمال وجهه او عن ان تقترح وتخطط وتصنع له وجها جديدا اجمل جدا من وجهه القديم؟ أليس اي مجتمع يعير اي فرد من افراده باي عيب من عيوبه الجسدية او العقلية أو الاخلاقية او النفسية انما هو مثل من يفقأ العين ثم يذهب يعيرها ؟

هل يوجد اوقح من الارض التي تذهب تلعن نباتاتها لانها قد انبتتها ضعيفة ومشوهة ورديئة المذاق والمنظر والقيمة ، او من الشجرة التي تذهب تلعن ثمارها لانها جاءت اي ثمارها صغيرة او قليلة او رديئة المذاق والمنظر ، او اوقح من الاله الذي يخلق الشيطان ويخلقه شيطانا ، ويغريه بان يظل شيطانا ، ويصنع له الظروف الملائمة لكي يظل شيطانا جيدا جدا ، ويمهله لكي يؤدي شروره بكل العبقرية والتفوق والانتصار ، ثم يذهب اي الاله يقاسي ويقاسي لكي ينزل الكتب المقدسة والاديان ويبعث الانبياء لكي تعلم ويعلموا ضد الشيطان ولكي تلعنه ويلعنوه ، ولكي تتحدث ويتحدثوا اي الكتب المقدسة والاديان والانبياء عن العذاب المعد للشيطان ؟ كيف وهل وجد مثل هذا الاله ؟ هل استطاع اي خيال او فكر ان يتصوره ؟ ان الوقح هنا هو الذي تصور الاله كذلك وعلم عنه وفسره بانه كذلك ٠٠ هو الذي آمن واعلن بانه يوجد اله هو كذلك ٠ انه وقح الايمان والرؤية والتصور ٠٠ ان شيئا ما لم يشوه ذكاء الانسان مثلما شوهه ايمانه بمثل هذا الاله وانزاله النبوات والكتب لتعلم الايمان به والحب له ٠٠٠

ان الناس لا ينقسمون الى خالقين وقادة واطباء ، والى مخلوقين ومقودين ومرضى ٠ ان الخالقين القادة الاطباء هم المخلوقون المقودون المرضى ، وان المخلوقين المقودين المرضى هم الخالقون القائدون الاطباء ٠ ان الفرق بين الفريقين في المناصب

والاماكن والالقاب لا في الذوات او المواهب او الصفات ٠

انها اذن هي المشكلة او العقدة الفريدة الصعبة جدا ، لانها هي المشكلة او العقدة التي عليها ان تحل نفسها لانه لا يوجد اي حلال اخر لها ٠٠

انها اليد والسيف والرقبة والقلم والورق والجبر والكتاب ٠

انه المريض والطبيب والداء والدواء والجسم واجهزة الحليل والكشف ٠ انه لا يوجد هنا طبيب ومريض وداء ودواء ويد وسيف ورقبة وجلاد وعبقري وتافه ونبي وتابع وملاك وشيطان بل هذا هو ذاتا وتفسيرا وولادة وكينونة ٠ ولهذا فانه يحدث ويمكن دائما تبادل الاماكن والالقاب والازياء دون أن تختلف الصورة او الرؤية او التفسير ٠٠ دون ان تفجع او تغضب الشمس والنجوم او تهاب الرؤية لان شيئا منكرا جديدا قد وقع تكره التعامل معه ٠٠

اذن هل يكف الخالق حياء او تهذيبا او عدلا او توقرا عن سب واتهام وتوعد مخلوقيه مهما تشوهوا او اخطأوا او اذنبوا او عجزوا او ظلموا ؟

بل الا يذهب حينئذ يستغفرهم ويتوب اليهم ويؤمل عفوهم عنه ، اي كلما تشوهوا أو اخطأوا او اذنبوا أو ظلموا او عجزوا أو عصوه وابغضوه ؟

بل الا يذهب حينئذ يعاقب نفسه ويحاول اصلاحها وشفاءها من جميع نماذجها ومستوياتها العقلية والاخلاقية والنفسية والفنية ؟ انه لن يوجد اسفه من الصانع الذي يذهب يلعن ويعير ويعاقب صناعته لانها جاءت رديئة الا الاله الذي يذهب يلعن ويهدد ويعاقب مخلوقيه لانهم جاءوا عصاة او ضعفاء او اغبياء ٠٠

لعل العقل الانساني لم يتخيل او يصنع بلادة مثل بلادته حينما ذهب يعتقد ويعلم ويعلن ان من المنطق او العدل او مما يقبل او يغفر ان يعير او يسب او يعاقب الاله الخالق مخلوقيه على ذنوبهم او نقائصهم او عجزهم ٠ اليس المعقول جدا ان يذهبوا هم يدينونه ويعاقبونه لانه ارادهم وصاغهم مذنبين عاجزين ناقصين ؟ كذلك حينما اقتنع اي الانسان أو تصور ان ذنوب ونقائص وطغيان القادة والحكام ليست هي اولا ودائما ذنوب ونقائص وتعليم وايحاء وتحريض وابداع وولادة شعوبهم ومجتمعاتهم ـ حينما عجز اي العقل الانساني عن أن يفهم أو يقتنع او يتصور انهم اي القادة والحكام لم يكونوا قط ولن يكونوا ابدا مبتكرين لذنوبهم او لنقائصهم او لتفاهاتهم ، وانهم لن يكونوا الا مقلدين وتابعين ووارثين ومنفذين بل ومخلوقين مطبوعين مطيعين ، عاجزين عن أن يفهموا او يريدوا او يتقبلوا او يفعلوا او يكونوا اكبر او اعظم او اذكى ـ عاجزين عجزا ذاتيا وتعليميا وتاريخيا وايحائيا ٠٠ ان اي نبي او حاكم او قائد لن يكون الا مقدا لجماهيره وارثا لمواهبهم وعضلاتهم متعلما من وحيهم واخلاقهم منسوجا من خيوطهم وغزلهم مغزولا بمغازلهم مدبوغا بمدابغ جلودهم ٠٠

اكرر انه حق بل حتم على الشعوب ان تحاكم وتعاقب بل وتسقط حكامها وقادتها

وزعماءها اذا استحقوا ذلك وان تقسو جدا في الاحصاء عليهم وفي تعديد ذنوبهم واخطائهم ٠ ولكن عليها أن تعلم انها بذلك انما تحاكم وتعاقب وتسقط نفسها وتقسو في الاحصاء عليها اي على نفسها وفي تعديد ذنوبها واخطائها ٠ وانها لن تجد ذنبا او خطأ من ذنوبهم واخطائهم الا وهما احد ذنوبها واخطائها هي انتقلا اليهم بالتوريث والتعليم والتحريض والايحاء ٠ ان حكامها وقادتها وزعماءها ليسوا الا نسخا منها كتبتها بايديها وباقلامها وحبرها وعلى اوراقها وبلغتها وضمنتها كل معانيها وتفاسيرها ، وذهبت تقرؤها على العالم وعلى الاحداث باصواتها ومن فوق منابرها بكل اساليب التعبد والايمان والاقتناع والتمجيد والتدليل والفهم والتشهير ٠

انه لم يحدث في كل التاريخ انقوما نسخوا وكتبوا وقرأوا قادتهم وحكامهم وانبياءهم وخلفاءهم وسلاطينهم وصوتوا بهم من فوق كل المنابر بكل اللغات والاساليب وشهروا بهم باسلوب التمجيد لهم والايمان والاقتناع بهم والدفاع عنهم والتفسير لمزاياهم ، مثلما فعل العرب ومثلما يفعلون اليوم ومستقبلا ٠٠

ان على اي شعب او مجتمع قاسى طويلا طويلا من تعاقب القادة والزعماء والانبياء والحكام الاغبياء الطغاة العاجزين الاشرار على اذلاله وافساده وقيادته الى الهزائم والحماقات ـ نعم ، ان عليه ان يجرب هذا او ان يتعهد بهذا او الا يفعل الا هذا ٠٠ ان عليه ألا يلد الا ابناء اقوياء اتقياء عباقرة ، والا يطيع او يتقبل او يحترم الا الاقوياء الاتقياء العباقرة ، والا يصلي او يهتف الا لهؤلاء ، والا يؤمن الا بهؤلاء ، والا يقاتل او يعادي او يتحرك او ينفذ الا بقيادة هؤلاء ، والا يفعل او يحيا الا ما هو تقوى وقوة وعبقرية ، والا يفهم أو يفسر أو يرى او يتكلم الا بعقول وتفاسير ولغات ورؤى واخلاق قوية تقية عبقرية ٠٠

نعم ، ان على اي مجتمع او شعب قاسى في كل تاريخه من تعاقب هؤلاء الحكام والقادة والزعماء والانبياء الاشرار التافهين عليه ان يجرب الالتزام بكل هذا ٠ ان كل ما في هذا الكون وكل من فيه من الهة وسحرة وابالسة وملائكة وقوانين لا بد حينئذ ان يضمنوا له بكل ما فيهم من جبروت وصدق ووفاء بالا يتخلق فيه او منه او يصعد فوقه الا اتقى واقوى واذكى واعظم القادة والحكام والزعماء والانبياء ٠ انه لضمان لا يستطيع اي شيء ان يخترقه حتى ولا كل من في هذا الكون من الهة وملائكة وابالسة وسحرة وقوى خفية عمياء ٠ واني انا لاضمن ذلك مع هؤلاء الضامنين له ٠٠

ولن يكون هناك اي احتمال لان يوجد من يستطيع او يجرؤ ان يتحدى هذا الضمان الكوني ٠٠

اذن فلتجرب ذلك جميع الشعوب العربية ٠ اليست الشعوب العربية قادرة على ان تجرب هذه التجربة ؟ انها لو حاولت تجربتها لما وجد من يمنعها سوى موهبتها ٠٠

نعم ، وان على الارض ان تكون جيدة التربة والبيئة والبذور والمناخ والرعاية

والحماية لها ، غزيرة المياه عذبتها • إنه حينئذ لا بد ان تضمن لها جميع الكتب المقدسة حتى كتب العرب المقدسة بأن تجيء زروعها واشجارها وثمارها طيبة وجيدة ووافرة •• ان تجيء اعظم مما ارادت وتصورت وخططت لها الالهة ان تجيء ••

نعم ، ولا بد أن اضمن انا مع ضمان جميع الكتب المقدسة ومع ضمان كتب العرب المقدسة لها ذلك • فهل من مجرب ؟ هل تجرب الشعوب العربية او الارض الصحراوية الاخلاق والضمير والمنطق والتاريخ والالهة هذا الضمان ؟ ان المشكلة ان التجربة ليست ارادة فقط بل وقدرة • ان من لا يقدر لا يجرب مهما اراد ولو جرب لما انتصر •• انه قد يكون بعض الحقيقة اتهام الشعوب العربية وكذا جميع الشعوب المتخلفة بانها عاجزة عن ان تلد الزعماء والقادة والحكام والمعلمين الانكياء الاقوياء الاتقياء وعن ان تصوغهم وتعلمهم وتربيهم وتلزمهم ليكونوا كذلك • قد يكون هذا العجز بعض الحقيقة لا كل الحقيقة •• اما كل الحقيقة فان الشعوب العربية وكذلك جميع الشعوب المتخلفة عاجزة عن أن تفعل ذلك حقا ولكنها ايضا لا تريد أن تفعله ولا تعرف كيف تفعله وتخاف او تهاب ان تفعله • اي لو علمت انها لا تفعله وانها مطالبة بان تفعله وانها تستطيع ان تفعله وتعرف لو أرادت ان تفعله ••

انه ليمكن اتهام هذه الشعوب او اتهام الكثيرين من آحادها وجماعاتها انهم يرفضون ان يكون لهم قادة وزعماء وحكام وانبياء من هذا الطراز القوي الذكي الصادق النظيف الطموح المتفوق ، اي يرفضون لو كانوا في موقف الخيار بين ان يكون لهم ذلك والا يكون •• يرفضون لانهم ولا بد يعرفون او يشعرون ولو بالغريزة او التوجس و الالهام الغامض ان هذا الطراز من القيادات لا بد ان يكلفهم ويلزمهم بتكاليف قاسية لا يريدون او لا يستطيعون دفع ثمنها ، وان يحرمهم من مكاسب وامتيازات شخصية وانانية يرفضون ان يحرموا منها • كما لا بد ان يحاسبهم على كل خطواتهم ونياتهم وتحديقاتهم حسابا قاسيا وعادلا شاملا لا افلات منه ولا تمييز او محاباة فيه ••

ولا يوجد مجتمع واحد يرضى أو يتقبل كل من فيه اختيارا مثل هذا الحساب •

ان عظمة القيادة او النبوة او الزعامة وكذا صدقها وعدلها وذكاؤها وقوتها ونظافتها ليست دائما ربحا شخصيا لكل جماعات المجتمع او لكل احاده • انه ليوجد دائما وفي كل المجتمعات من يرفضون ويقاومون القيادات والنبوات العظيمة كما يوجد دائما من لا يريدون ان يكونوا ابطالا ••

ان كثيرا من هذه الجماعات والاحاد ليقاومون مثل هذه القيادات والنبوات والزعامات او يكرهونها ويرفضونها اذا عجزوا عن مقاومتها كما يقاومون ويرفضون ويكرهون الموت والامراض والافلاس والعقاب الشديد بل اشد • لعله لا يوجد من يتقبلون القيادة او النبوة الكاملة في كل نماذجها اي لو وجدت قيادة او نبوة كاملة •

اذن فالزعامات والقيادات والنبوات العربية وكذا جميع امثالها ليست فقط عاجزة عن ان تكون عادلة ونظيفة وصادقة وعظيمة ، ولكنها ايضا مكرهة ومحرضة على

الا تكون ذلك وخائفة ومستحيية من هذه الكينونة ، ومجاملة في الا تكونها ، وهاربة من الاحراج والايذاء والتعذيب لمن لا تريد تعذيبهم حينما ترفض ان تكونها اي ان تكون هذه الكينونة العادلة الصادقة النظيفة العظيمة ٠ وهذه الكينونة لا بد ان تتحول الى تعذيب وايذاء لقوم ما ٠ وهل يجرؤ على اقتراف هذا التعذيب او الايذاء الا من وهبوا موهبة الاختراق لاجساد المتحلقين والتكذيب لامالهم وايمانهم ؟

لننظر الى جماعات المستشارين والمعاونين والمنتفعين والعاملين في اجهزة الكلمة من كتاب ومذيعين ومعلقين ودعائيين واعلانيين وغيرهم ممن لا يمكن تفسيرهم بغير التفاسير التي يفسر بها الشعراء القدماء العرب حول الخليفة او الامام او السلطان أو النبي العربي القديم ٠ وهل يستطيع خيالك أو ضميرك أن يتصور او يفسر أولئك الشعراء القدماء على أبواب اولئك السلاطين والخلفاء والانبياء الذين هم كل تاريخك ؟

نعم ، لننظر الى كل هؤلاء والى كل جماعات المتحلقين المباركين المصلين الداعين المهنئين المفسرين المعجبين المصفقين المنشدين حول القائد او الزعيم او الحاكم الفاسد الرديء اللص المخرب الجاهل ٠ نعم ، لنكن اقسى القساة على عيوننا ورؤانا وتصوراتنا ولننظر الى كل هؤلاء ٠٠

لننظر الى جميع هؤلاء الذين شيدوا ونظموا وضمنوا جميع مكاسبهم وامجادهم الشريرة المنهوبة لان القائد او الحاكم أو الزعيم الذي تحلقوا حوله فاسد وظالم وكذاب وشرير ، ولانهم مطمئنون الى انه سوف يظل دائما كذلك ٠٠ ما اكبر واكثر آثام وجرائم التحلق حول القادة والزعماء والحكام وجميع اصناف الاقوياء ٠ ما اقدر هذا التحلق على الاغراء والاغواء والافساد ٠ هل فسق بالتاريخ او ضلله شيء او اهان شرفه وهمته مثل هذا التحلق ؟

لننظر الى قوة الضغوط التي لا بد ان يوجهها كل هؤلاء بكل العنف والاساليب الى مثل هذا الزعيم او القائد او الحاكم لمنعه من أن يكون شيئا افضل بل من أن يفكر في هذا الشيء الافضل ٠

اليس مثل هذا القائد او الحاكم او الزعيم بل أو النبي يستحق كل الرثاء والاشفاق لو فكر في ان يخرج على كل هذه الجماعات المتحلقة حوله وان يهدم آمالها فيه وثقتها وايمانها به واطمئنانها الى انه سوف يظل كما تريد وكما تحتاج ارباحها وامتيازاتها المسروقة المغتصبة ٠٠

اطمئنانها الى انه سوف يظل رديئا وظالما ولصا ونذلا ومحابيا دجالا ٠

هل يمكن ان يوجد حاكم او قائد او زعيم او نبي يستطيع ان يملك من الشجاعة او القوة او الوقاحة او القدرة او الجرأة على صدم وتكذيب الامال فيه ، وعلى معاقبة وتعذيب المؤملين فيه ، ما يجعله يقدم على أن يفعل افضل مما جربت فيه هذه الجماعات وارادت ورضيت وكسبت منه ، بل ما يجعله يقدم على أن ينوي ذلك او يفكر فيه او

يتحدث عنه ؟ هـل يوجد مزجور ومدعو ومحرض لئلا يكون شيئا نظيفا أو كريما أو عظيما أو شجاعا بل او مبصرا او فاهما مثل القائد او الحاكم او الزعيم بل او النبي أو الموهوب في المجتمع المتخلف ؟

ان الحاكم أو القائد أو الزعيم أو النبي اذن ليس مولودا مخلوقا فقط غير عظيم في المجتمع المتخلف بل انه لمحروس من أن يكون عظيما ، بل انـه لمهدد بالشنق او الخلع لو اصبح عظيما بل لو أراد ذلك او فكر فيه او رآه شيئا أو أملا جيدا ٠ انـه لمهدد بكل ذلك في مثل مجتمعه هذا اكثر من تهديد نقيضه بشيء من ذلك في المجتمع المناقض ان لـم يصبح عظيما في كل شيء أو لعل احتمال سقوط الحاكم أو القائد الرديء فـي المجتمع الرديء لو حاول ان يصبح جيدا يساوي احتمال سقوط الحاكم أو القائد الجيد فـي المجتمع الجيد لو استطاع ان يكون رديئا أو لو أراد ان يجرب ذلك ٠ نعم ، لعل الحاكم والقائد والزعيم محكوم ومقود ومتزعم عليه اكثر من العكس ٠ لعله موضوع في الاغلال أكثـر واقسى من كـل من وضعهم فـي اغلالـه ٠

أليست الاغلال الموضوعة عليه هي اكثر واقسى الاغلال واعنفها اذلالا وارهابـا وضبطا ؟ بل أليس جميع الذين يضعون غيرهم في الاغلال ويؤمنون بمجد الاغلال هم دائما في اغلال اقسى ؟

اننا احيانا قـد نكف أو نعجز عن أن نكون صادقين أو عادلين أو اذكياء أو أقوياء أو منتصرين متطهرين لاننا محكومون بالحياء أو الوفـاء أو التهذيـب أو بالمجاملـة والحب او بمشاعر التحرج والاشفاق والصداقة ، او لاننا محاط بنا من كل جهاتنـا بالمتحلقين الانذال الاشرار الغواة اللصوص المداحين المرجفين الذين لا بد ان يتحولـوا الى تحلق حول كل قائد وحاكم وزعيم ونبي في كل مجتمع فاسد متخلف ليكونوا له وفيه اقسى واردأ الاغلال والقيود ٠ لهذا لن يوجد محكوم عليه بالفسـاد والتخلـف والعجز والهوان والهزائم والنذالة والسخف والضلال والعار مثل الحاكم أو القائد أو النبي في المجتمع الفاسد العاجز المتخلف ٠

نعم ، اننا احيانا قد نكف عن أن نكون كل ذلك او بعضه خضوعا لهذه التفاسير والمشاعر اكثر مما قد نحاول ان نكف عن النقيض خضوعا لهذه التفاسير والمشاعـر ، وبحثا عنها ورغبة في أن نوصف ونعرف بها . اجل ، اننا قد نكف أو نعجز عـن أن نكون ذلك خاضعين لهذه التفاسير اي اننا قد نستحيي ونهاب أو نتحرج أو نشفق من ان نفعل العظمة والخير والعدل والصدق والذكاء اكثر مما نهاب أو نستحيي او نتحـرج او نشفق من أن نفعل التفاهة والنذالة والشر والظلم والكذب والغباء والوقاحة وقد نبحث عن حب الناس وولائهم واخلاصهم واحترامهم وطاعتهم لنا بان نفعل النذالة اكثر مما نبحث عن ذلك منهم بان نفعل الشهامة ٠ اننا قد نفعل النذالة لاننا نحب أن نعرف بالشهامة ، ونفعل التفاهة والقبح لاننا مصابون بحب العظمة والتفوق ٠

اذن فالقادة والزعماء والحكام والانبياء قد يكرهون اكراها على ان يكونوا انذالا

ولصوصا وطغاة وظلمة ، وعلى الا يكونوا شيئا اخر اي لو كانوا محتاجين الى مثل هذا الاكراه ، وكان في عزمهم او من سعادتهم وشهوتهم ان يكونوا غير ذلك ٠٠

انهم اذن كالمرأة الشريفة العفيفة التي تهب نفسها حياء او رحمة او ادبا وتهذيبا أو تحرجا أو سخاء ٠٠ وهل وجد مثل هذه المرأة ؟ وكيف لم توجد ؟ اليست لو وجدت هي اعظم تقوى وعفافا وكبرياء ممن يهبجبهته وضميره وفكره وايمانه للالهة المتوحشة خوفا منها وطمعا في عطاياها ؟ بل اليست هذه المرأة انبل عفة وتقوى وقلبا وانظف جسدا من المرأة التي تهب جسدها للرجل النذل الوقح الكريه لانه يسمى ويحسب زوجا لها ؟ ٠٠٠

اذن فلتصل الالهة بل لتتصاغر وتتواضع تمجيدا لشهامة القادة والزعماء والحكام والمعلمين الاشرار الظلمة اللصوص ، وحياء من حيائهم وتهذيبهم ، واحتراما لعفتهم الاخلاقية والنفسية والفكرية التي يتنازلون عنها ويضحون بها استجابة لمثل المعاني والحوافز النبيلة التي تجعل المرأة الشريفة العفيفة تهب شرفها تحت املاء الحياء أو الرحمة او الاشفاق او التهذيب والتأدب او الكرم او التحرج ، وتحت عجزها الانساني عن أن ترفض او تصدم او تكذب امال الطامعين فيها ، في عطائها وكرمها مع جوعهم الصادق اليها ٠٠ اي لو وجد مثل هذه المرأة التي تستطيع ان تفهم وتفعل مثل هذه الشهامة والضخامة الانسانية ٠٠

ولكن كلا . فان هؤلاء القادة والزعماء والحكام والانبياء لاكثر واشمل شهامة وتهذيبا ورحمة وسخاء وحياء ومجاملة واستجابة للمؤملين والمحتاجين الضارعين من هذه المرأة العجيبة المعجزة في عظمتها الانسانية والنفسية والاخلاقية ٠٠ هذه المرأة التي لم توجد لان البشر لم يستطيعوا ان يبتكروا مثل هذه العظمة النفسية والاخلاقية التي تعنيها هذه المرأة التي لم توجد ٠٠ أليس فقدا للعظمة الانسانية ان توجد المرأة التي تهب نفسها بيعا أو شهوة دائما دون أن توجد المرأة التي تهب نفسها كرما أو نبلا او اشفاقا او حياء أو عدلا او صدقة او مجاملة او احتراما ؟

نعم ، انه لم يوجد ولن يوجد من يكرههم نبلهم وحياؤهم وتهذيبهم وكرمهم ووفاؤهم وحبهم واشفاقهم ومجاملتهم وتحرجهم على ألا يكونوا عظماء واتقياء وعادلين وصادقين ومتطهرين مثل حكام العرب وقادتهم وزعمائهم وانبيائهم ٠ انهم العظمة التي تحولت الى تفاهة ، والقوة التي تحولت الى ضعف ، والحب والتهذيب اللذان تحولا الى ظلم ، والتقوى التي تحولت الى فجور ٠

انهم تحت حوافز انبل واعظم فدائية اخلاقية وانسانية اختاروا اي اضطروا الى ان يكونوا انذالا واشرارا وصغارا وطغاة ظالمين ٠ ولكن لتركع كل شهامة وعظمة وعدل وخير وديمقراطية مبايعة ومصلية لنذالاتهم وشرورهم وتفاهاتهم وطغيانهم ٠٠ انهم الفجور الذي هو اتقى من كل تفاسير ونماذج التقوى ٠٠

اجل ، ان هاهنا لورطة ٠ ذلك أن مصالح ومشاعر الاخرين المتوقعة المنتظرة منا ،

المخاطبة لنا ، اللاجئة المتضرعة الينا ، المتحلقة حولنا لمحتوم ان تتحول الى قيود ثقيلة على ذكائنا وفروسيتنا لتقاومنا وترهبنا وتضعفنا لئلا نكون صادقين او عادلين أو منزهين او اتقياء الضمائر او النيات او السلوك او صارمين شجعانا ٠٠ هل وجد او يمكن ان يوجد من يستطيع ان أنيكون كل ذكائه وفروسيته النفسيـــة والعقليـــة والاخلاقية والتعبيرية دون اثقل القيود المضروبة عليه ٠

انه لا احد يقاسي من هذه الورطة الهازمة للتقوى والعظمة ، ويخضع لاملاءاتهـا بهوان وافتضاح وضآلة ، مثل الهة العرب وانبيائهم وقادتهم وحكامهم ٠ انهم يهونون ويفتضحون ويصغرون طاعة لاملاءات التقوى والشهامة والحب والرحمة والوفـــاء والتهذيب ٠٠

ولكن ٠٠ أليس القادة والحكام والانبياء الذين يلزمون بتحمل كل هذه المقـاساة الفادحة لمحاولة تفسير رداءتهم وضعفهم ، وللتدليل على تفرد رداءتهم وضعفهم باعلى مستويات المجد ، يستحقون التحية والاعجاب ؟ أليس للتحية والاعجاب اماكن واسباب غير اماكن واسباب التحية والاعجاب بل نقيضها ؟ لو وضعت شروط للتحية والاعجاب فمتى او فكم حينئذ يوجدان او فهل يوجدان ؟

أليست الرداءة والضعف المتفردان يستحقان تحيات واعجاب الاصدقاء والاعـــداء حتى ولو شماتة و استمتاعا او اندهاشا أو انفجاعا أو ذهولا أو رغبة في ان يهبوا رثاءهم واشفاقهم بسخاء أو احساسا انانيا بالتفوق البعيدالتفاسير والمقاييس ؟ أليس تفوق المتفوق يجب ان يتحول الى ثمن نفسي او اخلاقي او مادي يدفع للمتخلف؟ أليس تخلف المتخلف يستحق شكر المتفوق ؟

اذن اليس القادة والحكام والانبياء والالهة العرب يستحقون كل التحية وكـــل الاعجاب بهذا التفسير لاسباب التحية والاعجاب ؟ أليس يجب على كل قادة وكـل العالم ان يهبوا كل حبهم واعجابهم لكل قادة العرب اي بهذا التفسير للحب والاعجاب؟ اليست التحية والاعجاب يعنيان ولو احيانا اقسى اساليب الهجاء او يحرضان عليـه أو يذكران بان الموقف موقف هجاء ؟

اجل ، وهل تلقى او يمكن ان يتلقى اي قادة أو حكام أو انبياء فـي اي عصـر أو مجتمع من التحيات والاعجاب شيئا مما تلقاه وسوف يظل يتلقاه قادة العرب وحكامهم وانبياؤهم وجميع خلفائهم وسلاطينهم ؟ الم يظلوا في كل التاريخ يتلقون كل ذلك بلا اية شروط من حيث الاستحقاق أو الصدق أو الوقار ، بل ضد كل الشروط وخروجـــا عليها واستهزاء بهـا ؟ ألم يتحول الاعجاب والايمان اللذان وهبهما الانسان العربي ولا يزال يهبهما لقادته وحكامه وانبيائه وسلاطينه وخلفائه بل ولكل مهرجيه وطغاتـــه الصغار الى اسقاط لكل احتمالات الذكاء أو المجد في اي اعجاب او ايمان ، او الـــى تشكيك في هذه الاحتمالات ، او الى هجاء لكل من يهبون اعجابهم او ايمانهم ، ولكل من يوهبون الاعجاب او الايمان ؟ أليس الاعجاب والايمان يتحولان احيانا الى رثاء لمن

وقع منهم الاعجاب والايمان ولمن وقع عليهم الايمان والاعجاب .

هل يمكن ان تكونّ محترما لنفسك ثم تتقبل ان توهب شيئا من الاعحاب أو من الايمان بك لو انك وعيت وقرأت مقادير وبلادة الايمان والاعجاب اللذين وهبهما ولا يزال يهبهما الانسان العربي لقادته وحكامه وانبيائه وخلفائه وسلاطينه ولكل صغاره القافزين فوق كرامة وكبرياء حقوله وصحرائه ، اي ان كنت قد حدقت ببسالة ومحاسبة وبصيرة في الوقاحات النفسية والعقلية والاخلاقية والانسانية التي عاقب وشتوه بها التاريخ والحياة هؤلاء القادة والحكام والانبياء والسلاطين والخلفاء العرب ، والتي لا يزالون وسوف يظلون طويلا ، طويلا يعاقبون ويشوهون بها الحياة والتاريخ ؟ كيف تستطيع ان تتقبل أو تغفر أي اعجاب أو مديح يوجه اليك بعدما سمعت المديح والاعجاب الموجهين الى قادة وحكام وزعماء العرب الذين قادوا مواجهات العرب لاسرائيل ؟

هل حقر الاعجاب شيء أو احد مثلما حقره العالم باعلانه الاعجاب بحكام وقادة وزعماء وخلفاء وانبياء وشعراء وحكماء العرب الذين كانوا او الذين هم كائنون او الذين سوف يكونون ؟

وهل يعتدي اي العالم على شيء او يحتقر شيئا مثلما اعتدائه على هؤلاء الحكام والقادة والزعماء والخلفاء والانبياء والشعراء والحكماء العرب ، ومثل احتقاره وتحقيره لهم حينما يعلن اعجابه وايمانه بهم ؟

وهل حقر قوم انفسهم او قبلوا ان يحقرهم غيرهم مثلما فعل هؤلاء القادة العرب حينما قبلوا بل فرحوا ان يعجب ويؤمن العالم بهم ويعلن عن ايمانه واعجابه بل ويحول اي العالم ايمانه واعجابه بهم الى اناشيد وقصائد وبيانات وقرارات دولية ؟ هل وجدت اساليب للتحقير تساوي في بذاءة وقسوة تحقيرها القرارات الدولية التي تصدرها المنظمات الدولية تأييدا لضعف وعجز العرب ، مزعومة ايمانا واعجابا بالعرب وبقضاياهم ؟

كيف لم يفهموا تفاسير هذا الاعجاب والايمان وتفاسير الاعلان عن هذا الاعجاب وهذا الايمان ؟ هل فهموا وقبلوا ؟ هل كان ذلك تعبيرا عن مستوى غبائهم ام عن مستوى سخفهم ؟ ايهما اكثر اهانة لعبقرية العرب : ان يكون هذا مستوى ذكائهم أو ان يكون مستوى كبريائهم وكرامتهم ورصانتهم ؟

هل يستطيع الاعمى المقعد ان يجهل التفسير البذيء المهين له لو ان احدا اعلن اعجابه بجمال عينيه ورجليه وبقوة ورشاقة وسرعة الابصار والحركة في عينيه ورجلية ؟ وهل يمكن ان يوجد هذا الوقح الذي قد يجرؤ على انيعلن اعجابه بجمال وقوة ورشاقة وسرعة عيني ورجلي الاعمى المقعد ؟

اذن هل يمكن ان يقبل الاعمى المقعد مثل هذا الاعجاب او أن يغفره كما قبل ويقبل

دائما الزعماء والقادة والانبياء والشعراء والحكماء العـــرب العميان المقعدون الاعـــلان العالمي الدائم عن الاعجاب بجمال عيونهم وارجلهم وبقوتها الخارقة على الرؤية والقفـز والطيران فوق كل الاكوان العليا وعلى الاختراق بالرؤية لكل العوالم البعيدة الخفيـــة التي لا تستطيع العيون الاخرى ان تراها ـ كما قبلوا ويقبلون دائما ذلك بكل الفـــرح والنشوة والمباهاة ؟؟

اجل ، لقد وجد العرب ولا يزالون يجدون وسوف يظلون يجدون هؤلاء الوقحيـــن العالميين الذين جرؤوا ويجرؤون دائما على أن يعلنوا عن اعجابهم بجمال وعبقريـــة عيون وارجل الزعامات والقيادات والنبوات العربية العمياء المقعدة ، بل ويحولوا هذا الاعجاب الى قرارات وصلوات دولية تخفق وتذعر وتحزن لها وبهـــا ومنهـــا قلـوب وضمائر ووقار وكرامة واستحياء الحشرات بل وصدق وتقوى وشجاعة الحشـرات ؟ هل أهان العالم نفسه مثلما فعل حينما حول اعجابه بجمال ورشاقة ارجل وعيون العرب العمياء المقعدة الى قرارات دولية معلنة ؟

ان جميع مواقف الاعجاب والامتداح والتأييد التي يقفها كل العالم ، كل الاوقات ، في كل القضايا وفي كل ما ليس قضايا ـ يقفها خاشعا مؤدبا متصاغرا متضرعا تحـت اقدام الزعامات والقيادات العربية القائمة والهالكة الماضية ، ليست اي هذه المواقــف الا اساليب وقحة من اساليب اعلان الاعجاب بجمال عيني الاعمى وبقوة الابصار فيهما ، وبجمال ورشاقة وقوة رجلي المقعد وبقدرتهما على الطيران وعلى الخطو والقفز والتحليق فوق النجـوم ٠

اذن فالعرب قد استطاعوا بلا اية مزية أو قدرة بشرية من أي نوع ، ان يحملـوا بل يكرهوا بقوى واعظم واكبر واعلم دول العالم على ان تفعل هذه الوقاحة التـــي لـم يوجد ولعله لن يوجد من يجرؤ على فعلها ، اي على ان تصعد فوق اعلى المنابر وفوق كل المنابر لتتلو اوقح القصائد لتنشد الاعمى المقعد ، لتقول له : ما اجمل واقوى وانفـذ واوسع عينيك ورجليك ، لتصدر قرارات دولية اجماعية تعلن فيها وبها ان العيـــون والارجل العمياء المقعدة هي اجمل واقوى وافضل وآصل واسحر العيون والارجل ٠

اذن ايهم الذين يستحقون الرثاء أو الهجاء اكثر : العالم الذي يهوى به هوانه ونفاقه وملقه ومتاجرته الى أن يصدر القرارات الاجماعية في امتداح جمال وقدرة ورشاقـــة العيون العمياء والارجل المشلولة ، ام الزعامات والقيادات العربية التي يهوى بهـــا غباؤها وصفاقتها الى أن تهب وتجزي وتجن سرورا وطربا وغرورا حين تمتدح عيونها العمياء واقدامها المشلولة ؟

لماذا لا نستورد حكامنا كما نستورد عقولنا

اذن يوجد في هذه القضية رأيان : رأي يقول : ان الشعوب العربية عظيمة وعبقرية وتسكن في داخلها كل المواهب واعظم المواهب، ولكن آفتها هم حكامها وقادتها وزعماؤها الذين يجيئون دائما نقيضا لها وتضليلا واذلالا وقتلا وافسادا لمزاياها أو تعويقا لها عن الكينونة والانطلاق والظهور والتعبير ..

أما الرأي الاخر فيرى ان ضعف حكامها وزعمائها وقادتها ليس الا تعبيرا صادقا أليما منطقيا عن ضعفها ، وليس عدوانا عليها أو تزويرا او تزييفا لها او هزيمة أو سرقة أو تضليلا لعبقريتها أو سحبا لها من ذاتها . اذن فالرأيان متفقان على عجز الحكام والقادة والزعماء العرب عن ان يقودوا الى ما يطالبون به وينتظر منهم بأن يقودوا اليه ، ولكنهما اي الرأيين مختلفان في تفسير هذا العجز وتفسير اسبابه ، مع الاعتراف هنا بأن تسمية أو زعم الرأي الاول رأيا هو مبالغة في التسامح التعبيري وتخط لكل شروط وضوابط الدقة ..

اذن ما العلاج ، أو كيف يجب ان يكون التصرف اي بعد الاعلان ان هنا تسامحا أو تنازلا عن الالتزام بالدقة في الحكم والتعبير ؟

حكام وقادة العرب عاجزون دائما ـ عاجزون وحدهم او عاجزون وعاجزة معهم شعوبهم .. عاجزون لان شعوبهم عاجزة ولانها عاجزة خلقتهم عاجزين .. هذه هي القضية المواجهة هنا ..

انه مرض لا بد من مقاومته وعلاجه ، وحرب لا بد من خوضها بمقدرة وانتصار وارتحال في طريق طويل محشود مرصود بكل المخاطر والمعوقات والمضللات الى غاية لا بد من بلوغها ، وقضية عظمى لا بد من الفصل فيها .. ولكن جميع الاطباء والادلاء والقادة والقضاة الموجودين والمتعاقبين لا يصلحون لذلك ولا يستطيعونه بل هم نقيض شامل حاد لكل تفاسير الاطباء والقادة والقضاة والادلاء ..

التصرف المنطقي يرى حينئذ انه لا بد من احضار او ايجاد او استيراد او استعارة اطباء وادلاء وقضاة وقادة اخرين ، باية وسيلة ومن اي مكان ، قادرين على أن يعالجوا ويدلوا ويقودوا ويفصلوا ٠٠ قادرين على أن يكونوا اطباء وادلاء وقادة وقضاة بكل التفاسير والصيغ والشروط المطلوبة والمفترضة ، أي ان كان ذلك مستطاعا أو حتى محتملا ٠ ولن يكون مغفورا أو معقولا رفض استيراد أو استعارة أو خلق هؤلاء الاطباء والادلاء والقادة والقضاة من أي مكان ان استطيع ذلك ليكونوا البديل ٠ لن يغفر أو يعقل هذا الرفض تحت اي سبب او تفسير مذهبي أو ديني او وطني أو قومي أو غير ذلك ، أو تحت أية حالة من حالات الغفلة أو الاهمال أو التباطؤ أو الكبرياء أو العجز ٠

وتحت الهام وتوجيه وحكم هذا المنطق قيل في سطور سابقة : لماذا لا نستورد أو نستعير نحن وأمثالنا جميع حكامنا ، رؤساء وملوكا وقادة ووزراء وكل من يفترض فيهم ويطلب منهم أن يكونوا الرؤوس والقلوب والضمائر والاخلاق والمواهب والنبوات الموحية والمؤمنة والقائدة والامرة والموجهة والمسؤولة المطاعة ٠٠

نعم ، السنا في عصر الاستعارة والاستيراد والاستبدال في كل شيء ولكل شيء ؟ بل السنا في عصر زرع الاعضاء واستبدالها بل في عصر تركيب الانسان اي تركيبه تركيبا معنويا ؟ اليس كل شيء في الانسان يركب أو يحاول ويراد تركيبه ويدعى الى تركيبه ؟ وهل يركب شيء مثلما يركب في الانسان رأسه واخلاقه وضميره ؟ هل يوجد اليوم شعب أو مجتمع لا يستعير أو يستورد أو يشتري أو يستوهب الانسان بكل صيغه واساليبه وتفاسيره ومستوياته ؟

الم يكن ذلك يحدث في كل التاريخ ؟ بل ألم يكن حدوثه في ارقى المجتمعات اكثر وأشمل حدوث ؟

اليس الذين يستوردون العلم او المذهب او الفكر او الخبرة او الفنون أو أية صيغة او اسلوب من صيغ واساليب الحياة مهما كان اسلوب أو تفسير هذا الاستيراد انما همقوم يستوردون الانسان ؟ وهل وجد أو يمكن أن يوجد من لايستوردون كلذلك او بعض ذلك ، اي العلم والمذاهب والفكر والخبرة والفنون وغيرها ؟

اليس الذين يستوردون صيغة الحكم او الحاكم ويستوردون اخلاقه وشروط وقيود واسلوب حريته وديمقراطيته ومسؤوليته والتزاماته وحدود سلطاته وجميع اساليب أو بعض اساليب تعامله وتخاطبه مع شعبه وفي شعبه ، انما هم قوم يستوردون الحكم ، يستوردون الملك والرئيس والوزير ومن في هذا المستوى ؟ وهل تستورد المجتمعات شيئا مثلما تستورد رؤساءها وملوكها ووزراءها وانبياءها اي بهذا التفسير للاستيراد ؟

اليس استيراد علم الانسان او فكره او خبرته او فنه او اخلاقه او اسلوبه استيرادا له ولكن بدون ثيابه وجسمه وبطاقة جنسيته وقوميته ؟

أليس هذا نوعا من محاولة استيراد الشيء او الانسان مشروطا عليه أن يكون بدون زيه وبطاقته الشخصية او الوطنية ، بل مشترطا عليه وفيه ان يكون بدون مواهبه الحضارية والانسانية والذاتية القوية بل مشترطا عليه وفيه ان تنتقل اليه خصائص واخلاق مستورديه الضعيفة البدوية المتخلفة الوقحة ؟

هل من المنطق أو الذكاء او الكرامة ان يقبل الاستماع الى الاغنية مغناة بغير صوت صاحبها وبغير حضوره ويرفض الاستماع اليها مغناة بصوت صاحبها او بحضوره ، او أن يقبل تفسير النظرية بغير عقل ولغة وحضور صاحبها ، ويرفض تفسيرها بل وترفض مفسرة بعقل ولغة وحضور صاحبها ، او أن تقبل الخطة أو الخبرة او الفكرة واضعا مطبقا لها غير صاحبها وغائبا صاحبها وترفض مطبقا واضعا لها صاحبها أو حاضرا ، أو أن يقبل الكتاب وتقبل قراءته والمحاورة لافكاره بشرط الا يقرأه أو يفسره مؤلفه وألا يكون أي مؤلفه حاضرا ، ويرفض أي كتاب وترفض قراءته ومحاورته ان كان مؤلفه حاضرا أو كان هو قارئه او مفسره ؟ أليس هذا الرفض والقبول اي لو حدثنا بهذا الاسلوب يساويان في السخف والبلادة ان يجوز او يجب هذا ويستنكر ويرفض هذا ، أي أن يجوز أو يجب ان تستورد او تستعار أو توهب او تعلم او تصدر اوصاف واخلاق وافكار واساليب وتفاسير الحكم والحاكم اي رئيسا وملكا ووزيرا ونبيا وقائدا ، ويرفض الحكم والحاكم اي مستوردا او معارا أو موهوبا أو مصدرا ، اي ان تتقبل كل معانيه وصيغه ويقبل تطبيقها وتحكيمها بل فرضها فرضا، ثم يرفض شخصه أو ذاته ، مطبقة منفذة لمعانيها ؟ أليس هذا يساوي أن ينصب انسان ما ملكا او رئيسا على بلد ما لانه وحده الاحق بذلك ثم يمنع من الحضور الى البلد الذي نصب عليه ليحكم بمواهبه المتفوقة لكي يتولى الحكم بديلا عنه من لا يملك شيئا من مواهبه تنفيذا لمواهبه او باسم مواهبه او ليطبق مواهبه من لا يستطيع او يعرف كيف يطبقها ؟

ان استيراد وتصدير البشر واستعارتهم مبدأ وسلوك قد فعله ولا يزال يفعله كل التاريخ وكل العالم دون ان يحس انه قد اعتدى على كرامته او كبريائه او ايمانه واعجابه بنفسه . بل لعل البشر في كل تاريخهم لم يصدروا او يستوردوا شيئا مثلما صدروا واستوردوا الانسان ولعل هذا أجمل وأنبل واعظم ما فعلوا وما سوف يفعلون .

أليس العلماء والخبراء وكل الوان المعلمين والمدربين والموجهين والمستشارين والمنفذين كانوا ولا يزالون يستوردون ويصدرون ويعارون ويستعارون باتفاق وتعاقد دولي او اقل من دولي اي ثنائي او جماعي معين محدود ؟ أليس هؤلاء هم اغلى وانفع ما يمكن ان يصدر او يستورد او يعار او يستعار او حتى يستوهب او ينهب او يسرق ؟

كيف يكون مقبولا معقولا ونافعا منفذا استيراد وتصدير هؤلاء الى المجتمعات المحتاجة اليهم ثم لا يكون مقبولا ولا معقولا ولا منفذا ولا مرغوبا فيه بل ولا مطروحا

للحوار والمساءلة استيراد وتصدير الحكام اي الملوك والرؤساء والوزراء والانبياء الى المجتمعات المحتاجة اليهم لان حكامها لا يستطيعون ولا يعرفون ولا يريدون ان يحكموها ويقودوها بذكاء أو قدرة أو صدق او معرفة او شجاعة الى اي مجد او انتصار أو حرية أو حياة افضل أو أقوى أو أكثر عطاء او ابداعا او جمالا ؟

او كيف يمكن ان تكون المجتمعات المتخلفة محتاجة الى العلماء والخبراء والمستشارين والمعلمين والمخططين والمدربين القادمين اليها من وراء حدودها الذاتية والتاريخية ثم لا تكون محتاجة الى الملوك والرؤساء والوزراء والقادة والانبياء المتخلقين خارج احشائها القومية والوطنية والحضارية والانسانية من خارج مواهبها السماوية والارضية ؟ كيف لا تجد من نفسها من يخطط وينفذ لها مصنعا او طريقا ثم تجد من نفسها من يخطط وينفذ لها حياة وتاريخا ومجدا وشعبا قويا متحضرا حرا ؟

كيف لا يستطيع خبراؤها وعلماؤها ومخططوها ومستشاروها ان يغنوها عن ان تستورد او تستعير الخبراء والعلماء والمخططين والمستشارين ثم يستطيع ملوكها ورؤساؤها وانبياؤها وقادتها ان يغنوها عن أن تستورد أو تستعير اي ملك او رئيس أو قائد او وزير أو نبي ليكون ملكها او رئيسها او قائدها او وزيرها او نبيها ولو وقتا محددا اي باسلوب الاعارة او التأجير او الصدقة او باي اسلوب اخر ؟

كيف تستطيع ان تصنع السيوف والاجنحة وتعجز عن صناعة الريش والخناجر؟

هل يحتمل ان يوجد مجتمع يظل يلد ويصنع العبقريات في اعلى مستوياتها بينما يظل عاجزا عن ولادة او صناعة العبقريات في ادنى او اواسط مستوياتها ، ويظل ايضا يلد ويخلق الشموس بينما يظل عاجزا عن ولادة وخلق النجوم ، ويظل كذلك ينبت ويزرع الهامات والقامات الصادمة للقمر بينما يظل عاجزا عن انبات وزراعة الهامات والقامات الملامسة للسحاب ؟

هل ولادة الانبياء والحبل بهم اعسر من الحبل بالالهة وولادتهم ؟

اي هل يحتمل ان يوجد اي مجتمع يعجز عن أن يتخلق فيه المهندسون والخبراء والمدربون والمخططون والمعلمون والمستشارون في اعلى نماذجهم ثم يستطيع دائما ان يتخلق فيه ومنه الملوك والرؤساء والوزراء والانبياء والقادة والائمة والسلاطين والخلفاء والثوار في اعلى نماذجهم المطلوبة والمتصورة ؟ هل يمكن ان يعجز المجتمع الذي يلد الحاكم العظيم عن أن يلد الخبير العظيم او أن يستطيع المجتمع الذي يعجز عن ولادة الخبير العظيم ان يلد الحاكم العظيم ؟

نعم ، اننا في عصر ، من ابعد آفاق طموحه الحضاري والعلمي والانساني ان يستطيع تركيب الذات الانسانية ، تركيب اعضائها ، نقل الاعضاء الى الذوات المحتاجة اليها ، نقل او صنع الاعضاء الاقوى والاذكى والاجمل والاصح لتكون البديل عن الاعضاء التي هي ليست كذلك .

ان البشر حين يستطيعون نقل او استعارة او تصدير الاعضاء من جسم الى جسم او من انسان الى اخر دون اية موانع عصبية ، مهما كان انتماء الجسمين أو الانسانين القومي او الوطني او العرقي او المذهبي او الديني ، فلا بد ان يعد ذلك من اعظم القفزات والانجازات الحضارية والانسانية ٠

وهل يمكن ان يكون شيئا جيدا او مقبولا استعارة وتصدير الايدي والارجل والاصابع والاعضاء الاخرى الى غير ذواتها ثم يكون شيئا رديئا او مستنكرا او مرفوضا استعارة وتصدير الرؤوس والعقول والوجوه والضمائر والعيون الرائية الموجهة المفسرة القائدة للخطوات المدبرة الامرة الناهية لها ، القارئة لها خطواتها واتجاهاتها ؟

هل يحتمل ان يوجد منطق يرفض نقل الراس العبقري ليكون بديلا عن الرأس الابله او الغبي ؟

وهل استعارة واستيراد وتصدير الملوك والرؤساء والثوار والقادة والوزراء المتفوقين ألا أسلوب علمي حضاري انساني جيد جدا منَ أساليب نقل وتصدير واستيراد واستعارة الرؤوس والعقول والضمائر والوجوه والعيون والاخلاق المتفوقة؟ أليس استيراد هؤلاء هو استيرادا لهذه ولكن محمولة فوق ذواتها لا فوق ذوات اخرى هي اقل موهبة واكثر ضعفا ؟

أليس نقل الحاكم او القائد او الزعيم او النبي العظيم الى المجتمع المتخلف لونا عظيما جدا من ألوان نقل الحضارة والعلم والاخلاق الى المجتمعات الفاقدة لذلك والمحتاجة اليه ولكن باساليب اعظم وافضل واقدر على التنفيذ والاتقان وابعد عن احتمالات العجز والخطا والتزييف والتشويه والتوريط ؟

نعم ٠٠ الحاكم اي الملك والرئيس والقائد والزعيم والوزير ، ماذا يشترط ويفترض فيه أو يطلب ويرجى منه وفيه ؟ اليس ان يكون المستوى او الحد الاعلى في الذكاء والعقل والفهم والخلق والشجاعة والاتزان والاخلاص والعدل والتواضع والحب وفي الرؤية والتحديق الى كل الافاق والاحداث والاشياء والاحتمالات ، مقروءة مفسرة محاسبة بكل الشمول والاحاطة والصدق والحماس الهادىء الراسخ العاقل الوقور ؟

اليس المفترض في الحاكم والمطلوب منه ان يكون ادق واذكى اجهزة الضبط والتوجيه والتوقيت والحساب للحركة ، للتقدم والتاخر ، للفعل والترك ، للقول وللصمت ، للقراءة الشاملة الدائمة لكل الاحتمالات ٠٠

وحاكم المجتمع المتخلف هل يحتمل ان يستطيع الصعود الى هذا الى المستوى الاعلى من ذلك ؟ بل هل يحتمل ان يستطيع الاقتراب منه ؟

اذن هل يمكن ان يوجد اثم او تقصير او اهمال او عجز مثل الا يستعير او يستورد اي مجتمع متخلف مثل المجتمع العربي له حاكما يملك هذا المستوى او هذا الحد الاعلى من هذه الشروط والمزايا او مثل الا يصدر اليه الاخرون مثل هذا الحاكم

أو ألا يحاولوا ذلك وهم يملكونه بكل الوفرة والكثرة حتى التخمة ؟ لماذا لم يصدر هؤلاء مثل هذاالحاكم الى أي شعب عربي ؟ هل هم قساة متعمدون أم مهذبون أم أغبياء وعميان لا يرون ؟

انه لقبيح على كل المستويات وبكل التفاسير ان يصاب وطن بالقحط فيجوع اهله فيصرخوا طالبين الغوث فيستجاب لهم ، او أن يصاب وطن بالوباء فيطلب العون فيرسل اليه بالاطباء والخبراء ضد الاوبئة وبكل وسائل الوقاية والعلاج ، بينما توجد مجتمعات وشعوب كثيرة ، بل بينما اكثر شعوب العالم مصابة اصابة دائمة بالقحط الرهيب من الحكام والزعماء والانبياء والقادة القادرين على الغوث والانقاذ والعلاج والوقاية والتطبيب ولو على اردأ وادنى المستويات ـ بل بينما أكثر شعوب العالم مصابة اصابة دائمة بحكام وزعماء وقادة وانبياء هم اساليب شاملة من اساليب اصابة هذه الشعوب التي هي اكثر شعوب العالم بالقحط والاوبئة والمجاعات او يبدون وكأنهم كذلك ـ دون أن ينطلق اي صوت من المصابين بهؤلاء الحكام والزعماء والانبياء والقادة ، طالبا الاغاثة او العلاج او المساعدة باي اسلوب ، ودون ان يفعل الاخرون القادرون الاغنياء المصابون بالخصب الدائم وبالوفرة من الاطباء والتطبيب والادوية أي شيء للانقاذ او الاسعاف او التخفيف ٠ وهل يمكن تصور مجاعة او قحط مثل المجاعة والقحط من الحكام والزعماء والقادة ومثل المجاعة والقحط في مواهبهم ، او تصور وباء مثل الوباء الذي يصيب به الحكام والزعماء والقادة المناقضون لشروطهم الجيدة ؟

نعم ، هل القضية هنا قضية خبث وتآمر وتدبير مقصود ام قضية غفلة وغباء وكبرياء سخيفة ؟ هل هي مؤامرة او شبه مؤامرة مخططة ومتفق عليها ولو بالصمت والنية بين من يجب عليهم ان يطلبوا ومن يجب عليهم ان يعطوا ؟

هل رأى الحكام هنا ان الاستبدال بهم اهانة لهم او لشعوبهم مهما كان هذا الاستبدال نافعا وضروريا ، فاستجاب الاخرون هناك لهذه الرؤية او الرأي ؟ اذن كيف لم يروا ان استبدال حياة او حضارة او خبرة او تخطيط او نظام او شعار او مذهب او علم او خبراء وعلماء ومخططين ومدربين ومعلمين ومستشارين بمن وبما كان عندهم من ذلك ابلغ اهانة وتحقيرا لهم ولشعوبهم بل ولكل ابائهم وتاريخهم والهتهم التي كانت والتي هي كائنة ؟

كيف تكون اهانة لاي شعب ان يستبدل حكاما بحكامه اذا لم تكن اهانة ان يستبدل عقولا بكل عقوله وعقول انبيائه وابائه ؟

هل يمكن الاختلاف على أن الاقتناع او الاعلان بان هذا المشروع الزراعي أو الصناعي أو السكني أوالتعليمي أوالطبي السهلالبسيط الصغيرجدا محتاج الىاستيراد خبرة او خبراء اجانب لتخطيطه وتنفيذه اقسى اهانة وتحقيرا للشعب الذي يقام فيه هذا المشروع ، لكل طبقاته وهيئاته واربابه وانبيائه وابائه وتاريخه من الاقتناع

او الاعلان بان هذا الشعب او اي شعب اخر محتاج الى استيراد حاكم او قائد او زعيم لكي يقوده أو يسير معه أو يوجهه الى حياة افضل واذكى واقل سخفا وطغيانا وفقرا وضعفا وتخلفا وجهالة وافتضاحا وصراخا بليدا وغرورا ومخاصمة بلا هدف او خطة ومعاداة للاعداء ولغير الاعداء بلا بحث عن شيء كما يفعل حكام العرب ؟

هل كان محتوما بل أو محتملا ان تقاسي الشعوب العربية او غيرها من الشعوب المتخلفة كل هذه الحماقات والهزائم والالام والفضائح والطغيان والاذلال والمخاصمات الاستعراضية الخطابية او كثيرا منها او ان تساق اليها تحت اعلى واغبى الاناشيد ضجيجا وغرورا لو انها كانت تعار ويصدر اليها حكامها ، رؤساؤها وملوكها ووزراؤها وانبياؤها او ثوارها وقادتها من ذلك الطراز الاخر الموجود بكل الوفرة والكثرة عند الاخرين الذين يصدرون الينا كل شيء جيد وجديد من الحياة والمعارف والنظم والاساليب بل والاخلاق والعقول والتقوى بل ومن البشر ، حاملي المزايا الحضارية والانسانية الجديدة ؟ ..

بل أليس محتوما حينئذ أن تكون هذه القطعان الكبيرة المسحوقة أصح وأخصب أجساما ومراعي وان تعيش أبعد عن الذئاب واللصوص والاوبئة والضياع والمجاعات وعن هذه المخاصمات والملاعنات والمبارزات الرعناء التي يغرق فيها ويستهلك بها حكام الشعوت المتخلفة أو حكام العرب وحدهم كل وقار واتزان وحياء وهدوء شعوبهم ؟

ماذا يمكن او يجب ان يفترض الحكام ؟ هل يفترضون رؤية وعقلا وضميرا وحبا وفداء وقدوة ونموذجا أم يفترضون أمرا ونهيا وقيادة واقداما ومغامرة أم يفترضون كل ذلك وأكثر منه ؟

اليس المفروض والمطلوب ان يكونوا النصوص والتفاسير الجيدة المتبدلة المواهب واحتياجات واحتمالات شعوبهم المتصاعدة والاعلان الذكي المهذب عنها ؟

اذن اليس المطلوب فيهم بل المشترط عليهم وفيهم ان يكونوا هم افضل واعظم النماذج الموجودة والمستطاعة دون اية شروط أو قيود على مكان أو انتماء ولادتهم أو بطاقات جنسياتهم ؟

اليس المطلوب ان يكون الدواء المعالج والواقي هو اجود انواع الادوية المعروفة والموجودة والمقدور عليها دون محاسبة لمصدرها او للمصانع والعقول التي صنعته ؟

هل وجد او قد يوجد من يرفضون الدواء الافضل او يترددون في التداوي به بسبب انتمائه او انتماء مبتكريه ، او من يرفضون التداوي لدى اقدر الاطباء على أن يشفى لهذا السبب اي سبب الانتماء الوطني او القومي او الديني ؟

أو هل يمكن انيرفض هذا الدواء الافضل أن يكون مداويا أو واقيا أو انيكون هو الافضل ، أو أن يرفض الجسم تقبله أو الاستجابة له بسبب هذا الانتماء ايضا ؟

وهل يمكن الانكار ان المطلوب فيهم اي في الحكام ان يكونوا دواء ما ، في احد التفاسير او في كل التفاسير ، لبعض الادواء او لكل الادواء لو استطاعوا ـ ان يكونوا اعظم الادوية ان كان ذلك ممكنا ؟

وانه لن توجد اية صعوبة او تعقيدات في هذه القضية اي في ان يستورد العرب وكل من في مستواهم المتخلف حكامهم ، ملوكا ورؤساء وقادة ووزراء ، مثل ان يقال ويعتقد ان الحاكم يجب ان يرضاه الشعب ويختاره ويعرفه ويؤمن به وان تكون بينه وبين شعبه او مجتمعه مشاعر الفة ومحبة وثقة وتعارف وتقارب وتعايش تاريخي ومصيري وروحي وقومي ووطني ، وان تكون هذه المشاعر متبادلة ، بين الحاكم والمحكوم، والا فلن تكون العلاقات مقبولة أومريحة أونابضة أومتقابلة أومتشاركة في اي شيء او محكومة باي قدر من الاخلاص والتلاؤم المحب الحاني المتعاطف ٠٠ وحتما هذه مزايا وعلاقات ومشاعر يفرض بل ويطلب ان تكون قائمة دائما بين الحكام وشعوبهم ٠ وبدونها يصبح الحكم عدوانا وتآمرا واغتصابا وتربصا ٠

نعم ، ان مثل هذه الصعوبة او التعقيدات او الاعتراضات لن تكون هنا موجودة او واردة لان حكام العرب ملوكا ورؤساء وثوارا وقادة ووزراء لا يقفزون الى اماكنهم تحت هذه الشروط والمشاعر، بل انهم جميعا ودائما يصعدون الى عروشهم نقيضا لجميع هذه المشاعر والشروط وخروجا وقحا عليها ولا سيما ثوارهم وكل من يصعدون الى القمة بالتآمر المسلح الذي اصبح في هذه الاوقات سباقا رهيبا كئيبا في العالم العربي ٠٠ بل انه بحثا عن هذه الشروط والمشاعر يجب ان يستبدل بحكام العرب حكام مستوردون في كل الاوطان العربية ٠٠

ومثل العرب في هذه القضية كل المجتمعات التي هي في مستواهم الحضاري والانساني اي في مستوى العرب ٠ نعم ، انه ليوجد للعرب امثال كثيرون ٠ ولكن هل يوجد اقل منهم في اي شيء من معانيهم او صيغهم ؟ انهم اي العرب من الاردأ او ليسوا الاردأ ٠٠

اليس محتملا جدا أن تكون هذه المشاعر المتبادلة وهذه الشروط المطلوبة موجودة حينما يكون حكام العرب مستوردين ومعارين اكثر من احتمالات وجودها حينما يظل حكامهم من انفسهم ، من ولادة تاريخهم ومواهبهم ، حينما يظل حكامهم هم حكامهم او من نوع حكامهم الذين جربوهم وقاسوا منهم في كل تاريخهم اكثر مما قاسوا من قحط وقبح ووقاحة وبداوة تاريخهم واربابهم الصحراوية البدوية التي لا تتحضر أو تتهذب أو تفارق اميتها الابدية الهمجية ؟

بل انه لم يوجد ولن يوجد بين شيء وشيء او بين قوم وقوم فراق أو طلاق روحي او عقلي او اخلاقي او تاريخي او انساني او حتى قومي او وطني مثل الفراق او الطلاق الموقع المثبت دائما بين الشعوب العربية وحكامها في جميع هذه المعاني

والتفاسير او في جميع هذه القيم المطلوبة او المفترضة هنا في هذه القضية او هذه العلاقة ٠ ان الفراق او الطلاق بين حكام العرب وشعوبهم لهو فراق أو طلاق لا نموذج له في قسوته وشموله وثباته ومرارته وامتداد زمانه حتى لكأنه بلا بداية أو نهاية ٠٠

أنه لو نصبت اقصى الوحوش أو الابالسة حكاما ، أي ملوكا ورؤساء وثوارا وقادة ووزراء ، على الشعوب العربية لما جاءت مشاعر الخوف والبغضاء والحقد والتوجس والريبة وفقدان التوقعات المريحة او الجميلة او الصديقة بين الفريقين اردأ أو اقسى من المشاعر التي كانت والتي هي كائنة والتي سوف تكون بين العرب وحكامهم مهما كان لون او صيغة او مولد او شعارات حكامهم ٠ ولكن لا بد من امتياز حكامهم الثوار بالمزيد من قسوة هذه المشاعر المتبادلة الكئيبة الرهيبة ٠٠

نعم ، هل وجدت مقاساة في اية علاقات مثل المقاساة التي تقاسيها العلاقات دائما بين الشعوب العربية وحكامها ولا سيما الثوار منهم ؟

انه لو كان ممكنا ان تحرق المشاعر المتعادية المتباغضة المرتابة الحاقدة اصحابها او أجسادها لكان محتوما أن تحرق الشعوب العربية وحكامها مشاعر الفريقين المتبادلة بينهما ٠٠ ان تتحول اجساد الفريقين الى رماد ٠٠ عجبا ! ٠٠ ما اقدر اجساد حكام العرب واجساد شعوبهم على معايشة الاحقاد والبغضاء والعداوات والريب المتبادلة ٠٠ كيف بقيت لهم اجساد لم تحترق ؟

اذن فان استيراد أو استعارة حكام اجانب للعرب وسيلة جيدة وانسانية لايجاد شيء او حالة من الحب والثقة والرضا والاطمئنان ومشاعر الامان والتوقعات الجميلة في نفوسهم اي في نفوس العرب المحكومين الذين لم تجرب نفوسهم هذه الحالة في اية فترة من تاريخهم الاليم الحزين ٠٠

كما ان ذلك اي استيراد او استعارة الحكام للعرب لا بد ان يكون فيه نوع من العلاج المخفف عن نفوسهم من قسوة الكره والخوف والغضب ومن شحنات الظنون والتجارب الاليمة القتالة ٠ ما اجمل ان يجرب غرس اسباب الحب والثقة والتصديق والرضا والجمال والصفاء في نفوس وعقول وقلوب وضمائر وعيون واذان الشعوب العربية ٠ ما احوجها الى ذلك ٠

اذن فاستعارة او استيراد الحكام للعرب ليس فقط رغبة في التقدم الى الاقوى والاذكى والانقى والاعظم ، ووسيلة الى ذلك ٠ بل انه ايضا علاج ووقاية للنفوس والعقول والضمائر من البغضاء والاحقاد والمخاوف ومن التوقعات والظنون الاليمة اليائسة المتراكمة ، او تخفيف عنها اي عن النفوس من قسوة وضخامة ذلك ٠٠

وكم هو قبيح في هذه القضية ان الشعوب العربية التي تقاسي كل هذه البغضاء والاحقاد والمخاوف والريب من حكامها ولهم وفيهم تبدو وكأنه لا حب ولا تقديس او تاليه او تصديق او اخلاص في هذا العالم مثل حبها وتقديسها وتاليهها وتصديقها واخلاصها لحكامها هؤلاء ٠٠

ولكن في هذه القضية مشكلة صعبة الحل جدا · وقد يرى انها مستحيلة الحل ·

ان استيراد او استعارة حكام للعرب لا بد ان تعني اسقاط حكامهم أو وقفهم أو تاجيلهم او سلب السلطان منهم ووضعه في ايدي الحكام المستوردين · وكيف يمكن تنفيذ هـذا ؟

ان حكام العرب هنا هم الخالع الذي يطلب منه ان يكون مخلوعا ، والسوط الذي يطلب منه ان يكون ظهرا ، والقاتل الذي يطلب منه ان يكون مقتولا ·· انهم لا بد ان يروا ان هذا هو التفسير لهذه القضية او هو ما يرجى ويطلب منهم فيها · فهل تستطيع تقواهم أو شهامتهم ان تقنعهم او تلزمهم بان يستجيبوا لذلك او بان يكونوا كذلـــك ؟

انهم حينئذ هم الذين عليهم ان يستوردوا او يستعيروا هؤلاء الحكام المصدرين ليكونوا حكاما مكانهم ليصبحوا هم شعبا ورعية · فهل يؤمل ان يفعلوا ذلك ؟

نعم ، هذه مشكلة معقدة وصعبة فيما يبدو ، ينبغي ان توجد لها حلول باسلوب دولي أو اقل من دولي او دولي وغير دولي ··

وصعوبة القضية او الحاجة او الضرورة او الهدف الكبير لا يمكن أن تعنـــي التخلي عن المحاولة او المقاومة بل لا بد ان تعني التصاعد في قوة واصرار المحاولـة والمقاومة · وانه لفرض حضاري وانساني بل ووطني مصلحي ولو احيانا على العالم كله ان يلتزم بهذه المحاولة والمقاومة مصمما على تخطي ومعالجة هذه المشكلة او العقدة بكل وسائله واساليبه وقواه الحضارية والانسانية الضخمة المتنوعة القادرة على الانتصارات المتجددة الدائمة ·

والشيء قد يكون مرفوضا او مستكرها او محذوفا من كل حسابات المحاولة وتخطيطاتها لانه لم يؤلف ، كما قد يبدو صعبا او مستحيلا لذلك فاذا حدث او فعل اي الشيء وتكرر فعله او حدوثه اصبح مالوفا ، وحينئذ لن يبدو صعبا او مستحيلا او مرفوضـــا أو مستكرهـــا ··

واستيراد الحكام وتصديرهم هما من الاشياء التي لم تؤلف بالمعنى الـــذي يعنى بالحديث هنا ، لهذا فانهما يبدوان مرفوضين وكريهين وصعبين او مستحيلين· ولو أن هذا اي استيراد الحكام وتصديرهم حدث مكررا لاصبح مالوفا ولاصبـــح حينئذ شيئا مقبولا ومعقولا بل شيئا مطلوبا وجيدا جدا ·

ان رؤية الشيء عظيما وجميلا او قبيحا وتافها ، صوابا أو خطا قد تعني فقط انه قد اصبح شيئا مالوفا ومتقررا ومفعولا ممدوحا او انه لم يصبح كذلك ··

ان عظمة الشيء وتفاهته وكذا جماله ودمامته ليست في ذات الشيء او فـــي منطقه ولكنها في رؤيته وفي الاقتناع به كذلك ·· ان جمال الزهرة المتفوق علـــى جمال اية نبتة اخرى ليس في ذات الزهرة بل في عيني رائيها بل ليس في عينيه وانما فـــي تعاليمـــه وتلقينـــه وتعويـــده واذنيـــه ··

ان كل ما في الطبيعة من جمال لو تجمع كله في وجه او جسد او شيء واحد لما كان جميلا ولما احس نفسه جميلا ولما وجد اي منطق او قانون او جهاز او مقياس يثبت أو يعلن أو يعرف أنه جميل لو لم يوجد من يراه ويحسبه جميلا ٠٠ ان العيون والرؤى والاحلام والاحكام والمواقف المواجهة المعلمة المأمورة المنهية المتلائمة والمتنافرة هي التي تصوغ الشيء جميلا ومنطقيا او تصوغه نقيضا حادا للجمال والمنطق والكرامة والشرف والمجد والشجاعة ايضا ٠٠

ان الرؤية تعليم كالايمان والاقتناع والصلاة وحب الالهة ٠ هل رات العيون جمال الاله ام علمت رؤيته ؟

ان اكثر اساليب الوصول الى الحكم في اكثر اوطان العالم ، في اكثر فترات التاريخ ليجب ان يراها اكثر العالم او كل العالم اكثر قبحا وسخفا واهانة للانسان وبعدا عن ان تكون معقولة او مقبولة او حادثة او مفعولة بل او مفترضة من استيراد وتصدير الحكام المتفوقين المختارين دوليا او اقل من دولي ليكونوا حكاما لبلدان في مستوى البلدان العربية يحكمها حكام في مستوى الحكام العرب الذين ظل كل التاريخ يكررهم صيغة او نموذجا او مستوى حضاريا وانسانيا وبدويا واحدا تحت اسماء وازياء وشعارات ودعاوى متعددة واحيانا مختلفة او متناقضة متعادية متلاعنة ٠٠ كيف تكون مقبولة او معقولة او مألوفة مفعولة هذه الاساليب التي يتوصلون بها الى الحكم في اكثر بلدان العالم ثم لا يكون استيراد الحكام مألوفا متقررا بل مفروضا محتوما يطالب به كل احد حتى ليطالب به الحكام المستبدل بهم المستورد البديل عنهم ؟ اليس هذا يساوي ان يظل مجتمع من المجتمعات يتداوى من كل الاوبئة والامراض بالسحر والطلاسم والتعاويذ والرقي وزيارة قبور الانبياء والصالحين ويظل هذا التداوي معقولا ومقبولا ومجدا وطنيا قوميا لان هذا المجتمع يرفض ان يستورد او أن يصدر اليه اطباء موجودون عند الاخرين بلا حساب مستعدون وقادرون على انقاذه من كل اوبئته وامراضه ٠٠ او لان الذين يداوون بالرقي والتعاويذ والسحر والطلاسم او يستفيدون من ذلك يرفضون قدوم الاطباء والتنازل لهم ؟

هل يمكن ان يكون تداوي الشعوب العربية وكل الشعوب الاخرى المماثلة بحكامها لينقذوها ويشفوها من هزائمها وتخلفها وجهالاتها والامها أفضل أو أعقل أو اكثر اعطاء للامل وللشفاء من التداوي بالرقي والتمائم والتعاويذ والطواف حول قبور الانبياء والصالحين للحماية والعلاج من الامراض والاوبئة والزلازل والبراكين ومن القحط والمجاعات وتوقف السحاب عن المجيء أو عن العطاء ؟

وهل استطاع اي حاكم عربي قديم او حديث ان يعالج من اية مشكلة او هزيمة او تخلف بغير الرقي والتمائم والتعاويذ ولكنها رقي وتمائم وتعاويذ اكثر ايذاء وتخريبا وافقارا وقتلا ؟

اليس رفض حكام العرب استيراد او تصدير حكام متفوقين ومختارين ليكونوا باسلوب الاعارة او التاجير او الصدقة حكاما للشعوب العربية ، وتقبل هذا الرفض منهم اي من حكام العرب ، اكثر قبحا وسفها وضررا مــن أن يرفض المــداوون بالخرافات والاوهام التاريخية البدوية الجاهلية قدوم الاطباء او استقدامهم ليداووا بالطب والعلم ثم يقبل منهم هذا الرفض ، يقبل منهم عالميا وعربيا محليا ؟ اليس كلا الرفضين دفاعا عن الذات واستمساكا وقحا سخيفا بها ؟

وهل يحتمل ان يجرؤ المداوون بالتعاويذ والبصق والكي وكتابة التمائــــم والادعية على ان يعلنوا رفضهم ومقاومتهم لمجيء او وجود الاطباء والعلماء لئلا يحلوا مكانهم ، ولو جرؤوا على هذا الرفض وهذه المقاومة فهل يحتمل ان يقبل ذلك منهم ؟

اذن كيف جرؤ حكام العرب أو كيف يجرؤون على أن يرفضوا استيراد وتصدير الحكام الى الشعوب العربية ، ولو جرؤوا او اذا جرؤوا على ذلك فكيف يقبل منهم ؟

هل الحكام العرب اعظم وقاحة وجهالة ونذالة من الدجالين الجهلاء ام اعظـم قوة ووقاحة وجهالة ونذالة وسخفا ايضا ؟

هل يحتمل ان يكون مشعوذو العرب انفذ واصدق واذكى من حكام العرب رؤيــة لما لا بد من رؤيته ؟

ان مداوي العرب بالتعاويذ وبالصلاة والبكاء فوق القبور قد خضعوا للغـــزو الحضاري العلمي فتقبلوا أن يستورد أو يستعير أو يستجدي قومهـم مـن يداوون بالطب والعلم فلماذا لا يخضع حكام العرب لما خضع له هؤلاو فيتقبلوا ان يستورد أو يستعيــر أو يستجـدي قـومهــم حكــامــا يعالجــون المشاكـــل والتخلـف والعجـز والضـيـاع الضـــال فـــي تيــــه القحـط الحضــاري وفـــي هوان الاغتراب بين المتفوقين الخلاقين الاقوياء ، ذلك الاغتراب المهين الاليم الـــذي ظل التاريخ العربي يقاسيه في كل مراحله واطواره ـ يعالجون كل ذلك ويعالجون منه بالعلم والصدق والذكاء والتواضع والصمت وبالجرأة المحسوبة بادق الحسابات واشملها ، لا بالخداع والصهيل والغرور والبذاءة والسباب والوعيد والقفز فوق كـل حواجز وضوابط الذكاء والرؤية والمعرفة ، وبالمغامرات الحمقاء الخطابية المنبريــة ، أي بالمغامرات التي لا يراد منها أو بها الا ان تتحول الى اعلان ودوي يشتمان ويفجعان مسامع كل الدنيا ، او التي لا يدفع اليها أو يوقع ويورط فيها الا خطاب او بيـــان او تصريح مرعد موعد احمق ، يلقيه زعيم ممسوس ، بنية واسلوب استعراضييــن اعلانيين ، يلقيه في حالة هياج صوتي مفلت من كل قيود وشروط وحسابات واوامر الذكاء والرؤية والوقار والتواضع والواقعية والمسؤولية •• يلقيه بالاسلوب الـــذي يتخاطب به زعماء وانبياء وحكماء وحكام العرب في كل تاريخهم ومواقفهم مع كـل قضاياهم ومشاكلهم ومواجهاتهم ومع كل اصدقائهم واعدائهم ومع انفسهم ومع كـل احد وبلا اي احد ؟ ان جميع حكام وقادة وزعماء العرب مصابون بالخطابية التي لا بد

ان تتحول او غالبا ما تتحول الى مواقف وخطوات عمياء ضالة خاسرة مورطة فاضحة جالبة للعار والهوان والسخرية ..

نعم ، اليست كل او أغلب مغامرات ومناطحات وتحركات حكام العرب وقادتهم مواقف خطابية ، اريد بها الخطابة وحرضت عليها الخطابة وورطت فيها الخطابة وفسرت بالرغبة في الخطابة ؟ اليس كل تاريخهم انما كان تاريخا خطابيا ، تدفعهم اليه رغبتهم في المواقف الخطابية واندفاعهم مع مواقفهم الخطابية ؟

اليست الرغبة في اقتحام كل الاذان والقرع على كل الاذان هي اي هذه الرغبة القائدة والموجهة لكل قادة وحكام العرب ، هي كل اهتماماتهم واشواقهم وامجادهم وطموحهم والتفسير لنياتهم ، هي الموقعة لكل خطواتهم الى كل اخطائهم .. هي الصعود بالصوت والسقوط بالحركة استجابة للصوت وتحت املائه وتحريضه ؟

أليست هذه الرغبة تجعلهم يخطون ويتحركون بلا اية رؤية او حساب لكي يتحول خطوهم وتحركهم الى خطابة ، وتجعلهم ايضا يخطبون ويخطِبون دون ان يقصدوا غير أن يخطبوا ، وتحت ضجيج وسكر الخطابة يتحركون ويخطون دون ان يريدوا ذلك فيتيهون ويضلون ويفتضحون ويسقطون ؟

لو انه بوسيلة ما سحب من جميع حكام وزعماء وانبياء العرب ساعة ولادتهم او ساعة جلوسهم على العرش كل شهوتهم في أن يصبحوا خطبا تذاع وتسمع وتكتب وتقرأ وتروى وتفسر وتخيف ويصفق لها بل ويهدد بها فماذا كان يمكن ان يحدث او حدث ؟ اليس محتوما او مفترضا ان يكونوا حينئذ قد اصيبوا جميعا بالصمت والوقار وبالرفض للاقتراب من اي منبر ؟ وهذا اليس محتوما أو مفترضا ان يعني وقايتهم من جميع المغامرات والمخاطرات والمبارزات والمصاهلات السفيهة الكريهة القتالة المفسدة المضللة المستنفذة لكل الاحتمالات والطاقات الجيدة ، والقائدة للتاريخ العربي في كل مسيرته الى كل هذه الاكوان من الهزائم والالام والتشوهات والاخطاء البليدة المدمرة ؟ فادحة وشاملة هي الالام والهزائم والفضائح والنكبات التي اوقعتها بنا الشهوة الخطابية التي لا بد ان تصاب بها كل قيادة وزعامة ونبوة عربية ..

اذن كيف لم توجد هذه الوسيلة التي تسحب منهم هذه الشهوة ؟ كيف لم يوجد من يسحبونها منهم ؟ ان كان يوجد فوق هذا الكون او في داخله الهة او قوى خيرة تريد الخير والوقار والستر فلماذا لم تسحب من القيادات العربية هذه الشهوة المخربة ؟

ولكن هل يقبلون انيكونوا حكاما او زعماء او انبياء او قادة لو سحب ذلك منهم؟ هل قبلوا اورغبوا ان يكونوا حكاما وقادة وزعماء وانبياء الا تحت املاء هذه الشهوة؟ لو أن العالم كله كان عقولا وضمائر وقلوبا واخلاقا وعيونا ولكنبلا اذان ومنابر فهل

يمكن حينئذ ان يرى حكام العرب وقادتهم ان للحكم مجدا او اغراء او أن لهم مجدا أو يمكن ان يكون لهم مجد ؟

ان اقدام واجنحة وهمم ونيات جميع الزعماء والقادة والحكام العرب لا تتعامل اوتتخاطب ولاتريدان تتعامل او تتخاطب الا مع المنابر والاذان والاناشيد ٠٠ انها لا تتحرك الا سعيا وشوقا اليها وانطلاقا منها ٠ انها انطلاق اليها وانطلاق منها ٠ انها لا تريد أو تنوي الا أن تكون حديثا وضجيجا واثارة ورنينا مزعجا صانعا للاهتمام ٠٠ ان اشمل واجمل التفاسير لكل قيادة وزعامة عربية هي احداث الرنين وارادته وروايته وقراءته والتهويل والتخويف به ٠٠

انهم اي الزعماء والقادة والحكام العرب لا يعرفون او يتصورون ان لاقدامهم واجنحتهم او لوجودهم او لكونهم حكاما وزعماء وقادة او لقبولهم ذلك وسعادتهم به ـ لا يعرفون او يتصورون ان لذلك اي تفسير او وظيفة او مجد او اغراء او ثمن غير الزحف الى المنابر والاذان والاناشيد والبحث عنها والانطلاق منها الى المخاطرات والاندفاعات الحمقاء التي لم يقد اليها الا الضجيج الخطابي السابق الدائم والا الرغبة في الضجيج المتواصل ٠ ان الرغبة في الرنين والضجيج تطلق الشهوة الخطابية ، وان اطلاق الشهوة الخطابية لا بد ان يقود الى المغامرات التي لا تخضع لاي حساب او مساءلة ٠٠

ان المواقف الخطابية تتحول الى التزام بالاقدام على المغامرات المجنونة في سلوك الزعامات والقيادات والنبوات العربية لكي يرضوا مواقفهم الخطابية ويتوافقوا معها ويزيدوها رنينا ولو رنين العار والهزائم ٠ أليس للعار والهزائم رنين قد يطرب ؟

لقد خطبوا وخطبوا وخطبوا بلا اية رؤية او ذكاء او حساب ٠٠ لانهم لا بد ان يخطبوا ويتحولوا الى خطب حتى ولو لم يخطبوا أو يستطيعوا ويعرفوا أن يخطبوا ٠٠ اذن لابد أن يقدموا ويقدموا ويقدموا ايضا بلا اي قدر من الرؤية او الذكاء او الحساب او الشعور بالحاجة الى اي قدر من ذلك ٠٠ اذن قد يكون من اعظم المنافع لاستيراد حكام اجانب متفوقين ومتحضرين ليكونوا حكاما للشعوب العربية ان ذلك سوف ينقذ من نتائج ومخاطر هذه الشهوة أو الموهبة او الافة الخطابية التي اصبح من المحتوم المتقرر ان تصاب بها جميع الزعامات والقيادات والنبوات العربية ٠ أليست كل عبقرية العرب أو أعظم وأشهر عبقرياتهم هي نبوة وعبقرية نبوة ، وهذه النبوة وعبقريتها هما كتاب وعبقرية كتاب ، وهذا الكتاب وعبقريته هما عبقرية خطابية بلاغية صوتية لفظية قرآنية ؟ اليس هذا هو كل او اعظم مجد العرب الحضاري والانساني والثقافي ؟ اليس العرب يزعمون ذلك ويعلنونه بكل مشاعر الكبرياء وصهيلها ؟

نعم ، انه لمحتوم او لشيء طيب ان يبحث عن الحلول لهذه المشكلة او العقدة اعني بها أن الحكام العرب لا بد ان يقاوموا مشروع او فكرة استيراد حكام لقومهم من خارجهم ، مهما اقنعوا أي حكام العرب بان في استيراد هؤلاء الحكام كل المجد

والانقاذ والتطوير لشعوبهم وبلادهم ، بل وكل الراحة والحماية لهم هم والستر عليهم امام تحديق كل العيون والعقول والضمائر والاخلاق في عجزهم وافتضاحهم ..

وهنا ارى حلا . اني أراه بعيدا ومن بعيد ، ولكنني اراه ويجب ان يراه كل من يرون البعيد ومن بعيد ..

وليوضع تحت كل التفكير هذا الحل . انه حل يطرح لاول مرة لعله يقبل وينقذ ..

ان العالم العربي اصبح مصابا بالثورات والانقلابات العسكرية . ولعل الظن بانه قد يشفى من ذلك أو قد تقل نوبات اصابته بهذا الداء اهانة لذكاء الظن وتشكيك في قيمته النفسية والعقلية والتاريخية . انه لن يشفى من ذلك الا بقدر ما يمكن ان تشفى اخلاقه من الضعف والغرور ، وقلبه من الحقد والبغضاء ، وضميره من اللؤم والخسة ، وتفكيره من السذاجة والغفلة والبلادة ، ولسانه من السفه والسباب والصهيل ، وتاريخه من القحط الانساني بكل تفاسير القحط وتعبيراته ..

اذن فليكن هدف هذه الانقلابات والثورات اسقاط الحكام العرب القائمين لكي يحل مكانهم حكام اخرون مستوردون مصدرون معدون مختارون لتفوقهم ..

مختارون بالمنطق الذي تختار به ادق واحدث الاجهزة الطبية لتشخيص الامراض بدل تشخيصها بيد المشعوذ البدوي الأمي .

لقد كان الثوار والانقلابيون العرب من العساكر يفعلون انقلاباتهم وثوراتهم ليكونوا هم الحكام بعد اسقاط من كانوا قبلهم ، زاعمين انهم قد جاءوا ليكونوا منقذين كونيين من كل اخطاء وخطايا وطغيان وبلادات وعجز الطبيعة والتاريخ والالهة .. منقذين من كل اخطاء وخطايا الحضارة والعلم ، ومن كل ضعف وهوان وفساد الحرية والتواضع والتفكير والصدق والتهذيب ..

لقد كانوا بذلك كالذين يعالجون من الزكام والبثور والعرج لكي يمرضوا بالسل والسرطان والشلل المقعد . لقد كانوا اي الثوار العرب يجيئون ليعالجوا من العجز عن رؤية النجوم نهارا لكي يمرضوا بالعجز عن رؤية النجوم ليلا وعن رؤية الشمس ظهرا ..

نعم ، ليكن هدف الانقلابيين والثوار العرب ان يجعلوا كل الافاق والابواب والطرق مفتوحة لكي يستورد العرب أو يصدر اليهم الحكام والزعماء والقادة كما يستوردون ويصدر اليهم كل الاشياء الجيدة ، لا ان يكون هدفهم سرقة الحكم ليصبح الحكام الذين كانوا قبلهم انبياء وحكماء وفلاسفة وعباقرة وصديقين وابطالا، مناظرين ومحاورين ومحاسبين مقارنين مفسرين بهم اي بالثوار والانقلابيين العرب العساكر ..

ان الثورات والانقلابات العربية تصبح حينئذ عملا صالحا اي اذا كان او لو كان هذا هو هدفها • لعل الثوار العرب لم يفطنوا الى هذا • أليست حظوظهم من الفطنة متواضعة ؟ لعلهم لو فطنوا اليه لفعلوه ولوجدوا فيه شيئا من الاعتذار عن عارهم •

اليس هذا حلا محتملا ومطلوبا لهذه المشكلة او العقدة ؟

بل اليس هذا عملا وطنيا منقذا ورائعا يجب أن يقدمه الثوار العرب لشعوبهم ؟

ولا ينبغي ان يحسب ذلك اي استيراد الحكام ضربا من الخضوع لحكم الاجانب اي من الاحتلال او الاستعمار او الغزو الخارجي الا اذا كان ممكنا ان يحسب استيراد الخبراء والعلماء والمدربين والمعلمين والمستشارين والمخططين ، او استيراد العلم والحضارة والفنون والافكار والابتكارات خضوعا للحكم الاجنبي ••

وهل الحضارة والتقدم بل والاستقلال والحرية الا اخذ واستيراد بكل اساليب وتفاسير ونيات الاخذ والاستيراد ؟

ان الحاكم المستورد لا يجيء غازيا قائدا لجيش غاز يريد أن يحتل ويستغل وانما يجيء مطلوبا مستقدما ليهب دون ان يأخذ وليحكم دون أن يملك ، بل ليكون استاذا ومعلما مربيا بصيغة حاكم أو باسم حاكم •

وانه ليمكن ان يقا ل ان الشعوب المتخلفة لن تفعل او تستورد شيئا انبل أو اعظم من ان تستورد حكاما متحضرين متفوقين كما ان الشعوب العظيمة المتقدمة والمنظمات الدولية لن تفعل او تصدر شيئا افضل أو اعظم من أن تصدر مثل هؤلاء الحكام لمثل هذه الشعوب •• ولعلها لا توجد سفاهة او جهالة او نذالة او جفاء وتقصير مثل ان تترك الشعوب المتخلفة أو المصابة يحكمها حكامها الجهال الاغبياء العاجزون المغرورون المذلون المعوقون بينما يمكن ان يصدر اليها حكام مناقضون في كل مزاياهم لحكامها المحليين •

ان يترك الاعمى يقود العميان بين حشود المهالك والمخاطر والمبصرون ينظرون ويضحكون ويسخرون ••

*****

انه لمذهل حقا ان يصمت كل العالم عن هذه القضية ، كل منظماته السياسية والثقافيةوالانسانية وغيرها •• ان ينساها ويطردها من كل حساباته ، لا يفكر فيها او يتحدث عنها او يفعل لها او حتى يشعر بها او بانها موجودة ، بانها قضية يجب أن يكون لها حقوق القضايا الكبرى أو الصغرى • ان المنطق والاخلاق لا بد ان يفترضا بل ويطالبا ويفرضا ان تكون هذه القضية هي اعظم او من اعظم القضايا العالمية التي يجب أن تستبد بكل اهتمامات وهموم جميع المنظمات الدولية المتعددة الحوافز والاهداف والاغراض والشعارات •• اليس المفروض بل والمطلوب ان يكون الاهتمام بالشيء مقدرا بقيمة الشيء وبنتائجه جيدة ورديئة ؟

كيف يطاق هذا المنظر او الصورة او الواقع الدائم المتكرر الواسع ؟ كيف يطاق الصمت عنه والتعامل معه والتحديق فيه ؟

اليس الصمت الفكري والعاطفي والاخلاقي والنفسي هو ابلد وانذل انـــواع الصمـت ؟

قطعان هائلة من البشر المسحوقين المهزومين المخدوعين الباحثين عن الحيـــاة والنجاة وعن الطريق والنور ، الماضغين للامال والوعود ، والقارئين للنجوم علــى النجوم الامية البدوية العمياء الخرساء الصماء ، امية العقل والقلب والاخــلاق والضمير •• أمية الالهة والتدبير والمنطق والكينونة ••

اليست مسيرة النجوم الضالة في فراغها الرهيب اقسى اعلان عن أمية الالهة وبداوتهــا الابديـــة ؟

هذه القطعان الهائلة تملكها وتتحكم فيها وتسوقها وتشرع لها وتعلمها وتنعب وتنعق لها وبها افواج متعاقبة متشابهة من الذئاب والغربان والضفادع ومن العميان واللصوص والمرضى بالبلاهة والتفاهة والوقاحة وبشهوة الملاعنة والمخاصمة والمبارزة الخطابية الاعلانية ، وبأمية التاريخ والحياة والموت وامية الصيغة والتفسير والمكان والزمـــان •••

بأمية الدين والمجد والاخلاق والحب والموهبة والنخوة والاصالة والالوهية ••

هذه القطعان الهائلة ، قطعان الشعوب والمجتمعات المتخلفة كيف تركت في كل التاريخ لحكامها وقادتها وزعمائها وانبيائها وغربانها هؤلاء يؤكدون ويثبتـــون تخلفها وهوانها ويعلنون عنهما اي عن تخلفها وهوانها ويفضحونهما ويزيدونهما ويحاولون استبقاءهما ويستغلونهما ويصعدون فوقهما ويسعدون ويكبرون ويقوون ويأمنون بهما اي بتخلفها وهوانها ، اي تخلف وهوان هذه القطعان •• ؟

هل قاست او يمكن ان تقاسي اية قطعان مثلما قاست وتقاسي هذه القطعـــان البشرية بلا اية حراسة او رعاية ؟

كيف تركتدون ان تعار ويصدر اليها البديل عن هؤلاء ، بل دون أن يوجد من يتحدث عن هذا البديل أو يطالب به او يفكر فيه حتى يراه قضية من القضايا التي قد يحاسبها او يحاورها او يقرؤها الضمير او الاخلاق او الحضارة او العلم ؟

انه لصمت عالمي مذهل حقا • انه صمت الحضارة على كل ما يناقضها ويهينها اليست الحضارة رفضا ونفيا دائما وشاملا لكل ما يناقضها ؟ اذن كيف اصيبت بالصمـت هنـا ؟

كيف صمتت وماتت وعميت عيون وضمائر واخلاق كل العالم ؟ كيف سحـرت لتصاب بكل هذا العجز او البلادة او النذالة او القسوة او بكل هذا القدر مــن الاستمتاع بالشماتة •• بكل هذا الصمت عن الرفض والنفي ؟

انها لقضية يصعب ان يوجد لها تفسير مفهوم معقول ، اعني بها ان العالم لم يشرع ويقرر باسلوب دولي ملزم منفذ ان يعد حكاما وزعماء وقادة وانبياء ووزراء ليصدرهم بالالزام العسكري او بالقرارات التصويتية الاجماعية الى الشعوب المتخلفة التي منها حتما ودائما جميع الشعوب العربية ، وليعلن طردها ومقاطعتها ودينونتها ومعاقبتها اذا هي او ان هي رفضتهم ، اكثر مما يجب ان يفعل ضد من يرفضون ان يتخذوا اي اجراء للعلاج والوقاية من الامراض والاوبئة المنتقلة حينما تنزل بهم او تزحف عليهم ، وضد من يرفضون ان يقيموا اية حراسة على الامن والقانون لحمايتهما من الخارجين عليهما ، لحماية الارواح والاموال والاخلاق والنظام من القتلة واللصوص ومن كل الوان الفساد والاعتداء والتدمير والارهاب ٠٠ وهل وجد او يمكن ان يوجد خروج على القانون والنظام واختراق للامن وعدوان عليه ورفض للعلاج والوقاية من الامراض والاوبئة بل ودعوة لها اي للامراض والاوبئة لتجيء وتستوطن، مثل ان يترك حكام الشعوب المتخلفة حكاما لشعوبهم ، مثل ان يترك حكام العرب حكاما ؟

في كل التاريخ كانت الشعوب والمجتمعات ولا تزال تستورد الالهة والانبياء والدعاة والمعلمين من خارج حدودها وتاريخها ولغاتها ، ليكونوا لها الهة وانبياء ودعاة ومعلمين ، طاردين وهازمين بل ومحقرين لاعنين لالهتها وانبيائها ودعاتها ومعلميها المحليين المواطنين الوطنيين ٠ هل وجد اله او نبي او معلم او مذهبي واحد لم تستورده شعوب كثيرة ، صغرى وكبرى ، متقدمة وقوية جدا او متخلفة وضعيفة جدا ؟

اذن كيف لم يصبح شيئا مقررا منفذا دوليا استيراد الحكام ٠٠ الملوك والرؤساء والزعماء والوزراء والقادة والثوار الى كل الشعوب والمجتمعات المحتاجة الى ذلك ولا سيما الشعوب العربية ؟ كيف فقد العالم كل ما يزعم له من شهامة ؟ ماذا يمكن ان يكون قد حدث لو ان هذا التصدير والاستيراد للحكام قد أصبح قرارا عالميا تاريخيا منفذا ؟ ان الجواب لا بد ان يكون هو الجواب أو قريبا منه لو جاء هذا السؤال : ماذا يمكن ان يكون قد حدث للمرضى والمشوهين والمصابين الذين كانوا يطببون بالسحر والرقي والتمائم والشعارات والصلاة للموتى لو انهم طببوا بالعلم والطب ـ او ماذا يمكن ان يكون قد حدث للذين كانوا ولا يزالون يذهبون يصلون للالهة صلاة الاستغاثة اذا امتنع عليهم المطر واصابهم القحط ٠ لو انه صدر اليهم من يسخرون الطبيعة ويصنعون السحاب ويفجرون المياه من احشاء الصخور بدل الصلوات للالهة الغافلة الصماء الخرساء المشغولة بهمومها والامها وضياعها عمن يصلون ويصرخون ؟

وبعد فماذا يمكن او ينبغي ان يحسب هذا الرأي في هذه القضية ، اجدا ام هزلا ؟ اما انا فانتظر ان يحسب هزلا ولكني اتمنى ان يصبح جدا ٠٠ انا ارهب ان يحسب أو يعد علي جدا ولكن كم يسعدني ان يحسب ويعد علي كذلك ؟

لن استطيع ان انكر على من يحسبني هازلا او اتعجب منه ، ولكن هل استطيع الا اعجب او اسر بمن يحسبني جادا كل الجد ؟

انه لن يهبط بذكائك او باستقامتك او بتهذيبك وادبك ان ترى ذلك هزلا ، ولكنه لا بد ان يعد صعودا في خيالك ان تراه جدا ، وصعودا في اخلاقك وانسانيتك ان تتمناه جـــدا ..

اذن عليك ان تراه هزلا وان تتمناه جدا .. انْ تتمناه جدا قد اصبح واقعا ، واقعــــا ..

ان هذا هو النموذج الانساني الذي اتمناه لك ..
ألست هنا اتمنى لك شيئا انت تتمناه لنفسك ؟
اذن ألست قد تمنيت لك افضل واذكى الصيغ الانسانية ؟

*

والآن .. هل تبدأ المنظمات الدولية والدول المتقدمة في عملية الانقاذ هــذه أي في تصدير الحكام الى الشعوب العربية والى جميع الشعوب المماثلة بعد اختيار اتقى واذكى واقوى الاساليب لذلك ، بتخطيط وسلوك دوليين ملزمين ؟ هل يصاب العالم بشيء من الشهامة والشجاعة ليفعل ذلك ؟

حتما لن يستطيع الحكام المستوردون ان يهبوا الشعوب التي يصدرون اليهــا او ان ينبتوا فيها مواهب وطاقات اقوى من مواهبها وطاقاتها ، ولكنهم يستطيعون ان يفعلوا لها وبهامثلما يستطيع الراعي والمالك والبيطري الجيد انّ يفعل لقطعانه وبهــــا .. !

كم تفجعونني يا أصحاب المواهب الخرساء

لماذا لم تبتكر الحضارة او الالهة او الطبيعة وسيلة ما تستطيع ان تسحب او تمتص من كل انسان ، ساعة ولادته او قبل ولادته ، كل ما في مستقبله وما في تصميم ذاته من احتمالات الدموع والاحزان والضعف والهوان والنفاق والبلادة والنذالة والهزائم وكل الوان التشوهات والعاهات الجسدية والادبية ، وايضا تسحب منه او تقتل فيه كل قسوة وتعذيب الرؤية والتحديق والاشمئزاز والانفجاع والرفض ومشاعر الاغتراب وعذاب الاشتراط على الذات وعلى الاشياء بكل منطقه واساليبه وفنونه ، وايضا كل اسباب العذاب والتعذيب والاحتراق الفكري والعاطفي والاخلاقي ؟ وهل توجد اهوال مثل اهوال هذا الاحتراق ؟ هل يمكن ان يدرك او يتصور ذلك الا المحترقون هذا الاحتراق ؟

كيف لم توجد هذه الوسيلة ، بل كيف لم تطرح كقضية ؟

لماذا لم يحاول العلم أن يفعل شيئا من ذلك ؟ اليس ابتكار مثل هذه الوسيلة هو انفع وانبل من جميع الابتكارات التي كانت والتي سوف تكون او قد تكون ؟ هل يبتكر الابتكار بقدر ما هو سهل ام بقدر ما هو ضرورة ؟

كيف ابتكر التلقيح أو التحصين ضد الامراض والاوبئة ولم يبتكر شيء من ذلك ضد السقوط او الضعف النفسي او الفكري او الاخلاقي أو ضد العذاب النفسي او الفكري او الاخلاقي ؟ هل السبب هو القدرة هنا والعجز هنا ، ام هو الاهتمام والحماس هنا وفقد الحماس والاهتمام هنا ؟ هل تستطيع جميع الابتكارات ان تتفوق في نفعها وشرفها ومجدها على ابتكار واحد يحمي الفكر والضمير والارادة والنية والاخلاق والقلب من السقوط والهوان والنذالة والبلادة والسفاهة والعذاب والبكاء والركوع ؟ في اي محراب او امام اي طغيان او تحت اي تفسير او تسويغ؟

هل يوجد ابتكار مثل الابتكار الذي يحمي الانسان من أن يكون نذلا او سفيها او حزينا معذبا مهينا ؟

الا يحتمل ان تبتكر هذه الوسيلة في وقت آت ؟ ومن هم الذين سوف يكونون اول من يبتكرونها ان كان محتوما ابتكارها ؟

هل يمكن ان تظل الحضارة في كل اطوارها عاجزة عن هذا الابتكار او رافضة له ولدفع تكاليفه ؟ انه لمن الصعب اتهام الحضارة بذلك : اذن فالمفروض ان تستطيع اي الحضارة ذلك وان تفعله ٠٠ اننا لنرفض اتهام الحضارة بانها سوف تظل عاجزة عن ابتكار طريقة للتلقيح ضد ان يهون او يتعذب الانسان ٠

نعم ، اذن من الذين سوف يكونون اول صانع لهذه الوسيلة التي سوف تسحب وتمتص من كل انسان ساعة ولادته أو قبل ذلك كل ما في ذاته ووجوده وظروفه من الاحتمالات الرديئة والاليمة الشريرة ؟

قد يكون المحتوم أو المرجح ان ترى ان العرب هم الذين سوف يكونون اول من يفعل ذلك ٠ أليس مجد العرب هو السباق دائما ولا سيما في ابتكار واعطاء ما يصنع ويعلم الاستقامة والتقوى والسمو ويحمي من الفجور والخبث والهوان والحقارة والنذالة والعذاب وكل عدوان على كرامة الانسان أو على ذكائه وشرفه وصفائه وسعادته وحبه للالهة والنظافة والعبقرية والحرية والانسانية الرافضة لكل تلوث وجبن وتنازل عن اي قدر من الكبرياء أو الصدق أو الشجاعة ؟

اذن اي العرب تحسب هم الذين سوف يكونون اول هؤلاء السباقين الى هذا المجد ؟ في حسابك ورؤيتك هل هم الثوار ام المحافظون ٠٠ الجمهوريون ام الملكيون ٠٠ النفطيون ام العاشقون المصلون للنفطيين الهاتفون بمجدهم وجمالهم ولمجدهم وجمالهم ٠٠ المجدون المفسرون القارئون لتقواهم واصالتهم وعروبتهم ، المؤرخون لانسابهم السماوية ولاسماء واوصاف وتواريخ ولادات حكامهم اي حكام النفطيين ٠٠ الراوون الناسخون لها من الواح وسجلات السماء ومن ضمائر ونبوات الانبياء ٠٠ الواجدون فيهم اي في النفطيين كل ذكاء الالهة وسخائها واصالتها وقوتها وحكمتها ورحمتها وحبها وكل بداوة الطبيعة واميتها الابدية ؟ نعم ، هل وجد واحب احد جمالا وذكاء مثلما وجد وأحب العرب بلا نفط جمال وذكاء العرب المولودين في ابار النفط؟

أليس النفط هو اصفى واسخى دموع الالهة المتقاطرة من عيونها وضمائرها واخلاقها وحبها شوقا الى اوليائها وولاتها ومواليها ابناء العروبة ، ورثاء لالامهم ومجاعاتهم التاريخية ، واعتذارا وتعويضا وتكفيرا عن قحط صحرائهم بل عن قحط مواهبهم واخلاقهم وتاريخهم ؟ هل يوجد من يجب عليه ان يكفر عن ذنوبه بكل اساليب وتفاسير ولغات التكفير مثل من صاغ مواهب واخلاق وتاريخ الانسان العربي ؟

هل صاغت الالهة دموعها واحزانها ومحبتها صياغة اذكى أو أتقى أو أنفع من صياغتها لها حينما صاغتها لتكون نفطا عربيا يذل كرامة وكبرياء وذكاء وقوة وحضارة جميع الاقوياء المتحضرين ؟ هل حاول احد التكفير عن ذنوبه مثلما فعلت الالهة

حينما حولت دموعها على العرب الى نفط عربي ، اعتذارا عن اصابتها لمواهبهم واخلاقهم وصحرائهم بالقحط الابدي الرهيب في قبحه ؟

اجل ، هل تستطيع عيون او اخلاق او عقول او تقوى وصدق وكلمات العرب الذين لم يخلقهم الله نفطيين ان ترى او تفهم او تسمع او تقرأ او تجد شيئا من الجمال أو النظافة أو الشاعرية أو العبقرية أو الرشاقة الموسيقية الانسانية التي تجدها متجمعة بكل المهابة في شخصية وكبرياء الذباب المستوى باسترخاء وامان وشموخ فوق عيون ووجوه وعقول واخلاق وانوف وموائد حكام وانبياء وشعراء وادباء ومفكري العرب الذين مجدت الالهة والطبيعة ذكاءهما وسخاءهما وشهامتهما وحكمتهما وعدالتهما بأن اعطيتاهم وذهبتا تعطيانهم وتعطيانهم حتى وجب على كل من تبالغ الطبيعة أو الالهة في اعطائه ان يخاف على مقادير حظوظه من القيم الحضارية والانسانية والابداعية وعلى كل ما يحتمل ان يكون قد وضع فيه من موهبة وقدرة واحتمالات جيدة اذ قد يكون في هذا الاعطاء من التفاسير الحزينة مثل ما في اعطاء النفط العربي للانسان العربي ؟

أليس كذلك ؟ اليس الذباب قد تحول الى موهبة جمالية وفنية ودينية بل والهية لانه لا يوجد ولم يوجد ضيف مكرم مستضاف محظوظ مثله في بيوت وعلى سرر وكراسي وموائد من اعطتهم الطبيعة والالهة وظلتا اي الطبيعة والالهة تعطيانهم وتعطيانهم ، محولتين عطاياهما الى شيء رهيب عجيب اسمه النفط وله اسماء اخرى تقرؤها وتسمعها وتعرفها وتحفظها وتصلي لها وبها بكل الرهبة والتقوى والاخلاص والصدق والخشوع كل الاذان والعقول والضمائر والقلوب والاخلاق بل وكل الجيوش والمصانع والحقول والبيوت والمواصلات والحركات كل شيء ، بل وكل الدول بكل طبقاتها ومنظماتها وعبقرياتها وتفاهاتها ٠

نعم، وظلتا أي الالهة والطبيعة تعطيانهم وتعطيانهم هذا الكائن العجيب الرهيب حتى تنازل العطاء بل حتى رفض ان يصبح او ان يرى نفسه مجدا او مدحا او امتيازا او خيرا او تخصيصا جميلا او مشكورا او مقبولا ، بل حتى اصبحت كلمة عطاء تعني كل معاني الهجاء لان النفط العربي ليس الا عطاء ، عطاء الآلهة والطبيعة ؟

ايها الذباب المحظوظ كل هذه الحظوظ ، ما التفسير او المنطق لهذه العلاقات الخاصة الجيدة جدا بينك وبين اصدقائك العرب ، نفطيين وغير نفطيين ؟ قل لنا ايها الذباب ما السر في هذه العلاقات ولك ان تنتظر منا الا نذيع هذا السر ان كنت ترفض اذاعته لانك تخجل منه او تخافه او تحترمه وتعجب به حتى لتأبى ان يذاع او يعرف ٠ هل يمكن ايها الذباب المجيد الباصق مجده على كل مجد بل المكذب مجده لكل مجد ان تختار اهلك وقومك بلا اسرار وتفاسير عجيبة ؟

لماذا لم تقسم الطبيعة او الحياة حظوظ الناس من الدموع والاحزان والالام والمكابدة ، من القلوب والعقول والضمائر والعيون والاخلاق الرائية الغاضبة الرافضة

المحتجة المشترطة المحترقة ، قسمة فيها عدل او مساواة او شهامة ؟ لماذا جاءت الالهة او الطبيعة مجنونة دائما في تقسيمها للحظوظ ؟ من علم الطبيعة او الالهة اخلاقها ومنطقها وشهواتها وضرباتها ؟

لماذا تصب كل شهوتها وقسوتها ، بل كل عبقريتها التعذيبية على قوم ، على عقولهم وضمائرهم ورؤاهم واخلاقهم واشتراطاتهم وعلى جميع تصوراتهم ونماذجهم الانسانية ، لكي تجمع كل محاباتها البلهاء المصابة بكل جنون ونزق السفه ، ملقية بها اي بمحاباتها في ايدي وجيوب وافواه قوم اخرين ، وتحت اقدامهم وكراسيهم وحضيضهم وفوق مضاجعهم الخاملة النائمة المتثائبة ٠٠ لتجعل ما يقاسيه الفريق الاول تعنيفا وتعذيبا وهجاء لعيون وذكاء وضمائر ومجد وكبرياء وتاريخ الشموس والنجوم والسحاب ، وتجعل ما يستمتع به الفريق الثاني غناء ورقصا وصلاة وتدليلا لتقوى ومنطق واخلاق واعصاب وطموح الحشرات ولكل فنونها واشواقها ؟ وهل السحاب او النجوم او الشموس افضل او أتقى عيونا او قلوبا او اخلاقا او كبرياء من الحشرات ؟

ايتها الحظوظ الوقحة البلهاء ، من الذين دبروك وفكروا لك وقسموك ؟ باي عقل او قلب او ضمير او شهوة فعلوا ذلك ؟

هل يمكن تصور من يستطيع او يقبل ان يكون هو المقسم الواضع المدبر للعقول والقلوب والضمائر والاخلاق والالام والحظوظ ولمواهب الانفجاع والغضب والاشتراط والرؤية ، لتجيء وتكون كما جاءت وكانت ؟

هل يمكن ان يوجدَ من يقبل ان يكون هو الذي صاغ ذات ومواهب الالهة او الطبيعة ؟

ألا يمكن أن توجد قوانين او مذاهب او قرارات يستطاع تنفيذها ويطالب بتنفيذها لتبادل العيون والعقول والقلوب والضمائر ، ولتبادل مواهب الرفض والغضب والاستنكار والمقاومة والتحديق والعذاب الانساني الذي يقاسي منه الانسان لانه انسان لا لانه اعضاء ، يقاسي منه بقدر ما هو انسان لا بقدر ما هو اعضاء تعيش فيها وتهاجمها الادواء الجسدية ؟

ان البشر يقاسون باعضائهم فقط كما تقاسي الكائنات الحية الاخرى التي هي دون البشر اي دون الانسان ٠

اما الانسان الذي هو تخط للبشر وتفوق عليهم والذي جاء ليكون كثمن لوجودهم او كاعتذار وتعويض عن وجودهم ، فانه يقاسي مقاساة انسانية ، مقاساة هي اقسى وادوم واشمل وابعد افاقا واعماقا وتفاسير من كل مقاساة ، من كل مقاساة الجسم والاعضاء مهما كانت قسوة هذه المقاساة ٠٠ ان مقاساة الجسم لن تكون اكبر من الجسم ٠ اما مقاساة الانسان بمعانيه ومثله وتطلعاته الانسانية فانها اكبر من كل الكون ومن كل ما في ضميره من الهة وتفاسير ٠٠

لماذا لم يصنع البشر في كل تاريخهم وتحت جميع نظمهم وشعاراتهم وظروفهم شيئا من ذلك ؟

لقد فكروا في كل انواع العدالات والمساواة ، وتحدثوا طويلا وكثيرا عن ذلك وفعلوا اشياء كثيرة من اجله وحققوا الكثير منه · اذن لماذا لم يفعلوا شيئا من اجل هذا النوع من العدالة والمساواة بل ولم يفكروا فيه او يتحدثوا عنه اعني العدالة والمساواة في العذاب الانساني اي العذاب الذي لا يراه او يقرؤه او يفسره او يفهمه او يضخمه او يقاسيه ، وايضا الذي لا يوقعه ، الا الفكر والقلب والضمير والحب والاشتراط على كل شيء ولكل شيء ؟ نعم ، حتى الحديث عن هذا العذاب لم يوجد من يتحدثه او يفكر فيه للرثاء او للعلاج ··

هل العدل في تقسيم العمل والتكاليف الاجتماعية المختلفة اعظم او اوجب من العدل في تقسيم اهوال وعذاب الفكر والقلب والضمير والرؤية والاخلاق والاشتراط والقراءة للاشياء الاليمة الهازلة التافهة البليدة ·· قراءتها بكل اشواق الانسان وحبه ومثله وطموحه وتعاليمه ؟ وهل توجد قسوة تساوي قسوة هذه القراءة ·· قراءة ما في جميع الاشياء من الام ومهانات وعبث وتفاهة وغباء وهموم وتحطيم ونهايات سخيفة حزينة ؟

هل القضية هنا قضية عجز ام بلادة ام قسوة واهمال ونذالة ؟

ألا يوجد من يستطيع ويريد ان يفعل هذا ؟ الا يوجد هذا الخير النبيل المنقذ الواحد ؟ أليس العدل في عذاب وتعذيب العقول والضمائر والرؤى والاخلاق والطموح والاماني هو اعظم وانبل عدل ؟

نعم ، الا يوجد من يستطيع ويقبل ان يأخذ مني بعض اخلاق عقلي وقلبي وضميري ورؤاي المحرقة المحترقة الفاجعة المفجوعة المقاتلة المتصادمة القارئة المسائلة ابدا ليعطيني شيئا من رضا وصمتواغضاء واسترخاء وغيبوبة ومسالمة عقله وقلبه وضميره ورؤيته واخلاقه ومذاهبه واديانه امام كل الذنوب والتفاهات والتشوهات والنذالات والالام والاحزان والاهات والقبائح والفضائح المحاصرة لكل الافاق والتحديقات ··

ان يأخذ مني شيئا من اناتي وصرخاتي ويعطيني شيئا من ابتساماته وضحكاته ؟

أليست عيون اكثر الناس في كل التاريخ والمجتمعات ، وكذا عقولهم وقلوبهم وضمائرهم واخلاقهم وآذانهم ، وايضا اديانهم ومذاهبهم ونماذجهم ومثلهم التعليمية والانسانية تعيش في مصالحة ومسالمة بل في معانقة مصافحة مبايعة مصادقة دائمة ، في تلاؤم وتوافق شامل ، مع كل قبح وألم وتفاهة ونذالة وعار وجنون ، بلا اية نبضة او نوبة من نبضات او نوبات الغضب او الرفض او الكره او الانفجاع او من نيات المقاومة وارادة التغيير ·· ؟

أليس كل الناس الا اقلهم اعضاء واجساما اي حدودا او قيما ذاتية اي جسدية تجوع وتشتهي وتتغذى وتخاف وتبكي وتمارس الجنس بكل الافتضاح والصراخ والنزق ‥ وليسوا بشرا يعيش في أي منهم أي معنى أو تفسير من معاني الانسان وتفاسيره ؟ هل يقاسي شيء من الاغتراب والندرة والرفض مثلما تقاسي تفاسير الانسان ومعانيه بين البشر وفي تعاملهم مع حياتهم وذواتهم ؟

نعم ، الا يوجد من يريد ويستطيع ان يأخذ من ذاتي ويعطيني من ذاته باسلوب التبادل ونياته ، ولو عاما أو شهرا أو اسبوعا أو يوما أو حتى ساعة واحدة ؟ اريد أن اجرب الصمت والاسترخاء ، صمت واسترخاء الرؤية والفكر والقلب والضمير والمساءلة والاشتراط ‥ اريد أن اجرب صمت واسترخاء كل معاني وتفاسير الانسان في ذاتي ولو بعض الوقت رجاء ان تهون اهوال عذاب المواجهة القارئة الرائية المسائلة الحارة الحادة ‥

الا يوجد من يتقبل ويستطيع ان يسحب شيئا من حرائق طقسي الفكري والقلبي والنفسي والاخلاقي ليلقي به على طقسه الفكري والقلبي والنفسي والاخلاقي ، ثم يهبني شيئا من برودة وهدوء طقسه اي طقسه الانساني بكل قيمه وتعبيراته لكي يصاب طقسي بشيء من البرودة والهدوء والاسترخاء ليكون محتملا ، ولكي يصاب طقسه بشيء من الحرارة والتوقد ‥ ليصاب بشيء من الحماس والحركة والرؤية والخفقان ‥ ليكون صيغة من صيغ الحياة الانسانية ‥ ليصاب طقسي بشيء من الاغفاء المريح المفقود ويصاب طقسه بشيء من اليقظة المبصرة المفقودة ‥ ليصاب طقسي بشيء من البلادة الممتعة ويصاب طقسه بشيء من التحديق المتوحش الوقح ؟

ليكون بين الطقسين شيء من علاقات المودة والتفاهم والتلاؤم والجمال والتقبل. ليعطي كل منهما الاخر بعض ما حرم منه ‥
لياخذ من الاخر شيئا مما اسرف في اعطائه له ‥

ألا يمكن ان توجد عمليات تبادل ولو جزئيا بين الطقوس الانسانية ‥ بين الطقوس المحترقة المحرقة اشتعالا وتفجرا والطقوس المتجمدة خمودا وبرودة ؟ هل يوجد اقسى واوقح من تفاوت الطقوس الانسانية ‥ طقوس الضمائر والقلوب والعقول والرؤى والاخلاق ؟ اذن هل يوجد انبل من تبادل هذه الطقوس ؟

ألا يوجد من يفعلون ذلك ولو شهامة او رحمة او عدلا او مجاملة او حياء او بحثا عن التجربة الاليمة او مشاركة في تحمل اهوال العذاب والمقاساة ؟ اليست المقاساة الانسانية مستوى وقدرا انسانيين بل طموحا انسانيا بل تفوقا انسانيا ؟ هل يوجد اردأ أو اخمد او أهون أو أضيع ممن لا يقاسون كل الوان المقاساة الانسانية واصعبها، ممن لا يقاسون لعجزهم او خمولهم او هوانهم او هربهم ؟ ثم اليست المشاركة في

العذاب المشروع المحتوم العظيم وتجربته لذة ومجدا وشوقا وتحليقا فوق البلادة والنذالة والقبح ؟

هل يوجد انذل ممن لا يشاركون في العذاب النبيل ، ممن لا يجدون في هذه المشاركة كل النشوة ؟

اليس من انبل واتقى اساليب النبل والتقوى ان تبادل بشيء من طقسك المتجمد من الخمود والخمول والبرودة انسانا اخر بشيء من طقسه المحترق المتوهج المتفجر ، اي ان تستطيع ذلك وتفعله ؟

كيف تستطيع ان تقبل نفسك او ترضى عنها حين يكون طقسك الانساني ثلجا وحولك انسان اخر طقسه الانساني جحيم دون ان تنقل شيئا من ثلجك الى جحيمه وشيئا من جحيمه الى ثلجك وانت تستطيع ان تفعل ذلك ؟

اما اذا كنت عاجزا ان تفعل هذا وانت تريد وترى فعله فكيف يمكن ان يكون عذابك واشمئزازك واستقباحك ؟ انك اذن يا صاحب الطقس الانساني الثلجي بين اصحاب الطقوس الانسانية المسكونة المشحونة بالجحيم اما نذل جدا او معذب جدا٠

اذن الا يوجد رحماء كرماء اتقياء شجعان مغامرون فدائيون يتقبلون ويستطيعون هذا التبادل للطقوس الانسانية المختلفة والمتفاوتة في حرارتها وتفجرها وفي برودتها وخمودها اكثر من اختلاف وتفاوت طقوس الطبيعة ؟ الا يوجد هؤلاء الذين يستطيعون ويريدون وينفذون تبادل طقوس العقول والضمائر والقلوب والرؤى والاخلاق بل طقوس جميع المواهب الانسانية ، مواهب التقبل والرفض والرضا والغضب والتوقد والخمود والانفجاع والتلاؤم والاستسلام والمقاومة ومواهب الطموح والاشتراط والمساءلة ؟ هل وجد هؤلاء في التاريخ ، في اي طور من اطواره ؟ كيف لم يوجدوا ان لم يكونوا قد وجدوا ؟

اريد ان اجدهم فهل اجدهم ؟ هل يجيئون ؟ متى يجيئون ؟

هل يوجد تفاوت أليم وظالم ومستنكر مثل التفاوت في هذه الطقوس ، طقوس المواهب الانسانية ؟

انا في انتظار هؤلاء الرحماء الكرماء الاتقياء التشجعان المغامرين الفدائيين القادرين على هذا التبادل والمريدين الفاعلين له ٠ فهل اجدهم ؟ هل اجد احدا منهم ؟ هل الناس مصابون بكل هذا القحط حتى لا اجد واحدا من هؤلاء ؟

اريد ان اجد هذا المبادل الواحد ولا اريد أن يكون قحط الانسان العربي مغلقا دون كل اختراق ٠٠

آه يا اصحاب العقول والقلوب والضمائر والعيون والاذان والاخلاق الخامدة المسترخية الضاحكة الراضية الصامتة عن جميع الرؤى والمحاسبات والمحاكمات والمحاورات والاشتراطات والمساءلات والانفعالات الانسانية ، وفي مواجهة كل القبائح والفضائح والنقائص والالام والشرور ، بل الراقصة المغنية الهاتفة لكل ذلك ٠٠

آه يا اصحاب الذوات المغلقة دون كل مواجهة ومحاسبة ومساءلة انسانية احتجاجية ٠

آه لو تجربون عذاب العقول والقلوب والضمائر والعيون الرائية المحاسبة المحاكمة المطالبة المسائلة المشترطة ٠٠ لو تجربون عذاب من يرون ويفسرون ويحاسبون ويحاورون ويشترطون ويقرؤون باعماقهم لا باصواتهم ٠

باشتراطاتهم ورؤاهم ومواجهاتهم لا بتعاليمهم او مذاهبهم او اديانهم او خطب زعمائهم وانبيائهم ٠٠

آه يا اصحاب هذه العقول والقلوب والضمائر والرؤى والاخلاق الخامدة المسترخية الراضية الصامتة بلا اي غضب او انفجاع او انفجار او توقد انساني ٠٠ ما اكثركم واعنف تعذيبكم وترويعكم لذوي المواهب الاخرى المضادة ٠٠ لذوي الطقس الانساني المضاد ، المضاد بكل القسوة والشمول ٠

آه لو تجربون العقول والقلوب والضمائر والعيون والاخلاق التي لم ترثوها أو ترووها او تتعلموها من ابائكم او تاريخكم او محاريبكم او تعاليمكم ٠٠

لو تجربون الاذان والتفاسير الاخرى لتسمعوا وتفسروا بها ما تقوله الافواه العربية ٠٠ افواه النبوات والعبقريات والشاعريات والزعامات العربية ٠٠ افواه الالهة العربية والكتب المقدسة العربية ٠٠

لتسمعوا وتفسروا بها ما قالته وانزلته وعلمته الالوهيات العربية ٠٠

آه يا اصحاب المواهب الصامتة عن كل شيء وفي مواجهة كل شيء بلا اي اعجاب او غضب انساني ، بلا إي نبض او خفقان ، بلا اي حب او اسى انساني ٠٠

آه لو تجربون المواهب الاخرى النابضة الخافقة المتفجرة المتنزية النازفة المـا واحتجاجا ورؤية وقراءة واشتراطا ومساءلة ٠٠

آه يا اصحاب الاصوات الناطقة الصارخة والمواهب الصامتة الخرساء آه يا اصحاب المواهب المغلقة دون كل رؤية وقراءة وتفسير واحتجاج ونقد وغضب واشتراط وانفجاع ٠

آه ٠ انكم لتعذبون وتفجعون وتعاقبون كل تفاسير وشروط الانسان في ذاتي ٠٠ ان صمت كل معاني الانسان فيكم عن اي تعبير انساني ليتحول الى دمامة وبلادة في وجوه وتفاسير كل الاشياء ٠٠ انكم لهجاء لكل تفاسير الحشرات فيكم ٠٠ لكل منطق واخلاق الاله المزعوم فيكم ٠٠

***

هل ترثون لمن لا يقرأ أو يسمع الا ما تكتبه وتقوله الاقلام والافواه العربية ، ولا يحاور او يخاطب او يعامل او يجد او ينتظر الا العقول والاخلاق والمواهب العربية؟ ارثوا له ان لم تستطيعوا ان تفعلوا له غير الرثاء ٠ ان رثاءكم له مجاملة لعذابه وانفجاعه ٠ اليس الرثاء للمفجوع المروع صدقة اخلاقية ؟ أليس صدقة او هدية قلب وضمير يتعذبان بالرؤية والتصور والجوار والمواجهة ؟

هل يمكن ان يعد قلبا او ضميرا قلب او ضمير لا يقاسي بالرؤية والتصور والمجاورة والمواجهة ؟ هل يكون انسانا من لا يتصدق باحزانه او رثائه او دموعه او بآهاته ان لم يستطع ان يفعل غير ذلك ؟ هل يوجد انذل ممن لا يهب حتى ولا انفعالاته ؟

اذن ارثوا لعربي يرى ويسمع ويقرأ ويفسر ويفكر ويحاسب ويشترط ويعامل ويتعامل بعيون واذان وعقل واخلاق واحاسيس ومقاييس غير عربية بينما يعيش في عالم كله عربي ، عربي النماذج والصور والتفاسير والاصوات ٠٠ عربي النبوات والزعامات والعبقريات والانتصارات والكبرياء ٠٠ عربي الاديان والفنون والالهة ٠٠ ويلي من عالم كل ما فيه عربي حتى الهته ونبواته واديانه وفنونه عربية الصيغة والولادة والتفاسير والاصالة ٠٠

نعم ، ارثوا له بعذاب وانفجاع وتوهج لا بخمود واسترخاء وبلادة ٠٠ اشفقوا عليه ، رددوا الاهات من اجله فانه لا عذاب مثل عذاب انسان عربي يعيش في داخله انسان غير عربي ، ويعيش خارجه في عالم كله عربي ٠٠ هل عرفتم او رأيتم مثل هذا الانسان او تصورتم عذابا مثل عذابه ؟

ان الرفق باي انسان محكوم عليه بان يعيش في عالم كل من فيه وما فيه عربي لن يكون مستطاعاالا بان يكون الانسان الذي يسكن في ذاته عربيا ، عربيا جدا بكل تفاسيره الانسانية ٠

اما الرفق الاخر البديل فلن يكون مستطاعا او متصورا الا بالا يكون عالمه عربيا ، بالا يكون فيه شيء عربي اي في عالمه ٠٠

أما أن تكون غير عربي الرؤية والضمير والقلب والتفكير والاخلاق والاشتراط وان تعيش فيالعالم العربي وحدمودائما دون ان تقاسي كلألوان العذابالانساني فذلك هو المحال السخيف اي الا ان تكون انسانا لئيما نذلا ، اي ممن يستمتعون ويسعدون ويتغذون بالشماتة بالاخرين ، برؤية ومواجهة عارهم وفضائحهم ونقائصهم المثيرة٠ ولكن هل غير العربي يرى العربي رؤية محاسبة ؟

هل يستطيع غير عربي الموهبة ان يقرأ اي عربي قراءة نقد او محاكمة او اشتراط او انتظار لشيء ؟

اجل ، ان الرفق الاخر البديل هو الا يكون عالمه عربيا او يكون فيه اي شيء عربي ٠ حتى ارضه وسمواته وطقوسه الطبيعية يجب ألا تكون عربية ٠ بل حتى الهه يجب الا يكون حينئذ الها عربيا ٠٠

أليس من اقسى اساليب التعذيب والتشويه والترويع ان تعيش او تتعامل اخلاق أو صفات أو تعاليم أو ذات اله عربي داخل ذات انسان غير عربي أي أن يفرض على مواهب غير عربية ان تعايش وتعامل من داخلها مواهب اله عربي ؟ وهل تستطيع اية ذات غير عربية التفاسير ان تعايش من داخلها او خارجها الها عربي التفاسير ؟

حتى حبه اي حب اي انسان يعيش في داخل ذاته انسان غير عربي الرؤية أو العقل او القلب او الضمير او الاخلاق او الاشتراط والمحاسبة ، حتى حبه يجب الا يكون نجمه اي نجم حبه نجما عربيا ، كذلك يجب الا يكون فلكه أو سماؤه أو مداره أو قوانين جاذبيته عربية ٠٠ !

انظر الى هذا الانسان العربي والى كل عربي كيف ينظر في كل مرآة الى وجهه والى تاريخه والى ابائه والى كل ما حوله ، معجبا مبتسما راضيا مفاخرا مغنيا منشدا بكل الصراخ لمعلقاته واياته ورولياته عن انتصاراته وعبقرياته وامجاده المالئة لكل مقابر التاريخ وكهوفه ونقوشه ، دون ان يبكي او يهرب او يمرض او يموت انصعاقا او غضبا او خجلا أو أن يغض من صوته او يهون من اعجابه بوجهه او بمرآته أو بجمال وعبقرية اطفاله وزوجته وقبيلته وأهله أو بقريته أو خيمته أو منزله أو ساعة يده او لون ثيابه او فرسه او ناقته او تفوقه على جيرانه وعلى كل العالم ٠٠٠ او أن يقلل من احاديثه عن امجاد عبوره او يتوقر في احاديثه هذه ٠

نعم ، دون ان يفعل شيئا من ذلك استقباحا لكل ما يحاصر كل وجوده واتجاهاته من دمامات ونذالات وبلادات وسفه وسخف وعجز وطغيان وهوان .وفضائح وهزائم والام وعاهات وتشوهات بشرية تحولت الى ثوار وسلاطين وملوك ورؤساء وانبياء، يحكمون ويتجبرون ويذلون ويتألهون ويسرقون ويسوقون ويقودون الى الهزائم والالام والفضائح والمغامرات المجنونة يفعلون كل ذلك باسم الازل والابد ٠٠ باسم الارض والسماء والحياة والتاريخ والكون والقوانين والمذاهب والاديان والاخلاق والالهة ٠٠

باسم كل ذلك ومن اجله وتمجيدا له ودفاعا عنه يفعلون كل القبح والسخف والسفه والبلادة والاكاذيب والعار والذنوب والعداوات ، بكل الجهر ونيات الاعلان ، بل بكل اساليب ولغات الانشاد والتباهي ٠٠ نعم ، اليس من اصالة الانسان العربي ان يتحدث عن اقبح واعظم رذائله باعجاب لا يتحدث بشيء منه احد من ذوي اضخم المزايا عن شيء من مزاياه ؟ المباهاة بنقائص الذات خلق عربي اصيل ٠٠ ان هذا الانسان العربي يفعل كل ذلك ويبدو كذلك دون ان يتفجر غضبا أو رفضا أو مقاومة أو روعا أو استقباحا أو محاكمة لان الانسان الذي يسكن في ذاته ، في عقله وقلبه وضميره وعينيه وطموحه واشتراطاته وفي ايمانه وتدينه وطاعته هو انسان عربي جدا ٠٠ عربي العين والاذن والعقل والقلب والضمير والاخلاق والاحاسيس والنماذج والخيال والطموح والكبرياء والشروط ٠٠ عربي الاله والانبياء والدين والشعر والفن واللغة والبلاغة والتصويت ٠٠ عربي الكرامة والتهذيب والوقار والصدق والاحترام للذات وايضا عربي الثورة ٠ فظيع ان يكون انسان ما عربي الثورة ٠٠ العربي الثائر هل تستطيع قراءته او تفسيره او التحديق فيه مهما استطعت ذلك بالعربي غير الثائر؟ هل يجابى شيء أو تجود حظوظ أي شيء فيه مهما استطعت ذلك بالعربي غير الثائر ؟ كل ذلك للقبائح والفضائح والنذالات والشرور والذنوب التي لا يراها او يقرؤها او

يعايشها او يفسرها او يتعامل بها الا انسان عربي يعيش في داخله كل معاني الانسان العربي ؟ هل وجد مثل الموهبة العربية الاصيلة غافرة لما لا يجوز او يمكن الغفـــران له ؟ هل تستطيع اية دمامة ان تتبرج مثلما تفعل بلا اي رهبة مواجهة للانسان العربـــي ؟

ما اذكاك واجملك واصدقك واعظمك وانبلك واتقاك يا اغبى الغباوات واقبـــح الدمامات واكذب الاكاذيب واتفه التفاهات وانذل النذالات وافجر الفجور حين يكون الانسان العربي الذي لا يوجد في داخل ذاته الا الانسان العربي هو كل من يراك ويحاورك ويحاسبك ويطالبك ويقرؤك ويفسرك ويشترط عليـك ويحاكمك باخلاقه ونماذجه وطموحه وخياله وبآبائه وانبيائه وارباب وتاريخه ۰ انه لا يوجد مجـامل لجميع الوان العيوب والنقائص والضعف والهبوط مثل الانسان العربي رائيا قارئـا مفسرا محاكما معاملا مشترطا فاعلا مؤملا مطالبا ۰۰

كريمة ونبيلة ومتواضعة انت ايتها الاخلاق والمواهب العربية في محاكمتـــك ومحاورتك ورؤيتك ومعاملتك لكل شيء رديء وقبيح وبليد ۰

ولكن هل حدث او يمكن ان يحدث مثل هذا الاختراق للقوانين التي لا تخترق اي ان يتخلق انسان غير عربي في ذات انسان عربي ؟ وكيفما كان الجواب فاني اتمنى الا يحدث لك ذلك والا يكون قد حدث ۰۰

**

ان العرب ليظلون يتحدثون بكل الاصوات عن امجادهم وعظمتهم التي قد كانت اي في زعمهم ورواياتهم عن انفسهم لانفسهم ۰۰ نعم ، انهم يظلون يتحدثون دائمـــا بكل الاصوات والمباهاة عن عظمتهم وامجادهم تلك المروية حتى ليبدو التفسير ان تحدثهم هذا هو الذي شغلهم واغناهم وعوضهم عن أن يصنعوا اي شيء من العظمـة أو المجد بايديهم أو عقولهم أو اخلاقهم ، ان يصنعوه بغير افواههم واصواتهم ۰۰ حتى ليبدو التفسير ان اصواتهم وافواههم قد سرقت من ذواتهم كل احتمالات ان تتخلق فيها عضلات او عقول او اخلاق أو اية طاقات اخرى ۰۰

كانهم يرون ان الافواه هي كل الاعضاء والعضلات والعبقريات بل وكل الاخـــلاق والاديان والجمال والحب والعطاء ۰

كانهم يرون أن الحديث عن الشيءاعظم من فعل الشيء بل هو فعل للشيء ۰۰

أليسوا يرون ان فم الاله اقوى من عضلاته ، بل يرون أن فمه اي فم الاله هو الذي يفعل لا عضلاته ؟ أليس الاله في تدينهم وتصورهم وتعاليمهم فما ، فما فقـط لا عضلات ولا اي شيء اخر ؟ ۰

ان الاله فمفقط، اذن هل يمكن ان يكونوا هم او أن يقبلوا أن يكونوا اكثر من فم ؟ هل يستطيعون أو يقبلون أن يكونوا أكثر من الاله ؟ هل يقبـل أو يغفـر تدينهـم أو تصورهم او تهذيبهم ان يكون الاله اكثر او اعظم أو أقوى من فم يصوت على الاشياء ويصوت لها ويصوت بها وتصوت به كل الاشياء ؟

أليس الاله في كل تعاليمهم واعتقاداتهم تصويتا يفعل ويعامل بالتصويت كما يعامل ويعبد بالتصويت ؟ اليست الصلوات والعبادات تصويتا ؟ أليست جميع اوامر الاله ووصاياه ووحيه الى عباده وانبيائه تصويتا ويراد لها وبها ان تتحول الى تصويت لتظل تصويتا ؟ اليست الصيغة الكاملة الدائمة للاله انه فم واذن : فم يصوت واذن تستمتع الى الاصوات الموجهة اليه بكل الشهوة والنشوة ؟

اليس كتابه المنزل على قومه العرب تصويتا بلا شبيه ، تصويتا حول كل عربي الى جهاز مصوت في كل اوقاته على كل قضاياه ومواقفه ولكل قضاياه ومواقفه؟ اليس التصويت بهذا الكتاب قد حول المؤمنين به الى اسواق دائمة من الاصوات والمصوتين بلا مثيل في القبح والبلاهة ؟

لقد انكروا واستبشعوا ـ مجتمعين او مختلفين ـ ان يكون الاله ايديا وأرجلا او اعضاء او طاقة او ذاتا حسية مرئية ملموسة متصورة محددة ، ولكنهم آمنوا بكل الحسم والصرامة بانه فم مصوت مسموع ٠٠ ان فمه المصوت فيما يؤمنون ويعلنون هو كل علاقاته ومعاملاته مع كل الاشياء وكل الناس وبكل الاشياء وكل الناس ٠

انه اي فمه المصوت هو كل عبقرياته وآياته وتحدياته ٠

انه فم مصوت يسمعه كل شيء ويصنع كل شيء بصوته اي بفمه المصوت ، وليس اي الاله ذاتا حسية مرئية تخطط وتنفذ وتريد وتفعل بطاقات وقوانين الذات الموجودة المحسوسة المحكومة بقوانين الكينونة واخلاقها وشروطها وتفاسيرها وبقوانين الفعل او الخلق وضروراته وشروطه ٠ ان الله لا يفعل بقوانين الفعل او بقوانين القدرة الذاتية بل بقوانين الفم اي الصوت ٠

وكذلك الانسان العربي ٠ فالاله العربي والانسان العربي لا يتفاوتان في مواهبهما الذاتية مهما تفاوتا في مكانتهما الاجتماعية ٠

اذن ايهما المعلم للاخر : الاله هو الذي علم الانسان العربي بأن يكون فما مصوتا فقط ام الانسان العربي هو الذي علم الاله بان يكون كذلك ؟

ايهما الذي علم او صاغ او قلد او راى الاخر واراده كذلك ؟

ايهما خلق الاخر على صيغته : الاله خلق الانسان العربي على صيغته ام الانسان العربي خلق الاله على صيغة الانسان العربي ؟ الا يكون التفسير ان الاله صاغ نفسه على صيغة الانسان العربي او أن الانسان العربي درب وروض نفسه ليكون صيغة لالهه ؟ اليست العلاقات بين الاله العربي والانسان العربي توجب ان يصوغ كل منهما نفسه واخلاقه ليكون على نموذج الاخر ؟ اذن اليس الاله العربي والانسان العربي كلاهما ظالما ومظلوما لان كليهما قد صاغ الاخر على نموذجه ؟

نعم ، كأن افواههم اي افواه العرب قد سحبت من عضلاتهم واعضائهم وعقولهم وعيونهم واخلاقهم بل وقد يقال : ومن تاريخهم ومستقبلهم كل احتمالات القدرة والهمة والرؤية والحماس والوظيفة ٠٠

كأن افواههم قد تحولت الى اقوى اجهزة امتصاص لامتصاص كل طاقات واشواق وتفاسير وطموح الانسان فيهم ..
كأنها لم تترك لهم شيئا يطمحون او يشتاقون اليه او يغارون عليه او يسألون عنه او يلتزمون به او يفعلونه . كأنها قد فرغتهم من كل معانيهم ..
كأنها اي افواههم شروخ او جروح رهيبة تنزف وتتساقط منها كل قيمهم وقدراتهم واشواقهم وامالهم .. كأنها كل حظوظهم من الانسان . اليس فم الانسان هو اقوى واشمل اجهزة الاستنزاف والنزيف الكونية لطاقات الانسان ومعانيه ؟

كأن الطبيعة او الالهة قد غلطت اشنع واقتل غلطة اذ قد جمعت ووضعت كل حظوظ الانسان العربي من معاني الانسان ومواهبه وحقوقه واشواقه في لسانه بينما كانت اي الطبيعة او الالهة تحسب انها تجمع ثم تقسم كل عبقرياتها على عبقرياته ، على اجهزة واعضاء عبقرياته ، بل بينما كانت تريد ان تفعل ذلك اي للانسان العربي ..
هل يمكن الا تخطىء الالهة والطبيعة ؟ بل اليست كل الاخطاء التي كانت والتي سوف تكون هي اخطاء الالهة والطبيعة ؟ واذا اخطأت فهل يمكن أن تضع اخطاءها في غير ذات الانسان العربي ؟
اليس محتوما ان تخطىء حين تتعامل مع الانسان العربي ، ان تخطىء رهبة واستحياء وشعورا بالعجز والضآلة ؟

نعم ، لعل الطبيعة او الالهة او هما معا ارادتا ان تحابيا الانسان العربي وان تهباه كل عبقرياتهما وطاقاتهما مقسمة على كل معانيه واحتياجاته وقضايا حياته ليكون عبقريا ومتفوقا في كل شيء ، بل ليكون سارقا من كل الاخرين جميع حقوقهم وحظوظهم من العبقرية والتفوق ، فاخطأتا اي الطبيعة والالهة فبدأتا بصنع لسانه فاستهلك صنعهما للسانه كل اشواقهما وحماسهما وقدراتهما فأصيبتا بالارهاق والملل وحسبتا انهما قد صبتا في ذاته كل عبقرياتهما فاصبح عبقريا في كل شيء بل مالكا لكل العبقريات التي تطالب العدالة والمنطق بان تقسم على كل الشعوب ، وحينئذ هربت العبقريات الحضارية والفكرية والاخلاقية والنفسية والفنية والانسانية التي ارادت الطبيعة والالهة ان تجمعاها في الانسان العربي وتخصاه بها ، هربت مقسمة على جميع الشعوب الاخرى . نعم ، لعل الطبيعة والالهة بدأتا ، بصنع لسان الانسان العربي وحين فرغتا من صنعه انطلق يصوت اي يتكلم ويفكر ويبدع في زعمه ، وحين سمعتاه اصابهما الروع . وحينئذ قررتا الا تخلقا فيه اية موهبة اخرى خيفة ان تجيء كما جاء لسانه ..

اذن هل من المحتمل او المنتظر او الجيد ان تعالجا اي الالهة والطبيعة خطاهما هذا وتكفرا وتتراجعا عنه وتعودا لتصنعا الانسان العربي كما ارادتا صنعه وتعيدا اليه تجميع جميع العبقريات فيه وله ، جميع العبقريات التي هربت منه الى الاخرين ؟

هل نؤمل ان تفعل الطبيعة والالهة ذلك ؟ وهل تستطيعان فعله ؟ وهل من الخير للعرب او للعالم ان تستطيعا فعله وان تفعلاه ؟

هل تستطيعان انتسكتا او تصبرا على خطئهما الرهيب هذا ؟ ولكن هل من اخلاق الطبيعة او الالهة التراجع عن اي خطأ او خلق من اخطائها او اخلاقها ؟

نعم ، لنظل نعلن بالتكرار الدائم الفاجع ان الطبيعة والالهة قد شغلتا بصنع لسان الانسان العربي فهربت جميع المزايا الاخرى الى الاخرين قبل ان تفرغا من صنع وتركيب لسانه لكي تصنعا وتركبا فيه شيئا من تلك المزايا الهاربة ، الهاربة باسلوب يشبه التدبير المتآمر الفرح بهذا الهرب ، المريد له ٠٠ ونعلن ايضا بالتكرار الدائم عن الاحتمال الاخر وهو أن الالهة والطبيعة قد فجعتا حينما سمعتا الانسان العربي يتكلم اي يصوت فكفتا عن ان تخلقا فيه غير لسانه وكان لسانه اول ما خلقتا فيه ٠٠

ولكن هل نظل نعلن ذلك باسلوب ونيات البكاء ام باسلوب ونيات الشكوى المطالبة بالتراجع والتصحيح المنتظرة للتراجع والتصحيح ؟

اجل ، هل في اي شيء مما ينكر ويؤذي ويرفض ويعاب ويحقر ويعذب ويسيء ويدمر ما ليس احد نتائج وعطايا غلطات الالهة او الطبيعة او هما معا ؟ هل يمكن ان توجد اية سخافة أو دمامة أو نذالة أو وقاحة لولا غلطات الالهة والطبيعة ؟ اذن هل يوجد مذنب غير الاله والطبيعة ؟

ايتها النمال الضخمة ، نتضرع اليك ، الى مجدك وقوتك ، الى عضلاتك الادبية والجسدية ٠٠ هبي قادة العروبة وانبياءها وزعماءها وحكماءها وشعراءها وفلاسفتها وكتابها واحرارها ٠٠

هبيهم شيئا من اخلاقك او ذكائك او حيائك او كبريائك او انتصاراتك ، أو من صدقك ونظافتك ووقارك واتزانك ، او من عفتك وشموخ هامتك وقامتك وتحديقاتك القارئة المفسرة المحاسبة المتعالية ٠٠

هبيهم شيئا من شاعريتك وفنونك وادابك ومنطقك وتهذيبك وطهارة نياتك وضميرك ولغتك وتصويتك وصلواتك وايمانك وانتماءاتك المذهبية والدينية والقومية والثورية ، ومن صمتك الوقور الذكي الحيي ٠ هبيهم اي قدر من التقوى الدينية او المذهبية أو التاريخية ٠ ان هذه التقوى هي كل مزيتهم ودعواهم ٠ فهل يعيشون منها شيئا ؟

اعيريهم ايتها النمال شيئا من بدانتك الفكرية والنفسية والاخلاقية والذاتية٠٠ اشفقي على نحافتهم الانسانية ٠٠ على نحافة عقولهم وقلوبهم وضمائرهم واخلاقهم ٠٠ على ضمور مواهبهم ٠٠ على صمت الابداع والحضارة فيهم ٠٠

علميهم كيف تكبر معانيهم وتفاسيرهم وكيف يصغر او يتصاغر زئيرهم ٠٠ كيف يعلون ويجهرون افعالا ويخفتون ويتواضعون اصواتا ٠٠

كيف تضيق وتهمس افواههم ، وكيف تتسع وتصرخ مواهبهم ٠٠
علميهم وكوني بهم رحيمة ٠٠

اقرئي ايتها النمال بدانتك المعنوية والعضلية على نحافة العرب المعنوية والعضلية لكي تتحولي الى اشفاق عليهم ورثاء لهم والى معلمة لعضلاتهم ومواهبهم الانسانية ليكون فيهم شيء من ضخامتك العضلية والادبية ٠٠

حدقي ايتها النمال في انتصاراتك القتالية لكي تشفقي علـــى هزائم العـــرب العسكرية ٠٠٠

حدقي في مواجهاتهم لاحدى وحداتك اي للنملة اسرائيل واحاديثهم عنها وخوفهم منها واستعداداتهم لها ، ثم انظري هل تستطيعين الا تذهبي تحاولين بكل الكبرياء والاعجاب بالنفس ان تعلميهم شيئا من فنون القتال والقدرة على الانتصار وعلى العظمة والشموخ حين مواجهة النمال ٠

نعم، ثم انظري هل تستطيعين مهما كانت قسوتك وجلافتك الا تكوني بهم رحيمة أو ألا تتحولي الى معلمة لعضلاتهم ولمواهبهم وطاقاتهم ومعانيهم الانسانيـــة ٠٠ الى معلمة راثية لكبريائهم الانسانية ٠٠ هل قرأت او فسرت يوما ما مواجهة من مواجهاتهم لاحدى وحداتك اي لاسرائيل ؟ ٠٠

ايتها النمال والبراغيث والضفادع والعصافير ٠٠ اخبري ابناء العروبة ان اجمل واقوى وانظف واكرم الحشرات ليست اعلاها أو أقبحها أو أوقحها أصواتا ، وان اعلى الاصوات وأقواها واذكاها واقدرها على الانتصار هي التي تطلقها العضلات والعقول والاخلاق وليست التي تطلقها الافواه ٠٠ هي التي تفعل وتكون وترى وليست التـــي تسمـــع ٠٠

اخبريهم ان اللغات ليست اصواتا او كلاما او حماسا او بلاغة او كبرا ٠ ولكنها اي اللغات منطق وفكر وشعر وابداع وتهذيب ورؤية ووقار بل وصمت ٠

اخبريهم ان اللغة صمت ، صمت وانها لا تتحول الى نطق الا حينما تصبح فكرا وشعرا وابداعا وحبا وحضارة واخلاقا ٠٠ اخبريهم انه لا شيء يعلم الصمت ويحتاج الـــى الصمت ويطالب بالصمـــت مثـــل اللغـــة ٠٠

اخبريهم ان الانسان قد اخترع اللغة ليفكر ويبدع ويحب ويرى ويقول الشعـــر والفنون لا ليتكلم ، لا ليكون كائنا لغويا صوتيا ، اي عربيا ٠

لا ليكون نبيا أو زعيما أو معلما أو شاعرا عربيا كل مجده وطموحه وتاريخه مجد وطمـــوح وتاريـــخ لغـــة ٠٠

لا لتكون كل مواهبه وابداعه واشواقه وانتصاراته وايمانه وتقواه ومذاهبـــه وثوراته لغة ، لغة عربية ٠ اخبريهم انها لم توجد لغة لتكون بديلا واغناء عن كل مجد وعظمة وموهبة غير اللغة العربية ٠٠

قولي لهم لقد ابتكر الانسان اللغة ليصمت ، ليصمت لغة وينطق حياة وفعلا وتفكيرا وتحديقا وتطلعا واحساسا لا ليكون لغة فقط كما كان الانسان العربي وكما يريد ان يكون وكما يفخر انه قد كان ٠٠

قولي لهم ان الانسان ليس كائنا لغويا ولكنه كائن عاقل مفكر راء مفسر متأمل صامت ٠ انه لا يتكلم حين يتكلم ولكنه يفكر ويفعل ويحيا ويحب ويصادق ٠٠

علميهم ان الشجاع القوي القلب والفكر واليد والقدرة والابداع لا بد أن يكـــون جبان الصوت متواضعه ضعيفه حييه ٠

اجل ، ايتها النمال والبراغيث والضفادع والعصافير ، علمي وهبي انبيـــاء العروبة وزعماءها وحكماءها وشعراءها وفرسانها وعباقرتها واحرارها وكتابها اشياء كثيرة من ضخامتك العضلية والادبية ٠٠ علميهم كيف يواجهون اسرائيل النملـــة وكيف يقرؤونها ويفسرونها ويرونها ويتحدثون عنها وينشدون قصائدهم ضدهـــا وكيف يشتمونها ويحقرونها ويفسرون انتصاراتهم عليها أن لم يكن بد من ان يفعلوا ذلك ٠ علميهم ايتها النمال كيف يتعاملون مع هذه النملة ، مع اسرائيل ، كيف ينظرون الى وجوههم في مرآتها ٠

***

ويلتاه لامة لا بدان يكون او يبدو صادقا وعبقريا ومصيبا كل من ظن بها أردأ واقسى الظنون ، وكل من فسرها ويفسرها اقبح التفاسير واكثرها تشاؤما ، كما لا بد ان يكون مخطئا وكاذبا وبليدا كل من فسرها او يفسرها تفاسير جيدة او جميلة او متفائلـــة ٠٠

لامة لا بد ان تتحول الى تكذيب لكل المعجبين بها ، المنتظرين منها ولها ، والى تصديق لكل الساخرين بها المنكرين لمزاياها ٠

لامة لا بد ان يصبح انبياؤها واعداؤها المتشائمون لها ومنها جدا هـم اصدق واذكى الانبياء والاعداء واخلدهم نبوات ، ويصبح انبياؤها واصدقاؤها المتفائلون لها وبها هم اكذب وابلد الانبياء والاصدقاء وأعماهم عيونا ٠٠

هل تصدق هذا ؟ هل تصدق انه لكي تكون نبيا صادق النبوة ابدا ، او اذا اردت ان تكون هذا النبي الصادق النبوة ابدا ، فان عليك لكي تكونه ان تكون متشائمـــا بالموهبة والتفكير والاحساس والارادة والحياة والظروف والشهوة ثم أن تحول كـــل تشاؤمك هذا ، كل اوقاتك بكل طاقاتك الى احاديث عن العرب والى تفاسير لهم والى نبوات عنهم دون أن تتحدث عن احد سواهم او تفسره او تتنبأ له او عنه ٠٠ ان تكون مريضا جدا بالتشاؤم ، ثم تتحدث دائما بكل مرضك عن العرب وحدهم ؟

هل تصدق انك بقدر ما تكون مريضا بالتشاؤم في رؤيتك للانسان العربي تكون نبيـــا ؟

هل تصدق ان الانسان العربي هو اعظم محاباة للمرضى بالتشاؤم وللمرضى بالقسوة في تفاسيرهم للناس وللاشياء ، كما انه اي الانسان العربي هو اقوى ثنـاء

على هؤلاء المرضى ؟ هل حول شيء المرض بالتشاؤم الى اذكى واصدق الفنون مثلما حولته الى ذلك، قراءة ورؤية ومحاسبة مواهب وطاقات الانسان العربي في كل عصوره ؟

نعم ، انك لتستطيع بسهولة ان تصبح نبيا لا تخطىء اية نبوة من نبواته وذلك بان تذهب تقرأ وتفسر الانسان العربي في كل اجياله وسمواته قراءة وتفاسير قاسية وشاملة في تشاؤمها ويأسها بلا اي تفاؤل او تأميل ٠

فهل تحب أن تصبح هذا النبي السهل الرخيص المعصوم ؟

ما اكرمكم وانبلكم ايها العرب ٠٠ انكم لتحولون الناس الصغار جدا الى انبياء لا تكذب نبواتهم بالكرم والنبل واليسر الذي تصدقون به الانبياء الكاذبين الذين لا تصدق اية نبوة من نبواتهم بالكرم والنبل واليسر والاقتناع الذي به تتعلمون النبوات والعبقريات والعلوم وقراءة وكتابة وتفسير كل الاشياء من الانبياء الاميين الذين لا يقرؤون ولا يكتبون والذين يفاخرون بانهم لا يقرؤون ولا يكتبون ٠٠

كل الرثاء لامة كل من فيها متفائلون او انبياء يعلمون التفاؤل لان كل من فيها كاذبون او بلا ذكاء او رؤية او طموح او نماذج او شروط على اي شيء يفعلونه او يريدونه أو يواجهونه أو يتصورونه أو يتمنونه ٠٠

كل من فيها متفائلون او انبياء تفاؤل لان كل ما فيها يفرض ويعلم التشاؤم ٠٠ لانه ليس فيها شيء واحد لا يسخر من كل من يتفاءل او لا يقول لكل من يفكر في ان يكون متفائلا اومعلما للتفاؤل : انظر الي واقرأني وفسرني اولا قبل ان تفعل اي لئلا تفعل بل وحينئذ لن تفعل ، حتما لن تفعل ٠٠!!

هل يمكن ان تتفاءل وانت عربي وتعيش في العالم العربي مالم تكن حشرة عمياء، حشرة امية ؟

لامة ليس فيها متشائم أو غاضب واحد أي تشاؤما أو غضبا انسانيا مع أنه ليس فيها شيء أو احد لا يصنع كل الغضب وكل التشاؤم بكل تفاسيرهما ونماذجهما وصيغهما الانسانية والبرغوثية ٠

لامة ليس فيها ولم يكن فيها قط انسان واحد استطاع او اشتهى او أراد او فكر ان يغضب غضبا عقليا او اخلاقيا ٠٠ ليس فيها ولم يكن فيها هذا الغاضب الواحد لان كل من فيها وما فيها يصنع هذا الغضب لكل العقول والعيون والاخلاق التي لم تلدها وتعلمها وتروضها هذه الامة ٠

نعم ، ليس في هذه الامة ولم يكن فيها قط احد يغضب هذا الغضب لان كل ما فيها يصنع هذ االغضب ٠

ليس فيها من يئن او يحزن او يتعذب بفكره او ضميره او مثله أو اخلاقه ، مهما تحول كل من فيها وما فيها بكل تفاسيره الى اقسى واقصى مشاعر الحزن او العذاب أو الشماتة أو الاشمئزاز او الرثاء أو الفرح أو الغضب لافكار وضمائر ومثل واخلاق وعيون كل من يواجهونها او يقرؤونها او يفسرونها او يعاملونها او يحاسبونها

باي منطق او نموذج او اشتراط او ينتظرون منها ولها ، من اصدقائها واعدائها وممن ليسوا لها باصدقاء او اعداء ٠

لامة كل احزانها ومسراتها وحبها وبغضائها ورضاها وغضبها والامها ولذاتها وهزائمها وانتصاراتها وفواجعها ٠٠ برغوثية لا انسانية اي جسدية لا ادبية ٠

لامة لم يتعامل اي تفسير من تفاسير الانسان فيها مع اي موقف من مواقفها او مع اية مواجهة من مواجهاتها او مع اية نية من نياتها ٠٠ لامة لا شبيه لها في تنازلها عن ان تفسر نفسها او تفسر غيرها تفاسير انسانية او ان تطالب نفسها او تطالب غيرها باي التزام لاي شيء من هذه التفاسير الانسانية ٠٠

لامة ليست لها اية حدود او شروط او اشواق او هموم انسانية ٠٠ ان كل همومها واشواقها وشروطها وحدودها ذاتية ٠٠

ليست لها اية مطالب او تمنيات انسانية٠ ٠ ان كل مطالبها وتمنياتها مطالب وتمنيات غدد افرازية ٠

انها لا ترى او تقرأ او تفكر او تفسر او تحاسب او تحاكم أو تقبل أو ترفض أو تعجب او تحب اوتفهمبعيونها او عقلها او ضميرها أو قلبها او اخلاقها بل بجلدها وثيابها ويديها وبيتها وابنائها وقبائلها ٠٠ انها لترى وتفكر بيديها وجلدها وثيابها وقبيلتها اكثر مما تفعل ذلك بعيونها وعقلها وضميرها ٠٠

حتى صلواتها وتدينها وايمانها ، انها لا تؤمن او تتدين او تصلي برؤيتها أو بقلبها أو بضميرها أو باشواقها او بتقواها او بشاعريتها او بتحديقها الى الاعالي، بل بحركاتها وجباهها وركبها واصواتها وهبوطها ٠ ان صلواتها وايمانها وتدينها اصوات وحركات لا صلوات ولا ايمان ولا تقوى ولا محبة للالهة ٠٠

نعم ، انها لا تصلي او تؤمن لانها حب او حنين او ضمير او رثاء او غناء او احزان او دموع اوتحويمات وتحليقات انسانية بل لانها اجساد متحركة واصوات مستفرغة ٠ انه ليس في داخلها انسان يصلي ويؤمن ولكن في وجهها جبهة تسجد وتسقط ٠٠ انه ليس في تعبدها او حبها اي معنى او تفسير من معاني او تفاسير التعبد او الحب ٠٠

انه ليس فيها من يريد او يستطيع ان يحبك او يحترمك او يقف معك او حتى يقرأك او يذكرك او يتذكرك او يصافحك او يراك لانك قيمة حضارية او اخلاقية او فكرية او فنية او مذهبية ، كما انه ليس فيها من يستطيع او يريد ان يرفضك او يحزن لك لانك قيمةمضادة لكل هذه القيم الانسانية ولكل القيم الاخرى ٠٠ ليس فيها من يراك قيمة انسانية او ضد كل قيمة ٠٠ كل من فيها يراك شيئا لا انسانا ، شيئا يحتاج اليه كشيء او لا يحتاج اليه ، وهكذا يريدك ٠٠ امة كل من فيها انما يحسبك ويحاسبك ويقيسك بموازينه وابعاده وحدوده البرغوثية اذ ليس فيها من

له اية موازين أو ابعاد او حدود انسانية اي ادبية من اي نوع ، او من يطالب بهذه الابعاد والحدود والموازين او الاوزان او يشترطها او يفترضها ··

ليس فيها من يريد او يستطيع ان يفسرك او يحدق فيك باحثا عن اي معنى انساني · ان كل من فيها لا يريد او ينوي الا أن يلمسك ويجسك ويقبضك ويزنك كما يفعل باية سلعة من سلعه الخاصة التي لا يطلب او يفترض او يشترط فيها اي معنى غير معنى السلعة ، السلعة التي لا يبحث او ينتظر فيها اي قدر من شرف الانسان او كبريائه او ذكائه او اخلاقه او ضميره او قلبه او فكره او رفضه او غضبه او نظافته او شجاعته ·

انهم جميعا لايريدونك او يرونك او يفترضونك الا شيئا ذا حجم ووزن يسقط في ايديهم وموازينهم ، ولا يريدونك ان تكون او ان يروك انسانا ذا قيمة او صيغة تقهر او تبهر او تعجب عيونهم او عقولهم او اخلاقهم أو مثلهم المكتوبة المروية ··

يريدونك شيئا يستجيب لشهواتهم لا انسانا يتحدى ويحاور عقولهم وضمائرهم وأخلاقهم ··

انهم لا يستطيعون او يريدون ان يقرأوك او يفسروك او يفهموك أو يعاملوك او يجدوك الا كذلك · انهم لن يقوموك او يقدروك او يزنوك باية قيمة انسانية الا بقدر ما يفعلون ذلك مع ثيابهم وكراسيهم وسررهم ··

انهم لا يبحثون فيك عن الانسان ان كان فيك اي انسان او اي قدر من الانسان ·· ان كل بحثهم فيك عن الشيء ان كان فيك اي شيء او اي احتمال لاي شيء · لهذا فانهم لا يفسرون او يحاسبون اي‌انسان بمقادير معاني الانسان فيه بل بمقادير معاني الشيء او احجام واوزان الشيء فيه اي الشيء الموضوع في حسابهم ··

انهم لن يبحثوا فيك عن التفاسير الانسانية او يتقبلوها او ينتظروها منك أو يعاملوك او يحاسبوك بها الا بقدر ما يفعلون ذلك مع نياقهم واغنامهم ·

انهم يريدونك شيئا يعيشونه ويعيشون به وفيه ومعه ولا يريدونك انسانا يحدق فيهم ويقرؤهم وينقدهم ويطالبهم ويحاكمهم ويشترط عليهم ويفسرهم بالتفاسير والنماذج الانسانية الصعبة · انه مهما كانت صورك ولغاتك وملابسك واعضاؤك ظاهرة انسانية فانهم لا يقبلون منك الا ان تكون شيئا في جميع معانيك وتفاسيرك ·

انهم ليعفونك من ان تفسر باي تفسير من تفاسير الانسان ، بل انهم ليقاومونك لئلا يكون فيك اي قدر من تفاسير الانسان ، بقدر ما يفرضون عليك الا تفسرهم او تحاسبهم باي تفسير من هذه التفاسير الانسانية ·· وانا هنا افترض انهم يفهمون ان للانسان تفاسير انسانية غير تفاسيره الجسدية وافترض انهم يفهمون هذه التفاسير الانسانية ··

انهم ليهابون ويأبون ان يفسروا احدا او أن يفسرهم احد أية تفاسير انسانية. انهم ليرون في هذه التفاسير ، مفسرين او مفسرين بها ، اقسى اساليب التعذيب والتعجيز ، والفضح لهـم ...

انهم ليرفضون ويرهبون وجود الانسان في داخلهم بقدر ما يرفضون ويرهبون وجوده في داخل من يرونهم او يفسرونهم او يعاملونهم او يواجهونهم او ينتظـرون منهم ـ اي الانسان الرائي الناقد المحاكم المحاسب المفكر المقاوم الصادق المشتـــرط لنفسه وعليها ولغيره وعلى غيره ..

ولكن هل يمكن ان يخافوا وجود مثل هذا الانسان اي الرائي الناقد المحاكــم المحاسب المفكر المشترط الصادق ؟ هل يتصورون وجوده ؟

هل جربوا وجوده لكي يخشوا وجوده او يتصوروا وجوده ؟

انهم لا يستطيعون ان يتصوروا معايشة او مواجهة مثل هذا الانسان بل ولا حتى افتراض وجوده ، لا مستوطنا ذواتهم ولا مستوطنا اية ذوات حولهم ، تراهم وتحاسبهم وتتعامل معهم .

انهم لا يستطيعون ان يتصوروا وجود مثل هذا الانسان الا بقدر ما يستطيعون معايشته ومساكنته والالتزام به وبمعانيه ، يعونها ويعيشونها ويفرضونها على من يعايشون ويعاملون ، ويفترضونها فيهم ..

اجل ، انهم لن يستطيعوا ان يتقبلوك او يتحملوك او يتلاءموا معك او أن تسدد نظراتك اليهم ما لم تكن مفرغا من كل معاني الانسان وتفاسيره بقدر ما هم مفرغون من كل ذلك ...

***

اجل ، كل الرثاء لامة لا يوجد ولم يوجد فيها من قاسى او يقاسي بفكره او ضميره او اخلاقه او مثله الانسانية او الحضارية او حتى الدينية او القومية او الوطنية ، من اية دمامة او بلادة او نذالة أو هوان او سفه او سخف أو عار او انهيار . بل ليس فيها من استطاع او يستطيع رؤية شيء من ذلك او قراءته او التفكير فيه مهما سد عليه كل طرقه وآفاقه واصبح كل وجوده ومعايشاته . هل يوجد من يستحقون كل الرثاء مثل من لا تقاسي عقولهم او ضمائرهم او رؤاهم او اخلاقهم او مثلهم اي انفجاع مهما واجهوا وعاشوا وهبطوا وفعلوا او فعل بهم ؟

ان جميع صيحات الغضب والاستنكار والوعظ التي يطلقها كل من في هذه الامة باسم القيم الدينية او الفكرية او المذهبية او الاخلاقية ليست سوى صيحات لفظية صوتية ، ليس فيها اي تفسير من تفاسير الفكر او القلب أو الضمير او الصـدق او العمق او التقوى او الارادة او التصميم ..

لهذا لا يوجد ولم يوجد في هذه الامة من يرى او يفسر او يحاسب اي شيء يفعله او يريده او يواجهه ويجده ويعامله الا بالرؤية والمنطق والاخلاق والانفعـالات

التي يرى او يفسر او يحاسب بها الصرصار او البرغوث الكون والناس وحياته واخلاقه وظروفـــه ··

لهذا ايضا فان تفاؤل وتشاؤم كل آحاد وجماعات هذه الامة هما تشاؤم وتفاؤل اجساد وغدد وخلايا وتصويت ووعظ وحكاية وليسا تفاؤل او تشاؤم فكر أو رؤيـة أو ضمير او اخلاق أو جمال او دمامة أو خير أو شر أو مجد أو تفاهة أو انتصار أو هزيمة · ليسا تشاؤم او تفاؤل انسان · لهذا ليس في هذه الامة اي متشائـم او متفائل بالتفاسير الانسانية للتشاؤم والتفاؤل لانهما اي التشاؤم والتفاؤل رؤية وحساب وتفكير ورصد بكل الاحاطة والجرأة والصدق والعمق ··

وهل في هذه الامة من يستطيعون ذلك او حتى يريدونه او يعرفونه ؟

ان التشاؤم والتفاؤل اي بتفاسيرهما الانسانية والحضارية والعلمية ليســا الا تحليقا وتحديقا وطوفانا وانتشارا وغوصا بكل الفكر والتطلع والرغبة والحماس والبسالة في احشاء وخلايا وضمائر ونبضات كل الاحداث والاشياء والذات الماضية والحاضرة والاتية · انهما اذن اي التشاؤم والتفاؤل لابعد واعلى من ان تصعد او تصل اليهما خطوات واجنحة كل ما في هذه الامة من خيول ونياق اصيلة في مواهبها العربية ·

نعم ، امة كل اصوات كل من فيها لن تكون الا اصواتا لفظية جسدية نحاسية ·· لن تكون فيها اية اصوات منطقية او فكرية او فنية او جمالية أو اخلاقية أو حتى كلامية او وعظية او غنائية او عصفورية · لن تكون فيها اية اصوات انسانية اي مفسرة باي قدر او مستوى من اخلاقية او منطقية او شاعرية او غنائية الاصوات الانسانيـــة ··

ان كل اصواتها لن تكون الا كأصوات التصادم بين اجساد الاشياء ·· ولكـن الفرق لا بد ان يكون كبيرا ومذلا مخجلا بين اصوات التصادم ، تصادم اجساد الاشياء واصوات انبياء وزعماء وقادة وشعراء وعباقرة وجماهير امتي العربية · ان أية اصوات لن تستطيع ان تهبط لكي تستطيع ان تكون ندا لاصوات عظماء امتي العربية أو مثلها او شبيهة بها او قريبة منها ··

ان الحقد والقبح والغباء والفحش والسفاهة التي لا بد ان تكون بكل السخاء والوفرة في اصوات انبياء وزعماء وقادة وشعراء وعباقرة امتي العربية ، في نبواتهـم وشاعرياتهم وزعاماتهم وقياداتهم وعبقرياتهم ، لن يكون منها شيء في اصوات التصادم بين اجساد الاشياء · اليست اذن اصوات التصادم بين اجساد الاشياء متفوقة جدا بكل تفاسير التفوق على اصوات عباقرة وانبياء وعظماء امتي العربية ؟

اذن هل يستطيع كل ما في مشاعر واخلاق كل الاشياء من رثاء ان يصبح رثاء كافيا لامة تصبح كل اصوات التصادم بين كل الاشياء الجسدية انقى واذكى واكثر تهذيبا وشاعرية وغنائية من كل اصوات كل نبواتها وزعاماتها وقياداتها وشاعرياتها

وعبقرياتها وكل الوان فلسفاتها، ومن كل اصواتكل كتبها المنزلة وصلواتها المتبتلة، ومن كل اصوات كل آياتها وسورها المصابة بكل عاهات وتشوهات البلاغة الصوتية اليعربيـــة ؟

يا كل احتمالات الضمائر والقلوب والاخلاق والاحزان والانفجاع المختزنـــة في طاقات ومواهب جميع الاشياء ، تحولي الى رثاء لكي تهبيه لامتي العربية التي لا تستطيع اصوات نبواتها وزعاماتها وعبقرياتها واصوات آياتها وسورها في كتبهـا المنزلة وصلواتها المتضرعة لالهتها المتوحشة ان ترتفع في ذكائها أو تقواها أو وقارها او تهذيبها أو في تفاسيرها الفنية او الاخلاقية الى اصوات الطبول أو الرعود او الحجارة او الى اصوات الكائنات الصاهلة او الهادرة او الزائرة او النابحة أو الناعبة او الناعقة ، مع ان اصوات الهة وعظماء امتي العربية هؤلاء هي كـــل كلامهم وتفكيرهم وعبقرياتهم التاريخيـــة والحضارية والانسانية والدينيـــة والبلاغية بل والعسكرية ٠٠

يا كل طاقات الرثاء في مواهب وعواطف كل الاشياء تحولي الى اشمل واعمـق رثاء لامتي العربية التي لم تستطع ولا تستطيع ان تعرف الفرق او تصنع الفـــرق بين التصويت والتفكير ، بين التصويت والشعر ٠٠ ان تعرف ان اللغة شعر وفكر لا تصويت ، او ان تريد أو تستطيع او تعرف ان تجعلها كذلك ، أو أن تعرف ان التصويت ليس حضارة او قوة او مجدا او انتصارا او تقوى دينية او مذهبية او انسانية او صعودا الى القمر ، وانه اي التصويت لن يصبح كذلك او شيئا منـه ، مهما كان اي التصويت هو كل عبقريات النبوات والزعامات والقيادات والشاعريات والديانات العربية ٠

اجل ، لامتيالعربيةالتي لم تعرف ولا تريد او تستطيع او تنوي او تتمنى ان تعرف ان مجد الحديث عن الصعود الى القمر اقل من مجد الصعود اليه ، او أن الحديث عن هذا الصعود ليس صعودا ، او انه لا يجوز ادعاء الصعود بلا صعود ٠٠

الفهرس

صفحة

طبع في باريس سنــة ١٩٧٧
على مطابع شركة مونمارتـــر
للطباعة والنشر تلفون : ٨٤٥٦٩٨٤